

تاريخ الحضارات العالم

V

العهد المعاصر

مكتبة
بيروت - لبنان



تاريخ الحضارات العام

تاريخ الحضارات العام

موسومة في سبعة مجلدات بإشراف موريس كروزيه

١

الشرق واليونان القديمة

أندريه ايمار جانين أوبوايه
أستاذ في السريون أمينة متحف غنية

٢

روما وأمبراطوريتها

أندريه ايمار جانين أوبوايه
أستاذ في السريون أمينة متحف غنية

٣

القرون الوسطى

إداور بروجي أستاذ في السريون

٤

القرنان السادس عشر والسابع عشر

رولان موسنيه أستاذ في السريون

٥

القرن الثامن عشر

رولان موسنيه و أرست لايروس
أستاذ في السريون أستاذ في السريون

٦

القرن التاسع عشر

روبير شنيروب أستاذ في السريون في الدارمان العليا

٧

العهد المعاصر

موريس كروزيه مفتش المعارف العام في فرنسا

تاريخ الحضارات العام

بإشراف

موريس كروزيه

مفتش المعارف العام في فرنسا

المجلد السابع

تاريخ الحضارات العام

العهد المعاصر

بحثاً عن حضارة جديدة

تأليف

موريس كروزيه

مفتش المعارف العام في فرنسا

نقله الى العربية

فريد م. داغر

يوسف أسعد داغر

منتقورات عويدات

بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبعة العربية في العالم محفوظة لدار
منشورات عويدات
بيروت - باريس
بموجب اتفاق خاص مع المطبوعات الجامعية الفرنسية
Presses Universitaires de France

مدخل

تؤلف الحقبة التاريخية التي انتهت عام ١٩١٥ ، في رأي كينز : حقبة مدهشة من جهللتطور الذي حققه الانسان ، كما بلغت فيها الذروة التي سجلها المسالم الليبرالي والراحماني . ففي الوصف البليغ الذي رسمه لنا هذا العالم الاقتصادي المشهور بيان مفصل لهذه التطورات التي تحققت والتي تشغل ، على لوجه الامثل ، في ازدهار الدول ، وفي هذا الغنى والبهبوحة التي توفرت للأفراد وهذا الشموخ العام والطعانة . فالعالم كله يبعث الى اوروى الفلال والمحاصيل التي ترضى بها عليها حقوقه ، كما ترسل اليها المحاصيل الاستوائية الشاذرة التي لم تكن لتخطر على بال احد في الامس القريب . وهذه المحاصيل والملا التي يؤلف وجودها اليوم ، علامة من علامات البذخ والرفاء . كذلك فتح العالم ابوابه على مصراعها امام المصنوعات التي باستطاعة المصانع الاوروبية وحدها توفيرها له . فبرزت لنا صورة عالم مزدهر منفتح بحيث لم يبق من الحواجز المعيقة سوى ظلها ، وحيث تتوافد وتسير بحرية مطلقة ، الناس والبضائع والسلع ورؤوس الاموال ، والافكار ، وحيث بلغت حركة الانتاج والتجارة ، في اوروى ، سيرة التنتهى ، وسجلت أعلى مستوى عرفه تاريخ البشرية جمعا .

وهذا الموطن الاسطوري للثروة السابعة ، وهذه « الجمهورية المثالية » التي يصلها لنا كبير ، هي ابعد من ان تمثل العالم القديم حتى ولا اوروى بأجمعها . بل هي صورة قسم من اوروى «اوروى السائدة المسيطرة » ، بمثابة بعض اقطارها الواقعة الى الغرب او في اللقب ، والتي يؤلف كل منها مشعلا من « مشاعل الحصار الاوروبية » . والدول التي اطلت حديثا على العالم في الخارج ، ككولايات المتحدة الاميركية واليابان ، هذه الدول التي تطمح في ان تكون لها حصتها في المشروعات « الاستعمارية الكبرى » هي من حفيدات اوروى ومن تليداتها الناهيات بمد ان اقتنست منها : مناهجها وطرائقها ومثلها واساليب عيشها . وعلى لسة ما تحتلها من الطابع الاوروى استطاعتا تمثيل هذا الدور الذي لعبته اوروى من قبل .

وهذه السيطرة التي تمت للرجل الابيض - او بالاحرى للفريق منه - وهي سيطرة لا تصدو

مع ذلك ، القرن السادس عشر ، اعتزقت بواقعهما الشعوب التي دارت في ملكها ، بعد ان تقاسم الناس اصولها الحديثة مام ما شهدته من التطورات لمدهشة التي حققتها في القرن التاسع عشر والبعاجات الهائلة التي سجلتها . وبفضل هذه السيادة وفي مديها امكر ، على ما يبدو ، لتحقيق الوحدة في كوكب الارضي هذا . فالنظام لاقتصادي والسياسي الذي مكّن هذه البعاجات هو من التمدد والصلابة بحيث تحمّدت كل خطر . فالمشاعر التي تشد الناس الى الماضي واصحاب النظريات الخيالية والتوروية التي قسّلت بها مريق صمير ، هي التي احذت تنقص من قيمة لراحمالية الليبرالية والديموقراطية السبائية التي لم يشك مع ذلك ، احد بالمستقبل الزاهر الذي سيطر عليها

وبعد ذلك بأربعين سنة ، وفي اعقاب حربين هائلتين وازمة اقتصادية ، لم يشهد التاريخ من قبل مثل هذا الانساع او الشمول الذي اتخذه لها ، تقير الوصف بغيره تماماً . فالازمة التي تخصص عنها العام منذ مطلع القرن ، والتي انفجرت مدوية عام ١٩١٤ ، هزّت أوروبا من اساساتها . وهذه الحرب الاهلية التي كتمت أوروبا بلميسها المحرق مدة اربع سنوات ، والثورة الرومية التي نشبت عام ١٩١٧ ، كل ذلك وما اليه ، انزل دالظام الليبرالي الرأسمالي ، هزات لم يعرف له معها استقرار بعد . والمحاولات العديدة التي بدلت لاعادة الوصف القديم الى ما كان عليه ولست العصر الذهبي الى الوجود ، والرجوع بالانسانية الى لذة الميش والطمانينة التي كنّيم بها العالم قس ١٩١٤ ، باءت كلها بالفشل . وقبل ان يزرع العالم من جديد تحت صمط الازمة لاقتصادية التي اطلت عليه عام ١٩٢٩ ، ويبتلى بمقابيل الحرب العالمية الثانية ، بدا المخلال أوروبا أمراً لا مرد له ولا محيص عنه وكذلك النظام الذي كان اساس قوة أوروبا وسيطرتها . وإطلالة الاسبوع الاسود على وول ستريت في ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٩ كانت مديراً بتدهور النظام الرأسمالي ، وبذلك قضى تماماً على هذه الاحلام المعسولة التي راودت خيال رجال السياسة كما راودت خيال رجال الاعمال وكلهم ينفو الى طلوع عهد جديد من الطمانينة مطلقا النفس بمستقبل زاهر بسام . وفي هذا الوقت يالدات قطل علينا حكومات وانظمة جماهية عبثت ساهرة ، بكل المادى الليبرالية ، هذه المادى التي سكنت الركن للركن الحضارة الأوروبية منذ القرن الثامن عشر .

والحرب العالمية الثانية التي دعت العالم قبل ان يستعيد قواه الحائرة في اثر الازمة لاقتصادية التي مزلت به ، حملت معها هذه النظم العاشقية كما استفعل معها انقسام العالم محاور واحلاف ، كما راحت بلدان كثيرة اسكيت باحتها تشرب باعناقها الى الاستقلال متلثة الحرية أينما هبت . فالقارة الآسيوية بأسرها تنفض عنها يبر الدول المستعمرة واستخلاص بقايا

لامبراطورية من الاوروبيين بعد ان عاثوا بها وعشوا، ومن يضي كثير وقت حتى تستعيد حريتها
المليب وبلدان ميركا اللاتينية التي كانت تعول على الولايات المتحدة ، ردت نفرة من الدولار
الاميركي ومن استملاء اصحابه .

عالمية تؤلف أزمة تحمل كل مكسبات الحضارة تهتر وترتجف امام ثورة عارمة لاشين لها
ولا نظير . وقد ارتدى العام وحياً حديداً ليس في المجال السياسي والاقتصادي فحسب ، بل
ايضاً في مجالات العلم والفكر . وهي ثورة عميقة هزت عميقاً النظريات الفيزيائية وطلعت
عليها بكشوف علمية تأخذ بمجامع القلوب ، وتساعد على إعادة النظر في البيان الفلسفي القائم .
فرجال الفن والكتاب يسعون عن اشكال وصيغ جديدة تساعدهم على فهم وتفهيم كل معضلات
العصر ومعمراته ، كما تفلسف لساناً ، بأسلوب جديد ، الوشائج والاواصر الجديدة ، التي تشد
الانسان الى نفسه وإلى العالم .

وهكذا تتم للإنسان نجاحات علمية وعنية قادرة على تغيير أوضاع احيائه وظروفها ،
وشرائط الحروب وامورها ، فتضع لأول مرة في التاريخ تحت تصرف البشر ، إذا ما ارادوا
ذلك ، لوطنين التي تساعدهم قوماً ، على التغلب على اوبلات التي ماتحت مد الفهم ، على صدر
لانسانية ، وأرزحتها .

القسم الأول

أفول أوروبا

كتاب لأول

أوروبا نفقد وضعها الممتاز

كل قوة مصححها الفناء ، فالقدرة من توجيه التاريخ
ليست من المبات الثابتة ، وأوروبا التي تملك هذه القوة
من يد آسيا منذ نحو ثلاثة آلاف سنة ليس ما يضمن لها
الاستمرار بما إلى الأبد والاستقرار بما إلى ما لا نهاية له .

الطبعة - ١٩٩٠

الفصل الأول

السيطرة الأوروبية قبل الحرب العالمية الأولى

في سنة ١٩١٣ لم تكن سيطرة أوروبا على العالم لتقوم على قوتها العسكرية ، واساطيلها الحربية ، وقواعدها البحرية ، وتفوقها في عتادها العسكري ، وكثرة جيوشها وحسب ، بل كانت ، حلاوة مما ذكرنا ، قائمة على تفوقها المادي والتقي الذي جعل منها «صنع ، العالم ، وعلى تفوقها المادي الذي جعل منها مصرفه ، وتفوقها الفكري المعترف به في العالم بأسره .

يمكن تفوق أوروبا المادي أول ما يمكن في قوتها البشرية . لا تضم السكان في أوروبا تعدد أوروبا سوى ٤٦٠ مليون نسمة من أصل ١٨٠٠ مليون ، هم مجموع سكان الكرة الأرضية (٢٦ ٪) . ورغم ذلك ، فإن معدل نمو سكانها ، ظل دائماً مرتفعاً : ألمانيا تزداد ٨٥٠ ألف نسمة في السنة . والثاني المؤلف من النمسا والمجر ٣٥٠ ألفاً . والامبراطورية الروسية ما يزيد على المليونين . ولهذا السبب كانت الهجرة الأوروبية أهم هجرة في العالم . وقد أسهمت في توليد وتطوير الدول « البيضاء » الجديدة ، التي نشأت غرباً وراء البحار ، كالولايات المتحدة ، ودول السومينيم ، والأرجنتين والبرازيل ، هذه الدول الجديدة التي راحت تستقبل كل سنة ٤٥٠ ألف مهاجر بريطاني و ٤٠٠ ألف مهاجر إيطالي ، ومئات الألوف من فلاحي أوروبا الوسطى والشرقية ، الذين أزعجهم البؤس في أوطانهم . وفضلاً عن ذلك فإن هجداً ضخماً ، لا يقل دون شك عن ٧٠٠ ألف فلاح روسي ، كان يقش كل سنة القارة الآسيوية ، ولا سيما للمناطق الواقعة غرب جبال الأورال .

وزيادة في تبيان الدور الذي تلعبه أوروبا في بلاد ما وراء البحار ، يلزمنا إلى جانب ذكرنا من أرقام أن نصيف أيضاً ، جميع أولئك المهاجرين ، الذين يترحلون عن أوطانهم ، إلى حين ، ليصلوا في استثمار المشاريع الاقتصادية التي كاقبل « تدبرها أوروبا لمصلحة أوروبا » .

طائفة أوروبا الصناعية والتجارية انقسم العمل في العالم انقساماً عمودياً ، وذلك لمصلحة أوروبا ، ولا سيما أوروبا الغربية التي أصبحت أهم مركز صناعي في العالم ، على الرغم من سرعة تطور الصناعة في الولايات المتحدة . ذلك أن بريطانيا والمانيشا وفرنسا مجتمعة ، تلك وحدها $\frac{1}{3}$ ما تملك أوروبا كلها من طاقة إنتاجية ، وقدرة على العمل الموصوف *Travail qualifié* . وتترك هذه الدول الثلاث أن تحتكر وحدها ، صناعة السلع الجاهزة *Fabrication des produits manufactures* ، إذ أنها تنتج منها ما يوازي $\frac{2}{3}$ من مجموع الصادرات العالمية . وهي كذلك أهم الدول المستوردة لل مواد الخام و المواد الغذائية . وفرنسا تستورد منها ٨٠ ٪ والمانيا ٧٦ ٪ و انكلترا ٧٥ ٪ من مجموع مستوراداتها . وفي مقابل ذلك ، تصدر فرنسا من منتجاتها المصنعة ما يوازي ٦٦ ٪ من مجموع صادراتها ، والمانيا ٧٥ ٪ ، وبريطانيا ٨٠ ٪ .

إن الولايات المتحدة وإن أصبحت الأولى بين الدول المنتجة للمعم الحصري ، والفلاد ، والصلب ، فإن السلع الجاهزة التي تصدره إلى الخارج لا تساوي سوى ٣٣ ٪ من مجموع صادراتها ، واسطولها التجاري لا يمطي سوى $\frac{1}{10}$ من مجموع تجارتها الخارجية . أما الصناعات التجارية لدولية ، فإن حصة أوروبا منها ، هي بمثابة حصة الأسد ، إذا قيست إلى حصة أميركا (١٤ ٪) وإلى حصة آسيا (١٠ ٪) .

أما في الحقل التجاري ، فأوروبا هي الوسيط الذي لا ممر منه ، بين بلدان العالم بأسرها : فاتها تسيطر على وسائل النقل وتلك وحدها الخبراء ودور التجارة المتخصصة الممتدة بكل حاحات السوق العالمية وسائر إمكانياتها وتملك فوق ذلك شركات الصبان ، والمصارف التي تحيط إحاطة تامة بحركة المشاريع الكبيرة في العالم أجمع . فلا عجب إذن ، أن تلعب لندرجة أولا ، ثم أمستردام ، وأنقرس ، وفرانكفورت ، وقينا ودريس ، دور المحكم في التجارة العالمية ، وأن يكون لها الكلمة الأخيرة في دنيا الاقتصاد .

علاقة أوروبا المالية إن أوروبا هي السوق الوحيدة - أو تكاد - بعدد لا بأس به من المواد الأولية كالمصوف والمعم والنحاس والقصدير ، والمعدنة العالم بالسلع المصنوعة الجاهزة جديدة بأن تفرض على تلك المواد والسلع الأساط التي تريد ، وأن تستوفي ، لقاء خدماتها في شحن تلك المصانع ، وتأمينها وتسهيل معاملاتها المصرفية ، عمالات *Commissions* هي في الحقيقة موارد ، أن تكون غير مرتبة ، فأنها ذات شأن كبير . أما الموارد التي تسهم ، على أفضل وجه ، في تقويم ميزان أوروبا التجاري وحمه في الوضع الأكثر ملائمة لمصلحتها ، فأنها بلا شك ، تلك المورد التي تطل عليها من توظيف رؤوس أموالها في الخارج . إن المؤسسات المصرفية ، وديوت المضاربات المالية ، التي منها تترود الحكومات والأفراد ، تحتاج إليه من الدين الطويلة الأجل ، لا توجد في سوى متاجر أوروبا الكبرى . إن نشاط نيويورك لا يزال مقصوراً على تمويل الأمريكيتين . الشمالية والجنوبية .

وحدها أوروبا ، قادرة على بذل رؤوس الأموال الضرورية لفتح مدعهم ، أو مد سكة حديدية ، أو إنشاء مصنع ، في أي جهة من جهات الكرة الأرضية . بها ، والحق يقال ، مصرف العالم بأسره . ثلاث دول أوروبية تقسم فيما بينها ٨٣٪ من مجموع التمويلات الخارجية . موزعة على هذا النحو : ٤٥٪ لبريطانيا العظمى ، ٢٥٪ لفرنسا ، ١٣٪ لألمانيا . أما الولايات المتحدة فتأتي في المؤخرة مع ٥٪ لا غير . إن ربح الثروة القومية البريطانية ، وسدس الثروة الفرنسية ، ليلتقل إلى هذه الطريقة إلى الخارج ، فيتحولان إلى أدوات للسيطرة الاقتصادية ، ويشكلان الطريق للتجسس ، ولأصعب الاحصاء والهندسة الذين يتولاهم إدارة المشاريع الاستعمارية الكبرى ، يحولون البلاد الراحلة تحت وصاية الديون إلى بلاد تستورد من أوروبا السلع الجاهزة ، وتصدر إليها المواد الأولية .

أوروبا ذات السيادة
إن الدول الدائنة *Créancière* ، المسيطرة على الأسواق ، لا الغربية ، تتمتع بشق الاختيارات هي التي تكون ، على حد تعبير فر . بير ، أوروبا المسيطرة ، في مقابل « أوروبا المسودة *Passive* ذات البراعة المتأخرة » والصناعة التي لا تزال في مهدها . إن قطبي هذه الدول المسيطرة هما . بريطانيا العظمى وألمانيا ، وتأتي فرنسا في المرتبة الثانية ، لوغرة رؤوس أموالها ، ثم تلتها الدول الصغيرة ذات الصناعات لرقية كبلجيكا وسويسرا ، أو تلك التي أثرت بعصل مستعمراتها ، كالبلاد المنخفضة (هولندا) ومن الشائع أن لندن هي « محور الاقتصاد العالمي » . ومرد ذلك أن سوقها النقدي ، وهو شد الأسواق اقشاعاً ورحصاً ، وإلى وسائل نقلها البحري ، التي تملك نكثراً أكبر نصيب منها . وتحمل الليرة الاسرائيلية مكان الصدارة في العملات الدولية خلفه ورائها ، إلى أبعد مدى ، الفرنك والدولار . إن قوتها انكثراً في المسكاة ، والعملة ، والأسعار ، هو الذي يجعل منها ، سيادة التجارة العالمية . يحذر من ذلك ، أن الدول الصناعية الأخرى التي أخذت ، بعد آي ، تتصل اتصالاً مباشراً مع عملاتها في وراء البحار ، أن تلك اسرل نفسها لا تجد سبيلاً إلى ذلك إلا من طريق انكثراً ، ويفضل وساطتها .

أما منافستها ، ألمانيا ، فإياها ، يسكنها الذين يعدون ٦٧ مليوناً ، (الأولى بين دول اليابسة . لقد دعيت « بفرديوس » التنمية والتنظيم . وأحرزت تقدماً ضاعفاً يعود الفصل فيه إلى ما قسعه سنوياً من الصليب *Fente* (١٣ مليون طن مقابل ١٠ اطنان لبريطانيا العظمى) والبولاد والحديد (١٢,٥ مئناً مقابل ٧,٥ اطنان لبريطانيا العظمى) والمصنم الحجري (١٩٠ مليون طن) في السنة . كما يعود إلى احتكاكها لبعض الصناعات ، كصناعة الأصباغ مثلاً ، وإلى تنظيم سياستها في مجال التوسع المصري والتجاري ، تنظيماً جعل منها مركز التجارة الخارجية لأوروبا الوسطى ، والبلدان المجاورة لنهر الدانوب .

في مقابل هذا العدد الضئيل من الدول المسيطرة ، تقسوم الغلبة
الغلبة من بلدان العالم وفي مقدمتها أوروبا الوسطى وأوروبا
الشرقية ، وسكانها أهل فلاحه متخلفون ، وهم ، يشقون جهدين ، في سبيل عيش بائن ، زري ،
تحت مرة كبير للاكبي ، المتفسيين ابدأ عن املاكهم . أما الصناعات في هذه البلدان جميعاً فلا
تزال في عهدها البدائي ، ومن النوع القديم في المستعمرات . ، وهي تنفث ، في الغالب ، بفضل
رؤوس اموال اجنبية : فرنسية واهلية ونمسيكية . وتحت اشراف مهندسين اجانب . وقد
يشول الاجنبي احياناً الاشراف على دارقها كذلك . ان اعظم هذه الدول الشرقية ، وأريد
بها الامبراطورية الروسية المترامية الاطراف ، لا تملك سوى صناعة متورة قاصرة . واما كانت
هذه الامبراطورية تحمل المقام لاون بين دول لمولة *Créanciers* الصين ، والفصل يعود الى
رؤوس الاموال الفرنسية ، التي تنوس بها حكومة باريس . ، محل القصر الرومي على البقاء
حليفاً لفرنسا . على ان العلاقات التجارية التي تربط أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية بأوروبا
الغربية لا تختلف في جوهرها عما هي عليه بين أوروبا ، صاحبة النفوذ والسلطان ، وسائر بلدان
العالم الأخرى . انها في كلا الحالتين ، علاقة مبادلة سود أولية ، بمشروعات جاهزة .

العالم الواقع تحت
السيطرة الأوروبية
للدول الصناعية الحديثة ، سيطرة اقتصادية *Monopole* قائمة على
الدول غير الأوروبية ، ما حلا الولايات المتحدة ، واليابان ،
ولي حد ما الممتلكات البريطانية . فآسيا وأمريكا اللاتينية ،
وافريقيا ، تفصح اجلاً لنظام شبه استعماري ، اما مستعمرات بحصر الكلام ، فسان الدول
الصناعية المذكورة ، تدبرها بنفسها وتستثمرها استثماراً مباشراً .

والخير مثل يقدم للدول غير الأوروبية ، الواقعة تحت سيطرة الدول
الغربية الحديثة ، انما هو الصين ، هذه البلاد الشاسعة ، التي جعل منها
الأوروبيون ، كما يقول صون يات سات ، شيئاً هو دون المستعمرة *Hypocolonie* . ان الدول
التيانية عشرة الموقعة على المعاهدات التي فتحت طريق الصين لأوروبا ، تتمتع بامتيازات تهمس
لهم وصفاً متفوقاً بالمقاس الى الصينيين انفسهم . وتتلخص هذه الامتيازات في الأمور التالية
وهي . حق التجارة في الموانئ الثمانية التي تنص عليها المعاهدات ، حق الترافع في المحاكم القنصلية
دون المحاكم الصينية الصينية ، عشرون منطقة حرة ، هي في الحقيقة عشرون مستعمرة ، دخل
الاراضي الصينية ، حق إقامة حاميات عسكرية في بعض مناطق من البلاد ، حق الافضلية في
التعامل التجاري ، معرفة جمركة أخرى بها ان تكون صربية مالية لا شأن لها ، حق الاعفاء
من الضرائب ، حق الرقابة على بعض المرفق العامة ، كالموانئ البحرية ، والجسور ، وجباية
ضريبة الملح ، على ان يتولى ادارتها مديرون غربيون . يضاف الى ذلك جمعه . ان المصارف
الاجنبية التي تمول التجارة الخارجية ، وتمتلك بمجة الوسيط بين الحكومات والاسواق اقليمية
الخارجية ، تلح القروض ومدد السكك الحديدية ، ودفع التعويضات (لليابان مثلاً سنة ١٨٩٨

أو بعد حرب الموكسر ، تفرض شروطاً عالية لا تعرف الرحمة ، من شأنها أن تصاعف قيمة القروض ثلاث مرات زيادة عما هي في الأصل .

ن عدم استقلال الصين استقلالاً اقتصادياً يجرها إلى الخضوع التام للسياسة الأوروبية ، ويجعل أهلها أحط منزلة من الأتائب . وذلك ليس في مناطق العمود الأوروبية وحسب ، بل وفي طول البلاد وعرضها . ومن شواهد ذلك ، تلك الرسائل المسيحية التي قلنا نرى حرمة التقاليد القومية ، والشركات الأجنبية التي تدفع للمواطنين أجوراً أدنى بكثير من أجور عمالها وموظفيها . وبديهي أن خروج الجمارك من يد السلطة المحلية ، يعيق تصنيع البلاد ، كما أن امتياز الأجانب في حقهم باللجوء إلى محاكمهم الخاصة ، يحول دون تمكن السلطات من قمع الظلم ، وقطع دابر الفساد (كل أوكار لعاطي لا يقون ، يديرها الأجانب) . وبديهي كذلك أن إنشاء مناطق النفوذ ، يهيئ البلاد للتفريط والتفريط أحرارها بعضها عن بعض .

الشرق الأدنى
أن وضع تركيا ومصر لا يختلف في شيء عن وضع الصين ، فها
هنا بعض مظاهر أقل غلظة ومهاجة . فالشركات الأجنبية
هي التي ، في كلا البلدين : تركيا ومصر ، تنشئ وتستغل الموانئ والقطر ومصانع التلغون ،
وتولّد الكهرباء والغاز وتقوم بتوزيعها ، وهي التي تستثمر موارد البلدين الطبيعية ، كالصم
الحجري والرصاص والزنك والكروم ، وموارد السكك الحديدية : « لها خلا سكة حديد
الحجاز التي أنشئت لنقل الحطب » ، ولا تعود على البلاد بأي نفع آخر ، فان جميع السكك
الحديدية التركية تملكها الشركات الأجنبية . فضلاً عن أن ٨٠ ٪ من وسائل النقل البحري في
مصر مملوكة كذلك إلى هذه الشركات . أما منابغ البترول ، والأموال العامة ، فتقع كلها
تحت رقابة المصارف الأجنبية ، ولا تنتج البلاد سوى المواد الأولية .

أما مصر ، فان رهاه نصف قوتها الوطنية تعود إلى الأجانب وبخاصة إلى الفرنسيين منهم
والبريطانيين ، الذين يشغلون المراكز الأولى في الإدارة العامة ، ويهيمنون على شركة قناة
السويس ، وبنك مصر المركزي ، والمصانع والتاجر الضخمة . وعلى عزاز تركيا ، تخضع
مصر لنظام الامتيازات الأجنبية ، الذي يضمن للأوروبيين العسمة المنزلية ، والمنحة القضائية ،
وعدم الخضوع لشرائع الدولة ، ولا سيما ما كان منها متصلاً بحماية الضرائب والرسوم الجمركية .
للمصالح الأجنبية وحدها صلاحية النظر في قضايا الأجانب ، المدنية والجزائية ، وقضايا الأحوال
الشخصية ، وهي الماشئة بين اجانب متسبين إلى دولة واحدة ، وفي القضايا الجزائية وهي التي
يؤلف الأوروبيون طرفاً فيها . وأما الدعاوى المتعلّقة ، فالهاكم للفتلطة هي التي تنظر فيها
بمقتضى تشريع خاص ، يستوحى من الشرع الفرنسي .

ان لاوروبا ، هنا ، شريكه في انفسه ، هي الولايات المتحدة . (ان أميركا
الجنوبية هي في حقيقة الامر ، مستعمرة ميركية اوروبية) . انت رؤوس
الاموال الاحنية الصرف ، هي التي تملك وتستغل ثروة البلاد المنجمية ، ومراقبها العامة ،
والصناعات القليلة القائمة فيها . ولما كان اقتصاد هذه البلاد ، مسب على تصدير بعض المنتجات
الصناعية ، فبماه سريع العطب والانهيار . يمثل السكر والشوك والقهوة ٩٠٪ من صادرات
البرازيل ، والقهوة ٥٣٪ من صادرات كولومبيا ، والقصدير ٧٧٪ من صادرات السيلو ،
والسكر ٧٧٪ من صادرات كود ، والمصنوعات النخلة عن حرية الموشي ٨٤٪ من صادرات
لاوروغواي ، ومتنوعات العطب ٧٤٪ من صادرات فنزويلا ، واصناف التبنات ٧٥٪ من
صادرات الشيلي . ان التصدير أمر لا يحصى منه ، ليستطيع البلاد وفاء ما يترقب على ديونها
من هوائد . فإن يصعب ، انهار اقتصادها كله ، حارفاً معه العملة الوطنية والمحكومة في آن
معاً . ولما كانت الحكومة لا تملك لايدي العاملة في البلاد ، ولا وسائل التأثير على المصارف ،
فقد لمها ان تصدع بأمر هذه المصارف ، وان تتركها وشأنها توجه حياة البلاد الاقتصادية ،
الوحدة الثلاثة تأثرها الشخصية . ونخلص من هذا الى ان العميل الاجنبي هو الذي يحفز أو يقيد
حركة الانتاج في البلاد ، ويحدد أسعار السلع على ارضها . ان الارجلتين ، السادسة بسين
لممتلكات البريطانية ، هي الصورة المودنية للدولة التي تتمتع باستقلال إسمي . ولكنها في
الواقع شبه مستعمرة لدولة صناعية . كل ما فيهم من مصانع للدار ، وسبك حديدية ، وقطر ،
ومستودعات حمارة للتريد ، ومعامل للمعدات ، ملك بريطانيا . والمركب الاسكليزية ،
دون سواها ، هي التي تنقل اى اوروبا ، وخاصة الى بريطانيا العظمى ، صادرات الارجلتين
الزراعية من حنطة ولحوم وحلود ، وهي التي كذلك تحمل الى الارجلتين المنتجات الصناعية
الضرورية ، وفي طليعتها السلع المصنوعة في بريطانيا .

لا نزاع في ان لدول الاوربية الكبرى ، مجالاً أوسع ، لسطط سلطانها
المستمرات الاوربية الاقتصادية على مستعمراتها ، واستغلال مواردها الطبيعية ، ومجهودات
سكانها على وجه يكون اشد ملاءمة لمصالحها الدافية . ان اقتسام لدول الاوربية لافريقيا
في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، لم يسهه مخطط مرسوم ، وبما أن تجل على حجب ،
نقيصة للملاسات التي رافقت بحث الموت الدينية الى تلك الاصقاع ، وغير ذلك من الملاسات
والمؤامرات الدولية . ولذلك كانت الحدود الفاصلة بين مختلف مستعمرات ، مجرد خطوط
جغرافية ، يلبها العنث المطلق احياناً ، واحياناً اخرى كان يكتفى بانخفاض درجات العرض
والطول حدوداً لتلك المستعمرات دون اي اعتبار للفوارق العرقية ، او الفوارق الطبيعية .
واذا بها تفرق بين الشعوب ، او تجمع بينها ، دون أي مسوغ من منطق او عرف . وهكذا
تكوّنت تلك الامبراطوريات الاستعمارية القارمية الاطراف . فالامبراطورية البريطانية
مساحتها توازي ١٨٠ مرة مساحة بريطانيا العظمى ، والامبراطورية السليجية ٨٠ مرة مساحة

بلجيكا . والامبراطورية الهولندية ٦٠ مرة مساحة هولندا والامبراطورية الفرنسية ٣٠ مرة مساحة فرنسا . وسيطرت روسيا على آسيا الوسطى بالإضافة إلى سيطرتها على سيبيريا . ان الثور الثلاث : روسيا وبريطانيا وفرنسا ، تسيطر وحدها على أكثر من نصف مساحة الكرة الأرضية ، وعلى أكثر من ثلث سكانها . اما نظام استغلال هذه المشكلات ، فهو نظام المفايزة . ويقوم بتصدير أكثر ما يستطيع من المواد الخام ، في مقابل استيراد المنتجات الصناعية . ورؤوس الأموال الأجنبية لا تستخدم إلا بسبيل إنتاج المواد الأولية . واما هواند هذه الأموال فعلا تستثمر في البلدان التي صنعتها . وهكذا تم تجربة محاولة لتصنيع هذه البلدان . لقد بقيت حافا ، في الهند البريطانية ، « المستعمرة النموذجية » كما يدعونها ، مرحلة على زراعة القهوة حتى سنة ١٩١٤ . وكانت سائر المواد الأولية تحدّد في امستردام . وأما في الهند الصينية فقد خلقت سياسة الامتصاص *Assimilation* - ومن نتائجها إنشاء الوحدة الفرنسية في ١٨٩٢ - سوفا ذات امتياز للصناعة الفرنسية ، مع تبادل بالمثل عبر كامل . ذلك ان الشاي والقهوة والسائر الوارد الى فرنسا ، كان خاضعا للرسوم الجمركية . وكان من جراء ذلك ان تدعورت تجارة الهند الصينية مع البلدان الآسيوية التي كانت السوق المثلى لمنتجاتها من الارز . وهذا كذلك نجد ان تمويل المشاريع الوطنية *Investissement* يكاد يكون معدوماً . فهو لم يظهر الا سنة ١٩١٠ في مشاريع استثمار الآليات وزراعة القهوة ، وخاصة في زراعة شجر المطاط *Latex* . وهكذا تمثل المواد الأولية في سنة ١٩١٣ (٩٥ ٪) من صادرات الهند الصينية ، والمنتجات الصناعية ٧٠ ٪ من استيراداتها .

اهتم البريطانيون في الهند في تنمية الحاصلات الزراعية المدة للتصدير . كالفج ، والقطن ، والايون ، والقمح الهندي . منعت الرسوم الجمركية ، بأدى ديد ، قيام صناعات النسيج والتمدين ، ثم راحت تروح العراقيل في سبيل تطورها . ان طغيان الآلات الصناعية العربية ، هذا الطغيان الذي قضى على الصناعات والحرف الوطنية الصغيرة ، والتزام التعار الخود بقصر استيراداتهم على المنتجات الصناعية البريطانية حوت سواها ، - وهو التزم لا يخدم سوى مصالح الموابين ، والملاكين الكبار البريطانيين - كل هذا قد حل جماهير الفلاحين ، وقد حل بهم السعار ، على التروح الى افريقيا الشرقية والجنوبية ، حيث عملوا معاملة العبيد ، مما أهاب بهاندي الى رسم صوفة ، بالاحتجاج والتهديد . ان ٩٠ ٪ من التجارة الخارجية يتم مع دولتيون لامبراطورية البريطانية . وتمثل موارد رؤوس الأموال البريطانية الموظفة وتقدر بـ ٣٩٠ مليون ليرة ، وقوائد الديون العامة ، والالتمامات البيئية *Home Charges* ، وهي الرواتب التي تدفعها الهند للموظفين القدماء ، محل ، يتم كل ذلك ما يزيد على ثلاثين مليون ليرة تترتب على الهند ان تدفعها سوياً لاسكتلندا . واسيراً ، ان الهند هي التي تحصلت اعاء (مال ورجال) لخلات التي شنتها بريطانيا في نهاية القرن التاسع عشر على السهول والحشة . وعلاوة على ما سبق ، تسهم الهند بجزء من نفقات الاسطول البريطاني ،

المربط في البحر المتوسط ، ومعقات القنصليات البريطانية في بلاد العجم .

ان سيطرة أوروبا تقوم أيضاً على قهرها ، غير المسارع ، في
 لتقود أوروبا في العلم والتعبية الحالات العسكرية . ففي أوروبا هذه مشأت التيارات الفكرية ،
 والاكتشافات الأشد خصوصية التي برزت في هذه القرون الأخيرة . ومن مخبرات أوروبا ،
 وجامعاتها ، يخرج الأطباء الذين يصدون الحواجر دون احتياج الكوارث وتقني الأوبئة
 والتقنيون والمهندسون الذين يحققون الأعمال العظيمة ، ويميزون وحده البسيطة . فلا عجب ان
 يسمى اليها بحثاً عن اسرار عظمتها وفعاليتها . فاطلاب ، من كل صوب ، يتدفقون الى الجامعات
 البريطانية ، والاسامية ، والفرنسية والبلجيكية . والكتيب لندرسية التي تلقى ولباب العلوم
 لمن لا يستطيعون دخول الجامعات المذكورة ، من طلاب لمدارس الثانوية والعلية ، انكب هي
 كتب مترجمة عن الفرنسية او الالمانية . معشأت يابانية وصينية ، وتركية . . . فقد اى أوروبا
 لتطلع على الاساليب المعية لتكوين الدولة العصرية . وثمة ، من ناحية ثانية ، معشأت عسكرية
 الالمانية او الفرنسية ، وأخرى بحرية بريطانية ، تكلف تنشئة الجيوش الوطنية ، وثقافتها ،
 واحياناً تكوين ملاكها . وكمن دول تحاول ان تحاكي المؤسسات التمثيلية الأوروبية . فذ ،
 روسيا في سنة ١٩٠٥ ، وتركيا في سنة ١٩٠٨ ، والصين في سنة ١٩١٢ ، تنهج كلها سطر
 مبادئ التساهل والليبرالية وحتى الديموقراطية ، وهي المبادئ لركائز ، في الانظمة السياسية
 الأوروبية . ومن جهة ثانية ، نجد دعوة لاصلاح من المواطنين الشباب ، يستلهمون الأمثلة التي
 يقدمها لهم تاريخ أوروبا . فسادا بطرس الاكبر ، وكوتسون ، ومريفي وكافور وبسارك ،
 يصنعون المثل التي يقتدى بها ، ويرسم عطاها . ويصير الفكر الحر ، وليد الثورة الفرنسية .
 ومثله الفكر الوضعي ، مصدر إلهام لدعاة الاصلاح الصينيين ، في مطلع هذا القرن ، وللضابط
 الاراك زعماء جمعية الاتحاد والتقدم ، والقادة المناهضين في السدان الثلقابية

اذن ، في عام ١٩١٤ ، والراأسيالية في أوج انتصارها ، نجد
 الاخطار التي تهدد السيادة الأوروبية أوروبا التي جمعت سلطان العلم ، وسلطان القوة ، تسيطر على
 العام اجمع سيطرة كاملة . لقد أبشأت بفصل حسمائ ، ورؤوس أموالها ، جمهورية تجارية دولية ،
 تعمل تحت شعار بريطانيا ، ولكها في لرفع تخدم مصالح البيض أجمع (أ . هايبي) . ن
 استقرار العملات ، وسهولة انتقال رؤوس الأموال والزحاح ، وتعدد وسائل النقل السريع ،
 والتوسع لاقتصادي الذي ما برح في ازدياد منذ نهاية فترة الاحتطاط الممتدة من سنة ١٨٧٣
 - ١٨٩٥ ، كل ذلك قد أوحى بالثقة المظنفة في عالمية نظام ، قليلون هم الذين يادفون لأنفسهم
 بالشك فيه .

مع ذلك ان أوروبا هذه ، أوروبا الأرمسة السعيدة ، التي يبحث الكاتب كينز ذكرها بشوق
 وحنان ، تراها مهددة بالفوضى المتزايدة في العلاقات الدولية ، وبالمنافسات التي تدفع الدول
 الامبريالية الى التناحر فيما بينها . ان الالمانيا ، كبر دولة اقتصادية في المسالم القديم هي وحدها

الدولة التي لا مستعمرات لها . وهي ترفض ان تنظر الى هذا الوضع كوضع خاص ، لا تبدل فيه . وفي أوروبا كما في خارجها ، تصدر الدول العظمى ، تنحراً ، يشهد أو يضمف تبعاً للأحوال ، وكل منها ، بأمر ان يستفيد من الصعوبات الداخلية التي يلاقيها البعض منها ، في أيرلندا ، وبولوبيا الألمانية والروسية ، وفي مقاطعة ألزاس ولورين ، وهولندا ، وبين الأقليات السلافية أو اللاتينية في الدولة المؤلفة من النمسا والمجر ، وفي كل مكان تشتد فيه النزعات القومية بزيادة الشعور الوطني في الجماهير الشعبية .

ومن جانب آخر ، برز لأوروبا منافسون أجبروا لقدسهم في شتى المجالات ، على احترامها لهم بحق المساواة . فهي لم تجد بداً من اخذها بعين الاعتبار نفوذ الولايات المتحدة في القارة الأميركية ، ونفوذ اليابان في الشرق الأقصى . وبالرغم من ذلك ، فإن أوروبا لا تجد بعد في كل هذا ما يهدده . ويشير قلقها إلى ما لها ذلك ، واسواقها لا تزال على حالها من التوسع والانتشار .

ان برادر الفلق التي تبرز أحياناً في سنة ١٩١٤ ، لا تصدر من التنظيم الاضطراب الاجتماعي المستتب في القرن التاسع عشر ، صلحه أوروبا الاقتصادية ، بل من الاضطراب الاجتماعي المتزايد يوماً بعد يوم . منذ سنة ١٩٠٥ بدأت الاضرابات الكبيرة ، ذات الصانع الثوري ، تنفجر في كل من انكلترا ، وفرنسا ، وإيطاليا . وكل سنة راحت مظاهرات أول يوم من أيار تؤكد قوة الدعايات العمالية ، المتصاعدة . على ان الفاقين بهذه المظاهرات لا يزالون ، في مجموعهم ، قلة ضئيلة ، مورعة كما يلي : مليون تقريبا في فرنسا أي من ١٢ الى ١٣٪ من مجموع المنطقة العاملة . ام مجال اناسهم ، وهم أكثر العمال عدداً ، فلا يتجاوزون ٣٣٪ من مجموع العمال النقابيين . وتتمسك الأرقام في المدن المصنعة قسماً أشد . أربعة ملايين في بريطانيا للمعنى ، وما يقرب من هذا العدد في ألمانيا . ان سلطان الماركسية انحد هو أيضاً نمو وثقوث وقد أوصى بالدولية الثانية التي ضمت لها الاحزاب الاشتراكية العمال يتلون ٢٨٪ من اعضاء المجلس النيابي في ألمانيا ، و ٢٥٪ في النرويج ، و ٢٠٪ في بلجيكا ، و ١٧٪ في فرنسا ، و ١٠٪ في إيطاليا ، و ٩٪ في البلاد المنخفضة . شمل حرب العمال البريطاني ٦٪ من مقاعد مجلس العموم . ولكنه في سنة ١٩١٠ نال ٤٢ ٪ . من مجموع الاصوات . وبالرغم من كل هذا ، عانا لا نجد فقط دولة ، يخشى حكامها ، يجد ورسائه ، انهيار النظام السائد . أما في روسيا ، حيث لم يعمل الا للزور اليسير معالجة اسباب القلق الخيم ، منذ ان أحدثت ثورة ١٩٠٥ ، فإن النظام السائد هناك ، يبدو مهدداً تهديداً حقيقياً .

ان الحرب التي انفجرت سنة ١٩١٤ ، كانت بداية انهيار هذه السيادة ، حتى لم يبق لها أثر بعد مرور أربعين سنة على انفجار هذه الحرب . على حين ان الثورة التي ساعدت هذه السيادة على اشتغالها في روسيا ، قد أخذت منذ ذلك الحين تبدل تبدلاً كاملاً ، تطور الحركة العمالية ، ومعضيات المعضلة الاجتماعية .

الفصل الثاني

الحرب العالمية الاولى تزعزع ركان البناء

هذه الحرب هي أول حرب غاصت فيها ، في آن واحد تقريباً ، امة دول العالم . فالحروب *Les Conflits* التي دشت حتى الآن ، بما فيها حروب نابليون ، لم تكن في اواقع الا حروباً اوروبية . كذلك لم ينهياً لاورودا ان تتحالف وتقف معاً صفاً واحداً في وجه فرنسا إلا في فترة ما بين ١٨١٣ و ١٨١٥ . ان الدول التي اشتركت في حروب القرن التاسع عشر ، كانت تتنازع بطابعها لراعي ، فلم يُبسّ اقتصادها قط ، او لم يُبسّ الا مساً رقيقاً ، لا سيما وان تلك الحروب قد حرت في حيز محسود من الزمان والمكان . اما الدول التي اشتركت في حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ فاهلها على عكس ذلك ، دول صناعية وتجارية ، راحت وهي في غمرة الحرب تحول قدرتها على حل لانتاج الى لقوية صناعة لاسلحة وتطويعها ، وتوسع الجيوش ومعظمها من سكان الاقاليم ، مما يؤدي بالضرورة الى تقلص السكان وبالتالي الى نقص المؤن والاعذية . وهكذا توقفت حركة المادلات التجارية ، وأصيب بناء الاقتصاد العالمي اصابة خطيرة .

ولم تكن إصابة البناء السياسي أخف وطأة . فلم يبق من سبيل للحكومات المختلفة ، وقد فوجئت بحرب طويلة الامد ، ومشاكل جديدة متنوعة ، لم تتأهب من قبل لمجاسها ، إلا ان تلجأ الى « موابق » لا تتلاءم والوضع الجديد الذي صدمها ، او ان تبحث لالحلول ارنحالا ، وفيها كثير مما يقيد المستقبل وينقله .

اذا استثنينا الدول ذات النظام الملكي ، نجد ان مائل الدول الاوروبية كانت تأخذ بمبادئها ثابتة ، لا تقلل الجدل من هذه المبادئ بذكر الحكم المدني ، والديموقراطية للبرلمانية التي تضمن لمعدني الشعب حق الرقابة على اعمال الحكومة والادارة العامة ، واحترام الحريات الفردية الاولى . لمة احيراً الحرية الاقتصادية التي كادت تكون مطلقة من كل قيد وسدّ . في مثل هذه الحقبة من الليبرالية متصرة ، ولازدهار العام لم يكن يظهر ما في ضعف الدولة من

خطر جدد المصالح القومية العامة .

على ان الحرب من شأنها أن تقضي على هذه المبادئ والعادات ، وعلى كل تقدم وازدهار . فهي ، بحجة انها تقوي السلطة والنظام ، تبرع الحرب الى الماء او تخفف رقابة المحررين السياسية . وتقدم سلامة اسئلة على حقوق الافراد والدواعي عنها . ودعم القوى الاجتماعية ، وتقوية بمرورها ، هذا البعد الذي كانت الاظمة الديوقراطية تعمل على اضعافه والحد من نشاطه .

١ - توضيح لاقتصاد الحربي

ان هذا التنظيم ، هو اندي قضي على ما ألقه الناس من عادات وما درجوا عليه من تقاليد وآراء مورثة . فلم تلتأ أجيورة الإنتاج ، وهي أجيورة دقيقة معقدة ، ان تعطلت فحياة الدولة كل حكومة ان تتحمل اضراراً ثورية ، وان تتولى بنفسها ادارة الاقتصاد الوطني ، او تضعها تحت سلطتها . لتتمكن من إمداد الجيوش بالمعدات والمواد ، وتأمين مصب الجيش المواطنين . لقد اضطرت كل دولة لسبب اغتارها الى وسائل النقل البحري ، والحصار المروض على من جانب اعدائها ، الى ممارسة ما يعرف بسياسة الاكتفاء الذاتي ، الذي أتى على نظام توزيع العمل ، كما يمارس أيام السلم .

مشكلة الثمينة
مسد الأشهر الاولى للحرب ، برزت مشكلة تأمين الجيوش بالرجال والعتاد على اثر الحسائر الفادحة التي مبيت بها الجيوش . هذه الحسائر قد جاورت من بعيد كل التنبؤات . اذ سرعان ما افرغت المستودعات ، ونفدت المؤن المأداة ، عند الدول المحدية كلها ما عدا روسيا . لذلك اضطرت هذه الدول الى استباق مواعيد التجديد المحددة لكل فئة من الفئات الشعبية ، واستثمار من بأحسن استثمارهم الى وقت لاحق ، واستعادة المشرحين من الجنود القدامى ، والتوسع في تهيئة جيوش استعمرات ، والاستعانة بالفرق الاحمية . وقد اضطرت بريطانيا نفسها وهي الدولة الوحيدة التي تتألف جيوشها من المتطوعة الى فرض الخدمة العسكرية الاقسارية ، وذلك في شهر أيار من سنة ١٩١٦ عندما تبين لها ان طرقها المألوفة في استثمار المتطوعين ، بالترغيب والترهيب ، لم تعد تكفي لحشد ما تحتاج اليه من الجيوش .

توريد الجيوش
الى جانب الثمينة ، تقوم مشكلة تزويد الجيوش بالعتاد الحربية . فالجيوش بحاجة الى سلاح ومكسوة وغذاء لم تكن الدول تنويع حرباً طويلة الامد ، فلم تفكر في التعويض لصنع الاعددة الحربية ، ظناً منها ان ما تحتله من مدافع كاف لكسب المعركة . واكتفت بتزويد اجهتها لتوفير المؤن ، وما به يحافظ على ما لديها من المعدات الحربية . فلم يحس شهر ايلول من سنة ١٩١٤ ، حتى شعرت كل الجيوش بالضرورة بالحاجة الملحة الى السلاح والعتاد .

وكان من أعقاب احتلال المديا للناطق الشمالية ، والشمالية الشرقية من فرنسا ، أنها فقدت ١٠٪ من فحمها ، و ٩٠٪ من مساحم الحديد التي تملكها ، و ٩٥٪ فورتا غالبا من اهرابا الخمسة والعشرين بعد المئة . على أنها مدء آمن نيسان ١٩١٧ أحدثت تسع ما يسد حاجتها الى اسخاثر عيار ٧٥ . اما بالقياس الى الاسلحة للثقله والاعدات الحربية الحديثة ، فقد اضطرت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى الى خنق الاحزمة القادرة على صنع هذه لاسلحة ومعدات والى تصحيح عاخذها الاولى . فوضع لهذا الغرض ، في ايار ١٩١٦ ، برنامج عام ، تبدل مرتين متواليتين على الاقل ، تماما لتبدل رأي القيادة العليا بحيث ان الجيوش الفرنسية لم تدل نصيبها من تلك الاسلحة الثقيلة والمعدات الحديثة الا في شهر آب ١٩١٨ ، اي قبل ثلاثة اشهر فقط من توقيع الهدنة . اما في بريطانيا ، حيث يقوم مصنع ووينتش للأسلحة ، وهو مصنع على الزمان من اجهزته وادواته ، فقد قضى ان يقوم الكولونيل ريستون في صحيفة والتيمس ، واللورد نورث كليف في صحيفة « الديلي مابل » باغضب حملات الصحفية واشدها تشهيرا بالهزيمة الشريفة التي كانت تلتهم لحدود لمعدن الى الميدان ، عزلا من كل سلاح يدفع عنهم عمرات الموت ، لكي تشغل الحكومة الى اشاء وزارة للعناد الحربي . عهد بها الى لويد جورج . اما روسيا فكان عليها ان تصاعف مشترياتهم من البندق والذخيرة لتتناعها من لولايات المتحدة واليابان وان تمني نجاحها . ومع ذلك لم تنوهر لها حاجتها من القذائف Obus الا في تشرين الثاني ١٩١٥ ، وحاجتها من امد مع الرشاش الا في مطلع ١٩١٧ . ومن ثم راحت صاعدة الحرب تستند الى كل مكان مستأجرة بالقسط لاوهر من موارد البلاد وبكل ما فيها من يد عاملة . في هذا السبق الدائم بين الممكركين ، يبدو تفوق المانيا وضعا حائما . لقد أمرعت في اتخاذ الاجراءات المكفلة عضافة نتائجها الحربي وراحت منذ ١٩١٧ تصنع كل شهر ألقي مدع وتسعة آلاف رشاش ، في مقابل ٢٠٠ رشاش كانت تنتجها ١٩١٣ .

مشكلة اليد العاملة
يبدو ان هذا الانتاج الحربي الضخم قد أثار مشكلة جديدة لم تكن متوقعة . أريد بها مشكلة اليد العاملة ، والقنود بالمواه الاولى ، وتنظيم هذا الانتاج تنظيماً تصهر عنه المناهضة المردية ، فكان لا بد من العثور على من يعمل في الصناعات الحربية ، مسكان ملايين الشباب المحسدين لقتال بحيث تؤمن حاسة الجيوش الى السلاح من هنا مست الحاجة الى تهيئة حقيقية اقتصادية . على ان لمانيا كانت الدولة الوحيدة التي طمأت الى التشغيل لاحصاري . فأدشأت في الخامس من كانون الاووسنة ١٩١٦ سرعة العمل الوطني الاضائي للرجال المتراوحة اعمارهم بين ١٧ و ٦٠ سنة . اما انكلترا ، فان برلمانها قد صوت على قانون ، يسمح بالعمم في المصانع الحربية بموجب عقود خاصة ، ويبيع لعير اصحاب الاختصاص ان يتولوا وظائف العمال الاختصاصيين على ارفعهم من تصدي النقابات العمالية لهذا التعديين الذي احري في نظام توظيف العمال . وتماثلت لاصوات والصحف من كل صوب تدعو النساء ، وممات مستعمرات ، وأسرى الحرب ، والاحصائيين على حجة القتار ، للعمل في المصانع الحربية .

واستحدثت ألمانيا كل أولئك الذين اجلبتهم عن بلادهم من بلجيكيين ، وبولنديين وفرنسيين . وكانت في سنة ١٩١٨ تعد مليونين من الذين أُرجحت خدمتهم العسكرية الى وقت لاحق ، نصفهم فقط كان أهلاً لهذه الخدمة . وهكذا وجد الرايخ نفسه في وضع مستحسن ، غريب اد بينا كانت صحائمه الحربية بحاجة الى الجلود ، كانت المعدات من كل فرع تفيض عن حاجته ، وهي في اتم اعادة للعمل .

الدولة تدول بنفسها
ادارة الاقتصاد الوطني
مسح قيام الحصار وتدمير المواصلات البحرية ، يصبح تنظيم الاقتصاد الوطني اقوى سلاح في تقرير المصير . ولذا كان لابد للسلطات العامة ، في كفاحها ضد هدر القوى عبثاً ، وفوضى الانتاج ان تنظم ابادات المردية ، وتمنع الوحدة الصحيحة . وانتهى الامر أخيراً بان تولت الدولة نفسها ادارة الاقتصاد الوطني في سائر ميادينه .

انت راتين هو اول من لفت الحكومه الألمانية الى ضرورة السهر على مخزون المواد الأولية ومستودعاتها . لقد عهدت اليه الحكومه بادارة « قطاع المواد الأولية للحرب » واطلقت يده في مصادره ما كان منها محرراً ، وقسمته بين المصانع وتوزيع طلبات الحكومه على شتى مدام والورش . ان المانيا في سنة ١٩١٦ هي اول دولة اشأت لنفسها مسا يدعي « *Zwangswirtschaft* » لقد زود « مكتب الحرب » ، *L'office de guerre* ، بالسلطات المطلقة ، للفصل في قضايا صنع المعدات الحربية ، وقضايا لاستيراد والتصدير ، وفرض الرسوم على السلع المصنوعة ، والمحاصيل المحتلة . ولم تلت سائر الدول ان اقتدت بألمانيا ، من قريب او بعيد . فراح تشرشل اسرى الحرب وتدفع لهم اجور عملهم ، وتستعيد من حصة القتال الجلود المقدس اليها قبل موعد خدمتهم العسكرية ، وتمتدده من تعاضت عن ارسالها اليها حين يضربون عن العمل . كما انها احذت تعدد الاسعار ، وتصادر المصانع ، وتشترى على صنع البادج الاولى اعمدة الدفاع لوصفي ، وتتحكم بوسائل النقل في البر والبحر ، وتبيع او تحرّم الاستيراد والتصدير ، وتنظم زراعة الاراضي المهملة ، وتزود رجال الصناعة برؤوس الاموال اللازمة لإنشاء مصانع جديدة لصنع معدات الحربية ... وفي الجملة نجد ان حرية التعاورة والانتاج والعمل قد صيقت حدودها ، ونظمت تنظيماً دقيقاً .

ان مثل هذه الادارة كانت تقتضي عدداً ضخماً من الموظفين ، والمجالس الادارية ، واللجان المختصة فكان في فرنسا ، بعد توقيع الهدنة ما لا يقل عن ٢٩١ لجنة ادارية ، منها ثمانون لجنة ملحقه بالوزارة الحربية وحدها ، فضلاً عن المجالس المحلية والاقليمية . ان هذه المجالس كثير ما كانت تتشابه ، ويقوم بعضها بذات العمل الذي كان يقوم به بعضها الآخر . اما في اانيا ، فكان « لمكتب الرئيسي للمجهود الحربي » - ومهمته الإشراف على سائر نواحي التجارة الخارجية - كان يمد أكثر من ربعة آلاف موظف ، ويكوّن اعظم منظمة تجارية في العالم ان اصحاب امن الحرية من تجار وصاعين كانوا يشكلون ، تحت وصاية الدولة ، شركات حقيقية لاحتكار

مشتري المواد لاولية الضرورية لهم ، التي كانوا يتقاسمونها فيما بينهم .

لشاكل المال منذ بداية العمليات الحربية ، اتخذت كل الاجراءات المعروفة ، والتي من شأنها ان تحول دون وقوع اية ازمة مالية فمقدد أجبر استعاق السندات التجارية والمصرفية ، وغرض نظام التعامل بالعملة الورقية بدلاً من الذهب . ومع ذلك فقد اضطرت سائر الدول الى الأخذ بسياسة القروض الداخلية والخارجية . امسا مصدر هذه القروض فكان انكلترا ثم الولايات المتحدة . وملاحظ من جهة ثانية ، ان قيمة المشتريات الخارجية التي كانت تفوق كثيراً امكانيات الدفع ، كانت تزيد على التوالي عجز الميزان التجاري لمصلحة الدول المحايدة ، ومصالح الولايات المتحدة . لقد حشيت فرنسا مراراً كثيرة كما خشيت بريطانيا ان يبلغ بها العجز الى وقف مدفوعاتها ، ولا سيما في سنة ١٩١٧ . لم تحل الأزمة لا بدخول اميركا في الحرب . وهكذا ارتفعت ديون العملة في فرنسا من ٣٢ ملياراً الى ١٧٣ ملياراً . وفي ألمانيا - سحب القروض الداخلية - من ٥٥٠٠ مليون مارك الى ستين ملياراً . ان الرقابة التي فرضت على اخراج الذهب من البلاد ، والعمليات المصرفية ، بالإضافة الى العون الاميركي الهائل ، كل ذلك قد ساعد على حفظ التوازن بين الثيرة الانكليزية والعمرك العرسي من جهة ، وبين الدولار الاميركي من جهة ثانية ، دون ان يتمكن من وقف تدفق اسعار هاتين العملةين بالنسبة الى العملات الجديدة ، وبالتالي الى وقف ارتفاع اسعار المعيشة .

مشكلة الغذاء صعان على الحكومات كذلك ان تؤمن الغذاء لشعبها . لقد حط الانتاج الزراعي في كل البلدان ، لسبب نقص اليد العاملة بين الرجال ، ونقص حيوانات ، والأسمدة . وأوشك تأمين الغذاء للسكان المدينين ان يكون هوئله معرضاً للعجز ان الماشا تنسحب الحاجة الى الخيول والاعلاف ان احسن كئانها المقتلة لا تملك في سنة ١٩١٨ سوى ٨٠ / ما كانت تروى به سابقاً . منذ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ انحد مكتب البطاطا ومكتب الحبوب نقص استهلاك الخبز والطعنين والبطاطا ثم تناول التقيمين اللحم والمواد الدهنية . ثم أدخل على صنع الخبز مواد غريبة ليس لها حظ كبير من القدرة على التغذية . المرة الاولى في تاريخ البشرية ، اخصع شعب يعد ٦٧ مليون نسمة لنظام بطاقات التموين . وسارت سائر الدول على هذا النهج ذاته ، ولكن دون ان تسبب بعيداً فيه . لقد خيفت انكلترا حدود استيراد السلع الكدالية واحشكت استيراد السكر ، واحدت تشجيع انتاج القمح الوطني الذي ارداد ٦٠ / وانتاج البطاطا الذي ارداد ١٠ / . وهي قد فرخت الرقابة على دخول السلع الغذائية في البلاد ، واشترت كل انتاج محلي من اللجنة المصدرة الى الخارج ، وكل القمح الأسترالي ، والـ *Bacon* لاميركي ، وراحت اخيراً تصادر كل غلة البلاد من الحنطة والخس ، والبطاطا ، وتمدد ها الاسعار . وهكذا انتهت الحكومة الى الاشراف على ٩٤٪ مما كان يستهلك في البلاد . وفي كل مكان ، عاى ذلك البلاد المحايدة ، انشئت *Cantinas* ، والمآوي المختلفة بعمان اصابع ، وطلاب المدارس الخ . وفي كل مكان مست

الحاجة الى السلع الغذائية والمحروقات ، والبذ العاملة ، وارتفعت الاسعار على الرغم من ارتفاع الاجور ، ونقصت القوة الشرائية ، مما راد في عسر المعيشة للجزء الاكبر من السكان

٢ - المشكلات السياسية والاجتماعية خلال الحرب

قاست الشعوب مريراً من التجربة القاسية التي ابتليت بها : فالهولوس الاتحاد القدس التي راودت يوماً خواطر الاطلسات الموجهة حول ما عسى ان يكون الموقف الذي ستقعه الطبقات العاملة في حال اندلاع حرب ، انفتحت ابه ليس ما يبررها ولا تنهض على اسس قط . فقد ادعى نفوذ الاكليروس الارثوذكسي عند الشعوب العنصرية ، ونفوذ الاكليروس الكاثوليكي ، في الامبراطوريات المستندة وفي كل من النمسا والمجر ، والولاء الصادق شبه الاجاعي الذي تمت به ، الى التنازل لمجاهير الشعبية حولها . فالمقدرة التي استطاعت معها روسيا تزيين الحرب ، في نظر رعاياها من الروس ، غنايه حمة دفاع عن السلاية ، وظهور ألمانيا مظهر مولة محاربة لنظام قبصري شديد الكراهية ، في نفوس الليبراليين والاشتراكيين ، حالاً دون ظهور أية معارضة للحرب في كل من روسيا والمانيسا حيث اقر مجلس الريشتناج بالاجماع التدابير والاحمرات التي رأت الحكومة فرضها بهذه المناسبة . اما الفرنسيون فقد كان شعورهم للعظام اهم راحوا فريسة عدوان لا مبرر له ، فقرروا ، بالاجماع ، الدفاع عن بلادهم ، والدفاع عن الحق والعدالة ومد ان ديسا بالاقدم . اما في اسكترا فقد راح بعض حروب الامان وممص دعاه السلم من حرب لاجرار يحاولون التصدي لاعلان الحرب . الا ان كل معارضة او احتجاج من قبل الرأي العام ، على الحرب ، ارتفع بمد الاعتداء على حياد بلجيكا . وهكذا ، اطل علينا في كل مكان (الاتحاد لقدس) ، وسرعان ما تقاسى الناس التهديدات باعلان الاضراب العام ، كما تناسو تلك المقررات التي سبق للمكتب الدولي الاشتراكي فانقذها في ٢٩ تموز (يوليو) . وهكذا اقبل الناس على التعميد والحشد العسكري في جو من الحماسة الملتبة ، وبدا من صلابة الاتحاد الوطني في الداخل وشدة تماسكه بحيث ان التدابير التي رؤي قبل الحرب اتخذها كتدبير وقائي احترازي للتخفيف من هياج العناصر الثورية ونقص المعاصبة منهم . مثلاً ، في فرنسا ، تسجل اسماء الاشخاص المقترح توقيفهم ، في السجل B) ، بقيت حبراً على ورق ولم تعد . وهكذا تبنت الشعوب وجهة نظر حكوماتها وهيبتها مغمضة .

لا ان لاوصاع لم تثبت ان تغيرت بسرعة . فالأول مرة يشترك ملايين من مواطنين بمهمة حشد وتجنيد عامة انترعو من بين أسرهم ومن اعمسائهم ، في حرب ضروس أكلت طوية شاقة ، وكل طبقات المجتمع - وليس الطبقات السفلى وحدها - أخذت تهجن بالحرب ، وخضعت عن طيبة خاطر ، لمآسي ولامتعضات شديدة لم تخاطر يوماً لها على بال . فالحرب لدورة وحدها يتصرس بريلاتها وتترك شغاله المحاربين وغير المحندين على السواء . فالحكل يحسن بالمصير العامض الذي يتهدد العاملين في سطرط الدفاع الاول من ابناء الوطن ، ويهم بالمصاعب

المادة التي تحف بالمعيش ويصنّف الحرمان الذي لن يلبث ان يلف المحاربين لماً . فلم ير الانسان يوماً مثل ما يمر به المحاربون من اخطار ومحارب قاسية لاسيما بعد ان تركت الحرب وتكررت على جبهات معينة ، وقفوا معها وجهاً لوجه مع عدو ما كثر متردص . فقد وفقوا على خط الدار في شتاء ١٩١٤ - ١٩١٥ واحتمروا لهم خطوطاً طويلة من الخنادق والدهابر المتصلة المتشابكة لتباعد عنها ، يتعرضون معها باستمرار ليس للقصف دار مصر ولا لشباك اليدوية ، فحسب ، بل أيضاً للبرد القارس والمطر شواغل . وقد تعطلت رسائل نويسهم وراحوا هريسة الهوام والحشرات القارصة اللاسمه بحيث بينهم وقعت في احسانهم ، فحومت عيونهم لذة النوم وهم في حراسة موصلة وحسن لا يفتوي ، يفتشون ادا ما دموا به بعض الراحة ، ارضاً تحرقها نياح ويموصون في الوسى حتى الراكب . هؤلاء الجنود الذين رأينهم عائدین هذا الصباح ، ليسوا بالحقيقة ، سوى سكتل متراصة من الوحل الكثيف ، كما يصرح الجنرال مسنور ، بعد اشتباك عيب مع العدو . وشيئاً فشيئاً بأحد لوضع بالنقص ، وتقوم شبكة من الاتصالات ربطت الجبهة المؤخرة ، بسرت ولسفرة الحساء ، من الصفوف الاولى ، بما امكن ، من بعض الاطعمة السخنة ، كما ان سكتل الاطلاق تؤمن الجنود المرهقين بعد بضعة ايام من السهر المصلي و حرب في الخطوط الاممية ، حثال احسد بهن الراحة لهم في الخطوط الخلفية ، ولاستمتاع بشيء من الراحة والهدوء في القرى وسماكر القائمة في الورا .

ففي القطاعات المشتملة يرى احدي نفسه دوماً عرضة لتوتر عصاب مستمر . فالذين والنخائر لا تصل في مواعيدها ، والقصف يستمر في دونه رماً اي تحطيم شبكة المواصلات وذلك الخنادق والملاحء ، حيث تحدث القنابل الضخمة عند فجوارها فجوات فجرة تحمّل من ساحة الحرب حقلاً من فوهات البراكين لا تلبث ان تصبح بركة من الماء والوحل . ففي قطاع فردون ، شهد الناس ، لأول مرة ، قصفاً شاملاً هذ ما يأتي في بضع ساعات ، على فرق يكاملها ، ويقتل في اقوى الفرق وهرسا ، كل قدرة على الهجوم ، كما يجسد افراد الجيش حصداً بالمئات والآلاف . ولذا كان لا بد من تأمين اسلحة الوحدات المزهفة بحرى حارجة ، وهي عمليات مكلفة لان المؤخرة تنقل ، هي لأخرى ، بعضها من هذا القصف المدد ليل همار .

والموت أبدأ يتلصص على قريسته في كل لحظة حتى في هذه القطاعات التي لا يأتي الدلاع الحربي على ذكرها إلا نادراً . ففي اواخر عام ١٩١٥ كان الجيش البريطاني قد خسر ثلث افرادة ، أي ٢٧٣,٠٠٠ و ١٦٠,٠٠٠ صابط ، كما ان الجيش الافرنسي كان قد سجل في التسايرج نفسه ٥٩٠,٠٠٠ قتيل و ١٦٠,٠٠٠ ضابط ، والجيش الألماني ٦٢٨,٠٩٠ قتيل و ٢٠٠,٠٠٠ صابط ثم اطلق عام ١٩١٦ الحملات الضخمة ، فتكلفت معركة هردون المانيا وهدف ٣٣٦,٠٠٠ قتيل وفرنسا ٣٦٢,٠٠٠ قتيل ، ومعركة السوم كلفت بريطانيا ٢٠٠,٠٠٠ قتيل انكليري و ٢٠٠,٠٠٠ فرنسي . فعلى الجبهة الغربية وحدها ، سقطت الحرب ، في هذه السنة ، اكثر من

مليونى جندي وحملتهم غير صالحين للحرب . وكلفت حملة الترهيل الخلفاء ثانياً جداً إذ اقتضت البريطانيين ٢١٥,٠٠٠ قتيل ، والفرنسيين ٢٧,٠٠٠ من مجموع ٧٩,٠٠٠ اشتركوا في هذه الحملة . أما روسيا ، فقد بلغت خسائرها في السنتين الاوليين من الحرب ٣,٨٠٠,٩٠٠ بين سريح وقتيل ومفقود ، مع العلم ان الجيش الروسي ، بلغ معدل خسارته بعد ذلك ، مليوناً من الجنود ، في كل فصول بين قتيل وسريح ، الى جانب ٥٠٠,٠٠٠ من الاسرى .

فالعمليات التي لجرعها الجندي ، والمخاطر العديدة التي تهددت حياته أدخلت تغييراً جذرياً على حياته بحيث أصبح يختلف كلياً عما كان عليه عام ١٩١٤ . ومع انه دقي على شعاعه البطولية ، فقد رايله كل وهم وغرور . مهدى تماطقه ومقاسمته الشعور يقتصر على رفاق السلاح الملازمين له وعلى صفوة الضباط الذين يتقاسم معهم الخطر الواقف لهم بالمصادف . وهذا الفريق الذي يعيش معه باستمرار في الجندى هم بالفعل المحاربون الصادقون . وهذه الغماسة التي ساشت بين ثيابه عند ادلاح شرارة الحرب ، حل عليها تسليح مرير بالامر الواقع ، بعد ان حلب أشطر الدهر وتوالت عليه عواصف الحسف والفتش . وبعد هذا التسكر او المفرة التي قامتها حوله ، هذه الاقوييل والثرثرات التي غدتها صداعة فزارة وهؤلاء ، الاحرار الذين يجاهلون كل شيء من الحرب والذين يرمعون به مع ذلك ، الخفي فيها على حسابه هو ، وبأساليب كل طليعها الدهر وشربه ، كما يؤكد لنا ذلك ج . بورن كرو ، وبعد هذا الاعياء واحياناً الشهور بعدم جدوى هذه الاصاحي التي تبدل بدون حساب ، وهذه الآلام المبرحة التي يتحصن عصبها .

هذه المؤامرة ، تعيش ، هي الاخرى ، ظروفاً صعبة . فقد تجرعت ، هي للوخزة كذلك ، حرارة القصف الجوي وعادت طويلاً ، مباشرة او مداورة ، من عقابيل حرب الغوصات والحصار البحري الذي فرضته .

ان افتقار البلاد اليه العامة جذب إليها عملاً من الخارج من رجال وساء . ففي المصانع الحربية دسوة يعملون في حرط القنبر ومركبها وتصلتها ، كما ان المرأة في الريف ، اتخذت تصم يدها لى يد الاولاد والشيوخ ، في حرارة الارض رتامين العلال . وقد ريدت الاحور بصورة عافيا المعدل والمساواة ، وفقاً لنوع المشاعة ولأوسب العمل . ففي كل من اسكتلندا وفرنسا ، احدثت البقانات العمالية تعاون مع الحكومة ، الا ان الاسعار احدثت ترتفع بينا انخفضت الطاقة البشرية . ولذا رأأت الحكومات نفسها مضطرة للاخذ بالتقنين . فرضت المايه ، منذ عام ١٩١٦ ، مرج الدقيق ٣٥٪ من نشا البطاطا للامان الذي حده استهلاكه اليومي ١١٠٠ غرام ، مع ٢٨٠ غراماً من اللحم ، و٩٠ غراماً من ادهن والشحم . اما الحليب فاحتفظ باستيمه لبعض المستهلكين ، كما وصفت في التداول مواد بديلة للزيت والعمل . وفي سنة ١٩١٨ على أثر المواسم البائرة التي عرفت بها البلاد عام ١٩١٦ و ١٩١٧ ، جرى تخفيض في معدل الحصص المخصصة للفرد وذلك من ٢٣٠ الى ١١٦ غراماً من الدقيق في اليوم الواحد ، وإلى ١٨ غراماً من اللحم و ٧ غرامات من للشحم . إلا أن عدم كفاءة المادة الشحمية والتعويل في القداء على

أوردت قلبية المادة المدققة ، و شتداد الحاجة إلى الصابون والمواد المطهرة الأخرى ، كل ذلك وما إليه ، ساعدت في انتشار الأوبئة الجارية ، ومع هبوط معدل المواليد بمسمة ١٠ بالمئة ، ارتفع معدل الوفيات بين السكان لمدينتي ، من ١٤ بالمئة عام ١٩١٦ إلى ٣٧ بالمئة عام ١٩١٨

وأمر التعذية في الامبراطورية النمساوية المجرية هي سوأ من ذلك بكثير . فإن لم تعرف المجر ظلم الحرمان ، فالحجوع حديقتك ، السكان في المناطق الجمالية أو الصناعيه القذمة في النمسا . وقد عرف أفراد الجيش ياماً في الأسوع ، لا يتناولون فيها طعاماً على الإطلاق ، والتقنين الشديد المروج للجسم ، والوضع الصحي المتردتي باستمرار في البلاد ، عوامل أخرى تركت أثرها المخلخل على وحدت الجيش وعلى الأهالي في المؤخرة . أما عند الانزلاق ، فقد هبط معدل الوجبة الغذائية عند الجندي إلى ٢٥٠ غراماً في اليوم الواحد .

وقررت فرنسا كذلك أن تحبس حصص الفرد من السكر كيلوغراماً واحداً في الشهر كما حددت استهلاك الخبز للفرد الواحد من ٢٠٠ - ٦٠٠ غرام بحسب عمر المستهلك. وقررت تحديد استهلاك الحليب واللحم والزيوت والتسحق كما قمت استهلاك الذرة والكهرواء ، ومثبت في ربيع عام ١٩١٧ ، أكل اللحم مرتين في الأسوع وبدون حلوى ، وفي أيلول أحرى تقنين الزبدة والقهوة ، كما حدد استهلاك اللحم والسكر والخبز للجمهور ، وتسمت انكسار عام ١٩١٨ في شوب اضطرابات في مدينتي روتردام وأمستردام .

وهذه العذابات التي تجرّعها الناس صنوغاً والواناً ، والذروات الضخمة لتقيد الحريات العامة التي جمها « مستفيدو الحرب » الذين انشأوا صناعات حربية أو تدميروا تأمين توريدات الجيوش ومجهزاتها ، والشعور المتزايد باللامساواة الاجتماعية ، كل ذلك أدى ، في الدول المتحاربة ، إلى نشوب أزمة سياسية واجتماعية حرجية .

مقد اشتد الخلاف في المجال السياسي بين حكومات والجمهور الشعبية التي تمسك الجيش بالهاريين . فقد طرحت ضرورات الحرب بشكل عنيف ، مشكلة الدفاع عن الحريات المدنية والسياسية . فلاحراءات التي رؤي اتخاذها في وفات السلم والتي وُضعت موضع التنفيذ ، زمن الحرب ، هي واحدة تقريباً في كل البلدان المتحاربة . فقد أدت إلى تحنيد الاعتكاري في كل مكان ، كإعلان حالة الطوارئ ، أي إلغاء الحرية الشخصية ، وإنشاء المعاكم العسكرية ، ومراقبة اسبقية على الصحافة ، وغير ذلك من الإجراءات التعسفية كالسيرة والمصادرة ، وكلها إجراءات أولت مسؤولين عن السلطة التنفيذية ، صلاحات واسعة . فقد أدى الحد من حرية الصحافة إلى إلغاء مراقبة الرأي العام لشؤون الدولة ، وإلى تعطيل الانتقابات السياسية جريئاً (باستثناء انكلترا) . ففي الامبراطوريات العسكرية حيث نشاط الحكومة لا يتوقف على

البرلمان ، تتمتع السلطة التنفيذية « على السلطة » . أما في فرنسا ، فالعمل بالمراسم الاشتراكية يمكن الحكومة من تعليق القوانين ، ومن الحد منها . وفي إنكلترا ، أمنت « القرارات المتعلقة بالدفع من النوميوس » للحكومة ، فتمدين القوانين المعمول بها ، على شرط فهمها والتدقيق بها من قبل مجلس العموم . وفي سويسرا المحايدة نفسها حول الهندس ، لاتحاد العام « صلاحيات غير محدودة » لضمان أمن البلاد ، ولضمانة نشاطها الاقتصادي

والحاجة الملحة أحياناً لاتخاذ قرارات سرية ليس في مصلحة الدولة المحاربة لاعتلان عنها ، ساعدت هي الأخرى ، على تجريد البرلمانات من بعض صلاحياتها الأساسية التي تتمتع بها . فقد اضطرت الحكومة للحد من دورات هذه البرلمانات والاستعانة بالقيادة لكثيرون البادسين . ومع ذلك ، والدن التي تتمتع بتنظيم بردي ، كثير أ ما كان أعضاء النواب هم يتفقون من افراد الجيش العاملين في جهة ومن الصداق ، رسائل ينظم فيها مرسوها من سير الحروب ومن طويقة توجيه لاعمال الحربية ، كما كانوا يشعرون بها لحاور الحكومة ، ومعالج رجال الادارة وهفواتهم . ان توجيه أعضاء البرلمان الاسئلة الى الحكومة في انكلترا ، وقرار الاعتمادات الحربية بالنصويت ، كانت وسائل ر دة للحكومة . وفي فرنسا كذلك كانت الامثلة الموجهة الى الحكومة والى الاعيان السرية التي حوى تشكيك عام ١٩١٦ كافية الى جانب لجان المراقبة ، محاولات صادقة تمكن البرلمان من قنيل دوره وتأمين اصلاح التعديلات في كل ما يتعلق بشؤون الجيوش وتأمين حسن سير الصاعات الحربية والمراقبة . وكثيراً ما كان النواب يلاقون معارضة او مقاومة صعبة ، يكن في وسعهم دوماً التغلب عليهم . وهكذا اطلقت على البلاد « دكتاتوريات حرب » جمعت ملء السلطة في ايدي قلة . ففي المانيا « رى « هريق انديمسكور » الذي تشكل من هيندورخ ولودندورف ، هو اندي يمسلي ارادته وتعليماته ، على البرراء واستشارين . وفي انكلترا ، هي اللجنة الحربية المؤلفة من خمسة أعضاء برئاسة لويد جورج ، وفي فرنسا « لجنة حرب » ايضاً مؤلفة من خمسة أعضاء برئاسة كليسمور ، وهي لجنة تقوم باعمال مجلس الوزراء ، ولتحكم بالفعل كما نشاء

ومن جهة اخرى ، فالانضباط الذي فرضته ضرورات الحرب ، ساعد على تقوية سلطة « النبلاء » التي روج تطور الديمقراطية بقص من ساحها ، ليس سلطة العسكريين الذين يعارون على امتيازاتهم العسكرية ويشق يكون باستمرار مع رجال الحكم من المدنيين الذين لم تكن كلمتهم دوماً هي الكلمة الفصل فحسب ، بل ايضاً مع الطبقة البورجوارية التي تمد الجيش وحدها ، بما يلزم من أنظر وملاكات ، ومن صاعد عاملين وصداق الاحتياط ، كذلك بحارمة الافكار الصارة بالدفاع الوطني وملاحقة « الهزائمين » ، وهي اعمال ومشاطات قصدت ، ليس فقط لكن تصرفات القادة او الحكومة ، بل ايضاً لكل رأي يحمل في طياته خطراً بهذه الاتحاد للقدس ، او يتناول بالنقد ، النتيان الاجتماعي ، او يتعرض لمزاولة السلطة الادارية في المصنع او يتصدى للحريات الدينية .

والى النظم من حد للحريات العمامة وتجاوزات السلطة ، يجب ان
 نهاية الاتحاد المقدس
 بضيف هنا لاشتمال الذي استحوذ على الناس ، منذ عام ١٩١٥ ،
 من جراء دثرة موارد الدولة وهدرها جراحاً ، ولوقوف في وجه سياسة متتابعة الحروب
 باعتبارها سياسة خرقاء ، لا طائل تحتها ، عاجزة عن تحقيق نصر نهائي حاسم . وهذه
 الدورات والذرات التي ظهرت على اشكال شتى في الاوساط المتعاقبة بالسلام ، في انجلترا وفي
 اوساط بعض رجال المال والاعمال من الاسكندر والامان والفرنسيين ، وبني بعض شعبي السياسة
 مثل كايو وبرين و اللورد لانسدون ، الذي قدم استقالته من اوزارة في تشرين الثاني (نوفمبر)
 ١٩١٦ ، ولدي نثر ، عام ١٩١٧ ، يبدأ بخطاب فيه ببدء مقاربات للصلح) ، والفريق
 الآخر الساميل مع الحكومت كاروي في البرلمان الهري ، وادريجر وحاجب من حزب الوسط
 الذين جنوا مجلس الريشستاع ، على الاتحاد قرر بالمشاورة بمقاربات السلام ، وفريق من حزب
 العمال المستقلين من طلاب السلام هم بين صفوفه . ماكدونالد وسودون وحوبت . هذه الحركة
 تلتقي ومعارضة التي قام بها الاشتراكيون في القارة اخذ ساعدها يشتد ويقوى بتفاقم العقبات
 والالام والشعور بالملل والسأم ، أضف الى ذلك عمل اشتراكيين روس لاحسين الى سويسرا ،
 وايطاليين عصبوا لدخول بلادهم بالحرب ، وفرنسيين والمائ عقدوا في ريموالد ، في ايار ١٩١٥ ،
 مؤتمراً دولياً خرجوا منه باحتجاج على الاتحاد المقدس ، وطالبوا بعقد د صا ح ل ا ضم فيه ولا
 لمؤتمرات حرب . و أخذت هذه النزعة تشتد وتقوى . فهي المانيا ربح ليستغنى مع
 عشرين من زملائه يعاملون بمقد صا ح ل ا فلب فيه ولا مغلوب ، وأسسوا من بينهم حزب اقلية
 مستقلاً . وعقد في كيلشام مؤتمر دولي ثان في نيسان ١٩١٦ ودها العمال للممس على مره
 هدية في الحال ، وهذه الفكرة التي جاءت قدغدغ آمال عدد كبير من الحساريين والعمال الذين
 احتفظوا بولائم بمقيدتهم المثالية السابقة ، اخذت تشق طريقها الى اوساط اشتراكية
 عديدة ، والى لاوساط الدياقية (كاتحاد العمال الفرنسيين للامادن برعامة ميهايم) ، كما راج
 الوزراء الاشتراكيون الفرنسيون يستقبلون من صفوف الحكومة . وراج ليستغنى يؤسس
 في المانيا ، حزب سبارتاكوس بوند . وفي النمسا والمجر برزت شكل واضح مقاومة القوميات .
 وفي روسيا اخذت النورجورية المستنيرة التي آلمها كثيراً ما شهدت من اندحار الجيوش
 الروسية والتعاقبات المعقدة ، والفساد لميطر على البلاط لامرأطوري وعن الادارة معاً ،
 فتعاقب هي الاخرى انت تتولى تأمين ثورينات الجيش والمصوغات الحربية ، عن طريق
 « الاتحاد رستوف » او عن طريق « الاتحاد المدن » بالتعاون مع الدوما . الا ان القيصر امر بحل
 الدوما ، وبذلك حصل تصادم تام بين البلاط وبين النورجورية . ومنذ عام ١٩١٦ ، اخذ
 انوضع طابعاً ثورياً .

كان للثورة الروسية دور عظيم بين الشعوب التي عيل صيرها
 اصراحت وحركات فرد
 واستنفذت قواها . فقد رأى فيها بعضهم مثلاً يجب السير على
 مواله تشجيعاً لهم في تمسكهم للسلام واحساناً للسلام بأي ثمن كان فال مؤتمر الاشتراكي الذي

عقد في ستوكهولم قوى الامل في النعوس وحل الناس على الاعتقاد بان السلام ممكن تحقيقه .
ولذا رأينا رؤساء الهيئات النقابية الذين ساعدوا في إقامة الاتحاد للندس نعرم الحركات
الجهادية . ففي المؤخرة كما في الجبهة قامت مظاهرات تعبر بوضوح عنها الروح المسيطرة على
الألمان والمستندة بالنعوس . من اعتصامات ارتدى بعضها طبعاً ثورياً لا ندع مجالاً للشك ،
وحركات تمرد وحركات فرار من الجنودية .

فقد انفجرت في ألمانيا اضطرابات في ربيع عام ١٩١٧ ، في المعادن والمصانع التي تجمع لأمور
التنمين في كل من برلين ويسرير ودوسلدورف ، كما قام مثل هذه الحركات في فرنسا في كل من
باريس وسانت أتيين فالرعم من القانون الذي يحظر لاضرابات كما يحذر من حرية التعبير في
المعادن . وفي بريطانيا العظمى ، راحت عيّنات عمالية ، مستديّة تقف في وجه الاتحادات العمال
التي تهتم بالتواطؤ مع الحكومة ، فتمت بالتنازل عن حقها في الاضراب وسلمت بوقف تنفيذ
القوانين التقاعدية ، وراحت هذه الهيئات تحاول إثارة الاضرابات في المناجم ودور الصناعات
الحربية ، فاستجيب لها أكثر من ٥٠٠٠٠٠ عامل وحدثت في إيطاليا نفسها اضطرابات
خطيرة في آب وايلول ، في كل من ولايات تورينو وجنوى وألكستندريا . وفي كانون الثاني
(يناير) ١٩١٨ ، عادت الاضرابات للظهور بشدة وعنف . الا ان التشويش بقي يخص النفوس .
فقد كانت هذه الاضرابات تجديداً للثورة ودعوة صريحة اليها .

والعز في تأمين ما يلزم من المهات والذخائر ، والتقليل الى ادنى حد من المأذونيات العسكرية ،
وخساعة بعض القادة ، والدعوة النشطة الى السلام ، ومثل النأحي بين الجيود الالمان والروس ،
والمرأة التي أصدرها البابا بندكتوس الخامس عشر حول عدم جدوى هذه المذاهب والامر
الشديد الذي كان لها بين الدول المتعارفة ، كل ذلك ادى الى حركات تمرد وعصيان بين صفوف
الجيش .

فالقتل الدريع الذي أصيب به المرحوم الذي امر به الجنرال بيل في ١٦ نيسان ، ترك
وراءه الخيبة المريرة والحقد الصغين بين وحدات الجيش الفرنسي ، فاشترك بعض قطاعاتها بهذا
العصيان ورفضت وحدات بكاملها القيام بعملية استبدال في الخطوط الامامية ، وعدم الانصياع
والامتثال للأوامر الصادرة ، وكلها حركات استمرت بضعة اربس في منطقة سراسون . كذلك
وقعت حوادث عصيان مماثلة في صفوف الجيش الايطالي ، وتكاثرت بين وحداته حوادث الفرار من
الجنودية وقد حدث مثل هذا العصيان بين صفوف وحدات رجال الاسطول في عرض البحر ، في
شهر آب ، كما رفضت فرقة رماة البحر الالمان التوجه للقمع حركة العصيان هذه . وعشاً حدوث
القيادة العليا لحد من الدعاية للسلام وذلك بنقلها الوحدات المتأثرة الى خطوط القتال وبعرض
الفرقة على المراسلات في الجبهة . وكذلك لجيش النمساوي المجري الذي خاضه المناهضة الدخيلة
والعصيات القومية بين الاقليات الوطنية من جراء الدعاية التي عمل الحلفاء على بثها بين
صفوفهم ، وعودة لأمري النمساويين من روسيا ، بعد ان جرى لاخراجهم في اعقاب

الثورة البلشيه ، وتأثير نقص المواد الغذائية بين صفوف الجيش الأمر الذي أدى الى فرار أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ جندي من صفوف الجيش السواري في الداخل ، عام ١٩١٨ هالفتوا من بينهم عصابات 'عرفت باسم ' لاشيتايلي لاختصر ، 'عاشت في البلاد نهياً وسلماً ، في ما تقوم به من اعمال لصوية . واسباباً مع الحركات العمالية ، وقعت حوادث تمرد وعصيان بين الوحدات المعرية العامة في انداوب ، واخرى محاربة ، فأخذ بعضها بالانسحاب من الجبهة محدثة فيها فجوات كبيرة . وفي الجيش البلغاري رفضت وحدات عديدة ، قبل نيسان ١٩١٨ ، القيام بالمحوم ، كما تعددت حوادث الحرب من صفوف الجيش ، اسوة بما كان يجري في صفوف الجيش التركي ، (إذ وسحلت حوادث الفرار هذه ، نحواً من ٥٠ ٪ من الجيش التركي في العراق وفي فلسطين ، حيث رأت فرقتان تركيتين نفسيهما عاجزين عن تقديم أكثر من ٢٥٠٠ جندي للوقوف في وجه المحوم الذي شنه الجنرال ألندي ، فوقع كل الجيش التركي الرابع تكاملاً اسيراً في قبضة الفرقة القادمة من الصحراء . اما الجيش الألماني ، فالظاهرة المهمة التي تتم هن تحاذله تقوم في العدد الكبير من الاسرى (٣٥٠,٠٠٠ في تموز وقشرين الثاني ١٩١٨) . إلا ان حركة التمرد امتدت الى اسطول القوافل . ووقعت حوادث تخريب ، كما حاول بعض البحارة الانسلاء على مسافة والحرب بها الى الترويج ، كما وقع عصيان للأوامر بركوب البحر . وفي ٢٨ تشرين الاول ، أكتوبر) ، رفع البحارة في مرفأ كييل العلم الأحمر وانضموا في ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) الى باقي وحدات الاسطول . وهكذا لم تلت لوبيك ومورغ وكوكسهاغن وبرين ان وقعت جميعها بين ايدي البحارة والعمال الثائرين . وفي ٧ تشرين الثاني أعلن كورت لإسدر الجمهورية في بافاريا . وفي ٨ منه ثارت كل من كولوني ودوسلدورف وكوبلنس وماينس ، فانهارت ألمانيا برمتها .

وهكذا أدى انقراض النفوس الناجم عن المذابح الهائلة والمذابح المريعة والتمرد بعسكرو جددى التصحيات الذكية التي 'بذلت ' وقسوة الحظ القاتم والقسمة للضئى ، الى حركات تمرد وانتفاضات عنيفة جلست نهاية الامبراطوريات العسكرية ، كما هزمت من الاساس الدول الليبرالية التي بفضل ما شعرت به من نشوة الظفر ، وظروف الحياة المادية لأكثر حلماً ساهمت طغيانها الموجهة في تهدئة الحواضر ، كما ان القصاص على الاضرار الدامية التي نشبت بعيداً عنها والتي ساهم لتصرفون على كبتها ، كل ذلك استطاع ان بعيد الأمن الى تصالبه وتأمين استناب السلطة الشرعية ، وهي محاولات جاءت ، مع ذلك ، بالفشل في روسيا .

المصطلحات

عملية ترسيخ صعبة وقبيلة

(١٩١٩ - ١٩٢٠)

بعد الانسحاب السريع الذي أصيبت به ألمانيا فأخذتها الميطرة ، بد نصر الحلفاء كاملاً ونهائياً ، وهو نصر أدّى إلى تدمير خصوم الديمقراطية القديمة ، مثل هذه للكيانات العسكرية التقليدية ، كما أدى إلى زحمة الطبقات الاجتماعية الرجعية التي تعتمد على الجيش والكنيسة . فبعد هذا النصر المبين ، معاً من معالم الثورة الفرنسية الكبرى . ومضى في أوروبا ، من ذلك كله سوى تذبذب من الملكيات ، بينما الشكل المألوف لعظم النظم والحكومات التي طلعت في احقاد الحرب أولاً كان النظام الجمهوري الذي يكرس مبدأ سيادة الشعب ، هذا المبدأ الذي يعترف به الجميع . والحرب دفاعاً عن الحقوق ، تسهي بانتصار القوى الليبرالية بعد أن رال من الوحود ، على ما يبدو ، معظم خصومها المعلنين .

ومع ذلك ، فالعالم لا يزال أبعد ما يكون عن الاستقرار والهدوء التي ينشد ، إذ لم تنته الحرب في كل مكان ولا تزال أعمال مقاومة قائمة بين قوميات متناحرة ، كما أن خطر التهدم الاجتماعي للفلسف الوائيا من الاشكال واللبوس . فهناك عند المغلوبين على أمرهم ثورت تصطرم في كل من ألمانيا وفرنسا ، واضطرابات اجتماعية خطيرة تنعص الحياة على المنتصرين ، والحياديين ، على السواء .

فالتألق لا يزال يستند بالجميع ، والكل يحشى من امتداد التيار الثوري البلشفي . ولذا اقتضى الدول التي خرجت مستمرة من الحرب ، سنتين كاملتين في محاولة حاهدة لاعادة السلام القديم إلى بحر به وإرساء السلام على قواعد جديدة

١ - الاضطرابات السياسي والاعمال العسكرية الجديدة

لثورة في المنايب انهرام حلفاء المانيا وانسحابهم من الحرب ، وضع المانيا في وضع ياقص اذ رفض ولسون التعاون مع حكومتها ، كما أن حركة تمرد الاسطول الألماني وقيام أولى التشكيلات العسكرية ، احبر علوم الساسي على

احتزال الحكم والاستقالة . وقام ايبرت الزعيم المستبد للحزب الاشتراكي الديمقراطي بؤلف حكومة ائتلافية مع « الحزب المستقل » . فالحاجير بقيت مصعوقة في شبه جهود كأن على رأسها الطير ، بينما اهدت الى الخضيم حزاب اليمين والطبقات الموحدة . فالمناصر الثورية الناشطة تألمت من الهبات العمالية بسعد ان انضم اليها الجيود والباعة فأثروا في البلاد الفتن والاضرابات . والفئات الوحيدة التي كان في مقدورها الوقوف في وجهها والصمود ، تألفت من حزب الاشتراكيين الديموقراطيين برئاسة يبرت ، الذي همه ان يشيء في البلاد نظاماً ديموقراطياً برلمانياً وهيئة للاركان . ولم يلبث الفريقان ان عقدا اتفاقاً سريعاً منذ التاسع من تشرين الثاني للحدوث دون الثورة البلشفية ، وللاعمل على انتخاب مجلس تأسيسى بأسرع ما يمكن . ويمكن الجيش القديم ان يصفى بسرعة كل حركات التمرد والعصيان التي وقعت في جنوبي البلاد وغربها ، بعد ان تفاهم حطرها في الروهر على لاهن ربي براين . واستطاع لوبسكيه ان يدمع بشدة « الاسوع الاحمر » الذي قام في براين ، في كانون الثاني ١٩١٩ ، ما ادى الى قتل بضع مئات بين صفوف المتحدين ، كما حرت تصفية كل من يسمخضت ورورا لكسمبورج . فكان هذا القمع فشلاً حائياً للثورة الشيوعية التي حاولوا القيام بها . الا ان الاضطرابات بقيت تغلق الأمن في ماغاربيا حيث تم قتل كورت يستر ، وفي ميسورخ وبرين ، وفي الساكن والروهر ومجدورخ والسار . واضطر المفوضون الثلاثة لمتقنون ان ينسحبوا من الحكم في كانون الاول كما رأى حزب الاشتراكيين الديموقراطيين الذي ألغى اعصاؤه اقلية في مجلس الرئاستاع ان يسدعوا الى مشاركتهم في الحكم الكاثوليكي والديموقراطيين وهكذا امكن السيطرة على الثورة الاشتراكية والسياسية في المانيا .

الثورة في هنغاريا تختلف نوعاً والمجاهة عن الثورة في المانيا ،
الثورة في هنغاريا
ولها مدلول خاص . فقد قامت على اكتشاف أهلية صغيرة واستلام الشيوعيين السلطة الفعلية مما اصفى عينا طبعاً غيراً . فبعد انهيار حبهات الحرب ، واستقالة لامبر طور الملك شارل ، قام الكوننت كارولي ، الرئيس الليبرالي للمعرفة ، بطن الجمهورية وقد أدى احتلال الحلفاء للبلاد ، والسؤس نظم عليها ، والبصالة البلشفية بين اوساط العمال تشعل مشاعر القومية التي أثارها المطالب الجماهيرية من قسمل التشيكوسلوفاكيين والرومانيين واليونانوسلافيين ، الى حركات من الفتن والاضطرابات واحمل الصوصية ضد كبار ملاكين . فقد شدد الحوب الشيوعي قصبته وبعوده في المدن وتسلم رئيسه بيلاكون الحكم في شهر آذار (مارس) بوصفها حركة وطنية مناهضة للاتفاق وحلفائه ، وحركة احتجاجية مناهضة لكار الملاكين المغارين ، اخذت حكومة الكومون الهنغارية تتأمع وسائل الانتاج والملكيات الكبرى والوسطى واستندت «ارتها الى تدهويات اشتراكية ، والمؤسسات الصناعية والتعدينية ، ومؤسسات النقل التي يعمل في الواحدة اكثر من ٢٠ عاملاً ، والهارن الكبرى والمؤسسات المصرفية والتأمينية والمؤسسات التدريبية ، وهدوا بإدارة كل مؤسسة جرى تأميمها الى مفوض

اللائحة ، يجري تشاذه من قبل العمال يساعده في عمله لاداري ولجنة مراقبة ، ومكاتب لوزن
المنتجات ، و مكاتب اقتصادية في المحافظات ، . الا ان الحصار والنشاطات انصاهه للثورة التي
تمت بتوجيه حكومة الاميرال هورتي والكورن 'نئين' ، وهي حكومة قامت تحت رعاية
الجيش الفرنسي ، اضعفت كثيراً حركة الثورة . وفي تموز ١٩١٩ قام الرومانيين بهجوم على
بودابست للقضاء على النظام الشيوعي الملحد الذي قام فيها وسحق الفرق الحمراء ، وقاموا
بنهب البلاد خلال احتلالهم لها . وانتصرت الحركة المصادة للثورة بزعامة الاميرال هورتي الذي
أعلن الجمهورية وعرض على البلاد الهول الابيض ، وبذلك عاد النظام الى مساريها كما اعيدت
الى كبار الملاكين العقاريين .

الاضطرابات الاجتماعية هذه الاضطرابات والفتائل لاجتماعية التي مزقت أوروبا لم تكن
وفقاً على الدلائل المقلوبة على امرها كروسيا وألمانيا وهنغاريا . فقد
تمخضت بشأن هذه الاضطرابات بعض الدول التي خرجت من الحرب منتصرة وبعض الدول
الحربية الأخرى . فالسخط الذي ولدته في النموس اربيع سنوات متصلة من الحرمان
والعذابات كان عاملاً يبعث في النموس ، يستبسط ويسهل بالتطلع الى الثورة الروسية
والرجبة في عضدها ومساندتها لتفوز وتصف في وجه الثورة المصادة التي تدمرها الدول الغربية ، خشية
من انه سلام الحق ، الذي لقوا في سبيله ما لقوا من حروب وعنت وعذاب لا تشفه الحكومات
التي تنصب في وجه المبادئ التي أعلنها اولسون بحيث تخيب الأمل التي عدوها خلال هذه السنوات
المعجاف من العمل الشاق والانضباطية العسكرية لأسرة لتحقيق نصيب اكبر من الرفاهية
والحرية ، فارتفع الاسعار الذي بلغ عام ١٩١٩ نحواً من ١٤٢ / مما كانت عليه عام ١٩٢٣ في
اسكتلندا ، و ٢٥٦ / في فرنسا ، ٢٦٦ / في إيطاليا زادت الثورة ضد النظام المورخواري
احتداماً . فالدسوت ١٩١٩ و ١٩٢٠ تميزت بمجيشات الاسفاد الدينية في القلوب ، وبهذا الفشل
الذي منيت به المثل الاجتماعية التي تأقت الى العدالة والسلام بكل جوارحها ، وهي مثل كانت
تغذي الآمال التي رفرقت على سفي الحرب .

وقد ارتفع عالياً عدد أعضاء الاتحادات النقابية في كل مكان ، ففقر حد العدد في بلجيكا
من ١٢٠ ألف عام ١٩١٣ الى ٢٢٠ ٠٠٠ عام ١٩١٩ . كما ان الاتحاد العام للعمل عد بين اعضائه
١ ٨٠٠ ٠٠٠ عضو في فرنسا والاتحادات العمالية في اسكتلندا ارتفع عدد اعضائها من ٤ ملايين
عام ١٩١٥ ، الى ٨ ٧١٠ ٦٠٠ عام ١٩٢٠ اي بزيادة ٧٠ / عن سنة ١٩١٧ ، والف اتحاد
الحرف عصبه متأسكة قوامها للتصالح بين المعدنين وعمال مناجم الفحم وعمال النقل كما اخلت
تعديلات اساسية على تشكيلها الداخلي . وطابع كفاح الطبقات الذي برز خلال الاضطرابات التي
قامت عام ١٩١٢ - ١٩١٣ ، اشتد واستند اكثر فأكثر . ولكي تتمكن الدولة من التغلب على
اضراب عمال مناجم الفحم ، عام ١٩١٩ اضطرت للعودة الى قوى الجيش .

اما في فرنسا ، فقد راحت دعاوة خبيثة تسم افكار العناصر النقابية التي ألقت اقلية

آنذاك ، في البلاد والتي كانت تطالب بالخاضعة تدابير فعالة ، محاولة إقناعها بأن الثورة « ممكنة » وهي آتية لا محذور عنها ولا مرد لها في الحاضر أوروبا كلها . وقد تميز عبد ول إمار عام ١٩٢٠ باضراب عام عن العمل واشتباكات دامية مع قوى الأمن وقعت في اسبوع للصناعة الكبرى وفي حزيران ، أعلن الاضراب ٢٠٠ ٠٠٠ من عمال المصانع و ٨٠ ٠٠٠ من العاملين في الصناعات الكيميائية ، و ٥٠ ٠٠٠ من العاملين في التعدين . وقد أدى زعماء اتحاد العمال العام في فرنسا ، كما في انكلترا ، توسيع هذه الحركة كما رفضوا استغلال هذه الفرصة السانحة لإعلان اضراب عام يرمي لاستلامهم مقاليد الحكم ، إذ لا ثقة لهم قط بوحدة غير الميلاء والتي تفتقر في الصميم ، إلى النظام ، لاستلام الحكم والاحتفاظ به . وعندما راحت نقابة عمال النازل العاملين على الخط الحديدي بين باريس وليون ومرسيليا تعلن الاضراب العام ، هددت الحكومة « المنبثقة من هيئة التكتل الوطني » إلى التشهير بهذه الحركة ووصفها بأنها محاولة ثورية وتشكلت « اتحادات وطنية » لتعمل على المضربين ، ودعت إلى الخدمة العسكرية مواليد ثلاث سنوات . وفي أواخر نيسان ١٩٢٠ ، قام اضراب عام كان له بعض الأثر على الحياة الاقتصادية دون أن يخلخلها ، نظرت إليه الحكومة نظرها إلى مؤامرة ضد سلامة الدولة وأمرت بتوقيف رؤساء الاتحاد وسوقهم إلى السجن كما أصدرت محكمة السين حكماً يلقي بقادة العمال العامة . وهذا الفشل لم يمس به الحركة النقابية رادها انقساماً على نفسها وكانت بديراً بانقسامها على شاكلة الحزب الاشتراكي نفسه ، اذ راحت اكثرية اعضاء الحزب تعلن في اجتماع لهم عقدوه في مدينة لورس ، انضمامهم إلى الدولية الثالثة ، الأمر الذي جعل اللياس إلى قطب العمال وحمل الكثيرين منهم على الخروج من صفوف الاتحاد .

أما في إيطاليا حيث لم تلق الحرب أية شعبية ، فقد احدثت الطبقات بؤساً وشقاء بعد انتهاء المعارك ، وفي اثر التمهيم المالي و ارتفاع الاسعار الجموي وخيبة الأمل التي احدثها في النفوس مؤتمرا الصلح ، الأمر الذي أدى بالتالي إلى تأمين سيطرة الاشتراكيين المتطرفين في الحرب الاشتراكية فنالوا ١٧٥ مقعداً من أصل ٥٠٠ مقعد في انتخابات عام ١٩١٩ . وقد تكررت في السنوات ١٩١٩ و ١٩٢٠ المظاهرات ذات الطابع الثوري ، منها مثل اضرابات العمال الزراعيين في ولايات لوقر وبارما ، واحتلال الاملاك الواسعة ، وطلب المباشرة بتوزيعها ، والاضراب العام الذي اعلنه ٢٠٠ ٠٠٠ من عمال المصانع الحديدية ، في نابولي وميلانو ريبوبينو ، وعمال النسيج في مدينة كوزم ، وعمال دور المصانع الحربية في ترسانة انسالو في صوبي (احتلال مصانع الفا روميو في ميلانو . ومنه انتقلت المندوب إلى ١٨٠ ممثلاً من ابطال الخاصة بالصناعات الحديدية ، ساهم باحتلال اكثر من ٦٠٠ ٠٠٠) وقد اخذ يبرز للبيان عام ١٩٢١ عمل القمصان السود ، هذه المنظمة الضيقة للنطاق التي نظمها وسهر على امرها كبار الملاكين ورجال الاعمال والصناعة والحكومة ، وهي منظمة لم تلبث ان استشرت واستطرت وهبات للحركة الاشتراكية في إيطاليا هزيمة نكراء دونها بكثير هزيمة

« كلوريتو » المشهورة .

وقد عرفت اسبانيا الحيدية ، هي الأخرى ، أزمة ثورية بين ١٩١٩ - ١٩٢٠ قوامها الثالث للتلقي : البؤس وغلاء المعيشة والفوضى السياسية في البلاد . فنشبت في اسبانيا سلسلة متصلة الحفلات من الاضرابات قام بها العمال الزراعيون في ولاية الامدلس . كما قامت اضرابات عمالية أخرى في ولايات . كتلونيا وفي المقاطعات الصناعية الواقعة الى الشمال الغربي من البلاد . وفي سنة ١٩١٩ أعلن الاتحاد الدم للعمال ، وهي منظمة نقابية فوضوية تمسك ٣٠٠ . ٠٠٠ عضو الاضراب في الشركة الكهربائية في ساءا دبل ، عقبته حالة من الفوضى والسلسلة معها الجناح المارتييزي بالدم ، فطلق على العمال قانون التهريب من خدمة العلم .

لقد تدخلت روسيا
والانتفاضات العمالية عابها مقلداً ، فيتمثل ، على أنه ، في قيام روسيا الاشتراكية ، وفي الخوف من اعتماد عدوى هذا النظام الخطر ، الأمر الذي جعل دولاً كثيرة على إصلاح هذه الثورة حرباً لا هودة فيها مع أنه لم يكن أحد ليتوقع لها الديمومة والاستمرار . ومنذ عام ١٩١٧ ، راح الحلفاء يدافعون منهم للإبقاء على الجبهة الشرقية ، ضد ألمانيا برسلون ، منذ عام ١٩١٨ ، تحت ستار الدفاع عن العتاد الحربي الذي كدسه لأميركيون والحلفاء في اوكنجاسك ومورمانسك وفلاديفوستوك ، حملات عسكرية الى هذه المراكز الحربية . وقد راح الحلفاء يردفون بحون سريع ، كل حركة مضادة للنظام التلشي ، ابنا طلعت او لاحت في سيبيريا وجنوبي روسيا او في بلدان البلطيق واحيراً في أثر لحرب البولندية الروسية السقي وضمت حداً لماهدة ريفا بمقد السلم عام ١٩٢٠ . وقد استطاعت روسيا الثورة ان تصمد بنجاح امام خصومها ولذلك ، بقلدت نفسها وضمت بقاها للقرع الخوف ولتشير الشكوك في النفوس . وقد استمدت الحكومات سياسة التدهور المسلح المباشر التي ميّنت بالفشل ، سياسة قهر بطاق الحمر الصحي الذي رمت من ورائها الى عزها وابقائها ضمن الحمر الصحي الى ان تسقط من نفسها . وفي البلدان البلطيقية حيث راح الألمان يحاولون الاحتفاظ بسلطتهم تساهم الارستوقراطية الألمانية في هذه المقاطعات ، اخذ الجنرال غولتز بشكل كتائب حرة لم يلبث ان انضم اليها الجنود الألمان الذين تم تسريحهم من الخدمة العسكرية ، مما حدا بالحلفاء الى التدخل وراحوا يسلحون الكتائب الليتوانية ، فاضطرت الوحدات الألمانية ، في نهاية الأمر الى الانسحاب من هذه المقاطعات ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ .

٢ - إعادة السلام

بادت المحاولة الألمانية التي هدعت الى انتهاء عهد طويل من السلام بقصد المادي، الفلحة تحقيق توسع جغرافي ودمج المناطق ولتسط سيطرتها على أوروبا بجمعة ، خروجا على كل أبادي التي استطاعت الحفلة المتعاقبة على احتارها قضايا ثابتة كرسها

المعرف وأقرها التقليد التشريعي ، تقوم على احترام حياة الأفراد ولحق وتجنب اللجوء الى القوة في حل المشكلات القائمة بين المتنافسين . فالحرب الدفاعية التي حاصرتها الديوقراطيات ضد الامبراطوريات القائمة في وسط وروما كانت بمثابة « حرب العدالة » . وبمبادرة اخرى صليبية ضد الصنف والمعدون في سويسرا لإنقاذ الشعوب التي ترسفت في الدل والعموية ، ولإقامة سلام وطيد الاركان وإنشاء مجتمع دولي لتساري فيه حقوق الشعوب وتأمين اسوة بالحقوق الشخصية ضمن المجتمعات القومية .

وقبل ان تصبح الحرب اورازها حرس الرئيس ولسون في خطبه الرثانة وفي رسائله الى مجلس الكونغرس الاميركي ، حرصاً شديداً على ان يحدد للبلاد الأهداف التي تشدها من دخولها لحرب الحرب ، والاسس التي يجب ان يقوم عليها سلام دائم . وطيداً . وقد اتحدت خطبه هذه والمبادئ التي حددها دويلاً عظيماً في الرأي العام العالمي ، وقطعاً لأسباب المدرعات التي شعرت بين الشعوب والدول خلال القرن التاسع عشر والتي جاءت الحرب الأخيرة تظهر ما يمكن تحنتها من مخاطر . رأى ان يطبق الأخذ عنداً احترام مطالب القوميات الوطنية في هذه الامبراطوريات التي لا تزال تصر ب هذا المبدأ تعرض الحائط والاعتراض ، بالذات ، باستقلال هذه الشعوب التي لا تزال تعاني من الاحتلال الاصبي لها والقضاء على كل مبرر لسياسة الضم القومية والقضاء بالتالي على الدبلوماسية السرية التي تفرس على الشعوب الخاضعة لسيطرتها حروباً مجهول اسبابها ومساساتها ويلزمونها بها وهم لا تافه لهم فيها ولا جل ، وتأسيس عصبة لجميع الأمم تتولى فص جميع الاختلافات وحل المشكلات التي تنشأ بين الشعوب والدول ، وبذلك تصبح الحلفاء والاتحادات الدولية اموراً نافذة لا منس لها ولا ما ، يبرر الأخذ بها قط ، وإقامة سلام ينس على العدالة حتى من كتبت عليهم القلبة . هذه هي المبادئ العامة التي حلم بتحقيقها الرأي العام العالمي وراحت الولايات المتحدة الاميركية ترفضه بفرغها على الشعوب لتبينوها والسير عليها - من غير رضى منها وبعد كل تحفظ - هذه المبادئ التي تضمنها ميثاق الهدنة الذي وقعته ألمانيا بعد ان ارغمها الحلفاء على الركوع .

وهذه المبادئ « ملحق بعضها حثياً بينا بقي البعض الآخر منها حراً على ورق . فالدول المنتصرة عالت النفس باستقلال نصرها المبين وشطب الامبراطوريتين الروسية والالمانية من خريطة العالم ، ولزأمد قصير ، ووزرائ لامبراطورية النمساوية المجرية والسلطنة العثمانية توطيناً منها لسيطرتها على العالم ، بحيث يتاح لها اعادة اقتسام المستعمرات والدول التي احتلتها هذه الامبراطوريات وراء البحار ، وبذلك يتم لاوروبا وضع ثقي مع الدول المغلوبة على امرها ، موهبة الجناح ، مستضعفة ، كما تجعل من المستعمرات قيام حرب جديدة .

فالمصاعدات التي تم الوصول الى عقدها عام ١٩١٩ - ١٩٢٠
مصادات ١٩١٩ - ١٩٢٠ جاءت بمثابة قسوة وفقت بين المبادئ التي نادى بها ولسون والمبادئ الاخرى التي قامت بها الدبلوماسية الأوروبية القديمة بمئة خير تمثيل في شركائه

بالمفاوضات . فمناشئهم الدول القومية وتحريرهم للشعوب المستعبدة في أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى ، رمت الدول المنتصرة في الحرب لقطع دابر الخلافات الناشئة عن مطالب القوميات . وهكذا أطل على الوجود وقام تحت الشمس ست دون مسئلة جديدة طلعت من بين عظام روسيا والمسا وجرينا حري توسيع ثلاث دول أخرى توسعاً كبيراً (هي رومانيا وبوغوسلافيا واليونان) ، كما زالت كل من فرنسا وإيطاليا تمرقاً لها ، أراضيها احيائها الخاصة من الوحدتين الاقتصادية والسياسية . وعلى الاجمال فالحدود الجغرافية التي رسمتها معاهدات عام ١٩٢٠ ، تحققت في مجموعها ، المطالب الوطنية ، والأمامي القومية ، والأقليات القومية أصبحت أقل بكثير من الوحدة العددية مما كانت عليه عام ١٩١٣ ، وإن لم تزل كلياً . فقد أخذت من الاعتبار عند تعيين الحدود الجديدة ، بعض مقتضيات رؤي مرعاتها أيضاً بعض الحوافر الاقتصادية والسياسية والمردية التي جعلت من اعتماد إنشاء دول قومية صرفة . وكانت من نتائج هذه النظرة البسيطة الخروج على مبدأ تقرير المصير ، هذا المبدأ الذي كان من الأسس التي قامت عليها المعاهدات الجديدة . أم يمكن من الواجب ، تأميناً لاستقلال هذه الدول الجديدة وخصيصاً لخدمة كرامة لشعوبها ، التوقف ملياً عما يؤمن سلامتها وبصون كياناتها سياسياً واقتصادياً وذلك بتأمين الممرات الممعدية والطاعات اللارمة وطرق مواصلات معينة والمرافق اللارمة لتقريب اقتصادها وتأمين مواصلاتها وعبر ذلك من مسيرحات كل استقلال ؟ أم يمكن من الواجب مراعاة مشاعر أكثارية السكان في هذه المناطق التي تشارك فيها المصالح وتعاقل بين اكثارية واقلية عرقية تتصاحب عندها الامتداد وتندهر ؟ وهكذا استطالت فواصل الحدود في أوروبا الوسطى بحيث ارتفعت عن ٦٠٠٠ كلم إلى ١٣٠٠٠ كلم ، منها ٤٠٠٠ كلم لتشيكوسلوفاكيا وحدها . وقد رؤي الاستبقاء ، ضمن هذه الحدود ، على بعض الاقلية القومية تمازجت نسبة افردها بين ٢٠ - ٣٥ بالمئة من مجموع السكان ، كما ان خط الحدود الفاصلة في بعضها بدأ يتعارض والمنطق السليم ، لا مل بدا مخالفاً للمقتضى السليم ، كما يبرز عند الوضوح على اتم صورة في كل من مدينة فيومي وبارا وتيسن ولاريج لاعلى وسيليريا وفي مقاطعة بانات (بين يوغوسلافيا ورومانيا) وفي مقدونيا ، وفي المصيق المولومي حيث يرى الحدود تبعد بين مكته ومصانع واسواق تجارية بالرغم مما يجمع بينها من رويد وأو صر تشدها بعضها الى بعض ، وبذلك قامت بين السكان نزاعات ومطالب لا حد لها ولا حصر . والعيب بتبدأ القوميات الذي ضرب بتطبيقه عرض اعائن اثار في نقوس الامان أحقاداً مريرة بعد ان ستهانت المعاهدات لعمقوة مصالحهم ودامتها بشكل دريع ااد حسرو ارضهم و ١٢ ٪ من مجموع السكان) ، ولا سيما المجر ، فدوا ٢٠ ٪ من ارضهم ونصف سكان بلادهم ، والترك معدن انترع منهم ١ ٪ ارضهم .

ولما كان المستعمرون في الحرب يمثلون القوة العسكرية والسياسية ، فقد رموا الى بقاء المنغوليين على مسرحهم في حجر مدقع ، اقصرهم عليه شروط نزع السلاح وشروط اقتصادية أخرى . فقد

نصت الوثائق المفودة على تحريد ألمانيا السؤلة الأولى عن الحرب ، من كل سلاحها ، كما نصت على تخفيض عدد جيوشها ، وحظر عليها العمل بالخدمة العسكرية الإجبارية ، ونصت على احتلال صفا الرين اليسرى مسدة ١٥ سنة ، كما قصت يهدم رؤوس الحسور المحصنة على ضفة النهر اليمنى . فإذا ما احترموا وحدتها ، فقد رأت نفسها ملزمة بالتخلي عن أراضيها التي لا تقطعها اكثريه المائية كالألاس والورين او حرره من ميليريا العليا بشرط إجراء استفتاء فيه ، وعن الأراضي البولونية التابعة لها بما في ذلك دانترينج ومستمراتها عبر البحارة ، واخيراً مناحم السار على ان يقرر سكان هذه المقاطعة مصيرهم في استفتاء شعبي عام ، بعد ١٥ سنة ، واتخذت إجراءات شبيهة هذه مع بلغاريا وتركيا وبلغاريا والنمسا . فاقطعت من جسمها عدة أقاليم المائية وهنغارية . كما اتخذت إجراءات احترازية للحؤول دون انقسام النمسا الى ألمانيا .

أما لاحكام الخاصة بالشؤون الاقتصادية ، فقد نُجزت الدولة المفودة على امرها ، الى جانب مستعمراتها ، جن اساطيلها التجارية ، وفُرضت عليها تعويضات لم يجز تحديدها في وقت كانت فيه اوضاع التجارة الخارجية مضمضة لا بل منهارة بالعمل .

« وهذا الضم القرطاسي الجائر ، ألم يكن بالعمل لا حيتراً ولا محكماً ولا عملياً ؟ ألم يكن لمحدياً للعدالة والشقة والمقل السليم ، كما أكد ذلك كير بصدقي وحرارة ، فساعد كثيراً على تشكيلك الرأي العام الانكوسكوني كما ساعد على عدم تطبيقه وتنفيده . ألم يكن بالرغم مما علق به من شوائب ، أقل الحلول سوءاً ، وكان قبلاً للتنفيذ ، على كل حدس ، كما دلت على ذلك إبراهيم قاطعة آتين منشور ؟ ومهما يكن فقد كان القصد من ابقاء الجمهوريين على احرارهم ولادة طوبى ، اعمر من ان يتصدروا للمستعمرين او ان يراحمهم على الأولوية في العالم .

مما روسيا التي تحمل مؤتمر السلام وحريتها رسمياً ، فقد حرص الحلفاء على ان ينشئوا حولها ، عزلاً لها عن العالم ، حزاماً صلباً تألف من جمهوريات صغيرة الحجم ، مثل فنلندا (٣٥٠٠,٠٠٠ نسمة) وأستونيا (١,٢٥٧,٠٠٠ نسمة) وليتوانيا (١,٩٠٠,٠٠٠ نسمة) بينهم ٢٥ ٪ مختلفو العرق ، وليتوانيا التي تضم مليونين بينهم ١٢ ٪ من عروق مختلطة . وكلها جمهوريات اقتصى لها بضع سنوات لتنظيم شؤونها ، ومن جمهوريات متوسطة الحجم ، أمثال بولونيا (التي تعد بين سكانها دشيلا من اصل ثلاثة اصليين) ورومانيا التي خيمت اراضي روسية الاصل والطابع كانت من قبل تابعة لروسيا البيضاء ، اوكرانيا وسارابيا . وفي قلب أوروبا وشرقها ، قام عدد من لدول السلافية ، منها على الاخص تشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا المتحالفتين مع فرنسا للقابعة على صفاف هر الرين . كل هذه الكيانات تحيط بالريخ وحاطة السرار بالحصم وتراقبه عن كثب .

هراً على المبادئ الرسولية ، في المجالين السياسي والجغرافي ،
 عصبة الأمم وحماية الأقليات
 تعديلات جديدة ، بينها رابع جانب كبير من معاهدات الصلح ،
 هو الجانب الخاص مع انفجار حرب جديدة ، كان تطبيقاً لها وتفيداً ، هذا الجانب المتعلق
 عيش عصبة الأمم . فإطلاقاً من المبدأ الأوّل ، أن كل حرب تنفجر تصيب المجتمع البشري
 تكامل ، فقد ترتب على هذا الاجتماع أن يتخذ من الأحكام ما يصون سلام الأمم ، فقد عهد
 إلى لجنة خاصة مؤلفة من 9 أعضاء بينهم خمسة دافون ، هم الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا
 النمطى وإيطاليا واليابان ، مهمة اتخاذ الأحكام الاقتصادية والمسكرية ، ضد كل دولة تعطل
 الحسرب على لأخرى . وقد نص الميثاق على أمور كثيرة منها نزع السلاح من كل الدول
 وإعادة النظر في المعاهدات التي تصبح غير قابلة للتعبيد ، وعلى إنشاء مكتب دولي للعمل ،
 وأخيراً وليس آخراً ، مراقبة المستعمرات الامامية القديمة والأقطار المنصبة عن تركيا ، التي
 تولت مهمة لانتداب عليها وتبقيتها للاستقلال ، الدول المنتصرة . والنص المذكور نص موجز
 هام ، ناقص ، عذرته مبهمة على العموم ، ركيكة ، لا يستجيب كثيراً لأماني دعاة السلام (فهو
 يحترم مبدأ السيادة الوطنية ولا يحظر بصورة حازمة اللجوء للحرب ولا ينص على استعمال
 بوليس دولي للحفاظ على الأمن في الحال) ، إلا أنه نص طيّع يستجيب لانحياز إجراءات
 تالية . وفي نطاق خاص هو نطاق حماية الأقليات ، فقد نص الميثاق على إجراءات دقيقة المرص
 منها معالجة المشكلات للنجمية عن ادماج اقلية قومية في صلب الدول الجديدة . فقد نص على
 وجوب احترام هذه الاقلية واحب معاملتها على قدم المساواة مع باقي رعايا البلاد ، دون
 أي نظر للعرق واللغة والدين ، لا سيما في كل ما يتعلق بالوصول الى الوظائف العامة وحرية
 استعمال لهجاتهم الخاصة وحرية معتقدهم والتعليم بلغتهم الام . فعصبة الأمم التي تضمن تطبيق
 كل هذه حقوق هي الهيئة الصالحة للنظر في كل طلب يشكو من مخالفتها وعدم التقيد بها ،
 والقيام بالتحقيقات اللازمة

وبالفعل ، فعصبة الأمم التي كان من المفروض فيها أن تصبح أداة صالحة في المجال الدولي ،
 لم تلت أن استعالت أداة تغليب وسلط بين يدي الدول المنتصرة التي تؤلف الاكثريّة في
 مجلس التسعة ، وفي الجمعية العامة (صوت لكل دولة عضو) . فولايات الدومينيون وسانكترا
 تؤلف كتلة من ستة أصوات ، بينها تلتف دول أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية المتحالفة فيما
 بينها وتعتمد عسكرياً واقتصادياً على فرنسا وتقف إلى جانبها . أما الولايات المتحدة الاميركية
 فقد رفضت الانسحاب إلى عصبة الأمم بعد أن رفض مجلس الشيوخ الاميركي التصديق على
 مشروع معاهدة فرساي ، بينما حظر على روسيا وألمانيا والدول الأخرى المخالفة ، التقدم إلى
 العصبة بطلب الانسحاب .

بعد أن أعاد الحلفاء السلام إلى أوروبا ، رأوا أن يعيدوه إلى الشرق
 مؤخر واشتطرت
 الأقصى ، ليوقفوا عند حد ، تساعد النفوذ الياباني الذي أخذ يهدد جديداً ،

مصالح الدول الأوروبية والولايات المتحدة في المحيط الهادي فقد اعتصمت اليابان من جهة ،
 المعوصى الصارمة عليها في الصين ، وسعلت ، من جهة ثانية ، حربها التصرف التي اضطرت
 اسكتلندا وغربا السعلي لها عنها ، تستولي على تركة الخاب في هذه الاصفع ، وذلك باستيلائها
 على تسامع قار وقشانتوم وعلى الحرر الامانية المتناثره في المحيط الهادي . فقد تمكنت من ان
 تعرض على الصين مط لها ، للوفقة من ٢١ مطلقا ، وهي مطالب تؤمن لها تحقيقها ، امتيازات
 ومنافع اقتصادية وسياسية ، وكذلك وصفت الصين برمتها تحت ولايتها . والاتفاق المعروف
 بالقمي لانسفغ إشي المعقود بين اليابان والولايات المتحدة ، اعترفت لها بالأحقيرة مصالح اليابان
 الخاصة في الصين . ثم انتهى بـ الأمر في آخر المطالب بمسبة الثورة الروسية ، الى احتلال
 سيبيريا الشرقية حتى حدود بحيرة سكار ، كما ان مؤام السلف أقر لها بكل الامتيازات التي تالها
 على حساب الصين ، واستطاع مؤخر و شطرن الذي دعت إليه الولايات المتحدة ان تعرض
 حدودا على اليابان حدودا للتخلج واحترام ساداه الصين واستقلالها وسلامة أراضيها ، والتنازل
 عن امتيازات التي تالها كما تدربت من مقاطعة شاونج ، وحلاء سيبيريا ولاعترف بالباب
 مفتوح . ان تحالف اسكتلندا وولايات اسرمينيون ان حساب الولايات المتحدة ، جعل سياسة
 الولايات المتحدة قشيل على السياسة اليابانية ، وأمس التورن بين القوى هذا التورن الذي احتل
 بدافع الحرب في الشرق الأقصى على حساب لجنس الابيض .

٣ - اعادة النظام - الاصلاحات السياسية والاجتماعية

بعد ان امكن تحبيب الثورة وتم توطيد السلام ، اصبح من الضروري ان توصح الحرب بين
 حاضرتين ، وذلك بإعادة المؤسسات الليبرالية الى الوجود ، والعمل على تعميمها ، بتقديم
 التدارلات للطبقات الشعبية بحيث تتحول دأطارها عن الدرس لروسي وما فيه من عبرة وعظة .
 كان من شدة نفوذ المنتصرين وما لهم من سطو شديد والى حقيق في العفوس
 الاصلاحات لسياسية ان راح المعويون على امرهم والدول التي أطأت حديثا على الوجود
 ترسم ما للدول المدمرة من نظم ومؤسسات . فقد رال النظام الملكي من سيايا وطأطأت
 السلالات الملكية فيها برأسها الى لأرض امام طبعان الحركة الشعبية و سطرارها . فبحاربه
 وحدها دقت على النظام الملكي ولو خلا العرش من صاحبه امام رفض حيرانها لهذا النظام .
 فكل الدول الجديدة من بولونيا الى تشيكوسلوفاكية ، ان الدول البلطيقية رفضت النظام
 الملكي نظاما ها . ولم يقم في أي مكان من يشكو او يستقص من نظم الاقتراع العام .
 فانكلترا تسنه من عام ١٩١٨ وحدث تلجيكاً حدودها عام ١٩١٩ بعد ان تحت عن نظام تعدد
 الاحزاب الذي حملت به من قبل . والعمل للدستوري الضخم الذي تم في أوروبا في هذه الحقبة ، غير
 بالنظم السرماني الذي ساد ركزس المبادئ الفردية التي قالت بها الديموقراطيات التقليدية .
 تغلبت حقوق الفرد الحر على حقوق الدولة وحقوق المئات الجمشمية لأخرى . فالدستور الذي

إرثته تشيكوسلوفاكيا ، عام ١٩٢٠ ، والدساتير التي ارتضتها لها كل من بولونيا ويوغوسلافيا ،
 عام ١٩٢١ ، كلها مستوحاة من القانون الأساسي الفرنسي . فهي كل من ألمانيا والنمسا برى
 دساتير جامعة ي يتولى وضعها مشرعون يجارون « عقلنة » السلطة وذلك بإعطائهم النظام
 الديوقراطي فيها شكلاً أو صفةً شرعية أكثر وضوحاً مما هي عليه الدساتير المعمول بها في كل
 من انكلترا وفرنسا لتأتي منسجمة مع مطلب العرف والتقليد وقد استوحيت بعض الدساتير
 دستور سويسرا الذي يفسح المجال للسادى الشعبية والاستفتاءات الشعبية (بروسيا وبادن
 وبافاريا واستونيا) ومعظم هذه الدساتير تقرر عالياً بمقدم المجلس المنتخب على السلطة التنفيذية
 (بافاريا - هسن - بادن) كما أوجب البعض منها انتخاب الرئاسة العليا بالاقتراع الشعبي ، ألمانيا -
 فنلندا) .

في الحين الذي راحت فيه الحكومات تشكبح بشدة الاضطرابات
 الإصلاح الاجتماعي الاجتماعية عدت هذه الحكومات جاهدة ، على تحقيق بعض المطالب التي
 طالما طالبت المنظمات النقابية بتحقيقها . فقد اقرت فرنسا نظام العمل ٨ ساعات في اليوم كما
 اقرت قانون الاتفاقات الجماعية التي لم تكن مع ذلك مدعة والتي لا تهم سوى ٧٤٥ /١ من
 مجموع اصحاب الاحور العاملين في صلاحي التجارة والصناعة ، الا انها تشريعات لها معالماً
 ومفراها بالنسبة لعدد ما (٥٧٥ اتفاقاً جماعياً في عام ١٩١٩ و ٣٤٥ في عام ١٩٢٠) وقد منار بعضها
 على طابع قومي مفرد . واقرت بلجيكا قانون الثمان ساعات عمل في اليوم ، والصربية التصاعدية
 على التراكات ، والظريبة النوعية او الفرعية على الدخل المرددي . وقررت انكلترا لاصطحات المهنية
 وللشركة المعروفة B. S. A حق عقد اتفاقيات جماعية تعترف بشرعية ممثلي نقابة عمالية في
 مصنع ، وحمل استشارتهم إلزامياً في كل تعديل لمناهج لتنظيم العمل وللجيران اصنام . وفي سنة ١٩٢٠ ،
 اقر قانون المعاطلين عن العمل وهو قانون يستفيد منه ١٢ مليون عامل في القسم الاكبر من القوة
 العاملة الذي يفرض بصورة الرامية التأمين ضد البطالة ، وهو قانون حوى تسببه اثنب الحرب
 في مصانع النسيجة .

شكلت المشكلة الزراعية في البلدان الواقعة في شرقي اوربوا ،
 موافق الإصلاح الزراعي في القضية الكبرى التي تهدد النظام الاجتماعي فيها . فوجود املاك
 اوروبا الوسطى واوربوا الشرقية واسعة للغاية تعود ملكيتها ، في الغالب ، الى ارسنوقراطية المدينة
 او عنقارية او الى الكنيسة ، ووضع النامية الذي برسب فيه المزارعون اسين لا يكون تحت
 تصرفهم في الغالب سوى قطعة ارض صغيرة ويخضعون فيه لوضع نصف أرقاء عليهم سخرة ثلاثايم
 عمل في الأسبوع تسديداً لقيمة ايجار الارض ، كل ذلك كان مشاراً للقلق عبق في المجتمع راد من
 حدثه ارباب عدد السكان في تلك البلاد . ولقاديا لثورات الفلاحين ولتوزيع الاملاك كما حدث
 في روسيا ، راحت الدول احدثنة العهد تضع تشريعات جديدة عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ رمتي من
 وراثتها الى الإصلاح الزراعي . فقد امنت تشيكوسلوفاكيا كل ارض زراعية تترك مساحتها على

١٥٠ هكتاراً على ٢٥٠ هكتاراً منها كان نوع الأرض ، وذلك لقاء تعويضات معينة باستثناء دراري اعداد الامه التشيكية . وهكذا امكن توزيع ربع مساحة الارض الصالحة للزراعة في البلاد بين الرراعي . وقسمت صادرت الحكومة في يروشلاقيا ، منه عام ١٩١٩ (وافر دستور فيدوفدان الصادر عام ١٩٢١ هذا الاحراء) املاك الصفة الارستوقراطية لاسلامية في مقاطعة البوسنة واملاك سلاء لجسر والكروات . وفي رومانيا ، أقر ، بمسبة الاميار الذي حصص في رومانيا عام ١٩١٧ ، مبدأ القيام باصلاح زراعي ثاوان املاك الوقف والاملاك الكبيرة الاخرى ، والقوانين لزراعية التي وضعت عام ١٩١٨ و ١٩١٩ ، ادخلت العمل بالاصلاح الزراعي في مختلف أنحاء البلاد ، وهو اصلاح جاء اكثر حصرية في مقاطعة بيساريا (المتاحة لروسيا) من في المقاطعات الاخرى . وفي بولونيا حيث يتمتع كبار الملاكين بمرور قوي ، وفي لوقت الذي كان فيه الجيش الروسي يقرب من مرصوفيا في تمور (برلو) ١٩٢٠ اسد قانون خاص صدر في بضع ساعات لا غير ، يحدد ظروف وكيفية القيام باصلاح زراعي . ومثل هذه الاحراءات المنتسبة بالاعتدال والمتعلقة ، بالمقارنات الكثيرة ، تحدثت في فنلند (قانون كاليو ، عام ١٩٢٢) ، واكثر حصرية منه القانون الذي صدر في استونيا حيث ٩٩٪ من الاملاك الكبيرة حرت مصادرتها وتأميمها ، وفي لتونيا حيث لم يسمح للملاك بحرية اكثر من ٥٠ هكتاراً ، وفي ليتوانيا حيث كانت مساحة بعض الاطيان تزيد عن ١٠٠٠٠ هكتاراً ، فاذا بقانون عام ١٩٢٢ يورعها حصصاً من ٥٥ هكتاراً ، فاستفاد من هذا التوزيع ٥٥٠٠٠ سره ومعظمها راض تحسن الكنيسة الروسية ، او كبار الاشراف الذين بالرها من القباصرة

كل هذه القوانين التي صدرت تحت التهديد بالثورة توصي بتعويضات على اصحابها مختلف سماحة ، هي تعويضات لم تطلق الا حريشاً ووسطه كني خلال السنوات التالية . فلاصلاح الردعي لم يكن جذرياً الا في هذه البلدان التي لا تر لارستوقراطية الوطنية فيها عتسبال يوعوسلاف وتشيكوسلوفاكيا واستونيا ، وكما هي الحال في رومانيا ، حيث راح الحرب للحكم يحاول ان يدك ال اساس نفوذ الحرب للمارض الذي يعتمد الى حد بعيد ، على كبار املاكين العقاريين . ففي بولونيا وهنغاريا حيث المشكلة كانت تزداد اكثر حدة وتمقيداً ، وقلت لارستوقراطية تعارض كل حركة صلاحية دوشريه ، ودللك عتسد روال كل خطر بالثورة او نشوب حرب . لهذا احتفظت البلاد بالوضع الزراعي الذي كانت عليه من قمل .

وهكذا أعيد السلام والنظم الى هذه البلدان كما بدا ان لا شيء هنالك يجمع العودة الى للتوازن ، وال تنمية الاقتصاد الوطني والنهوض به . بأسرع ما يمكن ، هذا الاقتصاد الذي جعن من اوروبا ، قبل عام ١٩١٤ محور العالم وقطبه الاكبر .

٤ - رسميد الحرب

رصيد الحرب في اوروبا منقل مروح . أفلم تفقد اوروبا بصمة ملايين من الشباب الزيب

ونترك وراءها حروبا يئسا ، مهيصة الجراح ، موزعة ، تكثر فيها اسباب مازغات قد تمحور بين لحظة واخرى ، فانتقل ثوارها بنوع مبعث في وقت قام فيه عبر البحار منافسون لها اشداء اثروا بسرعة واشتد منهم الساعد المقتول

الخسائر البشرية والمادية الخسائر في الارواح جسيمة جدا . فاستحدثت الماييسا ١٨٢٦٠٠٠ قتيلا اي ١٢ / من م بين الخامسة عشر والحمدين كما سجلت فرنسا ١٤٠٠٠٠٠ قتيلا اي ١٤ / والكلترا ٥٠٠٠٠ قتيلا اي ٧ بالمائة ، وبنج مجموع ما خسره مع مستعمراتها ٩٥٠٠٠٠ ، بينما خسرت الولايات المتحدة ٥٤٥ بالمائة اي ١١٥٠٠٠٠ . اما ما يتعلق بالبلدان الاخرى فملينا ان دفعه يتقديرات عامة منها ٧٠٠٠٠٠ قتيلا لايطاليا ، و ١٤٣٥٠٠٠٠ قتيلا للنمسا والمجر ، و ٣٧٥٠٠٠٠ منها للصرى . اما روسيا فيقدر عدد القتلى بـ ١٤٧٠٠٠٠٠ قتيلا في الفترة التي سكنت فيها حليلة الحلهاء ، ونحو ٥ ملايين للفترة الواقعة بين ١٩١٤ - ١٩٢٠ والى هذه الخسائر في الارواح ، يجب ان نصيب الخسائر التي تكبدها السكان المدينون من حواء المزو ولاونلة الوافدة والتقنين الشديدي في وسائل التمديد ، والجماعة والنقص في معدل المواليد . ويمكن ان نقيم النقص العام الذي اصاب الرجال بين العشرين من عمرهم والاربعين ، نتيجة مباشرة للحرب - ١٦ بالمائة في فرنسا وفي المانيا ، و ٧ بالمائة في بريطانيا العظمى . اما تكاليف هذه الحرب فتختلف كليا عن تكاليف الحروب السابقة . هذا الحرب الذي لحق بالمدن التي كانت مسرحا لمعارك الحربية ، والحرب الذي نجم عن حمل المواصلات سجل ارقما طككية . ويعتري المرء الدور بمجرد ما تقع عليها العين . فادما ما احدا يمين الاعتبار ، فرق ارتفاع الاسعار ، فقد بلغ معدل كلفة الحرب في فرنسا ٣٢ بالمائة من مجموع الثروة الوطنية ، و ٢٢ بالمائة من الثروة الوطنية في المانيا ، و ٣٢ بالمائة في انكلترا ، و ٣٦ بالمائة في ايطاليا و ٩ بالمائة في الولايات المتحدة الامريكية . كذلك يجب ان نقتد في قسم النيون في حساب اوروبا : تلك وسائل النقل وجهزة المصانع التي براها الاستعمال لحد الاقصى ، بعد ان دامت طاقاتها ونمدر تجديدها او صيانتها بصورة مرضية ، ونقص ملحوظ في الطاقة الاقتصادية .

هذا لك نقص ، ليس فقط في الانتاج وفي المواليد بل ايضا اقواق الدول الحاربة بالديون إذ اضطرت هذه الدول للاستدانة او لتملي عن قسم كبير من غزوات الذهب فيها (نصف هذا الخزون في فرنسا واكثر من النصف بقليل في ايطاليا و ١/٧ في النمسا والمجر ، فاهيك عن التنازل عن قسم هام من استثمارات في الخارج . والموارث الوطنية هي في عجز مستمر . فقد بلغت واردات الخزينة في فرنسا عام ١٩٢٠ عشرين مليارا مقابل ٤٦ مليارا للنفقات ، بينما لا تغطي الواردات في ايطاليا ثلث نفقاتها العامة ، وفي ألمانيا لا تغطي سوى ٥٢٪ . وفي النمسا ٢٢٪ ، وفي بولونيا ٢١٪ . فاما كان انكلترا وحدها ان تؤس للتوازن في موازنتها الصاعدة .

لندن أوروبا الحارسي جعلها في تابعة الولايات المتحدة الاميركية التي امست اقوى الدول مالياً في العالم .

تحويل التجارة الأوروبية والدولية فقد انقلبت اوضاع لاقتصاد الأوروبي العامة كما اضطرت اياها اضطراب الشيارات التجارية شبه المستقرة التي كانت سائدة عام ١٩١٣ . وقد وقعت هذه التغيرات عند الحد الأدنى في أوروبا الوسطى ، بعد ان اضطرت ألمانيا وسلوفايا والبلدان التي احتلتها ، امام الحصار البحري الشديد الذي فرضته عليها الدول الحليفة ، ان تضع وارداتها في صندوق مشترك فعمقت بذلك وحدة أوروبا الوسطى . عبر ان الدول المعريسة التي توقعات لديها امكانيات التمويل في الخارج ، استبدلت متصدي لوريدها ، في منطقتي الدانوب وروسيا ، عثمانيين في كندا والولايات المتحدة الاميركية والارجنتين ، في الوقت الذي توقفت فيه عن تصدير مستوحاتها الصناعية . فقد أدت الحرب الى حدوث شلل كبير في الحركة التجارية الداخلية في أوروبا ، ونقلت الى ما وراء البحار مصادر تمويل أوروبا ، فأوجدت بذلك تغييرات جديدة رجاري لمعدلات لم تكن قائمة من قبل في الحركة التجارية ، في هذه الفترة التي ركز فيها نشاطها لاتناهي . وقد أثرت هذه البلدان وحملت من وصيدها السلبي وصيداً موجباً ، واستشاراً منها بارتفاع الاسعار ، راحت تنشط حركة الانتاج فيها ، فانشأت مصانعاً دقيقة تمدد مسد السجز الذي اصاب حركة الانتاج في أوروبا . ولذا كانت اليابان والولايات المتحدة اكلو للدول التي اهدت بالأكبر من هذه التطورات الطارئة التي لم يكن في وسع احد ان يتنبأ ما اذا كانت وقتية او نهائية .

أوروبا المنقسمة هالبنود الاربعة عشر التي اقرسها ولسون لاعادة بناء أوروبا على اسس جديدة ، لم تحترمها للماهدات ، كما رأينا ، الاحترام للارام . والنقصة على نفسها فقد كان لظهور دول جديدة ان وتكثفت ، أوروبا ، إذ قامت بين دولها الجواهر ، وعدلت فيها الحدود واوجدت فيها دولاً مستنصعة الجانب تفتقر جذرياً للخصائص والمواد الأولية التي لا بد منها لاي استقلال اقتصادي نسبي ، كما ان وحدتها القومية كانت سريعة المصطب لما قام فيها من عديد الاقليات القومية الزاحرة بالنشاط . وقد توافرت نقاط الاحتكاك ليس في داخل هذه الدول فحسب ، بل ايضاً بين الواحدة والاخرى . بين بولونيا وتشيكوسلوفاكيا مثلاً على قضية تيشن ، وبين ايطاليا ويوغوسلافيا بشأن فيومي وسلوفينيا ، وبين بولونيا وليتوانيا بشأن فيلدا ، وغير ذلك (راجع شكل ٤٠ - ٤١) . وبين الدول المنتصرة نفسها اشتدت المنافسة وتصاربت المنافع والمشارب الخاصة . فلم يرق لانكلاز ولا ايطاليا رؤية الحاميات الفرنسية على صفات الزين والتفوق العسكري الذي تمتعت به فرنسا في القارة حيث بدت كل من بولونيا وتشيكوسلوفاكيا من الدول المتراخع لم الدائرة في قلبها . وخارج أوروبا عبر البحار يرى الدول الاميرالية تتشاحن فيما بينها حول الاستئثار بالقسم الاكبر من التجارة المنافسة والامانية التي هاد معظمها لمرسا لليابان ولا انكلترا ، بالرغم

من الاحتجاجات التي ارتفعت في كل من الدومينال وبلجيكا التي قالت رومانيا اورندي ،
وابطاليا التي اضطرت ان تلحق بارض حويالاند وتصحيح حدودها الصحراوية في طرابلس
الغرب . ان لوريسع يتناول الشرق الأوسط والسيطرة على سوريا ، واقتسام مناطق النفوذ
جعل الدولتين الكبيرتين اللتين استعدا اكثر من غيرها من الحرب ، تتجنب الوحيدة في
وجه الأخرى .

و مانيا الموصلة اصحاب التي 'مسحت مسحا' راحت تشكو من الحلفاء الذين استعملوا ثقبت
واسترحصوا براياها بعدم احترام المقدس الذي وقتته عندما اعريت عن رغبتها في التفاوض
في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ ، و همت بنسبها الى بودولسون الاربعة عشر . فقد
تحمطت ، والحد يقسم احشائها ، معاهدة فرساي ، كما رست تتمرد وتكسر صد التطويق ،
العامل الذي وجدوه حولها ، كما لم تستطع ان تسلي ولا ان تتمري عن اقتطاع منطقة السار
وسيليريا العليا وديتريخ عنها ، فاهلك عن التعويضات الفاصحة المفروضة عليها . والمسا ولا سيما
هنغاريا وعربا وبنغاليا التي تناقلت عليها جميعا الضربات والوبلات ، لم ترصق قط للحيث الذي
وقع عليها فاقطع بعض اعضائها وفصلها عن مقاطعات معظم سكانها من جميع موطنها
ورهاياها . أما ايطاليا ، فلا تريد ان تتمري ولا ان تسمى المعاهدات المعقودة معها سرا عام
١٩١٥ ، والتي لم يحترمها الحلفاء ولم يتقيدوا بنصوصها . فلم تلت ان انضمت سريرا الى حاسب
المهرومين بكافة محلفاتها ولشعبها صهم .

وروسيا التي عرلت حائسا وكانت باستمرار موضع مطية ونشكك من قس الجميع ،
تمرضت ، هي الأخرى ، للسر والقطع في بعض مقاطعاتها لم تقبل به ولم تسلم به كأم واقعي .
والاقتصاد الجديد للعام تم بحمل عنها ورغما منها . وقد صبرت نفسها ، بعد تجارب وامتحانات
مريرة قسية ، يحار سياسي واقتصادي ماهص ويمارض اسادي العامة التي ارتضاها له العالم
اجمع . وهكذا سترى العالم المنقسم على نفسه شطرين متناقسين يأخذ في تطوره ، في عهد
وخصوصة متصدين .

وهكذا بدا السلام في نظر الكثيرين ، منذ عام ١٩٢٠ ، مبدءا كل النعم ، من المعدل
والاستقرار . فهناك مشكلات عدة طالت تستقر الحل المرجح او جرى حلها بصورة ملفقة
او بشكل هزيل . وهذا الوضع العام ، الذي اليه هنا على وصعه يهدد بالفشل ، احتمالات جهود
اوروبا وإهاصها ، في الوقت الذي اخذت فيه سيطرتها على العام ترتج وترجع .

اردمار الولايات المتحدة الاميركية لم تتكامل جهود الحلفاء بفاز النصر إلا بفضل تفوقهم العددي
والحصار البحري الذي فرضوه على المانيا ، فعال دون وصول
ليس فقط السلاح والتمتد الحربي اليه ، بل ايضا رבות التشجيع والباطل والنزول ولا سيما المواد
الثقائية على احتلالها . وندحول الولايات المتحدة الحرب ، ثم للحلفاء التفوق العددي يتناول
فرعها الى ساحة المعركة ، وامكنهم إحكام الحصار البحري عليها وجميعه أداة فعالة لم تلت ان

ظهرت نتائجها الحاسمة . ن الفضل في تحقيق الانتصار الحربي يعود بالدرجة الأولى للحشيش
الفرنسي والآنكليزي ، مع العلم ان القوة العسكرية برزت على انها في بدولة الكسبري الواقعة عبر
البحار والتي عادت عليها احرب ثغرات طائلة فاصبحت بالتالي القوة الكسبري في كرتنا لارصة
واوروبا التي فقدت الملايين من اساقها ، وحدث من طائفها على الانبساط ، نولها الصعب وأخذ
منها الوهن كل مأخذ فاصطرت ان تقاسم والولايات المتحدة الاميركية ، السيطرة على العالم

هذلك حادث جديد حلل وقع عام ١٩١٧ ، له أهمية الكسبري يتمثل في
الثورة الروسية . فبعد ان حلفت عن كامل الدنيا غناظر ومعانف كثيرة
وهبء الحرب على حشيش ، بدأ عليها ، في مطلع الامر ، الوقوف الى جانب الامراطورييت
المركية ، في وسط اورودا ، وبذلك تمكنت الدنيا من تحقيق لانتصارات النهرة الدايوة على
الحلفاء في ربيع وصيف عام ١٩١٨ ، إلا ان نتائجها جاءت في نهاية الامر ، تخدم قضية الحلفاء .
ان سقوط القيصرية ، وفتر لرئيس ولسون كل الامكانات لوصح بمرده لاربعة عشر ولاظهار
الحرب عشاة صليبة تقوم بها اسعوفر طابت . كما انها رعرعت في المواد الاتراك ، العرم واوهنت
فيهم الرعية في خصي في الحرب ادلم يعودوا يوجسوت شراً على عاصمتهم القسطنطينية من
المطامع الروسية ، كما سهلت من جهة اخرى عملية فتر الفترق السلافية من الجيش النمساوي
المعاري ، وشجعت احزاب المعارضة في الدنيا ، والحرب مستقل فيها على الآخرين ، ليقيموا
بدور حاسم في إرلة النظام الامراطوري . وعلى عرار الثورة الروسية انطلقت الثورة الالمانية
ناصربات وسعة وتمركات تمرد في جيش والاسطول . أما في النمسا والمجر ، فقد جاءت
الثورة تقسم بعدبع الثورة الاحشائية والقومية . فقد كان للثورة بين وحدات الجيش الروسي
تقيجة اخرى لها أهميتها الخاصة . فبعد الفشل الذي لمست به الاشتراكية اندولية عام ١٩١٤ ،
جاءت الثورة درساً بليعاً كما جاءت تشجيعاً للحشيش العالمية التي مدت ، لفترة قصيرة ،
متسجعة لا قوم لها ولا كيان .

عائدات والآلام التي تجرعها المحاربون ومن هم في المؤخرة على
مداهي المنظمات الاشتراكية السراء ، أدت بهم الى الجمع ، بصورة عموية ، بين النظام الرأسمالي
والحرب ، كما انها حملتهم على الاعتقاد بأن هذه الحرب لم تكن حربيهم دهم ، ومن جهة
اخرى ، فقد سيجل يعود الطبقات الموحدة التي لم تعرف على السواء ، كيف تتعاقد هذا
الصراع وكيف تمحصره ، ولا كيف تقتصد من حشوت لاهراد ولا كيف تصونها ، هوطاً
دريعاً ، في وقت عادت الحرب ، على هذه الطبقات بثروات طائلة وبارماح سامية ومهائم هامة
ببها حشوت السواد العديد من الاسر وحشها بسعائن من الحزن الباري والاسى اللقتان . والفترة
الاولى من الحرب ، التي سيطرت فيها الروح الوطنية والاتحاد المقدس على كل فرعة وشعور
طليقي او عصري ، لم تلت ن عفتها رحمة عذمة من الحرب الطمعية ، ردتها حرارة وعلف ،
اربيع سنوات متصلة من التوس والسقاء . وقد وعت الطبقات الطمعية هذا الوقع المرير ، وبعت

لها احتمال هددى الثورة خوفاً عميقاً تبلور عن رغبة أو امية قوية تدك معالم الدولة الجديدة حيث خرجت الاشتراكية لأول مرة في التاريخ ، من دنيا الفكر أو التحيل الى دنيا الواقع لتحرير ، وقد تحطم اتحاد العالم الابيض ، ومنذ الآن لم يبق على الارض حياضيون يوحى ومعرفة او بغير وهي ومعرفة . وهكذا اصحت الثورة الروسية مثلاً للخوف والكراه عند هذا الفريق من الناس ، ومماط الامن المرحى لدى الفريق الآخر . وهما حيزان سيستقطبان الحكومات والاحزاب ومشاهير الافراد ، بين جذب ودفع ، وكر وفر .

والحرب لم تخلخل الانظمة الاجتماعية فعسب بسل صدمت في
 حطمة الليبرالية
 التصميم ، الانظمة الاقتصادية المعمول بها . فقد عزف الناس عن
 الاقتصادية والسياسة
 المادى التي ارتصتها الليبرالية الاقتصادية وقد ثبت بالدليل ان
 المناهج الاشتراكية التي توحىها الاوضاع القائمة ، هذه المناهج التي سبها الناس باعتبارها حياضية
 حاملة معها الدمار والحرب البلاد التي تعمل بها وتسير عليها ، هي الوحيدة التي تقيد وتؤمن
 خلاص الشعوب . ففي المجال السياسي بدا تفسخ الامبراطورية النمساوية المجرية وتحرير القوميات
 المستعبدة للنظام القيصرى والعثماني ، ونهزام الملكيات العسكرية « والروح العسكرية الألمانية »
 تدت وكأنها تنصار حاسم من لانتصارات الحرية . إلا ان « دكتاتورية الحرب » عرضت
 للعطش الانحدارات التي حققتها الليبرالية الديموقراطية في العصر الماضي ، كما ان الاذى الذي نزل
 « الليبرالية السياسية لحساب السلطة التنفيذية » ألف سابقة عظيمة كثيراً ما استوثقوا بها
 ووصفوها فيها بعد دواء شافياً وعلافاً مستطاداً لجميع اشكالات الاجتماعية . وكل بذور
 ادوسات والحركات التي ستطلع خلال السنوات الثلاثين التي تلت انتهاء الحرب ، في المجالات
 السياسية والاقتصادية تثبت ، جذورها العميقة خلال هذا العصر .

ومع ذلك ، فالحقبة التي امتدت من ١٩٢٠ الى ١٩٢٩ ، كانت « حقبة الاوهام » ، خيل
 فيها الناس ، الرجوع بيسر إلى الكمال لديهم والمرتمى عندهم ، أي إلى الوضع الذي كانت عليه الأمور
 من قبل . الا ان اسحاب الولايات المتحدة وصمم روسيا الأمي حلال دون رؤية التغييرات التي
 تعتمل بها النفوس وتنبأ عميقاً في الطبقات الاجتماعية ، منذ مطلع القرن ، فجماعت الحرب قهره
 وتجلوها وتطلقها من عقلا .

الفصل الرابع فشل محاولة إعادة الاستقرار الاقتصادي

« ظهرت أوروبا المصولان الاقتصادي والسياسي بعد
ان امتأرت ، برهة وجيزة ، بأسقية صاعية - حارة
خلقت ورائها (ويبدأ مستقراً في المكان » .
رنية دومون

تميزت الحقبة التي سبقت الحرب بقليل ، بتطور موصول في الاقتصاد العالمي بالرغم مما حاق
بها من أزمات عارة ، بينما كانت الحقبة التي أطالت عام ١٩٢٠ ، بعد ان توقف الازدهار ،
بصورة وحشية ، معاجلة ، حقبة ركود عام اختللت مدى واتساعاً ودقماً باحتلاف البلدان التي
تمرس بها ، ادمت أوروبا وخلخلتها في التصميم . وهذا الإنتاج الصناعي الذي قهرت به البلدان
الأوروبية الصناعية الست ، الكبري الذي تتراوح معدل تطوره السوري ، من ١٨٨٠ - ١٩١٣
بين ٤٠ - ٣٠ بالمائة ، هبط بحيث تراوح بين ١٠ و ١٠ بالمائة ، فقد صعب على أوروبا
ان تتخلص بيسر من التضخم المالي الذي غرقت في لججه ، وفوضى النقد التي تخطت فيها ،
وعصرت برغم من الجهود الصادقة التي بذلتها عن سعة ، عن ان تعيد الى اقتصادها ، ما كان
عليه من قمل من ربح ودفع وبطش ، ولم تستطع كذلك ان تتخذ يداً من الثورة الصناعية
الثانية التي وقعت اذ ذاك ، وان تكيف نفسها ولاحوال الجديدة للسوق التجارية ، وان تعيد
الى سابق عهدها ، تيارات التبادل التجاري التي كانت سبب ثرائها وفروتها . وعسكدا وفقت
حياتها عاجزة لا تدي ولا تبيد في وقف لمصير المحتوم والخط المقسوم .

١ - أزمة عام ١٩٢٠ واضطراب النقد

ازمة عام ١٩٢٠
اشتدت الحاجة كثيراً ، في اعقاب الحرب ، الى الخامات والمواد
لاولية والخامات الغذائية والملابس ، وذلك لاشاع الملايين من
الحياج واكساء الملايين من مسرحي الحرب ، واكد ، هذا الفريق الصنعم من الناس الذي منهم التقنين

الأسر ، من تجديد ملابسهم وتجديد محرومهم بعد ان استنفدوه ، واعادة بناء المصانع المتهدمة وتحجيرها ، و ربط ما تقطع من وسائل النقل وطرق المواصلات ، والتمويص عن الاساطيل التجارية التي غارت في أعوار البحار ، واستبدال المتواد المتهوك فابصاعة الاروروبية التي حملت للحرب تحولت فجأة الى صاعات تعمل لا يام السلم ، وكلمة السلم عندها الانتاج بكثرة وازدياد تلبية لمطالب الآلية الممنعة ، مستعينة ، في هذا المضمار ، بالدول التي ليس لها المصالح اللازمة . فكان على البائين والولايات المتحدة ، وكندا والبرازيل والأرجنتين ، ان تليي ليس فقط حوادث البلدان التي اعتادت ان تعتمد منها خلال الحرب ، بل أيضاً ألمانيا ودول أوروبا الوسطى التي حال الحصار البحري المفروض عليها هويلاً ، دون تمويلها ، لتتعد معها الآب مفتقرة الى كل شيء . والاسعار التي سجلت ارتفاعاً موصولاً خلال الحرب لامتداد الطلب والتي هبطت بفضل توقف دولاب الحرب ، حدثت ترتفع من جديد بسرعة اعصر تنفق والمخاضات التي لا حد لها ولا حصر . فقد تضاعفت الاسعار اربع مرات فيما يتعلق بالدول والحبوب وراحت ثلاث اضعاف اسعار الحرير ، كما ان اسعار القطن ارتفعت هي الاخرى ٥٠ بالمئة . وهكذا شطت حركة الاستيراد في أوروبا ، بينما بقيت حركة التصدير فيما مندمسة للغاية وبذلك طرأ عجز واضح على ميزان المدفوعات ، في الوقت الذي راحت فيه بريطانيا العظمى والولايات المتحدة تبيعان ، فجأة ، اتفاق التضامن والتسكاهل ، المعقود بين مائية الدول الحليفة ، فامتعتا عن تسهيل عمليات التسليف التي أفاحت ، الى ذلك الحين ، قائمين المعادلة بين الدولار والعملات الاخرى . فالاعتادات الخاصة ، والسلفات التي قدمتها المصارف لتعزير المبيعات وتنشيطها في أوروبا كانت اصغر من ان تعوض عن هذه القطيعة ، مما ادى الى نشوب أزمة حادة لا ترحم اصابت جميع البلدان على السواء .

ان انهيار العملات لاجسية - هارتفع اسولار في سنة واحدة من ١٦ الى ١٧ هوسكا ، ومن ٨ الى ٢٨ ليرة ايطالية ، ومن ٨ الى ١٠٠ مارك ألماني ، كما ان القيرة السترلية هبطت ٢٧ بالمئة من قيمتها - دى الى هبوط ملحوظ في الطلب ، اذ فقدت أوروبا كل قدرة او وسيلة للشراء ، وانخفض من جراء ذلك استيراد الحبوب الى النصف ، حادراً وراءه هبوط القطن والسكر والنحاس والقصدير والحرصان (الزك) والحرير الياباني . وهذا الهبوط ادى بدوره الى هبوط كبير في اسعار الشحن ، والى هرقلة حركة بناء السفن والصناعات الحديدية . كذلك هبط انتاج الصلب في انكلترا الى اقل من نصف إنتاجه ، واحتاج الولايات المتحدة والربح ، كما امتدت لارحة الى الصناعات الميكانيكية وصناعة النسيج ومناسم المعجم والشرول والسما . وجاء هبوط الاحور قاسياً فتكاثرت حوادث البطالة والتوقف عن العمل ، وانكمشت المصارف عن السديف ، ووقع هذه كسير منها في القوصى والندلة ، كما هبطت اسعار الاسهم الى الخصيل . الا ان الامور اخذت بالانتماش قليلاً في سنة ١٩٢٢ بعد ان خلفت لازمة وراءها آثاراً مقيتات ، لا سيما في أوروبا ، حيث ادى التضخم المالي الى قوصى نقدية ذريعة .

هذه الصعابينة وهذا الاستقرار اللذان استتمت بهما الصاعدة
التضخم الذي والعوضي التقدم والتجارة ، في أوروبا ، خلال القرن التاسع عشر ، حل محلها

عدم استقرار في النقد والعملات بدل كثير من المعادلات اربعه وعشر من الاعراف معمول بها
وردد من صعوبة بعض الاقتصاد قيم . فكنسنا وحدها تذل جهوداً جسارة لتؤمن استقرار
تقدمها حتى ان فكنت ، بفضل كسار رجال المال الذين يلقون الى جانب لاكثرية الحكمة فيها
من اعادة التعامل بين الحبيب والدولار ، وقد بذلت عام ١٩١٩ جهوداً قوية لاستهلاك دينها وتأمين
تعداد مير بيتها والاعتناج عن كل تضخم في النقد . فالجنبة التي هبطت قيمتها بحيث اصبحت
تساوي ٣٢٢٠ دولارات ، عام ١٩٢٠ ، اخذت تساوي ، عام ١٩٢٣ ، ١٢٧٠ دولارات ، وفي سنة
١٩٢٥ مكنتها تأمين التعامل مع الذهب وهكذا اصبح في مكانة الحبيب ، ان تنظر الى الدولار
بأسان عينه ، ، وبذلك استعادت لندن مركزها واصبحت بالناس كسر سوق ماليه في العالم .
وعصرت الدول الأوروبية الأخرى عن ان تعيد تقدم الى مستوى الذي كان عليه قبل
الحرب . فقد كان عليها ان تتسبه وان تتغلب على النتائج التي افضى اليها تضخم النقد . وشنت
لارعة ، على الاخص ، في بلدان أوروبا الوسطى . فقد شهدت ألمانيا ، وهي هاجرة ، حرب
رؤوس الاموال بعد ان آثر الحكم فيها الى الاشتراكيين واستيراد مقادير هائلة من وراء البحار ،
وتخلخل سواقها الداخلية ، من جراء فقدانها بعض المظلمات واحتلال الحلفاء للنقص الآخر
فتسحرج المارك داوياً الى الحضيض . عالقة التي كان يتمتع بها فقدها تماماً والمصريون الاحاب
الذين اقبلوا على شرائه عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ ، خدروا يسعون ، هذه الهبوط حاداً ، بحيث
ستحال تتبع خط سير المخازن . فبعد ان كان معدل المارك لذهب الشهري يساوي ١٥٢٦٩
مارك وري ، في كانون الثاني ١٩٢٢ ، ادا به ، يهبط الى ٤٣٨٢ مارك في كانون الاول ١٩٢٣ ،
ويهبط من ٦ مليارات في تشرين الاول الى ٥٢٢ مليار مارك في تشرين الثاني ، والى ١٠٠٠
مليار في كانون الاول . اما الاسعار فكانت ، ترتفع وتقفز صعوداً بين ساعة وحري ، وبحارن
لا تسمر سلمها الا على اساس الدولار والمرك او مارك الذهب . وقد امكن انقاذ الارعة
في خريف ١٩٢٤ ، بإنشاء مارك راينخ .

وراحت الدول في وسط أوروبا وشرقيها ، تعمل هي الأخرى ، على اصلاح تقدمها ، في
الدول البلطيق ، عام ١ٹ٢١ و ١٩٢٢ ، وفي النمسا حيث ثبت الكرون عام ١٩٢٢
و سبتدل بالشل عام ١٩٢٤ ، وفي بولونيا حيث لم تلت الا ٨٠٠ مليون مارك ورق التي كانت
في التندول ، عام ١٩١٨ ، يدون قفصية ذهب ، فأصبحت ١٧٨٠٠٠٠ ميسار عام ١٩٣٤ .
وهذا التساريع ، رل الى التمدادول الزلوطي الذي 'محق على ساس الميرك لذهب ، وكان
يستبدل بمعدل زلوطي واحد مقابل ١٨٠٠٠٠٠ مارك ورق . ثم جاء دور هماريا التي وصحت
في التمدادول الممر ، ثم درر تشيكوسلواكيا عام ١٩٢٥ . ام ايطاليا التي كانت عارقة في الدين ،
قد خاضتها معركة حادة بمصل سياسة حارمة في تخصيص حجم النقد لمتداول وبمعدل قرض
احدته من الولايات المتحدة الاميركية قيمته ١٠٠ مليون دولار استطاعت معه تسجيل فور اللير

الايصالية عام ١٩٢٦ .

وكانت فرنسا آخر الدول الكبرى التي تمتت بقدها المتضعض بعد ان ثالت عليه تقلصات لم يستطع الاستقرار معها على حال . ففقط النظر عن فقدان المرسك الفرنسي $\frac{1}{3}$ قدرته الشرائية خلال الحرب ، فالعزل في استمراره في التداول يعود لمساندة العملات الجديدة الاخرى له . وبلاعتقاد سان دالبوش ، هم على استعداد لدفع التمويلات ، فقد راحت فرنسا تمول عملية إعادة تعمير المقاطعات الفرنسية التي ماتت عليها الحرب بكلها ، عن طريق تصخم النقد وعن طريق قروض اوصلت لدين العمومي فيها الى ٢٩٤ مليار فرنك عام ١٩٢١ ، مقابل ٣٢ مليار ، عام ١٩١٤ . ان استمرار المعجر في الموارد ، واحتلال مقاصد الروهر ، ساعدت كثيراً لمصاربت على المصوح ، بما ادى الى ارتفاع سعر الدولار بحيث اخذ يساري ٢٠ فرنكاً عام ١٩٢٣ ، واليرة لاكبيرة ٨٥ فرنكاً . وعندما وصل الى الفرنك الفرنسي عام ١٩٢٤ ، اكثرية نيابة لوحات بعض ضربة على اصحاب رؤوس الاموال ، احدث ذلك موجة من الدعم قهرت رؤوس الاموال الى الخارج ، وأقبل الناس على شراء النقد الاسفي ، كما ان الاقبال على قصص السندات على الحكومة وسدت الاعيان الوطني ، تحور بكثير المدفوعات . وقامت مضاربة بيع مكشوف للفرنك كانت من شأن ان جعلت الجنيه الامكليزي تساوي عام ١٩٢٦ نحواً من ٢٤٠ فرنكاً ، والدولار ٤٩,٣٢ . واستقالت وزارة هريو من الحكم عند تهديد مصرف فرنسا بوقف مدفوعاته ، ناركاً منه تشكيل الحكومة ادوارد كارويه الذي قلب بوضع رأساً على عقب ، فاعاد الجنيه الى ١٢٦ فرنكاً والدولار الى ٢٥,٥٢ فرنكاً . وفي حزيران ١٩٢٨ كان فرنك فرانكاريه ثابتاً منذ ١٨ شهراً ، كما كان خمس مرات ادنى من المستوى الذي كانت عليه في شهر جرمينال ايام الثورة الفرنسية .

سبب التضخم المالي حركة واسعة بين اصحاب رؤوس الاموال
التصميم المالي
مخشياً عن ملهاً لها قاري الى تكون معه بعيدة عن التفتيش
ونشاته استموة
مالي ، كما تكون يعزل عن القلق وعدم الاستقرار . فقد اوجد
عند اصحاب رؤوس الاموال وعياً راحوا يبحثون عن قيم عينية (صور - تحف فنية)
وصانك من الذهب وعملات قوية ، و الى ابداع امولهم دولاً وبلداناً حيث تصح عزون عن
كل خضة او رحة كسويسرا مثلاً . وهذا المظمن في العملات تستسلم له رؤوس الاموال ، لم
يلت ان مصعب السوق المالية ، وكثيراً ما سجل دون تأمين الاستثمارات الوعنية .

وأدى التضخم المالي ، من جهة اخرى ، الى إشباع الفوضى في توزيع الثروات وذلك
بتعميق القرائب الناجمة عن قروض الدولة خاصة ، حق ولو أدى ذلك الى لفها لا سيما
الدورب الزراعية التي يعدها المزارعون برهن . وقد تمسب هذا الوضع عن افلاس الدائنين
وأصحاب الدخل وأصحاب الاطيان وكبار الملاكين والتمتع الذين عجزوا عن تحديد مخزونهم ،
واصحاب الاجور الذين لم تكن مرتباتهم تزداد وترفع نسبة ارتفاع اسعار الحاجيات . فقد

فقدوا جانباً كبيراً من القدرة على الشراء . وهكذا نرى كيف ان التضخم الذي ادى الى هبوط محسوس في مستوى عيش اصحاب الاحور ، كما ادى الى هبوط عدد كبير بين الطبقات الوسطى الى مستوى العزلة يتارياً ينسحب ساعد اصحاب رؤوس الاموال على استثمار ثروتهم ، والمصدرون على النهوض بحركة التصدير ، لا سيما في هذه المشروعات الاقتصادية الكبرى بعد ان ساعد كثيراً على تركيزها وعقلنتها .

واخيراً وليس آخراً ، فالظروف التي نمت فيها شروط تثبيت النقد أمنت للمعاملات القومية سيطرة نقدية حقيقية تحلّت نتائجها فيما بعد . فقد نالت انكلترا في مؤتمر جنوى ، عام ١٩٢٢ ثني الذهب قاعدة للعملة الاحتية ، بحيث يمكن للنقد الثابت ان يقوم مقام الذهب في المعاملات وان تؤلف تمعية نقدية احتياطية . وهكذا يستخدم عمرون الذهب ليس فقط تأميناً لنقد البلدين بل ان الدولة التي تسيدها على اساس الدولار او الجنيه الامترياني تحدد نفسها مشدودة الى هاتين الدولتين ، وتبقى شاة أم آيت ، مرتبطة بالبدان الانكلاوسكونية .

٢ - اردهار الدول الواقعة عبر البحار

ان المصاهب التي عانت منها اوربا وتضرست بها يجب رد بعضها الى التغييرات التي وقعت خلال الحرب في التوزيع الجغرافي للمعاصيل الطبيعية ، والنقص الآخر في هذه النجاحات التي حققتها بعض الدول الواقعة عبر البحار بعد ان تمكنت من اشاء صناعة ضخمة قوية في ارضها ، وتوسيع التصامع التي كانت قائمة فيها من قبل ، وبذلك اوصدت في وجه اوربا امواقها الخاصة ، واحدت تنافسها في الاسواق التي كانت اوروبس تعتمد عليها حتى لأمس القابر .

الولايات المتحدة الاميركية كانت الحرب امام الولايات المتحدة ، فرصة ذهبية للافراء ولتحقيق ثروات فلكية . فقد كانت هذه البلاد الاهراء التي أمدت الحلفاء ، خلال الحرب ، بما يحتاجون اليه كما اخذت قد كل الدول التي حاصت عمار الحرب فيما بعد ، على السواء . فقد وجدت الدول الأوروبية فيها بديلاً للمستوجات التي توقفت عن إنتاجها ، كما راحت اميركا توسع إنتاجها للمواد الغذائية والمصنوعات الاخرى قليلة للطلب الذي اشتد عليها . والفائض الذي أدى اليه ميزتها التجاري جلب لها من رؤوس الاموال ما أتاح لها تسديد جانب كبير من الديون المترتبة عليها ، كما مكنتها من ان تصنع دائنة بدورها . فقد قرضت اوروب ٣٠٠٠ مليار فردك ، عام ١٩١٩ ، وحلّت محل الدائنين الاوروبيين في تمويل بلدان اميركا الجنوبية . وحلت الأزمة التي اشتدت وطأتها عام ١٩٣٠-١٩٢٢ ، معها البطالة والافلاس العديدة كما سببت انكساراً خافاً في النقد . الا ان الوضع لم يلبث ان عاد طبيعياً ، بعد لأي قصير . والانتاج الذي جاءت تعضده حافة جبركية شديدة ، ازداد بصورة

عريضة - ففي سنة ١٩٢٣ ، تستثمر الزراعة في اميركا ١٦ مليون هكتار اكثر مما كانت تستثمره عام ١٩١٤ ، وزاد مردود الأرض ٢٥ ٪. بعض التحسينات التقنية التي أدخلت على منهج الزراعة وسجلت الصناعة من ناحية ، تطوراً واسعاً وضخم - هلدليل الاسبوع ارتفع من ٧٣ في المئة ، ٥ ١٩٢٢ الى ١١٠ ، عام ١٩٢٩ ، وذلك بفضل زيادة الطاقة المحركة وبفضل المكينة التي أحدثت تحول عمل اليد العاملة . وارتفاع انتاج الصلب من ٣١ مليون طن عام ١٩١٥ الى ٤٢ مليون طن ، عام ١٩٢٩ ، وارتفاع الفولاذ هو أيضاً من ٣٢ مليون طن الى ٥٤ مليون ، والاسطول التجاري العامل في عرض البحار ارتفع ، بفضل مؤازرة مشروعات بناء السفن ، من مليون طن ، عام ١٩١٣ الى ١١ مليون طن عام ١٩٢٩ . فليس من عجب بعد هذا ان تفرق البضائع الأميركية ، والحالة هذه ، اسواق العالم وتطرد الأوروبيين من الاسواق التي كانت ينالونها . ففي كل مكان تقدم تجارتهم على التجارة الانكليزية في كل مقاطعات الدومينيون البريطاني وفي قطر اميركا اللاتينية ، وبلدان الشرق الأقصى وندونيسيا بينما تعمل الرسوم الجمركية الجديدة المعروضة ، على اعتماد كل منافسة في الاسواق الداخلية . كل هذه الصادرات لا تقبل سوى حساب ضئيل من الانتاج الأميركي الضخم الذي يستهلك معظمه في لولايات المتحدة نفسها . ثم ما من جراه ذلك ان تبرز بعيداً الارواح المحدودة التي تجسبها اوروبا حيث كلفة الانتاج باهظة .

واصبحت الولايات المتحدة « مع انكازا » مركزاً لمصارف العالم . فقد بلغ ميزان دفن حسابها مطلقاً تجاوز ٧٠٠ مليون دولار ، تخصص جزء كبير منه في انشاء استثمارات جديدة في الخارج . فحينئذ تكون المصارف في اميركا تعسدت عام ١٩١٣ سوى ١٢ فرعاً في الخارج ، فقد ارتفع عدد هذه الفروع ، الى ٢٣٨ فرعاً عام ١٩٣٠ ، موردة على ٣٨ بلداً مختلفاً . ونافذ من ٣ مليارات دولار ونصف استطاعت اميركا ان تنشئ لها فرعاً وان تشتري لها اسهماً في معظم الشركات الكبرى في الخارج ، وان تشارك في شركات قومية ، وقرضت اكثر من ٥ مليارات دولار لحكومات مختلفة ولعص المدن الكبرى .

وبعد وعلى شاكله الولايات المتحدة الأميركية وخرارها ، فتحت الحرب في اوروبا ، امام اليابان ، امكانات ربح ، لا يمكن تصورها ، سواء اقتضت في طلبات للاسلحة او للوقود المعدنية ، من اي جنس كانت ، جاءت من حلفائها او من الدول المحايدة لاسيما من بلدان الشرق الأقصى . وقد عرفت صناعتها كما عرفت اسطولها كيف يفيدون ، في غياب منافسيها من الأوروبيين ومحققان تطورات جديدة . فقد ارتفع انتاجها الصناعي ٧٨ في المئة وقصاف انتاجها من الفولاذ ، كما زاد انتاجها من اعيد ثلاثة اضعاف . وصناعة القطن فيها إدرات اربيع ، كما تضاعف حجم اسطولها التجاري العامل على البحار ، وازداد اسواق الشحن ارتفع من ٤٨ مليون طن ، عام ١٩١٣ الى ٣٨٢ مليون طن ، عام ١٩١٩ . وانسحبت اليابانية وجدت لها موطئ قدم في هذه الاقطار الواقعة الى الجنوب الشرقي من

آسيا وفي أوقياناسيا . ولأول مرة في تاريخها المعاصر أصبح الميزان التجاري في اليابان موحساً بعد أن كان سلبياً . ولأول مرة في التاريخ تم نشر اليابان بأي عصر مالي في تسديد مدهوعاتها في الخارج . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد تلحت لها مبيعاتها بغير امكافات وسعة في سواق لندن ونيويورك . وقد كانت اليابان لا تشتر بالارمسة القصيرة التي ظهرت عام ١٩٢٠-١٩٢٣ ، اذ بقيت معظم الصناعات التي رأت النور عندها ، خلال الحرب ، ناشطة لمعدل بله طاقتها . والهرة الارضية التي دكت معالم طوكيو ووكوهاما ، عام ١٩٢٣ ، وأودت بحياة ١٠٠،٠٠٠ صمحية ، تسبت في هبوط اللين وأوهنت لوضع المالي في البلاد حتى سنة ١٩٢٦-١٩٢٧ ، إلا أنها لم تحمل دون تقوته ولا دون توسيع في التطورات التي حققتها من قبل . وقد اراد ثلاثة اضعاف عدد اموال الحياكة فيها بين ١٩١٣-١٩٢٩ ، ومثل تصدير المنسوجات القطنية فيها نصف ما كانت تصدره من قبل . واصبحت الهند اشد ثرية الأولى لهذه المنسوجات كما اصحت الولايات المتحدة الاميركية اكبر سوق للحرير اليابانية التي مثلت ٣٦ في المئة من صادرات هذه المولة . والصناعات الهندسية والكيميائية فيها ، سجلت ارددهاراً عظيماً كما يشهد على ذلك ارتفاع استيراد المعادن غير الحديدية والمواد الاستهلاكية . أما المواد نصف المشحولة او نصف جاهزة التي عرفت صناعة اليابان الاحتفاظ بحق إكالتها ، فقد بلغت ٥٠ في المئة من وارداتها بعد أن كانت ٢٥ في المئة عام ١٩١٠ .

ان وفرة اليد العاملة ورخصها وتنظيم صناعة عية في المركزية والتجهيز التقني والملي ، واردة التجارة ، كل هذه العوامل جعلت من اليابان منافساً يحسب له حساباً في كل من أوروبا وأميركا ، لا سيما في الشرق الأقصى .

تصنيع البلدان الجديدة
تصنيع البلدان الجديدة
في المقام ، بعد الحرب ، يجب رهاها لاسباب قريبة في طبيعتها من الاسباب التي أدت إلى بحث ارددهار في اليابان والولايات المتحدة . فقد كثرت الإيراديل من الاستثمارات الصناعية ، وطورت بعيداً امتدادها من الفحم ومن الطاقة الكهربائية المائية ، ومصانع احباطك والسيج (٣٠٠ مصنع ضمت معاً أكثر من ٢,٥٠٠,٠٠٠ بول ، عام ١٩٢٩) مما ساعد هذه البلاد على التصدير . والارحش ، التي كانت تمتلك ، حتى ذلك الحين ، صناعة ناشطة تدعمها على التصدير ، كما تمتلك صناعة صغيرة قادرة على مد حاجات الاسواق المحلية من البضائع المستهلكة - مصانع حربية ، وغيرها من المشروعات الصناعية الصغيرة التي يملكها الاحباب . انشأت مصانع صنعه سلاحية والحدوات و الجيش المستعمل في صنع الاكيس اللازمة لشحن الحبوب . كذلك احدثت تصدير انتاجها من الكربون ، وهي حركة اقتصادية ستمرت في نشاطها بالرغم مما حدثت منه قلية من اصحاب الاملاك الصمخمة نمسك سياسة حرية التجارة ووزعت إلى اسكتلرا

وقد كانت الحرب ، عتاً على النشاط الاقتصادي في الدوليسونات البريطانية ، التي همها منذ

ومن بعيد ، ان تراعي مستعمل صناعاتها الماشنة وثأخذ بيدها برقي ، كما منها على الأخص تأمين : « مضجها الاقتصادي » . وقد اعتضت كندا عن خاماتها بإنتاج مواد مشغولة كالدهيق وورق الورق ، والخشب المنشور والمعادن وغير ذلك من الأصناف الجاهزة الصنع . واصبح ميراثا التجاري إيجابياً كما ساعدها على تسديد حساب من دينها الخارجي وساعدها ، في الوقت ذاته ، على تصنيع السلاسل ومكننتها . مع الاتحاد الجنوبي أفريقي ، قم بتحقيق مثل هذه الاتجار الباهرة ، إلا ان اقتصاده القائم على قسرة جبركية عالية ، لم يعد يعتمد كلياً ، على استخراج الخامات الثمينة (الذهب والاساس) وعلى تصدير الأصواف والحلوة . فقد تنوع هذا الاقتصاد وتوّن ، وقطعت قيمة الانتاج الصناعي بين ١٩١٣ - ١٩٢٤ ، ووجد قسماً كبيراً من استهلاكه الداخلي في أسواقه المحلية . أما أستراليا ونيوزلندا الجديدة ، فقد كان لعددها عن باقي اطراف العالم ، وعدم توفر اسباب للنقل لديها ، ما ألف حائلاً دون تصدير انتاجها الضخم من لحوم الغنم والبقر ، ومن الصوف والقمح ، وهذا الانتاج الذي استجرحه اسكتلندا لنفسها عام ١٩١٥ - ١٩١٦ . وقد امتثلت دور صناعة لبناء السفن في مدطمة هل الجنوبية ، كما شئت فيها اهران صهر ضخمة لمصانها . وقد رأى جانب كبير من هذه الصناعة النور خلال الحرب ، حرصت الدولة على الاحتفاظ به وسيجت حوله بمرض رسوم وتعميمات جبركية ، هاية بحيث مثلت الضائع المصنوعة محلياً ، عام ١٩٢٩ ، ثلث الانتاج العام في البلاد .

وفي آسيا ، استطاعت الصين ، بالرغم مما ابتليت به من حروب اهلية مرزحة ان تزيد خسة اضعاف طاقتها على انتاج صناعاتها القطعية . أما الهند ، فقد كانت الدولة التي حققت اكبر الانجازات في هذا المجال . فصناعة الحياكة واستخراج لمعادن وقاشيشها التي كانت لا تزال بعد في لحد ، قبل عام ١٩١٤ ، سجلت تطوراً عظيماً منذ ذلك الحين . وتوفيرا لنفقات الشعب الباهظة ، وقامتاً لتسوين جبهات القتال في الشرق وفي العراق ، وعموداً في وجه خزو اليابان للأسواق الهندية ، امتثلت في الهند صناعات جديدة جاءت التعرف الجبركية ، تدعها وتسيج حولها (٣٣ بلنة) معدل ارسوم على المصنوعات الحديدية ، عام ١٩٢٤) . وقد بقي جانب من هذه الصناعات على مشاطة بعد الحرب ، لا سيما بعد الاعتراف باستقلال الهند الجبركي ، هذا الاستقلال الذي وضع حداً للاحتياز الذي تمتت به المنسوجات القطعية في مقاطعة لانكشير . وقد زد عدد منازل النسيج في الهند ، بين ١٩٢٠ - ١٩٢٩ ، أكثر من ٣٣ بالمئة ، بينما عطل معدل استيراد المنسوجات القطعية في اسكتلندا ، الى النصف .

٣ - الثورة الصناعية الثانية والتطور الاقتصادي

سعدت الحرب على تطوير التقنيات التي تم اكتشافها قبل عام ١٩١٤ كما وسعت كثيراً من نطاق تطبيقها العملي . وقد أطلت تقنيات وكشوف جديدة بعد الحرب مكنت من تحقيق

منتوجات وادّت الى وضع طرائق ومناهج جديدة ساعدت على الانتاج على دبر هائلة . فكانت الولايات المتحدة الاميركية اكثر الدول التي افسادت من هذه الكشوف الجديدة مما ساهم في تمجيد الانحطاط الاقتصادي في اوروبا

احدث انتشار هذه التقنيات وتطبيقها على نطاق واسع ثورة هائلة في الكبرياء وعمرها
الاحترق الداعبل
يمكن مقارنتها ، من هذه الناحية ، بالثورة التي اطلقها اختراع البعير في القرن التاسع عشر ، بدلت تماماً من مقومات لاقتصاد ومن طاقة الانتاج . ان استخدام مساقط المياه الوطنية المنتظمة ، بالإضافة الى المساقط العادية والمتوسطة راد من الطاقة للكهربائية المولدة كما اردت من جهة اخرى ، التقدم الذي حصل من جراء ربط المصانع الواقعة في المرافئ و القنطرة على مقربة من مصانع الفحم او للبنيت (صرب من الفحم الحجري) ارفاعة بالقرب من مساقط المياه الوحيد بالآخر بحيث امكن اجراء تخفيض في نفقات الانتاج وتكثيف اتم للانتاج وفقاً للبحاثات المعرصة والاعطال المتزايد . ففي مقدور الكهرباء ، في وقتها هذا ، ان تهاجم الفحم الحجري بتجراح كقوة محرّكة صالحة لكن للصناعات كما في مقدورها تحقيق مكسب صغر المزارع وأبعدتها عن المجتمعات .

وعليه المكنة هذه اولت المحرك الكهربائي شاهداً حاسماً لموسائل الانتاج الجديدة ولا سيما لاستعمال حزام النقل ، اي للعمل لمسلسل ، مسنده الطريقة التي كان دور اول من استعمالها وبعث اليها في معامل صنع السيارات التابعة له ، فس عام ١٩١٤ ، وهي طريقة أدنى اقتناسها بالتالي ، الى الانتاج بالجملة وال تخفيض كلفة الانتاج ، كما سهلت تقييم عدد كبير من المنتوجات ولا سيما قطع العيار ، وهي طريقة كانت من بعض نتائج التقليل من العمل اليدوي وقصره على بعض وجوه الاصلاح والصيانة .

والمحرك ذو الاحتراق الداخلي الذي يعمل على البنزين ، انتقص من شأن الفحم اكثر مما انتقصت منه الكهرباء . فقد سهل عملية توزيع حديدية للصناعة ، كما اوجد امام المناطق التي لم يدخلها التمنيع بعد ، فرصة فصل لاقتسام العمل وتوزيعه ، اذ انه يساعد على نقل اليد العاملة ونقل البضائع والسلع ، كما يساعد على تشييد المصانع بالقرب من المجتمعات السكانية ، المستهلكة كثر من تخفيف الضغط على هذه المجتمعات . فاستبداد الحصان بالشاحنة امكن تحقيق وهو في مساحة ارض التي كانت تزرع علماً من قبل بلماشية ، كما انه اقتصد بالوقت معه من اليد العاملة . والطيران الذي ساعد على تحقيق تطور مدعش ، اوجد ، هو الآخر ، صناعة يمكن ان تقارن ، من بعض الوجوه ، بصناعة السيارات .

وهكذا ساعدت الكهرباء و المكنة على تظلم الانتاج العلمي وتقييده على اصول تقنية ، كما رادت من طاقة الانتاج سواء في المجال الصناعي وفي مجال التوريد .

فدخلت الاسواق مصوغات جديدة وطرق تقنية جديدة في صنعها وذلك بفضل التطورات التقنية التي ادخلت على الصناعات الاستخراجية وتأسيسها وعلى الصناعات الكيماوية ، كالاخلاق

غير الحديدية والفولاذ الذي يصدأ والألومنيوم المشعول بكلمة منخفضة في الفهرس الكهربائي الذي حل محل الفولاذ ، ومعادن أخرى شملت عنصراً من عناصر الخط ودرج ، واستعمال اللحام الذاتي ، ومضاعفة طاقة الامران ، وادرائن الصب العالية واختراع حثائر السحب المتتابع ، واكتشاف افراخ من السمنت الخاص ، واختراع الوف شكل المصنوعات الكيماوية والتأليفية (بواسطة الآروت والمكربنات) ، وتحسن طرق تقطير البترول وتصلبته الذي أصبح كالمصم ، مصدراً لخاصين ومتنوعات هرجية ، والمنسوجات الصناعية كالريون الذي عرفت صناعته ازدهاراً كبيراً والدلائل الصناعية ، وغير ذلك كل هذه الاختراعات ساعدت على حدوث سلسلة في مرتب الحامات الكلاسيكية ، وفي توزيع مراكز الافتتاح المعروفة قبل الحرب وحدثت فيها تغييراً عظيماً . كل هذا جعل من المستحيل الرجوع الى الوضع الذي ساد من قبل

التحولات الاقتصادية
خلال هذه المعروفة بنشاطها العام كالولايات المتحدة واليابان مثلاً ، هي التي عرفت ان تستفيد ، قبل غيرها من هذا الوضع . ولما كانت هذه الوسائل والذرائع الفنية الجديدة يفرضي لها رؤوس اموال ضخمة كما تتطلب تأمين خدمات متنوعة بعضها من اموال التدرة ، فقد رأت معظم الدول ألا تقتبس منها سوى تلك التي تأتي بدئمة مباشرة محسوسة كنوغيرها المحرقات مثلاً ، كانتج للقطعة الكهربائية ، والنقل بالسيارات ، والسفن التي تدار بالمحركات ، وسفن الصاريج ، وكذلك صناعة المطاط والمصنوعات الكيماوية . اما في القطاعات الأخرى ، فقد سالت أهمية رؤوس الأموال الضرورية لاستيرد الأجهزة وأصدت الفنية ، وودعة التمديدات المبركة التي تحتفي ورامها الصناعة التقليدية حراً منها على امواقها الداخلية ، دون اقتناس هذه لاعتدة على نطاق واسع . وهكذا فأساليب تنظيم العمل التي اقترحوا وضعها موضع التنفيذ ولاقبال عليها كل من قبل وفوردد قبل الحرب ، وتقبيس الانتاج ، لم يربها على غير نظام واستواء ، وبعد تأخر ملحوظ في الدول الصناعية الكبرى ، بعد ان دخلت تعديلات هامة على لاوزاح الحقيقة بالاقتصاد ، وذلك بتعجيل المشروعات وتركيزها في محاور او مراكز معينة .

بين القابضة والتعبد
أطاحت الإدارة العلمية أي الاخذ بمبدأ التقيد و الانتقال من طور الصناعة التجريبية الى الاختيارية الى طور الصناعة العلمية ، فتم بهذا ادخسان أساليب تنظيم العمل التي قال ب وعلم فريدريك وسمو تيلور ، على مشاريع الاستشارات ، بعد أن جرى تحسينها بإدخال طريقة التنظيم العلمي التي اقترح الاحد بها بيسدو والتي أمتت ، في وقت واحد ، وقرأ في الحامات والجهد البشري ، وتحسيناً في مودود الانتاج ، وفي الكلفة العامة والانتاج بالجملة والتقيد . ومبدأ التقيد هذا سحل قديماً ملحوظاً على بسد اللجنة المعروفة بلجنة هوهر بعد ان عهد إليها النظر في امور الحد والتلف في الصناعة ، في كل قطاع من قطاعات الاختصاص الصناعي ، فقامرت الانتاج على عدد مجدد

من الناجح والعبث . فشكن القياسي مثلاً حمل من ٢١٠ - الى ٤ ، والصوف من ٦٦ الى ٤ ،
وعجلات الهواء من ٢٨٧ الى ٣٢ . وهكذا بين ١٩٢٥ - ١٩٢٩ ، ردت الطاقة الإنتاجية في
الولايات المتحدة الأمير كيسة ٣١ بالمئة في صناعة السيارات ، ٣٥ بالمئة في صناعة التمديد ،
و ٢٨ بالمئة في صناعة مسوحات القطنية ، بينما انخفضت كلفة اليد العاملة بمعدل ٢٥ بالمئة في كل
قطاعات النشاطات الصناعية . وعملية التنظيم العلمي في لانتاج تحققت كذلك ، على نطاق واسع
في ألمانيا ، تحت إشراف الدولة وموارثها عام ١٩٢٥ ، عندما راحت تشكل لجنة خاصة عهدت
اليها مهمة توحيد النماذج وعينات الاجهزة الآلية وتوزيع لادارة الى قطاعات صناعية ، ودرس
الشروط وصراف العمل لاداري والعلمي في مشاريع الاستشارات . وعلى هذه المادى ، جرى
دمج عدد من الاستشارات وإقراغها بعضاً ببعض ، كما حوت تصفية عدد آخر منها ، وبذلك
امكن تحقيق وفور كبير في البلد العاملة ١/٢ في سوس لرورر العممي . وارتفعت الطاقة
الإنتاجية في اناب عام ١٩٣٨ الى ٤٠ بالمئة بالرغم من فقدانها مناطق الصناعية الواقعة في السار
وسيلزيا العليا . اما في فرنسا ، فالتنظيم العلمي للانتاج على النمط الأميركي ، دخل قطاعات
صناعة السيارات على الاخص ، والصناعات الحديدية الاخرى ، وذلك عندما راج اندريه
سيغرون يدخل في ، عصاب الحرب رأساً ، تمديدات هامة جداً على معامل في حافيل ،
ويتبنى طريقة السلسة في تركيب سياراته الممدة للطنقة الوسعى من الناس ، وباستثناء هذا المجال ،
لم تر شيئاً يدخن ، من قريب و بعيد ، قطاعات الصناعة الفرنسية الاخرى ، كما حدث في
الصناعة الألمانية والأميركية في مجال الصناعات الحديدية . فالتنظيم العلمي للانتاج ، اما يقتصر على تنظيم
المعمل ، ودخال التخصص الى اقسام المصانع والاكثر من لجان البحث العلمي والتخطيط
والاتفاقات الخاصة بالسيارات وغير ذلك . فالمنشور الفني في الصناعة الفرنسية بقي على الاجمال
متدنياً للغاية .

في مجموعة البلدان الصناعية الكبرى التي اتبنت على ، كرهاها والتي كان بالامكان الاستشهاد
معيها بالسويد وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا ، معامل باصا ، ثم ظهر اسم بريطانيا العظمى حيث
الروح الفردية الابوية والخوف من تمديد مشكلة البطالة عيب أخطر ، الى عام ١٩٣٨ مشروع
عصرية عتاد مصانع الانتاج وتنظيمه العلمي فيها .

وهكذا يصح التأكيد ان الإقبال على المصيرنة والتنظيم العلمي للانتاج كان ضعيفاً على الاجمال ،
في أوروبا ، اذ ان صف الاسواق الداخلية فيها وضمف حاققتها على الاستيعاب حالت دور
اقبال دولهم عن تجهيز صناعتها بعدة واجهزة انتاجية ضخمة بصعب استيعابها ويحول دون
تشغيلها كاملاً ، كما ان لاتفاقات لمؤودة بين المتسعين للعد من المنافسة صانت من القلاس
محم المصانع الهامشية السيئة التجهيز .

تحت ضعف الاسواق وضعف التسويق، رباب الاستثمارات
 الاتفاقات الوطنية والدولية الكبرى المتنافسين، على الوصول الى اتفاقات فيما بينهم بدلاً
 من الاستمرار في مزاحمة حادة، الامر الذي حدا بهم تدريجياً الى عقد اتفاقات وطنية واخرى
 دولية اخذ عددها يشكّر بعد عام ١٩٢٥، وهو تاريخ سجلت فيه حركة الإنتاج تعاد مع ما
 كان عليه انتاجها قبل الحرب، بعد ان تسبب الازمة التي سبقت بالجميع من حزم مناصرة
 حادة. وقد وضعت خطط الوصول الى تحديد كمية الإنتاج، وتقنية صفقات المبيعات و تقسام
 مناطق التصدير، اشركت فيه دور صناعية من بلدان مختلفة. وصلت سنة ١٩٢٦، طلع في
 فرنسا مكتب للصناعات الحديدية، وعقبه ظهور مكتب توسيع مداهم الشبان ومقاطعة با دي
 كالييه، والمكتب الفرنسي للآزوت، وغيرها، كما ظهر عدد كبير من التكتلات الصناعية في
 ألمانيا، لها الأهداف ذاتها. اما في ارجل اسبانيا، فقد تأسس عام ١٩٢٦، حلف الفولاذ الذي
 هم في عصوره متحمي للفولاذ من الامان والفرنسيين والبلجيكيين والاسبان والليكسمبورج، وهو
 حلف انضم اليه، عام ١٩٢٧ كل من النمسا وتشيكوسلوفاكيا وراحت اللجنة ادارية خاصة تحدد
 في كل فصل من فصول السنة كمية الفولاذ التي يسمح للفرنسي انتاجه. واحلف الاوربي
 بلاومينيوم، وشركة انتاج النحاس التي هيمنت على ٩٠ بالمئة من إنتاج النحاس، والاتحاد
 الفرنسي لاسباني النحاس، وغير ذلك من التكتلات والاحلاف التي بلغ مجموعها ٢٠٠ حلف
 بينها ٤٨ للحديد والفولاذ، و٤٧ للمنتوجات الكيميائية. والاستاندرد اويل وكتلة ي ج.
 هارن، وسبستس - هلسكه وكروم من جهة اخرى، والجنرال الكافريك والدي ج هارن،
 وموبون دي نور وغيرهم، من جهة اخرى، عقدت فيما بينها اتفاقات لتبادل شهادات المنشأ
 (او لتعطيلها لدى الاقتضاء) ولتوزيع الاسواق فيما بينها.

كان من بعض نتائج هذه الترتيبات التي تحدثت والقنوات التي صيرت
 التفاوض في الانتاج بينها، حد التباين في مستوى الانتاج لدى عدد كبير من الدول المنتجة
 وقد راد الانتاج لزامي زيادة كبيرة في البلدان الجديدة. فبلغت نسبتته من القمح ٢١٥ بالمئة
 في كندا و ١١٩ بالمئة في الولايات المتحدة الاميركية، و ١٦٥ بالمئة في لارستين و ١٧٣ بالمئة
 في استراليا. اما انتاج الحبوب فقد بلغت نسبة ارياده فيه ٣٠ بالمئة، وهي القطن والصوف
 ٢٥ بالمئة وتضعف عدد مصوب الن في البرازيل وحمها كما ان محصول السمالي من البن تجاوز
 ١٤ مليون شوال في العالم، وبحصول البطاطا ارتفع فيها من ١١٤٠٠٠٠ من عام ١٩١٣،
 الى ٨٣٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٣٠، و راد انتاج السكر، عام ١٩٢٩، مليون طن من لاستهلاك
 العالمي. وتمكنت الدول لاوربية ليس من معادلة نتائجها قبل الحرب فحسب، بل ايضاً
 تجاوزته اراحل، وهي في حيز رسوم جركية عالية. ومعادل الانتاج رد على نسبتته قبل
 الحرب في كل قطاعات الانتاج للصناعي، كما راد ميليريا العليا اناسها من الفحم ستة اضعاف
 وكادت انانيا تحقق معادلة انتاجها قبل الحرب بالرغم من اقتطاع بعض اقاليمها القوية بالفحم،

وانتاج العالم من الصلب الذي كان معدل ٦٦ مليون طن ، هام - ١٩١٠ ، تجاوز ٩٨ مليون طن ، عام ١٩٢٩ ، وارتفعت حرسب الى مرتبة الاولى بين الدول المنتجة للصلب في أوروبا ، وحصل نتائجها للصلب المرتبة الثانية . كما كانت بين الدول لرئيسية في تصدير المحاصيل نصف الجاهزة او الجاهزة كلياً ، كالسيارات .

الا ان هذا التقدم لم يأت على قياس او وتيرة واحدة . فقد رأت بعض البلدان إنتاجها يزداد ويرتفع بينما يرى دولاً أخرى هي من الدول المهمة ، في تأخر وهبوط وأخرى في تقدم بطيء . ان حركة إعادة بناء أوروبا لم تنته الا في سنة ١٩٢٤ ، كما ان معادلة لدخل القومى في سنة ١٩١٣ ، تم تحقيقها في عام ١٩٢٥ . وتجاوزت هذه الزيادة ٣٠٪ في أوروبا بين ١٩٢٦ - ١٩٢٩ ، الا انها بقيت ادى بكثير بالنسبة لمعدل الانتاج في الولايات المتحدة الاميركية . والصناعات التي عرفت ان تعيد بالاكتر من هذا التطور التقني ، هي التي سجلت اكبر معدل في هذه الزيادة ، كالصناعات الكيماوية وانتاج لمصنوعات الكهرومائية ، والمركبات وصناعة الاسمنت ، والمحاصيل الكيماوية والسيارات ، وهو مجال بقي انتاج أوروبا فيه متروكاً . وعلى عكس ذلك ، فصناعة المنسوجات القطنية والمصنوعات الحديدية وبناء السفن ظلت تشكو من النعاج في التعجير التقني ، لا سيما وان الطامة الانتاجية في هذه الصناعات لم تستثمر لا بصورة حربية .

٤ - هيلة لاقتصاد العالمي

ن الاحوال الجديدة التي طرأت على استخدام اليد العاملة وتحكمت بالاسواق التجارية وتداول الصانع ورؤوس الامول ، والصف الذي صنع قوة أوروبا الانتاجية كان من بعض نتائجها الحتمية هذا الركود الذي لارم التجارة العالمية فخلخل علاقاتها وتماد لها بين اطراف العالم الأخرى وحدث في اقتصادها تفككاً يكاد يكون كاملاً .

مشكلات الناس وقضاياهم
مالصورت لديموغرافي الذي طبع القرن التاسع عشر ، استمر ، وبو وتبدأ كما ان انخفاض معدل الوفيات بفضل التقدم الذي حققه العلم هو ، الى حد بعيد ، الطائر التي سبقتها الحرب ، كما هو كس نتائج الهدوء العام في معدل المواليد . ومن جهة أخرى ، فقد استمر عدد السكان يزداد ويرتفع في أنحاء أوروبا الشرقية والجنوبية ، فازداد عدد السكان فيها ٣٦ مليوناً ، بين ١٩١٣ - ١٩٢٨ ، بعد ان ارتفع هذا العدد من ٤٩٨ مليوناً الى ٥٣٤ مليوناً ، بين اربع عدد سكان الولايات المتحدة من ٩٢ مليوناً الى ١٢٠ مليوناً .

واحد ان قسماً محترماً من هذا الفئوس السوي للسكان في أوروبا وحده
طريقه الى الاعراب والتفوح خارج أوروبا . هنالك زهاء مليونين من
لاوربيين كانوا قد نزحوا عن اوطانهم وديارهم ، عام ١٩١٣ ، بحثاً
عن عمل لهم في بلد من بلدان أوروبا او عادوها الى ما وراء البحار . وسرعة التفوح هذه بدت

تبارات اصرة بين
الدول الأوروبية

ملحة ، بعد عام ١٩١٨ ، إذ أن جانباً معتمداً من سكان أوروبا كانوا يقيمون على وجوههم بحثاً عن وطن جديد يأمنون إليه ، أو عن رسيطة لكسب أود القيش . واللاحقون الروس تورعوا في جميع أنحاء أوروبا ، وفي بلدان الشرق الأقصى ، في أعقاب الثورة التي بدلت عام ١٩١٧ والحروب الأهلية التي تلتها وقد قدر كوليشر عددهم بنحو ١٠٠٠٠٠٠ ، لم يعد منهم إلى وطنهم الأم سوى ١٣٣٠٠٠ ، كما أن معظم المارحين من أوطانهم التي علمت على أمها ، هادوا تها إلى بلادهم . فالمانيا استقبلت ٧٠٠ ألف الماني درخوا من يوفونيسا و ٢٥٠٠٠٠ درخوا من المقاطعات السلطانية ، و ١٣٠ ألف من مقاطعتي لالزاس والاوربر ، فاهيك عن الألمان القادمين من المستعمرات الألمانية في ما وراء البحار .

وتحركت السكائن وحجراتهم تهوهماريا فلتسقل ١٠٠٠٠٠٠ بحري قدموا من ترسلقانيا ويوعوسلافيا ونشيكوسوفوكيا ، كما أن بلغاريا تلقت ، هي لآخرى ٢٠٠٠٠٠٠ لآخرى درخوا عن ترافية ومقدونية ودوبرودجه ، وتركيا واليونان ، وقد ألغى البلدان لاجيران مجاليين كبيرين لحركة تبادل السكان قيثراً يطابع خاص . فقد نصت معاهدة لوبي صراحة على تبادل السكان بين اليونان وبلغاريا مع حق الاحتيار والتعويض عن الاملاك التي يحتفظها النازحون وراءهم . فال ٧٠ ألف بلغاري الذين هروا امام المحرم الذي قام به الحلفاء واليونان ، يجب ان يضاف اليهم ٥٣ ألف حري تساد لهم مع ٤٦ ألف من اليونان اسين اضطروا للزوج عن المقاطعات السلطانية . وقد أدت هزيمة جيوش البوفايسية في ارمير ، عام ١٩٢٢ ، إلى دروح ٩٠٠٠٠٠٠ يوناني من آسيا الصغرى ، و ٢٥٠٠٠٠٠ يوناني عن ترافية ، كما حلت ألوف اليونانيين على مفادرة القسطنطينية . وفرضت معاهدة لوران المدةودة عام ١٩٢٣ ، وحوب مقايضة ١٩٠ ألف يوناني بقرا في آسيا الصغرى ٣٨٨٠٠٠٠ مسم لوجوا بدورهم عن الاراضي اليونانية .

وهنا تهل علينا فئة جديدة من جماعة هافدي اوطانهم أو جماعة من لا وطن لهم ، معظمهم من قدامى رعبا النجسا وهنغاريا الذين لم يحصلوا على رعية ما في أي من هذه الدول التي طلعت من بين حطام هذه لامراطورية المتهدمة ، والمارحين عن تركيا (من الأرمن والاشوريين) ، وهؤلاء اللاحتون السياسيون الذين حرحوا من الاتحاد السوفياتي ، عام ١٩٢٠ ، أو من ايطاليا ، عام ١٩٢٦ ، أو من ادينيا ، عام ١٩٣٣ ، بعد ان حردتهم تشريعات خاصة صدرت بحقهم ، من الرعية التي كانوا يتمتعون بها باعتبارهم غير مرغوب بهم .

توق الميرة إلى ما وراء البحار
بررت في الولايات المتحدة بعد الحرب ، نزعة قديمة برعت
لن الحد من التسهيلات المصوحة للدخول بحرية إليها ، بعد

ان دخلها ، عام ١٩١٨ وحدها ، كثر من ٨٠٠٠٠٠ مهاجر قهاحسن البطالة وشكلتها
الطبعة ، وهذه القومية متاحة من مسلك لاميير كيين من اصل الماني وموقفهم المعادي ، خلال
الحرب ، والاحتقار المصري لهذه الجماعير السهم غير لمصولة القسامة من بلدان شرقي أوروبا
وبلدان حوض البحر الابيض المتوسط ، والرغبة الجماعة في الحفاظ على الطابع الانكليزي .

سكسوني في البلاد ، والخوف من ثمر الشيعية وتعلم سامي الاميركيين . ، ولارمة الاقتصادية الضارية اطلاقها . ذلك ، كل هذه العوامل وما يتصل بها من اعتبارات من قريب او بعيد ، أدت الى إقرار القانون الذي صدر عام ١٩٢١ بعد من دسة المهاجرة اذ سمعها على اساس ٢٪ من حسيات المهاجرين لاجانب الذين دخلوا لولايات المتحدة ، حتى عام ١٩١٠ ، وهو قانون كان الكونغرس الاميركي يحدد اذ رة سنة بعد سنة ، حتى عام ١٩٢٤ . وفي هذه السنة صدر قانوناً نهائياً تضمنت بوجه النسبة الى ٢٪ واتخذ أساساً لها الإحصاء العام الذي جرى سنة ١٨٩٠ ، اذ كانت النسبة الكبرى من المهاجرين الى الولايات المتحدة ، في تلك السنة ، من بين مدن اوروو العربية او الشالية . فقد كان المعدل المتدني للهجرة الى اميركا من نصيب البلدان الاوروبية التي تشتد فيها حركة المواليد . اما البلدان الاميركية الاخرى ، فقد حاد تحديد الهجرة اليها اقل قسوة او كثر مكرراً . فقد راحت مساطق كثيرة في كمد لفصل استقبال مهاجرين من البلدان الاوروبية للشالية او العربية وسويسر ، وهي تدابير وإجراءات جاءت لحمي مصالح البريطانيين وغيرهم من بلدان اوروبا الغربية .

من الطبيعي ان تلقى بلدان اميركا الجنوبية ، ولاسيما البرازيل والارحنتين ، ابوابها مفتوحة على مصرعها امام المهاجرين . فقد استقبلت البرازيل منهم اكثر من ٨٤٠٠٠٠٠ بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ، كما جاء لارجنتين اكثر من ١٠٤٠٠٠٠٠ مهاجر ، معظمهم من لاسيان والطلين والبرقنديين الا ان الظروف المعاشية غير مستقرة فيها حلت نصف هذا العدد من المهاجرين على مفادرة البلاد الى غيرها . ومام شتداد البطالة في بربصانيا العظمى ، سنت الحكومة البريطانية عام ١٩٢٢ قانون لاسكان في لامبرطورية ، نص على تقديم مساعدة للمهاجرين . لان نتائج هذا القانون سادت غير مرضية اذ رخصت معظم بلدان النوميون التقيد بأحكامه وأصرت على الاتقل سوى لمارعين ، وانكثرت لاسمها تصدير غير عاطلين عن العمل ، ولد لمهاجر سوى ٢٠٤٠٠٠ من المهاجرين الذين تلقوا مساعدات .

والبلدان الاخرى التي بقيت مفتوحة الابواب امام المهاجرين هي المانيا التي كانت تستقبل مرارعين موجبين كانوا يألونها موجياً ، من بولونيا ، وفريسا بعد ان اشتدت عليها وطأة الحرب فأوحدت فيها النقض في معدل المواليد ، رمة حادة للبد العامة . فقد امها بين ١٩٢٠ - ١٩٢٨ ، اكثر من ١٠٦٠٠٠٠٠ عامل من خارج بين ايطاليين وبولوبيين (معظمهم يمسون في المناجم) وسويسريين وبلجيكيين عمل معظمهم في الزراعة .

فما الطريقة المطلوبة للانتقاة التي من شأنها ان تؤمن تدويع وتكوين عيون الشياك على اساس من المرفد او لاصل في القادمين ، والتي طرحها اكبر قطب جذب للهجرة مملا في لولايات المتحدة الاميركية ، هادت على اوروبا بنتائج مدهية ، إذ ادخلت البلبلة على تيارات هجرة اليد العاملة وراحت من مصاعبها ، لا سيما من نقص اليد العاملة امرض ، وسجلت من هذه القضية مملا في عدم الاستقرار الدولي .

وهذه الروح القومية المستبشلة تحد من حركة اليد العاملة
 وقفلاتها كي تحدث تشويشاً لا بل شلاً في اطلاق المضائق
 وتبادل السلع . ان انقسام أوروبا الى ٣٨ وحدة سياسية احدث
 السلطة في انقسام مصادر القوة وتوزيعها كالمصنوع والمجامل
 الاستعمارية والطاقة ، كما باعد بين الصناعات لثمة بعضها لبعض والتي سبق لها فكانت
 البعث الاكبر على تأميم الاردهار والروح لهذه النظم الاقتصادية التي صممت اليوم اعبر من ان
 تنكيف هذه الاطر الوطنية الصلبة . ثم ان تطور الروح الوطنية ، والعصية القومية ، والمحدور
 المتبادل بين الدول والشعوب ، والمناقصات الحادة بين الدول القديمة والجديدة ، حمل كل واحدة
 منها الى شيء من الانطواء على ذاتها كما دفعا الى الاعتزال والامكهاش على نفسها . فالرعة في
 توفير مصادر الطاقة لها ، وللتعويل على الغير بأقل قدر ممكن ، وتجربة الحرب لاجيرة والدرس
 السليغ الذي اتخذته منها ، كل ذلك أثبت بشكك لا يترك مجالاً للشك ، ان اسكر الدول التي
 في وسعها ان تصمد وان تستمر في صمودها هي تلك التي تستطيع ان تكفي نفسها بنفسها .
 وماجس الاقتصاد السياسي الذي يقوم عليه كل استقلال سياسي ، والحدود الصاعط الذي يولده
 في النفس تصمم اليقظة ، كل هذه العوامل وما اليها حملت الدول للمعية ، على التخصن وراء
 رسوم حركية حدثت كثيراً من نشاط التبادلات التجارية وشجعت إنشاء صناعات تعمل في
 ظروف مصطنعة قليلة امدود والنفوذ تكون معها تأمين من كل مساعة . فالعالم كله سار على
 خطى الولايات المتحدة في اعتمادها سياسة حناعه من الحماية بحركية ، حق اسكلتر نفسها ،
 موطن ماسية حرية التبادل التجاري في العالم . وقد تخلت اسكلترا منذ عام ١٩١٥ ، تدريجياً
 عن هذه السياسة ، خلال الحرب ، أولاً بحجة عدم ايهاط رصيد مدفوعاتاها الذي شكا دوماً العصر ،
 واحتفاظاً منها بقدرتها ، على الشعن في سبيل الجهود الحربية ، كرسوم وغائية ، مؤقتة على
 الكياليات ، كالاقدام السبينية والسيارات والآلات الموسيقية ، وكلها تدابير وإجراءات كانت
 'تؤخذ لسنة ثم يحدد العمل بها سنة بعد سنة . وبعد سنة ١٩١٩ ، اخذت تغير سلوكها بدوافع
 اقتصادية اكثر منها سياسية او مالية ، والدون المالي الذي كرم من معاملة الدولة لأكثر رعاية
 للدول الاعضاء في الامبراطورية ، حمض الرسوم بحركية الى السدس للدول الاعضاء في
 الكومولت ، على بعض المحاصيل (كالبين والشاي والكافور والسكر والبنزين) ، وثالث الرسوم
 المدروضة بموجب قانون ما كيتا الصادر عام ١٩١٥ . وتطل علينا عام ١٩٢١ ، مرحلة جديدة
 مع قانون حاية للصناعات الذي يعتبر اول تدبير صريح على احماية الجمركية ذات معمول واسع
 الذي هدف لصباة الصناعات الرئيسية من الإغراق المالي في الدول المتدهور بقدها . من هذه
 القوانين قانون المواد الصمسية الذي يحظر استيرد الصفيات وقد تضمن قائمة الاصناف المحظور
 استيراده والاصناف الاخرى التي يخضع استيرادها لرسوم مختلفة كالحرير الخاتم والدانتيل

وروزق التتليفسف والادوات المنزلية المصنوعة من المينا ، والزيت والمبيدروكروبات ، وغير ذلك .

وعلى عرار الدوليين ، سارت دول أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية الموصوفة بدقة وصعفا وصعفا جانبها فرغت ، هي أيضاً ، في ان تقوم فيها ساعات لا عني" ما عنها جميعاً من تطاول الفير ، رسوم جركية منفرة . وهكذا يرى دول العالم اجمع تتعصن ضمن حواجز جركية تحول بالطمع دون تحرك المضائق ونقلها اد بها ترى نفسها عروسة لرسوم جركية هي اعلى بكثير مما كانت عليه عام ١٩١٣ ، إذ بلغت احياناً ١١ بالمائة من قيمة الصناعة في اميبيا ، و ٣٧ بالمائة في الولايات المتحدة الاميركية ، و ٣٢ بالمائة في يونيا ، و ٢٩ بالمائة في الارجينتين ، و ٢٧ بالمائة في اوسترالي وبنفارييا ونشيكوسلوفاكيا و ٢٣ بالمائة في يوغوسلافيا ، و ١٨ بالمائة في فرنسا ، و ١٦ بالمائة في الهند . وبالرغم من ارتفاع الانتاج في كل مكان ، لشت المادلات التصديرية محدودة ومحصورة .

واخيراً وليس آخراً ، فقد اصبحت أوروبا بالمسر والفقر يعسد ان
اجديد في توزيع الاستثمارات في الخارج
فقدت الكثير من استثماراتها في الخارج . فالثورة الروسية ، والثورة في الصين ، والحرب الاهلية التي اشتدت فيها ادت لقضاء على جانب كبير منها ، كما ان المعنى الذي رفلت فيه بعض بلدان اميركا الجنوبية ، مكبها من شر ، بعض هذه الاستثمارات واصبح ما سلم منها اقل مردوداً وعطاءً ، فاهيك عن ان الغزوة نحو لاستقلال التي جاشت بها معظم البلدان ذات الاقتصاد نصف الاستعماري ، خلقت جهواً من عديم الاستقرار لا تطمئن اليه هذه الاستثمارات . ومن جهة اخرى ، فقد صعدت الى حد كبير طاقات أوروبا الصناعية ، بعد ان حثلت اميركا المرتبة الاولى من حيث الطاقة الصناعية ، كما ان عيوب كلفة الصناعة فيها مكنتها من فرض شروطها على التصدير واقتصاد ، بصدرين الاوروبيين على معدل من الربح ، ادى من المتعارف عليه ، الأمر الذي سد كثيراً من قدرتهم على الاستثمارات في الخارج ، كما ان الواردات غير الملحوظة ، لم تتمد تؤمن موازنة حساب المدفوعات ، وفقاً لما كان عليه الأمر قبل عام ١٩١٤ . وهكذا هبط كثيراً فائض رؤوس الأموال التي يمكن التصرف به . وندن التي كانت تستثمر في الخارج ، كثر من ١٦٠ مليون جنيه استرليني بين ١٩٠٧ - ١٩١٣ ، لم تعد تستثمر اكثر من ٤٧ مليوناً بين ١٩٢٠ - ١٩٢٧ . وبقيت فرنسا بين الدول الكبرى اندالفة في الخارج غير ان استثماراتها تكاد لا تزيد عن نصف ما كان لها منها ، عام ١٩١٣ . والربح الذي تمنحيه لا يزيد على ٢٠ في المائة من ريعي في تلك السنة . وعلى عكس ذلك ترى الولايات المتحدة الاميركية التي لم تكن استثماراتها عام ١٩١٣ تقبل سوى ٥ - ٨ بالمئة من مجموع الاستثمارات لدولية ، فقد رفقت خمسة اصعاف منذ عام ١٩١٣ ، وسوق السندات الاجنبية في نيويورك تتداول ضمنها ما تتداوله سوق لندن . والسوق المالية الاميركية المتسعة اساساً بالطمع المحلي عام ١٩١٣ ، احدث تشع لان ، الى جميع اطراف العالم ، ان ٤٧ بالمئة من استثماراتها هي وقف

على دول ميركا اللاتينية لاسيا على جزر البحر الكاريبي و كوبا والارجنتين والشيلي ، و ٢٢
بالمئة على كندا والارض الجديدة ، و ١٨ بالمئة على أوروبا .

وعد التقدم تسعة أوروبا في هذا المظهر اضعف كثيراً من وسائل العمل لديها وحسد من
توجيه النشاط لاقصادي في البلدان النامية ، كما أثر على سياستها التجارية ، وأحرش نشاط لنيار
التصنيع فيها وعمل المعد منه ومن تأمين التنسيق بين رؤوس الأموال التي تصدرها وبين منتوجاتها
الصناعية . كذلك سجل نموها السياسي تقهقراً آخر لحساب الولايات المتحدة الأميركية التي
قامت بتقديم قروض لكن من بولونيا وإيرن . مما حل مصارف بولونيا وإيران على الامتياز
بشؤون ماليين ولغنيين أميركيين راحوا يشجعون بالطبع ، تغفل تجارة بلادهم في
ذلك الاقطار .

كانت أوروبا اعجز من ان تستعيد المركز التجاري الذي كان لها في
التيارات التجارية الجديدة - العالم ، قبل عام ١٩١٣ ، إذ جاء امتاجها ... يتراكب مع
انتاج آخر يقع خارج أوروبا ، استشر نشاطاً بدافع من احرب ومن الاسعار المرتفعة التي
حظي بها خلال الحرب وبعدها رأساً . فقد عرفت ان تحتفظ بالمرتبة الاولى في التصارة
المالية ، الا ان حصتها انخفضت بصورة محسوسة فأصبحت ٥٢.٥ بالمئة مقابل ٦٣ بالمئة عام
١٩١٣ ، بينما ارتفعت حصة اميركا الشمالية من ١١ الى ١٧ في المائة . وحصة آسيا ارتفعت
هي الاخرى ، من ١٠.٦ بالمئة الى ١٤ بالمئة . وهذا التأخر يبرز في كل من الدول الصناعية
الكبرى في بريطانيا العظمى اذ انخفض فيها من ١٣.٩ بالمئة الى ١٠.٦ بالمئة ، وفي ألمانيا حيث
هبط من ١٣.١ الى ٩.٣ بالمئة ، وفي فرنسا حيث هبط من ٧.٢ بالمئة الى ٦.١ بالمئة ، بينما
ارتفع في الولايات المتحدة من ١٣.٣ بالمئة الى ١٥.٨ بالمئة ، وفي اليابان من ١.٧ بالمئة
الى ٣ بالمئة .

والبلدان المنتجة اقامت جميعها ، خلال الحرب ، إتصالات مباشرة مع زبائنهم وفارت
باستقلالها التجاري . فعملية التوزيع والعمولة وعما من اسباب إزاء انكسار ، أخذوا في الزوال .
فالاصواف الأسترالية والنيوزيلندية وفرنسية الجبلية ومقاصدات البلا أخذت تساع مباشرة
الآن ولم تعد سوقها قائمة في لندن . والصناعة الأوروبية كسب عليها التكيف وعلتضيات
الاسواق المستوردة : فهي تضع تحت تصرفها المعادن والمنشآت الكيماوية والانسوجات بينما
هي بحاجة الى الآليات ووسائل النقل . وقد أقفلت في وجه أوروبا منافذ كانت مفتوحة على
مصراعيها من قبل ، بينما مثلاً الولايات المتحدة لأميركية حيث الرسوم الجمركية التي فرضت
بموجب قانون فوردي أصاب على السواء البضائع التي يمكن فساد انتاجها ، وعلى كل إنتاج
الصناعات الحديدية والنسجية ، بينما ضاقت منافذ أخرى واشدقت ، كالارجنتين مثلاً والبرازيل
اقتن لم تعد فعولان على أوروبا بأصغر من ٦٤ في المئة و ٥٠ في المئة من وارداتها ، مقابل ٨٠
و ٦٢ في المئة في عام ١٩١٣ .

قدما ما انعمنا النظر ملياً في توزيع صادرات اربع دول كسبرى من بين الدول المصدرة الواقعة وراء البحار ، نجد ان صادرات الاربعين والاربعين الى فرنسا ، بين ١٩١٣-١٩٢٥ سطت الى الثالث في الاول والى النصف في الثانية ، كما سطت الى النصف والى الربع في ككلها . والصادرات الكندية الى بريطانيا لم تعد سوى $\frac{1}{2}$ مما كانت عليه من قبل ، وكذلك صادرات مصر التي لم تعد قتل سوى $\frac{1}{3}$ ، بينما كادت الولايات المتحدة تضعف وارداتها من الاربعين ، وصاعمت اكثر من مرتين واردتها من البرازيل ، وراحت مستورداتها من مصر مرتين ونصف . وصادرات بريطانيا من الفحم الى الشرق الاوسط ، فقد سحلت هي الاخرى من الثلث في الشرق . اما صادراتها القطنية الى الشرق الاوسط ، فقد سحلت هي الاخرى راحاً ملحوظاً بزيادة الثلث ، بينما سحلت صادرات اليابان والنصير والهند عليها . وفي نطاق المحرققات وانقود ، انخفضت صادرات أوروبا من الفحم بينما ارتفع سترادها من البترول .

والسوق الداخلية في أوروبا تراجعت مرها ، هي الاخرى ، بعد ان تعطلت تماماً حركة التبادل مع روسيا . وعندما عادت الاتصالات معها لم يكن من الممكن الوصول الى الرقم الذي سجلته سنة ١٩١٣ . وعندما امكن لأوروبا الشرقية ان تستأنف ، عام ١٩٢٥ ، سيرتها السابقة من التصدير ، قل الحرب ، وحدت الاسواق في الحرب لتحلها مصوغات مستوردة من وراء البحار . ومعكس ذلك ، لم يمد إنتاج أوروبا الصناعي ليحد ، بين هذه الاقطار ، سوى سوق محدودة الطاقة والصادر لمحيتها تعريجات جركية عالية ورسوم باهظة ، وحاجات أوروبا الغربية التي كدت قليها ، عام ١٩١٣ ، بنسبة متساوية ، بلدان أوروبا الشرقية ، والبلدان الاخرى الواقعة عبر البحار ، بعد ان تعدلت هذه النسبة وقعدت ، لتصبح ١٨ في المئة للثة الاولى ، و ٨٢ في المئة للثة الثانية .

٥ - المخطط المستمر

ان تحول مراكز الانتاج والتطورات الجديدة التي لحقت بها وحدت من شأنها ، حالاً دون هبوط التجارة العالمية ، واقتصاداً ، التالي الى انخفاض مزمن هضال فركود ، في الاقتصاد الاوربي وعدم تكيله ولقنصيات الجديدة ، فأديا الى انكماش ملحوظ في اسواق الحيايات بعد ان كانت وروداً سوقها المغطى . وهذه البلدان التي فقدت الكثير من طاقته الشرائية أغذت بأسباب التصنيع تحت ستر من الحماية الجركية المنقذة الامر الذي ادى الى هبوط ملحوظ في الصادرات لاوروبية ، لا سيما في المنسوجات والاصناف المشقولة ، بينما أحدثت الولايات المتحدة الامريكية ، التي كانت تديرها الكثير من مهمات التجهيز ووسائل النقل ، قمرع الى حزمة أوروبا في هذه الاسواق .

فالمجهود التي بذلت في سبيل إعادة تنظيم الصناعة ، والاهمية التي
انكفاه النظم الاقتصادية اولتها كل من فرنسا واسكتلندا لامبراطوريتها الاستعمارية ، كانت

اعبر من ان لتحقيق الامال التي راودت هذا الفريق الذي ضم ، عام ١٩١٩ ، العودة اوروبا الى
المراكز القوية التي كانت لها قبل عام ١٩١٤ . ان دول اوروبا الرأسمالية تجد نفسها في حركة
انكفاء كلية بالنسبة الى ما كان عليه وضعها قبل الحرب ، فالرغم من الريادة الملحوظة التي حققتها
الصادرات الأمريكية ، والحجم الاحيائي الذي تشهده امتنوعات المشقوبة في التجارة العالمية ، بين
١٨٧٠-١٩١٣ والذي كان رد ثلاثة اصداف في تقريبا ثانياً ، ان الانخفاض تشار على الاحص
بلدان اوروبا وروسيا ، الدول الكبرى الثلاث التي قهمن سبع الولايات المتحدة الأمريكية ،
على التجارة الدولية .

فالوضع المتنازع الذي يعمت به بريطانيا اسد يتدرى ، وظهرت عليه اعراض الضعف والمرض
اثرما نصبت به صناعة التمدن عندها ، من تأخر وتقهقر ، وكذلك حركة التصدير التي
هبطت ، عام ١٩٢١ ، الى ١٩ ، باعتبار دليل ١٩١٣ مساوياً ١٠٠ ، وبعد ان سجل ارتفاعاً
عام ١٩٢٥ بلغ ٧٥ ، عادت هبطت عام ١٩٣٢ الى ١١ / . ومستوى الحياة لم يعد ممكناً المحافظة
عليه الا بواسطة ربيع رؤوس الاموال المستثمرة في الخارج ، كذلك فرنسا ، فقد سجل
اقتصادها هبوطاً محسوساً اذ ان العجز في ميزانها التجاري كان اكبر بكثير مما كان عليه
عام ١٩١٣ . فداما بقي ميزان المدفوعات لديها ، عام ١٩٢٩ ، عند المعدل الذي سجله بين
١٩١٠ - ١٩١٣ ، فانهض في ذلك يمود اصلاً ، الى الزيادة في الارصدة الناتجة عن حسمات
لنقد يمد هبوط قيمة الفرنك . وفي عام ١٩٢٧ ، وهي سنة تشيت الفرنك ، اخذت الريادة
لتناقض تدريجياً ، وربع رؤوس الاموال المستثمرة في الخارج مثل بين ١٩٢١ - ١٩٣١ مبلغاً
اقل ٥٦ بالمئة مما كان عليه في الفترة ١٩١٠ - ١٩١٣ ولا تعطي سوى ٧٢ بالمئة من النقص
لتحاري في تلك الفترة ، بينما كان يمثل قبل عام ١٩١١ مبلغاً يزيد ١٣ بالمئة عن هذا النقص

ومانيا التي جاءت مع الولايات المتحدة ، في طليعة الدول التي قامت
تنظيم لانتاج العلمي وحملت دوماً على تحسينه ، حلت في المرتبة الثانية

بين الدول الصناعية . ومع ذلك ، فلم تستطع هذه الدولة الاحتفاظ بمرتبتها في مجال الاقتصاد العالمي ،
اذ مثل انتاجها ٤٠ بالمئة من مجموع انتاج اوروبا عام ١٩١٣ ، فلم يعد يمثل سوى ٢٩
بالمئة من هذا الانتاج ، عام ١٩٢٩ ، وسوى ١٧ بالمئة من الانتاج العالمي ، هبطت الان
الى ١١٤٣ بالمئة .

وبعد أزمة المارك التي تخبطت فيها وعانت منها الامرين ، قاست كثيراً من نضاد رؤوس
الاموال لديها . ان بناء مصانع جديدة وحصرمة عتادها وتحديدده الذي اقتضاها امولاً كثيرة ،
وسمر الفائدة العالي (حتى ١٨ بالمئة) كل ذلك حذب بالطبع اليها رؤوس الاموال الأجنبية
لتي تنقلت ، في بادىء الامر ، بقروض قصيرة الامد ، الا انه جرى منذ سنة ١٩٢٦ ،

تسديدها أو تحميمها بشروط باهظة جداً ، وراحت ألمانيا تعتمد قروصاً طويلاً الأسد بلغت ٤ مليارات مارك ، عام ١٩٢٤ ، معدل سموي يساوي ١٤٥٠٠٠٠٠٠٠٠ مارك ، خلال السنوات التالية ، وراحت المدن و المؤسسات العامة معها كالتصاغات الخاصة ، فكثرت من سندات الاصدار ، لتحقيق ااردعها سطحي توصلت الى تحقيقه بواسطة بيع ملكية العقارات المتوسطة وتخفيض احمالي للاجور الحقيقي عن طريق تضخم النقد ، من جهة ، وبواسطة قروض صحية جديدة ، من جهة اخرى ، جعلت البلاد مرتبطة بتمويلها للاصحي . وهكذا لم تلبث القوائد بالترب دفعها ان اصححت عنقاً ثقيلاً إذ بلغت ١٦٦ مليون مارك عام ١٩٢٤ ، و ١٢٥٥ مليون مارك ، عام ١٩٢٩ .

وقد حدث فيها بالفعل موع من التضخم الصناعي ، وهذا التضخم الذي تجهرت به البلاد ، لا يمكن له ان 'يبتج' في احسن الحالات ، الا اذا اشتمل على حقائق ، اي الا اذا تمت امامه اسواق التصريف ورحلت بحالات التسويق . والحال دهالك عارى شاسع بين طاقة الربح الاقتصادية ، والاسواق الصالحة للاستيعاب ، ولذا شهدت البلاد اردعاً مصطباً سريع العطب ، اي غير مستقر وقابل للتحويل في بلاد تعاني مروراً من بضاعة تضخمت صفوفها فبلغت المليون من العاطلين ، اي انه نعم عدداً كبيراً ليس له القدرة على الشراء والاحتضاع . والطاقة الانتاحية لهذا التضخم رادت بالفشل من حدة البطالة بحث افضل على سوق العمل اعداد ضخمة من الشباب ولدوا قبل عام ١٩١٤ ، في وقت كلفت فيه حركة التواليد في البلاد ناشطة للغاية . وهكذا ، استبدلت ألمانيا بداً صامدة رجيصة لديها بوسائل الإنتاج وهذه كلفتها غالباً ، إذ ابتاعها بأموال قترضتها من الخارج ففائدة عالية .

من الظواهر المربكة والمربكة معاً لتفكك الاقتصاد العالمي استمرار الأزمة الزراعية
الأزمة الزراعية التي نجمت عن الافراط في الانتاج ، في هذه البلدان
دت الانتاج الواحد . فازدياد المهررون من لانتاج الزراعي وتضخمه المتزايد ، وهبوط الاسعار
التي اعمى اليه ، جاء ضماً على إهالة ، على مجموع المبادلات التجارية .

ان ارتفاع الأسعار بين ١٩٢٠ - ١٩٢٩ ، جاء بديلاً بالخطر بين ١٩١٩ - ١٩٢٨ ، انخفض
سعر القمح الى ٢/٣ في كندا ، وثلث النصف في لولايات المتحدة كما انخفض سعر ابرة الى ١/٤
والارز الى ١/٨ ، والقطن الى ٢/٥ . فتلبدان لزراعية البصرة الكبرى المحبوب والتي يتوقف
توازن ميرها التجاري على السوق العالمية ، وجدت نفسها عرضة لذبذبة الأسعار وتقلباتها ،
وهو بالفعل ، وضع بلدان أوروبا الوسطى على الاخص ، واميركا اللاتينية حتى ووضع حصاراً
بعضها فزراعة القمح التي نشطت في ريطاب خلال اعرب عدت القمح من حديد إذ لم تعد
تعد البلاد بأكثر من ١٥ بالمئة من استهلاكها المحلي ، حتى هربوا نفسها حيث الانتاج الزراعي هو
في احسن حماية جركية ، مماثلة لمحاصيل المستعمرات والبلدان الاحدية ، هارت في نهاية
المطاف وتحكمت بالوضع . فمصر لارض المال وثمن التضخم التقني 'يرج' لزراعتين في كل من

بريطانيا ومانيا والولايات المتحدة ، الذين الثقبة ، بحيث ان ١٢٪ من الارض الزراعية كانت مرتبة ، عام ١٩٢٩ ، مقاييس ٢٨٪ سنة ١٨٩٠ ومستوى العيش متدن جداً في الولايات المتحدة لدى نصف العاملين في الارض ، هذه القشة التي لم تعد تقنع سوى ١١٪ من المحاصيل الزراعية التي تدخل الاسواق التجارية ، إذ ان إنتاج الوحدة من مجموع ريعهم لم يكن يعادل ، سنة ١٩٣٠ ، سوى ٦٠٠ دولار من المواد الغذائية ، عا فيه المواد لمدة للاستهلاك في المزرعة . وما كان المرءون يثلون ريع مجموع عدد سكان البلاد ، فهم لا يثلون سوى ٨٠٪ من وحدة الدخل القومي عام ١٩٢٧ ، مقابل ١٦٪ عام ١٩١٩ .

وفي رمة الحرب ورمات التضخم المالي ، يكن لطيفة المزارعين التي تنال اهل نسبة من القتل والجرحى في الجيش ، ان تحسن أوضاعها بصورة مؤقتة إذا ما عرفت ان تقيد من ارتفاع اسعار المواد الزراعية (لقائنا اذ ذلك) ، لإبقاء ديونهم . ولكن ما ان يعود النقد الى الاستقرار من جديد ، حتى يسوء وضع المزارعين من جديد ، من جراء ارتفاع معدل الفائدة وهبوط الأسعار . ولدواع المزارعون بهالوت بحياة الدولة لصاعهم ، قبل ان لديهم ازمة عام ١٩٢٩ وتثوء بكلكتها عليهم .

وفي كل مكان تقف التعريرة الجركية الى جانب الصناعة على حساب الانتاج الزراعي ، وفي كل مكان يبيع المزارع غلاله بالسعر الدولي ، بينما يراى يتناقص حاجياته المشعولة في الاسواق المحلية ، بأسعار تحملها الرسوم الجركية ، عالية . ومن جهة اخرى ، ان ارتفاع مستوى الجيش يهني الى الهبوط في استهلاك الحبوب على حساب اللحوم والاسان والخضروات الطازجة والفرايج ، بينما الازبال على المتسوعات الاصطناعية يخفض من اسعار الملابس القطنية والحربية .

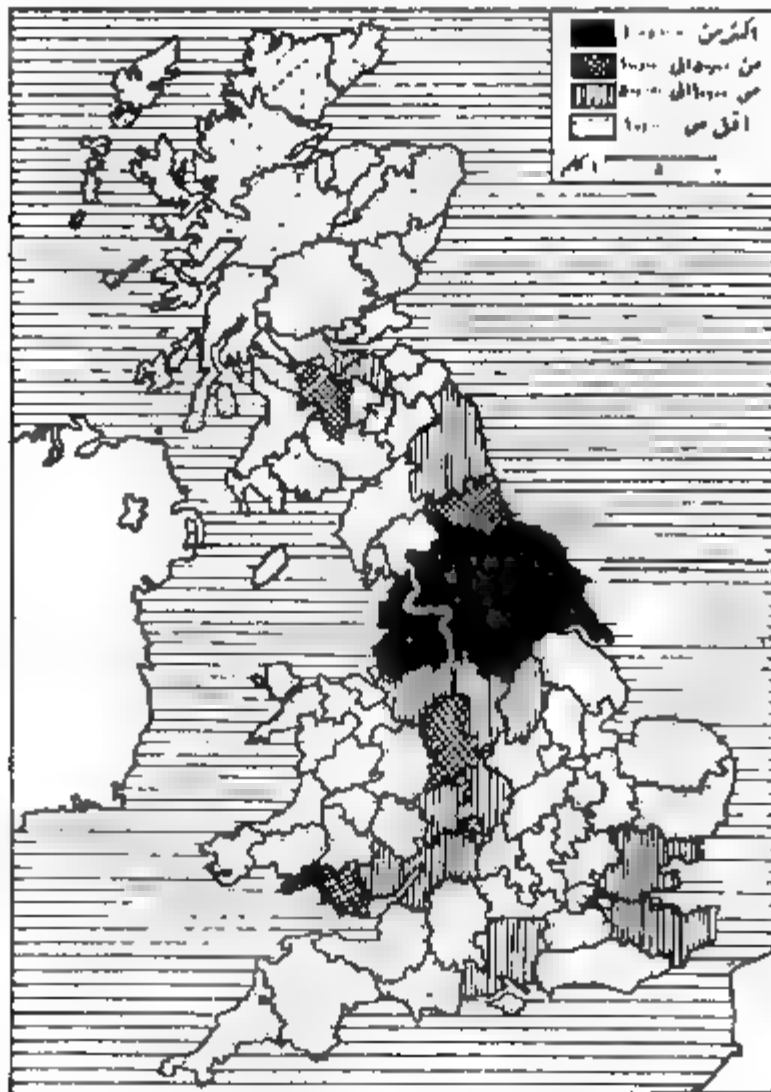
ادى التضخم المالي في فرنسا الى قربان الى تنقية الرصع الذي اساط بالمزارعين ، إذ ساعدهم على التخلص مما يرسفون فيه من ديون ، بينما بقي الانتاج باستثناء النبيذ والبطاطا ، على اسعار ادنى من معدل عام ١٩١١ ، في حين كانت المواسم اطيب مرهوداً نوعاً ، ولم يجر لتجديد قطعان الدشية باستثناء قطعان البقر . والاستثمارات الصغرى هي في نأحر مستمر ، والتشريع الخاص بتعويضات الحرب ، والقرخيص لاصحاب الاملاك في مقاطعات التي هكتها الحرب بالنار من تمويناتهم ، كل هذه العوامل قوت النزعة الى توحيد المزارع . فالاحصاء الزراعي الذي اجري عام ١٩٢٩ ، ساعدها على تكوين فكرة صاعدة عن فرنسا التي بقيت البلاد المثلى للاستثمارات الزراعية الصغيرة ، بينما هي ابعد ما تكون بسلداً من الملكيات الصغرى . فالاجبات الدقيقة التي قام بها اثنين فايل ريتال أثبتت بشكل لا يدع شك لا شك ان ٧٣٪ من الاستثمارات كانت مساحتها اقل من ١٠ هكتارات ، بينما ١٧٪ تقس نصف المساحة المزروعة . فاداً ما وضعنا جانباً بعض المحافظات الاستثنائية ، كصافطة السين والوازي مثلاً ، حيث ٤٪ من الاستثمارات الزراعية تقس نصف مساحة الاراضي

كل المال ، أصبح التمويل للعامل بأجر بين ١٥ و ٢٠ شلن في الأسبوع ، ولم يلبث بالتالي ان أصبح عبئاً يهبط عاتق مالية الدولة وموازنة بعض المدن ، كمدينة بلاكورن حيث ٥٢ ٪ من مجموع ٥٦٠٠٠ عامل ، هم عاطلون عن العمل ، او مدينة بوزملي حيث ٤٢ ٪ من مجموع ٤٧٠٠٠ عامل . والبطالة التي تفعل فعلها الموهن في العامل وتقتل فيه العزم ، تسال عن الاخص من هؤلاء الشبان الذين لم يجدوا بمصهم عملاً منتظماً ، فاهيك عن نتائجها الوحيدة على موزمة لدولة فقرتها ، وعلى الموازنات الخاصة لآخرى التي يترتب عليها عدم يد المساعدة لنسبة كبيرة من السكان ، عاطلين عن العمل .

لا شك بأن البطالة في انكلترا ، بما لحب من صفة لاستمرار وبما ضمت النظام الاقتصادي ' عرفت به من حدة ، هي التي استأثرت ، في الاكثر ، اهتمام اكبر بالافتصاد وحللتهم على محاولة لتفسير هذه الظاهرة وفلسفتها وردتها الى مسلماتها فقد ردتها مجتمعين او مفردين ، نارة الى السياسة المتبعة لاعادة تدعيم الحنية الاسترخي ، هذه السياسة التي وضعت الإنتاج مقابل الاحتفاظ بسبق التبادل التجاري ، وحافظت على مستوى العالي للاسعار بالنسبة للمصدرين الاسانپ الذين اعدوا كثيراً من التصخم المالي ، ومنهم من ردها الى عزز ارباب العمل او عدم هليتهم للافلات من عاداتهم الفردية والتحرر مما يرسفون فيه من اعراف وساليب تقليدية ، وفشلهم في التكيف مع مقتضيات الإنتاج الجديدة ومشروط المنافسة الدولية ، وحيراً وليس آخر ، تعامل معهم بالسياسة الاجتماعية التي رمت ان تحمل الماطل من العمل ، من اصحاب وسل اجنعي ، عقلت الاعوان التي يتلقاها من الحكومة فيه كل رغبة بالسمي وراء العمل . فاداً ما امكن الاحد بهذه التبعيلات المتناقضة فيما بينها ، وتطبيقها على بريطانيا العظمى ، فلا يصح لمصري حلقها على البلدان الأخرى التي تختلف وصاحبها التقنية والاجتماعية والمالية ، اختلافاً كلياً عما يكتنف بريطانيا من هذه الأوضاع ، مع ان هذه المدن تضررت بالساوى والمآسي ذنبا ، كالأانيا مثلاً ، والولايات المتحدة الاميركية حيث تغير ارباب العمل في كل منها بدنياميتيهم العارمة ، وحيث دعمت ادارة المصانع ، بتنظيم علمي دقيق للمصن وحيث كانت اليد العاملة لا تقي بحاجة الاولى منها ، كما كانت ، تقيص عن حاجات الثانية ، وحيث تمركز المتعطل عن العمل وشأنه ، لا سنده الا ما يتلقاه من مصدر خاصة ، كما هي الحال في الولايات المتحدة ، او كان يتلقى بعض المساعدة من صندوق الدولة ، كما هي حاله في ألمانيا .

وقد ردت بعضهم إتباع هذه المصالة هذه واستمرارها الى الفقر الذي نزل بأوروبا . فليس من شك قط ان ما يلبث به هذه القارة من فواصل هائلة ، وما شهدت من هورات القوميات السياسية والاقتصادية فيها ، وانتشار التفنيات الجديدة ، كل ذلك وما اليه حال ، الى حين بعيد ، أو آخر ، عن الأقل ، المرسوع الى حلقة المقايضات التي رسمتها لحركة التجارية قبل عام ١٩١٣ . وهذه البطالة الموصولة للحلقات ، تطل علينا في بعض البلدان السامية ، وفي الولايات

المتحدة الاميركية ، بالرغم مما يتمتع به اقتصادها من ازدهار عظيم ومشاط عارم
 فـد ما قصرت كل هذه الشروع والتجديدات من انهاء مدى هذه الظاهرة والمخاطر التي



مركز البطالة في اسكتلندا عام ١٩٢٨

ذكر .

لنفس عليها قسمتها ، فها يكون هنا امام مطالعة من طابع خاص لا تتأني فقد عن التدبـرات
 الدورية التي تهـل بالانتاج ، بل عن تـميرات حدية ر سخة لـلتد والاقتصاد العالي * بعض هذه
 التـميرات التي دلنا عليها بـتمثل في المخطاط اوروبا والدات ، هذا لاخطاط الذي يجب رده الى

فقدان التورن المرمع العطب الذي جاء في مصاحبة عدد صغير من اسرول الاثيرة، هذا التوازن الذي قام على توسيع العمل لوربعاً بشاقص والتوزيع الجغرافي للثروات الطبيعية في العالم . ويطلع علينا بعد ذلك المرحضرية والتنظيم العلمي الدقيق للاستبج ، فاستبدلا المنافسة الحرة « برأسمال يتألف من وحدات ضخمة ومن استثمارات مستبدة ضخمة » ، لتحذوها لوعة عارمة الى زحزحة ، ان لم نقس الى رمسط هذا السديم من لشروعات الصغيرة معملته الصاخبة . فهذه الشركات الكبرى التي تقود الاقتصاد وتوسعه الآن وتتحكم به ، لا يمكن لها ان تزدهر وان تلتسط الا مع مكسة في غاية الدقة من لائقان ، ف من الدعاء ومن الطاقة ما تؤمن معه انتاجاً بالجملة ضخماً ، يتعاظم حجمها وقدرها وشأنها استثماراً ، له من طاقة انتاج ما ليس في وسع الاسواق الوطنية المحدودة القدرة الاستهلاكية ، استيعابه وهذا لانتاج الضخم ، لم يعد بالامكان تصريفه في فتوحات جديدة ، اذ ليس ثمة من اراض لفتح وتستثمر ، كما في الماضي ، ولا في البلدان النامية التي هي من صعب للطاقة وصغر الوسائل ما لا يستطيع معه قط ان تصح اسواقاً واسعة .

هناك ، والحالة على ما وصفا ، تصاد قائم بين طاقة متبحة آخذة بالامتداد والتوسع المستمر ، وبين سوق ضيقة المجال ، قصيرة المدى ، سواء بسوء ، مع سكان بند او قطر آخذين بالتمو بطرد ، في نظام اقتصادي يصب على الرشح ، نظام يحاول ان يخفض معدل التكلفة باحلاله الآلة اكثر فاكثر ، محل الانسان ، نظام يقوم احد اركانه باستثمار البلدان الواقعة عبر البحار في وقت فآخذ فيه هذه البلدان تطالب باستقلالها الناشز

وبعد التناقضات لم تظهر بعد ، بوضوح ، لـ لازمها من مصاعب وصاحبها من مشكلات كما بررت يحلاء للأوروميين ، فاعتبروها عهداً من لرضاء ، لدى مقارنتهم لها بالمصائب التي انهالت على العالم في فترة الستوات العشر التالية . ففي اواسط العشرينات فقط ، قطع رجال الاعمال ورجال السياسة ، كل أمل لهم بالرجوع ثلقائياً الى الحالة العادية او الطبيعية للاعمال ، اي الى الترمع المستمر فيها . واذ ذلك ، راحت جنة بلفور ، في شكلترا ، عام ١٩٢٤ ، ومؤقر حنيف الدولي المعقود عام ١٩٢٧ ، ولجنة التحقيق الألمانية سنة ١٩٢٩ ، تحذرون ، كلاماً من حميتها ، البعث ، بما بعيد النشاط الى التجب رية العالمية . ان اقتناهم تسمر بنوع خاص ، على مشكلة تداول النقد ، (الامر الذي ادى الى اتباع سياسة انكماش التقدم مما زاد الطين بلة والبطالة تعقيداً) وليس الى توسيع الاسواق الداخلية والخارجية . وهكذا بقي التشويش قائماً بين ١٩٢٦ - ١٩٢٧ وبعدت بالتالي ، في الافق ، علامات احتقان السوق العالمية ، بالصناعة - الصناعية ردت قوتها ٥٠٪ عند عام ١٩٩٣ ، والانتاج الزراعي سجل زيادة لا تقلص عن هذا المعدل بشيء . والمرش زاد بدوره على العطب . فالنظم بأجمعه اصبح تحت رحمة هزة جديدة سناتي اعنف وادى من لخرة التي وقعت عام ١٩٣٠ .

الفصل الخامس

البحث السياسي والاجتماعي

« جاز التكاليف على السلعة والاستثمار بها بما لم يسبق له مثيل من قبل في شكل ما شاعدا من نزعته » نتيجة مستمرة لارادة سلطة الدولة التي حالها دعيت « لدواع اقتصادية » ان للتدخل في شؤون المندخلات القوية ، اقتصادية كالتأمين المالية ، او بروتينارية ، والتي كان في مقدورها ان تخرج الى الخروب ، هذه او تلك من المنظمات المذكورة . ثم بعد الامر ولما قط على من القوى الاقتصادية ... »
لوبيان مير

سورة بما حدث في اعقاب الثورة الروسية وحروب الامبراطورية ، راحت الرعدة العمة في السلام والخوف من ثورة على هر الثورة الروسية ، يشعمان العلم الرأسمالي على اقامة نظام محافذ ، وهكذا دخلت اسبوقراطية في أزمة حادة في هذه الوقت بالذات الذي راح فيه حصرها التقليديون - الملكية العسكرية - تمهال الواحدة بعد الاخرى . ولم يكفر انه لم يقع اي إصلاح حذري ، بل راحت الطبقات العليا تشده من قوتها على السلطة ومن احتكارها لها ، مما ادى في الواقع الى ردة قوية ضد المبادئ التحريرية التي طلع بها القرن التاسع عشر .

١ - القوى المحافظة

في الوقت الذي كهرت فيه الثورة الروسية حاداً محترماً من الطبقة الارثوذكسية الروسية المالكية ، اثاروا حواس الطبقات الموحدة . فكما حدث بين ١٧٨٩-١٨٠٠ ، رح البارحون عن روسيا يرون المحاسن والفراش من العظماة والاستباحات ويصفون بمبارات ملؤها الالاسم والاسم ، الفن والاضطرابات والآسي التي وقعت ، بعد ان جثموا وصمغوها وشوهوها ، عما بشروا هبها في الصحافة وانتشأوا حولها جواً من النفرة

والطلع ، نحو فيه - من قريش و بهيد كل من يُشتم منه ميل اليهسا و حذب عليها .
 فالأقاصيص المروية حول « الملح الآخر » والمعلومات التي لا تصدق التي رويوها عنها
 « كتأميم المرأة » ، أوجست بين الناس حالة من « المستبأ الجماعية » برى صورة عنها في ما
 قصته لها عنها فوساير ربا دالس عندما يصف لها الجلسات التي عقدتها لحسة التحقيق في مجلس
 الكونفرس الامركي حول الدعاة الشيوعية ، عام ١٩١٩ . « هؤلاء الشهود الذين كانوا على شيء
 من التعمق والحذر في آرائهم » كما يقول ، لم يدعوا للشهادة ولا من رعب في الاستماع اليهم .
 قلندسات الى « الثورة العالمية » ، واهتالة « بجمهورية دولية للسوفييت الشيعة » ، كل هذه
 الشعارات عذت في الناس « الرعب لا كبر » ، فالنور الذي لمتته الدولية الثلاثة التي اطلقت
 هذه الشعارات اصبح يشار اليه بالبان « في كل فتنة يقوم بها الميل » وفي كل مطلب اصلاحي
 يلوحون به امام لا نظدر .

والروح القومية وهذا الملح وجد حلقا له وشريكا في هذه الروح الوطنية التي
 تجلت قابضة جياشة ، سواء في هذه الدول الحديثة للمهد
 بالاستقلال التي ألغت بمطظة كل اثر لسيطرة الاجبي - عن طريق نزع الملكية او الإبعاد او
 تعبد معاهدات لاقيات تنفيذاً حزنيا - او في تلك الدول التي عجلت على امرها ، قاعدتها
 بلولة ذمية تثار فيها لسرفها ، او عند الدول المنتصرة نفسها حيث يلقى ترحيباً حاداً لدى
 كل المحافظين للتقليديين ولدى الاهتباء المهلين .

اما الولايات المتحدة ، فقد لبست الردة فيها مظهر روح قومية بروستانتية ، بيوريتانية
 متزمنة ، ردت كل ما هو غريب ، وكل ما ليس بميركي مائة مائة . المويين واليهود والكاثوليك
 والاشتراكيين والمعتدين ، على السواء . وهذه الروح « تمجج كل ما ليس بفكر اميركي وتتجسم
 على أمثل ما تكون » في منظمة ككلوكس كلان التي بقيت « بعيت من جديد في جسوبي البلاد
 والغرب والغرب الجنوبي » بعد ان لقيت ضامطة كبراً وراقت لمطلق صفار التجار وصغار
 اللورجوازيين وصغار المسلاكين ، فأثارت في البلاد هجوماً ضد لزواج « في المدن الصناعية في
 الشمال » كما تركت اوجها في التشريعات الرامية الى تحسين النسل والمحافظة على الجنس التي ظهرت
 في ١٩ ولاية من الولايات الاميركية ، للحد من عمل العنات التي تعمل على فساد العرق الاميركي
 وإفساده ، كما تدخلت في قوانين الهجرة والاعتراب ، عام ١٩٢١ وعام ١٩٢٤ . وهذه الروح
 التي سيطرت على البلاد تقصر اما كيف صدر قانون تحريم المشروبات الكحولية (قانون فولستيد
 عام ١٩١٩) الذي حظر تدريس نظرية التطور والارتقاء في المدارس الرسمية في بعض الولايات
 (نسي « كشتاكي » فلوريدا) ، كما كانت هذه الروح بانذات وروء سياسة العرلة التي رفضت
 اقرار معاهدة فرساي واهمدت لولايات المتحدة عن عصبة الأمم .

اما في فرنسا ، فاروح لوطسة التي استطرت قبل الحرب وحاشت في النفوس توتانة
 للتأثر ، فطرب لرؤية العلم والجيش ، والتي تمثل سير تمثيل براطة المواطنين ، وبالعامل الفرنسي ،
 اخمدت قتشرو توسع حلقاتها بين رجال الفكر الفرنسيين وبين رجال السياسة ، يفتديا في

النموس ، نشوة النصر والظلة لامتلاكها إمير طورية استثمارية تضم من الطاقات واوراد مسا يدهش ويسج ، يدعدها الحلم اندي يحول في روع البعض برؤية فرنسا تضم دالة مليون دمة ، والشعور بأن ثمرة النصر ذهبت جرافاً وراحت يندأ بعض نفوس عربية احنية مسودة ، وفريق أغرق أموج من الساسة الفرنسيين ، كما ان الخوف من الثورة البلشفية بعثت في صفوف اليمين الذي يحيش بمطامنة قومية علانية ، عذراً لاحتكار مفهوم الوطن ، ضد هذه الحركات التي يبعثها اليسار المتهم بصلوة مع الدولية الثالثة . وهذه الروح القومية يلتفت حولها رجال الاثيروس والجنش الذي أصبح يعرده اقوى من أي وقت مضى ، والطاقة المورسوارية العليا ، ولتقلص في معروف هذه الصفة من ابناء الشعب التي جعلتها الاصرامات المتكررة تتطاف مع اليمين ، كما ان الحركة النقابية دنتها والجميات المهنية والمطالب المالية التي تترع للعد من سلطة رب العمل لمطلقة في مصنع ، وللدحول في مفاوضات معه على اساس المساوي ، وكل اسين يستجيبون للسمارات المصادرة للديموقراطية ، او المعارضة لروح البرلانية او المعادية للوظفين الذين يقتون النقابات وكل ما يث الى الاشتراكية نسب ، وشبهة الامل التي سستها معاهدات الصلح ، وموقف انديا ، والصعوبات التي آثارتها قضية دفع التوضعات ، كل هذه العناصر حملت على التنازع صائب كبير من لراي العام حول برنامج عدم هدف الى لاكتار من التسليح وجمع الاحلاف والوقوف موقف الحذر من عصدة الامم ، واعتقاد سياسة للتشدد والحزم ، والتقييد بتطبيق نصوص المواثيق ، والمعاهدات المعقودة التي تنص على انصباط وطني آمر يستعد على تسلسل اجتماعي والدفاع عن القيم الوطنية .

اما في المابيسا ، فقد اقيمت الروح الوطنية مغدباً لها وموقظاً ، في قسوة الشروط وحسرة الارضاع التي فرضتها عليها معاهدة فرساي ، وفي هذه الروح الالمانية المستكبرة المستعطفة التي تصاغت امام الحسف الذي نالته في الحرب ، واصطارارها للنزول عند رعات شعوب عالمنا نظرت اليها من على بامتحف واردرء ، كاللؤلؤيين مثلاً ، ولادة ٢٣١ من معاهدة فرساي التي خرجت اناني على الاعتراف بمسؤولياتها في إطلاق شرارة الحرب كما ارجعتها على الاعتراف باستمالة اساليب بربرية ودرائع وحشية في النهوض بها . وقد وجدت هذه الروح غذاء لها في هذه المساعي الجاهدة التي قام بها فريق من الفرنسيين لاقضاء على وحدتها باقتحامهم لإثارة حركات بمصالية ، وفي السياسة التي انتهجها بواشكارية متطرفة المعاهدات المعقودة نصاً وروحاً ، وباحتلال فرنسا المرمكفوت والروهر ، وسياسة الاحلاف التي تسعها فرنسا منهية اباهما بصرب نطاق حرها يسر معها التمتع بها ، وهذا الجيش الذي لم يهرم بل راح ضحية طمعة حنجر في الظهر ، فصارت المعاهدة الحد من قوته ويطشه ، واندي يحاول بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، لطماع على تقاليد المحبة والبقاء حياً قوياً بعد ان يتكاد من رسائل التمويه والتمنية والتصليل ، وحول فرقة اللينيكوم التي تتألف من منطوعين احرار أولاً ثم حول تشكيلات عديدة شبه عسكرية قسمت وراء مظاهر غرارة ، فراحت الروح

~ والوطنية الألمانية تفقد في المفوس روح الشاركا تفندي فيها روح العداء لجمهورية ويبار نشت
 الثورة التي فرضها الاحمي ، والتي وقعت في معاهدة ورساي الفائلة ومقابل فريق من
 رجال السياسة ، لا مكانة لهم ولا شأن ، راح الجيش من جهته ، وارباب الصناعة الضعفة من
 حقه ، يشجعون المنظمات القومية التي تختبئ اليها ، تصار الملكية الذي كان عددهم كبيراً
 وحسوم الشيوعيين ، واعداء السامية ، والوطنيين المناهضين لليدوقر طيين ، وهذا العديد من
 الهيئات الشعبية ، حسق ومجلس الجمهورية الربيخ ، وهب على البلاد ثمار فكري عامض المعام
 يتميز بمخاضته للأسمالية والسامية والليبرالية والروح الفردية والماركسية تدور حول فريق من
 الكتاب وهذه لاقتصاد الذي يحمون الى ذكريات الماضي الذي انقضى ويمرضون عن حاضر
 يبحث الانقراض والاسف في النفس ، مثال وبرت سميرت ، رسول الاشتراكية الالمانية ،
 وارورالد شمعلر ، صاحب الكتاب المشهور « هروب العرب » ومولر فان دن بروك لدي
 طلع علي ، في كتاب الموسوم « التاريخ الثبات » الصادر عام ١٩٢٢ ، بنظرية صفاء الدم او
 العرق ، واجهاد بحرية الرأسمالية الدولية واليهود ... وكلها مبادئ تساهها كتاب « كفاحي »
 الذي ظهرت طمعت لأول ، عام ١٩٢٥ ، والذي بقي من الرواج واصاب من الانتشار والشيوع
 ما جعل منه خطراً مداماً .

وفي ايطاليا اتخذ التيار القومي الذي حرر الامة الى الحرب رغماً عنها ردة جديدة وارتدى
 مشاعراً راحراً من حراء حمية الامل التي سبقتها له معاهدات السلم . فقد كانت ايطاليا احدي
 الدول التي عادت عليها الحرب بفوائد ومكاسب جمّة ، منها مثلاً ، ضم تريت ومقاطعة استريا
 ورايت فتمت بذلك وحدتها الجغرافية فانصام أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ الماني واكثر من
 ٥٠٠,٠٠٠ كرواتي وسلوفاقي واحتفظت لنفسها بحري الدويكنايز التي يقطنها يوفان ، كما كرست
 المعاهدة روال منافستها للدود وعدوتها الكبرى : النمسا والمجر . وقد ساهم هذا عدم تطبيق
 الاتفاق المفقود ، عام ١٩١٥ الذي تعهد لها باعطائها دلتيا ، وهدم مشاركتها باقتسام حركة
 للسلطنة العثمانية ، والامبراطورية الاستعمارية الالمانية . وقد وجدت الروح القومية الابطالية
 امامها فرصة ذهبية لاستغلال الحقن المتصم في القلوب من جراء اولفاح الاسمار واشتداد
 البطالة في البلاد ، والقلق الاجتماعي الناجم عن الاضرابات واعتصامات ، ولاضطراب السدي
 على ارباب العمل من تصرفات البروليتاريا المنظمة . ود ذلك اي سنة ١٩١٩ ، استندلت كتابات
 العمل الثوري التي رأت النور عام ١٩١٥ سمها باسم كتائب المعركة الابطالية ، فاستندت
 اليها متطوعي غبريل داولزو ، واخذت تبنى هجعت تأديبية ضد النقيبين والاشتراكيين ،
 والكانتوليك الشمسين ، وبالتواظف مع الحكومة واخيش حبيب موسوليني لي الحكم .

وفي اليابان حيث يسم قادة الجيش بملود قوي ، تسامت منظمات وطنية ذات نغمة حربية
 رادت هذا الملود وسوفاً ووجدت من هذه انظمات جمعية الحشد الشعبي ، والجميبت
 المتأهضة للرأسمالية يعصدها صغار الصباط الذين يعودون الى اصل رصيع ويفقهون جيداً ما

يعني عندهم ضغط كبار الملاكين وشركات الاحتكار على أسرمم وهوانهم ، والاضطرابات السرية الصديق الاخرى كمظلمة « التين الاسود » ومنظمة «احتياطي وعير مما ظهرت دذاك» عمل اعدوها دعاء مثل العروسية والبطولة البامدة عن الرشيد وعن عيادة الوطن العمياء التي هدت في النفوس لحروب المظلمة التي قادوها ضد الصبي وجد لروس ، والايمن بأن « التينو » او الامبراطور هو ان الالهة ، ولاعتقاد لراسخ في اليهود بأن البان هي محور العالم ونقطة الدائرة فيه . وفي احتقارهم للشامل لاعضاء البرلمان الذين لا سلطة لهم ولا شأن ، وللأحزاب المتكسكة ، وللناسيين الفارقين في الفساد والافساد ، راحت طيئات والنظريات تصفي بالقتل كل من تفتهم خوبة ، وهكذا هم عتيد لرئيس هذا عام ١٩٢١ لأنه وقع اتفاق واشطن ، وراحت تعدي في القلوب والنفوس متسالية تقول بالحامعة اليابانية ، على عرار الحامعة الجرمانية .

تنوعت مظاهر هذه الروح القومية المعادية وتلوت اهدافها . من مظاهرها المعنوية او العرقية الرئيسية مثلا : العرقية او العنصرية التي قنعوني على دعاء ارق حذري للاجاس السفلى العازية . وقد برزت هذه البرعة في الولايات المتحدة الاميركية حيث لف التمييز العنصري كل الملايين ، في اي قطاع كانوا من قطاعات البلاد حتى في نقابات العمال التي حظور عليهم دعوف كاهضاء والانتساب اليها ، وبصورة احف ضد اليهود ، وهي نزعة امتدت الى امريكا الجنوبية حيث اشد التمييز العنصري بين البيض وبين سكان البلاد الاصليين ، الذين تم حشدهم وتجميعهم في ماكن فقيرة ، يسها حنفظ بأعيب الارض وأجورها للبيض . وعلى هذه السياسة العنصرية سارت كل من ستراليا وريلاندا الجديدة . لثان اعلفت مصادرها وامهاها دون كل هجرة سيوية اليها (اوستراليا البيضاء) ، لا تلب الا بصوبة كلية لـكل هجرة غير اوكلوسكسوية .

من اشكال هذه العنصرية وألوانها ايضا مصادمة السامية ، وهي نزعة ارتكضت بها احشاء اوروبا الوسطى كما جاشت بها اوروبا الشرقية حيث يكثر نسبياً عدد اليهود لا سيما في انصارف والتجارة والامساعد الفكرية والمهن الحرة . ورج صغار النورحو زيين والواسط لأكبركية يتهمون اليهود « بتعصيد الترامالية الحديثة في بعض مظاهرها » ، كما اتهمهم بلعب دورهم بين الاحزاب الثورية . ففي بولوبيا ورومانيا حيث الدول الكبرى فرحت على هذه البلاد إعطاء لجنسية البولوية والرومانية لليهود بصورة آلية تلقائية ، كثيراً ما رى كس بيدم الربط والحل في هذه البلاد يحالفون القانون ويتصرون حكاهم في ما يتعلق باليهود . قبوسعون لهم من أسباب العنف والتفويض حتى المادابع بالهجة . وفي المانيا حيث لا يمثل لليهود سوى نسبة ضئيلة في السكان حتى بعد دخول ١٠٠٠٠٠٠ يهودي اليها من اللينويين والدولويين والاكرايين ، فما زالت دعاوة ماكرة بعيدة تنتشر صدم لا سيما في الرنشر بروكولات حكاه صهيون ، تجعلهم مسؤولين عن كل المذابات التي تقاسي منها البلاد ، كما تعزو اليهم تدبير مؤامرات ودسائس في

الحلفاء ضد المجتمع لاني . وقد حثهم اخذ على الاخص ضد هؤلاء اليهود الذين يؤجروا السما من الشرق الذين يتفردون عن سواهم بلعنهم وعط عدشهم ولا سجاد صدار التجار منهم . والامر يجري على الوثيرة ذاتها في فرنسا حيث ماضة السامية تؤلف منذ حوادث دروسون ودر يعوس ، احد المواصيح التي تغذي الدهماء وطمية

وهذه الروح القومية التي اخذوا يؤدوها ، اصغر فأكثر ، في دور الصنائع لمصالح لهاظين والمصالح الاقتصادية الكبرى بدأت حركة تقارب من الكنيسة . فلناوبة التي تغيرت بموقعها الجديد التام في الحرب ، والتي ظهر عليها الحزب من احتمال انكسار الدنيا والمسا والمحر ، اخذت منذ عام ١٩١٩ ، تراخى مشكلات حادة . ان انفجار الملكية المردوحة - وهي الدولة الكاثوليكية لمثل - وصم طيات كاثوليكية الى دول اكثريتها تتألف من لارثودكس (رومانيا ويوغوسلافيا) ، م يعوض عنه فقط بمثل دولة بونوب الكاثوليكية . ولاضافة الى ذلك ، ان خلوع دولة صديده ، معروفة بعداها المكشوف للعائد الدينية ، راد كثيراً من هواجس النابوية ومحاولها راحت تحوّل تكيف ، معاً مع الظروف الجديدة عن طريق لقوة مركزيتها ، وذلك بمقدّمها الحق القايوي الذي باشرت بوصفه هام ١٩٠٤ . فالتوحيد الذي احرقه في اللينورجيا ، وفتح المرب من الاكيريكيات والمعاهد الوحشية في روما ، ومحاولة تحقيق الاتحاد مع الارثودكس ولاسكليكان بواسطة طائفة والاونيات ، كما جاء في البرعة الرسولية (كنيسة الله) الصادرة عام ١٩٢٣ والتي تؤلف بداءهم بهذا المعنى ، وعقد اجتماعات دورية بين رجال اللاهوت ، من ارثودكس وكاثوليك ، في وهر ، وبين كاثوليك واسكليكان ، في مالين ، عام ١٩٣١ ، و ١٩٢٦ ، ولقوة تعوذا بواسطة الصن الكاثوليكي الذي يترع في بناء حراب طائفية في كل بلد ، رالى تنشيط العمل الرسولي بواسطة العديدين في لاطساط التي يتمون بها او يعمدون فيها . وخبراً حدثت تقرب من الحكومات ، ورحلت تتعاون معها وتنفذ معها معاهدات تحالف . وهذه الفئة من الوردجوارية التي اخذت على نفسها ، قبل عام ١٩١٣ ، لدفع عن مميزات الدولة ، جمعت من غلاتها ضد الكنيسة فوصفت حاداً القوانين التي تتعلق بالكنيسة وعرفت عن فكرة فصل الدين اساس السيادة التي رسمتها للمستقل ، وحدثت تدلل عن استعداد التام ، لتتخلي الناصر عن الفلسفة التشريعية ، التي عمل بها ووصفت موضع التمييز ، منذ عهد قريباً .

والنا بيوس الحادي عشر الذي عمل سنتين سفيراً بابوياً في بولونيا عند تأسيس هذه الدولة وحلال حربها مع روسيا ، والذي بحث فيه تجربته هذه وخبره الواسع ، الرغب من البلشفية ومن الافكار الثورية التي تحملها ، اسن سياه عقد معاهدات بين الكنيسة والدول التي تضمن للكنيسة امتيازات حزبية ومناهج محترمة . فمقد ١٥ معاهدة دينية تنسائية الطرفين ، بين ١٩١٩ - ١٩٢٩ تمّ عقدها بين ليتوانيا وبافاريا ، وبولونيا وفرنسا وديتوانيا وتشيكوسلوفاكيا ،

والبرتغال وإيطاليا ورومانيا وعلى الاجمال ، تكبر من هذه المواقف ، ولو بصورة ضمنية على الأقل ، بعض احكام الحق القانوني ، كما ان بعض هذه المعاهدات يحرم النص الحربي للحق القانوني . وتوجب اعتياده والتقيده لدى لاقتضاء ، و « يرجع الى نص الحق القانوني بالذات في كل شرح او تفسير يعود للمؤسسات اديبيه » فالاساقفة يسميهم البابا بعد استشارة شكلية للحكومة المختصة فتقطعهم لدولة ملكاً كدنيا بشكل وقف او بشكل معاش تدفعه لهم الدولة ، وتسمى مدني المعاده من كل رسم ، وكذلك الاكاريكيات والاسقفيات كما يعمون من الخدمة العسكرية ، وتؤم لهم الدولة كل سيطرة في سبيل تنفيذ احكام المحاكم الروحية الصادرة بحق الاكاريكيين الذي يجري ، لسبب من الاسباب ، فصلهم من الخدمة او طردهم من السلك ، كما تمارت السلطة لرمية ، بمقدور اروج التي تعقدتها الكنيسة وبشكل ما يترتب على هذه العقود من تعات قضائية ومسؤوليات كنسية ، وتأمين حرية التعليم الديني مع مراقبة الاساقفة للتربية الدينية والادبية في المدارس الرسمية ، وحتى تأليف الجمعيات والرهائيات الدينية ، الخ . وقد رأت هذه السبب تمامها وإكمالها بإعادة التمثيل الفرنسي بدرجة سفير لدى الكرسي الرسولي ، وكما تمت المصالحة مع الدولة الايطالية بمقد معاهدة اللاتران ، عام ١٩٢٩ ، هذه المعاهدة التي عادت ايطاليا الى الله كما اعدت الله الى ايطاليا ، كما انها اعترفت بدولة الفاتيكان . فاندولتان لاروبيتان اللتان ذهبت مبدأ في سياستها المتهاضة للاكليروس وروحاله ، اتتا الدليل الفاطم على التمسك هذه السياسة وعلى شجعها .

وتعش الكنيسة في ميركا ، سوء أكالت برونتية ام كاثوليكية ، قوة محافظة لا يستهان بها وتتمتع ب « الى حد بعيد » مع الحكومات الشرعية في اوروبا ، لا سيما مع العاشية ثم تعاملت ، فيما بعد ، مع نظم فديكو في سانيا وسالار في البرتغال ، وهذه الكنائس تخرج على الظهور بتسكها الشديد بالقومية الاميركية وبمثالية تلت كل حركة اصلاحية اجتماعية شتم منها بحافة اميركا وتخرج عن الطابع الاميركي وتمس من قريب ، او بعد ، نظاماً سياسياً يقوم على مبدأ الكسب المشروع .

ان تعاضد دولة المؤسسات النظامية القائمة ضمن طبقة العمال
الزمة الديمقراطية البرلمانية

والقوة التي حلقته الثورة الشيوعية المميدة ، أدت الى تطورات حذرة داخل النظام الديمقراطي الليبرالي . فطالما تعاقب على الحكم احزاب محافظة مهما كانت شكلها ونوعها ، متعقة فيما بينها رأياً ونظراً حول المبادئ الاساسية العامة ، اي حول التمسك الاساسي لمجتمع الشري ، كان من الطبيعي جداً ، وأيم الحق ، ان تلتسبب هذه الاحزاب على الحكم دون ان تخشى الوحدة منها اية مفاجأة او ان توجس شراً من موقف الاخرى التي تحمل محلها في الحكم ، وان توجب صرية قاسية لنظام الكنيسة . اما الآن ، ولم يمتد امتداد حزبان من نوع او حدس واحد بل نحن امام طليقتين معاندتين متضادتين ، اما لأن ، ولم تعد الطليقة المالوية لتفصح باصلاحات حربية تحققتها تدريجياً ، بل تحاول ان توسع مفهومها .

الديموقراطية ولما دأبها العامة بحيث تعادل المجالين الاقتصادي والاجتماعي ، وان المطالبة باصلاح اجتماعي يمكن ان يتم بقوة سياسية . موضوع جديد وما يمكنه من احتمالات مرعبة يؤلف خطراً جديداً في التصميم النظام الاجتماعي القائم . فالنور اخذ يشتد ، كما ان العنفة الحاكمة اردت تصلاً في تعظيمها وتخوفها ، للوقوف في وجه كل اصلاح يلناول الاساس فهذه الهيئات تنحلي عن الاساليب التقليدية التي اتعتها لترغم الحكومة على انتهاج سياسة فأحد على نفسها الدفاع عن مصالحها . وهي ذلك هو موطن النظام البرلماني الأمثل ، روح عضو اشتراكي محتدل ، هو هارون دج لاسكي ، يتساءل ، بعد ان وهي حقيقة هذا التناقض ، ما اذا كان بالامكان ، التوفيق بين الحركة العمالية التي ترمي الى ادخال تطوير جذري على الهيئة الاجتماعية وبين النظام البرلماني الذي تتسامى طبيعته وهذا التطور . ومن جهة اخرى ، فالمشروعات الاستثنائية الصعبة التي تشرف او تهيم على الصناديق الرئيسية لها من القوة والاطاقة ومنها من سرعة الطلب ما لم يكن له من قبل ، اذ ان اودها هذه المشروعات يتوقف ، قبل كل شيء ، على السياسة الاقتصادية التي تنتهجها الحكومة ، والتي تستطيع ان تشجعها كما تستطيع ان تحد منها عن طريق التشريعات الحركية والصرائية والاجتماعية . والظربة الليبرالية التي كانت تنمى من قبل ألا تتدخل الدولة في الشؤون الاجتماعية والعصا الاقتصادية ، عما امرها الآن ، اذ اصبح من اللام ، اليوم ، وضع الدولة في إطار مصالح الطبقات المتحركة وابقائها في هذا الإطار ، لاستثمار هذه المشروعات ولما اقتضاها عن كتب .

تقر بتطور المشروعات
الكبرى
تحت تصرف المشروعات الكبرى ومصلحتها الرئيسية اليوم ،
امكانات عمل لم تكن لتتوفر لها من قبل على هذا النحو من القوة .
وبين الهيئات الضاعطة ، الهيئات الوسيطة التي تدفع عن مصالح اعضائها لدى الحكومات وهي هيئات قوية النفوذ بفضل ما لديها من وسائل التأثير والاغراء ، وبفضل ما لها من قوة في الانتفاضات ، باعتبارها المرسع الأخير الذي تعتمد لادارات العامة هندمها ثود الحصول على معلومات فنية دقيقة ، فوضع تمريرات حركية جديدة ، او لتعديد اسرار الحاجيات - وكلاهما مشكلتان لمتادورا كبريا في السنوات الأخيرة . وهذه الاقلية (الاوليفاشية) التي تحكم بالشؤون الاقتصادية العليا لا توجب شراً على مصالحها ولا تخشى بأشاً من الدولة ، بل بينها وبين الدولة ، من واحد وروبط صميمة (بعضها ينسج الى حد بعيد) بالصرية والحقية ، لا سيما ، كما جاء في تعليق للسيد ج. بيو ، « والصناعة بأجمعها تقريباً باستثناء من احتفظ منها ببعض الجراء والشجاعة ، تقع مباشرة ، وحادورة تحت انراب هذه القوى التي طالما نعتوها « بالاحويات الاقتصادية » .

نظم الاحزاب وتطور
هناك تنبذ فيها
وراد الديموقراطية البرلمانية ، صففاً على ضعف ، التطور الذي لحق
بالاحزاب ، وهذه الاجراءات التي اتخذت ، خبال الحرب ،
لتقوية العنصر التمييزي الضالع بمسؤولياتها ، ولتوسيع من نطاق صلاحياته ، اي نقل السلطة

الفعلية التي تمنع بها الهيئة الانتخابية ، الى البرلمان على ان يتخلى عنها للحكومة ، وهو اسلوب اخذ يزاد ريتسع ، والتنظيم الحزبي حدد يرتدي طامعا يتسم بالتصلب ، ويتلخص بالركزية ، وبذلك يصعق تأثير المناصرين على من يبدع هذه الامور ، بينما يصبح من مدمر العصر التيمبدي ، على عكس ذلك ، كني القسرة والسلطة . فهي بريطانيا مثلاً ليس من اميل قسط للمرشح المنفرد بالنجاح او لتعدد انتخاياه وبعد ان يجري تعاليم ، يخضع المصوب ، ومظلمهم فكرة يمينهم رؤساء الحزب او اللحد المختصة ، عن طريق الاحتيار ، في معظم الاحوال ، الامصطية صارمة ، آسرة مراقب ، عن كسب ، حضورهم الحاسات ، وقصودتهم (بواسطة عامل الوسط في مجلس العموم) وبذلك يصحون آلات او ثوماتيكية في عملية التصويت ، ورئيس حزب الاكثرية في المجلس يصبح بصورة او ثوماتيكية ، بحكم الاكثرية التي تسنده ، رئيساً للحكومة ويرتبط مصيرهم بصير المجلس ، اذ لا يمكن قلبه الا عن طريق انتخابات جديدة . فحق حل المجلس لم يشد يلعب في عملية تحكيم يشدد حولها الخلاف بين الحكومة والمجلس بل يجب الرجوع فيها الى استفتاء شعبي أو إجراء انتخابات عامة في ظروف ملائمة للأكثرية . وفي انديا ، يأتي تنظيم الحزب قبل مروية وطوعية من في دول اخرى . فمظام التمثيل النسبي الكامل يعطي كل حزب عدداً من النواب يتناسب وعدده بأغلبية ، في المجلس ، وعدداً من الوزراء ، يتناسب وعدده بدرجة ، وفي الرايخ ، عدداً من الوظائف الادارية يتناسب وامية الحزب . وهكذا يرى الحكم فيها يتفاحه ، في الواقع ، عدد من هيئات والمؤسسات المتنافسة تتمثل بتدويني مختارهم ليتولوا باسما ، مراكز في الحكم والوظائف الادارية والمرشعون للانتخابات يجري انتخابهم هائيا من قسمل لحالت إدارية ، تتدخل في كل قضية هامة تعرض للبحث ويتعمد القطع بها ، في مفاوضات سرية تخضع للمساومات والمساقتات المتعددة . ان عدم توفر اعشيرة ثابتة يؤمن المود لمصالح الاقتصادية الكبرى الكلية القدرة كما يفري صاحب ادارة قننى امينة وتستجيب لتقاليد السلطة لمعية .

ومن جهة اخرى ، فحسا على المعقدة التي يترتب على الحكومات الست فيها ، والاضطرار لاتحاد الحلول المرحمة ، ومركية التسييلات التي تفرها الصبابة والتفوق والرادير للاعلان ونقل الاوامر والعمليات ، كل ذلك ومع كثيراً منذ الحرب من نطاق تعدد . فالمجلس وهيئات لاستشارة التي عليها ان توضع الحلول التي تقتضها مشكلات تقنية حادة ، كثيراً ما حال دون اعطاء الحل السريع المرجى ، ذان تتنازل الآلة وصعب مردودها كان من بعض نتائج انتقال سلطة القطع او اجرم . وهكذا ترى حاداً كبيراً من سلطة المجلس الاسامية تنتقل امسبا الى ايدي الادارة ، وامسبا الى العصر التيمبدي في الحرب ، بعد ان قويت سلطته بمجرد اعتماده المتزايد على الخبراء الذين يشعك بهم .

ففي بريطانيا العظمى تركزت السلطة التنفيذية ، بالفعل ، بين يدي فئة ضئيلة من الوزراء ، عندما يكون على رئاسة الوزارة شخصية قوية ، كما كانه لويد جورج مثلاً . فهو الذي يتخذ في

العالم القارات المتوقعة ، ان تشعب هذه المسؤوليات وتمتددا وتشابكها المريك قصوى بأن يحيط نفسه بعدد من الدوائر والمصالح تؤلف نوعاً من امانة سر الدولة ، تتألف من خبراء وفنيين يتولون دروس المشكلات المارضة التي تدور ضمن اختصاص وزارة ما من اور رات ، قوى رئيس الوزارة استقلالاً واسماً عن زملائه في الحكم ، الامر الذي موع للقانوني البريطاني المشهور ومزي هوير ان يتكلم عن « دكتاتورية الوزارة » في انكلترا .

اما في فرنسا ، فقد وسعت السلطة التنفيذية ، من نطاق سلطتها ، فارجوع الى المرسوم الاشتراعي ، بعد ان يجوز المجلس الحكومة ، سلطة التشريع في موضوع او مواضيع لا تستطيع او لا ترغب الاكثرية تحمل مسؤوليته . ففي عام ١٩٣٤ و ١٩٣٦ ، تحولت وزارة برانكاريه ، اتحدة الوسائل التي توفر الى البلاد مليار فرنك ، عن طريق الاصلاحات المالية في البلاد ، وتبسيط الامامات الادارية ، راسم شراعية يقرها مجلس وزراء . وهكذا يتخطى البرلمان عن صلاحياته للوزراء ، اي للحكومة ، و مراقبه التي يجرها ، فيما بعد تأتي صعيقة ان لم نقل لا تأثير لها .

وهكذا فالدول التي تتخبط في خضم المشكلات التي خلفتها الادارة العامة وتفردها لتساعد الحروب وراها ، ترى الادارة فيها تتعد الميز من البعود وعظم الشأن ، من جر ، تزايد مداخلات الدولة وتعقد تصيد القوانين ، لامر الذي يفرض قيام هيئة من الموظفين المتخصصين والتقنيين ، لمحربين . والحال ، فالادارة العليا تؤحد من بين الطبقات الموصية عن طريق الاحيار لامل ، وهكذا ترى في شكلها مثلاً انه لم يعد من الممكن أخذ كبار موظفي لادارة الا من خريجي الجامعات الارستوقراطية ، كأمثق واكسفورد وكمبريدج . اما الباقيون فيؤحدون من بين الطبقة الوردو حوالية العليا بحيث تستطيع البلاد ان تصون ما عرفت به من روح محافظة تعتمد المعاهد الرسمية العليا عن قديتها والتوسع لها في النفوس . وفي فرنسا ايضاً ان اعضاء الهيئات الادارية العليا ، كاللغتش المالي ومجلس شوري لدولة الذي يلعب دوراً كبيراً في اعداد القوانين وفي تفسيرها وشرحها وتطبيقها عن طريق المذكرات الادارية العامة ، يؤتى بهم عادة من ابعين نفسه اي من اوساط الوردو حوالية العليا ، كما ان عدداً كبيراً من موظفي هذه الفئة ينتقلون للعمل في امصالح الخاصة . ولم يجر اختيار هؤلاء الموظفين عن طريق صلاتهم العائلية او عن طريق صداقات خاصة ، للدفاع عن امصالح الطبقات الحاكمة . تصامناً مع طغنتهم و احكاماً لتقيد فلتهم ، لهم يقومون ، من حيث يدرون او لا يدرون ، تحت ضغط اميقات الاقتصادية المعنوية ، اذ منها يستمدون ، على العال ، اعطيات القسية التي يحتاجون اليها ويعتمدون عليها في تخطيطهم

فراي القام والمصافة في إطار الحضرة الديموقراطية حيث للجماهير مثل هذا الدور العظيم الشأن ، فامصالح التي تحرك الأحزاب وتوجه الحكومات ، هي نفسها المصالح التي تحرك الرأي العام ، عن طريق الصحافة . فالجهاد الذي قامت بأمره الصحافة

خلال القرن التاسع عشر لتأمين ما تحتاج اليه من حرية لم يكن سوى عراق صد السلطات العامة يرمي للدفاع عن حرية هذه الصحافة ، من تمديدات لحكام . وقد ظهر خطر آخر على الصحافة ، منذ عهد نبيد ، جاء هذه المرة من « ارباب المال » الذين يتوفر لهم وخدمهم ، خارج الحكومة والاحزاب القوية ، موارد ضخمة لا يسد من ثورها لإنشاء وسائل إعلامية يربح فيها وقصناعة الرأي العام ، أصبحت اليوم ، صناعة كغيرها من الصناعات الفتنة ، وبذلك أصبح ارباب الخرائد ، رجال اعمال تعيش اعمالهم وتزدهر من الاعلانات توزعها الشركات التجارية ، والصناعية للكبرى . والحال ، والجريدة تكلف اكثر مما تدر على صاحبها . فالجريدة التي تسع فلس (بي) في اسكتلندا والتي لا تدر على الناشر سوى $\frac{1}{2}$ فلس ، تكلف فالمن ، ما لا يقل عن فلس وربع . ولذا وحسب انت نمعد هن احريده كل ما من شأنه ان يفسر المشتركين ويقصي عنهم لاعلان ، اذا لم تنشأ الادارة ان تتعرض لصفوات ومشاكل مالية . وهكذا يتعدد استقلال «صحيفة» ، إلا ان تأثير الفئات الضاغطة او الفئات المؤثرة مع تأثير الإعلان ، يلحقان بعض الصعاب بهذا الاستقلال . فعملهم الموهن او المعطل يقوم على الأحص ، بالاحفاظ بعض الاخبار او بالتقليل منها ، حتى إذا ما رفضت الجريدة الانصياع لرغبة هذه الفئة ، حرمت من الاعلان فيب فقن مواردها ويتهددهم الافلاس . وهذا ما أصاب بالعمل صحيفة «شاتها توغا» الاحديرية ، التي باصرت وماشت مشروع وادي نسي ، والتي قفلت أبوابها عام ١٩٣٩ بسبب قسح الشركات الكهربائية الخاصة ، الاعلان عنها ، بمارضتها لمشروع الرئيس دورفست

وهذه الصناعة - صناعة الصحيفة - كغيرها من صناعات العصر ، تتركز وتتركز الى الاحتكار والتخصص . هالك لجمادات خنكارية قللك : الجرائد اليومية والاسوعية ، كما قللك الجرائد المصورة واحياداً حردندات لون سياسي معين . ففي كل البلدان تؤلف الصحافة صحيفة تجارية كبرى . فهي تحتل في نظائر المراتبة الثانية عشرة بين الصناعات البريطانية ، اي انها تأتي قبل بناء السفن . فالدائلي ديور في نيويورك تسحب مليون نسخة وربع المليون من كل صحيفة تصدرها اي ما يوازي سحب كل صحيفة نيويورك مجتمعة . ففي عام ١٩٣٠ ، كانت عشر جرائد يومية بريطانية ، تسحب ٩ ملايين نسخة ، منها مليونان لصحيفة «ديلي هيرالد» والدائلي كسبريس . وجرائد يوم الاحد كجريدة «نيويورك اوفا دي وارلد» والشعب ، كانت تطبع ٣,٧٥٠,٠٠٠ و ٣,٠٠٠,٠٠٠ نسخة وكل صحيفة اسكتلندا موزعة بين سبع فئات جبارة ، منها ستة هرمرورث باسم اللورد بورثكليف واحييه اللورد روثمور ، وفئة اللورد كمرور وفئة اللورد كسلي وفئة وستنغر التي تضم ٣٦ صحيفة ، وصحيف المقاطعات التي تشرف عليها أمر تونري وديرسن ، وفئة اودهامز التي تشهد بشر حرائد حرب العمل . وعلى ستة محتلة ، همالك مثل هسداا التركيبي في البلدان الأخرى . ففي كل بلد ، قللك لاستشارات الكبرى مباشرة ، جرائدها ولها تأثير مهم على الاتجاهات والتيارات السلبية ، حتى ولا سبها على الجرائد ذات الطابع الاحباري . ونشأ عن هذه القاعدة الصحافة اليسارية المتطرفة ، اشتراكية كانت ام شيوعية

وجريدة التيمس التي تولاهما بعد وفاة صاحبها النورد نورثكليف عام ١٩٣٢ ، الميجور أستور الذي عرف ان يؤمن بها استقلالها بوضعها تحت اشراف خمسة اعضاء . وفي المانيا يقوم الاحتكار الذي يتألف من شيرل وأولشباين وشيلز ، وهذا الأخير كان يشرف ، عام ١٩٢٠ ، على ٦٠ صحيفة ووكالة اخبار ، وعلى دار نشر ، وغير ذلك من المؤسسات .

اما في الولايات المتحدة بين ١٩١٠-١٩١٢ ، فالجرائد اليومية التي كان سحبها يردد ١٢٥ ٪ ، سقط ٣١٨ ٪ ، كما ان نسبة الجرائد التي تقوم فيها الصحافة على المنافسة ، سقطت ، في الفترة ذاتها من ٥٧ الى ٥٤ ٪ ، كما انها احتلت و سقطت في ٩٤ ٪ من المدن التي كانت تصدر فيها ، دان ١٤ من مالكي الصحف يشرفون على عدد من الجرائد يمثل ٢٥ ٪ من مجموع السحب اليومي . وهناك ٥٦ سلسلة اساساً ما تكون مرتبطة بمطبات إداعة ، تمثل رؤوس اموال ضخمة ففي سنة ١٩٤٠ ، كانت سلسلة هيرست تقدر بـ ٩٠ مليون دولار

وهذه البرعة تبرز ايضاً في بريطانيا . اذ ان ٤٧ ٪ من جرائد الصباح التي كانت تصدر بين ١٩٢٠-١٩٤٥ ، و ٢٥ ٪ من الجرائد المسائية ، احتلت وزالت من الوجود فمن اصل الجرائد اليومية للصحف عشر التي كانت تصدر في لندن عام ١٩٣٩ ، كان ١٢ منها فقط لا تزال مستمرة في صدورها ، عام ١٩٥٥ . كذلك في فرنسا ، حيث كان يصدر ٣٣٨ جريدة يومية عام ١٩٣٩ ، فلم يبق منها على الصدور ، عام ١٩٥٣ ، سوى ١٦٤ جريدة لا غير . وفي باريس ندافس ان النصف عدد الجرائد اليومية في الفترة الواقعة بين ١٩٣٩-١٩٥٥ ، وفي المقاطعات سقط عدد الجرائد من ١٢٧ جريدة الى ١٢٣ ، وهي هذه النسبة او لمعدل ، قس باقي النصف العالم .

والاضطرار دوماً الى تخفيض نفقات اصدار الصحيفة وتأمين استثمار صدورها على نطاق تجاري واعلاني رابح ، يستدعي حتماً انتهاز وسعة المظهر والمحافظة عليه . وهكذا تكونت وكالات المراسلين وسلاسل توزيع مقالات قياسية ، يجري إعدادهم وفقاً لخطط معين ويتقضي ظهورها مرتين من تحرير بمقابلة او دهمية معينة ، وهي مقالات يجري التقاطها بمض الاحيان بالحياز الاقل او المسجل للاخبار اللاسلكية عن بُعد ، وهي طريقة تقصد كثيراً من عذات صدار الصحف ، ثم تنعكس الصحيفة للصدور بمودج معين ، من القاري العادي ، اذ ان عدداً كبيراً من الصحف تنشر المقالات ذاتها والاحبار ذاتها والرسومات ذاتها ، والصور ذاتها ولرسوم الهزلية ذاتها ، والتعليقات ذاتها . وهي مركزية تؤدي حرية الصحافة في الصمم ، كما تؤدي الاستقلال في الخبر .

اما في المجال الفكري ، فالمكان المخصص للاعلان والذي يأخذ احياناً نصف الصحيفة في الجرائد الاميركية ، فله عسة في ارماء الجمهور الذي يكثر في جريدته ، عن وسيلة لتقليبة والترويجية اكثر منها جريدة اخبار موضوعية ، ولذا فهي تحفص من الخبر المخصص للأخبار والمقالات العامة لتفصح بجلاً اكبر للأخبار المثيرة ، بعد ان يمن قلم التحرير في تشويها وفي

احتصارها لتصبح من هذا اللون المعروف فيه (ن جرائد الزورد مور شكليف) نشرت بين ١٩١٧ - ١٩٣٣ ، حيزية مقتن ليبن ٣٧ مرة ، كما كانت تحرص على احبار الحر ثم والفظائع و الاحبار التي نشر الفضول بن للنس ، و لرويات الولى لسلطة ، والصور لطرية المتابعة ، واحبار لألعب وملاهي ، ومشكلات اليريدج والشهرج والكلمات المتصصة ، وضرورة سباق المعير على نشر الخبر المثير ، في احبار طارعه تصهر الصعوبة الى نشر بصوص شوست او حرقت عن قصد عند ثقلها ، او حصار سادة لأواتها لا تلت احداث ان تكديها (من ذلك مثلاً عدد خاص اصدرة احدى الجرائد الماريسية ، يوم ٩ ايار ١٩٣٧ ، حول وصول بحسر وكولي الى القارة مع اجهار صلا في البحر ومنا) .

فكما ان الصحافة هي مشروع استلزام صناعي وتجاري يتجه من الكمار ولا تقتل في اي مرحلة من مراحلها ، اي دور روي او احباري مرنه ، فالصحافة التي تتجه من الصغار والتي راحت تزداد لعبة وشأنا ، تحضر ، هي الأخرى ، لاهنارات تجارية ، فهي تدعو لتجديد القوة والندش ، وتتمتع السوبر من وروح الصوصة والمعامرات فعملها اضطلع بالأحلاق لا بقص شيء من أثر الصحافة المصصية او الشمورية التي تصدر بعدد كبير من النسخ ، ملايين نسخة في الاسوع ، حلال عام ١٩٥٥) ، فتشتر في المحيط النسوي ، ديباً محملاً ، شديد التأثير على المشاعر والمواطف البشرية

ولذا فالوصف الذي تركه لنا سينفريد ، عام ١٩٣٧ ، عن الصحافة الاميركية لم يلقه شيئاً من قيمته لأن وعكث اصلاحه ، وتطبيقه على العالم جمع :

« نشر الدراع ، هي عملية موصولة في الولايات المتحدة ، اد ان لاربب المال من الوسائل للشوعة ، والقوة ما يمكنهم من اظهار للرأي العام بالشكل الذي يردونه ، فيصرون عنه ما لا يرغبون في كشه له ، ويتجهون به الى الوهم الذي يبرمونه له من موضوع معين ، ومندك بوقوده في شباك لا سمعة له مما يحيد لا يعود ينشر بأي ارجاع قبل » .

والطابع الرأسمالي الذي بطرح هذه الصناعة ، والتأثير الذي تركه الصحافة بعض الاعلان والدعاوة التي بنها ، بحيث لا يستطيع لاهلات منه ، والمساعدات التي تتلقاها لظفر السواد الاعظم من لجرائد على الترام جانب الممثل و هو فظ وهو تأثير يتلبس الصنط والاكراه ، مع اشتداد الصراع الطبقي والعبية القضايا المطروحة للنحت .

في الولايات المتحدة الاميركية بحيث قدمت المشروعات الكبرى في الولايات المتحدة هي اسي دقيقة من التنظيم ، وحيث يساهم الناحيون ولا سيما الفقراء منهم على قدر صميف حداً ، كثيراً ما يقل عن ٥٠٪ ، وحيث جماعة الناحبين مطوعة وحاجة ، تنظيم الانتخبات واختيار المرشحين ، في المرحلة الاولى يتم على يدي قوة من الناحبين النابوين ، والدور مهم الذي يشه موحور امة الانتخابية ورعاه الاحزاب ، يساهم كثيراً عمل المنظمات الثائرة الناشطة التي هي موماً على استعداد كلي لدفع الثمن بحفظه منها

على ما تنعم به من امتيازات ومنافع ، ورغبة منها في انهاء . ن وضع ولاية دبلاوير حيث
تسيطر اميرة دويون دي مور ، ومثلها ولاية مونتانا الواقعة برمتها تحت مرقعة شركا اياكود
لتمدين النحاس ، ليس الوحيد . فالاغنياء الاعضاء في هذه الشركات هم الذين يتعملون نفقات
الحملة الانتخابية ، ويمولون صندوق الحملة لدى كلا الحزبين المتنافسين . وفي حملة انتخابات الرئاسة
عام ١٩١٣ و ١٩٢٨ ، ساهم في تمويل الحملة : ملون احدى اغنياء الولايات المتحدة ، وج . د .
روكفلر و بريفي دويون دي مور والفرد سلون وشركة جنرال موتورز وهارفي فايرستون
ودومينيك غومرتش وغيرهم . وفي عام ١٩٢٨ ، كان عدد الذين حملوا ترشيح لرئيس هوفر
للمناسة ٨٧٪ من الاسماء الواردة في قاموس الاعلام (من هو) في ميركا
والكونغرس الاميركي يتعرض لضغط من قبل اصحاب المصالح المنظمة ، ليس فقط اثار
حملة الانتخابات فحسب ، بل بصورة دائمة ، وذلك عن طريق الدعاية المصاغة المكلفة بعمية
الضبط هذه . ولعدم وجود حزب المال في البلاد يقوم هذا الضغط للتحالفات المالية التي كانت
تضغطها خفياً قبل هاتج لجديسد ، دا ما قورن بضغط اصحاب المشروعات الانتخابية
الكبرى . ويرى صورة واضحة من هذا كله ايان عهد الاردهر الذي عرف على الملاد بين ١٩٢٢ -
١٩٢٩ . فالحزب الجمهوري الذي يتولى الحكم ، آتداك ، يمسد رئاسة مختلف الدوائر الرئيسية ،
على كاد ممثلي المصالح الكبرى ولا سيما الى ملون اذ يعينه وزيراً للمالية الذي فرض على الملاد
سياسة تخفيض الضرائب على الذوات الصعبة ، (بحيث ان مجموع ضريبة الدخل انخفض من
٥٥ بالمائة ، عام ١٩١٩ الى ٥٠ فلكة عام ١٩٢١ ، والى ٢٦ بالمائة في عام ١٩٢٩ .

في بريطانيا
تصطف بريطانيا ، في نظامها لانتخابي على المحافظين فمن جهة ،
يرمي الاقتراع الأحادي المنصب على مرشح واحد ، في دورة
واحدة ، الى إعطاء لأكثريات البرلمانية الساجدة عن اقلية انتخابية ، فرصة تولي السلطة ،
كما ان توزيع المقاعد النسبة على بعض احاديات ، وعلى محبة الجيب في ما يسمى عندهم
« السيق » ، او يوقف على عمل تجاري ، والاقتراع المتعدد ، وحق اقتراع النساء الذي أقر
عام ١٩١٧ لمن هم فوق الثلاثين (ولم يخصص الى ٢١ إلا في سنة ١٩٢٨) ، كل هذه المظاهر
للشككية ، هي في غالبية الأحوال ، لمصالح حزب المحافظين في وجه حزب لاجرار وحزب
المال المقسمين ، بحيث جاءت بالفشل كل الاقتراحات التي تقدموها لوضع حد لهذه الشواذات .
وهكذا فمصادر السلطة لم تتغير قط بالرغم من التغييرات التي طرأت على البلاد . ففي
انتخابات ١٩١٨ ، قال المحافظون الذين انتفوا حول فريد جورج ، ٤٨ ٪ من الاصوات واستأثروا
بـ ٦٨٠٣ / من المقاعد . اما في انتخابات عام ١٩٢٢ ، فقد تالوا ٣٨٥١ فلكة من الاصوات
و ٥٦ ٪ من المقاعد . وفي سنة ١٩٢٣ ، كان من جراء مساهمة المحافظين ٥٥ ٪ من اصوات
المقترعين ان اقدم ٨٦ مقعداً في مجلس النواب ، اي ١٤ ٪ ورجح حزب المال ١٥ ٪ من
الاصوات عدا عليهم بـ ٥٣ مقعداً في المجلس (٨٤٦ /) . وقد طرأ تغيير مماكس في

انتخابات عام ١٩٢٤ ، ذن النسبة مئوية لاصوات المحافظين السائة ٤٧٪ ، اعطتهم ٦٨٪ من المقاعد بينما نال حزب العمال ٣٤٪ من الاصوات و ٢٥,٦٪ من المقاعد . وعلاوة على ذلك ، احتيار أعضاء المجالس ، في بريطانيا ، يتم من بين الطبقة الارستوقراطية او من بين ممثلي المصالح المالية ويمثلون فيها عددا كبيرا ، اذ ان اكثر من ٢/٥ نواب المحافظ كانوا ينتمون الى اسر تحصل القاب شرف متوارثة ، وهم على الاجمال ، من شريحي المعاهد العليا الموقوفة على الملاء (امثال ايتون وهارو) وهما أعلى المعاهد التربوية في اسكتلندا ومن اكثرهما اقتصاراً على البلاد . اذ قدمنا بين ١٩١٨ - ١٩٣٩ ، ما معدده ١٧,٥٪ و ٠,٧٪ من مجموع الممثلين الليبي . ان ٧٠ نائبا من أعضاء مجلس العموم ، عام ١٩٣٥ ، هم أعضاء في ٦٥٠ مجلساً داريماً ، بينما الـ ٤٥٠ عضواً في مجلس اللوردات ، في فترة ما بين الحربين يتورعون كايلى ٢٧٢ هم من مديري شركات مضمكة ، و ١٠٦ يتنون ٦٩ شركة قأمين ، و ٦٦ يتنون ٤٢ مصرفاً و ٤٩ يتنون الترسانات البحرية .

قبل من عهد ، بعد هذا ان يكون « معقل لرجعية » السبق - الذي شهر به لويد جورج من قبل وفتح « امره » وراء سياسة الانكاش المالي والرجوع لى عيار الذهب ، هذه السياسة التي اقرتها حكومة المحافظين ، بعد ان قصت على الاضراب العام الذي وقع عام ١٩٢٦ ، وحماتها تقرر ، عام ١٩٢٧ القانون الذي صدر لحرارية الروح التنافسية ، واكثر من الامتيازات لرجال الصناعة وعارضت معاهدة و شطون التي حملت يوم العمل ٨ ساعات ورفقت وحدها في حنيف تنعم النظر في اقتراح رمى الى جعل اسبوع العمل ٤٠ ساعة .

ولانتخابات التي اقصت الى دور الحكومة الوطنية ، عام ١٩٣١ ، تمت الاستشارات الراس عادية الكبرى في البلاد ، عهداً من الطمانينة لم تتمتع مثله منذ عام ١٩١٤ ، اذ لم يبق لحرب العمال من شأن يذكر بعد « هزيمة الكراه التي اصيب بها والاقسام القتال الذي آل اليه . فقد الآن وصعداً ، كل المراسكر الاساسية ، هي وسبقى لامتد طويل ، في ايدي ممثلي المصالح الكبرى . واتحاد الصاعات البريطانية هو الذي اخذ يرسم سياسة الحماية الجمركية التي سارت عليها الحكومة ، كما يضع هذا الحرب نفسه الخطوط العامة لهذه لاتفاقات الدولية التي تدخل فيها طرفاً الحكومة البريطانية ، والتي عقدت مع فرنسا ويلعب دوراً بارزاً في اللجنة الاستشارية للمبارك التي من بين صلاحاتها تعديل التعريفات الجمركية دون الرجوع الى البرلمان . كذلك خذت هذه اللجنة ، توسع ، اكثر فأكثر ، بعد عام ١٩٣٢ ، من نطاق هذه التعريفات ، وترسم سياسة مساعدة الصاعات و لاعماءات من ارسوم (٣٠ مليون استرليني في سنة) . فلا عجب ان تزداد الارباح التي قدرها كولن كلارك ، عام ١٩٢٩ بـ ٣١,٦٪ من الدخل القومي في البلد الام ، و ٢٩,٢٪ عام ١٩٣٢ ، ليصبح في سنة ١٩٣٥ ، ما معدله ٣٤,٥٪ .

ان وجود هذا الحشد الكبير من صغار المستثمرين والمهنيين وهنالك التجار والصناعيين الذين يؤلف المجتمع الفرنسي ، هو وراء عدم استقرار السياسة الفرنسية ولجأها المستمر نحو اليمين . في هذا الصراع التقليدي بين اتحاد احزاب اليمين واتحاد احزاب اليسار ، كانت الطبقات الاجتماعية سر قوة اليسار ، الا ان الاوضاع الجديدة التي اطلت على الحياة الاقتصادية ، جعلت حياة قاسية صعبة . فواجهت لقوى اليمين التقليدي المعتمد دوماً على الكنيسة والسكاند ان كبار الموظفين والمبلاء والدورجوارية للصناعة العليا ولاوسط ادالية والمصرفية ، انصرفت جهود العلائق وصغار الملاكين ، والمستثمرين وهؤلاء الصناعيين والتجار الصغار والمتوسطين للمحافظة على استقلالهم الشخصي والاقتصادي . فهم يشعرون بشدة الروح الثورية بالذات التي تمحيش في صدور كبار رجال الامور : كالمرجعية والتنظيم المعني الدقيق للانتاج واتشاء مشروعات استثمارية متعددة الفروع والوكالات وغير ذلك ، ويرغون الى الحكومة ان تحميهم من المنافسة الاحتككية . الا انهم من جهة ثانية هم محافظون ولا يحبذون كثيراً استحداثات وبعادشون وضع تشريع اجتماعي يعتبرونه سخافة في غير محله وتديراً لا مبرره . ولذا فليس من السهل لديهم ان يتعاملوا مع طبقة عمالية تلتشد في مطالبها وتلحف فيحدث من جراء هذا ضعف في امكانيات العمل لدى اليسار المعروف الذي كان يتألف من تحالف الطبقات الوسطى ومن المال بقصد مهاجمة « الكبار » ولدفاع عن « الصغار » . وهكذا لم يعد اليسار متجانساً امام اليمين الذي يحج بيسر في تأليب كل احزاب الدورجوارية . وعندما تأخذ الاحزاب المتخلفة ضد رأس المال تشهد التوازن في صلب المواردة ومعدل القطع او التدخل ، وعندما يحشرون « عجلة التمهيش الاميرية » ، وعندما تلوح في الافق خطر الاضطرابات المالية ، تمتد آتد الطبقات الوسطى التي تتألف منها صفوف الحزب الراديكالي الى الانحياز لجهة اليمين ، فالأكثرية التي صرقت مع اليسار ترى اليمين يعود ليحكم . وهكذا فالمحادثات الانتقالية التي تمت عام ١٩٢٤ و ١٩٣٢ و ١٩٣٩ تتعظم عندما يتعلق الامر بتأليف الحكومة . الا ان ارادىكاليين الذين يؤلفون الجساح اليميني في كل اكثرية يسارية والجساح اليساري في كل اكثرية يمينية ، يندفعون فعلاً في كل حكومة يحوي تشكيلها .

وهكذا تتجلى امامنا واضحة ، سرر التغيرات التي تطرأ على السياسة الفرنسية ونهيم كيف ان اليمين الذي كان يعتمد من قبل ، في كل حكومة تشكل ، هو الذي كان يتولى الحكم خلال معظم هذه الفترة ، مع مجلس الكتلة الوطنية التي نتجبت عام ١٩١٩ ، والتي تألفت من ١٣٧ عضواً من احزاب اليمين من اصل ٦٩٣ عضواً ، ومن المجلس الذي تم انتخابه عام ١٩٢٨ بأكثرية من اليمين ، حتى ومع مجلس كتلة اليسار الذي انتخب عام ١٩٣٤ ، عندما راحت المصارف في البلاد ترفع عام ١٩٢٥ ، جسد الفصة في وجه حكومة هريو وجاءت ببولنكاريه الى الحكم .

وبالرغم من لازعات الوردية للصح عشر التي وقعت خلال السنوات العشر الاخيرة ،

تبرز للعيان صفة الاستقرار . فالانتخابات التي حرت عام ١٩١٩ تحت وطأة لحوف من الرجل الحامل سيماً بين استناده ، وفي ظل نظام أثيلي سبي هجين ، تقارب من احزاب اليمين قسم من الراديكاليين الذين اقلقتهم الاضطرابات المالية ، بينما انقسم اليسار على نفسه وفي عام ١٩٣٤ ، آمن القانون الانتخابي الذي جاءه ماكثريتين ، الاكثرية المطلقة وللمسار الاكبر الى احزاب اليسار ، اكثرية مجلس النواب ، مع ان اتجاه اصوات اليمين نحو اليسار لم يزد على ١/٢ لا غير ، كما ان تشكيل حزب الشيوعي حول عن التجمع اصوات أقصى اليسار . واعادت الانتخابات التي جرت عام ١٩٣٥ التماثل تقريباً بين الكتلتين ، ذالت احزاب اليسار ٥١٤٦٣ بثلاثة من الاصوات ، بينما ذالت حزب اليمين ٤٨٠٣٧ / ، اذ كان بين الذين صوتوا للييسار مليون عتقوع من بين الشيوعيين ، وهي نسبة لم تال تكبير فائدة ، اذ لم ينل الحزب الشيوعي اكثر من ٢٤٣ / من المقاعد لقاء ١١٤٣٨ / من اصوات المقترعين . ان احتفاظ اليمين بمرشحيه آمن نجاح ٦٧ قائماً من احزاب اليمين ومن الوسط في الانتخابات ، في الدورة الانتخابية الثانية ، كما ان ٤٠٠٤٠٠ من المقترعين عادة للحزب الراديكالي ، تمردوا على ما عرف من مصاطبة تقليدية في لحزب الراديكالي الجمهوري ، اذ اختلفوا في الدورة الثانية ، حول مرشحي الوسط ، وامرو بهذه الحركة بمجاحهم . وهذه الدسة التي عادت ه بالثمة من الاصوات هي التي لعبت دوراً حاسماً وجعلت كفة الميزان تميل نحو اليمين .

كثيراً ما عرفت المصالح المركزية الكبرى ان تفرض رادتهم اما رأساً او بالداورة وذلك لتعكسها بقايد الحياة لاقنصادية في البلاد ، واحياناً بالاعراء . وقد اتضح من تحقيق احري عام ١٩٣٢ ، ان ٩٠ شعبية لحمل ٧٣٥ مركزاً ادارياً ، في عدد من الشركات صاحبة الشأن ، منها ٢٧٧ في شركات التأمين والصناعات و ١٨٠ في مصارف المبلية ، و ١٥ في درة شبكة الخطوط الحديدية ، حظيت بمقاعد في المجلس النيابي . ويلاحظ ج . بيرو بكل دقة ، ان معارضة الحزب الراديكالي الاجراءات الاشتراكية ورفضه تبنيها يجب ردها ، في الدرجة الاولى الى وعبرهم عن مجابهة القوى المصرفية الكبرى دون ان يعترفوا للخطر ، متانة المرنك ، ثم اضف قائلاً : ان العداء الكامن ، الذي يحمله هذا الحزب عندما طرح عن بساط المنحت امر تأميم شركات التأمين ودكناً لحصن منيع من حصون الرأسمالية الكبرى ... انما يدل على ان كل شيء قد دبره المعنيون بالامر في حيه ، لنحوول دون اتخاذ قرار بهذا الشأن . وقد فرضوا رادتهم بعد مشرب لارمة الكبرى ، عن طريق لابقاء على معادلة الذهب ، لمدة طويلة ، بمدبوط سعر الدولار والجنيه الاسترليني ، وعن طريق سياسة امكباش مائي صارمة ، والصمود في وجه اسعار الصاعات لمشكلة كصناعة الغازات والمعادن والمحاصيل الكيماوية ، بعد ان وصل الى الحكم حكومة الحبة الوطنية للوقوف في وجه هذه الاملاحات الاجتماعية ومشروعات مكادعة العش في الصرائب وحايثتها ، وتأسيس ديون مراقبة القطع ومهريب رؤوس الاموال الى الخارج واختزان النقد الذي سيفضي في نهاية الامر

الى سقوط الفرنك ، وارتفاع اسعار المصنوعات المنكثلة الذي افضى الى تفشيل سياسة مقاومة انكماش النقد . وقد امتنعت المصارف من شراء سندات الخربة التي اصدرها فنان اوريون ويلوم ، عام ١٩٣٧ ، كما قطعت مع هربو عام ١٩٣٥ ، وفي سنة ١٩٣٨ ، فرض مجلس الشيوخ وجوب الرجوع الى الاساليب المالية التقليدية ، بعد ان تولي مقدرات وزارة المالية جورج بوليه وبول رينو .

في إيطاليا تستعبد بدم للشرعية
في إيطاليا حيث ضعف التجربة الديمقراطية أدى إلى شل النظام النيابي ، وحيث الأزمة المالية أفضت إلى ثورة عارمة قام بها ، معاً الفلاحون والعمال ، رأيت الطبقات الموحدة التي أسقط في يدها ، ان تستعيد بالقوة والعنف ، محافظة منها على سيطرتها واحتارت لها نظاماً دكتاتورياً فالانتخابات الأولى التي جرت في تشرين الثاني ١٩١٩ على أساس الاقتراع النسبي سجلت فوزاً حاسماً للحزب الاشتراكي الذي نال ١,٨٠٠,٠٠٠ صوت وفاز به ١٥٧ مقعداً ، وللحزب الشعبي الكاثوليكي الجديد الذي تأسس بموافقة الكورسي الرئاسي ونشجيمه ، على يد راهب يدعى دون لويجي ستورزو الذي نال ١,١٠٠,٠٠٠ صوت و ٩٩ مقعداً . وهكذا توهرت للاشتراكيين والحزب الشعب أكثرية كبرى وقفت في وجه احزاب اليمين والوسط التي كان لها ٢١٥ مقعداً في مجلس النواب إلا أن مشاريع الإصلاح الزراعي التي وضعها الحزب الاشاركي ، والاضربات المتكررة ، واحتلال العمال للمصانع بعد ان عبرت حكومة نبي عن الوقوف بوجههم ، كل هذه العوامل سببت القلق للبرجوازية الصناعية والبنكار الملاكين . وما أسقط في ايديهم استنجدوا بموسوليني الذي عرض عليهم مشروع الديتاهوجي الذي تميز بمدائه للرأسماليين وللتناميم وعرف بروحه الوطنية ، فأخذ على نفسه شح حركتهم ثم القضاء على حصونهم بالشدة والعنف . وراح الحزب الفاشستي الصغير يحشد حوله ليمأ من الأضرار والمقارير والماعطين عن العمل وحديثين بهم حملات تأديبية ويقوم بإعمال الحرائق والقنن ويرتكب ضد أصحاب الأسمور والفلاحين أعمال وحشية فظة وصد امدارل الشعبية والبلديات المعروفة بروحها لاشتراكية ، ومنظمات العمال والتماريات ، الأمر الذي أدى إلى قتل المشرات وإصابة عدد يتراوح بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ شخص ، ونهب بضع مئات من السيوت بترارة الجيش النظامي والبوليس والحكومة التي كانت تتولى عزل أو نقل بلوطلين الذين يقاومون هذه الاعمال . فعمت بذلك الغوصى صفوف الاحزاب والنفقات العمالية ، ثم كشف عن طامعه الرجعي عندما رحت النفقات الفاشستية تعمل ليس لتعطيل الاضرابات وحسب بل ايضاً تحاول إلغاء الاتفاقات والعقود المتعلقة بالاحسور ، وتغير ذلك من هذه الارتباطات الجماعية الخاصة بالعمل .

وقد انضم الفاشيست الى الكتلة الوطنية التي تألفت من الماعطين والأحرار وكنار الملاكين المقاريين . وفي نور وآب ١٩٢١ طلب إلى عمال مناجم الفحم الذين أعلنوا الاضراب ، الرجوع عن اضرابهم والعودة إلى العمل تحت طائلة التعرض للضرب بالمراوات ، والموجة الاخيرة من

تهديم منازل العمال في اكثر من ١٥٠ محلة ، مهدت الطريق أمام موسوليني « بالسير على روما »
ثم راح يتفاوض مع زعماء الحزب المورخواري والأسيمة المالكية ، بينما اصعد الجيش بالأسلحة
والعتاد الحربي وكلفه الملك بتشكيل حكومة جديدة .

شهدت ألمانيا في افر أزمة ١٩١٨ - ١٩١٩ ، احزاب اليمين لشدة من قمعها
في المطالب رقتولي على الحكم . تألفت الحكومات الاولى من الاحزاب التي شكلت
« حلف ويمر » ، أي من الاشتراكيين والوسط والديموقراطيين ، تحت سيطرة الحزب
الاشتركي . ولم يلبث هذا الحزب ان فقد تسيطرته رئاسة الحكومة كما فقد ام الوررت في
الحكم فالكاثوليك ، منذ ١٩٢٠ ، والديموقراطيين منذ ١٩٢٢ ، يتوالون على الحكم في البلاد
وتوصلوا في ثمة الشوط ، ان التوصل من الاشتراكيين الديموقراطيين . وهذه التحالفات التي
حققتها احزاب اليمين ظهرت للعيان بوضوح ، عندما توفي عام ١٩٢٥ ، لرئيس ايبرت ، وراح
حزب اليسار يروج أصواته مسين لمرشح الشيوعي لرئاسة الجمهورية ثنان (الذي قال اكثر من
مليون صوت) وبين الكاثوليك ماركسي (الذي قال ١٣٧٠٠٠٠٠٠ صوت) . الا ان كل
الاحزاب العمالية تشكلت واعطت اصواتها (١٤٥٠٠٠٠٠) للمرشح المس هيندبرغ ، من
أشد انصار الملكية في ألمانيا لذي يحسم في شخصه الروح العسكرية البروسانية ، والذي كان
هو الأكثر إعادة تسليح الرايخ ، لا انه لم يلبث ان اصبح ألموية مسين يدي حرب اليمين .
وتماقب على الرايخ ، من ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ، مسيح عشر حكومة قامت على أساس تحالف بين
الاحزاب . إلا ان ما اصابها من عجز ومن انقسام ، والدسائس التي حيكت حولها ، وتكال
الحزب بعضها ضد بعض ولا سيما حزب الوسط الكاثوليك الذي بعد ان كان لمدة طويلة
حليف الاشتراكيين ، دعياً لتوطيد الديموقراطية في البلاد ، أهديت تقرب من الوسط ، هودة
منه للعمل والنظرية المعادية ، مما أدى الى الانتفاص من قمة النظام البرادي ، وخلقة هذا
النظام « المظلم الخافي من كل عقيدة » . وبعد عام ١٩٢٨ ، واستقالة حصول الحكومة على
اكثرية تمضيدها وتساندها ، أعلن عليها نظام حكم رئاسي . فعلى عرار المقاطعات المستقلة إدارياً
التي تنعم كل واحدة بحكومتها الخاصة وبرئاستها الخاصة ، عرفت ألمانيا ٢٠ وزارة مختلفة ،
و ١٩ مجلساً نيابياً ضمت جميعها ٢١٤٨ نائباً ، تميزت كل منها بتخصصات صيقة صغيرة على عرار
ما كانت يجري في ألمانيا .

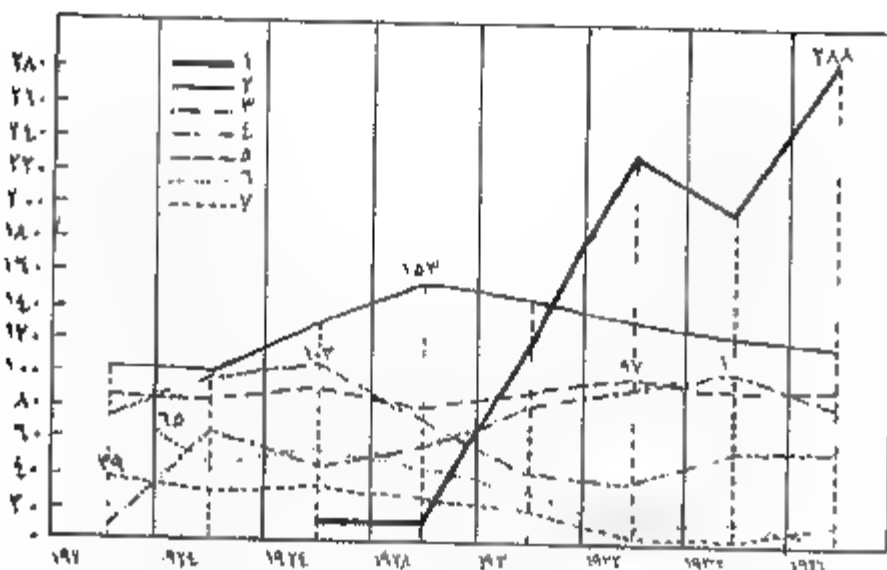
لقد عام ١٩١٩ ، وبالتعاون مع العسكريين المتسربين ، أخذت « الاقطاعية » التي لوحه
لاقتصاد الألماني ، أي هذا المريق من رجال المال والصناعة وكبار الملاكين العقاريين تحول دون
دخال أي تعديل أو تغيير على قوانين التملك المسمول بها في البلاد ، والعمل على صيتها من كل
عث . وسيطر كثر املاكين على القروى الزراعية في البلاد وعلى المجالس الزراعية وعلى اتحاد
المزراعين الرئيسي . محالوا دون تنفيذ القانون الذي صدر عام ١٩١٩ والذي يحبر لسولة
استملاك ١٠ الاملاك الكبيرة في هذه المقاطعات التي تعود ١٠ بالمئة من اراضيها الزراعية

ملكيتها لاكثر من ١٠٠ شخص من سكان البلاد . وفي ألمانيا ، اكثر من اى بلد آخر ، باستثناء الولايات المتحدة الاميركية ، نرى كبر رسل الصناعة يصبون الى كتلتين كبيرتين تسيطر على هذه الشركات العملاقة كما يصفها راتسو التي تتألف من *Konzern* يجمعون بين ايداع القسم الاكبر من الثروة الوطنية ويصبون أنفسهم بأمن من سلطة الحكومة ليغرسوا عليها سلطتهم فقد عارضوا تطبيق القانون الذي نص ، عام ١٩١٩ ، على القيم بتصفيات وحشية من ثرواتهم ، ووقفوا في وجه مجالس الشركات التي تأسست عام ١٩٣٠ ، وعارضوا قانون الثمان ساعات عمل ، وابطلوا معمول الاحكام والقرارات الصادرة عن محكمة التكتلات التي نشئت عام ١٩٢٣ ، للاشراف على الاتفاقات للصناعة ، وانكسر عقودهم وادخلتهم لدى الاقتضاء . فهم الذين سيطروا على مجلس الرايخشتاغ ، بصورة مستغرة ولكن مطلقة ، عن طريق « الحزب الوطني الألماني » ورثت حرب البمين الغربي والعسكري القديم ، وحرب الشعب الذي كان يرأسه شترسمان وكلاهما يمثلان مصالح الصناعة الصاعدة ، والذي غير الأخير منهما بأسلوب أقسى فعننا مما عرف به اقصى البمين ، وبذلك يقترب من الحزب الديمقراطي ، هؤلاء النورجوارين ملتزمون حول الجمهورية ، هذا الحزب الذي يجمع برعاية رباب نبال من اليهود ، برعاية راتسو دوربرغ ، والحزب الكبرية النفوذ ، أمثال برلينر تاغسبلات والمركفورتر رايتونغ . وهذا الحزبان الليبراليان من البمين والشمال ، هما المسيطرون الحقيقيان على كل مجالس الرايخشتاغ . الى البمين وقف الوسط وحرب الشعب النافاري اللذان يصلمان بصحوبة كانت تزيد ، اكثرا فاكثرا الصداقات الاجتماعية المتباينة فيما بينهما ، وهما حرمان كاثوليكيان في الصميم ، قيادتهما نورجوزية ويتبعان سياسة انتهازية ، أحدهما فانقمهري إذ سقطت نسبة اعصائهما من ٢٥ بالمئة قبل الحرب ، الى ١٩٠٧ بالمئة عام ١٩١٩ و ١٦٠٦ بالمئة عام ١٩٢٤ ، والى ١٣٠٨ بالمئة عام ١٩٣٣ . أما الاحزاب الاشتراكية صاحبة الاكثية والمستقلة التي كانت تشكل ٤٥٠٥ بالمئة من صوات المقترعين عام ١٩١٩ الى ٣٠ بالمئة قبل الحرب ، فقد ضلت ، منذ عام ١٩٢٢ ، الحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي كان يحظى بتأييد ٢٠٥٥ بالمئة من اصوات الساحليين عام ١٩٢٤ بينما كان الشيوعيون ينالون ١٢٠٦ بالمئة وارفع المعدل سنة ١٩٢٨ ، الى ٢٩٠٨ بالمئة بينما هبط معدل الشيوعيين الى ١٠٠٦ بالمئة (شكل ٣) .

م تكن لدول أوروبا الوسطى والشرقية ، في الظاهر ، سوى
 ازمة الديمقراطية في أوروبا
 واحدة ديمقراطية بعد ان اشتدت عندها الممازعات القومية
 الوسطى وأوروبا الشرقية
 والاشتمالات المذهبية ، واشتد الصدام بين جماهير الشعب
 المائنة وبين اللطافة الموحدة لجشمة الصحة للثقافة ، تقوم على لادارة والحكم فيها صفة من
 الموظفين العاسدين الحشوي الصباغ . وقد استقر في ذهن هذه الدول ان الحريات الديمقراطية
 لا بد لها ان تحترم القوى هدامه الصدام من الداخل ، وان حرية الصحافة والاجتماع ، غير
 المفيدة ، والامتيازات الحسرة تؤلف سلاحاً خطراً بين ايدي عداة البلاد في الداخل والخارج

فلا عيب ، والحالة هذه ان تشجع الحكومات بوسعها هنا فتعاملها ، وان وُجدت عيبت بها وعملت في النهاية على قتلها .

وبالفعل ، فلم يستقم الامر للنظام الديمقراطي في هذه البلاد ، خلال هذه المدة ، وان عمل فيها يوماً فمضرة سيئة . ولذا سيطر عليها وضع من نظام المراقبة الشديدة واعلانت حالة الطوارئ ، واستلساد قوى الأمن ، وتحكمت فيها وسيطرت ادارة حكومية ف من السلطة والصلاحيات ، كما ان اكثرية السكان الساسقة كانت على مستوى "متدنٍ جداً من التربية الضحلة .



شكل ٣. عدد مجمل الاحزاب في مجلس الرايستاج .

١ - احزاب الوطني الاشتراكي ، ٢ - احزاب الاشتراكي الديمقراطي ، ٣ - احزاب الشيوعي ، ٤ - احزاب الوسط و احزاب الشعب النافاري ، ٥ - احزاب الوطني الالمانى ، ٦ - احزاب الشعب ، ٧ - احزاب الديمقراطي.

كل هذه العوامل شوهت النظام الديمقراطي وحالت دون قيام نظام "سوي" كما حالت دون تطور اي نظام ديموقراطي ، اذ ما وُجد ، تطوراً طفيفاً . ولم تحرف معظم هذه البلدان يوماً معنى للانتخابات الحرة . ففي رومانيا ، كما في دول اميركا اللاتينية ، يشرف على الانتخابات ويقوم بها الحزب الحاكم ، وبذلك يؤمر له اكثرية ساحقة في المجلس التمثيلي ، وباستطاعة اي حزب ، في مثل هذه الظروف والادوضاع ، ان يؤمر له العور بعشر مقاعد او بر ٣٠٠ مقعد في البرلمان حسب ما يكون في الوراثة او في صفوف المعارضة .

٢ - ضعف الأحزاب الاشتراكية والشيوعية الممارسة

لم يكن من العسير لمعري ، على القوى التقليدية المحافظة ، ان تفرض نفسها وان تسيطر على الأوضاع ومقدرات البلاد ، على ما ترى فيها من ضعف الممارسة الاشتراكية وانقسامها على نفسها .

فالحركة الاشتراكية التي اخضعت قنمو ويستفعل امرها منذ مطلع القرن والتي بات فورها ، عام ١٩١٩ ، امراً لا يمكن تجاهله والخوف من تحقيقه مما قريب ، عجزت تماماً مع ذلك ، عن تحقيق الاهداف التي رسمتها لنفسها ، بل يمكن زحزحتها يسيراً في هذه البدايات التي سيطرت عليها او كادت . والمثل الذي 'مسيب به' ، لا يمكن بوجه من الوجوه ، رده الى عزوف الطبقات الهامية عنها ، فقد عرفت ، على عكس ذلك ، ان تكتسب باستمرار ، المزيد من المريدون والناصر والمناضلين معها . الا انها راحت تشكو الضعف المتفيع ، للانقسام على نفسها ، من جهة ، بين اشتراكيين وشيوعيين ، ومن جهة اخرى لمعزها عن تحقيق الاصلاحات الدستورية التي حاولت القيام بها في نطاق الديمقراطية التمثيلية .

فبالانفصال الذي وقع خلال الحرب ، بين العناصر الاصلاحية في قلب الحركة الاشتراكية التي ألقت من ضمن كتلة التفتت حول الحكومة ، وبين العناصر الاخرى التي بقيت على ولائها لدولة وللثورة ، اكتمل بشكل نهائي في اثر الحوادث التي جاثمت في عقاب الحرب أولاً ، ولا سيما في اعقاب الثورة الروسية .

فالأحزاب الاشتراكية والنفابات الهامية انقسمت على ذاتها بوجه عام متارجعة بين المنزهين الرئيسيين ، بحيث احداً يرى يميناً يزرع ، اكثر فاكثراً ، الى الاعتدال ، فاذا مسا ادعى الماركسية وانتسب لها ، فهو يتنكر لكل حركة ثورية ويمد يده لكل سياسة 'قومية' ، ويرضى بالتعاون مع الاحزاب اللورسوارية ، او يتقيد ، في اصعب الايمان ، باللعبة البرلمانية ، ويتبع ببرامج تأميم واسع يهبط على مراحل ، ولو جاء غافصاً مستوراً ، وترى من جهة اخرى ، يساراً شيوعياً او نزاعاً للشيوعية ، بقي على ولائه لمبادئ الصراع الطبقي ، يعمل النفس بالاستيلاء على الحكم بواسطة البروليتاريا ، عن طريق ثورة شاملة لا اذعج من ان يحقق هذه الثورة بالقوة . ولما كان يدعس الحزبين المذكورين قاعدة شعبية كافية ، فلم تر فيها الرأسمالية خصمين رهيبين يطش شرهما .

الاحزاب الاشتراكية اما في انابيا ، والصراع بين الاشتراكيين الديموقراطيين وبين شيوعيين مستقل ، انفجر منذ التاسع من تشرين الثاني ١٩١٨ ، بين وزارة إديرت - هار - شيدمن وبين لجنة برلين الثورية . والحلف الذي تم عقده بين إديرت وحيث الاركانت مسا ، اتاح لوسلك ، ان يطعم ، في الدم ، كارياسا ، الحركات السبداكية والثورية . فبعد الآن وصاعداً باستثناء الحوادث الذي أدى الى تحقيق وحدة

اشتراكية قصيرة الأمد ، ضد الانقلاب الذي قام به كابل لوتوت ، في ايار ١٩٢٠ - تبقى المعارضة قائمة بين الحريين الكبيرين في الحركة العمالية - ومنذ ذلك الحين ، تحلى لاشتراكيون الديموقراطيون عن برنامج ارفورت ، هذا البرنامج الذي 'وضع' بمحسب كارل ماركس ، وقتصرت مطالبهم على حل التشكيلات والمنظمات العسكرية التي جالب اعضاء الطابع الاشتراكي على الصناعات الرئيسية في البلاد ، كالنسيج والصاعات الكهربائية . فقد كان مهم ، بالدرجة الاولى ، الحفاظ على مصالح اعضاء الحرب في اطار الرأسمالية ، ولم يمسود سوى عنصر من هذه العناصر التي يتألف منها التحالف الحكومي ، تحت ادارة زعماء بورجوازيين هم اعضاء في حزب الشعب او الحزب الديموقراطي ، حزبي رجاء الصناعة ، او من اعضاء الوسط الكاثوليكي . الا ان قوتهم الانتخابية لم تضعف قط وعرفوا ان يحافظوا على ما لها من شأن وموعد عظيمين ، إذ حققوا قوراً مهنراً في انتخابات عام ١٩٢٨ ، وراحت اصوات مناصريهم ثلاثة اضعاف ، في الانتخابات البلدية ، ونالوا ما يقرب من ثلث المقاعد في انتخابات الرايشتاغ ، الا انهم كانوا أعجز من ان يستأثروا بالحكم وحدهم . وفي قلب الحلف الكبير الذي انضموا اليه ، اصارهم حلفاؤهم الى الفصل وظهر عجزهم المزيج ، عندما منعت الفرصة لانشاء حركة شعبية للدفاع عن الديموقراطية .

وقد عرفت الحركة الاشتراكية ، في فرنسا ، المصير ذاته ، إذ انقسمت على نفسها في المؤتمر الذي عقده في مدينة لور ، عام ١٩٢١ - الا اننا نرى هنا اكثرية ساحقة (٣٢٠٨ مندوبين مقابل ١٠٢٢ مندوباً) تقترح على الانضمام للحركة الشيوعية وتحافظ على حرية « الاومانية » - الإنسانية - التي سبق لجوريس وانشأها . وقد ألفت الأقلية ما 'عرف منذ ذلك الحين ، بالحزب الاشتراكي الموحد (S.F.I.O.) ، تحت اارة ليون بلوم ويراك وبول بونكور ورينو ديسل . وصحيفتهم ، لو بويلير لم تكن تصد ، عام ١٩٢١ ، سوى ٢٢٢٥ مشتركاً لا غير ، وقد ارتفع هذا العدد الى ٦٣٠٠ عام ١٩٢٣ مع ان الحاجة تبدو ملحة الى ١٥٤٠٠٠ مشترك لتتم للجريدة المذكورة موارد تؤمنها الاستقلال المالي . ومع ذلك فالحزب اخذ ينمو ويزداد . فقد هتد ٣٩٠٠٠ مشترك ، عام ١٩٢١ ، و ٦٠٤٠٠٠ عام ١٩٢٤ ، وفي انتخابات عام ١٩٢٤ التي عقد خلالها محالقات له مع الحزب الراديكالي في عدد من المقاعد ، بلغ ما ناله من الاصوات مليوناً وربع المليون ، وبفضل طريقة الاقتراع التي ساعدت التحالف بين كتل اليسار ، نال في الانتخابات العامة ١٠٤ مقاعد في مجلس النواب . الا انه عجز عن استلام الحكم وتنافس من الاشتراك فيه عندما عرض عليه الحزب الراديكالي ذلك . فمسانده لهذا الحزب لم تصد عليه بتحقيق اي إصلاح ذي شأن .

اما حزب العمال ، في انكلترا ، الذي بقي في مجموعه تقريباً على ولائه للدولة الثابتة ، فقد وجد نفسه ، في اعقاب الحرب ، تحت قبضة الفايين . فقد سبق لسدي ويب ان وضع برنامجاً أقره الحزب في المؤتمر الذي عقده في شباط ١٩١٨ ، بمثلون : « العمل والنظام الاجتماعي

الجديد ، من مطالبه الرئيسية تحقيق وحد أمتي ، عن طريق التمسك بحركات
وتدابير عامة تتعلق بالصحة والزراعة وبحاربة البطالة ، والمعوقات الاجتماعية وتأمين شبكة الخطوط
الحديدية ، والتأجير والقوة الكهربائية . فالانتخابات التي حثرت في كانون الأول ١٩١٨ ، أعطته
٢٢٤١٠٠٠ صوت وأثبت له ٦١ مقعداً بقوا لا حول لهم ولا طول ، عام ٥٣٥ مقعداً فاهب
التحالف الذي سيطر عليه المحافظون . وقد واثى الخط هذا ، الحرب في إثر التمسك الذي أصيب
به حرب الاحرار ، فأصبح معه حزب العمال الحرب الثاني في بريطانيا . وقد نال في انتخابات
١٩٢٢ نحو ١٥٩ مقعداً . ونال ١٩١ مقعداً في انتخابات عام ١٩٢٣ وأخذ ٤٤٠٠٠٠٠ من
أصوات الناخبين ، ولأول مرة في تاريخ انكلترا يؤلف احد أعضاء حزب العمال في كنزوت
الأول ١٩٢٤ ، هو رمزي مكدونالد ، ول حكومة عمالية في ذلك البلاد . ولما كان حزب
العمال من أحزاب الاقلية ، فلم يستطع البقاء في الحكم إلا بالتعاون مع حزب الاحرار الذي لم
يستطع الحكم ، هو الآخر ، بدورهم ، فاضطر بالتسلي للتخلي عن برنامجهم المقسم مع ذلك
بالاعتدال وبتهاج سياسة ليبرالية تراعي الواقع . ومشروع الموازنة الذي وضعه ستون لم يكن
ماثل عمالية واعتدالاً من أي مشروع موازنة من وضع حزب المحافظين ، ولجنة رئيس الوزراء
في معالجته قضايا السودان ومصر هي لجنة حزب لاحرار داتة . وعدد الاصوات التي فاتها في
انتخابات عام ١٩٢٤ راد نحو ١٠٠٠٠٠ من مليون صوت إذ تجاوز ٥٤٤٨٧٠٠٠ . والتشل الذي آن اليه
الاضراب العام الذي أعلن سنة ١٩٢٦ ، كان من بعض نتائجها الاولى تسجيل تقهقر ملموس في
اهتمام الحرب إذ انخفض عدد اسجلين في سجلاته الى النصف . الا ان انتخابات عام ١ٹ٢٩
سجلت له انتصاراً كبيراً إذ نال ٨٠٣٦٤٠٠٠ صوت وأعطته ٢٨١ مقعداً . ومع انه جاء في
هداد أحزاب الاقلية في المجلس بسبباً ، فقد كان مع ذلك أكبر حزب فيه ، وهكذا استطاع
ان يستأثر بالحكم والسلطة في البلاد ، عام ١٩٣١ . وبالرغم من لطالب لتمتددة التي تضمنها
برنامجهم والنمو المطرد الذي عرفه ، فلم يكن باستطاعة حزب العمال في انكلترا ان يلعب دوراً
مارراً أو أن يوازن ، بصورة جدية نفوذ المحافظين في البلاد .

اما في إيطاليا حيث كشفت انتخابات عام ١٩١٩ عن وجود حزب اشتراكي قوي وشييط
إد ربح ١٤٨٤٠٠٠٠ صوت ونال ١٥٧ مقعداً ، فقد انقسم على نفسه في مؤتمر ليفورنو الى
اشتراكيين وشيوعيين . وقد أقصى الصغوم المضاد الذي قام به الفاشيست بتأثير قوى الحكومة
الى هدم كلا الحزبين معاً . وبالرغم من الملاحقات والاضطهادات التي استهدفو لها ، لم يستطع
الاشتراكيون والشيوعيون ، بالرغم من مخافة والنشاط الذي مداه عرامشي وعملياته ان
يصلوا الى لوحيد عملهم حتى يمد ملتن مائيرتي سكرتير الحزب لاشتراكي البرجاني على يد
الفاشيست ، وبعد التظاهر بالانسحاب من الاكثرية ، انتقم الجميع للنشاط السري او الخفي
فأصبحوا اسداً عرضة للتوقيف والابعاد الى الخارج ، ثم التزوج عن البلاد حيث يأخذ كل من
الخريجين بقلد مؤثراته العامة .

وفي اليابان حيث لا تشريع ينظم العمل ولا ضمانات احتياطية ، ولا تحديد لساعات العمل في اليوم ولا أوقات راحة أسبوعية (عطلة يومين في الشهر لا غير) ، انفجرت الاضرابات بكثرة ، بعد عام ١٩٢٧ ، وأحدثت الحركة العمالية فيها تطوراً بنقطة ، بالرغم من ضعف الأمن العام فيها ومصائبه ، وبالرغم من القوانين التي صدرت عام ١٩٢٥ و ١٩٢٨ ، وفي هذه السنة بالذات أتاح العمل بأحكام قانون الاقتراع العام ، لثلاث اشتراكيين ، الدخول في المجالس الأسفل . فالحركة لا تزال بعد ضعيفة . ومع ذلك فهي أخذت بالتطور الصاعد والتقدم ، إذ ارتفع عدد حرب العمال سنة ١٩٣٨ من ٣٥٠٠٠٠ إلى ٧٥٠٠٠٠ عام ١٩٣٥ . إلا أن الردة العسكرية حسنت عزيمة إدارت التي صدرت عام ١٩٣٩ ليس محل النقابات العمالية فحسب ، بل أيضاً ، محل الجمعية للصناعية الوطنية .

ليس في وسع الشيوعيين ، أيها كانوا ، أن يلعبوا دوراً بارزاً في ي
الحروب الشيوعية برلمان أو في الحياة السياسية في أي بلد ، بالنظر لما كانوا عليه من
امزالية واستكشاف على النفس والنظر لما قام بينهم وبين الاشتراكيين من صحن وخصومة ، إلا عن
طريق النقابات العمالية التي لم في صعودها بعد كبير حمل تصرفاتهم بعض التأثير - مستبهم
في كل من انكلترا وفي الولايات المتحدة الاميركية ضعيف جداً . أم في ألمانيا ، فالحرب
الشيوعي فيها يجد تعاطفاً لدى جناح اليساري للحرب المستقل ، وبدي كل هؤلاء الذين حاسته
آمالهم من التعاون الذي قدم بين الاشتراكيين والشيوعيين وبين الاحزاب البورجوازية فالحزب
الشيوعي كان المحرض الأكبر والناشط الاول للحركات الثورية التي نشبت عام ١٩٢٣ في
مقاطعات الساكس - تورنج وميبرور وفي الرومر . إلا أن عمال القمع التي استهدفوا لها تولت
هم سريعاً ، لا راحة فيها ولا هودة . ومع ذلك ، فقد غل مرشحهم ثلاثاً لرئاسة لجمهورية ضد
هندسورج ، أقل من مليون صوت بقليل في انتخابات عام ١ٹ٢٥ . وهذه الحيوية التي جاش بها
الحزب فب دليلها القاطع ومدى لها لدفع في الانتخابات العامة التي وقعت عام ١٩٢٤
و ١٩٢٨ حيث بلغت النسبة التي سجلها من أصوات المقترعين له تساعاً ، كما رأينا ١٢,٦٪ .
و ١٠,٦٪ .

والحزب الشيوعي الفرنسي من جهة ، عام ١٩٢٦ ١٣٠,٠٠٠ عضو عام ١٩٢٦ ، إلا أنه انقسم
واقطع من عضويته الفئات الفوضوية والانتهازية ، وأثناء المشيرة الحرة (الماسويين) ، ولم
يكن له عام ١٩٢٥ سوى ٤٠,٠٠٠ عضو لا غير . واذ ذاك جرى تنظيمه على أسس جديدة ،
هدف منها قبل كل شيء ، ليس إلى العمل الاتحادي فحسب ، بل أيضاً إلى تنشئة العناصر
الناشطة لنشر الحزب ومساعدته ولتدريب الخلايا العاملة بين صفوف الاضراب والمريدين وتأهيلهم
للإعلام والادعارة . فالخلايا تنتظمها حلقات قانونية تلتزم حول حلقات رئيسية تؤلف بدورها
تجمعات وهو تنظيم فيه كثير من المرونة والطواعية ، تشد الأعضاء ببعضاً إلى بعض وتؤلفهم
وفقاً للمصالح المادية التي تجمعهم بحيث يرتبط الناس ببعضهم البعض على أسس متينة قوية . وتشد

هذه الوحدات روابط شاقولية تجعلهم في مأمن من المراقبة ، ومفاسكات قوى الأمن ، ولانتقال بسهولة الى العمل السري والنشاط الخفي ويجهد الحزب بنشاط ليؤلب حركته لاشتراكيين المجاهدين ويكشف لهم ما هم عليه رؤساؤهم من تواطؤ مع الطبقة النورحوارية فيكرر ، بكل مناسبة ، عرضه بتشكيل لجنة موحدة معهم ، وهي عروض طالما اهرس عنها الحزب الاشتراكي وضرب بها عرض الحائط . فنان الحزب في انتخابات عام ١٩٢٤ اكثر من ٨٧٥٠٠٠ صوت و ٢٦ مقعداً في المجلس البلدي الفرنسي ، اي اقل من نصف المعدل الذي كان يؤصه لهم توزيع نسبي والعودة الى نظام الدائرة في الانتخابات العامة بعد من احتمالات نجاحهم في عملية اقتراع لاحقة افقدتهم لمزيد من الاصوات في انتخابات عام ١٩٢٨ . فقد نال الحزب ١٤ مقعداً ، سجل ١٠٦٤٠٠٠ صوت . والصرع الانتخابي كان ساعداً . فقد رفض الشيوعيون اعطاء اصواتهم لزعيم الحزب الاشتراكي في الانتخابات التكميلية فكان موقعهم متصلب هذا سبباً في سقوطهم . وهذا الانقسام الذي باعده بين الحزبيين أمثـن نجاح انتخاب عدد من امهافين في كثير من المقاطعات وضمن لهم اكثرية ملحوظة في المجلس البلدي . وخيبة لامل التي شعر بها كثيرون من جراء هذا الموقف والموقف الوحيمة التي أدى إليها ، تساعدا على فهم ازمة العدد التي عرفها الحزب اثر الاستقلالات وحركة الانسحابات التي حرت عام ١٩٢٠ و ١٩٢٣ . أما في المدن البلغارية فالاحزاب الشيوعية هي محظورة في كل من بلغاريا ورومانيا .

وبالمقابل ، ونتيجة منطقية لهذا الضعف الذي رل بالاحزاب السياسية الانقسام النقابي . يرى المؤمن والضعف ذاته يدب الى الحركة النقابية ، من جراء هذه الانقسامات والعشـل الذي تسببه في الانتخابات العامة ومع ان الحزب حقق في أحريات الحرب مكاسب سريعة وكبيرة ، فقد ساء اهدوط سريعاً والانهيار عميقاً . وقد كان للتبـين بين النقابات ورؤبئها وتضارب الآراء حول الموقف الذي يجب وقوفه بالنسبة للثورة الروسية والسير على موائها عند الاقتضاء ، والانقسام الذي اصبى إليه خلاف بين الاشتراكيين والشيوعيين أدى بالتالي الى انشقاق النقابات على بعضها فتنـا يرى نقابات متضادة متعاندة . وقد نجم ، عن ذلك ، في هذه الحقبة التي تميزت بارتعاع عم في لامعار وفي الأرباح ، والتي كان من المفروض ان تستجيب مبدئياً بمطالب اصحاب الأحرور ، رأت طلبة العمال نفسها فيها مشلولة وعاجزة عن المطالبة بحقوقهم والحصول على نصيبها منها .

وفي ألمانيا ، راحت النقابات العمالية تقف ، منذ تشرين الثاني ١٩١٨ الى جانب لاشتراكيين الديموقراطيين ، حاولوا منها دون الثورة العسيفة ، بعد ان تمردوا على إدراج مبادئ الاشتراكية في صلب الدستور . لا ان القوانين التي صدرت عام ١٩١٩ ، أفسدت العمليـة على تشكيل هيئات اقتصادية بين الصناعات لاستشرابية وبين العاملين في الطاقة الكهربائية ، وصناعة البولاس ، وتأمين روع من الاستقلال الإداري لها تحت اشراف الدولة . وبعد محاولة الانقلاب التي قام بها كـاب ، وقدخلت النقابات باعلان اضراب عام اعقد الجمهورية من الانهيار ، راحوا

يحاولون القيام بإصلاحات جاء على ذكرها البرنامج الذي وضعته الرابطة العامة لل نقابات . إلا ان المجلس الاقتصادي الذي عهدت إليه الحكومة مهمة درس هذه المذالب ، سيطر عليه كبار رجال الصناعة ، فتولى ثلاثة منهم وضع صيغة انصافي جعل منهم اسباب الموقف . فمن بين الوعود المسجلة في الدستور ، الحق للنقابات بتمثيل العمال ايضاً وانشاء سلطة متأسكة تتألف من مجلس العمال العاملين في المصانع ، والمجلس الاقتصادي ، فقد تحقق فقط إنشاء منظمة العمال العاملين في المصانع . إلا ان قانون ثمان ساعات عمل الذي صدر عام ١٩٢٣ تم إلغاؤه بالعمل عام ١٩٣٣ . وهكذا فالتقانات التي كانت تتمتع ، منذ عام ١٩٢٠ ، بموقف متين جداً عادت القهقري ان تدهور المارك وتضمخ النفد وموافقة لاشتركيين على مخالفة القوانين الاشتراكية أي البطالة ، كان السبب في المصوب العظيم في عضوية النقابات اذ نقص عددهم الى اقل من النصف مما راد في سلبية الطبقة العمالية امام الاقتراحات التي تقدم بها ارباب الاقتصاد الألماني .

وفي فرنسا ادى فشل الاضرابات عام ١٩٢٠ الى إصعاف الحركة النقابية . فمن اصل المليونى حضر المسجلين في C. G. T. هبط العدد الى ٦٠٠,٠٠٠ في اواخر عام ١٩٢٠ ، ثم قسمت الحركة على نفسها . وفي شهر كانون الاول ١٩٢١ ، انحسرت العناصر الثورية تؤلف نقابة مستقلة تحت اسم C. G. T. U. أي النقابة العامة لاتحاد العمال ، كما ان النقابة العامة للعمال التي اربكها هذا الانقسام واصحها ، لم يردد عدد اعضائها الا ببطء كلي وبمشقة . وقد اقتضاها عشر سنوات من الجهد الموصول ليرتفع عدد اعضائها عام ١٩٢١ ، الى ٣٧٣,٠٠٠ ، وإلى ٧٣٩,٠٠٠ عام ١٩٣٠ ، ومعظم الاعضاء الجدد من الموظفين ومن عمال المناجم وموظفي مراكز البريد الذين ألفوا في نهاية الامر ربح الاعضاء المسجلين . فعزّ تكسبهم للحزب تبدلات هامة في اساليبه وبرامجه وماسمي تفكيره . وبعد سنة ١٩٢٢ ، اخذت النقابة العامة للعمال تتخلى شيئاً فشيئاً عن عادة الرجوع الى الاضرابات . ووسائل العمال المثل لديها ، لم يعد العمل المباشر ، وهي الطريقة المحببة لدى النقابة العامة لاتحاد العمال ، بل الصعد على السلطات العامة والمفاوضات الرسمية ، والمناقشات النيابية التي أحادت استعمالها . فالرغبة في تأمين الطمأنينة والاستقرار في العمل تتغلب عندها على الرغبة في تحقيق اصلاحات دستورية فهي توحه جهودها لتحقيق لاتفاقات والتحكيم . فهي تعتمد اصلاً طريقة الحصور ، وتحاول جاهدة في ايجاد روح نقابية بناءة ، ولذا رأت من مصلحتها التعاون مع الحكومة ومع الأحزاب بغية تطبيق القوانين الاشتراكية المعمول بها كقانون ٨ ساعات عمل في اليوم ، والضمان الاجتماعي على امواع ، كما تشارك في اعمال مكتب العمل الدولي B. I. T. ، وفي اعمال عصبة الأمم ، ومع المجلس الاقتصادي الوطني الذي تم انشاؤه عام ١٩٢٥ . ويجعل القول ، ان القسم الاكبر من العمال العاملين في الصناعة ، بقي بعد اليأس الذي انتبه منه عام ١٩٢٢ على اثر الفشل الذي لحق بحركة الاضرابات وشأ عن الانقسام ، بقي في منزل من جهود نقابتي

العمل العامتين .

كان من نتائج الحلف الذي لحق الحركة العمالية في البلدان الاسكندنافية حيث تم تسجيل الحركة اي انقسام نقابي ، ان وضع الحركة تحت رحمة خصومها . ففي الولايات المتحدة التي شهدت فشل المحاولات المبذولة لتحقيق حزب للعمال ، وحيث قال مرشحو الحزبين الاشتراكي والشيوعي لرئاسة الجمهورية ٢٦٧٠٠٠ و ٤٨٢٠٠٠ صوتاً فقد شهدت سنة ١٩١٩ وحدها ٣٦٠٠٠ اضراب يقوم بها اكثر من ١٠ ملايين عامل ، وهي اضرابات قلما لقيت نجاحاً او إقبالا في الصناعات الفولاذية حيث امر ارباب العمل بتكوين رشاشات في بواقي المصانع وصربرا حولها حواضر من الاسلاك الشائكة الكهربائية . ثم جاءت سنة ١٩٢٠ ، وجاءت معها حركة انفكاش النقود والبطالة ، وهجوم ارباب الصناعة على الاتفاقات الجماعية وعلى النقابات العمالية . وقد اصدرت المحاكم ، ومن بينها المحكمة العليا ، أحكاماً معتدلة على البعض من هذه النقابات وأعلنت الاضرابات عملاً غير قانوني ، فلا عجب ، و لحالة هذه ، من ان يصاب الاتحاد العام للعمال (A. F. L.) بالفقرى ويلسب منه أكثر من ٤٠٠٠٠٠٠ من اعضاءه المسجلين مع ان نشاطه اقيم دوماً بموقف معتدل رمى ابدأ للتوفيق . وقد توصل ارباب العمل ، في بعض الصناعات لتخصص من كل تنظيم عمالي ، كما توصلوا أحياناً ، الى تأليف نقابة بصورهم امرها بين أيديهم .

وفي انكلترا اخذت الحركة العمالية الاتحادية تمامي ، هي الاخرى ، من بعض المشكلات طادة ، ولا سيما من هذه المشكلات التي تثيرها الصناعات الاستخراجية ، وتثيرها البطالة . ان طريقة استعراج الفحم البالية وتكاليف الانتاج العالية أدت الى حد الوضوح الزري الذي يتسكع فيه العمال ، الى تأليف لجنة خاصة تعرف عندئذ بلجنة هيني ، كان بين الاقتراحات التي تقدمت بها ، تأميم المنجم ورفع الاحور . وقد رد العمال عام ١٩٢١ على اخلاق العمال والمصانع في وجه العمال ، باضراب عام ، باء بالفشل لتدريج ، بعد ان رفض هذا مناجم الفحم الانضمام الى العمال المصريين . وأطلق الصدام من جديد ، عام ١٩٢٥ ، وطلب ارباب العمل أحياناً اجراء تحميم في لأحور وزيادة ساعات العمل في المنجم . وأمام هذه المطالب ، قرر اتحاد العمال العام الاضراب الشامل ، فأدخل الرعب في قلب البورجوازية البريطانية ، إلا ان الاضراب اخذت تضعف حدته بعد تسعة ايام ، والففي الافراز بالاضراب العام ، واستمر بعضون خمسة أشهر في موقفهم يحاولون عنثا الحصول الى نتيجة مرضية . وراحت حكومة المحافظين ، تستغل ه اسوأ مثل قصاب به الحركة العمالية في تاريخها ، لتقرر قانون عام ١٩٢٧ حول المقبات ، فاعل عدم شرعية اي اضراب عام او اي اضراب يُعمن تضامناً معهم . وقد أدى هذا الفشل ، هب ايضاً ، او هوو في عصوية المقبات في وقت جاء فيه الاستمرار في الاضراب ينتهي ، وصفاً غير ملائم لتحقيق المطالب العمالية . وهكذا بعد ان أسقط في يدها وأصبحت بالشلل والمعر ، اضطرت الحركة العمالية ان تخصص لسياسة المحافظين .

النظام التدريبي
 هدفه خصوم لأسمالية ومناوئوها ، بعد الانقسام الذي ابتلوا به
 والمنافسة الحادة التي نشبت بينهم في كل بلد ، واشتد بهم إلى احزاب
 عمالية وإلى نقابات متخاصمة متسادة ، إلى نعت المنظمات الدولية التي كانت قائمه قبل عام
 ١٩١٣ ان هم الاحزاب الاشتراكية هي التي قامت في المايك (مليون عصر) وفي النمسا
 (٧٥٠,٠٠٠) والسويد (١٣٠,٠٠٠) وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا (٢٥٠,٠٠٠) أي حيا
 يوازي مجموعهم ٦,٠٠٠,٠٠٠ عضو ١٤ فيه الانصار والمتعاطفون مع الحزب من الاحزاب الاخرى .
 كالأحزاب الاشتراكية النمساوية والاسكافية ، والبر من مجموعهم للدولية الثانية . أما التدريبي
 الثالثة الكومنترن ، التي تأسست عام ١٩١٩ في موسكو ، فقد تألفت من الأحزاب الشيوعية
 إلا أن بعض الأحزاب الاشتراكية ، كالحزب السويسري ، وحزب العمال المستقل في انكلترا
 والحزب الاشتراكي المستقل في المايك ، رفضت ، باديء الامر ، الانضمام إلى هذه أو تلك من
 المنظمات الدولية وفصلت اذ تشكل وحدها لاتحاد ، لاربع المعروف بالحزب فدينا أو المنظمة
 الدولية الثانية ، وقد باءت بالفشل محاولات التوحيد بين هذه المنظمات التي سعوا إليها في
 كل من مؤتمرات برلين وقيينا ومبورج ، عام ١٩٢٣ ، وفي نهاية الأمر بقيت منقسمة وجهاً
 لوجه : الدولية الثانية والدولية الثالثة .

وهذه الانقسامات وما أدت اليه من مفااسات حادة في مجال النقابية الدولية ، قابلها
 التحالف الدولي النقابي الذي ضم في صفوفه النقابات الإصلاحية وجميع عام ١٩٢٩ نحو ١٤
 مليون عضو ، منهم ٣,٦٠٠,٠٠٠ في انكلترا ، و ٦٠٠,٠٠٠ في فرنسا ، وأصبحت النمسا
 وتشيكوسلوفاكيا وبلجيكا والمكسيك مجتمعة أكثر من نصف مليون عضو في كل منها ،
 وهي على اتصال وثيق بأحزاب الدولية الثانية ، وكلها تتعاون مع مكتب العمل الدولي
 (B. I. T) ومع السكرتيرية للصمة لمنظمة العمل الدولي (O. I. T.) وهي منظمة يشترك
 في أعمالها وشباعتها ممثلون عن الحكومات ورؤساء النقابات العمالية وممثلو أرباب العمل .
 وتلتصق أمامها المنظمة الدولية النقابية التي اعيد تشكيلها في موسكو عام ١٩٢١ وعرفت
 تعاونها العام مع الدولية الثالثة ، ومن بين الهيئات المنسوبة إليها النقابات السوفياتية ، والاتحاد
 العام للنقابات العمالية (C. G. T. U.) الفرنسية .

وعكسنا نرى في كل المجالات ، الحركة الاشتراكية تنقسم إلى قسمين يفرعان جوهريهما
 ويكرسان قواهما في محاربة واحدة الأخرى ، كل طرف منهما يحاول السيطرة على
 الطبقات العمالية ، مصداقاً الواحد منهما الآخر .

الخلاصة
 تنصرف أهم الدول في العالم التي تولى الامر فيها ، في هذه الفترة الواقعة بين
 ١٩٢٠ - ١٩٢٩ ، حكومات محافظة ، إلى إعادة تنظيمها السياسي ولاشتراكي
 في ظروف قاسية غير متكافئة وعلى فدادن متسببة من التوحيق والدجاج . وكل هذه الدول
 شهدت عن كثب الادوار التي قطعتها حركة التصنيع والمكننة وبالتسالي التطور الديموغرافي

وحركة تكاثر السكان بين الطبقات العامة ، سواء في الريف أو في المدينة وطبيع التركيز الذي ميز المشروعات الاستعمارية ، وقبضة الطبقات الموجهة على أجهزة الحكم فالولايات المتحدة وحدها بين هذه الدول هي التي عرفت ن تفيد ، الى حد بعيد من هذا الازدهار الموصول بالنار للعيان بينما كانت بريطانيا العظمى تمر في أزمة مستمرة ، مديدة المور ، وبين هذين الحدين والتهامين القصوين ، عرفت البلدان الأخرى حياة مضطربة لا استقرار فيها ولا سكون ، كما عرفت فترات منقطعة من الازدهار تثبت بصورة لا تدع مجالاً للشك عجز الوسائل والأساليب التي استخدمها الإنسان وسحرها لاعادة البناء ، والعطب السريع الذي يستهدف لها هذا البنيان . وهذا الوضع وسرعة العطب الذي يتعرض له ، سيكون من شأن أزمة ١٩٢٩ الحادة ان توضحها وتبرزها بجلاء للعيان .

الفرع الأول

بَحث الحياة الفكرية والفنية

« أحد الإنسان يدرك نفسه ويعلم حقيقة كعادت
طاري، وأقل في هذا الوجود ، كما يجب يدرك بأنه مرحلة
مؤقتة في عالم متحول متطور باستمرار » .
ج. د. بولك

في الوقت الذي شهد فيه أوروبا تقلص سادتها وروال سيطرتها امدية ، كانت هذه الفترة
مسرعا لنشاط فكري عارم طرح على بساط البحث من جديد - كنتيجة منطقية لهذه
الكشوف العلمية التي تم الوصول اليها منذ مطلع القرن - كل المبادئ التي قامت عليها المعرفة
العلمية وما من ذلك من قيارات ونظريات فلسفية . وكان من بعض نتائج الجامعة الكبرى التي
منلتها الحرب العالمية ، وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي ان رادت السلطة والقوى اللذين
بعثتها في النفوس ، النظريات العلمية والفلسفية الجديدة ، والوعي الصادق لهذه التغييرات
الجذرية التي وقعت في العالم ، برزت ، على درجات ونسب متفاوتة من الوضوح ، في كل
مجالات الفن والفكر ، إرادة شائعة للتعدد والبحث . فمن اصنام ثورة حقيقة تناول كل
مظهر من مظاهر التعبير .

كان مطلع القرن العشرين حتى عشية الحرب العالمية الثانية ، مشحنا بروح من التساؤل
العقلاني الذي تركه في النفوس ، القرن الثامن عشر وبعض القرن التاسع عشر ، وهو تساؤل
يظهره ويؤيده العلم المتطور ، بأن لا انسان ان يحكم فيما بعد الا وفقا لمعلومات ولدديه عقلانية ،
اي علمية . ومع ذلك قبل عام ١٩٢٤ ، شك كثيرون بهذه العقلانية وهذه التماولية ، في
القرن التاسع عشر بشخص كبير كلفارد وبيلشيه باعترا من الاساس . وتبدو في الاقاي ازمة
هوجاء تهدد بالدمار والخراب ، ايس تراث فنت وكونت الفلسفي فحسب ، بل ايضا مسنده
الانسانية نفسها المتحدرة اليها من عصر الانبيات في القرن السادس عشر .

١ - الجو الفكري الجديد

الثورة في العلوم الفيزيائية جاوز العلم بمبدأ ، في بضع سنوات ، النظريات القديمة التي قدمت على تعاليم اقليدس وبيوتن والتي عليها نهض البنيان العلمي . فقد سبق للعالم الرياضي الألماني هيرت الذي سيطرت تعاليمه انى ن واهاء الاسل المختوم ، عام ١٩٤٣ ، على العلوم لرياضية ، بمسودة هيرت بوانكاريه ، ان قال بوجود كون له من المقاييس ما لا يمتد ، وترك لنا « نظرية المجموع » ، هذه النظرية التي خرجت على ساطع المعث من جديد ، أسس الرياضيات . وهكذا أصبحت عين « علوم منطقية جديدة » تدعي بأنها تحطت بمبدأ العلوم التي وضعها ارسطو .

وبررت هذه النظريات الجديدة في الوقت الذي تدور فيه علم الفيزياء وصنع علينا نظرية النسبية التي قال بها اينشتاين وعلم ، فقصت من الاساس ، المادى المطلقة التي تقول بها هندسة اقليدس وعلم الميكانيك كما وضعه بيوتن . هاد ما حدثنا على حركات ، نظرية اينشتاين التي أقصرها حتى لأن على الحركات السوية المستقيمة لاتجاه ، فقد رأى في ظاهرة الحذبة شكلا من القصور الذاتي بينا رأى فيما سادون خاصية من خصائص الاجسام . نظرية الفضاء الزمني التي قال بها اينشتاين اقصت المجال لهندسة تقوم على ريمة ابعاد اد دخل الزم بعداً رماً . والثورة التي تمت في المجال لنري ليست باقل خضراً وشأناً فقد سم العلم العقلاني في القرن التاسع عشر بالدعوة واستمرار لمدة ، والحد ، فلسفة الاختبارات العلمية ، التي قام بها تبعاً علماء اعلام من عيار كروكس وحاتن برين ، ورينس و ج ج ج . ثومسن وبينكرين وبيار وماري كوري وماكس بلانك وبياز بوهر ، قد قصت تماماً على هذا الموضوع لمزدوج وادخلت الاضطراب والتشويش الى دبا الفيزياء . ففي عام ١٩٢١ ، شأ بويس دي برويل «التعساون مع شروندجر علم الميكانيكا التتموجية » وحاء الاخير منها بالدليل القطع على ان الميكانيكا التتموجية هي نفسها الميكانيكا الكمية التي قال بها هيردريج . وبقطع النظر عن ان لوجة والجزي ، مما شيتان يعني احدهما الآخر ، هي يلتقيان متحيزين في الواقع . فالميكانيكا الكمية تحمل عصباً جديداً من اللولة على الفيزياء . فقد قال هيردريج نظريته اللامحدودية بعد ان اصغى عليها مدلولاً رياضياً وصحاً بقوله انها « نسبة عدم اليقين او الشك » اي يعني مبدأ المطلق الذي ينسكرك به حد ، همد المبدأ الذي يقون بالجمعية المطلقة لظواهر . فكل علماء الفيزياء ليسو على اتفاق رأياً حول هذا الموضوع . فايرنبرغ وبوهر يسمان عصباً اللامحدودية الحدرية على مستوى الفيزياء «دوية » دبا يقتصر بويس دي برويل على تعبير احتمالي ، في الوقت اندي يلزم اينشتاين ولا يحين حان الحتمية .

هذه النظريات العلمية والجدل العلمي اندي اشتد حوله كانت الثورة في الفلسفة
نوة نظريات جديدة حامت حول العلم وتباوات مشتملاته وحدوده . ان تقهر التحرية او الاختصار كفتصر ثبات بعد ان كانت للآن الاداة الوحيدة

الموصلة اليقين لصالح النظريات الرياضية (كنظرية الميكانيكا التوضيحية) ، افقو بالمسلم الى الاسمية التي قل بها هنري برانكاويه . هالمسلم لا يعرف شيئاً ولا في مقدوره ان يتوصل الى معرفة شيء عن كنه الاشياء وجوهرها . فكأن مسا يستطيعه هو تحديد لروابط والنسب الموجودة بين الاشياء بالنسبة لبعضها البعض . وهذه الاسمية العلمية غارقة في جو حيث النظريات الفلسفية المثالية المختلفة والتي تحمل من الانسان عقلاً منطقياً ورياضياً وتزور في النفس القهط وعدم الشفقة ، ثم يمر تكييفها كما يجب لتتلاءم مع مجتمع تثير فيه الرأسمالية المعانية والبربريتا التي تنهض على العدد والنقود ، مشكلات جتاهية تزداد ضغطاً يوماً بعد يوم . وهذه اللامبالاة التي نندعها الفلسفة المثالية تجوء القصاير والمشكلات الواقعية ، تقسر لنا النحاح الذي تلاقيه النظريات الفلسفية اللاعقلانية كالذرنسية الاميركية التي حملها برهسون الى اوروفا . وفلسفة الممل اوالسلوك هلمو ، وفتتح نافذة على اللامعقول واللامنطقي ، الذي يشدد بنوع خاص ، على الدور الاساسي الذي يلعبه اللاهوي . وبالمقابل تقوم في الدنيا ثورة فكرية سريعة وحقيقية الجدور الى جانب الفلسفة الظاهرانية التي قل بها 'هوسبر' وهلم : قالحقيقة لا يُستخ ليها لا بالتحورية او الاختصار ولا باليقين العقلي ، بل بشيء من المشاهدة و الاكتناء من نوع خاص يساعدنا على قبيلان قوامها .

وأزمة العلم هذه والتي ردتنا حرجاً على حرج ، الفلسفة الحتمية ، قد هزت من جذورها العميقة الفلسفة العقلانية القديمة . فقد قام مع برهسون وديكيس واوتامبور ، تيار لاعقلاي اخذ يلقى ويشدد شيئاً فشيئاً ، تيار شوهدي في المانيا خلال الحرب وبمدها ، اردفه ماكس شولر مسيج 'هوسبر الظاهراتي' ، فيما يتعلق بالمشكلة الادبية ، ادا قام في وجه عالم حيث لا عمل مطلق ولا هدف اسمي ، نظاماً دقيقاً من القيم في القمة او الذروة مع معرفة اله شخصي مسيحي . وهذا التيار اللاعقلالي يعرف في الثلاثينيات معج هايدغر ، انتشاراً واسعاً من المظاهر التي تنسبها وبرزت معها الوجودية .

القسم الجوهري او الاساسي من فلسفة هايدغر ظهر في الدنيا ، خلال هذه هايدغر السنوات التي سبقت مباشرة وصول هتلر الى الحكم ، وذلك في مؤلفاته الوجود والزمن ، الذي صدر عام ١٩٢٥ ، وكتابه الآخر : كنت وقضية الميتافيزيقا ، الذي صدر عام ١٩٢٩ ، واما هي الميتافيزيقا ، الذي صدر عام ١٩٣٠ . وبواسطة هذه المؤلفات وعن طريقها اطلت الوجودية على الحياة وتملظت بين الملائمي ولقيت ما لقيت في العالم ، من آذان صاغية وافكار واهية . فقد اصبحت من رومنطيقية شمالية معج فلسفة 'الضئك' او الكرب ، التي قال بها كيو كيشارد ، ثم انتقلت الى اوساط المفكرين والادباء مع هذا الجو الذي خلطت الارمة العقلية ، وعلى الاخص مع هذه الفوضى التي اجتاحت المانيا في فترة ما بعد الحرب والتي تميزت بهذه المحاري الفكرية التي تقول بالفسية ، وقالت بعدم مقدرة الانسان للوصول الى واقعية الحقائق العلمية والى كل ما له قيمة ما ، وهو تيار وجد صداه الدلوي في فلسفة

بارث اللاهوتية ، هذا اللاهوت اللاعقلاني ، لاهوت قانون الايمان المجرد من كل يقين فكري ، وهكذا طلعت فلسفة هايدغر تعبيراً صادقاً عما كانت عليه الحياة الفكرية في المانيا : اللاعقلانية المثالية .

ولما كانت هذه الفلسفة تنهض اساساً على المبدأ القائل بان العالم البشري يخلو تماماً من معيار للقيم المطلقة ولا معيار له سوى المعيار الذي يعطيه هو نفسه ، فقد نقل الى المجال الفلسفي المعايير والمقاييس التي استخدمها في المجالين الادبي والفني منذ مطلع القرن والتي راحت الحرب تزيكها وتبررها . منها إطلالة مبدأ الخلف او المحال لأول مرة . وان وجودنا ينهض على أرضية من العدم او اللاوجود ، وان « الفلسفة ليست سوى الانشغال بما يسبب الكرب واليأس » . فعلى الانسان والحالة هذه ان يخلق بنفسه قواعد سلوكه ومعايير القيم التي يعترف بها ، بينما نرى كارل ياسبرس الذي يعتبر مع هايدغر خيراً يمثل للوجودية متحرراً من اليأس والخلف عن طريق اعتقاده بالله .

ازمة العلوم البشرية : اضطر كل من علم النفس وعلم الاجتماع ان يعيدا النظر ، من السيكلوجيا وعلم الاجتماع الأساس ، في المناهج التي اعتمداها حتى الآن وسارا عليها . ففي مجال علم النفس تجاوز التفكير البشري بمراحل ، الاستبطان الذي لم يعد من العلم بشيء ، كما تجاوز بعيداً علم النفس الطبيعي . وطريقة الشكل او (الجشطل) ، وعلم النفس التجريبي او الاختباري الذي حاول الروس تشييده على ضوء الانعكاسات المشروطة التي قال بها بافلوف ، وسلوكية الاميركيين ، وطريقة الروايز التي جروا عليها في فرنسا والمانيا ، كل هذه الطرائق السيكلوجية ، قد كسفتها طريقة التحليل النفساني الذي وضعها فرويد في هذه المؤلفات التي اصدرها قبل الحرب وبعد عام ١٩١٧ والتي لقيت رواجاً عظيماً ولا سيما في اميركا تاركة أثراً عميقاً في الأوساط الأدبية والفكرية والفنية ، وبين علماء الاجتماع والاحيائيين . فقد شدد فرويد على اللاوعي او اللاشعور خصوصاً مدلاً على ان العصابي هو انسان « مكبوت » (من جراء الصعوبة التي يلاقها في استحضاره لبعض الصور البديهية) . فاللاشعور هو المكان الذي تنجمع فيه المكبوتات التي تسبب الامراض ولا سيما هذا النوع من الكبت المتعلق بالجنس ، إذ ان الاصابة غالباً ما يكون منشؤها ، الأمور المتعلقة بالحياة الجنسية في المريض . ان ادق الاعمال التي نأتها ، والافكار التي تجول في خاطرننا هي مرتبطة ، بغير وعي منا ، بقوة لاشعورية قد يعود اصلها احياناً الى الطفولة الاولى . فهذه الحياة الخفية المستترة التي يحياها بمعزل عن الحس الواعي ، هي التي تحرك العالم وتقوده بالفعل . اما علم الاجتماع الذي اتخذ في اثر هربرت سبنسر ذريعة للبحث عن النواميس التي يخضع لها تطور المجتمعات البشرية باعتبار ان التاريخ ليس سوى تطور البشرية في خط سوي ، فهو يطبق في دراسات هذه المجتمعات ، الاكتشافات السيكلوجية ، الكبرى التي وقعت في مطلع هذا التاريخ ، كما انه يوجه الانتباه الى قضايا جديدة حرة بالدرس والبحث . فعلماء الاجتماع ، ولا سيما الاميركيون منهم يرون المجتمع

حولهم ، في تطور موصول . فالمدن تنشأ كالنظر ، وتطل علينا ، عن طريق الهجرات ، شعوب جديدة ، كما نشاهد عن كثب اختلاط العروق والسلالات البشرية ، ويولون اهتمامهم الاول لتفهم الحقيقة كما تبرز في حياة المدن بكل ما لها وفيها من حيوية عارمة ، والكشف عن العوامل التي تتحكم بالتطورات الاجتماعية ، وما عسى ان تكون عليه المسلمات العددية التي تربط ما بين هذه الظواهر وتشدها بعضاً الى بعض . وقد برز من هذه المناقشات السياسية والجدليات الاجتماعية ، نظريات عديدة حاولت ان تربط بين تسلسل الامور وبين 'غلاف' الشمس او الاحوال الجوية المسيطرة ، كما تحاول ان ترى في العروق البشرية العوامل الاصلية في تكوين هذه المجتمعات البشرية ، من ذلك مثلاً علم الاجتماع السوري الذي قال به تونيز بعد ان تجاهل مادة الحياة المجتمعية ونظريات باريتو الذي لقب بحق « كارل ماركس البورجوازية » وونيارسكي الذي طلع علينا بنظرية اللامساواة الضرورية ، و « علم الاجتماع الشامل » الذي قال به ماكس وبر الذي بعد ان ميّز في دراسته للرموز او الانماط اربعة « انواع من العمل » ردّ كل شيء الى « سلوك الفرد الشعوري » . ونظرية دلثي الذي يسيطر كلياً على التيار الذي يضع العلوم الطبيعية وجهاً لوجه مع العلوم الانسانية .

أما في فرنسا ، فقد ربطت مدرسة دوركهيم بين علم الاجتماع وبين الاثنوغرافيا او الاثنوبولوجيا الوصفية . وراح دوركهيم يشدد ، بعكس ليفي بروهل الذي شدد بدوره ، في القسم الاول من آثاره العلمية ، على التعارض القائم بين المنطق وما قبل المنطق (ميزة البدائي غير المتحضر) على استمرار او ديمومة هذه الروابط ، الأمر الذي ينقض من الاساس نظرية تفوق الابيض على الملون ، بينما يحاول موسّان اثبات لنا « ان الواقع الاجتماعي الكامل ، لا يجد ملء مدلوله الا إذا دخل بنياناً اجتماعياً كاملاً . وهكذا نرى ان علم الاجتماع يتجه نحو « الجماعات » التي تتألف من الفئات الاجتماعية . وهذا ما يسميه سوروكين : الديناميكا الاجتماعية الحضارية للجماعات . وهكذا ينزع علماء الاجتماع الى التخفيف من شأن العوامل الاجتماعية الخارجية (كالمناخ مثلاً) ، وللدراك المتضاعف بان اثر هذه العوامل ليس بالضرورة قاطعاً ، وبأن المجتمع البشري ليس مجرد طبائع سيكولوجية فردية متجاورة او متلاصقة ، وان هنالك « وعي اجتماعي » . ومع ذلك ، فالسيكولوجيا الاميركية التي تجاهلت باستمرار النظرية التي قالت دوماً بفئات مميزة واقعية ، تحمل عميقاً اثر الأزمة الكبرى . فسوروكين يقيم في وجه نظرية ماركس ، نظرية الطبقة الاجتماعية ، هذه النظرية التي تقول بان الشعور الطبقي انما ينشأ في الذهن ، من مجرد تصور الدور الذي يمكن لفئة مجتمعية ما ان تلعبه في وسطها الاجتماعي ، وليس من وعي الاحداث الاقتصادية والاجتماعية المتصلة بهذه الفئة . فهو يرى ان « الطبقة » التي تتألف ، في نظره ، من عناصر ناشطة ، كثيرة الحركة ، لا يمكن لها ان تؤلف فئة مضادة لآخرى . وبهذه الذهنية ، ومناهضة منه للايديولوجيا الماركسية ، راح العالم النفساني ج. ل. مورينو يضع نظريته في التحليل النفسي الاجتماعي الذي يرغب في ان يطبق على التصادم

الفنوي ، تقنية التحليل النفسي حلاً منه للمشكلات الفردية (في كتابه « من سيبقى » الذي صدر عام ١٩٣٤) ، وذلك لانقاذ العالم من المشكلات التي تباعد بين ارباب العمل والعمال ، هذه المشكلات التي لا تخرج عن كونها امراضاً اجتماعية عارضة لا بد من معالجتها معالجة سيكولوجية .

وهكذا يرقى علم الاجتماع ببطء كلي الى مرتبة علم مستقل يُعنى بالمجتمعات البشرية ويترك اثره الظاهر على العلوم البشرية الاخرى : على الاقتصاد مع فرنسوا سيميان ، وعلى التاريخ ، مع مارك بلوك ، فعلم التاريخ يفيد الى اقصى حد من عمل علماء الآثار وعلماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع فيوسع من نطاق افقه ويعمل على تجديد او عصرنه معلوماته حول الحضارات التي سلفت والتي نرى انفسنا في جهل مطبق عنها : كالاتروسك مثلاً والصين القديمة والسومريين والحضارات الأخرى التي تقدمت كولمبوس . وهو يؤثر ان ينصرف الى تحليل الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والظروف التي اكتنفت حياة الناس في الماضي السحيق .

سدّد التطور العلمي ، ولا سيما تطور العلوم الانسانية ، ضربة قاسية للعقلانية والاحتمية : فقضيا معاً على العقل الشامل والقياس ضوئاً جديداً على مفهوم النسبية وعلى الدور الذي يلعبه اللاشعور ، وشدّداً على الدور الذي تلعبه القوى الخفية اللاعقلانية التي تحرك الانسان وتوجه نشاطه . هذا الموقف اللاعقلاني عاد بفائدة ملحوظة على العقائد اليمانية وعلى التقريرية في بعض ملامحها ، مع انه اطلق ، في بدء الامر ، في كل المجالات ، ولا سيما في مجالي الادب والفن ، ردة فعل صاخبة ضد التقاليد التي اصبحت موضع شك في الوقت الذي اخذت فيه تجربة الحرب وما بعد الحرب ترسخ في قلوب الناس ونفوسهم التشاؤم والقلق .

٢ - الثورة الادبية والفنية

عندما يدور الحديث عن الادب والفن لا تعود الاشارة الى الزمن لتكفي او لتفي بالغرض ، اذ ان تجدد وسائل الاعراب عن المشاعر النفسية يتم في جو يجيش بالثورة والفليان هو على اتصال وثيق بالثورة العلمية والفكرية .

اول ما يطالنا في هذا المجال منذ بزوغ القرن ، روح ثورية تهب في وجه المألّ الناخ الجديد البورجوازي « الثقيف » غير المتفهم والمتخلف في بواعث فخره ومباهاته ، وضد الاعراف الاكثر رعاية وقبولاً لدى الرأي العام . وتحاول الموسيقى من جهتها التملص من هوس التلوين والميلوديا اللانهائية الواغترية ، كما يذهب فن الرسم بدوره للبحث عن البيان التصويري والتعبير عن الحجوم بعد ان ادارت التعبيرية لها ظهرها واعرضت عنها اعراضاً كلياً . واخذ الكتّاب بردة عنيفة ضد واقعية زولا بحيث يكونون لهم رؤى جديدة عن العلم . الا ان حركة التسارع التي اتخذتها حركة التطور التي أملت بحضارتنا المادية ، والدوي الذي احدثته

في العالم الكشوف العلمية الحديثة ، والتغيرات الجذرية ، التي تحمل هي الاخرى سمات النسبية ؛ ليس بعد من سلّم او معيار قائم بذاته ولا من فضاء قائم بذاته ، ولا من ابعاد قائمة بذاتها ، ولا قواعد للقريض بعد ذاته . وهذه الثورة في وجه نواميس بدت فجأة وكأنها إصلاحية صحتها ولازمتها ردة فعل ضد « الواقعية » ، وضد موضوع المدلول العام الذي « تُخيل للجميع انه قائم بذاته بينما المعنى او المفهوم الذي توليه اياه ينزع من سريرتنا نحن . فكل صاحب فن او موهبة من رسام الى شاعر الى موسيقار الى كاتب اخذ يمي ، اكثر فاكثرا ، بان عليه ان يستنبط طريقته التعبيرية الخاصة ، ولغته الخاصة لينقل لنا الصورة التي تبدو له عن العالم . وهذه الذهنية تفسر لنا ما للفن الزنجي من اثر عميق اذ من بعض حسنات هذا الفن ان يأخذ ويُبدأ بيد الفنان الى دنيا الفن التشكيلي الجديد عنده ، كما يبين مسا في الآداب الشعبية ، على انواعها من سحر وفتنة واغراء ، وعنهما يصدر ريتان مترعاً مانويل دافالا وجورج إيلسكو ، وبيللا برتوك وفيللا لوبوس .

والميزتان اللتان تسهان الادب والفن الحديثين هما العمومية او الشمول والاممية . فتحت التنوع القومي والامزجة الفردية المتباينة ، نرى الثورة ذاتها تهب في وجه مجتمع بورجوازي متمسك بقوميته وفعال في تفاؤله ، وشموراً مشتركاً بتأجيج ثورة عميقة في قلب الانسان وفي صميم العلاقات التي تشده الى العالم . ففي البحث عن صور جديدة ، هنالك ليس ردة فعل ضد ما هو رسمي او ضد ما هو موافق فحسب ، بل ايضاً البحث عن انسانية جديدة حيث لا اثر قط لهذا الكائن العقلاني ، كما يراه المذهب العلمي راضياً ، واثقاً بنفسه ، المتشارف في خيلاء انه سيد العالم حيث يسود اللامعقول واللاخلفي (في المفهوم البورجوازي للكلمة) ، له حق الرعوية ، بل ايضاً حيث الانسان الذي تحرر من معبوداته واثاثه ، وحصل على العلم الجديد اخذ يمي ما أوتي من حرية خالقة ، مبدعة بالنسبة لعالم الكائنات بحيث ان في الوقت الذي تبدو معه متعككة بالقضايا والمشكلات الخاصة بالطبع ، نحن بالفعل نكون امام محاولة للتعبير عن الانسان الجديد الذي اطل علينا وعن مشاعره الجديدة ، وعلاقته الجديدة بالكون ، وهي محاولة تطبع في الصميم كل ما في هذه الحقبة . والفن لم يعد يفرق بصورة مصطنعة ، بين مشكلات المبنى والمعنى او المحتوي والمحتوى . فهو يبحث بالاحرى عن صبغة تصلح للتعبير عن المحتوى البشري .

الحرب وما بعد الحرب هذا التقاطع المزدوج مع الصورة القديمة للاشياء ، ومع هذا المجتمع الذي يتناقضها ، اضفى على الفن وعلى ادب ما بعد الحرب ، السمة البارزة التي تميزها ونفردتها ، كانت الحرب في نظر الكثيرين ، حادثاً جهنمياً وشروداً للعقل السليم عن محجة الصواب تحت ستار المحافظة على القيم الروحية والوطنية من وراء الحفاظ على مصالح وسياسة .

فالسام الشامل والردة العامة بعد هذه السنين المديدة من الضغط المرهق التي وجدت تعبيراً

لها في هذه الاضطرابات الاجتماعية التي انفجرت والمطالب السياسية التي انهالت ، يقابلها ، من الجانب الادبي والفني ، هذا الاختيار العام في الافكار الذي زرع الشك في كل ما اصطلح عليه المجتمع وقبنتى من تقاليد واعراف ، ويبرر احياناً بفجور ما نشاهد من حمى الاندفاع نحو الملذات دونما تمييز او خيار ، وحمى التكالب على التحرر والانعقاد التي جاشت بها طبقات المجتمع على اختلافها . وهذا الغليان الشامل لم يهدأ الا بعد عام ١٩٢٥ ، عندما بدأ للجميع بارقة أمل بالوصول الى الاستقرار المنشود .

بعد ان هدد هزيم المدفع المدوي ، وبعد ان وضعت الحرب
عند المنتصرين اوزارها ، راح الجميع يحاولون تناسي كابوس الخنادق الذي

اناخ بكل كلكله على الصدور . فتحت ستار شفاف من التفاؤل واللامبالاة عند البعض ، نرى بوضوح ما يسامر افكار الناس وقلوبهم ، في هذه الحقبة ، من قلق او اضطراب وتشاؤم ، يتجلىان على اتم شكل بالتهرب بجميع الوسائل مما يرهق ويقلق ، وبالرغبة في التمتع بملذات الحياة المادية ، والتحرر من الاعراف والمحرمات . وفي هذه الاثناء أطل علينا محاطين بشهرة واسعة ج. كوكتو وهنري دي مونترلان وألدوس هكسلي ، واجداد اندريه جيد المشبوهة الذي رأى ان العمل لا قيمة له الا في مجانيته ، اي خالياً من كل معنى إنساني (راجع كتابه : « اقبية الفاتيكان ») . وراحت الشبيبة البورجوازية تلتهم كتابه الآخر : « قوت الأرض » المنشور عام ١٨٩٧ الذي لم يُبع منه خمسمائة نسخة في خمس وعشرين سنة لما فيه من دعوة الى نبذ ورذل كل القواعد باستثناء الركض وراء اللذة . وفي هذه الحقبة بالذات ظهر التحليل النفسي الذي جاء ظهوره قهراً أو تزكية لحركة التحرر من كل قاعدة أدبية فحظي باوسع رواج في العالم كله . في هذه الحقبة بالذات نشرت مؤلفات مارسيل بروست فعادت على صاحبها بالمجد الأثيل (بحثاً عن الزمان الضائع ١٩١٣ - ١٩٢٨) وكتاب جويس « اوليس » الذي ظهر عام ١٩٢٢ ، اللذان يدخلاننا بما فيها من استبطان دقيق ، الى مرحلة جديدة من معرفة الانسان لنفسه معرفة جديدة . الا ان الرأي العام رأى فيها دعوة سافرة للقضاء على المتوارث من الأفكار والمبادئ الاخلاقية . ولهذا الاسباب ، كان اندريه جيد القائد الروحي لهذا الجيل كما رأينا كيف ان الفرداني الاوج الذي على شاكلة هكسلي وبيراندلو يمثل التنافر العميق الذي يتخبط فيه الانسان في وسط عالم هو الآخر مصاب بالتفكك والتنافر ، انما يدل على ان معظم الناس ينصرفون بصورة اوتوماتيكية خالية من الصدق ، وبان هنالك دوماً تعارض فاضح بين نوايا الانسان وبين مواقفه وحقيقته تصرفه .

هنالك كذلك كل هؤلاء الذين يحدو بهم القلق الى الحرب : « الحرب هو الكابوس او الفكرة المستبعدة هؤلاء الذين تلهج قلوبهم بالتحرر وتشرب نفوسهم الى الحرية » . فالانسان يهرب من ذاته بعد ان هرب من الله ... يهرب ليقع في الغرور وفي هذه الخزعبلات التي تخفي ، ولو لفترة قصيرة ، ما هي عليه النفس من جوع وفقر (بابيني) . فريقت تقوده خطاه وهو هارب الى

الكلاسيكية الحديثة حيث لا وزن إلا للجمال الصوري . فالشعر المجنح هو الشعر الكاذب الذي يخلو من كل معنى ومن كل محتوى انساني حيث تحف بكلمة متناغم هالة من اللاعقلاني ومن العاطفي ، وهما المجالان اللذان يسرع فيهما الشعر المهفف ويمرح . وقصة « *La Jeune Parque* » كأختها : « الأرض المفقودة » ، لأليوت ، هما متزامتان تماماً وتعبيران بما فيها من يأس ومن عجز ، عن ايمان انسان العصر ، بمعجزه وقصوره ، وعن رفضه للمجتمع الذي يحيق به . فهي كالموسيقى الصافية صدى للعبارة الغائلة : « نحن الحضارات على يقين الآن باننا صائرات الى العدم » ، هذه العبارة التي جاءت على لسان بول فاليري . فهذا الانسان الذي لم يعد ليهتم بشيء او يلتذ بشيء ، يتخذ من الجمالية ملجأ له ومعتكفاً لان الحضارة الغربية الغائمة على نظرية تفوق الابيض وتفوق العرق الابيض الذي يستبيح لنفسه ترف الفردانية هي الآن في سبيل الزوال . وهناك من يتلفت باتجاه الكشف عن عالم نسيجه من الخيالات والمرئيات (كوكتو وجيروود) ، باحثين عن تغير المناظر في الرحلة لاجل الرحلة او بحثاً عن عوالم مجهولة (فالامير كيون يهربون من اميركا ويقصدون اوروبا ، والكاتب الشيلي بابلو نيرودا ومالرو يتوجهان نحو الشرق الاقصى) او يهربون باتجاه الخطر والعمل على شاكلة سانت اكزوبيري او نحو مغامرات الروح : الفكر الثابتة والسرالية .

خلافاً لما هو مسلم به عادة كشفت هذه المؤثرات تلك التي تركتها وراءها شخصيات بارزة على غرار رومان رولان . « ان ضمير ... النفس الغربية التي لا تزال ترجو وتؤمن بالرغم من الاجتياح الذي تعرضت له » وشال نفوذ السياسي على نفوذ الادبي ، ووجه مارتن دي غار الذي رسم لنا في روايته : آل تيبو (١٩٢٢ - ١٩٣٩) المظاهر التقليدية لمجتمع يحتضر ، وكلاهما من الروائع الاثيرة التي خلفها لنا الادب الفرنسي في هذه الحقبة ، وبرناتوس وفرنسوا مورياك اللذان حررا القصة الكاثوليكية من الادب التقوي برسمها اناساً مسترسلين في الاثم واحياناً تأثرين في وجه ديانة متمسكة تمسكاً اعمى بالشكليات . هذا الجو المشبع بالمجانبة وبالهراب نجد في الرواية الانكلوسكسونية ، مع الكتاب الاميركيين من « الجيل الضائع » (سنكلير لويس الذي اعطانا بابيت) وسكوت فترزجيرالد ومنغواي ودرايزر وجون دوس باسوس يملون جانباً وينبذون عالماً منصرفاً بكليته نحو الاستمتاع بالمسلذات المادية ، وينصرفون الى نقد الحياة الاميركية نقد العائد من اوهامه بعد ان زالت الفشاوة عن عينه ، او الذين يؤلهون العاطفة البهيمية أو يفرقون مع هنري ميلر في عبادة حقيقية للجنس . أما الكتاب البريطانيون ، وبينهم عدد بارز من مشاهير وشهيرات الروائيين امثال فرجينيا وولف وكليمانس داني ومارغريت كندي وروزاموند ليمان ، فهم يصفون لنا مجتمعاً رقيقاً وحيوات مترعة ، عابثة ، بواقعية لا تتحرج من مواجهة الحقائق المرة كما لا تتحرج قط من التعرض للمشكلات المحرمة المائدة للملحمة فكتوريا ، واحياناً بأحرج عبارة مع د. ه. لورانس او يسلفون بالسنة حداد عالماً يتخبط في الفوضى كما فعل الدوس مكسلي .

اما المسرح الذي كان يؤلف عام ١٩١٤ آخر معقل للمذهب الواقعي وللدوق في المسرح في سنة ١٩٠٠ ، فقد جرى بعثه من جديد مع المؤلفين المسرحيين الجدد ومع المخرجين الذين تمكنوا من احداث ثورة في دنيا التمثيل . فهؤلاء المؤلفون المسرحيون امثال كركنتو وجيروودو وكلوديل الذين تعبر شاعريتهم « دونما حسيب او رقيب » عن « مآسي الحياة البشرية » ، وبيرانديلو الذي تقتصب امامنا من خلال مسرحه المتشائم ، هذه الخصومة القائمة باستمرار بين نيات الانسان ومشاعره وبين واقع سلوكه وتصرفاته . كل هؤلاء المؤلفين يسرون على الدروب التي عبدها جاك ككوبو في مسرح فيو-كولومبيه عندما خفض الديكور الى أدنى حد ممكن ، واولى حركات الممثل بعد ان جردها من كل ما يشوه روح المؤلف ويسخها ، ما يلزم من قناعة وبساطة ، كما فعل دولان في مسرح الأتلييه وجوفيه في الأثينييه وبيتوف في مسرح الماثورين ، وباستقلال اوسع ، باقي في مسرح مونبارناس .

هذا مذهب جديد في الفن جاء بعد لقاء تمّ ، سنة ١٩١٥ ، في نيويورك ، حول الدادية بين الرسام الفرنسي مارسيل دوشان والاسباني فرنسيس بيكابيا وعمدوه بهذا الاسم في مدينة مونيخ ، تريستان تزارا في ندوة خاصة بالمبعدين السياسيين من مختلف البلدان ، ثم تمركز ، منذ عام ١٩١٩ في باريس ومنها انطلق : البيان دادا ، هذا البيان الذي التف حوله واجتمع تحت شعاره فريق من الفنانين والشعراء الاحداث الذين يرون في الحرب القضاء على كل القيم المقدسة ، وعفاء كل المواقع المكتسبة وفشل « النخبة » الذين اتحدوا ليقوموا بالمذابح والقضاء على العلم الذي يشهد عدة القتل والابادة ، وعلى الفلاسفة الذين يسعون دوماً لتبرير هذه الاضاحي وتذككية الاسباب الدافعة اليها ، وعلى الفن الذي يحتفظ بروائعه الفنية لمصلحة المريدين . والثورة التي تختلف عن الثورة التي قامت قبل ١٩١٤ ليست جمالية فحسب ، فهي تجيش بهوم اجتماعية عندما تقع العين على النزيف المفجع الذي استنزف دم الغالب والمغلوب على السواء ، وعندما تلبين خواء اهداف الحرب (وهي اهداف لا تتمدى تعديل الحدود واقتسام المستعمرات بعد ان تكون الانسانية دفعت مثل هذا الثمن الباهظ) . فهم يرون في هذا كله انهيار النظم القائمة ولا سيما انهيار كل الحضارة . وقد عبر بول فاليري خير تعبير عن هذا كله عندما كتب قائلاً :

« بعض آلاف من الكتاب والفنانين الشباب لقوا حتفهم في هذا الصراع الدموي . فنحن امام مرأى انهيار حضارة اردوا وبيدنا الدليل القاطع على عجز المعرفة البشرية عن انقاذ اي شيء ما ، وعلى اصابة العلم اصابة ممتدة بعد ان رأى حماه وحرمه ينتهك من جراء التطبيق الوحشي والجهنمي لاختراعاته ، وعلى هذه المثالية التي قلما خرجت منتصرة والمنقنة دوماً بالجراح ، خيبة واقعية بعد ان غلبت على امرها واثقل كاهلها بالجرائم والذنوب ، وهزى على السواء بالجشع والتجرد ، واختلطت العقائد وغام مفهومها مع الزم ، اذ كنا نرى الصليب ينتصب في وجه الصليب ، والهلل يقارع الهلال ، وهؤلاء المتشككين انفسهم ، بعد ان صارحتهم الاحداث المفاجئة وصرعتهم الذين يتلاعبون بتفكيرنا وافكارنا نلاعب المر للفارة . فقد اضاع هؤلاء المشككون شكوكهم لتعاودهم من جديد ثم يعودون ليفقدوها من جديد (ازمة الفكر ، ١٩١٩) .

وطلع عام ١٩٢٠ فيليب فيهم العدمية ويطلع علينا نحو الدادية خلال هذه التمثيليات وهذه المعارض ، وهذه المظاهرات المخجلة التي تقتل في الصميم كل القيم ولا سيما الجمالية منها .

« ما من رسامين ولا من ادباء ، ولا من موسيقيين ولا من حفارين ، ولا من دباكات ، ولا من جمهوريين او ملكيين ، ولا من امبرياليين ولا من قوضويين ، ولا من اشتراكيين ولا من بلاشفة ولا من سياسيين ، ولا من يروليتاريين ولا من ديموقراطيين ، ولا من بورجوازيين ولا من ارستوقراطيين ، ولا من جيوش ولا من امن عام ، ولا من اوطان ... : كفاية من هذه السخافات والحقاقت . لم يعد شيء . لم يعد شيء ، شيء ، شيء ، ولا شيء ... »

اما في المانيا ، فالحركة تلتقى ترحيباً مزدوجاً للهزيمة التي انتهت اليها وللأزمة الاجتماعية التي نشبت اظافرها فيها ، فلم تلبث ان ارتدت طابعاً سياسياً . فهي بعكس ما كانت عليه في فرنسا ، فنية اصكث منها ادبية وأقل مركزية . فئة في برلين مع الرسام الهزلي للبورجوازية والروح العسكرية الالمانية هو جورج غروتز ، وفئة كولوني اكثر جذرية على الصعيد الاجتماعي مع بارغيلد وماكس ارنست وهانز آرب ، وفئة في هانوفر مع الرسام الشاعر كورت شويتزر .

من هذا الاضطراب الفوضوي أطل علينا مذهب السوربالية ، أخصب التيارات السوربالية الفنية التي طلمت علينا في منتصف هذا القرن . هو « العزوف عن كل مناحي الفكر والحس التي اعتمدتها الانسانية الكلاسيكية » في سبيل الرجوع الى الصدق ، وفي سبيل « تفادي اثر العقل المشوه » ، وراح يستثمر اللاشعور . وفي سنة ١٩٢٤ نشر بريتون « البيان السوربالي » وفتح له « مكتباً للأبحاث السوربالية » . وفي سبيل تغيير المناظر واستبدالها بأخرى ، راح يقترح استخدام الوسائل الاوتوماتيكية للخط وترك الحبل على الغارب للفكر لكي يحلو نفسه ويبرز ذاته ، كما يقترح اللجوء الى التنويم المغناطيسي لوصف الاحلام التي لا تقع تحت مراقبة العقل وتدنيننا من الواقع احسن بكثير مما يفعله العقل . ولم يمض كبير وقت حتى انقسمت الحركة على نفسها الى شطرين : تألف الاول من هؤلاء الذين يبعثون عن الثورة « بين الافكار » كما تشكل الثاني من هؤلاء الذين يتقربون ، ولو لأمد قصير ، من الشيوعيين بعد الذي شهدوه من تصلب البورجوازية ، عام ١٩٢٥ .

يتمثل هذا المذهب ، في الشعر ، بشخص أيلوار الذي يُعبد مع اراغون وروبرت دنوس خير من يمثل هذه الحركة ، كما انه اكبر شاعر بالفرنسية عرفته هذه الحقبة لما أوتي من خصب في الصور ، ولما جاء به من المقارنات المفاجئة التي تعد بحق قوام الصدمة الشعرية ، ومن لباقة فنية ليست وليدة اي عنصر شعري او قريض مصطنع (كالقافية والبحر) ومن سهولة المحتوى مما لا يقع في نطاق العقلاني . والحركة التي أثرت عميقاً في الشاعر الاسباني الكبير فدريكو غارسيا لوركا ، ذاعت كثيراً وشاعت خارج فرنسا ، منذ عام ١٩٣٠ ، بعد ان اشتد منها الساعد بانضمام عناصر جديدة اليها كالشاعر رنيه شار والمخرج السينمائي بونويل ، والرسام سلفادور دالي الذين اوغلوا في هذا المذهب درساً واستبحاراً ، وألحقوا بعض التغييرات

في معناه . والسوريالية التي اعتمدت حتى الآن التحليل النفساني اخذت تروى في اللاشعور مصدراً لكل شاعرية وينبوعاً لكل إلهام شعري . وبعد ان عوّل دالي على تحليل مرض عقلي معروف هو مرض « جنون الاضطهاد » رغب ان ينصرف الفن الى استثمار ليس مجال اللاشعور فحسب ، بل ايضاً مجال الهاجسية او الاستحواذية وبعض اشكال الهذيان . وهكذا اطلت السوريالية على مشارف العنصرية التي تنبو عن كل رقيب لتفضي تدريجياً الى الفرضية .

يختلف الجوهر هنا عنه لدى المنتصرين: فهو مليء بالثورة والفوضى والارتباكات والتضخم المسالي . ففي مجتمع ممزق ومضطرب ، فالجو الذي اتخذته التعبيرية في البلاد المنتصرة من الدادية والسوريالية لا يمكن ان يدوم طويلاً بهذا الشكل النقدي الذي يميزه . عليه ان يكون ايجابياً وبناءً . ومن جهة اخرى ، فالوقت سواء لدى العامة او لدى الفنانين ليس الذي يتلهم فيه الناس ولا يصلح فيه الفن للفن . ففي البلدان الجرمانية وحدها دون سواها ، تبقى هذه الروح الطليعة التي كان من طباعها المميّزة قبل الحرب ، انصرافها الى البحث . فال موجة التعبيرية حلت محلها حركة من المحاسبة الذاتية الايجابية باتجاه المستقبل . فنحن امام واقعية جديدة . وطلعت في طول البلاد وعرضها مذاهب وعت تماماً متطلبات المدنية التي ستشاد في المستقبل ، والاهتمام البالغ بالشكل او القوام ، اذ من المطلوب « بناء عالم جديد من حطام الماضي » . فالنفوذ الذي تمتع به هنريخ مان الممثل الاكبر لعقلانية القرن التاسع عشر ، قد اخذ بالانحطاط والهبوط بينما بقي نفوذ اخيه توماس أشد واظهر ، لما كان عليه من تشاؤمية عميقة الجذور . والجديد الذي ظهر على أتم صورته في البلاد ، هو التمرد ضد تأليه الدولة ، وجاذبية الفوضى والشعور بالتعاسة البشرية ، بعد ان غمرتها قوى غاشمة لا تعرف الرحمة ، صكالية القدرة ، روح تجلت على خير وجه في مؤلفه « الفرد دويلن » الذي يمور بالعنف والمرارة . اما اثر فرانتز كافكا الذي لم يظهر مطبوعاً كاملاً الا بعد وفاته ، عام ١٩٢٤ ، ففيه الوصف الرمزي لعالم تتحكم به قوى خفية هائلة تطحن الانسان طحناً . من بين ابرز الآثار الفكرية الاقل شأناً التي ظهرت تحت علامة (الوضع الجديد) يحمل ان نذكر هنا الاثر الديني الذي خلفه برتول بريخت ولا سيما مسرحيته : « اوبرا بأربع نحاسات » (١٩٢٨) .

لا يمكن لفن الرسم ان يأتي تعبيراً وصافاً للانسان في مثل هذه الحقبة ، العنيفة الرسم المعقدة حيث تتبدل ظروف الحياة وصروفها بسرعة متزايدة الا في انقلاّب شامل تطل معه صيغ وصور جديدة لتعبر عن العلاقات الجديدة التي تربط بين الفرد ونفسه وبينه وبين العالم . وبيكاسو الذي يلقي ظلاله على هذا الجيل بما أوتي من نبوغ خلاق ، يبرز خير ممثل له بما فيه من قدرة على التجديد . فقد عدل بعد الحرب من مذهب التكعيبية ، واولى الالوان والاصباغ اهمية خاصة بمسند ان عوّل كل التعويل على الازرق والاحمر والاخضر (الطالبة -

ارلكان - القيثارة - والعنب) . ولم يلبث ان وقع تحت تأثير السورالية مع انه بقي خارج ندوتها . . . واخذ منذ عام ١٩٢٢ ، يرسم لنا شخصاً رمزياً شوهاء ، واشكالاً من المسوخ اتت بعالم يصدم العقل ويثير الضحك . وهو تعبیر عن عالم تتقاذفه الامواج وتلاعب به الريح . وفي سنة ١٩٣٧ ، اعطانا في ما تحفنا من روائعه الفنية ، ما بلغ معه ذروة التعبيرية التصويرية في هذه الحقبة (غرنیکا) .

اما ماتيس ، فقد اخذ ، بعد عام ١٩١٩ يخفف من فنه ، فاصبح اكثر جاذبية برسومه « اوداليسك » وكذلك خوان غري ، ودي ديران ودي دوفي ودي براك الذي قطع كل صلة له مع التكعيبية ، واضفى سحراً اكبر على رسوم الاشياء الطبيعية الميتة وعلى صورته للمري ، وعلى مناظره . اما فرنان ليبييه الذي طلع علينا خلال الحرب بمشاهد الحضارة الصناعية وبحقيقة اجتماعية تنبض بالحياة ، فيكرس فنه الاحتفاء بهذه الانسانية الجديدة ، مع ايلائه اهتماماً خاصاً للقوام الهندسي الذي يراعي ، بنجاح تام النسبة بين الصورة الجدارية والجدار ، ويستعمل ادوات الرسم ذاتها موضوعات تصويرية ويبدسط ما للالوان من قوة تعبيرية . ان حسه للمدى التصويري وتحسسه ما يتعمله الموضوع في هذا المدى ، ترك أثره العميق على فن الاعلان ، فارتفع به من الواقعية .

اما السورالية ، فقد التفتت حولها هذه الفئات وبرزت في مجال الرسم خير دليل على ما لها من قيمة عالية في الحركة الفنية . وهذا لا يعني انها تتمتع بجمالية وبتقنية خاصتين بها ، بل هي العكس من ذلك ، هو تجاهل لكل ما خيّل للانسان ، حتى الآن ، انه خير ما يحمله في ذاته بحيث تنبجس جاذبية شاعرية تصويرية هامة ترمي لايحساد تغيير كامل في المناظر والارتفاع بالمشاهد او بالمناظر الى العالم من وراء الواقع اليومي . واول معرض للسورالية ظهر عام ١٩٢٥ جمع آثار ماكس ارنست وهانز آرب وميرو وبيكاسيا وغيرهم من الفنانين الذين وقعوا تحت تأثير السورالية ، امثال كلي وشيريكو .

وفي اعقاب عام ١٩٣٠ ، ظهرت تحت تأثير الفنانين الالمان والروس واليهود الذين فروا من اوربا الوسطى ، معالم الفن التجريدي في فرنسا وفي الولايات المتحدة الاميركية . وتأسس في باريس « ندوة الفن التجريدي » ، عام ١٩٣٢ . وسيراً منهم مع التيار العلمي المعاصر القوي الذي يقول بان ليس من طبيعة بشرية تلقاها الانسان دفعة واحدة وبان تحت الظواهر البارزة للعيان تكن حقيقة متحركة ، أخذ الرسامون التجريديون يحاولون خلق آثار فنية لا نرى فيها شيئاً يمت الى « الطبيعة » ، الى الحياة اليومية بل يكون باستطاعتها ان توحي للانسان مواقف ومشاعر فيها من الشمول ما كان في مقدور « الطبيعة » ايجاءه حتى الآن . وهذا التيار هو التيار الفني الوحيد الذي تجسم او تحيز حول آرب وكالدير وديلوناي وموهولي - تايجي وفديريان وشويتزر وفي انكلترا حول بن نيكلسون .

الموسيقى
عرفت الموسيقى في هذه البلدان التي خرجت منتصرة من الحرب ما عرفه
الادب والرسم من تنوع في الذرائع والميول . فالمدرسة الواغرية صُنعت امرها

وجستد سترافنسكي ردة قوية للنيو كلاسيكية وتغلب الشكلية بينما يمضي كل من رافيل
وروسل في « الثورة التي اطلقها ديبوسي » . والفئة المعروفة « بفئة السنة » التي كانت اريك
ساتي قطبها ونقطة الدائرة فيها ، راحت تقف في وجه « تعبيرية ديبوسي » . ونشأ
عام ١٩٣٦ ، حول اوليفيه ميسان فئة « فرنسا الحرة » كما راح خارج فرنسا كل من
مانوبل دي فالو والبرازيلي فيلا لوبوس وبديلا بارنوك يستلمون التقاليد الفولكلورية في بلادهم .
الا ان الجديد البارز الذي عم اوروبا باجمعها ، فهو موسيقى الجاز الذي استهوى عدداً كبيراً
من الناس دون ان يترك مع ذلك اثرأ كبيراً في الموسيقى الغربية التي اختلف عنها اختلافاً
كبيراً حال دون ثقله واستمرائه . طلع هذا اللون الموسيقي الجديد من اغوار فولكلور
الملونين ، في اوساط اورليان الجديدة ، ثم اخذ ينتشر في جميع انحاء الاتحاد الاميركي ويثبت
قوته دون ان يفقد شيئاً من طابعه الشعبي باعتباره موسيقى جيتاشة تحرك في النفس الحنين الى
الوطن . فكثير انصاره ومريدوه في اوروبا مع كنغ اوليفر ولا سيما مع لويس ارمسترونغ .
بحماسة الحارة (جدد فيه النموذج النيو اورلياني بعد ان لقعه بالمولوديا تنشد بصوت مع
البوق) وجرشوين مع اغنيته (القصيدة الخضراء) . عرف الجاز في اعقاب ١٩٣٠ تطورا
عميقاً اذراح يتكيف اكثر فاكثراً ، مع حياة البيئة والمجتمع وتسارع الوزن . وزاد من بحشه
عن تجربته حول الانسجام الفني بحيث اخذت موسيقى الجاز تتطور بسرعة تذكرنا اكثر
بالسرعة التي ميزت التطور التقني منها تطور القوالب او الصيغ الموسيقية . وهكذا فالطراز
(Swing) الذي قام على خدمته عدد من الموسيقيين الاقوياء ، وعدد كبير من الاوركسترات
المتجانسة التي رأت النور ، بلغ بعضها مقاييس الاوركسترات السمفونية مع ديوك ألنغتن الذي
توصل الى مساوقة ومزاوجة اوركسترية تفيض فناً وغنى .

وتابعت النمسا ، في المجال الموسيقي ، ثورتها التي كان سبق لشونبرغ فأطلقها قبل الحرب
بقليل ، وراح تلاميذه : البان برغ (الذي انجز « Wozek » عام ١٩٢١) وانطون وويبرن .
والى شونبرغ يعود الفضل في استنباط المسلسلة الصوتية الاثني عشرية احدي ابرز منجزات
العصر والتي لم يباشر باستثمار ما تخفيه من طاقات كامنة الا جيل عام ١٩٤٥ . ان استنباط
المسلسلة في الموسيقى هو من بعض نتائج رفض « طبيعة » مجهزة بقوانين محددة ومفروضة من
الخارج ، هذا الرفض الذي وصل في دنيا الرسم الى التجريد الهندسي ، بعد ان اسقط تدريجياً
الموضوع او المضمون . هي هذه الحركة بالذات التي حملت الانسان على ان يبدع في الموسيقى كما
ابدع في الرسم ، قواعده الخاصة وعالمه الخاص به .

أطلقت علينا ، قبل عام ١٩١٩ ، مستجدات تقنية مهدت السبيل
الهندسة الجديدة امام الثورة التي انفجرت في هذا المجال . فالمشكلات الجديدة التي
كان على المدن الكبرى مواجهتها ، والتي اختلفت بطبيعتها عن المشكلات السابقة : كارتفاع
اسعار الارض ، وضيق المساحات القابلة للاستثمار ، والامور الاخرى المتعلقة بالنقل العام
والمواصلات ، والتجديد في نموذجية المباني والعمارات ، المصانع والمدارس والمستشفيات ،
والمطالب العصرية الاخرى التي يجب توفرها وتحقيقها (كالتدفئة المركزية وتكييف الهواء ،
والتبريد والاضاءة الكهربائية ، والمصاعد) ، كل هذه القضايا اقتضت لها حلاً عاجزاً عن
تأمينها في الماضي ، الذرائع التي عول عليها الانسان من قبل . ومن جهة اخرى ، فقد طرأ
على شروط البناء ومستلزماته ، تطورات عديدة تناولت مواد البناء (مزج المعادن الخفيفة
كاللومينيوم واللدائن والمواد التشكيلية ، والخشب المضغوط) ، والاساليب الجديدة ، كانتاج
المصانع لبعض المواد المعمارية الجاهزة بعد ان كانت تُصنع من قبل في الورشة (كالابواب
والنوافذ وحجارة البناء ، والطوب ، وكتل الاسمنت والاعمدة) ، وكلها مهياة للاستعمال حالا ،
بحيث ان البناء استحال الى عملية تجميع هذه المواد الجاهزة وتركيبها في اماكنها المعدة لها .
وفي مجال الانجازات المتواضعة ، فقد توصلوا الى صنع منازل جاهزة لا يستغرق تركيبها في
اماكنها سوى بضع ساعات . والتحويل اكثر فاكثراً على الاسمنت المسلح والفلواز ، مكن
من تحويل كل ثقل البناء على الهيكل المصنوع من سلسلة من العواميد والجسورة المتشابكة
وكلها من الاسمنت المسلح . وبذلك يفقد الجدار اهميته باعتباره عمود ، وقد يستقل تماماً عن
المكان الذي تقوم فيه الاعمدة . وقد يكتفى منه بعاجز زجاجي او تقوم فيه فتحات واسعة
جداً . وقد عرف المهندسون ان يتخذوا لهم يداً من كل هذه المواد والادوات الجديدة ليعودوا
القهرى الى هذه البساطة والى البناء المعقول وبطابقة البناء الى اقصى حد مع الاهداف
الموضوعة له . وهذا بالذات ما يعرف « بالفن الوظيفي » الذي عبرت عنه خير تعبير نكتة
لكوربوزيه عندما وصف المنزل « آلة للسكن » .

فكل الحركة الهندسية منذ عام ١٩٢٠ فصاعداً ، وقعت تحت تأثير ميس فان در روه ،
ولتر غروبيوس ولوكوربوزيه ، وغروبيوس تولى منذ عام ١٩١٩ ، على ادارة مؤسسة
بوهوس دي ويمار التي انتقلت عام ١٩٢٥ الى ديسو ، فكانت هذه المؤسسة في وقت واحد
مدرسة للصنائع والفنون واكاديمية للفنون الجميلة . فيها يدرك الطالب الوحدة التي تسيطر على
العنصر العقلاني الذي يلائم بانسجام واتساق ، بين الهندسة والرسم والحفر ويتجاهل تماماً
التمييز القديم بين ما يدعى العناصر البنائية والعناصر التزيينية ، والانسجام التام مع مقتضيات
الحضارة الصناعية التي عرفت كيف تُدخل الفن على احقر المواد وأخسها واكثرها اتصالاً
بالحياة اليومية . والبوهوس الذي تشده الى التكعيبيين والى ممثلي الفن التجريدي ممثلاً بالحركة
المعروفة بـ Merz وبالدادية ، والفن التجريدي الذي تمثله مجلة « Stryl » وبقيادة المهندس

دوسبرغ والرسام وبييت موندريان يحدث تأثيراً كبيراً . فالدروس فيه يُعطيهما فريق من كبار الفنانين المشهود لهم بالتفوق في اختصاصهم والذين يخضعون لنظامية بناء بينهم : بول كلي وكندنسكي وفيننجر ، والمجري موهولي ناجي . وهذه السيطرة تتمتع بها الهندسة الألمانية قضت عليها الحركة النازية إذ امرت باغلاق البوهاوس بعد ان شجبت هذا الفن المنحط ، الذي طلع به اليهود والشيوعيون ، بما يتصف به من عقلانية مفرطة ودولية جامحة ، وبضلوعه بذكريات جمهورية ويمار ، مما يجعل المرء يشك بولائه للدولة الألمانية واللفوهرر . والمهندس الاميركي فرانك لويد رايت الذي يتمتع اليوم بشهرة عالمية ، يحاول جاهداً تأمين الانسجام والمساوقة الى اقصى حد ، بين المباني التي يشرف على تشييدها ، وبين المسكن او المحيط الذي يقوم فيه البناء ، وبين طبيعة المواد المستخدمة في البناء .

اما المهندس لو كوربوزييه فالنفوذ الذي يتمتع به يعود ، قبل كل شيء الى مؤلفاته النظرية والى هذه العمارات الناعمة الخفيفة التي تستمد اشكالها الهندسية من التكميلية ، والتي يبدو عليها الانفصال او الانقطاع عن الارض ، وهو نفوذ وتأثير يشتد في الخارج حيث له العديد من التلاميذ والمؤيدين اكثر منه في فرنسا بالذات حيث بقي في شبه عزلة .

السينما ومقتضياتها الاقتصادية لم تصبح السينما فناً قائماً بذاته له اختصاصه ومخصصه الا بعد والتقنية الحرب العالمية الاولى ، فخضع منذ هذا التاريخ لقوانين وقواعد وضوابط في الاخراج ، كما خضع لمقتضيات تجارية تُرزحه كلما تطور هذا الفن وتعقد وتشعب . والسينما مشدودة اكثر من اي فن آخر ، الى القوة الاقتصادية التي تعمل في انتاج الفيلم واخراجه وتوجد النظارة الذين ان اقبلوا عليه جاءت عملية الاخراج عملية ناجحة أمنت مردوداً طيباً . ولهذا السبب لم تلبث العملية ان وقعت بسرعة فريسة الاحتكار من قبل اتحادات احتكارية جبارة بما لها من طاقات مالية ، منها في الولايات المتحدة الاميركية : الشركة السينمائية . التي تشدها الى شركة إيستمان كوداك روابط متينة ، التي لا تسلم بواكير افلامها الا لاعضاء الاتحاد ، وهي تشرف على سلسلة من الصالات السينمائية متصلة الحلقات . وفي المانيا يقوم الاتحاد المعروف بـ U. F. A. وشركة بافاريا وكلاهما شركتان ضخمتان هما موضوع اهتمام مصالح مالية واقتصادية قوية ، امثال : ستينز ، وفاربن والـ A. E. G. ، وفي فرنسا : باتيه غومون .

وفي سنة ١٩٢٧ ظهرت السينما الناطقة ، أو الصائتة التي تستنزف صناعته رؤوس اموال ضخمة ، فأدت التعديلات التقنية على الاخراج الى تغيير جذري في الاجهزة والعتاد المستعمل له . وبعد ان حاولت الشركات الكبرى الاغضاء عن هذا الاختراع الجديد ، رأت نفسها مرغمة لرعايته وتشجيعه ، اذ راحت شركة بل للتلفون وربيبتهما شركة وسترن الكتريك ، تؤسسان شركة الكتريكال بروداكت التي تمتعت وحدها بحق توزيع شهادة فيتافون . وبواسطة الشركات الكبرى للتجهيزات الكهربائية ثم المصرف الاميركي المعروف بمصرف روكفلر-مورغان الاشراف النهائي الكامل على صناعة السينما في اميركا . ومنذ عام ١٩٢٣ اخذت تتوزع

به انكلترا بين ١٩٣٥ - ١٩٣٧، هل جاء نتيجة تخفيض قيمة الجنيه الانكليزي او العودة بالبلاد الى نظام الحماية الجمركية ؟ وما عسى ان يكون على العموم ، من التأثير الذي أحدثه هذا العامل المضاد لطبيعة الاقتصاد الذي يتمثل في التسليح ؟

ولكن هذا التحسن الطارئ لم تتوفر له عناصر البقاء والاستمرار اذ
النكسة والتسلح قد ظهر في اواسط عام ١٩٣٧ ، لا سيما في نطاق الصناعات التي تعمل على توفير الحاجيات الانتاجية ، عوارض انكفاء وتقهقر الى الوراء ، يمكن مقارنتها بالمعارض التي بدت عام ١٩٢٩ - ١٩٣٠ . ففي اوروبا ، حيث تمثل نفقات التسليح جانباً هاماً من موازنات دولها ، فالنكسة فيها هي اقل عمقاً منها في البلدان التي لم تندفع نحو سياسة التسليح هذه ، كالولايات المتحدة الاميركية والدول الصغرى في اوروبا ، وكندا حيث لا تمثل اقتصاديات الحرب سوى جانب ضئيل من اقتصاديات البلاد . فالنشاط الاقتصادي في الولايات المتحدة هبط ٣٧ ٪ بالنسبة لما كان عليه عام ١٩٢٩ ، وتجاوز عدد العاطلين عن العمل فيها ، عام ١٩٣٨ ، عشرة ملايين عامل ، والعودة الى اتفاق مبالغ ضخمة على الانشاءات العامة فشل في احداث اي تحسن في الوضع الاقتصادي ، اذ ان عدد العمال الماطلين عن العمل ، عام ١٩٣٩ ، يزيد على تسعة ملايين عامل . فالحرب وحدها هي التي « صفت » الازمة ، اذ اقتضت استيعاب اليد العاملة بأسرها . فمنذ عام ١٩٣٧ ، أصبح التسليح الذي لم يكن الى ذلك الحين سوى حافز بسيط من الحوافز الاقتصادية بدا وكأنه السوق الكبرى لاستيعاب الانتاج الصناعي بحيث أصبح « العماد الوحيد » لمعظم البلدان الصناعية الكبرى . والامر واضح جلي في نشاط معظم البلدان الاوروبية التي لم تفسر بعد في التسليح ، كبريطانيا العظمى مثلاً ، حيث النشاطات الاكثر ازدهاراً هي التي تتمثل في صناعة بناء السفن ، وصناعة المحركات والطيران بينما احتدمت البطالة في صناعة النسيج واستخراج الفحم . والدور الرئيسي الذي تلعبه حاجات الجيش ومقتضيات التسليح ، أكفلم يبرز واضحاً في تصريح لوزير الدفاع البريطاني الذي صرح عام ١٩٣٧ بان انكلترا لن تعرف ازمة جديدة قبل خمس سنوات . وسعر الخامات مرتبط بحاجات الدفاع . وفي سنة ١٩٣٨ ، انخفضت اسعار الحبوب واسعار لحم الغنم والمنسوجات والكأكار ، بينما ارتفعت اسعار المعادن على اختلافها .

فالتسلح هو وحده وراء ازدهار انتاج المواد الاولية . الا ان هذا الانتاج كانتاج المواد الزراعية يصعب ضبطه والتخطيط له ، بحيث ان المخزون الدولي اخذ منذ عام ١٩٣٨ ، يتضخم بصورة لا تخلو قط من الخطر . ففي هذا التاريخ بالذات كان مخزون المطاط يزيد ٥٢ ٪ على مخزون عام ١٩٢٩ ، كما ان مخزون الصوف زاد ٦٥ ٪ والحرير الخام زاد ٢٣ ٪ والنحاس الخام زاد مخزونه ٤٥ ٪ ، وزاد ٢٢٧ ٪ مخزون النحاس المكرر . فمخزون القصدير وحده كان دون مستوى عام ١٩٢٩ ، ومخزون القطن هو اعلى بكثير من مخزون أسوأ سنة من سنوات الازمة المالية ، بينما مخزون القمح بلغ ٣٢ مليون طن ، مقابل ٢٩ في عام ١٩٢٩ . فهو خفض

تعد نحواً من ٣٠ صالة سينمائية .

ففي الوقت الذي قوت فيه الضائقة المالية من قبضة المصارف على صناعة السينما وفنّها ، بعثت فيها ، من جهة أخرى ، تجديدأ كثيراً ما كان مثيراً في المخرجين والممثلين . ان عدداً كبيراً من الافلام التي صدرت في هذه الحقبة تبرز ، شأنها في ذلك شأن الرواية ، الازمة وردة الفعل التي احدثتها ، والاتجاهات الاجتماعية والسياسية والمطالب التي تتسم بالاحاف احياناً منها مثلاً : ليس من جديد في الجبهة الغربية — اضواء المدينة — الازمنة الحديثة — الدكتور — عنب الغضب ... والموضوع الاجتماعي يوحى كذلك الى بابست الافلام التي قام باخراجها مثل : اوبرا بأربع نحاسات — فاجعة المنجم ، والى لانغ ، الافلام التي اخرجها ، منها مثلاً : وصية الدكتور مابوز الذي منعه النازية ، وافلام ديداو . وعندما تسلم هتلر السلطة العليا في البلاد اتجهت السينما في عهده ، جهة الدعاوة . فقد جرى تطهير الستوديوهات من اليهود والماركسيين والاحرار . وباستثناء الفيلم : انتصار الارادة ، والفيلم الاخباري الآخر : آلهة الستاديوم ، من اخراج لينى ريفنشتول ، أصيبت في الصميم ، كغيرها من الفنون الاخرى والنشاط الفكري الألماني .

وفي فرنسا ، كما في ألمانيا ، مهدت السينما الناطقة السبيل امام السينما الوطنية . فالمصر عصر رئيسه كلير العظيم (تحت سطوح باريس — المليون) ثم تطلع علينا سلسلة الافلام التي تنزى بنتائج الازمة العالمية كما تنضح بالهواجس السياسية والاقتصادية والاجتماعية (١٤ تموز — لنا الحرية) . ويظهر التطور على أتمه ، مع جانت رينوار عندما يعمل مع بانيول الاختصاصي الضليع بتصوير الجماهير في مقاطعة بروفانس فيعطينا : طوني ، هذا الفيلم الذي يعالج قضايا هموم اليد العاملة النازحة ، ثم افلام من وحي الماركسية (الحياة لنا — الهم الكبير — المارسيلاز — الوحش البشري) ... والوحي ذاته نجده لدى جان فيدر في الفيلم : للسوق الخيرية الضخمة ، حق لدى دوفرييه (العصر الجميل) . والى جانب هذه الافلام الاجتماعية ظهر نوع جديد يشابه من قريب ، لون افلام رعيان البقر واللصوصية في اميركا ، وهي تنزع لوصف « البيئة » ، والتي تنزى بواقعية مريرة وبائسة امثال فيلم بابيه موكو لدوفرييه . وفي هذا اللون من الافلام المتشائمة الواقعية ، يبرز للعيان مارسيل كارنيه (ومساعده الايمن جاك بريفيو) بالفيلم الذي اخرج به بعنوان : رصيف بروم — وفندق الشمال ... بعد ان اتسمت تشاؤميته بطابع اسطوري خلال الحرب . بالفيلم : زوار المساء (١٩٤٢) وقبيل الحرب الاخيرة برز في الصناعة السينمائية الفرنسية ابرز فناً واتقاناً منها لدى هوليوود التي اتسمت افلامها بطابع متوسط جداً جعلت ستروهايم يصفها مازحاً مبسطاً : هذا الجهاز الجبار لاخراج المقاتل .

الكتاب الثاني

الأنهيار الاقتصادي ونابجته

الفصل الأول

الانهيار الاقتصادي

تتميز الأزمة الاقتصادية التي وقعت عام ١٩٢٩ عن كل ما تقدمها من أزمات اقتصادية، في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين . فقد كان لها من العنف والعمق والشمول ما أفضى الى انحلال النظام الاقتصادي وشله تماماً كما أدت الى افلاسات عملاقة ، في عالم تهتز منه العمود والاركان ، ووضعت النظام الرأسمالي وجهاً لوجه مع مشكلات لم يستطع السيطرة عليها بشق المرائر وبعد تعديلات أساسية أدخلت عليه .

١ - انفجار الأزمة وامتدادها الى أقصى المعبور

دورة الازمات الاقتصادية
خبر القرن التاسع عشر ، العديد من هذه الأزمات ونظر إليها نظرتة الى امراض ملازمة للنمو والتطور لا يلبث معها ما يساعده على تصحيح الاوضاع بيسر وبصورة تلقائية ، وذلك باستقطاعه المشروعات التي تشكو العسر او تلاقي المصاعب ، ثم يعود الازدهار وتعود العافية الى النشاط التجاري والوضع الاقتصادي يأجمعه . وهذه النظرة المشبعة بالتفاؤل التي اعتاد ان يلقيها على الازمات التي لم يكن من الممكن تفادها والتي ثبتت فائدتها في نهاية المطاف ، اخذ الماركسيون يعطلونها بالقول ان تقارب حدوث هذه الأزمات وتوالي وقوعها بعنف الواحدة منها بعد الاخرى ، عجبت كثيراً في حركة تركيز المشروعات وتركزها كما أبرزت ما تصف به هذه الاستثمارات من نزعة عارمة الى الاحتكار ، وان التطورات التي ألحقتها بالهيكل الاقتصادي حتمت وقوعها وجعلتها أكثر قواً وأكثر ضرراً وأذى ، ليس فقط لمصالح الكادحين المأجورين ، بل أيضاً للمصلحة العامة .

فقد سبق لعلماء الاقتصاد وظنوا بوقوع أزمات دورية عقبها حقب من الازدهار ، ارتفعت خلالها الاسعار وقلت حوادث البطالة وازدادت الارباح ، وحقب من الانهيار الاقتصادي تقلص

بسمات عكسية . ومع تضارب الآراء بينهم حول مدد هذه الدورات والاسباب الموجبة لها نقدية ، مالية هنا ، واقتصادية هناك وسياسية هنالك ، فقد سلموا مع ذلك ان دورات قصيرة الابد (من ٤ - ٨ سنوات) عقيبتها دوماً دورات اطول مدى واوسع شمولاً ، تراوح معدلها بين ٤٠ - ٧٠ سنة . فالازمة التي كشرت عن انيابها عام ١٩٢٩ ، كانت في زعمهم النهاية الطبيعية ، لحقبة طويلة الابد وان ما اتصفت به من عنف استثنائي وتعقيد وتشابك وطول امد ، يجب رده هنا الى تجمع اسبابها الخاصة مع الاسباب الاخرى التي هي وراء كل أزمة قصيرة ، ومهما يكن من الامر ، فقد برزت بخطورتها ، اية ازمة من هذه الازمات « العالمية » التي عرفها التاريخ الحديث ، حتى تلك التي وقعت منها عام ١٨٥٧ ، والتي نظر اليها الكثيرون آنذاك ، بأنها أعنف أزمة عرفت البشرية عبر تاريخها المديد ، هذه الازمة التي طلعت هي الاخرى ، اول ما طلعت ، في الولايات المتحدة الاميركية ، وامتدت عقابيلها الى كل من انكلترا وهلمبورغ والى كل بلدان اوروبا الشمالية والغربية .

انمازت الازمة الجديدة عن مثيلاتها في الماضي ، بعدة سمات لازمة ١٩٢٩ من الاتساع والشمول ما ليس له مثيل
فردتها وطبعتها . لإعادة البناء الاقتصادي ، وإعادة تجهيز العالم
صناعياً في أعقاب ازمة ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، بحيث تجاوز الانتاج
العام معدله لعام ١٩١٣ ، لم يتم إلا بعد التغلب على صعوبات كبيرة . ثم ان ازمة ١٩٢٩ لدى
انطلاقها ، لم يسبقها كغيرها من الازمات الماضية ، ارتفاع عام في الاسعار والارباح والاعمال .
فقد وقعت ، على عكس ذلك ، في فترة من انخفاض الاسعار وهبوطها وفي عالم بدت على القطاع
الزراعي فيه ، عوارض خطيرة من الركود والهبوط ، وفي عالم قد يتجاوز عدد العاطلين فيه
عن العمل ، العشرة ملايين عاطل ، في عالم معظم الدول الاوروبية فيه رأت نفسها اعجز من
ان تصل الى ما كانت عليه تجارتها الخارجية قبل الحرب العالمية . وهذه الازمة تتميز ، من جهة
اخرى عن الازمات التي شهدتها القرن التاسع عشر ، بما تم لها من شمول واتساع ، وهو شمول
يفسره لنا القطاع الرأسمالي الذي كان يتأثر وحده في الازمات السابقة ، بينما نراه يسيطر الآن
على البلدان الصناعية الكبرى . وهكذا نرى ان النظام المالي بأسره اهتز من اساساته . ففي
الحين الذي كانت فيه الزراعة ، في القرن التاسع عشر تكاد لا تتأثر ، وكانت الازمة الكبرى
الاخيرة التي وقعت خلال الربع الاول من القرن العشرين ، انها كانت ازمة اوروبية على الاخص
وأملت بنوع خاص ، بغلال الحبوب ، فأزمة عام ١٩٢٩ كانت صناعية زراعية في آن واحد
وتأثر بنتائجها كل قطاع من قطاعات الاقتصاد في البلاد ، فانهضت على الولايات المتحدة الاميركية ،
وعلى اوروبا وعلى البلدان نصف الاستعمارية والاستعمارية على السواء ، كما تضرس بها كل قطاع من
قطاعات الحياة الاجتماعية . فالازمات الاقتصادية السابقة لم تعرك بثقلها سوى العمال وارباب
العمل ، بينما احتفظ المزارعون والموظفون واصحاب الإيرادات بدخلهم سالماً غير منقوص ،
بل كثيراً ما كانوا ينعمون ، من جراء انخفاض الاسعار في الوقت الذي كانت فيه مدخراتهم

تساعد على تصفية الازمة . اما ازمة ١٩٢٩ ، فقد اخذت بتلابيب كل فئات المجتمع وأصابته في التصميم دخل كل الطبقات ، مباشرة او مداورة عن طريق هبوط سعر النقد ، إذ أصيبت كل العملات بالهبوط والانهيار ، كما تسببت عن حسومات محسوسة في المداخيل والمرقبات . فالعمال لم يعودوا وخدم فريسة البطالة ، بل وقع فريسة لها ايضاً كل من موظفي المكاتب والادارات وصغار الصناعيين وصغار التجار والعمال المهنيين الذين اضطروا الى اقفال متاجرهم والبحث عن عمل يستطيعون معه تأمين اودم وأرد ذويهم .

نقطة انطلاق الازمة : انفجرت الازمة يوم الجمعة الاسود ، في ٢٤ تشرين الاول الولايات المتحدة ١٩٢٩ ، وعلى حين غرة وفي غفلة من الجميع ، وابتدأت بأزمة بورصة . صحيح ان اسعار اسهم النحاس والذهب والفولاذ اخذت بالهبوط منذ ايار ، كما اخذت تهبط في الفصل الثاني من هذه السنة ، أرباح صناعة السيارات ، وبقيت في هبوطها الذريع في الفصل الثالث ايضاً ، بالرغم من تحسن المبيعات ، فقد استمر المعجز في تقهقر موصول . وهذه الدلائل والاعراض التي لم تكن لتخفى على الناس ، صاحبها ضجة مدوية من جراء افلاس المصرف الانكليزي هاتري الذي كان يستثمر فوتوماتون ، مما أدى الى رفع الحسم في بورصة لندن ، وعودة جانب من رؤوس الاموال الانكليزية الى البلاد ، والى بيع السندات والاسهم الاميركية من قبل المضاربين الانكليز . وفجأة وقعت معاملات مالية نهار الاثنين الواقع فيه الحادي والعشرون من تشرين الاول ١٩٢٩ ، ليعاد بيعها ، نهار الخميس بعروض كبيرة بأي سعر كانت ، تنازلت نحواً من ١٣ مليون سهم . ولم يفد شيئاً تدخل ستة من اكبر مصارف بادرت للشراء ، ايقافاً منها الحركة الهبوط الجارف ، في تهدئة الهلع العام الذي دب في القلوب ، وفي ٢٩ تشرين الاول بيع اكثر من ١٦ مليون سهم ، فازداد الهبوط اكثر فاكثر بحيث هبط دليل الاسهم الصناعية ، في منتصف تشرين الثاني من ١٦٩ الى ٢٢٠ .

وهكذا فالازمة الصناعية التي اطلت على الناس لن تلبث ان ازدادت حرجاً بعد انهيار المالي والهلع الذي سمر الخوف في القلوب ، فأصاب الى الفشل الذريع ، كل محاولة كبح او تقييم ، لا سيما والعناصر الضرورية للتثبيت كاستهلاك الى اقصى حد وزيادة القيم ، اختفت بسرعة ، كما ان عدداً كبيراً من حملة الاسهم الذين لم يدفعوا إلا جزءاً ضئيلاً من قيمتها ، وجدوا انفسهم فجأة مديونين ، عدا عن ان عدداً كبيراً من التجار ومن أرباب الصناعة الذين اخذوا سلفات على ما لهم من اعتمادات مصرفية اساسها الاسهم التي يحملونها ، رأوا اساس هذه الاعتمادات يضيع ويختفي . كذلك توقفت تماماً صفقات البيع بالتقسيط ، وأجلت او ألغيت طلبات التوصية وتراكم الانتاج والتجهيزات . كل هذا الاستنزاف الضخم انزل الرعب في طول اميركا وعرضها .

وبعد انهيار الاسعار في البورصة اطلت ازمة الانتاج الصناعي ، فازدادت حرجاً يوماً بعد يوم . فقد تداعت بسرعة كلية ادلة الانتاج على اقدار وانساب حسب الصناعات وهبطت الى

ادنى مما كانت عليه في السنة الماضية . فصناعة السيارات اخذ انتاجها منذ تشرين الاول يهبط بحيث بلغ معدل هبوطها في الاشهر الثلاثة التالية الى النصف . واستمرت الازمة في تصاعد مترججة ، بحيث اتصلت في النصف الثاني من عام ١٩٣٠ ، بكل قطاعات الصناعة ، فانخفض انتاج الصلب ، اذ ذاك ، الى النصف . وفورد الذي اضطر الى اعتماد خمسة ايام عمل في الاسبوع ، في ربيع عام ١٩٣٠ عاد فأنقصها الى ثلاثة ايام عمل في آب . وهبطت كذلك واردات السكك الحديدية والتجارة الخارجية بالرغم من اعتماد التسعيرة القصوى لحماية التجارة التي أقرها قانون هولي سموت . وأدت البطالة الى انخفاض كبير في دخل الطبقة العمالية العام . وفي ربيع عام ١٩٣١ ، اجريت تخفيضات على الاجور بنسبة ١٠ - ٣٠ ٪ وازدادت اتساعاً في الصيف والخريف من تلك السنة .

كان من جراء الذعر المالي الذي اصبحت به نيويورك ان قضى تماماً على كل حركة تسليف لأوروبا . وتوقف تماماً خروج الدولار من البلاد بعد ان اخذت اميركا باستثماره وتوظيفه على نطاق واسع في الخارج منذ عام ١٩٢٢ ، مع العلم ان اقتصاد أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية ، ولا سيما ألمانيا ، لم يكن ليقف على قدميه الا بواسطة المساعدات الاميركية . وابتداءً من تشرين الاول ، اعلن افلاس بنك بودين للتسليف في النمسا ، وراحت الحكومة النمساوية تحاول تعويمه بواسطة بنك التسليف النمساوي . الا ان الانتخابات الالمانية العامة التي وقعت في ١٤ ايلول ١٩٣٠ والتي تميزت بأول نجاح حققته الحركة النازية في البلاد ، ومعارضة الحكومة الفرنسية واليطالية لمشروع الاتحاد الجمركي بين النمسا وألمانيا اقلقت الاوساط المالية واخذت تسحب اموالها . وفي ايار ١٩٣١ توقف بنك التسليف النمساوي نفسه عن الدفع وهبطت اسهمه ٢ ٪ من قيمتها الاسمية . واذ ذاك حدث اندفاع على المصارف في كل أوروبا الوسطى مما ادى الى سلسلة من الافلاسات . والمصارف السويسرية والهولندية والاميركية التي كانت قد وظفت رؤوس اموال جسيمة لأجل قصيرة في ألمانيا (اكثر من ١٢ مليار مارك) حاولت سحبها واستعادتها الى البلاد . وامام اشتداد حركة السحب هذه ، قالت الحكومة الالمانية من الرئيس هوفر ، في ٢٠ حزيران ١٩٣١ ، امراً بتأجيل وفاء الدين لسنة في كل ما يتعلق بتعويضات الحرب ، وهو تدبير عاجز عن اصلاح الوضع المالي في ألمانيا حيث استمر سحب الودائع الاجنبية والوطنية على أشده . وقد جرّ افلاس شركة قطن الشمال في برمين عن ٢٠٠ مليون مارك الى افلاس مؤسسة دات المالية وانهار الوضع المالي بكامله . واذ ذاك قرر المستشار الالماني بروتنغ إقفال كل المصارف ومؤسسات التوفير والتسليف الاخرى . وعندما استأنفت هذه المؤسسات نشاطها في شهر آب ، بقيت كل الاعتمادات والارصدة الاجنبية في ألمانيا مجمدة واضطرت ان تنزل عند قرار جديد بتأجيل وفاء الديون .

واخذت المصارف التي تعاني من صعوبات مالية تنهار الواحدة
 مبوط سعر الجنيه
 بعد الاخرى في كل من ريفيا والنمسا ورومانيا ويوغوسلافيا ،
 وفي فرنسا (مصرف اوستري ومجموعة مصارف اركتاف ميبورغ) . وراحت الدول تحاول
 حيناً إعادة تنظيمها كما حدث في كل من تشيكوسلوفاكيا وفرنسا ، وفي ٢٤ ايلول ١٩٣١ ، لم
 تبقى فاتحة ابوابها سوى بورصات نيويورك وباريس وبراغ ، وموجة الافلاس هذه لم تتكسر
 حدثها الا في ربيع عام ١٩٣٢ . إلا ان النازلة المالية لم تقف عند هذا الحد . فقد اهتزت
 انكلترا من أساساتها أمام الخسارة الجسيمة التي لحقتها من جراء افلاس بنك التسليف الدولي
 وتجميد رؤوس الاموال الموظفة في المانيا وفي اوروبا الوسطى ، اذ عجزت المصارف
 البريطانية عن سحب ودائعها في الوقت المناسب (٧٣ مليون جنيه لآجال طويلة ، و ٩٠ مليون
 جنيه لآجال قصيرة) ، مما ألحق هزة عنيفة بحركة القطع . وراح عدد كبير من الاجانب
 القلقين على اموالهم ومدخراتهم يحولون ما لديهم من جنيهات الى ذهب أو فرنكات أو فلورين
 أو دولارات ، بحيث رأى بنك انكلترا نفسه يفتقر كلياً الى رصيد كافٍ من الذهب . وحركة
 سحب رؤوس الاموال هذه أخذت شكلاً خطيراً بالرغم من تقديم مصرف فرنسا له اعتمادات
 قيمتها ٥٠ مليون جنيه ، وفي ٢١ تشرين الاول تخلت الحكومة الانكليزية عن قاعدة الذهب .
 وهذا التخلي من قبل الانكليز عن تعادل الجنيه لليرة الذهب بعد ان ضحت انكلترا ما ضحت
 في سبيل الاحتفاظ بهذا التعادل ، زاد الوضع سوءاً ، إذ أدى الى انهيار فطيع في الاقتصاد النقدي
 العالمي . وهبط الجنيه في بضعة ايام الى ٣٠٪ من قيمتها الاسمية بالنسبة الى سعرها الماضي ،
 كما ان هذا الهبوط سبب هبوطاً مالياً لدى ٣٠ بلداً نقدها مرتبط بال نقد الانكليزي ، كالبلدان
 السكندينية واليونان والدومينيون (باستثناء اتحاد جنوبي افريقيا وكندا) والبرتغال والسيام ومصر
 وبوليفيا ، حتى وفي اليابان في كانون الاول ١٩٣١ . وراح عدد كبير من الافراد والامؤسسات
 الاقتصادية التي لها جنيهات انكليزية ، والبيوتات التجارية في كل البلدان التي ترتبط بعقود
 محررة بالجنيه الانكليزية ، ومصارف الاصدار التي كانت حولت جانباً كبيراً من ودائعها الى
 ليرات انكليزية ، وفقاً لقاعدة الذهب التي اصابها خسائر محسوسة : فقد اصاب بنك فرنسا
 خسارة تقدر بملياري فرنك ، وبنك البلاد الواطية ثلاثين مليون فلورين ، وبنك بلجيكا ٦٥٠
 مليون فرنك بلجيكي .
 وهكذا باستثناء فرنسا التي لحقتها الازمة عام ١٩٣١ ، كل دول العالم تضرست بها منذ
 عام ١٩٣٠ .

الازمة في الدول الجديدة
 تضرست هذه البلدان بنتائج الازمة من الخارج ، بعد ان
 تأثرت عميقاً بالهبوط المفاجيء في صادراتها ومن جراء توقف
 رؤوس الاموال من الخارج . ففي كندا هبط سعر القمح من ١٢٤ سنتاً عام ١٩٢٩ الى اقل من
 ٦٠ عام ١٩٣١ ، وزاد الطين بلة قحط موسم الحبوب في الغرب ، في سنة ١٩٣١ فقضى على

الموسم قضاءً تاماً في مليونين من الهكتارات الزراعية . وراح كبار المزارعين يصرفون عملهم ويستغفنون عن الجرارارات الزراعية لغلاء الوقود اللازم لها فيعودوا الى الاستعانة بالحصان . والمردود العام للمزارعين الكنديين الذي كان عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨ نحواً من ١٨٠٠ مليون دولار هبط في سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٤ الى اقل من ٨٠٠ مليون دولار ، كما هبط الدخل الصافي من ١٥٠٠ مليون دولار الى اقل من ٥٠٠ مليون . ودليل المحصول الزراعي هبط بنسبة ٢/٣ بينما لم يهبط الدليل العام للأسعار الى ادنى من الثلث . والقدرة الشرائية عند المزارعين هبطت الى الصفر . وعندما اخذت الاسعار تعود الى الارتفاع بعد عام ١٩٣١ ، بقيت في معدل هزيل اذا ما قيسست بكلفة النقل ونفقات الحزن والعمولة التي لم تكن لتسمح باي عصر او ضغط . وقيمة الارض الزراعية في السهل حيث بلغ سعر الهكتار ٢٥٠ دولاراً عام ١٩٢٨ ، هبط الى ١٢٠٥ دولار حتى في هذه الظروف التي تشجع على البيع . والانتاج الحرجي هبط الى ادنى من الثلثين هو ايضاً كما ان انتاج المناجم الذي كان ٣١١ مليون دولار ، هبط الى ١٨٣ مليون دولار عام ١٩٣٢ ، ثم عاد وارتفع الى ٢٧٣ مليون دولار عام ١٩٣٤ .

وفي استراليا ونيوزيلاندا اخذت تهبط ، هي الاخرى ، اسعار الصوف منذ آب ١٩٢٩ وازداد الهبوط المخدراً حتى مطلع عام ١٩٣٣ . ومع ان حجم الصادرات من الصوف والقمح والغنم والبقر والسكر والارز زاد بشكل ملحوظ واحياناً تضاعف مرتين وثلاثاً ، فان قيمة هذه الصادرات لم تكن تمثل عام ١٩٣١ - ١٩٣٢ سوى ٥٥ ٪ من قيمتها لعام ١٩٢٨ - ١٩٢٩ ، ورافق حدوث الازمة في جنوبي افريقيا حدوث اطول جفاف عرفته تلك البلاد خلال السنوات الستين الاخيرة من تاريخها مع تعرض قطمان الغنم فيها لامراض وافدة ، مما ادى الى هبوط ذريع في اسعار الذرة والصوف والمحاصيل الزراعية الاخرى . واستخراج الماس هبط الى ٥٠٦٠٠٠ قيراط اي ١/٩ محصول البلاد منه عام ١٩٢٧ . والمنجم الاول الواقع على مقربة من بريتوريا جرى سدّه واقفاله . ولم يبق للاتحاد من منجاة سوى انتاجه من الذهب .

وشمرت الهند من جهتها بشدة وطأة الازمة اكثر من غيرها من هذه البلدان التي عانت منها الامرين اذ ان ٢/٣ السكان فيها يعملون على تصدير الخامات والمواد الأولية بعد ان هبطت اسعار هذه المواد الى اقل من النصف . فبين ١٩٢٨ - ١٩٢٩ و ١٩٣٢ - ١٩٣٣ ، هبطت قيمة الصادرات من ٢٣٩٠ مليون روبية الى ١٣٥٠ مليون كما انخفض الاستيراد الى النصف ، بينما الفوائد المترتبة على القروض والنفقات العامة غير المجدية بقيت على بهاظتها كالمعتاد .

واجتازت البرازيل ازمة جديدة في زيادة انتاجها من البن اعنف واثقل من تلك الازمة التي مرت عليها في مطلع القرن ، كما ان افتقار البلاد الى مساعدة المصارف الاجنبية الكبرى سبب انهيار الاسعار في بورصة نيويورك ، اذ هبطت من ٢٣ سنتاً الى ٨ سنتات ، وقد جر هبوط الجنيه وراهه الى الافلاس الذريع ، عدداً كبيراً من المزارعين ، والى نزاع اليد عن ملكية

الاراضي المرهونة واستخلاصها من ايدي اصحابها . اما الجزر المنتجة للسكر في اميركا الوسطى والبحر الكرايبي ، فقد عرفت ، هي الاخرى ، مثل هذا الهبوط ، كما ادى الى فقدان الكثيرين لاملاكهم بعد ان نزعوا من حيازتهم . والارجنتين التي يقوم ازدهارها على بعض المحاصيل الزراعية ، فقد تكبدت فيها محاصيل الحبوب واللحوم وغصت بها المستودعات والمناير الخاصة ، وانخفض بالتالي سعر البيزو كما هبطت قيمة الارض ، الامر الذي اضطر معه عدد كبير من الملاكين الى رهن املاكهم والتقدم الى السلطات المعنية بطلب تأجيل وفاء الديون بعد ان استحال عليهم الوفاء في المواعيد المضروبة له .

٢ - مظاهر الازمة

فإذا ما قارنا بين دلائل الانتاج الزراعي وبين دلائل الانتاج الصناعي
الازمة الصناعية في العالم لظهر لنا ان الانتاج الزراعي بين ١٩٢٩ - ١٩٣٣ ، قلما تغير ولو لحقه بعض النقص الطفيف بينما نقص الانتاج الصناعي ١٥ ٪ من معدله العام .

فالمظهر البارز للازمة يتبلور على اقمه في هذا الانكماش العظيم الذي جاء اشد بكثير من اي انكماش مماثل وقع في الازمات السابقة ، (المانيا من ٣٩ ٪ الى ٦ ٪) من الانتاج الصناعي الذي بلغ ادنى دركاته في تموز ١٩٣٢ ، اذ سجل ٣٨ ٪ ادنى من المعدل المسجل في حزيران ١٩٢٩ . ثم اطلت حركة ارتفاع بعد ان رسمت خطاً متكسراً بين هبوط وارتفاع لتستمر في الصعود في الحريف . وقد جاء هذا الانكماش اعنف واشد في البلدان الصناعية (اوروبا المصنعة والولايات المتحدة الاميركية) اكثر منه في بلدان اوروبا الزراعية واليابان ، وهكذا نرى ان اكبر خسارة وقعت تركزت على الاخص في مساحة ضيقة نسبياً ، اذ ان ٣ ٪ الانتاج الصناعي في العالم ، كان عام ١٩٢٨ ، موزعاً على اربع دول كبرى هي الولايات المتحدة الاميركية (٤٤،٨ ٪) و المانيا (١١،٥ ٪) والمملكة المتحدة (٩،٢٦ ٪) وفرنسا (٧ ٪) . وتملك هذه الدول مع الخمس التالية : بلجيكا - هولندا - سويسرا - النمسا - كندا ٨٠ ٪ من الانتاج الصناعي ، بينما يتقاسم الباقي كل من الاتحاد السوفياتي وايطاليا واليابان والهند واسبانيا والسويد وبولونيا والارجنتين ، وهي دول يبرز عليها بالاكتر ، للطابع الزراعي . واكبر خسارة سجلت في هذا المجال ، وقعت على الولايات المتحدة (٩٠ ٪) من مجموع الانتاج في البلدان الصناعية الاخرى ، وهو انهيار لم يسبق له مثيل من قبل حتى في ازمات الحروب ، اذ لم يزد عن ٣٠ ٪ في الدول المتحاربة في اوروبا .

المزارعون والوضع الحرج الذي تخبطوا فيه

لما كانت الانتاج الزراعي (ولا سيما انتاج المحاصيل الغذائية) لم يتغير الا قليلا ، فالازمة في هذا القطاع كانت اقل انتشاراً وأقل استواء منها في القطاع الصناعي . فقد ارتدت طابع ازمة خانقة تأثرت بها اسعار المصنوعات بعد ان بلغ المعدل الوسط للهبوط في الولايات المتحدة ٥٧ ٪ ، من حزيران ١٩٢٩ الى كانون الاول ١٩٣٢ . وكان من نتائج انكماش القدرة الشرائية في المدن ان تسبب عن انكماش مماثل في الريف ، وتكشف بالتسالي عن انكماش في استهلاك المواد المشتراة . فأينما تكاثرت الاستثمارات الزراعية ، نرى تلك المجتمعات تعود الى الاقتصاد الاستهلاكي ، فهي تعمل في معاشها على انتاج المزرعة دون ان تكثرت بمقايضتها بالمواد المصنوعة . والبلدان التي سبق لها ووجهت اقتصادها الزراعي وجهة تخصص معينة معدة للأسواق العالمية ، والتي زهد فيها هذا الاجنبي وامتنع عن استيرادها ، فالفائض من هذا الانتاج كان في وضع يدعو للأسف الشديد . والبلدان التي تعمل على التصدير الزراعي خاصة هي هذه البلدان بالذات التي تضرست بالأسكار من اي فئة اخرى من السكان . وهذا شيء ملموس في الولايات المتحدة واليابان وبولونيا وهنغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا والارجنتين وكندا .

ففي كل هذه البلدان ، اضطر المزارعون لاجراء تخفيضات محسوسة في استهلاكهم للآلات والاسمدة والاعتدة الزراعية ، ولغير ذلك من المستهلكات الزراعية ، مما زاد في حرج بطالة العمال العاملين في الصناعة (في الولايات المتحدة الاميركية اكثر من مليوني عاطل عن العمل) . ومن جهة اخرى ان تعذر تجديد الاعتدة الزراعية واجراء اصلاحات ضرورية في المباني كان من بعض نتائج هبوط ملحوظ في ثمن المزارع وقيمتها .

واخيراً وليس آخراً ، فهذه الازمة التي حدثت من حركة نزوح السكان في الريف باتجاه المدينة ، قد تسببت في ازدياد حركة العرض في اليد العاملة في الريف ، اي ان الحركة أدت الى نقص في الاجور جاء محسوساً وعلى نسبة كبيرة ، بحيث ان تطور الاقتصاد الاستهلاكي شجع المزارعين على صرف العمال المأجورين ، والاستعاضة عنهم باعضاء الاسرة . وهكذا فالبطالة في المدن تسببت الى حد كبير ، في البطالة في الريف .

وقد اشتدت وطأة الازمة بالاخص على الاستثمارات التي تزرع تحت الديون ، كما هو الوضع في سويسرا مثلاً (٥١،٨ ٪ من رأس المال المستثمر) ولا سيما الاستثمارات الصغيرة في هذه البلدان التي سبق لها وقامت باصلاح زراعي في الداخل . ولما كان يستحيل على المزارعين وفاء الفوائد المترتبة على ما عقدهوا من ديون ، فقد اضطروا الى الاستدانة من جديد . وهكذا تراكت الرهونات ورزحت الممتلكات تحت اعباء جديدة في كل من بولونيا وهنغاريا (٤٠ ٪) وبلغاريا (اكثر من ٥٠ ٪) والمانيا . وفي الولايات المتحدة تحولت ملكية ألوف المزارع الى المصارف الدائنة ومعاملات الحجز التي اجريت خلال الضائقة المالية انتهت كلها بتملك شركة

متروبوليتن للضمان على الحياة لاكثر من ٧٣٠٠ مزرعة . وفي ولاية مونتانا وحدها ، امتلكت الشركة المغفلة ، عام ١٩٣٧ اكثر من ١٥٠٦ ٪ من مزارع الولاية بعد ان ألقت عليها الحجز . وفي ولاية أيوا ١١٠٩ ٪ . وقصة صغار المزارعين هؤلاء في او كلاهما الذين انتزعت المصارف الدائنة مزارعهم المرتبنة واصبح اصحابها مرابعين بعد ان كانوا اسياداً لها ثم انتهى امرهم بالطرد عندما راحت هذه المصارف تضم المزارع الصغرى بعضها الى بعض ، ترويه لنا رواية « عناقيد العنب » . فليس بغريب قط ان يرى ٢٩ ٪ في عام ١٩٣٩ ، انفسهم مرغين على تسديد الاقساط المترتبة عليهم بالعمل في الخارج . والوضع الذي احاط بالمربعين في الجنوب الشرقي من البلاد كان ادهى واقسى مما اتينا على وصفه ايضاً ، وعلى هذا قس وضع المزارعين ولا سيما من يعمل منهم في مواسم خاصة او يتزحون في مواسم خاصة عن مناطقهم في سبيل العمل في الخارج .

تسببت الازمة في قيام بطالة كثيفة بين صفوف العمال لدى عدد كبير من
اجور ربطالة
البلدان بعد ان تنقلت وطأتها على الفئات والمجتمعات العمالية في القطاع الصناعي ، لنتقل منه فيما بعد الى القطاعات الاخرى . فالبطالة لا تصيب كل الحرف بالسواء ، فصفوف العاطلين عن العمل كانت اكثف بين عمال المناجم وصناعات التحويل والبناء منها في قطاعي الزراعة والنقل (باستثناء الولايات المتحدة الاميركية ، حيث الانكماش بلغ أشده ، بينما لم يعانِ القطاع التجاري كثيراً .

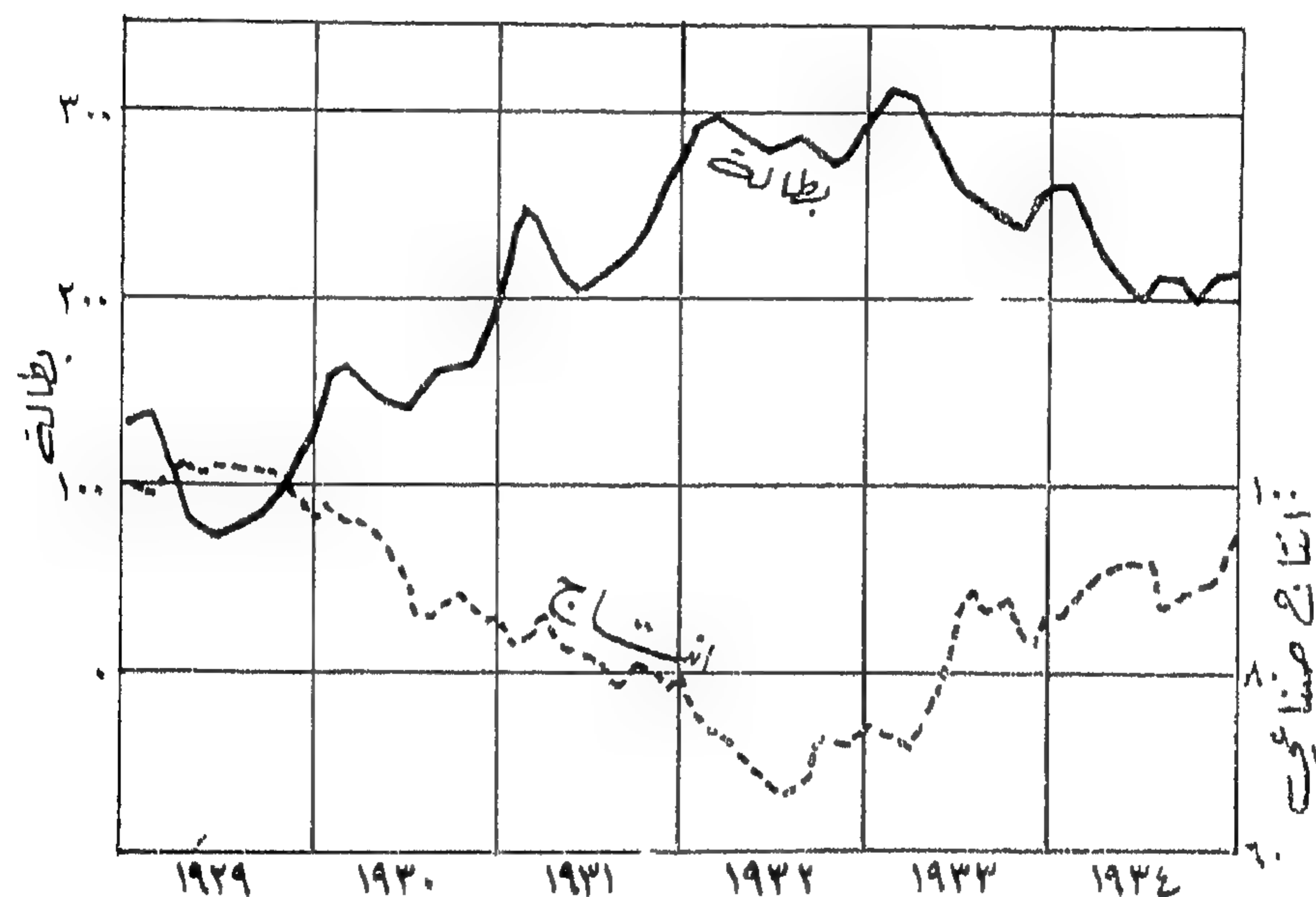
فانكلا ترا وحدها احتفظت باجور كانت مرتفعة نسبياً . فقد اتاحت القوانين الصادرة في الولايات المتحدة رفع هذه الاجور ، كما ان وصول الجبهة الشعبية الى الحكم في فرنسا تميز بحركة إنعاش في اجور العمال . فجاءت الازمة النقدية تفسد عليهم الفوائد التي تم لهم تسجيلها . وفي ايطاليا ، هبطت اجور العمال العاملين في المجال الزراعي ، بين ١٩٢٨ - ١٩٣٤ ما نسبته ٣٠ ٪ في كل من مقاطعة اميليا ، و ٣٢ - ٥٠ ٪ في مقاطعة لومبارديا . ومنذ عام ١٩٣٥ ، مع تطور صناعة النسيج وسياسة الاكتفاء الذاتي ، اصبحت الدولة الايطالية اكبر مستخدم للعمال في البلاد . فنتج عن ذلك ارتفاع في معدل ربح العامل بالساعة ، ولم يلبث هذا المعدل ان عاد الى نسبته عام ١٩٢٨ ، الا انها بالفعل كانت ادنى ، لان ساعات العمل لدى العامل كانت اقل مما كانت عليه عام ١٩٢٨ . وارتفعت الاجور كذلك في المانيا ، بمعدل ١٤ ٪ بين ١٩٣٣ - ١٩٣٩ الا ان ارتفاع تكاليف الحياة في البلاد ، والحسومات العديدة التي تعرضت لها الاجور ، اعادت النسبة الى ما كانت عليه من قبل . وبالرغم من هذا الارتفاع ، ومن ازدياد العمل ، فقد بقيت اجور العمال والمرتببات الموزعة عام ١٩٣٨ في المانيا ، اقل مما كانت عليه على العموم ، سنة ١٩٢٩ .

ومع ان النشاط الصناعي كان في هذا التاريخ على خير ما يكون من الازدهار ، فعدد العاطلين عن العمل لم يكن لينقص عن ١٠ ملايين في العالم ، مع العلم ان هذا العدد ارتفع الى

ثلاثة اضعافه ، بين ١٩٢٩ و ١٩٣٢ . فاذا ما اضعفنا الى هذا العدد ، عدد العاطلين جزئياً والعاطلين غير الملحوظين لبلغ عدد العاطلين عن العمل ٤٠ مليوناً تقريباً . وعدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة ، عام ١٩٢٩ الذي كان يتراوح بين ١٠,٥٠٠,٠٠٠ و ٢,٥٠٠,٠٠٠ ، ارتفع عام ١٩٣٢ الى رقم تأرجح بين ١١ مليوناً و ١٢ مليوناً ونصف ، وفي عام ١٩٤٠ لن يهبط هذا العدد الى اقل من ٧ ملايين . فالحرب العالمية الثانية وحدها هي التي استطاعت ان تضع حداً لهذا الوضع المحزن . وفي المانيا بلغ عدد العاطلين عن العمل ٣,٨٠٠,٠٠٠ في عام ١٩٣٠ ، و ٥ ملايين بعد هذا التاريخ بشهرين ، و ٥,٢٠٠,٠٠٠ عام ١٩٣٢ . وكان في تشيكوسلوفاكيا ٤١,٦٠٠ عاطل عن العمل عام ١٩٢٩ فاذا بهذا الرقم يرتفع الى ١٠٥,٠٠٠ عام ١٩٣٠ ، والى ٥٥٤,٠٠٠ عام ١٩٣٢ . وعدت النمسا ١٩٠,٠٠٠ عاطل عن العمل سنة ١٩٢٩ ، فارتفع العدد عام ١٩٣١ الى ٣٠٠,٠٠٠ ، ليبلغ ٣٧٨,٠٠٠ عام ١٩٣٢ . فهذه البلدان الثلاث التي تضم معاً ٨٧ مليون نسمة منهم ٦٢,٥٠٠,٠٠٠ صالحون للعمل ، لحقت البطالة بـ ٦,٥٠٠,٠٠٠ عامل مع عائلاتهم . وعدت البطالة في ايطاليا ، عام ١٩٣٢ اكثر من ٣٠٠,٠٠٠ عاطل عن العمل حسب الاحصاءات الرسمية ، بينما كان اكثر من نصف عدد العمال هم عاطلون عن العمل باستمرار او قسماً من وقتهم . وارتفع عدد العاطلين في انكلترا من ١,١٤٢,٠٠٠ (٩,٧٪) عام ١٩٢٩ الى ٢,٦٦٣,٠٠٠ ، في كانون الثاني ١٩٣١ (٢١,٥٪) لتبلغ نسبتهم ٢٢٪ عام ١٩٣٢ من بينهم ٣١,٧٪ يعملون في المباني الجديدة ، و ٢٨,٣٪ في الصناعات الاستخراجية ، و ٢٨,٥٪ في الصناعات الحديدية . وفي فرنسا ، ارتفع عدد العمال العاطلين ، من ١٠٠,٠٠٠ عاطل ، عام ١٩٢٩ الى ٣٠٠,٨٠٠ عام ١٩٣٢ . ومن الملاحظ ان عدداً كبيراً من العمال الاجانب اضطروا للعودة الى بلادهم بعد ان تضاءلت وسائل العمل في فرنسا . وارتفع هذا العدد في شباط ١٩٣٨ الى ٣١٢,٣٨٦ . والى البطالة في المجال الصناعي يجب ان نضيف عدد العاطلين عن العمل في المجال الزراعي ، وهو رقم يستحيل تحديده .

طراً على الازمة ابان اشتدادها عوامل جديدة غير مسعفة . ففي الطور الاول منها قسام توازن مطلق بين نشاط الانتاج الصناعي وبين تطور حركة البطالة ، ولوحظ ان تناقص الانتاج بنسبة ١٪ انما يعني نصف مليون جديد من العاطلين عن العمل . اما في الطور التالي فقد تمطلت هذه النسبة واختل هذا التوازن . فالبطالة لا تخف بنسبة حدة الانتاج الصناعي (راجع شكل ٤ ص ١٤٠) ومرد ذلك ان ملايين من العمال الجدد بين صفوف اليد العاملة اصبحوا الآن صالحين للعمل ، في الوقت الذي مكن التطور التقني الصناعة من زيادة حجم الانتاج بعدد اقل من العمال . وعلى الاجمال ، فقد سجلت البطالة اعلى ارقامها عام ١٩٣٢ و ١٩٣٣ ، وفي بعض البلدان ، عام ١٩٣٤ (امثال فرنسا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ) بينما تباينت كثافة البطالة بين بلد وآخر . فقد كانت نسبة البطالة في المانيا ٤٣,٧٪ بين العاطلين تماماً عن العمل بين العمال النقابيين ، و ٢٢,٦٪ يعملون ساعات مخفضة و ٣٣,٧٪ يعملون بصورة منتظمة كل اوقاتهم . ومن غرائب

الامور ان تقع المين على حرفة او مهنة نصف عمالها المؤهلين يعملون بانتظام . وهذه النسبة جاءت ادنى ايضاً في اليابان (اقل من ١٠٪) وفي بولونيا وتشيكوسلوفاكيا (من ١٠ - ١٥٪) ، وفي بريطانيا وبلجيكا (من ١٥ - ٢٠٪) ، وهذا المعدل نفسه في كل من كندا والسويد والولايات المتحدة (٢٠ - ٢٥٪) . وكان المعدل اعلى من ذلك في كل من النمسا وهولندا (٢٥ - ٣٠٪) وفي كل من النرويج والدانمارك (٣٠ - ٣٥ بالمئة) . وهكذا نرى ان التفاوت كان كبيراً بين الدول . وعلى هذا قس ايضاً البطالة بين مختلف العناصر والعروق البشرية . فقد



شكل ٤ - الانتاج الصناعي والبطالة في العالم بين ١٩٢٩ - ١٩٣٤ .
(الدليل ١٠٠ عام ١٩٢٩)

نزلات البطالة بالملوذين اكثر منهم لدى البيض ، في الولايات المتحدة الاميركية . فالعبيد كانوا آخر من يدخلون العمل واول من يصرفون من الورشات والمصانع .

ولكي نقيم البطالة كما يجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار ليس الحوادث الرسمية فحسب بل ايضاً حالات بعض الامر التي كان كل افرادها او جلهم يجدون لهم عملاً مأجوراً . والحال فليس ثمة اية احصاءات نستطيع معها تبين او تحديد الاوصاف والآلام المادية التي شعر بها ابو الاسرة وزوجته واولاده من جراء وجودهم عاطلين عن العمل .

تسببت الازمة في كل مكان بعملية تصفية جماعية للاستثمارات القصيرة
الجوانب النقدية
الاجل ، كما ادخلت التشويش والبلبلة ، في الوقت ذاته ، على نظام

المدفوعات بين الدول .

ان انكماش الاسواق الذي اصاب الجميع برذاذه ، وانخفاض عمام للأسعار في كل اطراف
العالم ، كان من شأنه اقصار الدول المستدينة على وضع يستحيل عليها معه وفاء التزاماتها وما
يترتب عليها من فوائد متراكمة ، كالمانيا وبلدان أوروبا الوسطى والدول البلقانية وجمهوريات
اميركا اللاتينية . ولذا ، اضطرت هذه البلدان لاعلان تأجيل وفاء ديونها والى اجراء تخفيض في
عملاتها ، مكسبة بذلك الدائنين الوف الملايين . وامام هذه الاجراءات والتدابير التمسفية التي
اطال العمل بها مكتب مراقبة القطع واجراءات تأجيل دفع الديون ، كان من الطبيعي جداً
ان يتردد الدائنون في تكرار معاملاتهم المالية هذه . فرؤوس الاموال التي كانت حق الآن
تستثمر في هذه البلدان المتخلفة في تطورها الاقتصادي ، اصبحت الآن ترقد في صناديق اصحابها ،
ومجمدة او مشغلة لأجل قصيرة او في مضاربات نقدية . فالخوف من مصلحة الضرائب ، ومن
تخفيض سعر العملة وتحويل السندات الى عملات ، كل ذلك أدى الى تنفير هذه الأموال
وتهريبها ، لا يلوي اصحابها على شيء . فلم نر قط من قبل مثل هذا التجمع لرؤوس
الاموال الهاربة .

واخيراً وليس اخراً فانفجار الازمة كان من بعض نتائجها المباشرة ، هبوط تدريجي في
الاسعار ، وهو هبوط لم يمكن الحد منه والتصدي له الا بإصدار قرارات تخفيض سعر العملات ،
بين ١٩٣١ و ١٩٣٣ ، بينما استمر هبوط الاسعار في الدول المحافظة على قاعدة الذهب ، الى سنة
١٩٣٥ . وقد بلغ هذا الهبوط مستوى لم يسبق له نظير في تاريخ العالم الاقتصادي : فبلغ
٣٦ بالمئة من الاسعار في التجارة بالجملة لدى انكلترا ، و ٣٧ بالمئة في الولايات المتحدة ،
و ٣٤ بالمئة في المانيا ، و ٥٠ بالمئة في هولندا ، و ٤٩ بالمئة في فرنسا (تموز ١٩٣٥) .

الاقتصاد العالمي يتسكع
في فوضى محزنة
وهذه البلبلة والاضطرابات التي خلخلت الانظمة التقدمية ،
جرت وراءها الانهيار الكامل للنظام التجاري في كل اطراف
العالم . فالاسهم التي جرى تبادلها بين ١٩٢٩ - ١٩٣٤ كانت

في تقهقر ملحوظ . فالأسعار بالذهب انخفضت ٥٦ ٪ وحجم المبادلات الذي بلغ نهايته الصغرى
عام ١٩٣٣ ، هبط ٢٥٠ ٪ .

وقد كان في شبه المستحيل أي بحث عن اسواق جديدة تمتص رؤوس اموال جديدة ،
والبضائع الجديدة كانت عملية اشق بكثير مما كانت عليه في الماضي بالنظر للتصنيع العظيم الذي
حققته الدول الواقعة عبر البحار (كالولايات المتحدة واليابان) ، وبالنظر لأوضاع روسيا
والحرب الأهلية التي قامت في الصين ، وقد راح بعض رجال الاقتصاد يقترحون توسعاً موحهاً
في كل من افريقيا وبلدان أوروبا الشرقية ، فتكشفت النتيجة عن محاولة اتصفت بالفوضى الزرية

ويدهوة ، للنجاة بنفسه اقتصادياً والمهرب لكل من أمكنه ذلك . والكل يسعى للخروج من المازق وتدبر أمره بحسب طاقاته . وهذا الصراع يقوم به الفرد ضد الجميع ، للبحث عن أسواق عالمية جديدة لن يلبث ان يصبح ، شيئاً فشيئاً ، غير ذي أثر ، وكان من بعض نتائج المعاملة التخلي عن سياسة حرية التبادل والركون الى الحماية الجمركية المتطرفة ، وتعميم اجراءات الدفاع عن النفس ، والانزواء ضد البضائع وضد الناس ، وضد عملات البلدان الاخرى ، واحتدام المنافسة الدولية في المجال التجاري . وقد برهنت سياسة كل فرد لنفسه على عدم جدواها بالمرّة لالتجاء الجميع الى الاجراءات والتدابير الواحدة ، بعد ان نسي الناس او تناسوا الترابط الوثيق الذي يشد بصورة لا تنفصم ، الاسواق النقدية الكبرى وأسواق الخامات والمواد الاولية بعضاً الى بعض . وهكذا اخذ الاقتصاد العالمي بالتراخي والانحلال والانقسام الى كتل قومية واستعمارية تدير الواحدة منها ظهرها للآخرى . فانكلترا تنطوي على مستعمراتها وعلى الدومنيون ، وفرنسا تنكشف على امبراطوريتها الاستعمارية ، والمانيا ودول اوروبا الوسطى تتطور نحو سياسة الاكتفاء الذاتي والاعتصام وواء الحماية الجمركية . اما في الولايات المتحدة الاميركية « فالخطة الجديدة » تتجه بالضرورة نحو السوق العالمية او الداخلية . وبمعكس ما كان يحدث في الازمات السابقة ، فعودة الاعمال إنما تمت عن طريق تطور الاسواق الوطنية او القومية الخاصة وليس عن طريق توسع الاسواق الخارجية . فالاسواق الداخلية الوطنية هي التي تستهلك القسم الادنى من زيادة الانتاج .

بلغ حجم التجارة العالمية ، عام ١٩٣٦ نحواً من ٨٥،٥ ٪ من المعدل الذي سجلته سنة ١٩٢٩ ، بينما قيمته بالعملة الذهب لم تكن لتزيد على ٣٧،٣ ٪ من اصل المبلغ الذي سجله من قبل . والحركة التجارية في اميركا تأثرت اكثر مما تأثرت به الحركة التجارية في اوروبا . فقد انخفضت نسبة حصتها من التجارة العالمية من جراء زيادة الرسوم الجمركية المنفرة عندها . وهكذا استطاعت اوروبا زحزحة التفوق الذي حققته الولايات المتحدة خلال الحقبة الماضية . ولا يتصور ان احد ان الوضع قد انعكس تماماً . والزيادة في الصادرات الأوروبية جاءت نتيجة اتفاقات عقدتها الدول على قاعدة الدول الاكثر رعاية ، ولا سيما بريطانيا العظمى مع بلدان الدومنيون ، والصادرات نحو الامبراطوريات الاستعمارية الفرنسية والانكليزية ، والاتفاقات الثنائية التي توصلت اليها المانيا الى عقدها مع بلدان اميركا الجنوبية وبلدان اوروبا الوسطى . وهذا التحسن كان مع ذلك أعجز من ان يوقف الانحدار الذي اصاب اوروبا لأن صادرات الدول الكبرى الثلاث لم تستطع بلوغ المستوى الذي كانت عليه عام ١٩٢٩ .

أما البلدان المتخلفة ، وهي هذه البلدان الواقعة عبر البحار او البلدان الزراعية في اوروبا الشرقية التي تأثرت عميقاً بهبوط أسعار المواد الاولية ، فقد اخذت تعمل بنشاط اكبر مما عرف عنها في الماضي ، للنهوض بعملية تصنيعها ، وللتخفيف من استيراد المنتوجات الصناعية المشغولة .

وعندما تمت الرجعة ، وعاد النشاط الى سابق ازدهاره ، بقيت الحركة متواضعة يحد منها سياسة الاكتفاء الذاتي التي اخذت بها معظم البلدان ، والاقتصاد الموجه للحرب والتنافر المتزايد بين الاسعار في الداخل واسعار المواد المعدة للتصدير التي سارت عليها كتلة الدول القائم نقدها على قاعدة الذهب ، كهذه الدول (المانيا مثلا) التي تحاول ان تحافظ ولو بصورة مصطنعة ، على استقرار عملتها . كل هذه البلدان تعتمد سياسة إغراق الاسواق بشكله التقليدي المتعارف (المانيا) او بشكل إغراق نقدي ضمن كتلة دول الدولار او كتلة السترليني او كتلة دول الفرنك او كتلة دول اليّن . فالسوق العالمية ضيقة هي : « فقد قامت فيما مضى وما تبقى منها لم يعد سوى سوق للسيطرة » كما يقول ل. لورات .

الفصل الثاني

تدخل الدولة ونتائج الأزمة الاقتصادية

لم يكن في وسع الدول المعنية ان تقف مكتوفة اليدين لا تدخل الدولة بفرض نفسه بنفسه تبدي ولا تعيد امام المشكلات التي تتخبط فيها والمصاعب التي تعانيها مشروعات ضخمة يعمل فيها احياناً عشرات الألوف من العمال ، والاتحاد المالي الذي آلت اليه معظم المصارف فهدد بخاطر مستطير ودائع المودعين لديها والعائدة لغالبية السكان الساحقة من مودعين ورجال الصناعة ، والخطر الذي أطل مع الأزمة النقدية والبطالة المتدهورة منها . وهكذا خلافاً لما سبق وجرى في الازمات الاقتصادية الماضية التي تركت معالجتها لتفاعل « القوى الطبيعية » ، شهدنا تدخلاً مباشراً من قبل الدول وهو تدخل اخذ يزداد ويستفعل نشاطاً يوماً بعد يوم . فاستلمت بيد من حديد شؤون اقتصادها الوطني ، واتخذت في هذا السبيل ، الاجراءات التي يقتضيها الوضع والتي كان من شأنها ان تحد من نشاط رأس المال الخاص في هذا المجال . وهذا الرأسمال المسيطر الموجود لدى الاتحادات الشركات الكبرى او تحت تصرف التكتلات الاقتصادية العملاقة من عامة وخاصة يعمل علانية او في الخفاء ، قد ألحق ضرراً كبيراً بالاقتصاد الحر وضيّق عليه الانفاس . وهؤلاء المنتجعون الذين عرفوا الآن بحرصهم على استغلالهم وصيانتهم من كل تدخل من جانب الدولة ، اخذوا هم انفسهم يتجهون اليها طالبين حمايتها والتدخل لاتخاذ مايصون مصالحهم . . من ذلك مثلاً لجنة هاريمان التي عينتها غرفة التجارة في الولايات المتحدة الاميركية بعد ان اخذت تطالب ، منذ تشرين الاول ١٩٣١ ، بوضع « خطة وطنية شاملة تضبط معها الانتاج والتصدير » ، و « التنسيب بين القضايا الاقتصادية » ، عن طريق مجلس وطني . وقام عام ١٩٣٢ ، احد اعضاء المجلس الاقتصادي في الرايخ هو الدكتور هرمان بوخر يصرح على رؤوس الاشهاد بأنه مضي الى حيث لا رجعة « عهد حرية التصرف وحرية المرور » وهذه الروح الفردانية التي لا حد لها ولا نطاق . وراحت الحكومات من جهتها وعلى اختلاف نزعاتها وألوانها تعجل وتسمى ليس لانقاذ النظام الرأسمالي فحسب بل خوفاً من ان تتسبب لشعوبها بجروح لا تستطع وضربات مميتة . ولهذا راحت الدولة توسع كثيراً من

نطاق عملها خلال هذه السنوات ليس باتخاذها الاجراءات والتدابير العامة فحسب ، بل ايضاً بفرض الضرائب والرسوم الجمركية وفرض نظام التقنين والقيام بنفسها بأشغال ضخمة في البلاد ، كما اتخذت ترتيبات نقدية واستلشت قوانين اجتماعية وازادت الى هذا كله سلسلة من المداخلات الخاصة كمساعدة المشروعات التي تعاني الصعوبات ويتهددها الخطر ، والتشريعات المشجعة او القاضية بتأليف التكتلات والاتفاقات ومن بينها الركون الى التأمين ، وتوجيه الانتاج في بعض المجالات ، وفي البلدان المنتهجة سياسة الاكتفاء الذاتي في كل قطاعات الحياة الاقتصادية .

وهكذا وضعت الدولة كل نفوذها لتأمين تنظيم النشاط الاقتصادي بعد ان ألحقت به وادخلت عليه تشويشاً ، اباحية الاستثمار الحر فكادت تجره الى الفوضى التامة . فقد حاولت جاهدة تحقيق تنظيم الاسعار والتحكم بها وترويضها ، ومعالجة المصاعب التي يلاقيها الانتاج بعد ان تضخم واستشرى واستبطر ، وبأثرة الطلب وتشجيع الإقدام عليه . وقد اضافت الى هذه الذرائع الاقتصادية الطابع ، وسائل اخرى تدخل في صميم السياسة كتحديد النفوذ الثابت لبعض الهيئات الاستثمارية الكبرى (تأمين البنك الاهلي في فرنسا وبعض المصانع الحربية) ، وتأمين بعض الخدمات للمواطنين ، بكلفة ادنى (كالتشريع الخاص بالبضائع الشعبية في الولايات المتحدة الاميركية) ، وادخال الطمأنينة وتوفيرها للجميع ، ومختصر القول انما قدرة الاممة وزيادة طاقتها في حالة حدوث حرب وغير ذلك من التدابير . كذلك اتخذت الدولة نفسها ، في كل مكان تقريباً الاجراءات ضد البطالة ، وتوجيهه ، وضد الشيخوخة والمرض ، وحملت اخيراً محل الجهود الفردي في القطاعات التي لا حول لهذا الجهود ولا طول لتأمين الفعالية المرجوة .

اولى وسائل التسييج حول المنتجين كان التفكيك بفرض رسوم
سياسة الحماية الجمركية
جمركية تحمي السوق الداخلية وتصونها من المزاخمة الاجنبية .
وقد جاء هذا التدبير فوراً في هذه البلدان التي يسيطر عليها جو من تقاليد الحماية ألفتها الجماهير لم يلبث ان فرض نفسه حتى على هؤلاء الذين كانوا مستمسكين ، ولو بشكل متراخ ، بسياسة التجارة الحرة او الباب المفتوح . ومنذ عام ١٩٣٠ ، راحت الولايات المتحدة الاميركية ، اكثر دول الارض اخذاً بسياسة الحماية ، تقوي من وسائل الحماية عندها ، وذلك بفرض التعريف الجديدة المعروفة بتعريف هاولي سموط . وفي السنة ذاتها حذت حذوها كل من فرنسا وكندا وايطاليا واسبانيا ، ولم تلبث ان نسجت على منوالها ايضاً كل من الهند والارجنتين ، والبرازيل والصين ، ولا سيما انكلترا التي بعد ان استكملت تطورها في هذا المجال ، اعلنت سياسة الحماية التجارية الكاملة . فممنذ تشكيل الحكومة الوطنية برئاسة مكدونالد ، هذه الحكومة التي اطلت على انكلترا اثر الانتخابات العامة التي أجرتها عام ١٩٣١ ، اقر مجلس العموم قانون التعريف الجمركية على الاستيراد (غير العادي) . وهو قالون : يتيح لوزير المالية ان يفرض لسته اشهر رسوماً جمركية تبلغ احياناً ١٠٠ ٪ من قيمة البضاعة على الاستيرادات غير العادية

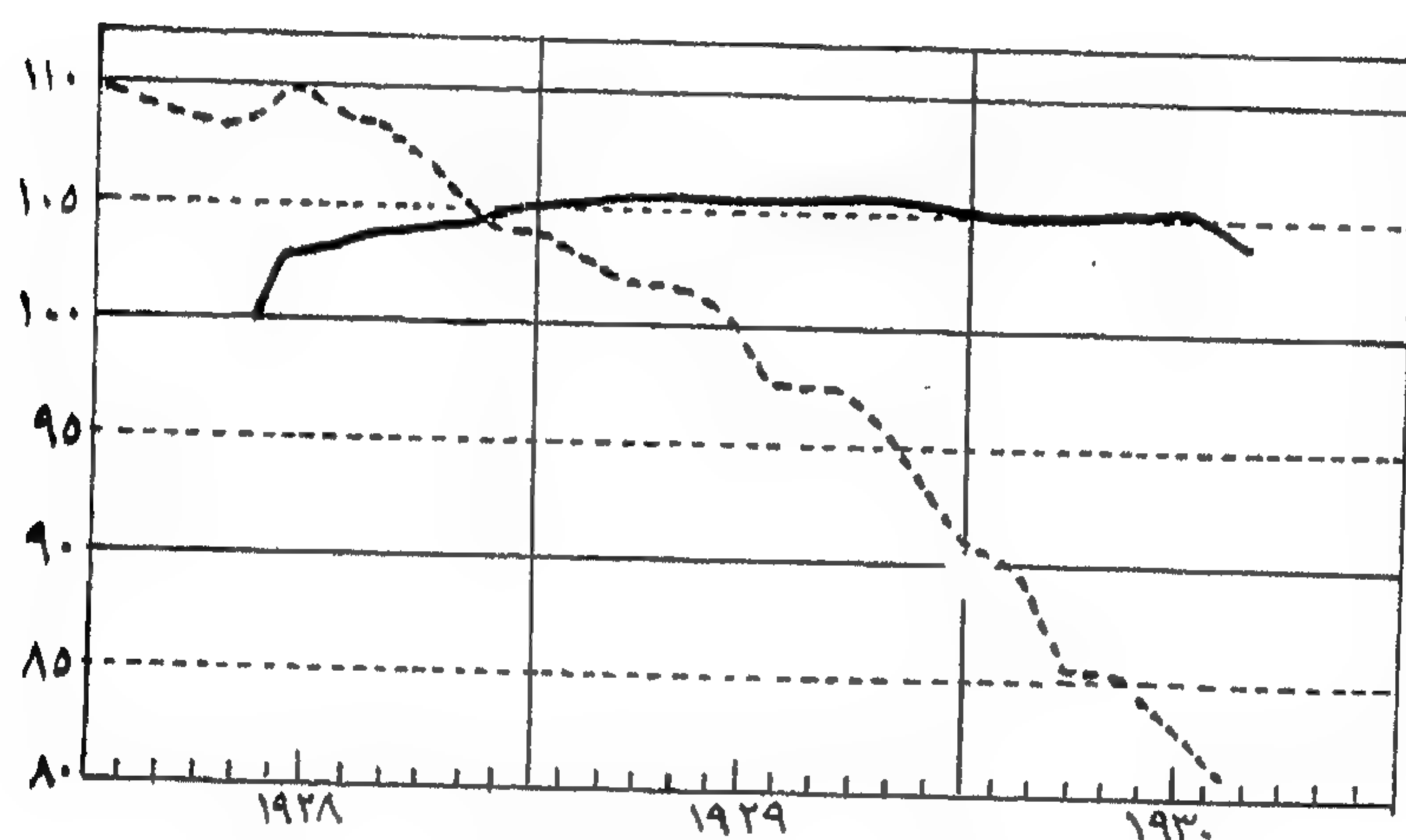
والكاليات) وعلى المصنوعات المشغولة وفي شباط (فبراير) ١٩٣٢ فرض القانون الخاص برسوم الاستيراد ، نظاماً جمركياً متأسكاً كلياً . وهكذا رأت انكلترا نفسها مسلحة لتمتد سلسلة من المعاهدات التجارية ولتؤلف نوعاً من الاتحاد الجمركي ، مع بلدان الدومينيون ، عن طريق اتفاقات اوتوا .

واخذت سياسة الحماية الجمركية تتسع وتشتد في السنوات التالية ، اذ اخذت كل دول العالم تلقى الواحدة منها تلوا الاخرى ، المعاهدات والاتفاقات التي تنص على الدولة الاصحار رعاية كما راحت تشن حرباً جمركية على بعضها البعض اخذت تقسو وتشتد . وهكذا نرى معامل الحماية ترتفع تباعاً في فرنسا من ١٧٤٨ بالمئة عام ١٩٣٢ ، الى ٢٩٤٤ بالمئة عام ١٩٣٥ ، وفي المانيا من ٨٤١ بالمئة عام ١٩٢٩ ، الى ٢٩٤٢ بالمئة عام ١٩٣٧ ، وفي ايطاليا من ١١٤٩ بالمئة الى ١٩٤٤ ، حتى في انكلترا نفسها ارتفع هذا المعامل من ١٩٤٣ بالمئة الى ٢٣٤٣ بالمئة بين التاريخين المذكورين . الا انه كان من نتيجة هبوط الاسعار المتواصل ان عجزت الرسوم الجمركية عن تأمين الدفاع المطلوب ، فعمدت الحكومات ، اذ ذاك ، الى وسائل انجع وافضل للحماية بفرض الحظر على الاستيراد ولا سيما الاعتصام بسياسة تقنين الاستيراد هذه السياسة التي كان من شأنها ان تحدد الكمية المستوردة من هذا الصنف او ذاك . وعلى مثل هذه السياسة سارت فرنسا هلى الاخص منذ عام ١٩٣١ .

سياسة الانكماش المالي الى جانب تدابير الحماية ، اخذت الحكومة بسياسة تعويم المشروعات التي تعاني بعض الصعوبات ، وتأمين هامش للربح عن طريق تخفيض اسعار الكلفة . والوسيلة التقليدية المتبعة هنا هي سياسة الانكماش المالي ، اي التقليل من وسائل الدفع وتخفيض الاجور ، وتضييق عمليات التسليف المصرفي الامر الذي تضطر معه البيوتات الصناعية الى تصفية مخزونها كما تضطر بالنهاية الى تصفية المشروعات الهامشية ، والمحافظة على ميزان المدفوعات عن طريق خفض النفقات العامة وزيادة الضرائب . الا ان سياسة الانكماش المالي تبقى أعجز من ان تؤمن الدعم المالي الذي كان يتم من قبل بصورة اوتوماتيكية ، وذلك بسبب الازمة المتزايدة لرأس المال المحدد في المشروعات وبسبب التكاليف العامة التي لا يمكن ضغطها او عصرها ، ولا سيما الاتفاقيات الصناعية التي باستطاعتها الصمود في وجه هبوط الاسعار . والامر يبدو بوضوح في المانيا حيث تهبط الاسعار غير المتكثلة ٥٥ بالمئة بين ١٩٢٩-١٩٣٣ ، بينما الاسعار التي يفرضها التكتل الاحتكاري تبقى مستقرة ولا تهبط في آخر الامر الا بنسبة ٢١ بالمئة . هذا الانكماش المالي في مثل هذه الاوضاع والحالات ، كان قليل الاثر ، ضعيف الجدوى كما ان تخفيض الاجور جاء متفاوتاً بين فئة واخرى .

اما موازنة الدول فقد كان من الصعب جداً ضغطها وعصرها في الوقت الذي اخذت فيه تؤثر عليها جدياً جباية الرسوم المالية ، وترزح تحت وطأة الاعانات . فمساعدة البطالة وتعويم

الاستثمارات التي يتهدها الخطر ، والتدخل في الاسواق مساعدة للمنتجين بواسطة اعانات توزع بمثابة تشجيع للانتاج او للتقليل منه . وقد امكن للدولة تخفيف الضرائب عن طريق اتفاقات المقاصة او المعاوضة ، وذلك تجنباً ، قدر المستطاع ، لتحويل العملات الصعبة . وقد فرضت في المانيا ، عام ١٩٣٦ ، عقوبات قاسية حتى عقوبة الموت ، على من يحاول تهريب امواله للخارج او يبيعها خارج البلاد . كل هذه التدابير أبقت الاسعار في مستوى أعلى من مستواها في البلدان التي تسير على سياسة الانكماش المالي وتثير الصعوبات والعراقيل في وجه عمليات التصدير . وهكذا راح الدكتور شاخت يحاول اختباراً اعتبره بديلاً لسياسة الانكماش ، منها مثلاً « الماركات المسجلة » او « الماركات السياحية » التي لم تختلف قيمتها في المانيا عن قيمة



شكل هـ - سعر الاحتكار وسعر المنافسة في المانيا بين ١٩٢٨ - ١٩٣٩

المارك العادي بينما كانت تشتري في الخارج بسعر ادنى من السعر العالمي ، ولشاريها الحق بالحصول على شكات محررة بالمارك تقبضها المصارف الالمانية داخل البلاد بسعرها الرسمي . وتكون هذه العملات الاجنبية التي دفعت بالمقابل لها في المصارف الاجنبية ، عملة احتياطية للتبادل تفيد في استهلاك الديون المجددة . وهذه الطريقة الدقيقة للغاية يقتضي لها بالطبع محاسبة معقدة للغاية ، انما كانت تتيح استهلاك الديون تدريجياً ويسهل المشتريات من الخارج دون نقل او انتقال العملات وبدون ان تتعرض العملات الوطنية لقيود القطع وتطوراته ، كما انها ساعدت على التمويل بالخصومات وتأمين عملية التسليح ، وسهلت من جهة اخرى ، تأمين استقرار النقد في الداخل . وهكذا قل عن المارك (Aski) الذي لم يكن يصرف الا في شراء بضائع المانية . اما تمويل الاشغال الكبرى في الداخل ، فقد تأمن اما بسندات على الخزينة او بسحوبات خاصة من قبل متعديين خصوصيين معتمدين لدى الاسواق العامة ، تعتمد الحكومة وتضمنهم . اما في ايطاليا ، ففي

أيار (مايو) ١٩٣٥ ، ألقت الحكومة ادارة خاصة لم تلبث ان اصبحت وكالة وزارية لمكتب القطع والعمل الصعبة . الا ان انشاء مكتب القطع لم يحل قط دون هبوط سعر اللير في تشرين الاول ١٩٣٦ ، ودون التضخم المالي فيما بعد .

والحكومات التي لم تؤسس فيها مكتباً لمراقبة القطع ، لم تكن اقل احترازاً من غيرها واهتماماً بتطورات نقدها . فقد انشأت بريطانيا العظمى مكتباً خاصاً لامور القطع تمكنت معه من توجيه هبوط الجنيه بحيث تبقى له الاسبقية على الدولار في كل معاملات التصدير ، بعد ان اتخذت ، عام ١٩٣١ ، الاجراءات اللازمة لذلك . وفي الولايات المتحدة الاميركية ، انتهجت الحكومة سياسة من التدابير النقدية عرفت معها ان « توجه » الدولار .

عملية انقاذ المشروعات التي تعاني الضيق من بين المهات الكبيرة التي كان على الحكومات المضطلمة بمسؤولياتها مواجهتها ، مهمة لإنقاذ مشروعات الاستثمار الكبرى

التي تعاني الضنك ويهددها الخطر . فقد انشأت الحكومة الاميركية ، منذ عام ١٩٣٢ ، الوكالة المالية للتعمير (R. F. C.) التي عهدت اليها بمهمة تسليف الاعتمادات اللازمة للمصارف واشركات التأمين والتسليف الزراعي . وما كادت تظهر حكومة الديوقراطيين حق راح عدد من الولايات في الاتحاد يعلن تأجيل وفاء الديون على اراضي الولاية ، واغلاق مؤسسات التسليف . وعندما تسلم الرئيس روزفلت مهام الادارة في الرابع من آذار ١٩٣٣ لم يكن في البلاد مصرف واحد فاتح ابوابه . فعمد ، قبل كل شيء ، الى منع تصدير الدولار للخارج . واتخذ قراراً عاماً بتأجيل وفاء الديون ، وعمد الى تنزيل قيمة الدولار ، وانشأ مراقبة على المصارف . وقانون طوارئ المصارف أولى وزير المالية حق تعيين مراقب مالي مؤقت على كل مصرف وطني يعاني بعض الصعوبات ، مع تحويل هذا المراقب الصلاحيات الكاملة لاعادة تنظيمه بشرط موافقة ثلثي المساهمين او موافقة ٧٥٪ من اصحاب الودائع فيه .

واضطرت الحكومة للفرنسية ، من جهتها ، الى تعويم بعض المؤسسات المالية التي تعاني صعوبات كبيرة ، بضمانها سلامة المبالغ المودعة فيها والتي تعود للآلاف من المودعين في مصرف الالزاس والورين والمصرف الاهلي للتسليف . وقد كانت الحكومة ، المسند الاول للشركات العامة عبر الأطلسي ولشركة النقل الجوي . وهذه السياسة التي قامت على تأمين الخسائر انتهجتها ألمانيا هي الاخرى ، بعد ان اضطرت الى ان تضمن الودائع المصرفية . وتجنباً لانهايار عام في النظام المصرفي في البلاد ، اشترت قسماً كبيراً من اسهمها . وفي ايطاليا فتحت وزارة المالية اعتماداً خاصاً للشركة الصناعية المالية الايطالية ، التي بادرت في الحال الى انقاذ مؤسستين للاعمال المصرفية في البلاد ، هما بنك التسليف والبنك التجاري . وفي الوقت ذاته عمدت الحكومة الى تشكيل المعهد الصناعي للتعمير (I. R. I.) الذي حاكى من قريب المعهد الاميركي المعروف (R. F. C.) هووفر والمصرف العقاري الايطالي (I. M. I.) مهمتها اصدار سندات بضمانة الحكومة بقصد تصفية المؤسسات التي يترصدها الخطر ، او لتسليف الاعتمادات الطويلة الاجل

أو قصيرة الاجل للمؤسسات التي تنعم بالعافية . واكبر مثل على بعض الاعمال التي قام بها هذان الممهدان : عملية انقاذ الشركة الكهربائية المائية في مقاطعة (البيامونت S / P) بعد ان هبطت قيمة اسهمها من ٣٦٩ لير في شباط ١٩٢٥ الى ٢١ لير في ٣١ كانون الاول ١٩٣٢ ، ومهد البناء الصناعي اعاد الى اسهمه القيمة الاسمية التي كانت لها عند الاصدار ، وحولها الى شركات اخرى طرحت في التداول اسهمها ضمنى الحكومة فوائدها . وفي بلجيكا اضطرت الحكومة الى مد يد الانقاذ الى مصرف العمل والى مصارف آخر .

استعملت كل حكومة الاموال العامة كما استعملت كل سياسة المساعدات المالية والتوظيف سلطتها الادارية لتقديم مساعدات مالية الهدف منها تشجيع المؤسسات الانتاجية التي تعاني من الصعوبات ، او لدعم الاسواق ، بالخوول دون مزاحمة بعض المنتوجات الاجنبية لها .

وفي سبيل دعم المزارعين وتوفير قوة شرائية لهم شبيهة بالقوة التي كانت لهم أثناء الحرب ، عمد الرئيس روزفلت الى اصدار قانون التنسيب الزراعي المعروف بالحروف الثلاثة (A A A) وبموجب هذا القانون ، انشئ المكتب الزراعي الذي اتخذ اجراءات حازمة ، منها مثلاً تخفيض المساحات الزراعية الخاصة وبعض المحاصيل (التبغ والقطن) وذبح الماشية ، واجبار الولاية على دفع مكافآت تشجيعية للمزارعين برسم تعويضات لهم تقتطع من الصناعات التي تجري عليها اول تحويل (قدفعت مصانع الطحين رسماً معيناً على القمح) . ودفعت في انكلترا مبالغ لمربي الماشية ، ولمنتجي الحليب (بشكل توزيعات بسعر مخفض لاولاد المدارس) ، ولمنتجي الشوفان والشعير . وفي فرنسا ، اشترت الدولة كل الكحول المستخرجة من النبيذ الفائض عن الاستهلاك المحلي ، وخصصت علاوة صيانة للمزارعين الذين يخزنون محاصيلهم من القمح ، ودفعت ، عام ١٩٣٥ ، تعويضات للكراميين الذين اضطروا لاستبدال نصوبهم ، ومكافآت لمصدري الزبدة والمنتوجات الراقنية .

مسلك الحكومة بشأن الاسعار والاجور لم يتسم قهراف الحكومة في مجالات الاسعار والاجور بذات الطابع . ففي الولايات المتحدة الاميركية ، انصرف نشاط الحكومة الى تنقية السوق الداخلية الضخمة قبل ان تهتم بتأمين اسواق جديدة لها في الخارج . ولذا حرصت قبل كل شيء ، على رفع الاجور واسعار المواد الزراعية بحيث تتوفر للمزارعين وللعمال القدرة الشرائية اللازمة ، وبالتالي اتخاذ الوسائل التي تؤمن انتاجية طيبة للمشاريع الاستثمارية . وحاولت فرنسا من جهتها عن طريق الاتفاقات المعروفة باتفاقات ماتنيون ، بعث النشاط في الحركة الاقتصادية بتقوية القدرة الشرائية ، وبحرصها على الايفسد ارتفاع الاسعار الغاية من رفع الاجور والمرتبات . اما في المانيا التي كان يهمها ، قبل كل شيء ، تشجيع حركة التصدير ، فقد حرصت حكومتها ، على تأمين الاستقرار ، للمارك الالماني ،

وبالتالي تأمين الاستقرار للأسعار والأجور . فقد جرى تثبيت الأسعار فيها على معدل سنة ١٩٣٢ ، وراحت الشركة الغذائية تفرض رسوماً عالية على المبيعات وتؤمن حاجة المستهلكين عن طريق الزامهم استلام حاجتهم من المواد الغذائية بأسعار محددة . وحاولت الحكومة الإيطالية ، من جهتها ، تحويل المستهلكين عن استهلاك اللحوم والخضروات والثمار الطازجة والزيت ، أي كل هذه المواد الغذائية التي إما لا تفي بالحاجة أو أنه يتوجب استيرادها من الخارج ، أو أنها تصلح للتصدير ، وتؤمن بالتالي قطعاً قادراً للبلاد . فقد انصرف جل عنايتها في هذا المجال إلى توجيه انظار المستهلكين للسّمك والأجبان والنشويات . وجرى في فرنسا ، عام ١٩٣٧ تحديد أسعار بعض المنتجات الزراعية .

انكى الرزايا واشدها هولاً ووطأة على الاطلاق البطالة . قالى جانب هذا معالجة البطالة الفريق من العمال المحظوظين نسبياً الذين استمروا في عملهم ، هنالك ملايين منهم عاطلون عن العمل كلياً أو جزئياً أو بصورة متقطعة . ولذا نراهم عرضة للهواجس والهموم والبؤس التي تفتابهم ليل نهار . فوسائل الاسعاف التقليدية كالضمان ضد البطالة ، والتأمين الخاص أو العام التي كانوا يعملون عليها عادة في المرحلة الاولى من مراحل الازمة ، لم تلبث ان أصبحت عاجزة عن بعث الطمأنينة في النفوس . ولذا كان لا بد من توزيع تعويضات بصورة منتظمة وفقاً للنظام المعمول به في انكلترا ، هذه التعويضات الحاصلة أساساً من الحسومات المقتطعة من اجور العمال إلى جانب هذه المساعدات المالية التي تدفعها خزانة الدولة مما يوازي تقريباً نصف مرتب العامل أو أجره قبل انقطاعه عن العمل . وبالنظر لوفرة البضائع المكسدة في العنابر ، على اختلاف انواعها التي لم تكن لتفسح استخدام عمال عاطلين عند المباشرة بإنتاج بضائع جديدة ، لا يمكن تصريفها ، فقد لجأت الحكومات إلى اجراءات طالما لجأت إليها من قبل لامتصاص البطالة وتشغيل العاطلين عن العمل ففي كل بلدان العالم ، وفي جميع القارات على السواء ، تفتح ورشات عمل لشق الطرقات وانشاء الاوتوسرادات ، وبناء الخزانات والسدود والمساكن الشعبية وقد بلغ قيمة المبالغ التي صرفتها الدول على هذه الاشغال عام ١٩٣٣ - ١٩٣٤ نحواً من ٦٠ ٪ من مجموع موازنتها . وفي ألمانيا ، عام ١٩٣٧ ، كان ٧٢،٦ ٪ من الانشاءات والمباني على حساب الدولة . وخصصت انكلترا ١١٥ مليون جنيه لبناء مساكن شعبية وتشكلت في الولايات المتحدة الاميركية ، تحت ادارة هاري هوبكنز وكالة خاصة عُرفت باسم وكالة النهوض بالاشغال ، كان من اهم اهدافها ، استخدام العاطلين عن العمل (بمعدل ٣ - ٥ ملايين عامل) وتدفع لهم اجور تأمينية ادنى قليلاً من الاجور المألوفة ، انما كانت تفي لتأمين حياة كريمة . وتبقى مساعدات التأمين وفقاً على اصحاب العاهات والشيخوخ وغير المؤهلين الذين لا يمكن الانتفاع بهم .

وهكذا نرى ان عودة الامور الى مجاريها الطبيعية انما تمت ، في المرحلة الاولى ، بواسطة

مؤسسات الدولة ، كما ان هذه المؤسسات قامت بالمهمة نفسها ولو بصورة مستورة . وفي سبيل
العاطلين الجدد ، انشأت الولايات المتحدة مخيمات عمل (١٥٠٠ مخيم) ضمت بين ١٩٣٣ -
١٩٤٠ نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ عامل استخدموا في تخفيف المستنقعات واعمال توسيع الطرقات
وغير ذلك من الاشغال العامة . وفي المانيا استغرقت الانشاءات العمرانية عدداً كبيراً من
العمال . واخذ هذا العدد بالهبوط والتناقص من ٥٠٥٧٩٠٠٠ عام ١٩٣٣ ، الى ٤٠٧٣٣٠٠٠ عام
١٩٣٣ ، والى ٢٠٦٥٧٠٠٠ عام ١٩٣٦ . وجاءت خطة السنوات الاربع التي وضعت لتطوير
انتاج المعدات الحربية السريع والكثيف تمكن معامل الصناعة الثقيلة التي لم تكن تستغل سوى
٣٠ ٪ من طاقتها الانتاجية ، من ان تمتص البطالة كلياً في البلاد . وسياسة الاكتفاء الذاتي التي فتحت
اسواقاً جديدة للصناعات الكيماوية والميكانيكية ، عملت هي الاخرى في الاتجاه
ذاته . . كذلك انشاء مصلحة العمل الالزامي ، ثم في آخر المطاف العودة الى سياسة الخدمة
العسكرية العاملة سنة ١٩٣٥ .

والصناعة الحربية اتاحت لاطاليا هي الاخرى ، ان تمتص قسماً كبيراً من العاطلين من
العمل . وفرنسا لم تتخذ اجراءات حاسمة بهذا الصدد الا عندما استلمت الجبهة الوطنية الحكم
في البلاد . وكان من نتائج العمل بأسبوع الاربعين ساعة عمل ان انخفض عدد العاطلين من
العمل في البلاد ، وذلك بنسبة ١٣ و ٣ بالمئة بين ١٩٣٦ - ١٩٣٨ ، ولم يخرج الامر عن كونه ،
في الواقع ، سوى تدبير يخفف ، وليس امتصاصاً كاملاً اذ ان البطالة الجزئية بقيت قائمة في
البلاد ، وقد كان هنا تأثيره الظاهر للقانون الذي فرض الخدمة العسكرية ، وبذلك ازداد
الجيش ١٠٠٠٠٠٠ جندي ، كما ان استخدام ادارة السكة الحديدية لـ ٨٠٠٠٠٠ عامل اضافي
وتقوية الصناعات الحربية خففت كثيراً من وطأة البطالة . وهكذا ان هجز الاشغال العامة ،
بعد سنة ١٩٣٤ عن استئصال البطالة في البلاد ، وتطور العلاقات الدولية ، كل هذه العوامل
وجهت الدول الكبرى وجهة الصناعات الحربية التي جاءت تكمل الدور الذي لعبته الاشغال
العامة وتحمل محلها . ومنذ عام ١٩٣٦ ، اخذت الاعتمادات المرسدة في موازنات هذه الدول
تفوق بكثير الاعتمادات الاخرى . وهذه الصناعات كانت بالفعل وراء عودة النشاط الصناعي ،
عام ١٩٣٤ والتي حالت دون وقوع نكسة اقتصادية عام ١٩٣٨ . وبالمثل ، فالبلدان التي على
غرار المانيا انفقت كثيراً على تسليحها ، شهدت في هذا الوقت بالذات زيادة ملحوظة في
نشاطها ، بينما الولايات المتحدة والدول الاخرى التي اتجه اقتصادها وجهة السلام عرفت
نكسة محسوسة .

وتدخلت الحكومات ايضاً لتنظيم الانتاج والمبادلات التجارية . فقد انشأت
تنظيم الاقتصاد
حكومة الولايات المتحدة ، في هذا المجال ، مراقبة لم تراشد منها في كل
الدول الحرة ، فالتحذت عدداً من الاجراءات لتحديد معها الاصول والقواعد الخاصة بتأليف رأس
المال ، وتعيين المحافظين والمديرين ومراقبة اعمال المصارف التجارية . فالمصارف التي تزيد فيها

قيمة الودائع على مليون دولار ، رأت نفسها مضطرة للتأمين عليها في حلقة المصارف الاتحادية للاحتياطي . وللمصارف المنتسبة للاتحاد وحدها حق بالاسهم . وأخضع اصدار اسهم جديدة لقوانين بغية الحؤول دون تصريف السندات المشبوهة او المزورة او تلك التي لا رصيد فعلي لها .

وحاولت الحكومة في فرنسا ، منذ عام ١٩٣٦ ، الحؤول دون تخفيض سعر الخمر وذلك بمحصر قسم من المحصول في المزرعة . واتخذ التدبير نفسه عام ١٩٣٤ لمحصول القمح . وحظر القانون من زيادة زراعة الكرمة اكثر من ١٠ هكتارات ، كما حظر ري الكرمة وسقيتها ، وبيع تقاوى قمح ذات مردود طيب ، وفرض تغيير طبيعة الفائض من هذا المحصول وحظر من انشاء معامل جديدة للسكر . وانشىء عام ١٩٣٦ مكتب القمح الذي اخذ ينظم مبيعات هذا الصنف ويحدد من اسعاره . وتدخلت الحكومة في سويسرا في صناعة الساعات والصناعة الفندقية والتطريز . واصبحت الزراعة في انكلترا اكثر المجالات تنظيماً وتقييداً مع القوانين التي صدرت عام ١٩٣٣ ، وهي قوانين حددت السعر الأدنى للحليب والكمية التي يمكن التصرف بها ، كما حددت المساحة التي يمكن زرعها بطاطا . وتدخلت الدولة لتنظيم الصناعات الفحمية والقطنية ، والصلب والورش البحرية . وفي البرازيل ، امرت الحكومة الاتحادية بحرق ٢٦ مليون شوال من البن الذي لم يمكن تصريفه او بيعه .

ففي المجال الصناعي في الولايات المتحدة الاميركية ، شكل قانون النموذج بالصناعة الوطنية (*N R A*) الصادر في ١٦ حزيران ١٩٣٣ ، والقوانين الاخرى التي تنظم المنافسة الشريفة ، والتي رمت الى مكافحة البطالة ، احدى المراحل الاقصر والاقرب الى الكمال لتجربة الاقتصاد الموجه التي عرفها العالم ، اذ ذاك . . فقد فرضوا اتفاقات ضمن كل حرفة او مهنة ، كما سمحوا بقيام اتفاقات بين مهنة واخرى فعالت القوانين المحرمة للتكتلات التجارية دون القيام بمثلها حتى الآن . . وفي ايطاليا راحت مكاتب الاحتكارات بمراقبة دقيقة حول عدد من الصناعات ذات المنفعة العامة . وقد صدرت ، عام ١٩٣٢ ، قوانين ايطالية واخرى المانية عام ١٩٣٣ ، جعلت التكتلات التجارية إلزامية في كلا البلدين . وفي فرنسا حيث كان قانون العقوبات المدني مضاداً للتكتلات الاحتكارية ، فقد فرضت المراسم الاشتراعية ، التي صدرت عام ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ، قيام تكتلات مهنية ، بين مصائد الاسماك والمطاحن وتجارة الخردوات ، وسكة الحديد والطرق ، او بين الخطوط الحديدية ، والترع المائية . كذلك حظرت الدول ، لمدة عشر سنوات ، إنشاء مصانع احذية جديدة ، وتوسيع الانشاءات القائمة فيها كما حظرت عام ١٩٣٦ ، انشاء مخازن جديدة موحدة الاسعار ، والاسواق النقلة على الشاحنات عام ١٩٣٧ .

وعلى هذا فليس ايضاً الاتفاقات الدولية . فقد سعت الحكومات المعنية جهدها لانجاح مثل هذه الاتفاقات التي تنظم انتاج المطاط ، عام ١٩٣٤ ، والسكر ، مع الخطة المعروفة بخطة

سادبورن للتثبيت الموضوعة عام ١٩٣١ ، والاتفاقات الخاصة بالخشب المنشور، عام ١٩٣٦ ، والاتفاق الآخر الخاص بالتصدير ، عام ١٩٣١ ، الذي استطاع ان يخفض عام ١٩٣٣ ، انتاج هذا الصنف الى ثلث انتاجه عام ١٩٢٩ . وهكذا طلع علينا بين ١٩٢٩ - ١٩٣٢ ، إثنان وخمسون اتفاقاً دولياً ، معظمها اتفاقات اقليمية عقدت بين دول الاتفاق الصغير . من ذلك مثلاً اتفاق اوتوا بين انكلترا ودول الدومنيون . . وبينها هذه الاتفاقات الثنائية العديدة التي عقدتها ألمانيا . وفي عام ١٩٣٦ ، عقدت الدول السكندينية مع بلجيكا وهولندا ولو كسمبورغ ، هدنة جبر صناعية في مدينة اسلو .

وهكذا نرى الدول تتزع الى تشكيل تكتلات اقتصادية ، فأطلت علينا في المجالين الوطني والدولي صورة مسعفة للتخطيط الاقتصادي لا تزال بعد غائمة في الاذهان وغير مكتملة القسبات حق في هذه الدولة بالذات التي عرفت بتمسكها بسياسة حرية التبادل التجاري كالولايات المتحدة الاميركية . فالاقتصاد ولا سيما الريفي منه خضع للتخطيط الى حد بعيد . فكيف الامر بتلك البلدان التي لم تكن وسخت فيها بعد اصول هذه السياسة واعرافها . فلا عجب والحالة هذه ان يأتي عمل الحكومة فيها الحق توجيهها واوسع مراقبة .

ونشط القطاع العام للعمل بنسبة ما اصاب به القطاع الخاص من تطور القطاع العام عجز وقعود . فشمرت الحكومات عن سواعدها وقولت بنفسها القيام بالاعمال والنهوض بالمسؤوليات التي لم يسبق لها ان تمرست بها من قبل . وهكذا برزت للعيان مشروعات حكومية جديدة وشركات اقتصادية مشتركة بينها وبين الشركات الخاصة . فقد خصت الحكومة الفيدرالية جانباً كبيراً من نشاطها للقطاع العام ليس بشراؤها اسهماً ممتازة في بعض المصارف فحسب ، بل ايضاً بإنشائها عدداً من المؤسسات الحكومية التي لم يكن لها من وجود ، من قبل للتسليف العام ، في هذه القطاعات بالذات التي املتتها المصارف من قبل . فقد وسّعت من نطاق تصرف المصرف الفدرالي في المجال الزراعي ومصارف التسليف لأجل قصير واوجدت مصارف التسليف العقاري في الداخل لتمويل المساكن الشعبية وانشائها وشركة الرهونات الفدرالية الزراعية لتسهيل معاملات التسليف مع الرهن ، ومصرف التصدير والاستيراد لتمويل اعمال التجارة الخارجية . ولعل امثل صورة لهذا النشاط في القطاع الخاص تبرز في مشروع استثمار وادي تنسي الذي كان مشروعاً عظيماً تقوم به الدولة لتطوير منطقة أهمل شأنها الى ذلك الحين . وقد أدى ترويض النهر وكبح جماحه الى جعله صالحاً للملاحة وتوفير القوى الكهربائية والمياه اللازمة للري بفضل سلسلة من السدود الضخمة .

وملأت الدولة في فرنسا الفراغ والمعجز الذي وقعت فيه رؤوس الاموال ، وذلك بالاشتراك مع رجال المال واصحاب السروات الخاصة لانشاء شركات اقتصادية مشتركة . وبفضل مساعدتها المالية هذه التي جاءت مباشرة او مدارة ، طلعت في البلاد شركات احتكارية منفصلة ، منها مثلاً الشركة الوطنية للرون (١٩٣٣) وشركة SNCF التي أنشئت عام ١٩٣٧ برأس

مال بلغت حصة الدولة منه ٥١ بالمئة ، وشركة الرين للقوى المحركة ، وشركة البترول الفرنسية . و أبرمت الدولة اتفاقات مع منتجين في القطاع الخاص محتفظة لهم ببعض الارباح على المبيعات (٣٢ بالمئة) كالكتب الوطني للزوت . واصبحت الدولة في عداد الصناعيين عندما املت بعض الصناعات الحربية (١٩٣٦) . وتبدو مساهمة القطاع العام بشكل ابرز ايضاً في مجال التسليف ، وتتميز بزيادة حجم التسليف القومي الزراعي ، والمصرف الوطني للتجارة الخارجية للتسليف البحري . وانشأت عام ١٩٣٦ الصندوق الوطني للاسواق الذي اخذ على نفسه تأمين تسهيلات مصرفية لاصحاب الاسواق العامة ، ومصلحة الحوالات البريدية التي بلغت قيمة الودائع التي نقلتها ٤٣٥ ملياراً واصبح بالتالي مصرفاً عملاقاً للتحويلات المالية ، ومصرف التسليف الوطني وهو مصرف حقيقي متخصص في التسليف المتوسط والطويل الأجل في التجارة والصناعة ، وصندوق الودائع والامانات الذي اصبح تحت تصرفه عام ١٩٣٨ ، اكثر من ١٠٠ مليار فرنك ، فكان معاً شركة تأمين ومصرفاً وشركة رسملة الفوائد . وقامت في انكلترا شركات مختلطة ساهمت الدولة في تأسيسها ، منها مثلاً شركة المواصلات والنقل البريطانية عام ١٩٣٣ ، وشركة الاذاعة البريطانية عام ١٩٣٧ .

اما في البلدان ذات الانظمة الدكتاتورية او الجماعية حيث يشتد عمل الدولة ويقسو بعنف ليرتدي شكل مراقبة دقيقة للاقتصاد الوطني ، فالارتباط الوثيق بين الحكومة ورجال المال ، حال دون بروز اي شأن للقطاع العام . ففي المانيا مثلاً تؤلف مشروعات الدولة اصلاً ٩٣ بالمئة من الخدمات العامة (P. T. T.) ومن الخطوط الحديدية ، وتوزيع المياه والغاز والكهرباء . وبما هو ادهى من ذلك بكثير هو ان المؤسسات الاكثر مردوداً وعطاء فقد أعيدت الى القطاع الخاص عام ١٩٣٦ - ١٩٣٧ . والدولة التي كانت عام ١٩٣٣ ، المساهم الاكبر في المصارف الكبرى ، عمدت عام ١٩٣٧ ، الى تصفية مساهمتها في هذا القطاع ولم تبق بين يديها وتحت سيطرتها مباشرة ، سوى الشركات الاستخراجية كشركة هيرنيا التي كانت ملكاً للدولة في سنة ١٩١٤ ، وشركة هرمان غورنغ التي كانت تضم شركات استخراجية وصناعية اعتبرت إذ ذاك قليلة الربح (مناجم حديد فقيرة) وشركة $V I A G$ التي تمثل مساهمة الرايخ في عدد من الشركات الخاصة ، ومصانع توليد الكهرباء . ومصانع الألومنيوم ومعامل الصناعات الميكانيكية .

ادت القومية الاقتصادية الى سياسة الاكتفاء الذاتي بهذه الدول
سياسة الاكتفاء الذاتي
التي تفتقر الى احتياطي الذهب في صناديقها ، وكانت عاجزة عن القيام بالتزاماتها المالية لدفع الديون المترتبة عليها (ديون مجمدة) ، كما كانت عاجزة عن الحصول على قروض جديدة في وقت حرمتها سياسة الحماية الجمركية المتشددة التي جردتها من كل وسائل الوفاء الممكنة . وهكذا نزعمت كل من دول المانيا وايطاليا واليابان الى تشكيل وحدات منها منعزلة عن باقي اجزاء العالم ، محاولة ان تؤلف من ذاتها مراكز اقتصادية ، تتضارب

اساليبها بصورة جذرية مع مبادئ الرأسمالية التقليدية ، لا سيما مع حرية التجارة القائمة على أساس الذهب .

ولما كانت هذه الدول أعجز من ان تدفع ثمن المواد والخطامات المستوردة بالعملات النادرة ، فقد حاولت جاهدة ان تستغني عنها وذلك بتشجيعها الانتاج الوطني في بلادها او بمبادلة هذه المواد المستوردة بالبضائع التي تُصنع عندها . . وقد كان لندرة العملة الصعبة ، والخوف من فكرة الحصار البحري التي لا تزال ذكرياته المريرة عالقة في الازهان ، ان حل كلا من المانيا وايطاليا على اتخاذ اجراءات تفسد كل عملية استيراد للواد الغذائية والخطامات من منشأ زراعي . والتنظيم الذي خضعت له الزراعة في المانيا شجع على تأمين مواسم طيبة من الحرطل (بديلا عن القمح المستورد) ، وغيوط الغزل من انتاج البلاد كالقنب والكتان ، والسكر وتحسين عروق الماشية ، واستمرت في ايطاليا محتمدة فاشطة ، المعركة في سبيل القمح التي ابتدأت عام ١٩٢٥ . فقد وضعت رسوم جمركية عالية على الاستيراد وزيدت كثيرا مساحة الأراضي المستصلحة للزراعة ، لا سيما في الجنوب وفي الجزر الايطالية ، مما أدى الى اعتماد سياسة غلاء الحن (ضعفي سعره العالمي) ونجحت سياستها في هذا المجال الى حد بعيد . كذلك اخذت في تشجيع الزراعات نصف الاستوائية كالقطن وما شاكل .

وفي المجال الصناعي نشط كثيرا استثمار الموارد الطبيعية التي كانت مهمة للآن لما هي عليه من فقر (مناجم الحديد) ، او تلك التي تستثمر بشكل مرض (النحاس) وتضاعفت الجهود لتنشيط استثمار مناجم الرصاص والتعدي عن البترول او البحث عن بديل له كالوقود المستخرج من الفحم الحجري ، والمطاط الصناعي (بوتا) والجلد الصناعي والمنسوجات الاصطناعية (كالحرير الصناعي واللاينيتال) ، ومواد التشعيم . وهذه الصناعات الجديدة التي امدت البلاد بخامات وطنية ، تنعم بتدويل الدولة لها ، بالرغم من التكاليف العالية التي تتطلبها ، وكثيرا ما تكون من جنس ادنى بكثير من المواد الطبيعية .

كذلك اخذوا بتنظيم مكافحة التلف والبذرة في المعادن المستوردة من الخارج . فقد فرضوا ان يستبدل النحاس بالالومينيوم في الاسلاك الكهربائية كما فرضوا جمع الحدائد العتيقة والنفايات على اختلافها التي يمكن صهرها وصبها من جديد والاستفادة منها بشكل من الاشكال ، والقصدير والكروم والنحاس .

كذلك خضعت التجارة الخارجية لتنظيمات دقيقة إذ كانت المعول الاول لد البلاد بالخطامات التي لا بد لها منها في أمور التسليح وفي إنتاج مواد صناعية في تصديرها تأمين للعمليات الصعبة ،

التجارة الخارجية في البلدان
المعتمدة سياسة الاكتفاء الذاتي

فقد اخضعت هذه التجارة لاجراءات خاصة من التقنين وإجازات مسبقة للاستيراد والتصدير ، ولاحكام مختلفة أدت الى انشاء عمليات من نماذج مختلفة والتفنن في وسائل توفير أسباب النقد اتينا على ذكرها ، وبفضل هذه التدابير أمكن الوصول الى سياسة من الاغراق التجاري محكمت

من تصدير منشوجات شعبية بيعت في الخارج بأدنى من اسعارها في الداخل تحت ستار مصنوعات جاهزة . وهكذا اتاحت اتفاقات تبادل ومقايضة عقدتها الحكومة الالمانية ان تؤمن لها عن طريق مبادلة البضائع المصنوعة ، ما تحتاج اليه من الحاصل والحبوب والتبغ والفساكية ولحم الخنزير التي لم يكن بالامكان تصريفها في البلاد المنتجة لها ، كبلغاريا واليونان وهنغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا وتركيا . وأولى التحكم بالتجارة الخارجية الحكومة الالمانية موقفاً قوياً في كل مفاوضات تقوم بها في المجال التجاري إذ مكنتها من ان تشتري بالجملة كل ما يُعرض للبيع من هذا الصنف او ذاك . فلم نر قط في النظام الرأسمالي الحرّ بلداً يتمتع بمثل هذا الموقف المتين المطمئن الذي وقفته المانيا تجاه دول صغرى ، تعاني على درجات مختلفة ، من وضع اقتصادي مهلهل . وهكذا أصبحت المانيا المتعهد الاكبر والزبون الاهم لهذه البلاد . فبين ١٩٣٤ - ١٩٣٨ ، ارتفعت صادرات ألمانيا الى بلغاريا من ٢٢ الى ٥٨ ٪ ، وإلى اليونان من ١٩ الى ٣٢ ٪ . وإلى يوغوسلافيا من ١٦ الى ٥٠ ٪ ، وإلى تركيا من ١٥ الى ٥٢ ٪ ، وإلى هنغاريا من ٢٠ الى ٤٨ ٪ . كما ان حركية الاستيراد في المانيا ارتفعت ، في هذه الفترة من ٣٠ الى ٦٣,٥ ٪ من بلغاريا ، ومن ٨,٥ الى ٥٠ ٪ من يوغوسلافيا ، ومن ١٣ الى ٤٧,٥ ٪ من تركيا ، ومن ٢٢ الى ٥٠ ٪ من هنغاريا . . . وهكذا نرى كيف ان كل هذه البلدان التي وجدت السوق التي هي بحاجة اليها لتصريف انتاجها ، وقعت بحكم الضرورة في تابعة شديدة الرايخ الثالث وأصبحت مدى حيوية ومنطقة نفوذ له . وقبل الحرب بكثير ، كانت هذه البلدان قد أصبحت من تابعه الاقتصادية .

والطريقة ذاتها اتبعت مع اميركا اللاتينية : اتفاقات مقايضة والمارك أسكي يفضي الى النتائج ذاتها . فبين ١٩٣٢ - ١٩٣٧ ، زادت الصادرات الالمانية الى بلدان اميركا اللاتينية اربعة أضعافها ، وأصبحت المانيا بعد سنة ١٩٣٦ اول متعهد للبرازيل ولاشيلي والثاني في البيرو وبوليفيا وفنزويلا والمكسيك وغواتيمالا .

وسارت كل من ايطاليا واليابان على الحطة ذاتها ولا سيما ايطاليا بعد عام ١٩٣٥ ، بعد ان شعرت بوطأة العقوبات التي اتخذت ضدها بعد ضمها للحدشة ، وبعد ان تبينت ما هي عليه اوضاعها الاقتصادية والنقدية من وهن وضعف . فقد تألف فيها إذ ذاك ، عشر هيئات تقاسمت فيما بينها التكتلات الصناعية المختلفة ، وعلمية تقنين الاستيراد ، كما أرغم المصدرون على التخلي عن ديونهم في الخارج لمعهد القطع الوطني . وقامت مراقبة شديدة على القطع . واقتصرت مساعدة الحكومة على رجال الصناعة ، بعد أن اطمأنت للخطط والتصميمات التي وضعوها ، ولقيت استحساناً عندها . فحظرت الدولة الاستثمارات في بعض المجالات والقطاعات ، وأصبح الاقتصاد الوطني بالفعل اقتصاد حرب وكانت الدولة زبوناً الاكبر ورب العمل الاكبر ، إذ أن معظم الصناعات تعمل من قريب أو بعيد لحسابها .

وعقدت اليابان من جهتها ، عقوداً واتفاقات . مماثلة . فقد تعهدت تجاه العراق بشراء كمية

محترمة من انتاجه الوطني تساوي ٢٥ ٪ من قيمة صادراتها اليه ، كما تعهدت بشراء كل محصوله من القطن . ونص الاتفاق الذي عقده مع الهند على ان تبيعها ٣٢٥ مليون ياردة من المنسوجات القطنية مقابل كل مليون طن من القطن الخام تشتريه منها . وحاولت في الوقت ذاته ان تنشئ لها امبراطورية تؤمن لها الاكتفاء الذاتي ، تألفت من منشوريا والصين التي أخذت تنظم احتلالها تدريجياً منذ عام ١٩٣٧ .

كان من جراء النتائج التقنية لهذه الاجراءات المالية موجبات تركيز الاستثمارات وتجميعها سياسة الاكتفاء الذاتي ، ان شجعت الضائقة المالية على تركيز الاستثمارات وحشدتها وعلى انماء قوة التكتلات الاحتكارية . وخسرت الرأسمالية من حدة طابعها التنافسي لتصبح أكثر فأكثر احتكارية . فقد تألف في انكلترا مثلاً كتلة الحديد البريطاني وكتلة الفولاذ البويطاني ، وأصبح تحت اشرافها أكثر من ٢٠٠٠ مصنع وشركة فرعية وذلك بعد ان عقدت عام ١٩٣٥ ، اتفاقها المهود من الكتلة الدولية للفولاذ . « ثبتت » أي احتفظت لنفسها كل السوق الداخلية ، وحددت الاسعار وعينت حصص الانتاج ونسبها ، وراقبت مشروعات التوسع التي تضعها شركاتها في المستقبل . وهكذا بطلت كل منافسة لها وانعدمت ، وتم لشريكاتها الثمان عشر التحكم بثلاثي انتاج بريطانيا من الفولاذ . وفي الوقت ذاته ، طلعت علينا التكتلات الاحتكارية للمصنوعات الكيماوية بظهور شركة الصناعة الكيماوية الامبراطورية ، والاونيلفر والكورنوليس والشركة الامبراطورية للتبغ وشركة مصانع سيمنت بورتلا ودنلوب « والست الكبار » التي راحت تنتج ٩٠ بالمئة من مجموع السيارات الخاصة و ٨٠ بالمئة من وسائل النقل التجاري .

كان عدد المؤسسات الصناعية في ايطاليا ، عام ١٩٣٧ ، اقل بـ ٥٠٠٠ عما كان عليه عددها عام ١٩٣٤ ، يعمل فيها ٥٠٠،٠٠٠ عامل اكثر مما في السابق . فالمشروعات الصناعية التي تعد اقل من ١٠ عمال والتي كانت تمثل ٧٥ بالمئة من هذا المجموع ، لم تعد تمثل اذ ذاك ، سوى ١٠ بالمئة لا غير من مجموع الانتاج في البلاد ، كما لم تعد تمثل سوى ١١ بالمئة من مجموع العمال . فعملية تركيز المصانع سارت جنباً الى جنب وعملية تركيز رؤوس الاموال . ففي عام ١٩٣٦ ، كان اقل من ١ بالمئة من الشركات الايطالية المغفلة يؤلف ٥٠ بالمئة من مجموع رأس المال والاسهم ، وأكثر من ٨٠ بالمئة من هذه الشركات لم يكن ليشكل سوى ٨ بالمئة من مجموع رأس مالها . ودليل الشركات المغفلة يشير بوضوح الى ان ١٢٨ من الشركات الكبرى تملك نصف مجموع رأس المال التابع لهذا النوع من الشركات .

وفي اليابان ، كانت ٦٥ بالمئة من الشركات اليابانية ، عام ١٩٢٩ ، تعود ملكيتها لـ ٧٠٠ شركة ينتمي معظمها لاتحادات تجارية كبرى ، وقد كانت تمثل ١٥ بالمئة من مجموع الشركات اليابانية . اما في اواخر عام ١٩٣٩ ، فقد كان ١٤ اتحاداً تجارياً كبيراً يهيمن على ٦٣ بالمئة من رأس المال المدفوع لهذه الشركات ، و ٧٥ بالمئة من مجموع الودائع المصرفية . وفي هذا التاريخ

بالذات، كانت ١١٢ شركة تحت الاتحاد متسوي، عدا عن ٧٠ شركة أخرى تقع تحت إشرافه غير المباشر. وكان اتحاد متسوي يملك ٩٠ بالمئة من النفط الطبيعي، و ٩٢ بالمئة من مجموع الحديد، و ٧٠ بالمئة من الرصاص، و ٧٥ بالمئة من الكبريت، و ٣٠ بالمئة من الأسلحة، و ١٠٠ بالمئة من الحمض الاستيكي، و ٦٥ بالمئة من البترول، و ١٠٠ بالمئة من السلوليد، و ٩٠ بالمئة من الورق، و ٤٠ بالمئة من الصوف الصناعي، و ٥٠ بالمئة من الجمعة والسكر، كما كان يراقب ٤٠ بالمئة من تجارة البلاد الخارجية. أما تروست متسوبيشي، فقد امتد إشرافه إلى أربعة قطاعات رئيسية ودور الصناعة البحرية وصناعة الزجاجيات والقصدير والكحول، كما أن حصته من الإنتاج في ٢٤ قطاعاً آخر كانت تتراوح بين ٢٠-٥٠ بالمئة من المجموع. وبعد عام ١٩٣٣، رسمت حركة التركيز الصناعي هذه خطأ لم يسبق إليه في أي بلد من بلدان العالم، سوى في القطاع الزراعي، حيث هبط عدد المنتجين للحبيرة من ٧٦٧٦، عام ١٩٢٥ إلى ٥٣٢٤ عام ١٩٣٦، مع زيادة في الإنتاج تزيد قليلاً عن الإنتاج الصناعي. والاتحاد تجار الأسمدة الكيماوية الذي أنشئ عام ١٩٣٢، أخرج من السوق التجارية ٥٠٠ بائع بالفرق، كما غابت عن الأنظار بضع مصارف (فلم يبق منها عام ١٩٣٩، سوى ٣٣٩ مصرفاً مقابلاً ٢١٦٠، في عام ١٩١٢.

وفي ألمانيا، حيث كانت حركة التركيز سجلت دوراً عظيماً من التطور قبل عام ١٩١٤، فقد شاهدنا ظهور الاتحادات التجارية كبرى بحيث بلغ عددها ٣٠٠٠ اتحاد عام ١٩٢٩، ضمت شركات من جميع الألوان والنشاطات. وتكاثر في الوقت ذاته، عدد المصارف. وفي سنة ١٩٢٤، انضم مصرف دارمستادت والمصرف الوطني بحيث ألفا معاً مصرف دانات. وفي سنة ١٩٢٩، انضم البنك الألماني إلى مصرف دسكونتو. والقانون الذي صدر عام ١٩٣٣، بشأن ضرورة التكتلات التجارية عجل كثيراً في عملية التركيز هذه، وزادها نشاطاً وقوى نفوذ الـ (Konzerns) في قلب هذه التكتلات. وقد تناقص عدد المؤسسات التجارية بين ١٩٣٢-١٩٣٧ نحواً من ٣١٥٩٨ وحدة أي ٩ بالمئة، في وقت ازدادت فيه بشكل ملحوظ الاستثمارات وعدد العمال الذين ادخلوا إلى العمل. وفي سنة ١٩٣٩ كانت ١٩٥ شركة تجارية، أي ٣،٦ بالمئة من مجموع الشركات، تملك ٥٨ بالمئة من مجموع رأس المال والأسهم. وكانت الصناعة الكيماوية في البلاد، عام ١٩٣٨، تعد ٢٥٨ شركة بلغ رأسمالها الموزع اسهماً ١٩٢٤ مليون مارك، مقابل ٤٦٤ شركة عام ١٩٣٢ بذات رأس المال. وشركة سيمنس التي تهيمن على الصناعة الكهربائية توسع نشاطاتها بحيث تضم الكبلات (الأسلاك) والغراموفونات والصناعات الحربية، كما هيمنت شركة بونا على الصيدلة والأدوات المنزلية، واحتكرت شركة باتمان صناعة أجهزة تصفيح المعادن وصناعة الدراجات واستخراج الفحم الحجري. والصناعة السينمائية آلت إلى يد شركتين كبيرتين هما U.F.A. وتوبيس وشركة إ. ج فارس الصناعية التي كانت تستخدم عام ١٩٣٩ نحواً من ٢٥ بالمئة من مجموع الشغيلة العاملين في الصناعة الكيماوية

الالمانية ، كانت تملك ٣٣ بالمئة من الرأسمال الاسمي الموظف في هذه الصناعة بقطع النظر عن فروعها الاخرى القائمة في سويسرا والسويد ، والعقود التي أبرمتها مع الشركات الاجنبية ، كشركة ستاندارد اويل في نيوجرسي وغيرها .

والشواهد على سياسة التركيز الصناعي في الولايات المتحدة الاميركية اكثر من ان تحصى بعد ان خضعت هذه الشركات للانصهار والتقوية من قبل اتحاد ارباب العمل بعد ان رأت تشجيعاً من القوانين المرعية . ففي مجال صناعة السيارات وشركات الانتاجية الكبرى : فورد والجنرال موتورز والكريسار التي كانت تنتج ، عام ١٩٢٠ نحواً من ٧١ بالمئة و ٨٣ بالمئة من مجموع الانتاج ، عام ١٩٣٠ ، ارتفع انتاجها عام ١٩٣٨ ، الى ٩٠٪ . أما الشركات الكبرى لانتاج الفولاذ ، فقد ارتفع انتاجها ، عام ١٩١٩ من ٥٥ بالمئة الى ٦٤ بالمئة من مجموع الانتاج العام ١٩٣٩ . وفي قطاع تجارة المواد الغذائية ، كانت خمس شركات كبرى ، مع فروعها المختلفة تملك ٧٪ من حركة الأعمال ، عام ١٩٢٢ ، فارتفعت حصتها عام ١٩٣٩ الى ٢٤ بالمئة ، كما ان اربع شركات اخرى كانت تصنع ٧٧ بالمئة من اطارات السيارات . ونفس هذا العدد من الشركات كان يعطي ٧٣ بالمئة من انتاج و ٩١ بالمئة من انتاج الآلات السكّانية ، و ٧٥ بالمئة من الاصواف ، الخ . ومن بين الـ ٥٠٠,٠٠٠ شركة موجودة في اميركا عام ١٩٢٩ ، كانت ١٠ بالمئة منها يحقق ٥٠ بالمئة من مجموع الارباح الصافية ، كما ان اقل من ٤ بالمئة من الشركات الصناعية كانت تحقق ٨٤ بالمئة من مجموع الارباح العامة . وفي الصناعة ، كان ١ بالمئة من هذه المؤسسات يشغل ٥٠٠ عامل فاكسر ويستأثر وحده بـ ٤٨ بالمئة من مجموع اليد العاملة في الصناعة . وفي نظر ستوب لم تكن بضع مئات بل بالأحرى بضع عشرات من هذه الشركات الكبرى او شركات المراقبة ، . كانت تملك القسم الأكبر من ثروة الشركات المختلفة .

وفي بلد انفتحت آفاقه على الصناعة من عهد قريب ، كالارجنتين مثلاً نرى التركيز الصناعي يجري فيه على نطاق واسع . ففي عام ١٩٣٩ ، كان نصف اليد العاملة في الصناعة تقريباً يعمل في ١٠٨ بالمئة من هذه الشركات . ومنذ عام ١٩٣٥ ، كانت ٤٣ بالمئة من هذه الشركات يستخدم ٦٥,٥ بالمئة من العمال . وفي حقل الكهرباء ، كان ٦٦ بالمئة من العمال يعملون في ٢٧ بالمئة من الشركات المعنية بهذه الصناعة .

وفي فرنسا حيث عدد الشركات الصغير لا يزال هو الذي يطبع النشاط الصناعي في البلاد ، فقد نشطت النزعة نحو التركيز الصناعي ، إلا ان الأزمة اتاحت بكلها على هذه المؤسسات التي كان لها بعض الشأن ، اكثر من الصغير بحيث ان تيسار التركيز بقي ضعيفاً اذا ما قارناه بما يجري في البلدان الأخرى ذات الاقتصاد المتطور . وبالمقابل فسياسة الاتفاقات التي لم تنشط كثيراً في قطاع المنسوجات القطنية ، اوفشت

تماماً في صناعة الحرير ، سجلت نتائج ملحوظة جداً في حقل المصنوعات الحديدية التي بذلت جهداً طيباً في تحسين عتادها واجهزتها التقنية . ففي سنة ١٩٣٢ ، جدد وكالة صناعة الحديد في فرنسا ، عتادها كما أنشئت وكالات أخرى للخرسان والحديد المصفح . وعقدت اتفاقات ، عام ١٩٣٤ بين العاملين في انتاج الصلب ، كما عقد اتفاق عام بين منتجي الصلب والفولاذ .

والظاهرة نفسها تبدو بوضوح في الصناعة الكيماوية التي قطعت خطوات حاسمة في مجال التركيز والتجميع الصناعي ، في الصناعات الميكانيكية ، عام ١٩٣٤ - ١٩٣٥ ، وفي صناعة السيارات ، وفي الصناعات الأخرى التي فرض عليها القانون تحقيق مثل هذه الاتفاقات كصناعة الأحذية ، عام ١٩٢٦ ، وصناعة السكر عام ١٩٣٥ .

وكان بعض نتائج هذه الأزمة المالية ان حفزت الدولة على التدخل في المجال النتائج الاقتصادي ، وهو تدخل لم يسبق ان حدث مثله من قبل ، فتجاوز بعيداً ، باتساعه وشموله ، ما سبق وظهر من نشاط مماثل في هذا الصدد . وهكذا أطل علينا في كل البلدان ، مهما كان نظام الحكم فيها استبدادياً أو ليبرالياً ، اقتصاد موجه ، برز اثره في كل القطاعات ، متوسلاً الى ذلك ، بأساليب وفرائع تكاد تكون متماثلة وان تباينت منها الاشكال والمظاهر الخارجية ، حسباً تكون المصالح المعنية المنظمة تمارس أولاً نفوذاً حاسماً ، وفقاً للظروف السياسية والاجتماعية المسيطرة على هذه الدولة أو تلك . فالسياسة التوجيهية ليست مضادة بحج ذاتها للرأسمالية ، بل على عكس ذلك . فكثيراً ما توطدها وتشد من ازرها ، لا تمس بشيء التركيب المجتمعي وكيانه القائم . ولم نر قط ان مراقبة الحياة الاقتصادية في الدولة وتثبيت الاسعار الجبري ، والحد بصورة تضيق أو تلتسع من « الاستثمار الحر » قد انتقصت بشيء من مبدأ الملكية الفردية ، او ان يمهّد السبيل او ان يحقق اشتراكية الدولة . ومذهب التدخل الموسوم بطابع المحافظة ، لانقاذ الاقتصاد المعرض للخطر ، تسليح بكل الاجراءات حق ما ظهر منها بأنها ثورية متطرفة .

الا انه اذا كان باستطاعة بعض البلدان الغنية بما لديها من احتياطي النقد وبما تزخر به من الحامات الوافرة وتهيمن على مناطق رحيبة تسرح فيها وتمرح ، ان تجد مصلحتها في بعض هذه التدابير والاجراءات دون ان تضطر لادخال تعديلات او تغييرات جذرية في تركيبتها الاقتصادية ، فالدول الأخرى التي لم تتوفر لها مثل هذه الشروط والأوضاع ، رأت نفسها مضطرة لسلوك طريق كابت لا بد ان يفضي بها الى سياسة الاكتفاء الذاتي . فمن دول الفئة الاولى ، مثلاً ، الولايات المتحدة الاميركية وانكلترا وفرنسا التي كانت تمتلك ، عام ١٩٣٧ ، ٨٠ في المئة من مخزون الذهب في العالم كما كانت تهيمن على اسواق رحيبة في الداخل او في مستعمراتها الواسعة الاطراف ،

ومع سويسرا والسويد والارجنتين وبلجيكا والبلاد الديمقراطية امتلك هذا المجموع المتكون من هذه الدول الثمان ، ٩٢ في المئة من مخزون الذهب ، بينما حصة اليابان والمانيا وايطاليا منه لم تكن لتتجاوز ٥ في المئة ، وان اثنتين من مجموع هذه الدول الثلاث لم يكن لها بالفعل ممتلكات او مستعمرات عبر البحار . فاذا ما كانت عاجزة عن الحصول على الحاجيات التي كانت تفتقر اليها حتى تدفع اثمانها ، كالحامات والمحاصيل الغذائية والمصنوعات ، فقد كان عليها اما ان تطور انتاجها الصناعي او ان تبحث لها عن مواد بديلة او ان تخضع لسيطرتها الاقتصادية والسياسية البلدان المنتجة للمواد التي هي بحاجة اليها اما البلدان الاخرى في العالم ، سواء اوقعت في اوروبا الوسطى او اوروبا الشرقية او في آسيا وفي اميركا الجنوبية ، فقد كانت في وضع قلق مزعزع . وهكذا تسببت الازمة الاقتصادية عن تغييرات جذرية في البنيان الاقتصادي لدى قسم كبير من دول العالم ، وأزكت المنافسات وزرعت بذور اصطدامات جديدة .

الفصل الثالث

الدول وجهالوجه مع الأزمة

١ - الحلول الوطنية المختلفة

أدت الأزمة إلى اضطرابات عميقة تباينت نوعاً وكماً هزت الأوضاع الاقتصادية في كل دول العالم ، كما أحدثت ردات فعل لم يخف طابعها العام ، الفوارق التي قامت بين دولة وأخرى ، كما أن وسائل معالجة الأزمة للتخاض منها لم تعط في كل مكان النتائج ذاتها . فلكل بلد والحالة هذه ، طابع خاص يختلف باختلاف طبيعة « التجربة » التي عانتها وكانت مسرحاً لها والطريقة التي سلكتها الأزمة في تطورها عندها .

الولايات المتحدة الأمريكية :
النظام الجديد

ان الاجراءات التي اتخذها الرئيس هوفر في مجال الانكماش المالي وتركه للهيئات والمؤسسات المحلية والمنظمات الخيرية ، مهمة معالجة الأزمة كما ترى وفشلها في تدبير الامر ، والتدابير الاخرى التي اتخذها لمواجهة البطالة ، وفشل سياسته الزراعية التي اغضبت الولايات الشمالية الغربية ، المعروفة بوقوفها عادة الى جانب الحزب الجمهوري ، كل هذه العوامل ، مهدت الطريق لفوز الحزب الديمقراطي ، عام ١٩٣٢ . وعندما تسلم فرانكلين د . روزفلت مقاليد الحكم في البلاد ، في اذار ١٩٣٣ ، كانت الضائقة المالية في البلاد قد بلغت منها الأوج . ففي الحين الذي قرر فيه اتخاذ التدابير السريعة لانقاذ المصارف التي تعاني العسر ، بتقديم السلفات اللازمة لها ولمازرة المزارعين الذين كانوا في وضع مفرج للغاية ، وخرج من هذه التدابير بخطة شاملة ترمي الى تحقيق اصلاح وطني عام . وهذا لا يعني قط ان القرارات التي اعتمدها قامت على مبادئ بدئية او انها استمدت الى خطة موضوعة من قبل في كل جزئياتها ، بل على عكس ذلك ، مرت عليها سلسلة من التغييرات اوحثها الظروف والاضاع القائمة او ردة فعل الاوساط الاميركية وغالباً بدون اي تفسيق فيما بينها . فلم توضع في اي وقت ما ، خطة شاملة لتناول الاقتصاد الاميركي في مجموعه . فالمستشارون والخبراء الذين جمعهم حوله فالفوا هيئة الخبراء كما تألف من

رجال القانون وعلماء الاقتصاد على مثال ألفن هانس الاستاذ في جامعة هارفرد وأحد اتباع مذهب كينز الذي كان له تأثير كبير على سياسة الحكومة حول الاعتمادات الكبرى المرصدة لاعادة الحياة والنشاط الى الاقتصاد الاميركي ، والنشاط الى المؤسسات الخاصة التي تعمل على تأمين البضائع الاستهلاكية وبالتالي على تأمين الانتاج . كذلك ضمت هيئة الخبراء هذه بين صفوفها رجال اعمال وصحفيين . وسياسة التدخل هذه عرفت عندهم باسم « النظام الجديد » الذي حدد روزفلت نفسه بأنه « مفهوم جديد لواجبات الحكومة ومسؤولياتها نحو الاقتصاد العالمي » ، وهي سياسة لا تختلف بشيء عن سياسة اشتراكية دافع عنها الرئيس في خطابه الانتخابي الذي القاه في ١٤ تشرين الاول ١٩٣٦ ، فشدد قائلاً : « هي ادارتي التي اتفقت على نظام الربح الخاص وعلى سياسة المشروعات الحرة وواقفتها عند حافة الانهيار بعد ان بلغت شفاهاً حيث اوصلها هؤلاء بالذات الذين يحلو لهم تخوينكم الآن » .

فالخطة الجديدة انما هدفت الى اعادة التوازن بين التكاليف والانتاج ، وبين حياة المدن والريف وبين الاسعار الزراعية والاسعار الصناعية ، كما هدفت الى تحريك السوق الداخلية وتنشيطها ، السوق الوحيدة التي لها اهميتها ، وذلك عن طريق مراقبة الاسعار والانتاج ، واعادة تقييم الاجور والطاقة الشرائية لدى الجماهير ، اي لدى المزارعين والعمال ، وضبط ظروف العمل (رفع الاجور وتخفيض ساعات يوم العمل ، وغير ذلك من التدابير) . وهذا هو بالذات ما تهدف اليه الاجراءات التي اوجبت مراقبة المصارف وتنظيمها ومراقبة نشاط البورصة ، وعملية تخفيض قيمة الدولار مرتين : في ايار وتشرين الاول ١٩٣٢ ، وقانون تعديل الادارة الزراعية الذي افسح المجال امام تخفيض بعض الزراعات ، وقانون العودة الى الوضع السليم (R. A. A.) ، وهذه السلسلة من القوانين ، التي نصت على تخفيض ساعات العمل في اليوم ، ورفع المرتبات والاجور ، وحددت المنتهيات القصوى كما حددت الانتاج منعاً لكل منافسة او لكل مزاحمة غير شريفة . « فالغرض » الذي رمت اليه هذه الخطة ، يقول روزفلت ، هو تطمين الصناعة بتحقيق ارباح معقولة وتطمين العمال بالحصول على اجور مرضية . وكذلك قل عن القوانين الاجتماعية التي فرضت التأمين والضمان ضد البطالة ، ورسمت الحد الأدنى للارباح خلال اربعين ساعة عمل في الاسبوع ، بواسطة قانون العمل الذي صدر عام ١٩٣٨ ، وشجع تشييد مساكن شعبية رخيصة ، والحرب ضد المساكن الزرائب . ومن هنا جاءت هذه الاعمال الانشائية الكبرى تقوم بها الدولة ، وقانون قدامى المحاربين الذي اوجب توزيع اكثر من ملياري دولار ، للمحاربين القدامى ونشطت الى حد بعيد ، تنفيق المواد الاستهلاكية .

والخطة الجديدة قوبلت بنقد عنيف من قبل المحافظين الذين هالمهم تضخم الموازنة ، كما هالمهم من جهة اخرى ، التجاوز على حقوق الولايات وامتيازاتها والتشجيع المعطى للنقابات العمالية ، وكل الاجراءات التي جاءت في مصلحة اصحاب الاجور . وعندما اعلنت المحكمة العليا ، في ايار ١٩٣٥ ، عدم شرعية قانون N.R.A الصادر في كانون الثاني وقانون A.A.A لحقوق

الولايات ، امكن مع ذلك الحفاظ على سياسة الانقاذ هذه بفوز روزفلت بانتخابات الرئاسة لعام ١٩٣٦ . وامام خطر استهداف المحكمة لمحاولة اصلاح جذرية تنزل بها ، اضطرت المحكمة العليا للرضوخ والاعتراف بحق حكومة الاتحاد تنظيم التشريع الاجتماعي في البلاد . فقد اقترت بشرعية قانون العلاقات الوطنية الصادر عام ١٩٣٥ ، هذا القانون الذي ضمن حرية العمل للمحركة النقابية ، اسوة بالقانون (*N.R.A* و *A.A.A*) وقانون حماية التربة الذي اعاد تحت ستار حماية التربة ، احكام قانون العلاقات الوطنية (*N.R.A*) . كذلك رفض النظر في الدعوى المقدمة من قبل الشركات الخاصة ضد مشروع سلطة وادي تنسي ، عام ١٩٣٦ .

ما عسى ان كانت نتائج هذا الجهد ؟ فالاصلاح جاء على غير استواء تشوبه النتائج مساوى عديدة ، وبدا ناقصاً في مجالات عديدة ، كما انه تم ، خلافاً لما جرى في عدد من البلدان ، بمزول عن أي سياسة تسليح . ففي عام ١٩٣٩ ، لم تكن الاعتمادات المخصصة لامور التسليح لتزيد على ١ بالمئة من مجموع الموازنة العامة ، كما ان خطط الانحشاء الذي رسمه الانتاج الصناعي جاء متكسراً . ففي اذار ١٩٣٣ ، عندما تسلم الرئيس مقاليد الحكم ، كان الدليل المسجل ٤٩٠٦ بالمئة ثم اخذ يرتفع ليبلغ ٨٤ بالمئة في تموز ، ثم عاد وهبط في آب واذ ذاك جرى تخفيض الدولار للمرة الثانية واضيفت الى سياسة التضخم المسالي سياسة الامتناس التدريجي . فالتقدم جاء بطيئاً طيلة عام ١٩٣٤ ، وفي الشطر الاول من عام ١٩٣٥ ، اذ لم يكن عدد العاطلين عن العمل في حيزان من هذه السنة ليقبل عن ١٣,٥٠٠,٠٠٠ عامل . وحركة العودة الى الوضع الطبيعي اخذت تنطلق من هذا التاريخ ، اذ ارتفع دليل الانتاج الصناعي من ٧١٤٤ ٪ في ايار ١٩٣٥ ، الى ٧٩٤٨ ٪ في تشرين الاول ، والى ٨٧٤٤ ٪ في كانون الاول والى ٩١٠٦ ٪ في ايلول ١٩٣٦ ، والى ٩٩ ٪ في اذار ١٩٣٧ . وقد وقعت ردة عكسية في هذا الوقت بالذات ، اذ كان دليل الانتاج الصناعي ، في ايار ١٩٣٨ يوازي ٦٤ ٪ الا ان العودة الى سياسة الامتناس جعلته يرتفع الى ٨٩ في كانون الاول . وبدا اذ ذاك ان الوضع قد استقر على الاجال بالرغم من انه لا يزال في البلاد ٩ ملايين من العاطلين عن العمل ، كما ان اسعار البضائع ظلت هي الاخرى آخذة بالهبوط .

ارتدت الازمة في الولايات المتحدة الاميركية طابع ثورة فعلية كما اثرت عميقاً في الرأي العام الذي شعر بانه على شفير الهاوية . « فلربما كانت هذه الازمة الحادث الوحيد في تاريخنا الذي احدث تغييراً جذرياً في تاريخنا الوطني ، كما يؤكد غيرارد ، كما ان هذه الازمة انطبعت ذكراها طويلاً في نفوس الاميركيين . فقد اتاحت من الوجهة السياسية ، لحكومة الاتحاد ، بسط نفوذها وتدخلها في مجالات كانت محرمة عليها حتى ذلك الوقت ، وذلك في ما يعود للحالة الاجتماعية ، كما ان الخطة الجديدة امننت للروح النقابية الحرة تحقيق نجاحات حاسمة . فقد الزم قانون واغتر ، ارباب العمل ، الاعتراف للعامل التابعين لهم ، بحرية تنظيم نقاباتهم (وهذا انما يعني نهاية

المنشأة المفتوحة، أي رفض استخدام المصنع والمتجر للعمال النقابيين واللائقبيين على السواء، ونهاية سيطرة العمال المطواعين واجبارهم على مناقشات ظروف العمل مع العمال انفسهم تحديداً للاجور بالاتفاق فيما بينهم . وقد انشئت محكمة وطنية للفصل في المشكلات الناشئة بين العمال وارباب العمل ، مع مراعاة الحق النقابي والعمل على تشجيع العلاقات الجماعية بين ارباب العمال والنقابات . ومع ان قرارات هذه المحكمة لا تكتسب الصفة الالزامية ، فقد تمكنت من ان تحل بين ١٩٣٥ - ١٩٤٥ ، بفضل النفوذ الادبي الذي تتمتع به ، اكثر من ٣٠,٠٠٠ قضية . ومع ان هذا التشريع دخل اميركا بعد اوروبا بمدة طويلة ، فقد قوى من نفوذ العمال في المجتمع الاميركي .

بريطانيا العظمى
جاءت الازمة في بريطانيا اقل فداحة وفضاظة منها في اي بلد آخر . فالوزارة المالية التي وقف حزب الاحرار الى جانبها وساعد بذلك على كبح جماحها ، حاولت عبثاً تجاهل الخطة التي وضعها حزب العمال الدولي (I.L.P.) بعنوان : اشتراكية هذا العصر ، وطبقت مع وزير المالية سنودن سياسة تخفيض النقد . فقد ارغمتها الازمة ، تحت ضغط الخوف الذي ما فتئت صحافة المحافظين تغذيه في النفوس ، لتأليف حكومة اتحاد وطني شددت بدورها من سياسة تخفيض النقد وادت الى تحقيق وفر بلغ ٧٠ مليون جنيه في صلب مشروع الموازنة ، عن طريق تخفيض تراوحت نسبة من ١٠ - ٢٠ ٪ من مرتبات الموظفين وتمويضات العاطلين عن العمل وعن طريق تخفيض مدة التخصصات الى ٢٦ اسبوعاً في السنة . والانتخابات العامة الجديدة التي جرت سنة ١٩٣١ في جو مشبع بالتدهور المالي امنت فوز حكومة وطنية قضت تقريباً على كل معارضة لحزب العمال . ومع ان هذه الحكومة هي برئاسة احد اعضاء حزب العمال السابق ، فالبلاد تخضع لحكومة محافظة موالية للمبادئ الليبرالية يرعاها وزير المالية ، اذ ذاك ، نفيل تشمبرلين . وتخفيض قيمة الجنيه في ايلول ١٩٣١ قبل ان تعتمد اية حكومة الى تخفيض قيمة نقدها في الخارج ، ادى الى تحسين ملحوظ في حركة الصادرات ، اذ عرفت بريطانيا وحدها ان تفيد لبعض الوقت من الاهانة الخاصة بالتصدير التي اعتمدتها . وهكذا توقف الانتاج عن الهبوط الذي كان اخذ يعاينيه ، ولا سيما في قطاع الصناعات الجديدة ، والصناعات الكيماوية والكهرباء وصناعة السيارات ، كما اوقفت حركة البطالة ، ونشطت حركة التصدير وسجلت بعض الارتفاع في صادراتها الى افريقيا الوسطى ومصر ، كما سجلت زيادة محسوسة في التصدير الى الهند واليابان .

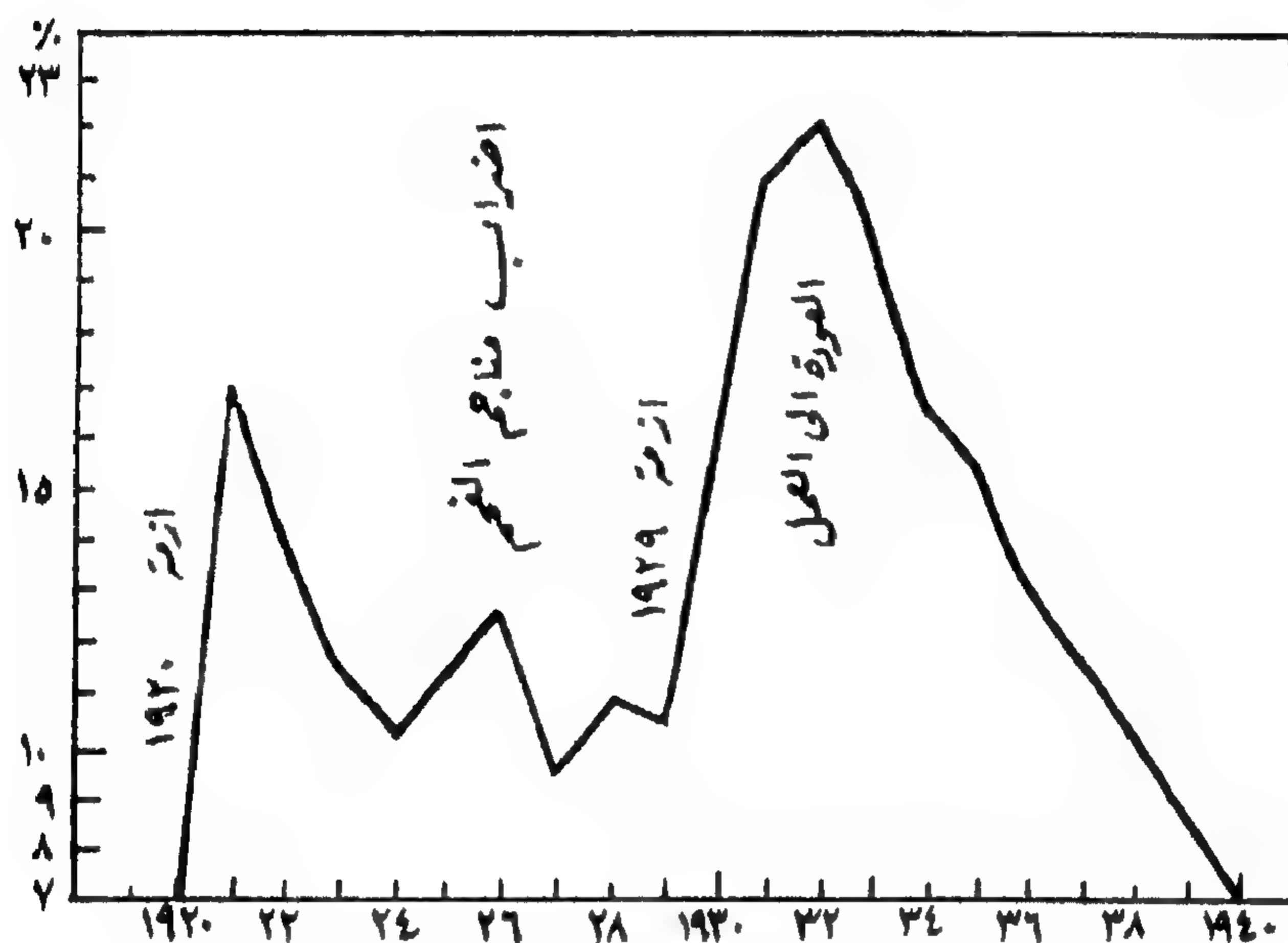
وامكن على اثر هذا النشاط إعادة مخزون الذهب . وعودة البلاد الى سياسة الحماية الجمركية ، واتفاقات اوتوا التي عقدت عام ١٩٣٢ (وهي اتفاقات جاءت في صالح بلدان الدومنيون اكثر منها في صالح انكلترا نفسها) فأتاحت للحكومة سبيلاً اكبر للتدخل في الشؤون الاقتصادية : ك مراقبة الواردات الزراعية والحد منها ، والرسوم الجمركية التي رمت الى تشجيع الصناعات الرئيسية في البلاد يجعلها اكثر مردوداً وأوفر ربحاً ، وتخصيص مساعدات

مالية لهذه الصناعات التي لم تسجح حولها الرسوم الجمركية كما يجب ، وإلى الحد الذي كان متوقفاً ، كالنقل وحركة الانشاءات البحرية ، وتأمين وسائل النقل في لندن ، عام ١٩٣٣ ، والنقل الجوي بدمج شركات الطيران الانكليزية تحت اسم شركة الخطوط البريطانية عبر البحار ، عام ١٩٣٩ ، وعقد معاهدة تجارية ترمي إلى تشجيع تصدير الفحم الحجري ، والجمود المبذولة لتشجيع الصناعات الجديدة وتشجيع حركة بناء المساكن الشعبية . ومختصر الكلام ، فالبطالة التي بلغت الذروة عام ١٩٣٣ (٢٢ بالمئة من مجموع اليد العاملة في البلاد) ، اخذت تهبط تدريجياً لتبلغ ١٢ بالمئة عام ١٩٣٧ ، وهو عدد لا يزال يبرز المعدل الذي كانت عليه البطالة عام ١٩٢٩ ، إلا أن عدد السكان ازداد بنسبة ٣٠٠ بالمئة (راجع شكل ٦) . وقد حدث بالرغم من انخفاض حركة التصدير ازدهار اقتصادي محسوس في الداخل ، عاد بفائدة كبرى على الصناعات التي تؤمن الاستهلاك الداخلي وحركة البناء . وسجلت انكماشاً اذ ذاك ، ارتفاعاً في المستوى العام للحياة لدى السكان ، وعرفت أن تفيد كثيراً من هبوط اسعار المواد الغذائية وال خامات والمواد الاستهلاكية المترقب عليها استيرادها من الخارج ، كما تحسنت ظروف تمويلها كثيراً في الوقت الذي 'حلت فيه مشكلة السكن في البلاد . والنسبة بين اسعار المواد المصدرة التي جرى تخفيضها إلى الثلث ، وبين اسعار الواردات التي انخفضت ١/١٠ في المائة ، أصبحت أكثر ملائمة طيلة هذه الفترة بكاملها (شكل ٦) . والميزان التجاري كان إيجابياً عام ١٩٣٥ ، وبعد ذلك اختل هذا الميزان مع أنه لم يصل إلى ما كان عليه الوضع عام ١٩٣١ .

وهكذا ، ومع أن رصيد الموازنة كان واطياً ، فلم يتوقف يوماً ، وانتفت كل زيادة منذ عام ١٩٣٠ ، واخذ منذ عام ١٩٣٥ يظهر نقص مستمر ، كما أن الاستثمارات في الخارج هبطت هي الأخرى بحيث وصلت إلى درجة الصفر ، عام ١٩٣٧ . وجاء هذا الهبوط دليلاً جديداً على أن البلاد آخذة بالافتقار . وتأخر الوضع الاقتصادي ، كما سبق لكينز وتنبأ به ، وقع ، عام ١٩٣٨ ، إذ سجلت البلاد خروج مبالغ كبيرة من الذهب كما سجلت هبوطاً في قيمة أجنبيها . لم تدم هذه الحركة طويلاً ، إذ أن تأزم الوضع الدولي حمل الحكومة على تقوية سلاحها بما أدى إلى نشاط حركة الأعمال في البلاد . وهكذا نرى أن انكماشاً في عام ١٩٣٩ لم تكن استطاعت ، شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة وفرنسا ، أن تجد الدواء الشافي والعلاج النافع للآزمة التي تعاني منها . والبطالة العامة بقيت مستبدة بالبلاد كما بقيت صناعات التصدير تتألم وتلكع في هبوط مزمن . وقد بقي التوتر الاجتماعي محتدماً . فكان على المحافظين ، أن يواجهوا الآن معارضة أشد من جانب العمال الذين نالوا في انتخابات عام ١٩٣٥ ، ما يوازي ٣٨،٤ بالمئة من مجموع الاصوات وهو أكبر معدل سجلوه حتى الآن .

فرنسا ففي الحين الذي حافظت فيه الولايات المتحدة ، منذ عام ١٩٣٢ ، وبريطانيا العظمى منذ عام ١٩٣١ ، على الحكومة ذاتها بعد أن تباينت سياستها بالطبع تجانساً وتماسكاً مع أنها انبثقت من مبادئ لم تتغير كثيراً في هذه المدة بالذات ، فقد مرت

فرنسا ، في الفترة نفسها ، بعدة تجارب واختبارات متناقضة .
فاقتصادها لم يتأثر بالازمة الدولية الا في عام ١٩٣١ . ومنذ عام ١٩٣٣ ، بدت اسعار
المواد المعدة للتصدير اعلى بكثير عندها من اسعار هذه المواد في الخارج . فالسوق الوحيدة
المفتوحة امامها هي سوق الامبراطورية الفرنسية . وهكذا هبط الدخل الوطني ٢٠ بالمائة ، كما
ان اسعار الجملة هبطت ، هي الاخرى ، ٤٤ بالمائة ، واسعار الفرادي او المرق ٢٩ بالمائة وأطل
من جديد المعجز في الموازنة وفي الدين العام . وهذا الاضطراب الاقتصادي والمالي طرح على
بساط البحث متافة النقد الفرنسي . فمنذ عام ١٩٣٤ ، اخذت تهرب من البلاد مبالغ ضخمة



شكل ٦ - التغييرات الطارئة على حركة البطالة في بريطانيا بين ١٩٢٠-١٩٤٠ .
(الى اليسار : معدل الماطلين عن العمل)

من الذهب في الوقت الذي حدث فيه هيجان من قبل الاحزاب وتكتلات اقصى اليمين التي
تُعبد ضد الاكثرية اليسارية التي جاءت بها انتخابات عام ١٩٣٢ ، ثورة ٦ شباط (فبراير) .
وعادت هذه المبالغ الى البلاد بعد ان شكل دومرغ وزارته ومعه عادت السلطة الى احزاب
اليمين . وعادت حركة هرب الاموال عودتها الاولى ، عام ١٩٣٥ . ومصرف فرنسا الذي
يمبر قيامه عن وضع بلد يتألف معظم سكانه من اصحاب الدخل ، وقف يعارض عملية تخفيض
الفرنك ، سيرا مع الحركة التي قامت بها انكلترا والولايات المتحدة الاميركية ، الامر الذي
ادى الى هبوط كبير في حركة التصدير ، اذ ان الاسعار الفرنسية بقيت أعلى بكثير من

الاسعار في البلدان التابعة لكتلة الجنيه . واعتمدت حكومة لافال سياسة شديدة لتخفيض سعر الفرنك ، معتمدة في ذلك على المراسم الاشتراعية الخاصة بمعالجة البؤس (تخفيض ١٠ بالمائة من نفقات الدولة العامة) مع سياسة صارمة ضد الملطوسانية او تحديد النسل التي ادت بدورها الى تحديد الانتاج الزراعي والصناعي . ولذا لم تشارك فرنسا بعودة الانفراج العام الذي عم العالم بين ١٩٣٣ - ١٩٣٧ . فقد جاءت في المرتبة الدنيا في سلم ارتفاع دليل الانتاج في العالم وحركة الانتاج عندها بين ١٩٣٣ - ١٩٣٧ ، بدت زهيدة للغاية ، اذ لم تزد عن ٤٣ بالمائة ، بينما بلغ هذا المعدل ١٠٠ بالمائة في المانيا ، و ٧٤ و ٤٠ بالمائة في اليابان ، وسقطت وحدها بين دول العالم الى ادنى من مستوى عام ١٩٣٣ ، بينما نهضت كل الدول الاخرى وتحسنت فيها الاوضاع ، واستمر انتاجها الصناعي يتراوح بين ٨٢ - ٨٣ بالمائة مما كان عليه عام ١٩٢٨ . وازداد عدم التوازن سوءاً واضطراباً وشكل هبوط الانتاج الزراعي كارثة . وهكذا وجدت البلاد نفسها وجهاً لوجه مع هبوط اقتصادي فريع .

ان الفشل الذي بليت به سياسة تخفيض النقد ، والبؤس الذي سببته هذه الجبهة الوطنية السياسة في جميع اطراف البلاد ، كان وراء نجاح الجبهة الوطنية في انتخابات عام ١٩٣٦ النيابية ، التي نص برنامجها الاقتصادي على التخفيض اجراءات ترمي لبعث الحركة والنشاط في الحياة الاقتصادية ورفع القيمة الشرائية للفرنك . وعندما تولت حكومة بلوم مقاليد السلطة في البلاد انفجرت غضبة الشعب بعد ان كظمها طويلاً من قبل . فالصعاب التي أدت إليها الازمة ، منذ عام ١٩٢٩ ، اتاحت لارباب العمل بنعمة « الحق الالهي » ان يعملوا بمساعدة الحكومة في السنوات السابقة ، كل تشريع يتعلق بالعمل (الاتفاقات المشتركة ، والضمان الاجتماعي) ، وان يفرضوا سلطتهم ومشيتهم العليا بضربهم كشعاً عن المطالب العالية ، واللجوء بصورة اعتباطية الى صرف العمال وطردهم . وهؤلاء العمال الراحون تحت البؤس ، اخذوا ، بعد ان بلغ اليأس منهم في هذه السنوات الاخيرة ، كل مبلغ ، يتنفسون الصعداء عندما رأوا في الحكم ، وهم لا يصدقون عيونهم ، حكومة تتفهم الى حد بعيد ، المآسي التي يتسكعون فيها والتي يعانون منها الأمرين ، فتدافع عن مصالحهم المشروعة : وعلى ضوء هذه الامور ، ندرك جيداً ، ما وقع من حوادث احتلال المصانع وحركات الاضرابات التي ادت في حزيران ١٩٣٦ ، الى اتفاقات ماتنيون ، في المؤتمر الذي عقده المنتجون الفرنسيون الذين يمثلون ارباب العمل في فرنسا . وفي بضعة ايام لا غير أقرت القوانين التي جاءت توضحاً واعترافاً رسمياً بهذه الاتفاقات . فالاجور زيدت من ٧ - ١٥ بالمائة وتقرر دفع الاجور في الاجازات ، وشرع بمفاوضات حول اتفاقات جماعية مع المنظمات الاكثر تمثيلاً للحركة العمالية ، كما ضمن حق تأليف النقابات ، وتعيين انتخاب ممثلين في كل مؤسسات العمل التي يزيد عدد العمال في الواحدة منها على عشرة عمال . وصدر أخيراً قانون يحدد ساعات العمل في الاسبوع بأربعين ساعة عمل الامر الذي ادى الى امتصاص جانب من العاطلين عن العمل . إلا ان معارضة بعض

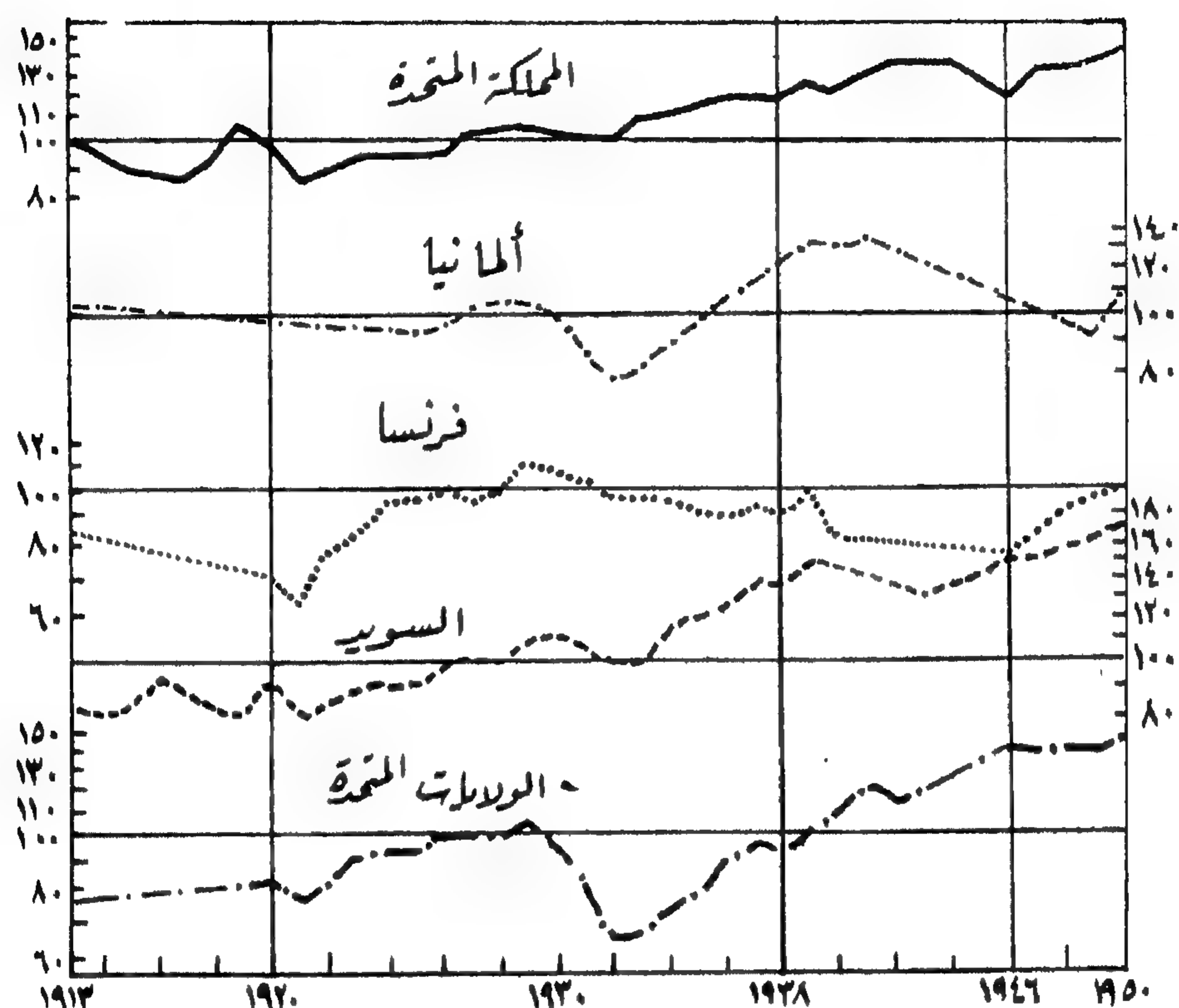
أرباب العمل لهذه الاجراءات القانونية وصمودهم في وجه تطبيقها ، ادخل القلق على أصحاب الثروات ، فأخذت رؤوس الاموال بالهروب الى الخارج ، كما اخذوا في الادخار ، إذ ان زيادة الاجور ، والاجازات المدفوعة وتخفيض ساعات العمل في الاسبوع كل هذه ادت الى زيادة في كلفة الانتاج وترك اثره ظاهراً على اسعار المبيع . والزيادات الجديدة التي لحقت الاجور لم يلبث ان عقبها ارتفاع في اسعار تكاليف الحياة ، كما ان التشویش والقلق اشتد بين الناس وساورتهم المخاوف . وفي ايلول ١٩٣٦ ، بلغ من ارتفاع الاسعار بعد الاصلاحات الاجتماعية ان انقطعت حركة التصدير تماماً . وجاء تخفيض قيمة الفرنك متأخراً جداً كما جاء معدل التخفيض عالياً ، بحيث ان رؤوس الاموال المهربة لم تعد الى البلاد خوفاً من هبوط جديد في الاسعار ، كما ان مبالغ جديدة جرى تهريبها خارج البلاد . وبدلاً من ان يوسع ارباب الاعمال اعمالهم واشغالهم ، راح فريق من ارباب الصناعة ورجال الاعمال والتجار يحولون مديراتهم ورأس مال محلاتهم الى سبائك من الذهب او الى دولارات . واذ رأت السلطة نفسها عاجزة عن معالجة الامر وأسقط في يدها ، قررت حكومة بلوم « التمهّل » اي التوقف في عملية الاصلاحات الاجتماعية ، ولم تلبث ان انهزمت عندما تقدمت من المجلس بالموافقة على اعطائهم اسحق استصدار المراسيم الاشتراعية مكافحة منها للمضاربات المالية .

« فتجربة بلوم » اصبحت بالفشل في معظم قطاعاتها لانها عجزت عن تأمين الاصلاحات الاساسية التي كان من شأنها ، لو تمت ، حرمان خصومها ، ممسا لديمهم من وسائل التأثير على الاعتماد والتسليف وبالتالي على النقد . فقد جاء اصلاح مصرف فرنسا ناقصاً ، كما لم تجر أية مراقبة على المصارف والمؤسسات المالية وعلى عمليات القطع في البلاد . اما مراقبة الاسعار فقد جاءت بدائية ومحددة وسائل التنفيذ التي اخذت بها ، ولذا لم يمكن لها من اي تأثير . والاسعار التي فرضتها الاحتكارات بقيت جامدة قائمة كما صمدت في وجه تخفيض قيمة النقد .

وعادت حكومة شوتان التي خلفتها الى سياسة التضخم المالي التقليدية ، اي الاستلاف من مصرف فرنسا بحيث تستطيع الحكومة مواجهة التزاماتها . وقد حدث في حزيران ١٩٣٧ تخفيض جديد في قيمة الفرنك بعد ان أخذ يدور في فلك الستليني ، وخسر ٤١٥ بالمئة من قيمته الأصلية .

ومن جهة اخرى حدث منذ ١٩٣٨ ، مع وزير المالية الجديد بول رينو ، تحت ستار عملية « تطويع » ردة فعل قوية ضد القوانين والتشريعات الاجتماعية التي صدرت عام ١٩٣٦ ، والعودة الى سياسة الانكماش المالي ، وهصر اعتمادات الموازنة العامة ، والذي تسبب عن الاضراب العام الذي وقع في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، والذي كان من فشله ان اضعف الحركة العمالية واثروا عليها الى حد بعيد . وسياسة نزع السلاح كانت اذ ذاك ضاربة اطنائها ، كما ان دليل الانتاج الصناعي كان قد ارتفع من ٧٦ بالمئة عام ١٩٣٨ الى ٨٧ بالمئة عام ١٩٣٩ .

وهكذا فقد مر الاقتصاد الفرنسي طيلة الضائقة الاقتصادية في فترة من الركود والجمود بينما كانت في الدول الاخرى فترة تميزت بالنشاط والديناميكية (شكل ٧) . ان ارتفاع الاسعار الفرنسية حرمت المنتجات الزراعية من اسواق قفي بعاجتهم : فالقمح والنبيد والشندر السكري محاصيل شكت فرط الانتاج والحماية الجمركية التي همها المحافظة على الوضع القائم



شكل ٧ - الدخل القومي للفرد في المملكة المتحدة ، ألمانيا ، فرنسا ، السويد ، الولايات المتحدة
بين ١٩١٣ - ١٩٥٠ (١٠٠ = المعدل لعام ١٩٢٥ - ١٩٢٩)

وحالت دون مقايضة البلاد الفائض من انتاجها الزراعي بما تحتاج اليه من مواد زراعية اخرى ، والاسعار الدارجة هي بالفعل عالية جداً بالنسبة للأسعار العالمية وان كانت واطية بالنسبة لاسعار السلفة . والطحين والقمح والاحوم والمحاصيل الزراعية الاخرى هي في فرنسا اغلى منها في هولندا وانكلترا والسويد وبلجيكا . وغلاء ثمن المنتجات الصناعية التي لا غنى للمزارعين عنها تحد كثيراً من امكانيات الربح بتصدير المحاصيل الزراعية كما تحول دون تجهيز المزارعين

بالاهتدة والتجهيزات التقنية . فالمكننة لا تقي بالفرس كما أن الأساليب الزراعية وأنماطها رديئة للغاية . وهكذا بقيت قائمة ، مرعية الجانب وسائل استثمارية متخلفة جداً ، تعمل في ظروف حياتية قاسية وتنتج في ظروف مرزحة ، فالزراعة في فرنسا هي من هذه القطاعات المتخلفة عن ركب الحضارة وسير الزمن ضمن اقتصاد يشكو الضعف والجمود . أما الصناعة الفرنسية على اختلاف مظاهرها ، فهي تعاني ، منذ عام ١٩٣٠ ، وضماً هزيباً من الانحطاط الموصول من جراء ضعف انتاجية العمل ، إذا ما قيس بالولايات المتحدة وبألمانيا ، باستثناء الصناعات الحديدية والمطاط والكروتون (المقوي) . فالمستوى التقني ، والتركيز الصناعي أدنى بكثير منه في البلدان الصناعية الأخرى . والتجارة الخارجية ، تأخرت هي الأخرى وأصبحت أكثر مما أصيبت به هذه المرافق في الدول الأخرى . فقد كانت تمثل ، عام ١٩١٣ ، نحواً من ٧،٧ بالمائة من مجموع التجارة العالمية ، بينما لم تعد تمثل ، عام ١٩٣٧ ، سوى ٥،١ بالمائة وهو تأخر بلغت نسبته ٣٨،٨ بالمائة ، بينما لم يبلغ هذا التأخر في انكلترا سوى ٨ بالمائة وارتفعت الزيادة في الولايات المتحدة الأميركية ٣ بالمائة . والنقص في الميزان التجاري كان افدح من ذلك وأدهى ايضاً . فبينما كان يمثل ١٦،١ بالمائة من مجموع الصادرات ، عام ١٩٢٩ ، إذا به يهبط الى ما نسبته ٥،٧ بالمائة عام ١٩٣٨ . أما ميزان المدفوعات ، فالزيادة التي تميز بها في الماضي ، حل محلها نقص ملحوظ في الدخل السياحي ، وفي ربيع الخدمات ولا سيما ربيع الأموال المستثمرة في الخارج . ان خروج رؤوس الأموال الضخمة التي فرت الى الخارج لم تكن استثمارات منتجة بل مجرد عملية مضاربات مالية . فالأرصدة الفرنسية في الخارج ، التي بلغت قيمتها ١١٠ مليارات فرنك ، عام ١٩٣٧ ، هي في الغالب ، ديون قصيرة الاجل . وفي حماية من الرسوم المنفردة وعمليات التقنيين التي جاءت قحمة ليس فقط فروع الصناعة الآخذة بالنمو والتطور بل كل الصناعات على اختلاف انواعها ، راحت الهيئات المالية والصناعية تقصر كثيراً من حركة الانتاج ومن الاستثمار ، على امكانيات الامتصاص والتنسيق المباشرة المتوفرة للسوق المحلية التي كانت من الضيق والضعف يحول دون تحقيق ارباح كبيرة . فقد اعتمدوا سياسة مالطوسية تقوم على الاكتفاء الذاتي والانطواء التي لم تستهدف لا فتح اسواق جديدة في الخارج لها ، ولا العمل على توسيع وترحيب السوق الوطنية . أما بشأن صغار التجار ، فقد تضخم عددهم كثيراً دون أي اعتبار او نسبة للكميات المباعة .

وهذا التأخر الاقتصادي جاء نتيجة سياسة مستوحاة من الروح المحافظة في هذا النظام الاجتماعي الذي حرص على ان يحافظ على البنيان الاقتصادي والاجتماعي القائم في البلاد . فالإبقاء على الاستثمارات الصغيرة والمتوسطة الهامشية ، إذ عجز عن منافسة الشركات الكبرى كما عجز عن دفع اجور عالية ، اتاح من جهة ثانية للتكتلات الاحتكارية التي تستطيع وحدها تأمين انتاج بكلفة أدنى من البضائع التي تنتجها المحلات الأولى ، ان تفرض رسوماً على المبيع تؤمن لها ارباحاً ضخمة .

كان للآزمة في ألمانيا ، نتائج مروعة بالنسبة للوضع الحرج الذي احاط باقتصادها
 ألمانيا
 نتيجة لحركة التصنيع الآلي ولضخامة رؤوس الاموال التي وُظِّفت بفوائد
 عالية ، ولا سيما بالنسبة لتابعيتها ولتعويلها ، الى حد كبير ، على الاستثمارات الاجنبية الضخمة
 التي بوشربها منذ عام ١٩٢٥ . وهذا التوازن الضعيف الذي حققته لم يلبث ان هوى عندما
 هبطت الاسعار العالمية وعندما جعلت الآزمة الناشئة من الصعب جداً ، على الصناعة الألمانية ،
 الحصول على اعتمادات تسليف جديدة سواء من خزانة الدولة او من اسواقها المعروفة .

فالانتاج الصناعي المبني على دليل ١٠٠ لعام ١٩٢٩ ، هبط من ١٠٧ ، عام ١٩٢٩ الى
 ٥٨,٥٪ في آب ١٩٣٢ ، كما هبط انتاج الفحم من ١٦٣ مليون طن الى ١٠٤ ، والحديد من
 ١٦ مليون طن الى ٥,٧٠٠,٠٠٠ ، وارتفع عدد العاطلين عن العمل في ألمانيا من ٩٩٤,٠٠٠ الى
 ٥,٥٧٩,٠٠٠ ، كما هبطت الاجور الى نصف معدلها ، وسجلت الصادرات هبوطاً بلغ ٤٥٪ من
 قيمتها ، و ٦٢٪ من حجمها ، رغم سياسة الاغراق التي تمشت عليها الحكومة . والتجأ المستشار
 بروننغ الى الوسائل التقليدية في معالجة الوضع ، كتخفيض قيمة النقد ، ومراقبة الارصدة
 واقتطاعات ضخمة في صلب الموازنة ، وهبوط الاسعار ، ورفع نسبة الخسومات وإعادة تنظيم
 حركة التسليف وتخفيض اجور العمال ومرتببات الموظفين ، والقضاء رسوم الحماية الجمركية .
 فقد حصل في مؤتمر لوزان في حزيران من عام ١٩٣٢ ، على إلغاء تعويضات الحرب . إلا ان
 عنف الحركة واحتدامها والاصاب التي مرت بها الطبقات العمالية بعد ان تضرست بالبطالة ،
 والتطرف الذي اخذت تنزع اليه ، زاد كثيراً من عدد انصار الحزب الشيوعي الماملين على اثاره
 الاضطرابات الاجتماعية . واذا رأت الطبقات الوسطى نفسها مهددة بالحركة البروليتارية ، فلم تر
 الطبقات الموجهة واصحاب الصناعة الضخمة لها منجاة وخلاصاً الا في حل فاشي او دكتاتوري .
 واذا ذاك قبض الحزب الوطني الاشتراكي في كانون الثاني ١٩٣٣ ، على السلطة في البلاد في وقت
 كان فيه التدهور المالي بلغ الحضيض . فالهم ، في الدرجة الاولى ، اعادة الحركة والنشاط الى
 الاقتصاد الوطني عن طريق فتح منافذ واسواق جديدة ، ومحاربة البطالة . لم يكن هنالك ،
 في بادئ الامر خطة موضوعة منظمة . فالخطة الرابعة الاولى التي اطلقوا عليها اسم خطة
 الخدمة ، لم تكن في الحقيقة سوى سلسلة من الاجراءات المتخذة لمعالجة البطالة في البلاد .
 ووضع في خريف ١٩٣٦ الخطة الرابعة ، الثانية المعروفة « بخطة الانتاج » . فرمت الى تأمين
 عهد الحكومة المطلقة ، والدكتاتورية تحت سلطة غورنغ الذي طلع بالفكرة ، وهي عبارة عن
 ادارة عملاقة جبارة تعمل على تنظيم الوضع الاقتصادي في الاساس . فالدولة هي ، عند الانطلاق
 بالخطة ، الزبون الوحيد وستبقى فيما بعد الزبون الرئيسي . وهي المصرف الرئيسي وتحتكر كل
 منافذ التجارة الخارجية . فبدون ان تؤمم الاستثمارات الكبرى او ان تديرها بنفسها ، فهي
 تتولى ادارة الاقتصاد باعطائها التوجيهات التي تراها لازمة ، وبمراقبتها الاسعار والاجور بعد ان
 حددتها ، وبتوجيه الاعتماد وحركة التسليف . ولاول مرة في التاريخ نشهد اقتصاداً رأسمالياً

يخطط له في وقت السلم . وكان من تحالف الحزب مع الرأسمال الضخم ، ان حال دون استعمال الملاج الذي يوسع من نطاق السوق الداخلية بزيادة القوة الشرائية لدى المجتمعات السكانية ، اي رفع المراتب . ولذا اعتمدت الحكومة سياسة الاشغال الضخمة ولا سيما انشاء شبكة الاتوسارات ، وسياسة التسليح ، وخلق مصلحة « العمل الالزامي » ، وتسليف الدولة مالا للزوجين الجديدين ، اذا ما تمهدت الزوجة بالانقطاع عن العمل خارج منزلها ، والى انشاء منظمة نقابية جديدة . فالانتاج استعاد بسرعة قدرته المنتجة . فقد حقق منذ عام ١٩٣٦ ، معدل عام ١٩٢٩ ، وتجاوزه عام ١٩٣٩ بنسبة ٣٣٪ ، وجرى امتصاص البطالة تدريجياً . ففي عام ١٩٣٨ ، لم يبق عاطلاً عن العمل سوى المسنين وغير المؤهلين . . فقد برزت في الطبيعة مصالح الانتاج (المواد الأولية ، والطاقة) ومصالح الاستثمار والتوظيف (البناء) ، فاخذت تنمو وتطرد وتتسع ، بينما ازداد انتاج المواد الاستهلاكية ١٣٪ عن معدله لعام ١٩٢٨ ، واصبح يفى تقريباً بحاجات السكان الآخذ عددهم بالازدياد ونفقات التسليح الضخمة الباهظة ، بحيث ان مستوى عيش السكان المدنيين ، بقي كما هو تقريباً دون اي تغيير . وهكذا بفضل حافز الطلب العام ، أصبحت ألمانيا الدولة الوحيدة التي امنت العمل لليد العاملة في البلاد ولجهازها الصناعي الضخم . ومما هو احسن من ذلك وافضل ، افتقار البلاد للمزيد من اليد العاملة الكفوءة ، وللمزيد من العمال المزارعين ، وهي ظاهرة برزت منذ عام ١٩٣٥ .

اليابان ارتدت الازمة العالمية في اليابان مظاهر مختلفة تعارضت مع الكثير من المظاهر التي سجلناها لها في البلدان الصناعية الاخرى . فقد كانت الازمة فيها قصيرة واناخت بكلسكلها على القطاع الزراعي الا انها كانت اعجز من ان تحد من نشاطات عدد كبير في قطاعات الصناعة وحركة التصدير . وعلى الاجمال ، فقد كان اثرها ضعيف الوقع على البلاد واصابها من جانبيين معاً : تخفيض في حركة التصدير نتيجة للهبوط الذي اصاب التجارة العالمية ، كما ان هبوط الاسعار ادى الى خراب العاملين في القطاع الزراعي . فقد الحق هبوط « الازدهار الاميركي » ، ضرراً محسوساً في القطاعات الاكثر تعرضاً للتجريح في اقتصادها القومي ، وأدى الى هبوط في سعر الحرير الخام (٥٠٪ عام ١٩٣٠) وفي صادراتها من المنسوجات القطنية (٢٧٪ عام ١٩٣٠) كما ادى الى انهيار عدد كبير من المزارعين وفرض البطالة على عدد من مصانع النسيج والحياكة حيث تعمل الفتيات اليابانيات .

واشتدت الازمة فيها بعد عام ١٩٣١ ، اثر رفع معدل الرسوم الجمركية في الهند وحركة المقاطعة التي برزت في الصين . وجاء اخيراً تخفيض العملة اليابانية في الوقت الذي كان فيه الين تقريباً على سعره لعام ١٩٢٦ فبسداً عالياً بالنسبة للدولار ، مما ادى الى هبوط في الاسعار بلغ معدله ٣٥٪ ، بين نيسان ١٩٢٩ وتشيرين الاول ١٩٣١ . وجاء هبوط اسعار الارز ثلثية الاثاني في خراب الفلاحين الذين رأوا انتاجهم يهبط الى ٤٣٪ ، الا ان انكماش الانتاج الصناعي كان ابعد من ان يكون له الاتساع ذاقه والاستمرار ذاته الذي نراه يحل في المنتوجات الزراعية ، فالهبوط لم يتجاوز ٨٪ ، ومنذ عام ١٩٣٧ ، ارتفع الدليل الى فوق ما كانت

عليه عام ١٩٢٩ ، واستمر في تصاعده بحيث بلغ ١٧٣ عام ١٩٣٧ (مع الملاحظة ان ١٠٠ هو دليل عام ١٩٢٩) . وسبب ذلك هو ان حزب ملسيتو الذي عاد الى الحكم في صيف ١٩٢٩ ، سارع الى اعتماد السياسة التقليدية التي كانت دوماً تعتمد تخفيض قيمة العملة ، مما ادى الى اقالته من قبل الجيش الذي تسلم الحكم . وفي عام ١٩٣١ ، عمدت الحكومة العسكرية الى حظر اخراج الذهب من البلاد وتحملت عن قاعدة الذهب ، وخفضت سعر الدين ثلثي قيمته واعتمدت سياسة الانكماش المالي التي قضت بزيادة الاعتمادات الخاصة بالجيش والاسطول . وقد تضاعف دين الحكومة ، بين ١٩٣١-١٩٣٧ ، وارتفعت اسعار الحاجيات بالجملة حتى انها بلغت مستواها لعام ١٩٢٩ ، ودليل اجور العمال الذين يعملون في مصالح الجيش والتسلح ، ارتفعت بين ١٩٣١-١٩٣٦ ، من ٩١ الى ١٤٠ ٪ (باعتبار دليل ١٠٠ الحد الوسط بين ١٩٣١ - ١٩٣٥) ، بينما اسعار المنسوجات القطنية والحريرية بقيت ادنى مما كانت عليه عام ١٩٢٩ ، اما الازدهار فقد كان من نصيب الصناعات الثقيلة والصناعات الحديدية والميكانيكية والكيماوية والانشاءات البحرية (عدد العمال العاملين في هذه الصناعات على اختلافها يمثل نسبة لم تلبث ان ارتفعت من ٢٥ الى ٤٠ ٪ ، في أواخر عام ١٩٣٧ . وفي عام ١٩٢٩ كان عدد العمال العاملين في هذه المصانع ٨٢٥٠٠٠٠ ، فارتفع عددهم ، عام ١٩٣٧ ، الى ٢٠٢٥٠٠٠٠٠ ، وساعد على هذا الارتفاع الضائقة التي نزلت في القطاع الزراعي اذ اجبرت عمالاً كثيرين على النزوح من الريف الى المدن بحثاً لهم عن عمل . وارتفع انتاج الفولاذ الخام من ٢٥٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٢٩ ، الى ٥٠٥٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٣٦ ، كما تضاعف انتاج البلاد من الحديد ، وازداد كذلك انتاجها من الفحم الى اكثر من الثلث . والحزب العسكري الذي يتولى الحكم في البلاد ويوسع من نطاق سلطته على الحكومة بعد المعيان الذي وقع في شباط ١٩٣٦ ، تابع بنشاط محرم ، تصنيع منشوريا كما واصل تأييد تغفلل الجيش في الصين ، حيث عادت الحرب المكشوفة الى الظهور عام ١٩٣٧ . وفي اليابان ، كما في المانيا وفي ايطاليا ، نحن امام اقتصاد موجه للحرب ، فيخضع المشروعات والاستثمارات الخاصة للاعتبارات الاستراتيجية ، ويوسع ، يوماً بعد يوم ، من اشراف الحكومة على حركة القطع وعلى التجارة الخارجية وحركة التسليف بعد ان وُجّهت نحو الصناعات الحربية ، ونحو الاستهلاك والاسعار والمبيعات .

فاليابان هي الدولة الاستعمارية الوحيدة التي تشجع التصنيع في مستعمراتها في الخارج بتأمين التنسيق التام مع صناعاتها . وبما لا شك فيه قط ان الاقتصاد الحربي الذي كان الدواء الناجع للأزمة في الوقت الذي بقيت فيه القطاعات الاقتصادية الاخرى تحت الضغط ، حتى اقتصاد الولايات المتحدة الاميركية نفسها ، تحيطه اليابان بعنايتها الكبرى وتوسع من نطاق اقتصادها ، مما ادى الى تسجيل ارتفاع محبوس في الدخل القومي . وقد عملت التجارة دوماً على سد العجز في الميزان التجاري ، عن طريق الخدمات المتنوعة ، والأسطول التجاري الذي ارتفع حجمه الى ٤٠٥٠٠٠٠٠ متر مكعب ، اصبح الآن الاسطول

الثالث في العالم . والاستثمارات الضخمة التي قامت بها الدولة والقطاع الخاص ، لم تتوقف سوى فترة قصيرة ، واستمرت في ارتفاعها كما ارتفعت طلبات السلطات العامة .

ان تدابير الحماية التي لجأت اليها كل الدول وتسبحت بها ، البلدان ذات الاقتصاد الزراعي وتطور الانتاج الزراعي في كل من انكلترا والمانيا واطاليا ، ادخل الخلل والبلبل على السوق الدولية ، وتسبب بانخفاض هام في المشتريات لدى الدول المصدرة لها ، كما تسبب ، بالمقابل ، بانخفاض في شراء المنتجات المصنوعة في البلدان المعروفة باقتصادها الزراعي ، اذ كانت عاجزة عن مواجهة اثمانها . واخذت هذه البلدان تشعر اكثر من كل وقت مضى بتابعيتها ، وتتألم من فقدان المنتجات المصنوعة . ولذا راحت تقبل على التصنيع بهمة ونشاط . فقد تمكنت بما لديها من اعتمادات فادرة ، وبواسطة مقايضة انتاجها ، عملاً بسياسة المقايضات التي دشنتها المانيا ، وتوفر يد عاملة رخيصة في البلاد ، ان تستدرج رؤوس الاموال . كل هذه العناصر وما اليها اتاحت لها تأمين الاجهزة والابتهدة الآلية التي تساعدها على خلق الصناعة فيها . وهكذا راحت المانيا تطور صناعاتها الغذائية كما تطور صناعة تركيب الآليات واجهزة الراديو بعد ان فرضت رسوماً جمركية عالية على الاجهزة الجاهزة التركيب . وفي عام ١٩٤٠ ، كان باستطاعتها تقريباً ان تكفي نفسها بنفسها في عدد كبير من المصنوعات المشغولة . واخذت الشيلي في تنظيم صناعتها ، سعياً منها وراء مزاحة الثروات الصناعية ، وتطور اجهزتها وعتادها في سبيل تطوير الطاقة الكهربائية المائية ، بواسطة اعتمادات حصلت عليها من بنك التصدير والواردات في واشنطن ، قدمها لشركة التصدير الشيلية التي تأسست عام ١٩٣٩ . وفي الهند وتركيا والبرازيل ، حققت صناعة النسيج تطورات عظيمة وبذلت مثل هذا الجهود ، كل من بلدان اوروبا الوسطى واوروبا الشرقية ، كما سجل تقدم محسوس في كل من رومانيا واليونان ، وبولونيا وهنغاريا . ففي كل بلدان اوروبا او البلدان الواقعة وراء اوروبا ، جاء الاقبال على شراء الآليات الجاهزة خلال هامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، دليلاً قاطعاً على هذا العزم الصادق في النهوض بسياسة التصنيع ، وتوفير القوى المحركة ، وتأمين اسس الاستقلال الاقتصادي الذي ادى في بعض الدول الى الدكتاتورية الفعلية .

وقد جاءت النتائج بليغة في لغتها . فالبلدان التي لا يزال لها انتاج مرتفع نسبياً خلال الازمة والتي زادت نسبتها نسبة عام ١٩٢٩ ، هي هذه الدول الزراعية التي اعتصمت بسياسة التصنيع . فالارقام البيانية او القياسية لصناعة النسيج عام ١٩٣٧ ، هذا النموذج بالذات لانتاج الحاجيات الاستهلاكية ، بلغ ٢١٦ في ليتوانيا و ٢٠٥ في الشيلي و ١٧٦ في فنلندا و ١٦٣ في السويد ، ١٥٤ في النرويج (مع العلم ان ١٠٠ هو الرقم البياني لعام ١٩٢٩) .

٢ - الوضع الاقتصادي بين ١٩٣٧ - ١٩٣٩

جاءت نتائج هذه الجهود غير متكافئة ، كما رأينا بالنسبة لجميع
البلدان ، باستثناء فرنسا . فالأزمة التي ظهرت عام ١٩٢٩ ،
أخذت تحتدم وتشتد حتى عام ١٩٣٢ ، ثم طرأ بعض التحسن على الوضع العام ، مع بعض
التقلبات ، تتسع أو تضيق في بعض البلدان ، وبعض الارتكاسات هنا وهناك قتباً بين شدة
وحدة . وفي عام ١٩٣٦ ، أمكن تسجيل المعدل الذي كان عليه الانتاج عام ١٩١٣ والعودة الى
النشاط المألوف ، هاد سيرته الاولى ، والتوازن بين مختلف قطاعات الانتاج من جهة ، وبين
الاسعار بعضها ببعض يتضح أكثر فأكثر كما ازداد استهلاك البضائع المختزنة ، ونفدت حصة
البطالة كثيراً كما تحسنت كثيراً اوضاع العمال . الا ان المصانع لا تعطي سوى ثلثي طاقتها ،
أشباعاً منها لحاجات السوق المحلية . واخذت ترتفع منذ عام ١٩٣٣ ، اسعار الخامات التي
اشتد حولها الطلب ، وازداد حجم التجارة العالمية . وارتفعت منذ مطلع عام ١٩٣٥ قيمتها على
اساس قاعدة الذهب ، الا انها بقيت ٢٠ ٪ دون قيمتها عام ١٩١٣ . فتجارة الحاجيات المشغولة
كانت اقل تقدماً من جهة الوزن ، نتيجة محتومة لظاهرة التصنيع في البلدان الجديدة ، وامور
التغذية التي كانت اقل تطوراً من حيث قيمتها من جراء سياسة الاكتفاء الذاتي التي سارت عليها
البلدان الكبرى الصناعية .

والتوازن بدأ يقع بين طاقتي الشراء المتممة الواحدة للآخرى : طاقة البلدان الزراعية
وطاقة البلدان الصناعية . والعودة الى الوضع الطبيعي بدت ظاهرة واضحة لاسباب تقدمية كما
هي الحال في بعض البلدان : كاليابان والبلدان السكندنافية والشيلى وبريطانيا العظمى . وقد
بدت هذه العودة ظاهرة واضحة ، ولو اقل اتساعاً ، في كل من ألمانيا وإيطاليا بدافع من
الانشاءات العامة فيها ومقتضيات التسليح ، كما جاءت ضعيفة جداً او لا اثر لها للبتة في بعض
البلدان كفرنسا حيث لعبت اسباب مقاومة الانكماش المالي دوراً كبيراً ولمدة
طويلة .

وللخروج من هذه الضائقة استعملت المحاولات والوسائل والذرائع ذاتها وان تباينت حماسة
واسلوباً بين بلد وآخر ، ولا تزال الافكار تتضارب الآن حول انجح هذه الوسائل التي حملت
معها عوامل التحسين وامثلها . فهل يعود لعمري فضل الابلال من هذه الضائقة للولايات المتحدة
بعد الاجراءات التي اتخذتها وأدت الى تخفيض قيمة الدولار ، أو الى سياسة الانشاءات الكبرى
والتدابير العديدة الرامية لرفع القوة الشرائية لدى الجماهير الشعبية ، بعد ان ضحت الدول
بسخاء بهذه المبالغ الضخمة ؟ والعودة باسعار المواد الزراعية ، بين ١٩٣٣ - ١٩٣٥ هل يجب
رده يا ترى ، الى تخفيض قيمة الدولار او الى سياسة التقليل من الحاصلات والحد من الانتاج
التي فرضتها الدولة وساهمت الاحوال الجوية على تحقيقها ؟ وهذا الازدهار النسبي الذي نعمت

به انكلترا بين ١٩٣٥ - ١٩٣٧، هل جاء نتيجة تخفيض قيمة الجنيه الانكليزي او العودة بالبلاد الى نظام الحماية الجهركية ؟ وما عسى ان يكون على العموم ، من التأثير الذي أحدثه هذا العامل المضاد لطبيعة الاقتصاد الذي يتمثل في التسليح ؟

ولكن هذا التحسن الطارئ لم تتوفر له عناصر البقاء والاستمرار اذ النكسة والتسلح قد ظهر في اواسط عام ١٩٣٧ ، لا سيما في نطاق الصناعات التي تعمل على توفير الحاجيات الانتاجية ، عوارض انكفاء وتقهر الى الوراء ، يمكن مقارنتها بالعوارض التي بدت عام ١٩٢٩ - ١٩٣٠ . ففي اوروبا ، حيث تمثل نفقات التسليح جانبا هاما من موازنات دولها ، فالنكسة فيها هي اقل عمقا منها في البلدان التي لم تندفع نحو سياسة التسليح هذه ، كالولايات المتحدة الاميركية والدول الصغرى في اوروبا ، وكندا حيث لا تمثل اقتصاديات الحرب سوى جانب ضئيل من اقتصاديات البلاد . فالنشاط الاقتصادي في الولايات المتحدة هبط ٣٧ ٪ بالنسبة لما كان عليه عام ١٩٢٩ ، وتجاوز عدد العاطلين عن العمل فيها ، عام ١٩٣٨ ، عشرة ملايين عامل ، والعودة الى اتفاق مبالغ ضخمة على الانشاءات العامة فشل في احداث اي تحسن في الوضع الاقتصادي ، اذ ان عدد العمال العاطلين عن العمل ، عام ١٩٣٩ ، يزيد على تسعة ملايين عامل . فالحرب وحدها هي التي « صفت » الازمة ، اذ اقتضت استيعاب اليد العاملة بأسرها . فمنذ عام ١٩٣٧ ، اصبح التسليح الذي لم يكن الى ذلك الحين سوى حافز بسيط من الحوافز الاقتصادية بدا وكأنه السوق الكبرى لاستيعاب الانتاج الصناعي بحيث اصبح « العماد الوحيد » لمعظم البلدان الصناعية الكبرى . والامر واضح جلي في نشاط معظم البلدان الاوروبية التي لم تفرق بعد في التسليح ، كبريطانيا العظمى مثلاً ، حيث النشاطات الاكثر ازدهاراً هي التي تتمثل في صناعة بناء السفن ، وصناعة المحركات والطيران بينما احتدمت البطالة في صناعة النسيج واستخراج الفحم . والدور الرئيسي الذي تلعبه حاجات الجيش ومقتضيات التسليح ، أكفلم يبرز واضحاً في تصريح لوزير الدفاع البريطاني الذي صرح عام ١٩٣٧ بان انكلترا لن تعرف ازمة جديدة قبل خمس سنوات . وسعر الخامات مرتبط بحاجات الدفاع . وفي سنة ١٩٣٨ ، انخفضت اسعار الحبوب واسعار لحم الفم والمنسوجات والكافكاو ، بينما ارتفعت اسعار المعادن على اختلافها .

فالتسلح هو وحده وراء ازدهار انتاج المواد الاولية . الا ان هذا الانتاج كاتنتاج المواد الزراعية يصعب ضبطه والتخطيط له ، بحيث ان المخزون الدولي اخذ منذ عام ١٩٣٨ ، يتضخم بصورة لا تخلو قط من الخطر . ففي هذا التاريخ بالذات كان مخزون المطاط يزيد ٥٢ ٪ على مخزون عام ١٩٢٩ ، كما ان مخزون الصوف زاد ٦٥ ٪ والحرير الخام زاد ٢٣ ٪ والنحاس الخام زاد مخزونه ٤٥ ٪ ، وزاد ٢٢٧ ٪ مخزون النحاس المكرر . فمخزون القصدير وحده كان دون مستوى عام ١٩٢٩ ، ومخزون القطن هو اعلى بكثير من مخزون اسوأ سنة من سنوات الازمة المالية ، بينما مخزون القمح بلغ ٣٢ مليون طن ، مقابل ٢٩ في عام ١٩٢٩ . فهو ضعف

التصدير العالمي المتوقع . وقد اشترت جانباً من هذا المخزون الحكومات السقي منها ان تنشئ
عندها احتياطياً للحرب ، الا ان تراكم هذا المخزون لم يكن سوى ذريعة ، لم يكتب لها النجاح
دائماً . فقد افادت في تفادي سقوط مفاجيء للأسعار بعض الوقت .

الاقتصاد العالمي والقلق الذي يمانيه
فالنقاهة كانت قصيرة الامد وسريعة العطب . فالاضطرابات
الداخلية التي اقامت بعض البلدان واقدمتها انقطعت
باستثناء فرنسا . الا ان خطر تأزم الوضع السياسي الدولي ازداد تفاقماً . ولذا لم تعد المبادلات
الدولية الى سابق نشاطها المعهود . فنذ ادنى نقطة وصلت اليها الازمة عام ١٩٣٢ ، ازداد
الانتاج بصورة ملحوظة في جميع المجالات ، الا ان الاستهلاك لم يرسم مثل هذا الخط السوي .
فالطلب بقي دون العرض بكثير ، مع ان مستوى العيش لدى غالبية السكان في العالم ، كان
دون مستواه ، عام ١٩٢٩ ، كما ان تراكم المخزون بعد ذلك بعشر سنين بقي في مستودعاته
ليس من يشتره في البلدان التي كانت من قبل في عداد الدول المصدرة له .

وهكذا استمرت البطالة من جراء تضخم اليد العاملة بطولوع اجيال جديدة من العمال ،
ولدت قبل عام ١٩١٤ وبعد الحرب ، في إفريقيا والصناعة ومكننة الزراعة ، وفي اعقاب
هذه السياسة التي أدت الى الإقلال من اليد العاملة الى اقصى حد في وسائل الانتاج ومعداته ،
كما جاء هذا الاستمرار نتيجة حتمية لمجود اوركود قسم من الاجهزة المنتجة . فاذا ما كان
٢١ و ١٪ من العمال لا يزالون بدون عمل ، عام ١٩٣٢ ، فالنسبة بقيت عالية جداً عام ١٩٣٨ ،
اذ كانت ١١ و ٤٪ . وهكذا نرى انه بالرغم من عودة جانب كبير من العمال الى العمل ، فعدد
الماطلين عن العمل بقي عام ١٩٣٧ ، اعلى منه في عام ١٩٢٩ . وهكذا يمكن لنا ان
نكسأل ما اذا كانت النظام الاقتصادي اصبح الآن عاجزاً عن تأمين العمل لكل العمال الذين
يستطيعونه .

الاقبال على الاتفاقات الثنائية
كثيراً ما عمدت الدول الى عقد اتفاقات ثنائية قصيرة الأجل ،
غالباً بشكل مقايضات ، لتأمين ما تحتاج اليه من محاصيل وغلل
لا تنتج مثلها . فقد حل محل المبادلات المتعددة الجوانب التي ألفها الانسان من قبل طريقة
المبادلات الثنائية ، فاقترنت المبادلات مع الخارج على مقايضة المواد المنتجة اقليمياً او محلياً .
ففي الوقت الذي كانت فيه الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا مثلاً توطدان علاقاتها
بمستعمراتها ، راحت الدول التي لا مستعمرات لها في الخارج ، كالمانيا مثلاً تحاول ان تلتشىء لها
مجالاً حيويًا تعتمد في توسيع حلقة امتيازها من أوروبا الوسطى واميركا اللاتينية ، بينما راحت
الدول الثانوية تلتشىء فيما بينها تيارات من المبادلات لتتناول المحاصيل الاضافية . فاستيراد
بريطانيا من مستعمراتها ارتفع بين ١٩٢٩ و ١٩٣٧ من ٢٩ و ٤٪ الى ٣٩ و ٤٪ كما ان صادراتها الى
مختلف مستعمراتها ارتفعت في المدة ذاتها من ٤١ و ٤٪ الى ٤٤ و ٣٪ . اما فرنسا فالارقام

النسبية هي ١٣ و ١٧٪ (بين ١٩٢٨ - ١٩٣٨) في ما يتعلق بالاستيراد و ١٨ - ٢٧٪ للصادرات . وهكذا نرى العالم متجزئاً او متوزعاً بين كتل شبه موحدة بعضها بوجه البعض . كتلة الاسترليني وكتلة الدين والكتلة الالمانية ، وضمن هذه الكتل تشتد روابط التبادل التجاري وتقوى . فقد انهارت القواعد التي قامت عليها المبادلات المتعددة الجوانب كما زال عهدا وانقطع .

فحركة المحسار اوروبا وانكفائها التي ابتدأت في اعقاب الحرب اخذت انحسار اوروبا تشتد وتقوى . فقبل عام ١٩٢٠ ، لم يكن هذا الانحسار سوى حركة نسبية . فاوروبا تتطور بسرعة اقل من السرعة التي يتطور فيها باقي اقسام العالم . اما الآن فهناك المحسار قائم في عدد من القطاعات الاقتصادية . فنصيب اوروبا من هذا من الاقتصاد العالمي لم يعد ليتجاوز ، عام ١٩٣٧ ، ٣٩,٥٪ . فقد انخفض فيها انتاجها لمادتي الحرير الخام والصوف ، مع ان هذا الانتاج يزداد ويتضخم في جميع انحاء العالم ، بينما بقي انتاجها للفحم الحجري على معدله المعروف . وفي الصناعات الحديدية ، لم تعد اوروبا لتنتج سوى ٤٢,٥٪ من مجموع انتاج الصلب في العالم ، (مقابل ٥١٪ في عام ١٩١٣) ، و ٤٠,٩٪ من الفولاذ او الصلب ، مقابل ٥٠,٧٪ في عام ١٩١٣ ، ونصيبها من الالومينيوم تناقص كما تناقص كذلك انتاجها من النحاس المعد للصلب (١٠,٥٪ ، مقابل ١٤,٦٪) .

واستثناف العلاقات الخارجية في العالم بين ١٩٣٢ - ١٩٣٧ ، يجب رده الى القارات الاخرى اكثر من رده الى اوروبا .

والتجارة الاوروبية لم تعد تمثل ، في سنة ١٩٣٧ ، سوى ٤٥٪ من مجموع التجارة العالمية لعام ١٩٤٩ ، والنكسة التي وقعت عام ١٩٣٨ جعلت هذا المعدل يهبط الى ٤٠٪ . ولهذا كانت حركة الجزر هذه حركة مطلقة تم عن حرج الوضع بعد ان شال هبوط الصادرات على الواردات .

وهذا لا يعني قط المزيد من الاستقلال لاوروبا في المجال الاقتصادي ، بل انما يعني المزاحة الشديدة التي تلقاها تجارتها ومصنوعاتها في الاسواق العالمية . فلا عجب والحالة هذه ان يقع ميزان مدفوعاتها في عجز متصاعد . فبعد ان توقف دفع الفوائد والارباح ، تناقص ربح الاستثمارات الموظفة في الخارج ، كما ان اجور الشحن هبطت هي الاخرى من جراء التناقص التدريجي في حولة الاساطيل التجارية في اوروبا بعد ان تضاعف اسطول اميركا التجاري ، وزادت طاقة الاسطول الياباني ثلاثة اضعاف ، منذ عام ١٩١٣ ، وتناقص حجم التجارة العالمية عن معدله عام ١٩١٣ .

وهكذا نرى ان الازمة سددت ضربات قاصمة لمركز اوروبا . فبعد ان اقصيت خلال الحرب من اسواقها المعروفة لصادراتها ، فقد عجزت عن ان تستعيد كل الاسواق التي فقدتها كما ان الازمة الاقتصادية كالت لها ضربة جديدة انزلتها بدونها في الخارج . والى هذا يجب ان

نضيف التراجع الفسي الذي لحق بإنتاج الفحم فيها أمام سيطرة البترول النامية الذي كانت أميركا وآسيا أكبر منتجين له . وازدهار صناعة المعادن غير الحديدية التي كانت أوروبا تفتقر إليها (باستثناء الألومنيوم) ، وأخيراً وليس آخراً الخسارة المالية التي لحقت أوروبا في تصفية الحرب والخروج منها ، والاستعداد للحرب القادمة ، ابتداء من سنة ١٩٣٣ . أضف إلى ذلك بهيمنة الدين العام والضرائب التي ضخمت أسعار المنتجات ، في وقت كان فيه جانب كبير من الأجهزة الصناعية والعتاد التقني عندهما يعمل للتسلح بدلاً من أن يعمل للتصدير .

لم يعد البحث عن الخامات والأسواق وقفاً على الأفراد والخاصة من أرباب الصناعة والتجارة ، يسعون كل من جانبيه لما فيه نفعه ومصالحه بل آل الأمر إلى مؤسسات متكئة وإلى حكومات اضطرت أمام افتقارها إلى عملة دولية ثابتة وإلى انعدام وسائل الإبراء التقليدية ، أن تبحث لها عن مناطق تموين تكون منسرباً لتجارها النامية ومنفذاً لها . هذا هو بالذات الوضع الذي تشجعه كلمة مأثورة لموسوليني عندما يميز بين « دول بروليتارية ودول بلوتوقراطية » (ثرية) ، كبريطانيا وفرنسا وبلجيكا والبلاد الواطية التي تعمل بنسبة جماعات عام ١٩٣٦ ، في إنكثار ٤٨،٥٪ من المواد الغذائية ، و ٣٨ بالمائة من الخامات الضرورية لها ، وفي فرنسا ، عام ١٩٣٧ بمعدل ١٨ بالمائة و ١٢ بالمائة وفي بلجيكا والبلاد الواطية مقادير كبيرة من الربح والتقدم المالي . وبين الدول الأخرى « الراضية » الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي اللذين يملكان في أراضيها الشاسعة ، مع كثافة ضئيلة من السكان نسبياً ، كل ما يحتاجان إليه من الخامات تقريباً ، بينما الأولى منهما هي أكبر منتج للمواد الأولية في العالم .

وبين الدول الراضية أو غير القائمة تأقي اليابان ، مع أنها تملك امبراطورية استعمارية واسعة ، وقد وجدت في منشوكو وفي الصين الداخلتين في مداها الاقتصادي الحيوي ، الفحم والقليل من البترول وفول الصويا والقمح . إلا أن كل المستعمرات اليابانية لم تكن تعطي اليابان سوى ١ - ٢ من مجموع ما تستهلكه ، و ١/١٠ استيرادها كانت تؤمنه من الهند (٤،٤ بالمائة) ومن الولايات المتحدة الأميركية (٦،٩ بالمائة) . أما إيطاليا ، فقد كان عليها أن تواجه ، أسوة باليابان ، المشكلات التي فرضتها عوامل نموها الديموغرافي وجهودها لتصنيع البلاد ، فالنضال في سبيل القمح لم يوفر لها سوى نتائج متقطعة وضعيفة . ان جذب المواسم سنة ١٩٣٦ اضطرها لاستيراد ربع حاجتها للمواد الاستهلاكية لعام ١٩٣٧ كما أن مواردها من اللحم والزبدة لم تكن تسد حاجتها ، وكذلك الفسيج (باستثناء القنب والحرير) ، والمنتجات الصناعية (باستثناء البوكسيت والكبريت) . ان إشرافها على آبار البترول في البانيا وتقوية استثمارها لمواردها الطبيعية ، والسياسة الجماعية التي اعتمدتها ، كل ذلك لم يوفر لإيطاليا سوى استقلال نسبي . ففي عام ١٩٣٧ ، كان استيرادها للمواد الأولية يؤلف ٤٥ بالمائة من مجموع استيرادها ، كما أن

استيراد المنتوجات نصف الجاهزة مثل ٢٠ بالمائة ، ومساهمة الامبراطورية الاستعمارية التي أنشأتها من عهد قريب لم يكن بوسعها قط أن يحررها من هذا العبء .

وتأتي ألمانيا في طليعة الدول « غير القابضة » أو غير الراضية . ان اتجاه البلاد نحو الدكتاتورية والتنظيم الشديد الشكيمة ، للاستهلاك ، استطاعا أن يؤمنا لها ، منذ عام ١٩٣٧ ، أن تكفي نفسها بنفسها تقريباً من الوجبة الغذائية . وفي مجال الخامات ، هي أوفر حظاً من إيطاليا ومن اليابان . فهي من كبار البلدان المنتجة للفحم والبوتاس واللينيت والملح ، وفيها من المنغنيز ما يفي ، الى حد كبير ، بحاجاتها (٦٠ بالمائة) ، والرصاص ٣٢ بالمائة ، والخشب والفرايت ٧١ بالمائة ، فهي مضطرة لاستيراد $\frac{1}{8}$ حاجتها من النحاس وثلاثي حاجتها من الحديد . واستطاعت صناعتها الكيماوية أن تؤمن لها بديلاً (عن البترول) بهدرجنة الفحم الحجري واللينيت . ومع انها ضمت اليها عام ١٩٣٨ كلا من النمسا ومقاطعة السوديت اللتين أمنتا لها جانباً من حاجتها للمواد الغذائية وبعض الخامات الاخرى ، فقد زادت ، مع ذلك ، من مومها كما زادت من المعجز الذي تعاني منه . واضطرارها للخامات ، ريثما يتم تنظيم صناعاتها وتأمين التنسيق فيما بينهما وبين صناعات الرايخ ، ووضع خطة كاملة في هذا الصدد .

وهناك دول أخرى اعتبرت نفسها غير راضية وإن لم تبد اعتراضات رسمية في هذا الشأن ، وكانت هي الاخرى قلقة جداً لافتقارها للخامات . كان هذا هو بالفعل وضع بولونيا التي كان عليها أن تستورد القطن والأصواف والخرصوات والجلود الخام والنحاس ، بما كان يؤلف معاً ثلث استيرادها عام ١٩٣٧ ، في الحين الذي اشتد فيه الضغط الديموغرافي . وفي مثل هذا الوضع تقريباً تسكمت البرازيل ورسفت ، اذ بالرغم مما لديها من موارد احتياطية ضخمة ، كان عليها أن تفندي صناعاتها التحويلية باستيرادها المستمر للفحم والبترول بينما تفتقر اصلاً للقمح .

في وسط هذا النقاش والجدل الذي قام حول الخامات ، كانت الدول غير القابضة تتعلل قبل كل شيء فيما تتعلل به من حجب ، افتقارها لوسائل الدفع . « ان ألمانيا تحتاج لمواد أولية تدفع ثمنها بالمارك الألماني » كان يردد أحد خبراءها في علم الاقتصاد ، هو الدكتور شاخنت ، منذ ١٩٢٦ ، وان « ألمانيا لا تستطيع حل المشكلة إلا بإنتاجها هي نفسها للمواد الأولية الضرورية لاستهلاكها ، على أرضها وفي دارها بالذات » ، هذا هو السبب بعينه الذي يحدد بالدول المقترة للخامات ، للمطالبة بإعادة توزيع المستعمرات توزيعاً عادلاً . وهذا لا يعني قط أن المستعمرات التي لم تكن تعطي مجتمعة سوى ٣ بالمائة من مجموع الخامات ، كان باستطاعتها أن تفي بحاجات دولة واحدة من الدول غير الراضية ، إنما إعادة توزيع المستعمرات قد يكون فيه حل للقضية العملات الصعبة أو النقد النادر .

وقضية الخامات المرتبطة بتوزيع المستعمرات التي تطالب بها كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان

ويولونيا ، ترتبط بسبب وثيق بقضية الاسواق التجارية . كل هذه البلدان ترى نفسها مرتبطة باسواق اجنبية في كل ما يتصل بتمويلها بالمواد الاولية وبتصريف انتاجها أيضاً . ان توسع صادرات اليابان بواسطة سياسة الاغراق التجاري التي سارت عليها مثلاً في منسوجاتها ، مكنتها من تصريفها بأسعار تقل من ٤٠-٧٠ ٪ عن أسعار المنسوجات الاوروبية ، الامر الذي حمل الدول الاخرى على فرض رسوم حماية عالية والاخذ بسياسة التقنية والاجسازة المسبقة . ففي دول كالمانيا وايطاليا مثلاً تستطيعان الحسد من نتائج سياسة الاغراق التجاري والوقوف في وجهها بصورة فعالة ، فالاسواق الخارجية لم تكن تصلح سوقاً للتنفيذ الا باعتماد اساليب ووسائل نقدية معقدة ، او بواسطة عقود واتفاقات ثنائية تليق في وضعها من قبل . ولعل ابسط الحلول واقربها منالاً كان ولا شك الحصول على اراض جديدة . وهذا ما حمل اليابان على التطلع نحو الصين بقصد بسط سيطرتها وفرض الحكر على اسواقها الضخمة . وحاولت المانيا من جهتها ايجاد منطقة نفوذ اقتصادي وسياسي لها في اوروبا الجنوبية والشرقية ، وفي امريكا اللاتينية كما راحت ايطاليا من جهتها تنشئ لها مثل هذا المدى الحيوي في اوروبا الوسطى وفي البلقان ، وفي الشرق الادنى .

النتيجة وهكذا نرى كيف ان الازمة دفعت بالعالم نحو « اقتصاد معقد » جاء حركة عكسية ضد النظام القائم على التوزيع الدولي للعمل وعلى حرية التبادل التجاري . ولذا رأى ان يوجه اقتصاده القومي نحو الاستقلال الذاتي . فنظرية الاقتصاد القومي والرغبة في تأمين الاستقلال السياسي ، والحاجة الشديدة الى القطع النادر والعملات الصعبة والاستعداد لحرب جديدة وشبكة الوقوع ، كل هذه العوامل مجتمعة ، تضافرت معاً لتعجيل عملية مكننة الدول التي لم تتمكن بعد ولم تتصنع ، وعلى حمل الدول الاخرى لتحقيق استقلالها الذاتي في كل ما يتعلق بأمور التموين والتجهيز بالمواد الغذائية والخامات . فكل الذرائع والاساليب التي استخدمت في هذا السبيل ادت الى عزل الدول او مجموعات الدول ، كما ادت بالتالي الى انكفاء ذريع في الحركة التجارية العالمية . وبدلاً من عقد الصفقات الحرة بين الشاري والبائع ، وخلافاً لناموس العرض والطلب ، اخذت المقايضات تلعب دوراً هاماً في هذا المجال . فالحكومات هي التي تتفاوض وتساوم بعضها مع بعض ، فحلت بذلك محل الخاصة والافراط ، وفرضت عليهم ارادتها ووجوب التقيد برغبتها العليا ، حتى ان البعض من هذه الدول عمدت الى سياسة الاحتكار الشامل او الجزئي للتجارة الخارجية . وعلى كل حال ، ففي عام ١٩٢٩ الذي اندلعت فيه شرارة الحرب العالمية الثانية ، لم تكن الازمة الاقتصادية انقضت غيمتها وارتفعت كربتتها بعد ، ولا يزال العالم يرى قسماً من عتاده واجهزته جامداً لا يعمل ولا يتحرك ، كما يرى الملايين من العمال العاطلين عن العمل يتعذر بل يستحيل دمجهم في دوامة الانتاج . فهم يؤلفون بالفعل جيشاً قائماً وليس جيشاً احتياطياً من العاطلين عن العمل . فالبنيان الاقتصادي العالمي مخلس ، مقعد ، اكثر من اي وقت مضى .

الفصل الرابع

الأزمة

ونتائجها الفكرية والاجتماعية

نحن في وقت تنتصب فيه بوجوازية فولتريانية تقليدية
مستمكة بفلسفة « الاقوار » ، لتدافع عن المواقف التي
تحتلها ضد مبادئ حداثتها . فاذا بها تنقلب فجأة لتقف
الى جانب الذين يعارضون التقليد بحرية الضمير وبحلوت
المذهب الفلسفي محل التحليل الموضح ، والشك محل
اليقين .

ر. م. ألبيريس

١ - نتائج الديموغرافيا

ان الامة التي ارتدتها الازمة وطول مداها واتساع البطالة وازدياد مشكلات
السكان الحياة تعقيداً وإيهاماً ، كل هذه الامور بعثت في النفوس النزعات القديمة التي
تقول بنكوص او تقهر معدل المواليد ، بينما فقر التغذية بين اولاد العاطلين عن العمل كان
عاملاً في تأخر نموهم وتكاملهم كما كان من العوامل التي زادت من نسبة الوفيات . ففقود
الزواج (باستثناء فرنسا) لم يبط معدلها الا قليلاً ولمدة وجيزة ، مع ان « الاجيال العجاف »
التي وُلدت خلال الحرب ١٩١٤-١٩١٨ ، بلغت سن الزواج ، كما ان معدل المواليد تناقص
في البلدان الصناعية شأنه في البلدان الزراعية .
فتم السكان الذي كان معدله في السنوات العشر الاخيرة من القرن التاسع عشر ١٢ ٪ في
انكلترا لم يعد ، بين ١٩٣٠-١٩٤٠ ، سوى ٤،٥ ٪ . ومبطلت النسبة كذلك في السويد
من ٧ الى ٣،٥ ٪ ، وفي سويسرا من ١٣ الى ٤ بالمائة ، وفي المانيا من ١٤ الى ٩ بالمائة ، وفي
فرنسا من ٢ الى ١ بالمائة . والمعدل الاجمالي للتناسل الذي كان بين ١٩١١-١٩١٤ ، في جميع
بلدان اوروبا الشمالية والغربية ١٤ بالمائة مبط الى ٩،٥ بالمائة عام ١٩٣٣ . والحركة السكانية

لا تحافظ على معدلها او انها لا ترتفع قليلا الا عن طريق انخفاض معدل الوفيات الذي هبط بين ١٩٢٥ - ١٩٣٥ ، من ١٧٤ في الالف ، الى ١٥٧ في الالف في فرنسا ، ومن ١١٩ الى ١١٨ في الالف في ألمانيا ، ومن ١٧١ الى ١١٧ في الالف في انكلترا . والفرق بين المواليد والوفيات اصبح ٢٣٣,٠٠٠ في ألمانيا ، عام ١٩٣٣ و ١٢٢,٠٠٠ في انكلترا ، عام ١٩٣٥ . اما في فرنسا ، فتسجل السنة نفسها عجزاً بلغ ١٨٠,٠٠٠ . ويمكن ان نلاحظ في جميع بلدان أوروبا الشمالية والغربية التي تأثرت اكثر بالأزمة ، منطقة عمر واسعة ، حيث تعجز حركة المواليد عن تعويض السكان باستثناء البلاد الواطية . وهذا المقياس يبرز على اتم في المدن الكبيرة (جنيف ، فيينا ، مونيخ ، فرانكفورت على الماين - ميمبورغ - برلين ، الخ) حيث معدل الانجاب هبط الى ٥ بالمائة .

وفي الولايات المتحدة ، جاءت الازمة بالنتائج ذاتها في الحركة السكانية . فالسكان الذين ازداد عددهم ١٧ مليون نسمة بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ لم يزد عددهم سوى ٨,٨٩٤,٠٠٠ بين ١٩٣٠ - ١٩٤٠ . لمعدل النمو هبط ، والحالة هذه من ١٦,١٪ الى ٧,٢٪ وهو ادنى رقم سجله النمو السكاني في البلاد منذ عام ١٨٨٠ . ولعل سبب ذلك يعود لتقييد حركة الهجرة الى البلاد تقييداً شديداً ، كما ان عدد الذين هادروا البلاد ، زاد ٤٠٠,٠٠٠ فالزيادة ليست ، والحالة هذه ، سوى حصيلة فائض المواليد على الوفيات لا غير .

حتى في هذه البلدان المعروفة بنمو السكان وتكاثرهم السريع ، فقد اصبحت الحركة الديموغرافية بالهبوط . ففي بولونيا حيث كان معدل الزيادة يتراوح بين ١٣ و ٢٠ بالالف وفقاً للولايات ، بين ١٩٢٦ - ١٩٣٠ ، إذ بهذا المعدل هبط من ١٤ - ١٠ في الالف بين ١٩٣٣ - ١٩٣٨ . ونمو السكان في اليابان ، بلغ الذروة ، عام ١٩٢٠ ، إذ سجلت الزيادة ٣٦,٢ بالالف . فقد هبطت هذه النسبة الى ٣٠,٨ بالالف عام ١٩٣٨ .

رد الناس في البلدان الليبرالية ظاهرة البطالة الى « تزايد عدد السكان نحو تشجيع الانجاب بحيث بدا لهم ان الحد الأدنى من الأولاد هو خير دواء لتفادي هذا البلاء الوخيم . ولذا رأينا مؤتمر الكنيسة الانكليكانية المعقود في لمبت ، عام ١٩٣٠ يوصي بتحديد النسل . أما الحكومات الدكتاتورية ، التي تهتم كثيراً بالوضع الذي يسببه نقصان النسل في مقدرة البلاد الحربية ، فقد راحت تبذل جهداً طائلاً لعكس الاوضاع ولتأمين زيادة الانجاب والمواليد في البلاد . فنذ عام ١٩٢٧ ، راح موسوليني بدشن « معركة المواليد » . فقد زين للناس ان نفوذ ايطاليا وعظمتها في العالم انما يقومان ، قبل كل شيء ، على نسبة عدد سكانها ، وراح يتخذ بعض الاجراءات والتدابير التي تساعد على نمو السكان وتكاثر الانسال والولدان بين الأسر الإيطالية : كتنفيض الضرائب ، والتسليف بقصد الزواج ، والمخصصات للعائلات الكبيرة ، وتفضيلها على غيرها في التوظيف والسكن ، وتوزيع الاوسمة ، وتخفيض الرسوم على التركات وغير ذلك . وهكذا ارتفع عدد السكان في ايطاليا من ٤١,٢٠٠,٠٠٠ عام ١٩٣٠ .

الى ٤٤,٥٠٠,٠٠٠ في عام ١٩٤١ ، وهي زيادة جاءت اكبر في ايطاليا الجنوبية ، المعروفة بتأخرها وبؤسها الاجتماعي ، منها في ايطاليا الشمالية الشديدة التصنيع والمدينة المدن . ومنذ ان استولى النازيون على الحكم في المانيا ، اتخذوا على شاكلة ايطاليا والفاشية فيها ، تدابير واجراءات للحد من « الانتحار القومي » ، وللحد من هبوط حركة المواليد في « هذا الشعب الذي لا قتيان ولا احداث عنده » . وهكذا ارتفع معدل المواليد من ١٤٧ في الالف ، عام ١٩٣٣ الى ٢٠٤ في الالف عام ١٩٣٩ .

استمرت الحركة في المدن وان بدت عليها نزعة ملحوسة الى التباطؤ
تباطؤ مركزية المدن والتمهل . فقد حدث في السنوات الاولى من الازمة ، وفي الولايات المتحدة الاميركية واليابان ، على الاخص ، حركة ارتداد بين السكان من المدن الى الريف . واخذ العاطلون عن العمل يغادرون المدن ليسكنوا مع عائلاتهم وأسرهم في الريف ، واخذ البعض في انكلترا ، اثر استمرار بعض الصناعات التقليدية في تدهورها يتزحون مع أسرهم من هذه « المناطق الموبوءة » بالبطالة في الشمال ومقاطعة بلاد غال ، باتجاه لندن والمنطقة الوسطى حيث تنشط الصناعات الجديدة . وصدر عام ١٩٣٤ في انكلترا قانون بتشجيع تيار الهجرة والنزوح بين العاطلين . ومع ذلك ، فلندن الكبرى التي زادت ٢٧ بالمئة بين ١٩٢١ - ١٩٣١ ، لم يزد معدل نموها سوى ١٩ بالمئة خلال السنوات العشر التالية .

وحركة النزوح والانتقال في داخل الولايات المتحدة تميزت بهجرة الزوج من الولايات الجنوبية نحو الولايات الشمالية ، كما راح السكان العاملون في المرافق الزراعية يتزحون من الوسط نحو الغرب تفادياً للقطط الذي يتعرضون له بمد جذب موسم ١٩٣٤ الذي تضرسوا به . والاحصاء الذي جرى عام ١٩٤٠ ، اوضح لأول مرة كيف ان معدل نمو السكان في المدن والريف جاء بنسبة واحدة اي في حدود ٧ بالمئة بالمقارنة مع السنوات العشر السابقة حيث كان نمو السكان بمعدل ٢٧,٣ بالمئة في المدن ، و ٤,٤ بالمئة في الريف . ومدن الجنوب والغرب هي التي سجلت اعلى نسبة من النمو ، بينما المدن الواقعة الى الشرق بقيت على وضعها او سجل بعضها هبوطاً طفيفاً (فيلادلفيا ٠,٨ بالمئة وكليفلاند ٠,٢ بالمئة) .

فقد استمرت حركة النزوح من الريف الى المدن بالرغم من التدابير والاجراءات التي اتخذتها السلطات المسؤولة للحد منها او للحؤول دونها . وهذا التأكيد لا يصح اطلاقه على الجزر البريطانية فحسب حيث لم يعد سكان الريف يمثلون سوى ٢٠ بالمئة من مجموع السكان ، عام ١٩٣٠ ، بل ايضاً على المانيا وايطاليا . فسكان الريف كانوا يؤلفون ٣٥ بالمئة من مجموع سكان المانيا عام ١٩٢٥ ، فاذا بهذه النسبة تهبط الى ٢٢,٨ بالمئة عام ١٩٣٣ ، والى ١٠ بالمئة عام ١٩٣٩ ، بالرغم من التشريع الذي هدف الى تشجيع الملكية الصغيرة موطداً بذلك العلاقة بين الارض والانسان . فقد انخفض عدد العاملين في الزراعة ، بين ١٩٣٣ - ١٩٣٩ الى ١٠ بالمئة وجاء الهبوط في ايطاليا بمعدل ١٠ بالمئة لا سيما بين العمال المياومين وصغار الملاكين ، مع ان الهجرة حدث منها او منعت تماماً ، من جراء الاجراءات التقليدية التي اتخذتها البلدان التي يتجه

اليها تيار الهجرة او من قبل التشريع الفاشي .

فالحركة لا تقتصر بالطبع على أوروبا . فالبرازيل تشهد تطوراً كبيراً في مدنها الرئيسية كالريو وساو باولو (٦٠ بالمائة) وبلو هوريزنته . والهند شهدت ارتفاعاً كبيراً في سكان مدنها الكبرى . فقد ارتفع عدد سكان هذه المدن من ٤٦ مليوناً الى ٦٢,٣٠٠,٠٠٠ في عام ١٩٤١ كما ارتفع عدد المدن التي يزيد عدد سكان الواحدة منها على ٢٠ ألفاً ، من ٣٧٣ الى ٤٧٤ مدينة ، كما ارتفع عدد المدن التي تجاوز عدد سكان الواحدة منها الـ ١٠٠,٠٠٠ من ٣٦ مدينة الى ٥٧ . وشهدت المدن الكبيرة تطوراً ملحوظاً في امتداد رقعتها السكنية يتراوح بين ٢٠ - ٨٠ بالمائة . فقد تضاعف عدد سكان كوابور خلال عشر سنوات (من ٢٤٣,٠٠٠ - ٤٨٧,٠٠٠ . واحد آباد زادت ٩١ بالمائة وكلكتو ٧٩ بالمائة ، ودكثا ٥٣ بالمائة ، ودلهي ٥٠ بالمائة وكراتشي ٤٥ بالمائة وهلم جرا) . وفي اليابان كان ٤٣ بالمائة من سكان البلاد يقطنون مدناً يزيد عدد سكان الواحدة منها على ١٠٠,٠٠٠ نسمة ، فارتفع هذا العدد ، عام ١٩٤٠ الى ٥٠ بالمائة ، بينما هبط عدد سكان الريف من ٥٤ بالمائة ، عام ١٩٢٠ الى ٤٥ بالمائة عام ١٩٤٠ .

الهجرات قد تمثل اخطر نتائج الازمة على الأخص في توقف الهجرة بعد ان اخذت حركتها تنبأاً منذ العقد السابق . فقد اقتصر تيار الهجرة ، بين ١٩٢٩ - ١٩٣٩ ، على بضع مئات الألوف من المهاجرين . وبما هو ابلغ من ذلك ، ان عدد النازحين في بعض البلدان يزيد عدد الداخلين اليها ، كالولايات المتحدة مثلاً حيث جاءت نسبة النازحين ، بين ١٩٣٢ - ١٩٣٥ ، تشيل كثيراً على نسبة القادمين اليها . وخلال السنوات العشر الأخيرة ، لم يبلغ عدد القادمين اليها ٣٠ بالمائة من الحصص المحددة رسمياً الا في سنة ١٩٣٩ ، اذ بلغت فيها نسبة القادمين ٤٠ بالمائة من هذه الحصص . وعلة ذلك انه 'طلب من كل طالب هجرة عام ١٩٣١ ان يبرز شهادة تثبت قدرته المالية على العيش فيها دونما عمل ، وهو شرط يرحب بهجرة الاغنياء اليها او قدوم من يستطيعون التمويل على اصدقاء لهم فيها ، وهو قانون اوصد ابواب اغني البلدان مورداً واقواها في العالم ، في وجه المعرضين لطغيان النازية واستهدفوا لبطشها . وفي كندا الفيت التشريعات المشربة بالحرية ، وفُرضت عام ١٩٣١ ، قيود قاسية حق على الرعايا البريطانيين ، فالزارعون وحدهم ، باستثناء البريطانيين ، يقبلون دونما شرط . وهكذا ، فعدل المهاجرين الذين كانوا يدخلون البلاد ، بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ، البالغ ١٢٢,٠٠٠ في السنة هبط الى ٢٧,٠٠٠ عام ١٩٣١ ، والى ١١,٠٠٠ عام ١٩٣٥ ، ليرتفع قليلاً الى ١٧,٠٠٠ عام ١٩٣٨ . وسارت على هذا النهج كل من الأرجنتين والاوروغواي ، واتخذت فيها اجراءات مشابهة . وحاولت البرازيل ، منذ عام ١٩٣٤ ، ان تقف في وجه المهاجرين القادمين من جمهوريات اميركا الوسطى واميركا الشرقية ، واقتصر الدخول اليها على المزارعين دون سواهم . وبجمل القول ، ان المعدل السنوي للمهاجرين في أوروبا بين ١٩٣٥ - ١٩٣٩ هو ادنى من ٥٠,٠٠٠ ، الا ان هذا المعدل عاد وارتفع عام ١٩٣٩ الى ١١٠,٠٠٠ ، يقابله ١,٥٢٧,٠٠٠ عام ١٩١٨ . وفلسطين

وحدها فتحت ابوابها على مصراعيها لتيار قوي موصول من مهاجري اليهود المضطهدين في المانيا . فقد دخلها ٩١,٠٠٠ مهاجر يهودي بين ١٩٣٠ - ١٩٣٤ ، و ٦١,٠٠٠ عام ١٩٣٥ ، بحيث بلغ عدد اليهود فيها ، عام ١٩٤٠ ، الى ٤٧٥,٠٠٠ ، بينما لم يكن عددهم فيها عام ١٩٣٠ سوى ١٦٧,٠٠٠ ، وهو اقصى ما قدرت هذه البلاد استيعابه منهم في تلك الفترة . وبقيت فرنسا الدولة الرئيسية في اوروبا التي تستقبل وفود المهاجرين الا انها وضعت في النهاية حداً لهذا التيار . فقد استقبلت عام ١٩٣٠ ، اكثر من ٢٢٢,٠٠٠ ، كما انها سدت ابوابها في وجه البولونيين .

وقد تأثر بهذه التدابير الزاجرة والاجراءات التقيدية على الأخص ، تلك البلدان التي كانت معيناً لا ينضب للهجرة كبولونيا وايطاليا اللتين الفتا اقوى مراكز الاغتراب في اوروبا . فقد هبط في الاولى معدل النازحين من ١٩٣٠,٠٠٠ بين ١٩٢٦ - ١٩٣٠ ، الى ٤٦,٠٠٠ ، بين ١٩٣١ - ١٩٣٥ ، ثم عساد فارتفع الى ١٢٩,٠٠٠ عام ١٩٣٨ . اما ايطاليا التي نزح منها ٨٧٣,٠٠٠ مهاجر عام ١٩١٣ ، و ٢٠١,٠٠٠ عام ١٩٢١ ، فلم يبارحها ، في الفترة الواقعة بين ١٩٢١ - ١٩٣٠ ، سوى ٥٢٩,٠٠٠ ، وهو عدد هبط الى ١١٨,٠٠٠ بين ١٩٣٨ - ١٩٤٠ ، نتيجة للاجراءات التي اتخذتها الحكومة منذ عام ١٩٢٨ للاحتفاظ بسكان البلاد او بالاحرى استعداداً لفتح افريقيا الشرقية .

ومن نتائج الازمة في القطاع الديموغرافي ومن عقابيلها المؤسفة ، طرد اليهود من الرايخ الثالث . فقد كان في المانيا ، عام ١٩٣٣ ، نحو ٥٠٠,٠٠٠ يهودي ، بينهم ١٠٠,٠٠٠ من يهود اوروبا الشرقية . فالاجراءات الرسمية القاسية التي تعرضوا لها منذ ربيع عام ١٩٣٣ ، ونفست عليهم الحياة ، والعنف الذي ذهبوا فريسة له ، حملهم على الهرب الا ان تصفية املاكهم قوبلت بصعوبات وتعقيدات شتى لم يبق لهم بعدها سوى ١٠٪ من ثرواتهم . فمن ١٩٣٣ الى ١٩٣٩ ، استطاع ٢٢٦,٠٠٠ تقريباً من اليهود مغادرة الرايخ . فاذا ما اضفنا الى هذا العدد « غير الاربين » والمهاجرين السياسيين لبلغ عدد الذين نزحوا عن البلاد ٤٠٠,٠٠٠ تقريباً توجه معظمهم الى فلسطين ، كما توجه ٢٧٪ منهم الى الولايات المتحدة الاميركية ، و ١٧٪ الى بلدان اميركا الجنوبية ، و ١١٪ الى فرنسا .

وفي اسبانيا حيث حطمت الازمة الحياة الاقتصادية والسياسية في البلاد ، فقد احدثت الحرب الاهلية فيها تيارات قوية للتزوح عن البلاد . فقد كان لتقدم القوات المغربية ولقصف المدن الكبرى في المناطق التابعة للجمهورية ان حمل اكثر من مليونين من السكان كانوا استقروا عام ١٩٣٨ ، في المنطقة الواقعة تحت سيطرة الجمهوريين ، ثم اضطروهم زحف الكتائب الاسبانية التابعة للجنرال فرنكو ، لهجرات جديدة . وعندما تم عام ١٩٣٩ فتح مقاطعة كتلونيا ، دخل اكثر من ٤٥٠,٠٠٠ اسباني ، بينهم ٢٢٠,٠٠٠ من وحدات الجيش الجمهوري الى فرنسا حيث استقر ٢٠٠,٠٠٠ منهم نهائياً ، وغادر ١٥ ألفاً منهم الى اميركا اللاتينية . ويقدر العارفون ان

اسبانيا خسرت عام ١٩٣٩ اكثر من ٧٠٠,٠٠٠ بين قتل ومهاجر .

ان اهمية القضايا الديموغرافية ، التي اثيرت منذ الحرب العالمية الثانية ، والتي زادت من الازمة الاقتصادية تعقيداً وتشابكاً ، لا يصح الانتقاص من اهميتها . فسياسة تعقيد الهجرة التي سارت عليها الولايات المتحدة الاميركية وحذت حذوها فيما بعد ، الدول الاخرى ، اوجدت في اوروبا وضماً ازداد تعقيداً يوماً بعد يوم ، كما حالت الدكتاتورية ، لدى هذا الفريق ، والحماية القاسية لدى الفريق الآخر ، دون تبادل المحاصيل كما حالت دون تبادل الناس .

٢ - تأثير الازمة في البنيان الاجتماعي

اثارت الازمة في كل البلدان ، انكفاءً في الدخل القومي كما احدثت فيها حركة توزيع من جراء التغييرات العميقة التي اوقعتها في البنيان الاجتماعي . فقد وسعت ، على الاجمال ، من نطاق الفروق الاجتماعية ، كما عملت في تسميم العلاقات بين هذه الطبقات وزادت من خصومة ومنافسة .

بين طبقات عليا وطبقات دنيا
ادى هبوط الاسعار الى زيادة القوة الشرائية للعملة ، كما ادى الى إعادة تقييم الديون والحقوق المكتسبة والاملاك العقارية .
فقد عادت بالنتيجة بفائدة على اصحاب الدخل وعلى الموظفين (في حال عدم اخضاع مرتباتهم للتخفيض) ، وعلى اصحاب الاملاك . فكل هؤلاء الذين استطاعوا الاحتفاظ بموائدهم ، أفادوا كثيراً من كلا الهبوط كما انهم حققوا بعض الوفرة . فقد حصل ، اقله في مطلع الازمة زيادة في الوفرة المتأخر ، إلا ان المتأخرين الصغار منهم والمتوسطين على السواء ، ما لبثوا ان استهلكوا بسرعة مدخراتهم ، حتى اذا ما كادت تتحسن الاسعار وترفع انقلب وضعهم رأساً على عقب وذابت ثروتهم .

أما اصحاب رؤوس الاموال الضخمة ، فسقوط الاسهم في البورصة ونقصان الاحتياطي لدى الشركات ، والتضييقات التي تعرضت لها مشروعات الاستثمارات او توقفها الموقت فقد كبدهم كل ذلك خسائر باهظة ولو لفترة قصيرة . ومنذ عام ١٩٣٣ بالذات ، ومع عودة الاشغال واختفاء عدد كبير من الاستثمارات الصغيرة ، طلعت على الشركات الكبرى ، في معظم الحالات فرصة لتحسين اوضاعها . فقد اتاحت الازمة بكلكتلها على صدر الطبقات الصغرى والوسطى اكثر مما اتاحت على الطبقة البورجوازية العليا . جاء تأثير الازمة على الطبقة المتوسطة متقلباً ، الا انها انتقصت كثيراً من وضع اصحابها على الاجمال وعملت على افقارهم . فرجال الصناعة ، الصغار منهم والمتوسطون واصحاب المهن الراحون تحت الدين او يعملون باجهزة واعتدة قديمة العهد ، وقد قست عليهم الحياة ، هم الذين استهدفوا اكثر من سواهم للاختناق وضيق التنفس من جراء التقييدات الرسمية القاسية ، ومزاولة شركات الاستثمار الكبرى المتكثلة . ففي

إيطاليا ، مثلاً نرى ان معظم الشركات الـ ٥٠٠٠ التي زالت من الوجود انما كانت شركات تشغّل الواحدة اقل من ١٠ عمال. وعلى هذا قس ايضاً المانيا وبريطانيا العظمى . وقد تحول وضع شطر كبير منهم ، فامسى بعضهم منتجين مستقلين والبعض الآخر من اصحاب الوظائف الكبيرة أو من متوسطيهم ، ومن تبقى ، عاش عيشاً نكدأ قاسياً . فاصحاب المهن وصغار التجار راحوا يبحثون لهم عن وظائف في الادارة او يتحولون الى وكلاء متجولين .

ومعظم اصحاب المهن الحرة كالحمامين والاطباء والصحفيين ، يعيشون في قلق مستمر . فهم يتزاحمون على زبن فقراء قمد بهم الدهر ، يحاولون التخفيف من حدة المنافسة بالحسد من وصول اعضاء جدد للسنة . ففي ايطاليا ، لم يُقبل في سلك الحمامة اكثر من ٢٠٠ من خريجي حملة شهادة الحقوق . وما لا شك فيه قط ان هذا الوضع جعل فريقاً من صغار التجار ومن اصحاب الحرف الصغيرة ومن رجال الفكر اكثر حساسية للدعابة المناهضة للسامية التي نفخ في ريجها ابواق قوية في كل من اوروبا الوسطى واوروبا الشرقية .

والعاملون في القطاع الزراعي تألموا اكثر من غيرهم من فروق اسعار بين المزارعين والعمال
المواد الصناعية والمحاصيل الزراعية ، بعد ان راحوا فريسة هبوط الاسعار فقضت من دخلهم الصافي ، بينما النفقات التي يستهدفون لها (شؤون التغذية ، والضرائب والديون المصحوبة بالرهن) لم يكن في مستطاعهم عصرها او ضغطها . فحيثما نعموا بحماية جمركية كافية ، فقد وجدوا انفسهم يتمتعون بشيء من الضمان نوعاً ما . اما في البلدان الزراعية الطابع ، فقد اصيب المزارعون فيها في الصميم ، بعد ان اضطروا للتقلييل من شراء الملابس والبترول كما امتنعوا عن شراء اعتدة واجهزة ميكانيكية جديدة . والفلاح المسكين الذي لا يستطيع تأمين تنفيق محصوله الا في السوق الداخلية ، فقد كان سرخسة للشكوى والتذمر اكثر من سواء ، اذ ان الملاك الكبير كان يقبض رسم مكافأة تشجيعية من قبل الدولة ، على كل ما يصدره .

اما الطبقة العمالية ، فقد رأت نفسها ، هي الأخرى ، عرضة ليس للحرمان من الأمور المادية فحسب ، بل استهدفت ايضاً للهوان والهبوط الاجتماعي . فقد اصابها الازمة مادياً ولاسيما سياسياً . فحطمت ما كان لها من وحدة متماسكة وذلك بوقوف المستثمرين في العمل ضد الذين لا يجدون لهم عملاً . فقد خلقت طبقة دنيا في صميم البروليتاريا ، هي طبقة العساطلين عن العمل ، وعطلت ضمن الطبقة العمالية ، الحركة القديمة التي كانت ترمي معها المساواة بين الجميع . وبسرعة كلية حولت الازمة « توزيع العمل الى توزيع البؤس والشقاء » .

وبعد ان اصابها هبوط الاجور في الصميم ، وبعد ان رأت نفسها منقسمة على ذاتها وروعته ، وحطمتها البطالة ، لم يعد في مقدور هذه الطبقة اجبار ارباب العمل على تقديم تنازلات والقبول بتقديم ترضيات لها . ان ما آلت اليه المنظمات العمالية من ضعف ، في الولايات المتحدة الى عهد الخطة الجديدة ، والقوة التي تمتع بها ارباب العمل في فرنسا بمثابة هذه الاتفاقيات الجماعية التي تم

الوصول اليها ، قبيل الازمة ، والتي لم يستفد منها سوى ٤ بالمائة من العمال ، ووجود جيش من العاطلين الاحتياطيين لدى ارباب الصناعة ولدى الفائض من سكان الريف ، والغاء كل تشكيلات عمالية في المانيا وفي ايطاليا وفي اليابان ، كل هذه الاعتبارات والعوامل ، جعلت ارباب العمل ، يملون شروطهم ويفرضونها فرضاً على العمال .

اما العمال المنقطعون كلياً عن العمل ، فقد قطعت لهم مساعدات محسوسة في انكلترا . ثم في الولايات المتحدة الاميركية . وقدمت لهم الاستثمارات الكبرى ، في المانيا ، في عداد الاجراءات التي اتخذتها في سبيلهم ، اجوراً متدنية . اما في فرنسا ، فحالتهم فيها لم يطرأ عليها اي تحسن يذكر ، الا بعد عام ١٩٣٦ ، وبقي وضعهم ، في كل مكان ، يترجع بين وضع متقلقل سريع النطب ، ووضع يائس بائس .

فكيف يستطيعون الى العيش سبيلا في هذه الفترة التي بلغ فيها الشقاء الذروة في العنف؟ لاسيما في هذه البلدان التي لا اثر فيها لتنظيم يذكر للاسعاف ، في بودابست مثلاً ، حيث نجد ، في سنة ١٩٣٢ ، نحواً من ١٨٥,٠٠٠ عامل من اصل مليون (اي ١٨ بالمائة) يتلقون بعض العون المالي ، وفي فرسوفيا حيث ٨ بالمائة من العمال يتساولون بعض المساعدات من الاسعاف العام . وبواسطة اشغال عابرة يقوم بها العاطل عن العمل او زوجته (كالاشغال المنزلية والغسيل) وتربية الاطفال والتجارة الصغيرة بدون ترخيص في الاسواق ، والخدمات الصغيرة ، وبيع الملابس المتبقية والاثاث ، او تأجير زاوية في غرفة او أسرة وبعض الديون والصدقات . وكثيراً ما لم تتغلب بعض الامر على خطر الفناء والابادة الا بفضل تضافر اعضائها ، يعولهم الشخص الذي يجد لهم عملاً او بعض افراد الاسرة الذين بقوا في الريف . فالحياة المشتركة في الاسرة هي وحدها التي هرفت ان تحقق بعض الارباح الضئيلة التي يوفرها الجميع ، وهي التي انقذت الاسرة من فناء محتوم . كذلك يجب ان نأخذ بعين الاعتبار مسنا مهنة الاستعطاء وتعاطي البغاء ، كما يجب ان نأخذ مورداً آخر ، يؤمنه العمل الاسود ، اذ كان الوف من العمال العاطلين ، على استعداد ليعملوا اي شيء لقاء أجر زهيد ما . اما الذين لا طاقة لهم على العيش في جو من البؤس والشقاء ، فقد صرموا حبل حياتهم بالانتحار تخلصاً من البؤس الذي يتسكعون فيه . فقد بلغ عدد الذين انتحروا في هنغاريا ، بين العاطلين عن العمل ، عام ١٩٣٣ ، ثلاثة اضعاف عددهم عام ١٩٢٩ ، اي ٧٥٠ منتحراً مقابل ٢٤٠ .

٣ - الحركات والاحزاب العمالية

بعثت الازمة الميل الى الثورة كما شعزت الاحقاد بين الطبقات . الحركة العمالية خلال الازمة
فقد تبان اثرها بين المنظمات العمالية : فادى الهبوط الاقتصادي ، في بادىء الامر الى تخفيض محسوس بين اعضاء النقابات ، كما حد من نشاطها وحملت المنظمات

القائمة في البلدان التي لم تقع تحت نظام دكتاتوري على ان تتطور باستمرار . والبلدان التي تضرست بالاكثر بهذه الازمة ، سجلت الحركة النقابية فيها تدهوراً كبيراً . فقد جاء انهيارها ، في المانيا ، مبالغتاً وصادعاً ، اذ فقدت النقابات الحرة اكثر من ٨٠٠,٠٠٠ من اعضائها المنتسبين ، اي ١٦ بالمائة من مجموع اعضائها المسجلين ، في عام ١٩٣٠ و ١٩٣١ ، كما عادت ففقدت في اواخر سنة ١٩٣٢ ، اكثر من ٥٠٠,٠٠٠ ، ومن بين ٣,٦٠٠,٠٠٠ عضو الباقين ، نرى ٤٤ بالمائة منهم في عطلة مستمرة ، بينما ١,٢٠٠,٠٠٠ منهم يعملون بانتظام . وهكذا نرى ان قواها النشيطة هبطت الى ربع ما كانت عليه عام ١٩٢٩ . والوضع بين النقابات الكاثوليكية لم يختلف كثيراً عما ذكرنا . وهكذا نرى ان المنظمات العمالية في الرايخ قد سحقتها الازمة قبل ان يسحقها النظام النازي الجديد . وكان من عنف الازمة وضراوتها في النمسا ان خففت عدد الاعضاء المنتسبين الى النقابات نحواً من ٣٠ بالمائة بما كان لها من اعضاء بين ١٩٢٩ - ١٩٣٢ ، وخسرت النقابات في انكلترا خلال هذه الفترة ٢٦,٣ بالمائة من مجموع اعضائها . وعلى هذا قس ايضاً : كندا والهند واورشتراليا ونيوزيلاندا . فقد تطورت الامور فيها على هذا النحو . وعلى عكس ذلك فقد تعاور عدد العمال المنتسبين الى النقابات العمالية في هذه البلدان التي لم تتجاوز فيها البطالة حداً معقولاً (سويسرا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا) او تلك البلدان التي عرفت فيها النقابات العمالية ان تحافظ على ما تم لها من شأن ونفوذ ، وبقيت الحلقة الموصلة بين الحكومات والعاقلين عن العمل بفضل مساهمتها في ادارة ضمان البطالة وتأمين استمرارها ، وهذا هو بالذات وضع البلدان السكندنافية وبلجيكا والبلاد الواطية . وتطورت الحركة النقابية في فرنسا ، عن طريق الذي خضع له بالفعل ، الفريق الذي جمع المستخدمين والموظفين ، اي هذه المهن التي بقيت على الغالب بمنزل عن البطالة .

وفي المانيا كما في ايطاليا حيث الطبقة العمالية حرمت من نقاباتها وصار دمجها في جبهة العمل وفي الحركة المهنية ، وأت نفسها مضطرة بعد ان حرمت من كل وسيلة للتعبير عن مشاعرهما ، للتسليم والخضوع مرغمة لما رسم لها .

وكذلك قل من اسبانيا . فالاتحاد العام للعمال الاشتراكيين فيها الذي عرف ازدهاراً كبيراً ، والنقابة المعروفة بـ N.C.T. الفوضوية الاتجاه والنزعة 'فضي' عليهما تماماً من قبل الثورة العسكرية التي قام بها فرنكو بمحاولات اصلاح الزراعي والاصلاحات الاجتماعية التي قامت بها حكومة الجمهورية ، جرت تصفيتا دون رحمة .

الولايات المتحدة الاميركية منذ مطلع عام ١٩٣٣ ، انخفض في الولايات المتحدة الاميركية ،

عدد اعضاء الاتحاد العمال الى مليوني عضو ، بعد ان جاءت

الخطة الجديدة تمهد الطريق للطبقة العمالية لتنظيم ذاتها بشكل نهائي . فقد تحرر العمال من وجوب انضمامهم الى الاتحادات الشركات ، وهي نقابات قامت ضمن عمال المشروعات الاستثمارية الخاضعة لارباب العمل ، فقد ترك لهم الخيار بالانضمام الى النقابات التي يرغبون فيها ، ولذا

اقبلوا زرافات ووحدا على تسجيل انفسهم في الاتحاد العمالي القديم المعروف باسم *A F L* الذي ارتفع عدد اعضائه الى ١,٥٠٠,٠٠٠ عضو . واخذت الاضرابات تُتري بكثرة ، اذ وقع ١٧٠٠ اضراب عام ١٩٣٣ ، حملت البلاد خسارة ١٧ مليون يوم عمل ، ووقع ٢٠٠٠ اضراب عام ١٩٣٥ كلفت البلاد ٢٥ مليون يوم عمل .

وجاء انتصار روزفلت ، عام ١٩٣٧ على المحكمة العليا تشجيماً للحركة العمالية . فقد وقع ١٧٥٠ اعتصاماً عندما جرى تميين الشكل الجديد للاضراب ، وهو الانقطاع عن العمل والقعود في المصنع مما ادى الى اضاءة ٢٨ مليون يوم عمل . وقعت هذه الاضرابات بشمل هذه الذهنية المعروفة عن الطبع الاميركي المتسمة بالعنف ، والوحشية التي خلقتها « لجان المواطنين الاحرار » المعارضة للروح النقابية ، وقوى الحرس الخاص ومحطمو الاضرابات ، وحراس المصانع الخاصة بتشجيع من الساطات والشرطة بغض النظر عن تصرفات ارباب العمل ، والضغط الذي قام به الوسط الاجتماعي ورجال الدين (راجع في ذلك فيلم تشارلي شبلن : العصر الحديث) . وتسبب الحرس الوطني في شيكاغو بقتل وجرح ما يقرب من مائة عامل ، عام ١٩٣٧ في اجتماع لهم عقدوه في الهواء الطلق .

واحدث تماثلت اعضاء كثيرين على الانتماء الى النقابات القديمة ازمة بين العمال وادى بالتالي الى انشقاق الاتحاد العمال الى شطرين عام ١٩٣٧ ، اذ قام في وجه اتحاد *A F L* الذي يضم العمال الفنيين من كل حرفة ، اتحاد آخر تآلف على الاخص من اللانظاميين في كل حرفة برئاسة جون ل. لويس ، رئيس نقابة المعدنين ، تشكلت اللجنة العامة للتنظيم الصناعي (*C I O*) التي تؤلف اتحادات مستقلة قامت ضمن العمال في صناعة المطاط والفولاذ والسيارات ، فاصبحت بعدد اعضائها اقوى شأناً من الاتحاد المعروف *A F L* ، مع ان لويس اعترض على الاضرابات بالقعود في المصانع وشجبت لجنة التنظيم الاجتماعي . وهذا الانقسام لم يوقف الحركة ، اذ ان الاتحادين المذكورين ، ضمما معاً ، عام ١٩٣٩ نحواً من ٨ ملايين عضو .

في فرنسا تم تأليف اتحاد النقابات العمالية خلال فتنه السادس من شباط . فامام الخطر الذي واجهها معاً قام الاتحادان المعروفان بتنظيم الاضراب العام الذي اعلنوه في ١٢ شباط وبعد مداوالات استمرت طيلة اذار ١٩٣٦ ، تم توحيدهما في اتحاد عام . والنجاح العظيم الذي حققته الجبهة الوطنية جاء فوق ما كان متوقعاً ، وبعث الآمال في صفوف العمال وفي نفوسهم ، لا سيما ولاول مرة تشكلت حكومة في فرنسا اشتراكية الطابع والنزعة . وقد بدا للجميع ان الفرصة جد مؤاتية لتحقيق الاصلاحات الجذرية التي تتيح لهم تحقيق مطالبهم . فبعد حقبة من الضغط والكبت استمرت عشر سنوات ، انفجر في البلاد هيجان عام تجاوز الأطر النقابية من خلال سلسلة الاضرابات التي تسكّر وقوعها منذ اواخر ايار . فالفشل الذي آلت اليه الاضرابات التي أعلنت من قبل وفقاً للأسلوب المعروف حمل العمال على احتلال

المصانع ، وهي طريقة اعتمدها المضربون في ايطاليا عام ١٩٢١ ، انما دون ان يحاولوا الاستيلاء على الادارة الفعلية . فالاحتلال المصحوب باللاعنف اسلوب من اساليب الضغط على ارباب العمل في اطار النظام الرأسمالي . وقد كان من نتائج هذه الحركة التي عمت فرنسا ان احدثت تطوراً عظيماً في عدد المنتسبين الى النقابات ، اذ ارتفع عددهم من مليون الى خمسة ملايين في الاتحاد المعروف بـ $C G T$ اي الاتحاد العام للعمال ، عام ١٩٣٧ ، كما ان النقابة العمالية الاخرى المعروفة بـ $C F T C$ التي لم تكن تعد سوى ١٥٠,٠٠٠ عضو ، عام ١٩٣٥ ، ارتفع عدد اعضائها ، عام ١٩٣٦ ، الى ٧٧٩,٠٠٠ عضو ، كما ان اعضاء نقابة الصناعات الكيماوية ارتفع عددهم من ٤,٠٠٠ الى ١٩٠,٠٠٠ ، ونقابة الرسامين والتقنيين ، من ٥,٠٠٠ الى ٧٩,٠٠٠ ، ونقابة المدنيين من ٥٠,٠٠٠ الى ٧٧٥,٠٠٠ . اما المهندسون والتقنيون الذين بقوا حتى الآن على هامش الحركة النقابية ، فقد راحوا يتكثرون بدورهم . ان الاقبال على عقد الاتفاقات الجماعية (٢٤ اتفاقاً عام ١٩٣٤ ، و ٢٥٣٦ اتفاقاً عام ١٩٣٦ ، وحوالي ٧٠٠٠ اتفاق عام ١٩٣٨) يدل بوضوح على وجود نقابات لها شأنها . فانفجار الاضرابات التي واجهت رغبة ارباب العمل بالتأثر بعد ان عادوا من الملح الذي استحوذ عليهم في شهر ايار ، وارتفاع تكاليف الحياة بحيث حرم العمال الفوائد والامتيازات التي نالوها ، وجود الحركة الاقتصادية ، وفشل محاولة « التوفيق » وعدم امتصاص البطالة في البلاد ، كل ذلك سبب التهافت على الانتماء الى النقابات وارتفاع عدد اعضائها . وهناك عوامل اخرى اخذت لتسحب من عضوية النقابات بعد تحقيق الاهداف المباشرة كما ان الوحدة التي تمت بشق النفس تحطمت هي الاخرى . والموقف الذي ترتب وقوفه من الحرب الاهلية الاسبانية ومن هتلر وسياسته وضع وجهاً لوجه « للنقابيين الخالص » من فوضويين ودعاة سلام باي ثمن المعارضين لكل صمود في وجه الفاشية التي من شأنها ان تسبب عن حدوث حرب ، مع انهيار الصمود الشديد الذين اخذوا يطالبون بعقد اتفاق وطيد مع الاتحاد السوفياتي . وهكذا اخذت بالذوبان على درجات مختلفة ، التشكيلات النقابية . فقد انسحبت من الاتحاد العمالي $C G T$ خمسة ملايين عضو عام ١٩٣٧ ، و ٢,٨٥٤,٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، وهزيمة مونيخ اتاحت الفرصة امام ارباب المصالح المالية الكبرى لتعطيم الحركة العمالية ، بعد ان ردوا الضعف الذي تتسكع فيه البلاد الى تخفيض ساعات العمل في اليوم . والمرسوم الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ والذي يشار اليه في كل التشريعات العمالية ولا سيما قانون الاربعة ساعات عمل في الاسبوع ، كان سبباً في الاضراب الذي اعلن في ٣٠ ت ٢ ، الا انه باء بالفشل التام في نتيجة الامر . وفي داخل الحركة العمالية ، تابع المناضلون معارضتهم بعد ان انشقوا بين انصار اتفاقات مونيخ وبين المعارضين لها . وقبيل الحرب بقليل ، هبط عدد الاعضاء المنتمين الى اتحاد $C G T$ الى ما كان عليه عام ١٩٣٦ ، ومنذ ايلول ١٩٣٩ ، طرد الاتحاد من صفوفه ، اعضاء الحزب الشيوعي الذين دخلوا غمار العمل السري .

وقد تغير خلال السنوات العشر الاخيرة كثير من معالم الحركة العمالية ومظاهرها فبينما كانت ايطاليا الدولة الوحيدة التي تخلت عن النقابية الحرة منذ عام ١٩٢٩ ، فقد سار في اثرها منذ هذا التاريخ ، كل من المانيا والبرتغال ، واسبانيا وفرنسا واليابان ، وفي وجه الدول الدكتاتورية ، لم يعد الاتحاد النقابي الدولي الذي نقل مركزه عام ١٩٣١ من برلين الى باريس ، يتلقى طلبات انكساب الا من اوروبا الغربية واميركا الشمالية . فهبط عدد اعضائه الى ٤٥ مليوناً ، بينما كان عدد اعضائه عام ١٩٣٠ نحواً من ٢٢،٧٠٠،٠٠٠ ، ثم هبط الى ٩ ملايين عام ١٩٣٣ ، بعد القضاء على الروح النقابية الالمانية . والاتحاد مدين بهذا الرقم الى انضمام الاتحاد العمالي الاميركي والاتحاد العمالي في المكسيك .

كان من عنف الازمة وخلخلة التوازن الذي أحدثته ، والفرق الشاسع
مناهضة الرأسمالية
بين الانتاج الصناعي وبين ملايين العمال المعاطلين عن العمل والعمال
الذين لا تكفي اجورهم بأودهم وأود اسرم ، وزيادة الانتاج الزراعي ، وهؤلاء الملايين من
الحياء وملايين المزارعين الذين يتسكعون في البؤس ، ان جعل الناس يتشككون في شرعية
وقانونية النظام الرأسمالي الذي اقتصر شجبه حتى الآن على شجب نظري او فكري اقتصر
على بيئة محدودة المحصرت ضمن خبراء في الاقتصاد ، ودعاة ثوريين ومجاهدين . وقد ارتفعت
اصوات الاستنكار حتى في هذه الاوساط المعروفة بروحها المحافظة تشجب هذا الوضع
وتستنكره ، معتمدة في ذلك على دوافع ادبية واخلاقية ، منها مثلاً القول بان الخسائر التي
سببها الانهيار الاقتصادي لم يتضرر بها هؤلاء الذين كانوا بالفعل مسؤولين عن هذا الانهيار .
اما الدعايات الفاشية ، فقد انطلقت من ابواق كثيرة في العديد من البلدان ، تشير احقاد
الجمهير وتلهب حفيظتها ، وتحرض الطبقات الوسطى ، اجتذاباً لها واعتناقاً لقضاياها
وللمطالب التي طالما اعربت عنها . وقد هاجم موسوليني ، في مناسبات عدة « النظريات القديمة
التي تقول بها الرأسمالية الليبرالية » وبين ما هي عليه من عجز وخواء . وكتاب « كفاحي »
لهتلر يفيض بالوعيد والتهديد معلناً استمداه لالغاء كل المداخل والواردات التي لا تأتي عن
الجهد الناصب ، كما هدد بتأميم المناجم والكهرباء ووسائل النقل والصناعات الحديدية الكبرى
والمصارف كما توعد بتأميم كل المخازن الكبرى ، وتحذير مشترى الاراضي لكل من ليس على
استعداد للعمل فيها . و « الكتائب » الاسبانية تعلن من جهتها عالياً رذلتها للرأسمالية ... لا
يموز قط ولا من المحتمل ان تعيش جماهير ضخمة من الناس في البؤس والشقاء بينما يفرق قلة
من الناس في التمتع بالذادات . بما لا شك فيه ان مثل هذه التصاريح الداوية وهذه الوعود
المصولة لم توضع قط موضع التنفيذ . ان كلا من موسوليني وهتلر وقرانكو الذين وصلوا الى
الحكم على اكتاف الرأسمالية ، اضطروا ان يماثلوا وان يصانموا . فهذه التصاريح تشهد عالياً
على الرغبة بتحقيق مطالب الطبقات الوسطى وامانيها التي يخشى عليها من التعول الى البروليتاريا ،
والى طبقة المعاطلين عن العمل ، عن طريق برنامج غوغاني ، غامض الحدود توجه مناهضة

الرأسمالية فيه ضد الاجنبي وضد اليهود ولا يسبب ضرراً لأحد .

حتى في الولايات المتحدة الاميركية التي هزتها الضائقة العنيفة من اساسها ، اقله في السنوات الاولى منها ، انفجرت المؤلفات والمجلات صاحبة النظريات القديمة منها والمستجدة : كالجهورية الجديدة ، والامة ، وجرائد اليسار واقصى اليسار التي تأخذ على نفسها الدفاع عن الحرية الفردية ، وعن اللاجئين السياسيين والاقليات ، وعن الحق النقابي وحق الاعتصاب ، الا انها ترفع صوتها عالياً بالنكير ضد الرأسمالية . والحظوة المتصاعدة التي صادفتها افكار انصار الاقتصاد الموجه بين افراد التعليم والاطراف الدينية والابسكوبالية والمتوديست ، والموقف « الدفاعي » الذي وقفه المناضلون عن النظام ، كل ذلك يوضح ، بأجلى صورة ، الازمة التي تعرضت لها الرأسمالية في هذه الحقبة بالذات .

ولأول مرة في التاريخ ، نرى الطبقات العمالية والريفية في اميركا تهب للوقوف صفاً واحداً في وجه النظام الاقتصادي المعمول به في البلاد . فالمعركة لم تبقى في المجال النظري او التجريدي . وردة الفعل التي قامت بها الطبقات الوسطى ضد الرأسمالية ، ظهرت على اشدها في الولايات الشمالية الغربية على الاخص التي اشتهرت في الماضي بمعارضتها وصمودها في وجه رجال المصارف ورجال الاعمال في الولايات الشرقية . وخلال هذه الضائقة المالية والازمة الاقتصادية التي اخذت بخناق البلاد ، راح اتحاد المزارعين وجمعية البطالة الزراعية يطالبون في نيسان ١٩٣٣ بتبني النظام النقدي ذي العملات وبمطالبة القانون باعتراف مبدأ حتى الزراعة بسمرا دنى يتعاود ونفقة الانتاج ، وتنظيم الاضرابات ، ورفض نقل محاصيلهم الى الاسواق . وتفتحت الازمة في صحننا عن ظهور حزب اشتراكي جديد هو اتحاد الكومنزوات الفيدرالي (C.C.F.) الذي تسلم مقاليد الحكم والادارة المحلية في ولاية ساسكتشوان ، ووضع له برنامجاً مستوحى من الروح القابية والمسيحية لتأمين وسائل الانتاج ، كما ادى الى تأسيس الحزب المعروف بالحزب الاجتماعي للتسليف الذي سيطر بدوره على ولاية ألبرتا ، في عام ١٩٣٥ ، وعارض بعنف الحزبين التقليديين القائمين في هذا الدومنيون .

كان من نتائج اتهام الرأسمالية والظن عليها ، انتشار الروح
تسرب الافكار الاشتراكية
الاشتراكية والشيوعية . فقد ازداد الناس اعتقاداً وإيماناً ان
والشيوعية وتغلغلها
قضايا التنظيم والاشراف الدقيق الذي تتطلبه زيادة الانتاج ،
لا يمكن حلها دون اصلاح المجتمع إصلاحاً جذرياً يتناول من الاساس ، فقد كثر اهتمام الناس
في هذه الحقبة واشتد فضولهم للتعرف الى الايديولوجيا الاشتراكية والشيوعية على السواء ، كما
راحت الطبقات الشعبية تتعقلن واخذت جانب كبير من حملة الفكر يديرون ظهورهم لليبرالية
الاقتصادية ويتجهون بشيء من الارتياح نحو النظريات والحزب المرتبطة بالماركسية والشيوعية
بسبب وثيق ، كل ذلك خوفاً من الفاشية والاحتلالية ، وعملية فعل بدريته منهم ضد الرأسمالية المسؤولة
الى حد بعيد عن البؤس الذي يسيطر اليوم على العالم والفوضى الاقتصادية التي يتسكع فيها العالم

اليوم . واخذت تظهر في جميع بلدان العالم طبقات جديدة وشروح وتعليقات وتفسيرات يصدرها اصحاب هذه النظريات ومفكروها ، ولا سيما لنظريات كارل ماركس والمجلز ولينين .

ان تجربة « الجبهات الشعبية » لقيت تشجيع المؤتمر السابع الذي عقده الكومنترن ، عام ١٩٣٥ واستحسنه في كل من فرنسا واسبانيا والشيلى والمكسيك كما طربت للنجاح الذي حققته الاحزاب العمالية . ففي عام ١٩٤٠ ، دخل مجلس النواب في الشيلى ٤٠ نائباً شيوعياً (مقابل ٤ عام ١٩٣٠) ، و ١٧ في البرازيل ، و ١٢ في كوكبا ، و ٦ في كوستاريكا . وبدأت عليها بوادر الانقسام على نفسها حول الاشخاص وتطور الفئات التروتسكية الصغيرة ، جرى انتخابهم من بين العمال ورجال الفكر وضباط الجيش امثال لويس كارلوس برستس ، رئيس الحزب الشيوعي في البرازيل الذي كان من قبل ضابطاً في الجيش وماريا تيغي في البيرو .

جاءت انتخابات عام ١٩٣٦ في فرنسا تشهد عالياً على التطور العظيم الذي حققه الحزب الاشتراكي في تلك البلاد . فبينما لم ينل الحزب المذكور في انتخابات عام ١٩٣٢ سوى ١٤٩٦٤٠٠٠ صوت ، فقد نال في انتخابات ١٩٣٦ ، نحواً من ١٤٩٥٥٠٠٠ صوتاً ، اي بخسارة طفيفة ذهبت للحزب الاشتراكي الجديد ، وهي خسارة عوضها عندما وقع الانفصال بينه وبين الشيوعيين . اما الدول الصغيرة التي رست فيها اسباب النظام الديموقراطي واعرقت فقد جاءت الازمة فيمها تشد من جانب الاشتراكية . فالحزب الاشتراكي يشترك بالحكم مع الراديكاليين في الدانمارك ، ويعود الى الحكم في السويد ، واستطاع الحزب ان يؤلف حكومة متجانسة في النرويج عام ١٩٣٥ ، وفي فنلندا حيث كان الحزب الاشتراكي اقوى الاحزاب طراً . وعلى الاجمال ، رأت الاحزاب الاشتراكية او العمالية ، حيث لا تزال بعد قائمة ، نفسها تنمو وتتطور بانضمام اعضاء جدد اليها ، في الفترة الواقعة بين ١٩٢٩ - ١٩٣٩ . فقد تراوحت الزيادة في فرنسا ، بين ١١٩٤٠٠٠ و ٢٧٥٤٠٠٠ ، وفي النرويج من ٥٣٤٠٠٠ الى ٨٢٤٠٠٠ ، مع فرق بسيط مع عام ١٩٣٧ (٨٩٠٠٠) ، وفي السويد من ٢٣٥٤٠٠٠ الى ٤٨٧٤٠٠٩ . وقد بقي الحزب على وضعه في انكلترا وتقهقر في سويسرا من ٤٤٤٠٠٠ الى ٣٤٤٠٠٠ .

اما الاحزاب الشيوعية فقد حققت نجاحاً باهراً في فرنسا وفي المانيا . ففي فرنسا ، انتقل الحزب في انتخابات عام ١٩٣٦ ، بعد ان خرج من عزله ودخل الجبهة الشعبية من ٧٩٦٤٠٠٠ وهو عدد الاصوات التي نالها عام ١٩٣٢ ، الى ١٤٥٠٢٠٠٠ ، وريح ٦٠ مقعداً . وفي المانيا حيث تسببت الازمة بمفارقة جديدة بالملاحظة تمثلت من جهة في سلبية الجماهير العمالية في المعامل كما يشهد على ذلك العدد الضئيل للاضرابات التي اعلنت بين ١٩٢٩ و ١٩٣١ ، وهي ١٣٠٤ اضرابات مختلفة استجاب لها ٦٣٧٤٠٠٠ عامل ، (بينما وقع في فرنسا ٣٦٠١ اضراب اشترك فيها ١٤١٠٨٤٠٠٠ عامل) ، كما تتمثل من جهة اخرى براديكالية الجماهير وعقلنتها السياسية . وقد خسر الحزب الاشتراكي بين ١٩٣٠ - ١٩٣٢ نحواً من ١٤٣٨٨٤٠٠٠ صوت بينما

زبح الحزب الشيوعي في المدة نفسها ١٠٠٠، ٣٨٤، ١٠٠٠ صوت ، وزاد عدد اعضائه في المجلس على مائة عضو .

تطور الاشتراكية
ليس من ينكر التطور الذي خضعت له الاحزاب الاشتراكية .
وجاء هذا التطور بنزع ، اكثر فاكثر ، نحو الاصلاح ، واخذت
تبتعد عن الماركسية بعد ان تبنت نداءات ثورية ، اخذاً بلمعة الديوقراطية البرلمانية . فقد
تبذروا وعضدوا مشروعات اصلاحية لم تختلف كثيراً عن التصاميم التي جاءت بها الخطه الجديدة
التي وضعها ف. د. روزفلت ، اي الاصلاحات المباشرة ضمن نطاق الرأسمالية . كل هذا جاء
نتيجة حتمية لهذه التطورات التي خضعت لها الاحزاب من الداخل بمجرد انحياز العناصر الفتية
الناشطة نحو الشيوعية ، كما جاء هذا نتيجة لدخول عناصر بورجوازية صغيرة الى صفوفها ، من
موظفين ومستخدمين وعمال يعملون في الدوائر الادارية .

وجاء طلوع الفاشية والهتلرية يقوي هذا التطور وينمي . ان رسوخ الدكتاتورية بمثل هذا
اليسر ، انما جاء دليلاً على ما كانت عليه الطبقة العمالية المنقسمة على ذاتها والاشتراكية من
ضعف ووهن ، وعجزهما عن الوقوف بوجهها والصمود لها ، هذا ان لم تقف الى جانبها وتشد
من أزرها عناصر عديدة من الطبقات الوسطى التي انطوت على العداء لها والحكره لمقيدتها .
وقد راح العديد من الاشتراكيين يستنتجون من الوضع القائم حالياً ، مع اقتناعهم ان الجماهير
ظاهرة سابقة لأوانها ليس من الممكن لا بل من المستحيل حدوث تطور عنيف كامل في وقت
قريب . لا بد قبل كل شيء من وضع حد لهذه الازمة الاقتصادية الخانقة ، اذ ان البؤس بعينه
هو باعث اليأس والقنوط في النفوس ، وهو الذي يدفع بشطر كبير من الطبقة العمالية نحو
الشيوعية ، كما يدفع بالشطر الآخر نحو الفاشية . ولذا راح عدد من فلاسفة الاشتراكية ومفكرها
يحاولون اعادة النظر في الماركسية ، تكييفاً لها مع الاوضاع الاجتماعية الجديدة ، ومن بين هؤلاء
المفكرين دي مان البلجيكي الذي راح في كتابه الموسوم : « ما وراء الماركسية » الذي صدر
عام ١٩٢٧ ، يركز على نظرية تبتعد كثيراً عن الماركسية بعد ان طرح جانباً قولها بالمسادية
التاريخية . فهو يرى ان لا قاسم مشترك في الطبقة العمالية ، اذ ان المسائل الاشتراكية ليس
سوى « رأسمالي مكبوت كل شيء ان يصبح بورجوازيًا » . اما في المجال العملي فالمهم النضال
ضد الرأسمالية الطفيلية التي تعيش على الحكر ، مستغلبة كل الذين يخشون المصير الى صفوف
البروليتاريا ، كالتجار ورجال الصناعة الذين لا يزالون يتمتعون ببعض الاستقلال ، وأصحاب
المهن والمزارعين والموظفين . يجب قبل كل شيء الابتعاد قدر المستطاع ، عن أي اضطراب أو
قلق من شأنه ان ينكأ الجرح ويزيد طنبور الاقتصاد ضعيفاً وصخباً ، وتقادي كل محاولة تأميم
المالكية المقاربية ، والتحويل على العاطفة القومية التي هي حقيقة واقعية ، ودعم سلطة
الدولة في وجه كل من يحاول الانتقاص منها . ولتحقيق مثل هذا الحشد والتجمع في وجه
التكتلات الكبرى ، يجب الا ننظر الى هذه القضايا من وجهة النظر العمالية ، بل

علينا ان نحاول التوفيق بين مصالح البروليتاريا والطبقات الوسطي . اما التأميم فيجب ان يقتصر على الصناعات الكبرى والمصارف التي لا تخرج عن كونها احتكارات قائمة . اما مؤسسات القطاع التنافسي التي تستهدف لخطر وقوعها تحت سيطرة التكنلات العارمة ، فيجب ان توضع فقط تحت اشراف الدولة .

كان لافكار هنري دي مان ولنظرياته تأثيرها البالغ على الاحزاب الاشتراكية في الخارج ، لا سيما على الحزب الاشتراكي الفرنسي . وقامت عصبة بقيادة رينوديل وماركيه ومنتانيون وديات ، هؤلاء المؤسسون الحقيقيون للاشتراكية الحديثة ، تلبنى هذه الافكار ، كما يستدل من العنوان الفرعي لكتاب : « نظام سلطة ، امة » المثبت على صفحة عنوان كتابه الآنف الذكر ، والمنشور عام ١٩٣٣ . فهم يعارضون « الجمودية والحتمية » التي انتهت اليها قدامى الحزب برئاسة ليون بلوم ، وحاولوا ان يجتذبوا الى هذه الاشتراكية الوطنية ، الحزب الراديكالي الذي يمثل الطبقة الوسطى ، والحزب الشيوعي نفسه الذي صرح رئيسه ليون بلوم بان برنامج ديات « صممه » ، ومع ذلك تبني سياسة اصلاحية والاتلاف الحكومي الذي الفه مع الراديكاليين ، اجبره على التخلي عن الاصلاحات البناءة الواردة في برنامج الحزب والاخذ بسلسلة الاصلاحات الضحلة النتائج ، كردة فعل لمكتب القمع وقائم مصرف فرنسا ، اذ ان الضغط الذي تعرض له من الجناح المسالم في حزبه ومن اعضاء الحزب الراديكالي جعله يلتزم جانب عدم التدخل في اسبانيا ، واخيراً « التهدة الحاشنة » التي أقرت بها اتفاقات مونيخ ، فكانت الضربة القاضية لمقاطعة العناصر التي بقيت على ولائها لمبادئ الحزب التقليدية .

ففي فرنسا وما شاكلها من الدول الليبرالية ، الاصلاحات اسباب هذا التطور الاصلاحى . البناءة التي تعنيها العقيدة الاشتراكية انما تقتضي افراغاً جديداً كاملاً للنظام الاقتصادي السياسي في البلاد ، وبعبارة اخرى ثورة فعلية اشتراكية . وقد كان عدد كبير من اعضاء الحزب الاشتراكي ، ولا سيما بين رؤساء الحزب قد اجمعوا عن تحقيقه خشية منهم اذكاه الازمة اشتعلاً وتعميم البؤس الذي جرته ، كما اوجسوا ان يعرضوا للخطر البلاد ، بينما كانت الحكومات الدكتاتورية تنمو وتستأسد . ومن جهة اخرى لما كان الحزب لا يعتمد في المجلس على اكثرية فعلية ، وتلجأ منه لمؤازرة الاحزاب القائمة الى جمعية (الاحرار في انكلترا وبلجيكا ، والراديكاليون في فرنسا ، فقد رأى نفسه مكبلاً من جراء تحالفه هذا ، ولم يفكر اعضاءه بالوقوف امام تقلبات الاكثرية البرلمانية . ولئلا يهدوا السبيل امام الشيوعية ، انكفأوا عن مراكزهم عندما راحت الطبقات الموجهة التي تسيطر على الادارة العليا والمصارف والصحافة والصناعات الاساسية يزرعون الرعب وينفثون اصحاب رؤوس الاموال ، داعين الى نبذ القوانين الاشتراكية الجديدة والتخلي عنها . وهكذا ، ففي كل بلد تسلطت فيه الاحزاب الاشتراكية مقاليد السلطة ، تزامم يضطرون للتخلي عنها مصانة لخصومهم . وعلى مثل هذا كان الوضع في بريطانيا العظمى ، اذ اضطر مكدونالد ، عام ١٩٣٢ ، الى تشكيل حكومة

ائتلاف وطني ، ووضع فرنسا مع حكومة بلوم . ونظر الحزب الديمقراطي الاشتراكي في ألمانيا وبنامو المحتضرة ، الى سياسة بروننغ التي اعتمدت « الانكماش النقدي » كشر ادني ، ولم يحاربها . وفي بلجيكا ، اضطر الحزب العمالي البلجيكي بقيادة دي مان وسباك المعتدلين للتخفيف من غلوائه واللجوء الى المصانعة امام الضغط الشديد الذي مارسه النقابات العمالية والتعاونيات (لا سيما شعبة مدينة غانت العمالية) الذين الفوا اهم مناصريه ومعاونيه ، وعندما دخل فان زيلاند ، مع وزرائه الخمسة ، حوالي عام ١٩٣٥ ، الحكومة الائتلافية التي فيها الكاثوليك لم يحاول هنري دي مان ، الذي كان وزيراً للاشغال العمامة اذ ذاك ، العمل على تطبيق برنامج . ولذا ادت الانتخابات النيابية التي وقعت في بلجيكا ، عام ١٩٣٦ الى خسارة الحزب الاشتراكي ١١٢،٠٠٠ صوت اي ١/٧ الاصوات التي قالوها ، بينما تمكن الشيوعيون من مضاعفة اصواتهم (اذ ارتفع عدد مناصريهم من ٧٧،٠٠٠ الى ١٤٤،٠٠٠) فكانت هذه الانتخابات تجربة قاسية عليهم اذ اضعفتهم وجعلت اليأس يدب الى قلوب المديدين من اولوم الثقة . افلا نستطيع بعد هذا ان نطلق هنا على المحاولات الاشتراكية المختلفة التي وقعت في ايطاليا ، قبيل ١٩٢٢ ، وفي ألمانيا وفرنسا ، الحكم الذي اصدره ا. هالفه حول الاشتراكية البريطانية ، في عام ١٩٢٩ - ١٩٣١ ، اذ قال : « لم تأت شيئا في سبيل استبدال النظام القائم على الربح ، مع انها جعلت احيانا من المستحيل تطبيق هذا النظام تطبيقاً حسناً » .

٤ - الازمة الاقتصادية وتأثيرها على الفكر

عكس طابع الحياة الفكرية والفنية ، منذ عام ١٩١٨ ، صورة مجتمع قلق متأرجح عصي التأثير على اضمحلال المبادئ التقليدية ، اذا ما وقعت العين على ما يثير المشاعر ويلهب العاطفة وحاولت تجاهل واقع الحرب والمشكلات التي خلفتها ، كما ينم عن القلق الذي يخامر الافكار ، على العموم .

وقد حدث منذ ١٩٣٠ ، ما بدّل الجو تحت تأثير الضائقة المالية والظواهر المنبئة للعاصفة التي تتجمع في الافق ، جاء التغيير بنسبة السرعة التي راحت فيها الازمة تؤيد النزعات التي اخذت تبدر شيئاً فشيئاً للعيان ، منذ عام ١٩١٨ . فقد سددت ضربات صادعة للايمان بتطور مادي وديموقراطي يكون خير ضامن للسلام العالمي ، هذا الايمان الذي لطف كل اجواء القرن التاسع عشر .

مكتب رومان رولان الى هاندي ، عام ١٩٢٨ ،
قائلاً :

الجو الجديد

« من المهم ان نترك للشعبية ، التي ستؤم تحت وطأة نصف القرن الذي انقضى ، وثيقة صريحة يمكن ان

يتخذها قاعدة في هذه الحياة . ما هو ذا تلوح في الافق ، مشكلات هائلة لن تلبث ان تنقض عليها وتنزل بها . ليس لدي اي شك قط في ان عهداً من الدمار سيطلع عما قريب وستحل بنا حروب عالية تضول حياها كل ما عرف الماضي من امثالها التي تشبه لعب الاطفال: الحرب الكيماوية التي تفني الامم وتدمرها تدميراً .

وجاء في يوميات رولات ، بتاريخ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣١ ما يلي :

« بعد ١٢ سنة من التلس والتردد وصلنا الى هذه النتيجة ، وهو ان بقاء الوضع الاجتماعي القائم اليوم في الغرب (بالمعنى الشامل ، بما فيه اميركا) حتى حدود روسيا على حاله ، لمن الأمور المستحيلة » .

في هذه الاثناء ، وقعت أزمة ١٩٢٩ . فمنذ سنة ١٩٣١ ، والرؤى التي تجلت بوضوح امام العقول النيرة والبصائر النافذة ، وأمام اهل الحبحى ، هي بؤس البروليتاريا والتهديد المتواصل بالحرب . أضف الى ذلك ، هؤلاء الذين يردون هذا الشقاء وهذه التهديدات الى حضارتنا الصناعية ، والذين يرفعون عقيرتهم عالياً احتجاجاً منهم على طمعان التقنيات وعلى كبرياء العلم الفاجر ، وعلى سحق الفرد ، والذين يظنون على حضارة الغرب برمتها . ان قسماً من النخبة الفكرية ، تنج من الماركسية ولا تقف تصوراتها والاحلام التي تهددها عند مشروعات اصلاحية بسيطة . فالكل يحكم بالموت على الحضارة القديمة التي نهضت على الفردانية البورجوازية . فالكل يشعر في الصميم ، بأسف او بدون اهتمام ، انهم أمام نهاية العالم .

وخلافاً لما حدث في العشرينيات ، نرى الآثار الفكرية تأخذ جانب الالتزام ، والنظريات الفكرية تتجه ، على اختلافها صوب حل المشكلات الحيوية ، الحسية ، الواقعية ، ولم يعد يطل علينا فلسفات وتجريدات فكرية محضة . ان واقع العالم الخارجي يفرض نفسه ويستبد بالتفكير ، موضوع حساس انطلق من أزمة الحتمية ومن نقد المعرفة المتعمقة ، يشحذها التحليل النفساني ونظرية النسبية المطبقة في كل مجالات الفكر ، هو هذا العالم غير المعقول اخذ بالانتشار الآن تحت ظواهر مختلفة ؛ ادبية وفنية وفلسفية . وفي هذا الجو المشبع بالتشاؤم ، أخذ الانسان يعي نفسه اكثر فاكثراً ، باعتباره فرداً حراً بان يبتدع القيم وان يضيفي على المراثيات والاحداث ما يشاء من معان وافكار ، كما أخذ يعي ، اكثر فاكثراً ، وضعه الزائل ودعوته للعزلة وللغناء ويندب فراغ الحياة البشرية من كل معنى . وعلى شاكلة الادباء ، شارك الرسامون (كوكوشكا وهارك شانغالي وبكاسو) في هذا الصراع ضد الايديولوجيا الفاشية ، بما وضعوا من رسوم رمزية وتاريخية مثيرة .

لم يتم للولايات المتحدة الاميركية بعض من كبار الكتاب الرواية الاميركية وتأثيرها ومشاهير حملة الاقلام ، ما تم لها منهم في مثل هذا الزمن . فقد نال سنكلر ، عام ١٩٣٠ ، واوجين اوناييل ، عام ١٩٣٦ ، جائزة نوبل للادب . والرواية الاميركية تهيم على هذه الحقبة وتلقوها ، بما تم لها من فن وقدرة على تنويع المشاهد من جميع الزوايا استجابة لمطلب الفن السينمائي ومتطلباته . فالقصص لم يعد عبداً اسيراً للسرد في صيغة الحاضر او الماضي . ان استحضار حوادث الماضي وبعثها ، واحلام المستقبل تتمازج مع لحظة

الحاضر . ونجحت القصة على الاخص في ما فشلت بتحقيقه ريشة مارتن دي غار وجول رومان ، اي دمج القصة الروائية في تاريخ العصر ، وذلك باضفاء غلالة من الرمزية على بطل الرواية . حتى المدرسة الادبية في الجنوب التي هامت بالشعر اكثر منها بالواقع المتعيز ، اخذت هي الاخرى ، تصف لنا مع فولكنر ، نهاية حضارة ..

فالمدرسة الرومانسية في الشمال التي اخذت تنزع آنياً الى الماركسية وتضطبع بنزعة شعبية ، اخذت تكثر ، بعد ١٩٣٠ ، من انتقاد الظلم الاجتماعي . قدوس باسوس يساهم في روايته « الجماهير الجديدة » ويمر ، تحت تأثير الظرف القائم من نظرية البطل الحر ، البارز ، الى نقد اجتماعي مرير . والثلاثية التي وضعها بعنوان : « الولايات المتحدة الاميركية » والتي تركز حول قضية ساكو - فانزتي التي صرغته ، تنتهي بمشهد « امتين » متجابهتين : امة المستثمرين وامة المستثمرين . ومنغواي في روايته : « الحصول او هدم الحصول - ولن تقزع الاجراس » (١٩٤٠) يقص علينا قصة اسبانيا الجمهورية التي كان احد المدافعين عنها . والجيل الجديد على الاخص ومن بينهم ج . شتاينبك وارسكين كولدويل ، وجيمس ت . فيرويل الملقب بـ « زولا الاميركي » يعبر عن نزعة جديدة هي النزعة : « الطبيعية الجديدة » ، ينحرف بعد عام ١٩٣٧ عن النزعة الماركسية بتأثير من الالتزامية الشاملة التي اخذت تمتد في جميع انحاء الولايات المتحدة . والى جانب هؤلاء ، برز للروائي الزنجي ريتشارد رايت الناطق باسم بني جلدته . اما يوجين أونيل فهو يمين على المسرح بمسرحياته التي يرسم لنا فيها صورة عن ضعف الانسان وعجزه امام عالم وامام مجتمع معادين .

وبريطانيا التي اتاحت عليها الازمة بكلكلها منذ عام ١٩٣٠ ، قامت بردة فعل اشبه بالردة التي وقعت في الولايات المتحدة في مجالي القصة والمسرح . يرافقه نقد اجتماعي ماركسي النزعة وتيار سوريالي مع دافيد غسكوني و رولاند بنروز ، و . و . هـ . اورين الذين عالجوا في كتاباتهم القضية المزدوجة الا وهما البؤس الاجتماعي وعلاقات الفرد بالمجتمع . وهنا ايضا نرى النزعة الماركسية تتحول من الصدد : فالشعراء والكتاب الروائيون ينسحبون من الكفاح الى جانب الشيوعيين . وبالمقابل نرى جملة من الآثار الفكرية ترفض رفضاً باتاً المسدنية الصناعية المتصاعدة ، مع ألدوس هكسلي ومورغان (بروايته) وكاتبين آخرين اعتنقا الكتلان هما افلين ووغ و غراهام غوين ، وكذلك إليوت في مسرحه الذي اخذ يتجه اكثر فاكثر نحو الماضي .

وفي فرنسا نرى الطابع ذاته يسم الادب الرومانسي والمسرح ، ويبدو ان الكتاب يهتمون فيها بالاكثر بالوجودية الالمانية وبالحوادث التي تقع في ما وراء الحدود المتصلة بها . فالآثار الفكرية التي تأثرت بالحوادث تبرز على الاخص الروايات المتعلقة بالثورة خاصة بمسألة برواية « اجراس بال » و « احياء اراغون الجميلة » و « الوضع البشري »^(١) و « الأمل » لمارلو ، ولاسيا مسرح جيرودو وروايته « حرب طروادة لن تقع » ، هذه المسرحية التي ظهرت عام ١٩٣٦ ،

الناشر

١ - صدرت هذه الرواية عن منشورات هويدات .

ومسرحية « إلكترا » التي ظهرت عام ١٩٣٧ حيث التوكيد على سحق مصير الانسان وعلى حريته المطلقة . والعزلة او الانطوائية هي من هذه الادواء التي لا تستطع بحيث يصبح وجود الفرد خطراً على الحرية . وفي مسرحيته « الجلسة السرية » ، يذهب سارتر الى اقصى حدود هذا اليقين عندما يؤكد ان « الجحيم هو الآخرون » . ويستمر جيد في تأكيد فردانيته الصميمية الداعية الى الفوضوية (عودة الاتحاد السوفياتي ، عام ١٩٣٦) . ويحاول جول رومان في آخر المطاف الى بعث الحياة الجماعية في مجتمع يغمره التفاؤل ويتعسر عليه (منذ ١٩٣٢ ، في رواياته « ذور الارادة الطيبة ») .

وجملة القول ، ان العصر لا يأنس الى البحث عن الجمالية المجردة الا في الرسم (مع ردة فعل تجريدية) ، والآثار التي برزت تتنزى بالالتزام حتى عندما تنبع من مثالية تنضج بالحياة الايجابي .

الماركسية وتجديد العقلانية
فالوجودية اي « الدعوة الى السأم ، الى الموت ، الى القلق » ليست في نظر الجميع شرحاً مقنعاً لمصير الانسان . فالماركسيون يرون ان شقاء البشرية المعاصرة وآلامها لا يمكن ردها للعلم او للتقنيات ولجوهر الانسان نفسه ، بل لشطط الرأسمالية المحتضرة وتجاوزاتها . فالايديولوجيا الماركسية التي رحبت بكل ما يمثل رغبة صادقة في مقاطعة الطبقة البورجوازية ، اخذت تتضح معالمها وتتلور ، والفت جبهة واحدة تقف في وجه اللاعقلانية على مختلف اشكالها ومصورها كالسوريالية والبرغسونية والسيكولوجية الاتباعية ، بحيث تصبح المنافسة عن حلبة العلم وعن نظرية الانسان العلمية (ففي سنة ١٩٣٩ ظهرت في باريس مجلة « الفكر ») . فالعلم يمدد بتعليل مرضي لاصول الانسان وبتحليل للمجتمع حيث تبدو منافسة الطبقات بعضها لبعض الحرك الحقيقي للتطور وتفسر لنا التاريخ المعاصر . فهو يولي الانسان القدرة على تحويل العالم بحيث يتلاءم ومعارفه وبحيث ينسجم ومطالبه التي تنمو باستمرار . والعلم الماركسي الذي يؤكد وحدة العلوم الطبيعية والعلوم البشرية بمد الانسان بنظام كامل حيث يمكن للانسان ان يركز وجوده الفردي وان يمي تطور العالم ويسهم به ، كما يعد الانسانية بمستقبل مأوئ السعادة . فهو متفائل في الصميم إذ كل الشرور الحاضرة سترتفع وتزول في مجتمع شيوعي حيث تكون له المرتبة الأولى .

نقد العلم وفكرة الرقي
في الجهة الثانية من هذا الصراع الفكري ، يقوم هؤلاء الذين يعملون العلم والتكنولوجيا مسؤولين معاً عن الشرور والويلات التي تنزل بالبشرية فهم يشتهرون ، في آن واحد ، بمجز العلم العقلاني عن الوصول الى الحقيقة ، كما يعترفون بما له من قوة هائلة على تغيير هذا العالم . وهذه النظرة تتجسد بأتم صورها في شخص غبريل مارسيل أحد تلامذة برغسون الذي يرفض التسليم بالحضارة الصناعية وبالعلم . فبعد ان ارتد واعتنق المسيحية ، فقد حاول أن يستبدل الوسائل الكفيلة بتأمين المعلومات الطبيعية ،

بالإيمان والرجاء المسيحيين . الا ان تحرزه من العلم البشري تصعبه تشاؤمية عميقة حول معنى تطور الحضارة ، اذ بنمجة ما تتطور الحضارة الصناعية ، فهي تخلق المراقيل أمام الايمان الذي وصل اليها من السلف الكريم . فتحن أمام حركة انكفاء وتقهقر ، يترقب علينا معها ان نتسلق بثبات المرقى الذي انحد من الفكر الحديث خلال هذين القرنين .

فكل العناصر المحافظة التي تمي بصورة غامضة النتائج الاجتماعية التي يؤدي اليها تطور الصناعة الضخمة عاجلاً أم آجلاً تشير في أثره وتكيف به واذا ذاك يتكاثر النقد وتتوالى المظالم التي سبقت وارتفعت عالياً ، خلال القرن التاسع عشر ، شاجبة بشدة الآلية والتقنية ، فتشارك في ازدهارها العلم والمقل معاً . ومنذ عام ١٩٣٠ ، برز جورج دو هاميل في كتابه : « مشاهد من الحياة الأخرى » كالناطق باسم هؤلاء الذين يرغبون في الدفاع عن الفردية ضد دكتاتورية « الآلة » ، الذين ينزلون باللائمة على الحضارة الآلية هذه « السلعة المسائلة » ، « حضارة الحشرات » هذه التي ستفضى في نهاية المطاف ، إلى امتصاص الجماعة للفرد ، والتي ستلتهم كلياً كنه الحضارة الحقيقية : التنوع والصفة .

ولما كانت الآلة شراً في ذاتها وتحمل في طياتها المصائب والويلات ، أفلا يتوجب ، والحالة هذه « تكبيل بروموتيه الجديد » وتقييد ؟ هذا المجرم الحقيقي ، ليس « لانه عدو الفكر » فحسب ، بل ايضاً لانه مسبب البطالة والبطس ، بتحويل الاجور إلى حصص وأسهم رائجة . ولعل واحداً من أنشط المثابرين لشجب التطور التقني ، هو جوزف كايو الذي يشتهر عالياً « بالتقنية المجرمة » مصدر الفوضى الاقتصادية وباعثة عدم التوازن الخلقي . هي هذه الاختراعات التقنية الكبرى بالذات التي جلبت البطالة لمشرين مليوناً من العمال الماطلين . ان درس سد كمبس والعبرة المستمدة منه تؤيد ذلك وتثبت حسب زعمه . الى أي كارثة سيؤول بناء محطة كهربائية ، مركزية عندما تأخذ بالانتاج يديرها ٢٥ عاملاً بعد ان طوحت ورميت في البطالة ١٢٠٠ عامل كانوا يعملون في معامل كمبس ، دون أن يؤول هذا كله الى أي تخفيض في سعر الكهرباء . فهو قلق ، مهموم ، يحزع لسطوة وسيطرة « البدائيين » الممثلين بهؤلاء التقنيين . « قال أي مخاطر لا تستهدف » ، والى أي رزايا لا تضره الشعوب ، اذا لم تسارع النخبة للتدخل بسرعة للحد من طغيان الحضارة الصناعية .

هذه الايديولوجيا اللاتقنية ، التي تربط وثيقاً بالحنين إلى الماضي الحرفية الجديدة وبالعودة إلى « القيم الروحية » تجد متنفساً طبيعياً لها في هذه النظريات والآراء التي تكون النقيض لهذه الفردانية الليبرالية ولهذا النظام القانوني المنحدر اليها من الثورة الفرنسية الكبرى ، هو بالفعل الحرفية الحديثة التي تزغب في تنظيم الانتاج ، وفي القضاء على النزاع الطبقي عن طريق تنظيم المهن او الحرف بعد تحويلها الى هيئات وسيطة تستطيع الهيمنة على فردانية أرباب العمل والصمود في وجه العمال في وقت واحد . هي نظرية قديمة سبق ونادى بها دونما جدوى بعض الكاثوليك المناهضين للديموقراطية ، وللنظام الجمهوري

مما ، من اتباع دي لاتور دي بان الذي صوبت الأزمة الانوار اليه فجأة وأثارت حوله فضول كل هؤلاء الذين يرفضون التمرف بالاشتراكية ، والذين يبحثون ، مع ذلك ، عن علاج للقوضى التي يتخبط فيها النظام الليبرالي . هم في الغالب شبان من مثقفي الكاثوليك يسمون للفاشية ، والذين يبشرون بهذه المثالية الابوية المهنية . وبالفعل ففي كل مكان ارتفع فوقه نظام الحرفية ، أي في هذه البلدان الواقعة تحت النظام الدكتاتوري ، لم يكن هذا النظام تنظيمًا حرًا ينسّق مصالح الجميع ، بل أداة طيعة في أيدي القوى الكبرى المتحالفة مع السلطة الدكتاتورية لتأمين مصالحها الخاصة : ايطاليا الفاشية ، وبرتغال سالارز ، ونمسا دلفوس ، واسبانيا فرنكو . فلم يتحقق في أي مكان الادارة الذاتية ، لأصحاب المصالح حتى لمجموع أرباب العمل .

نكاد نجد لدى جميع الدعاة للحرفية من فرنسيين وألمان وإيطاليين تجسيد الحرفية محاولات تمجيد لها وتقييم لمنظمات العمل القديمة على اختلاف مظاهرها كالمهنية والمزارعية . ففي ألمانيا ، سلبوا الأدوار نحو آثار الاقتصادي الكاثوليكي آدم مولر المنافع الأكبر عن النظام الاقطاعي والداعية له . وفي كل من فرنسا وإيطاليا سلطت الأدوار على جورج دو هاميل وكايو وجيسنا لبروزو مزيرو الذين يمجّدون « النوع » الذي لا يمكن ان يتسلم مع « الكم » ، العمل الاثير الذي هو في صميم ذوق المرق او الجنس . « على العالم ان يتجه وجهة فرنسا نحو الصناعة الزراعية والمهنية » التي تستعين في تجويد عملها ، بادوات دقيقة تيسر الكهرباء استخدامها ... « ان أغلى المصنوعات او المصوغات في وقتنا هذا هي التي لا تخرج من المصانع الكبرى ... » . كل بلدان العالم تبذل اليوم جهوداً طيبة في تنظيم الحرف بمساعدة الحكومات المعنية . فقد تأسس في فرنسا : الاتحاد العام للحرفية ، كما قام في ايطاليا : الاتحاد الفاشي المستقل للمجتمعات الحرفية ، وقامت في بولونيا جمعية عرفت بالغرف الحرفية . والدعوة إلى الحرفية ، انما تستهدف إلى جانب مهاجمة المكننة ، إنقاذ « طبقة اجتماعية تقع بين رأس المال وبين أصحاب الاجور » و « احياء كل ما اضطر الانسان للتخفف منه والعزوف عنه » . في اندفاعه نحو الاستمتاع الهين : « كالروح العائلية » والروح الحرفية ... و احياءاً الروح الدينية ... ، فبعت الحرفية الى الوجود يعتبر عند الداعين له هلاجاً للآزمة التي يتخبط فيها العالم الرأسمالي ، من شأنه أن يحنّب الصناعة الضخمة والمكننة المخاطر التي تتهددها دون أن تمس بشي البنيان الاجتماعي القائم . هذا هو بالذات الموضوع الاثير للدعاة التي يقوم بها الحزب الوطني الاشتراكي في ألمانيا ، هذا الحزب الذي يكتسب الفلاحين في وجه الاستثمارات الضخمة المصنّعة ويعبّئ العمال الشباب في وجه التقنية التي تذلل الانسان وتسخره كآلة وتؤدي به إلى اليأس والشقاء بحيث يجب تدريس الشبيبة الألمانية ضد عمل خالٍ من الروح الذي يقضي شيئاً فشيلاً ، على النفس البشرية ، ويهبط بالروح

الى درك الآلة او الجهاز الآلي . ولذا انصبت الاجراءات الأولى الحرية بالملاحظة والاهتمام التي اتخذها النظام ، على تنفيذ الاشغال الكبرى « بالربش والمجرفة والممول والمنكوش » .. كل الاعمال يجب أن تتم عن طريق القوى البشرية بنسبة ما يمكن الاستغناء عن المسعفات الآلية . ونحيث يكون من أثر العمل البشري زيادة الاثراء غير المتناسب ، ففي صناعة الزجاجيات ، في مقاطعة التورنج ، حظرت الحكومة استخدام الآلة الميكانيكية في نفخ الزجاج ، ففي هذا توفير « العمل والخبز لعدد كبير من العمال » .

في كل بلدان العالم ، جرت محاولات لبعث العمل اليدوي بعد ان جرى تحديد استخدام بعض الآلات . والتشريعات التي صدرت في عهد روزفلت حددت من استخدام محولات بسمر كما حددت المدة التي يمكن خلالها تشغيل بعض ادوات الحياكة ، كما ان عدداً من البلديات في اميركا اوجبت تنفيذ بعض اعمال الحفر ونقل التربة بالربش والممول . ففي انكلترا وفرنسا ، جرى إتلاف آليات لدمج القطن والكتان . فارباب العمل والعمال (عمال الموانئ وصانعي البراميل ومدحرجيها) وقفوا في وجه استخدام سفن الصهاريج في نقل الحبوب من الجزائر بعد ان اتضح للجميع « ان التطور التقني يكون منافسة غير مشروعة » .

كل هذه المواقف على اختلافها ، تشهد عالياً على القلق والانعاج الذي يسببه التطور الآلي والذي يبدي النظام الاقتصادي حياله عجزه التام عن تلافيه . « يترتب الآن تحرير الانسان من نتائج هذا الرقي المادي الذي لم يلاق بمقد توازنه مع الرقي الفكري والادبي » ، كما صرح بذلك ب. فلانداون رئيس مجلس الوزراء .

فباستثناء الماركسيين ، قليلون جداً هم الكتاب والفلاسفة الذين بقوا على ولائهم لفكرة الرقي والتطور . وعندما يعلن اندريه جيد عن ايمانه الوثيق « بالقوى التي يعتبرونها ضارة ومؤذية والتي يمكن ان تصبح بدورها عوامل قوة ورقي » ، فم يقرر العودة الى هذا الموضوع في كتابه : الاغذية الجديدة ، يبقى في شبه عزلة ، ويشير بين اصدقائه هذه الشفقة والحسرة عندما يرون كاتباً يهتم مثله بدقائق الامور ، يتجراً ان يتفوه بشأن الرقي المادي « بمثل هذه التأكيدات الضخمة التي تكاد تكون بدائية » . ففي نظر الفكر البورجوازي ، هذا المثال الذي تبنته النخبة في فرنسا ، منذ القرن الثامن عشر ، اصبح الآن « عقيدة بالية » ، وقيمة مهمة يتمسك بها « الفكر البدائي » .

شجعت الازمة التعجيل باعادة النظر في البنيان الاقتصادي
اعادة النظر في الايديولوجيا الاقتصادية
وخلخلت المبادئ والنظريات التي كانت سائدة بشأنه في مطلع هذا القرن . ان عبرة الحرب العالمية الاولى والقضايا التي طرحتها على بساط البحث مما يتصل بالنقد والتجارة الخارجية وتنظيم الانتاج القومي وتوجيهه والدرس المستمد من تاريخ الاتحاد

السوفياتي ووضعه حيث قام وترسخ نظام مضاد للرأسمالية ، كل هذه العوامل ، أرغمت علماء الاقتصاد على توجيه أبحاثهم ودراساتهم وجهة أكثر واقعية مما عملوا في الماضي ، وعلى إعادة النظر في النظريات الكلاسيكية على ضوء الوقائع المعاصرة . ان عدداً لا يستهان به من المعطيات او المسلمات التي اعتمدها الاقتصاد التقليدي أصبحت الآن قابلة للتجريح بعد ان اتضح بجلاء ان الاقتصاد الحر لم يكن ، كما كانوا يعلمون ، اقتصاداً تتوازن معه تلقائياً المصلحة العامة ومصلحة المنتجين الخاصة ، وان الملطوسيانية الاقتصادية أصبحت من الأمور المصطلح عليها ، كما ان الحرية القضائية كانت تشجع على الاحتكارات على حساب اصغر الاستثمارات وعلى حساب المستهلكين على اساس اتفاقات يمدقونها فيما بينهم ، تفادياً او بالأحرى تخلصاً من المنافسة . فالضائقة المالية الكبرى التي قضت بالتخلي تدريجياً عن هذه الليبرالية المشبعة بالتفاؤل ، قضت بإنشاء مصلحة او ادارة خاصة بالاقتصاد ، ومراقبة فعالة تحمي المجتمع من جشع المحتكرين ومن المنتجات الفرعية . فانتسح الاتفاق امام رجال الاقتصاد ورحب واخذوا يهتمون على الاخص بظواهر اختلال التوازن وبالازمات بحثاً عن الوسائل التي تؤول الى تقنية النشاط الاقتصادي . وفي الوقت ذاته ، وضعت تحت تصرفهم ادوات جديدة للتحليل في القياس الاقتصادي الذي يساعد على الوصول الى الحقائق والوقائع بصورة ادق والجمع كما تساعد على التنبؤ والتحكم وبالتالي بتطور الانماء . ومن جهة اخرى ، فالاقتصاد الماركسي وانجازاته في الاتحاد السوفياتي ، وانتفاء الازمات في « البلدان الاشتراكية » أصبح موضوع دراسات دقيقة . فالماركسية لما تعد لتبدو للبعض هرطقة او نشوزاً عن طريق المصام . فقد لقيت المزيد من الاهتمام والتحليل ، والتعليق والتفسير من قبل هذا الفريق بالذات الذي لا ثقة له فيها ولا ايمان بفعاليتها او من قبل الذين يوجسون خيفة من نفوذها (اميل جيمس) .

وهكذا برزت للوجود نظريات جديدة حول الربح والاجور والفائدة وطبيعة النقد والاسعار في نظام اقتصادي خاضع لمنافسة ناقصة وللاحتكار من قبل قلة من المحتكرين ، وقد اخضعت لتحليل دقيق النظريات التي تفلسف للازمات الاقتصادية « ولدوراتها » بعد ان راحوا يحاولون تحديد اسبابها ومسبباتها (قلة الاستهلاك ، تأخر في رفع معدل الاجور ، حركات التسليف ، الغلو في تصنيع الانتاج) ، والبحث عن العلاجات اللازمة لها . وينصح هؤلاء باللجوء الى التخطيط الكامل مع اعتماد اصلاحات شتى تتناول صميم البنيان الاقتصادي ، والمراقبة الشاملة والتوجيه البسيط للاقتصاد ، مع مراقبة القطاع المصرفي والصناعات الرئيسية . وفي وجه انصار التدخل انتصب انصار الليبرالية التي لا تزال ناشطة « كل مساويء نظامنا الهجلة يجب ردها اصلاً لتدخل الدولة » كما يؤكد (ويب) ولكن الليبرالية تختلف كثيراً عن الصورة التي بدت منها في مطلع القرن ، ليبرالية مستعددة بالاحرى تستلهم نظريات ولتر ليبان (المدينة الحرة) وتتصدى لمراقبة الدولة دون ان تثبت بالعودة الى حرية التجارة المطلقة ودون ان تستثني كل مظهر من مظاهر تدخل الدولة .

ج. م. كينز في هذه الازمة المطبقة ، وفي الوقت الذي ارتدت فيه علاقات الحكومات ومداخلاتها طابعاً تطبيقياً دون اعتماد اي نظرية علمية متينة ، نشر كينز ، عام ١٩٣٦ كتابه المشهور : نظرية عامة للتوظيف والفائدة والنقد ، كان له من حسن الوقع والتأثير ما حمل بعضهم على وضعه الى جانب كتاب آدم سميث المعنون : « ثمن الامم » ، او الى جانب « النداء » الشيوعي . ويرى سوفي انت كينز هو منقذ او مخلص النظام الرأسمالي بعد ان تخلت نظريته عن بعض وجوه الاكراه والقسوة في الحرية دون ان تستهدف من ناحية اخرى ، للسقوط في وجوه الاكراه التي تعتمد على الجماعة او النظم الدكتاتورية . ومع انه كثيراً ما يدنينا من كارل ماركس ، فكينز ليس من خصوم الرأسمالية . فهو لا يرمي قط لقلب هذا النظام عن طريق اصلاحات تتعرض لتركيبه او بنيانه في الصميم . بل يستهدف الى تحسين عمله : كحرية الاستثمار واحترام الملكية الخاصة ، كما انه لا يوصي بالاقتصاد الموجه ولا بالتخطيط . « فالثورة التي اتى بها كينز ، تقوم في تدليله القاطع على ان النظريات الكلاسيكية لا تصلح الى المجتمع تنتفي منه الاضرابات والاعتصابات وان المهم في الامر هو الانتاج وليس التسويق او الانفاق او التنفيق . فالظواهر الاقتصادية يجب النظر اليها ليس من الوجهة الفردية في نطاق المشروع الاستثماري الخاص بل من الوجهة الاقتصادية الاجمالية اي في مجملها او كليتها ، في نطاق النشاط الكلي او الشامل . ففي التفسير الخاص للعالم الاقتصادي الرأسمالي يوضح لنا كينز ان هنالك الآن توازناً في نقص العمل وان هذا التوازن ليس بعارض كما انه ليس باختياري اورضائي ، بل انما هو حصة عدم تكافؤ في نفقات الحاجيات الاستهلاكية . وعدم التكافؤ هذا هو الذي يحدد من التوظيفات وبالتالي من الاستثمارات . وللخروج من الازمة ، فالملاج التقليدي الذي يعتمد تخفيض الاجور لا يجدي نفعا ، بل يقتضي بالاعرجى العمل على تشجيع الطلب بحيث يكف المتأخرون عن الادخار غير المجدى ، ويحملهم على توظيف اموالهم ، والتخلي كلياً عن عبادة المعجل الذهبي او قاعدة الذهب طالما مارسوها وانصرفوا اليها ، وذلك بطرحهم المزيد من النقد في التداول ، وبعتماد سياسة التسليف الطويل الاجل ، وبتخفيض نموذجي لمعدل الفائدة والتوظيفات العامة والاشغال الكبرى مما يؤول بالنتيجة الى توزيع جديد للدخل ويشير بدوره طلبات جديدة . وهكذا يتاح للاقتصاد الخروج من الجمود الذي يرسف فيه . فالحماية الجمركية من شأنها ان تؤول ، اذ ذاك ، الى زيادة في الدخل القومي والى رفع مستوى التوظيف حتى ولو ادى الامر الى استثمارات تكلف غالباً ويأتي مردودها بالطبع عالياً . وهذه النظرية « تزكي بصورة متجانسة ، الى حد كبير ، سياسة تدخل الحكومة » . فقد اتاحت انفساد الرأسمالية والارباح التي تحرقها « بتجنبيها البطالة او بالحد منها » كما يقول ج. مارشال . ومع انها تمثل وضعاً خاصاً الى حد كبير (هو وضع بريطانيا العظمى) ، فهي تحوي الكثير من عوامل التشويق كما « استعملت منطلقاً لهذه التيارات الفكرية التي انطلقت منذ ذلك الحين » . (ا. جيمس) .

التعرض بالأذى لبعض
المبادئ الليبرالية التقليدية

رأينا كيف ان الليبرالية المستحدثة تختلف اصلاً عن الليبرالية
الكلاسيكية التي كانت تتوسل الى الدولة المحافظة على النظام
وصيانة الأمن ، والامتناع على الاخص ، عن كل تدخل ، في
الحياة الاقتصادية . وفي هذا دليل قاطع على ان عدداً من الافكار والمبادئ القديمة التي اعتبرت
للآن « لا تمس » ، اصبحت ، في نهاية الامر ، في الصميم .

من هذه المبادئ ، قبل كل مبدأ آخر ، فكرة الملكية او الحيازة « ففي الاستمساة عن
بعض الجدران او عن بعض اجهزة المصنع برزمة من الاسهم » يقتل التطور الرأسمالي « كل
معنى لفكرة الملكية الخاصة التي اخذت تفيد ، اكثر فأكثر ، معنى الخدمة الاجتماعية » كما
يؤكد شميتير . هذه هي الحججة التي يتذرع بها مناصروها لتبرير الربح كما يتذرع بها خصومها
الذين يطالبون باخضاعها للمراقبة من قبل المجتمع . فالنصوص القانونية العديدة التي تحد منها
او تقصرها او تنسخها احياناً ، تحاول ان تستبدل المعنى القديم للمالك الذي له ملء الحرية
بالتصرف بملكه كما يشاء ، بالمبدأ القائل بأن الاستثمار هو مصلحة اجتماعية ، وبأن « رب
العمل » لا يستطيع التصرف به على هواه او حسبما تقتضيه مصلحته الخاصة ومنفعته الذاتية ،
فيخفض من انتاجه ويتوقف عن تأمين حصته من الانتاج وفقاً « للحاجات المشتركة » . فالقوانين
التي تنظم العطلة الاسبوعية او الاسبوع الانكليزي ، كما يقولون ، واسبوع الاربعة ساعة
عمل ، والاجازة المدفوعة ، وحوادث العمل والضمان الاجتماعي ومندوبين يمثلون الموظفين ،
تحد من سلطته التي كانت من قبل مطلقة .

كذلك صاحب حرية التعاقد تغييرات جذرية . فقد كانت التعاقد ، فيها مضي ، افرادياً
لا يربط سوى الفريقين المتعاقدين ، ولم يكن بوسع الشارع تغيير مضمونه . اما اليوم ، فالمقد
موجة هو جماعي . فالقانون وضع فوق حرية الجانبين المتعاقدين مراعاة حقوق الشخصية
البشرية . فهو يقف الى جانب الافراد « الضعاف اقتصادياً » : كالعامل والمستخدمين والمديونين
والمستأجرين والزبائن ، ويعين التزاماتهم بينما يزيد من حقوق الاقوياء : كأرباب العمل والدائنين
واصحاب الأملاك ، ليس في وقت تحرير العقد فحسب ، بل ايضاً طيلة استمرار العقد :
كتخفيض الايجارات ورسوم المزارعة وسعر المحلات التجارية وطول يوم العمل وتنظيم شروط
تجديد العقد ، وتبقي مستأجراً في محله بالرغم من إرادة صاحبه ، وتلزم بالتقيد بنصوص الاتفاق
حتى من كان معارضاً أو معادياً له ، والاتفاقات الجماعية التي تعدها المنظمات النقابية وأرباب
العمل والعامل « الأكثر تمثيلاً » .

وفكرة الأجر دخل تعدي على معناه وفحواه . فقد انقلب المعنى رأساً على عقب من جراء
القوانين التي تنظم التعويضات العائلية والضمانات الاجتماعية . فالعامل لم يعد يتناول أجره عن
العمل الذي يؤديه فقط ، وأجره هذا لم يعد مرتبطاً بقانون العرض والطلب ، إذ ان قسماً منه
يدخل في صميم تعويض الأسرة . والعقود الجماعية تأخذ بعين النظر الحد الأدنى للمرتب اذ لم يعد
الأمر محصوراً فقط بمعامل الانتاج بل بالعنصر البشري أيضاً .



١ - لينين يتكلم الى الشعب في ١٩١٧ من على منبر مقام في ساحة بتروغراد .





٢ - قمع اللقمة الحمراء في مدينة دمشق ١٩١٨



١٠ - توقيع معاهدة باريس مع ألمانيا في قصر فرساي ، في ٢٨ حزيران ١٩١٩



٥ - مصفق باريس . جلسة السوق اليومية للاموال المنقولة .



بئجور ۱۰ عربی ۱



٧ - مهرجان فاري في نورمبرج ، مؤتمر الحركة الوطني في ١٩٣٨



٨ — حارسان من الـ « باليلا » في روما. نموذج من الروح العسكرية التي خلقتها الفاشستية في الشبيبة .



٨ - مذكر الأمانة في يوم كسوراك و كذا كسوراك الحورين الحليقة الهامية

١٠ - المرفأ المصنعي لاقبال الجيوش في دارماتش ، -





١١٧ - الدبابات الكندية تمهاجم املحة مصرية (الامية مطوقة في منطقة النور في آب ١٩٤١).



١٢ - مرقا و / هالو ، الذي يسمونه النار الجوية في ١٩٦١



۱۳ - تحریر باریس . آب ۱۹۴۴ .



١١ - مؤتمر بالكا : روبرتس ، وضربا : وشالبي : محضرون في الغرب ، في ١١ شباط ١٩١٥ .



١٠ - التقاط قنبلة قذيفة في بيكينج - ١٩٤٦



١٦ - قصر منظمة الأمم المتحدة في مانتاتن (نيويورك)

الفصل الخامس

الأزمة ونتائجها السياسية

الفاشية ليست سوى الرأسمالية تتنكر لاصولها
الليبرالية بحيث تكيف البنيان الاجتماعي للاقتناع مع
الامراض التي تكون فيها الفكرة الليبرالية قاضية على
الفكرة الرأسمالية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .
« . هـ . لاسكي »

١ - تقهقر الليبرالية وأزمة الديمقراطية البرلمانية

زعمت الأزمة الاقتصادية النظم السياسية من أسسها ولاسيما النظام البرلماني الذي كان يرجى له أن يؤدي انتصار الحلفاء عام ١٩١٨ وخروجهم ظافرين من الحرب كما كان متوقفاً ، إلى توطيده وترسيخه أكثر فأكثر . الا ان التقهقر أخذ مع ذلك يدب إلى الليبرالية ايما كانت كما ان صلاحيات السلطات التنفيذية رُحِّبت واتسعت هي الأخرى .

ساعدت الأزمة بالفعل على زوال الظروف والأحوال التي مكنت من قبيل لسيار النظام البرلماني سيراً سوية ، اذ ان اتساع البطالة في العالم وانخفاض القدرة الشرائية ، والخراب الذي نزل بالطبقات الوسطى وبسكان الريف ، زادت من احتدام الصراع الطبقي كما ازدادت إلحافاً المطالب الإصلاحية التي تبناها وأخذ ينادي عالياً بها انصار العاملين للإصلاح . ألم يكن ليوجس المرء خيفة على الحريات السياسية ، ولا سيما على حرية التجمع من ان تسيء الجماهير استعمالها بعد أن أخذت تهفو إلى حقوق جديدة وقطع في تحقيقها ؟ هذه الحريات التي تتهدد التسلسل الاجتماعي خطيرة هي ولذا كان لا بد من قتلها أو أقله اغفالها وتجنبها . وفي سبيل إنقاذ الملكية او الحياة ، راح قسم من الطبقات الموجهة يتنكر لليبرالية وينضم للثورة المضادة بسهولة أكبر بعد ان كشفت الأزمة عن عجز الديمقراطية النيابية وقصورها في حل مشكلات الساعة .

ان الاستئثار بالسلطة اي توفير الوسيلة التي تحمل الخضم مسؤولية خسارة الاشياء الضرورية او المصيرية ، هو المفهوم العالق للتغلي عن النظام البرلماني من قبل الدول التي كانت تلتزم وراءه راضية ، كما يقول لوفيفر . ففي عام ١٩٣٣ ، لم يعد قائماً على وجه الأرض أي نظام ليبرالي باستثناء الولايات المتحدة الاميركية وانكلترا ودول الدومينيون ، وفرنسا وهذه الدول الصغرى الواقعة الى الشمال الغربي او الى الوسط من القارة الاوروبية ، وبلجيكا ، والبلاده الواطية وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا والبلدان السكندينية .

تقوية مقام الرئاسة في
الولايات المتحدة الاميركية
حتى في هذه الولايات المتحدة الاميركية المعروفة بضعف
حكومتها المركزية ، فقد أفاضت الأزمة للرئيس الاميركي ان
يقوّي من سلطاته إلى حد بعيد . ان الاعتراف للرئيس ، في الخطة الجديدة حق توزيع
مساعدات على سبيل الهبة أو المؤازرة بلغت قيمتها ثلاثة مليارات دولار عام ١٩٣٩ ، دوناً
قيد أو شرط ، مكّنت السلطة الاتحادية من ان تفرض ارادتها على الولايات لا سيما في ما يتعلق
بالشروط والكيفية التي ترى صرف هذه المساعدات والتعهد من قبل الولاية المستفيدة بالـ
بعض القواعد والتقييد بالاصول والتدابير التي تتعلق بوضع العمال او بالخدمة العامة . وهكذا
تمكنت الحكومة الفدرالية من وضع يدها على أراض وممتلكات كانت ترجع من قبل للولايات .
وانشأ الرئيس روزفلت مصالح ودوائر جديدة امتدت صلاحياتها إلى عدد من الولايات وأنشأ
مؤسسات تشترك الحكومة الفدرالية بإدارتها مع ولايات أخرى (مشروع سلطة وادي تنسي
وكثيراً ما استحوالت الولاية إلى مأمور تنفيذ لسياسة الاتحاد . ولم تعد وظيفة الكونغرس
الوحيدة ، منذ ذاك ، تحديد السياسة العامة للدولة . فهو يوسع عن طريق مشاريع القوانين
من الاختصاص التشريعي للسلطة التنفيذية . « فالتفسير الثنائي » للتعديل المباشر للدستور
الاميركي الذي كان يمنع السلطة الاتحادية من التدخل في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية المحفوظ
بها للولاية ، قد وضع جانباً منذ عام ١٩٤٣ ، عندما اعترفت المحكمة العليا بشرعية القوانين
الاتحادية حول علاقات العمل والضمان الاجتماعي وتنظيم سوق الفحم والاسواق الزراعية . وفي
سنة ١٩٤١ ، على اثر إلغاء كل التشريع القديم ، لم يبق من املاك تعود للولايات لا تستطيع
الحكومة الاتحادية ان تطالها . وكان الرئيس هو المستفيد الأكبر من توسيع السلطات الاتحادية ،
مهما بلغ من حرص مجلس الكونغرس على تشديد مراقبته على السلطة التنفيذية .

في بريطانيا العظمى
اشدت وطأة الازمة في انكلترا وطن النظام البرلماني الاصيل .
فقد اخذت البلاد ، في المجال التشريعي ، إسناد صلاحية
التشريع لبعض الدوائر التابعة للسلطة التنفيذية وبعض وزراء التاج . فالقانون الذي فرض
عام ١٩٣٢ الرسوم على الاستيراد ، ترك لوزير المالية حرية الاعفاء او زيادة هذه الرسوم .
والقانون الآخر الذي صدر عام ١٩٣١ ، على المحاصيل الزراعية فوض الى الوزير المسؤول سلطة

فرض رسوم مانعة على المحاصيل التي يرى منعها أو التقليل منها . والقانون الصادر في عام ١٩٣١ ، بشأن التوفير لا يشير من قريب أو بعيد الى الوفرة الذي يجب تحقيقه . فعلى الوزراء ان يحددوها كل في ما يتعلق بوزارته . كذلك القانون المتعلق بالبطالة ، فهو يعهد بهيئة خاصة من الموظفين الاداريين وليس بالسلطات المحلية مهمة توزيع الاعتمادات المخصصة للتوزيع على المحتاجين . ولعل القانون الاكثر تعبيراً لظاهرة الابتعاد عن المبادئ الليبرالية هو قانون الاغراء على التمرد والتحريض عليه الذي صدر عام ١٩٣٥ الذي يمنع بكل شدة محاولات الاغراء والتحريض على العصيان أو على التمرد ، فرمى الى حماية افراد الجيش من الدعايات المفرضة والدعاوة للسلم بأي ثمن . فهو ينص على امكان إصدار مذكرات استنابة على بياض التي لم يكن إصدارها يُعد عملاً مشروعاً أو قانونياً ، منذ نحو ١٥ سنة مضت . كذلك بطل العمل ، في ايرلندا الشمالية بالامر للمثول منذ عام ١٩٣٥ .

والاحتراز من بعض المؤسسات أو من بعض النقاد ظهر جلياً بين جميع الاحزاب ، فقد قام افراد امثال ونستون تشرشل وسدني ويب يلاحظون ان البرلمان لا يستطيع الاهتمام ، كما يلزم ، بالقضايا الاقتصادية واقترحوا بان يتولى امر الاعتناء بمثل هذه الامور هيئة خاصة تتألف من خبراء مستقلين ينتخب افرادها من بين جميع الاحزاب ، وليس من بين اعضاء المجلس النيابي .

اما في فرنسا ، فقد ادت الازمة الى إضغاف النظام البرلماني ، فال الامر الى في فرنسا شلل عام عطل أو خلخل الانظمة الدستورية في البلاد . فالقاعدة التقليدية للسياسة الفرنسية التي تقول ان الاتجاه الى اليمين في تشكيل الحكومات يقضي عند الشعب على الخوف من اليسار ، لا تزال قائمة . فكتلة اليسار تفوز مرتين بنجاح في الانتخابات العامة ١٩٣٤ و ١٩٣٦ . وقد تمكن اليمين من طردها من الحكم عام ١٩٣٤ و ١٩٣٨ . وفي سنة ١٩٣٤ فسخ الراديكاليون تحالفهم مع الاشتراكيين برفضهم مشروع مراقبة القطع ، كما وقفوا ، عام ١٩٣٨ في وجه كل مشروع يرمي لتأميم التسليف أو بقتراح اصلاحات جذرية ، بعد ان ادخلوا على القوانين الاخرى التي سبق للجبهة الشعبية ان أقرتها ، تعديلات جعلتها غير ذي جدوى . ولما كان للقضايا المالية والاجتماعية اهمية قصوى ، فقد احتدم حولها صراع الاحزاب التي اخذت تقف منها موقفاً متصلاً يتفق ومبادئها ، والامتناع عن المساومات التي تهدد بحرب اهلية .

فالنجاح الذي حققه الحزب الاشتراكي في انتخابات ١٩٣٢ ، ولا سيما انتصار الجبهة الشعبية عام ١٩٣٦ ، ادخلت القلق الى نفوس الطبقات الموجهة ، في الحين الذي كان فيه فوز الانظمة الدكتاتورية في كل من ايطاليا والمانيا يدعو للاحتذاء بهما والتسج على منوالهما . والحال ، فبعد انتخابات عام ١٩٣٢ التي اعطت المجلس النيابي اكثرية تشبه الاكثرية التي نالها التجمع عام ١٩٢٤ اخذ عدد من « الاعيان » المتربصين بالازمة المالية ، والذين كانوا يعيشون تحت كابوس الامثلة الروسية ، يفقدون كل ثقة باللجنة البرلمانية بعد ان كانوا رضخوا لها واستسلموا لها مسaire ،

فراحوا ينضمون كأسلافهم عام ١٨٤٨ ، الى هذا الفريق الذي كان يقترح قيام حكومة قوية تكبح من جماح زعماء « الحركة » وتأخذ دونما خوف او وجل بسياسة حازمة تدافع عن مصالحهم ، لا تتغير دورياً مع الانتخابات ومعارضة العمال ، ولا تكون في كل مرة موضوع بحث ونظر .

فتقاليد اليمين الفرنسي ، وموقفه العدائي من النظم الديموقراطية والجمهورية لها عروقها القديمة . ان ثقافة بعض رجال السياسة ، والاعمال المريبة التي يأتونها في المجالات السياسية والمالية ، غدت في النفوس نفرة من النظام البرلماني اعترت افراد الشعب من قبل ، فراحوا يذكونها في صدور الشبيبة البورجوازية والمنظمات القومية : كالشباب القومي وعصبة القوميين الذين كان برنامجهم الغامض الوقوف الى جانب السلطة التنفيذية ويمتد بسبب وثيق الى التيسار الاستقلالي البونا برتي . اما الفئة الاكثر تصلباً من هذه كلها بالرغم من قلة ععدد اعضائها ، فكانت فئة « الاكسيون فرنسيس » التي كانت تعمل وفقاً لبرنامج سياسي معين هو اعادة الملكية الى فرنسا . والى جانب المؤسسات القديمة التي كانت تنادي على اقدار وانساب متفاوتة ، من التصريحات العنيفة الداوية ببرنامج اساسه المحافظة في الحقلين السياسي والاجتماعي ، أطل عدد من الاحزاب والهيئات السياسية الجديدة ، منها عصبة جورج فالوا ، والفرنسيسية ، والتضامن الفرنسي ، الذين لم يكن عدد اعضائها مجتمعين ليتجاوز بضعة آلاف ، الا انها كانت فاشية الطابع والصيغة في تنظيماتها شبه العسكرية وتفكيرها ودعوتها الى استعمال العنف . أما حزب « صليبان النار » الذي تألف من قدامى المحاربين والحاملين اوسمة حربية ، اعترافاً بأعمال البطولة والتضحية التي قاموا بها ، ويلقى مساعدة مالية من مؤسسة كوتي ومن ارنست مرسيه ، فقد انصرفت للعمل منذ عام ١٩٣١ ، فارتفع عدد اعضائها ، عام ١٩٣٢ من ١٥ ألفاً الى ٣٥ ألفاً ، الى ان ارتفع الى ٦٠ ألفاً عام ١٩٣٣ ، وتكون حوله تشكيلات فرعية ، كأبناء الصليبان النارية ، والتجمع القومي للمتطوعين الوطنيين . كل هذه الفئات والاحزاب اخذت تكثر من المظاهرات المضادة للروح البرلمانية . وفي ٦ شباط ١٩٣٤ واستغلالاً منها للهيجان الذي اقام الشعب الفرنسي لفضيحة ستافسكي المالية ، وتعبيراً عن عدم ارتياحهم لمعجز الحكومة وعدم تجانسها ، قام بمظاهرة اتجهت نحو مبنى المجلس النيابي ، انتهت بفتنة ، عقبها اصطدام دام مع البوليس ، الامر الذي أدى بالحكومة ، بعد انقسامها على نفسها ، وبعد عدم اطمئنانها لموقف بعض الموظفين المدنيين والعسكريين ، قدمت استقالتها ، وتخلت عن الحكم للسيد دومرغ رئيس الجمهورية الاسبق الذي الف وزارة اركززت قاعدتها بوضوح على اليمين ، مع المارشال بيتان ولافال وفلانندان . فهذه الوزارة والوزارة الاخرى التي عقيبتها برئاسة لافال سارت على سياسة انكماش مالي استمرت سنتين . واخذت الاحزاب التي استندت اليها تزداد نفوذاً ، اهمها حزب صليب النار الذي ضم اكثر من مليوني عضو . ولم تلبث هذه المنظمة ان اتخذت طابعاً شبه عسكري على مثال الحزب الفاشي ، بينما بقي برنامجها غامضاً اذ لم يخرج عن كونه

حزباً يمينياً ، ينزع الى فرض السلطة كما هي تقاليد المرعية . ولم يعد الصراع ليقتصر على المجال السياسي والاجتماعي . ورغبة في عدم إضعاف « قوى النظام » العاملة في القارة ، تخلى اليمين عن سياسة الحزم والتشدد حيال ألمانيا ، وهي سياسة طالما حبذها واوصى باتباعها ، كما تخلى عن مشروع الاتفاق الفرنسي الروسي وانطلقت من جديد الروح الوطنية المتعصبة ضد بريطانيا . وما عثم ان اعرب الحزب عن رضاه وارتياحه لمهاجمة إيطاليا الحبشة وللمساعدة الدول الفاشية لفرنكو وللاتفاقات التي عقدت في مونيخ .

والتهديد الذي تمثله هذه الأحزاب ، لم يلبث أن انعكس أثره في التجمع وتوطين الرأي بين الأحزاب والهيئات اليسارية : كالحزب الراديكالي والحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي والاتحاد العمالي العام ، ورابطة التعليم ورابطة حقوق الانسان ، الخ . ليؤلفوا من بينهم لجنة متابعة وتوعية قوامها مفكرون من خصوم الفاشية ، أخذت تمهد للاتصالات وعقد الاتفاقات بين هذه الفئات ، مما أدى الى عقد ميثاق وحدة عمل والى انشاء جبهة شعبية فازت بانتخابات ١٩٣٦ . وكان من شدة وجوم للطبقة الموجهة وأصحاب الشأن في البلاد أمام تشكيل حكومة ذات ميول اشتراكية يعضدها حزب شيوعي قوي أن أخذ زعماءها يميلون أكثر فأكثر نحو حلول بالقوة . وعلى الأثر ظهرت من جديد تجمعات فاشية الطابع ، منها على الأخص الحزب القومي الفرنسي (P.P.F.) الذي تألف عام ١٩٣٦ بمسمى من العضو الشيوعي السابق دوريو الذي تلقى مساعدات ضخمة من رجال الصناعة ومن الحزب الفاشي الإيطالي . ومن هذه الأحزاب ، الحزب المسمى « كاغول » ويشار اليه بالأحرف C.S.A.R. وهو عبارة عن جمعية سرية نعمت بحماية بعض الدوائر العليا في الحكومة والجيش . وأقامت هذه الجمعية علاقات مباشرة لها مع الحزب الشقيق الآخر بعد أن أمدته بالمساعدة ، وفي سبيله قام بعض أعضائه بقتل الأخوة روزلي .

وهذا الصراع الذي تجاوز حدة وعنفاً كل ما سبقه من عراك في الفترة السابقة حال ، ليس دون القيام بأي محاولة اصلاح للنظم والمؤسسات الفرنسية فمحسب ، بل زاد عمل الحزب سوءاً في الوقت الذي استمر النظام في تطوره الوئيد الرامي لتعزيز السلطة التنفيذية . وهكذا أخذت شخصية رئيس الوزارة تبرز بوضوح من بين الوزراء بعد أن خلط بينهم الدستور الفرنسي الصادر ، عام ١٨٧٥ . ولأول مرة اعترف له القانون الصادر في ٣ كانون الأول ١٩٣٤ ، بوجود متميز ، كما خصه بخدمات وأدوار ادارية دائمة وقفاً عليه دون سواء . وبعد أن أصبح بالفعل رئيساً للحكومة أخذ رئيس الوزارة يمارس حقه بتأمين الانسجام والترابط بين مختلف الوزارات واللجان الوزارية المشتركة والتي اربطت صلاحياتها بعمله . كذلك أنيط به الاشراف على اللجنة الاقتصادية واللجنة المتوسطة العليا ، واللجنة العسكرية العليا ولجنة الشؤون الاسلامية ؛ والمراسم الاشتراكية بنوع خاص التي تتجلى فيها السلطة التشريعية عن بعض صلاحياتها تسهيلاً لعمل السلطة التنفيذية ، لم تلبث أن أصبحت أداة كثيراً ما تكرر اللجوء اليها لاعداد

مشروعات القوانين ، بحيث تفرض على البلاد تدابير واجراءات لا تحظى كثيراً بتأييد الشعب لها . ومنذ عام ١٩٣٣ ، ولا سيما منذ ١٩٣٧ ، تكرر مراراً طلب التسليح بمراسيم اشتراعية بشأن التشريعات الاقتصادية المعدة لتأمين التوازن في موازنة الدولة ، والدفاع عن الفرنك ضد المضاربات المالية ، وكبح التعديلات على أموال الدولة ، ومراقبة الاسعار والاصلاح الاقتصادي . وبعد سنة ١٩٣٤ ، تمت معظم الاصلاحات الكبرى في البلاد عن طريق المراسيم الاشتراعية . فقد عملت الحكومة بهذه المراسيم بين ١٩٣٧ - ١٩٣٩ ، ثلاثة عشر شهراً على ٢٦ شهراً .

هنالك بلدان ودول أخرى بقيت على ولائها لحرية
الدرل الليبرالية الاخرى التجارة تركت فيها الأزمة الاقتصادية أثراً ظاهراً في سياستها.

فمع استمرار العمل بالنظام البرلماني في بعض البلدان ، فقد قامت فيها ، بالرغم من ذلك أحزاب فاشية بعضها ضعيف يدعو للسخرية برئاسة موسلي في انكلترا ، مثلاً وبعضها انشط وأقوى ، كما في بلجيكا حيث أسس شاب كاثوليكي هو ليون دفريل منشور جريدة أسبوعية بعنوان « ركس » اشارة بذلك الى المسيح الملك كما أنشأ حزباً « ركسياً » أخذ على نفسه مهاجمة « حكومة الفاسدين » ، كما أخذ ينشر بين الملأ ، صوفية الزعيم ، واستأنف العمل بأساليب الدعاوة مردداً : « الظفر المركس » ، منادياً بالشعارات التالية : مناهضة الرأسمالية . مناهضة الاشتراكية . مناهضة الليبرالية ، كما راح يطالب بتأسيس نظام يركز على الأسرة والمهنة ، مع هيئات ومجالس مهنية ، وسلطة تنفيذية قوية ، ومجلس نيابي له صلاحيات ضيقة للغاية . وبعد أن جمع أنصاره من رجال الفكر الكاثوليكي وتحالف مع القوميين الفلمنكيين الذين كانوا حصلوا على حق « فلمنكة » التعليم في مقاطعة الفلاندر ، فقد كتب له الكتائب من سكان الريف ومن بين العمال الكاثوليك ، وحصل في انتخابات عام ١٩٣٦ على نحو ١٢ بالمئة من مجموع أصوات الناخبين وعلى ٢١ مقعداً . وأخذ يجهل سياسة موالية للدكتاتوريات .

وعرفت سويسرا نفسها تجمعات فاشية هي الأخرى ، تألفت منها « جبهة وطنية » ، بمساعدة عدد من الضباط « للعمل على البعث الوطني » ومكافحة الشيوعية ، وأخذ يُنادي بنهاية الديمقراطية والنقابية . وقال عام ١٩٣٥ ، ستة مقاعد في مجلس مقاطعة زوريخ ، وانتخب رئيسها مستشاراً وطنياً . الا ان نشاط النازية في سويسرا بعث هزة في الرأي العام ، والغضب الذي سببه ضم النمسا الى الرايخ وضم المانيا مقاطعة السوديت اليها ، جعلت النواب النازيين يفقدون مقاعدهم في انتخابات عام ١٩٣٥ ، و ٣٠٠٠٠٠ صوت عام ١٩٣٩ ، مع فقدان ٣ مقاعد في البرلمان . وفي النرويج ، اتحد الفلاحون المدنيون للوقوف في وجه البيع القشري للاراضي . وفي عام ١٩٣٣ ، جرى التجمع الوطني ، بمسمى كوبسلنغ . وفي فنلندا قامت حركة وطنية في لابوا ، ذات طابع فاشي زرعت الاضطراب في البلاد ، بين ١٩٢٩ - ١٩٣٢ .

٢ - الدكتاتوريات الفاشية

قبل وقوع أزمة ١٩٢٩ الاقتصادية ، كان النظام البرلماني ، في عدد من الدول الأوروبية ، قد انهار تماماً ، لتقوم مقامه نظم دكتاتورية . فمنذ عام ١٩٣٤ ، أقام الجنرال بريمو دي ريفارا في إسبانيا دكتاتورية عسكرية ، ولن يلبث أن قام الجنرال كارمونا بتجربة مماثلة في البرتغال عام ١٩٢٩ ، بعد أن استولى على مدينة لشبونة على يد الجنرال غوميز دي كوستا ، وعرفت بلغاريا نفسها لبضع سنوات ، نظاماً دكتاتورياً بزعامة تسانكوف (١٩٢٣ - ١٩٢٦) ، كما اجتازت اليونان ، عام ١٩٢٥ ، مع الجنرال بنغالومس ، فترة مماثلة عقبها نظام شبه برلماني . وأخيراً قام الجنرال بلسدسكي بانقلاب عسكري في بولونيا ، أفضى به إلى تولي زمام الأمر في البلاد ، مع استبقاء حكومة ذات مظهر برلماني . إلا أن كل هذه النظم لم تكن سوى دكتاتوريات من طراز قديم ، بينما نظام الحكم الذي قام في إيطاليا ، منذ عام ١٩٢٢ اتصف بمميزات عديدة جديدة ، جعلت منه أول مثال يسجله القرن العشرون لثورة معاكسة حقيقية . فقد اقتضى له بضع سنوات من التجارب والتطبيقات قبل أن يضع نهائياً فلسفته ، وقبل أن يوضح صفاته المميزة . فمع وقوع الأزمة الاقتصادية فقط ، ولا سيما بعد سنة ١٩٣٣ ، عندما استولى الحزب الوطني الاشتراكي على السلطة في ألمانيا ، أخذت الدكتاتورية الفاشية ، تؤلف الظاهرة الكبرى الأولى للبرالية ، كما تمثل في التاريخ المعاصر حدثاً له مدلوله العالي إذ أن الصورة الموسولونية لهذه الدكتاتورية كانت الصورة الأكثر نسخاً وتقليداً في العالم .

هذه النظم الفاشية التي فجرتها الأزمة في كل مكان في العالم تقريباً جاءت كلها على
الفاشية
منوال الدكتاتورية الألمانية والإيطالية ، تقتبس عنها في معظم الحالات ، مظاهرها الخارجية وتدين لموسوليني ولهتلر بالشكر والولاء . وقد برزت حركات اتسمت كلها بالطابع الفاشي ، وإن اخفت في الباطن ، أوضاعاً اجتماعية وتباينت عنها واختلفت .

السماة المميزة للواقع الفاشي ، يمكن استنتاجها من درس الحوادث التي وقعت
أصولها
في إيطاليا حيث قامت الحركة ، ومن ثم في ألمانيا ، المسرحين الرئيسيين لها . برزت الفاشية بأوضح وجوها ، في بلدين « كان مطروحاً على بساط البحث في كل منها مشكلة اجتماعية ومشكلة قومية حادة » ، بلدين راحا ، إلى حد بعيد ، فريسة للاضطرابات والقلق الاجتماعي من جراء ما عانتا من حدة البطالة والصراع الطبقي ولعدم استقرار النقد فيها . فقد شهد كلا البلدين ثورة شعبية حركت من الأعماق ، الجماهير الهائلة ، بعد أن ضمتا إلى مطالبها القومية والاجتماعية ما شعرتا به من ذل الانتعاص الوطني ، ومن وضع اقتصادي اعتبرناه لا يطاق ، ومن نظام سياسي اعتبرناه عاجزاً في الأساس وفاسداً في الصميم . وبما لا شك فيه قط أن الحركة وجدت مسعفاً لها ، افتقار كلا البلدين لتقاليد ديموقراطية عريضة ، سواء منها لدى الشعب

الايطالي او في المانيا ، حيث عجزت تحسون سنة من نظام تمثيلي ، عن ترسيخ مثل هذه التقاليد وتوطيدها في البلاد ، وحيث تصارعت الاحزاب ، وحيث عجزها واقتقارها الى النفوذ كاد يؤدي بالبلاد ، الى الخراب . وفي مثل هذا الجو المؤاتي ، ليس من عجب ان تساعد الازمة ، بعد ان نشبت في ايطاليا منذ عام ١٩٢٠ ، وفي المانيا ، منذ عام ١٩٢٩ ، على انكفاء الصراع الطبقي باثارها ردة فعل ، دفاعاً عن الامتيازات والمكاسب المهددة .

تساعدنا نظرة فاعمة محالة ، الى العناصر التي تؤلف القوى التي تعتمد على كل من القوى هاتين الدكتاتوريتين ، على تكوين فكرة اصح ، وفهم ادق ، للطابع الذي ارتدته الحركة . تتألف هذه القوى من عناصر متباينة ، اوسعها قاعدة ، وامضاهما عزمًا ، العناصر المستمدة من الطبقات الوسطى . ففي ايطاليا هذه التي تعاني بين ١٩٢٠ - ١٩٢٢ ، من ازمة اقتصادية حادة ، في الوقت الذي كان يعقد فيه مؤتمر روما عام ١٩٢١ ، فمن اصل الـ ١٥٠ الف عضو المسجلين في الحزب الفاشي ، نجد ١٨ الف بينهم من الملاكين و ١٤ الفاً من التجار ، و ٤ آلاف من الصناعيين ، و ١٠ آلاف من اصحاب المهن الحرة ، و ٢٢ الفاً من المستخدمين (بينهم الثلث من الموظفين) ، ونحو ٢٠ الفاً من الطلاب ، أي ما يوازي مجموعه ٩٠ الفاً ليسوا بعمال ، بينما الباقون يعملون في مرافق الزراعة (٣٧ الفاً) و ٢٤ الفاً يعملون في المدن ، معظمهم عاطلون عن العمل او مستخدمون في المصالح العامة . ونرى النسبة ذاتها تقريباً ، عام ١٩٣٠ اذ ان ٢٥٤ من أصل ٣٠٨ من زعماء الحركة الفاشية الايطالية ، ظلموا من صفوف البورجوازية الصغرى .

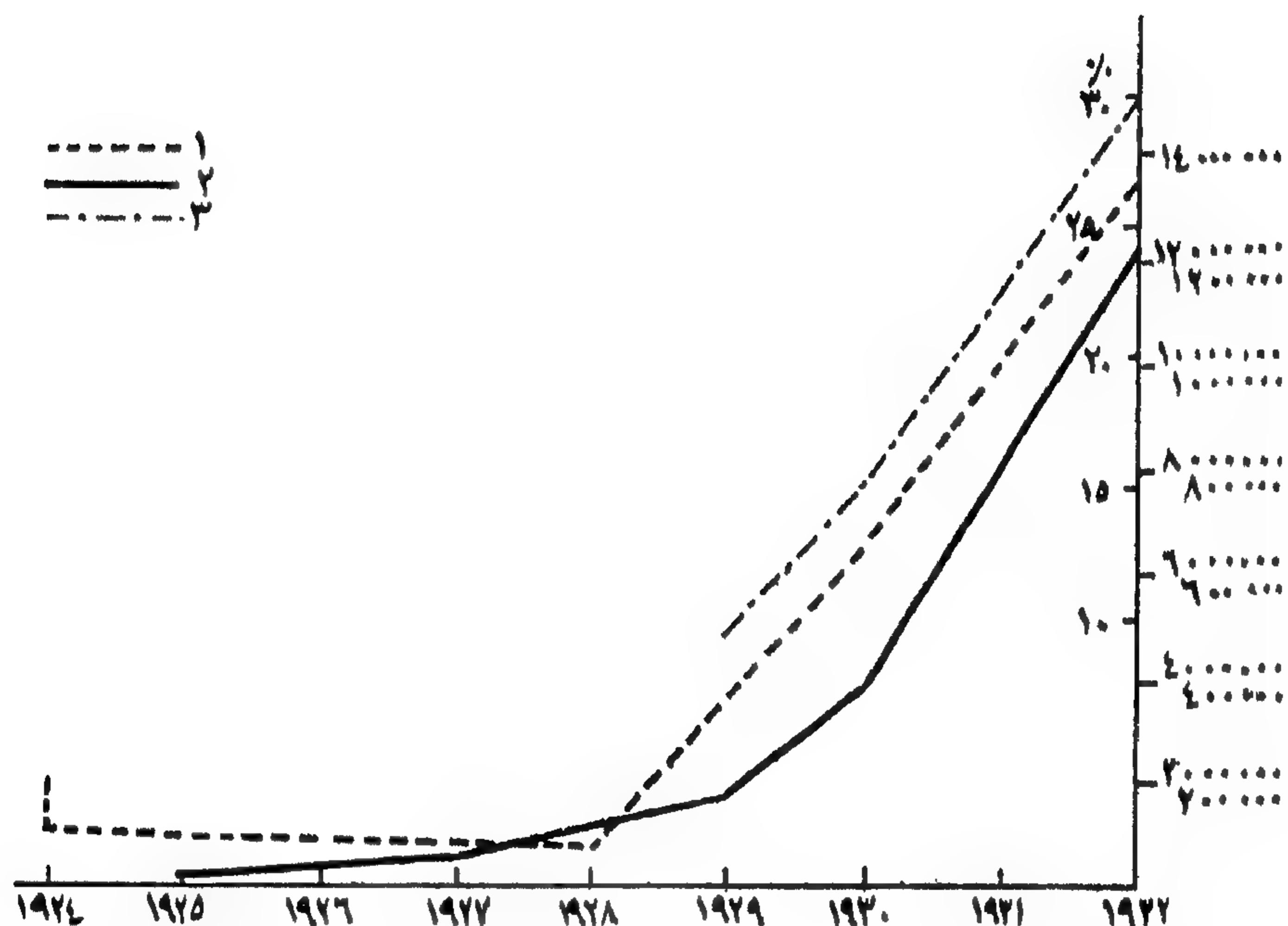
وفي المانيا حيث تعاني البلاد في الفترة ١٩٣٠ - ١٩٣٣ ، من بطالة مقعدة ، وحيث نكاد لا نجد ٢,٥٠٠,٠٠٠ شخص يملك الواحد منهم ثروة ادناها لا يتعدى ٥ آلاف مارك راينخ ، اي في بلد صارت فيه الطبقة الوسطى الى وضع البروليتاريا ، لا يختلف الوضع هنا كثيراً عنه في ايطاليا . واخذت الاشتراكية الوطنية تجمع انصارها ومؤيديها من بين صفوف الطبقة البورجوازية الصغرى ، والمستخدمين والموظفين واصحاب المهن الحرة ، ورجال الفكر المنبوذين وقدامى الضباط ، وصغار الملاكين ، ومتوسطي رجال الصناعة والتجار ، والعمال العاطلين عن العمل . والدليل القاطع على ان الطبقة العمالية لم تعضد الحرسية ، يظهره عام ١٩٣١ من خلال الانتخابات للجان المصانع وهيئاتها ، حيث مرشحوا الحزب ، لم ينالوا سوى ٥٠٠ بالمية من اصوات المقترعين ، بينما نالوا ٤٧٥ بالمية في الانتخابات لمجلس الرايشستاخ ، بعد ذلك التاريخ ، ببضعة اشهر ، اي في تموز ١٩٣٢ ، كانت اصوات البروليتاريا في صف اصوات صغار العمال . فالفاشية اذاً ، كما يتضح جلياً هي ثورة انفجرت من صميم الطبقات الوسطى . فتكون تكونت من هذه العناصر بالذات المكونة من صغار البورجوازيين او من البورجوازيين (بروليتاريا الياقة المكوية) ، والبروليتاريا الفكرية او العقلية الذين انزلوا منزلة البروليتاريا أو كانوا على وشك الصيرورة إليها بعد لأي قصير ، فناروا ضد النظام القائم . وتمسكاً بشرف

طبقتهم رفضوا التسليم بأي تبديل جذري للمجتمع ، هذا التبديل الذي هدف الى تحقيقه ، كل ما في الاشتراكية والشيوعية . ومع ان بعض العناصر كانت تكتاول اجوراً أدنى من اجور العمال فقد كانوا يشعرون مع ذلك ، بأنهم من طبقة اخرى ، او من طبقة أعلى مرتبة ، كما اعتبروا خطأ من شأنهم اجتماعياً وطبقياً ان ينزلوا منزلة العمال . والى هذه العناصر يجب ان نضيف هنا هؤلاء الشباب من ابناء الطبقة البورجوازية الذين لا عمل لهم ولا امل لهم بالعثور على عمل ، ولا سيما الطلاب منهم و « طبقات السن » الذين ضحت بهم الازمة وسدت في وجوههم كل المنافذ اي هؤلاء المنبوذين في كل الطبقات . كذلك يجب ان نضيف الى هذا اللجم ، عدداً كبيراً من صغار الملاكين الذين رزحوا تحت الدين ، ومحاربين قدامى لم يجدوا لهم عملاً في ايطاليا ، بسين ١٩٢٠ - ١٩٢٢ ، او الذين عادوا من الحرب لا مهنة لهم ولا حرفة ، فتطوعوا في القناسة أو في هذه العصائب العسكرية التي مارت بها المانيا ، فرأى اعضاؤها ، في الحزب النازي ، مغامرة بطولة ، وبينهم عدد كبير لم يتأثروا بالبؤس الاقتصادي الذي افاح على البلاد . بل اوجسوا خيفة من ان يخسروا مرتباتهم او « سعادتهم الاجتماعية » ووضعهم ، وان ينزلوا الى دركة الكادحين من رجال الصناعة ، والمساعدات التي قررت تقديمها المصالح الكبرى ضد الاشتراكية وضد الشيوعية ، لم تصل للحزب إلا بعد ذلك بكثير ، أي عندما حقق له بعض الشان في البلاد .

ان إنعام النظر في تطور الحركة النازية في المانيا يرينا بوضوح مقدار ارتباطها ارتباطاً وثيقاً بتقلبات الحياة الاقتصادية في تلك البلاد ، هذه التقلبات التي تبرز صورتها في حركة البطالة وما آلت اليه من وضع مفرج . فعدد الانصار والاصوات التي ينالها الحزب يزداد بنسبة ازدياد معدل العاطلين عن العمل (شكل ٢١٨، ٨) ففي شهر أيار ١٩٢٤ ، أي مباشرة بعد تجربة التضخم المالي المرعبة ، نال الحزب قرابة مليون صوت (٦٥٦ ٪) وما كادت المانيا تتخطى الازمة بعد ذلك مباشرة في كانون الأول من السنة ذاتها حتى هبط المعدل الى ٣ ٪ ؛ وفي أيار ١٩٢٨ ، عهد « الازدهار » ، هبط هذا المعدل الى ٢٥٦ ٪ . واذ ذاك تطل الازمة العالمية ، فاذا بالمعدل يرتفع في ايلول ١٩٣٠ ، الى ٦٥٤٠٧٠٠٠٠ صوت (١٨٥٣ ٪) ليبلغ في تموز ١٩٣٢ ، نحواً من ١٣٥٨٠٠٠٠٠٠ (٣٧٥٣ ٪) . كل هذه الاصوات جاءت من بين صفوف الأحزاب البورجوازية غير الكاثوليكية : كالمسيحيين والحزب الاقتصادي والحزب الديمقراطي والوطنيين ، بينما الأحزاب الوسطى والحزب الشعبي البافاري (كاثوليك) ، والأحزاب الاشتراكية والشيوعية بقيت ثابتة صامدة بصورة تدعو للدهشة .

جاء هذا التجمع مضاداً في الصميم للروح البرلمانية كما جاء الى
الدعارة وشعاراتها
حد ما ضد الرأسمالية ، الا انه ضد البروليتاريا في جوهره .
فالايديولوجيا الفاشية والنازية تستمد بعض شعاراتها ونداءاتها من صميم مطالب الطبقة العمالية بعد ان جردتها من طابعها الدولي والبروليتاري الذي يسمو الخوف في القلوب .

« فالاشتراكية أعجز من أن تؤمن العدالة للناس ان لم تسبقها عدالة بين الشعوب . فمسلى العمال الالمان ان يعترفوا وان يسلموا انه لم يسبق لهم ان بلغوا مثل هذا الدرك من الرق والعبودية الذي اصابهم اليه الرأسمالية الاجنبية والذي فيه يرسفون اليوم ... وهذا الصراع في سبيل تحريرهم ، هو حرب أهلية بعينها نقودها ضد البورجوازية العالمية ... »
هذا ما كتبه مولرفان دن بروك . وبعد ان تبلى غوبلز فكرة شبنغلر نراه يكتب :



شكل ٨ - كشف بياني مقارن بإزدهار وتطور الحزب الوطني الاشتراكي الالمانى مع تطورات
الازمة الاقتصادية حسبما تعبر عنها ارقام البطالة
١ - عدد الناخبين ، ٢ - عدد الاعضاء ، ٣ - نسبة العاطلين عن العمل .

« اشتراكيتنا هذه ، هي التي جاش بها ملوك بروسيا والتي ألهمت خطى الفرسان التوتونيين ... اشتراكية الواجب » . « فالروح المناوئة للرأسمالية في الفاشية ، قتلاءم تماماً وهذه الأمانى الغامضة التي تجيش بها صدور الطبقات الوسطى . فهي تتجه ضد المصرف ، وتستبدل الصراع الطبقي بالكفاح ضد الرأسمالية الأجنبية ، ضد « الثراء الأجنبي » . وهذه الدعاوة يرجى لها ان تضع حداً لهذه الشرور التي تعاني منها مختلف الفئات النشاقة لتعليقها بوعود مبهمه غير محدودة ، وأحياناً متضاربة ، الا انها تعمل مجتمعة على تفادي انهيار اجتماعي وهو سبب النعمة والخوف الذي يعمته الماركسية . وهذا يتفق تماماً بما لحظه لوسيان فيفر عندما كتب :

« فالامر لا يقتصر في هذه القيادات على الروح المضادة للنظام البرلماني . فهناك الروح المضادة للنقابية . ومثلها للحرفية ، هذه الصورة المسوخة للروح النقابية (أقله من بعض وجوهها) . هنالك المظهر الخداع « الرجوع الى الحرفية » . هنالك سياسة اقتصادية ترتبط ارتباطاً وثيقاً باننيار نظام متفسخ مهمل عن طريق اغلاق البلدان الجديدة والانتاج المفرط للأجهزة الداهية الى أقصى حدود الدماء » .

ونختصر القول ، فالفاشية هي في الأساس حركة رجعية مضادة للعمالية ، قامت على اسطورة القضاء على الصراع الطبقي : فالاجراءات التي عمدت اليها في بادىء الامر تجرد العمال من سلاحهم وتحيلهم الى وضع من الدونية لا خروج لهم منها أمام أرباب العمل ، وذلك بالقضاء على الأحزاب وعلى النقابات العمالية .

ظروف وصولها للحكم
قوة الفاشية تكن أصلاً في الحزب الذي خضع لتنظيم جديد
أساسه البزة والانضباطية والتدريب العسكري والاستعراضات
والحشود المتواترة بحيث تسيطر بالقوة . في خدمتها أجهزة داهية من الدعاوة الماكرة أساسها الصحافة والراديو والسينما ، كل هذا الى شيء من إيقاع الرهبة والتجسس والرقابة الشديدة . فلم تكن مشكلة الحزب الحصول على الحكم . ففي إيطاليا كما في المانيا توصلت الحركة الى السلطة بصورة شرعية ، وسيطرة الحزب على السلطة انما جاءت نتيجة سلسلة من تواطؤ السلطات : كالقضاة والشرطة والادارة والجيش الذين غضوا النظر عن مخالفات الحزب وتجاوزاته ، كما ان هيندنبيرغ نفسه استدعى هتلر لاستلام مقاليد المستشارية في المانيا ، وعن طريق هذا الدستور الذي طالما هاجموه ورجموه تقلدوا مقاليد الحكم بشكل تحلى بملاءة الشرعية . ففي كلا البلدين اضطرت الحركة لدخول الصراع مع المنظمات العمالية التي انتهكتها العراك الطويل بين الاشتراكيين وبين الشيوعيين ، وقضوا عليها قضاء مبرماً تحت ستار الحكومة الشرعية .

العقيدة
العقيدة الفاشية هي « مزيج من التراكيب والألفاظ الثورية الطابع ، وأفكار صفار البورجوازيين يجمعها مِلاط نصفي الثقافة وتعتبران الكفاح أمر ملازم للحياة . فالحزب هو ميليشيا مدنية في خدمة الأمة التي هي في حالة حرب مستمرة تناضل ضد الذين يحاولون خنق هذه الأمة ، فهو يحارب في سبيل تأمين السلطة للشعب وتوطيدها ، وهو ينبذ جانباً النزعة السلمية واللاعنف ، ويكون الاحتقار لما تدعوه « الديمقراطية العاجزة » . ففكرتها العائدة للقرن الثامن عشر التي ترى السعادة والازدهار شيئاً واحداً . وقد أعلنها روزنبيرغ مدوية على رؤوس الاشهاد : « لم نعد أمام صراع طبقة مع طبقة أخرى ، والعقيدة الدينية ضد عقيدة أخرى ، بل صراع الدم ضد الدم ، والعرق ضد العرق والشعب ضد الشعب » . لا مكان قط لحقوق فردية تتمسارح ومصلحة الدولة وحاجاتها بعد . أن أصبح الفرد خاضعاً لها بالكلية . كذلك في المجال الاقتصادي ، كل البنين الاقتصادي يجب أن يخضع لمراقبة الدولة ، كالتوسع في التسليف والاسعار وتثبيت القبطع

وغير ذلك . وفي المجال الديني يجب على الدولة أن تسيطر هنا أيضاً مع انه سبق للفاشية وأعلنت عالياً ان الدولة الفاشية تنظر الى الدين نظرتها إلى أسمى مظاهر الفكر . فهو ليس موضوع احترام فقط ، بل يجب الدفاع عنه ، كما ان النازيين أعلنوا من جهتهم : الحرية التامة لكل العقائد والأديان في الدولة . فعلى الدولة أن تراقب كذلك كل نشاطات الفكر .

ومن مميزات النظام الفاشي طابعه اللاعقلاني . فهو يستنير بالمشاعر والمواطف ويفسدي في الجماهير الحماسة بصورة مستمرة . وقد شدد توماس مان على « ترنح الثورة الهتلرية » . فالناطقون باسمها ، يتكلمون كمن أوتوا النبوة . « ليس هو العقل الذي شطر الشعر إلى أربعة أقسام وأنقذ ألمانيا من كربتها » بل إيمانها ، كما يصرح هتلر أمام كتائبه . والعقل قد يكون نصيحكم بعدم الالتفاف حولي . انما الايمان وحده هو الذي استمعتم الى صوته . زعيم الحزب معصوم عن الخطأ . له ملء المعرفة والعلم . فعبادة الدوتشه أو الفوهرر والتسليم الكامل لارادتهما هي القاعدة المطلقة ! أفما نصت المادة الثامنة من وصايا الميليشيا الفاشية على ان الحق هو دوماً الى جانب موسوليني ، كما نصت المادة العاشرة « على ان حياة الدوتشه هي أثمن من كل شيء » . فهتلر هو المختار من الله وله شخصية مكرسة وموضوع عبادة حقيقية . فهو أشبه ما يكون « بمسيح في السياسة » . آمن ، وطع ، وحارب ، هذه هي كلمة السر عند الشبيبة الفاشية .

الحزب ودوره الرئيسي يعتمد نظام الحكم ، في كل مكان ، على حزب وحيد أوحد يحسّم رغبات الدولة ويمثل أمانى النخبة . فهو يتألف أصلاً من هذه فئات تتميز بانضباطيتها وتخضع لارادة زعيم الحزب أو الدوتشه المطلقة الذي يوزع الوظائف ويعين الرؤساء . فالحزب يمثل الدولة ، ويتولى أعضاؤه كل نشاط في البلاد ويشرف على توجيهها ، كما تخضع له منظمات شبه عسكرية يواجه بها خصوم الحزب وأعداءه ، منها مثلاً : فرقة الهجوم (S. A.) وسرية الدفاع (S. S.) في ألمانيا ، ومنها الميليشيا في إيطاليا ، والكتائب البرتغالية ، والكتائب الاسبانية . ويعلق أهمية قصوى على إعداد الشبيبة وتهيتها وتوحيد تفكيرها ، ويراقب نظام التعليم الذي تخضع له ويكتبها في كتائب خاصة . هنالك منظمات نسائية ومنظمات طلابية ، ومنظمات للفلاحين وأخرى للعمال تنظم فراغهم قبل العمل وبعده كجبهة العمل والنقابات الفاشية ، ثم الحرف ، ويخضعونها لنشاطات رياضية وثقافية بحيث لا يشذ أحد عن الطوق ولا يخرج عن الصدد المرسوم ولا يخرج عن نفوذ الحزب .

كل النشاط الثقافي أو الفكري يقع تحت اشراف الحزب فيضع تحت مراقبته المباشرة اجهزة الاعلان والراديو والسينما والصحافة والمسرح والادب ... كذلك انشأ الحزب في البلاد رقابة صارمة ، والنفي كل صحافة معارضة أو حيادية ، ويوحى اليها بالموضوعات التي يجب ان تعالجها وبالطريقة التي يجب ان تعالج بها . والحزب وحده يسيطر على الشرطة الخاصة بالنظام بعد ان

اولاه سلطات واسعة جداً . فيستعمل اعنف الاساليب ومنهـا الضرب لانتزاع الاعترافات والاقراءات وارغام المتهمين على الاعتراف بما عليهم ان يعترفوا به ، ويرسل الى مخيمات الاعتقال كل من يرى وجوب اعتقاله . والقوانين النازية كالقوانين الفاشية ، عام ١٩٢٦ ، تلاحق بمعنف كل كلمة شاردة او مشبوهة ، وكل ظاهرة عداوية . فقد جرى في المانيا ، بين ١٩٣٣ - ١٩٣٨ ، توقيف اكثر من ٤٣٥،٠٠٠ شخص وجرت ملاحقتهم القانونية لمعارضتهم نظام الحكم . كما ان المحكمة الخاصة في ايطاليا للدفاع عن الدولة لم تكن تتقيد بأي شكل من اشكال القانون ، اذ كان بإمكانها ان تصدر احكاماً لا تقبل الاعتراض على اعمال او مخالفات تبقى فيها الظنة او الشبهة غامضة ، مبهمه ، كالاتهام مثلا بعمل جماعي من شأنه ان يחדش الشعور الوطني . فقد بلغ مجموع السنين التي حُكمت بها المحكمة على ٣٠٠٠ ظنين ، ١٤،٤٥٨ سنة .

ومحافظة على نقاء الحزب ، وتخليصاً له من الفاترين او الخصوم المتنكرين ، نزع الحزب ، منذ توليه السلطة الى عملية تطهير عامة ، واحتفظ منذ ذلك الحين ، بحق العضوية والانتساب اليه ، للشباب الذين جرى تدريبهم بعد ان اطمأن اليهم . اما الهيئات والمنظمات شبه المستقلة القائمة الى جانب الحزب : كالمشاريع الانمائية الكبرى ، والكنائس والجيش ، فقد اخضعها للمراقبة وازال كل خطر عن طريق اقطاعها انعامات مادية وادبية ، بعد ان أفهمت جيداً ان الحزب وحده يستطيع ان يكبح وان يمنع عنها اي اعتداء من قبل اعدائها التقليديين المعروفين وهم : الاشتراكيون والشيوعيون .

افراغ الشبيبة وقولبتها
حرصت كل الاحزاب الفاشية على تمجيد القوة وعلى اعتماد سياسة
عامة سداها النفوذ ولحمتها البطش والبأس ، مما يفترض اعتمادها
على جيش قوي ، لجب ، وبالتالي على شعب مفتول العضل ينمو ويزداد بسرعة ، كما يفرض
السهر على نقاء العرق والاصل : كالتخلص من اليهود ونبذهم بعيداً عن جسم الامة السليم ،
وفقاً لقوانين نورمبرغ التي حظرت كل زواج او عقد زواج بين اليهود و « الآريين » ، وتعقيم
الضعفاء والمرضى المصابين بمرض عضال ، والمجرمين في جميع انحاء المانيا ، وتشجيع الاهلين
على الانخراط والانسال في كل البلدان . وهؤلاء الاطفال الذين تود الدولة ان تراهم بأكبر اعداد
ممكنة ، تعنى الدولة عناية خاصة بتنشئتهم وتربيتهم . فهم ملك الدولة وعلى الدولة ان تؤمن
صحتهم وافراغهم وتنشئتهم بحيث يصبحون رجالاً اقوياء ، اشداء ، يزخرون بالقوة والصحة
والنشاط والاستعداد للامتنال والطاعة . فالتربية الرياضية التي تستهدف الطبع والاخلاق ،
يجب ان تحتل مكانها البارز في عملية التربية والتعليم ، هذه التربية التي يجب ان تزرع في نفوس
النشء ، عبادة الابطال وروح البذل والتضحية في سبيل الوطن . وقد جرى تنقية الهيئـة
التعليمية فلم تعد لتعد في صفوفها اي يهودي ، كما نبذ منها الماركسيون وخضعت لمراقبة دقيقة .
فالتعليم والدعاوة ، عاملان متلازمان في كل عملية تنشئة . فالعقيدة النازية يجب ان تغرس في
نفوس الطالب الابتدائي ، وكذلك في ايطاليا .

« على المدرسة ان تكون ذات طابع فاشي . ولا يعتقدن احد قط انه يمكن الاستهداف للشطط او للمغسالة في هذا المجال . انا احب التطرف في كل ما يتصل بالفاشية ... يتعلل بعضهم ان الجغرافيا والرياضيات ليست علوماً سياسية بطبيعتها ... بضع كلمات . نبرة صوت ، تلميح بسيط ، رأي معطل ، واحصائية يستشهد بها الاستاذ في معرض الحديث من على منبر التدريس ، تكفي لافارة الشك او للدخول في السياسة . لهذه الاسباب كلها ، فمعلم الرياضيات له دور يلعبه في المجال السياسي ويجب ان يكون فاشياً ... » كما صرح موسوليني ، عام ١٩٣٣ .

والبيولوجيا كانت تدرس في المانيا باعتبارها علم العنصرية او العرقية ، من وجهة الدور الذي مثلته عبر التاريخ السلالات الشمالية . فالتاريخ يركز اساساً على المعاني التي تمور بها كلمات : العرق ، الشعب ، الرايخ ، الزعيم . فالى جانب المدرسة ، يعتمد الحزب في افراغ الشبيبة على مجموعة من المنظمات التي تعمل في نطاق تربية الشبيبة من بينها المنظمات الرياضية والكشفية التي تتناول الولد من ابن ثمان سنوات وتتخلى عنه وهو في الرابعة عشر لمنظمات أخرى تتم عمل الاولى وتكملها : كالخدمة الالزامية للعمل وبعد الثانية عشرة يؤول امره الى منظمة *Mocidade* في البرتغال والى جبهة الشباب ، في اسبانيا .

فخلافاً لموسوليني الذي خلق الحركة الفاشية وأسسها بعد ان تولى مقاليد آراء هتلر ونظرياته الحكم في بلاده ، كان هتلر عندما تولى مستشارية الرايخ قد سبق له ووضح برنامجاً كاملاً وخطة واضحة وتحت تصرفه كتائب منظمة وعدد مهيب من الاداريين المدربين على استعداد تام للعمل بمنأى من التطبيق التجريبي والارتجال .

فالمبادئ التي قال بها وعلم عبر عنها عالياً في *Hofbrau Haus* عام ١٩٢٠ وفي البرنامج الذي اعلنه وقأف من ٢٥ بنسداً او نقطة محددة ، كما عبر عن مشروعاته مفصلاً في كتابه « كفاحي » الذي وضعه وهو في سجن لندسبرغ ، في اثر محاولة الانقلاب الفاشلة التي قام بها في مونيخ عام ١٩٢٣ فنظريته للعالم تنهض على نظرية الدم او العرق وهي نظرية دان بهسا لغوبينو ولهوستن ستوار وتشمبرلن وبول دي لاغارد هذه النظرية التي سبق لمولر فان دن بروك ، وعرضها بتبسط ، عام ١٩٢٢ في كتابه حول الرايخ الثالث ، تقول يوجد عرق بشري اهل او اسمى هو العرق الآري الذي يتحتم بقاؤه نقياً بعد تنقيته من هذه العناصر التي حساوت ولا تزال افساده . لا سيما العنصر اليهودي الذي كان دائماً وابدأ خبير فساد وفساد .

وفي المجال السياسي اتخذ موقفاً معارضاً من المبادئ التي نادى بها وعملت الثورة الفرنسية الكبرى : هذه الايديولوجيا الليبرالية التي فرضت فرضاً على جمهورية ويمار من قبل الحلفاء الذين خرجوا منتصرين من الحرب العالمية الاولى ، واقصاها اياها على وضع من التسابعية والذي كان لازماً « ايقاظ الشعور القومي » وبعثه في النفوس . ألم يكن شعار القمصان السود وهتافهم الحربي : « استيةظي بالمانيا » ، ودعوة الشعب الالماني الى ان ينبذ جانباً الفردية والليبرالية التي لا تمتاز قط والعقلية الالمانية ، وكلها انظمة عقلانية تخلو من الطبيعة ، اذ ان المساواة والحرية هي مطالب مناقضة للعقل ، بخالفة للمنطقي ومضادة للطبيعة البشرية ، فالانسان ليس معزولا

فهم حلقة موصلة لجميع الاجيال بعضها ببعض. فمهمة الدولة المضادة للبرالية والمضادة للحزب والمضادة للمساواة ، القائمة على الترابط المسلسل ، هي المحافظة على وحدة الدم ، ووحدة اللغة ، والرجوع الى التقاليد الالمانية النوع والى كل ما انبثق من الشعب وصدر عن الشعب ، وتأمين المدى الحيوي الذي هو بحاجة ماسة اليه والذي يقتضيه تطوره ونموه . فمصدر السلطة لا يمكن في اكثرية من الافراد بل في الشعب نفسه ، في الشعب ككل ، الذي يجد ملء تعبيره الكامل في الزعيم او الفوهرر ، هذا الزعيم الذي هو تعبير لارادة الشعب والناهض بحقوقه .

اما اعداء الشعب فهم ، في الخارج روسيا وفرنسا ، وفي الداخل : الماسون ، واليهود والديموقراطية الاشتراكية التي استخدمها والتي جعل منها كارل ماركس اليهودي ، اداة لافساد المانيا والقضاء عليها . وفي المجال الاقتصادي ، ينزل هتلر باللائمة على الاحتكارات وعلى الاثرياء الجشعين هؤلاء الاجهزة الآلية التي لا نفس لها ولا روح ، ويعلم مناصرته للفلاحين والطبقات والملكية الخاصة . ويختصر القول فالشعب الالمانى هو شعب *Ohne Raum* يجب ان يمتد وان يتوسع نحو الشرق والجنوب والغرب من اوروبا .

كل هذه الافكار : من ازراء للديموقراطية ولما تمثله ، واليأس الذي وصوله الى السلطة تبعته معاهدة فرساي ، والناهضة للرأسمالية وللسامية والتي تقول بالعنصرية او العرقية وتطمح الى الدكتاتورية ، ليست بافكار جديدة . فقد سبق لشبنغلر ولمولر فان دن بروك ان عبر عنها كل من شميت وعثمان سبان وكل دعاة الرابطة الجرمانية . وقد عرف هتلر ان يعرضها بعنف وحماس وقوة بحيث تعبر عن مخاوف وعن احقاد وعن المشاعر التي جاشت في صدور الجماهير الالمانية . وقد لاقى كتابه رواجاً منقطع النظير . فقد كان يبيع منه ، حتى نيسان ١٩٤٠ ، ستة ملايين نسخة بعد ان ترجم الى معظم لغات العالم : « فهو يمثل اكبر نجاح سجلته دار نشر في العالم حتى الآن » وقد جرى تعميم هذه الافكار والمبادئ وسكبها من قبل فلاسفة النازية ، امثال غوبلز وداريه وروزنبرغ امثلهم جميعاً ، وقام بتلاوتها على الجماهير المتألبة وشرحها من قبل خطباء مفوهين يفيضون بلاغة وعاطفة وحماسة ، التفت حول الحزب وناصرتهم ، كما قامت منظمات القمصان السود التي تولى ملر رئاستها منذ عام ١٩٢٩ بمهاجمة العمال المضربين والاشتراكيين والشيوعيين وخاضوا معهم معارك واشتبكات دامية . فمئذ ١٩٢٧ ، عد الحزب بين صفوفه ٧٢٠٠٠ عضو ، والمؤتمر الثالث الذي عقده الحزب في نورنبرغ اكثر من ٣٠٠٠٠ من كتاب الصاعقة بقمصانهم السود . وارتفع عددهم ، عام ١٩٢٨ الى ١٠٩٠٠٠ كما ازداد يمثل هذه النسبة عدد المناصرين .

فالبرنامج المعروف يشبع مطالب الطبقات الوسطى التي رأت في النازية حماة للنظام وللامن من « الهول الاحمر » كما زين لصغار التجار الامل بقرب زوال المخازن والمحلات التجارية ذات السعر الواحد والتي لها فروع عدة في البلاد ، كما علمهم بزوال التعاونيات كما لوح امام انظار المهنيين ورجال الصناعة بحرب سياسة التأميم ومهاجمة الرأسمالية وعلل الامل

في نفوس المزارعين بالتخفيف من اعباء الديون التي يرزحون تحتها ، وبشر العاطلين عن العمل الذين طالما دفعوهم لشاكسة العمال الذين لا يزالون في عملهم « بامتيازات ماركسية » ووعدهم بتدبير عمل لهم . وهاجم بعنف كلي اليهود الذين يحتكرون المصارف والمخازن الكبرى في البلاد والذين يتحكمون بالبورصة ، وبالحاماة والمهن الحرة . فليس من عجب ان تتضمن صفوف الحزب ويشهد ساعده يوماً بعد يوم ، فقد عدد في صفوفه ، عام ١٩٣٠ ، نحواً من ٣٨٩٠٠٠ ، وفي نيسان ١٩٣٢ ، اكثر من مليون ، وفي عام ١٩٣٣ ، اكثر من ١,٥٠٠,٠٠٠ ، كما ازدادت عدداً وقوة المنظمات شبه العسكرية بما يقرب من هذا المعدل . وقام الحزب برئاسة غوبلز بدعاية جبارة اغرقت البلاد بفيض من الجرائد والنشرات التي توزع كالطر الهتان ، ونظمت دورات مناوئة حتى في اصغر وادق المجتمعات ، واكثر الحزب من عرض قوته وبطشه ، ومن المظاهرات الجماهيرية ، والرحلات ومن خطب الفوهرر الذي اخذ يقنع الجميع بان في مقدوره وحده ان يضع حداً لهذا الوضع المفجع الذي صارت اليه الامة من جراء عبث الحاكمين .

المانيا هذه التي عاشت الفترة الواقعة بين ١٩٣٠ - ١٩٣٣ حقبة من الفواجع وشهدت صراعاً مريراً بين الاحزاب بحيث راح كل حزب يكتب كتابه الخاصة للحرب والنزال ، كالجبهة الحمراء في الحزب الشيوعي ، « والانتيفا » لعصبة مكافحة الفاشية ، والجبهة الحديدية التي ضمت المناهضين عن النظام القائم والعاملة الى جانب العلم الالماني (نحو مليونين من الاعضاء) ، والـ *Stalilhem* المرتبط بالحزب القومي الالماني ، برئاسة هوجنبرغ رئيس المجلس الاداري لمصانع كروب الخاصة بالفولاذ ، والمسيطر على جانب كبير من صحافة البلاد ، ولا سيما الجبهة السمراء للحزب الوطني الاشتراكي اقوى هذه الاحزاب وانشطها . فالنظام القائم يفتقر كلياً للسلطة ولا قوة له ، والانتخابات العامة عاجزت عن اعطاء اكثرية ثابتة ، ولذا راح المارشال هيندنبورغ يحلم بوزارة لا رأي للبرلمان في قيامها وبقائها . وبالاتحاد الى المادة ٤٨ من الدستور ، كانت معظم المقررات التشريعية منذ عام ١٩٣٠ ، تصدر بشكل مراسيم (فقد صدر عام ١٩٣٢ ٥٩ مرسوماً بشأن خمسة قوانين اقرها المجلس) . وهكذا نرى ان النظام الليبرالي والبرلماني كان قد زال بالفعل من البلاد قبل ان يصل هتلر الى الحكم . وفي انتخابات تموز ، نال الحزب النازي ١٣,٨٠٠,٠٠٠ صوتاً و ٢٣٠ مقعداً في مجلس الرايشتاغ (شكل ٣، ص ١٠٨) ، وبالرغم من خسارة الحزب ٣٤ مقعداً في انتخابات تشرين الثاني ، فقد كان بإمكانهم ان يعطوا كل حركة في حكومة بروننغ ويشلوها تماماً ، كما كان باستطاعتهم ان يشلوا « حكومة البارونات » التي ألفها فون بابن . وفي ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ ، وبعد ان رفض هتلر مراراً وبعد مفاوضات غامضة ، خلف هتلر دون إهراق اي نقطة دم ودون اطلاق اي عيار ناري ، المستشار شليخر ، على كرسي المستشارية في البلاد .

فهو السيد المطلق في الحكم . وألقى بشطحة قلم كل الحقوق التي نص عليها دستور ويمار ، وراح المستشار وفقاً للسلطات العامة التي اعطيت له في ٢٤ من اذار ، يرسم القوانين الجديدة ،

واتخذ من حريق مجلس الرايشتاغ ذريعة لاتخاذ الاجراءات الشديدة ولتزويد البوليس بصلاحيات واسعة لمهاجمة خصوم النظام وتوقيفهم وسومهم اشدد المعاملات قسوة وعنفاً ، وارسالهم الى مخيمات الاعتقال . ومع ذلك ، فقد ادت الانتخابات التي وقعت في ٥ آذار ، بالرغم من حوادث التوقيف والتهديد والترويع الى ٢٢٨ نائباً للحزب النازي مقابل ٣٥٩ نائباً غير نازيين ، فقد نال الاشتراكيون والشيوعيون ١٢ مليون صوت . ومع ذلك فالصراع بقي على احتدامه الشديد ، فصدرت الاوامر بالغاء الاحزاب وحظرت النقابات العمالية ، كما اسقطت حقوق اليهود واصلحوا غير صالحين قانوناً وفقاً للبند الثالث من القانون الصادر في ٧ نيسان ، كما جرت تصفية الشيوعيين والنقابيين ، وأزيل من البلاد كل اثر للمطالب والنزعات الاقليمية . وجرت تنقية الإدارة العامة ووقعت باكملها تحت اشراف إدارة الحزب النازي ولم تلبث ان انصهرت بها ، كما اجبر كل الموظفين في آذار ١٩٣٤ على الانضمام لعضوية الحزب . وبعد ان جرى تنظيمه من جديد بحيث كان له اعضاء في اصغر القرى والداكر . وبعد مقتل روم في ٣٠ حزيران أعيد تنظيم فرقة الصاعقة التي كان يرأسها . وما كادت تفيض روح هندنبرغ في ٢ آب ١٩٣٤ حتى كان الحزب والبلاد بأسرها في قبضة الفوهرر .

زينت دعاوة الحزب الوطني الاشتراكي العنيفة للناس الآمال وهلتهم
النظام الجديد
بقرب وقوع ثورة . الا انه لم يحدث شيء من ذلك بعد ان آلت السلطة الى هتلر فلم يخطر له قط على بال مس التركيب الاجتماعي في البلاد حتى ولا التعرض بشيء للمصالح الكبرى التي سهلت له الوصول الى السلطة العليا . فبذ مطلع عام ١٩٣٣ ، اخذ يعلن « انتهاء عهد الثورة والازمات الذي استمر خمسة عشر سنة » ، مدخلاً بذلك الطمأنينة لأصحاب هذه المصالح . وفي هذا السبيل تنحى عن الجناح اليساري الاشتراكي في الحزب الذي كان بقيادة الاخوة شتراسر كما تخلص من العناصر المفلقة الطموحة ومن طغمة المغامرين الذين كانوا يطمعون بان يروا تحت تصرفهم ، في « اعقاب الثورة الثانية » الثروات المحترنة لدى كبار المزارعين وفي المصارف ولدى رجال الصناعة . وفي ٢٠ حزيران ، يأمر هتلر نفسه باعتقال روم زعيم هذا الفريق من رجال الصاعقة ، خصوم التسلسل الاجتماعي وخصوم عقلنة النظام وينفذ الحكم بقتله في الحال . وقد جرت إذ ذاك تصفية كل هؤلاء الذين كان ولازم موضع شك وارتباب او كان بإمكانهم ان يتزعموا حركة عصيان وتمرد امثال غرينفور شتراسر او الجنرال فون شليخر وجرى تنفيذ حكم الموت فيهم .

الترجييد والركزية
جرى بسرعة تطبيق مجموعة من التشريعات الدقيقة سبق
لفلاسفة الحزب ان اعدوها من قبل . فقد جرى في المجال السياسي توحيد الرايخ وعلان المركزية بعد ان ألغى التنظيم الفدرالي وأزيلت من الوجود كل معالم النزعات والمطالب الاقليمية وإلغاء مجلس اللاندتاخ ونقلت الصلاحيات التي كان يتمتع بها

للحكومة المركزية وتوحدت المصالح العامة بعد إلغاء الوزارات والحكومات الخاصة بالمقاطعات والولايات واستبدلت الادارة بأشخاص يتمتعون بثقة الحزب .

وحل محل النظام النيابي نظام رئاسي . فالفوهرر المستشار يتمتع بسلطة شخصية لا حد لها . فارادته هي التعبير بالذات عن روح الشعب الالماني ولا يعاود عليها أي قانون أو دستور تعمل به البلاد . فهو لم يتلق السلطة من احد ولا يتقاسمها مع أحد . فهو يجمع في شخصه السلطة التشريعية والسلطة القضائية . فالقانون الجديد الذي يتعارض مع القانون الكلاسيكي ، حرر القاضي من اعتماد حرفية النص والتقييد بها ، إذ يكفي ان يأتي قضاؤه او حكمه منسجماً مع « الشعور الطبيعي » للشعب الالماني . كذلك أعيد النظر في قانون الجزاء بصورة جذرية ، وجرى التشديد على العقوبات . وقسا التشريع بنوع خاص على الجرائم التي تمس او تتعرض بشيء الى « ما فيه خير الأمة الالمانية وصلاحها » ، والخيانة (بما فيه نشر الاخبار التي تفترى القول على الحكومة والجرائم الاخرى ضد العرق او الدم) .

بين النازية والمسيحية
في المجال الديني ، حمل العداء ضد الوسط الكاثوليكي ومحاربة السامية (ما المسيحية سوى ديانة يهودية) وعبادة الماضي الجرمانى ، الحزب النازي على اتخاذ موقف معادٍ من المسيحية ورجال الدين ، والى بعث الطقوس الوثنية ، او بعبارة اخرى ، الى جرملة المسيحية . وراحت المسيحية الجرمانية تطهر العقيدة المسيحية من العقائد غير الآرية . واستهدفت الكنيسة المجاهدة للاضطهاد وجرى توقيف عدد من القساوسة بينهم نيملر . ومع ذلك فقد شجبت النازية المذهب المادي والشيوعية على السواء ، وكان من بين التدابير الاولى التي اتخذتها ، حل المؤسسات المناهضة للدين واعادة التعليم الديني الى المدارس في بروسيا . ولذا راحت الكنيسة الكاثوليكية تعلن رضوخها ، كما راح الاساقفة يشجعون المنشورات التي صدرت من قبل ضد النازية ، وعقدت الحكومة في تموز ١٩٣٣ معاهدة دينية مع الكنيسة نصت على الاعتراف بالدولة الوطنية الاشتراكية . وحظر على الكهنة ورجال الدين التدخل بالسياسة ، وفرض على الاساقفة الذين يجري تعيينهم من قبل البابا تأدية قسم الولاء للدولة قبل المباشرة بوظائفهم . والمهم في الامر كله هو ان المنظمات والهيئات الخيرية والتعليمات والاخويات لم يؤت على ذكرها بحيث ان الاختلافات كانت تذنب من جديد كلما جرى علمنة احدى المدارس او احد المستشفيات ، كما ان الملاحقات التي تجر اليها المخالفات التي يأتيها رجال الدين ومتاجرتهم بالقطع النادر وتهريب رؤوس الاموال الى الخارج او بعض الشطط في الاخلاق ، كانت موضوع دعاية فاجرة من قبل السلطة . والمرسوم البابوي الذي صدر عام ١٩٣٧ ، اعلن على رؤوس الاشهاد بان العرقية مذهب يتناقض والآداب المسيحية .

النازية والحياة الفكرية
« ان الثورة التي قمنا بها ، هي ثورة شاملة جمعاء ، تنازلت جميع الحقوق والمجالات وقطاعات الحياة العامة ، وقلبتها ظهراً لبطن ورأساً على عقب » اخذ يصريح غوبلز لم فالادب والفن وقعا كغيرهما من نشاطات الحياة في

المانيا تحت نفوذها ، وحرص النظام بكل ما يملك من قوة على بث فلسفة جديدة للجمالية الفنية . فالليبرالية والمذهب العقلي لا يعطيان سوى آثار يصعب على الشعب تفهمها ، كما يفضيان الى فن شعوبي لا اخلاقي . وعلى عكس ذلك تماماً ، فالمثالية « الشهابية » للفن تقوم اصلاً على « الاعتقاد الراسخ » بان الدم والارض يكونان كنه المجتمع الالماني ... وان « الفن في انطلاقه ليس من القضايا الجمالية بل هو في الصميم قضية بيولوجية » . فعلى الفنان ان يعبر عن العرق ، عن الأمة ، عن المثال الجمالي الالمانى ، كما عليه ان يصلح روح الشعب ويجعلها تعبر العناصر المقومة لوحدها ولقوتها . فالنظام يعارض والحالة هذه كل حركة تعصير او تحديث . وراح الحزب يقوم بعملية تطهير شاملة في المكتبات فينتزع من بين مجموعات ليس آثار الكتاب الاشتراكيين والشيوعيين واحرار الفكر ويجعلها طعماً للنار والحريق فحسب ، بل ايضاً آثار كتاب كبار غيرهم امثال انشتاين وفرويد وويلز وجيد حتى جاك لندن ... كل الآثار الفنية التي انجبتها الكتاب البلاشفة والشعوبيون ، فانتزعت من المتاحف والمجموعات الفنية العامة ، كما جرى تنظيم معارض نقالة « للفن الفاسد الذوق » من وضع بورباخ وكورنث وكاندنسكي وكلي وكوشكا ولهمبروك والهزه من اصحابها . كذلك من غير المرغوب فيها آثار الرسامين الايطاليين المحدثين ، والانطباعيين الفرنسيين امثال مانيه وسيزان وفان غوغ . وقد بيعت آثار كثيرة بالمزاد العلني في صالات لوسرث أو أحرقت .

وقد احيطت بالتشجيع والتقييم العالي الآثار الشعبية اي تلك التي تعبر عن « روح الشعب » وقصص البطولة ، لا سيما قصص الحروب . واستطاع المسرح وحده ان يخلق او يبتدع شكلاً اصيلاً من هذه المسارح التي اقيمت في الهواء الطلق حيث جرى تمثيل المسرحيات الشعبية التي يشترك الشعب بتمثيلها في الاغاني والانشيد التي تقوم بها الجوقة . كل مظاهر الفكر على اختلافها تخضع لمراقبة المكتب المعروف بـ R. K. K. وفروعه السبعة الاخرى التي على كل من معنى بأمر الفكر ان ينتمي الى واحد منها ، وهكذا اصبح المسرح احدى مصالح الدولة يراقب الفوهرر منها المحتوى والايخراج والتوزيع . والفن الالماني الاسمى ، الموسيقى ، يخضع من الآن فصاعداً للمعهد الموسيقي الالماني . فما من نوبة واحدة يمكن لها ان تدوي في الجو الا باذن من هذا المعهد . والفنان ورؤساء الفرق الموسيقية (اكثر من خمسين بينهم برونو ولتر) والكتاب (بينهم توماس مان وواسرمان ودويلن وريمارك) والعلماء ، جرى قناعتهم جانباً عملاً بالتميز العنصري او السياسي واضطروا لمغادرة البلاد .

العمل الاقتصادي هدف النشاط الاقتصادي للقضاء على البطالة قبل كل شيء والى تأمين استقلال المانيا اقتصادياً بحيث تكفي نفسها بنفسها . وبعد الاتفاق الذي عقده هتلر ، عام ١٩٣٢ ، مع كبار رجال الصناعة الثقيلة امثال هوجنبرغ وكيردوف ونيسن ومع شاخت (ممثل جبهة هارزبرغ) ، لم يحاول النظام الجديد شيئاً من شأنه ان يمس

حقوق الملكية او ليزيد من الطاقة الشرائية لدى الفلاحين والحرفيين وصغار التجار - باستثناء تخفيضه معدل الفائدة - ولدى العمال ايضاً .

طبقة الفلاحين
التشريع الزراعي لم يمس بشيء الملكية العقارية الضخمة (فقد عدت البلاد عام ١٩٣٨ نحواً من ٧٠٠٠ استثمار عقاري تزيد مساحة العقار الواحد على ٥٠٠ هكتار) فقد هدف الاصلاح المذكور ، محافظة منه على تركيب البلاد الاجتماعي ، الى توطيد اسس الملكية الصغيرة بتأمين ارتباط الفلاح بالأرض عن طريق انشاء ملكيات عائلية لا تخضع للتجزئة ولا للتحويل ولا المصادرة يكون بالاستطاعة توريثها لواحد من ابناء الاسرة . وصاحب الحيازة الذي تعرف الأرض باسمه يجب ان يكون من العرق الآري الصرف ، « فلاحاً حقيقياً » أميناً ويخضع لسلطة خاصة تتمتع وحدها بصلاحيات قرار التصرف بقسم من الأرض ، والسماح بتأجيرها لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات او لعقد قرض بشأنها . وقد كان في البلاد ، عام ١٩٣٨ ، نحواً من ٦٧٣٠٠٠ قطعة أرض او مزرعة بهذه الاوصاف ، تكون معاً ٣٢ ٪ من مجموع الاراضي الزراعية . وقد تسبب انشاؤها بعدد لا يحصى من الدعاوي والاختلافات بين افراد الاسرة الواحدة كما نجم عن هذا الوضع تعقيدات لا تحصى حالت دون ارتهاق الأرض او الاستلاف كما حالت دون تغيير صاحب الحيازة مهنته او تعاطي مهنة اخرى .

وتأميناً لأسباب تموين البلاد في حالة تعرضها لحصار بري او بحري ، تألفت في الرايخ مؤسسة ضمت بين اعضائها كل الذين يعملون في مصالح التموين : كالفلاحين المزارعين ومقدمي التقاوى وتجار الأسمدة والاجهزة الزراعية ومربي المواشي والجزارين وشركات التسليف الزراعي ، والتعاونيات واصحاب المطاحن ومعامل السكر ومصانع المواد الغذائية والمعلبات على اختلافها . وقد وزعت الى زراعات محلية وزراعات اقليمية . ويرأس كل زراعية رئيس او فوهرر ، ويأتي في رأس السلم فوهرر الفلاحين الالمان الذي يترتب عليه اتخاذ التدابير التي تؤمن احسن مردود واطيب مواسم واحسن اصناف . وقد أدت التدابير التي اتخذت لتنظيم الاسواق ولتحديد الرسوم على الغلال عند جني المواسم ، الى تأمين الاكتفاء الذاتي بنوع عام في جميع انحاء المانيا . الا انه لم يجر تقييم المحاصيل الزراعية كما ان زيادة الانتاج لم تفض الى زيادة الأرباح بحيث لم يكن باستطاعة المزارعين تأمين تجديد اجهزتهم الزراعية او صيانتها كما عجزوا عن تأمين صيانة مبانيهم . ثم ان الغاء نقابات العمال الزراعيين الذين استثنوا من ضمان البطالة ، وتخفيض الاجور ، والتنظيم الدقيق الذي خضع له اصحاب الاملاك ، كل ذلك لم يضع حداً للقلق الذي كان يتسكع فيه المزارعون ، كما يشهد على ذلك حركة النزوح من الريف الى المدن بالرغم من التدابير الجزرية التي اتخذتها السلطة بهذا الشأن ، كمنع تشغيلهم في المدن ، ووسائل ابعادهم ، وارجاعهم .

وسياسة الاكتفاء الذاتي ، سار عليها الحزب كذلك في القطاعين الصناعي والصناعية والتجاري وأدت الى استثمار اشمل واوسع لموارد البلاد وان جاء اقل مردوداً وربحاً كما أدت الى زيادة كبرى في المواد البديلة وازدهارها ولكن لفائدة المشاريع الكبرى والمؤسسات الاستثمارية ، عن طريق حصر عمليات التسليف المالية (لهذه الشركات التي لها القدرة على « الوفاء ») ، وبفضل القانون الذي اوجب التكتلات الاحتكارية . وقد قنعت مشاريع الاستثمار الصغرى والحرفية بمظاهر خداعة من الاستقلال كما انه لم يطرأ اي تغيير على حق التملك ، الا ان التعديلات التي فرضت (كتحديد الاسعار ، وحظر رفعها) اصابا الاستثمارات الهامشية اكثر منها الاستثمارات والمشاريع الكبرى التي جاء قانون ١٩٣٣ يقوي من شأنها على حساب التكتلات الالزامية ولا سيما على حساب المصارف (التي تحتكر سوق الاعتماد المالي) والتي تسيطر على النظام الاقتصادي والغرف التجارية . وقد انشأت براءة العمل الصادرة عام ١٩٣٤ ، الى جانب وزارة الاقتصاد الوطني ، المجلس الاقتصادي الالماني . وقد وُزِع الاقتصاد عمودياً ، الى ست اقسام او فئات ، خضع كل واحد منها لتقسيم آخر ميز بين فئات رئيسية وفئات ثانوية مهنية ، كما وزع أفقياً الى ١٨ غرفة تجارية توزعت مناطق البلاد المختلفة ، ألحقت بها ٩٠ غرفة صناعية وتجارية محلية ، تعمل كلها على مبدأ الفوهرر او الزعيم الذي يأتي على رأس كل فئة او قسم من هذه الفئات والاقسام . وكانت مهمة هذه الغرف التجارية والصناعية النظر في امثل الوسائل وغير الذرائع التي تؤول الى تحسين الانتاج وتطبيق القرارات التي تتخذها الحكومة في هذا المجال ، لا سيما ما تعلق منها بالخطط الرباعية . ولذا اخذت تتكاثر ، منذ عام ١٩٣٦ ، حوادث الافلاسات بين صفوف الصناعيين المهنيين ، بحيث هبط عددهم في البلاد الى ١٠٤,٠٠٠ ، بين ١٩٣٦ - ١٩٣٨ . وفي اذار ١٩٣٩ ، صدر قرار جعل كل الحرفيين الذين « ينصرفون لعمل غير ملائم ، او لا يتفق ومؤهلاتهم » ، عرضة لاستبدال نشاطهم بآخر . وبعد ذلك ببضعة ايام صدر قرار آخر ألغيت بموجبه كل مشروعات الاستثمار التي لا يسجل نشاطها التجاري حداً أدنى ، كما ألزم كل من خسر عمله من جراء هذا القرار ، الانضمام الى المشروعات الكبرى والعمل فيها ، قبل اول نيسان ١٩٣٩ . اما العمال الذين « حرموا من نقاباتهم او من اتفاقاتهم الجماعية » فقد حال تثبيت الاجور دون ادخال اي تحسين الى اوضاعهم . فقد جرى تحطيم النقابات من الاساس وأرغم الاعضاء المنتمون اليها الانسحاب الى جبهة العمل ، هذه المؤسسة الوحيدة الالزامية التي تتألف من اتحادات ومن فئات مهنية لكل منها فوهررها الاعلى ويأتي في رأس السلم الدكتور لي الذي كان عليه ان « ينظم العلاقات التي تشد الرأسمال الى العمل بما فيه المصلحة المشتركة » . وذوور الخبرات ممن هم موضوع ثقة في قلب كل مهنة او حرفة الذين يكلفون التوسط في حال نشوب اختلاف او صعوبات ما ، فقد كانوا ينتقون من بين اعضاء الحزب النازي ، من اصل لوائح من المرشحين يعدها ارباب العمل بعد الاتفاق مع رئيس الخلية صاحبة العلاقة .

انتهازية الفاشية الإيطالية
مع ان الفاشية كانت أطول عمراً من النازية ، فلم تتوصل قط
الى ما بلغت من المتانة والقوة المطلقة زميلتها وحليفاتها النظام
النازي . فقد رأيا النور في ظروف متشابهة وفي اثر انتفاضة للشعور القومي المهروح في كبريائه ،
وأثر ردة عنيفة ارتكضت بها الطبقات الموجهة ضد المخاطر التي تبعثها الاشتراكية . فقد
كانت الفاشية في تطور دائم وتحول مستمر . « نحن الفاشيين » كان موسوليني يصرح ، عام
١٩١٩ ، ليس لنا عقيدة مرسومة من قبل . فعقيدتنا هي الواقع القائم ، . وعلى شاكلة هتلر ،
فقد كان صنيع نفسه ، « حنكته الأيام وعركته وتركته اعجز من ان يحدد الثورة التي يتزعمها » .
ان طموحه الى السلطة وكبريائه الجامح وعزمه السيطرة على المجتمع الذي نبذه ، جعله يلجأ الى
كل الوسائل ويستغل كل المناسبات التي تساعد على تحقيق أمانيه ، دون اي اهتمام او اكترات
بالمبادئ الكلاسيكية . وهذا ما يفسر لنا مفاطاته الكثيرة وتراجعاته المتكررة . وباطلا
يتبجح مدعياً انه تلميذ نيتشه وباريتو وسوريل ، فهو انتهازي 'فَرَصِي' في الصميم . وعندما تم
له الاستيلاء على السلطة ، لم يكن احد يعرف ما الذي سيأتيه فيما بعد ، اذ لم تكن الفاشية بعد
سوى حركة احتجاج واسعة تحاول ان تحافظ ، بشكل ديموغوجي ، على حق الحياة والنظام
والملكية . ولم يستطع قبل مسيرته المظفرة ان يؤلف له وزارة فاشية الا بعد دخوله روما بسنة
واحدة ، عام ١٩٢٤ ، بعد ان تمت له اكثرية محترمة في المجلس النيابي بفضل العنف الذي
اعتمده والقانون الانتخابي الذي جاء يعضد اكثر الأحزاب قوة ونفوذاً . وبعد ذلك بسنتين ،
اي في سنة ١٩٢٦ ، توصل الى طرد الاحزاب المعارضة في المجلس واعلنها رسمياً غير شرعية .
وهكذا نرى ان استئثاره بالسلطة اقتضى له اربع سنوات لكي يرسخ النظام الذي وضعه
ويوطده في البلاد ، بعد ان اتمن مراقبة الصحافة ، ونظم الحرفية تنظيماً قاسياً ، ونحى جانبا
خصومه السياسيين . والمؤسسة النوعية الوحيدة الجديدة التي طلع بها ، تتبلور في المجلس الفاشي
الاعلى ، وهو عبارة عن مجلس استشاري لتأمين الانسجام والتنسيق بين الحزب والحكومة .
وفي هذا الوقت بعينه اخذ موسوليني يقع اكثر فأكثر ، تحت تأثير الزعماء الوطنيين امثال :
كوراديني وركو وفدرزوني وأصبح منذ ذلك الحين حامياً الدولة والجيش والنظام الملكي ،
حق والكنيسة . والمقال حول « الفاشية » الذي ظهر في الموسوعة الإيطالية تولى وضعه وكتابته
الكاتب جيوفاني جنتيلي ، فيلسوف الفاشية ، ووقعه موسوليني ، وفيه تعريف دقيق بالنظام
واهدافه .

الدولة النيابية
والنقابية التي هي من اخص مميزات اثره والتي جعل منها ، اول
رئيس دولة في اوروبا ، ابرز خصائص الفاشية التي اسسها ، لم
يعمل بها الا متأخراً فظهرت المؤسسات وعُمل بها بعد ان اتصف النظام بهذه الصفة بوقت
طويل . والفكرة مستمدة من نظرية التعاون الطبقي التي المع اليها البابا في براءته
Rerum Novarum فهي تهدف للقضاء على الصراع الطبقي في المجتمع عن طريق دمج مصالح

كل الفئات في صلب البنيان الدولي بحيث تتمكن من الاشراف عليها والتوفيق فيما بينها . والمقصود من هذا ليس تأميم المشاريع الاستثمارية بل بالاحرى اشرالك العمال في ملكيتها ، في ارباحها وفي ادارتها ، واستبدال التمثيل الشعبي التقليدي القائم على المقاطعات بتمثيل آخر اقتصادي الطابع والسمة ، خلى بالتعبير عن مصالح معينة واضحة بدلاً من مجموع انتخابي وهمي . وتم تنظيم هذه المؤسسات تدريجياً مع ازدياد التفاهم بين الدوتشييه وارباب الصناعة وثوقاً وتوطيد سلطته في البلاد . واولى مظاهر النقابات الفاشية تمثلت في الحلف الوطني للحرف النقابية وكانت مختلطة ، اذ كان المطلوب كما تقتضي الحركة الوطنية احلال تعاون الطبقات بعضها مع بعض محل تصارعها وتخاصمها . فالاتفاقات التي عقدت في قصر شيغي وقصر فيدونى مع ارباب العمل عام ١٩٢٣ و ١٩٢٥ ، ألغت هذه الهيئات واستبدلتها بنقابات فاشية احتفظ الصناعيون مقابلها بيهنتهم الخاصة : « تحالف الصناعيين » الذي اعترف به رسمياً وقد ألغى حق الاضراب كما ألغيت لجان الاستشار المنتخبة ، وأنشئت عام ١٩٢٦ وزارة النقابات التي اسندت الى ج. بوتاي ، كما ان قانون روكو خلق « الدولة النقابية » . وبطل العمل بالنقابات المختلطة وحل محلها هيئات او فئات عمالية وهيئات من ارباب العمل وخولت الحق باستيفاء اشتراكات من جميع ابناء المهنة ، المسجلين منهم وغير المسجلين ، كما خولت سلطة وضع تنظيمات ادارية تلزم الجميع . وهكذا وقعت المنظمات العمالية تحت تابعة الحزب الفاشي الا انه لم يتم دمجها بعد في التشكيل الحكومي .

وجاء ميثاق العمل عام ١٩٢٧ يقر مبدأ التنظيم على أساس تعاون الطبقات . ولم ينشأ المجلس الوطني للنقابات الا في سنة ١٩٣٠ الذي ضم اعضاؤه ممثلين عن ارباب العمل وعن العمال ، واخيراً ظهرت عام ١٩٣٤ النقابات التي كان وجودها من قبل حبراً على ورق وعددها ٢٢ نقابة تألفت كل منها من ممثلين من المنظمات الخاصة بالصناعة والزراعة ، والتجارة ، وهناك عنصر ثالث يتألف من ممثلي القطاع العام ، اي من موظفي وزارة النقابات . وتوج التنظيم ، عام ١٩٣٨ بتشكيل « غرفة الحزائم والنقابات » التي حلت محل المجلس النيابي . وقد تكونت هذه الهيئة بالفعل بضم هيئتين سابقتين ممّا ، هما : المجلس الوطني للنقابات والمجلس الوطني للحزب الفاشي ، وقد هيمن عليها المنصر السياسي وشد من قوتها اذ افاط بها تطبيق الاجراءات والتدابير التي تتخذها الحكومة ، بينما اقرارها نهائياً يبقى بيد الدوتشييه ، بينما يتمتع فيها ارباب العمل بنفوذ قوي اذ ان ممثلي العمال ليسوا سوى موظفين في النقابات الفاشية جرى تدريبهم في معاهد خاصة بحفظة المقاعد فيها للشبان من الطبقة البورجوازية . اما ارباب العمل فقد مثلهم ممثلون عن القطاع الصناعي وممثلون عن اصحاب الاملاك وكانت لهم فيه الكلمة المسموعة والرأي الفصل ، لا سيما وعلاقاتهم الخاصة بزعماء الحزب الفاشي وثيقة جداً . وهكذا فالتعايش بين العناصر المضادة للديموقراطية : الأقلية الممثلة للاستشارات الكبرى والأقلية الادارية على الوجه الامثل .

هنالك كما نرى ، « هوة سحيقة بين الروح النقابية وبين الواقع المتحيز في ايطاليا » ، فالنقابية

رمت في الاساس الى ان تكون البديل للتأميم . والحال ، فالدولة ، في ايطاليا تسيطر على الحياة الاقتصادية سيطرة تكاد تكون شاملة ، الأمر الذي مكن ج بيرون ان يلاحظ قائلاً : « القضية برمتها هي مجرد تمثيل لبق يخفي وراءه سلطة سياسية تمارس دكتاتورية مطلقة على المصالح الكبرى وعلى الفكر ، اقل منها طريقة تلقائية التنظيم للمصالح الاقتصادية » ، فالواجهة النقابية تخفي بشكل مفضوح سيطرة المصالح الكبرى .

السياسة الاقتصادية والاجتماعية والسياسة الاقتصادية والاجتماعية
الارتمجال والتنسيب مع مقتضيات الحال ، والتطاهر العلني .
فمعركة القمح عام ١٩٢٥ ومعركة الليرة عام ١٩٢٦ ، والمجهود الذي بذل في سبيل تصنيع البلاد ، بعد عام ١٩٣٠ ، وسياسة التسليح ، وبعد عام ١٩٣٥ المجهود الحربي ، وكلها احداث تتعاقب دونما توقف تقريباً ، بذلت جميعاً نهوضاً بسياسة الاكتفاء الذاتي في المجال الاقتصادي . فقد جاءت النتائج غير متكافئة وغير سوية . فسياسة الاكتفاء الذاتي في الحقل الزراعي التي دشنها موسوليني مع معركة القمح عندما قبض بيده على المحراث في رابعة النهار وهو متخفف اللباس ، زادت الأرض الزراعية ٣٥٪ وقد جاءت هذه الزيادة في اراض لا تصلح كثيراً لمثل هذه الزراعات ، وعلى حساب تربية الماشية والفاكهة . وعملية استطلاع بطائح مقاطعة البونتين التي استنفدت مبالغ طائلة ، لم تؤد الى نتائج متكافئة مع المبالغ الضخمة التي تطلبتها عملية الاستصلاح ولم يستفد منها غير ١٩٠٠٠ مزارع . وفي المقابل لم يعمل شيء يذكر لحل المشكلة الرئيسية ، مشكلة المزارعين الذين لا اراض لهم . فالاجراءات التي سبق واتخذت قبل عام ١٩٢٢ في سبيل الفلاحين كحماية المستأجرين من العيب بحقوقهم ، ومن زيادة معدل الايجارات وفي سبيل توزيع العقارات الكبرى التي تمثل ثلث مساحة الارض الزراعية ، « صرف النظر عنها واهمل امرها . وعلى عكس ذلك ، فقد اخذ يلوح نوع من الاقطاعية الحديثة مع سيطرة نظام مزارعة يرمي الى ربط الفلاحين المزارعين بالارض . وصدرت براءة بتنظيم هذا الشكل من المزارعة ، ولتحدد انواع عقود الاستثمار في الحين الذي كان فيه العمال الزراعيون يفقدون تدريجياً المكاسب التي سجلوها منذ عام ١٩١٩ : ثمان ساعات عمل في النهار ، والتأمين ضد البطالة ، كما اخذت تدرج عادة دفع المرتبات عيناً . ومن يحاول منهم ان ينزح من الريف الى المدينة بحثاً عن عمل او مورد رزق كان يحرق طردهم وارجاعهم الى منازلهم بالقوة .

اما العمال فقد اخذ وضمهم القانوني بتغير . فبراءة العمل كبراءة الـ *mezzadaria* لا تأتيان قط على ذكر القانون الذي ينص على ثمان ساعات عمل ، كما انه لم يتخذ اي تدبير فعال تجاه المخالفين للقوانين الجارية المفحول من ارباب العمل او ضد حق البطالة .

والفاشية كالنازية ، لم تحاول قط تغيير المجتمع الايطالي . فقد مدى نفوذ الفاشية وحدودها قنعت من الامر بتوطيد وتقوية الطبقات الموجهة التي مادت بها ازمة ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، وقد عبز موسوليني في ان يجعل الجماهير نجيش بروح الحرب . فهذا

الوضع من الضغط والاثارة المستمرين على الشعب ، لم يتمرس به سوى قلة من الناس : الشباب ، ولفترة قصيرة . فالسواد الاعظم من هذا الشعب الصابر ، العامل بقي يتسكع في حياة قاسية مستسامة . فالازمة زادت الناس سأمًا ومالا : فقد غاص الفلاحون والعمال في البؤس واليأس بحيث رفرق على النظام جو مشبع بالشك وبعدم الانضباط ايضاً . فبعد عام ١٩٣٣ ، نرى اقل من نصف الاولاد ينخرطون في التشكيلات الفاشية على اختلاف انواعها ، بعد ان اعرض عنها العمال والفلاحون . فالطبقات الموجهة وحدها توجه اولادها شطر هذه المنظمات لانها المفتاح الذي يفتح امامهم ابواب الوظائف الادارية والمهن الحرة . ومن جهة أخرى ، ان اشراف الحزب على البلاد ، حتى على الاعضاء المسجلين فيه لم يبلغ قط من القدرة ما بلغه النظام النازي في المانيا . وقد حدث في وقت مبكر جداً تراخ امتد من اعلى السلم الاداري الى اسفله ، كما ان الفساد اخذ يدب في صفوف الحزب وكثرت مساوئ الادارة .

فطالما عرفت الفاشية ان تشدد من قبضتها على الفقراء والمساكين وعرفت ان تصون المكاسب والمنافع وحقت انتصارات سهلة في المجالات الدبلوماسية ، فقد حظيت برضى الطبقات الموجهة وحظوتها ، وقد حرص فريق من بنيتها ان لا يتورط بعيداً معها ، وبقيت متحفظة للغاية لأن دستور عام ١٨٤٨ لم يجر الغاؤه رسمياً ، وهكذا فقد انتصب دوماً في وجه موسوليني نظام ملكي كامل غير منقوص . فالملك الذي عرض نفسه للنقد باستدعائه موسوليني للحكم وبوقفه المشبوه من مقتل متيوتي ، قد ارتضى بواقع السلطة الثنائية وسلم بها ، الا انه بقي مع ذلك ، في نظر عدد كبير من الايطاليين ، ولا سيما في نظر الارستوقراطية الغنية الشديدة البأس ، الرئيس الحقيقي للبلاد ، وكذلك في نظر كبار ضباط الجيش ، والدبلوماسيين ، وفي نظر كل العناصر التقليدية التي لا تزال تنعم بنفوذ قوي في البلاد . وهذه الطبقة المتشككة والمهترة للفاشية واحياناً معادية لها ، عرفت ان تحافظ على البعد الذي يفصل بينها وبين الحزب . اما طغمة الاكليروس فقد اخذت تأتي بالدليل تلو الدليل على رضاها عن الفاشية (ألم يحى بيوس الحادي عشر منذ عام ١٩٢٦ ، في موسوليني ، رحل العناية الالهية) كلها توفرت لديه امارات الرضى والحظوة ممثلة باعادة تعليق الصليب في المباني الرسمية ، واعادة التعليم الديني الى المدارس الرسمية ، ولا سيما بعد عقد اتفاقات لاتران التي اعترفت للكنيسة بمركز ممتاز . ولذا راح رجال الاكليروس من جميع الطبقات والدرجات ، وجريدة الفاتيكان الرسمية : الاوسرفاتوراه رومانو ، يؤيدون بقوة مشروعات الدوتشييه ، لا سيما حرب فتح الحبشة والتدخل المسلح في اسبانيا . الا ان الكنيسة احتفظت لوحدها بالمنظمة الوحيدة التي لا تخضع لمراقبة الفاشية ، اعني بها « العمل الكاثوليكي » . وما عمت هذه المنظمة ان اصبحت محور معارضة سياسية حيث اخذت تظهر للوجود أطُر الحزب الشعبي الذي حل وضحي به عام ١٩٢٢ . وعندما اعلنت الحكومة حل منظمات الشبيبة والمنظمات الطلابية ، رد البابا على ذلك برسالة عنيفة شجب فيها وندد عالياً بهذه الروح الوثنية التي تجيش بها الدولة الفاشية ، كما ان البابا احتج ، عام ١٩٣٨ على التشريعات المضادة للاسامية (مع انه كان سبق لجريدة شيفلنا

كاثوليكاً ان اثنت عالياً على التدابير الاولى التي اتخذتها . ومن نافل القول ان تعاون
الاكليروس مع الدولة لم يفتقر قط .

والمعارضة التي انهكتها ملاحقات البوليس وتحرياته الشديدة ،
المعارضة في الداخل والخارج والانشقاق المؤسف الذي تعرضت له بعد مقتل متيوتي ، ارغمتها
على السكوت أو على اللجوء الى التستر والتخفي . والمعارضة الوحيدة التي بقيت قائمة — دونما
خطر — تنحصر في مجلس الشيوخ حيث كان باستطاعة بعض الشيوخ التكلم بحرية ورفع عقيرتهم
هالياً ، كما انحصرت في مجلة النقد حيث حافظ كروتشيه على تقاليد الفكر الحر . فالمعارضة
الصامتة كانت منحصرة في الاوساط الجامعية والاساتذة الذين أدوا عام ١٩٣١ ، باستثناء ١١
استاذاً منهم يمين الولاء للنظام الفاشي ، مع وجود بعض خلايا تركز فيها الفكر الحر ، وبعض
زعماء حزب الشعب . الا ان هذه « الهجرة » في الداخل لم يكن لها أي شأن كما انها لم تحاول
قط ان تلعب أي دور . اما المناضلون ، فبعضهم — وهم الشباب — يعملون في الخفاء والسرية في
جميع انحاء ايطاليا ، يطاردون البوليس ، ويوزعون الصحافة المعبرة عن المقاومة من بينها مثلاً
جريدة كارلو روسلي ، وينتهي بهم الامر عاجلاً ام آجلاً الى يد البوليس الذي يسيبهم العذابات
الليمة او يرسل بهم الى معسكرات الاعتقال في اقاصى ايطاليا او الى الجزر الموحشة في البحر
التيرنتي ، حيث قضى المديدون منهم امثال انطونيو غرامشي ، ومنهم من يفر ناجياً بنفسه الى
الخارج ، ليعمل في الخفاء ، امثال دون ستورزو وفرنيسكو نيتي ، والكونت سفورزا ،
وبيترو نيتي ، وجيوزيب سراغات وفيليب طوراتي الذين القوا في باريس « التمركز اللافاشي » ،
وكارلو روسلي اخيراً الذي نظم الحركة المعروفة بحركة : « العدالة والحرية » واضمة نصب
اعينها تعاليم الاشتراكية الليبرالية . وقد لقيت نجاحاً كبيراً في صفوف رجال الفكر ونجحت
بتأسيس خلايا كثيرة لها في ايطاليا ، وهي خلايا لم تلبث ان صفاها البوليس الواحدة بعد
الآخرى بحيث اصبح التأكيد انه بعد عام ١٩٣٦ قضى تماماً على مناهضة الفاشية ذات النزعة
الليبرالية . وفي سنة ١٩٣٤ ، اخذ الشيوعيون الايطاليون ، في المنفى ، يتقربون من الاشتراكيين
وعقدوا مع بيترو نيتي ، في آب من تلك السنة اتفاقاً خاصاً ينص على وحدة العمل المشترك .
ثم ان مساهمة اللاجئيين الايطاليين باعداد كبيرة في الحرب الاسبانية ، شددت من موقف
الشيوعيين الذين ألفوا الطوابير الدولية برئاسة شخصيات شيوعية ، باستثناء راندولفو بتشياردي ،
قائد فرقة غاريبالدي ، واخيراً وليس آخراً مقتل الاخوة روسلي ، عام ١٩٣٧ فانزل ذلك
ضربة قاصمة بالمعارضة غير الشيوعية في ايطاليا .

٣ - انتشار الأنظمة الدكتاتورية في أنحاء أوروبا

جاءت الازمة الاقتصادية في أوروبا الوسطى بتغييرات اساسية وتسببت في أوروبا الوسطى باننيار عام لكل ما تبقي فيها من اثر للأنظمة الديمقراطية البرلمانية، التي رأت النور في اعقاب الحرب العالمية الاولى . وتشيكوسلوفاكيا بقيت وحدها امينة للنظام البرلماني لما كان عليه تركيبها الاجتماعي وتقاليدها الادارية من مماثلة وتشابه لمؤسسات أوروبا الغربية . وكل البلدان الاخرى التي سيطرت عليها ديمقراطية صورية دبت اليها عدوى النظام الايطالي والالمني .

كان من الصعب جدا في هذه البلدان الزراعية الطابع التي رزحت تحت واقع الازمة ، ابقاء جماهير الفلاحين البائسة والبروليتاريا الصناعية التي تراصت صفوفها وتكاثفت على اثر الازدهار الصناعي الذي عرفته مؤخراً ، مسترسلة في خضوعها واستسلامها . فالاصلاحات الزراعية لم تدخل اي تحسين يذكر على اوضاع الفلاحين والمزارعين ايضاً وقعت وحيثما تمت ، فبقوا يرسفون في يأس مبيت ، بعد ان ناؤوا تحت وطأة الضرائب وثقل الديون المتراكمة عليهم ، في الوقت الذي جعلهم فيه هبوط المحاصيل الزراعية عاجزين تماماً عن شراء بعض ضرورات العيش من المدينة . فأوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية تكتظ بالسكان ، والسواد الاعظم من السكان اي ما يتراوح بين الثلثين والثلاثة ارباع من هؤلاء الفلاحين يملكون مزارع لا تفي بأودهم وأود ذويهم . كما ان معظمهم يحتاج الى العمل ، اذ ان اليد العاملة الفائضة في هذه القرى تتراوح بين ثلث السكان ونصفهم . وطبقة الفهراء في هذه البلدان ، التي تعود جذورها الرئيسية الى الطبقات الفقيرة او الى الطبقة البورجوازية الصغرى والمتوسطة ، تعد بين صفوفها الكثيرين ممن يعانون من البطالة . والطبقة العمالية نفسها التي تتضخم صفوفها وتنمو باستمرار ، تشكو من بنس الاجور كما ان البوليس يلاحق بوحشية كلية وفظاظه ، كل شكل من اشكال النقابات اذ يرى فيها خلية محتملة من خلايا البلشفية ، كما تميز بالعنف قمع لاعتصاب عمال مناجم الفحم في وادي جيو ، عام ١٩٢٩ ، وورش الخط الحديدي في غريفلسا من اعمال رومانيا ، والاعتصاب العام الذي اعلن في قولا ، من اعمال اليونان . وقد نجم عن هذا الوضع احتدام العنف بين طبقات المجتمع المتصارعة بعد احتدام التنافس بين القوميات المستاءة . فلا عجب ، والحالة هذه ان تقلق الحواطر بين الملاكين ورجال الأعمال والحكومات الرجعية من جراء الهدير المتصاعد من هذه الاوساط التي يتأكلها الحقد والبؤس . فالحل الوحيد ، في نظرهم ، للتغلب على المضاعب الاقتصادية التي يترتبصوت بها ، وعلى الضغط الاجتماعي الذي يزرعون تحته ، يقوم في تقوية سياستهم المحافظة . وهكذا طلعت في تلك البلدان ، أنظمة دكتاتورية شكت من الضعف والهزال في وجه معارضة فاشطة .

الاحزاب الفاشية قامت الى جانب الاحزاب القديمة التي انقسمت على نفسها امام الضائقة الاقتصادية الى فئات قناصر الدكتاتورية واخرى تطالب بتحقيق اصلاحات ديموقراطية جذرية ، احزاب جديدة طلعت من بين الدماء اخذت تلج على متوال الفاشية والهنارية بعد ان تبنت مناهجها ونظم عملها . وقد اشتد ساعد هذه الاحزاب لا سيما في هذه الاقطار التي تقوم فيها اقلية يهودية قوية تتمتع ببعض النفوذ والشأن : كبولونيا وهنغاريا ورومانيا ، لا سيما في هذه البلدان بالذات حيث اخذ عدد حملة الشهادات العليا وخريجي الجامعات يزداد ويتعاظم ، وقد تناقصت امامهم ان لم نقل 'سدت' منافذ الرقي الاجتماعي التي توفرت من قبل واخذوا يشعرون ، اكثر فاكثرا ، بمزاحمة اليهود لهم على المهن الحرة . فقد ألقت هذه الشبيبة المستنيرة الصفوف الأولى للحزب الوطني الراديكالي (فاراء) و « ممسك الاتحاد الوطني » بقيادة الكولونيل سكوك واخذوا يطالبون بدكتاتورية عنصرية تأخذ على نفسها تطهير البلاد من اليهود ويقطع دابرهم من الاساس مع دابر الديموقراطيين . كذلك شهدت هنغاريا طلوع « الصليبان ذات الأسهم » كما شهدت رومانيا « الحرس الحديدي » يجمع اعضاءه ومناصريه من ابناء الطبقة نفسها وتحدث دويلاً قوياً بين صفوف الفلاحين والعمال . والحركتان تسجلان المزيد من الانصار والمريدين بين الفلاحين اثر حملة قوية مطالبتين بالاصلاح الزراعي ، شاجبتين بعنف وقوة اصحاب رؤوس الاموال ولا سيما اليهود . وكلمة السر عند الحرس الحديدي : « لكل انسان قدان من الأرض » والذي عرف ان يحتذب الى صفوفه العمال العاملين في هذه الصناعات الجديدة الذين تزحوا من عهد قريب من الريف ، ولم يلبث معمل مالاكسا الكبير للأسلحة في بوخارست ان اصبح قلعة الحرس الحديدي في البلاد . وعلى شاكلة ما تم في كل من المانيا وايطاليا ، فقد تلقوا تبرعات ومساعدات ضخمة من ارباب الصناعة ومن احزاب اليمين ، كما ان الادارة والمحاكم احاطوهم بالكثير من مظاهر العطف .

النظام الدكتاتوري في النمسا اما النمسا فقد احتدم الصراع فيها واشتد بين الاشتراكيين المسيطرين على فيينا تساندهم منظمة خاصة من الميليشيا افرادها من العمال ، وبين الكاثوليك اصحاب الامر والسلطة برئاسة المستشار دولفوس ، يشد من أزهم ميليشيا خاصة بقيادة الامير ستاهرنبرغ . وفي اذار عام ١٩٣٣ ، اصدر المستشار دولفوس قراراً بتأجيل انعقاد البرلمان ، وامر بحل الحزب الشيوعي والحزب النازي وفرض على البلاد دكتاتورية . وقد اصبحت الميليشيا التي تسانده ، البوليس الرسمي في البلاد ، فقمعوا بشدة فتنة اطلقها الاشتراكيون في فيينا ، بعد معركة حامية دامت ثلاثة ايام بطولها (شباط ١٩٣٤) . وخلافاً للدكتاتوريات المجاورة لم تكن الحركة التي قامت بها حركة جماهيرية ولم تمنح الحركة بأن تولي الحكم في البلاد إطار جديد من الحكم ، اذ ان وحدات الميليشيا تألفت صفوفها من رجال النظام القديم . فالحكومة القائمة برئاسة دولفوس الكاثوليكي وخلفه شوشنيغ ، هي حكومة شرعية في الصميم ومضادة للجماهير . وهذا النظام الدكتاتوري الجديد الذي تقاسمه

نزعة فاشية ممثلة بالميليشيا ، وقدامى العسكريين والارستوقراطية القديمة ورجال الاكايروس ، ونزعة مضادة للفاشية تدعمها البورجوازية اليهودية التي توجس شراً من الفتنة الاشتراكية ومن المذابح النازية ، بدت عليه معالم الضعف . والدستور الجديد الذي استلهم فيه واضعوه ايديولوجيا كاثوليكية صرفة ، وضع الدولة تحت سلطة « الله العلي العظيم مصدر كل حق وسلطان » . وهو لا ينص على انتخابات ولا على استفتاءات ، بل يؤسس دولة اساسها النقابية .

فليس من عجب بعد هذا ان يستفحل أمر النازية في ظل هذا النظام وفي مثل هذه البلاد المعروفة بمعداتها الشديدة للسامية ، حيث الشباب والعمال وكل هؤلاء الذين يكونون في صدورهم حقداً دفيناً لكل حكومة مسيحية اشتراكية ترتكز على الارستوقراطية وعلى الرجال العسكريين من الملكية الماضية ، هم على اتم استعداد للأخذ بمعهود ووعود التجدد . وفي ٩ اذار ١٩٣٨ ، وتحت كابوس الغزو وخطر الاجتياح ، حاول المستشار شوشنيغ أن يقوم باستفتاء هام ، في سبيل الحفاظ على « نمسا حرة ، مستقلة ، اشتراكية ومسيحية » . فقد سبق السيف العذل ، إذ وقع بعد ذلك بثلاثة أيام ، ضم النمسا إلى الرايخ .

أعلن دستور عام ١٩٣٥ في بولونيا ، في اثر وفاة بلسودسكي في بولونيا ومنغاريا
عام ١٩٣٥ نظاماً دكتاتورياً ظاهراً ، إلا انه لقي معارضة هنيئة من مجموع السكان الذين تبعوا كلمة السر لدى أحزاب المعارضة وامتنعوا عن الاشتراك « بالانتخابات الميئة » ، التي اشترك فيها ٤٧ ٪ لا غير من مجموع الناخبين . جرى الغاء ١٣ ٪ من أصواتهم . وقد اعتبر ثلثا الناخبين معارضين . ومع ذلك ، فموت المارشال ترك المجال حراً امام كتلة الزعماء في الجيش الذين يشددون على الدكتاتورية بدون دكتاتور ، مع انتهاجهم سياسة تفاهم مع هتلر .

أما في هنغاريا ، فعزب المحافظين استمر بالحكم منذ عام ١٩٢٠ بدعمه النبلاء وأرباب الأعمال ، الا انه اخذ ينزع الى الفاشية بعد عام ١٩٣١ عندما حل على رأس الحكومة الجنرال كمبوس قائد المنظمة الارهابية المعروفة بمنظمة « المجر المستعطين » محل الكونت بثلن . وقويت النزعة واشتدت اكثر فاكثر مع خلفه المالي إمردي الذي تأثر كثيراً بحزب الصلابة ذات الاسم .

ومنذ كانون الثاني ١٩٢٩ ، اصدر الملك اسكندر امراً بحل المجلس ووقف العمل بدستور فيدوفدان ، واعطى يوغوسلافيا
في اوربا الجنوبية الشرقية والشمالية
عام ١٩٣١ دستوراً استبدادياً ، جعل الوزراء مسؤولين أمام الملك وحده . وبعد وفاته عام ١٩٣٤ ، خفف بولس الوصي على العرش من قبضة النظام دون ان يعيد الى البلاد الحريات المدنية والسياسية . وتألقت في البلاد نقابات Jugoras عام ١٩٣٥ ، على شاكله النقابات الفاشية ببنائها الرسمية .

أما في بلغاريا ، فقد أنشأ الملك بوريس ، في اثر الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال جورجيف (٢٩ ايار) ادى الى حل المجلس وحل الاحزاب في البلاد ، دكتاتورية ملكية . ومع ذلك بقيت المعارضة قوية . وبالرغم من عنف البوليس وفظاظته والعذابات التي ساءها ، وبالرغم من الفساد والهلل ، كان ثلث النواب الذين انتخبوا ، عام ١٩٣٨ ، من رجال المعارضة .

وفي رومانيا ، طرد حزب الفلاحين من الحكم بعد ان استأثر به منذ عام ١٩٢٨ ، وذلك في اثر القلق الذي ساد البلاد من جراء الازمة المالية . وانتهر الامير كارل هذه المناسبة للعودة الى بلاده ، ١٩٣٠ ، ويخلع ابنه عن العرش ويوسع حكمه وسلطته تدريجياً وبعد ان نجح في شباط ١٩٣٨ ، بنسف الاحزاب التقليدية في البلاد ، أنشأ على المكشوف بمساعدة حكومة اتحاد وطني برئاسة البطريرك ميرون كريستيا ، دكتاتورية ذات دستور مسيحي لانيابي ، ألغى الاحزاب السياسية كما ألغى النقابات العمالية ، ولم يبق قائماً سوى حزب جديد المعروف بجهة البعث القومي الذي جاء تشكيكه على غرار الحزب الفاشي ببنزته الرسمية ، كما استعمل المصطلحات والترصيف الفاشية .

أما اليونان التي اشتدت عليها قبضة فينزلوس منذ ١٩٢٧ ، فقد أعيدت الملكية اليها ، عام ١٩٣٥ ، وكان الجمهوريون والملكيون على توازن فيما بينهم ، في البرلمان . ولما تكررت فيها حوادث الاضرابات التي دعا اليها الشيوعيون ، اتخذ الجنرال من ذلك ذريعة لحل المجلس وانشاء دكتاتورية ، كما أعلن في البلاد الاحكام العرفية وقد حاكى النظام الجديد بقسوته ، والعنف الذي قسح به الاضرابات الناذج الدكتاتورية التي نسج على غرارها ، بتأسيسه كتائب *Neolaia* شبه ما تكون بفرقة الصاعقة في النازية وبدعاية شخصية تحيي « مؤسس الحضارة الهلينية الثالثة » .

وقام النظام الدكتاتوري في بلدان البلطيق ، في استونيا مثلاً ، عام ١٩٣٣ ، حيث 'حل البرلمان وألغيت الاحزاب ، وفي ليتونيا كذلك حيث لم يلبث أولمانيس ان أصبح ، عام ١٩٣٤ ، قادونيس او الفوهرر .

شهدت دول شبه الجزيرة الايبيرية هي ايضاً قيام دكتاتوريات . في اوروبا الجنوبية : برتغال سالازار فالجنرال كرمونا الذي أصبح رئيساً للجمهورية بعد ان طرد الجنرال غويز داكوستا الذي استأثر بالحكم اثر حركة انقلابية قام بها عام ١٩٢٦ ، سلم مقاليد الحكم في البلاد الى سالازار استاذ الرياضيات في جامعة كوامبره الذي اخضع البلاد لنظام دكتاتوري من جنس معين . فقد كان كاثوليكياً متزمتاً تتلمذ على شارل موراس فحاول اخضاع للبلاد وحكمها وفقاً لمعطيات السيلابوس او جريدة التعاليم المحرمة التي تحظر من اي تنازلات لليبرالية والاشراكية والديموقراطية . وبصفته رئيساً لنظام حكم محافظ في الصميم ، واعتماداً منه على الجيش والكنيسة ، هدف سالازار للدفع عن الحضارة المسيحية التي تهددها تعاليم

عصرنا هذه وفلسفاته الناشزة : كالشعوبية والشيوعية والاشتراكية ، وكل ما من شأنه ان يمس بأذى « العقول والمقائد الاساسية » ، ويجعل النفوس تتشكك « بالحقائق الخالدة » . وأنشأ الدستور الجديد الذي نشر عام ١٩٣٣ ، أنشأ « دولة جديدة » نقابية ، مناهضة للديموقراطية وللنظام البرلماني . فالدولة البرتغالية هي في الصميم ، دولة مسيحية ، قومية تقوم على الاسرة والحرفية والادارة البلدية ، تلغى منها الاحزاب والماسونية . فالبلاد تتخلى عن نظام الانتخابات العامة وتعتمد بديلا عنه نظاما حرفيا او مهنيا يتصدى للروح الطبقيية ويحاول ان ينظم البلاد بعد ان رزحت تحت وطأة الضائقة المالية . فالتعليم بيد الكنيسة في جميع مراحلها ، و « قانون العمل » فيها ، هو صدى قديم لبراءة العمل في ايطاليا : نقابات عمالية وحيدة ، غير ملزمة تمثل مجموع العمال ، ونقابات ارباب العمل ، بعضها إلزامي ، يعهد اليها بتحديد الحد الاعلى للاسعار ، يكونون بحكم وظيفتهم وسطاء المنتجين ، فيسجلون ببيع محاصيلهم ويفصلون في الاختلافات الناشئة . ويتألف من الفئتين تحالفات مهنية واتحادات ، تعمل تحت اشراف الدولة ، على تأمين الانسجام في المجال الاقتصادي . وهذا النظام النقابي هو أقل خضوعا في البرتغال للسلطة التنفيذية منه في ايطاليا . هنالك مجلس نقابي استشاري يبدي رأيه في مشروعات القوانين التي تعرض عليها ثم تحال امام مجلس وطني يتألف من ٩٠ عضواً ينتخب لاربع سنوات . وتعمل الدولة على استفتاء الرأي العام بعملية اقتراع عام يحرم من التصويت فيه كل من يحمل القراءة والكتابة الا اذا دفعوا ضريبة معينة ، وذلك بتقديم لائحة موحدة من المرشحين « للاتحاد الوطني » يحق للناخبين فقط شطب اسم من لا يرغبون فيه . والوزراء مسؤولون امام رئيس الحكومة وحده الذي يبقى مسؤولاً امام رئيس الجمهورية ، وهذا الاخير ينتخب بواسطة استفتاء شعبي لمدة سبع سنوات وتتمتع السلطة التنفيذية بحق رفض اي مشروع قانون اقره المجلس الوطني كما تتمتع بحق حل المجلس المذكور .

اسبانيا
تمحضت اسبانيا بحركة اختار سياسي واسعة في هذه الحقبة من تاريخها الحديث حيث ازدهرت الفنون والآداب بكتابة وفنانين لمعوا في صماء البلاد ، أمثال مينغال اوتامونيو واورتينا دي غاست والشعراء خوان رامون خيمينيس وفريدريكو غارسيا لوركا والموسيقار الشهير مانويل دي فاللا . وكان من جراء الضائقة الاقتصادية ان زاد الناس تأففاً من نظام الجنرال بريز دي ريفارير الدكتاتوري ، ولم تلبث الحركة الجمهورية فيها ان طفت بعد ان اشتد ساعدها إثر الاضطرابات الاجتماعية العنيفة التي هزت البلاد واشاعت الفوضى فيها . في نيسان ١٩٣١ . وتماقبت على الحكم في اسبانيا ، بين ١٩٣١ - ١٩٣٦ ، حكومات ذات ميول متضاربة : تناوحت بين تحالف اليسار بعد ان انقسموا الى اشتراكيين شيوعيين ، وجمهوريين بوجوازيين ، واشتراكيين معتدلين الذين اقرروا مجتمعين ، دستورا ديموقراطيا علمانيا ووضعوا مشروعا لاصلاح زراعي شامل . الا ان عملية الاصلاح هذه اعترضتها صعوبات حمة اخرت تطبيقها الامر الذي حمل الفلاحين على الثورة واخذوا يحتلون الاراضي . وجاءت

النتائج تخيب الآمال مما أدى في انتخابات عام ١٩٣٤ الى دخول المجلس اكثرية رجعية ساحقة تمثلت في الاتحاد اليميني المستقل بقيادة جيل روبلس وتوجيهاته ، والفت كتائب ميليشيا عرفت عندهم بالاحرف J. O. N. S. كانت تتنذى بالمبادئ الهتلرية والنازية ، مناهضة للماركسية وذات مطالب قومية (ضم طنجة وجبل طارق) كما أدت الى ظهور الكتائب الاسبانية بقيادة خوزه ابن بريو دي ريفيرا . وحاولت الحكومة المستندة الى احزاب اليمين خلال سنتين انتهاز سياسة التكاش مالي ، كما سعت جهدها لالغاء التشريعات الزراعية وتعديل نصوصها بإنشاء ملكية عائلية ، على الطريقة الالمانية ، لا تجزأ ولا تنقل الا للارملة او لاحد البنين ، ولا يجوز بصورة من الصور تأجيرها او رهنها ولا بيعها (الا لعائلة اخرى تكون مؤهلة هي ايضاً لمثل هذه الحيازة) . الا ان هذه السياسة التي اتسمت بالرجعية ، وقع الاضطرابات العمالية التي وقعت في مقاطعة استوريا ، بالدم والنار على يد الفرقة الاجنبية وفرقة المغاربة والطيران ، كل ذلك ساعد على تشكيل جبهة شعبية في البلاد . ولما كانوا تلقوا درساً بليغاً من انهزام الاشتراكيين في فيينا ، ومن الامثلة الفرنسية التي حدثت في باريس في السادس من شباط فقد تكتل الاشتراكيون والشيوعيون ودخلوا الانتخابات العامة في ١٦ شباط ١٩٣٦ كتلة واحدة أدت بهم الى فوز مبين لاحزاب اليسار التي ربحت ٢٦٥ مقعداً ، منها ٨٨ للاشتراكيين و ١٥ للشيوعيين مما اتاح للجمهوريين العمل بنشاط لتحقيق مشروع الاصلاح الزراعي فجرى عليك ٧٥,٠٠٠ مزارع في مقاطعة استرامادور . وقد حمل هذا الفوز الطبقات الموجهة والجيش والاكليروس لاستعمال العنف ، وراح الكتائبيون والفاشيون بقيادة زعمائهم خوسيه انطونيو بريو دي ريفيرا وكالفو سوتيلو ينظمون انفسهم حربياً ويستعدون للقتال . وترأس الجنرال فرنكو حركة ثورية نشبت في ١٨ تموز ، فجاء انقلاباً كلاسيكياً أعد بكل اعتناء . الا انه لقي مقاومة شعبية مفاجئة لم تكن في الحسبان . فقد تمكنت الجماهير في برشلونة ومدريد من تجريد الجند من سلاحهم . ولم يستطع الضباط ، بعد ان تخلت عنهم وحداتهم الا الاحتفاظ بقسم ضئيل من البلاد بمساعدة الفرقة الاجنبية وكتائب المغاربة وبعض المقاطعات والجزر ، ومناطق اراغون وثافار الجبلية وقشتالة وغاليسيا ، وراح الفلاحون والعمال في كل مكان يتسلحون ، بعد ان انضم اليها ٤٠ رجال الاسطول وعدد كبير من افراد الجيش بتواطؤ مع احرار البورجوازيين . وهذا الصدام بين شقي اسبانيا : شق شعبي متحرر يعضده الكاثوليك الكتولونيون والباسك ، وشق ثان يعضده رجال الدين والضباط تشد ازهم ايطاليا الفاشية والمانيا الهتلرية ، لم يلبث ان استحال الى حرب اهلية دامية هوجاء .

وفي الوقت الذي كانت تدور فيه الأعمال الحربية ، اخذت الحكومة الجمهورية في المناطق الخاضعة لنفوذها تقوم باصلاحات جذرية : فوسمت من نطاق الاصلاح الزراعي كما اخذت في تطوير الملكية الفردية الصغيرة . فقد امت في مقاطعة كتلونيا كل مشاريع الاستثمار التي يزيد عدد العمال في الواحدة على مائة عامل ، بينما اعيدت الاملاك الى اصحابها في المناطق التي سيطر

عليها الوطنيون . واخذت الدولة بعد هزيمة الجمهوريين بتنظيم البلاد على غرار التنظيم المعمول به في النظام الفاشي . فقد برهن الزعيم فرنكو على انه عسكري فطِن ، عنيد وكاثوليكي مجيش نفسه بالبغض للماسونيين وللشيوعيين . فهو يتمتع عن طريق الجيش والبوليس والادارة والمحاكم بسلطة لا حدود لها اتخذ منها اداة لتصفية الثورة واجراء مذابح في صفوف منائيه اثناء المعارك وبعدها ، كما ارسل الى المعتقلات مئات الالوف من الحُصوم . فقد صرح منذ عام ١٩٣٧ قائلاً : « ان اسبانيا لتحذو حذو النظم الدكتاتورية كإيطاليا والمانيا ، وستعمد الى تبني الهيئات النقابية وبذلك تضع حداً نهائياً للمؤسسات الليبرالية التي سميت للشعب » . وهو في ذلك انما يعتمد على القوى التقليدية في اسبانيا : الكنيسة الاسبانية التي وضعت عام ١٩٣٧ في رسالة راعوية عامة ، الحركة الانقلابية « استفتاء مسلحاً » ، والتي احتفلات عام ١٩٢٩ « بانتصار الصليبيين » والجيش والبوليس اللذين يستترقان لوجودهما ، نصف موازنة الدولة ، وكذلك « الكتائب » التي انصهرت فيها ، عام ١٩٣٤ وحدات الجونز . وان انضم الحزب الكارلي المعروف بروحه الرجعية الى الحزب اصبحت قانون الحزب عام ١٩٢٧ ، « مصدر الوحي والقانون للحكومة الاسبانية » . والكتائب هذا الحزب الاوحد الذي انصهرت فيه الدولة يمدّها بالمنصر الحكومي والاداري ، كما يضع تحت تصرفها بوليس امن سري ، يوجه الصحافة والدعاوة والتعليم ومنظمات الشباب والنقابات العمودية في هذه « الدولة الوطنية النقابية » ، وبذلك تتم لها السيطرة على الطبقة العمالية .

وهكذا خضعت اسبانيا لنظام دكتاتوري يختلف في وجوه عديدة عن النظامين الالماني والايطالي لوقوعه تحت قبضة الحزب اكثر منه تحت قبضة الجيش ، وبروحه الاكثريكية البارزة وبروحه الوطنية التي لم تكن تهتم كثيراً بالتوسع الخارجي ، وبسيطرة المصالح الزراعية دون الصناعة الكبرى . وقد جاء هذا النظام في طبيعة البلاد والمقلية الاسبانية اكثر منه في صنويه الآخرين .

اما البلدان المرتبطة بغيرها والتي تأثرت عميقاً بالازمة فقد انفلتت في باقي انحاء العالم هي الاخرى بالمبادئ الفاشية . ففي بلدان اميركا اللاتينية حيث، تكاثرت حوادث الانقلاب السياسية والثورات ، قسامت حركات اخذت كثيراً من ملامح الفاشية في ايطاليا والنازية في المانيا . من ذلك مثلاً « العمال الشكاه لي » في البرازيل وقمصانه الخضراء مع شارة خضراء على الساعد تذكرنا بالصليب المعقوف « والقمصان الذهبية » في المكسيك بادارة الاكليروس الذي ينعم بعطف الجنرال فرنكو ، و « الحزب الوطني للأمن العام » المعروف بمبادئه للسامية .. وقام في الأرجنتين : الحزب الوطني الاشتراكي في الارجننتين كما قامت منظمات تسير على هذا المنوال في كل من البيرو والشيلى وكولومبيا وبناما .

العالم الرأسمالي عام ١٩٣٩

العالم الذي شهد انفجار الحرب العالمية الثانية يختلف كل الاختلاف عن هذا العالم الذي روع، قبل ذلك ، بخمس وعشرين سنة ، بالحرب العالمية الاولى .

فمنذ عام ١٩١٤ ، اشتد التطور الذي بدت معالمه تلوح في الافق سرعة ، واخذ يجعل من الرأسمالية المتنافسة في القرن التاسع عشر ، رأسمالية اكثر احتكاراً ، تحت سيطرة قبضة من الشركات الكبرى وثقلت علائقها بالرأسمال المصرفي للسيطر سيطرة تامة على الانتاج وعلى الاسواق التي تشرف عليها هذه الشركات . وقد كان من تمركز رأس المال بيد قلة من الناس ، ومن انضمام رأس المال المصرفي الى الرأس المال الصناعي ان غير كثيراً من تقنية الرأس المال المصرفي والوسائل التي يعتمد عليها . فالشركة المغفلة حلت محل الشركة الاسمية ذات الطابع العائلي ، و « الاتفاقات » المبرمة حلت محل المنافسة ، وسياسة الحماية الجبركية التي اخذت تشتد وتقسو اكثر فاستكثر ، والتي انتقل امرها من يد الحكومات الى بعض هيئات اقتصادية مهددة ، حلت محل مبدأ حرية التجارة . كذلك حل محل رأسمالية ترغب في التوسع ، رأسمالية تميل الى الانكماش او الانطواء وشابه شيء كثير من المملطوسية الاقتصادية ، التي باستطاعتها وحدها - في اوقات البعبوحة - المحافظة على ارتفاع الاسعار عن طريق لجم وسائل الانتاج ، والتخفيف من طاقتها حسبما ترى . وعندما وقعت الازمة ، اضطرت حكومات الدول الرأسمالية للتدخل مباشرة . وسياسة التدخل التي ميزت الحقبة المنصرمة والتي لم يكن لتظهر الا اماماً ، وفي بعض قطاعات خاصة ، حل محلها ، منذ عام ١٩٣١ ، توجيه عام للاقتصاد الوطني هدف الى استغلال القوى الانتاجية تحف تصرفه ، استغلالاً اكثر عقلانية ، كما حرص شديد الحرص على تفادي الخسائر والهزات في تطوير الانتاج ، مستعينة على ذلك بوسائل مختلفة : كالتضييق والمناصرة ، والاستئصال الكبرى ، ومراقبة المؤسسات الصناعية والمبادلات التجارية ، وسياسة التسليح . والروح الوطنية الاقتصادية المتزمتة ، كل هذه الوسائل ادت الى خلق قيار من المقايضات العقلية بين النظم الوطنية للاقتصاد . وهذه السياسة سارت عليها ونسجت على منوالها كل الحكومات ولا سيما الدول ذات النظم الدكتاتورية ، وعلى الاخص المانيا ، وطبقوا مبادئها بصورة منهجية .

غني عن القول ان الازمة التي انفجرت في الولايات المتحدة ، عام ١٩٢٩ ، سددت ضربة قاصمة للحركة الاقتصادية في العالم اجمع واخرتها ، الامر الذي احدث حركة انتفاض وبقظة في

اقتصاديات كل الدول التي تجيش بالقومية ، وهيات ، كما حدث في المانيا السبيل لظهور هتلر واستلامه السلطة في البلاد ، كما ادت الى الجهود التي بذلتها البلدان الديموقراطية للحد من مساوئها ، استنفذت قدراً كبيراً من طاقات تلك الدول وقدراتها كان بإمكانها استخدامها للصمود للتحديات التي تعرضت لها ، وهكذا مهدت الضائقة المالية الكبرى ، الى حد كبير ، الطريق امام انفجار الحرب العالمية الثانية .

وهذا التغيير لم يقتصر على البنيان الاقتصادي بل اصاب ايضاً القوى السياسية كما نراها موزعة توزيع القوى السياسية واجرى فيها تبديلاً جذرياً . فالدول الكبرى في العالم عند اعلان الحرب العالمية الاولى ، كانت : الولايات المتحدة ومانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا وتأتي دونها درجة ومرتبة : النمسا والمجر واليابان وروسيا وايطاليا . والنظم الديموقراطية التي كانت تستند في اكثر الاحيان الى تقاليد قديمة ، كانت مزدهرة كل الازدهار ، في الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا والدول السكندنافية والدول الصغرى الواقعة الى الغرب من اوروبا . اما في ما عدا هذه البلدان ، فقد كانت هذه النظم تطلع وتأخذ بالتطور كما هي الحال في المانيا حتى وفي روسيا القيصرية .

اما في عام ١٩٣٩ ، فالصورة تختلف كلياً عما كانت عليه عام ١٩١٤ والوضع اصبح غيره تماماً . ففي منزلة الدول الكبرى ، تأتي الولايات المتحدة في الطليعة ، حتى ان قوتها بزت بكثير اية دولة أخرى ، سواء كان بانتاجها الصناعي او بمستوى العيش الرفيع الذي حققته في بلادها . فهي ارسخ دولة اجتماعياً ، كما انها رأس المال العالمي ومحوره الصناعي والمالي الاكبر . وتأتي المانيا في المرتبة الثانية من حيث القوة ، ولكن وراء الولايات المتحدة بمراحل ، يتبعها من قريب الاتحاد السوفياتي الذي يبرز قوة وقدرة اليابان ، وحتى بريطانيا العظمى وفرنسا .

وقد كشفت الازمة في المجالين الاجتماعي والسياسي المتناقضات والمفارقات التي احاطت بالديموقراطية البورجوازية ، هذا التعبير السياسي للرأسمالية الليبرالية : هذا التناقض القائم بين السلم الاجتماعي وقوى الانتاج ، والتناقض بين سيادة الجماهير السياسية وبين السيطرة الاقتصادية التي تمارسها اقلية متميزة . فالبطالة الجماهيرية الدائمة ، هذه الظاهرة الجديدة التي لم يعرفها القرن التاسع عشر ، وعدم المساواة المتزايدة في توزيع دخل المجتمع ، وتركز السلطة الاقتصادية في عدد من البيوتات آخذاً ابداً في الهبوط والنقصان ، زادت في حدة المتناقضات الاجتماعية . وراحت الجماهير ، بعد ان احسنت تنظيمها ، تحاول تطبيق مبادئ الديموقراطية في المجالين الاقتصادي والاجتماعي . ولاول مرة ، قامت حكومات اشتراكية او يدخلها اشتراكيون وبذلك كسروا الطوق وابطلوا الحكر الذي فرضته الطبقات الموجهة على الحكومة . والحال ، فكل نظام ديموقراطي يحتاج ، ليقوى ويرسخ في المجتمع ، الى نظام اقتصادي يأخذ بالتوسع والامتداد .

والحد الذي بلغه توسع الاقتصاد الرأسمالي لم يعد يسمح للطبقات الموجهة القيام بتنازلات جديدة التي حملت حتى الآن ، على تهدة المتذمرين بعد ان رفعت من مستوى عيش الطبقة العمالية . « فمبادئ المجتمع الرأسمالي أصبحت اعجز من ان تؤمن الرفاهية الشاملة التي تقتضيها الديمقراطية » (هـ . لاسكي) . فالاستيلاء على السلطة كان له أهمية كبرى في هذا الصراع القائم بين الطبقة السائدة والطبقة المسودة . وإذا ذلك انقطع التيار الذي كان يغذي المؤسسات الديمقراطية . ففي بريطانيا العظمى وفي دول غربي اوروبا حيث كان الوضع الاقتصادي أقل تعرضاً للاخضغضة ، استمرت هذه المؤسسات تعمل ضمن اطارها الرأسمالي ، مع تعرضها للشك والجدل واصابتها بالضعف عن طريق تقوية السلطة التنفيذية . أما البلدان الاخرى ، وفي اقوى البلدان الاوروبية صناعياً ، أي في المانيا بالذات التي اصبحت اكثر من غيرها من الهزيمة في الحرب ومن الازمة ، ومثلها ايطاليا واوروبا الوسطى والشرقية ، اخذت الطبقة الحاكمة ترى انه لا سبيل للبقاء والحفاظ على الحياة الا بالتخلي تماماً عن هذه المؤسسات الديمقراطية . فالثورة الفاشية المضادة قضت تماماً على منظمات الطبقة العمالية القائمة ، واعتمدت سياسة محمومة تدعو للتسلح ولبسط سيطرتها الامبريالية ، كان من شأنها تعقيد المشكلات القائمة بين الدول وبين الشعوب . والنجاحات الباهرة التي حققتها سياسة اليابان في آسيا انزلت الوهن في مراكز الدول الاستعمارية ، بينما ادت ، من جهة ثانية ، الى خلخلة النظم الاجتماعية التي قامت عليها الطبقة الحاكمة في الصين . كذلك اخذت الحركات الوطنية المطالبة بالاستقلال تنشط وتستفحل سواء في الهند او في مستعمرات فرنسا وانكلترا وهولندا .

ومع ان النظام الرأسمالي لا يزال معمولاً به في القسم الاكبر من الكرة الارضية ، فقد اخذ يشكو الضعف وتبدو عليه امارات الوهن . ونجم عن هذا الوضع المزيد من الاصطدامات الاجتماعية التي اتخذت لها مكاناً مرموقاً واصبحت عنصراً هاماً من عناصر السياسة الخارجية واخذت تلعب دوراً بارزاً في العلاقات الدولية . ففي الوقت الذي راحت فيه الشعوب تدخل حرب عام ١٩١٤ ، راضية مرضية ، نجد الطبقات المسؤولة — التي نراها منقسمة فيما بينها عام ١٩٣٩ ، يلتأها الشك والخوف من عدم اقرار الجماهير الشعبية لخطتها السياسية . فعلى الصراع الناشب بين البلدان الفاشية والبلدان الديمقراطية البرلمانية يطل علينا شبح الامبراطورية القيصريّة حيث قامت ، منذ نحو ٢٢ سنة ، دولة اشتراكية مجاهلت الازمة التي تضرس بها الجميع والتي لها من التأثير البالغ على الطبقات الحاكمة وعلى سكان المستعمرات ما يجعلها مفزعة للجميع .

القسم الثاني

العالم السوفياتي

« بينما يتراجع النظام الاقتصادي والسياسي الحر في البلدان
الرأسمالية ، نراه يزول كلياً في سدس اليابسة حيث كانت
الثورة الروسية أولى مراحل تحول اساسي في المبسادي،
الاجتاهية للحضارة الغربية » .

هـ . لاسكبي

كانت ام نتائج الحرب العالمية الاولى الثورة الروسية — « اعظم حدث تاريخي منذ
الاصلاح ... » — لانها حطمت، وحسدة العالم التي كانت شبه محقة في السنة ١٩١٣ . فتحت
قيادة الدول الاوروبية الكبرى والولايات المتحدة ، اضطرت كافة الدول « المتخلفة » اقتصادياً
وعسكرياً ، طوعاً او كرهاً ، الى اعتماد نظام اقتصادي واجتماعي واحد ، وتبني مثل عليا
واحدة وطرائق تفكير واحدة وتقنية واحدة . ثم جاءت السنة ١٩١٧ لتحث انفصاماً
مفاجئاً . فمنذ هذا التاريخ اخذت تتكون في وجه عالم النظام الحر والرأسمالي طريقة جديدة
كل الجدة ، تختلف مبادئها الاساسية كل الاختلاف ، ستتطور وفقاً لقواعدها الخاصة . فقد
انطلقت روسيا البلشفية من اقتصاد فردي بدائي لتتحول الى دولة صناعية وعسكرية من المرتبة
الاولى . وقد استطعنا — في الصفحات السابقة — تقدير التأثير الذي كان للدولة الروسية
الجديدة على تطور العالم الرأسمالي : تأثير ايجابي محدود نسبياً اذ افسه ارغم على انكماش وعزلة
اصبحا عامين في بعض الاحيان ، واذ ان تدخلاته المباشرة وغير المباشرة قد انتهت في النتيجة
الى فشل ، وتأثير سلبي عظيم جداً بافقاده توازن العلاقات بين الدول ؛ فلم يسهم هذا « الفراغ »
السياسي والاقتصادي في تشويش نظام المقايضات والانتاج فحسب ، بل ميزان القوى بين
الدول ايضاً ، كما زاد من حدة التوتر بين هذه الدول وبين الطبقات الاجتماعية في كل منها .

الفصل الأول

الثورة الروسية

انهيار النظام القيصري خلال ايام معدودة بفعل ضربات حركة ثلثائية لم يلعب الثوار في اعدادها ، في البدء ، سوى دور محدود . فما لبثت الملكية الدستورية التي رغب زعماء الثورة الاولون في تحقيقها ان افسحت المجال لجمهورية بورجوازية تدين بالنظام الحر انهارت بدورها ، بعد اشهر قليلة ، بفعل ومن هذا النظام وافلاسه ؛ فأقدم الحزب البلشفي حينذاك على تأسيس دولة اشتراكية .

١ - النار في البيت

يفسر سرعة حدوث هذا الانهيار التحلل النظام القيصري المحللاً كلياً . فان امبراطورية نقولا الثاني ، المرتكزة الى الضغط على القوميات الخاضعة لها والى سيطرة ارستوقراطية قليلة العدد ، قد تعرضت لهزة عنيفة بفعل الهزيمة والمحاولات الثورية في السنة ١٩٠٥ ؛ ولم يتيسر توطيد السلطة الا بفضل عملية قمع حازمة سهلتها مساعدة مالية فرنسية ؛ ولكن المنازعات الداخلية استمرت في كافة المستويات ؛ وقد زادت الحرب من حدتها وجعلتها صعبة الاحتمال .

ان سياسة الترويس ، التي اعتمدتها الحكومة والكنيسة
 المنازعات الاجتماعية
 الارثوذكسية والجيش ، لا حيال القوميات الغربية فحسب ،
 والقومية
 بل حتى حيال الاوكرانيين ايضاً ، قد ثقلت وطأتها منذ
 ١٩٠٥ - ١٩٠٦ واقامت في وجه النظام الشعوب الموحدة الرأي ، فتسببت في كل مكان بنشأة
 أحزاب قومية انفصالية الميول . كما ان تزايد عدد السكان قد ضاعف « سعار الارض » بين
 الفلاحين بينما أدى نمو الصناعة الكبرى الى قيام طبقة عمالية وفيرة العدد سهل تجمع
 الصناعات ، في صفوفها ، ولادة وعي طبقي . أضف الى ذلك ان البورجوازية ، القليلة العدد

نسبياً ، لم تكن راضية بل كانت تشكو من تجبر الادارة وفسادها وعجزها ، ومن نظام بال يتجاهل صواحبها ويقيم العقبات في طريق تقدمها .

ثم جاءت الحرب تزيد من حدة منازعات القوميات والطبقات . فالبولونيون ، الذين خاب املمهم بسبب نكث العهود المقطوعة لهم في بيان الغراندوق نقولا ، ولستوا وجههم شطر النمسا والمانيا ، والفنلنديون وسكان البلدان البلطيقية لم يخفوا ميولهم الألمانية او الثورية ، بينما افضى تشويش الاقتصاد والهن الشعبية والهزائم الى تفاقم الاختلافات بين الفلاحين واصحاب الاملاك ، وبين العمال والبورجوازيين ، وبين الجنود والضباط .

اذن انهار النظام شيئاً فشيئاً بدون مقاومة تقريباً تحت ضغط
الحكومة المؤقتة
العمال والجنود الثائرين ، اذ ان مستلمي زمام السلطة - باستثناء
البرجوازية
بعض اجهزة الشرطة - قد تخلوا عنه . فشكل المنتصرون
تلقائياً ، كما في السنة ١٩٠٥ ، مجلساً (سوفيات) مؤلفاً من مندوبي العمال والجنود ترأس
لجنته التنفيذية احد المنشفيك و « كرنسكي » الذي كان اشتراكياً ثورياً . وشكلت الـ « دوما »
من جهتها ، حكومة مؤقتة برئاسة الامير « لفوف » وزير الداخلية .

كانت نتيجة ذلك ان زوال الملكية ، التي كان البورجوازيون والاشراف القائلون بالنظام
الحر راغبين في الابقاء عليها بغية اعادة الانضباط العسكري والنظام الاجتماعي ، افسح المجال
لنظام ثنوي تقابلت فيه حكومة مؤقتة « شرعية » تمثل بورجوازية الاحرار دون ان تتمتع
بالسلطة اللازمة ، ومجلس السوفيات النشيط والقوي الذي يضغط عليها ويتعاطم تأثيره بقيام
مجالس السوفيات حتى في اصغر القرى . فحققت الحكومة المؤقتة اصلاحات ادخلت الى روسيا
الحريات الكلاسيكية التي تنعم بها الدول الغربية : استقلال الكنيسة الارثوذكسية ، تعيين
المحلفين في المحاكم ، مجالس ادارية محلية منتخبة بالاقتراع العام ؛ وحددت ساعات العمل بثمان
في اليوم ، ولكنها تشبثت بمبدأ « روسيا واحدة » بمنع التجزؤ ، ولم تعترف بالاستقلال
بولونيا ، وواصلت الحرب ، وأرجأت اصلاح الزراعي وقربت من الطبقات الحاكمة القديمة .
فسهل موقفها هذا نجاحات حزب البولشفيك الذي استمال الشعب ببرنامجه الاصلاحى العاجل :
سلم ، حرية القوميات ، انتزاع الاراضي من مالكيها وتأميم الارض والمصارف والمشاريع
الكبرى ، رقابة عمالية على الانتاج . فجاءت ثورة تشرين الاول ، التي كانت دون ثورة آذار
إراقة للدماء الى حد بعيد ، تسقط حكومة كرنسكي ، الذي تحلى عنه كافة من كان يعتبرهم
أنصاره ، والسكان يشاهدون ما يحدث بلا مبالاة .

اخذ كافة المعارضين ، انصار الحكومة المؤقتة ومقاوموها ،
طلبة اعمال
والاشتراكيون والضباط يجمعون شملهم . ورفضت لجنة انقاذ
الحكومة البلشفيكية
الوطن والثورة ، المؤلفة من بعض اعضاء مجلس بتروغراد
البلدي ، ولجان اخرى بمثابة تأسست في المدن الهامة ، الاعتراف بحكومة لينين . فلم يكن

للحكومة الجديدة أية وسيلة عمل في مثل هذا الجو من الفوضى الغريبة . ولكنها ، على الرغم من ذلك ، تصرفت بحزم وجسارة احبطا تدابير خصومها المتعالفين . فالتخذت بسرعة ، على التوالي ، تدابير كثيرة بالغة الاهمية : نداء الى المتحاربين من اجل صلح مستعجل ، التخلي بجاناً عن الاراضي للفلاحين ، وفي كانون الثاني من السنة ١٩١٨ ، المناداة بـ « اعلان حقوق شعوب روسيا » الذي اعدّه ستالين مفوض الشعب الجديد للقوميات ، والذي بني على « سياسة تحالف حرّ وصديق بين شعوب روسيا » ، ثم « نداء للشعوب الاسلامية العمالية في روسيا والشرق » ، وصهر مجالس سوفيات الفلاحين وسوفييات العمال والجنود ، واخيراً حل الجمعية التأسيسية المنتخبة في تشرين الثاني بعد ان اقرت قانوناً زراعياً . وحل الحزب بمناضليه محل كل الموظفين الذين بذلوا جهدهم لشلّ نشاطه ، مزبلاً بذلك كل ما كان من شأنه اطالة بقاء جهاز الدولة القديم وتقاليد . وفي تموز من السنة ١٩١٨ تبني المؤتمر الخامس لمجالس السوفييات دستوراً يكرس النظام المعمول به منذ عدة اشهر . فكان دستور كفاح احظى البروليتاريا ، السند الرئيسي للنظام : يمثل لـ ٢٥٠٠٠ نسمة من سكان المدن مقابل ممثل لـ ١٢٥٠٠٠ نسمة من سكان الارياف ، اقتراع عام على عدة درجات يتيح معرفة المنتخبين معرفة فضلى ، حرمان الفئات المشتبه فيها بتملقها بالنظام القديم من حق التصويت : النبلاء ، اعضاء الاكليروس ، ارباب العمل ، السياسيون القدماء . واسندت السلطة الى مجالس عدة تتفاوت شأناً وتؤلف هرماً يرتكز في قاعدته الى مجالس سوفييات المدن او القرى المنتخبة وحدها بالاقتراع المباشر ؛ وفي القمة ، المؤتمر الاعلى الشامل لمجالس السوفييات الذي ينتخب لجنة قومية تنفيذية يفوض اليها بكافة سلطاته في الفترات الممتدة بين دورات التشامه . وتعين مفوضي الشعب الذين تسند اليهم السلطة التنفيذية . هذه هي « جمهورية مجالس سوفييات مندوبي العمال والفلاحين والجنود » ، ولكنها ابعد من ان تكون ثابتة الاركان اذ انها اجتازت ازمة رهيبه تخللتها حرب اهلية وحرب خارجية ولم تنته الا في السنة ١٩٢٢ .

لم يواجه مفوضو الشعب الصعوبات المادية الكبرى الناجمة عن تشوش
الاقتصاد وانهاره ، والحلال الجهاز الحكومي والاداري ، ومعارضة
الطبقات الحاكمة القديمة والاطر الاجتماعية القديمة فحسب ؛ بل
توجب عليهم مجابهة حرب اهلية رهيبه نهضت بها عناصر مسلحة ساندتها الحلفاء القدماء ،
وحتى حرب خارجية حقيقية أيضاً .

فمنذ ان انتقلت السيطرة الى العناصر العازمة على عقد الصلح ، وقفت الحكومات الحليفة
منها ، وقفاً عدائياً . وبموجب معاهدة « برست - ليتوفسك » التي اقتطعت من روسيا اكثر
اراضيها سكاناً و ثروات طبيعية ، احتل الالمان اوكرانيا الغنية بالخططة حيث ساندوا حكومة
« سكورا بادسكي » الانفصالية ؛ وانزلوا كذلك في فنلندا جيوشاً ساعدت القائد « مانرهايم »
على سحق الحكومة البلشفية التي كانت قد تولت الامور فيها ؛ ولجوا نداء الجمهورية المنشفية

التي تأسست في جيورجيا بأسراعهم في ارسال الجيوش اليها، بينما كان الاقراك يدخلون القفقاس وباكو ويحتلون اذربيجان ويقومون بدعاوة طورانية شاملة في تركستان وحتى في القرم. فكان ان الامبراطوريات الوسطى قد سلخت بذلك عن الاراضي الروسية طريدة تمتد من فنلندا الى قزوين فوضعت ايديها على خير الاراضي واوفر المناجم والصناعات ثروة وبتروول روسيا القديمة .

احتج الحلفاء على هذه « الخيانة » وسعوا لاعادة حكم يدخل روسيا الحرب مرة اخرى ويميد انشاء جبهة في الشرق ، ويضع حداً للدعاوة البلشفية في الخارج ويعترف بالديون التي عقدتها الحكومة القيصرية ويحترم الممتلكات الاجنبية . فكان هذا منطلق سياسة التدخل التي تحولت تدريجياً ، بعد هزيمة المانيا ، الى سياسة حرب مباشرة تستهدف اسقاط النظام الجديد . وقد تميزت هذه السياسة اما بانزال جيوش حليفة في الاراضي الروسية ، واما بمساعدة « الروس البيض » المحافظين على اختلاف ميولهم ، والاشتراكيين الثوريين والمنشفيك ، انصار النظام القديم وانصار النظام البرلماني الحر ، وانصار القوميات ومعارض استقلالها ، الراغبين جميعاً في إعادة وحدة روسيا ، بارسال الاسلحة والتجهيزات والاموال والبعثات العسكرية اليهم .

احتل البريطانيون مراكزهم على شواطئ بحر قزوين ، واقاموا حكومة منشيفية - اشتراكية - ثورية في اشكباد واستولوا على مرو . وفي الشمال انزلوا جيوشاً في مورمانسك واركنجلسك بغية اهابة الجيوش الالمانية الموجودة في فنلندا . وفي الشرق انزلت جيوش يابانية الى البر في فلاديفوستوك بحجة تجميع الجيوش التشيكوسلوفاكية المؤلفة من جنود فارين او من اسرى حرب قدماء ينسحبون نحو شاطئ المحيط الهادىء للذهاب الى فرنسا والاشتراك في الحرب .

الحكومات
النامضة للحكومة البلشفية

في الوقت نفسه الذي ابتداء فيه هذا التدخل المباشر ، ساعد الحلفاء مناهضي الحكم البلشفية الذين تنظموا في الداخل ولا سيما في الولايات الدائرية . فقامت ولايات ثائرة مستقلة قلّصت الى حد بعيد الاراضي الخاضعة خضوعاً فعلياً لسلطة حكومة موسكو (شكل ١١) : ثورة « سافتكوف » في « ياروسلاف » في شهر تموز ، تنظيم جيش مناهض للحكم البلشفية في اراضي قوزاق ال « دون » بقيادة « كورنيولوف » و « الكسياف » من بعده ، قيام حكومة « بيضاء » في اركنجلسك ؛ وفي الوقت نفسه اوقف الجنود التشيكوسلوفاكيون انسحابهم وعادوا واتجهوا شطر الغرب واحتلوا سامارا وقازان . وفي ايلول تألفت في « أومسك » حكومة اشتراكية ثورية . ثم أتاح عقد الهدنة في ١١ تشرين الثاني تدخل الحلفاء بنشاط وقوة : نزات جيوش فرنسية في « اوديسا » ، وفي شهر كانون الاول من السنة ١٩١٨ استولى جنود فرنسيون وبولونيون ويونانيون على طريدة ساحلية حول البحر الاسود يناهز

عرضها ١٥٠ كيلومتراً . ومن جهة أخرى قلب بعض ضباط سيبيريا حكومة اومسك وقادوا بالاميرال « كولتشاك » ، رئيساً اعظم لروسيا ، وتحقق توحيد النضال ضد البلشفيك : فان دنيكين الذي خلف « الكسياف » في قيادة جيوش « كوبان » اعترف بسلطة كولتشاك . وقد كتب كليمنصو في ٢١ كانون الاول : « ان مخطط عمل الحلفاء يستهدف محاصرة البلشفيك اقتصادياً وتنظيم الامن على ايدي العناصر الروسية » . فنفذ البرنامج في اوائل السنة ١٩١٩ وخلال الاشهر الاولى منها ؛ ففي الشرق توفق الاميرال كولتشاك ، بمشورة القائدين « جانين » و « نوكس » ، الى ارغام البلشفيك على الانسحاب نحو الفولغا . وتوفق القائد « يودنيتش » ، الذي جهزه البريطانيون بالعتدة ، الى الاستيلاء على بسكوف ويساوغ مشارف بتروغراد ، كما ان دنيكين هدد موسكو بفضل فرقة فرسانه المختارة ؛ ولكنه منذ اواخر السنة ١٩١٩ ارتد الى الورا امام الفرسان الحمر وتخلي عنه القوزاق كما تخلى الاستونيون عن يودنيتش . وفي اوائل السنة ١٩٢٠ كان الانسحاب عاماً . فقد ارغمت جيوش كولتشاك على الهرب سيراً على الاقدام او بواسطة المزالج الى سيبيريا ، وقتل الاميرال رمياً بالرصاص منذ شهر شباط . كما ان دنيكين ، الذي حل « رانجل » محله ، قد عاد يجيوشه الى القرم التي سيجلو عنها في شهر تشرين الثاني . وجاء التهديد الاخير من بولونيا التي قامت بهجوم في اوكرانيا ، فاستولت على كييف في شهر نوار ، ولمكن جيوشها ردت الى الورا وغزيت بولونيا وهددت فارصوفيا ، فأخذها هجوم معاكس في شهر آب ورقعت في شهر تشرين الاول الخطوط الكبرى لمعالجة الصلح التي ستعقد في « ريفا » . وفي اوائل السنة ١٩٢١ توقفت الحرب الاهلية والحرب الخارجية وابيدت الجيوش البيضاء او نفيت ، وفي السنة نفسها سقطت جمهورية جيورجيا المنشعبية التي كان الحلفاء قد اعترفوا بها اعترافاً قانونياً . وحين جلا اليابانيون ، تحت ضغط البريطانيين والاميركيين ، عن الولاية البحرية في شهر ايلول من السنة ١٩٢٢ ، انهار الحكم الابيض في جمهورية الشرق الأقصى التي اعيدت اراضيها الى الوحدة الروسية .

اذن حالف النصر الحكم البلشفيكي . اما اسباب نصره فكثيرة ومتنوعة . فالحلفاء الذين حاربوه توخوا اهدافاً متناقضة احياناً ، كما ان الرئيس ولسون ، الذي عارض كل تدبير من شأنه النيل من وحدة الاراضي الروسية قد كبح بصورة دائمة جراح القائلين بوجوب التدخل . اضاف الى ذلك من جهة ثانية حوادث العصيان والفرار في وسط الجيوش التي ملت الاستمرار في الحرب ؛ ووقوف العمال الفرنسيين والبريطانيين موقفاً عدائياً صريحاً من هذه السياسة ؛ اعتراضات الاتحاد العام للعمل والحزب الاشتراكي الفرنسي ، واعمال الشغب والاضرابات في المدن العمالية الانكليزية ، وتبني حزب العمال هذا الشعار : « لا تمسوا روسيا » . واقتضى اخيراً إرسال جيوش الى الهند ، وايرلندا ، ومقاومة الثورة الهنغارية ، كما ان الاضطرابات في المانيا والخشية من اعراض الحكومة الالمانية عن توقيع معاهدة الصلح قد حدت بالحلفاء الى الفطنة والحكمة . زد على ذلك ان الحملة العسكرية تستلزم ، كي

تكون مجدية ، ٤٠٠.٠٠٠ رجل لم تكن تعبثهم لهذه الغاية موضوع بحث . واخيراً اقتنع انصار إعادة بناء أوروبا في اسرع وقت ممكن ، ومنهم العديد من رجال الاعمال البريطانيين ، بانها عملية مستحيلة اذا ابقيت روسيا على انفراد . وكان من شأن مساعيهم النافذة من اجل إعادة العلائق الاقتصادية بكافة البلدان ان ضعفت سياسة التدخل . فتدخل الحلفاء من ثم عن التدخل المباشر ، وجعلوا عن اوديسا والقفقاس ، واعتمدوا سياسة الحجر الصحي .

اما مناهضو البلشفيكية الروس ، فكانوا هم ايضاً ضعفاء ومنقسمين :
مزينة
الثرة الماكسة
قال اليسار ممثل اعظم قوة شعبية شأنها الاشتراكيون الثوريون
والمنشفيك ، ولكنهم اناطوا الاصلاح الزراعي باقتراح جمعية تأسيسية .

والى اليمين حيث عدد الضباط الشباب لم يكن مرتفعاً ، كانت القوة الى جانب عناصر اليمين واقصى اليمين : كبار الملاكين ، وكبار الموظفين ، ولا سيما الضباط ، وجلهم ملكيون ، الذين لم يتراجعوا عن اعمال العنف في سبيل إزاحة خصومهم واقامة حكومات دكتاتورية . وهو هذا الموقف الهجومي تقفه الطبقات الحاكمة القديمة ما حاددا بالطبقات الشعبية الى الالتحاق بالبلشفيكية . ففي الاقاليم الخاضعة للحكومات المناهضة للبلشفيكية استعاد الملاكون الاراضي السقي انتزعت منهم وحاولوا استعادة سلطتهم على « فلاحهم » ، وكان العمال المشتبه ، دون برهان ، بميولهم البلشفيكية ، موضوع مراقبة وعرضة للتوقيف ، فافتقرت من ثم هذه الحكومات الى مرتكز شعبي ، ولم تتمكن في يوم من الايام من تعبئة جيوش على بعض الأهمية ؛ لا بل انفجرت ثورات قروية هائلة ، حين تألفت وراء جيوش كولتشاك ودينكين زمر انصار ميالة الى مجالس السوفييات او زمر فوضوية فقط كزمر « ماكنو » في اوكرانيا ؛ وجسوات القوميات اخيراً تقف في وجه سياستهم التوحيدية . فان انتصارات يودنيتش الاولى قد احرزت بفضل مساعدة الاستونيين ، ولكن حين رأى هؤلاء ان انتصاره سوف يخضعهم مرة اخرى للسيطرة الروسية ، احبطوا هجومه الذي انتهى الى الفشل ؛ والسبب عينه تخلق قوزاق الدون وكوبان و« ترك » عن كراسنوف ودينكين ؛ وفي اوكرانيا وقف السكان منهم موقفاً عدائياً دائماً ، ولم يقاوم « بتليورا » البلشفيك مقاومته لمناهضتهم . زد على ذلك ان غطرسة القسادة وجلهم وتحكمهم وتقصيرهم ، وما سيطر على ادارتهم وقياداتهم العسكرية من فوضى وتبذير وفساد ، كل ذلك قد ابعد عنهم السكان ، لا سيما وقد ظهوروا لهم وكأنهم عملاء الاجنبي . فالهجوم البولوني بصورة خاصة وغزو اوكرانيا قد اثارا شعوراً وطنياً متأججا انضم بتأثيره الى الجيش الأحمر القائد بروسيلوف ، القائد العام الاخير للجيش القديم ، والعديد من الضباط القيصريين .

وفي وجه « البيض » المنقسمين ، انتصرت الحكومة البلشفيكية بفضل عزم لينين ومعاونيه وذكائهم ؛ وان سلطتها المسلم بها قد اعطت الجيوش التي قامت بعملياتها في مثل هذه المساحات الشاسعة وحدة عمل عجز خصومها عن تحقيقها . وقد طمأننت سياسة السوفييات الاتحادية القوميات وسياسة الحكومة الزراعية الفلاحين ، بينما انطوى برنامج البيض على العودة الى

والوحدة، وعلى إعادة الاراضي الى مالكيها السابقين ، وبدا النظام الجديد اخيراً وكأنه الذائد عن حياض الوطن ضد حلفاء الاجنبي. وقد دعم هذا الموقف المعنوي القوي تنظيم الجيش الاحمر الذي تأسس ، في صيف السنة ١٩١٨ ، من جنود قدماء وعمال شباب وفلاحين استلم زمام قيادتهم ضباط من بينهم او من الجيش القديم نفسه . فان هؤلاء الجنود والفلاحين الذين سبق لهم ، منذ اشهر قليلة ، وولوا الادبار عن الجبهة الالمانية ، ولاذوا بالفرار ، ورفضوا القتال ، قد قبلوا بان يجندوا مرة اخرى حين ادركوا اهمية هذا الصراع ضد عودة قوى الماضي . ولا عجب بعد ذلك اذا ما ارتفع عدد افراد القوى المسلحة من ٣٥٠.٠٠٠ في تشرين الاول من السنة ١٩١٨ الى ١.٥٠٠.٠٠٠ في ايار من السنة ١٩١٩ . وحين اقترب يودنيتش من بتروغراد وبلغت جيوش دنيكين (اوريل) حمل عمال المصانع السلاح وتجنّدوا وعبأ الحزب الشيوعي في اوكرانيا ٩٠ ٪ من عماله وارسلهم للاشتراك في القتال . فكان الجيش الاحمر متفوقاً هداً ومناقبية ، وقد استفاد بالاضافة الى ذلك من مركزه الوسطي ، اي من قدرته على المناورة في الخطوط الداخلية ، ومن وسائل نقل فضلى .

انتهت الحملة على البلشفية الى الفشل اذ ان القوى الحليفة كانت اقل نتائج التدخل والحرب الالهية عدداً من ان تلعب دوراً حاسماً ، و (الحكومات ، المساعدة ، المحدثه ، والمؤلفة تأليفاً صناعياً في بعض الاحيان ، قد برهنت عن عجزها . فهي لم تتقدم يوماً من السكان الا ببرنامج ملكية دستورية يكتنفه الغموض ، بينما لم سلوكها عن تصميمها على إعادة النظام الاجتماعي القديم .

اطال التدخل امس الحرب الالهية وزاد في تفشي الفوضى الادارية واغرق البلاد ، ولا سيما اوكرانيا وسيبيريا ، في بلبلة لم تسمح بها اذن من قبل . فكانت نتيجة الحرب الاقتصادية والحرب الخارجية ، طيلة ثلاث سنوات ، مزبداً من السلب والتقتيل والنهب والبؤس والدمار في كافة الاراضي الروسية .

اختار المهزومون المنفى : فان الروس البيض على اختلاف نزعاتهم ، ويناهاز عدهم المليون نسمة بين ارستوقراطيين وضباط وصناعيين وتجار وممثلي طبقات الاحرار و افراد جيوش رانجل وكولتسك ، ورجال فكر ، واشتراكيين - ثوريين ، وجيورجيين واوكرانيين ، قد اقاموا في منشوريا والصين وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وكافة انحاء الشرق واميركا ، وفرنسا بنوع خاص ، متكيفين جهد المستطاع وفاقاً لظروفهم الجديدة ، وغارقين احياناً في اسوأ حالات البؤس . وقد انقسموا سياسياً الى فئات متعددة حمل بعضها البعض مسؤولية فشل الثورة المعاكسة وتبادلت تهم الخيانة ، ولكنهم ، على الرغم من ذلك ، اثروا على الحكومات وعلى شطر من الرأي العام في البلدان التي لجأوا اليها ، تأثيراً كبيراً وطرد العداء ضد روسيا البلشفية .

لذلك تركت الحرب الالهية اثرها العميق حتى بعد زوال الدمار الذي خلفته وراءها . فان سياسة التدخل وتأثير المهاجرين على الحكومات قد اثبتت للسوفيات تصميم العالم الرأسمالي على

قلب نظامهم بكل وسيلة ممكنة ، وهذا هو مرد حذرهم امام كل تكتل وخوفهم من التطويق والحصار الذي سيرافقهم ابدًا . وبسبب عزلتهم التي فرضها عليهم نظامهم الاجتماعي الجديد وحصار اعدائهم الحاقدين المحيطين بهم ، سيصادفون صعوبات جمة في اعادة الحياة الى اقتصادهم ، وسوف يعوج تطورهم الداخلي الى حد بعيد بفعل اضطرارهم الى تجهيز وابقاء آلة حربية قوية مستعدة لمواجهة كافة التهديدات ، وبفعل حرصهم على ملاشاة كل معارضة من شأنها اضعاف طاقات الامة وعزمهم على الدفاع عن النظام . وليست بعض مميزات الدكتاتورية سوى نتيجة التدخل الحليف وذبوله .

٢ - الشيوعية الحربية والسياسة الاقتصادية الجديدة

١٩٢١ - ١٩٢٤

اقتضى عشر سنوات لانتقال النظام البلشفيكي من الاقتصاد الرأسمالي الى الاشتراكية . فالطبقات الحاكمة القديمة لم تفقد قوتها الاقتصادية والسياسية فحسب ، بل زالت بمعظمها من الوجود مادياً . وصودرت اراضيها ومصانعها وكل الرأسمال الاجنبي . فبدت الظروف من ثم مؤاتية لمراقبة وادارة الانتاج وللسيطرة على مفاتيح الاقتصاد والمصارف ووسائل النقل . ولكن روسيا كانت اكثر البلدان الاوروبية تخلفاً في حقل الصناعة ، من حيث ان المزارعين كانوا يمثلون ٨٠٪ على الاقل من مجموع السكان (نسبة اوروبا الغربية حوالي السنة ١٨٠٠) ، والطبقة العمالية ، التي كانت الركن الركين للحزب البلشفيكي ، لم تمثل سوى اقلية ضئيلة ، واذا وقف ملايين الفلاحين في وجه « البيض » ببسالة ، فهم لم يفعلوا ذلك من اجل السوفييات ، بل لانهم كانوا عالمين بأن هزيمة البلشفيك سوف تفقد الارض التي حصلوا عليها .

ولذلك ادرك البلشفيك الحاجة الى مرحلة انتقالية تؤمن
ازالة الخراب الذي تركته الحرب الخارجية والحرب الأهلية وتعد
الرأي العام لبناء الاشتراكية .

مرحلة الانتقال
التي تكلم عنها لينين

خلال اشهر الثورة الاولى . اشبعت التدابير المعتمدة ، على الفور ، رغائب الفلاحين والعمال والجنود ، ولكن واحداً منها لم يرق طابع الاشتراكية او الشيوعية المميز ؛ فقد نادى بالكثير منها بعض البورجوازيين الراديكاليين . فلم يواجه لينين من ثم - على الفور - اشتراكية وسائل الانتاج وانتزاع املاك الرأسماليين ، بل رقابة الدولة عن كسب على مراكز الاقتصاد الاساسية ، أعني بها المصارف ، فان هذه الأخيرة سوف تؤمم ، كما ستؤمم شركات التأمين والشركات الاحتكارية (سكر ، بترول ، فحم حجري ، صناعة المعادن) ، ويرغم الصناعيون والتجار على الاتحاد في نقابات والتخلي عن السر التجاري ، ويجمع السكان جماعات استهلاكية . ولم يكن المقصود من ثم برنامجاً اشتراكياً ، اعتبر سابقاً لاوانه ، بل نظاماً انتقالياً معداً لأن يؤدي الى الاشتراكية التي لا يمكن تحقيقها ما لم يستطع العمال تأمين المشاريع بأنفسهم ، وما لم يبع سواد

السكان « الحاجة الملحة الى ثورة اشتراكية » .

وزاد من عزم لينين على السير في طريق الفطنة هذه اعتقاده بأن من شأن الثورة الأوروبية الشاملة وحدها ان تتيح لروسيا تحويل النظام الرأسمالي الى نظام اشتراكي . وهو المخطط الذي تعتمد عليه الطبقة الرأسمالية ، كما لفت الانتباه الى ذلك ، ما ارغمه على الشروع في اصلاحات اقتصادية عميقة الجذور قبل ان ينوي القيام بها . فان هذه السياسة كانت تفترض تعاوان الطبقات المملوكة ، والموظفين القدماء ، والفنيين البورجوازيين . والحال رغبت كل هذه القيادة الاقتصادية وسواد المثقفين في جعل كل حكم مستحيلاً وارغام رجال النظام الجديد على الانسحاب ، فقاطعت النظام . لذلك كان من الصعوبة بمكان تنفيذ التدابير المقررة خلال الاسابيع التي تلت الثورة والمدخلة بعد ذلك في قانون العمل الذي صدر في السنة ١٩١٨ : فرض العمل على كافة المواطنين (« من لا يعمل لا يأكل ») ، رقابة عمالية على الصناعة ، تأمين المصارف والارض والتجارة الخارجية ، تنظيم تعاونيات استهلاكية ، مصادرة الاملاك الكبرى دون تعويض ، الغاء حق الملكية العقارية ونقله الى الدولة ، نقل حق التمتع بالارض الى أولئك الذين يحرقونها بأيديهم وتحريم كل عمل زراعي مأجور . ونص القانون على تأليف لجان زراعية من صغار الفلاحين ومتوسطيهم تكون مهمتها مراقبة التقسيم .

الا ان تلف الآلات وسوء حالة وسائل النقل قد حال دون استثمار الارض استثماراً معقولاً ومنظماً ، وأرباب العمل الذين ما زالوا يمتلكون مشاريعهم ساندوا الحركات المناهضة للبشفيكية وأثاروا ارتياب العمال الذين اتهمهم بالتخريب . وعلى الرغم من تدني عدد سكان المدن الكبرى الى أكثر من نصفه في بتروغراد ، و ٤٥٪ في موسكو ، و ٣٣٪ في عواصم اربعين ولاية ، فان تموينهم وتموين الجيش قد اثارا شجوناً كبيراً كادت تقضي على النتائج المرقبة من التدابير المتخذة . وان الحكم الجديد ، الذي حرم من آلة جباية الضرائب القديمة ، لم يستطع تمويل المدن والجيش الا عن طريق المصادرة في الارياف . فلما كان تموين المدن مؤمناً من قبل بفائض انتاج الاملاك الكبرى ، افقد توزيع هذه الاخيرة أسواق المدن ٣٪ القمح الذي يرد عليها . لذلك توجبت المصادرة .

اما الانتاج الصناعي فقد تأخر تأخراً محزناً : ففي السنة ١٩٢٠ لم يبلغ انتاج الحديد المصبوب سوى ٢٥٪ من معدله في السنة ١٩١٣ ، وانتاج الفولاذ سوى ٤٪ ، وانتاج معامل القطن سوى ٥٪ ، وانتاج معامل السكر سوى ٥٨٪ ؛ ولم تواز قيمة البضائع المصنوعة المسلمة للاستهلاك سوى ثمنها في السنة ١٩١٢ . وكانت نتيجة التعبئة وفقدان العديد من العمال ابان الحرب ، ونزوح الكثير من الجياع الى الارياف ، انخفاض عدد العمال ٢٤٪ بالنسبة للمجموع ، و ٣٧٪ في اعمال الخطوط الحديدية ، و ٢٤٪ في أعمال البناء .

شيوعية الحرب في مثل هذه الظروف اعتمدت التدابير التي تميز ما دعي به شيوعية الحرب . فقد استهدفت هذه الاخيرة تنظيم الاستهلاك والانتاج تنظيمًا دقيقًا ملزمًا في بلاد محاصرة ، ولكنها احدثت في نظام الاقتصاد تغييرات نهائية . فهناك اولاً تأمين كافة المشاريع التي تستخدم خمسة عمال على الاقل ، اذا كان لديها محرك واحد ، وعشرة عمال في الحالات الاخرى . وهذا يعني انتزاع ملكية الصناعة الكبرى ومعظم المشاريع الصغرى والمتوسطة ، واستبدال مجرد الرقابة العمالية بالادارة العمالية ، واسناد ادارة كل مشروع الى مدير تعينه النقابات ويعاونه مجلس عمالي منتخب ، وتنظيم انتاج كل فرع من فروع الصناعة الى ادارات مركزية . فأحدثت حينذاك ادارة حصر الحبوب الرسمية و « لجان الفلاحين الفقراء » المكلفة محاربة النفوذ السيامي الذي كان للزراعيين الميسورين من اصحاب الماشية والمعدات والمحرضين على العصيان والمقاومة ، ومصادرة مخازن الحنطة من الفلاحين الاثرياء . واسندت الى هذه اللجان كذلك مهمة توزيع البذار والتجهيزات الزراعية ، وتحديد الاسعار والاجور ، ومراقبة التعاوانيات والاسواق . واخذت تنظم اخيراً ، كلياً او جزئياً ، مزارع جماعية للانتاج والاستهلاك لم يجاوز عددها ، في السنة ١٩٢١ ، ١٪ من كافة الاستثمارات القروية .

الا ان الحرب التي عاثت فساداً ، منذ ست سنوات ، في اغنى الاراضي الزراعية (اوكرانيا) ، لم تخلف فيها سوى الخراب والدمار ؛ فتوجب اللجوء الى فائض انتاج الفلاحين المتوسطين والفقراء والاقتطاع من مؤنهم العائلية ، مما اثار استياءهم وجعلهم يشعرون على اعمال المصادرة وينكمشون على انفسهم ؛ فاجتمعوا عن انتاج كميات تفوق ما يستلزمه استهلاكهم الشخصي ، لا سيما وقد استحال عليهم الحصول على الادوات المنتجة في المصانع والبترول والصابون التي كانوا بحاجة اليها ؛ وانخفضت المساحات المزروعة من ثم ٣٠٪ ، ولم يبلغ محصول السنة ١٩٢٠ سوى ثلثي محصول السنة ١٩١٧ ونصف محصول السنة ١٩١٣ . وبعد ان تخلص الفلاحون ، بفضل هزيمة البيض ، من خطر فقدان الارض وعودة النظام القديم ، وقفوا آنذاك من الحكومة موقفاً معادياً . وبلغ اخيراً من زيادة التضخم المالي ان هذه الاخيرة حاولت جهد المستطاع الحد من دور النقد بتنظيمها ، بين العمال ومستخدمي الدولة ، طريقة معادلة مجانية للخدمات المتمثلة ببطاقات خاصة تؤمن المقايضة والدفع عيناً دون ان توقف ، من جهة ثانية ، تيار التضخم وارتفاع الاسعار الجنوني ؛ فدفعت الاجور عيناً ، وسار النقد ، الذي تزايد انخفاض قيمته يوماً بعد يوم ، في طريق التلاشي والزوال . وهكذا امسى الاقتصاد السوفياتي اقتصاداً طبيعياً ، بفعل تفكك المجتمع والقضاء على القوى المنتجة وندرة المحاصيل واليد العاملة . ولكن مقاطعة خطيرة قامت بين الارياف والمدن ، فصرف النظر عن شيوعية الحرب .

السياسة الاقتصادية الجديدة

في الوقت الذي انتهت فيه الحرب الاهلية ، وجه النداء الى المبادهة الشخصية من اجل اعادة بناء الاقتصاد ؛ فاستبدلت المصادرات بالضريبة العينية ، وشجعت نهضة الصناعة الصغرى الضرورية لتمكين الفلاحين من تنمية انتاجهم ، واعيدت معها الرأسمالية الى حد ما . انه « انكفاء استراتيجي » لم يكن سوى حيلة مؤقتة ، لان جزءاً من تدابير شيوعية الحرب سيعتمد مرة اخرى وسوف يصبح عنصراً اساسياً من عناصر الخطة الخمسية (تأميم ، رقابة الصناعة ، تعبئة العمل) ؛ ولكن تدابير اخرى تتعلق بالشؤون المالية والنقد قد صرف النظر عنها نهائياً . ووضع نظام اقتصاد مختلط صادرت الدولة بموجبه قطاعاً هاماً يشمل وسائل النقل والمصارف والتجارة الخارجية والصناعة الكبرى والمتوسطة . وقد استخدمت مشاريع الدولة هذه من جهة ثانية ٨٤،٥ ٪ من مجموع اليد العاملة انتجت ٩٢،٤ ٪ من الانتاج النقدي ، بينما انتج اقل من ١٥ ٪ من اليد العاملة المأجورة ٢،٧ ٪ منه في التعاونيات ، ووفرت المشاريع الخاصة - ولا سيما التغذية والجلود - ٤،٩ ٪ من قيمة البضائع بواسطة ٢ ٪ فقط من العمال . فيتضح من ثم ان القطاع الصناعي الذي بقي حراً كان ضيقاً جداً .

ان السياسة الاقتصادية الجديدة التي اصبحت سارية المفعول في شهر اذار من السنة ١٩٢١ كانت في جوهرها تنازلاً للفلاحين والمنتجين الذين مست الحاجة الى ترغيبهم في الانتاج . فقد خففت وطأة الضرائب ، وكان للفلاح ، بعد تسديدها ، ملء الحرية في بيع باقي حصيده في الاسواق ؛ وعمل مجدداً ، في الوقت نفسه ، بالاقتصاد النقدي ؛ وألغيت المقايضات المباشرة الالزامية ، وأجيز لصغار الصناعيين اليدويين - على غرار الفلاحين - بيع مصنوعاتهم بحرية ؛ واعاد مصرف الدولة ، الذي تأسس في تشرين الاول ، الحسابات الجارية ، والذي تحديد المبالغ المالية الممكن اقتناؤها ، وأجيز انتقال الاراضي بالارث ، وحظرت بيع العقارات وسمح بتأجيرها ، واجيز اخيراً استخدام العمال المأجورين . وفي السنة ١٩٢٤ استبدلت الضريبة العينية بالضريبة النقدية ، وأوقف تيسار التضخم باصدار نقد جديد اطلق عليه اسم « تشرفونتز » .

وانسجاماً مع مبادئ السياسة الاقتصادية الجديدة ، لم يعد قانون العمل ، الصادر في السنة ١٩٢٢ ، مبنياً على الزامية العمل . (التي يؤكدتها دستور السنة ١٩٢٥ مع ذلك) ؛ فهو قد اوقف العمل بها بالنسبة لشطر كبير من السكان ، ملفياً « عملياً ان لم يكن قانوناً » احد المبادئ الاساسية التي عمل بها في الفترة السابقة ، وعاد الى بعض مفاهيم الاقتصاد الرأسمالي ، فاعتبر عقد العمل بمثابة عقد بيع لطاقة العمل ، وحددت الاجور باتفاقات جماعية تعقد بين النقابات وارباب الاعمال ، وواجه القانون حداً ادنى من المكافأة وحماية العامل معاً ونص في الوقت نفسه على دفع الاجور عن ساعات العمل والقطع المنجزة .

اما الجدة الكبرى في السياسة الاقتصادية الجديدة فكانت في محاولة تنشيط انتاج المواد

الاستهلاكية وتنمية « استقلال ومبادهة » مشاريع الدولة ، بحيث تصبح مسؤولة عن ادارتها الخاصة وتؤمن سيرها بمواردها الخاصة ، وقد واجهت تجميع هذه المشاريع في الاتحادات تعتمد الطرائق نفسها . وفي اواخر السنة ١٩٢٢ كان هناك ٤٢١ اتحاداً خارج صناعة الفحم الحجري والبتروكول ضمّ ٣٨٠ منها ٨٤٠ ٠٠٠ عامل ، وكان اعظمها شأنًا اتحاد صناعات النسيج في « ايفانوفو - فوسنسك » الذي ضم ٥٤ ٠٠٠ عامل ، واستخدم ٢١ اتحاداً اكثر من ١٠ ٠٠٠ في الاتحاد الواحد . وبات الاتحاد الدولة الشكل الرئيسي لتنظيم الصناعة في الدولة السوفياتية .

بفعل هذه التنازلات تقدم انتاج الزراعة تقدماً سريعاً . وعلى الرغم من الجفاف النتائج الذي قضى في السنة ١٩٢١ على محاصيل اوكرانيا ومناطق الفولغا الوسطى ، متسبباً في حدوث مجاعة رهيبية ، فقد ارتفعت المساحات المزروعة من ٦٣ مليون هكتار في السنة ١٩٢٢ الى ٨٢ في السنة ١٩٢٣ ، و ٨٧ في السنة ١٩٢٤ ، و ٩٤ ٤٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٢٧ . وتحسن الدخل ، وارتفع عدد الماشية من ٤٦ مليوناً في السنة ١٩٢٢ الى ٦٢ في السنة ١٩٢٥ . وبفضل حصادي ١٩٢٢ و ١٩٢٣ الوفيرين كاد الانتاج يبلغ مستواه في السنة ١٩١٦ . وتفسر سرعة هذه النهضة بالطابع البدائي للزراعة الروسية : فلم تمس الحاجة لا الى رؤوس اموال ، ولا الى آلات ، ولا الى طرائق معقدة ، بل اغري الفلاح الروسي بعودة التجارة الخاصة ، فماد الى محراثه الخشبي ومنجله . فكان تحسن مصيره من ثم عظيماً جداً اذ ان السياسة الاقتصادية الجديدة قد مكنته من بيع محاصيله بسعر مرتفع ، وقانون الفلاحين الصادر في السنة ١٩٢٢ ضمن له اقتناء الارض ، واستقرار النقد التدريجي حماه من عودة التضخم الذي كان هو اولى ضحاياه ، فرأى نفسه بعد حصاد السنة ١٩٢٢ الوافر ، الذي اتاح تصدير بعض المحاصيل ، على خير ما يرام منذ الثورة .

كان حدوث نهضة على مثل هذه السرعة امراً مستحيلاً في حقول الصناعة . فقد دمر العديد من المصانع أثناء الحرب واهملت الآلات وصدئت وبقيت دون استعمال . وكانت الحرب الاهلية قد شلّت العمال ، فهلك اكثر عناصر الطبقة العمالية نشاطاً واعظمتها وعياً اجتماعياً في ساحات المعارك ، او وزعت على الادارات الجديدة للاشراف عليها . وكان عدد كبير من العمال قد تشتتوا في الأرياف وعادوا مجدداً الى صفوف الفلاحين التي كانوا ينتسبون إليها منذ زمن قريب . أضف الى ذلك ان طلب المواد الاستهلاكية المتزايد واستعادة التجارة الخاصة واقتصاد الكسب نشاطهما قد دفعا بصناعة المواد الاستهلاكية الى الامام ، ولكن الصناعة الثقيلة بقيت مصابة بالشلل . وارتفع الانتاج - مع بقائه متأخراً جداً - ، ففي الصناعات الريفية او اليدوية بلغ ٥٤٪ من مستواه في السنة ١٩١٢ ، وفي الصناعات الصوفية ٥٥٪ ، وفي الصناعات الكتانية ٧٢٪ ، وفي صناعة القطن ، الذي لم تأت مادته الخام الا من تركستان طيلة اكثر من سنتين ، ١٥٠٪ فقط ؛ وفي الصناعات الاستخراجية ٣٦٪ ، وفي البتروكول ٣٩٪ ، وفي صناعة استخراج

المعادن التي تعتبر انطلاقتها ضرورية جداً لتصنيع البلاد لم يبلغ سوى ٧٪ في السنة ١٩٢٢ . وفي السنة ١٩٢٣ لم يستمد مجموع الصناعة سوى ٣٤٪ من طاقتها . وجملة القول ان الزراعة بلغت ٣/٤ انتاجها قبل الحرب بينما لم تبلغ الصناعة سوى ١/٤ انتاجها فقط .

يرد ذلك الى ان السياسة الاقتصادية الجديدة لم تستلزم ، اكراماً للعامل ، تنازلات شبيهة بتلك التي استفاد منها الفلاح . فان طرائق المحاسبة الجديدة التي فرضت على الصناعة ، والزام المشاريع بان تكفي نفسها بنفسها قد حرماها من اعتمادات الدولة المالية ، بينما ارغمتها الحاجة الى دفع الاجور عيناً على تصفية مخزوناتا في السنة ١٩٢١ بأسعار منخفضة نسبياً ، ادنى من اسعار الانتاج . ولذلك عمدت المشاريع ، للتخفيف من الأعباء الملقاة على عاتقها ، الى تسريح شطر من المستخدمين ، فارفع عدد العاطلين عن العمل من ١٥٠ ألفاً في تشرين الاول ١٩٢١ الى ٦٥٠ ألفاً في كانون الثاني ١٩٢٣ و ١٠٢٤٠٠٠٠ في كانون الثاني ١٩٢٤ ، لا سيما في منطقتي موسكو وبتروغراد . وتدنى عدد النقابيين من ٨٠٤٠٠٠٠ في تموز ١٩٢١ الى ٤٠٥٠٠٠٠ في تشرين الاول ١٩٢٢ ولم يرتفع ثانية الى ٥٠٥٠٠٠٠ الا بعد مرور سنة كاملة . ولم تلبث ان برزت نتائج اخرى للسياسة الاقتصادية الجديدة سبق للينين ان ارتقبها منذ السنة ١٩٢١ .

« اذا نحن تكلمنا عن التجارة الحرة ، فهذا يعني تشجيع الاحتكارات ، كما يعني استبدال الاقطاعات العينية بالضرائب ان طبقات المحتكرين ستفقد اقوى واعظم شأناً منها من ذي قبل » .

والواقع هو ان ازدهار الزراعة عاد بالفائدة على ارباء الفلاحين وقد شوهد في الارياف تمييز متزايد مطرد بين الاثرياء والفقراء . فقد هبط البعض الى دون المستوى الضروري للحفاظ على استقلالهم ، واضطروا الى تأجير اراضيهم وسواعدهم لمن هم اوسع ثروة منهم ؛ ومنذ السنة ١٩٢٣ استخدم ٤٠٠٠٠٠ فلاح و ٦٠٠٠٠٠٠ عامل مأجور ، وفي السنة ١٩٢٦ - ١٩٢٧ كان هناك ٥٠٨٠٠٠٠٠ عامل زراعي ، واتسمت هجرة الفلاحين الفقراء الى ما وراء الاورال أو الى المدن حيث رفعوا عدد العاطلين عن العمل .

وفي الصناعة قضت الحاجة الى الانتاج المهدى بنقل الادارة الى « اختصاصيين » ينتسبون الى الطبقات الحاكمة القديمة ، فاعطوا صلاحيات واسعة تتناول الاستخدام والاجور والتسريح . أما التجارة الداخلية ، واعني بها شراء الاتحادات والتعاونيات للكمالات التي تحتاج اليها وتوزيع ما يصنع منها ، فقد كانت حرة وسيطر عليها (بنسبة ٨٣٪ في اوائل السنة ١٩٢٤) رجال الاعمال السابقون وجماعات جديدة ايضاً من المضاربين والمغامرين الذين فرضوا وجودهم وتسلبوا الى التعاونيات التي امسى بعضها مجرد مشاريع خاصة . وقد انفق هؤلاء دون حساب وحققوا ثروات طائلة هربوا منها قسماً الى الخارج . ويروي « كراسين » ان موسكو استعادت وجه ما قبل الحرب بعملها الليلية ومقاهيها ومقارها وبغاياها وسائقي سياراتها المعمومة وخدام مقاهيها الذين حيوا زبائنهم من جديد بلقب « بارين » .

واخيراً اشتد التوتر بين الصناعة والزراعة الذي لم تتوفق السياسة
الزمنية المقص الاقتصادية الجديدة الا الى اخفائه بظواهر كاذبة فترة من الزمن . وفي
اواخر صيف السنة ١٩٢٣ انفجرت أزمة المقص . فان التفاوت بين الاسعار الزراعية والاسعار
الصناعية ، الذي اعتقد المسؤولون بانهم تمكنوا من ايقافه ، قد ازداد بروزاً يوماً بعد يوم .
فكانت اسعار الحمل والمفرق للمنتجات الصناعية ، في شهر تشرين الاول ، ١٨٧ و ١٨١ ٪
بالنسبة لمستواها في السنة ١٩١٣ ، واسعار الحمل والمفرق للمحاصيل الزراعية ٥٨ و ٤٩ ٪ .
وعلى نقيض الازمات السابقة التي كانت منذ السنة ١٩١٧ ازمات حاجية وعوز ، فالمخازن
آنذاك كانت ملاءى والحصاد وفر فائضاً هاماً من المحاصيل الزراعية . فليست علة الازمة من ثم
نقصاً في الانتاج بل استحالة تأمين مقايضة المنتجات الصناعية والزراعية . فالفلاحون ، على
الرغم من حاجتهم ، كانوا عاجزين عن ابتياع المنتجات الصناعية الباهظة الثمن . ومن جهة
ثانية برز قلق العمال باضرابات واسعة انفجرت تلقائياً في الصناعة الثقيلة . فبات لزاماً إعادة
الرقابة على اسعار الحمل ولا سيما المفرق التي سالت من الرقابة بفعل وجودها في ايدي التجارة
الخاصة ، وتخفيض عدد الوسطاء ، فألقي القبض على الوف المضاربين والمغامرين وأبعدوا عن
موسكو . وفي أواخر السنة ١٩٢٣ خفت حدة أزمة المقص . ففي سنتين متواليتين اتاح حصاد
وفير تصدير كميات هامة افضى الى رفع الاسعار الزراعية في الوقت الذي ادى فيه تقلص الديون
والتدابير الرسمية المتخذة لمراقبة الاسعار الى تخفيض الاسعار الصناعية . ولكن الانتاج الصناعي
في السنة ١٩٢٣ لم يبلغ بعد سوى ضعفه في السنة ١٩٢٢ (اسوأ سنة منذ الثورة) ، والصناعة
الثقيلة ، اكثر قطاعات الاقتصاد صعوبة ، لم تجاوز ٣٤ بالمائة من مستواها في
السنة ١٩١٣ .

في السنوات التالية ، واصل الانتاج الزراعي تقدمه ، ولكنه لم يبلغ في السنة ١٩٢٧ الا
٧٢٧ مليون قنطار ، اي اقل من انتاج السنة ١٩١٣ بـ ٤٠ مليوناً ، بينما ارتفع عدد السكان
١٠ ملايين نسمة وبلغت نسبة الارتفاع ٣ ملايين نفس كل سنة ؛ وفي السنتين ١٩٢٨ و ١٩٢٩
استقر الانتاج حوالي هذا الرقم بسبب حد الفلاحين من تسليمهم بعد ان لمسوا ان الحبوب لا توفر
لهم كسباً وفراً . وبات تموين المدن اكثر صعوبة يوماً بعد يوم بسبب نقص الحبوب المرسلة الى
الاسواق التي لم تجاوز ١١ ٪ في السنة ١٩٢٨ (مقابل ٢٥ ٪ في السنة ١٩١٣) . فتكشفت
السياسة الاقتصادية الجديدة من ثم عن عجزها عن تنمية الاشكال الزراعية الانتاجية ، وباتت
البلاد على « ابواب المجاعة » . وزادت حدة التفاوت الاجتماعي ، فاكثرى الفلاحون المسورون
مزيداً من الاراضي واليد العاملة وجمعوا بين ايديهم استخدام الأرض ووسائل الانتاج . ففي
السنة ١٩٢٧ كان لدى ٦ ٪ من الاستثمارات الزراعية ٥٨ ٪ من الحبوب المعدة للتجارة ، وكانت
الاستثمارات « الفقيرة » سائرة نحو الزوال . فتكونت بسرعة من ثم بورجوازية قروية كانت
خطراً على النظام بمصالحها الاقتصادية ونزعاتها الايدولوجية .

في سبيل استمالة هذه الطبقة اضطرت الحكومة الى رفع سعر شراء القمح كل سنة ، جساعة حياة سكان المدن وتوازن الموازنة ، وبالتالي تصنيع البلاد ، اشد صعوبة سنة بعد سنة ، فبات الكولاك ، بفضل المخزونات التي كدسوها ، قادرين في السنة ١٩٢٨ على تجويع المدن . اما الانتاج الصناعي ، اذا استثنينا الطاقة الكهربائية ، فلم يحقق سوى نتائج متوسطة ، وكانت الصناعة الثقيلة متأخرة بصورة خاصة . واذا اخذنا تزايد عدد السكان بعين الاعتبار ، رأينا استهلاك الفرد ينخفض في كافة الحقول بالنسبة للسنة ١٩١٣ ، ونقص البضائع يتزايد اكثر فاكثرا ، واسعار الكلفة ترتفع ارتفاعاً كبيراً (اعلى منها في الاسواق العالمية بمرتين ونصف على الرغم من ان الاجور كانت اكثر تدنيا) بسبب دروس المعدات وبعثرة المواد الخام والنفقات الادارية . ولم يكن الوضع المالي احسن حالاً : فالدولة لم تستطع سد عجزها الا بقروض عقدها بفوائد مرتفعة جداً لدى الكولاك الذين تعاظم تأثيرهم الاقتصادي بفعل ذلك ، وباصدار اوراق نقدية خفضت قيمة الروبية ، وبالتالي قيمتها الشرائية .

وخاب كذلك الامل في الحصول على رؤوس الاموال من الخارج .
« السياسة الاقتصادية الجديدة »
فبعوازة السياسة الاقتصادية الجديدة في الداخل ، اعتمدت الدبلوماسية سياسة اقتصادية جديدة في السياسة الخارجية . ومع ارتجاء لينين لنجاح الثورات البروليتارية الخارجية ، فانه تدارك ان روسيا اعجز من ان تتطور داخلياً وتواجه حرباً خارجية في آن واحد ؛ كما ادرك اهمية مكسب الوقت بالنسبة لها ؛ وهذا ما جعله يوقع في « برست ليتوفسك » ، معاهدة تلسيت ، التي عيره خصومه بها . ومع ان حروب التدخل قد اثبتت له بطلان ارتجاء المساعدة من البلدان الرأسمالية ، فانه قد سعى لاعادة العلاقات الطبيعية بالدول الاخرى الى حالها . وقد تحدت هذه السياسة الاقتصادية الجديدة بالمفاوضات التجارية مع انكلترا في ١٩٢٠ - ١٩٢١ ولا سيما بمعاهدة « رابالو » في السنة ١٩٢٢ - التي حطمت حصار الدول لروسيا - وبمعاهدات الصداقة والحياد التي عقدت مع البلدان المجاورة ، وبالاسهام في المؤتمرات الدولية المنعقدة باشراف جمعية الامم ، الخ . ولكن هذه الجهود لم تضع حداً للعداء الذي استهدف روسيا ، حتى في آسيا ، حيث عقدت معاهدات مع تركيا وايران وافغانستان تخلت فيها روسيا عن « المعاهدات غير المتساوية » وعن الامتيازات التي كان الحكم القيصري قد حصل عليها ؛ وهي معاهدة السنة ١٩٢٣ مع « صن يات صن » وحمدها ما اتاح لروسيا ان تلعب دوراً ناشطاً خارج حدودها . ثم اعترفت معظم الدول الكبرى والصغرى بحكمها في السنتين ١٩٢٤ و ١٩٢٥ ، ولكنها بقيت منعزلة عملياً . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان فشل محاولة الثورة البلشفية في المانيا في السنة ١٩٢٣ ، بعد ازمة الرور ، قد جاء دليلاً على ان الآمال في اندلاع الثورة في اوروبا كانت سابقة لاوانها .

فقد اثبت الاختبار من ثم ، على الصعيد السيامي والصعيد الاقتصادي معاً ، ان الاتحاد السوفياتي يجب الا يعتمد الا على نفسه .

خلال السنوات التي شكتلت ، منذ مرض لينين ، ما عرف بفترة
الخلا ، بين السنة ١٩٢٣ والسنة ١٩٢٩ ، أعدت ، تحت تأثير
السياسة الاقتصادية الجديدة
مصاعب السياسة الاقتصادية الجديدة في الداخل وفشل السياسة
الاقتصادية الجديدة الدبلوماسية ، الحل الذي سيقرر اعتماده ، اعني به حل « الاشتراكية في
بلاد واحدة » .

ان عداء الحكومات والطبقات الحاكمة ، التي اعتبرت السياسة الاقتصادية الجديدة بمثابة
اقرار بالضعف ، والخطوة الاولى التي خطاها « كلب اوروبا الكلب » نحو « العودة الى العقل » ،
والمساعدة والحماية اللتين توفرنا للمهاجرين ، والمجلات الصحفية المستمرة ، وذكريات حرب
التدخل ، وضعف الاحزاب الشيوعية الخارجية الذي خيب الآمال ، كل ذلك يفسر وقوف
الحكم السوفيياتي الدائم ، طيلة هذه الفترة ، موقف الحذر من العالم الرأسمالي ، وكابوس الخشية
من التحالف المناهض له الذي تخيل له قيامه في كل يوم . وفي كافة مجموعات الوثائق الدبلوماسية
السوفيياتية ما يثبت هذه الحالة النفسية . فقد « ظن » بمشروع « داووز » انه يعد « جبهة متحدة
من الدول الرأسمالية ضد الاتحاد » ، وباتفاق لوكارنو انه يطلق أيدي المانيا في الشرق « لمواصلة
سياسة تطويق الاتحاد السوفيياتي » . وفي السنة ١٩٢٧ اثار قطع العلاقات الدبلوماسية بين
بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيياتي ، ومقاطعة « تشان كاي تشك » للشيوعيين الصينيين قلقاً
وجزعاً كبيرين ، فصرح ستالين ان « المسألة الهامة اليوم هي خطر حرب استعمارية جديدة » ؛
وقد اضاف الى ذلك قوله : « ان التعايش السلمي بين الاتحاد السوفيياتي والبلدان الرأسمالية ،
الذي قام حتى الآن ، قد دخل في التاريخ » .

توفقت السياسة الاقتصادية الجديدة الى انهاض الزراعة واستمالة الفلاحين الى النظام الجديد
والدفع بالصناعة الى الامام ؛ ولكنها تسببت في قيام طبقة قروية ميسورة وبورجوازية مؤلفة
جزئياً من أعضاء الطبقات الحاكمة القديمة لعبت دوراً متزايد الأهمية في الحياة الاقتصادية .
فلم يتأخر بناء الاشتراكية فحسب ، بل ارتسمت في الافق عودة النظام البائد الهجومي . بينا
اتضح ان الطبقة العمالية التي قامت بالثورة وكانت خير حماة لم تستفد استفادة تذكر من النظام
الاقتصادي ؛ واخيراً كانت الصناعة الثقيلة ، المعول عليها في بناء مجتمع اشتراكي مستقل
ومزدهر ، اعجزت ان تتقدم ، في اطار السياسة الاقتصادية الجديدة ، تقدماً هاماً وسريعاً ،
بسبب افتقارها الى رؤوس الاموال في الدرجة الاولى .

انعكست كافة هذه المتناقضات في تضارب الاتجاهات داخل الحزب الشيوعي نفسه حين
افقده موت لينين زعيماً كبيراً اعترف بفضل كافة الاعضاء . وبعد سبع سنوات في ظل السياسة
الاقتصادية الجديدة وجد الاتحاد نفسه امام مأزق ؛ فانطلاقة الزراعة اعاقبتها تجزئة الاراضي
وفقدان المعدات العصرية ، والمنتجات الزراعية والصناعية لم تتوفر للاسواق الداخلية ،
وتدني الصادرات هدد بالحد من استيراد الحامات الضرورية ، والتوتر بين المدن والريف زادت

حدثه ، وروسيا عجزت عن توفير رؤوس الاموال التي كانت بحاجة اليها لتنمية اقتصادها ، لذلك اضطر النظام السوفيياتي الى التخلي عن السياسة الاقتصادية الجديدة خوفاً من ان يرغب على اعادة نظام رأسمالي صرف ، وان يرغب من ثم على الزوال . لذلك فرضت اعتبارات السياسة الداخلية والخارجية هذه ،التبديل الذي اقره المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي حين شرع في تنفيذ الخطة الخمسية الاولى .

الفصل الثاني

الارتقاء الى مصاف الدول الاقتصادية الكبرى الانكماش والتنظيم الاقتصادي الجديد

١ - الخطط الخمسية

هي الاسباب العملية ، لا الاسباب النظرية ، ما فرضت سياسة الخطط الخمسية ؛ المنفذ الوحيد الذي كان امام الحكم السوفياتي للخروج من مأزق السياسة الاقتصادية الجديدة ، وهو حل متأخر وشبه ميؤوس منه يفسر طابعه الجذري منذ البدء .

اثبتت الاملاك الصغرى المألوفة انها غير خلية بزيادة الانتاج والطاقة الانتاجية ، ولن يكون خليفاً بها سوى استثمارات زراعية رسمية كبرى او تعاونيات تستخدم آلات متقنة وتمتد طرائق عملية . وكي توضع في تصرفها معدات عصرية وفيرة ، من جرارات ومحاصد ودراسات واسمدة كيميائية ، وكي يؤمن كذلك استقلال البلاد ، يقتضي صناعة قوية ولا سيما في حقل استخراج وانتاج الحديد والحديد المصبوب والفولاذ ؛ وسوف يتيح استخدام الآلات في الزراعة تزايد الانتاج بيد عاملة اقل عدداً ، فيتحول العمال الذين يستغنى عنهم الى الصناعة ، ويمكن اذ ذاك رفع مستوى الجماهير القروية والمدنية ، وازالة الاختلافات جزئياً بين المدن والارياف ، وجعل الانسان سيد الانتاج لا مقيداً بقوانين الاسواق التجارية .

اعداد الخطة
هذا هو البرنامج الذي اتجه اليه الحزب الشيوعي خلال السنتين ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ؛ فقد وقف ستالين موقفاً عدائياً صريحاً من الاقتصاد القروي الصغير في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩٢٩ بمقاله الشهير ، « سنة الازمة الكبرى » ، الذي برر التصنيع وعمله . وسوف يبدأ حينذاك الاختبار الكبير الاول للتخطيط المعد « لان يحدث ،

على مستوى قارة وفي اطارها ، انظمة اقتصادية جديدة . . وسينفذ التصنيع والتأميم لمصلحة الجماعات في وقت واحد ، وفاقاً لتصميم واضح مدروس بكل دقة . وقد سبق ، منذ سنوات عدة ، ان يوشر جمع وثائق احصائية ، وان وضعت برامج اقتصادية لهذا الفرع او ذاك من فروع الصناعة ، وان اسند منذ السنة ١٩٢٠ الى لجنة الكهرباء الروسية الشاملة (غويلرو) ، ومنذ السنة ١٩٢١ الى لجنة مجلس العمل والدفاع (غوسبلان) اعداد تصميم شامل واحد ؛ وقد استمرت هذه الاعمال والدروس حتى بعد ان افضى اعتماد السياسة الاقتصادية الجديدة الى ارجاء كل تخطيط .

ما ان تقرر « المدول عن حافز المنافسة الرأسمالية » ، حتى عهد الغوسبلان ، بالاتفاق مع لجأت التصميم المؤلفة في المناطق (اوبلبلان) والدوائر (رايبلان) والمدن (غوربلان) وخلايا المشاريع ، الى مباشرة عمل مراجعة الدروس السابقة وتنسيقها . فلم تكن الخطة الخمسية الاولى من ثم مرتجلة ارجحاً ، اذ ان اعدادها الفطري استغرق سبع سنوات واعدادها التقني استلزم سنتين .

بعد اقراره « شمول التصميم كافة النشاطات الصناعية » ، اتخذ الحكم السوفياتي قراراً ثانياً بالغ الاهمية : حصر الجهود في القطاعات التي تتحكم بكافة القطاعات الاخرى : الطاقة ، الصناعة الثقيلة ، صناعات المواد الانتاجية التي سوف تتيح ، في المستقبل ، زيادة المواد الاستهلاكية بسرعة ، واضعاً بذلك رفع مستوى معيشة السكان في المرتبة الثانية . « وبعد مدة طويلة اثبت هذا البرهان انه ينطوي على مزيد من الفطنة والفعالية » (الاب شامبر) ، ولكن الصعوبات التي اضطدم بها كانت عظيمة جداً : وفي الدرجة الاولى الافتقار الى رؤوس الاموال باحجام العالم الرأسمالي عن الاقتراض ، الذي جعل استيراد التجهيزات بكميات كبرى امراً مستحيلاً . فتوجب البحث من ثم عن الوسائل الضرورية لبناء صناعة قوية في الموارد الداخلية دون غيرها ، وتطوير الاقتصاد في استقلال اقتصادي حقيقي . وتوجب كذلك ، من جهة ثانية ، تحقيق تصنيع سريع وتأميم زراعي معاً ، اي احداث ثورة اجتماعية عميقة في هذا الحقل . واخيراً ، في الفترة التي تلت السنة ١٩٣٠ ، فرض خطر الحرب ومستلزمات الدفاع خطوة سريعة جديدة في التصنيع وتحويلات غير مرتقبة في التصاميم الجاري تنفيذها . ولكن هذا التنفيذ قد غير شكل العالم في سنوات معدودة ؛ ففي غضون عشر سنوات جعل من بلاد متخلفة دولة اقتصادية عظمى ؛ وقلب في الوقت نفسه نظام المجتمع السوفياتي رأساً على عقب .

لحظت الخطة (بياتيلسكا) ان مجموع الانتاج سيضاعف ،	الخطة الخمسية الاولى
ولكن من حيث هي استهدفت تصنيع البلاد ولا سيما تنمية الصناعة	١٩٢٨ - ١٩٣٣
الثقيلة بنوع خاص ، فقد توجب ان ينتقل نصيب الصناعة من ٦٠٠ ٨	
مليون روبية الى ٨٠٠ ٢٥ اي بزيادة ٣٠٠٪ ، ونصيب الكهرباء من ١٠٠٠ مليون الى ٥٣٠٠	
مليون اي بزيادة ٥٣٠٪ ، اما نصيب الزراعة فلن ينتقل الا من ٢٨٠ ٢٠٠ ٠٠٠ الى ٣٨٠ ٩٠٠ ٠٠٠	

أي زيادة ٣٦ ٪ فقط . وقد اختلفت نسبة الزيادة في كل فرع من فروع الصناعة : ٣,٣ في وسائل الانتاج ، و ٢ فقط في المواد الاستهلاكية ، وعلى صناعة التعدين ان تزيد طاقتها الانتاجية ثلاثة اضعاف ، والصناعة الكيميائية خمسة اضعاف ، وصناعة مواد البناء ثلاثة اضعاف ونصف الضعف ، وصناعة انتاج المحروقات الجامدة ضعفين ونصف الضعف . وسوف ينتقل عدد عمال الصناعة من ١١ الى ١٦ مليوناً . وسوف يؤمن التمويل ، الذي سيستلزم ٨٠ مليار روبية ، من زيادة قيمة العمل القومي : كل سنة تقطع الموازنة ٣٠ ٪ من الدخل القومي لتوظف في المشاريع ، وتضاف الى ذلك القروض التي يؤمنها التوفير وزيادة الصادرات على الواردات الضرورية بغية التمكين من شراء الادوات اللازمة من الخارج (سيتوجب تصدير خمسة الى ثمانية ملايين طن حبوباً) .

يجب ان يحقق هذا التصنيع في اطار الوحدات الاقتصادية الكبرى : المشاريع والمناطق . وسوف يكون للمصانع الجديدة اتساع وطاقات اعم المصانع الاميركية : محطة دذير الكهربائية ، المجموعات التمديدية في ماغنييتوغورسك وكوزنتسك وكريفوي - روغ وزابورويه ، ومصانع الجرارات في ستالينغراد ، ومصانع الآلات الزراعية في روستوف ونيجنني - نونفورود ، وسوف تنشأ مراكز صناعية جديدة واستثمارات منجمية جديدة في الشرق ، في الاورال وآسيا ، بعيداً عن المواسم والحدود ، في ماغنييتوغورسك وكوزنتسك وقاراغندا ، الخ ...

كان تحقيق هذه الخطوة الاولى ناقصاً وغير متساو وتميز بتوقفات فجائية تحدتها
وصعوبات غير مرتقبة نجمت اما من حصاد سيء ، واما عن الازمة العالمية التي خفضت حجم وقيمة التجارة الخارجية الى مستوى متدن جداً . وجاء النقص في اليد العاملة ، المؤهلة وغير المؤهلة على السواء ، ووسائل النقل للتجارة المتزايدة ، يزيد في الطين بلة . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان نتائج السنة الاولى ، التي فاقت كل التقديرات ، قد ولدت تفاؤلاً عظيماً حمل على الاسراع في تنفيذ الخطوة واطلاق صيغة «تحقيق الخطوة في اربع سنوات» ؛ ولكن سرعان ما توجب التخلي عن هذه الصيغة امام الاستياء الذي اثاره الاسراع في التأميم وانتزاع الملكية وانخفاض مستوى المعيشة الذي فرضه هذا المجهود . وخلال السنة الثانية انتهت بعض القطاعات الهامة ، كالقمح الحجري والفولاذ والحديد المصبوب ، الى عجز جسيم بالنسبة للتقديرات ؛ ولكن الوضع تحسن خلال السنة الثالثة حين بوشر العمل في بعض المصانع الكبرى ، وحين ادت زيادة الانتاج الزراعي ، بفضل استخدام الآلات ، الى جعل التموين اسهل منالاً . وجملة القول ان النتيجة النهائية انطوت على بعض التفاوت : اذا ما تحقق مشروع صنع الآلات بنسبة ١٨١,٢ ٪ ، والتجهيز الكهربائي بنسبة ١٣٦ ٪ ، وانتاج البترول بنسبة ١٠٢ ٪ ، فان استخراج الفحم الحجري لم يحقق الا بنسبة ٨٦ ٪ والفولاذ بنسبة ٥٧ ٪ والحديد المصبوب بنسبة ٦٢ ٪ . والصوفيات بنسبة ٣٤ ٪ (نتيجة لابادة المواشي) ، والسكر بنسبة ٣٢ بالمائة . اما الاموال الموظفة ، فاذا بدا انها وظفت ١٠٠ ٪ بالارقام المطلقة ، فان ارتفاع الاسعار الذي بلغ ٣٢ بالمائة

(بينا 'قدر انها ستخفض بنسبة ٢٣ ٪) قد كذب كافة التقديرات .

بينما ضعي بكل شيء في الخطة الخمسية الاولى على مذبج ما اعتبر
جوهرياً : الصناعة الثقيلة وزيادة المساحات المزروعة ، على
حساب فروع الانتاج الاخرى : الصناعة الخفيفة ، وسائل النقل
محاصيل الزراعة ، الخ . ، تميزت المرحلة التالية بتخطيط كافة قطاعات الاقتصاد تخطيطاً اكثر
تساوياً على الرغم من ان بعضها قد اعير اهمية خاصة . يضاف الى ذلك ان تحقيق الخطة قد اصبح
اكثر سهولة بفضل اعتمادات اكثر وفرة وتمويل اكثر تيسراً .

الخطتان الخمسيتان
الثانية والثالثة

في آخر الخطة الثانية (١٩٣٣ - ١٩٣٧) ازدادت الصناعة الثقيلة ، منذ السنة ١٩٢٨ ،
٦,٩ اضعاف والصناعة الخفيفة ٣,٩ اضعاف . وبلغ تحقيق الخطة العام ١٠٢ ٪ ، ولكن
التوزيع كان على بعض التباين : ١٠٧ ٪ في صناعة الاحذية و ١٠٤ ٪ في صناعة السكر ،
١٠٠ ٪ في صناعة تصفيح المعادن و ١٠٤ ٪ في صناعة الفولاذ ، و ٩٦ ٪ في الكهرباء ، و ٩١ ٪ في
الحديد المصبوب ، و ٨٩ ٪ في استخراج الفحم الحجري ، و ٦٤ ٪ فقط في صناعة القطنيات و ٤٦ ٪
في صناعة الصوفيات . أما الخطة الثالثة المطلوب منها إنماء صناعات التخصص ، ولا سيما الصناعات
الكيميائية ، فكان مقدراً لتقدمها ان يكون اعظم سرعة من تقدم الخطتين السابقتين ؛ ولكن
الحرب العالمية الثانية اوقفت تحقيقها الذي ربما كان بلغ ٧٠ ٪ في السنة ١٩٤١ على الرغم من
ارتفاع النفقات العسكرية ارتفاعاً كبيراً (منذ السنة ١٩٣٦) .

حين ادخل الهجوم الالماني الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية
الثانية ، كان التصنيع واقعاً راهناً والتأميم الزراعي امراً منجزاً
عملياً ؛ فألغيت التجارة والصناعة الخاصة ، واضطربت كافة علائق الدولة الصناعية : لقد غدا
الاتحاد الدولة الاقتصادية الثالثة في العالم والثانية في اوروبا ، وغدا الدولة الثانية في العالم في حقل
انتاج الحديد والبتروول والذهب ، والثالثة في حقل انتاج الطاقة الكهربائية والحديد المصبوب
والفولاذ والقطن ، والرابعة في حقل انتاج الفحم الحجري ومحركات السيارات ، الخ . . ولعل
خير مثل على هذا التطور انطلاقة الكهرباء التي قفزت من انتاج ٢٥٠٠ مليون كيلوات ساعة
في السنة ١٩٢٨ الى ٤٠ ملياراً في السنة ١٩٣٨ . وقد انتجت هذه الطاقة معامل حرارية واسعة ،
ومعامل مائية ايضاً فان اهمها معمل الدنيبر السفلي الذي انشئ بين السنة ١٩٢٧ والسنة ١٩٣٢
واقام تسيير ٩ عنفات بقوة ١٠٠,٠٠٠ حصان ، وحدث الشيء نفسه في صناعة المطاط - الشبه
المعدومة حتى هذا التاريخ - التي سدت نصف الحاجات ، وقد استخدمت النباتات الصمغية
المبلدة وانتجت المطاط التركيبي .

النتائج في السنة ١٩٤٠

وحسنت وسائل النقل تحسيناً عظيماً ، ولكنها ما زالت احد عوائق الاقتصاد الرئيسية .
وحسنت كذلك شبكة الأتقنية والانهر بقناة البلطيك - البحر الابيض التي فتحت في السنة
١٩٣٣ ، وقناة موسكوفا - فولغا التي انجزت في السنة ١٩٣٧ وجعلت من موسكو مرفأً نهرياً

كبيراً ، ولكن وسيلة النقل الرئيسية كانت السكك الحديدية. فقد المجزت اعمال كبرى جدت الخط الحديدي عبر سيبيريا بين اومسك وتشليابنسك ، والخطوط الحديدية بين موسكو ولينينغراد وال « دونباس » ، وبين اركانجلسك وموسكو ، وأعيد بناء الخط الحديدي بين موسكو وخاركوف ، وتحقيق خط « توركسيد » وخطوط الاورال - كوزنتسك ، وقاراغندا - بالكاش ، والاورال - قاراغندا ، ووضع اخيراً مشروع خط ستراتيجي من شأنه تسهيل استثمار وادي ال « آمور » الاسفل بغية ربط بايكال بالحيط الهادي ، هو خط بايكال - آمورسكي - ماجيسترال .

تبدل وجه هذه الصناعة تبداً كبيراً لا لأن اهميتها المطلقة قد ازدادت الى حد بعيد فحسب ، بل لأن نظامها وتوزيعها الجغرافي قد انقلبا رأساً على عقب ايضاً. فان صناعة انتاج المواد الاستهلاكية التي كانت في السنة ١٩١٣ ضعف صناعة مواد الانتاج والتي ما زالت في السنة ١٩٢٩ تفوقها بنسبة ٥٠ بالمائة ، لم تبلغ في السنة ١٩٤٠ سوى ٦٧ بالمائة منها اذ ان نسبة الزيادة قد بلغت ٢٢ في مواد الانتاج و ٦٠٥ فقط في المواد الاستهلاكية . وزاد الانتاج الزراعي ٥٧ بالمائة بالنسبة للسنة ١٩١٣ (٣٢ بالمائة للحبوب ، ٩٨ بالمائة للشمندر السكري ، ٢٨١ بالمائة للقطن) ، ولكن الانتاج الصناعي زاد بنسبة ٧١٤ بالمائة . أما مركز الاتحاد في التجارة العالمية ، الذي كان ابدأً محدوداً ، فقد تضاعف اكثر فاكثراً : بعد ان قدنى الى ١٠٤ بالمائة من التجارة العالمية ، ارتفع الى ٢٠٣ بالمائة في السنة ١٩٣٢ ثم عاد فهبط الى ١٠٣ بالمائة في السنة ١٩٣٧ ، وكان ذلك نتيجة الازمة العالمية وتزايد الاستهلاك الداخلي الذي لم يترك للتصدير سوى ٨ بالمائة من الانتاج القومي مقابل ١١٠٦ في السنة ١٩١٣ . وهناك تبدل آخر يظهر تطور النظام الاقتصادي في البلاد ، اعني به تزايد نسبة المنتجات المصنوعة في الصادرات ، التي ارتفعت من ٢٩٠٤ بالمائة في ١٩٠٩ - ١٩١٣ الى ٦٨٠١ بالمائة في السنة ١٩٣٢ ، وفي الوقت نفسه تزايد نسبة استيراد الخامات .

ويزيد في أهمية هذه الانطلاقة انها صادفت في الزمن الازمة الاقتصادية الدائمة التي ثقلت وطأتها على العالم الرأسمالي ، حين هبط فيه الانتاج بسرعة وبشكل محسوس لم يعرفها من ذي قبل . ففي السنة ١٩٢٨ بلغ الانتاج الصناعي في الولايات المتحدة ٤٤٠٨ بالمائة من الانتاج العالمي ، وفي المانيا ١١٠٦ بالمائة ، وفي بريطانيا العظمى ٩٠٣ بالمائة ، وفي روسيا ٤٠٧ بالمائة ، وفي السنة ١٩٣٢ تغيرت النسبة في كل من هذه الدول كما يلي : ٣٤٠٤ ، ٨٠٩ ، ١١٠٣ ، ١٣٠١ بالمائة . ويتضح من ذلك ، خلال السنوات العشر الممتدة بين اوائل الازمة والحرب العالمية الثانية ، ان العالم الرأسمالي لم يستطع بلوغ مستوى الانتاج في السنة ١٩٢٩ الا بصعوبة كبرى ، بينما رفع الاتحاد السوفياتي مستواه مرات عدة . وبينما لم تبلغ اليابان والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، خلال عهد انطلاقتها الكبرى ، سوى نسبة زيادة سنوية تقارب

٥ بالمائة ، حقق الاتحاد السوفياتي بين السنة ١٩٢٨ والسنة ١٩٤٠ زيادة ١٣ - ١٤ بالمائة سنوياً ، اي ضعفين وثلاثة أضعاف واربعة أضعاف نسبة الزيادة الطويلة الأجل في البلدان الرأسمالية . وان مقارنة هذا الرقم بأرقام أوروبا الغربية التي كان معدل الزيادة فيها ٥ و ٣ بالمائة بين السنة ١٩٠٠ والسنة ١٩٢٩ ، وبرقم أوروبا جمعاء (باستثناء الاتحاد السوفياتي) بين السنة ١٩١٣ والسنة ١٩٣٨ ، حيث تراوح معدل الزيادة بين ١٥ و ١٧ بالمائة ، لدليل على ان هذا التقدم كان بالغ السرعة .

احرز التقدم بفضل اعداد الاختصاصيين بتعليم تقني تأسست مدارس كثيرة بغية توزيعه ، والاستعانة بأكثر من ٢٠ ٠٠٠ فني واختصاصي اجني ، الماني او اميركي - من امثال « هيو كوبر » الذي وضع التصاميم لسدّ الدنيبر - ، وتنظيم العمل تنظيماً عقلياً جعل عامل المناجم « ستاخانوف » يستخرج اكثر من ١٠٠ طن فحمًا حجرياً (مقابل معدل ٦ و ٥) في يوم عمل واحد ، و « المنافسة الاشتراكية » التي دفعت ، في كافة فروع الصناعة ، الى ضرب ارقام إنتاجية قياسية .

لم يتوقف الاتحاد السوفياتي من ثم في مراحل الثورة الصناعية . فحتى ذاك التاريخ لم تحقق البلدان الزراعية تصنيعها الا ببطء ولم تتوفق الى ذلك الا بالارتباط مالياً بالدول الرأسمالية المتقدمة ؛ اما الاتحاد السوفياتي فقد بات في السنة ١٩٣٩ الدولة الصناعية الثالثة في العالم دون ان يضحي بشيء من استقلاله لمصلحة الدائنين الأجانب ، وبات لديه الآن المرتكز الصناعي المتين اللازم لكل دولة عسكرية . الا ان مستوى الانتاج بالنسبة للشخص الواحد ما زال ادنى منه في البلدان الصناعية الأخرى الى حد بعيد : ٣ و ٤ مرات اقل منه في الولايات المتحدة ، ٢ و ٧ اقل منه في انكلترا ، نصفه في المانيا ، ادنى منه قليلاً في فرنسا .

وقامت الجدة الكبرى أخيراً في الطابع النظامي والشامل الذي ارتداه تدخل الدولة في الاقتصاد .

فحتى ذاك التاريخ أقرت بعض انواع الرقابة خلال الحرب وبذلت الجهود في كافة الدول المحاربة لتوجيه الاقتصاد ، ولكن هذه الرقابة وهذه الجهود لم تكن سوى حيل فرضتها الظروف وقد اهملت منذ توقف الأعمال الحربية . وحين اقدم الاتحاد السوفياتي على تنفيذ الخطة الخمسية الأولى ، كان هو الدولة الاولى التي تتولى ، عن قصد وتصميم ، وفي ايام السلم ، رقابة مجموع نظامها الاقتصادي وإعادة تنظيمه . فاعطى بذلك مثلاً سارت عليه دول كثيرة فيما بعد . يضاف الى هذا ان الهدف هنا لم يكن تنسيق نشاط اقتصاد بلاد في إطار النظام القائم فحسب ، بل تحويله كلياً وتبديل النظام الاجتماعي بأكمله .

٢ - تحول قارة

ادى التصنيع والتأميم الى تحول عميق في الشكل الطبيعي « للجزء السادس من العالم » الذي يؤلفه الاتحاد السوفياتي ، فقد انقلب توزيع الكتل البشرية وتوزيع مراكز الانتاج رأساً على عقب ، بينما تبدلت طرائق الانتاج نفسها ايضاً .

على غرار الولايات المتحدة التي يبرز فيها التضاد الكبير نفسه بين الانطلاقة الديموغرافية سكان قليلي العدد نسبياً وموارد وفيرة ومتنوعة ، استطاع الاتحاد السوفياتي الاستفادة في وقت واحد من انطلاقة ديموغرافية عظيمة الشأن ومن تقدم اقتصادي سريع الخطى . فقد قدر عدد السكان بـ ١٤٥ مليوناً في السنة ١٩١٤ (في حدود ما بعد الحرب) ، فبلغ في السنة ١٩٢٦ ، عند الاحصاء الاول ، ١٤٧ مليون نسمة . وقدرت الخسائر بالارواح الناجمة عن الحرب ، والابوة - لا سيما التيفوس - وسوء التغذية والمجاعة في ١٩٢١ - ١٩٢٢ ، ومذابح الحرب الاهلية ، والهجرة السياسية ، بـ ١٥ الى ٢٥ مليوناً . ومنذ نهاية الحرب الاهلية ، اصبح الازدياد سريعاً على الرغم من الوفيات الناجمة في ١٩٣٢ - ١٩٣٣ عن المجاعة الكبرى التي فتكت قسماً كبيراً من سكان اوكرانيا ومنطقة الفولغا الاسفل وبعض المحاء سيبيريا الغربية . فارتفعت زيادة الولادات بالنسبة للوفيات ، في القسم الاوروي ، من ١٩٠٣ ٪ في السنة ١٩٢٣ الى ٢٤ ٪ في السنة ١٩٢٤ ، وبلغت ١٩ ٪ في مجموع المحاء الاتحاد في السنة ١٩٣٠ ، ثم ارتفعت الى ٢٠،٥ بالمائة في السنة ١٩٣٨ . وقد بلغ عدد السكان ، في السنة ١٩٣٩ ، ١٧٠ مليون نسمة اي بزيادة ٢٣ مليوناً منذ السنة ١٩٢٦ ؛ واتصفت الزيادة بمزيد من السرعة عند الاعراق غير الروسية حيث تحسنت الظروف الصحية تحسناً كبيراً ؛ كما اتصف هؤلاء السكان اخيراً ، في السنة ١٩٣٩ ، بنسبة عليا من الشباب ، اذ ان الذين كانوا دون العشرين من سنهم بلغوا آنذاك ٤٥،١ بالمائة .

كانت حركة الانتقال عظيمة جداً ، شبيهة بها في الولايات حركات انتقال السكان المتحدة بين السنة ١٨٧٠ والسنة ١٩٢٠ ، او في انكلترا خلال القرن التاسع عشر . اجل ان هذه المرحلة لم تترك اثرأ يذكر خلال الحرب ، ولكن ما ان أُشرع في تنفيذ سياسة التصنيع حتى بدأت عملية توزيع السكان توزيعاً نظامياً . فقد كان الهدف استثمار الموارد الطبيعية استثماراً منظماً وصوابياً ، وفي مكان وجودها ، اذا امكن ذلك ، بغية الحد من نفقات النقل ، وتقريب المصانع من مراكز انتاج الطاقة والمعادن الطبيعية ، وانشاء مراكز صناعية جديدة في داخل البلاد بعيداً عن مناطق الحدود ، وتوزيع مراكز الانتاج توزيعاً اكثر تساوياً . لذلك وُجّه الفلاحون الكثيرون ، الذين لم تعد الارياض بحاجة اليهم بعد اعتماد الآلات ، نحو المناطق الغنية بالموارد غير المستثمرة او المستثمرة جزئياً ، او نحو نقاط قريبة من خطوط المواصلات ، ولا سيما خطوط المواصلات المائية .

منذ السنة ١٩٢٦ حتى السنة ١٩٣٩ ، اي خلال ١٢ سنة ، انتقل ٢٣ مليون الإعمار نسمة ، على هذا النحو ، من الارياف نحو المدن . وقد حدث قبل ذلك ، اي بين السنة ١٩٢٣ والسنة ١٩٢٧ ان ارتفع عدد المدن التي تضم اكثر من ١٠٠ ٠٠٠ نسمة ، من ٢٢ الى ٣١ ، ثم ارتفع في السنة ١٩٣٩ الى ٨٢ ضم ٤١ منها اكثر من ٢٠٠ ٠٠٠ نسمة ، وبين السنة ١٩٢٧ والسنة ١٩٣٩ قفز عدد سكان المدن من ٢٦ ٣٠٠ ٠٠٠ الى ٥٥ ٦٠٠ ٠٠٠ ، اي ما يوازي ٣٢،٨ بالمائة مقابل ١٧،٩ بالمائة ، بينما تراجع عدد سكان الارياف من ١٢٠ ٧٠٠ ٠٠٠ الى ١١٤ ٦٠٠ ٠٠٠ ، اي من ٨٢،١ الى ٦٧،٢ بالمائة ، وفي السنة ١٩٣٩ كان خمسا سكان المدن فلاحين استقروا فيها منذ اقل من ١٢ سنة . وللمرة الاولى في تاريخهم ، بلغت روسيا درجة التطور التي مرت بها اوروبا الغربية منذ زمن بعيد : كانت المدن المستفيد الوحيد من زيادة عدد السكان . ففي ١٢ سنة استوطن موسكو زهاء مليوني نسمة (١٣٧ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٩) ، وارتفع عدد سكان اقليمها بنسبة ٧٤ بالمائة ، وبلغ عدد سكان لينينغراد ٣ ١٩١ ٠٠٠ نسمة . واستقبلت منطقة الحديد والفحم الحجري في اوكرانيا الشرقية ، مع مدينتي خاركوف ودينبر وبتروفسك الصناعيتين ، اكثر من مليوني شخص جديد ، وارتفع عدد سكان ماريوبول من ٦٣ ٠٠٠ الى ٢٢٢ ٠٠٠ نسمة ، وسكان ماكيافكا من ٧٩ ٠٠٠ الى ٢٤٠ ٠٠٠ ، كما ارتفع سكان اقليم ستالينو بنسبة ٩١ بالمائة ، وسكان اقليم فوروشيلوفسك بنسبة ٣٧ بالمائة ، وخلال ١٢ سنة ارتفع عدد سكان ٩ مدن في هذه المنطقة الى ثلاثة اضعافه ؛ وقفز عدد سكان خاركوف من ٤١٧ ٠٠٠ الى ٨٠٠ ٠٠٠ ، وسكان روستوف من ٣١٨ ٠٠٠ الى ٦٣٠ ٠٠٠ . وفي الشمال ، قفز عدد سكان مورمانسك من ٨ ٠٠٠ الى ١٠٠ ٠٠٠ نسمة . ولم تنحصر المدن السريعة النمو في اوروبا وحدها ، اذ ان المراكز الصناعية الجديدة في آسيا قد عرفت نمواً سريعاً جداً ايضاً .

وتغير مظهر المدن القديمة ، اذ انها فقدت احد ادوارها القديمة الرئيسية ، اعني به دور السوق التجارية ، بفعل زوال التجارة الخاصة ، فاحيطت بمدن تابعة حين قامت الصناعة في ضواحيها ، والا عاشت في ضيق وتأخرت . اما المدن الجديدة التي نشأت على مقربة من الخيام فكانت مدناً - مصانع استخدم كافة سكانها في المشاريع الصناعية . ونجم عن ارتفاع عدد السكان حركة بناء واسعة لم تتوقف الى حل د ازمة إسكان ، بحادة جداً ، وكانت الابنية الجديدة اما مساكن - مدناً عمالية كبرى احياناً ، او بيوتاً فردية صغرى احياناً اخرى ، وفقاً لمواد البناء المتوفرة - واما مساكن جامعية وابنية عمامة باعداد كبرى : مدارس ، مستوصفات مجانية ، دور توليد ، مستشفيات ، امكنة اجتماع ، قاعات لعب ، مسارح ، ملاعب ، نواد رياضية . وتشابه السكان في كل مكان ، فكانوا عمالاً او موظفين لا يميز بينهم لا نوع المعيشة ولا الزي .

وفي الوقت نفسه الذي اعمرت فيه بورات الفولغا الاسفل وصُنِعت ، استقرت قبائل

البدو الرحل ، ولم يستمر في حياة البداوة ، في السنة ١٩٣٥ ، سوى ٤٥٠٠٠٠ من اصل مليونين او ثلاثة ملايين عائلة بدوية : ففي قازاخستان نقص عدد سكان الارياف اكثر من مليون نسمة بفعل زراعة المراعي والتصنيع ، بينما ارتفع عدد سكان المدن من ٥٠٠ ٠٠٠ الى ١٧٠٠ ٠٠٠ . وتحولت كذلك قبائل الـ « وارتو » في الالتاي والـ « بوريات - المغول » ، البدو او شبه البدو ، والكرغيز والكالموك الى رعاة يتنقلون مع الفصول من مكان الى مكان ويسلكون مسالك ثابتة . وما لبث هؤلاء ان استقروا وتحضروا تدريجياً ، حيثما انشئت المروج الصناعية واستثمرت الغابات والمناجم .

تبدل ظاهر البلاد نفسه تبديلاً عميقاً . مظهر الحقول اولا ، التي تحول مظهر البلاد تمتد الى ما لا نهاية له في كافة الاتجاهات دون اثر للحدود ، والتي حلت محل فسيفساء الطرائد القديمة المحددة تحديداً دقيقاً ، بعد ان اتاح انشاء تعاونيات الانتاج زراعة مئات الهكتارات زراعة مماثلة في وقت واحد ؛ وغير الاقتصاد الزراعي الجديد طابع القرية ؛ فالجموعة السكنية ، المؤلفة من بيوت عمال التعاونيات وما يحيط بها من نخطاء وحدائق ، منفصلة عن ابنية الاستثمار التي باتت جماعية : المطامير والزرائب والسقائف والمخازن التعاونية والمستوصفات المجانية وقاعات الاجتماع والمدارس تتجمع حول مستودع المياه . وامتدت المساحات المزروعة التي ارتفعت من ١٠٥ ملايين هكتار في السنة ١٩١٣ الى ١١٣ في السنة ١٩٢٨ و ١٤٠ في السنة ١٩٣٨ . وان تصريف المياه والري والاحتياطات المتخذة للحقول دون ضياع التربة وغزو الرمول قد وفرت لازراعة اراضي باثرة ومهملة : ٤ ملايين هكتار من المستنقعات الجففة في بيلوروسيا ومنطقة لينينغراد وموسكو وسيبيريا وكوبان ، حيث تحولت الى مرزات ، وفي منطقة بحر ازوف حيث تحولت الى بساتين . ووفر الري مساحة مماثلة . واتاح تحسين التربة وتقدم فن الزراعة استثمار الاراضي استثماراً افضل : اتسمت زراعة القطن في روسيا الجنوبية والارز في الشمال وفي آسيا الوسطى . وادت دروس معهد ليسنكو للانتاج النباتي حول اختصار فترة نمو النباتات المزروعة الى امتداد الزراعات حتى المناطق القطبية حيث زرعت في شبه جزيرة « كولا » ، في ما وراء الدائرة القطبية ، الحنطة والاشجار المثمرة والبقول . وادخلت زراعات جديدة (البسلتي الصيلية الى اوكرانيا) ، ووسعت في كل منطقة الزراعات الاكثر ملاءمة لطبيعة الارض والمناخ : احتل دوّار الشمس مساحات شاسعة في اوكرانيا وكيرغيزيا والقرم ، وزراعة البقول والاشجار المثمرة في تاجيكستان . ولم تحتل شجرة الشاي ، في السنة ١٩١٣ ، اكثر من الف هكتار ولم تنتج اكثر من ٢٠٠٠ قنطار ، فاحتلت في السنة ١٩٤١ اكثر من ٥٠٠٠٠ هكتار وانتجت اكثر من ١٤٥٠٠٠ قنطار . وادخلت الى تركمانيا واذربيجان ، من آسيا الوسطى والمكسيك ، نباتات برية تنتج المادة الصمغية التي يصنع منها المطاط . اما القطن الذي لم يزرع في السنة ١٩١٥ الا في ٨٢٥٠٠٠ هكتار ، و ٩٧١٠٠٠ هكتار فقط في السنة ١٩٢٧ ، فقد احتل

٢٥٠٠٠٠ هكتار في السنة ١٩٤٠ بفضل بناء السدود الكبرى على الـ « فاخته » وتنظيم مياه الـ « سكورا » والـ « اراكس » ونجاح زراعة القطن « البعلية » على ضفاف البحر الاسود .

ارتكز تنظيم الصناعة الجديد الى تأسيس الوحدات تضم بعض
نظام الصناعة
الوحدات الصناعية على الصعيد الاقليمي ، بلغ عددها ٦٤٠ في
السنة ١٩٤٠ وادارت ٥٧٣٠٠٠ مؤسسة ، ووحدات صناعية كبرى توحد على الصعيد العمودي
المشاريع المترابطة النشاطات ؛ هذه كانت « جبارة » الصناعة : « وحدة » ماغنيتوكورسك
التي تأسست في السنة ١٩٢٧ عند لحف « ماغنيتنايا غورا » ، جبل المعدن الحديدي الاديس
اللون ، وانتجت في السنة ١٩٤١ مليون طن فولاذاً ، وتوفرت لديها افران الحديد المصبوب
ومصاهر الحديد وآلات تصفيح المعادن ومعامل المواد الكيميائية ومعامل انتاج الكهرباء ،
النخ . ، ووحدة كونراد على مقربة من بحيرة بالكاش التي استثمرت معدن النحاس الطبيعي
المكتشف في السنة ١٩٢٨ ، وانتجت ، بالإضافة الى النحاس ، كبريتور الكربون والحض
الكبريتي ، النخ ؛ ووحدة « ميكويان في موسكو » للحوم التي استخدمت ١٠٠٠٠ عامل
وامتدت فروعها المختلفة على طول ٤٣ كلم ؛ فقد جزر فيها ١٠٠٠٠ حيوان في اليوم ، وصنع
فيها الآحين ، والمواد الصيدلية ، والمواد المجردة عن الماء ، والفراء ، النخ . واستلزمت هذه
الوحدات مصانع جبارة خاصة ، كمصنع كراماتورسك الذي انتج الآلات وامتد على مساحة
١٠ كلم ٢ ، ومصنع موسكو للأجهزة الكهربائية « الكترولسيل » الذي استخدم ١٠٠٠٠ عامل
وامتد ، مع المدينة العمالية ، المتسعة لـ ٢٠٠٠٠ شخص ، على مساحة ٥ كلم ٢ . وان الوحدة
الصناعية المزدوجة « اورال - كوزنتسك » التي جمعت بين حديد الاورال الطبيعي وفحم
كوزباس الحجري اتاحت للمنطقتين الكهربيين اللتين تفصلهما مسافة ٢٠٠٠ كيلومتر تبادل المعدن
والفحم وتنمية مركزين ضخمين لصناعة التعدين .

الا ان تبداً ارتسم عند الشروع في المشروع الحسي الثالث ، فلم يعد « الجبار الصناعي »
ليعتبر خير مثال للتنظيم ، بل بدا من الافضل ، على الصعيد الاقتصادي والصعيد الاجتماعي
معاً ، توزيع المؤسسات الصناعية على كافة انحاء البلاد وتقسيمها الى مراكز صناعية اكثر عدداً
وادخالها في الوقت نفسه في مجموعة اقليمية واسعة .

ان البحث عن مناجم جديدة غنية والتصميم على نقل مراكز
تحول مراكز الانتاج
الانتاج الى الشرق قد ادخلا تغييراً كبيراً على الامة النسبية
للمراكز المنجمية والصناعية . اجل ما زالت منطقة دونباس تتقدم تقدماً مستمراً ، وقد بقيت
اهم منتج للفحم الحجري ، ولكنها ما عادت لتنتج سوى ٦٠ ٪ من الفحم الحجري السوفياتي
مقابل ٨٧ ٪ في السنة ١٩١٣ ؛ ومرد ذلك الى تقدم هذا الانتاج في مناطق آسيوية مختلفة :
منطقة كوزباس التي كانت تنتج اقل من مليون طن في السنة ١٩١٣ وبانت تنتج اكثر من ٢٠

مليوناً في السنة ١٩٤٠ ، وحوض قاراغندا الذي بوشر استثماره قبل الحرب ، ثم توقف ، ثم تجدد في السنة ١٩٣٠ ، والذي بلغ انتاجه ٥ ملايين طن في السنة ١٩٣٨ ، وحوض الاورال الذي انتج اكثر من ٥ ملايين طن ، وحوض « بتشورا » الذي انتج ٣ ملايين .
ويصح هذا القول كذلك في البترول الذي ارتفع انتاجه ، بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٤٠ ، من ١٤,٤٤٧,٠٠٠ الى ٣٥,٥٠٠,٠٠٠ طن ، والذي لم يعد ينبع في المنطقة القفقازية وحدها بعد ان افضى استثمار بترول « باكو الثانية » ومنطقة « فولغا - الاورال » ومنطقتي « امبا » و « نفتيباد » الى خفض نسبة انتاجها من ٩٥ بالمائة في السنة ١٨٣٥ الى ٨٠ بالمائة في السنة ١٩٤٠ .

وتحول استخراج الحديد بفعل اكتشاف واستثمار مناجم جديدة غنية جداً في الاورال (ماغنيتو كورسك) وشبه جزيرة كرتش ، ولا سيما في منطقة كورسك ، في آسيا الوسطى ، وفي منطقة « خوريا » الجبلية ، فبات حوض كريفوي - روغ لا ينتج سوى نصف الحديد السوفياتي . وتغاسمت منطقة الاورال ومنطقة كوزراد و « الملك » قرب طشقند انتاج النحاس .

وانتقلت الصناعات النسيجية تدريجياً كذلك نحو مناطق انتاج الخامات ، اي نحو آسيا الوسطى حيث يزرع القطن ، ونحو آسيا والقفقاس واوركرانيا الجنوبية حيث ينتج الصوف ، ونحو الشمال الغربي حيث يزرع الكتان ، وانتقلت صناعة الجلود من الوسط نحو مناطق جزر المواشي وتربيتها ، وصناعة التبغ نحو الجنوب ، في جيورجيا ، على مقربة من مواطن زراعة التبغ .

لعل التغييرات الكبرى حدثت في آسيا الروسية (ثلث آسيا)
آسيا السوفياتية
وعالم المناطق المتجمدة الشمالية . وكانت في آسيا نتيجة سرعة
الاعمار وتنقل السكان وتطور طرائق معيشتهم . فقد استقبلت سيبيريا ١٠ ملايين شخص لم يكونوا ، كما في اوائل القرن ، موظفين ، وعسكريين ، وفلاحين جاؤوا لاعمار الارياض ، بل كان معظمهم عمالاً اتوا - هنا كما في آسيا الوسطى التي استقبلت ٥ ملايين مهاجر - للعمل في المناجم والمصانع . وفي مناطق الشرق الأقصى حيث بلغ عدد السكان ٣ ملايين نسمة في السنة ١٩٤٠ ، ارتفع هذا العدد الى خمسة اضعافه منذ السنة ١٩٢٣ ؛ وارتفع عدد سكان اقليم « خاباروفسك » بنسبة ١٣٦ بالمائة . ونشأت بعض المدن بسرعة خاطفة : ارتفع عدد سكان « تشليابنسك » خلال ١٢ سنة ، من ٥٩,٠٠٠ الى ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ، وعدد سكان ماغنيتو كورسك من بضع مئات الى ١٥٠,٠٠٠ .

وفي القفقاس جعل التخصص الاقتصادي ، والتصنيع حول باكو وتفليس ، وري مزروعات القطن في الشرق وفي الغرب ، وادخال المزروعات التخصصية (شجرة الشاي ، والكرمة ، والتبغ والمحاصيل) ، في تفكيك الوحدات الاقليمية القديمة ولا سيما في الحيازة الراحوية ؛

وتقلصت الحياة البدوية ، هنا ايضاً ، لتحل محلها طريقة الانتقال بالمواشي الى المراعي الجبلية . وارتفع عد السكان بنسبة ٥٠ بالمائة بين السنة ١٩٢٦ والسنة ١٩٣٩ ، ولكن عدد سكان المدن تضاعف بينما لم يرتفع عدد سكان الارياف ارتفاعاً يذكر . وصنعت كذلك ارمينيا المهمة والمنمذلة نسبياً ، بفضل احتياطياتها الهام من طاقة توليد الكهرباء من القوة المائية .

امسا في آسيا الوسطى فهي منطقة قازاخستان ما عرفت اعظم تطور . فسان ثروة باطن ارضها التي تشمل ، بالاضافة الى بتروا امبا ، وفحم قاراغندا ونحاس بحيرة بالكاش ، الرصاص والخاصين والقصدير والمنغنيز والكروم والمولبدن والذهب ، اجتذبت العمال الى « بورة الجوع » القاسية المناخ شتاء وغير الصالحة المزارعة والمفجرة حتى هذا التاريخ ، فتمت مدن - مصانع جديدة نمواً سريعاً جداً : بريبالكاش ، كارساك - باي ، تشمكنت ، قاراغندا ، جزكارغان ، بينما تضاعف عدد سكان العاصمة « الما - آتا » . واتاحت الزراعة غير المروية الزراعة حول الوحدات الصناعية ، واخذت المنطقة الجنوبية التي التفت من قبل سلسلة من الواحات المتشعبة ، تتحول كلها الى منطقة مروية متصلة ؛ وفي « اوستراليا السوفياتية » هذه حولت نباتات الكلأ البدو الرحل الى تعاونيين يربون الماشية ، ولكن عدد سكان الارياف تدنى بنسبة ٣٠ بالمائة . وبات باستطاعة آسيا السوفياتية ، التي لم تلتج في السنة ١٩٢٨ سوى ٦,٦٠٠,٠٠٠ طن فحماً حجرياً ومليون طن فولاذاً ، انتاج ٥٧ مليوناً و ٦,٥٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٤٠ ، اي ٣٤,٣ ٪ من فحم الولايات المتحدة الاميركية و ٣١,٦ بالمائة من فولادها .

على الرغم من ارتفاع عدد السكان في هذه المنطقة ، منذ السنة ١٩٢٦ حتى السنة ١٩٣٩ ، بين ٢٥,٦ بالمئة و ٤٥,٧ بالمئة ، بحسب الجمهوريات ، فان هذا الارتفاع لم يحصل الا في المدن بصورة خاصة ؛ فبلغ هذا العدد ثلاثة اضعافه في تاجيكستان واكثر من ضعفه في تركمانستان و ١٥٠ ٪ في ازبكستان ؛ واصبحت هناك عشرة مدن جاوز سكانها ٥٠,٠٠٠ نسمة ، مقابل ٦ في السنة ١٩٣٦ ؛ ومنذ السنة ١٩٢٦ ، ارتفع عدد سكان « تشارجوي » بنسبة ٤٠٠ بالمائة ، وعدد سكان « فروزيه » واشقباد ٢٥٠ بالمائة ، وطشقند قرابة ٢٠٠ بالمائة . وانميت المزارع المروية بفضل السدود والاقنية . وساعد بناء خط توركسيب المعد لتصريف القطن نحو الشمال وتموين البلاد عن طريق سيبيريا ، على تسهيل التخصيص الذي جعل المساحة المزروعة قطناً في الجمهوريات الاربع ترتفع من اقل من نصف مليون هكتار الى مليون ونصف المليون . وتقدمت الصناعة النسيجية ولاسيما صناعة الصوفيات والقطنيات في اشقباد وفرغانا وستاليناباد وخوجند وتشارجوي وكيروفاباد وطشقند . وبات مجموع آسيا الوسطى منذئذ المركز الاول في الاتحاد لتعدين المعادن غير الحديدية .

امسا بلدان المنطقة المتجمدة ، فقد استفادت من مجهود منظم
بلدان المنطقة المتجمدة انتهى ، بفضل العزم العنيد ، الى خلق مراكز نشاط ما كان احد ليحلم بها من قبل . وكان استثمارها وتطورها ثمرة اتعاب « معهد المنطقة المتجمدة »

و « مصلحة استكشاف الطريق البحرية الشمالية » التي استخدمت منذ السنة ١٩٢٢ عدداً كبيراً من علماء طبقات الأرض ، وعلماء النبات ، وعلماء الحوادث الجوية ، والملاحين ، وعلماء آخرين كثيرين ، وزودتهم بالطائرات والبواخر المعدة لتعظيم الجليد ، فتوسعت بفضل استكشافاتهم معرفتنا للمنطقة القطبية وللقطب نفسه (باباين) . واجتازت الـ « سيبيرياكوف » منذ السنة ١٩٣٢ ، والـ « تشليوسكين » منذ السنة ١٩٣٣ ، المجاز الشمالي الشرقي في رحلة واحدة ، فمُرفت مواطن الموارد المنجمية وأنشئت تحت سطح الأرض (بغية تجنب اضرار الجليد في فصل الشتاء) مصانع لتوليد الكهرباء انتجت مليون كيلوات في شبه جزيرة كولا حيث اتاح اكتشاف فلوروفوسفات الكالسيوم في جبل « خيبيني » تنمية صناعة هامة لانتاج الفوسفات . فقامت في هذا « الجو القمرى » وفي هذه المنطقة الباردة مدينة صناعية تضم ٤٠.٠٠٠ نسمة ، هي كيروفسك ، التي انتجت الفوسفات والمعادن غير الحديدية . وعلى الشاطئ غدت مورمانسك مرفأً كبيراً ، وقد انشئت فيها ، بفضل خط لينينغراد - مورمانسك وقناة البلطيق - البحر الابيض ، منطقة صناعية عاشت من استثمار الماجم ، وصناعات خشبية وسلولوزية ومصانع لبناء السفن ، ومصانع لحفظ الاسماك . وادى مجهود العلماء الروس العنيد في توسيع نطاق المزروعات الغذائية أكثر فأكثر نحو الشمال الى نتائج هامة جداً ، فبات الملفوف والجزر والبصل والبقول تنتج منذئذ ، في ما وراء الدائرة القطبية ، بكية كافية لسد الحاجات المحلية . واينعت البقول في مدافئ منشأة تحت الأرض تنار بكهرباء تنتجها مراوح هوائية مثبتة فوق سطح الأرض (لذلك قيل : « عواصف الشمال تنبت البقول ») . والى الشرق باتت اركانجلسك التي ضمت ٢٨١.٠٠٠ نسمة في السنة ١٩٣٩ (مقابل ٣٥.٠٠٠ في السنة ١٩١٣) مركزاً صناعياً كبيراً ايضاً . وفي آسيا الشمالية ، عند الـ « ياقوت » الرحل ، وفي اقصى الشمال الشرقي ، عند الـ « كمشدال » والـ « تشوكلش » اخذت في الترعير حضارة شمالية جديدة بفضل تعاوانيات ضمت مربى الايليات والبقريات وساعدت على استقرار السكان ، ومحطات اشتهاء انشئت على الشاطئ بغية اعداد النقل ، خلال فصل الشتاء الطويل ، الذي لا يمكن تأمينه الا خلال اسابيع معدودة والذي يجري منذ السنة ١٩٣٥ بدون محطات اشتهاء بين مورمانسك وفلاديفوستوك عن طريق المرافئ على مصاب الـ « اوب » و « ينيساين » و « لينا » .

الفصل الثالث

قلب الأنظمة

في السنة ١٩١٨ ، كتب لينين ما يلي :

« الاشتراكية هي إلغاء الطبقات . ولإلغاء الطبقات يقتضي أولاً قلب مالكي الأراضي والرأسماليين . لقد نفذنا هذا الجزء من المهمة ، ولكنه ليس سوى جزء وليس أصعب ما علينا تنفيذه . ولإلغاء الطبقات يتوجب علينا ثانياً تحويل كافة العمال والفلاحين الى « عمال » ... »

كان « التوقف » ، الذي شكلته السياسة الاقتصادية الجديدة ، خطراً مهدد بالقضاء على النتائج الأولى التي حققتها ثورة تشرين الأول ، لأنه أتاح قيام طبقة المتهكرين البورجوازية المدنية وطبقة الكولاك الريفية ؛ ولكن هذه النتائج أصبحت نهائية بفضل سياسة التخطيط والتصنيع وتأميم الأرياف .

١ - النظام الاقتصادي الجديد

ليس هناك ما يشبه استثمار « القارة السوفياتية » ، من حيث اتساعه ، سوى استثمار القارة الأميركية ، ولكنه يختلف عنه ببعض المظاهر الأساسية . فهو أولاً عمل الدولة بدالة تصميم وضعته هي ، لا عمل افراد بدالة السعي وراء كسب مرتقب . واعطيت الأولوية لانتاج مواد التجهيز بحسب مفهوم معين للصالح العام ، ونظم الانتاج في مجموعه دونما اهتمام لدخول الافراد ولطاقاتهم على الشراء . واخيراً اختلف النظام القانوني للملكية اختلافاً جذرياً : فبينما ارتكز الاقتصاد الرأسمالي الى الملكية والمبادأة الشخصية ، ارتكز الاقتصاد السوفياتي الى الملكية والمبادأة العامة .

الغنى الحسك السوفياتي الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وحول الى ملكية الدولة الارض والغابات والمناجم والمصانع والمصارف ؛ والى جانب هذا القطاع العام ، سمح باستمرار قطاع خاص قوامه بعض استثمارات ، اما جماعية كالتعاونيات ، واما خاصة وفردية ، زراعية أو صناعية ، ترتكز

الملكية الاشتراكية

والملكية الفردية

الى العمل الشخصي وقتنا في واستثمار عمل الغير ؛ وقوامه كذلك الملكية الخاصة التي يحققها المواطنون بدخول عملهم . لذلك كان لحق الملكية الخاصة عند مواطني الاتحاد السوفياتي دور « استهلاكي » في جوهره ، وهو يقوم باستخدام دخل العمل والتوفيرات الممكن تحقيقها للاستحصال على مواد الاستهلاك والرفاهية : المساكن ، الادوات المنزلية الخ . فباستطاعة الفرد « استثمار معمل صغير شريطة الا يستخدم فيه اي عامل ، اي ان لا يحقق كسباً بفضل عمل شخص ثالث » ؛ هذه هي حال الحرف الصغرى ، كحرفة الحداد وحرفة الاسكاف ، أو بعض التجارات الصغرى .

والملكية الشخصية « لا تشمل الا المواد التي تستخدم لسد الحاجات الفردية او العائلية » ؛ فوظيفتها ، كما حددها دستور السنة ١٩٣٦ ، هي سد حاجات الفرد الشخصية وحاجات هائلته وتمكينه من بلوغ حياة ثقافية رخيصة . وحق ارض مواد الاستهلاك الشخصي والانتاج الفردي من ثم حقيقة راحة ، فد المساكن والدخول والتوفير وثمره العمل والاقتصاد البيتي الاضافي وأدوات المنزل والأدوات الشخصية والترفيهية ، تدخل في هذه الملكية الشخصية .

كان الهدف منه إعادة تنظيم الزراعة وفقاً لأسس جديدة ، اعني بها تأميم الأرياف
ضم ملايين الاستثمارات الخاصة التي كانت تتناول مئات ملايين قطع الارض الصغرى على العموم ، والتي كانت تؤلف عائفاً في طريق تنمية زراعة منظمة . ففي شهر كانون الاول من السنة ١٩٢٧ قرر المؤتمر الخامس عشر للحزب « الانتقال الى الهجوم الاشتراكي » ضد الاقتصاد الفردي ، وتنمية القطاع الاشتراكي الذي لم يضم في السنة ١٩٢٨ سوى ٣٣٠٠٠ تعاونية تنتمي اليها ٣٧٠٠٠٠ عائلة (١٠٥ بالمائة من الاستثمارات القروية) و ٤٠٠٠ مزرعة رسمية مثالية تضم ٦٠٠٠٠٠ عامل وتوفر بمجموعها بين ٣ و ٤ بالمائة من الانتاج الزراعي . وعند البدء بتنفيذ الخطة الخمسية الاولى ، دفع بتنظيم التعاونيات دفعاً سريعاً الى الامام منذ السنة ١٩٢٩ ، فاقصد ٢٥٠٠٠٠ عامل الى الأرياف بغية تشجيع تأسيسها وتسيير « محطات الآلات والجرارات » التي ستؤجر الفلاحين معداتها . ونجحت عملية التأميم لمصلحة المجموع ، التي منحت الفلاحين المنضمين الى التعاونيات حق الاولوية في بيع الدولة حاجاتها ، نجاحاً كبيراً مطرداً ، ولا سيما في المناطق التي يزيد انتاجها عن طلب السكان : اركرانيا ، منطقة الفولغا الاسفل ، شمالي القفقاس ، القرم ، المناطق المجاورة لموسكو ؛ وفي الوقت نفسه تعزز الهجوم على الكولاك : ضريبة تصاعدية ، مصادرة ممتلكاتهم ، نفى . وخلال شتاء ١٩٢٩ - ١٩٣٠ تقدمت عملية التأميم تقدماً ناشطاً ، وإنما برزت بوادر استياء كثيرة . فطمان ستالين الفلاحين في مقاله « النجاح ينفخ في رأسنا » ؛ فسمح للفلاحين بالانسحاب من التعاونيات التي انخفض عددها - المتفاوت تفاوتاً كبيراً بحسب المناطق - الى نصفه بصورة عامة ؛ ثم تجدد التقدم في السنة ١٩٣١ ولم يتوقف بعد ذلك : فارتفع عدد المشاريع المؤممة من

٢٣,٦ بالمائة في السنة ١٩٣٠ الى ٥٢,٧ بالمائة في السنة ١٩٣١ ، و ٧١,٤ بالمائة في السنة ١٩٣٤ ،
و ٩٠,٥ بالمائة في السنة ١٩٣٦ ، و ٩٦,٩ بالمائة في السنة ١٩٤٠ .

في غضون هذه السنوات الاولى حدد التشريع شروط الاستثمار الجماعي : عمل بالقبالة بغية
ارغام الكسالى على الانتاج ، منع تأميم الابقار والحيوانات الداجنة الاخرى ، حق البيع في
الاسواق حين تقدم التعاوقية ما هو مطلوب منها . وفي السنة ١٩٣٥ صدر نظام الشركة
التعاونية الزراعية ، : للتعاونية حق التمتع الدائم بالأرض التي تملكها الدولة ، ولكل عضو
حق تملك بيته وبستانه او مبقلة (بين ١/٢ هكتار وهكتار) وامتلاك بقرة او عدة عزلات .
فلم يشمل التأميم من ثم المساكن والمواشي الصغيرة والحديقة القريبة من المساكن . وقد اختلفت
التعاونيات اختلافاً كبيراً ، فاستثمرت بين ٥٠٠ و ٣٢٠٠ هكتار وضمت بين ٦٠
و ٢٠٠ عائلة .

اما المزارع المثالية ال ٤٠٠٠ ، فمشاريع زراعية تملكها الدولة وتخضع لنظام شبيه بنظام
الصناعات . وهي تؤلف استثمارات كبرى اذ ان مزرعة مثالية لزراعة الحبوب قد تبلغ بين
٥٠٠٠ و ٨٠٠٠ هكتار ، ومزرعة مثالية لتربية المواشي قد تبلغ ٢٠٠٠٠ هكتار وتمتلك
عدة آلاف من المواشي . كما انها تقوم بأعمال تخصيصية (قطن ، حنطة ، اغنام ، حليب
وزبدة ، الخ .) وتعتمد الآلات المتوفرة لديها ، وتؤلف الاتحادات بحسب تخصصها . وقد
ارتفعت مساحتها من ١٧٠٠٠٠٠ هكتار في السنة ١٩٣٨ الى ١٣٢٠٠٠٠٠ في السنة
١٩٣٠ والى ١٦ مليوناً في السنة ١٩٣٦ ، ثم تدنت الى ١٢١٠٠٠٠٠ في السنة ١٩٣٨
(٨,٩ بالمائة من المساحات المزروعة مقابل ١٢,٤ بالمائة) ، حين وزعت الحكومة اراضي
بعضها على التعاونيات المجاورة ، فهبط عددها من ثم من ٤٣٣٧ في السنة ١٩٣٢ الى ٣٩٦١ في
السنة ١٩٣٨ ؛ يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان وضع العمال اخذ يشبه وضع التعاونيين حين
منحوا حق تملك قطعة ارض صغيرة .

تنظيم التعاونيات
تحتل التعاونية من ثم المركز الاول بين اشكال الاستثمار الزراعي .
فهي تملك ، جماعياً ، الارض وابنية الاستثمار والآلات والماشية وكل
ما ليس ملكاً شخصياً لعضو التعاونية كما حدده النظام . وفي داخل التعاونية بعد قواعد
العمل مجلس الادارة المنتخب وتلبنها الجمعية العامة . ويقوم الاعضاء بعمل مشترك ، ولكن
الربح يوزع عليهم بنسبة العمل الذي يأتيه كل منهم ؛ اما وحدة القياس فهي (يوم العمل)
الذي يوافق عدداً معيناً من الآلات المحروثة او كمية معينة من الحب المدروس . وقد قسمت
كافة الاعمال الزراعية الى سبع فئات عودلت بأيام عمل توجب على كل عضو تأمين حد أدنى
منها يتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ وحدة . وتجمع الآلات الزراعية ، التي هي ملك الدولة ، في
محطات الآلات والجرارات بمعدل واحدة لثلاثين تعاونية تقريباً ، وتوضع بتصرف هذه
التعاونيات مقابل فريضة عينية او نقدية .

يسلم الربيع جزئياً للدولة التي تحدد قيمته وفقاً لسعر تقررته ، ويخصص جزء من هذا الثمن لمكافحة خدمات محطات الآلات والجرارات ، وجزء آخر لشراء البذور اللازمة للتعاونية وجمع حبوب احتياطية ، ويوزع الباقي على الاعضاء بحسب ايام عملهم . فيستفيد عضو التعاونية من ثم من مكافأة عمله في الاستثمار الجماعي ومن انتاج الأرض والماشية الذي يعود له شخصياً والذي يستطيع بيعه بسعر حر اما في السوق واما في التعاونية ، ومن اجر العمل الذي قد يقوم به اما في القرية واما في المدينة .

الدولة تملك وسائل الانتاج والمقايضة : المناجم والمصانع ووسائل النقل التنظيم الصناعي والمصارف ، كما تملك الأرض ، وتساعد ادارتها الى جماعات خاصة تنفذ موجبات الخطة . فالاقتصاد في هذا الحقل اشتراكي كله ، ان من حيث التملك وان من حيث اشكال الاستثمار .

تتناول الخطط كافة نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاتحاد . وقد بنيت اعداد الخطة كل خطة على دراسة دقيقة لكافة الموارد المستثمرة او الدفينة التي وضع بها جدول منظم ، وحالة القوى الاقتصادية وامكانات نموها ، وهي تعد بالاتفاق مع الاقتصاديين والاختصاصيين في مختلف الحقول ، فهي « خطة ابعادية » ، اي انها ترسم برنامجاً لفترة طويلة الاجل (٥ سنوات) - الطريقة الوحيدة لتحقيق تغييرات هامة في الانظمة - ، ولكنها تنطوي في الوقت نفسه على خطط قصيرة الاجل (سنوية بصورة عامة) تعين الاهداف العملية الواجب بلوغها في آخر كل من السنوات الخمس ، او حتى في آخر كل فصل ، آخذة بعين الاعتبار الامكانات الجديدة التي ترسم خلال الاعمال ، بحيث يصبح التكيف الدائم امراً ممكناً .

فالحكومة ترسم التوجيهات والد « غوسبلان » ، وهو مجرد جهاز فني استشاري ، يحدد مهام كل فرع من فروع الصناعة ، ثم تدرس اجهزة التخطيط الدنيا هذه المشاريع ، فترفع ملاحظاتها او مقترحاتها ، « التي ليست مجرد كتب بالموافقة » ، الى ال « غوسبلان » الذي ينتج المشروع الشامل النهائي . حينذاك يؤمن صغار الموظفين تنفيذه تحت اشراف ورقابة الادارات المتخصصة المعروفة باسم « غلافكي » .

تعين الخطة كميات ونوعيات المنتوجات الاستهلاكية والتجهيزية المفروضة على كل فرع من فروع الانتاج وعلى كل دائرة اقليمية ، وطريقة توزيعها ، والنسبة الممكن تصديرها ، وتنطوي كذلك على نصوص خاصة بالتعليم بسبب الحاجة الماسة الى التقنيين والعمال الكفاء ، وتحاول مراعاة النسبة بين تخصصهم وكفاءتهم وبين حاجات العمل .

ولما تمذر الاعتماد على قروض خارجية هامة لتوفير الاموال اللازمة حول في تمويل الخطة على فائض العمل القومي بشكل ضريبة على قيمة الاعمال ، وضريبة على الارباح ، وضريبة استهلاك ، ويرد ذلك الى ان القروض الخارجية واحتياطي الذهب والبلاتين (بعض مشات ملايين الروبيات) وزيادة دخل الصادرات بالنسبة الى الواردات (بضع عشرات الملايين) لم

تمثل سوى مبلغ زهيد جداً . فضحي من ثم برؤسامة السكان على مذبح رفاهية اخبال المستقبل .

سير الخطة لكل مشروع مخططه الفني ومخططه الخاص المرتكز الى هذا المبدأ : « كل زيادة انتاج يجب ان يقابلها تدني مستوى اسعار البيع بالتفصيل وزيادة حجم الاجور » . وتتمتع المشاريع باستقلال حقيقي وبمحاسبة مستقلة ، وتصرف باموالها المتدارة الخاصة ، ولها محاسبتها الخاصة وحسابها الجاري في المصارف ، وتسدد ديونها ، فيما بينها ، بعمليات تقييم ومقايضة . ويجب ان يؤمن سيرها ارباحها دون ان تحتاج يوماً الى مساعدة مالية . ولكل منها مدير تعينه السلطة العليا او تعزله عند الاقتضاء ، ويتحمل مسؤولية نشاط مصنعه ادارياً وجزائياً . وينص قانون الجزاء على عقوبات صارمة يتعرض لها المهندسون والمديرون والمراقبون الفنيون المسؤولون « عن عمل تخريبي ضد الثورة » ، او عدم تنفيذ واجبات معينة عن قصد وقصم ، او افعال مقصود في تنفيذها ، ، وكذلك عن مخالفات النظام الاداري المركبة دون قصد مناهضة الثورة ، التي تزعزع مرتكز الدولة الاداري وطاقتها الاقتصادية . فيتضح من ثم ان العقوبة تتناول سوء الادارة والاهمال وسوء النية والانتاج الدولي .

باستطاعة المصانع ومجموعات المصانع والاتحادات والوحدات الصناعية الحصول على اعتمادات قصيرة الاجل من مصرف الدولة ، وعلى اعتمادات طويلة الاجل ، لتمويل الاعمال الكبرى ، من المصارف الخاصة : مصرف الصناعة ، ومصرف الزراعة ، ومصرف التجارة ، وهنالك ايضاً مصرف الاشغال العامة . ويكرس كل مشروع محصول بيع منتوجات مصانعه لدفع ثمن الخامات المشتراة والطاقة التي احتاج إليها عند الاقتضاء ، ولصيانة معداته ، ولدفع الضرائب والاجور وأقساط التأمينات الاجتماعية (وهي على عاتق المشاريع لا على عاتق الاجراء) وفقاً لنسبة مئوية تختلف باختلاف الصناعات ويبلغ معدلها بين ٦ و ٩ ٪ من الاجور .

وباستطاعة المشاريع من ثم - ومن واجبها - اذا ما احسنت ادارتها تخفيض أسعار الكلفة المقدرة في تخطيط الـ « غوسبلان » وتحقيق بعض الادخارات . وقد جاءت النتائج مختلفة باختلاف الصناعات ، ولكن اسعار الكلفة كانت في السنة ١٩٣٧ ادنى على العموم منها في السنة ١٩٣٢ بنسبة ٣٢,٥ ٪ في الصناعة الثقيلة ، و ٤٠ ٪ بالمائة في صنع الآلات ، و ٣٣ بالمائة في صناعة الفولاذ و ٣٢,٤ ٪ في استخراج الفحم الحجري .

موازنة الدولة هي ما يؤمن رؤوس الاموال والمساعدات بواسطة المصارف الخاصة ، فتمويل الاقتصاد من ثم يرتكز بمعظمه لال الادخار الخاص الفردي بل الى الادخار الجماعي والالزامي اذ ان اكثر من نصف واردات الموازنة يصرف في هذا السبيل ، وتؤمن هذه الواردات الضريبة على مجموع المعاملات (٥٠ بالمائة في السنة ١٩٣١ و ٧١,٤ بالمائة في السنة ١٩٣٨) والضريبة على ارباح مشاريع الدولة (بين ٨ و ٦ بالمائة من الواردات) ، والقروض من صناديق التوفير والقروض العامة (٦ بالمائة في السنة ١٩٣٧) .

اما الصناعة اليدوية فلا تلعب بعد اليوم سوى دور ثانوي ، اقله الصناعة اليدوية الفردية ، ولكن هناك صناعة يدوية تعاونية يؤلف فيها الخياطون والحذاؤون والحلاقون تعاونيات انتاجية ؛ اجل لا يخضع عملها لمخطط انتاجي ولكن نشاطها مراقب (لجهة نسبة الخامات الموزعة بنوع خاص) كي لا تتحول الى مشاريع رأسمالية تستخدم الاجراء .

التنظيم التجاري التنظيم التجاري
الغاء كلياً . والتجارة الداخلية امسا في ايدي الدولة واما في ايدي التعاونيات . الا ان تجارة الدولة لم تمثل في السنة ١٩٢٩ سوى ١٣ بالمائة من عدد المخازن و ٢٠ بالمائة من مجموع المعاملات التجارية ، فارتفعت هذه النسبة في السنة ١٩٣٧ الى ٧٤ بالمائة بفضل انضمام المئات من تعاونيات المستهلكين المدنيين . وابقى قسم هام من التجارة الريفية (١٥ بالمائة من تجارة التفصيل) للسوق التعاونية ، « سوق بدون تجار » - التي ارتدت طابع الفردية والمنافسة ، من حيث ان الباعة هم المنتجون انفسهم ، يصرفون في السوق المحلية المواد الغذائية التي يحق لهم التصرف بها بحرية وبسعر يحدد بحرية ، ولكنه يكاد لا يختلف عن سعر مخازن الدولة باستثناء ايام الحاجة والفاقة .

كائناً من كان مالك المشروع التجاري ، الدولة او المشروع المؤمم او التعاونية ، فان البيع والشراء في اطار التخطيط كانا حريين وكان ممكناً ان يوفر ارباح او يخسر الخسائر . فهناك من ثم سوق تنافسية . والكل يدفعون ضرائب على الارباح ومجموع المعاملات التجارية ويوظفون فوائد مالهم .

« لا نستطيع تكوين فكرة عن النظام التجاري السوفيياتي الا بتأمل النظام التجاري في مدينة فرنسية صغرى وفرعيها « كوب » و « بونين » (« ج. روموف ») .

في تجارة الدولة لتحديد الاسعار في الحطة وتكون الزامية للمشاريع البائعة والمشتري . وهي تتكون من حاصل عناصر ثلاثة : سعر الكلفة ، والضريبة على مجموع المعاملات ، والمبالغ التي تدخل في الاموال المعدة للتجميع (الفوائد المدفوعة للمصارف ، الكراء ، الخ .) ، ويضاف اليها زيادة تجارية . وكان من شأن عدم الحاجة الى نفقات الاعلان وضآلة اعباء الفوائد وانعدام المزاحمة في منطقة بيع واحدة وضآلة عدد المستخدمين العاملين في التجارة ، ان نفقات التوزيع لم ترفع الاسعار الا بنسبة ٧ الى ٨ بالمائة تقريباً . ولما كان سعر الحمل وحده خاضعاً للتخطيط ، فكذلك كانت نفقات الادارة قليلة تدنت اسعار بيع التفصيل وزادت الارباح . ولما كان لمستخدمي المخزن نصيبهم من الارباح ، كانت من مصلحتهم حصر كلفة التوزيع ؛ اضافة الى ذلك من جهة ثانية ان الارباح التي حققتها الاجهزة التجارية كانت زهيدة جداً : ٢٢ . بالمائة في السنة ١٩٣٤ ؛ و ٦٤ . بالمائة في السنة ١٩٣٦ . فالتجارة السوفيائية هي تجارة لا تعمل « من اجل الربح بل من اجل المستهلكين » (بتلهاييم) . وفي السنة ١٩٣٤ استند الى مفوضتين - تجارة داخلية وصناعة المواد الغذائية - مهمة الاشراف على التوزيع وتحديد الاسعار ورقابة مؤسسات

البيع بالتفصيل وإدارة مخازن الدولة، مخازن البيع بالجملة ومخازن البيع بالتفصيل. وتأمين تموين منطقة معينة بجهاز خاص (تورغ) ، متخصص او غير متخصص ، يتمتع في اغلب الاحيان بالاستقلال المالي ويوزع المنتوجات بواسطة فروعه في المنطقة . وهناك بالإضافة الى ذلك مخازن كبرى ومخازن عامة للتغذية . وإلى جانب شبكة اجهزة الدولة هذه ، تمثل تجارة البيع بالتفصيل في الارياض بمخازن تعاونية (سلبو) في القرية ومجموعات تضم بعض المخازن التعاونية الصغرى (ريزويوز) .

تميزت سنوات التخطيط الاولى بنقص كافة المنتوجات تقريباً ؛ فاضطرت التقنين الحكومة الى الالتجاء الى التقنين كي تتمكن من تأمين السلع الضرورية لكل شخص . وقد اعتمد التقنين في موسكو في السنة ١٩٢٨ ، ثم شمل المدن الكبرى ، واخيراً شمل كافة انحاء الاتحاد السوفياتي ، وطبق على كافة السلع المعتادة ، شرط التسجيل الالزامي في مخزن معين عرف باسم « المخزن المغفل » . وغالباً ما قامت ، الى جانب هذه السوق القانونية ، سوق غير قانونية ، غرض النظر عنها حيناً وتعرضت لمكافحة قاسية حيناً آخر ، ارتكزت في معظم الاحيان الى المقايضة واستعمال الحلي والذهب والنقد الاجنبي ، وبغية مكافحتها مكافحة فعالة ، تأسست في السنة ١٩٣٢ سوق قانونية ثانية شملت مخازن عرفت بـ « المخازن التجارية » ، سمح بالشراء منها دون تسجيل ودون تقديم بطاقات ، ولكن بأسعار اعلى منها في المخازن المغلقة بصورة ملموسة ؛ وحين زال التقنين في السنة ١٩٣٥ ، لم يبق ما يميز بين السوقين . فكان هنالك في آن واحد ثلاث حلقات تجارية تختلف الاسعار فيها بعض الاختلاف : تعاونيات المزارعين او القرى (افضلها) واسعارها ادنى من اسعار التجارة العادية بنسبة ١٠ الى ١٥ بالمائة ، سوق التعاونيات الانتاجية المقتصرة على المواد الغذائية ، سوقاً مخازن الدولة ذات الاسعار الحرة ومخازن الدولة ذات الاسعار القانونية المحددة . ولكن المواد الاستهلاكية لم تنتج يوماً بكمية كافية لسد كافة الحاجات نظراً لتزايد عدد السكان تزايداً اسرع من تزايد انتاج المواد الاستهلاكية ، مما ادى ، حتى بعد زوال التقنين في السنة ١٩٣٥ ، الى استمرار التباين بين العرض والطلب ، وإلى مساس الحاجة اساساً دائماً الى الاحذية ، والمنسوجات ، ولا سيما الالبسة . ولذلك عمدت الدولة الى الحد من طلب المستهلكين اما برفع اسعار البيع بالتفصيل وتخفيضها واما باللجوء الى السوق المزدوجة .

التجارة الخارجية - اما التجارة الخارجية فقد أتمت دون ان يترك فيها اي مكان للعبادة الخاصة . فوزارة التجارة الخارجية هي ما تعد مخططات التصدير والاستيراد وتراقب نشاط « الوكالات التجارية المركزية » المتخصصة في تصدير بعض المنتوجات او الادوات ، التي يجب ان تجري بواسطتها كافة العمليات التجارية . ولا توجد وكالات تجارية خاصة بكل بلد الا للتجارة - بشروط معينة - مع الشرقين الادنى والاقصى . فان هذه الوكالات ، التي تتمتع بالاستقلال المالي ، ممثلة باستمرار في الخارج بعملاء ، عرفوا باسم « الممثلين

التجارين ، ، يسهل معاملاتهم المالية مصرف الدولة او مصرف التجارة الخارجية او المصارف السوفياتية المؤسسة في الخارج (مصرف التجارة الروسية في لندن ، المصرف التجاري لاوروبا الشمالية في باريس ، الخ.) او المصارف الاجنبية التي تفتح الاعتمادات للمستوردين السوفيات ، واخيراً القروض الطويلة الاجل التي تعطيها بعض الحكومات الاجنبية للشراء من بلدانها (تشيكوسلوفاكيا في السنة ١٩٣٥ ، بريطانيا العظمى في السنة ١٩٣٦) .

لم يكتمل مثل هذا التنظيم دفعة واحدة وبدون صعوبات جديدة
صعوبات التطبيق
احياناً ، ولم يتح الاختبار اصلاح اخطاء السنوات الاولى الا تدريجياً .
فاشتركية الصناعة قد تحققت عملياً خلال فترة الخطة الخمسية الاولى ، اذ هبطت حصة القطاع الخاص الى ٥.٠ بالمائة في السنة ١٩٣٢ بعد ان كانت ٥٦.٠ بالمائة في السنة ١٩٣٠ . اما تأميم الزراعة فكان اقل سرعة الى حد بعيد وقد اصطدم بمقاومات عنيفة من قبل الفلاحين الذين تعرضوا لتدابير قسرية وتسببوا في تأخير الانتاج وانقاصه احياناً ، ولا سيما في حقول تربية المواشي . وهي « محطرات الآلات والجرارات » ، الموقع الستراتيجي الرئيسي للدولة في الارياض ، ما سهلت تحقيق هذا التأميم بفضل رقابتها على الزراعة وعملها التنسيق .

اصطدم تنفيذ الخطة الصناعية بصعوبات من نوع آخر اكثر تعقيداً الى حد بعيد ، فهي قد استلزمت تنسيقاً وثيقاً بين الخطط الجزئية المترابطة : خطة التمويل ، والتجهيز ، واليد العاملة ، والطاقة ، ووسائل النقل ، الخ. ، وكانت ضرورياً ، كل سنة ، ان تصحح الخطة السنوية الخطة الابعادية وتكيفها وفقاً للمتطلبات الجديدة والنتائج المحققة . والحال كان الكثير الكثير من اقسام الخطة الاولى قد رسم « تقديرياً » دون معرفة كافية بالشروط العامة لتنفيذها ، وانطوى تخطيط اسعار البيع بالمجمل على عيوب كثيرة احياناً لانه لم يترك اي مجال لارباح المشاريع ، فحدث تشويش جزئي بين فروع الاقتصاد المختلفة مما ادى الى الفشل احياناً .

اضف الى ذلك من جهة ثانية ان تطبيق الخطة الاولى قد جرى بسرعة فائقة ادت الى نهكة المستخدمين وخلق المعدات ، فبرزت عيوب في المصنوعات نجمت عن استثمار سريع وتقديرات خاطئة للموارد ، وحاجسة الى المستعملين الاختصاصيين او المعدات الضرورية ، وسوء توزيع في الاموال (بين مصانع غزل القطن ومصانع حياكته مثلاً) ، وعجز في بعض مراحل التنفيذ (ولا سيما في وسائل النقل) ، وسوء تقدير للحاجات . الا ان الخطة الخمسية الثانية توفقت الى ازالة هذه الصعوبات جزئياً . وحينذاك تميزت اللامركزية في هذه البلاد التي قامت احدى نقاط الضعف فيها في نقص وسائل النقل ، وفضلت مصانع اكثر تواضعاً ودخلا على المصانع « الجبارة » الاولى . وكانت هناك صعوبة اخرى غير مرتقبة : فخلال الخطة الخمسية الاولى ، بلغ التجاوز في خطة اليسد العاملة نسبة ٥٠ بالمائة ، مما ادى الى تجاوز كبير في خطة الاجور تسبب في مزيد من التشويش بين ازدياد حجم الدخول الاسمية وزيادة حجم المراد الاستهلاكية المتوفرة في السوق التجارية .

بيد ان اجهزة التخطيط تكاملت تدريجياً يوماً بعد يوم ، ففي اوائل الخطة الخمسية الثالثة تيسر تكيف التنظيم وفقاً لقاعدة تتطور تطوراً دائماً ، ولانت اساليب ادارة الاقتصاد كما يثبت ذلك توسع المحاسبات المستقلة والتمويل الذاتي وانخفاض مساعدات الدولة . فان المشروع الذي اعتبر في الاصل « كمجموعة مهام حسية واجبة التحقيق » قد اخذ يتحول شيئاً فشيئاً الى مجموعة تدابير اقتصادية تضايق متطلبات الشخص اكثر فأكثر .

ولم يرسم تخطيط استخدام اليد العاملة بطريقة استبدادية بعد اليوم ، فقد كان حساب الاجور التفاضلي كافياً لاجتذاب اليد العاملة نحو فروع الصناعة الخاسرة ، كما اتاح تقدم المدارس والدروس التقنية التغلب على الصعوبات التي صودفت في البدء بسبب يد عاملة جاهلة آتية من الارياف وعاجزة عن تطبيق التقنيات الجديدة .

بينما كانت الدول الاخرى غارقة في الازمة الاقتصادية
الاتحاد السوفياتي
الخطة التي ابتدأت في السنة ١٩٢٩ ، خلص التخطيط
في الازمة الاقتصادية العالمية
واستراتيجية الاقتصاد الاتحاد السوفياتي من نتائج الازمات
الكلاسيكية : البطالة ، هبوط الاسعار ، تضخم الانتاج . فان الاقتصاد الروسي قد عمد
— خلال اسوأ سنوات الازمة — الى توظيف رؤوس اموال كبيرة جداً ، واستخدم مزيداً من
العمال وزاد انتاجه زيادة كبرى حين كان هذا الانتاج آخذاً في الهبوط في كافة البلدان
الاخرى . وفي العالم اجمع لم تجد منتجات الزراعة والصناعة من يشتريها ، لا لأن الحاجات
كلها كانت مشبعة ، بل بسبب عدم توفر طاقة الشراء الكافية للاستحصال عليها ، فالبطالة
كانت نتيجة استخدام التقدم التقني والتنظيم اللذين خفضا عدد الاجراء ، فحدثا من عدد
المستهلكين ، وأدى هذا الحد بدوره الى تفاقم البطالة . اما الاتحاد السوفياتي ، الذي توفرت
له موارد عظيمة في ارضه وباطن ارضه ، فقد تمكن في آن واحد من تحسين تقنياته
وانتاجيته واستخدام كافة عماله ورفع مستوى الاستهلاك تدريجياً .

في الحقل الصناعي احرز الانتاج تقدماً عظيماً ، ففي السنة ١٩٣٢ ارتقى الاتحاد السوفياتي
الى المرتبة الثانية بين البلدان الصناعية ، ويبدو ان هذا الارتقاء كان سريع الزوال ، لان المانيا
تفوقت عليها بسرعة مرة اخرى بفعل نشاط صناعات التسلح ، إلا ان روسيا توفقت في السنة
١٩٣٩ الى احتلال مرتبة القوة الكبرى الثالثة بصورة نهائية ، قبل بريطانيا العظمى وفرنسا ،
وقد بلغ انتاجها آنذاك ٤/١ انتاج المانيا .

هل يعني ذلك ان الازمة العالمية لم تترك انعكاساً على تطور الخطط ؟ ان الازمة قد شوشت
تشويشاً خطيراً النتائج المقدرة للخطة الخمسية الاولى باهباطها الصادرات الى ما دون المعدل
المرتقب او المرجى ؛ فبات لازماً ، من اجل استيراد معدات التجهيز الضرورية ، اللجوء الى
احتياطي الذهب والنقد الأجنبي ، وعلى الرغم من ذلك بقيت المعدات المستوردة دون تقديرات
الخطة . لذلك فان الحصة المقدرة للتجارة الخارجية في الخطة الخمسية الثانية قد خفضت تخفيضاً

هاماً لا بالنسبة للسنوات السابقة فحسب بل بالنسبة للسنة ١٩١٣ التي لم يُبلغ سوى ٢/٣ مستواها. فاضطر الاقتصاد السوفياتي من ثم الى الانعزال أكثر فأكثر والاتجاه نحو مزيد من الاستقلال عن التجارة الخارجية ؛ ففي السنة ١٩٣٩ بلغ من هبوط هذه الاخيرة انها لم تمثل سوى ١٠٣ بالمائة من التجارة العالمية بينما بلغ الانتاج الصناعي ١٢ بالمائة (في السنة ١٩١٣ : ٤ بالمائة من الانتاج الصناعي ، و ٣ الى ٤ بالمائة من التجارة العالمية) .

عبء التسليح
في حقول اخرى ، زادت الازمة العالمية من حدة التوتر بين الدول
فتركت ايراً عظيماً في تطور الاتحاد السوفياتي . فمنذ ان اصبحت
النازية سيده المانيا ، اتضح الخطر الذي خشيته الاتحاد السوفياتي ابداً . وكانت النتيجة
الطبيعية لتعزيز الاقتصاد الحربي الالماني ارغام الاتحاد على بذل مجهود عسكري عظيم . وعلى
نقيض ردود الفعل الضعيفة والبطيئة في الدول الغربية امام الخطر الالماني ، عمد الاتحاد
السوفياتي دون تأخر الى زيادة نفقاته العسكرية ؛ ومنذ السنة ١٩٣٥ بلغت هذه النفقات ثلثها
في المانيا الى ان بلغت خمسة اسداسها في السنة ١٩٤٠ ، اي ان المجهود السوفياتي كان مساوياً
لمجهود الالماني ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار طاقة الاتحاد الصناعية .

لا شك في ان الأموال الطائلة التي استلزم توظيفها انتاج الاسلحة هذا ووجوب تخزين كميات
كبرى من المنتوجات الغذائية والمواد الخام ، لمواجهة حرب محتملة ، وتعزيز الجيش الاحمر بانتزاع
ملايين الشبان من الصناعة والزراعة ، قد زادت صعوبات تنفيذ الخطط . وعلى نقيض هتلر الذي
جمع جنود جيشه وعمال مصانعه الحربية من بين ملايين البطالين ، اضطر الاتحاد السوفياتي الى
جمعهم من بلاد لم يكن فيها بطال واحد . وكانت النتيجة تأخراً في انتاج مواد الاستهلاك (عينت
الخطوة الخمسية الثالثة الهدف الواجب بلوغه في السنة ١٩٤٢ في حقل المنسوجات بمستوى ادنى
من المستوى الذي قدرته الخطوة الثانية في السنة ١٩٣٧) . وبلغ من نقص اليد العاملة ان التدابير
قد اتخذت لاستقرارها وتأمين تعبئتها : منذ السنة ١٩٣١ عقدت اتفاقات مع المزارع المؤممة
لتقديم عدد من العمال بأجر محدد لفترة تتراوح بين ستة اشهر واثنى عشر شهراً ؛ وفي السنة ١٩٣٨
بلغ عدد مثل هؤلاء العمال ١ ٥٠٠ ٠٠٠ ؛ وفي هذه السنة نفسها ، وبغية الحد من ابطال العقد من
طرف واحد ، وضعت « بطاقة » تدون فيها ظروف انتهاء الاستخدام الاول . ونظمت
الاجازات المدفوعة وخدمات الضمان الاجتماعي ؛ وفي حزيران من السنة ١٩٤٠ ، تحولت
الصناعة الى انتاج المعدات الحربية ، وحدد يوم العمل بثمانى ساعات بدلا من سبع ساعات ،
وحظرت مفادرة العمل بدون اجازة . ونظم في شهر تشرين الاول - بغية اعداد مسؤولين
يشرفون على الاعمال - « احتياطي عمل » يضم بين ٨٠٠ الف ومليون شاب تتراوح اعمارهم بين
الرابعة عشرة والسابعة عشرة ، يلحقون بمدارس فنية حيث تتعهد الدولة وتعلمهم وتدريبهم على
نقمتها ؛ وكانت عليهم بعد ذلك العمل طيلة اربع سنوات في احد المصانع او احد المشاريع ،
فيصفون بالمقابلة من كل واجب عسكري . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان المفاوضات الصناعية

منحت 'صلاحيات مطلقة لنقل العمال والفنيين الى حيث تمس الحاجة اليهم .

الدخل القومي
اتاحت انطلاقة الانتاج الصناعي وزيادة الدخل القومي مواجهة هذه النفقات العسكرية الباهظة . وقد قدر « كولين كلارك » ارتفاع الدخل القومي للشخص العامل الواحد من ١١٧ في السنة ١٩٢١ الى ٢٩٠ في السنة ١٩٢٨ ، و ٣٧٩ في السنة ١٩٣٧ ، وهو ارتفاع اسرع منه الى حد بعيد في الدول الاخرى ، وان بقيت النسبة في هذه الدول اكثر ارتفاعاً (للسنة ١٩٢٨ والسنة ١٩٣٦ او ١٩٣٧ ، ١٠٩٠ و ١٢٧٥ في بريطانيا العظمى ، ٢٩٣ و ٣٣٧ في اليابان ، ٦٧٥ و ٧٤١ في ألمانيا) ، في حين هبطت في الولايات المتحدة من ١٥٥٧ الى ١٤٨٥ وفي فرنسا من ٧٢٩ الى ٦٤١ (في السنة ١٩٣٤) . وعلى الرغم من هذه النجاحات الجبارة فان الاتحاد السوفياتي كان في السنة ١٩٤٠ ابعد من ان يدرك منافسيه .

اذا كان هدف الاشتراكية « تأمين اشباع حاجات المجتمع المادية والثقافية المتزايدة تزايداً دائماً بتنشيط واتقار الانتاج الاشتراكي ابدأ على اساس تقنية رفيعة » (ستالين) ، جاز لنا القول ان هذا الهدف لم يتحقق تحققاً كاملاً قبل السنة ١٩٤٠ وان توزيع المنتجات مع مراعاة اذواق المستهلكين لم يكن ممكناً في يوم من الايام ، وذلك بسبب الاخطار الخارجية وارتفاع عدد السكان والفرق المتعظم بين الاجور المتزايدة ومواد الاستهلاك التي لم يرتفع حجمها بالنسبة نفسها .

٢ - النظام الاجتماعي الجديد

تحديد الاجور
ليس شكل البلاد المادي ما تحول فحسب ، بل المجتمع ايضاً . فان الاقتصاد السوفياتي ، الذي لم يكن بعد اقتصاداً شيوعياً ، لم يحاول تطبيق المبدأ الفائل : « من كل شخص بحسب طاقاته الى كل شخص بحسب حاجاته » . والى ان يمكن تحقيق مجتمع يتقاضى كل شخص فيه اجره عيناً ودون اي تحديد سوى حاجاته ، يجري توزيع مواد الاستهلاك بدالة القيمة الاجتماعية التي ينطوي عليها العمل المؤدى للجماعة . وقد سبق للينين ان لفت الانتباه الى ما يلي :

« الزعم باننا سنجعل كافة البشر متساوين فيما بينهم كلام اجوف وبلاهة ادباء » ؛ ثم قال ستالين موضعاً : « المساواة في كافة حاجات الحياة الخاصة بلاهة بورجوازية رجعية خليقة بشيخ النساك القديمة ، لا بمجتمع اشتراكي منظم تنظيمياً ماركسياً ، لاننا لا نستطيع ان نفرس على الناس ان تكون لهم حاجات واحدة واذواق واحدة وان يعتمدوا في حياتهم الشخصية مياراً معيشياً واحداً » .

فعدم المساواة في مكافأة العمل هو من ثم القاعدة ، وسلم الاجور خايته تشجيع الانتاجية والمساعدة على ترقية العمال . وقد قال ستالين في السنة ١٩٣١ :

« لن تتحقق زيادة الانتاج الصناعي الا بوضع سلم للدخول يبرز الفوارق بين العمل ، الاختصاصي والعمل غير الاختصاصي ، وبين العمال المتمرنين والعمال المبتدئين » .

ولكن الاجر ، خلافاً لمفهومه في الاقتصاد الرأسمالي ، اي « ثمن طاقة العمل المبذولة في سوق العمل » ، هو « نتيجة توزيع القسم القابل الاستهلاك من الدخل القومي بنسبة العمل الذي ينجزه كل شخص » . ويحري هذا التوزيع بناء على « مخطط اجور » يوازن بين حجم الاجور الموزعة في كافة حقول الاقتصاد وبين حجم - و ثمن مبيع - المواد الاستهلاكية : يحدد « مال الاجور » لكل صناعة وفروع الاقتصاد المختلفة بدالة عدد العمال في كل منها ، ومستواهم التقني ، و انتاجيتهم ، والصعوبات الخاصة التي قد تعترضها ، وينفذ العمل بعد ذلك بين المصانع بواسطة اتفاقات جماعية ، اما عامة (معقودة بين الوزارات او الادارات المركزية للصناعات المختلفة وبين النقابات المحلية) ، واما محلية (معقودة بين الاجهزة والنقابات المحلية) ، توزع في كل مشروع الاموال المخصصة لعماله . وتعقد هذه الاتفاقات لمدة سنة ، اي انها تدخل في صلب المخطط السنوي وتعديل بدالة تقديرات السنة . اما موظفو ومستخدمو الادارات الذين يتقاضون اجورهم مباشرة من موازنة الدولة ولا ينتسبون لمؤسسات تتمتع بالاستقلال المالي ، فهم الوحيدون الذين لا تشملهم العقود الجماعية .

يتألف الاجر من ثم من عدة عناصر : الاجر الاساسي ، عناصر الاجر المكافآت ، الاجر الجماعي . ويؤلف « الاجر الاسمي الاساسي » الحد الأدنى اللازم للمعيشة ويؤمن لكل شخص سبل الحصول على المنتجات والخدمات الضرورية له . هذا هو اجر القبالة الذي اصبحت القاعدة منذ السنة ١٩٣١ (٨٠ ٪ في السنة ١٩٣٥ و ٩٠ ٪ في بعض الصناعات) . ويختلف هذا الجزء من الاجر لا بحسب كمية ونوعية العمل المنجز فحسب ، بل بحسب طبيعة الاعمال (المتفاوتة مشقة وظروفاً صحية) والكفاءة الشخصية وحاجات اليد العاملة ايضاً ، بحيث يُجذب العمال نحو فروع الصناعة المفتقرة اليهم . ويتوزع العمال على ثمان فئات اولاهما فئة العمال المبتدئين الماديين واخيرتها فئة العمال الكفاء جداً ، ففي سنوات الخطة الاولى كانت النسبة بين هاتين الفئتين القصويتين نسبة ١ الى ٢٤٨ ، وفي السنة ١٩٣١ اتسعت الفوارق بين الفئتين وارتفعت النسبة الى ٣٤٦ (في فرنسا : خمس فئات كانت النسبة بين درجتيها القصويتين نسبة ١ الى ١٤٧٠) . وبصورة عامة كاد متوسط الاجر الاسمي يتضاعف خلال كل من المخطط الخمسية ، مرتفعاً من ٩٢٩ روبية في السنة ١٩٢٩ الى ١٥٧٩ في السنة ١٩٣٣ ، و ٢٩٠٠ في السنة ١٩٣٧ ، و ٤٠٦٧ في السنة ١٩٤٠ . اما الاجر الحقيقي فلم يسلك الطريق الصاعدة نفسها ، وربما بدا ، كما يقول بتلهاييم ، ان ارتفاع الاجر الحقيقي كان بنسبة ٢٥ ٪ بينما ارتفعت اسعار البيع بالتفصيل الى اربعة اضعافها خلال الفترة نفسها . كما يبدو ، بعد السنة ١٩٣٧ ، ان هذا التحسن اصبحت اكثر ظهوراً وانه ربما بلغ ٣٠ ٪ .

يضاف الى هذا الاجر الأدنى مكافأة انتاج حين يتخطى العامل المستقل او الفريق الذي

ينتسب اليه المعدل المحدد ، وهي مكافأة تصاعدية بحيث يتضاعف الاجر ، كما في المناجم مثلاً ، اذا بلغت نسبة تخطي المعدل ١٠ بالمائة ، ويرتفع الى ثلاثة اضعافه اذا بلغت ٢٠ بالمائة ، الخ . وهناك طريقة اخرى للمكافأة تأخذ بعين الاعتبار نوعية الانتاج ، بحيث ترتفع المكافأة اذا كانت هناك نسبة معينة من القطع المنتجة « غاية في الجودة » . ويضاف اليه كذلك مكافآت اقدمية تستهدف استقرار اليد العاملة ، قد تبلغ ١٥ بالمائة بعد مرور ٥ سنوات ، و ٣٠ بالمائة بعد مرور ١٥ سنة . وباستطاعة العمال اخيراً تقاضي حصة من ارباح المشروع الذي يعملون فيه . وكان هذا التوزيع سهلاً في التعاونية الزراعية او المصنع اليدوي ، ولكن عمال الصناعة الثقيلة استفادوا منه اما بشكل فوائد يقدمها لهم المشروع وتدخل في الاجر الجماعي ، واما بشكل مكافآت فردية تحدد قيمتها النقابات نفسها . ففي الحقيقة يشمل الاجر قسماً لا يقبض نقداً ، هو « الاجر الجماعي » المتساوي للجميع الذي يكفي الانتساب الى جماعة للاستفادة منه . الا انه ينطوي على الرغم من ذلك على بعض التفاوت لأن هنالك ، الى جانب الاجر الجماعي الذي هو واحد في كافة النحاء الاتحاد ، « اجر المشروع الجماعي » الذي تفديده ارباح المشروع . ويشمل هذا الاجر معاش التقاعد في سن الخمسين ، وبعد عشرين سنة عملاً للنساء ، وفي سن الخامسة والخمسين وبعد خمس وعشرين سنة عملاً للرجال ، وهو مساو لنصف الاجر الاخير ، وقد يبلغ الـ ٦٠ بالمائة في بعض فروع الاقتصاد ، والعناية الطبية المجانية ، والمعالجة الوقائية ، وخدمات الامومة ، والتعويضات العائلية منذ السنة ١٩٣٦ للعائلات التي تضم سبعة اولاد على الاقل (ثلاثة اولاد منذ السنة ١٩٤٤ ، حين اقرت في الوقت نفسه منح ولادة) ، واجازات الامومة ، والاجازات المرضية ، والملاجيء النهارية للاطفال ، والنفقات الصيفية ، والتعاونيات ومحلات بيع المأكولات والمشروبات ، والاجازات (بين ١٢ و ٤٨ يوم عمل بحسب طبيعة العمل ، مع اضافة تتراوح بين اسبوعين و ٣٦ يوماً للحرف الشاقة : عمال المناجم وعمال مصانع الفولاذ والتعدين ، وبين ٢٤ و ٤٨ يوماً للعمال المثقفين ، و ٤٨ يوماً للهيئة التعليمية) ، والنوادي والمكتبات والمسارح والملاعب الرياضية ، الخ . وان هذه الفوائد ، التي كانت في السنوات الاولى نظرية اكثر منها حقيقية ، تمثل في السنة ١٩٤٠ زهاء ٣٠ بالمائة من الاجر الاسمي ، وسوف تزداد اهمية يوماً بعد يوم ، حتى اذا ما مثلت ١٠٠ بالمائة من الاجر يكون المجتمع الشيوعي قد تحقق .

اما اجور مستخدمي التجارة والمكاتب وصغار الموظفين فقد حددت بالاستناد الى قواعد الاعمال المأجورة الاخرى نفسها ، ولكن بمعدل ادنى من معدل اجور فئات العمال الاخرى ، ففي السنة ١٩٣٩ كانت تتراوح بين ١٠٠ روبية شهرياً لادنى البياعين اجرا شهرياً و ٢٠٠ الى ٣٠٠ روبية لمدير المتجر او المكتب ، وكان يضاف اليها مكافآت نسبية لدخول المبيعات .

وحددت اجور المهندسين والمستخدمين الفنيين استناداً الى القواعد نفسها التي حددت بموجبها

اجور العمال ، مع سلم تصاعدي ومكافآت انتاج قد تضاعف الاجر الاسمي . وعلى العموم تقاضى المستخدم الفني المبتدىء اجراً يفوق اجر العامل الاختصاصي . فاذا تقاضى العامل غير الماهر ١٠٠ ، فان العامل يتقاضى بين ١٠٠ و ٣٧٠ ، ورئيس العمال بين ١٥٠ و ٤٠٠ ، والمهندس المبتدىء بين ٢٠٠ و ٦٠٠ والمهندس المدرب بين ٣٠٠ و ١٠٠٠ ، ومسدير المشروع الصغير بين خمسمائة و الف ، ومدير المشروع الكبير بين ٨٠٠ و ٢٠٠٠ ، اي بنسبة ٢٠ الى ١ . وحسدت اجور العلماء والمهندسين المشتغلين في المختبرات استناداً الى القواعد نفسها ايضاً وبالنسبة عينها مع امكانية تقاضي مكافآت تعادل الفوائد التي يمكن ان يجنيوها ، في البلدان الاخرى ، من براءات الاختراع ، فتتراوح مرتباتهم من ثم بين المعدل ٤ والمعدل ٢٥ الاستثنائي (بالنسبة للعامل غير الماهر) . وبصورة عامة ، يمتاز وضع الفنيين عن وضع اقرانهم من الاجانب ، (ج . روموف) . أما مرتبات كبار الموظفين والقادة ، وهي ادنى من مرتبات ارفع الفنيين رتبة ، فتبلغ المعدل ٢٥ بالنسبة للمستخدم المبتدىء ، ويصل بعض كبار الموظفين الى المعدل ٣٠ . وتفرض على الاجور ضريبة تصاعدية متفاوتة تمثل ٢١ بالمائة من مرتب موظف اعزب يتقاضى ١٢ الف روبية .

اما ذور « المهن الحرة » ، من اطباء ومحامين ، فموظفون ايضاً ، وهم يتقاضون مرتباً يوافق ، فيما خص الطبيب ، خمس ساعات عملاً ويختلف باختلاف المكان وقيمة الشخص الذي قد يتقاضى عدة مرتبات (في عدة مشاريع معاً مثلاً) ويقبض بعض المكافآت .

منذ ثورة تشرين الاول تأكد الهدف الاخير للحزب الشيوعي الفئات الاجتماعية وهو خلق مجتمع بدون طبقات . فقد شرع في تصفية الطبقات المتسلطة منذ تشرين الاول بالقضاء على قوتها السياسية ، ثم قضى نزع الملكية قسراً على طبقة الملاكين العقاريين والبورجوازية الكبرى ، واخيراً وجه الانتصار على مناهضي الثورة ، خلال الحرب الأهلية ، ضربة قاضية لكل ما تبقى منها . بيد ان تصنيفهما لم تكن في السنة ١٩٢٨ لا كاملة ولا نهائية لان السياسة الاقتصادية الجديدة اتاحت لبورجوازية جديدة من المحتكرين والكولاك ان تبرز الى الوجود بسرعة ، فلم يتبدل نظام المجتمع السوفيياتي من ثم تبديلاً نهائياً الا بفعل سياسة التخطيط . ففي السنة ١٩٢٨ كان العمال والمستخدمون يمثلون ١٧ بالمائة من المجتمع ، وفلاحو التعاونيات الزراعية ٣ بالمائة ، والمستثمرون الفرديون والصناعيون اليدويون غير المنتسبين الى التعاونيات ٧٣ بالمائة ، والعناصر البورجوازية (محتكرون وكولاك) ٥ بالمائة ، وباقي السكان (الجيش والطلاب وذور المرتبات ، الخ .) ٢ بالمائة . وبعد انقضاء عشر سنوات اصبح ٩٠ بالمائة من السكان عمالاً ومستخدمين (٣٥ بالمائة) وفلاحين (٥٥ بالمائة) يشتغلون في قطاع الدولة الاشتراكي وفي التعاونيات الزراعية ، ولم يمثل المستثمرون الفرديون والصناعيون اليدويون آنذاك سوى ٦ بالمائة ، وتلاشت الفئة البورجوازية ، وارتفعت نسبة العناصر المختلفة ، من

طلاب وجيش ، النخ . ، الى ٤ بالمائة . فالفتتان الاساسيتان من ثم هما العمال والفلاحون ، ويجب ان يضاف اليهما فئة ثالثة هي فئة المثقفين . وقد خفت قوارق ما قبل الثورة بين هذه الفئات الثلاث ، ولكن بعضها ما زال قائماً . وقد نجمت في الدرجة الأولى عن وجود شكلي ملكية : ملكية الدولة و ملكية التعاونيات . فالعمال يشتغلون ، بصورة حصرية ، في اطار مشاريع الدولة (مناجم ، معامل ، مصانع ، محطات الآلات والجرارات ، مزارع نموذجية كبرى) ، ويكافأون على اتمائهم بشكل اجور ، بينما يقوم الفلاحون ببعض عملهم في اطار ملكية التعاونيات الجماعية (التعاونيات الزراعية) وبالبعض الآخر في اطار الملكية التي يتمتعون بها شخصياً ، ويكافأون على اتمائهم باجور عينية او باجور نقدية توفرها لهم دخول تعاونياتهم ، ويكملونها بالمواد الزراعية التي تنتجها اراضيهم الخاصة . وكانت نتيجة ذلك - بين العمال والفلاحين - اختلافات في العقلية وفي مستوى التقدم التقني والثقافي . فان العمال ، الذين اشتركوا منذ البدء في النضال الثوري ، وتنظموا نقابات منذ ابعد من ذلك ، قد استسهلوا النظام الاقتصادي الجديد ، بينما حافظ الفلاحون على مثالية وسيكولوجية صغار الملاكين . الا ان الفوارق خفت حدتها مع الاجيال الطالعة : فان العمل في التعاونية الزراعية قد خلق فيما بينها ذهنية مشتركة بين العمال والفلاحين ، واسهم اعتماد الآلات بصورة خاصة في تبديل مفهوم الفلاح تبديلاً جذرياً ، اذ انه قد قرب العمل الزراعي من العمل الصناعي بالتجهيزات التقنية المشابهة اكثر فاكتر للتجهيزات الصناعية ، وبادخال الاساليب والمعارف العلمية . وفي السنة ١٩٤٠ كان اعتماد الآلات في العمل الزراعي قد احرز تقدماً عظيماً : فقد بلغت نسبة اعتماد الآلات في اعمال الحقول (حرثة ، اسلاف ...) ٦٦,٦ بالمائة في زراعة الحبوب الربيعية ، و ٨٢,١ بالمائة في الزراعات الخريفية ، و ٥٢,٤ بالمائة في البذر الربيعي و ٥٣,٤ بالمائة في البذر الخريفي ، وفي هذا التاريخ ايضاً ، تجمعت ٤٢,٦ بالمائة من الحبوب و ٧٧,٦ بالمائة من الشمندر بواسطة الآلات . وكما يلاحظ ذلك « هنري اردان » ،

« يفرض ارتفاع المعدل العام لانتاج الحنطة ، من ٧ قناطر في الهكتار قبيل الحرب العالمية الاولى الى قرابة ١٢ قنطاراً قبيل الثانية ، ارتفاع مستوى الفلاح التقني ارتفاعاً يلفت الانتباه » .

وهكذا اصبح عدد كبير من الشبان الفلاحين فنيين مهرة فتمثلوا اكثر فأكثر بالعمال بفعل ثقافتهم وظروف عملهم . وأخذت تتلاشى الفوارق بين سكان القرية وسكان المدينة .

وتألفت الفئة الثالثة في المجتمع السوفياتي من العلماء والفنيين والاساتذة والاطباء والبياطرة ، النخ . وقد أسهم التعليم الابتدائي الالزامي ، والمدرسة الوسيطة المؤلفة من ٧ الى ١٠ صفوف ، والتعليم العالي ، اسهاماً كبيراً في زيادة أفرادها ، كما ان دروساً قد القيت في المشاريع الكبرى والتعاونيات الزراعية بغية اثارة الفرصة للعمال والفلاحين ، في اية فترة من حياتهم ، لتوسيع معارفهم العلمية وتمكين كفاءتهم المهنية . فارتفع عدد الطلاب في التعليم العالي من ١١٢.٠٠٠ في السنة ١٩١٤ الى ١٧٦.٠٠٠ في السنة ١٩٢٩ و ٦٥٧.٠٠٠ في السنة ١٩٤١ . واذا ما استندنا الى

الارقام الواردة في احصاء السنة ١٩٣٧ ، كان في الاتحاد آنذاك ١٧٥٠٠٠٠ رئيس المشاريع والمؤسسات الادارية والمعاهد الثقافية ، الخ . بينهم ٣٥٠٠٠ مدير لمشاريع صناعية ، وكان هناك من جهة ثانية ٢٥٠ ألف مهندس ومهندس معماري ، و ٨١٠ آلاف فني متوسط الاختصاص في الصناعة . كما كان هنالك ايضاً ٨٢٢ ألف عالم اقتصادي واحصائي ، و ٥٨٢ ألف رئيس تعاونية زراعية ومدير مزرعة لتربية المواشي في الحقل الزراعي ، و ١٩ ألف مدير مزرعة نموذجية ومحطة آلات وجارات ، و ٨٠ ألف مهندس زراعي و ٩٦ ألف فني متوسط الاختصاص في الزراعة ، فيكون المجموع زهاء ٥ ٪ . من السكان المتعاملين عملاً من الاعمال .

ودون ان يكون هناك مجال للكلام عن قطاع ثالث ليس اقل اهمية منه في البلدان الاخرى ، فمن الثابت اطراف نمو فئة الفنيين والاداريين وكل من لا يأتي عملاً يدوياً . فهل يسمعنا القول والحالة هذه اننا امام بوجوازية جديدة في طريق التكون ، او امام « طبقة حاكمة » تتألف من كافة المسؤولين عن ادارة الاقتصاد الذين قد يميلون الى جمع السلطة السياسية بين ايديهم ؟ ام اننا امام عناصر من الطبقة العمالية والقروية يقومون اليوم بوظائف اقصوا عنها في ظل العهد القديم ويحتفظون باتصال وثيق بالبيئة التي انحدروا منها ، وأنواع المعيشة نفسها وطرائق التفكير نفسها والمثل العليا نفسها ؟ كل ما يسمعنا قوله ان الكثيرين من هؤلاء « المطوقين بطوق ابيض » ابعد من ان ينتسبوا الى الفئات التي تتقاضى الاجور المرفوعة وان تسلسل الاجور والتميز بين الوظائف لا يبدو ان منتسبين الى استتباع تمييز بين مستويات المعيشة وارتفاع الحواجز المائلة لها في البلدان الرأسمالية .

مستويات المعيشة
فالفرق في الاجور من ثم كبير جداً بين فئات العمال المختلفة ، وفاقاً لكفاءتهم ومنفعة الانتاج والاقدمية التي يتقاضونها ، وبين الصناعات ، وبين المدن الكبرى والصغرى ، ولكن الفرق في المستويات ، كما يلاحظ ذلك « م . سوفي » ، اقل بروزاً بفعل وجود حركتي بضائع احدهما تتيح الحصول بأسعار معتدلة على الكميات التي تقابل الحد المعيشي الادنى ، والثانية التي لا يمكن الحصول فيها على البضائع نفسها الا بسعر اكثر ارتفاعاً الى حد بعيد ، وبفعل ندرة المنتجات « البذخية » ايضاً .

ونظراً الى نقص المقارنات المبنية بسبب الدمار الذي تركته الحرب وتزايد سكان المدن ، كانت المساحة الموضوعة بتصرف العائلة الواحدة محدودة بنسب تختلف باختلاف المناطق والمهنة ، اي ١٢ م^٢ للعامل العادي ، و ١٦ م^٢ للعامل المحكم ، و ٣٠ م^٢ للمهندس . واختلف السعر الاساسي للمتر المربع باختلاف الاجور بحيث لا يتجاوز ١٠ بالمائة لأفضل الاختصاصيين ، اي بين ٨ و ٤ بالمائة على وجه متوسط . وثبتت مؤلفات « روموف » والموازنات النموذجية التي وضعها ان الكلفة ضئيلة نسبياً فيما يخص الكراء والتدفئة والاضاءة والانتقال ، وان المواد الضرورية للتنفيذ تحافظ على مستوى متوسط ، ولكن الاسعار ، فيما يخص المنتجات غير الضرورية ، ترتفع ارتفاعاً عظيماً ، اما الملابس فباهظة الثمن . ونادراً ما يتناول العامل

وجبة الطعام المعول عليها خارج محلات بيع المأكولات في المزارع ، وتختلف كلفتها باختلاف وضعه المادي . و « بمقدور العامل ان يعيش حياة محترمة اذا ما تقاضى ٦٠٠ روبية ، وحياة كريهة اذا ما تقاضى ٩٠٠ روبية » (ج. روموف) . وان المقارنات المجرأة بين مستويات المعيشة السوفياتية والفرنسية تسمح بالاستنتاج (المقبول في السنة ١٩٥٣) ان مستوى معيشة عامل الصناعة السوفياتي ادنى بقليل من مستوى عامل الصناعة الفرنسي (١٠ بالمائة تقريباً) وانه يوافق العزّاب ولا يوافق العائلات ، ولكن المساعدات غير المباشرة المقدمة للعائلات الكثيرة الافراد تعيد التوازن الى حاله .

الفصل الرابع

النظام السياسي الجديد

منذ ثورة تشرين الاول حتى الحرب العالمية الثانية ، خضعت روسيا لثلاثة دساتير متعاقبة - ١٩١٨ ، ١٩٢٤ ، ١٩٣٦ - قلبت التنظيم القديم واقامت دولة جديدة ، الاتحادية ، متعددة القوميات لاوحدوية ، ديموقراطية لا استبدادية ، ولكنها مبنية على مدلول للديموقراطية يختلف كل الاختلاف عن المدلول التقليدي .

ترد مميزات النظام ، في مرحلة الانتقال هذه نحو الشيوعية الكاملة ، الى الظروف التاريخية التي بني فيها وتوطد ونما . فمنذ ان اوضح لينين في السنة ١٩١٧ وضع الاتحاد على حقيقته : « ان جمهورية الاتحاد السوفياتي حصن يحاصره الرأسمال العالمي .. لذلك كان من حقنا ومن واجبنا تعبئة كافة السكان لمواجهة حرب محتملة » ، اعتبر الاتحاد نفسه وكأنه يعيش تحت خطر الحرب الدائم . وهذا ما يفسر بعض مواقف حكوماته ، كالتخلي المؤقت عن بعض الاهداف ، والدكتاتورية وتطبيقها الواقعي على الظروف غير المرقبة الناجمة عن اتفاق الظروف الاقتصادية او السياسية العالمية . فالمؤسسات المعتمدة هي من ثم اختلاط ابتكارات اوجحتها المبادئ الماركسية اللينينية وتمهد الطريق لتحقيق الشيوعية ، ومؤسسات مؤقتة فرضتها الظروف ويجب ان تزول حين يُبلغ الهدف .

١ - الاطار السياسي

كان احد مواطن الضعف في الامبراطورية القديمة الجور الذي عانت منه القوميات غير الروسية المخفضة لنظام روسيا الكبرى الدولة المتعددة القوميات المركزي ، مضطهد تقاليدھا ولغاتها واديانها . لذلك اسهمت هذه القوميات اسهاماً فاشطاً في الازمة الثورية ، وقد اثار تردد الحكومة المؤقتة حركات انفصالية شجعها الاجانب تشجيعاً متفاوتاً ، الالمان اولا والحلفاء من بعدهم . فكانت مسألة القوميات من ثم غاية في الامة ، على الصعيد النظري والصعيد العملي على السواء . وكان لينين ، قبل الحرب بزمان بعيد ، قد دافع عن

مبدأ حق الشعوب بحرية تقرير مصيرها ، لان من شأن هذا الحق وحده ان يقضي الى « انصهار حر وطوعي » . ولكنه كان مقتنماً بأن تحقيق الاشتراكية يستلزم دولة مركزية السلطة ، فلا يمكن من ثم ان يكون النظام الاتحادي سوى وسيلة لوقف موجة الانفصالية التي خلفتها الثورة ، او « احد اشكال الانتقال على طريق الوحدة » . ومنذ السنة ١٩٢١ ، اشار ستالين ، مفوض شؤون القوميات ، الى وجه حل المسألة :

« في الحقيقة تنحصر المسألة القومية ... في إزالة تأخر القوميات (اقتصادياً وسياسياً وثقافياً) الذي ورثناه عن الماضي بنية السماح للشعوب المتخلفة بالعاق برussia المركزية من الجهة الدولية والثقافية والاقتصادية » .

منذ نهاية ثورة تشرين الاول ، اذاع مجلس مفوضي الشعب « ميثاق امم روسيا » الذي اعترف بمساواة شعوب روسيا وسيادتها وحققها في تقرير مصيرها ، بما فيه حق الانفصال ، وإبطال الامتيازات الممنوحة لبعضها ومبدأ حرية نمو الاقليات القومية والعنصرية . ومنذ هذا التاريخ اعاد الحكم البلشفيكي الفئات الاسلامية انقباضاً خاصاً ، فوجه الى كافة مسلمي روسيا والشرق اعلام يطعنهم الى ان معتقداتهم وعاداتهم و « مؤسساتهم ... القومية ... والثقافية هي بعد اليوم حرة ومصونة » . واتخذت في الحال تدابير تستهدف ازالة آثار الاستعمار ، فأقصي المهاجرون القوزاق المستعمرون عن مناطق اورنبورغ وسميرتشييه وقازاخستان واقليم الجمهورية التشتيشينو - انغوشيه ، واعترف باللغات البلدية لغات رسمية في الجمهوريات المستقلة استقلالاً ادارياً ، وتأسست جامعة عمال الشرق في موسكو ، كما تأسست فروع لها في اشكباد وطشقند وباكو . ثم كلما توطدت السلطة السوفياتية المركزية وتراجع التدخل الاجنبي ، تحولت القوميات التي كانت قد اعلنت استقلالها الى « جمهوريات اشتراكية سوفياتية » ، وانضمت الى « جمهورية مجالس السوفيات الروسية الاشتراكية الاتحادية » التي تأسست في السنة ١٩١٨ ، وارتبطت جمهوريتا اوكرانيا وروسيا البيضاء ، وجمهوريات اذربيجان وجورجيا وارمينيا - التي التحدت والفت جمهورية ما وراء القفقاس الاتحادية - الى الجمهورية الروسية لتؤلف معها ، في السنة ١٩٢٢ ، « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية » المنفتحة لكل دولة ترتدي طابع جمهورية اشتراكية سوفياتية . والى هذه الجمهوريات الاربع انضمت جمهوريتا اوزبكستان وتركمانستان في السنة ١٩٢٤ وجمهورية تاجكستان في السنة ١٩٢٩ . وفي السنة ١٩٣٦ سيكون هنالك ١١ جمهورية متحدة بعد انضمام جمهوريات قازاخستان وكرغيزيا وجمهوريات اتحاد ما وراء القفقاس الثلاث (الذي 'حل') و ٢٢ جمهورية و ٩ مناطق مستقلة استقلالاً ادارياً و ١٢ اقليماً قومياً . فاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية هو من ثم دولة اتحادية تألف من جمهوريات اتحادية تضم داخل اراضيها جمهوريات واطاليم مستقلة استقلالاً ادارياً . وقد قامت فيها كلها المؤسسات نفسها، وكان لكافة سكان الاتحاد ، الى اية منطقة انتسبوا ، الحقوق نفسها والواجبات عينها .

أن هذا الاتحاد ، المنشأ على النحو المذكور منذ السنة ١٩٢٤

دولة اتحادية

والحدد في دستور السنة ١٩٣٦ ، قد نُظِم على غرار كافة

ولكنها على كثير من المركزية

الدول الاتحادية في العالم : حكومة اتحادية تمسك بزمام

السلطة في الشؤون المشتركة التي يتولاها مفوضون (ثم وزراء) للشؤون الخارجية والتجارة

الخارجية ، والحرب والبحرية ، والنقل ، والبرق والبريد ، وإدارة الدولة السياسية ، والخطط

الخسبية بما فيها اعداد الخطة والاشراف على تنفيذها . وبقي في ايدي الحكومات المحلية : القضاء

والادارة الداخلية ، والتعليم العام ، والصحة والخدمات الاجتماعية ، وكلها شؤون قد تصدر

بها للحكومات المذكورة توجيهات عامة من الاتحاد .

اجهزة الحكم هي : مؤتمر سوفيات الاتحاد الذي ينعقد اقله مرة كل سنتين ، لجنة الاتحاد

المركزية التنفيذية (تسبك) وقد اصبحت مجلس السوفيات الاعلى ، التي ينتخبها المؤتمر وتجتمع

مرتين في السنة وتتألف من مجلسين متساويين في الحقوق ، مجلس سوفيات الاتحاد (المنتخب

بنسبة سكان كل جمهورية او اقليم) ومجلس سوفيات القوميات الذي يمثل - بعدد متساو من

النواب - الجمهوريات المتحدة (٥ نواب ثم ٢٥ لكل منها) والجمهوريات المستقلة استقلالاً ادارياً

(١ ثم ٥ لكل اقليم) ، على اساس مجلس لكل جمهورية او اقليم ، مما جعل العنصر السلافي

اقلية . وينتخب المجلسان رئاسة مجلس السوفيات الاعلى المؤلف من ٢٧ عضواً (مكتباً المجلسين

و ٩ اعضاء آخرين ينتخبهم المجلسان) ، وهي اشبه برئاسة دولة جمعية تمارس بالفعل الوظائف

الحكومية بتفويض صلاحيات مجلس السوفيات اليها تفويضاً دائماً خلال الفترات التي تفصل بين

دورة وأخرى وتشبه امتيازاتها امتيازات رئيس الولايات المتحدة . اما مجلس مفوضي الشعب ،

او « سوفناركون » ، فمرتبط برئاسة مجلس السوفيات الاعلى وبمجلس السوفيات الاعلى .

فالنظام الاتحادي السوفياتي ، من ثم ، « يتعلق بالاجهزة اكثر من الاختصاصات » اذ ان

صلاحيات الحكومة الاتحادية واسعة جداً وصلاحيات السلطات المحلية محدودة . وان اتحاد

الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية هو في الواقع دولة يغلب فيها طابع المركزية على الرغم من ان

لكل دولة دستورها واجهزتها الخاصة .

ان هذا النظام الاتحادي المحدود اتاح للقوميات المحافظة على لغتها وتقاليدها الثقافية ،

وممكن من اجراء الاختبارات المحلية في الحقل الاجتماعي ودرجات التعليم الثلاث التي ارتبطت

(باستثناء التعليم العالي) بالجمهوريات . وبفضل اتساع الاراضي وكثرة المهام الملقاة على عاتق

السلطات العامة ، تمتعت الاجهزة المحلية بحرية عمل كبيرة . ولذلك فان النظام الاتحادي

« يرتبط بسياسة متلاحمة وحاذقة ، وحازمة اذا اقتضى الامر ، انطوت على احترام القوميات

وتنميتها » (ر . بنتو) .

انطلاقة القوميات
حيال هؤلاء السكان انتهج النظام الاستعماري القيصري ، تسانده الاقلية
المستأجرة بالاراضي ، اما سياسة تمثيل حيث استقر المستعمرون السلافيون
بأعداد كبرى ، واما سياسة لامبالاة واهمال حين يكون هؤلاء السكان منعزلين .

منذ الايام الاولى وجد النظام الجديد حلا للمسألة الزراعية - وهي شغل الجماهير الشاغل -
وعمل كذلك على ازالة التفاوت في التطور الفكري والاقتصادي ، وضمنان تطور السكان
الفكري في اطار كل ثقافة من الثقافات القومية ، والمحافظة على لغتهم وعاداتهم المحلية ، بينما
سمى على الصعيد الاقتصادي لانهاض الاقاليم المتخلفة . وقد اعلن ستالين في السنة ١٩٢٥ مايلي :

« بروليتارية في مضمونها وقومية في شكلها ، تلك هي الثقافة الانسانية الشاملة التي تسير نحوها الاشتراكية .
فالثقافة البروليتارية لا تلاشي الثقافة القومية بل تقدم لها مضمونها » .

ولذلك فقد شجع تطور القوميات الثقافي بتأسيس المدارس والصحف وبطبع الكتب باللغة
الام ؛ وبمقدار بلوغها درجات معينة من الوعي ، ترقى الى مرتبة الاقليم المستقل ادارياً (هذه
هي حال الشركس في السنة ١٩٢٨) او الجمهورية المستقلة استقلالاً ادارياً (« ال موردف ») او
الجمهورية الاتحادية (تاجكستان) . وحين يسمح المستوى الفكري بذلك « تبلتد » الاقاليم ، فتحل
اللغة المحلية محل الروسية في الادارة والقضاء والمدرسة ، ويزداد عدد البلديين في الوظائف
الادارية تزايداً مطرداً . وتلقن الدروس ، التي كانت تلقن من قبل باللغة الروسية في الجامعات ،
بلغة روسيا الصغرى ولغة روسيا البيضاء واللغة الجيورجية في كييف ومنسك وتفليس . وتحل
الاسماء التاريخية القديمة او القومية محل الاسماء الروسية : فـ « ايكاترينوغراد » تصبح ماركستادت
عند المان الفولغا وتحمل عاصمة تركمانستان اسم اشكباد القديم . وتبتكر كتابة واجدية عند
اكثر القوميات تخلفاً وبعداً ، التي لم تكن لغاتها سوى لهجات لفظية . ونوضع قواميس
واجروميات لاستعمال الكاريليين الذين لم يكن لهم لغة مكتوبة . وللمرة الاولى في التاريخ تنشر
كتب باللغة البورياتية ، واللغة الراكامية (لغة اترك التاي) . وتجمع المؤلفات الشعبية المنقولة
في كتب وترجم الى اللغة الروسية كما تترجم الى اللغات القومية مؤلفات الادب العالمي الكبرى ،
وتولد آداب قومية عند هذه الشعوب التي لم تعرف الكتابة نفسها حتى ذاك التاريخ والتي تنتج
مؤلفات تستحق الاعتبار ، كسيرة جانسي كيمونكو ، المكتوبة بقلمه « على ضفاف السوكباي » ،
حيث يصف المؤلف معيشة اخوانه ، الـ « اودينه الرحل » ، القناصين والصيادين في اقصى
سبيريا الشمالية الشرقية . وتنشأ المسارح بأعداد كبرى وتشجع الفنون البلدية . وهكذا تنطلق
الآداب السوفياتية غير الروسية انطلاقة كبرى ، الادب الارمني بفضل اسحاقيان ، والادب
القوقازستاني بفضل « اوازوف » و « جبول جاباييف » ، والادب الجيورجي بفضل
« لورد كيبانيته » ، والادب اللسغي بفضل « سليمان ستالسي » ، والادب الكاراكباكي بفضل
« كوربانباي » ، والادب الاوزبكي بفضل « نافوي » ... ووضعت كتب مدرسية في السنة
١٩٣٦ باللغات البلدية الثلاثة عشر لاستعمال القوميات الثلاثة عشر في المناطق المتجمدة الشمالية .

واسست في هذه المناطق مراكز ثقافية تضم مدارس ومستشفى وفرع طب بيطري .. كما اعتمد فيها تعليم متنقل لمرافقة البدو الرحل ، « الاخبية الحمراء » .

وفي اذربيجان ، حيث لم يوجد سوى ١٨ مدرسة قبل السنة ١٩١٣ ، احصي ٢٠٠٠ مدرسة في السنة ١٩٤٠ ، واصبح هناك ٦٦ معهداً للابحاث العلمية واكاديمية علوم في باكو ، واصبح عدد تلامذة المدارس في جيورجيا ٨٠٠ الف بعد ان كان ١٥٧ الف ، واصبح عدد المدارس في جمهورية اجيرستان (باتوم) المستقلة استقلالاً ادارياً ٢٥٠ مدرسة لـ ١٦٠ الف نسمة . وفي اوزبكستان تدنت نسبة الاميين من ٩٧ - ٩٨٪ الى ٣٢،٢٪ في السنة ١٩٣٩ . وكانت لكل من طشقند وسمرقند جامعتها التي ضمت ١٢ معهداً و ٤ كليات في الاولى ، و ٥ معاهد و ٥ كليات في الثانية ، وأرتفع عدد التلامذة في الجمهورية من ١٧ الف الى اكثر من مليون ؛ وفي كيرغيزيا كذلك ، تدنى عدد الاميين بين السنة ١٩١٤ والسنة ١٩٤٠ من ٩٨٪ الى ٣٠٪ . وارتفع عدد التلامذة من ٨ آلاف الى ٣٢٧ الف ، وتأسست جامعة في «فرونزيه» . واصبح في قازاخستان ٦٠ الف طالب وزهاء ٢٥٠ صحيفة باللغة القازاخستانية مقابل صحيفة واحدة في السنة ١٩١٣ . كانت نهضة الحضارات القومية وسيلة لمكافحة الأمية ، ولكنها كانت كذلك وسيلة لرفع مستوى الشعوب غير الروسية وتأمين المساواة في قلب الاتحاد تأميناً فعلياً .

يعود الفضل في الدرجة الأولى الى تنمية اقتصاد هذه الجمهوريات
حل المسألة الاستعمارية
بتحويلها من مستعمرات الى جمهوريات متشاركة تركز المساواة في الحقوق فيها الى أساس اقتصادي متين بفضل سياسة اللاحصرية الصناعية التي تمت عليها الخطوط ، ولا سيما الخطة الثالثة منها . فقد رافق الجهود الجبار الذي بذل لرفع المستوى الفكري والثقافي فيها تنمية اقتصادها التي هي شرط تحقيقه الاكبر .

وضع تأمين الأراضي حداً للعقد الذي تولد بين البلديين والمستعمرين الروس ؛ وكان للتصنيع كذلك دور اكثر فعالية بصهره السكان ، وبخلق حاجة كبرى لليد العاملة ، وبدفعه البلديين الى التحصيل العلمي : هندسة ، ادارة ، فن ، وبتسهيله تقدم الرفاهية وارتفاع مستوى المعيشة . ولم تعد هذه الاقاليم مناطق استثمار استعماري لتزويد الوطن الام بال خامات ؛ فقد اخذت تحول منتجاتها اكثر فأكثر يوماً بعد يوم ، واتاحت لها الخطوط الحديدية الجديدة استثمار كافة مواردها . وكان نموها اسرع منه في اوروبا ، كما ان الاموال الموظفة فيها كانت اضخم منها في الجزء الاوروبي من الاتحاد الى حد بعيد . ففي السنة ١٩٣١ ، لم تبلغ زيادة موازنة الجمهورية الروسية الا ٣١٪ بالنسبة للسنة ١٩٣٠ ، بينما ارتفعت موازنة اوزبكستان بنسبة ٦١٪ وموازنة تركمانستان بنسبة ٨٧٪ وموازنة تاجيكستان بنسبة ١٠٨٪ . لذلك عرفت كل هذه البلدان تحولاً يسبب الدور بسرعه ، جعلها تدخل اقتصاد نهائياً على قدم المساواة . فاستطاع « ج . باراكوف » ان يكتنب ما يلي : « اثبت اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ان مسألة القوميات قابلة للحل على صعيد المساواة الاقتصادية » ، و اضاف الى ذلك قوله « انه ادى لسكان

المناطق المتجمعة الشمالية والقفقاس ، خلال ربع قرن ، خدمة اجل من تلك التي اداها البريطانيون للهند اثناء احتلال دام قرابة قرنين .

اذا تحققت المساواة بين الافراد ، فالواقع هو ان المساواة بين الثقافات واللغات كانت نظرية اكثر منها حقيقية لان العنصر الروسي قد حافظ ، في الحياة الاقتصادية والسياسية ، على تفوق عددي ودور قيادي امنا للغة مركزا مسيطرا ، هو مركز الثقافة العلمية والتقنية ، يضاف اليه انها كانت الرابطة اللازمة بين كافة القوميات ولغة التعليم الالزامية في المرتبة الثانية بعد اللغة الام .

انبتق التنظيم السياسي للاتحاد السوفياتي من الفكر الماركسي
تطور النظام السياسي واللينيني ، ولكن مصادره الايدولوجية اقدم عهدا ، نجدها

عند جان جاك روسو في الدستور الجبلي (١٧٩٣) ، وعند سان - جوست وبابوف ، وعند كل اولئك الذين شددوا على الطابع الخادع الذي ترتديه المساواة النظرية في الحقوق التي تنادي بها الديمقراطية السياسية وانتهوا الى ان هذه المساواة لا يمكن ان تكون فعلية الا اذا انتقلت السلطة الاقتصادية من ايدي بعض الافراد الى ايدي الدولة ، اي الى ايدي الجميع . وهي الاشتراكية وحدها ما تستطيع تحقيق هذه المساواة فعليا ، لانها «تبقى على كافة الحريات السياسية» ولكنها تزيل الحريات الاقتصادية المزعومة ، التي ليست سوى « وسائل سيطرة في ايدي اقلية مقتدرة » . « وهي تضمن حرية الجميع بحماية الضعفاء » ، وتضمن المساواة بتأمينها للجميع المساواة في الامكانيات على الاقل .

كيف 'تحقق' الاشتراكية وشرطها اللازم ، المجتمع بدون طبقات ؟ لقد اشار لينين الى ذلك في كتابه « الدولة والثورة » الذي وضعه في ايام ثورة تشرين الاول وعرض فيه بقوة المبادئ التي ستطبق . على البروليتاريا ان تقوم بثورة عنيفة وتستولي بنتيجتها على آلة الدولة (جيش ، شرطة ، وظائف ادارية) وتتحول الى طبقة مهيمنة ، اي تفرض دكتاتوريتها ، وليست هذه الاخيرة غاية في حد ذاتها بل وسيلة فقط يتوقف عملها حين يزول الطبقات القديمة صاحبة الامتيازات وحين تتوطد الاسس الاقتصادية للاشتراكية . هذا هو النظام الذي اقره ، في عهد شيوعية الحرب ، دستور السنة ١٩١٨ ، دستور النضال الذي وضع اسس الاقتراع العام ، ولكنه حرم الطبقات الحاكمة القديمة ومؤيديها من حق الانتخاب ، واعطى بروليتاريا المدن ، وهي دعامة النظام الرئيسية ، تمثيلا اوفر عددا من التمثيل الذي اعطاه سكان الارياف . وتنتخب مجالس المندوبين (المدنية) على درجتين ومجالس المندوبين الريفية على ثلاث درجات مجلس مندوبي كافة المناطق الروسية الذي يعين بدوره اللجنة المركزية التنفيذية ، التي تؤلف الـ « سوفناركون » . وبعد الانتصار ، وحين تأمن انضمام السكات غير الروس ، اسس دستور السنة ١٩٢٤ دولة اتحادية لها مجالسها الاعلى المؤلف من مجلسي القوميات والاتحاد ولجنتها المركزية الادارية ورئاسة مجلسها الاعلى ، ولكنه ابقى على النظام الانتخابي غير المتساوي .

ومرد ذلك الى ان الأهمية العددية والاقتصادية لجسائر الفلاحين الذين وقفوا موقفاً حذراً من التأميم ، وعزلة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية المحيط ببلدان معادية قد فرضتا على النظام عدم الثقة بكل من لم يعلن إخلاصه الصريح له . وبصورة خاصة كان التصنيع السريع المشروع فيه ، بالنسبة للنظام ، مسألة حياة او موت ، ولا يمكن تحقيقه الا بتضحيات كبرى يفرض بذلها على الشعب بكليته وتستلزم سلطة مركزية حازمة . . وقد احسن « هارولد لاسكي » إظهار منطق الطريقة المتبعة التي افضت الى الابقاء على الدكتاتورية وتعزيزها :

« كان من الواجب ، في هذه البلاد الواسعة الآهلة بأكثرية قرورية امية ، ان يفرض على السكان نظام تستطيع الدكتاتورية وحدها تأمينه . . . وربما كان الاغضاء عن استمرار وجود طبقة كبرى من الكولاك المهادين للتدابير التقنية التي استلزمها سياسة التصنيع خطراً كبيراً محتملاً على هذه السياسة . وكل من يتذكر الثمن الباهظ الذي دفعته أوروبا الغربية لثورتها الصناعية وقرأ ما اثارته من اعتراضات عنيفة يستطيع تكوين فكرة عن طابع الجسامة الذي ارتدته محاولة الزعماء السوفييات . ولست اعتقد ان تحقيقها كان ممكناً ، بعد اقرارها ، بوسائل ديمقراطية . فان حكومة ترضى بالخضوع لانتخاب شعبي ثان على اساس التضحيات التي فرضها البلشفيك ، ستقصي كلياً ، بدون اي ريب ، عن السلطة ؛ وبالنظر الى الهدف المطلوب تحقيقه ، كان الحل الداخلي ، بصرف النظر عن غيره ، يستلزم اعتماد الدكتاتورية . »

وليس من باب الاتفاق من ثم ان تصادف الخطط الخمسية في الزمن دكتاتورية ستالين والحزب الشيوعي .

بعد مرور اثني عشرة سنة ، ارسخ نجاح الخطط ، وتصفية الكولاك والمقاومات الرأسمالية الاخيرة « اركان النظام ارساخاً نهائياً ، وانا حاله ادخال نصوص جديدة في دستور السنة ١٩٣٦ ؛ اصبح الاقتراع شاملاً بالفعل ومتساوياً للرجال والنساء بعد سن الثامنة عشرة ، دون اي استثناء لاي شخص ، وتمثلت الحقوق الانتخابية في المدن والارياف ، وبات الاقتراع سرياً ومباشراً لانتخاب نائب عن ٣٠٠ الف نسمة لمدة ٤ سنوات ، واعطي الناخب حق طلب عزل النائب « خادم الشعب » ، اذا لم يسلك بمقتضى وكالة ناخبيه . وقدمت الترشيحات على لائحة واحدة تضم « الشيوعيين وغير الحزبيين ، « المنظمات الاجتماعية وجمعيات العمال » .

عدد الدستور اخيراً الحقوق الاساسية المعترف بها للمواطنين وواجباتهم : الحق في العمل ، الحق في الاستراحة ، الحق في الضمان المادي في سن الشيخوخة وفي حالة المرض والمعجز عن العمل ، الحق في التعليم ، مساواة المرأة ، مساواة المواطنين دون تمييز في القومية او العرق ؛ حرية المعتقد ، وكافة الحريات السياسية ، حرية التعبير عن الرأي ، وحرية الصحافة ، وحرية الاجتماع . اما الواجبات فهي احترام الدستور وقانون العمل و « الواجب الاجتماعي » و « نظام الحياة في المجتمع الاشتراكي » ، وحماية الملكية الاجتماعية وارساء قواعدها ، والخدمة العسكرية للدفاع عن البلاد .

الحزب الشيوعي نحن في الحقيقة امام « مجتمع ديموقراطي تحكمه دكتاتورية » ، هي دكتاتورية الحزب الشيوعي . فان المادة ١٢٦ من دستور السنة ١٩٣٦ حين تعدد المنظمات الاجتماعية التي يحق للمواطنين السوفيات تأسيسها او تنميتها بحرية : النقابات المهنية ، الاتحادات التعاونية ، الجمعيات الثقافية ، المنظمات الرياضية ، الخ. ، انما تكسر امتياز الحزب باعلانها ان « اكثر المواطنين وعياً في الطبقة العمالية وطبقات الفعلة الاخرى تتحد في الحزب الشيوعي الذي هو طليعة العمال » . وتوافق « دكتاتورية البروليتاريا » التي يارسها الحزب الواحد المذهب الماركسي الذي ليست الاحزاب السياسية في نظره التعبير عن نزعات ايديولوجية ومفاهيم عقلية ، بل عن نزعات جماعات ذات صوالح اقتصادية هي الطبقات ؛ وان زوال هذه الاخيرة ، الذي يحجر وراءه زوال كل خصومة اجتماعية ، يجعل من النافل قيام احزاب متميزة . وتبررها كذلك متطلبات مرحلة الانتقال الراهنة نحو الاشتراكية : فطالما لم يكن المجتمع بدون طبقات ، اي طالما يوجد هناك خطر انبعاث الطبقة البورجوازية ، فان الطبقة العمالية التي استولت على السلطة لا تستطيع الاحتفاظ بها ، ما لم تبتزع - بسلطة مستبدة - من الطبقات صاحبة الامتيازات وسائل العمل الكثيرة التي توفرت لها منذ قرون وقرون .

فما هي وظيفة الحزب ؟ انها في الدرجة الاولى اختيار الخاصة الجديدة التي سوف تؤول اليها زعامة الامة ، واعدادها لوظيفتها القيادية . وهي في الدرجة الثانية رقابة اجهزة الدولة وبعث نشاطها واستثبات ولائها . وهو الحزب اخيراً ما يبقى المسؤولين على اتصال دائم بالجماهير : فبواسطة خلاياه وفروعه الكثيرة يطلمهم على حالة الرأي العام وردود فعله ويتعاشى بذلك ان يبتعد النظام عن الشعب . اضاف الى ذلك انه يؤمن ، في كل وسط من اوساط الشعب ، تعميم التوجيهات الصادرة من المراجع العليا ويشرح معناها وضرورتها للجماهير .

الحزب الشيوعي هو من ثم « المنصر الاساسي الاول في قاعدة النظام اختيار اعضائه السياسي الروسي » . وقد تميزت نجاحاته بتعاقب ارتفاع وتدنّي عدد اعضائه تعاقباً دورياً ، بفعل حرص رؤسائه المسؤولين على ان يعضوا عنه ، بين حين وآخر ، العناصر غير المرغوب فيها التي تمكنت من التسلل اليه . ففي السنة ١٩١٧ ، حين خرج من الحفاء ، كان عدد اعضائه ٨٠ ألفاً ، وفي شهر آب من السنة نفسها ارتفع هذا العدد الى ٢٤٠ ألفاً وبعد ثورة تشرين الاول ، اطرده ارتفاع هذا العدد الى ان بلغ ٢٧٠ ألفاً في شهر آذار من السنة ١٩١٨ ، ولكن مؤتمره الثامن المنعقد في شهر آذار من السنة ١٩١٩ اوجب « اعادة تسجيل » الاعضاء ، فكان ذلك بمثابة عملية تطهير اولى ؛ ثم نُظِم في آخر للسنة « اسبوع الحزب » اي اسبوع اختيار فاشط رفع عدد الاعضاء الى ٣٠٠ الف في شهر آذار من السنة ١٩٢٠ ، والى ٧٣٢٥٢١ في شهر آذار من السنة ١٩٢١ بينهم ٤١٪ من العمال ، و ٢٨٪ من الفلاحين ، و ٣٠٪ من المستخدمين . واندس بين الاعضاء « بعض صفار البورجوازيين وسواهم ممن لا يؤمنون بالروح الشيوعية » ، و « الوصوليين » ، و « العناصر البيروقراطية » من عادمي

الاستقامة ، والمتريدين ، والمنشفيك ، والمقنعين ، والمخاتلين ، وفي السنة ١٩٢١ اجريت عملية تطهير جديدة خفضت العدد بنسبة ٢٥ بالمائة تقريباً ، وحدد المؤتمر الحادي عشر للحزب ، في شهر آذار من السنة ١٩٢٢ ، شروط الانتماء التي ميزت بين الصناعيين اليدويين والفلاحين الذين لا يستثمرون عمل الغير ، وبين الجنود والعمال المنتسبين الى اوساط الفلاحين والعمال ، وبين غيرهم من المواطنين . ففما يعني الفئتين الاوليين يقتضي توصية من ثلاثة اعضاء من الحزب وتدرج ثلاث سنوات ، وفيما يعني الفئة الثالثة ، توصية من خمسة اعضاء وتدرج خمس سنوات . وبعد وفاة لينين حدثت حركة انتمايات هامة جداً ؛ فارتفعت نسبة العمال في السنة ١٩٢٥ الى ٥٧,٩ بالمائة وارتفع عدد كافة الاعضاء الى اكثر من ٨٠٠ الف . وقد عدلت آنذاك شروط انتماء العمال الصناعيين المتعاطين عملاً جسمانياً مأجوراً : فاكتمفي بتوصية من عضوين من الحزب وتدرج سنة واحدة ، كما اكتمفي لانتماء العمال غير الصناعيين ، والجنود المنتسبين الى اوساط العمال والفلاحين بثلاث توصيات وتدرج ثلاث سنوات . وفي السنة ١٩٢٧ ضم الحزب ١١٤٧٠٧٤ شخصاً ، وفي السنة ١٩٢٩ ، مليوناً و ٥٠٠ الف ، وفي السنة ١٩٣٠ ، مليوناً و ٦٧٧ الف ، وفي السنة ١٩٣٣ ، مليونين و ٥٥٥ الف ، وبلغت نسبة العمال آنذاك ٦٨,٢ بالمائة . وارتفع كذلك عدد النساء : ٨,٢ بالمائة في السنة ١٩٢٤ و ١٥,٩ بالمائة في السنة ١٩٣٢ ، كما ارتفع كذلك عدد المواطنين من غير الروس . ثم اجريت عملية تطهير جديدة في السنة ١٩٣٤ والسنة ١٩٣٥ ، ولا سيما بعد مقتل كيروف ، فتدنى عدد الاعضاء الى ٢٣٥٨٠٠٠ في السنة ١٩٣٥ ، والى مليون و ١٩٢ الف في السنة ١٩٣٨ ، ثم ارتفع الى مليونين و ٣٠٦ الف في السنة ١٩٣٩ ، والى ٣ ملايين و ٤٠٠ الف تقريباً في السنة ١٩٤٠ . وفي السنة ١٩٣٩ عدل المؤتمر الثالث عشر للحزب شروط الانتساب مرة اخرى : فقد اتاح توطد اركان النظام وزوال الطبقات الحاكمة القديمة اعتماد نظام واحد للانتماء حل محل التمييز بين الفئات بحسب وضع المرشحين الاجتماعيين ؛ بتوصية من ثلاثة اعضاء مضت عليهم ثلاث سنوات في الحزب ويعرفون المرشح في مركز عمل مشترك منذ سنة على الاقل ، وتدرج سنة واحدة . وبالنظر الى زوال خطر تسلل عناصر الفساد ، وبقظة العناصر القديمة ، حظرت منذئذ التطهيرات الجماهيرية وتولت منظمات الحزب عملية اختيار المرشحين .

يتميز المرشحون المختارون تميزاً يلفت الانتباه بفتوتهم ؛ فبحسب احصاء السنة ١٩٢٧ كان عمر ٢٥,٣ بالمائة من الاعضاء دون الـ ٢٥ سنة ، وعمر ٨٥,٨ بالمائة دون الـ ٤٠ . ولذلك فقد نيطت مسؤوليات كبرى بالشبيبة ؛ والدليل على ذلك ان ٥٦ شخصاً من اصل ١٢١ انتخبهم المؤتمر الخامس عشر للحزب اعضاء في اللجنة المركزية ، اي ٤٦,٣ بالمائة ، كانوا دون الـ ٤٠ سنة ، و ٩٠ ، اي ٧٤,٤ بالمائة ، كانوا دون الـ ٤٥ ، و ١٠٥ اي ٨٦,٨ بالمائة ، كانوا دون الـ ٥٠ . وبعد عملية التطهير الكبرى في ١٩٣٦ - ٣٨ التي تناولات عدداً كبيراً من قدماء الحزب ، سدّت الفراغات بالجيل الجديد ، ثم ارتفعت نسبة الشباب في مؤتمر السنة ١٩٣٩ ،

اذ ان ٤٩٠٥ بالمائة من المندوبين كانوا دون الـ ٣٥ سنة ، و ٨١٠٥ بالمائة دون الـ ٤٠ و ٩٧ بالمائة دون الخمسين ؛ وتولى الوظائف القيادية عدد كبير من موظفي الحزب الذين انخرطوا فيه بعد موت لينين . وهو جيل ما بعد الثورة هذا ما ارسخ نفوذ ستالين .

اما المستوى الثقافي فقد ارتفع تدريجياً . ففي السنة ١٩٢٧ ، كان في الحزب ٠٠٨ بالمائة فقط ممن تابعوا دروسهم العليا ، و ٦٢٠٨ بالمائة ممن تابعوا دروسهم الثانوية ، و ٢٦٠١ بالمائة ممن تلقوا دروساً خاصة ، و ٢٠٤ بالمائة من الاميين . وقد تعذر آنذاك وجود عدد كاف من الاعضاء القادرين على تولي مهام ادارية او قيادية ، في حين زادت الحاجة اليهم بسبب التصنيع . ففي السنة ١٩٢٨ كانت ٨٩ بالمائة من مدراء مشاريع الدولة اعضاء في الحزب ، ولكن ٢٠٨ بالمائة فقط من بينهم كانوا قد تلقوا تعليماً عالياً ، و ٧٨٠٦ بالمائة تعليماً ابتدائياً عالياً . وكان ٧٠ بالمائة منهم عمالاً رفعوا الى مراكز قيادية . وفي السنة ١٩٣٩ عدل نظام الحزب تعديلاً ملحوظاً ؛ فاستقبل الحزب بأعداد كبيرة افراد طبقة المثقفين الجديدة ، اي الفنيين والمهندسين والعلماء الكثيرين الذين افتقر اليهم تحقيق الخطط الخمسية ، فارتفع مستوى المسؤولين الثقافي ارتفاعاً كبيراً .

تنظيم
ابتداء من السنة ١٩٢٥ ، وكلما توطن نفوذ ستالين ، امين سر الحزب منذ
السنة ١٩٢٢ ، اتضح التنظيم وتميز . فمنذ السنة ١٩٢٥ ، ضم الحزب عدداً
من الاجهزة لا يقل موظفوها عن خمسة والعشرين الفا ؛ وفي المقدمة الـ « بوليتبورو »
(المكتب السياسي) المؤلف من ٩ ، ثم من ٢٥ عضواً تنتخبهم اللجنة المركزية المؤلفة من عدة
فروع اهمها الـ « اورغراسبرد » اي فرع التنظيم الذي يعنى بتعيين ورقابة مختلف مسؤولي
الحزب ، والمفوضيات ، والنقابات ، والتعاونيات ؛ ويعد كذلك التوجيهات في كافة المسائل
المتعلقة بنظام الحزب ، وتعمى فروع اخرى بالدعاوة (اجيتبروب) ، والصحافة ، والنساء ،
الخ . وتحت تأثير الاحداث : تنفيذ الخطة الخمسية الاولى ، ثم انطلاق الاقتصاد بفضل
نجاحات التصنيع والتأميم ، واخيراً الحاجة الى اصحاب الكفاءات بعد عملية التطهير الكبرى
التي عقت موت كيروف ، أعيد التنظيم تكراراً بحيث تعاقب اقرار اللاحصرية وما تستتبعه
من انشاء فروع ذات اختصاص يوافق كل منها قطاعاً خاصاً من الحياة الاقتصادية (١٩٣٠ ،
١٩٣٤ ، ١٩٤٨) واقرار العودة الى التوحيد والمركزية (١٩٣٩) .

ان تنظيم الحزب - على غرار تنظيم الحكم - شبه بهرم ذي ٤ او ٥ درجات مختلفة . فتحت
تنظيم الاتحاد العام تقوم تنظيمات كل من الجمهوريات ، وتنقسم هذه بدورها الى وحدات اقليمية
(اوبلاستي) . اما الجمهورية الروسية ، وهي اوسعها طراً ، فتتنقسم الى ٨ تنظيمات اقليمية
(كراي) تضم وحدات اقليمية ودوائر (او كروغ) . وتنقسم كل وحدة اقليمية الى وحدات
صغرى (على اساس المدن والنواحي) ، وتتألف المدن الكبرى بدورها من عدة وحدات
صغرى . وفي ادنى درجات الهرم تقوم التنظيمات الابتدائية للمصانع (٣٥٠ . ٠٠٠ تقريباً) ،
ومحطات الآلات والجرارات ، والمزارع النموذجية ، والمزارع التعاونية ، والوحدات

المسكوية ، الخ. ، التي يبلغ متوسط اعضاء كل منها اقل من عشرين . اما التنظيم العام فواحد من اعلى الى اسفل : مؤتمرات ، لجان ، امانات سر . وكما ان ارفع جهاز في الحزب هو المؤتمر الروسي الشامل ، كذلك لكل من الجمهوريات مؤتمرها ولجنتها المركزية وامانة سرها ، المنظمة على غرار اللجنة المركزية في موسكو ، وللوحدات الاقليمية مؤتمر حزبي ولجنتها وامانة سرها ، وللمدن والنواحي مؤتمر ولجنة وامانة سر تنتخب موظفي مكتبها . والمهام واحدة في اطار الدائرة الانتخابية : تقديم وتثبيت مسؤولي الدرجات الدنيا ، رقابة تنفيذ مقررات الحزب ، دعاوة ، اعداد المنتمين الجدد .

يرتكز الحزب الى « المركزية الديمقراطية » التي يحددها نظامه كما يلي : « انتخاب كافة اجهزة الحزب القيادية ، من ادناها مرتبة الى اعلاها ، علائق منتظمة بين هذه الاجهزة وتنظيمات الحزب ، انضباط كلي وخضوع الاقلية للأكثرية ، إلزامية مقررات الاجهزة العليا بالنسبة للأجهزة الدنيا » .

فهو يضم من ثم اكثر المواطنين نشطاء الذين يطلب منهم اخلاص مطلق وتيقظ دائم ، ويفرض عليهم ان يكونوا في كافة الحقول مرشدين لمواطنيهم . فدوره في حياة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية دور رئيسي لأنه هو ما يؤلف العنصر الجوهرى لوحدة الاتحاد ، انه يلاشي النزعات الى الابتعاد عن المركز الناجمة عن التنظيم الاتحادي وتجزئة السلطة بين مئات آلاف الدوائر الاقليمية والمهنية التي قد تؤلف كل منها ، مع مجلسها المنتخب ، جمهورية صغرى منعزلة . واخيراً يتولى شطراً هاماً من الوظائف الادارية والحكومية اعضاء من الحزب ، بحيث ان الحزب ، « بفضل وحدته ومركزيته » قد يستطيع ابداً ترجيح وجهات نظره على آراء لا يمكن ان تكون الا آراء محصورة (دوفرجييه) . وتؤلف الـ « كومسومول » المؤسسة الرئيسية لاعداد اعضاء الحزب .

على غرار كافة الاحزاب الثورية ، علق الحزب البلشفيكي آماله على الشباب الذي له المستقبل . وحين انعقد ، في تشرين الاول من السنة ١٩١٨ ، المؤتمر الاول لجمعية الشباب الشيوعية (كومسومول) ، كان عدد اعضاء هذه الجمعية ٢٢٥٠٠ ، وفي تشرين الاول من السنة ١٩١٩ ، تمثل في المؤتمر الثاني ٩٦ الف شاب اشترك عدد كبير منهم في الحرب الاهلية في فرق الاصطدام ، وفي السنة ١٩٢٠ ، ارتدت الحركة طابع حركه جماهيرية حين بلغ اعضاؤها ٤٨٠ الف عضو تقريباً حدد لهم لينين مهمتهم : « بناء المجتمع الشيوعي » . الا ان انتهاج السياسة الاقتصادية الجديدة ، التي بدت للعديد من الشباب وكأنها استسلام الاشتراكية ، والبطالة ، وصعوبات الحياة المادية ، ولدت خيبات امل كانت تبيتها قدي عدد اعضاء الحزب الى ٢٤٧ الفا في السنة ١٩٢٢ ؛ ثم ادى تحسين ظروف المعيشة والتدابير المتخذة لمصلحة العمال الشباب وتنظيم مدارس المصانع الى رفع العدد الى مليون في كانون الثاني من السنة ١٩٢٥ ، والى مليونين في السنة ١٩٢٧ قبيل الخطوة الحسية الاولى . ثم

ولدت هذه الاخيرة ، بفعل ضخامة المشروع والدعوة الى التضحية ، موجة حماس وحمية في صفوف هؤلاء الشبان . فهم من قدموا الوف العمال الذين حققوا «الجبايرة» : مصانع الجرارات في ستالينغراد ، وسد دنيبروغ ، والمصانع الجديدة في الاورال وسيبيريا ، وهم من انموا استخراج الفحم الحجري من مناجم الـ « دونتز » ، حين كادت الحاجة تمس اليه ، وهم من توجهوا بالآلاف الى الارياف للاسهام في عملية التأمين وتصفية الكولاك ولتأسيس التعاونيات الزراعية واعداد موظفي ادارات محطات الآلات والجرارات ، وهم من الفوا فصائل الاصطدام التي تنافست في خدمة الاشتراكية وقدمت معظم منظمي العمل من العمال . وهم من توافسوا على مؤسسات التعليم التقني الحديثة واصبحوا مسؤولي الصناعة الجديدة والدولة الجديدة . وفي السنة ١٩٣١ جاوز عدد الكومسومول المليون الثالث ، وفي السنة ١٩٣٦ المليون الرابع . حينذاك وسعت المنظمة اطار الاختيار ، فاستقبلت الشبان دونما نظر الى منشأهم ، فاصبح عدد اعضائها تسعة ملايين في السنة ١٩٣٩ و ١٦ مليوناً في السنة ١٩٥١ .

اختير الكومسومول من بين « الرواد الشبان » (بين ٩ و ١٥ سنة) وخضعوا لتنظيم مماثل لتنظيم الحزب . فنحن هنا ايضاً امام هرم تقوم في اسفله منظمات المصنع ، والمزرعة الجماعية ، ومؤسسة التعليم ، والناحية ، والمدينة ، والاقليم ، والجمهورية ، والاتحاد . اما نشاط المنظمة فهو في الدرجة الاولى تثقيف الاعضاء والشبان غير المنتمين ثقيفاً سياسياً ، والرياضة ، والاعداد العسكري ، والاسهام في تنفيذ اوامر الحكومة ، والتربية الاجتماعية والثقافية . فعلى الكومسومول ان يكون في كل مكان قدوة ومثلاً للشبان الآخرين ، وان يذهب الى حيث ترسله منظمته . وعليه ، في المدرسة او المصنع ، ان يكون عاملاً ممتازاً ومدرّباً لرفاقه ومساعداً لرؤسائه . وعليه ان يتثقف حتى يصبح انساناً كاملاً ، وان يكون في الحياة المدنية والحياة العسكرية على السواء مثلاً مشعاً بالتفاني والانضباط .

٢ - «الانسان اعز راسمال»

ان احد الاهداف الاولى التي سمى وراءها النظام الجديد هو رفع مستوى السكان مادياً وثقافياً ، فبذل النظام البلشفيكي من ثم نشاطاً عظيماً في حقول الصحة والتربية الشعبية والثقافية المتأخرة .

تناول محمود تجهيز البلاد بالمؤسسات الصحية تأسيس المستوصفات ودور الصحة العامة التوليد والمستشفيات ومستشفيات التدريب ... التي افاحت ، بالإضافة الى مجانية الخدمات الطبية ، تخفيض نسبة الوفيات بسرعة الى ١٥ ٪ اي الى نسبتها في فرنسا ، وتناولت كذلك تأسيس المصحات ودور المعالجة والراحة للشيخوخة والمعجزة والذئبة . وكانت الطفولة موضوع عناية خاصة : ملاجئ ، للاطفال ، استشارات طبية للحبالى والرضع ،

واجازات للرجال لمدة ٣٥ يوماً قبل الوضع و ٢٨ يوماً بعده في مؤسسات الدولة ومشاريعها ،
ولمدة شهر قبل الوضع وشهر بعده لنساء التعاونيات الزراعية ، ادت كلها الى تخفيض نسبة
الوفيات بين الاطفال ، وساعدت حدائق الاطفال وتشجيع الالعاب الرياضية ، وانشاء الملاعب
الرياضية الكثيرة على تنمية متناسقة .

بموازاة هذه التدابير التي لم تفضل من حيث النوعية خير ما اتخذ منها في
المائة
وتحرر المرأة
اكثر الدول الغربية تقدماً ، كما يقول لاسكي ، وانها « ما تحقق يصعب
تصوره في اي مجتمع رأسمالي » ، قامت العائلة على اسس جديدة . فنشأ
الثورة ، نرى العائلة التقليدية ، المبنية على دونية المرأة وعلى طابع الزواج الديني الممتنع الانفساخ
وسلطة الاب المطلقة ، تنهار بفعل علمنة الزواج وزوال سلطة الزوج المطلقة . وقد حددت ،
حيال الاولاد ، حقوق الرعاية والتمثيل ، واجبات العناية والتربية والتعليم . وبرز مفهوم جديد
للعلاقات بين الزوجين التي بنيت على المساواة الكلية بينهما ، وشرعية الزواج الواقع المعفى من كل
تسجيل والطلاق برضى الطرفين او بناء على رغبة احدهما المعلنه ، وابطال التمييز بين الاولاد
الشرعيين والاولاد غير الشرعيين . واستهدف قانون صدر في السنة ١٩٢٠ حول « حماية
صحة المرأة » منع الاجهاض في الحفاء باجازة الاجهاض تحت شروط معينة . وهكذا تحررت
المرأة والاولاد من وضعهم القانوني الدولي ، بينما خففت ملاجىء الاطفال ، وحدائق الاطفال ،
ومحلات البيع من العمال في المشاريع ، والمطاعم النقابية والتعاونية ، وتبييض الانسجة
الصناعية ، الخ . من اعباء ام العائلة وحررتها من عبوديات الحياة المنزلية ، وذلك نتيجة
لسمي المسؤولين وراء تحقيق المساواة المطلقة بين الجنسين التي ينص عليها القانون . وهذا ما
اتاح للامهات تمثيل نسبة كبرى - اكثرية احياناً - في الصناعة (حتى الثقيلة منها حيث بلغت
هذه النسبة ٥٠ ٪) ، والعمل في مهن تعتبر في البلدان الاخرى محصورة في الرجال (ميكانيكي
القاطرة الحديدية مثلاً) ، وممارسة وظائف قيادية في المزارع التعاونية (٢٠ ٪ من وظائف
المدراء اسندت الى النساء) او المصانع او المجالس على مختلف مستوياتها . وفي البلدان الآسيوية
بصورة خاصة ، كان تحرر المرأة ، والمظلومة على ايدي المظلومين ، كما قال لينين ، ثورة وضعت
حدا لعزلتها ولارتداء الحجاب ، وفتحت امامها ابواب المدارس والجامعات والمصانع والحياة
العامة . لا بل ان التدابير الكثيرة التي حسنت وضع المرأة الحبلى او ام العائلة ، واستقرار
المجتمع عند تنفيذ الخطط الخمسية الذي استلزم يدا عاملة نسائية وفيرة وزيادة الطاقة البشرية ،
قد استوجبت اقباع سياسة تشجيع الولادات والعائلات التي برزت منذ السنة ١٩٣٦ بمنح
الاجهاض الا تحت شروط معينة ، وبتدابير استهدفت ارساخ وثاق الزواج بالحد من عدد
الطلاقات وتكررها (منيع الطلاق بناء على رغبة زوج واحد وارتفعت نفقات الاجراءات) ،
وبفرض عقوبات صارمة على من يتغلى عن عائلته او يمتنع عن دفع النفقة المترتبة
للام والاولاد .

بذلت الجهود لزيادة عدد السكان ولخلق شبكية قوية ونشيطة ، كما بذلت الجهود التعليم لتعليمها ايضاً . في السنة ١٩١٣ ، كانت نسبة الاميين بين ٧٥ و ٨٠٪ ، وحق ٩٧٪ بين شعوب آسيا غير الروسية ؛ ومنذ السنة ١٩٤٠ ، اختلف الى المدارس الابتدائية والثانوية ٣٢ مليون تلميذ ، فسيطرت نسبة الاميين الى ثلاثين بالمائة في اكثر المناطق تخلفاً . وقد هدفت المؤسسات الدراسية « لخلق الظروف البشرية الضرورية لقيام المجتمع الشيوعي » ، إذ ان على المدرسة ضمان « لتحقيق الثورة السياسية والاجتماعية » ، ولا يجوز لها ان تكون « لا خارج الحياة ولا خارج السياسة » . وان في هذه الصيغ لدليلاً على الاهمية المعترف لها بها والاهتمام الذي اعاره النظام المسائل التربوية ، « الجبهة الثالثة » ، « الجبهة التربوية » ، التي كانت موضوع احدى قصائد « ماياكوفسكي » . وارتبطت التربية ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع الذي اوجدته الثورة ؛ فالانسان ليس لا صالحاً ولا شريراً عند ولادته ، وهو المجتمع ما يكونه ويكون مسؤولاً في النهاية عما ينتهي اليه . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان تفاوت الاجور ، التي هي نسبية لكمية ونوعية العمل المؤدى ، لا يمكن الاعاضة منها الا اذا كانت هنالك « المساواة عند نقطة الانطلاق » ، اي الا اذا تمكن كافة الاولاد من تنمية معارفهم واستعداداتهم على قدم المساواة . ولذلك اعلن الدستور ان « لمواطني الاتحاد الجمهوريات الاشتراكية الروسية الحق في التعليم » ؛ لهم الحق في ان يتعلموا بلغتهم الام ، وهي الوسيلة الوحيدة لتأمين المساواة الفعلية للقوميات ، ولاتاحة بروز الكفاءات ، ولتوزيع التعليم في اسرع وقت ممكن دونما اضطرار لتعلم لغة اجنبية .

تؤمن المساواة عند نقطة الانطلاق مدارس كثيرة جداً وسهولة دخول الجميع ، في اي وقت ، الى التعليم العالي . فابواب المدرسة مفتوحة في كافة درجات التعليم ، وتتوفر تسهيلات عديدة - ولا سيما التعليم بالمراسلة الذي استفاد منه ٦ ملايين شخص في السنة ١٩٤٠ - للوصول الى المعاهد والكلية بأعداد كبرى عن غير طريق المدارس . فتقوم وحدة التعليم من ثم في روح البرامج والكتب المدرسية الواحدة في كافة انحاء الاتحاد المستوحاة من التعليم الماركسي-اللينيني في تفسيرها للعالم والعلائق البشرية .

من بين اكثر النظريات التربوية بياناً ولفناً للانتباه تلك التي طلع بها « ماكارفكو » : كان مديراً لاصلاحيتي احداث مجرمين ، فاستخلص من خبرته مذهباً تعليمياً في مؤلفه المشهور ، « القصيدة التربوية » . لقد اقتنع ماكارفكو بان للبيئة الحسنة التنظيم تأثيراً فاعلاً قوياً على الفرد ، ف « يبوسة طينة الولد كلام محال » ، وليس من اولاد مطبوعين على الجريمة ، واولاد يستحيل اصلاحهم ، وهي الجماعة التي يكون منخرطاً فيها ما تكتيفه بالمنافسة التي تثيرها والرقابة التي تمارسها ، وهذا يفسر اهمية الجو العائلي الذي يصنع الولد على صورته . فالتربية تستهدف تدريب الاولاد على ان يحلوا بانفسهم المسائل التي تواجههم في الحياة اليومية ، وان يوافقوا بين الحرية الفردية والتقييد الضروري بموجبات الجماعة . ويشدد ماكارفكو من ثم على الصلة التي

يجب ان تقوم بين التربية والحياة . فعلى العائلة والمدرسة ومنظمات الشبيبة ان تضع نصب اعينها تحقيق تفتح الفرد ، اذ ان الوالدين لن يستطيعا الى ذلك سبيلا الا اذا فكروا ابدأ بتأثير مثلها هلى ولدهما . وعلى المربي ان يكون متطلباً جداً ، على ان يوفق في الوقت نفسه بين متطلباته وامكانات الولد . وكلما طلب من الولد بذل مجهود جديد ، شعر الولد بتعاضد الثقة الموضوعه فيه . فنحن من ثم امام تربية تلتنكر للنظام التقليدي الصارم ، لكنها تربية لا يعترضها وهن ، « لتطلب ابدأ أقصى ما يستطيع الولد اعطاه ، ولكنها لا ترضى بالابتهاجات التي غالباً ما يسع الولد اعدادها بنفسه » ، وتقول الى « افهامه بفرح يسيطر على كافة مستويات وجوده » (هـ . فالون) .

التعليم نظري وعملي ويشمل علوماً وفنوناً شتى ، ويجمع بين العمل الفكري والعمل اليدوي . وهو علماني فتولاها الدولة التي تحدد التوجيهات العامة ، والزامي و مجاني في مدرسة السنوات السبع (التعليم الابتدائي و ٣ سنوات من التعليم الالزامي) بين سن السابعة (بعد حذيقسة الاطفال) والرابعة عشرة . ويلتقن باللغة القومية ، على ان تعلم اللغة الروسية الزامي . وتليه اما ٣ سنوات دراسة تنهي التعليم الوسيط الكامل في مدارس العشر سنوات ، واما التعليم المهني . ويقود كلا التعليمين ، بعد التقدم الى امتحان ، الى تعليم الدرجة الثالثة ، جامعات ومعاهد . وبعد ذلك يلتحق الراغبون في البحث العلمي او التعليم بدروس « المرشحين » (في السنة ١٩٤٠ بلغ عدد الطلاب في التعليم العالي ستماية وعشرين الف طالب) .

كانت الثورة قد تسببت في هجرة عدد من الكتاب والفنانين والعلماء ، ولكن الكثيرين الذين لم يهاجروا اسهموا في تجديد الحياة الفكرية بعد الحرب الاهلية . فقد اتجه مجهود النظام الجديد ، منذ البدء ، الى ازالة الثقافة الى مستوى الشعب بمكافحة الامية والجهل ، وبتعميم التعليم على كافة الطبقات ، وبتأسيس كليات عمل (رابفاك) تستقبل العمال وتوزع عليهم تعليمياً سريعاً ، وبالاكثار من دور الكتب واعادة طبع المؤلفات الكلاسيكية الكبرى . وكانت النتيجة ان شغف المعرفة العظيم الذي سيطر على العمال وانتشار التعليم هذا لم يلبث ان خلفا جمهوراً وفيراً اختلفت متطلباته كل الاختلاف عن متطلبات جمهور النظام القديم . وطالما بقيت الحكومة على الحياد بين النزعات المختلفة والفئات الفنية والادبية التي تقاسمت الكتاب والفنانين . وكان معظم هؤلاء اتباعاً لمدرسة الرمزية او مدرسة المستقبل ، وانضم بعضهم ، من امثال ماياكوفسكي والرسام بونين ، بصراحة الى البلشفيكية ، ولكن كثيرين غيرهم بقوا منعزلين عن هذا الجمهور الجديد بفعل مناشتهم ونزعاتهم الادبية ولغتهم المقفلة وفرديتهم . امثال (بروتكولت) ، او الثقافة الشعبية ، فقد استقطبت كتاباً ماركسيين حاولوا خلق ادب بروتيتاري .

في السنة ١٩٢٩ ، دعي الكتاب ، الاعضاء في الجمعية الروسية للكتاب البروليتاريين ، الى الاشتراك في معركة التخطيط ، وفي السنة ١٩٣٢ ، انضموا كلهم الى جمعية الكتاب السوفيات التي اسندت اليها مهمة « دعم قاعدة السلطة السوفياتية » والاشتراك في الصراع الى جانب

البروليتاريا بغية اعداد ادب اشتراكي .

بينما شدد في التعليم على الماركسية والمادية الجدلية ، وبقي بعض المستقلين من امثال «فيدين» على وفائهم للأدب السيكلولوجي ، اخذ الادب الجديد على عاتقه ، بحسب امنية لينين ، ان يصبح «مرآة وعي الامة» . وهكذا صدرت مؤلفات تأثرت تأثراً بعيداً بـ «غوركي» ، وانتسبت الى ما عرف بعد السنة ١٩٣٢ بـ «الواقعية الاشتراكية» التي ألغت مذهباً رسمياً حقيقياً . فأمام عظمة تطور المجتمع والانسان الذي شاهده الكاتب ، توجب على هذا الاخير تحليل الواقع وإظهار الانسان في حزيه وعمله ، وطرح المسائل الانسانية الناجمة عن كل ذلك ومساعدة القراء على حلها والتخلص مما يحملونه في انفسهم لمجاعة العالم المادي الآخذ في التطور . والادب الجديد واقعي لأنه يفرص في الواقع ويصف «الانسان من حيث هو عضو في المجتمع» ، بعيداً عن عبادة الذات ، وعن «عذابات رجال الفكر المترددين» ، ولذلك فانه يلاشي ابتذال الحياة اليومية ويعجد البطل الفرد ، وبطولة الجماهير المغفلة التي تصارع وتقدم نفسها ضحية للدفاع عن الوطن او لبناء عالم جديد ، وكل من تتحول حياتهم الى معركة ضارية يشتركون فيها بكليتهم من اجل تحقيق الاشتراكية . هذه هي حال «فورمالوف» الذي يصف بطولة «تشاباييف» (١٩٢٣) المغوار ، وحال «الكسي تولستوي» في «الف وتسماية وثمانية عشر» ، وحال «سيرافيموفيتش» في «السيل الحديدي» ، وحال «فادياف» في «الهزيمة» (١٩٢٧) ، وحال ايغانوف («الانصار» ، «القطار المصفح رقم ١٤ - ٦٩») ، وحال «ماياكوفسكي» الذي اصبح بفضل قصائده النضالية («مائة وخمسون مليوناً») وشعره الغنائي ، «الشاعر الهامي عن حقوق الشعب» بالذات . وهذه حال «نقولا اوستروفسكي» الذي تظهر رواية سيرة حياته بخط يده ، «وسقبي الفولاذ» (١٩٣٢) ، ما هي حياة التضحية التي يعيشها احد اعضاء الحزب . وتبرز مأساة المحلل المجتمع القديم ونشأة اخلاق جديدة في المصنع والعمل ، في كتاب «الاسمنت» (١٩٢٥) لـ «غلادكوف» ، ومأساة ملاشاة الكولاك وتأميم الاراضي في «الاراضي المحياة» (١٩٣٦) لـ «شولوكوف» الذي وصف كذلك الحزب الاهلية عند قوزاق الـ «دون» في «الدون الهادي» . ووصف كاتاييف تأسيس وحدة ماغنيتوغورسك الصناعية . هو الاهتمام باعطاء الجماهير الشغفة بالمعرفة والتعليم فناً وادباً يسهل تمثلها ولا يبتعدان عن التقاليد القديمة ما يفسر كذلك المجادلات الكتابية المتكررة التي تناوأت الادب المقفل والفن الجرد والموسيقى المسيرة : مهاجمة طابع التمسك المفرط بالشكليات في فن «بيكاسو» او فن «ماتيس» ، ومهاجمة بعض مؤلفات «بروكوفياف» و«شوستاكوفيتش» ، ثم التخلي ، بعد السنة ١٩٢٨ ، عن قوانين هندسة العبارة العصرية التي حظيت بمزيد من التقدير والمطاف في السنوات الأولى للثورة ، والعودة الى نمط كلاسيكي - جديد عادم الرشاقة وعلى شيء من الابتذال .

انما انتج الفن الجديد اشهر روائعه في الموسيقى والسينما بفضل «سرج بروكوفياف» و«ديميتري شوستاكوفيتش» و«ارام خاتشادوريان» و«ديميتري قبلفسكي» .

كان لينين قد كتب ما يلي : « السينما ، اعظم الفنون شأنًا في نظرنا » ؛ فقد بسّط الاختصاصيون مجهوداً كبيراً لكي يجعلوا منها الفن الشعبي بالذات . فحرصوا في الدرجة الاولى على ان يبعدوا عنها كل ما ليس طبيعياً ، فكانت مدرسة الـ « كينو غلاز » (السينما العين) التي رفضت كل اخراج وابتقت ، قبل اي شيء آخر ، تصوير الحياة على حين غرة ، « مباغتة الانسان في وسطه الاجتماعي وفي حياته » . وكان لهذه النظرية تأثير كبير على كافة العاملين في حقل السينما بلفتها الانتباه الى اهمية اختيار وجمع المشاهد واستنادها الى الواقع . وقد تميز في هذه السينما غير الناطقة اربعة مبتكرين عظام : « ايزنستين » الذي حقق الرائعة السينمائية السوفياتية الاولى في « المدرعة بومكين » ، و« بودوفكين » الذي انتج « الام » المقتبسة عن رواية غوركي ، « نهاية سان بطرسبرغ » ، و« عاصفة على آسيا » ، الفيلمين الاجتماعيين اللذين يتوصل فيهما الابطال شيئاً فشيئاً الى « رؤية واجبات الطبقة التي ينتمون اليها رؤية واضحة » ، و« دوفجنكو » في « الارض » ، و« فرتوف » الذي انتج ، في اوائل عهد السينما الناطقة ، رائعته « اغاني لينين الثلاث » . وبعد هذه الفترة الاولى التي سيطرت فيها السينما السوفياتية على كافة السينمات الاخرى ، كانت السنوات الاولى للسينما الناطقة سنوات جمود وجذب ، الى ان حدثت في السنة ١٩٣٤ ، بفضل المبتكرين الاخوين فاسيليف ، مخرجي « تشاباييف » ، فيلم الحرب الاهلية ، نهضة غاية في التآلق كرسها انتاج الافلام التاريخية : « بطرس الاكبر » لـ « بتروف » ، و« اسكندر نوسكي » لـ « ايزنستين » .

ان المبادئ نفسها التي استوحيت في التعليم استوحيت في ادارة القضاء
القضاء
(باستثناء الجرائم السياسية) الذي يسمو عليه الى حد بعيد في الدول الاخرى
بفهمه الواقعي والانساني .

فقد اظهرت الدراسة التي قام بها « هارولد ج. برمان » حول القرارات المتخذة في المحاكم السوفياتية ، طابع الابوة والحماية الذي يرتديه القانون السوفياتي . وقد يشبه جو محاكمة جنائية سوفياتية - بحسب المؤلف الذي هو اميركي - جو محاكم الاحداث الاميركية ، كما قد يشبه جو محكمة مدنية جو محاكم المصالحة العائلية . ومرة ذلك الى ان القانون يعتبر الجريمة وكأنها صورة البيئة الاقتصادية التي حدثت فيها : فالجرم من ثم ضحية المجتمع اكثر منه عدوه ، والسجن يجب ان يكون مكان تربية جديدة لا مكان عقاب . وهذه الاراء ، التي لم تكن خاصة بالحقوقيين السوفيات والتي بشر بها القاضي براندس في الولايات المتحدة ، هي ما عمل بها في نظام المحاكم الجزائية والاصلاحيات . والمقصود في الدرجة الاولى هو اعادة تربية المحكوم عليهم ، و« تبديل طبيعتهم » بحسب تعبير غوركي ، وتنمية الخصال التي تتسم بقيمة اجتماعية عند الافراد . وتنحصر اعادة التربية هذه بفضل اسهام المحكوم عليهم اسهاماً فاعلاً في الاعمال المفيدة اجتماعياً ولا سيما اعمال الانتاج الوفير التي تساعد من جهة على فهم الاساليب الاشتراكية في تنظيم العمل (المنافسة الاشتراكية ، الدعاوة التقنية ، النقاش حول الانتاج)

وتوفر لهم من جهة ثانية تربية مهنية تعدهم لاحتلال مركز مفيد في المجتمع بعد الخروج من السجن ، يذكر القانون الجزائري ثلاثة اشكال « للعمل الاصلاحي » (حل هذا التعبير محل تعبير العمل الشاق في السنة ١٩٣٣) : عمل دون حرمان الحرية ، عمل مع تحديد الإقامة ، عمل مع حرمان الحرية في معسكرات العمل . وتنطبق العقوبة الاولى على الاحكام التي لا تتعدى السنة وتنفذ على العموم في مكان العمل العادي او في دائرة محددة الشعاع بالنسبة لمركز الإقامة . وتنفذ عقوبة الاحكام المتراوحة بين سنة وثلاث سنوات في « مراكز الاعتقال العادية » او في معسكرات العمل ، والعقوبة التي تتعدى ثلاث سنوات في معسكر عمل اصلاحي يقوم في منطقة بعيدة من مناطق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ؛ وهناك اخيراً « تحديد اقامة مع عمل اصلاحي » لعزل المحكوم عليه عن بيئته السابقة . ويتقاضى المحكوم عليهم الاجر نفسه الذي يتقاضاه العمال التعاقدون المساوون لهم جدارة وكفاءة وانما يحتفظ لهم بنسبة ٥ الى ١٥٪ من هذا الاجر ، ويخضعون لشروط العمل نفسها .

٣ - الديمقراطية الحرة والديموقراطية السوفياتية

كان من نتيجة انقسام العالم الى معسكرين انقسام الرأي ايضاً بحيث لم يبق على الحياد سوى نزر قليل من الناس امام المؤسسات السوفياتية والنظام السوفياتي ، والرأي الحر والنظام السوفياتي ، وغتضت المجادلات ما قد نتوصل اليه من معرفة بها وما قد نعطيها من تفسير لها ، الا ان مؤلفات علماء الاقتصاد والحقوقيين واصحاب النظريات في العلوم السياسية ، على اختلاف اتجاهاتهم ، تلبح استخلاص مميزات النوعية الاساسية . هو مفهوم « الحرية » ما تدور حوله الانتقادات الموجهة للنظام السوفياتي .

بتأسيسه الحزب الواحد ، الذي يسيطر عليه رجل واحد لا يتميز عن الدولة التي يمسك هو بمراكزها الحساسة ، ويستحيل انتقاد سياسته العامة ، وينحصر فيه حق تقديم المرشحين لانتخابات قد يعتبر الامتناع عن التصويت فيها اعلان معارضة ، ويحتكر كافة وسائل التعبير والدعاوة ، وتؤول فيه المجالس الى مجرد مجالس للتسجيل ، لم يترك النظام السوفياتي لمواطنيه سوى حرية ظاهرية وصورية ، بحيث ان الديمقراطية ليست سوى خديعة . وليست الحرية الفكرية والادبية ما قضي عليها من ثم فحسب ، بل الحياة المادية نفسها التي تعرضت للخطر بفعل ملء سلطة الدولة السوفياتية ، المالكة الوحيدة والمنتجة الوحيدة والموزعة الوحيدة للمواد الاستهلاكية . وبالفعل زادت اشتراكية وسائل الانتاج من قوة الدولة زيادة عظيمة ، وجعل منها تخطيط الاقتصاد سيادة حياة كافة سكان الاتحاد . وحتى في الحقل الزراعي ، الذي ابقى فيه على « قطاع حر » ، وانعم فيه على المزارع الجماعية « بالتمتع تمتعاً دائماً » بالارض التي تستثمرها ، توفرت للدولة وسيلة تأثير غير مباشرة وحاسمة على الفلاحين ، لان الجرارات

والمعدات الآلية الضرورية الأخرى بقيت ملكاً لها ، وكانت هي التي تحدّد شروط استعمالها في التعاونيات الزراعية . وجملة القول ان « كسب المعيشة منوط بالرأي المستقيم » . لا بل ان أهمية دور الشرطة ، وقوتها ووسائل عملها ، وتمثيل كل معارض به « عدو الشعب » ، قد خلقت هلعاً حقيقياً ، شبيهاً به في البلدان الفاشستية ، يضع النظام السوفيياتي في عداد الانظمة الاستبدادية . فالمواطن ليس حراً ، وكرامته تمتهن في كل وقت لانه اصبح آلة في ايدي سلطة قضيحي به دونما اية مراعاة للروح الانسانية الاولى ، ولا يتمتع باية حرية من الحريات المعتبرة ضرورية ، ولا سيما حرية الاجتماع والصحافة والقول ، الخ .

ان تمثيل النظام السوفيياتي بالانظمة الفاشستية على هذه الصورة
النظام السوفيياتي
والمعاشية
يعارضه العديد من اصحاب النظريات في العلوم السياسية . ففي
الدرجة الأولى ، كما اثبت ذلك « دوفرجييه » ، تختلف مصادر
وحيثها الفلسفي اختلافاً اساسياً . فالماركسية تبدو وكأنها مذهب عقلي وعلمي يرتبط بفلسفة
الانوار والايمان بالتقدم . وهي تعلم ان الانسان ، اذا هو لا يولد لا صالحاً ولا شريراً ، يستطيع
ان يتمحسّن بزوال النظام الرأسمالي ، وان الغد سوف يصبح ، بفضل قيام الاشتراكية ، افضل من
اليوم ، ولا سيما افضل من الامس . وفلسفتها متلاحمة الاجزاء ، تعطي « تفسيراً شاملاً ومتناسقاً
للكون » ، يحمل على التفاؤل حقاً . اما فلسفة الفاشستية فتشاؤمية . العصر الذهبي قد ولى ،
والانسان المطبوع على الشر يجب ان يخضع لرؤساء لا يطلب منهم تأدية حساب للجماهير المحتقرة
والمعاجزة ، التي يتوجب عليها الامتثال للمقررات المتخذة دون ارادتها . فامام التعامل الفاشستية
التي تستند الى الابتغاءات الفرزية المخالفة الصواب التي هي ارسوقراطية في جوهرها ، نرى ان
النظام الشيوعي صوابي ومحب للمساواة في مبادئه وفي اهدافه .

اما تركيب الحزب الواحد فينطوي على خلافات جوهرية . فاذا استعانت الاحزاب
الفاشستية بالطبقات الشعبية ، خلال فترة الاستيلاء على السلطة ، واذا هي افلحت في ضم جماهير
عمالية وقروية هامة ، فان سياستها تكون محافظة بعد استلام زمام السلطة ، وقد استندت
اصحّ فاكثراً ، في الدرجة الاولى ، الى الطبقات المتوسطة والغنية . ثم ان انتخاب المسؤولين ،
في حياة الحزب الداخلية ، قاعدة قانونية في الحزب الشيوعي ، بينما يعين المسؤولون في الاحزاب
الفاشستية من قبل السلطة العليا . اما دور خلايا الحزب ، فيينا هو ازداد شأناً في الاتحاد
السوفيياتي الى جانب الدولة وفي داخلها ، وازداد النقاش فيها حدّة ، نرى ان تأثير الجماعات
الحزبية المنظمة في ايطاليا والمانيا قد تضاعف بسرعة كلية .

ونرى أخيراً ان الاختلاف عظيم جداً في اختيار اعضاء الحزب ايضاً . فقد وقفت الاحزاب
الفاشستية موقفاً حذراً من اللامبالين والعاديين النشاط الذين لم يلتحقوا بها قبل استلام السلطة ،
ورفضت كل طلب انضمام جديد (في السنة ١٩٢٥ في ايطاليا ، وبعد السنة ١٩٣٣ في المانيا) ،
باستثناء انضمام الشبان الذين كانت تعدّهم في جماعات الـ «باليل» والطلائع والـ «هتلر جوجند» .

اما الحزب الشيوعي السوفيياتي فقد محض المواطنين ثقته وفتح ذراعيه لا للكومسومول فحسب ، بل لكل مواطن تتوفر فيه شروط تقديم الطلب والتمرس التي خففت تخفيفاً مستمراً ، لا سيما في السنة ١٩٣٩ . لذلك اهتمت الاحزاب الفاشستية عن الامة والفت طبقة مقفلة ذات امتيازات ، بينما وسع الحزب الشيوعي يوماً بعد يوم عملية اختيار خاصته . ويرد ذلك الى ان دور الحزب قد نُظر اليه نظرة مختلفة في كل من النظامين . ففي البلدان الفاشستية ، تسلم النظام السلطه بفضل ردة فعل الطبقات المتوسطة والبرجوازية امام خطر البروليتاريا . وعلى الرغم من ان الكلام تناول « الثورة المستمرة » احياناً ، فان وظيفته كانت وظيفة محافظة حقاً . والغاية المنشودة هي تمكين التركيب الاقتصادي والاجتماعي الراهن ، والابقاء عليه بعد اصلاحه . وعلى الحزب ان يراعي المصالح الكبرى والجيش الذي تنخرط فيه جماهير المنظمة والمسلحة . ويفسر هذا التطور الرجعي سرعة التنفيذ ، وطرد او تقتيل العناصر البروليتارية وانصار « ثورة ثانية » محتملة . اما في الاتحاد السوفيياتي فوظيفة الحزب هي المساعدة على تطوير المجتمع والاقتصاد والحؤول دون التوقف والجمود بشحنه المزائم ومقاومة التبارد واللامبالاة وشرح الحاجة الى الاصلاحات والتضحيات . وعلى الرغم من ان الدستور السوفيياتي لم يخص الحزب الشيوعي بمركز كبير فان دوره قد تعاظم يوماً بعد يوم ، والانتفاء اليه قد سهل تسهيلاً مستمراً .

يفسر هذا الاختلاف كذلك طابع السياسة الخارجية في كل من النظامين . فبينما رفض الحزب الفاشستي تحقيق تطور داخلي ووجه الطاقات القومية شطر الفتوحات الخارجية ولم يحافظ على النظام الا بسياسة نفوذ لاحتها الاستفزات وسداها اعمال القوة ، استخدم النظام السوفيياتي كافة موارده وطاقاته في تطوير المجتمع والاقتصاد وانتهج سياسة مسالمة لأنه كان بحاجة الى الهدوء لتحقيق هذا التطوير . اضيف الى ذلك اخيراً ان الدكتاتورية السوفيياتية لم تظهر يوماً بمظهر نظام سياسي نهائي يحل ، « لمدة الف سنة » ، محل الديمقراطية الفاسدة . فهي وسيلة لا غاية ، وقد صرحت بانها انتقالية ومعدة للتواري حين تزول الاخطار الداخلية والخارجية ، وحين ينهي النظام مرحلة الاشتراكية الحالية التي هي « طور الشيوعية الأدنى » ويدخل « طوره الأعلى » الذي تتلاشى فيه الدولة وتنتهي الى الزوال .

هل ان النظام السوفيياتي « مثال الديمقراطية الحققة » ام انه الديمقراطية السوفيياتية
دكتاتورية لا وجود للحرية فيها « في الحقول الهامة » ؟ ان السيد

« فيديل » ، بعد تحليله المستفيض لحجج الخصوم والانصار قد خلص الى القول :

« من العبث البحث في مفهوم الديمقراطية بالذات عن المقياس الذي يتيح اصدار الحكم في الرأيين المتقابلين . فكلاما صحيح من وجهة نظر الديمقراطية فقط . وكلاما يتولد عن الاندفاع نحو الحرية الذي هو المنور العميق لكل ابتغاء ديمقراطي » .

واضاف الى ذلك قوله :

« ان ثنويتها وتضادها يعزبان كلياً الى ثنوية مفاهيم العالم التي تنكسران عيرها ... وان مقياس صحتها او

بطلانها ... يفتح الباب امام فلسفة اسانية ومذهب يتناولان الكون » .

يمكن ان نجد ايضاح المعنى السوفيياتي لكلمة الديمقراطية في شرح ستالين لدستور السنة ١٩٣٦ :

« ما هي الديمقراطية ؟ ان الديمقراطية في البلدان الرأسمالية ، حيث توجد طبقات متخصصة ، هي باختصار ديمقراطية الاقوياء ، وديموقراطية الاقلية الحاكمة . اما في الاتحاد السوفيياتي فالديموقراطية هي ديمقراطية العمال ، اي ديمقراطية الجميع » .

وفي شرح اسد الحقوقين السوفييات :

« ان البلاد التي يبطل فيها استثمار الانسان للانسان ؛ والتي تتوفر فيها المساواة السياسية ، والاقتصادية ايضاً ، لكافة المواطنين ؛ والتي لا تعمل فيها الحريات الديمقراطية رسمياً او قانوناً فعسب ، بل تؤمن عملياً بالظروف المادية للحياة الاجتماعية ؛ والتي ليست مساواة الشعوب فيها كلمة كاذبة ولا تزول فيها صداقتها ، ان هذه البلاد قد قطعت لعمري شوطاً بعيداً على طريق الديمقراطية . فالديموقراطية قبل ان تكون مبدأ سياسياً من مبادئ الحكم هي نظام اقتصادي اجتماعي يحدد واقع النظام السياسي ، ولا يمكن ان تلحيز الديمقراطية الا في مجتمع خال من الطبقات يوجد وحده ظروف تفتح الفرد » .

تظهر هذه النصوص ان الاتحاد السوفيياتي يشدد على « الشروط الموضوعية للحريّة » . ويأتي بعض الضوء عليها الحديث الذي نقله « وندل ولكي » المنافس الجمهوري الفاشل لـ « ف. د. روزفلت » . فهو قد لفت في السنة ١٩٤١ نظر رئيس مصلحة في احد المصانع السوفيياتية الى انه لا يمكن ان يكون حراً حقاً ما دام يعترف بانسه لا يستطيع لا التعبير ولا الدفاع عن آراء غير آراء الحكومة ، فسمع منه الجواب التالي :

« انك لا تفهم مني ، ايها السيد ولكي . انا اتمتع بحرية لم يعرفها ابي وجدي قط . فلم يسمح لهما بتعلم القراءة والكتابة . وكنا عبيدين مرتبطين بالارض . وحين كنا مصابون بمرض لم يكن هناك مستشفى للاعتناء بهما . انا ازل شخص في سلسلة جردودي الطويلة استطاع التعلم والتقدم والوصول الى نتيجة ما . هذه هي حريتي . واعلمك ان تعترف بأنها الحرية . ولكن يجب ألا تنسى اننا ما زلنا في اول عهد نظامنا . فسوف يأتي يوم نتمتع فيه نحن ايضاً بالحرية السياسية » .

وكما يلاحظ « م. س. ستلنغ - ميشو » ، الذي ننقل عنه هذه النصوص ، ان « الحرية » ، في نظر السوفييات ، تقوم في جوهرها في الانعتاق الاقتصادي والاجتماعي ، في « التحرر من الاستثمار » . وهكذا فان المعسكرين يقصدان خدمة حرية الانسان ولكنها ينفذان قصدهما بطريقتين مختلفتين . فبزوال الطبقات زال مبرر تعدد الاحزاب ، اذ ان زوال كل مصلحة طبقية يستتبع آلياً زوال الخلافات السياسية . ولذلك لا تشمل حرية تأسيس الشركات الاحزاب السياسية ولا تتعلق الا بالمؤسسات الاجتماعية . وكذلك فان حرية الرأي واقع رهن ، ولكنها لا تبرز بقيام الاحزاب السياسية . ان المناقشة حامية في داخل الحزب وحول المسائل التي يواجهها نشاط الحزب . وانما تنتقد ادارة الحكم والموظفين في خـلايا المشاريع والنقابات والصحف ، وطبيعي في النهاية ان تنصاع الاقلية لقرار الاكثرية كما هي الحال في كافة

الديموقراطيات الاخرى . اصف الى ذلك من جهة ثانية ان الديمقراطية موجودة هنا في نطاق هي غريبة عنه في البلاد الرأسمالية : في التعاونيات الزراعية ، في المصنع ، حيث لا يتولى ادارة المشروع مالك واحد حر التصرف في عمله وقادر على ايقاف استثماره وحتى اقفاله اذا استصوب ذلك . والرقابة العمالية هنا رقابة فعلية وتمارس في كل آن ، لاسيما وان انتفاء مفهوم الكسب يستهل البحث عن الخير العام ؛ فيصبح الاضراب في مثل هذا التنظيم امراً غير وارد لا يمكن تصوره . وهو هذا المبدأ نفسه ما وضع في ايدي الدولة كل اجهزة الدعاوة : التعليم ، والكتب ، والصحافة ، والسينما ، والاذاعة ، التي تشرف عليها ، في البلدان الرأسمالية ، الصوالح الخاصة سيده الاقتصاد .

فهل ان النظام السوفياتي كما كتب « هـ . لاسكي » ، ليس سوى مجتمع ديمقراطي تحكمه دكتاتورية ؟ على هذا السؤال يجيب انصاره ان الدكتاتورية كانت ولا تزال حاجة ملحة . افلا يعترف فلاسفة الديمقراطية باستحالة تجنب فترة تكون فيها الدكتاتورية امراً ضرورياً ؟ وقد شدد « جون مولتون موري » على :

« ان اشتراكية مصادرة الاملاك الشاملة والحكومة البرلمانية ... امران متناقضان لسبب بسيط هو ان التبدلات في النظام الاجتماعي ترتدي طابعاً من الصرامة لا نستطيع معه ، من الوجهة البشرية ، توقع تسليم الانشغالية بها ، حتى اذا جمعت مثل هذه الاشتراكية حولها اكثرية برلمانية » .

ويلاحظ « ف . غوغيل » :

« ان الديمقراطية لم تقم في اي مكان ... حتى في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، بدون منازعات وبدون اقصاء بعض الفئات الاجتماعية عن الحياة السياسية اقصاء مؤقتاً ط الاقل » .

كان من شأن حرية النقابات والاضراب من اجل تحسين الاجور كلما تزايد الانتاج ان يعرضه للخطر تنفيذ الخطط الخمسية ، ولا سيما تقديم الصناعة الثقيلة على المواد الاستهلاكية ، اي المستقبل كله .

النظام « متلاحم ومتماسك منطقياً انطلاقاً من المقدمات الماركسية » ، كما يلاحظ ذلك حقوقي آخر ، هو « مارسيل والين » ، الذي يضيف الى ذلك قوله : « من الصعب عدم الاعتراف بان الماركسي قد يكون حسن النية عندما يدعي بأنه ديمقراطي » . فالمسألة تتناول في النهاية مفهوم العالم في نظرنا ، والماركسية تقترح ، في وجه المذاهب الحرة ، مذهباً كاملاً يستطيع ، كما يعتقد ممثلوها ، حل « كافة المناقضات بين كل شخص والاشخاص الآخرين ، بين الفرد والمجتمع ، ويكون اتحاداً في الحق والسعادة » .

« قد تنفي الديمقراطية الماركسية عن نفسها صفة احتكار السلطة ، لان احتكار السلطة هو استعباد الانسان للاهواء والصوالح الخاصة . ولكن المجتمع الماركسي احتكاري حقاً لان شيئاً مما هو انساني ليس غريباً عنه . انه تفسير كامل وحي للانسان والعالم » . (ج . فيديل) .

٤ - قوة النظام والمعارضة

تحقق تدعيم النظام بفضل احراز الاقتصاد الجديد نجاحات شاملة اتاحت تحسن مستوى معيشة المواطنين تحسناً تدريجياً ، وبفضل جمع كافة السلطات في ايدي الحزب الواحد والحكومة التي لا يتميز الحزب عنها والتي توفرت لها كافة الوسائل اللازمة لمراقبة كل نشاط عدائي وقمعه بصرامة . وتحقق كذلك بفضل انتهاز سياسة كريمة حيال القوميات ازالته كافة آثار النظام القديم الاستعماري بتأمينها المساواة الفعلية بين الحاكمين القدماء والمحكومين القدماء . ولكن هذه العوامل ما كانت لتخلق امة سوفياتية وتضمن المستقبل لو لم تشترك معها عوامل اخرى ، وبخاصة التوجيه الماركسي اللينيني في التعليم والصحافة والاذاعة والسينما ، ودأب هذه الاجهزة على استمالة السكان الى النظام وعلى اقناعهم بانهم يعيشون في ظل نظام اكثر موافقة من النظام القديم ، مهما كانت الاخطاء وخيبات الامل الناجمة عنها ، وعلى حملهم على الدفاع عنه ضد الهجمات الداخلية والخارجية ووعدهم بمستقبل افضل اكيد .

الانسان الجديد
ابتدع النظام البلشفيكي انساناً جديداً . فعلى غرار الثورة الفرنسية من ذي قبل ، فتحت الثورة الروسية ، بتوسيعها قواعد المجتمع ، حق عمل فسيحاً وغير مؤتمل امام المواهب والقابليات . وحررت الطاقات الجديدة ، المهمة والمكبوتة حتى ذاك التاريخ ، الكامنة في شعب يحاوز المائة مليون نسمة عدداً ، والمؤلفة احتياطياً كبيراً من الاهليات لكافة المهام الممكنة . فليس زعماء الثورة ، لينين وتروتسكي وستالين ومولوتوف ... وحدهم من كان مقدراً لهم بدونها ان يبقوا « منفيين حزانى » او « متآمرين مغمورين » ، ومن كشفت الظروف كفاءاتهم القيادية ، او قيادة الجيش والضباط الادنون وصفوف الضباط والجنود العاديين والعمال ، الذين اصبحوا في وقت قصير قادة الجيش الاحمر الشبان ، بل عدد كبير من الافراد الموزعين على كافة انحاء البلاد الذين اكتشفوا قدرتهم على النشاط الخلاق الذي لم تسمح الظروف السابقة بافترض وجوده فمنذ السنة ١٩١٧ ، ربما لم توجد قرية واحدة في الاتحاد السوفياتي لم تنتج ، في اطار حاجاتها الخاصة ، احد امثال « هامبدن » القادرين على الاهابة بها الى بذل جهود لم تكن تتصور قدرتها عليها من ذي قبل ، (هـ . لاسكي) .

ان الانسان السوفياتي الجديد ، المختلف كل الاختلاف عن الفلاح الروسي القديم ، قد تكوّن في اثناء معارك الحرب الاهلية والتدخل الاجنبي ، وخلال سنوات الجهود الطويلة التي فرضتها اعادة اعمار البلاد وتحقيق الخطط الخمسية . واتجهت التربية التي اكتسبها بفضل المدرسة والكومسومول والجيش الاحمر والصحافة والسينما والاذاعة والادب الى تنمية الشعور فيه بان « المجتمع الجديد لا يمكن ان يبنى الا بالتحاد كافة طاقات الشعب الحية » ، وبان « نعمى الانسان

الشخصية مرتبطة بالازدهار الاجتماعي ، وبأن الشخص لا يستطيع الافادة افادة كلية من قابلياته المختلفة الا في المجتمع فقط .

منذ السنة ١٩٣٦ ، تألفت اكثرية الشعب السوفيياتي من اناس لم يعرفوا قط النظام القديم أو لم يحفظوا عنه سوى ذكرى بعيدة ، وترعرعت في هذا الجو الحماسي الذي خلقت له الثورة ، مقتنعة بان الحياة الجديدة لن تكون الا اكثر جمالاً يوماً بعد يوم وافر ارضاء يوماً بعد يوم ، ولم يثر المستقبل مخاوفها ، ولا سيما من زيادة الانتاج ، لانها على يقين بان المستقبل سوف يكون افضل سنة بعد سنة . وسيظهر الاثر العميق للتربية الاخلاقية السوفيائية هذه في الحرب ضد المانيا وفي سنوات اعادة بناء البلاد الصعبة .

الجيش الأحمر
بغية مواجهة الحرب الأهلية والتدخل الاجنبي ، توجب على النظام الجديد انشاء جيش مخلص وقوي . وكان عليه ، في هذه المهمة ، ان يتغلب على الصعوبات نفسها التي قامت في وجه الثورة الفرنسية . ففي شهر تشرين الاول من السنة ١٩١٧ ، حل محل الجيش القديم ، السائر بخطى سريعة في طريق الانحلال ، جيش اشترافي اختير افراده عن طريق التطوع : « جيش العمال والفلاحين الاحمر » المؤلف من « عناصر الطبقات المهددة والمنظمة » المتأثرة اكثر من غيرها بالروح الطبقيّة . فبعاءات النتائج مخيبة للآمال ، ان لجهة عدد المتطوعين (اقل من ٣٠٠ ٠٠٠ في شهر ايار من السنة ١٩١٨) ، وان لجهة الانضباط . لذلك ادخل تروتسكي اصلاحات حازمة منذ شهر اذار من السنة ١٩١٨ : انشاء سلطة عسكرية مركزية ، خدمة عسكرية الزامية وقيد اسماء الشبان البالغين سن الخدمة العسكرية ما بين السنة ١٩٢١ والسنة ١٩٢٥ في المناطق الغربية التي يهددها الجيش الابيض . وأبطل انتخاب الضباط منذ صيف السنة ١٩١٨ ، وانزلت عقوبات صارمة بالفارين والمتمردين . واخيراً بذلت جهود كبرى لاستخدام قادة الجيش القيصري القديم ريثما يتوفر للجيش الاحمر اعداد ضباط يحضهم ثقته الكاملة . الا ان الحكومة ، التي لم تغتر بدقة واحدة باخلاص هؤلاء الضباط ، عينت في مختلف الوحدات مفوضين يمثلون النظام رغبة منها في استدراك الخيانات واعمال التخريب ، وتربية المهندسين الجدد تربية سياسية . واسندت ادارة العمليات الحربية للقيادة ؛ ولكن الاوامر والتقارير يجب ان تحمل توقيع المفوض . واستدعي كذلك صفوف ضباط الجيش القديم (٢١٥٠٠٠) الذين رفعوا الى رتب ضباط ، وانشئت مراكز تدريب تعلم ، خلال اشهر معدودة ، ضباط الغد المنحدرين من عائلات عمالية قروية . فارتفعت نسبة الشيوعيين بين الضباط من ٥٤ ٪ في السنة ١٩١٩ الى ٦٥ ٪ في السنة ١٩٢١ ، ووضعت الى الوحدات ، ولا سيما وحدات الاصطدام ، فرق جديدة هامة من المهندسين الشيوعيين . وهي هذه الوحدات ، مع المفوضين والضباط الشيوعيين ، ما لفت ، بحسب تعبير تروتسكي ، « طائفة شيوعية جديدة من الساموراي يهرقت ، بدون اي امتياز طبقي ، كيف تموت وعلمت الآخرون كيف يموتون من اجل قضية الطبقة العمالية » . وحين قضى البلشفيك ، في ربيع السنة ١٩٢١ ، على الجيوش

البيضاء وارغموا الحلفاء على الانسحاب ، كان قد برز جيل جديد من القادة العسكريين المتهكمين ضم ضباطاً قدماء (شابوشنيكوف ، كامنيف ، توكاتشفسكي) او صفوف ضباط قدماء (فوروشيلوف ، تيموشينكو ، بلوشير ، بودينسي ، ايجوروف) ، او مدنيين (فرونزيه) . اما الضباط المنحدرون من اصل قروي وعمالي ، الذين اتوا اعمالاً بطولية خلال الحرب الأهلية ، فقد حصلوا في الاكاديميات العسكرية الدروس التي اتاحت لهم بلوغ الرتب العليا ، ولم يبق في الخدمة ، في السنة ١٩٣٠ ، سوى عدة مئات من ضباط الجيش القديم (١٠٪ من الضباط مقابل ٧٨٪ في السنة ١٩١٨) ؛ وفي السنة ١٩٣١ كان ٥١٪ من الضباط اعضاء في الحزب الشيوعي . وارتفعت هذه النسبة الى ٦٨,٣٪ في السنة ١٩٣٤ . ومنذ السنة ١٩٢٨ ، كانت هذه حال ٥٣,٦٪ من قادة الفرق ، و ٧١,٩٪ من قادة الفيلق و ١٠٠٪ من قادة الجيوش . وقد قلل تزايد العنصر الامين هذا في المراتب العليا من شأن دور المفوضين الذي المحصر في تربية المهندسين السياسية والمعنوية . ولكن سلطتهم توسعت مجدداً في اعقاب عملية تطهير كبار الضباط ، التي اجريت في السنة ١٩٣٧ ، ورفعت في الوقت نفسه ضباط الصف الثاني ، الاوفياء للحزب والواقفون على التقنيات المصرية ، الذين احتلوا المراكز الشاغرة الهامة .

كانت الحكومة السوفياتية ، وهي حكومة ثورية تحرق بها الاخطار
الشرطة والقضاء السياسي
من الداخل والخارج على السواء ، اعجز من ان تستمر وتلتصر بدون
دكتاتورية ، وكانت هذه اعجز من ان تقوم بعمل مجد بدون مساعدة
شرطة ناشطة تمارس رقابتها في كافة الاوساط وفي كافة أنحاء البلاد . وهو ستالين من شرح هذا
الوضع ، في السنة ١٩٢٧ ، لوفد من العمال الاجانب :

« نحن بلاد تحيط بها الدول الرأسمالية . واعضاء ثورتنا في الداخل هم عملاء رأسماليي كافة البلدان ... ، بحاربتهم نحارب العناصر الرجعية في كافة البلدان ... ، وما دام هناك تطويق رأسمالي ، فسوف يكون هناك مخربون ومنفذو اعمال جانبية وجواسيس وارهابين آتون من وراء حدود الاتحاد السوفياتي لخدمة دوائر التجسس في الدول الأجنبية ... لا ، ايها الرفاق ، يجب الا ترتكب الاخطاء التي ارتكبتها الشوار الباريسيون في السنة ١٨٧١ . ان جهاز الشرطة السياسية في الدولة ضروري للثورة وسوف نبقى عليه لارهاب اعداء البروليتاريا » .

نظم جهاز الشرطة السياسية (G.P.U. ، ثم O.G.P.U. ، ثم N.K.V.D. — اي مفوضية الشعب للشؤون الخارجية — في السنة ١٩٣٤) في السنة ١٩٢٢ في اعقاب الثورة الاهلية ، ومارس نشاطه في اثناء السياسة الاقتصادية الجديدة ضد انصار النظام القديم وممثلي الطبقات الحاكمة القديمة ، وضد « السياسيين » : المنشفيك ، والاشتراكيون الثوريون ، والفوضويون . وعند البدء بتنفيذ الخطط الخمسية ، تناول نشاطه المحتكرين والكولاك وكافة مقيمي العقبات في طريق التصنيع والمنسوب اليهم « تخريب » الانتاج : كاختصاصيي الصناعات الغذائية الـ ٨ الذين ادينوا في خريف سنة ١٩٣٠ ، ومهندسي « الحزب الصناعي » في موسكو الذين حوكموا في شهر كانون الاول وعفي عنهم في السنة التالية . وحتى اوائل السنة ١٩٣٥ انزلت العقوبات

الصارمة : كالحكم بالموت الذي ابقى عليه في الشؤون السياسية ، والنفي الى معسكرات المناطق المتجمدة وسيبيريا ، بنهاضي الثورة من محتكرين وكولاك بصورة خاصة ؛ اما المعارضون الخارجون من صفوف الحزب فقد استفادوا من قانون غير صارم شبيه بالقانون « السياسي » في السجون القريبة ، ولكن هذه المعاملة زالت بعد مقتل كيروف الذي يبدو انه زاد من حسد ستالين .

المعارضة
كان النظام مقتنعاً بان الرأسمالية مصممة منذ السنة ١٩١٧ على تفويض الدولة الاشتراكية الجديدة ، ثم ايد مخاوفه هذه التدخل الاجنبي والمساعدة المقدمة للمهاجرين ومشاريعهم من قبل الحكومات الاجنبية وتهديدات الصحافة والعديد من الشخصيات العسكرية والمدنية الاجنبية ، فرأى طبعاً في كافة مظاهر المعارضة والمؤامرات و« اعمال التخريب » اثر التدخل الاجنبي . فاتهم كل معارض بانه متواطئ مع الاجنبي واداة في يديه ، وهذا ما يفسر ضراوة المنازعات والقمع الذي لم يعرف للرحمة معنى .

ان زوال معظم الطبقات الحاكمة القديمة لم يقض على كل معارضة . فان بعض ممثليها ممن بقوا في الارض السوفياتية قد ظهروا علانية مرة اخرى خلال سنوات السياسة الاقتصادية الجديدة ، ولكنهم ما لبثوا ان تواروا امام المحتكرين . اما معارضة الكولاك والمقاومة الريفية في اوائل عهد التأميم فكانتا اعظم شأناً الى حد بعيد . وقد تحيزتا بثورات مسلحة قمعت دونما صعوبة بتدابير التوقيف والنفي ، وبمقاومة انشاء التعاونيات الزراعية (كما يصفها شولوكوف في روايته « الاراضي الحية ») في العلى او في الخفاء ، وبتخفيض مساحة اراضي زراعة الحبوب ، ولا سيما بمجزرة المواشي التي ربما قضت بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٣٣ على نصف الخيول و٣٠ مليون ماشية كبرى و١٠٠ مليون خروف ، مما سيستلزم عشر سنوات لبلوغ ارقام السنة ١٩٢٩ مرة اخرى .

المعارضة
في داخل الحزب
وقامت هناك معارضة اخرى ، شديدة الخطر على النظام ، هي التي تكونت في داخل الحزب اثناء مرض لينين في اصعب ايام السياسة الاقتصادية الجديدة . فان الخلاف الذي طالما نشب منذ السنة ١٩١٧ بين تروتسكي ولينين قد اتسع خرقه حين هاجم تروتسكي السياسة الاقتصادية الجديدة وكأنها استسلام امام الرأسماليين ، ثم بعد وفاة لينين حين تجابه الرأيان المتناقضان حول توجيه سياسة الاتحاد : الرأي التروتسكي القائل بالثورة المستمرة ، والرأي القائل بالثورة الاشتراكية في بلاد واحدة ، الذي دافع عنه ستالين . وخلال خمس سنوات قاوم ستالين « ثالث » تروتسكي وزيموفياف وكامنيف ، فتجابه الجناحان في اجهزة الحزب المختلفة والصحافة والمؤتمرات الى ان قرر النصر الستاليني تحقيق الاشتراكية في بلاد واحدة ، ومن ثم ، التخلي عن السياسة الاقتصادية الجديدة ، وتأميم الارياض ، والتصنيع بواسطة الخطط الخمسية . فنفي تروتسكي الى « المآتات » واقصي اخيراً عن الاتحاد السوفياتي في شهر كانون الثاني من السنة ١٩٢٩ . وفي السنة ١٩٣٠ قضى كذلك

على معارضة بوخارين اليمينية المعادية لتأميم الارياض . ومنذ ذلك التاريخ لم تبرز المعارضة الا بأعمال التخريب وسلبية الاختصاصيين الذين كانوا يتحسرون على النظام القديم ، والذين بقوا على اتصال باوساط الهجرة .

المقارعة الدينية والقومية

في حقلين آخرين - تشدما الروابط في اغلب الاحيان - اصطدم النظام بين آن وآخر بمعارضة عنيفة جداً : الحقل الديني وحقل القوميات . لقد كانت الكنيسة الارثوذكسية حليفة السلطة المطلقة ، فقدت بسبب الثورة امتيازات فخرية ومادية كثيرة ؛ واذا هي استعادت حقها في اختيار بطريرك ، فانها قد فقدت ممتلكاتها ودورها السيامي وخشيت خطر حكم ينادي بالاحاد رسمياً ؛ فاستهلت ، في اثناء ولاية البطريرك تيمخون ، صراعاً عنيداً ضد النظام الجديد ، وحرمت الزعماء الشيوعيين وحاربت سياستهم بعزم وقوة . فأجاب النظام بفصل الكنيسة عن الدولة فصلاً مطلقاً ، وبعدد من التدابير التي زادت احكاماً أكثر من عزلة الكنيسة وأقصتها عن كل حياة سياسية : اقرار الحالة المدنية ، وحرمان الكهنة من الحقوق المدنية ، وفي السنة ١٩٢١ ، حظر تعليم الشبيبة تعليماً دينياً ، الا بصفة خاصة ، وتعليم مضاد للدين في المدارس والكتيب المدرسية ، والغاء كل ادب ديني ، واقفال مراكز التعليم الكنسي ، ومصادرة ادوات العبادة ... ولم يسمح عملياً الا بالاحتفالات الدينية . فقد طورد الرهبان والكهنة والقي القبض عليهم ، بحجة مخالفة منع التعليم في اغلب الاحيان . وفي السنة ١٩٢٥ ، تأسست « عصابة الملحدين المناضلين » التي استهدفت دعاوتها الناشطة نشر احتقار الدين وتقويض سلطة الكنيسة التسلسلية . وتولت بعض المتاحف اللادينية ، والصحافة ، والاعلان ، مهاجمة الظلامية والخرافات الدينية ، ونشر التعاليم المادية . وعلى غرار ما حدث اثناء الثورة الفرنسية ، قاطع شطر من الكليروس كافة القوى المناهضة للثورة وأسس « الكنيسة الحية » التي سمح لها بمقد ثلاثة مجامع . وفي السنة ١٩٢٧ اخيراً ، أوصى رئيس الاساقفة سرجيوس رعاياه بالوقوف موقفاً مخلصاً من الدولة وأمر باقامة الصلوات من اجل البلاد والحكومة . فأقامت هذه المصالحة للكنيسة ان تعيش كمؤسسة خاصة في ظل حرية الضمير التي ينادي بها الدستور . اجل لقد استمرت الدعوة المضادة للدين ، ولكن قوتها تضاعفت كلما تضاعف الخطر على الثورة وكلما اعربت الاجيال الجديدة المؤمنة عن موالاتها ؛ ثم اعاد دستور السنة ١٩٣٦ الحقوق المدنية للكليروس ؛ ويشير احصاء يعود الى السنة ١٩٤١ الى وجود ٣٠ ٠٠٠ جمعية دينية مختلفة ، و ٨٣٣٨ مكان عبادة مسموحاً بها منها ٤٢٢٥ كنيسة ارثوذكسية (مقابل ٤٦٤٥٧ في السنة ١٩١٧) ، و ٨٧٦٥ كاهناً ارثوذكسياً وشماساً (مقابل ٦٦١٧٠) ، و ٣٨ ديراً (مقابل ١٠٢٦) .

بينما كان السبب الرئيسي للنزاع مع الكنيسة الارثوذكسية تحالف الكنيسة مع الطبقات الحاكمة القديمة ، كان السبب الرئيسي للنزاع بين الحكومة السوفياتية والسكان المسلمين التحالف الوثيق بين المسلمين والحركات القومية المحلية ، وتناول الاصلاحات العصرية التقاليد الدينية

بصورة حتمية بسبب ارتباط الحياة المدنية والحياة الدينية ارتباطاً وثيقاً . فعولج الوضع في البدء بمزيد من الإدارة ، وتأخرت العلنة عنها في أوروبا ، وبقي التعليم القرآني مسموحاً به حتى السنة ١٩٢٨ : لم تؤمم الممتلكات الوقفية الا في هذا التاريخ . وكانت نتيجة المقاومة التي جمعت بين القوميين الانفصاليين من ذوي النزعات الطورانية الشاملة وبين العناصر الدينية في جميعيات مناهضة للثورة تحت الستار الديني (شوري الاسلام) اثاره نزاع على جانب كبير من الخطورة ، فردت الحكومة بقوة بتشجيعها الدعاوة المضادة للدين : سخر المسرح والسينما من اولياء الاسلام ومن الاعياد الدينية ، ثم ابدت عصبية « الله - زيسلاف » ، وهي احد فروع عصبية الملحدين التي تأسست في السنة ١٩٢٥ ، نشاطاً كبيراً وواسعاً جداً ، فاقفل ٨٠٠٠ جامع والمدارس القرآنية في الجمهوريتين التتارية والبشكيرية ، و ٥٠٠ جامع في مناطق القفقاس الشمالية ، وطورد الخاتنون . وفي السنة ١٩٣٨ ، بدت الحركة الطورانية الشاملة مشلولة ، وماتى الدين الروح المصرية وبات اكثر مرونة ، وسلم على ما يبدو بمنع تعدد الزوجات وزواج القصر ، وبحرية النساء في الخروج من منازلهن ؛ فتوقفت من ثم الحملة الهادفة الى محاربة الدين الاسلامي ، والدعاوة المضادة للدين . الا ان التقاليد والعادات الموروثة عرفت البقاء بالرغم من القانون واستفادت من حلم سلطات محلية كثيرة : فما زال تعدد الزوجات ، وارغام القاصرات على الزواج ، وارتداء الحجاب ، واقامة النساء في الحرم ، اموراً غير نادرة ، بينما استمرت الروح القومية .

ان المعارضة السياسية او القومية - اقله في أوروبا - لم تظهر الدعوى الكبرى
قط بعد السنة ١٩٣٠ (تاريخ دعوى الانفصاليين الاوكرانيين
في كييف) ، على الرغم من استمرار وجود الفئات المنظمة (١٩٣٦ - ١٩٣٨)
في داخل الحزب حتى السنة ١٩٣٤ . ولكن ذلك لا يعني زوالها ، كما تؤيد ذلك عمليات التطهير المتكررة التي لم تقص الفاترين والفاستين والمعجزة فحسب ، بل اعداء الفريقين الحسك ايضاً .

كان مقتل كيروف الذي صادف في الزمن فترة تأزم دولي على جانب كبير من الخطورة ، مثاراً لسلسلة من الدعاوى امام المحاكم العسكرية رفعت على زيموفيايف وكامينيف من « مركز ليننغراد » ، في السنة ١٩٣٦ ، ثم على راديك وأحد عشر ممرضاً آخر في شهر كانون الثاني من السنة ١٩٣٧ ، ثم على سبعة قواد والمارشال توكاتشفسكي في تموز ، واخيراً على بوخارين وريكوف وباغودا في شهر آذار من السنة ١٩٣٨ . وقد اتهموا كلهم ، بدرجات مختلفة ، بانهم عملوا بالاتفاق مع عملاء الاجنبي اما على اغتيال ستالين وسجبار الزعماء الآخرين ، واما على تهديد الطريق لهجوم مسلح على الاتحاد السوفياتي ، واما على اعداد انقلاب عسكري . فاجريت خلال هاتين السنتين عملية تطهير عام تناول عدداً كبيراً جداً من المسؤولين وكبار الموظفين ، ولا سيما في الهيئة الدبلوماسية والادارة الاقتصادية والجيش ومحاكم الحزب ؛ وقد احدثت

الأحكام الصادرة بالطرد من الحزب والتوقيف والاعدام جواً رميياً من الضمضة والقنوط ،
وفوضى خطيرة في كافة الادارات والمصالح ؛ وبعد عزل « اياجوف » اعتمدت تدابير تهدئة
اصلحت الاخطاء والظلامات المرتكبة ، فأخلى سبيل اكثر من ٦٠٠٠ ضابط ومهندس
وموظف ، أو اعيد لهم اعتبارهم .

الخلاصة

مكثدا قام في الاتحاد السوفياتي ، خلال سنوات ما بين الحربين ، عالم جديد يختلف عن باقي الإنسانية . ففي ظروف مادية غاية في الصعوبة ، وفي وسط كون معاد كان يرتقب ويرجو كل يوم نهاية النظام ، بنى البلشفيك - دون اية مساعدة خارجية - دولة اقتصادية من المرتبة الاولى . فكان الهدف المعين للشعب السوفياتي تعويض بخسارة الوقت والتساوي بأعظم الدول : الولايات المتحدة ؛ اجل ما زالت المسافة كبيرة ، في السنة ١٩٣٩ ، بين الجبارين ، ولكن سرعة النمو بعثت اعظم الآمال لمستقبل قريب . فأوجه الشبه بين البلدين كثيرة : الثروة نفسها وتنوع الموارد الطبيعية نفسه ، وتدني نسبة كثافة السكان نفسه ، وحضارة جماهيرية واحدة يحركها الايمان بالتقدم العلمي والتقنية المبيلة على العقل ، و وثقة غير محدودة واحدة في فاعلية تأثير الانسان على البيئة .

وهو هذا التقدم غير الاعتيادي ما يفسر نفوذ الاتحاد السوفياتي في العالم اجمع على الرغم من الحصار الذي فرض عليه ، وعلى الرغم من عزله وانكماشه على نفسه ؛ وهو ما جعل منه نظيراً للولايات المتحدة التي اصبحت زعيمة الدول المتمسكة بالرأسمالية والحرية السياسية . ان المبادئ التي يعمل بوحيتها ويبنها ليست جديدة ما دامت ترقى في معظمها الى كارل ماركس ، ولكن الاتحاد السوفياتي هو ما اخرجها من حقل النظرية ليجعل منها قوة سياسية ، وما جعل تفسير الكون الوارد في الفكرة الماركسية والحلول التي تقترحها امام متناقضات العالم الرأسمالي تنتشر انتشاراً جديداً .

منذ السنة ١٩١٧ ، لم يعد نقد الديمقراطية الحرة نقداً ايديولوجياً امراً يستهان به ، بعد ان انتزع قناعة عقول كثيرة ومصلحين كثيرين . فان مفهوم الاقتصاد المخطط ، الذي اعتُبر خيالاً لفكرة طوييلة ، قد فرض نفسه على علماء الاقتصاد والسياسيين . وهكذا طرحت المبادئ والامثلة مسائل جديدة وادخلت على انظمة الدول الحرة تعديلات عميقة . وفي العلاقات الدولية لم يكن تأثير الاتحاد السوفياتي اقل شأنًا . فان استخدام الدعاية الرسمية ، واحتكار التجارة الخارجية ، قد ارجعا الدول المتقابلة على اعتماد وسائل متماثلة او تعديل طرائقها التقليدية .

ولم يكن اقل شأنًا كذلك تأثير الاحزاب الشيوعية الوطنية التي بدلت نشاطها ظروف حياة الدول الغربية وتطورها السياسي تبديلاً عميقاً احياناً . وكان هذا التأثير مباشراً وغير مباشر .

افلم يلاحظ ان حركة فاشستية كانت تولد ابدأ في كل بلاد يوجد فيها حزب شيوعي قوي ؟ اولم تمزق الخشية من الاتحاد السوفياتي ، في بعض الاوساط ، الوعي الرأسمالي ؟ اولم تدفع هذه الاوساط الى الوقوف موقفاً متساهلاً من الحركات الفاشستية ؟

في الواقع تطور العالمان المختلفان كل على حدة دونما تحالط تقريباً . فمن جهة ، اشمزاز ووجوم ودمشة لرؤية قيام واستمرار ونمو نظام اقتصادي وسياسي مبني على مبادئ تعتبر متنافية والنظام الطبيعي ، وخاطئة ، وحتى غير معقولة ؛ وجزع امام هذا الاستقرار وهذه القوة المتزايدة النمو من جانب الدول الرأسمالية . ومن جهة ثانية ، قناعة في الاتحاد السوفياتي بأن المخطاط الرأسمالية المحتوم تستعجله الازمات ، وبأن اشتداد هذه المتناقضات وتزايد عدم القرار يولدان الاضطرابات ويهددان السلم تهديداً اكثر خطورة يوماً بعد يوم . 'وجاءت عملية التطهير الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٨) ، التي تناولت بصورة خاصة القادة العسكريين والمدنيين المعروفة اسماؤهم واشكالهم خارج الاتحاد السوفياتي ، تمزق فقدان الثقة بدولة بفيضة وتحدث انطبهاً بأن الاتحاد السوفياتي اقل قوة وركانة مما يمتقد الناس . وهو الخطر المشترك وحده ما سوف يزيل هذا الاختلاف جزئياً بعد السنة ١٩٤١ .

القسم الثالث

العالم المنقسم

تأثر الأمبراطوريات الاستعمارية

الكتاب الأول

الحرب العالمية الثانية

لم تضعف أوروبا بفعل تأخرها الاقتصادي وحركات التحرر الآخذة في النمو بين الشعوب المسودة فحسب ، بل ضعفت كذلك بفعل الانقسامات العميقة التي أقامت الدول بعضها في وجه بعض . فان الخلافات التي برزت بين المنتصرين في مؤتمر الصلح قد استمرت وتفاقت حين أدى رجحان كفة الانعزالية الاميركية الى اعراض الولايات المتحدة عن كل تعاون دولي فعلي . وازداد « سوء التفاهم الودادي » بين فرنسا وبريطانيا العظمى في المسائل المتعلقة بالشرق ومسائل التعويضات ونزع الاسلحة على السواء . فبرز هذا الانشقاق موقف المطالبين بإعادة النظر : المستائين منهم كإيطالييـا ، والمهزومين ، ولا سيما ألمانيا التي توفقت ، على مراحل ، الى تصفية التعويضات ، واستعادت مركزاً من المرتبة الاولى في الدبلوماسية الأوروبية بفضل معاهدة « لوكارنو » .

لم تقس هيئة الأمم محكمة الرقابة العالمية التي حلم بها الرئيس ولسون ، ولم تكن سوى جهاز أوروبي في الدرجة الاولى ، تسيطر عليه الدول الكبرى ، ولا سيما فرنسا وبريطانيا العظمى ؛ وقد برهنت عن عجزها في اقامة التعاون العام التلقائي ضد التعديات . وبقي نشاطها محصوراً في المسائل الصغرى ، بينما عولجت كافة المسائل الهامة بمعزل عنها عن طريق مفاوضات مباشرة بين الدول الكبرى . لذلك فان تقسيم الكرة الأرضية ، الذي تحقق في معاهدي السنة ١٩١٩ والسنة ١٩٢٠ ، والذي ما لبثت إيطاليا والاتحاد السوفياتي والبلدان المهزومة ان اعترضت عليه ، لم يرتد طابع الديبومة .

فمنذ السنة ١٩٣٠ ، شقت الطريق امام الفاتحين ، وخلق « وضع قابل الانفجار » بفعل ادعاءات اليابان وإيطاليا اللتين استندتا فيها الى كثافة سكانها المطردة الارتفاع ، وادعاءات الشعب الألماني الآخذ في الاختناق في رقعة ضيقة جداً . وقد يسر نجاحات هذه الدول نفور الحكومات من تنظيم الأمن الجماعي والتسليم بتعاون دولي ضد التعدي ؛ وبرزت حينذاك مثل هذه الاشعة الشمسية : « العقوبات تعني الحرب » ، ويجب « حصر النزاعات » لا توسيعها . ومن جهة ثانية ، رأى شطر هام من الرأي العام ، في الدكتاتوريات العسكرية ، هاملاً أساسياً من

عوامل مقاومة الاتحاد السوفياتي ، وكانت مناهضة موسوليني وهتلر للبليشفيكية واحداً من اعظم عناصر نفوذها ؛ يضاف الى ذلك اخيراً ان الخوف من تحول ايطاليا والمانيا الى الشيوعية ، والرغبة في تحاشي استياء اليابان التي قد تهدد مستعمراتهم الآسيوية ، حملاً خصوم هذه الدول على مراعاة جانبها وتجنب تكبيدها هزائم معنوية من شأنها اسقاط حكوماتها .

ومكثاً نجحت اعمال القوة اليابانية في منشوريا والصين ، واحتلال ايطاليا لاثيوبيا ، والتدخل الجرمانى الايطالى في الحرب الاهلية الاسبانية ، وضم النمسا (انشلوس) وتجزئة تشيكوسلوفاكيا (الشكلاڤ ٩ و ١٠) وبالمقابلة تفكك جهاز التحالفات الذي انشأه المنتصرون ، وعزلت تشيكوسلوفاكيا ، فأسرعت بلدان اوروبا الوسطى والشرقية الى انتهاز السياسة التي توافقها : ابتعدت رومانيا ويوغوسلافيا وبولونيا عن فرنسا وولت وجهها لخطر ايطاليا والمانيا ، بينما عادت بلجيكا الى انتهاز « سياسة خارجية بلجيكية بحثة » . ثم جاء اسلام مونيخ الذي تخلى لهتلر عن بوهيميا ، الحصن الامامى للدفاع الروسى ، يقلب التوازن الاوروبى لصالح المانيا ، وينحصر الامن الجماعى ، ويقضى في المهد على التحالف المرتسم بين انكلترا وفرنسا والاتحاد السوفياتي . فكان مقدراً للحرب العالمية الجديدة ، التي اندلعت بعد مرور خمس وعشرين سنة على الحرب الاولى ، ان تستعجل التطور الذي ابتدأ في السنة ١٩١٤ .

الفصل الأول

الحربان العالميتان

« لقد حدث لي مرتين ، في حربين مختلفتين ، يفصل بينهما أكثر من عشرين سنة ، ان سمعت ضابطين من حاملي الشهادات يقولان عن التعليم الذي تلقوه : « ان المدرسة الحربية خدعتنا » .

« مارك بلوك »

طوال فترة الخمس وعشرين سنة هذه ، استوطن القلق والجزع قلوب البشر ؛ ومرد ذلك الى ان الحرب تسلطت على العقول : الحرب التي خيشت بين السنة ١٩١٤ والسنة ١٩١٨ ، وذكرى فظاعاتها وآلامها ، والخشية من تجددها ، وتجدها بالفعل في السنة ١٩٣٩ . فقد كان من شأن ضخامة عدد المهندسين الواقفين في وجه العدو بحكم الخدمة العسكرية الالزامية التي اصبحت شاملة حقاً ، وانقلاب ظروف الحياة الذي عانت منه كافة طبقات المجتمع وكافة بلدان العالم ، واتساع مدى الخسائر في الارواح والثروات التي يمتد بها المنتصرون والمهزومون على السواء تقريباً ، ان الحرب لم تعد ، في حياة الشعوب ، حدثاً هاماً يستعاد النشاط والعافية بعده بسرعة متفاوتة ، بل ارتدت طابع كارثة وطنية لا تسد ثلثها . وطيلة ما بين الحربين ، غدت قلقلة الاقتصاد ، واضطراب العلاقات الدبلوماسية ، وعنف الادعاءات القومية وحدة المنازعات من اجل ايجاد الاسواق ، والعداء بين العالم الرأسمالي والعالم السوفياتي ، توتراً دبلوماسياً شبه دائم دفع بالدول الى تكريس شطر هام من مواردها لاعداد العدة للحرب ، والى تطبيق اخر ما توصل اليه العلم والتقنية في تعليم جيوشها وتجهيزها . ولذلك حدثت في « فن الحرب » ، واساليب المعركة واستخدام الاسلحة تطورات عميقة غيرت وجه المعركة البرية والمعركة البحرية تغييراً كلياً . وقد اسهمت محاولة الدول الفاشستية اليائسة فرض هيمنتها على العالم في طبع الحرب العالمية الثانية بطابع الحرب الشاملة ، الضارية ، التي تجاوزت مجاوزا بعيدا كل ما شوهد من ذي قبل .

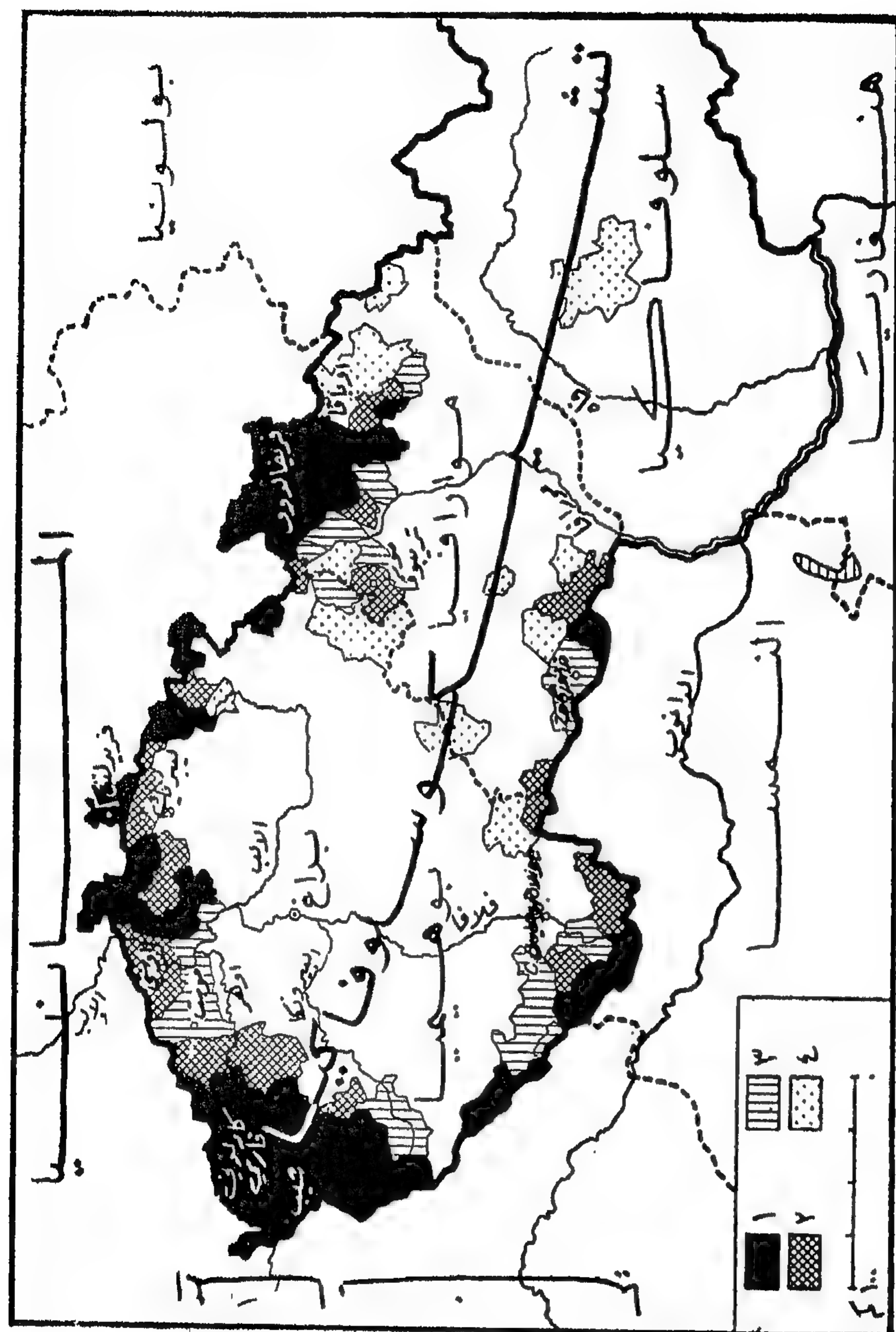
١ - فن الحرب والعدد الحربية خلال الحرب العالمية الاولى

منذ السنة ١٨٧١ لم تحدث نزاعات تقابلت فيها جيوش الدول الكبرى . فلم تتوفر من ثم لاركان حربها ، المسؤولية عن اعداد وادارة العمليات ، خبرة حربية شخصية باستثناء خبيرة الغزوات الاستعمارية في بعض البلدان . وقد استوحيت مفاهيمها من درس النزاعات الاخيرة في افريقيا الجنوبية ومنشوريا والبلقان ، والاختراعات التي طورت عدد الحرب ، وطورت من ثم ظروف المعركة . وكان الكل مقتنعين بان الحرب لا يمكن ان تطول ، وبان النصر سيحرز بمبارك طاحنة قصيرة . فاعدوا العدة من ثم لمثل هذه الحرب . وقد قال غليوم الثاني في شهر آب من السنة ١٩١٤ : « سوف نعود الى ديارنا في عيد الميلاد » .

الا ان الحرب التي اندلعت في هذا التاريخ قد دامت اربع سنوات ظهرت خلالها اسلحة جديدة وظروف معارك غير مرتقبة ارغمت اركان الحرب على اعادة النظر كليا في مفاهيمها واساليبها . فتطور الجيش ووجه المعركة من ثم تطورا كبيرا خلال العمليات ، وكانا في السنة ١٩١٨ مختلفين اختلافا كبيرا عنها في السنة ١٩١٤ .

للمرة الاولى ، ستتجابه الدول الكبرى - باستثناء بريطانيا العظمى مفهوم المعركة
- بجيوش وطنية استندت في تأليفها الى مبدأ « الامة في حرب » . فان في السنة ١٩١٤
هذه الجيوش المعبأة بحكم الخدمة العسكرية الالزامية ، اتاحت ارسال أعداد كبرى من المجندين الى خطوط القتال في حين زادت التحسينات التقنية من قوة النار . لقد أصبح اطلاق النار اكثر دقة وتوصلا بفضل استعمال البارود B (وقد حل محل البارود الاسود) الذي لا ينشر دخانا ، ولا يوسخ جدران المدافع الداخلية ، فيتيح من ثم رماية سريعة ، وبفضل استعمال بندقية تطلق طلقات نارية متواترة ، وبفضل استعمال المدفع الرشاش . وكان من شأن هذا الاخير منع كل تجمع عسكري كثيف حتى مسافة ٢٠٠٠ متر ، ومن شأن البندقية الفرنسية (ليبل) ان تصيب الهدف على مسافة ٨٠٠ متر ، وامتدت فاعلية المدفع من عيار ٧٥ حتى مسافة ٥ كيلومترات ، والمدفعية الثقيلة الالمانية حتى ١٢ كيلومترا . وفي منطقة المعركة هذه المتراوح عمقها بين ٦ كلم و ١٢ كلم ، وجب ان تتوزع القوى كي لا تؤلف هدفا سهلا للاصابة ، وان يطبق « فراغ ساحة المعركة » الذي سبق للبوير ان حققوه ، وان ينتشر المشاة ويطلقوا النار بتواتر ويتقدموا الى الامام تباعا على ان يعمدوا بين تقدم وآخر الى الانبطاح ارضا واستخدام الملاجىء الطبيعية او حفر ملاجىء فردية بواسطة الادوات التي ينقلونها . وقد بوشر استخدام ثورقين تقنيتين حديثتي العهد : فمن جهة ، محرك الانفجار الذي اتاح نقل وتوزيع الجيوش برا بمزيد من السرعة وجمع المعلومات جوا بواسطة الطائرة او المنطاد المسير ، ومن جهة ثانية ، التلغراف اللاسلكي والهاتف اللذان اتاحا الاتصالات السريعة .

قواعد استخدام الاسلحة في المانيا تمخضت قيادة الاركان العامة ، المشبعة بتعاليم « مولتكه » و « شليفن » ، بمذهب متلاحم يتفق والحرب المرتقبة على جبهتين وظروف النزاع ضد الجيش الفرنسي الذي توفر له المدفع الممتاز من عيار



الشكل ۹ - توزع الآلات في تشيكولوفاكيا بين ۱۹۱۸ و ۱۹۳۹
۱ - أكثر من ۹۰ ٪ ، ۲ - بين ۷۰ و ۹۰ ٪ ، ۳ - بين ۴۰ و ۷۰ ٪ ، ۴ - بين ۲۰ و ۴۰ ٪ .

٧٥ والتحصينات القوية التي شيدها « سيريه دي ريفيير » . فان الوضع يفرض نصراً سريعاً وحاسماً على فرنسا ، والقضاء على العدو سوف يتحقق بهجوم ضار يستلزم مناورة تطويقية وهجوماً جانبياً . لذلك شددت انظمة المشاة الموضوعة في السنة ١٩٠٦ وانظمة الخدمة في الارياض الموضوعة في السنة ١٩٠٨ ، على الروح الهجومية وضبط وقوة اطلاق النار ، وعلى عامل المفاجأة الاساسي . وانما النصر حليف الفريق الذي يتغلب على ثار الفريق الآخر بمزيد من السرعة ؛ فيجب ان تسيطر على اعمال المشاة فكرة واحدة : « الى الامام » هجوماً على العدو ، مهما كان الثمن » ... « ويقوم الهجوم باطلاق النار على العدو من اقرب مسافة . وفي الهجوم بالسلاح الابيض يتكرس النصر على العدو » . فسلح المشاة هو من ثم السلاح الرئيسي لانه وحده « يتغلب على المقاومة الاخيرة . انه يحمل عبء المعركة الرئيسي ويقدم اسمى التضحيات » . بيد ان هذه الانظمة تعترف « بحتمية المراحل الهجومية » التي يفرضها اقتصاد القوى قبل العودة الى الهجوم . ولذلك وُجّه تعليم الضباط والجنود نحو الاعداد الدقيق لاستخدام طبيعة الارض والاعمال في الارياض ؛ وتحقيقاً لهذه الغاية اعتمدت عدة ملائمة كاملة : عتاد متحرك يستخدم بالجملة ، كالمدافع القصيرة من عيار ١٠٥ و ٢١٠ لاجل تدمير التحصينات (اتاحت مادة الملييت خرق عقود مبلية تبلغ المتر سماكة) ، والمدافع الطويلة البعيدة المدى والمدافع الثقيلة من عيار ١٥٠ لاجل ضرب مدفعية العدو .

اما في فرنسا ، فان « فوش » ، الذي علم « ان معركة خاسرة هي معركة نمتقد باننا خسرناها » لان المعركة لا تُخسر معنوياً ، والكولونيل « دي غرانيزون » ، قد نوّها بتفوق السلاح الابيض وروح « الهجوم على الرغم من كل شيء » . وان اراء الكولونيل دي غرانيزون ، التي هي نقىض تعاليم الحرب المنشورية ، قد اعتمدت في التعليمات حول ساوك الوحدات الكبرى والخدمة في الارياض ، التي وضعت في شهري تشرين الاول وسكانون الاول من السنة ١٩١٣ . فبصدد سلاح الفرسان ، جاء « ان الهجوم على صهوة الحصان وبالسلاح الابيض هو اسلوب العمل النظامي العادي » . اما سلاح المشاة فهو السلاح الرئيسي ... الذي [يمكن القول] عن سيره الى الامام حتى الالتحام بالعدو انه حاسم ومحكم ، ... وفي هذا القول تأكيد لتفوق الحركة بالنسبة الى النار ، ولتفوق العدد بالنسبة الى العتاد . فتصبح المدفعية من ثم سلاحاً تكميلياً ، ويحمل اطلاق النار واستخدام الادوات ، وتعتبر مفاهيم السلامة وتوزيع الجيوش على مسافات مختلفة من الجبهة اموراً ثانوية .

وقد لخص القائد « هير » هذه الآراء كما يلي : « سوف تكون الحرب حرباً قصيرة الامد ، تنتقل فيها الجيوش بسرعة وتلعب فيها المناورة دوراً رئيسياً : سوف تكون حرب حركة . وسوف تكون المعركة في جوهرها نزاعاً بين سلاحي المشاة ... يجب ان يكون الجيش جيش مجندين كثيرين لا جيش عتاد ... لن تكون المدفعية سوى سلاح ثانوي ... وقد يكون التلبك بمدفعية وفيرة دون اية جدوى ... »



الشكل ١٠٣ - التغييرات الإقليمية في أوروبا بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩.

- ١ - عودة السار الى ألمانيا (١٣ كانون الثاني ١٩٣٥) ، ٢ - المنطقة غير المحصنة التي احتلتها ألمانيا ثانية (٧ آذار ١٩٣٦) ، ٣ - ضم النمسا (١١ آذار ١٩٣٨) ، ٤ - ضم السويد (٣٠ ايلول ١٩٣٨) ، ٥ - استقلال سلوفاكيا (١٤ آذار ١٩٣٩) ، ٦ - اقامة محمية بوهيميا - مورافيا (١٦ آذار ١٩٣٩) ، ٧ - ضم ميكل (٢٢ آذار ١٩٣٩) ، ٨ - احتلال إيطاليا لألبانيا (٧ نيسان ١٩٣٩) .

حين اندلعت الحرب ، ارتكب كافة القادة العسكريين من ثم
 المبادمة
 في ايدي الالمان
 الاخطاء نفسها بتقديرهم قوّة الهجوم اكثر من قوّة الدفاع الى حد
 بعيد . وبعد حين ، تكييفوا بحسب الظروف الجديدة غير المرتقبة .
 ولكن فريق هندنبرغ - لودندورف - هوفمن هو ما احسن التكيف قبل سواء . فهم الالمان
 من استلموا زمام المبادمة استلاماً شبه دائم تقريباً ، في ما يتعلق بالعمليات وبالعتاد على حد سواء ؛
 مبادمة حرب الخنادق واحكام تقنية التحصن وراء الخنادق في الجبهة التي بلغت درجة من الكمال لم
 يعرفها اي جيش آخر . اساليب القصف المتواصل الشامل الذي يحق مواقع العدو الدفاعية ،
 ثم القصف القصير المركز على نقطة واحدة الذي يتيح فتح ثلثة في الجبهة . وكانوا السابقين في
 استخدام الاسلحة الجديدة (باستثناء الدبابة) : الغازات السامة ، قاذفات اللهب ، قاذفات
 الالغام . كما انهم اتقنوا استعمال المدافع الرشاشة والفواصات ، واستخدموا الطائرات قبل غيرهم
 لقذف القنابل .

بعد الهزيمة الالمانية في معركة المارن التي اوقفت محاولة
 الشكل الجديد للحرب في الغرب
 الخنادق
 اندفاع جانبي والتفاف استهلت بنجاح في بلجيكا في شهر
 آب من السنة ١٩١٤ ، وبعد فشل « السباق نحو البحر »
 بغية بلوغ « كاليه » ، استقرت الجيوش المتهوكة في خنادق محفورة على عجل . وقد بسدا استقرار
 الجبهة هذا للقيادة الالمانية وسيلة اقتصادية توفر لها حرية العمل في الشرق حيث كانت تنوي
 التوصل الى نتيجة حاسمة ؛ ولذلك سوف يرتدي تنظيم الجبهة طابع الديمومة بحيث لن يتمكن
 اي من الخصمين المتحاربين ، طيلة اربع سنوات ، من اختراقها ؛ وستصبح الجبهة مجموعة كاملة
 من التحصينات الممتدة على طول اكثر من ٧٠٠ كلم بين بحر الشمال والحدود السويسرية لن يطرأ
 عليها في بعض النقاط اي تبدل حتى السنة ١٩١٨ . فتغلّبت النار على الحركة ولم تكن الحرب
 بعدئذ سوى « صراع يائس ضد المدفع الرشاش » وضد المدفعية . واتصلت الخنادق العميقة
 والمتوازية والمموجة الخطوط (بغية تأمين الحماية الجانبية والافادة جهـد المستطاع من طبيعة
 الارض) بممرات ضيقة وطويلة ، وتقدمتها شباك من الشريط الشائك ؛ وانشئت فيها « مراكز
 صغرى » للمراقبة وملاجىء عميقة ، وزودت بعدد وفير من المدافع والمدافع الرشاشة . فألف
 المجموع حصوناً حقيقية . وانشئ وراء الخط الاول ، القريب من خطوط الاهداء ، خط ثان ،
 وخط ثالث احياناً بغية درء انهيار الجبهة بتوزيع القوى على مسافات مختلفة من الخط الاول .
 كانت نتيجة هذه الحرب الموضعية ثورة في الفن العسكري . في العدة الحربية اولا : فقد
 توجب ، حتى عند الالمان الذين كان لديهم مدفعية ثقيلة سريعة الاطلاق من عيار ١٠٥ و ١٥٠
 و ٢١٠ ، قدرة على قذف القنابل وفاقاً لخطوط مختلفة الانحناء ، الاكثار من استخدام مدفعية
 الخنادق : مدافع لقذف القنابل وفاقاً لخطوط منعنية جداً ، مدافع لقذف القنابل الصغيرة ،
 مدافع خاصة بالخنادق ، الخ . ، بينما اصبح المدفع الرشاش ، القادر على ضرب الزوايا الميتة

١ - أقصى تقدم روسي ، ٢ - الجبهة في نيسان ١٩١٥ ، ٣ - الجبهة في ايلول ١٩١٥ ، ٤ - الجبهة عند وقف إطلاق النار في السنة ١٩١٧ ، ٥ - حدود ١٩١٤ ، ٦ - حدود ١٩١٧ الجديدة ، ٧ - اقاليم خسرتها روسيا ، ٨ - اقاليم تحت نفوذ الماني في آب ١٩١٨ ، ٩ - اقاليم تحت نفوذ حليف ، ١٠ - اقاليم تحت سلطة حكومة موسكو .

ضرباً فاعلاً بقذائفه والحوول دون اجتياز منطقة معينة امام الخطوط ، مع القنبلة الصغيرة ،
خير سلاح دفاعي في ايدي المشاة .

بيد ان القيادة الفرنسية ، التي لم تسلم بسهولة بتنظيم اجهزة دفاعية شبيهة بأجهزة الالمان ،
فقد تكييفت مرغمة بحسب هذه الظروف الجديدة المناقضة لتعاليمها . وقد عندت وقتاً طويلاً
في العودة ، بأسرع وقت ممكن ، الى « الحرب في الارض المكشوفة » . ورغبة منها في تجنب
« تواني الجنود » والمحافظة على روحهم الهجومية ، و « تهديد العدو بخاطر دائم » ، وايهان
جنوده ايهاً متواصلاً - هذا هو المقصود بتعبير « القضم » - ، قامت طوال السنة ١٩١٥
بهجمات محلية كثيرة طاحنة من اجل الاستيلاء على اهداف لا أهمية حقيقية لها في اغلب
الاحيان : كمركز مراقبة أو جزء من خندق ... ، لم تستهدف المناورة ولا المفاجأة ولم تسفر
الا عن خسائر فادحة في الارواح لا يبررها مبرر ، لا سيما وان الحاجة الى الذخائر لم تكن
لنسمح بضرب العدو بالقنابل ضرباً كافياً وفعالاً . وهكذا كانت « نوتردام - دي - لوريت »
و « بواله برتر » ، واكمة ال « ايبارج » ، وقمة « هارتمسويلركوبف » ، ومنطقة « سواسون »
وال « ارغون » (التي زرعت بالالغام) ، و « قتل » و « فوكوا » ، وغابة « غروري » ، مسرح
نزاعات دامية ، هزيمة ومثبطة ، طوال أشهر كاملة .

محاولات الهجوم في الغرب
في السنوات ١٩١٥ و ١٩١٦ و ١٩١٧
امام هذه التحصينات القوية في الجبهة الغربية ، بات من
الضروري التوصل الى نتيجة حاسمة ، اما على ساحة
معركة اخرى - حاول الالمان البحث عنها في الشرق ،
ولن يحدروا الا في السنة ١٩١٧ (الشكل ١١، ص ٣٣٥) وبحيث الحلفاء عنها فترة من الزمن في
الشرق - ، واما بواسطة « منفذ » استخدمت من اجل فتحه اما اسلحة جديدة : كالفازات
السامة ، والدبابية ... ، من شأنها اذهال العدو ، واما بسحق مركز العدو بالقنابل ، الذي
يفترض تفوقاً عظيماً في الوسائل . وعلى اية حال ، توجب 'تحطيم هذا الدرع الدفاعي' ، وفي
سبيل ذلك تطورت العدد الحربية وفن الحرب . وقد اقنعت مجازر الشتاء باستحالة هجوم المشاة
دون اعداد دقيق ، ودون ان تسبق المدفعية تقدمهم وترافقه . ولكن توزيع النجندات على
اماكنها ، وتنظيم نقاط الانطلاق وتجهيز الخطوط الخلفية ، تتطلب اسابيع هدة ولا يمكن ان
يغرب امرها عن مراكز رقابة العدو ودوائر استخباراته . يضاف الى ذلك ان الضرب بالقنابل
طيلة ايام عدة بغية تقويض تحصينات العدو لا يترك اي مجال لعامل المفاجأة ، واذا تم الاستيلاء
على خطه الامامي ، اصطدم المشاة المهاجمون بخط ثان سليم وتوجب عليهم القيام بالاستعدادات
الطويلة والباهظة النفقات نفسها . وهذا ما يفسر الفشل الذريع الذي انتهت اليه الهجمات
الحليفة في منطقة « ارتوا » ، في اشهر آذار وايار وايلول ، وفي منطقة « شامبانيا » ، في شهري
شباط وايلول من السنة ١٩١٥ .

حين قام « فالكنهاين » بهجومه على « فردان » ، في السنة ١٩١٦ ، لجأ الى اساليب جديدة

لتحقيق عامل المفاجأة : اخفاء النجندات والمعدات في غابات المنطقة الكثيرة ، ضرب عنيف جداً بالقنابل لفترة قصيرة (٩ ساعات عوضاً عن عدة ايام) يتولاه اكثر من الف مدافع ، قنابل مدفعية على الخط الاول ، قنابل من العيار الثقيل ، ٢٨٠ ، ٣٠٥ ، ٣٨٠ ، ٤٢٠ على الخط الثاني ، هجوم ٦ فيالق معاً على جبهة لا تتجاوز ٧,٥ كلم طولا . لقد كان لنجاحات الالمان وقع كبير في النفس ، ولكنها انتهت الى الفشل ، اذ ان القيادة الفرنسية نجحت في تأمين وصول النجندات والذخائر والمؤن الكافية بفضل تنظيم النقل بالسيارات على « الطريق المقدسة » . ويغلب ان القوى استبدلت تكراراً ، فقد اوهن ٦٦ فيلقاً بين شهري شباط وتموز ، ولكن الهدف المطلوب لم يُبلغ : فالجبهة الفرنسية لم تتصدع ، واذا كانت الخسائر الفرنسية فادحة ، فانها لا تكاد تتجاوز خسائر الالمان الذين حسبوا انها ستكون اعلى من خسائرهم بمرتين ونصف المرة .

اما الهجوم الفرنسي البريطاني على الد « سوم » ، في شهر تموز من السنة ١٩١٦ ، فقد ابرز مرة اخرى دور المدفعية المتفوق : ليس دور المشاة بعد اليوم سوى احتلال الارض التي استولى عليها المدافع والدفاع عنها . فزيد من عدد المدافع البعيدة المرمى لمقاومة هجومات مدافع العدو بمثلها ، ومن المدافع الثقيلة لاجل حرب الخنادق ، واتقن تعيين مكان المدفعية بواسطة الصوت ، والرقابة البرية والرقابة بواسطة المناطيد المقيدة . ونظم جهاز كامل للاتصالات والتحويل استطاعت المدفعية بفضلها ، ليلاً ونهاراً ، وكلما طلب المشاة منها ذلك ، تركيز نيرانها على الاهداف الهامة وتوجيه ضرباتها على الفور الى مدافع العدو لاسكاتهما ، واطالة عملية قصفها الخاصة .

وزود سلاح المشاة بمعدات اضافية تساعد على « الدرع » (خنادق ومدافع رشاشة وشريط شائك) الذي جعل الدفاع عملية رابحة منذ سنتين : مدافع خفيفة ، مدافع لقذف اللهب ، مدافع من عيار ٣٧ ، مدافع هاون . كما زود بقنابل صغيرة تقذف بواسطة البندقية (V. B.) ، وببنادق رشاشة ، ومدافع رشاشة بلغت اربعة اضعافها من ذي قبل . وعلى الرغم من تسدني عدد افراد هذا السلاح بالنسبة للأسلحة الاخرى (من ٧١ الى ٥٠٪) ، فان تزايد الاسلحة الذاتية الحركة قد زاد قوة نار المشاة زيادة عظيمة .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان اعداد عملية الهجوم وتنفيذها قد ساعدتها الرقابة الجوية واجهزة معقدة للاتصال والتحويل بواسطة الهاتف والتلغراف اللاسلكي ولوحات تعيين المسالك والاسهم النارية ، التي امنت الاتصال بين المشاة والمدفعية والقيادة . وفتح التصوير من الجو ، الذي احكم في السنة ١٩١٥ ، تعييناً مسبقاً لنقاط الارتكاز الواجب تدميرها على جبهة الهجوم ، كما ادارت الطائرات عملية اطلاق النيران وراقبت نتائجها . وكانت نسبة المدافع مرتفعة جداً : فقد اقتضى هجوم ١٦ نيسان من السنة ١٩١٧ مدفعاً خفيفاً ومدفع خنادق لكل ٢٣ مجزئاً ومدفعاً ثقيلًا لكل ٢١ .

بيد ان هذه الاستعدادات ، على غرارها في السنوات السابقة ، لم تكن لتخفى عن البصر . فقد اقامت القيادة الالمانية جهازاً دفاعياً مؤلفاً من ٣ او ٤ خطوط موزعة على مسافة ٥ او ٧ كيلومترات من الجبهة ، في ارض غير متساوية تكثر فيها الوديان والغابات . وقد سيطرت جواً في القطاع المهاجم ، فاستطاعت من ثم منع او مضايقة ادارة عملية القصف والرقابة ، وتعيين مراكز المدافع الفرنسية بسهولة . لذلك فان الضرب بالقنابل طيلة ثلاثة اسابيع من اجل شق طريق في الشريط الشائك ونيرون المدفعية بالجملة طيلة خمسة ايام ، لم تحل دون انتهاء هذا الهجوم الى فشل ذريع دام .

وهكذا فبقدر زيادة المدفعية التي اصبحت سيده ساحة المعركة من تقدم الاسلحة الجديدة حيث كثافتها ومرماها وقوتها التدميرية ، تحسنت التحصينات كذلك واثبتت اجهزة خنادقها وممراتها الطويلة الضيقة قدرتها على مقاومة كل هجوم . فبدأت المناورة وكأنها مستحيلة وتحم ان لا تكون المعركة سوى هجوم الى الامام يحاول الامتداد الى الجناحين . وبالمقابلة تطور شكل الجيوش . فان الفيلق الفرنسي في السنة ١٩١٨ يختلف عنه كثيراً في السنة ١٩١٤ : ضم في السنة ١٩١٤ ١٠٠٠٠ جندي راجل ، مسلحين ب ٩٦٠٠ بندقية و ٢٤ مدفعاً رشاشاً ، فاصبح يضم ، في السنة ١٩١٨ ، ٤٣٠٠ جندي راجل مسلحين ب ٢٣٠٠ بندقية و ٤٢٠ سلاحاً حريباً آخر . وارتفعت قوة نار مدفعيته الى اربعة اضعافها ، وقد استفني عن الاسلحة غير الجديرة بالبقاء وحلت الطائرة والسيارة محل سلاح الفرسان الذي اقتصر دوره على الاشتراك في المعركة على غرار سلاح المشاة ، وبالمقابلة احسكت انواع اسلحة جديدة ازدادت اهميتها يوماً بعد يوم : الاسلحة الذاتية الحركة . وقنابل الغاز او الايريت ، التي من شأنها جعل مناطق واسعة غير صالحة للسكنى ، والطيران والدبابات بصورة خاصة . فقد استخدمت الطائرة منذ السنة ١٩١٤ للمراقبة والاستكشاف وادارة عملية القصف ، ثم اصبحت سلاح مطاردة منذ ابتكار الـ « فوكر » التي اتاحت اطلاق نيران المدفع الرشاش عبر محجر المروحة ؛ ومنذ السنة ١٩١٧ نشبت معارك ، لا بين طائرات منفردة ، بل بين اسراب يضم كل منها حق ٥٠ او ٦٠ طائرة . وفي السنة ١٩١٨ اخذت الطائرات تهاجم تجمعات الجيوش على الارض . وحلت طائرات قصف خطوط المواصلات والمطارات والمستودعات محل المناطيد منذ صيف السنة ١٩١٥ ، ولكن النتائج ما زالت متوسطة بسبب ضآلة عدد الطائرات المشتركة في مثل هذه العملية (٤٠ في اقوى غارة على لندن) . وانتقلت السيطرة على الجو بالتناوب من معسكر الى آخر بحسب تقدم التقنية : فكانت في ايدي الالمان حتى السنة ١٩١٦ ثم في شهر ايار من السنة ١٩١٧ ، وفي ايدي الحلفاء ابان معارك فردان والسوم ، ثم في السنة ١٩١٨ . اما الدبابة التي جمعت بين النار والحركة ، فقد استخدمت استخداماً صوابياً للمرة الاولى في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩١٧ . فبدون اعداد مدفعية ، قذف الجيش البريطاني في قطاع « كبريه » بدباباته الـ ٣٨١ وكانت مدفعات مدرعة باغتت العدو وشقت الطريق امام

سلاح المشاة محدثة في الخطوط الالمانية جيبا بقياس ١٢ كلم طولا و ٩ عرضاً . اجل ان الهجوم الذي شن على جبهة ضيقة جداً لم يؤد الى انهيار تحصينات العدو، ولكنه اثبت امكان الاستيلاء، بواسطة الدبابات، على عدة خطوط متعاقبة دون اعداد مدفعية وبخسائر طفيفة نسبياً . وهكذا اعدت الطريقة التي سوف تضمن نصر الحلفاء في السنة ١٩١٨ .

كانت احدى نتائج استخدام هذه الاسلحة الجديدة اشتداد الحاجة الى المجندين . فهي قد ارغمت القيادة على تخصيص عدد متزايد منهم لخدمات الداخل او المؤخرة : فان الدبابات التي تشترك في المعركة يجنديين والطائرة التي تطير بملاحها ومطلق مدفعها الرشاش تفترضان على التوالي ٤٦ و ٦٠ رجلا في المؤخرة لاصلاحها وتعهدها وتموينها والاعاضة منها .

لم يعد هناك من جبهة شرقية بعد الثورة الروسية وانسحاب الجيش الروماني . فكان من ثم لدى هندنبرغ ولودندورف ، معركة السنة ١٩١٨ في وجه ١٨٠ فيلقاً فرنسياً - بريطانياً وبلجيكيًا، ١٩٨ فيلقاً سيحاولان بواسطتها شق طريق لها في الجبهة الغربية . فاعد الهجوم على ضوء دروس معركتي كمبريه وريفا ، حيث اختبرت بنجاح الطريقة الهجومية الجديدة التي نادى بها الكولونيل « بروشمولر » والتي بموجبها تسحب خيرة الفيالق من الجبهة الى مناطق بعيدة في المؤخرة . وتساعد اليها مهام المناورة وتجهز بعتاد جديد، وتعود طرائق التسلل : على فرق الهجوم امتحان النقاط الضعيفة واختراقها والالتفاف حول النقاط المحصنة التي سوف تقهرها الخطوط التي تليها . ومن الطبيعي بعد ذلك ان يؤدي احكام عمل المدفعية في الكتان ، وتجميع المدافع بالجملة في مراكز معينة ، واطلاق قنابل الغاز بوفرة - بما يقصر فترة الاعداد على ساعات قليلة - ونقل الجيوش من جبهة الهجوم تحت جنح الظلام كي لا يثار انتباه العدو ، واستخدام اسراب كثيفة من الطائرات تقذف بقنابلها ، من علو منخفض ، محطات السكك الحديدية ، والمطارات ، ومؤخرة الجبهة وتهاجم المشاة والمدفعية بمدافع الرشاش ، الى مباغته العدو والسباح بفتح المنفذ والافادة منه .

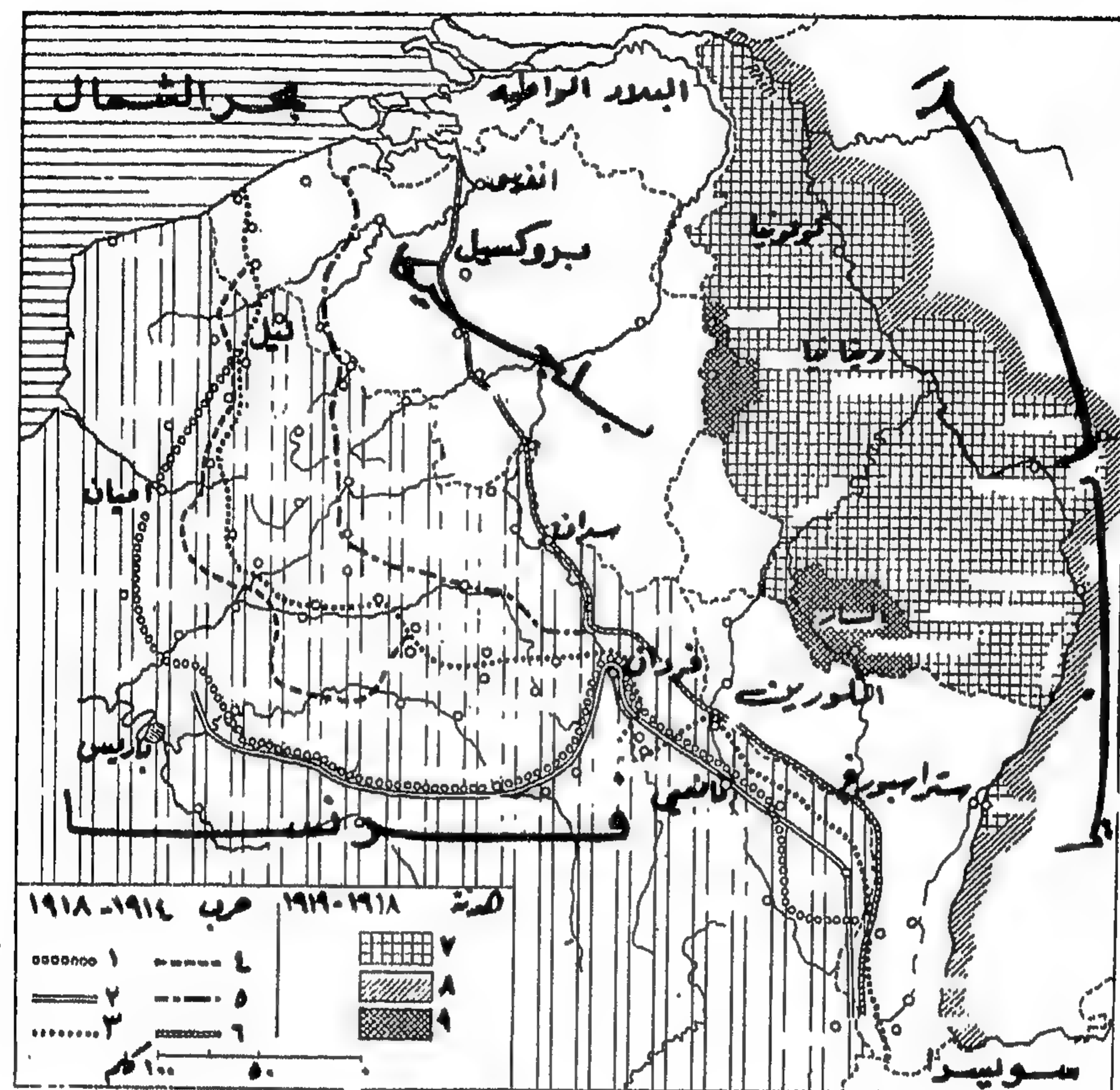
استعد الحلفاء من جهتهم الى صد الهجوم مستفيدين من المثل الالمانى : اتقان استخدام الاسلحة الذاتية الحركة ، انشاء نقاط ارتكاز على مسافات مختلفة من الجبهة ومراكز مقاومة في داخل كل خط . ولم يكونوا آنذاك ليعتبروا دفاع الخط الاول امراً ضرورياً كما في السنة ١٩١٥ ، بل ارتأوا تجميع معظم الجيش في خط متوسط (بين ٣ و ٤ كلم الى الوراء) او في الخط الثاني (بين ٦ و ٧ كلم) . فهنا يكون خط الصمود الذي سوف يصطدم به المهاجمون بعد ان تكون نقاط المقاومة ، المتروكة في الخنادق الاولى ، قد فرقت بينهم . ولا يزال الحلفاء يستبعدون امكان فتح منفذ في الجبهة : فاذا نجح العدو في اختراق الخط الاول ، فانه لن يلبث ان يصطدم بجبهة جديدة معززة يستحيل اختراقها .

الا ان هذه الثقة امتحنت امتحاناً عسيراً في ربيع وصيف السنة ١٩١٨ (الشكل ١٢، ص ٣١١) . لقد ردت قوات الحلفاء الى الوراء اربع مرات متوالية بهجمات سريعة ضارية جعلت الالمان على قارب

قوسين من النتيجة الحاسمة بفضل مدفعيتهم السريعة الاطلاق ومهارة ضباطهم في استثمار عامل المفاجأة وفي استخدام سهولة تحريك معداتهم. ففي الحادي والعشرين من شهر آذار ، وبعد قصف بقنابل الغاز والقنابل الداخنة دام اربع ساعات ونصف الساعة ، فتحت ثلثة بطول ٨٠ كلم هندنقطة التقاء الجيوش البريطانية والفرنسية ، لم تسد الا بكل صعوبة ؛ وفي التاسع من ايلول شن هجوم جديد في الفلاندر ، فوصل الالماني الى مسافة ١٦ كلم من اميان و ٦٠ كلم من كاليه ، وجعلوا ربيع الجيش البريطاني عاجزاً عن القتال . وفي السابع والعشرين من شهر ايار ، بعد ضرب دام ثلاث ساعات بقنابل ١٢٠٠ « بطارية » مدفعية ومئات مدافع الخنادق ، وعلى جبهة يبلغ طولها ٦٢ كلم بين سواسون و « ريس » ، تقدم ٢٠ فيلقاً مسافة ٢٠ كلم وسيطرت على جسور ال « اين » ؛ وقد اشترك في هذه المعركة ثلث الجيش الفرنسي ، الذي اوهن جزئياً ، وفقدت معدات كثيرة ، وواجه الجنرال « بيتان » انكفاء عاماً . وفي الثامن من حزيران ، شن هجوم جديد الى الشرق من « نوايون » على جبهة طولها ٧٤ كلم ، اوقف عند خط « شاتو تيارى » - « مونديدييه » . وفي كل مرة استفاد الجيش الالماني من عامل المفاجأة واستطاع الاستيلاء على جيوب عميقة في الخط الحليف . ولكن المفاجأة لم تلعب اي دور في الهجوم الجديد الذي شن في الخامس عشر من شهر تموز بين « شاتو تيارى » ، والد « ارغون » : فقد اخلي الخط الفرنسي الاول بغية تجنب نيران مدافع الهاون واحتل معظم الجيش مركز المقاومة ، وصدرت الاوامر لفرق الاحتياط في المؤخرة بالتأهب . فقبل ان تفتح المدفعية الالمانية نيرانها القوية ردت المدفعية الفرنسية على النار بنار كثيفة جداً ، وانتهى الهجوم الالماني على طول ٤٠ كلم من جبهة شيمانيا الى الفشل .

اوهنت هذه الهجمات فرق لودندورف الاحتياطية . فقد رسم الخط الالماني جبهة غير منتظمة تألفت من جيوب يسهل شن الهجمات الجانبية عليها ؛ ومنذ الثامن عشر من شهر تموز تحولت المبادأة الى ايدي الحلفاء الذين استخدموا عدداً كبيراً من الدبابات ، الاداة الحاسمة في ستراتيجية التفكيك الجديدة ؛ وفي ليل ١٧ - ١٨ ، وبدون اعداد مدفعية ، ادى استخدام الدبابات بالجملة الى فتح ثلثة عرضها ٥٠ كلم وعمقها ١٠ كلم في خط العدو الى الجنوب من « سواسون » . ومنذئذ اضطر الجيش الالماني ، الذي ارغم على الوقوف موقف الدفاع وعانى من حاجته الملحة الى المهندسين ، للتراجع امام سلسلة من الهجمات السريعة ، المتكررة ، التي لم تستهدف اي منها التوصل الى نتيجة حاسمة ، ولكنهما شنت في قطاعات متباعدة فمنعت لودندورف من ان يستخدم فرقته الاحتياطية الضخمة وينقلها الى ميدان المعارك . وفي الثامن من شهر آب ، « يوم حداد الجيش الالماني » ، حدثت مفاجأة تامة ؛ فان نقل الجيوش تحت جناح الظلام ، ودوريات الطائرات المستمرة التي منعت كل رقابة ، واحكام نيران المدفعية التي وضعت في اماكنها دون اثاره الانتباه ، واستخدام القنابل الداخنة التي اعمت الرقابة البرية والمدافع المضادة للدبابات ، واستخدام ٤٥٦ دبابة على جبهة طولها ٢٣ كلم ، قد جعلت الحلفاء يحرزون نصراً كاملاً . وابتداء من شهر ايلول شن هجوم عام بشكل كاشه ارغم الالماني على

الجلء عن الشاطئ البلجيكي والانسحاب الى خط «هيرمن» دون أن تنسدد جبهتهم .
ولكن الجبهات الشرقية انهارت في ذاك التاريخ ؛ فطلب الاتراك والبلغار والنمساويون وقف



الشكل ١٢ - الجبهة الغربية بين ١٩١٥ و ١٩١٨

- ١ - أقصى تقدم الجيش الألماني (١٩١٤) ، ٢ - جبهة الجيش الفرنسي في ايلول ١٩١٤ ،
- ٣ - جبهة الحرب الموضعية ، ٤ - الجبهة في تموز ١٩١٨ ، ٥ - الجبهة في تشرين الاول ١٩١٨ ،
- ٦ - الجبهة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ ، ٧ - أرض احتلها الحلفاء بعد الهدنة ، ٨ - منطقة
- جعلت محايدة بعرض ١٠ كلم ، ٩ - إقليم تقرر اجراء استفتاء فيها .

اطلاق النار ، وسلّمت المانيا بالواقع فطلبت وقف اطلاق النار قبيل هجوم كان مقرراً شه
على جبهة اللورين في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني .

٢ - المفاهيم الاستراتيجية وفن الحرب اثناء الحرب العالمية الثانية

المذاهب الاستراتيجية
بين الحربين

حين نشبت الحرب مرة اخرى بعد مرور احدى وعشرين سنة ، كانت المانيا اكثر تقدماً على اعدائها منها في السنة ١٩١٤ ، بفضل تعزيز تسليحها ثانية منذ السنة ١٩٣٣ . ولكن هذا التفوق المادي كان دون الدعاوة التي احاطته بها اهمية ؛ وقد تخلف الحلفاء عنها في نطاق المفاهيم الاستراتيجية بصورة خاصة .

المذهب الفرنسي

كانت النتيجة الكبرى المستخلصة من الحرب العالمية الاولى قوة الجبهة المتصلة التي تدافع عنها نيران قوية تطلقها المدفعية والاسلحة الذاتية الحركة ، اذ ان الهجمات الامامية بواسطة وسائل على جانب كبير من الامة قد برهنت وحدها عن قدرتها على تصديعها . الا ان بطء التقدم ، بعد كل تصديع ، كان يتيح للدفاع سد الثمة المفتوحة وانشاء جبهة جديدة وراء الخط المتصدع . لابل وضع جدول بياني حدد العمق الممكن بلوغه بنصف طول جبهة الهجوم . اجل لقد أسهمت الاسلحة الجديدة ، كالدبابات والطائرات التي ازداد شأنها ازياداً مطرداً ، في تحسين ظروف العمليات : فان الدبابة ، التي اعتبرت « عشاً متنقلاً للدافع الرشاشة » ، كانت ترافق سلاح المشاة وتشق امامه الطريق او تسانده في تقدمه بتدميرها الاسلحة الذاتية الحركة ، وكان الطيران يستكشف مراكز دفاع العدو وحركاته ويحول دون قيام طيران العدو بامة مهمة استطلاعية . واذا هزمت المانيا في السنة ١٩١٨ فمرد ذلك افتقارها الى الرديف الضروري لسد الجيوب التي احدثتها الهجمات الحليفة .

الى هذا الاختبار ارتكزت الاستراتيجية الفرنسية التي لم تجر اية محاولة ، منذ السنة ١٩١٨ ، لتجديدها او تبديلها . فان الاقتناع بمناعة الجبهة المتصلة وبالامة الاولى لقوة النار وبتأثير طبيعة الارض « الاستبدادي » على كل مناورة ، قد حملت اركان الحرب على انتهاج استراتيجية دفاعية بحتة . ولما كان نصر السنة ١٩١٨ قد احرز على ايدي دول متحالفة ، فكان على فرنسا الاحتفاظ بموقف دفاعي في وجه قوات المانيا المتفوقة والدفاع عن سلامة ارض الوطن طيلة الفترة اللازمة لان يعبر حلفاؤها الوسائل القوية التي تتيح الانتقال الى الهجوم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان اختبار المعركة القديمة الذي ابعد كل فكرة مناورة هجومية ، قد جرّ الى نوع من الحصرية في عمل اركان الحرب التي تعودت تطبيق انظمة ثابتة والتدخل في اصغر التفاصيل وانتزاع كل مبادهة من المسؤولين عن التنفيذ . وبالرغم من ان دبابات السنة ١٩١٨ البطيئة والسريعة المطب قد اصبحت حصوناً سريعة الحركة ومزودة بالمدافع والتلغراف اللاسلكي ، فان المهمة التي اسندت اليها ما زالت مهمة سلاح في ايدي المشاة يحتاج الى حماية

المدفعية : وبداية هذه المبادئ نظم الجيش الجديد ودرّب ، وشيّدت بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٣٩ التحصينات القوية الثابتة بين « بال » و« لونغويون » .

أما الطيران الذي أصبح سلاحاً مستقلاً في السنة ١٩٢٨ ، فقد عانى في تنظيمه من المنازعات بين المدارس المختلفة ومن تردد التعليم . فان آراء الجنرال الإيطالي « دوهيه » الذي اعتبر الطيران « القوة الدفاعية الحاسمة » القادرة ، بغاراتها الكثيفة ، على تدمير طاقة العدو الحربية ومن ثم على إحراز نصر سريع بمفردها ، قد وقعت في نفوس القادة العسكريين الفرنسيين موقعاً جيلاً ؛ وأخيراً انشئت في السنة ١٩٣٦ وحدات جوية مستقلة ، وصممت نماذج طائرات جديدة كثيرة ؛ إلا ان فرنسا لم تمتلك في السنة ١٩٣٩ إلا عدداً قليلاً منقاذات القنابل ؛ أجل كان لديها طائرات مطاردة ذات فعالية كبرى ، ولكن عددها لم يكن كافياً . فبقيت الطائرة من ثم مساهداً للجيش البري ولم تعتبر سلاح معركة (وقد كتب المارشال بيتان : « ان العمل المباشر للقوى الجوية في المعركة باطل ووهمي ») . ولم يكن هناك طيران هجوم انقضاضي ولا طائرات لنقل الجيوش جواً . أما انكلاترا فقد توفر لديها طيران ستراتيجي منقاذات القنابل قادر على مهاجمة الاهداف الصناعية الالمانية ، ولكنها افتقرت ، على غرار فرنسا ، الى طائرات قادرة على تقديم المساعدة للوحدات البرية .

ان قيادة الاركان الالمانية التي اختلف نشاطها عن « الجمود الفكري » المذهب الالمانى الذي اتصف به قيادتا الاركان الفرنسية والبريطانية قد استخلصت

دروساً اخرى من هزيمتها في السنة ١٩١٨ . فقد ارتكز مذهبها الى الحاجة الى هجوم سريع من شأنه مفاجأة العدو محلياً بقوى متفوقة ، في اضعف مراكزه ، ومنعه بعد ذلك من توطيد جبهته ؛ فيجب من ثم مباغتته بضرب سريع وقوي بغية القضاء عليه . ويحذر بالتالي الاستفادة بجهد المستطاع من وسائل النقل الآلية ، التي توازي سرعتها خمسة اضعاف سرعة الوسائل القديمة وتتيح مرونة كبرى في المناورة وسرعة في تجميع القوات في مركز الثقل ؛ ويكفي من ثم تحقيق تفوق ساحق على جبهة ضيقة ، في النقطة الحاسمة ، وفتح ثلثة فيها ، وتوسيع هذه الاخيرة ، والاندفاع نحو الداخل قبل ان يكون للعدو مجال للمقاومة . وبعد اجتياز الثلثة المفتوحة ، يستغل النجاح استغلالاً منظماً باندفاعات جانبية تحمي جناحي الوحدة المتقدمة . وسوف تسند هذه المهمة المزدوجة الاساسية الى الدبابات . وان هذا الفن الحربي الجديد ، الذي احكمه « غودريان » منذ السنة ١٩٢٩ ، ووضحه في مقال داو (*Achtung Panzer*) في السنة ١٩٣٧ ، يستلزم جمع الدبابات في وحدات كبرى - فيالتى ووحدات مدرعة - تتوفر لديها كافة الاجهزة التي تتيح لها الاندفاع اندفاعاً مستقلاً الى مسافات بعيدة امام الجيوش ، واثارة الفوضى في صفوف العدو ، وتحقيق انهيار مقاومته بالمباغتة وسرعة الحركات ، ومنعه من جمع شمله في مركز انكفاء . هذا هو فن الحرب الجديد (*Blitzkrieg*) الذي سيضمن لالمانيا انتصاراتها الداوية بين السنة ١٩٣٩ والسنة ١٩٤٢ .

أما الطيران فقد اسندت اليه ايضاً مهمة هجومية ؛ فان اسرابه الكبرى المستقلة ، تنقل الفوضى الى قلب بلاد العدو ، ولكنها ، في الدرجة الاولى ، تتعاون تعاوناً وثيقاً والقوات البرية ، لا بالاستكشاف والرقابة وكتان سر المنطقة المهاجمة فحسب ، بل بالحلول محل المدفعية بأعداد الهجمات عن طريق قذف القنابل بالجملة ، وبالتعاون والمدركات والمشاة بالانقضاض والقاء القنابل على جيوش العدو . والحقت المدفعية المضادة للطائرات بالجيش الجوي الذي يعمل بالاتفاق مع الجيوش البرية ، وتطورت تطورا عظيماً . واخيراً اعيرت الاتصالات الكهربائية للاستراتيجية اهتماماً خاصاً لأن الاتصال السلكي لا يليق بسرعة الحرب الصاعقة ؛ فان التعاون بين الاسلحة والاتصال بالوحدات المندفعة بعيداً وراء خطوط العدو منوطان بتقدمها ودقتها على السواء .

لم تكن هذه الآراء وهذه الاستعدادات بمجولة خارج المانيا ، ولكن المفهوم الفرنسي لاستخدام المدرعات الجمود التي بذلت لابرازها ذهبت مع الريح . فان انشاء جيش مناورة قوي ، مؤلف من ٧ فيالق مدرعة ، الذي اقترحه القومندان ديغول في كتابه ، « نحو جيش محترف » ، الصادر في السنة ١٩٣٥ ، قد صرف النظر عنه اجمالاً باعتبار انه « مناقض لمنطق التاريخ » . ولم يستخلص احد مغزى امتحان الحرب الاسبانية ، « المختبر النازي » الحقيقي الذي احكم فيه الالمان استخدام قاذفة القنابل الانقضاضية والمدفع الرشاش والاتصال بين الدبابات والطائرات ، ودور المدن او القرى المستخدمة كنقاط مقاومة منعزلة قادرة على الدفاع عن نفسها في كافة الاتجاهات والصمود في وجه تطويق كامل ؛ ولم يستوقف نظـر المراقبين سوى فشل الدبابات في عمليات « غوادالاجارا » و « برونيته » ، دون ان يأخذوا بعين الاعتبار الاساليب الجديدة التي ظهرت في معارك اراغون وكاتالونيا منذ السنة ١٩٣٨ والتي كانت الظواهر الاولى لفن الحرب الجديد .

بيد ان فرنسا اخذت تنشىء ، في خريف السنة ١٩٣٨ ، فيالق مدرعة ما زالت تختلف اختلافاً كبيراً عن مثال البانزر . فان الفيلق المدرع بقي سلاحاً من اسلحة المشاة ، ولم يكن استخدامه ممكناً الا في اطار وحدة مشاة كبرى ، وكان سلاحاً للهجوم المعاكس معداً لسد الثغرات في الجبهة ، اي لاحتراز نجاح محدود . ولم يزود لا بوسائل استكشاف ولا بوسائل دفاع ضد الطائرات والدبابات ، ولا بفرق مشاة ومدفعية تنقل بالسيارات . وكان عاجزاً عن العيش ونحوض المعركة مستقلاً ، بينما كان البانزر سلاحاً سريع الحركة ترتبط به كافة الاسلحة الاخرى .

في وجه الدبابات الالمانية الـ ٢٧٠٠ ، امتلكت فرنسا القوات المتقابلة ٢٣٠٠ تضاف اليها الدبابات البريطانية ، اي زهاء ٣٠٠٠ . وفي النطاق الجوي ، كان لدى الالمان ، في اوائل شهر ايار من السنة ١٩٤٠ ، بين ٧٠٠ و ٨٠٠ طائرة مطاردة (٧٠٠ لدى الفرنسيين والبريطانيين) و ١٢٠٠ قاذفة قنابل (مقابل ١٥٠ الى ١٧٥) و ٤٠٠ طائرة انقضاضية (Stuka) . فيكون المجموع

٢٦٠٠ طائرة مقابل ١٧٠٠ طائرة فرنسية وبريطانية قد لا توازيها سرعة واستقلالاً ، ولكنها انزلت بالامان ، خلال معارك السنة ١٩٤٠ ثلاثة اضعاف خسائرها . فلم يكن الجو من ثم خاليا كما اعتقدت الجيوش البرية التي تأثرت تأثراً قوياً بنشاط الطائرات الانقضاضية ، بينما كانت الطائرات الفرنسية موزعة ، و « ذائبة الى اللانهاية » (« سانت - اكزوبيري ») بين الوحدات البرية في الجبهة . ولم يكن في الحقيقة من تفوق « ساحق » للقوات الالمانية الا في نطاق الدفاع ضد الطائرات (٩٣٠٠ قطعة مقابل ١٦٠٠) ، وقاذفات القنابل الانقضاضية والسلاح المنقول جواً التي لم يجهز بها لا الجيش الفرنسي ولا الجيش البريطاني . وبالمقابلة كانت المدفعية الفرنسية متفوقة عدداً ولوعية - ولكنها كانت معدة لحرب جامدة (ولذلك كان معظمها يُجرى بواسطة الجياد) ، وكان الاسطول البريطاني متفوقاً على الاسطول الالمانى تفوقاً اعظم منه في السنة ١٩١٤ الى حد بعيد .

ولكن الجيش الالمانى لم يخل من نقاط ضعف خطيرة بسبب اعادة تنظيمه بسرعة كلية . فقد افتقر الى الضباط - ولا سيما الصغار منهم - والفرق الاحتياطية المدربة ، وسلم عتاده المتفاوت النوعية الى مجندين تعوزهم الخبرة ، ثم الى « الجدار الغربي » الذي انشأه على عجل لسد الطريق في وجه هجوم يشن من الغرب ، لم يكن في الواقع على جانب كبير من الركالة . ولعل نقاط الضعف هذه تفسر مخاوف القيادة الالمانية الخطيرة وقلة حماسها وثقتها في السنة ١٩٣٩ ، على الرغم من « الخدعة » الهتلرية .

٣ - تطورات التسليح

والاستحداثات في فن الحرب

خلال العمليات الحربية ، سيطر على ظروف المعركة البرية رجحان دور السلاح المدرع والطيران . وفي البحر اصبح الطيران العنصر الاساسي في الممارك ، التي عرفت منذئذ بـ « الجوية البحرية » ، وحتى في الصراع ضد الغواصات . وان كافة الابحاث التي اجريت ، والتي افضى بعضها الى اختراعات هامة جداً ، قد استهدفت اما تحسين هذه الاسلحة واما توفير دفاع فعال ضدها . فتكيف فن الحرب من ثم بحسب التطورات التقنية التي طرأت على الدبابة والطائرة ، وبحسب الوسائل الجديدة المكتشفة لاقتائها . وكانت النتيجة ادخال تغييرات على تنظيم الجيش وتجهيزه وظروف الحرب نفسها .

تطور الاسلحة المختلفة
هما الدبابة والطائرة ما طبعتا الحرب العالمية الثانية بالطابع الذي يميزها كلياً عن الحرب العالمية الاولى : السرعة القصوى في تحرك

الجيوش . وبينما كادت الجبهة الرئيسية تكون ثابتة بين السنة ١٩١٥ والسنة ١٩١٨ ، استعادت الحركة في السنة ١٩٣٩ تفوقها على النار ، واعادت وسائل النقل السريع الى الحرب عاملي

المباغتة والسرعة اللذين قد تلاشيا من ذي قبل . فقاذفة القنابل ، والجيش المنقولة جسواً والوحدات الآلية الكبرى قد اعادت تقييم عامل المباغتة . وكان باستطاعة الدبابات المسلحة بمدافع من عيار ٥٠ و ٧٥ و ٨٨ و ٩٠ ان تسمع الآن نقاط الدفاع في طريقها وتتلف الاسلحة الآلية التي كانت توقف ، فيما مضى ، سلاحى الفرسان والمشاة ، بينما تهاجم قاذفات القنابل الامدادات وتدمر المواصلات والقوافل المتوجهة الى ميدان المعركة وتفكك الوحدات قبل وصولها الى مراكزها في الجبهة ، وتعمل استخدام قوات الاحتياط الاستراتيجية امراً مستحيلاً . وهو عامل المفاجأة هذا ما افاح للاقوى الافادة من تفوقه واحراز كافة الانتصارات الحربية .

بدالة هذا المركز الرئيسي الذي احتلته الدبابة والطائرة ، تطور تجهيز وتنظيم الاسلحة الاخرى . فامام الدبابات التي اصبحت سيدة ميدان المعركة تسلم سلاح المشاة التقليدي اسلحة ذاتية الحركة متزايدة للقوة والفعالية (المدفع الرشاش الصغير ، والبندقية الذاتية الحركة) ومدافع هاون خفيفة وثقيلة ، واخيراً اسلحة لاقاء القذائف ذات الحشوة الجوفية التي اتاحت للمشاة بجابه الدبابة على مسافة قريبة . وزود سلاح المشاة كذلك بمدافع رشاشة مضادة للطائرات مثبتة في القسم الامامي من الشاحنات للدفاع عن القوافل . وتحسنت الاتصالات تحسناً عظيماً ، فبات المذيع وسيلة الاتصال الاعتيادية حتى مستوى قائد الفصيلة . وزود اخيراً بالآليات ، ففقد كافة حيواناته ، باستثناء الوحدات الجبلية التي احتفظت ببغالها .

وتدل وفرة مدافع الهاون وتزويد وحدات المشاة بمدافع على المركز المتعظم اهمية الذي احتلته اسلحة الاطلاق المنحني المتزايدة على حساب الاسلحة الذاتية الحركة . وقد برزت افضلية المدفع القصير على المدفع الطويل ، التي اتضحت منذ ما بين الحربين ، في كافة العمليات الحربية . فمنذ السنة ١٩٣٩ سلح الفيلق الالماني بـ ١١ مجموعة مدافع قصيرة مقابل مجموعة مدافع طويلة واحدة ، وفي آخر الحرب لم تسلم الفيلق المدرعة الالمانية والاميركية سوى بمدافع قصيرة . اما التطورات الهامة التي طرأت على المدفعية فهي نقلها الآلي ، اذ ان المدافع المجرورة جراً قد استبدلت اكثر فاكثر بمدافع مثبتة على اسناد تتحرك آلياً ، وظهور المدفع الذي لا يندفع الى السوراء . فخفف بذلك وزن المدفع وسنده ، وبات بمقدور المظليين والمقاوير استخدامه ، ولكن المرمى اصبح ادنى مسافة وتعين الموضع اسهل منالاً .

اما سلاح الهندسة فقد تماظم دوره جداً في المعركة . فهو لم يعد يعمل منفرداً ، وقد لحقت وحداته ، التي ارتفع عدد افرادها ارتفاعاً كبيراً ، بوحدات المشاة والمدفعية ، وغالباً ما تقدمتها لاستكشاف المسالك ، ونزع الالغام او زرعها تحت نيران العدو ، وتركيب الجسور . وتولت صيانة او شق الطرق ، ومهدت ارض المطارات بالجرافة . وقد زودت كذلك بالآليات

والمعدات القوية المختلفة .

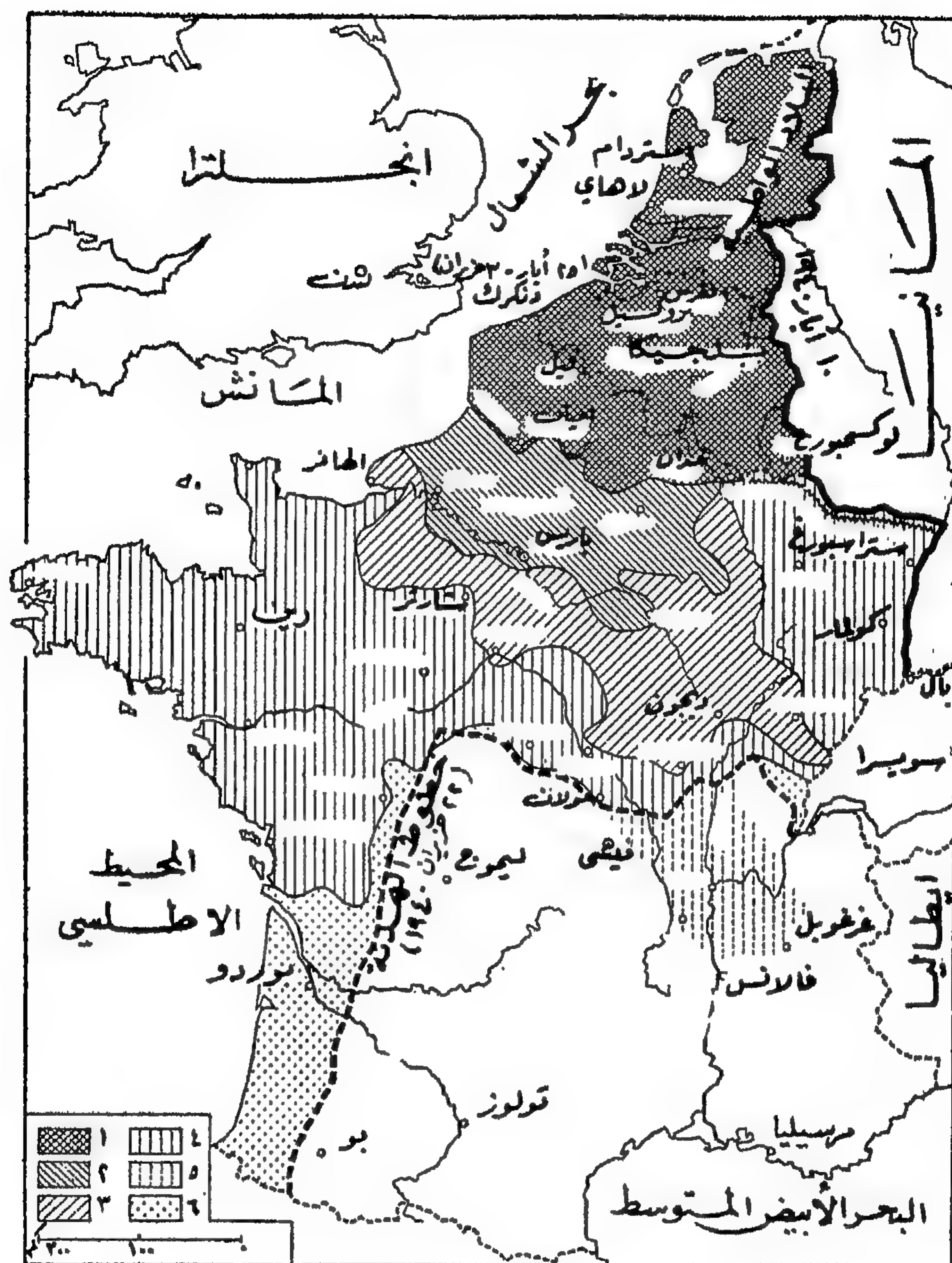
تنتظم المعركة حول الوحدات المدرعة الكبرى وبدائلها ؛ ولكن النجاح ليس
الدبابة منوطاً بها وحدها ، اذ انه يستلزم السيطرة على الجو ايضاً ؛ فهو من ثم تنسيق
الهجوم بين الدبابة والطائرة ما اتاح انتصارات الالمان العظيمة في بولونيا وبلجيكا وفرنسا .
(الشكل ١٣ ، ص ٣٤٩) والبلقان وافريقيا في المرحلة الاولى من الحرب ، وانتصارات الحلفاء ابتداء من
السنة ١٩٤٢ . وهو الجيش الالماني من ثم ما تُسج على منواله وما عيّن الطرائق في البدء ،
بسبب نجاحاته الجديدة بالاعتبار . وقد سبق ورأينا ان اليازر كانت وحدة تستطيع التصرف
باستقلال واسع ؛ وقد ضمت فرقة استكشاف مؤلفة من كافة الاسلحة : قصائل مدافع رشاشة
سيارة ودراجات بخارية ، وقصائل مدافع مشاة ومدافع مضادة للدبابات ، وقصائل من سلاح
الهندسة والمخبرات . ثم لواوين يضم احدهما ٤٨٨ دبابة ويتألف الثاني من رماة ينقلون في
السيارات وفرقة مدافع سيارة من عيار ٧٥ ومدافع مضادة للدبابات من عيار ٣٧ ، وفوج من
سائقي الدراجات البخارية مع مدافع رشاشة ، ومدافع هاويت من عيار ٨١ ومدافع
من عيار ٣٧ ، وفرق صغيرة مسلحة بمدافع مضادة للطائرات والدبابات وفرق من سلاح
الهندسة والنقل وفرقة مدافع تخرجراً من عيار ١٠٥ ، وفوج مخبرات ، ووحدات سيارة
في المؤخرة تؤمن تمويلاً منتظماً ؛ فكان بإمكانها ، بالاتفاق التمام مع سلاح الطيران الموجود
ابداً فوق ساحة المعركة ، ان تحقق عامل المفاجأة . وقد اتاحت لها سرعتها ومرونة مناورتها
فتح ثلمات عميقة والقيام بعمليات تطويقية .

خلال الحرب ، تقابلت وتوازت التحسينات الدفاعية والتحسينات الهجومية : ازدياد
تصفيح الابراج (حتى ٢٠٠ مم في القسم الامامي) ، وعيار المدافع : ٧٥ و ٨٨ و ١٠٥
و ١٥٠ ... ، ومن ثم وزن الدبابة : مارك ٦ (٦٥ طناً) ، فردينان (٧٠ طناً) ، شرمن
الاميركية (٣١ طناً) ، شرشل (٣٥ طناً) ، كونيغستيجر وناغدانتر (٦٨ و ٤٦ طناً) ،
برشنغ (٤٣ طناً) وجوزف - ستالين (٥٠ طناً) ، « ارمب سلاح بحزر حقهقه اي من
المتحاربين » بمدفعه البالغ ١٢٢ سم طولاً ومدفعيه الرشاشين تحت البرج .

الا ان الدبابة قد اخضعتها حقول الالفام (التي كانت متصلة على طول ١٤ كلم امام موسكو
وتخللتها اغاور ضد الدبابات) . فلكي تتمكن من التقدم ، يجب نزع الالفام - تحت نيران
العدو - من الممرات الضيقة التي ستسلكها ، واكتشاف الالفام بواسطة كاشف مغناطيسي
واخراجها من الارض ، وقد بقي ذلك عملية خطيرة حتى السنة ١٩٤٤ حين ظهرت دبابات
شرمن المزودة بجهاز يكس الالفام (حتى تلك التي لا يكشفها الكاشف المادي) على مسافة
عدة امتار امام الجنائزير . ولكن اهم ما تعرضت له هو نيران المدافع الكثيفة التي حققها الروس
ولا سيما المدفع « كوستيكوف » (الذي اسماء الالمان « ستالينورجيل » والروس « كاتوشا »)
المركب على جنائزير ، الذي يطلق في آن واحد ١٦ او ٢٤ قنبلة من عيار ١٥ كيلوغراماً ،

وبصورة خاصة الـ « بازوكا » ، الابتكار الاميركي العظيم ، الذي كان اول سلاح فردي مضاد للدبابات في ايدي المشاة . فحتى ظهوره لم تبرهن كافة الاسلحة المستخدمة ، كالمدافع من عيار ٢٥ و ٣٧ ، والبندقية الروسية المضادة للدبابات من عيار ١٤ ، النخ . ، عن فعالية كافية امام تزايد سماكة تصفيح الدبابات ، مما ارغم تدريجياً على زيادة عيار - ومن ثم وزن - المدافع المضادة للدبابات : فعند الانكليز انتقل العيار من ٥٧ الى ٧٦ ، وعند الالمان من ٥٠ الى ٧٥ و ٨٨ ، دون ان يمكن ذلك المشاة من الدفاع عن انفسهم بوسائلهم الخاصة . اما البازوكا فأنبوب بسيط من الحديد المصفح يطلق من على الكتف او على الحاصرة فيقذف قنبلة ذات حشوة بجوافة قادرة على خرق سماكة ١٠ الى ١٢ سم من الحديد . وهي هذه الحشوة الجوفاء ما اتاحت انقلاب الموقف وما شكلت منذئذ ارباب عدو للدبابات . وتآلف في جوهرها من مادة متفجرة ، تلتصق مغناطيسياً بجدار البندقية ، قادرة على ان توجه الى الحديد المصفح غازاً ملتهباً بسرعة تبلغ ١٥٠٠٠ م في الثانية ينفذ الى الداخل . وابتكر البريطانيون كذلك من جهتهم الـ « بيات » . كما ابتكر الالمان ، في السنة ١٧٤٤ ، الـ « بانزر شريك » من عيار ٨٨ مم القادر على اختراق سماكة ١٦٠ مم من الحديد المصفح على مسافة ١٠٠ م بواسطة قذائفه الممنعة ، و « البانزر فوست » القادر على اختراق سماكة ٢٠٠ ملم من الحديد المصفح على مسافة ٥٠ متراً . ومهما بلغ من قوة تصفيح الدبابات وقوة اسلحتها ، فقد اصبحت اصغر وحدات المشاة ، بعد اليوم ، مزودة بأسلحة فعالة ضدها .

المخطاط الدبابية وحتى قبل ظهور هذه الاسلحة الجديدة في ساحة المعركة ، اخذت اهمية الدبابات تتدنى شيئاً فشيئاً . فمنذ السنة ١٩٤٢ ، عاد الالمان الى اساليبهم القديمة : لم تعد الدبابات اداة اختراق مستقلة ، بل اصبحت مرة اخرى سلاحاً مواكباً . وقد اوضحت مذكرة صادرة عن قيادة اركان الجيش « ان مهمتها هي تسهيل تقدم المشاة » . وتطور من ثم تأليف البانزر . فبينما ضمت هذه الوحدة في السنة ١٩٤٠ فرقتين من الدبابات مقابل فرقة من المشاة ، انعكست النسبة في السنة ١٩٤٢ : فرقة من الدبابات مقابل فرقتين من المشاة . والدبابات بحاجة الى حماية المشاة ولا سيما الى حماية المدفعية التي حلت محل الطائرات الانقضاضية ، وهذا هو الدور الذي اسند الى المدافع السيارة اي الى فصائل المدفعية التي نظمها الالمان في السنة ١٩٤٣ . فالبانزر الرابعة التي طلب اليها انقاذ فون بولوس في السنة ١٩٤٢ لم تضم سوى ١٩٠ دبابة . وفي السنة ١٩٤٤ لم تضم فيالق البانزر الاربعة التي اسندت اليها مهمة قطع خطوط مواصلات الجيش الاميركي الثالث في « مورتين » سوى ١٢٠ دبابة فقط . وتفسير ذلك ان مشاة الدبابات امام قنابل الطائرات والالغام والاسلحة الذاتية الحركة قد ظهرت بكل وضوح . ثم جاء المدفع الذي لا يندفع الى الوراء والمطاردات التي تقذف القنابل تستعمل المخطاطها . فهم المشاة وفازعو الالغام من شغلوا وراء جبهة العدو رقبة الجسر التي انطلقت منها الدبابات البريطانية الى المعركة ، لا من اجل فتح ثلثة بل من اجل المطاردة . واصبحت



الشكل ١٣ - الحرب في الغرب في السنة ١٩٤٠

١ - التقدم بين ١٠ أيار و ٤ حزيران ، ٢ - التقدم بين ٥ حزيران و ١٤ حزيران ، ٣ - التقدم بين ١٥ حزيران و ١٧ حزيران ، ٤ - التقدم بين ١٨ حزيران و ٢٥ حزيران ، ٥ - اندفاع العناصر المتقدمة ، ٦ - منطقة إضافية احتلها الألمان .

المدفعية مرة أخرى السلاح البري الحاسم لأنها تشق الطريق أمام الدبابات . وهذا ما يفسر كثافة المدافع التي استخدمتها منذئذ فرق المدفعية الروسية .
 وهكذا اعتمد كافة المتحاربين ، منذ صيف السنة ١٩٤٣ ، حلولاً متشابهة جداً لاستخدام دباباتهم : فإن الفرقة المدرعة السوفياتية والبانزر الألمانية والفرقة المدرعة البريطانية قد ضمت عدداً محدوداً من الدبابات (زهاء ٢٥٠) تساندها مدفعية سيارة هامة وسلاح المشاة . ومن جهة ثانية ، ظهر في كافة الجيوش ميل الى جمع مجندين من كافة الأسلحة في وحدة جديدة اصغر من الفيلق وقادرة على التوفيق بين النار والحركة . وهم الاميركيون من سبقوا سواهم الى تطبيق هذه اللاحصرية ، بينما توصل الالمان الى النتيجة نفسها بزيادة عدد الفيلق التي تدنى عدد افرادها وعدد دباباتها تدنياً مطرداً . فكانت الجسدة عند الاميركيين في احلالهم ، في مستوى الفرقة ، وحدة الأسلحة المتألفة التي احلها الالمان في مستوى الفيلق والروس في مستوى الفصيلة . فاصبحت الوحدة الحربية الاميركية ، القادرة على القيام بعمليات مستقلة ، وحدة « قيادة المعركة » - المؤلفة من فوج دبابات خفيفة ومتوسطة وفوج رماة ينقلون في الشاحنات وبمجموعة مدافع سيارة من عيار ١٠٥ - يفصل الفيلق اليها مجموعة استكشاف مؤلفة من سيارات مصفحة ودبابات خفيفة ، ومدافع سيارة مجنزرة .

كما رأينا بصدد الدبابة ، تحسنت الطائرات تحسناً مطرداً طيلة أيام الحرب ،
 الطائرات وتحسنت بالمقابلة وسائل مقاومتها ؛ ولكن بينما اتضح يوماً بعد يوم ان الدبابة اعجزت عن ان تعمل بمفردها وانها في الواقع سلاح هش ، وصعب الاستعمال ، ومعرض لاختار كبرى ، لعب الطيران دوراً حاسماً مطرد الأهمية ؛ وفي حين لم يستطع اي من الأسلحة الأخرى الاستغناء عنه ، برهن هو عن ان باستطاعته الاستغناء عن سواء اذ انه ربح وحده معارك بحرية وحتى جوية بوحداته المنقولة جواً والمنزلة بواسطة المظلات .
 جاءت تحسينات الطيران نتيجة نوعين من التقدم : فمن جهة ازدادت قوته الحركة ازيداً عظيماً منتقلة من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ وحتى الى ٥٠٠٠ حصان (Me - ٣٢٣) ؛ ومن جهة ثانية ازدادت قوة ناره بفضل ازيد عدد وعيار وسرعة اطلاق نار المدافع الرشاشة (من ٦ مم الى ١٢ و ١٣ و ١٣ و ١٣) والمدافع (٣٧ ، ٤٠ ، وحتى ٧٥ مع قنابل متفجرة) واطلاق الصواريخ .

وهي المانيا ، هنا ايضاً ، ما يعود اليها فضل الابتكار في المرحلة الاولى من الحرب باستخدامها الطائرات الانقضاضية المطلوب منها « احداث الفراغ في ميدان المعركة والسباح لوحداث الهجوم باختراق صفوف العدو دون التعرض تعرضاً كبيراً لنيرانه » . فقد قامت مئات الطائرات بضرب العدو وتفريغ متفجراتها وكفس ساحة المعركة بطيرانها المنخفض ومهاجمة القوافل على طول الطرقات وتدمير الجسور ومراكز المدفعية الثقيلة وضعف المهندسين وغير المتمرنين على الحرب بالدوي الجهنمي الذي تحدثه الطائرة اثناء انقضاضها ، فتعظم الاعصاب

وتشل الدفاع . ولكن كلما اكتشف سر طريقتهما الحربية ، نرى فعاليتها ، الكاملة في بولونيا وحتى في الغرب في شهر ايار من السنة ١٩٤٠ ، تتدنى تدنياً محسوساً خلال المرحلة الثانية من معركة فرنسا على السوم والايين في شهر حزيران من السنة ١٩٤٠ ، واكثر فاكثراً في السنوات التالية . وان طائرات «لايتننج» و «موسلنج» و«ثندربولت الانكلوساكسونية و «ستورموفيك» السوفييتية سوف تستخدم بدورها هذه الطريقة نفسها في اوروبا وافريقيا ، وفي الغرب كما في الشرق .

كانت معركة انكلترا المعركة الجوية الحاسمة الكبرى الاولى في الحرب . فان ٣٠٠٠ طائرة ، ثلثها مطاردات من طراز *Me ١٠٩* و *Me ١١٠* لحماية قاذفات القنابل ، قد وجدت أمامها ٥٤٠ طائرة مطاردة من طراز *Spitfire* و *Hurricane* انقذت البلاد من الغزو بمساعدة سلاح الدفاع ضد الطائرات واجهزة الرادار . ومنذ ذاك التاريخ اخذ تفوق الحلفاء يتعاظم وانتقل اليهم زمام المبادأة في الحرب الجوية .

حول الانكلوساكسون بجهودهم الرئيسي الى الغارات الجوية
الغارات الجوية الاستراتيجية . فقد كان المقصود تدمير طاقة العدو الصناعية والاقتصادية والعسكرية بضرب المراكز الصناعية الألمانية الكبرى . ولذلك جهز الانكليز طائرة قادرة على قذف عدة اطنان من القنابل خلال هجوم واحد : بلنهايم ٤ ، - افرو لنكستر ، افضل قاذفات القنابل في السلاح الجوي البريطاني ، ولنغتون ، هاليفكس ٦ ، وموسكيتو التي كانت خير طراز ناجح . واحكم الامير كيون « القلمة الطائرة » المسلحة بـ ١٣ مدفعاً رشاشاً ثقيلاً ركبت بحيث لا يبقى اية زاوية ميتة . فقد بلغت سرعتها ٤٨٠ كلم وتراوح مداها بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ كلم وفاقاً لوزن محمولها . ثم انتجت القلمة الطائرة الجبارة التي استخدمت في المحيط الهادي . وكان لدى الامير كيون « ليداتور » و « مارودر » ايضاً .

ومع السرعة والحمول والمسافة ، ازداد ايضاً وزن القنابل القابلة للانفجار : ١٨٠٠ كيلوغرام ، ثم ٣٦٠٠ ، و ٥٥٠٠ ، و ١٠٠٠٠ بالاضافة الى الصواريخ والقنابل المحرقة الفوسفورية . وقد جهزت كافة الطائرات بالرادار ، واستخدمت نظام « جي » (*Gee*) وطريقة « لوران » (*Loran*) اللذين اتاحا ارشاد الطائرات عبر الاطلسي او فوق المانيا ، ونظام « اوبو » (*Oboe*) (١٩٤٣) الذي اتاح للسائقين معرفة مركز وجودهم مع فارق ٥٠ متراً تقريباً وسلوك الطريق المرسومة امامهم على شاشة مضاءة ، ونبه السائقون حين يقتربون من الهدف وحين تأزف ساعة اللقاء قنابلهم . واستخدمت في السنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤ العلبة « جن » (*Gen*) التي عرضت امام اعينهم على شاشة الرادار ، حتى على ارتفاع شاهق وعبر الغيوم الكثيفة ، صورة صحيحة للارض التي يطرون فوقها . وبغية جعل المدافع والمطاردات والانوار الكاشفة تخطيء هدفها استخدمت « النوافذ » (*Windows*) ، وهي اشربة صغيرة من الورق المفضض تحدث موجات عكسية تشوش اجهزة الرادار الألمانية . وقامت بالغارات عدة مئات من الطائرات التي كانت تتقدمها طائرات تلقي قنابل ملونة وقنابل مضينة .

بينما تخصص الطيران الجوي البريطاني بالغارات الليلية ، هاجم الطيران الاستراتيجي الاميركي نهراً ، ولكن الخسائر كانت فادحة - اذ ان متوسط عمر قاذفة القنابل لم يتجاوز ١٦٠ يوماً حينذاك - حتى ظهور طراز الـ «مستانغ» الذي قلب الاستراتيجية الجوية رأساً على عقب في اواخر السنة ١٩٤٣ . ومنذ هذا التاريخ اصبحت التفوق الاميركي في المعركة النهارية تاماً ؛ ففي ٣٠ كانون الثاني من السنة ١٩٤٤ هاجمت مدينة فرانكفورت ٨٠٠ قاذفة قنابل ، تخفروها ٧٠٠ طائرة ، ولم تفقد سوى ٤٤ طائرة . ولكن هذه الغارات بالجملة لم تسفر من جهة ثانية عن نتيجة كبرى ، لانها لم تدمر سوى جزء يسير من الانتاج الصناعي الالماني .

بات الجيش الجوي من ثم وفير العدد جداً ، واستلزم عشرة اضعافه على الارض : ٢٥٠٠ جندي لسرب مؤلف من ٢٤ «لنكستر» يضم ٢٥٠ طياراً . واستلزم كذلك موارد ضخمة . فكل غارة من الغارات التي اشتركت فيها ١٠٠٠ طائرة ، والتي ابتدأت في شهر ايار من السنة ١٩٤٢ ، وتعددت ابتداء من السنة ١٩٤٣ استهلكت بضعة ملايين ليتر من البنزين ، والقي فيها ٦٠٠٠ طن من القنابل . وان غارة الثاني من شهر شباط من السنة ١٩٤٥ على برلين ، التي قامت بها ١٥٠٠ قلعة طائرة تخفروها ٩٠٠ طائرة ، قد استهلك ١٦ مليون ليتر من البنزين .

على صعيد الطيران التكتيكي الذي اشترك في المعركة البرية ، نرى الطيران التكتيكي ان تفوق سلاح الجو الالماني ، الذي ما زال حاسماً على الجبهة الشرقية في شهر حزيران من السنة ١٩٤١ ، قد تلاشى في السنة ١٩٤٣ امام الوف طائرات المطاردة من طراز «ميغ» وطراز «ياك» ؛ فان هذا الاخير ، المسلح بمدفع من عيار ٣٠ مم ومدفعين رشاشين ثقيلين وستة صفوف من صواريخ يزن كل منها ٢٥ كيلوغراماً ، كان سلاحاً رهيباً جداً ، على غرار طائرة الستورموفيك ، المسلحة بمدفعين من عيار ٣٢ ومدفعين رشاشين ثقيلين و٨ صفوف من الصواريخ ، التي تهاجم بسرعة ٤٠٠ كلم في الساعة ، انقضاضاً او على ارتفاع منخفض جداً ، الدبابات والمؤسسات الصناعية واستخدام الانكليز المحوريكين والـ «سبتيار» من اطرزة مختلفة ، والـ «تيفون» التي حسنت واصبحت الـ «توبست» التي بلغت سرعتها ٧٠٠ كلم في الساعة وكانت احدث طائرة مطاردة خلال الحرب . وكان لدى الاميركيين الـ «مارودر» والـ «ثندربولت» اللتين بلغت سرعتهما ٧٠٠ كلم في الساعة ايضاً وامكن تجهيزهما بالصواريخ والـ «دوغلاس» - A - ٣٦ - انفاذر ، التي استخدمت للمرة الاولى في السنة ١٩٤٥ ، وصككت اسرع الطائرات طراً وافضلها تسليحاً . ولكن منذ السنة ١٩٤٥ ظهرت الطائرة النفائة الاولى التي استمض فيها عن محرك الانفجار بعنف احتراق تنفث بسرعة الى الوراء غازاً محترقاً يدفعها في الاتجاه المعاكس . وكانت هذه الطائرة الجديدة اخف وزناً واصغر حجماً اذ ان طريقة دفعها الى الامام قد اتاحت الاستغناء عن قطع كثيرة ، من جملتها المروحة ، وبلغت سرعة ٩٠٠ كلم في الساعة . وكان «هنكل» قد اجري تجربة ، منذ السنة ١٩٤١ ، على طائرة نفائة ، ولكن قراراً طائشاً اصدره الفوهرر قد اخراستها حتى السنة ١٩٤٣ حين ظهرت الطائرة Me ٢٦٢

وفي هذا التاريخ استخدمت الـ « غلوستر متيور » التي بلغت سرعتها ٩٧٠ كلم في الساعة وكانت أولى الطائرات المشتركة في عمليات حربية في شهر آب من السنة ١٩٤٤ ، بإسقاطها صواريخ ١٢١ ، والـ « فامبير » التي بلغت سرعتها ٨٧٠ كلم في الساعة . ومن الجهة الألمانية كانت طائرات الـ « ناتر » (ثعبان) ، بالإضافة الى الـ Me ٢٦٢ والـ He ١٦٢ ، متفوقة بسرعتها على كثافة الطائرات الحليفة ، ولكن استخدامها جاء متأخراً ، فلم يكن لها تأثير على العمليات .

استُخدم هذا الطيران التكتيكي اسراباً كثيفة ، في مصر اولا حيث سملت الف مطاردة وقاذفة قنابل هجوم الجيش الثامن وتجاوزته في تقدمه وحالت دون التموين الألماني بحراً . وهو هذا الطيران ما اعد وساعد عمليات انزال الجيوش في صقلية و « سالرن » و « انزوي » ونورمانديا (الشكل ١٤، ص ٣٦٠) ففي اليوم المحدد، انقلب وضع السنة ١٩٤٠ لصالح الحلفاء، اذ لم تصادف ٦٠٠٠ طائرة ، نصفها من المطاردات القاذفة القنابل ، امامها سوى ٩٠٠ مطاردة ألمانية . وفي اعظم معارك تفويض الجبهات شأناً ، في « سان - لو » ، اغارت طائرات الـ « ثندربولت » ، كل دقيقتين او ثلاثة ، بالقنابل الفوسفورية ، ثم المتفجرة ، على خطوط العدو الاولى . والقت ٣٠٠ طائرات ٧٠٠٠ طن من القنابل في « منديل الجيب » هذا البالغ ٩ كلم طولاً و كيلومترين عرضاً ، وفتحت الثمة التي اندفعت فيها جيوش الجنرال « باتون » . وقد اسندت الى الطيران وحده مهمة حماية جناحيه . ونشرت طائرات الـ « تمبست » والـ « ثندربولت » والـ « موسكيتو » الذعر في كافة الطرقات . فاشتركت في المعركة بكثافة وبسرعة مذهلة وصدت الهجمات المعاكسة ، كما في « مورتين » في السادس من آب وفي الاردن في شهر كانون الاول من السنة ١٩٤٤ .

كان من اهم مستحدثات الحرب استخدام المظليين والجيوش المنقولة جواً
الجيوش المنقولة جواً استخداماً واسم النطاق . ففتح ذلك بلوغ الهدف الذي سعت وراءه الاستراتيجية منذ عهد قديم : مهاجمة العدو من الورا بقوات هامة . وفي السنة ١٩٣٩ لم يكن هناك من وحدات مظليين الا في الاتحاد السوفياتي وفي المانيا ، ولم يفكر الحلفاء بانشاء وحدات مماثلة بدورهم الا بعد الفتوحات الألمانية . وتحسنت كذلك المعدات اللازمة من طائرات نقل وطائرات هوائية متطورة ، فاتاحت نقل عدد متزايد من الجنود والمدافع والعربات والدبابات . الا ان استخدام المظليين والنقل بواسطة الطائرات الهوائية لم يتسع اتساعاً كبيراً الا منذ غزو جزيرة « كريت » . فحتى ذاك التاريخ اقتصر هذا الاستخدام على انزال مجموعات صغيرة من الجنود البواسل وراء الخطوط للقيام بعمليات تدمير او باحتلال نقاط هامة رئيسية : المطارات ، كطيار اوسلو ، والجسور الهامة على الـ « موز » والرين في هولندا وبلجيكا ، وجسور قناة الملك « البير » ، وحصن « ابسن - امابل » . وليس من يشك في اهمية هذه العمليات التي يقدم احتلال النروج مثلاً على نجاحها التام ، ولكن عدد الجنود المشتركين فيها ما زال محدوداً . اما احتلال

كريت - المركز الاستراتيجي الهام جداً - فقد استلزم وسائل اعظم شأنها الى حد بعيد : ١٢٣٠ طائرة منها ٥٣٠ / ٥٢ - تحميمها مطارادات وطائرات انقضاضية ؛ ٧٣٠٠ مظلي (فقد ٤٠ ٪ منهم) واكثر من ٢٠٠٠٠ جندي نقلوا جواً . وفي اواخر السنة ١٩٤٢ ظهرت الوحدات الحليفة الكبرى المعدة للنقل الجوي ، التي اشتركت في كافة العمليات الهامة : في صقلية ، في رقبة جسر سالرن ، في نورمانديا حيث انزلت من الجو ثلاثة فيالتي وراء الخطوط الالمانية في « سانت - مار - اغليز » و « بايو » وفقدت ٥٠ ٪ من افرادها ، وعلى الرين الذي سبق اجتيازه انزال ١٤٠٠٠ من المظليين والجنود المنقولين جواً (فيلقان) مع ٧٠٠ سيارة و ١٠٠ مدفع وذخائرهم التي نقلتها ٣٠٠٠ طائرة و ١٣٢٦ طائرة هوائية .

الاسلحة الذاتية الاندفاع
انت تفوق الحلفاء الجوي الساحق دفع الالماني الى البحث عن وسائل جديدة لبلوغ اهدافهم . وكان ذلك منطلق تقنية ثورية تستخدم اسلحة ذاتية الاندفاع قد يقودها او لا يقودها ملاحون . ف منذ السنة ١٩٤٢ احكم الالماني في « بينموند » ، في جزيرة « اوسدوم » ، اسلحة بوشر درسها منذ السنة ١٩٣٧ هي الـ ١ (اسلحة الانتقام : Vergeltungswaffe) و ٢ . وكانت الـ ١ صواريخ تبليغ سبعة امتار طولاً تسيرها قوة اندفاع عكسي وتحمل طنناً من المتفجرات . وكانت تطلق في قواعد خاصة ثابتة ، حتى مسافة ٢٥٠ كلم . ولكن الطيران والمدفعية المضادة للطائرات اللذين كانا مزودين بأجهزة رادار للتصويب آلياً وبأنايبب مسيرة تطلق صواريخ تعمل عملها حين تمر على مسافة دون الـ ٤٠ متراً ، قد تغلبا بسهولة عليها ؛ فلم يبلغ الهدف سوى ربعها ودمرت قاذفات القنابل قواعد اطلاقها او ازالتها كلياً . اما الـ ٢ ، فكانت اعظم خطراً : فهي صواريخ سدئية تبليغ ١٤٠٥ م طولاً وتزن ١٣٠٥ طنناً ، كانت تطلق اطلاقاً يكاد يكون عمودياً بواسطة جهاز خاص ، فتبلغ ارتفاع ٥٠ كلم ، وحين تصل الى الارض مسيرة بسرعة ١٣٠٠ متر في الثانية ، كان يستحيل سماعها ، مما جعل الدفاع ضدها محالاً وجعلها تترك وراءها دماراً وخراباً كثيراً . ولكن ٦٠٠ طائرة من سلاح الجو البريطاني ضربت بالقنابل تجهيزات بينموند في السنة ١٩٤٣ مما أخر اطلاقها وحال دون تعريضها نصر الحلفاء للخطر .

الحرب البحرية
طرات على الحرب البحرية تغييرات كبرى ايضاً ، فتبدل وجه المعركة البحرية تبديلاً كلياً . وان تبدلاتها خلال الحرب العالمية الاولى لا تقارن بتبدلات الحرب البرية . فامام اسطول بريطاني ، كان على العموم اكثر من ضعفي اسطولها ، وقفت المانيا موقفاً دفاعياً ، ولم تستلم المبادرة الا في عهد متأخر في نطاق حرب الغواصات الخاص .

قامت في البدء ببعض غارات سريعة على شواطئ « نورفولك » و « يوركشاير » . وكانت اكبر عملية ، بعد معركة « دوغر بانك » ، في اوائل السنة ١٩١٥ ، عملية « جتلند » في شهر ايار من السنة ١٩١٦ ، حيث ارغم الاسطول الالماني على الانحناء امام الانكليز والانزواء في

مرافقه على الرغم من المهارة في المناورة التي برهن عنها اسطول الاميرال « فون سي » في « كورونيل » و « فالكلند » منذ اواخر السنة ١٩١٤ .

وهاجت السفن التجارية الحليفة بسفن قرصنة اتقن امدادها بالموث والمعلومات ، ولكنها دمرت بسرعة . وفي السنة ١٩١٦ ظهرت مرة اخرى بعض السفن الشراعية او التجارية التي ما كان احد ليشك في هويتها : « سيدلر » ، و « مو » ، و « وولف » (التي بقيت ٥١ يوماً في البحر) ، ولكن مآثرها لم تؤثر قط على مجرى الحرب . الا ان الاستحداث الالمانى الهام على الصعيد البحري كان في اتساع مدى استخدام الغواصات التي هاجت بدون تبصر وبدون سابق انذار ، ابتداء من السنة ١٩١٧ ، كافة السفن التي تصادفها في المياه البريطانية . وقد استخدمت المانيا غواصات كثيرة مسلحة بمدافع من عيار ٨٨ ، يقودها ضباط مهرة جداً في الهجوم بالمدفع و « الطوربيد » ، قادرة على القيام برحلات طويلة جداً (حتى ١٠٠ يوم) لمراقبة الملاحة ، انزلت بالخلفاء خسائر كبرى وهددت تموين الجزر البريطانية بالخطر : ففي شهر نيسان من السنة ١٩١٧ ، أغرقت سفينة من كل اربع سفن تغادر الارخبيل .

ردّ الحلفاء بزيادة انتاج السفن المعدة للاعاضة من المحمول المدمر ؛ وألفوا قوافل تحميها المدمرات واستحدثوا من سفن الاستطلاع ومطاردة الغواصات ، وشجعوا تركيب اجهزة اللاسلكي ، وسلاحوا السفن التجارية وزرعوا الالغام في الممرات البحرية التي تركها الالمان مفتوحة في جون « هليغولند » وبحر الشمال ، وضربوا قواعد الغواصات في « زيبروغ » و « اوستند » وهرقلوا الحركة فيها ... ومنذ اواخر السنة ١٩١٧ ، زال الخطر وبلغ من الخسائر الالمانية (دمرت ١٩٩ غواصة) ان اولى بوادر الثورة ظهرت بين البحارة الذين قتل منهم عدد كبير جداً .

اما « امثلة الحرب » فكانت ان الطائرات والالغام والغواصات قد اثبتت انها اسلحة رهيبه بالنسبة للسفن السائرة فوق سطح المياه . وان الغواصة بصورة خاصة استطاعت ان تلعب دور سفن القرصنة القديمة وتفرض حصاراً فعالاً . فبدت من ثم اهمية السفن الحربية متدنية جداً : انها تستهلك كميات كبرى من الوقود كما انها معرضة ابدأ لخطر الالغام والطائرات والغواصات ، فلم يمكن ابقاؤها وقتاً طويلاً في البحر ، بل اقتصر دورها على القيام بالغارات او منع غارات سفن الاعداء . الا ان الجهود المبذولة بين الحربين قد اتاحت اصلاح بعض هذه النواقص : فان انشاء قوة خفر من الطائرات والسفن الصغرى المضادة للغواصات ، وتميز دفاعها ضد الطائرات ، ولا سيما زيادة محمولها ، وتحسين آلاتها وزيادة سرعتها ، واخيراً امكانية تموينها في عرض البحر بفضل المازوت ، قد اتاحت لها البقاء في البحر طيلة اسابيع عدة والعمل في نطاق اوسع منه في ما مضى . وعزز الطيران واسندت اليه مهمة الاستكشاف وقذف القنابل والنسف ، ولكن اليابانيين وحدهم فكروا بالنسف الانقضاضي . ومن جهة ثانية ، كانت

البحريتان الاميركية واليابانية وحدهما قد بنتا عدة حاملات طائرات ، وهي سفن اعتبرتها الدول الاخرى ملبكة وسريعة العطب .

والحال ابرزت معركة النروج فجأة اهمية الغطاء الجوي ، فاقتضى معركة الأطلسي ذلك - كما رأينا - اعادة نظر شاملة في المفاهيم ، وتوزيعاً جديداً للقوات ، واللجوء الى اساليب قتال جديدة . فبات السلاحان الاوليان ، منذئذ ، الغواصة والطائرة .

في الغرب اقتصر دور معركة الأطلسي ، بالنسبة للبريطانيين ، اذا ما استثنينا مراقبة وتدمير بعض الوحدات الالمانية السطحية الكبرى (بسمارك) ، على مطاردة غواصات العدو التي حاولت قطع مواصلات الارخبيل بالنحاء العالم الاخرى .

وخلافاً لما حدث في الحرب العالمية الاولى ، لم تعد الغواصة تستطيع المهاجمة بالمدفع لانها لم تستطع الظهور على سطح البحر دون خطر . فان الاميرالية البريطانية قد استخدمت جهازاً كاشفاً يثبت موجات فوق الصوتية يتيح صداها ، الذي يعكسه الجسم الموجود في ميساء البحر ، كشف هذا الجسم وتحديد مكانه . فتقذفها الطائرات ومطارادات الغواصات والمدمرات حينذاك بسيل من القنابل . وخفرت القوافل البوارج والحراقات والمدمرات ؛ وامنت حماية السواحل بالالغام ، وراقبت طائرات قيادة الشواطئ البحر رقابة دائمة . أما الغواصات الالمانية التي كانت في السنة ١٩٤٠ ممرات يتراوح وزنها بين ٥٠٠ و ٨٠٠ طن ويبلغ شعاع نشاطها حتى ثلاثة اسابيع ، فقد تحسنت وبات باستطاعتها بلوغ ٢٠٠ متر عمقاً ؛ وفي السنة ١٩٤١ ظهرت غواصات تزن ١٥٠٠ طن ويبلغ شعاع نشاطها ٢٠٠٠ ميل (٣٧٠٠٠ كلم) ، يمكن استخدامها حتى في المحيط الهندي في ما وراء الدكاب . وقد اعتمدت طريقة سرب الضراء (Rudeltaktik) : ما ان تكتشف الغواصة قافلة ما حتى تنبه اليها القيادة في فرنسا التي توجه اليها كافة غواصات المجموعة (١٥ او ٢٠) ؛ وقد آثرت العمل في الكوة السوداء ، في الأطلسي حيث تستعمل الرقابة على الطائرات . ولكن الدفاع تحسن وتكامل ، فتزايد شعاع نشاط الطائرات واتاح الجهاز الكاشف آنذاك ليس معرفة مكان وبعد الغواصة فحسب ، بل عمقها عن سطح البحر ايضاً ، واستطاعت الطائرات المزودة بالرادار واجهزة الكشف الضوئي البقاء على اتصال بالغواصة بعد غوصها بفضل الكاشف المغنطيسي . وجهزت السفن بشباك تقيها من خطر الطوربيد ؛ وفي شهر آب من السنة ١٩٤٣ استخدمت للمرة الأولى القنبلة الحائمة المسيرة . واستخدمت بعض سفن القوافل كحاملات طائرات ؛ وزودت بجهاز يطلق في آن واحد ٢٤ صاروخاً تتفجر عند اصطدامها بالهدف . وفي أواخر السنة ١٩٤٣ ظهر الدسكويد ، مدفع الهاون المحكم الذي يسدده الجهاز الكاشف ، ويطلق ثلاث قنابل كبرى في آن واحد . وباتت الطائرات بصورة خاصة ، بعد ان طال شعاع عملها ، وزاد عددها ، قادرة الآن على سد كوة الأطلسي . وقد استخدمت قنابل محشوة بمادة متفجرة عظيمة الفعالية (Minol) . وخفرت القوافل

المتزايدة أهمية (٧٠ ، ٩٠ سفينة) خفراً قوياً ، وفتكت الطائرات المجهزة بعاكسات الوار قوية فتكاً ذريعاً بالفواصات التي تحاول الاستفادة من ظلام الليل للصعود الى سطح الماء . وقد اعطت هذه التدابير مفعولها : فان الخسائر التي بلغت ٨٠٠ . ٠٠٠ طن في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩٤٢ قد هبطت الى ٩٦ . ٠٠٠ طن في شهر حزيران من السنة ١٩٤٣ ، ودمرت ١٧ غواصة المانية . ومنذ شهر كانون الثاني من السنة ١٩٤٣ ، اخذت مصانع السفن الانكلوساكسونية تبني سفناً جاوزت محمولها الخسائر الى حد بعيد . ومنذ ذاك التاريخ ، اختل التوازن نهائياً ، في البحر والجو على السواء ، لمصلحة الحلفاء . ففي اواخر السنة ١٩٤٣ ، بلغ عدد الفواصات الالمانية والاطالية المدمرة ٤٧٥ ، وهبط محمول السفن المفرقة في شهر ايار من السنة ١٩٤٤ الى ٢٤ . ٠٠٠ طن ، بينما ارتفعت الخسائر في الفواصات ارتفاعاً مطرداً . ففي شهر كانون الثاني من السنة ١٩٤٥ ، لم يبق في عرض البحر سوى ٦٠ غواصة فقط (الشكل رقم ١٥) .

الآن ان ظهور الـ « شنورشل » في ربيع السنة ١٩٤٤ ، اي حين تعرضت الفواصة لضربات حاسمة ، قد احدث ثورة في ظروف الملاحة تحت سطح الماء . فقد تألف من انبوب عازل للهواء يرتفع فوق الغواصة الغائصة ؛ واتح تأمين الهواء النظيف الضروري للحياة في الغواصة تحت سطح المياه ولسير المحركات واخراج الهواء الفاسد وغازات الاحتراق ؛ فاستطاعت الغواصة من ثم النجاة من رادار الطائرة والاحتفاظ بسرعة تكاد تعادل سرعة سفن خفر القافلة والبقاء تحت سطح الماء طيلة اسابيع عدة . ولكن الاوان قد فات ، في هذا المجال ايضاً ، اذ ان الاختراع الجديد لم يستطع قاب الموقف لصالح المانيا .

بينما نسبت الفواصات لنفسها ٥٠ ٪ من محمول السفن المفرقة والطيران ٣٥ ٪ ، لم يعد للالغام سوى ٦ - ٧ ٪ ، بالرغم من ان حرب الالغام قد عرفت نشاطاً عظيماً متزايداً . فلم تستخدم الالغام الكلاسيكية المتزايدة القوة فحسب ، بل الالغام المغنطيسية منذ السنة ١٩٣٩ ، والالغام السمعية في السنة ١٩٤١ ايضاً ؛ كما استخدمت الالغام الضغطية التي تنفجر تحت تأثير المياه التي تحركها السفن ، والتي اتاح لها تركيبها ان تعمل سمعياً ومغنطيسياً وضغطياً . ولكن الايطاليين توفقوا منذ كانون الاول ١٩٤١ ، بغية الوصول الى السفن في المرافىء والدوران حول شبكات الحماية او المرور من تحتها والاقتراب من الهدف بجهد المستطاع ، الى استخدام طوربيد يسيّره رجلان تنزلها الفواصات قرب الهدف ، والى اصابة مدرعتين وناقلة بترول في مرفأ الاسكندرية نفسه . وفي اواخر الحرب استخدم الالمان الطوربيد « ماردر » المؤلف من طوربيد يحمل ملاحاً يقذف بطوربيد متفجر حين يصبح على مسافة قصيرة من الهدف ، واستخدم اليابانيون الطوربيد « كايتن » الانتحاري الذي يسيّره الملاح حتى الهدف وينفجر معه ؛ وفي سبيل بلوغ الغاية نفسها انتج المزيد من غواصات الجيب التي قد تبلغ سرعتها ٢٢ عقدة تحت المياه ، فبنى البريطانيون الـ « مدجت » (وقد استخدمت احداها في ضرب الـ « تربيتز » في احد الخلجان الضيقة) وبنى الالمان الـ « سيهوند » .

إذا ما قورنت حرب الغواصات في الحرب العالمية الثانية بحرب الغواصات في الحرب العالمية الأولى ، لا تضح أنها كانت أقل فعالية وأقل ارضاء للألمان : فانهم قد اغرقوا متوسط المحمول الشهري نفسه تقريباً ، ولكن عدد السفن المفرقة أقل منه بنسبة النصف بسبب تزايد محمولها ، وكانت الخسائر الألمانية فادحة جداً .

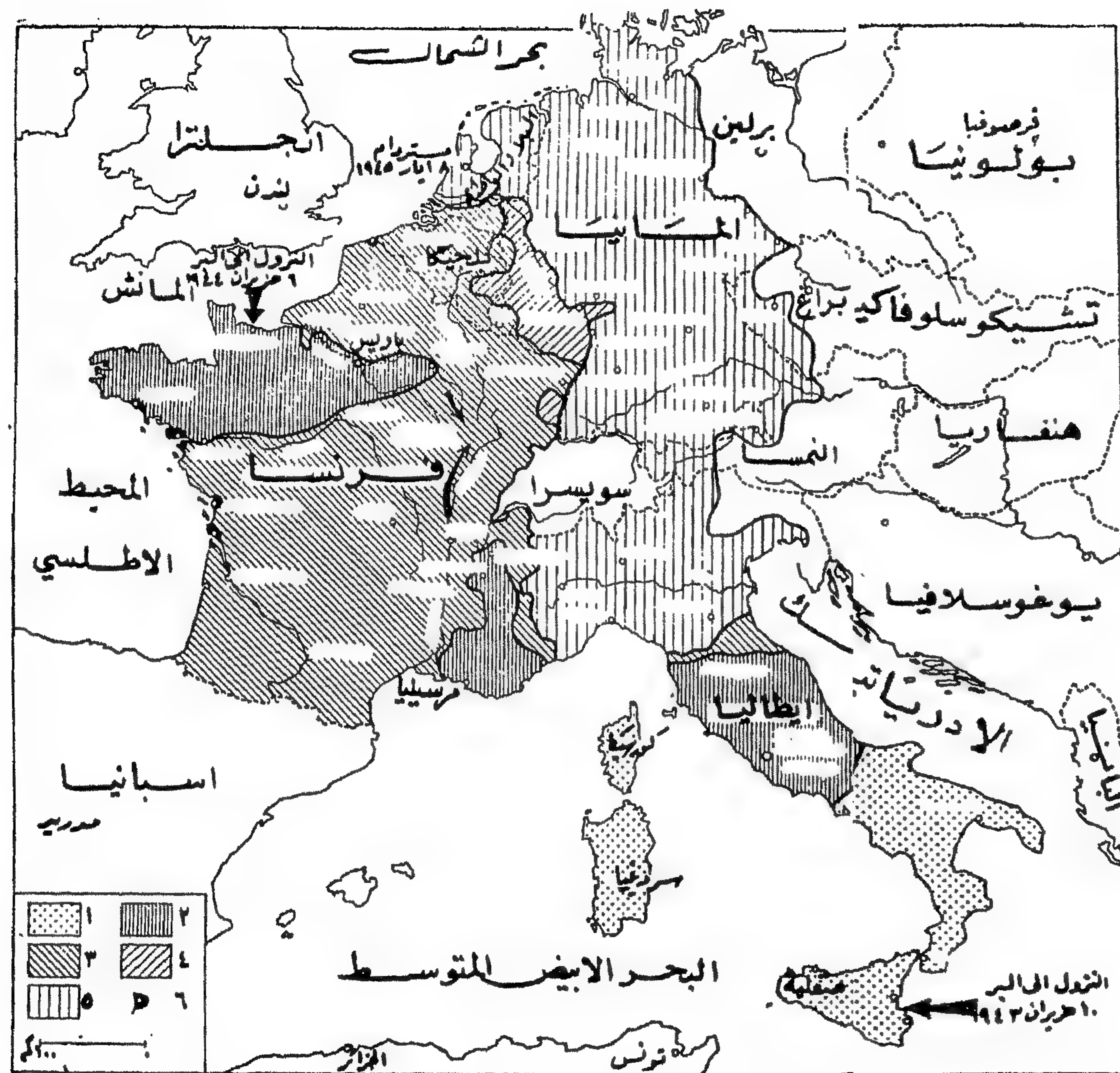
المعركة في المحيط الهادي
يختلف وجه المعركة في الهادي اختلافاً كلياً ؛ فقد توفرت هنا للطرفين وسائل العمل نفسها ، وكانت السيادة هنا للأسطولين الجوي والبحري . فبعد النجاحات العظيمة التي أحرزها اليابانيون في الأشهر الأولى من الحرب (بيرل هاربور ، وتدمير الد « برنس أوف وايلز » والد « ريبلس » بواسطة الطائرات الانقضاضية) ، سمحت الطائرات والغواصات الاميركية الى تدمير سفن توين الجيوش اليابانية الموزعة على كافة المحاء آسيا الجنوبية الشرقية والارخبيلات ، موقعة بها خسائر ما لبثت ان ارتسدت حجم الكارثة . وقد استعاد الاميركيون سيطرتهم على المحيط الهادي بفضل سيطرتهم الجوية .

ان الممول عليه بعد اليوم ، اكثر من عدد السفن المسلحة بالمدافع ، هو عدد حاملات الطائرات والطائرات المنقولة ، لأن النتيجة الحاسمة تنتزعها هذه او تلك . وقد ارتفع عدد الطائرات المشتركة في المعركة ارتفاعاً مطرداً : ١٨٠ طائرة يابانية مقابل ١٤٤ طائرة اميركية في معركة بحر المرجان ، و ٣١٢ طائرة يابانية مقابل ٣٠٥ طائرات اميركية في معركة جزر « مدواي » ، و ٤٩٨ طائرة يابانية مقابل ٨٢٠ طائرة اميركية في جزر « ماريان » . وفي شهر ايلول من السنة ١٩٤٤ ، في معركة الفلبين الثانية من اجل الاستيلاء على جزيرة « لايت » التي انتهت بتدمير الاسطول الياباني ، كان لدى الاميركيين ١٢ حاملة طائرات يدخل في عدادها ست حاملات كبرى ، و ١٨ حاملة طائرات خافرة ، و ١٢٨٠ طائرة ، مقابل ٤ حاملات طائرات لدى اليابانيين و ٦٠٠ طائرة في المطارات ، اي مجموع ٧١٦ طائرة . وكانت الجودة الهامة ، من جهة ثانية ، مدى وعدد المعارك البحرية الكبرى التي تصادمت فيها اساطيل قوية والتي لم تعرفها الحرب العالمية الاولى قط . فقد تقابلت اساطيل ضخمة بمقدورها البقاء في البحر طيلة اسابيع عديدة ، كما في عهد السفن الشراعية ، ولكن بصورة غير منتظرة . فلا تدور المعارك النهارية على مسافة ١٠ او ١٥ كلم كما كان مرتقباً ، ولا تدور المعارك الليلية على مسافة ٥٠٠ او ١٠٠٠ متر : دارت ١٣ معركة بحرية كبرى على مسافات تتراوح بين ٣٠٠ و ٧٠٠ كلم ، ودارت ٦ معارك ليلية ، بحيث لم تصل المدرعات الى مرمى المدفع ولم تلعب الدور الذي كان منوطاً بها من ذي قبل . وفي المعركتين الحاسمتين في حرب المحيط الهادي : معركة مدواي في حزيران ١٩٤٢ ، ومعركة الفلبين الاولى في حزيران ١٩٤٤ ، لم تشترك اية مدرعة كبرى الا بمدافعها المضادة للطائرات . اما في الليل فقد نشبت المعركة ، بفضل الرادار ، بواسطة المدفع والطوربيد ، على مسافة ١٥ كيلومتراً . وباستثناء حاملة طائرات واحدة اغرقها المدفع ،

دمرت ٤٠ حاملة طائرات اثناء الحرب بفعل الطائرات او الغواصات . اما المدرعات الاميركية والانكليزية والالمانية ال ٢٤ التي دمرت ، فقد غرق ٩ منها في معارك بحرية و ٥ فقط بفعل المدافع بينها ٣ اصببت بالطوربيد ايضا .

لذلك فان تأليف الاساطيل في السنة ١٩٤٥ يوضح تدني دور المدرعة الكبرى التي لم تعد « السفينة الحربية الرئيسية » المعهودة . ليست بعد اليوم سوى سفينة تابعة اعظم نفعا بمدافعها المضادة للطائرات منها بمدافعها الضخمة . فان الاسطول الذي كان يستعد ، في شهر آب من السنة ١٩٤٥ ، لتنفيذ عملية « اولمبيك » (النزول الى اليابان) قد ضم ٢٣ مدرعة كبرى و ٢٦ حاملة طائرات حربية و ٦٤ حاملة طائرات خافرة . وبينما كانت النسبة بين فئتي السفن نسبة ٩ الى ٤ ، فقد انتقلت الى نسبة ٢،٣ الى ٩ . لقد اصبحت حاملة الطائرات محور كافة العمليات .

العمليات البرمائية من المظاهر المميزة لهذه الحرب ايضا عدد واتساع العمليات البرمائية التي تجاوزت المئة واختلفت اهمية ، فاقترصر بعضها على اعمال المغاوير واتسع بعضها الآخر ، كعملية « اوفرلورد » في نورمانديا ، التي انطوت على ازال ٧٥ فيلقا وتكوينها . لقد برهنت حملة الدردنيل الفاشلة واخفاق ازال الجيوش على ساحل الفلاندر خلال الحرب السابقة ، على ما يبدو ، على استحالة نجاح ازال جيوش بالقوة على ساحل منيع التحصين . ولذلك لم يكن اي من الجيوش معدا لمثل هذه العمليات . الا ان اخفاق ازال الجيوش الحليفة في النزوح ، والنجاح الألماني المقابل ، واجهاض خطة « سيلو » لانزال الجيوش في انكلترا ، ونجاح احتلال كريت الباهر على يد جيوش وبواسطة معدات نقل معظمها جوا ، قد اثبتت ان شرط النجاح هو امتلاك معدات نقل وانزال معدة خصيصا لهذه الغاية ولا سيما امتلاك غطاء جوي يتيح « اقتراب » وحدات الهجوم . وبعد السنة ١٩٤٢ اجريت عمليات انزال الجيوش الكبرى الحاسمة في افريقيا واوروبا والمحيط الهادي : وقد تاهز عددها الستين - ١٠ في اوروبا وافريقيا ، و ٥٠ في المحيط الهادي - وتحسنت خلالها المعدات والاساليب . ففي الدرجة الاولى تأمنت الحماية بالطيران ومدافع الاسطول الضخمة . واستخدمت للنقل زوارق بإمكانها الجنوح على بضعة امتار من الشاطئ او القيام برحلة طويلة في عرض البحر : زوارق ذات طبقتين مسطحة القعر لا تدخل كثيراً في الماء وتفتح فيها مصاريح ضخمة تنتقل عليها السيارات والدبابات . وسفن كبرى قادرة على نقل زوارق انزال صغرى مختلفة الحمول (اكثر من ٤٠ نموذجاً) : ناقلات دبابات ، زوارق هجوم ، سيارات برمائية ، ودبابات ، الخ . ولما كانت عملية الانزال في « دياب » قد اظهرت المخاطر التي تنطوي عليها محاولة الاستيلاء على احد المرافئ ، فقد تقرر ، لعملية الانزال في نورمانديا ، اختيار ساحل لا مرفأ فيه ، يكون من ثم اقل تحصيناً ، وإنشاء خمسة مرافئ اصطناعية ، ثلاثة منها للسفن الصغرى واثنان للسفن الكبرى ، مع ما يستلزمان من ارصعة ثابتة متوازية مؤلفة من سفن قديمة مهمة مثقلة في قعرها بالاسمنت المسلح والفولاذ ، و ارسعة عائمة (من الفولاذ) تستطيع زوارق الانزال الاقتراب منها .



الشكل ١٤ - الحرب في الغرب : حزيران ١٩٤٤ - أيار ١٩٤٥ .

- ١ - إقليم مستردة قبيل النزول الى نورمانديا . ٢ - اراض مستردة في ٢٨ آب ١٩٤٤ . ٣ - اراض مستردة في ٣١ كانون الاول ١٩٤٤ . ٤ - الموقف في ٢٦ آذار ١٩٤٥ . ٥ - الموقف في ٨ أيار ١٩٤٥ . ٦ - جيوب ما زالت تحت سيطرة الجيش الألماني في ٨ أيار ١٩٤٥ .

وانما كثرت العمليات البرمائية في المحيط الهادي . فلأجل رد اليابانيين الى الوراء انتهج الاميركيون خطة انزال نظامية كان الهدف منها تجاوز معظم المواقع البحرية حيث وزع اليابانيون اكثر من ٦٠٠٠٠٠ جندي بغية الاستيلاء على قواعد توصل الاميركيون ، انطلاقاً منها ، بفضل تفوقهم الجوي والبحري ، الى ملاشاة تأثير الارخبيلات او الجزر الصغيرة المنعزلة الباقية وراهم او الى اخضاعها . وبعد الانتصارات البحرية الكبرى في شهري ايار وحزيران من السنة ١٩٤٣ في بحر المرجان وفي مدواي ، اقصى هذا الهجوم المعاكس اليابانيين عن غينيا الجديدة وجزر سليمان ، وتم عن « راجول » في بريطانيا - الجديدة ، واتاحت سلسلة جديدة من القفزات الاستيلاء على جزر جيلبرت ومارشال والماريان (سايبان) وغوام ، و اخيراً تم الاستيلاء على الفيليبين بعد النصر الحاسم في جزيرة « لايت » في شهر تشرين الاول من السنة ١٩٤٤ . واتاح الاستيلاء على ايفوشيا ضرب طوكيو والمرافئ والمراكز الصناعية اليابانية بالقنابل . وفي اشهر نيسان وايار وحزيران وقوز اتاح الاستيلاء على او كيناوا رقابة الحركة التجارية بين الصين الجنوبية واليابان . ومنذ ذلك التاريخ حوصر الارخبيل وأخضع لضرب كثيف بالقنابل توجه في السادس من شهر آب من السنة ١٩٤٥ القاء القنبلة الذرية الاولى على هيروشيما التي دمرت ٦٠٪ من المدينة وأودت بحياة ١٥٠٠٠٠ نسمة . وفي التاسع منه القيت القنبلة الثانية على ناغازاكي .

نولت كل عملية انزال قوة تكتيكية مستقلة مؤلفة من حاملات طائرات ومدرعات وسفن حربية صغيرة وناقلات جيوش . وكانت السيطرة الجوية هنا ايضاً الشرط الاول الضروري للنجاح . فهي طائرات اقربيا الشمالية ما أمنت نجاح عملية الانزال في صقلية ، ثم في سالرنو وانزوي . ومن انتكرا جاءت ألوف الطائرات التي كانت بمثابة « مظلة » لأسطول الانزال في نورمانديا . وهي حاملات الطائرات ومطارات الجزر في المحيط الهادي ما أمنت لكل فيلق ١٢٠ طائرة اعتبرتها القيادة ضرورية لنجاح عملياته .

نقل الجيوش وتموينها
ان ما اسمي من قبل « فن نقل العمد اللازم من الجنود الى
المكان اللازم من ميدان المعركة وفي الوقت اللازم ومع
التجهيزات اللازمة » قد استعاد - بواسطة الامير كيين - اسمه القديم ، « فن نقل الجيوش
وتموينها » (*Logistique*) ، وارتدى طابع اهمية لم يعرفه من قبل بسبب طول خطوط
التموين (عدة آلاف من الكيلومترات) وتزايد حجم المواد والمعدات - ألوف الاطنان من
المواد الغذائية والذخائر الضرورية للمحاربين - الذي يمكن تقديره بعشرة اضعافه في السنة
١٩١٧ . فان فيلق مشاة امير كيين يستهلك ١٥٠ طنساً من البنزين في اليوم ، ويستهلك الفيلق
المدرع ٣٥٠ . ويستخدم اثنان من كل سبعة جنود امير كيين في اعمال النقل والاتصال . وفي
الحيط الهادي ، اقتضى لكل فيلق مؤلف من ١٤٠٠٠ جندي عند خط النار ، ١٤٠٠٠
جندي للعمل في المؤخرة و ١٢٠٠٠ للعمل في المحطات المنتثرة على طرق المواصلات . فتوجب
من ثم اعداد تنظيم معقد يستخدم مئات الالوف من الجنود لتحضير العمليات في ادق تفاصيلها ،
قبل اشهر عدة ، وتنفيذها تنفيذاً ناجحاً .

هنا يمكن سر اهمية وسائل النقل المتزايدة وعناد المتحاربين في مهاجمة خطوط مواصلات
العدو البحرية والبرية . فهو تشويش حركة وسائل النقل بفعل قاذفات القنابل الالمانية ما منع
البنزين جزئياً عن الدبابات الفرنسية في بلجيكا في شهر ايار من السنة ١٩٤٠ ، في حال ان التنظيم
الامثل في وسائل النقل الالمانية قد افاح انتصارات الالمان المشهودة الاولى . وفي روسيا ،
المتفجرة الى الخطوط الحديدية والطرق ، تنظمت فرق المقاومة المنعزلة عند مفترقات
الطرق والخطوط الحديدية . وادى توغل الالمان في قلب روسيا مسافة تزيد عن ١٠٠٠ كلم
في المرحلة الاولى من الحرب الى اضعاف قوة الجيش الالمانى الهجومية اضعافاً ملموساً ، وفي
السنة ١٩٤٢ ، اثناء التقدم نحو القفقاس وستالينغراد في آن واحد ، عجزت القيادة الالمانية عن
ان تضع تحت تصرف جيوشها المهاجمة كافة الوسائل التي كانت بحاجة اليها . وفي ليبيا اكثرت
روسيا تحركات ظروف التموين بحركات جيوش الاعداء . وقد كتب « ايزبيك » ، رئيس اركان
« رومل » ما يلي : « ان الاستيلاء على مزيد من المناطق لم يعن تحقيق النصر ، بل كان من شأنه ،
على نقيض ذلك ، ان يشكل ضرراً وخطراً » . وطوال الوقت الذي تستغرقه المعركة ، نشاهد
سباقاً حقيقياً نحو المرافىء التي يجب بلوغها قبل ان يكون للعدو متسع من الوقت لتعطيلها ؛
نشاهد تعاقب تقدم وتراجع جيشين يضعفهما البعد عن قواعدهما حين يتقدمان ، ولا يلبثان ان
يتوقفا لان تموينها يتأخر عنهما بسبب هجمات طيران العدو . فهذه حال « رشقي » في شهر كانون
الاول من السنة ١٩٤١ حين تقدم حتى « غزاله » ، وحال رومل نفسه بعد استيلائه على بنغازي
وطبرق ، فان الغنائم التي كسبها في هذه المدينة وفي سيدي براني قد اتاحت له التقدم حتى
المدين ، ولكن خطوط تموينه الطويلة تعرضت للخطر ، اذ ان الطيران البريطاني انزل بوسائل
نقله البحرية خسائر فادحة ، فأرغم على التوقف .

وأثارت العمليات البرمائية - كما رأينا - مسائل نقل وتموين اعظم اهمية حين توجب نقل

وتموين الجيوش التي انزلت في أفريقيا الشمالية وصقلية وإيطاليا وثورمانديا وبروفنسا. وهي فؤدة الامير كين الصناعية الفائقة ما اتاحت لهم ، في المحيط الهادي ، التغلب على صعوبات حرب تدور رجاها على مسافة عدة الوف من الكيلومترات من بلادهم . فقد توجب عليهم احكام تنظيم لم يسمح بنقل احجام كبرى من الرجال والتجهيزات فحسب ، بل بتمهد عمليات متواصلة دائمة ايضاً . ومن اجل ذلك اضطروا الى بناء مرافئ جاهزة بمواد موحدة القياسات واستحضار خشب البناء والاسمنت والمواد اللازمة لانشاء الطرق ومهابط الطائرات ومساكن الجنود ، الخ . وقد رافقت الاسطول في انتقاله مراكب مساعدة معدة كلها لشحن معين او لخدمة معينة : احواض سفن عائمة - تجمع بين السفينة ومصنع السفن - قادرة على ايواء اكبر السفن واصلاحها في عرض البحر ونقل المؤن ؛ وزودت ناقلات البترول في عرض البحر اثناء مواصلة تقدمها ، ونقلت اليها الذخائر والمؤن من السفن التي تحملها . وقد حضرت «حزم جاهزة للنقل والتموين» زنة الواحدة منها ١٤٠٠٠ طن معدة لانشاء مطار ، يرافق كلا منها ٦٦ ضابطاً و ١٦٠٠٠ جندي ، فكانت ترسل الى القيادة حال طلبها ؛ وحضرت كذلك في مصانع التصليح حزم جاهزة لكل نوع من الطائرات والآلات تسلّم عند الحاجة للطائرات او السفن المنعطة .

فكانت الكميات المنقولة من ثم كبيرة جداً : وقد قدر في السنة ١٩٤٤ ان ٦٠٠٠٠٠ طن نقلت شهرياً عبر المحيط الهادي ، الى مسافة ٥٠٠٠ كلم من القواعد الاميركية ، لا يدخل فيها الفحم الحجري والبنزين . ففي عملية ازال الجيوش في جزيرة «لايت» وحدها ، استخدمت ٨٠ ناقلة بترول ، ٢٠ ناقلة تعبئ او تفرغ ، و ٦٠ اخرى تنقل البنزين الضروري للقوات المنزلة في الجزيرة . وهكذا استطاع الاميركيون ، طيلة ١٦ شهراً ، القيام «بهجوم دون توقف» تعاضم عنفاً يوماً بعد يوم ادى في النهاية الى سحق اليابان .

كان كذلك اشترك المدنيين المسلح في مقاومة الغازي أحد مميزات هذه حرب المصائب
الحرب العالمية الثانية . فمنذ نهاية حروب الامبراطورية الاولى التي ثار فيها السكان الاسبان والثيروليون والروس على جيوش نابوليون ، انحصرت العمليات ابدأ في الجيوش النظامية ، اقله في اوروبا .

اخذت حرب المصائب المصرية تتنظم وتوسع اتساعاً كبيراً في الصين منذ السنة ١٩٣٨ . وقد شرح ماو تسي تونغ النظرية لطلاب الاكاديمية الحمراء في السنة ١٩٣٦ في الدروس التي نشرت في السنة ١٩٤١ . فحين يصبح امر تطبيق الاساليب الحربية الكلاسيكية مستحيلاً ، كما يقول ، يجب الاستمرار في مقاومة الغازي بوسائل اخرى : هذه هي حرب المصائب التي يناوش فيه العدو دون مجابهته في معركة . وهي في جوهرها حرب ضارية لا مكان فيها للشفقة ، لان القمع يتناول المدنيين بقسوة لا يتناول بها العسكريين ، فيجب من ثم ، كي تشكل بالنجاح ، ان يساند سكان البلاد المقاومة المسلحة فيها مساندة كلية . ويجب ان تذوب بين السكان وتلاشي بينهم لتظهر مرة اخرى بعد ذلك في الزمان والمكان الموافقين . وحين تقوم هذه الرابطة بين

الأنصار والسكان ، يصبح بمقدور الأنصار تنظيم جبهة حقيقية وراء العدو وارغامه على التجمع في بعض النقاط كالمدين وخطوط او عقد المواصلات ، ومهاجمة مراكزه الضعيفة ، واضعاف معنوياته ، وجعل الاتصال بين وحداته وتموينه غير مستقرين ، الى ان يسمح تجهيز القوات اللازمة بتطويقه وابطاده . وان هذه الاساليب التي حالت دون تمكن اليابانيين من السيطرة على معظم الاراضي الصيلية قد اعتمدت في كافة البلدان المغزوة . فأحدثت حرب الأنصار من ثم ثورة حقيقية في مفاهيم الحرب الكلاسيكية بأشراكها في المعركة جماهير كبيرة من المدنيين المسلحين ، العاملين باتصال يختلف وثوقه مع الجيوش النظامية . وباتساعها وضعت دول المحور امام مسائل غير مرتقبة على جانب كبير من الخطورة . وقد اتخذت اشكالا مختلفة باختلاف جرياتها في فرنسا ، او روسيا ، او بولونيا ، او البلقان ، او المناطق الكثيفة السكان ، او المناطق الصحراوية ، او الغابات المتلبدة ... وفي كل مكان - باستثناء الاتحاد السوفياتي - وقفت الحكومات المؤلفة في المنفى او الحكومات الخليفة موقفاً حذراً من هذه الثورات الشعبية المؤدية الى تسليح جماهير اعتبرت شيوعية لم تكن الحكومات لتضمن في المستقبل الاشراف عليها وانكر المستشارون العسكريون المحترفون فعاليتها . وهنا يكن سر التباطؤ والتردد في تزويدها بالاسلحة من الجو ، وسر الجهود المبذولة لعرقلة او ايقاف نشاطها ، مما ادى احياناً الى منازعات داخلية وخيافات ،

في اوروبا ، اتسمت حرب العصابات في البلقان أولاً . ففي
في البلقان وبولونيا
اوروبا ضمت جيوش تيتو ، منذ آخر السنة ١٩٤١ ، الوف
المحاربين - ١٥٠.٠٠٠ في السنة ١٩٤٣ - وحررت اقاليم واسعة ، وفي اليونان تنظمت حركة التحرير الوطني التي ألقت بعد ذلك جيش التحرير الوطني . وفي البانيا تنظمت جيوش الأنصار بقيادة نور خوجه . ولكن هذه الجماعات المتميزة بارتفاع عددها ونشاطها الفعال ضد الغازي كانت بقيادة الشيوعيين ، فتقاومتها جماعات محافظة اقل عدداً حالفت الالمان انفسهم أحياناً ؛ كجماعات ميخالوفتش ، وجماعات الكولونيل زرقاس ، والد « بالي كومبتار » الالبانيين . ولكن الأنصار البلقانيين ارغموا زملاء ثلاثين فيلقاً ايطاليا وبعض الفياق البلغارية وجيوش بافليك الكرواتية وبعض الجيوش الالمانية احياناً على البقاء في البلقان .

وفي بولونيا ، حيث تشكل منذ السنة ١٩٣٩ جيش سري لمقاومة الالمان والروس معاً ، كان الانقسام عميقاً ايضاً بين الشيوعيين وخصومهم . وبعد السنة ١٩٤١ ، أثار نشاط العصابات السوفياتية في بولونيا الشرقية التي استولى الاتحاد السوفياتي على بعض أراضيها ، مسألة الحدود الشائكة . ولذلك كان التعاون ضد الالمان محدوداً . فقد دخلت العناصر الشيوعية في جيش « برلنغ » الذي حارب في اطار الجيش الأحمر ، بينما قامت العناصر المرتبطة بحكومة بولونيا في لندن ، بمعزل عن الجيش السوفياتي ، بنشاط أدى الى تدمير فرصها .

في روسيا أمر ستالين ، في نداء وجهه في شهر تموز من السنة ١٩٤١ ، باعتماد في روسيا ... خطة « الارض المحرقة » ، وفي الوقت نفسه بتشكيل جماعات من الانصار في المناطق المحتلة . فلسنا هنا ، كما في غير مكان ، امام فلاحين مسلحين باسلحة عادية يرتجلون تنظيمهم ، دون ارتباط بالحكومات او ضدها أحياناً ، بل امام مدنيين منظمين ، قادرين على العمل كتائب صغيرة منفردة او مجتمعة ، وحق مع الجيش النظامي ، وخاضعين لقادة هم يمثلون الحكومة الشرعيون المختارون على العموم من بين رؤساء التعاونيات الزراعية او اعضاء الحزب الشيوعي او ضباط الجيش . وينضم اليهم أحياناً عدد من الجنود المحاصرين الذين نجحوا في الافلات من قبضة الالمان . وقد ساعدتهم مساعدة كبرى ندرة خطوط المواصلات والمسافات بين القرى ، واتساع الاحراج والمستنقعات والمناطق الوعرة ، التي يستحيل اجلاؤهم عنها الا باستخدام فرق عسكرية كبرى ، مما اتاح لهم تأليف جماعات وثابة اخذت منذ شهر آب من السنة ١٩٤١ تهاجم قوافل التموين وتخرب الخطوط الحديدية وتدمر الجسور وتقتنع الالمان من دخول مناطق واسعة في البلاد . فأرغمت القيادة الألمانية على ترك فيالق كاملة في المؤخرة لحماية قوافلها والتجرد لعمليات انتقامية : كاعدام الرهائن وتدمير القرى اللذين زادا من عطف السكان على الانصار وحملوا الرجال الأصحاء على الالتحاق بمصابات الجوار هرباً من الاخطار المحدقة بهم . وهكذا تشكل جيش عظيم ، مؤلف من جماعات ، قد تضم عدة مئات ، بل عدة الوف من الاعضاء ، « زودت من الجو ، بالاسلحة (والمدافع أحياناً) والذخائر والادوية ، وكانت على اتصال لاسلكي بالقيادة المركزية لحركة الانصار ، وتلقّت منها التعليمات ونقلت اليها المعلومات . وقد ساعدت الانصار النساء والاولاد ، كتملك الكومسومول الصغيرة « زويا » ، البالغة من العمر ١٧ سنة ، التي حكم عليها بالموت شنقاً بتهمة احراق مستودع ألماني ، وكنساء واولاد الانصار الـ ١٠٠٠ المختبئين في « دياميس » اوديسا ، الذين أمنوا لهم مؤنهم بانتظام واتاحوا لهم ، طيلة سنتين ونصف السنة ، الصمود والحيلولة دون اعمال تخريبية كثيرة حين كان الجيش الأحمر يقترب من المدينة ، والاسهام مع هذا الجيش في تحرير مدينتهم .

في فرنسا ، بدأت حرب المصائب منذ السنة ١٩٤١ حين تشكل الجيش السري في فرنسا وأعيد تبعاً لتنظيم الحزب الشيوعي الذي والت منظمته العسكرية ، « المتطوعون والانصار الفرنسيون » ، اعتداءاتها على الالمان . ثم اتسعت الحركة حين انضم اليها شبان كثيرون مهددون باخطار شتى رغبوا في الحياة السرية وتأسيس جيوب مقاومة عززها أحياناً بعض الجنود الفارين من الجيش الألماني . ولكن جيوب المقاومة التي نظمت في جبال الالب والجورا والسلسلة الوسطى افتقرت الى الاسلحة ، لان الحلفاء ، جهلاً منهم او تجاهلاً ، لم يزودوها من الجو الا باسلحة غير كافية ومتأخرة ، فجاء القمع الذي تولته الجيوش الألمانية غاية في القساوة والوحشية : ففي هضبة الـ « غليار » ، وفي شهري شباط واذار من السنة ١٩٤٤ ، لم يخضع ١٢٠٠٠ الماني ، مع الطائرات والمدفعية ، جيب المقاومة المنظم فيها الا بعد ١٨ يوماً . وتوجب

على الالمان ارسال ثلاثة فيالق ضد جيب المقاومة في الـ « اين » ، وفيلقين ، احدهما مدرع ، ومظليين ، للقضاء على جيب المقاومة في فركور في شهر تموز من السنة ١٩٤٤ ثم توحدت الحركات المختلفة بعد قيام المجلس الوطني للمقاومة الذي اسند الاشراف عليها الى لجنة عمل هي الـ « كوماك » . واتتاء معركة التحرير ادت هجمات جيوب المقاومة على الخطوط الحديدية ، بالاتفاق مع هجمات الطيران الحليف ، الى عرقلة في سير القطارات الحديدية استتبعته تأخيراً في نقل الجيوش الالمانية بلغ خمسة ايام احياناً . وفي بريتانيا ساهمت جيوب المقاومة مساهمة فعالة مع المظليين الاميركيين بتنظيفها المنطقة بعد فتح ثلثة افراش . والى الجنوب من الـ « لوار » ، وفي الجنوب الشرقي ، حالت اعمالها دون انسحاب ٢/٣ القوات الالمانية . وقد اسرت ٢٥.٠٠٠ جندي في الجنوب الغربي و ٤٢.٠٠٠ في الجنوب الشرقي . وقد قدرت فعالية عملها بفاعلية زهاء هشرين فيلقاً .

منذ اعلان الهدنة التي عقدها المارشال « بادوليو » مع الحلفاء ، نزع الالمان في ايطاليا الاسلحة من الجيش النظامي في ايطاليا واسروا اكثر من ٦٠٠.٠٠٠ . ولكن بعض الوحدات بادرت طوعاً الى المقاومة : في بيومبينو ، وكورسكا ، وسردينيا ، والدوديكانيز ، وكورفو وكيفالونيا . . . والف العديد من الجنود الذين فروا من الاسر جماعات انصار في « بيمون » ، ومنطقة البندقية حيث توحد خصوم الفاشستية الايطاليون والسلوفينيون ، وفي اميليا وليغوريا انضموا الى جماعات العمال والفلاحين الذين رفضوا الحرب الى جانب الالمان ، فلم يستطيعوا هرباً من انتقام حكومة سالو الفاشستية الجديدة - الا رفع علم المقاومة . وامتدت الحركة الى منطقة الـ « مارش » في اواسط ايطاليا ، وتوسكانه ، ولاسيوم ، والـ « ابروز » ، وراء الخطوط الالمانية . ثم احكت خطة الانصار وتكاملت : تسلل ، انسحاب فجائي ، وتفرق ، ثم مباغطة جديدة وتفرق جديد ، وتشكيل وحدات سريعة الانتقال تهاجم الالماني في كل مكان وترغمه على تشتيت قواته اكثر فاكثر . وفي ايطاليا الشمالية بلغ عدد الانصار ٨٠.٠٠٠ في شهر حزيران من السنة ١٩٤٤ بالرغم من الارهاب البوليسي وعمليات « الشراذم السوداء » الانتقامية الدامية . وبذلت المساعي للاعاضة من « حرب المصائب » بمنظمة ذات شأن ، بغية توحيد القائمين بها في قوة عسكرية . فانشئت « قيادة عامة » كان الجنرال « كادورنا » مستشارها العسكري . وقد اوجد اتفاقاً « برشلونيت » و « فريول » تعاوناً وثيقاً بين المقاومة الفرنسية والانصار السلوفينيين شمل تبادل المعلومات . وهكذا وضعت اسس « دولية الانصار » التي ضمت في حروب المصائب كافة خصوم النازية والفاشستية في كافة البلدان ، اذ ان بعض الفارين من الاسرى الانكليز والاميركيين والاورستريين والروس والتشييكوسلوفاكيين قد انخرطوا في صفوفهم . وقد تسلم بعض هؤلاء الاجانب زمام قيادة جماعات الانصار . وكما في الخارج ، حارب الايطاليون الى جانب السوفييات واليوغوسلافيين والالبانيين واليونان والفرنسيين .

في صيف السنة ١٩٤٤ ، لم تعد اعمال الانصار هجمات فجائية او اعمالاً تخريبية فحسب بل

معارك حقيقية كمعركة « مونتيفيورنو » بين « ريحيو » و« مودينا » حيث صمد ٨٠٠٠ نصير في وجه ثلاثة فيالق المانية مزودة بمدفعية قوية ودبابات وقاذفات لهب ثم انسحبوا بعد قتل ٢٠٠٠ الماني . وفي اواخر الصيف كانت هناك مناطق محررة فعلا في ايطاليا الشمالية : الوديان العليا في البييمون و« مونفرا » ، وجزء من لومبارديا ، و« جمهورية توريليا » بين جنوى وبلينانس في ليفوريا ، ومدن الابنين الرئيسية بين بارم ومودينا في اميليا ، وكارنيا ، ومنطقة واسعة في « فريول » ، ولكن الهجوم الحليف على الخط القوطي قد فشل وفقد معه الأمل بتحرير ايطاليا الوسطى كلها في وقت قريب . فكان ان الانصار ، الذين تخلت عنهم القيادة الحليفة وأشارت عليهم في شهر تشرين الثاني بـ « التسرح » ، قد سحقوا وتفرق شملهم . ولعنهم تنظموا مرة اخرى في السهل اثناء شتاء ١٩٤٤ - ١٩٤٥ . فتجدد القتال في شهر آذار من السنة ١٩٤٥ وتم الاستيلاء مرة اخرى على المناطق المحررة من قبل . وفي شهر نيسان اندلعت الثورة الوطنية . واثناء تقدم الحلفاء هاجم الانصار الجيوش الألمانية المنسحبة في الابنين وانقضوا جنوى من التدمير . ثم ثارت ميلانو وتورينو ونحروا . وفي الثامن من شهر ايار ، حين توقفت العمليات الحربية في اوروبا ، كان عدد القتلى من الانصار قد بلغ ٤٦٠٠٠ وعدد الجرحى والمشوهين ٢١٠٠٠ ، يضاف اليهم ٣٠٠٠٠ ايطالي قتلوا في حروب العصابات خارج بلادهم .

اهتم الالمان بدورهم بتنظيم العصابات حين احدث خطر الغزو ببلادهم . ومنذ شهر نيسان من السنة ١٩٤٥ طلب الى الرجال المتميزين بمهارة وخبرة وشجاعة نادرة ان يستعدوا لمثل هذه الحرب . فكان ذلك الـ « وهرولف » المطلوب منها مواصلة القتال في جيوب المقاومة في الالب ، ولكن نشاطها لم يكن ذا شأن عمليا .

بعض مظاهر الحرب الخاصة
الحرب في روسيا
ان العمليات التي جرت في كل الفصول وفي كل المناخات ، طيلة خمس سنوات تقريبا ، قد ارتدت ، كما هو طبيعي ، مظاهر مختلفة كل الاختلاف . لا بل ان ظروف المحاربين نفسها ، وقد

تميزت ابدأ بالقساوة ، كانت كذلك مختلفة جداً .

في روسيا ارتدى القتال طابعا بالغ الفظاعة بفعل الظروف الطبيعية وشدة عناد الطرفين المتحاربين . وكان اتساع الرقعة الروسية وندرة خطوط المواصلات كافيين لتطلب مجهودا لحد له من المحاربين ومعداتهم (الشكل ١٧ ، ص ٣٨٦ - ٣٨٧) . فان ندرة القرى والشكبات ، واطار رجال العصابات الذين يخرجون فجأة ، وفي كل وقت ، من الغابات ليهاجوا المنفردين والمفارز الصغرى والقوافل ، قد اوجدت عند الغازي حالة عصبية متومرة وسببت له مشقات غير اعتيادية . وجاء المناخ يزيد في الطين بلة : ففي الصيف القبار والمسيرات المنهكة تحت اشعة الشمس المحرقة ، دون ماء في أغلب الاحيان ، وفي الربيع والخريف الامطار التي تحول الارض الى بحسيرات وحول يصعب السير فيها ، لا يقوى سوى الحصان على اجتيازها وتأمين قنوين غير مؤكد وغير كاف ، وتحول الطرقات وراطا ومستنقعات يغوص الانسان فيها فلا يستطيع التقدم ، وفي

فصل الامطار القرم الذي يجمد الدم في عروق الالمان المفتقرين الى الملابس الدافئة وحتى القفافيز احياناً ، ويعطل الاسلحة الذاتية الحركة ويجمد البنزين والزيت ، والحريف الذي يخفض الحرارة الى ٤٠ - او ٥٠ ° - ، والعواصف الثلجية التي يجب خوض معارك ضارية اثناء هبوبها ضد عدو لا يمكن على ما يبدو تصور جلده وطاقته على مقاومة العذاب وهمته القعساء في القتال . ويضاف الى الدمار الذي يخلفه الالمان اثناء تقدمهم ، التخريب الذي يأتيه السوفييات بانتهاجهم خطة « الارض المحرقة » ، ثم ذاك الذي يخلفه الالمان - بصورة منظمة - اثناء تراجعهم وانسحابهم .

فقد كتب « بولفوي » في اوكرانيا في السنة ١٩٤٣ :

« الارض كلها منطقة صحراوية . فبدافع نوع من البغضاء الجنونية احرق الالمان القرى احراقاً شاملاً ، وقطعوا اشجار البساتين ، واتلفوا المزرعات ومحو كل اثر لاقامة الانسان . وفي المزارع ، جمعوا الحارث والآلات الحاصدة والآلات الفاصلة ونسفوها بالمتفجرات » .

وفي المعارك الرهيبة التي خاضها الطرفان المتحاربان استخدمت جيوش واعتدة لم يشاهد مثل كشافتها وقوتها في اي بلد آخر . ففي شهر تموز من السنة ١٩٤٣ ، وصف احد الصحفيين الالمان معركة بيبالغورود كما يلي :

« بلغ عدد الدبابات المشتركة في المعركة في آن واحد حوالي ٢٥٠٠ دبابة ، وحي وطيس المعركة طيلة ثلاثة انهر وثلاث ليال ... سار في المقدمة الاختصاصيون الذين شقوا الطريق امام الدبابات وسط حقول الالغام ، وسارت وراء الدبابات مدافع الهجوم . ففتحت الدبابات الهجوم واطلقت نيرانها الى مسافات بعيدة . واضطر رماة القنابل تكراراً الى القفز من على الدبابات لتطهير الحقول من القناصة الروس المختبئين بين المزرعات والاعشاب . واكتشفت مدافع رشاشة تارة الى اليسار وتارة الى اليمين ، وحتى في المؤخرة احياناً . ومن اعالي الجو انقضت الطائرات ، واطلقت المدفعية نيراناً جهنمية متواصلة وارتدت المعركة طاباً من العنف لا يتصوره انسان ، والليل لم يوقفها . واضي السهل الواسع الاطراف اضاءة بحزقة بوميض الانفجارات ، وارتسمت في السماء خطوط مفاجئة تتركها القذائف المتشابكة وراها .. » .

في الشرق الاقصى في الشرق الاقصى لم تجر العمليات الحاسمة بحراً وجواً فحسب ، بل برأ ايضاً . وقد ارتدت في كل مكان طابع الضراوة القصوى . ففي الغابة والدغل ، حيث كانت شاقة جداً بفعل المناخ الوخيم ، توجب احباط المكائد اليابانية الكثيرة ، ومعرفة المسالك في وسط الآجام ، ومواجهة الاحابيل والنيران المطلقة من كل صوب ، وفي اغلب الاحيان ، من الاشجار التي برع اليابانيون في تسلقها والاختباء فيها والتعلق بثمنونها ، والتسلل الى الخطوط حيث تبلغ « فرقةهم الانتحارية » مجموعات المدفعية وتنسفها بالمتفجرات التي تقضي عليها وعلى المدفعية معاً . فنجم عن كل ذلك توتر عصبي لا يطاق وتعب مضم . واستمات اليابانيون في المقاومة ولم يخلفوا سوى عدد ضئيل جسداً من الأمرى : جنود جرحى او مرضى عاجزين عن القتال . ففي او كيناوا قتل ١٦٠٠٠٠ ياباني ولم يقع في الاسر سوى ٧٤٠٠ جندي . وفي شهر تموز من السنة ١٩٤٤ ، افنيت حامية جزيرة تينيان الصغيرة في ارنجيل الماريان ، قرب

سايبيان ، حيث استخدمت قنابل النابالم للمرة الاولى ، افناء تاماً ، وكانت مؤلفة من ٩٠٠٠ رجل . وفي بورما كانت النسبة ٦ اسرى مقابل الف قتيل . وفي كل مكان قاوم المدافعون حتى الموت هجوم الدبابات وقاذفات اللهب والمدفعية الثقيلة والطائرات . وحين انزل الطيران الاميركي بالاسطول والطيران اليابانيين خسائر لا تموض ، ظهرت « الطائرات الانتحارية » (كاميكازيه) التي يلقي ملاحوها بانفسهم مع طائراتهم على الاهداف المهاجمة ، ود القنابل الانتحارية « (باكا) ، الشبيهة بالصواريخ ١٧ ، التي يقودها حتى الهدف ملاحون ينفجرون معها . وشكل الاسطول من جهته وحدة « كاميشيو » من الطرايد الانتحارية التي يوجهها رجل او رجلان الى الهدف ، وزوارق محملة بالقنابل او الطوربيد تهاجم بها السفن ، وحتى سباحين يحملون مواد تنفجر عند اصطدامها بالسفن الاميركية .

الحرب ضد المدنيين
هوجم السكان المدنيون هجوماً مباشراً ومنظماً . فخلال الحرب العالمية الاولى عانوا من حرب الغواصات ، والحصار ، والاقتسارات المختلفة التي استهدفت سكان المناطق المحتلة ، والحرق الصريح للاتفاقات الدولية حول العمل الالزامي في صناعات الغازي الحربية او في اعماله التحصيلية . اما اليوم فقد عانوا مباشرة من قنابل الطائرات . ومنذ قبل السنة ١٩٣٩ ووجه احتمال قصف المراكز الصناعية الكبرى والعواصم بالقنابل . وارتقت خسائر مرتفعة في الارواح (في انكلترا ٦٠٠ ٠٠٠ قتيل مدني وضعفهم من الجرحى في الايام الستين الاولى) ، مما حمل الحكومات على وضع خطط لاجلاء السكان باعداد كبرى عن المدن الكبرى بغية تلافي الضرر واختلال نظام الادارات العامة : وبصورة خاصة اجلاء تلامذة المدارس والاولاد الصغار وامهاتهم . فمنذ شهر ايلول من السنة ١٩٣٩ اجلي في بريطانيا العظمى اكثر من مليوني شخص بينهم ١ ٥٠٠ ٠٠٠ طفل مع امهاتهم . وفي فرنسا اجلي سكان مدينة ستراسبورغ كلهم وعدد كبير من الالزاسيين واللورينيين ، وتلامذة كثيرون من مدارس باريس ، الخ .

وحين حدث الغزو ، حدث ما يشبه « الخروج » حين هرب ملايين الهولنديين والبلجيكيين والفرنسيين هائمين على وجهم ، تلقائياً وبدون نظام ، في طرقات تهاجمها الطائرات الانقضاضية بمدافع الرشاشة ، ودون موارد كافية احياناً . فاستقبلت مقاطعات فرنسا الغربية وحدها ٩٠٠ ٠٠٠ لاجيء توجب اعالتهم واسكانهم . وتسبب التقدم الالمانى في الاتحاد السوفياتي في مشاهد السكان الهاربين نفسها . وفي السنة ١٩٤٥ عرفت المانيا بدورها هذه الصفوف الطويلة من الهاربين الذين عرقلوا السير على الطرقات وتركوا على ضفاف ال « اودير » ، جنث الشيوخ والنساء والاطفال ، رغبة منهم في السير بمزيد من السرعة باتجاه الجنوب .

احدثت كافة الدول ، لمواجهة خطر القصف بالقنابل ، مصالحي « دفاع » سلمي دائمة استخدمت مئات الالوف من الاشخاص (٤٠٠ ٠٠٠ في فرنسا ، ١ ٢٠٠ ٠٠٠ في انكلترا) الذين كلفوا الاهتمام بفتح الملاجئ منذ بداية اطلاق صفارات الخطر ، واطفاء الحرائق ، ومساعدة

الجرحي، وتقديم العون لمن حرمتهم القنابل من مساكنهم ومن كل ما يملكون. ولكن الخسائر، على بعدها عن التقديرات، كانت فادحة: في انكلترا ٦٠.٠٠٠ مدني قتل و ٢٠٠.٠٠٠ جريح وبيتان مدمران او متضرران من كل ٧ بيوت، و ٩ من كل ١٠ في وسط لندن. وان القصف المتواصل الذي اخضعت له المانيا قد حول عدداً من المدن الكبرى، كـ «كارلسروه»، وشتوتغارت ومونيخ وبرلين ودرسدن الى حقول انقاض، واثت الحرائق الهائلة على عدة كيلومترات مربعة من مدينة هامبورغ. وعانت اليابان كذلك، حتى قبل قنبلي هيروشيما وناغازاكي وضحاياهما الـ ٢٠٠.٠٠٠، من تدمير الابنية والخسائر المرتفعة في الارواح خلال الغارات الكثيفة على طوكيو والمدن الصناعية.

الفصل الثاني

النظام الأوروبي والآسيوي الجديد

طيلة سنوات عدة ، احتل القسم الأكبر من أوروبا وقسم هام من آسيا ، واديرا واستثمرا على أيدي المنتصرين في الحرب الصاعدة : الألمان واليابانيين الذين أزالوا الحدود (الشكل ١٨) وأعلنوا عن رغبتهم في إقامة « نظام جديد » وإيجاد « نطاق ازدهار مشترك » يكون ضماناً للرفاهية والسلم . وكان هذا الشعار معداً لاختفاء استثمار الموارد للبشر الذي تستلزمه آلتهم الحربية . إلا ان المنتصرين استطاعوا ، الى جانب هذا الاستثمار ، تخطيط تطوير اقتصادي واجتماعي مبنياً على العنصرية والمبادئ « الفاشستية » .

١ - النظام الجديد الألماني

بموجب الاتفاق الثلاثي ، الذي عقد في شهر أيلول من السنة ١٩٤٠ بين ألمانيا وإيطاليا واليابان ، والذي وصف بـ « الميثاق العظيم للنظام الجديد » ، قبلت اليابان بسيادة ألمانيا وإيطاليا في أوروبا من اجل إقامة نظام جديد ، واعترفت لها حليفاتها بالهمة نفسها في آسيا . فماذا كانت المقصود بهذا النظام الجديد يا ترى ؟

ان خطب بعض الوزراء الألمان ، ومقالات الصحف وكتب الصحافيين النازيين تكاد لا تعطي اي ايضاح بهذا الصدد ، لا سيما وان الآراء قد تبدلت بتبدل احوال الحرب .

أما بحسب المبادئ الايديولوجية الواردة في « كفاحي » فقد كان المقصود إيجاد مناطق حيوية مؤلفة من عدد معين من « المجالات الكبرى » المستقلة سياسياً واقتصادياً والمرتبطة باتفاقات ثنائية ، لمصلحة بعض الأمم الجديدة بذلك . فتقام قبل كل شيء آخر وحدة اقتصادية بإدارة ألمانيا تحمل محل النظام الحر الفوضوي تخطيطاً مركزياً وتقسيماً دولياً للعمل ، ما أمكن التقسيم ، شبيهاً بذلك الذي نظمته الاتفاقات الثنائية المعقودة بين الـ « راينخ » وبلدان أوروبا

الجنوبية الشرقية قبيل الحرب . وبصورة عامة ، يستغنى عن تصنيع قسم من أوروبا غير الألمانية ، وتحتكر ألمانيا معظم الانتاج الصناعي في ارضها ، وتقدم أوروبا الشرقية والغربية المنتوجات الغذائية والاعلاف . وحين خيضت الحرب ضد روسيا فسر احتلال الاقاليم الشرقية بأنه وسيلة للمحافظة محافظة دائمة على المجال الحيوي لأوروبا الكبرى التي تديرها ألمانيا ؛ ولم تكن مهمة النظام الجديد محاربة البلشفية فحسب ، بل ضم هذه الأقاليم الى أوروبا واقامة « سور من الفلاحين » فيها بواسطة كل من يأتي لاستعمارها والاستقرار فيها . وتستمر الدول الصغرى في هذه المجالات الكبرى تحت ادارة شعب قائد تخضع له بحكم الطبيعة . ولكن اللهجة تبدلت بعد هزيمة ستالينفراد . فقد صرف النظر عن القيادة الألمانية في أوروبا وعن تنظيم الاقاليم الشرقية ، واقتصر الكلام على الدفاع عن أوروبا ضد الخطر البلشفيكي والمطامع الإقليمية السوفيياتية . ولن يبنى النظام الجديد على القوة بل على الحرية ، وسوف تكون الدول الصغرى والوسطى والمعظمى متساوية فيها بينها .

نجاح النصرية
اما هتلر فلم يحدد في يوم من الايام ما يقصده بالنظام الجديد . ولم يوضح قط ما يمكن ان تنتظره الدول المغلوبة من تسوية الصلح النهائية ، ولم يسلّم قط بعقد معاهدة صلح تستوفي شروطها القانونية ؛ ولم يخف قط تصميمه على ضم كل اقليم يمكن تشيله بالرقعة الألمانية . وكان أول عمل تلقائي قام به بعد هزيمة فرنسا الاسراع الى ضم شطر كبير من اراضيها الى الرايخ ، ثم قرر ارجاء هذا الضم املا منه بأن تساعد فرنسا المهزومة على محاربة انكلترا . وفي اواخر السنة ١٩٤٠ ، رسم مخططاً يقضي بتقسيم الامبراطورية البريطانية بين ايطاليا ، واليابان ، والولايات المتحدة ، وألمانيا (في افريقيا الوسطى) ، ثم عاد الى مشاريعه التوسعية القديمة في الشرق ، حين لم يحصل على العون الاسباني الضروري . ففي الشرق ، سوف تصبح المناطق البلطيقية المضمومة الى الرايخ منطقة استعمار للمستعمرين الالمان والدانماركيين والنرويجيين والهولنديين . وسوف تصبح اوكرانيا دولة حليفة ، والقفقاس دولة اتحادية يعين فيها مفوض سام الماني . وكل ما ليس المانياً ، كالحلفاء والتوابع والشعوب الخضعة ، يجب ان يؤول الى وضع دوني ، وضع سكان الامبراطورية الاستعمارية الاوروبية للرايخ الالماني الاعظم . وبهذه الروح نفسها ، اعتبر زمناً طويلاً ان الشعب الالماني وحده هو ما يجب ان يسمح له بحمل السلاح . ولم يسمح الا في المرحلة الاخيرة من الحرب باستخدام اسرى الحرب من قوميات الاتحاد السوفيياتي غير الروسية والجنود المنتمين الى الأحزاب المتعاونة والالمان . ولكنه لم يقل قط كلمة واحدة تسمح لحلفائه بالاعتقاد بأنه يعتبر مصيرهم مماثلاً لمصير الشعب الالماني . لقد عوملت الشعوب النيرلندية والفلمنكية والسكندنافية معاملة دونها معاملة الشعوب الاخرى ، لأنها اعتبرت فروعاً من العنصر الجرمانى ومعدّة للتمثيل . اما في الشرق ، فان الشعوب السلافية ، التي هي شعوب متخلفة ، فمصيرها المعلن هو الاستعباد والإبادة . ويجب ان تستثمر الحميات لمصلحة ألمانيا دون غيرها ، وسوف يبقى السكان الاصليون في ادنى مستوى

عقلي يمكن ، وسوف يكون الارهاب سبيل الحكم : « ان الجيوش التي يمكننا الاستعانة بها لتوطيد سيطرتنا على الاقاليم الشرقية لن تكون كافية بسبب اتساع هذه الاقاليم ... (فيجب) على الدولة المحتلة ان توحى الارهاب القادر وحده على إزالة كل رغبة في المعارضة عند السكان » . ففي المنطقة الغربية من بولونيا المضمومة الى الرايخ ، التي بلغ سكانها ١٦٠٠.٠٠٠ نسمة ، بينهم ١٢٠.٠٠٠ الماني فقط ، اقصى كل من ليس المانياً ، اي البولونيون واليهود ، الى الشرق في شتاء ١٩٣٩ - ١٩٤٠ ، والحق اقتصاد هذه الاقاليم باقتصاد الرايخ . وان الجزء الذي الف « الحاكمة العامة » كان مجرد بلاد استعمارية لم يحدد نظامها قط . وقد اوضحت التعليقات التي اعطاها غورنغ ان « كل الخامات والادوات الممكن استخدامها في الاقتصاد الالماني » يجب الاستيلاء عليها . وان « المشاريع التي لم تكن جوهرية للمحافظة على ادنى مستوى معيشي كاف للسكان يجب ان تنقل الى المانيا او ان تستثمر لمصلحة المانيا » حيث هي موجودة . وقد استهدفت التدابير التي اتخذها الحاكم العام « فرانك » وهمل القضاء على اليهود والطبقة البولونية المثقفة : فالبيت كافة مؤسسات التعليم العالي ، ولم يحتفظ للبولونيين الا بالتعليم الابتدائي والتقني . وعلى الصعيد الاقتصادي ، عريت البلاد واستثمرت لمصلحة الالمان وحاولت سلطات الاحتلال الحد من ارتفاع عدد البولونيين واضعاف العرق بسوء التغذية . كما حاولت في الوقت نفسه جرمسة بعض مناطق ولاية « لوبلين » بواسطة المستعمرين الالمان . ومنذ خريف السنة ١٩٣٩ نقل عمال بولونيون كثيرون الى المانيا ، وبلغ عددهم زهاء المليون في شهر آب من السنة ١٩٤٢ .

في ال « اوستلند » والاقاليم السوفياتية الاخرى ، انتهج الالمان السياسة للفظة نفسها ، الا في الجمهوريات البلطية الثلاث التي كان الاتحاد السوفياتي قد ضمها في السنة ١٩٣٩ والتي عومل سكانها معاملة اقل سوءاً لأنهم اعتُبروا انساباً في العرق . اما روسيا البيضاء واورانيا فقد عانت من مصير اشبه بمصير بولونيا . فقد الفت اوكراينا « مفوضية المانية » لم يسند الى الاوكرانيين فيها سوى ادارة شؤون القرى والنواحي . واحتل الالمان كافة المراكز الادارية المتوسطة والعليا . وان روزنبرغ ، وزير الاقاليم الشرقية المحتلة ، الذي كان راغباً في اقامة دول تكون بمثابة صمام امان بين الرايخ والاتحاد السوفياتي ، والذي سعى وراء تشجيع قومية اوكرانية ، قد اصطدم بمفوض الرايخ ، « اريك كوخ » ، الذي جاهر بأنه لا يسعى وراء إقامة « اوكرانيا حرة » بل وراء « تشغيل الاوكرانيين لمصلحة المانيا » . وقد قال في كييف في الخامس من آذار ١٩٤٣ .

« لم آت الى هنا لاشيع السعادة ، انما جئت لابعاد الفومرر ... لنا هنا لنأتي بالن ، بل لايحاد قواعد النصر . نحن عرق اسياح عليه ان يتذكر ابداً بان اوضع عامل الماني يفضل الف مرة سكان هذه البلاد اجتماعياً وبيولوجياً » .

فاستهدفت سياسته من ثم اضطهاد المثقفين الاوكرانيين اضطهاداً منظماً بغية حرمان الشعب من قاداته ، والقضاء على مظاهر القومية الاوكرانية واستثمار الفلاحين ما امكن الاستثمار لمصلحة المانيا . واراد روزنبرغ إعادة حق تملك الارض وتطبيق « النظام الجديد الزراعي »

بشعوب التعاونيات الانتاجية الى مزارع اقليمية وتعاونية ، ولكن كوخ ، الذي كان يتوخى ملء اوكرانيا بالاستثمارات الالمانية الكبرى التي تستخدم اليد العاملة المحلية المأجورة ، أسس شركة خاصة استثمرت هذه المزارع الاقليمية الجديدة كما تستثمر المزارع النموذجية الكبرى : في عمية بوهيميا - مورافيا حيث سبق لهتلر ان قرر تمثيل نصف السكان - بتشتيت العمال التشيكيين في مناطق الرايخ المختلفة بنوع خاص - وابعاد النصف الثاني ، ولا سيما العناصر « المفولية » (٢) ورجال الفكر ، اقفلت الجامعات التشيكية لمدة ثلاث سنوات منذ شهر تشرين الاول من السنة ١٩٣٩ . وجرمنت المدارس الثانوية وحقq الابتدائية تدريجياً . ومن جهة ثانية سهلت غارات الطائرات الحليفة على المانيا جرمنة البلاد بدفعها العديد من الالمان الى نقل مشاريعهم الى بوهيميا حيث تمتعوا بحق الحصانة الدولية .

وفي الشرق خضعت كافة القضايا الجنائية ومعظم القضايا المدنية ، التي اشتركت فيها فئات الالمان المختلفة ، من مواطنين ، ورجال دولة ، ولمان اصليين او منجدرين من اصل الماني ، لاحد القضاة الالمان وللقانون الالماني . كما ان النظر في بعض المخالفات المرتكبة ضد السلطة المحتلة وقراراتها والحزب النازي والمنظمات الملحقة به ، قد حصر في المحاكم الالمانية مهما كانت قومية المتهم المدعى عليه . والمحصرت صلاحية المحاكم المحلية في القضايا المدنية بين الاطراف غير الالمانية وفي القضايا الجنائية ، واحتفظ للمحاكم الالمانية بحق اعادة النظر في احكامها .

« امبراطورية الـ S. S. » في الواقع لم يوضع قط مخطط شامل ومتناسق لتنظيم اوروبا الالمانية تنظيمياً نهائياً . فقد رسمت توجيهات كبرى عامة جداً : اباداة اليهود ، ابعاد « الماركسيين » : شيوعيين ، واشتراكيين وبنسائين احرار ، والقضاء على المبادئ الديمقراطية والنقابية ، واعادة تنظيم الاقتصاد الاوروبي لمصلحة الرايخ بحيث يؤمن للشعب الالماني دور قيادة ممتاز في وسط الشعوب المستعمرة المقنصر نشاطها على الزراعة فقط . واذا ما انتهجت سياسة شاملة ما فان الفضل في انتهاجها يعود الى ادارة الـ S. S. (مصالح الامن) . فقد الفت هذه الادارة دولة ضمن الدولة ولم تخضع لقوانين الرايخ وحتى لانظمة الحزب ، وكان لها تسلسلها الاداري الخاص ودوائر أمنها ، المستقلة ، فكانت السيدة المطلقة على الشعوب الخضعة . ففي كافة البلدان المحتلة اشرف على الشرطة احد كبار ضباط الـ S.S. الذي كان واثقاً من ان الكلمة الاخيرة ستكون له حين تنشب الخلافات بينه وبين السلطات المدنية والعسكرية المحلية . اما رئيسها هملمر ، الذي كان رئيساً لـ « هنزرب » (ومكلفاً الدفاع عن « الدم والارض والعرق ») ، فقد عين في السنة ١٩٣٩ واعطي صلاحيات مطلقة واسندت اليه مهمة تنظيم استعمار البلدان المحتلة ، اي امكانية اعادة رسم خريطة اوروبا الديموغرافية والعنصرية . وفي السنة ١٩٤٢ اعطي صلاحية الاشراف على الجماعات القومية الجرمانية في الدانمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا ، وحق الرقابة ، لا على المنظمات النازية الميول فحسب ، بل على ادارات الرايخ الرسمية في هذه البلدان ايضاً . وتحت اشرافه قامت ادارة الـ S.S.

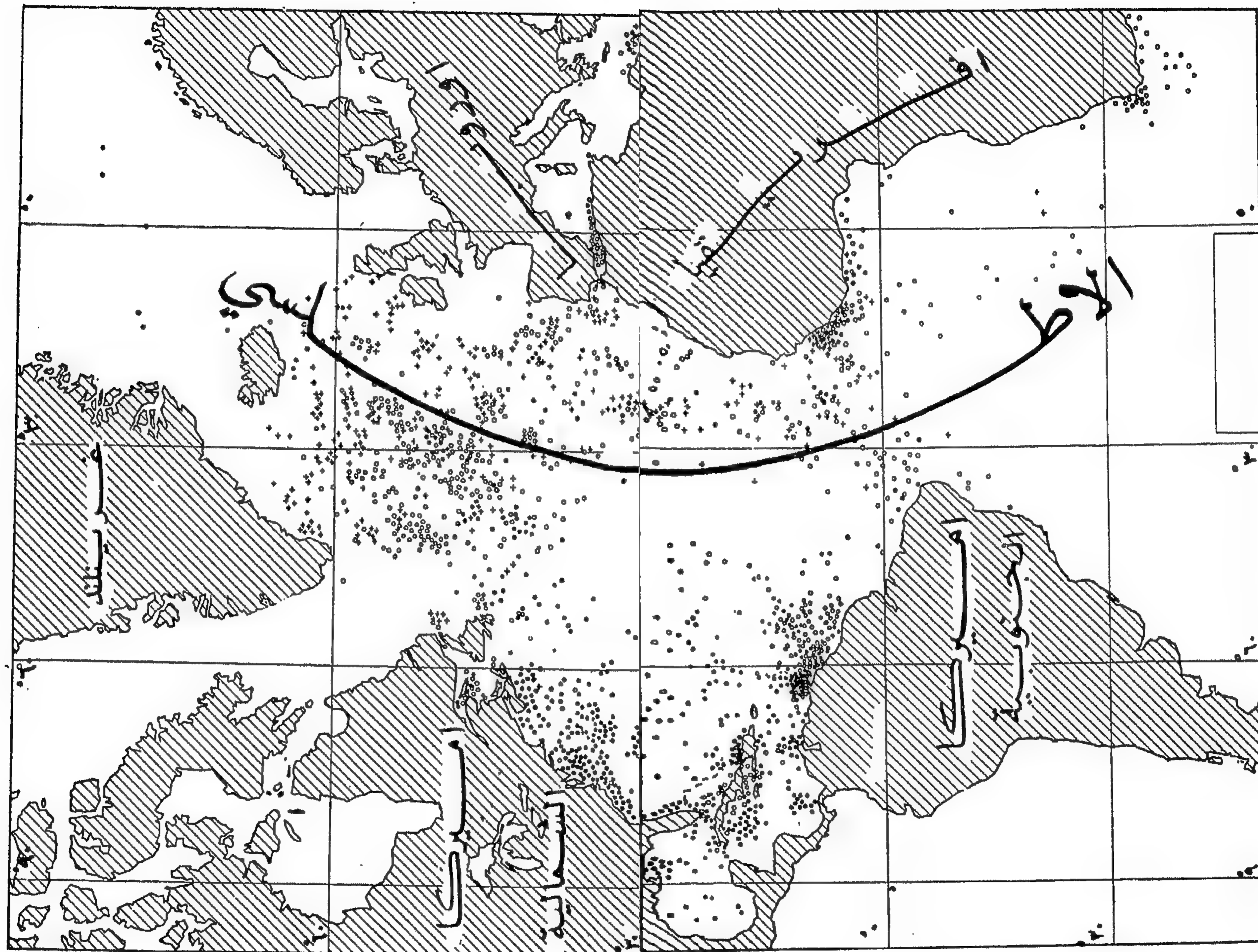
بارساخ السيطرة الالمانية سياسياً واقتصادياً بتوطينها ، في نقاط مختارة ، الأقليات الألمانية المتشتملة في أوروبا ، التي أعيدت الى الرايخ : في الاراضي البولونية المضمومة ، والد « وورتلند » ، والالزاس - لورين ، واللوكسمبورغ ، وسيليزيا العليا ، وكارنيول العليا ، وستيريا السفلى . واجتمعت ادارة الـ s. s. كذلك في اعادة الجماعات المرغوب فيها عنصرياً الى « الشراكة الجرمانية » : الالمان المنصهرون في الشعب التشيكي والشعب البولوني وانسال المهاجرين الى السويد من الالمان ... وقد عبأت من بين هذه الجماعات « جنود الاصطدام في النظام الجديد » : الـ *Waffen s. s.* . ولم تصرف النظر عن هذا التجنيد المرتكز الى اعتبار عنصري ، مستعينة بالعناصر غير الجرمانية التي استثمرت خوفها من البلشفية ، الا بعد معركة ستالينغراد .

ان النظام الجديد ، المبني على تفوق العرق الجرمانى واستثمار أوروبا على أيدي الابادة « شعب السيادة » واحتقار واستعباد كل ما ليس المانياً ، قد اقتضى ، بالإضافة الى ذلك ، القضاء « الطبيعى » على كل من يعتبرون خطراً طبيعياً أو ادبياً على الرايخ الثالث . وكى يتأسس تأسيساً راسخاً « لألف سنة » ، كان من الضروري القضاء على كافة أعدائه بدون شفقة .

بين الالمان « عقيم غير » الاجتماعيين ، والمنحطون والمعتوهون والفاسدون جنسياً ؛ امسا « الهراطقة » الماركسيون أو الاحرار فقد سجنوا وأعدموا الحياة . ففي المعسكرات التي اعتقلوا فيها لم تلبث المعاملات السيئة وسوء التغذية والعمل المضني ، التي اخضعوا لها ، ان حطمتهم معنوياً وجسمانياً وقادتهم الى الموت . واما اليهود الذين كان القضاء عليهم فكرة متسلطة على نخيلة هتلر فقد فجعوا بقوانين نورمبرغ في السنة ١٩٣٥ ، المكملة بمراسيم السنتين ١٩٣٧ و ١٩٣٨ التي حكمت عليهم بالموت البطيء . وأثناء الحرب اشتدت هذه السياسة وتناولات فئات اجتماعية وقومية اخرى ، كالنور والسلافيين عموماً وكافة الشعوب المعتمدة متخلفة . فبالاضافة الى التدابير المعدة للحيلولة دون تكاثرهم : كالتعقيم والاجهاض وفصل الرجال عن النساء ، لم يتراجع هتلر امام تقتيلهم ، كما شرح ذلك لـ « روشنف » :

« اذا كان بوسعي ارسال نخبة الشعب الالماني الى جميع الحرب دون اية شفقة على اوراق الدم الالماني العزيز ، فليس من شك في ان من حقي القضاء على ملايين الاشخاص المنتسبين الى عرق متخلف يتكاثر تكاثر القمل والبراغيث والبق وغيرها من الهوام » .

اهملت من ثم ، اكثر فاكتر ، اساليب الموت البطيء ، واعتمدت طرائق اسرع نتيجة تطبق مخططاً منظماً للابادة . فبينما فرغت مدن المانية كثيرة من طرد اليهود الباقين فيها متباهية « بنخلوها من اليهود » ، طبقت على يهود البلدان المحتلة قوانين نورمبرغ . وخلال اسابيع الحرب البولونية الثلاثة ، قتل افراد الـ s. s. واعداء السامية البولونيون ٢٥٠.٠٠٠ شخص منهم ، وصودرت ممتلكاتهم ، وعينت لهم حصص غذائية زهيدة جداً ؛ وزربوا في احيائهم او نقلوا الى المانيا لتأدية اعمال الزامية . ومنذ شهري ايار وحزيران من السنة ١٩٤٠ عانت الجماعات اليهودية



الشكل ١٥ - توزيع السفن التجارية المفرقة في الاطلسي

- ١- بين ١٥ اذار ١٩٤١ و ١ كانون الثاني ١٩٤٢
- ٢- بين ١ كانون الثاني ١٩٤٢ و ٣١ تموز ١٩٤٢
- ٣- بين ١ آب ١٩٤٢ و ٣١ ايار ١٩٤٣

في الدانمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا واللوكسمبورغ وفرنسا بدورها من المصير نفسه ، ويدخل في عدادها الوف اللاجئين الالمان والنمساويين الذين وقعوا في ايدي النازيين . وعرفت الدانمارك وحدها تشريعاً خفيف الوطأة ضد الساميين بفضل معارضة الملك . اما في فرنسا فقد عمل بنظام شبيه جداً بالنظام الالماني . وفي كل مكان اتخذت التدابير المعادية للسامية على انصورية التدرجية نفسها : نفى اليهود اللاجئين ، فرض غرامات ثقيلة وتبرعات الزامية على الآخرين ، مظالم شتى جعلتهم يؤولون الى حال البهائم المطاردة ، مصادرة الممتلكات الخاصة والمؤسسات الثقافية ، حرمان من الحصص الغذائية العادية . وبعد الهجوم على الاتحاد السوفياتي ، اشتدت الاقتسارات والمظالم ، واعتبر استتبع اباداة اليهود امراً واجباً للوصول الى « حل نهائي » للمسألة اليهودية . فأحدثت للقضاء عليهم فرق خاصة مجهزة بشاحنات غاز تتيح لها اباداة ضحاياها باعداد كبرى . وانشىء المزيد من معسكرات الاعتقال التي جهزت بغرف غاز واقران احراق في « تربلنكا » و « مايدانيك » ، و « بوكنوولد » ... ولا سيما في « اوشويز » حيث امكن امائة ٢٠٠٠ شخص بالغاز دفعة واحدة في مدة نصف ساعة ، وتنفيذ العملية نفسها اربع مرات في اليوم . ففي غرف الغاز هذه هلك ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ ضحية بينما مات ٥٠٠ ٠٠٠ من الحرمان وشظف العيش .

في معارك اوكرانيا وبسارابيا ، حيث اشترك الرومانيون في حركات شعبية ضخمة ضد اليهود ، مات اكثر من مليوني يهودي قتلاً . وكان العمل الاخير تدمير احياء اليهود . ولكن يهود « لودز » قد نجوا من الابداء بسبب الحاجة الى اليد العاملة في مصانع النسيج . اما في فارصوفيا حيث ما زال هناك ٤٠٠ ٠٠٠ يهودي في السنة ١٩٤٢ ، فقد اندلعت ثورة يائسة حين اراد الالمان ، في كانون الثاني من السنة ١٩٤٣ ، تصفية الـ ٤٠ ٠٠٠ يهودي الباقين على قيد الحياة . فاقتضى لهم ٤٢ يوماً من المعارك الضارية لآبادتهم . وهكذا بين السنة ١٩٣٩ والسنة ١٩٤٥ ، مات قتلاً اكثر من ستة ملايين يهودي (عباد ٦٠٠ يهودي هولندي من اصل ٩٠ ٠٠٠ منفي ، اي اقل من ٧٠٪ . وعاد ٢٨٠٠ يهودي فرنسي من اصل ١١٠ ٠٠٠ ، اي ٢٠٪) .

« معسكرات الموت » ان تدابير الابداء المنظمة هذه استهدفت « اهداء » الرايخ الآخرين ايضاً . فالعذابات والعمل الالزامي وسوء التغذية (بين ٦٠٠ و ٧٠٠ وحدة حرارية في اليوم في بوكنوولد) ، والاعدام للعاجزين عن العمل ، كانت المصير الذي ينتظر الماركسيين والمقاومين والسلافيين والمظليين الحلفاء والاسرى الفارين . وقد نفذت هذه الابداء المنظمة في معسكرات الاعتقال التي مرت فيها زهاء عشرة ملايين ضحية ، زال اثر القسم الاكبر منها ، ولا سيما خلال الاشهر الاخيرة من الحرب - اذار ونيسان ١٩٤٥ - اذ نظمت في كل مكان عمليات تقتيل واجلاء بالجملة في ظروف وحشية رهيبة . فقد تعرض المعتقلون لعبودية مطلقة ، ولم يكن لهم من ملاذ يقيهم مظالم الـ « كابوس » - رؤساء

فرق اختيار جالهم من بين الالمان المحكومين وسعوا جهدهم لاذلالهم واساءة معاملتهم - وافتهقروا الى الغذاء واللباس ، واخضعوا لنظام قاس ، وارغموا على القيام بأعمال شاقة وخيمة في المعامل والمصانع ، فهاقوا ضعفاً او ضرباً ، وحكم على المرضى والسقياء منهم بالموت في غرفة الغاز او فرت الاحراق حيث كانوا يختفون دون ان يتركوا اي اثر . وقد وصف لنا الحياة في المعسكرات الشهود الذين عادوا من هذا « الجحيم المنظم » ؛ وليس سوى التضامن والحياة الداخلية القوية ما انقذ اولئك الذين اتاحت لهم قوتهم الجسدية والمعنوية احتمال العذاب والعناء ؛ الا ان النضال السري الذي استطاع « السياسيون » - ولا سيما الشيوعيون - من كافة الجلسيات ، المنظمون في الخفاء ، القيام به ضد اسيادهم الـ « S.S. » وعملاتهم محكومي الحق العام ، من اجل قبض زمسام الامور في المعسكرات (امانة السر ، رعاية المرضى ، رقابة التجمعات) ، قد ساعد على انقاذ حياة العديد من المعتقلين .

ابتداء من السنة ١٩٤١ ، لم يعد الهدف الرئيسي للمعتقلات اباداة اعداء الرايخ فحسب ، بل اصبح لها هدف اقتصادي ايضاً . فان اليد العاملة الاجنبية التي لم تفلح ادارة العمل الالزامي وجهود « سوكل » ، المفوض العام لليد العاملة ، في احضارها الى المانيا ، قد تعززت بمئات الالوف من العبيد الذين وجهتهم الـ « غستابو » نحو ١٥ معسكراً كبيراً : « داشو » ، « فونزهايم » ، « دوتوزن » ، « رافنسبروك » ... ، واكثر من ٩٠٠ معسكر ثانوي . فاستخدموا بصورة خاصة في المعامل المنشأة تحت الارض ومعامل المنتجات الكيميائية ، دون تحديد لمدة العمل ، حتى النهمكة التامة . واسندت الاعمال الى الرجال الاقوياء دون غيرهم ؛ اما الشيوخ والنساء والاولاد فقد سيقوا مباشرة الى غرف الغاز . واستخدم بعض الاسرى للاختبارات الطبية : فقد اختبر بعض اطباء الـ « S.S. » فيهم تأثير الضغوط المنخفضة على الطيارين المحلقين على ارتفاع عظيم ، او تأثير التجمد على الغريق . ولقّح بعض السجناء والسجينات الاصحاء بحراثم الامراض ، كالتييفوس والسرطان والملاريا ، المرغوب في مراقبة تطورها ، واختبرت فيهم ادوية جديدة (جربت مؤسسة « باير » مخدراً في ١٥٠ يهودية قضين كلهن) ، واستخدم الرجال والنساء محل الارانب لاجراء الاختبارات : « احدثت قروح والتهابات بحقن منتجات بترولية تحت الجلد . وقتل التوائم بغية « تشريحهم » واجريت اختبارات تشريح اشخاص احياء . ومن لم يميت بهذه الطرق حقن بالفينول النقي في القلب .

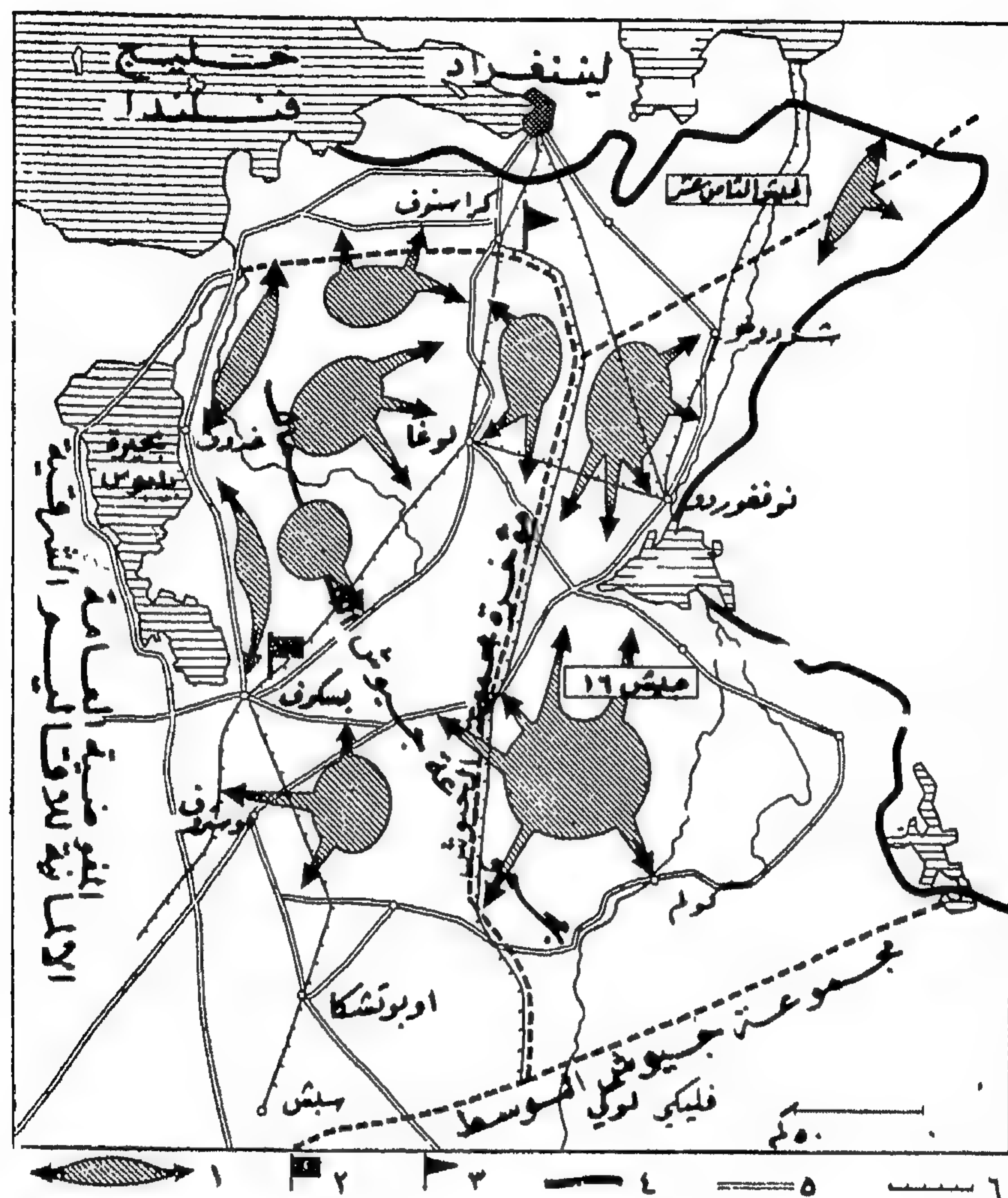
لجميع هذه الاسباب كان عدد الوفيات مرتفعاً جداً ؛ ففي رافنسبروك كانت نسبة الوفيات ٢٤٪ في السنة ١٩٤٣ ، فارتفعت الى ٦٠٪ في السنة ١٩٤٥ ، وزادت ارتفاعاً في الشهرين الاخيرين . ومن المعلوم اليوم ان الجيوش البريطانية ، حين دخلت الى معسكر « برغن - بلسن » ، قد شاهدت مستودعاً ضخماً للبحث يضطجع فيه ، بين ٣٣.٠٠٠ جثة ثلثة تنتشر منها الروائح الكريهة و ١٠.٠٠٠ مصاب بالتييفوس يلفظون انفاسهم الاخيرة معانين عذابات العطش .

استثمار البلدان المحتلة
احتل استثمار البلدان المحتلة (الشكل ١٩) مركزاً هاماً في اقتصاد
الحزب النازي . فحين امكن استخدام الطاقة الصناعية في البلدان
المحتلة للمساعدة على بلوغ اهداف الحرب الالمانية ، ابقى على الانتاج ، لا بل عززا حيناً ؛ اما
اذا استحال ذلك فيضحي به : فان الصناعات النسيجية والزجاجية المتوفرة في المانيا قد اوقفت ،
وحين توجب توزيع المواد الاولية على الصناعات ، كان للصناعات القائمة في الارض الالمانية حق
الأولية في استلام نصيبها من هذه المواد والمعدات واليد العاملة . وفي كافة الاراضي التي سقطت
تبعاً في ايديهم ، اتخذ الألمان التدابير الأولية نفسها : تعتمد الدوائر التابعة لمصلحة الحرب
الاقتصادية ، والمرافقة جيوش الغزو ، الى لاستيلاء على مخزونات المواد الأولية والمنتجات
المصنوعة واعادة تسيير المصانع . وكانت تتخذ بعد ذلك تدابير مختلفة باختلاف البلدان المحتلة
ومركزها المستقبل في « النظام الجديد » ، موزعة الى اربع فئات : البلدان المضمومة او المنوي
ضمها الى الرايخ : الألزاس - لورين ، اللوكسمبورغ ، محمية بوهيميا - مورافيا ، سيليزيا العليا
البولونية . البلدان الاستعمارية : حاكمية بولونيا العامة ، البلدان البلطيقية . المناطق المحتلة في
اوروبا الغربية . فرنسا حكومة فيشي .

الصناعة
في بلدان الفئة الاولى ، اخذ الالمان على عاتقهم الاشراف المباشر على الحياة
الاقتصادية ؛ الا ان التشيكيين قد احتفظوا ، في المحمية المعتبرة مستقلة استقلالاً
ذاقياً ، بنصيب غير مستقل من الادارة . وحدث الشيء نفسه في بلدي اوروبا الجنوبية الشرقية ،
صربيا واليونان ، حيث شكلت حكومات صورية . وفي الحاكمية العسامة والاراضي الشرقية
المحتلة : الدول البلطيقية ، وليتوانيا ، وروسيا البيضاء واوكرانيا ، حيث لم يقيم اي جهاز حكم
ذاتي ، ادير الاقتصاد كما لو كان جزءاً لا يتجزأ من اقتصاد الرايخ ، فاسندت الى شركات تتمتع
بمقوق احتكارات رسمية وترتبط بالمشاريع الالمانية الكبرى ، مهمة استثمار الموارد في الاطوار
الذي تعينه سلطات الرايخ . اما في البلدان المضمونة ، فان الصناعات قد اُلحقت باقتصاد الرايخ
الحاقاً مباشراً وكلياً ، وقد عزز بعضها حين كان من شأن بعضها ان يجعلها في مأمن نسبياً من
الغارات الجوية : كانت هذه حال مصانع سكودا ومصانع الاسلحة في « برنو » ومراكز سيليزيا
العليا البولونية ، حيث انمي استثمار الفحم الحجري وانشئت مصانع بنزين تركيبي . واما في
البلدان الاستعمارية فقد اقتصرَت الصناعة على انتاج المواد الأولية والمحاصيل الضرورية لتموين
القوات المسلحة والحاجيات الضرورية جداً لحاجات السكان .

في الاقاليم التي لم تكن لا معدة للضم الى الرايخ ولا معتبرة منطقة استعمارية : البلدان
السكندنافية ، وبلجيكا ، وهولندا ، وفرنسا ، وايطاليا الشمالية بعد ايلول ١٩٤٣ ، ابقيت
ادارة الاقتصاد في ايدي السلطات المحلية التي كانت تتلقى من الالمان توجيهات عامة ؛ وقد
انشئت الى جانب كبار موظفي الادارات المحلية دوائر المانية غالباً ما اقامت في الابنية نفسها
لمراقبة تنفيذ التدابير المتخذة .

استخدمت كافة الصناعات القادرة على توفير الاسلحة والعمل لمؤسسة « تودت » او لحاجات الرايخ ؛ فله صلحة هاتين الفئتين الاخيرتين اقتطعت نسبة عاليا من انتاجها ، كما في فرنسا مثلا :



الشكل ١٦ - مناطق تحت سيطرة العصابات وراء الجيوش الالمانية في الشمال في كانون الاول ١٩١٨ .

١ - مناطق تحت سيطرة العصابات واتجاهات هجبتها ، ٢ - مركز قيادة مجموعات الجيوش ، ٣ - مركز قيادة الجيش ، ٤ - الجبهة ، ٥ - طرقات ، ٦ - خطوط حديدية .

٧٥ ٪ من الالومينيوم والنحاس ، ٨٠ ٪ من البترول ، ٤٠ ٪ من البوكسيت ، ٣٨ ٪ من المطاط ، ٥٩ ٪ من الصوف ، ٥٣ ٪ من القطن ، ٦٧ ٪ من الجلد ، ١٠٠ ٪ من الادوات الدقيقة ،

٩٠٪ من انتاج مصانع الطائرات ، ٧٥٪ من انتاج مصانع السفن ، ٧٠٪ من السيارات ، ٤٥٪ من الاجهزة الكهربائية واجهزة الراديو ، الخ . وقد توفرت للامان وسائل ضغط لا تقاوم . فانهم قد اشرفوا على كافة مصادر التموين بالمواد الاولية ، بحيث كان كل مصنع لا يريد اقفال ابوابه مضطراً لاستلام المواد الاولية منهم ، واجازات الاستيراد والتصدير عند الحاجة ؛ واشرفوا كذلك على كافة المصارف ، فكان من ثم بوسعهم رفض الاعتمادات الضرورية ؛ وقد اتاحت المبالغ الطائلة التي وفرتها لهم ضرائب الحرب اخيراً عرض اسعار مرتفعة جداً للمؤن التي كانوا بحاجة اليها . وفي حال الرفض ، كان المصنع يتعرض لخطر تفكيك آلاته ، كما تتعرض المعدات غير المستعملة لخطر المصادرة والنقل مع العمال الى المانيا .

في الوقت نفسه اتسعت المساهمات الصناعية الالمانية اتساعاً
الاستيلاء على المشاريع كبيراً جداً في كافة أنحاء أوروبا: فقد بسطت المصارف والمصالح الحكومية والمشاريع الخاصة سيطرتها على مؤسسات اجنبية كثيرة، ولا سيما في البلدان المضمومة وبلدان أوروبا الجنوبية الشرقية ، بالشراء والمصادرة والحجز . وكثرت المصادرات بصورة خاصة في الأراضي السوفياتية حيث اعلن الرايخ نفسه خليفة الدولة السوفياتية ، ومن ثم صاحب كافة الممتلكات . وقد انتقلت هذه الأخيرة الى الشركات الاحتكارية التي استتتها الدولة الالمانية ، والمؤسسات التعاونية للصناعيين الالمان المتصرفين تصرف عملاء للرايخ . وأجبرت بعض المصانع لمؤسسات ألمانية كبرى : مانسمان ، سيمنس ... وفي الحاكبة العامة صودرت كذلك ممتلكات الدولة البولونية القديمة ، وصودرت في كافة المناطق المحتلة ، كما هو طبيعي ، ممتلكات اليهود و « اعداء الرايخ » .

في أوروبا الغربية انتهجت المانيا طريقة المشتريات « العادية » ، ولكن مركزها المسيطر غالباً ما فرض المعاملات والصفقات التي ترغب فيها ؛ فاقدمت على مشتريات مساهمات ، حتى في المشاريع المتوسطة الاهمية ، في الدانمارك وهولندا . واتخذت التدابير لرفع يد الفرنسيين والبريطانيين عن اموالهم الموظفة في أوروبا الجنوبية الشرقية : فقد ارغم اصحاب الاسهم المالية على بيعها بالسعر الذي يحدده الالمان ، والا تعرضوا لمصادرتها منهم . وهكذا اضطر مصرف « ميرابود » للتخلي عن الاشراف على مناجم « بور » للمصرف البروسي . وأسس الالمان كذلك شركات مختلطة كان لهم فيها الحصة الكبرى ، وارغموا المغلوبين على الانضمام الى الاتحادات الالمانية (اتحاد الزجاج ، واتحاد الاسمنت) . وانتهجوا كذلك طريقة مشتري المؤسسات المصرفية المستفيدة استفادة كبرى من المشاريع الصناعية ، فحققوا بذلك الاشراف على عدد من المصارف الكبرى في الحمية والبلدان البلطيقية ويوغوسلافيا وبولونيا وهنغاريا وهولندا .

رقابة الزراعة
حدث في البلدان المحتلة ان ادارة الزراعة والتموين التي انشئت منذ
اوائل الحرب قد عززت وماتلت على العموم الادارة القائمة في المانيا .

فقد اخضعت اوروبا البرية كلها لقانون تحديد المساحات الواجب زرعها والحبوب الواجب بذرها والكميات الواجب تسليمها للتموين . وانشئت في كل مكان مؤسسات تعاونية بلدية ، مستوحاة من المؤسسات الالمانية ومكلفة تنفيذ اوامر السلطة المحتلة : التعاونية القروية في فرنسا وبلجيكا والـ « بوند سامبند » في النرويج . . . ونظم التقنين بحسب المبادئ الالمانية : تقنين مطلق تناول الحنطة والطحين والحبوب والاحوم والحليب والمواد الدهنية ، والبطاطا احياناً ، باسماء تختلف باختلاف المستهلكين . وكان التقنين اشد قساوة في الدانمارك واكثر فعالية في اوروبا الشمالية والشمالية الغربية منه في فرنسا وايطاليا . وفي كل مكان كانت نسبة النخالة في الطحين مرتفعة ، وبلغت ٩٠ ٪ احياناً ، الامر الذي استتبع تحضير خبز صعب الهضم كزبد المذاق ، وفرزت الكثافة عن الحليب ، وحدد استهلاك اللحوم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان ظروف الزراعة لم تلبث ان ساءت ، وان تعذر العناية بالمعدات الزراعية واستخدام الاسمدة الكيميائية (ولا سيما بعد نزول الحلفاء في افريقيا الشمالية) قد خفض المحاصيل بحيث هبط الانتاج الزراعي — كما في الحرب العالمية الاولى تقريباً — بنسبة ١٠ ٪ عموماً في المرحلة الاولى من الحرب ، و ٢٥ ٪ حين وضعت الحرب اوزارها . اجل لم يبلغ معدل النقص النظري في كمية الوجعات الحرارية اكثر من ربع مستواها في السنة ١٩٣٨ ، ولكن الفلاحين استمروا في التغذي كما قبل الحرب ، ولما كانت الحصص التي اعطيت للقائمين بالاعمال الالزامية اكبر حجماً ، فقد تاه النقص بوطاته على سكان المدينة من غير العمال ، والمستخدمين والاولاد والشيوخ ، حين لم تتوفر لهم موارد كافية لشراء موادهم الغذائية من السوق السوداء ؛ فاضطر ملايين الاشخاص من ثم للاكتفاء باقل من ٢٠٠٠ وحدة حرارية في اليوم ، اي اقل من ١/٤ او ٢/٣ الكمية في السنة ١٩٣٨ ، وقد حصل النقص في الدرجة الاولى في المواد الدهنية والبروتينات الحيوانية ، وفي الدرجة الثانية في مركبات الهيدروكربيد والبروتينات النباتية . وفي كل مكان ، باستثناء الدانمارك ، كانت الحصص غير متساوية ، واقل منها في المانيا . ففي بولونيا استلم سكان المدن اقل من نصف الحصص الموزعة في المانيا على الفئات المماثلة من المستهلكين . وفي السنتين ١٩٤١ و ١٩٤٢ انخفضت هذه الحصص لمعظم السكان في منطقة ائينا — البيرييه الى ٦٠٠ — ٨٠٠ وحدة حرارية متسببة في حوادث وفاة كثيرة بفعل الجوع .

كان لكل ذلك نتائجه الطبيعية على صحة السكان : انخفاض وزن الجميع مع تأخر في نمو الاولاد ، وخرابة ، واضطرابات معوية ، ووذمات الجوع في اكثر المناطق اصابة . وارتفعت نسبة الوفيات بين الاطفال ، كما ارتفع عدد المصابين بالتدرن الرئوي : الا ان الحسائر في الارواح كانت على العموم اقل منها في الحرب العالمية الاولى بصورة محسوسة .

العمل الالزامي استخدمت اليد العاملة في البلدان المحتلة محلياً ، إما في بناء التحصينات (سور الاطلسي ، سور ليفوريا بين طولون ولاسبيزيا) في اطار مؤسسة « قودت » التي شغلت زهاء ٧٠٠ . ٠٠٠ عامل اجنبي ومسؤول الماني في شهر ايار من السنة ١٩٤٣ ، وإما في المصانع الحربية-العاملة لمصلحة المانيا التي توصلت في السنة ١٩٤٤ الى انتاج ٢٥ - ٣٠ ٪ من الاسلحة الالمانية وتشغيل زهاء ٣ ملايين عامل ، واستخدمت كذلك خارج الرايخ .

وفي معاملة العمال الاجانب ، استوحيت السلطة الالمانية مبدأ تفوق العرق الالمانى :

« انا لا اكرث البتة لما يحدث للروسي او للتشيكي ... ولا اهتم لازدهار حياة الامم ارمونها خوفاً الا بنسبة حاجتنا الى استعبادها لمصلحة « ثقافتنا » والا فليس لها في نظري اي شأن . واذا ما سقطت ١٠٠٠ امرأة روسية منهوكة من حفر خندق مضاد للدبابات ، فان ذلك لا يهمني الا بنسبة انجاز حفر الخندق لمصلحة المانيا » .

هذا ما قاله هتلر في اجتماع ضم قادة الـ S.S. في باريس في شهر تشرين الاول من السنة ١٩٤٣ . لذلك فان طرائق اختيار العمال ، وظروف المعيشة ، وظروف الاستخدام قد استوحيت مبدأ التفريق العنصري . ففي ادنى المراتب كان اليهود الذين انتهجت حيالهم سياسة الابادة بصرف النظر عن الخدمة التي قد يستطيعون تأديتها . وفي المراتب التالية ، يأتي « الشرقيون » ، الروس الذين احتلوا مركزاً ادنى من مركز البولونيين والبلطيين ، ثم عمال الدول الغربية ، وقد احطى بينهم الهنغاريون والدانماركيون والفلمنك ، ثم الفرنسيون والهولنديون ، وقد احلوا فوق العمال الايطاليين والبلغاريين والرومانيين والاسبان الذين كانوا دونهم تخصصاً واسماً . وانطلاقاً من الاعتبار العنصري نفسه ، كان مسكن وغذاء الاجانب دون مسكن وغذاء الالمان .

اعتمد العمل الالزامي منذ اوائل الحرب في الدول الشرقية ، ورافقه توقيف عائلات الفارين واختطاف الرجال من الشوارع والمنازل والكنائس ، بينما تأخر اعتماده في الغرب الى ان ساءت حالة اليد العاملة في السنة ١٩٤٢ . وقد لجأت السلطات الالمانية في البدء الى الاقتناع : وعهد بأجور مرتفعة وسهولة في النقل من مركز الى مركز ، وظروف معيشة مغرية ، وفي فرنسا ، وعد بتحرير اسير مقابل ثلاثة عمال متطوعين . ثم لجأوا الى ضغوط غير مباشرة : إلغاء مساعدات البطالة ، سحب بطاقات الاعاشة ، اقفال المصانع بغية توسيع نطاق البطالة ، حجب الأجور . ومنذ السنة ١٩٤٢ اوجب العمل في بلجيكا وهولندا على الرجال المتراوحة اعمارهم بين ١٨ سنة و ٥٠ سنة وعلى البنات المتراوحة اعمارهن بين ١٨ سنة و ٢٥ سنة . ولم ينج من العمل الالزامي حق شهر آب من السنة ١٩٤٣ سوى الدانمارك « المحمية النموذجية » . وفي هذا التاريخ اي بعد سقوط موسكو ، ارغم العمال في ايطاليا على العمل الالزامي كما في البلدان الاخرى .

خضعت معاملة العمال لما جاء في برنامج سوكل لتعبئة العمل في ٢٠ نيسان من السنة ١٩٤٢ : « سوف يعامل كافة الرجال ويؤمن لهم غذاؤهم ومسكنهم بحيث يعطون اعلى انتاج بأدنى الاسعار » . فكان للعمال الاجانب يجمعون في مساكن خشبية جماعية تفتقر الى التدفئة والتجهيز

الصحي اللائق ، ويتناولون الغذاء في محلات خاصة بهم ، عاجزين عن شراء الاطعمة في السوق بسبب احتفاظ قادة المعسكرات ببطاقات اعاشتهم .

في الحقل المالي ، تحقق استثمار البلدان المحتلة باعتماد تقنيات مختلفة الاستثمار المالي تحتفظ بظواهر الشرعية : غرامات مختلفة ، وإلزام بيع الذهب والنقد النادر وبعض الاوراق المالية الاجنبية ، واصدار كميات كبرى من النقد الورقي الالماني قتلوا لها البلدان المحتلة ويستحيل تبديلها بالاوراق النقدية التي يصدرها مصرف الرايخ ، ومصادرة الذهب من مصارف الاصدار في البلدان المحتلة ، وفرض اتفاقات مالية مضرّة بصوالح المغلوبين : اقرار سعر قطع متدن جداً بالنسبة للمارك الالماني (في فرنسا ٢٠ فرنكا لكل مارك مقابل ١١ في السنة ١٩٣٩) ، ايجاب تحمل نفقات احتلال مرتفعة جداً تحدّد بحيث نلتج لا تمهد الجيوش فحسب بل مشتريات اخرى كثيرة ايضاً . ففي فرنسا مثلاً ، باستثناء العتاد الحربي ووسائل النقل ، دفع الالمانيون ثمن كل ما استولوا عليه . وامدوا وسائل الدفع بمجرد الاستفادة من اتفاقية وقف اطلاق النار التي حملت فرنسا عبء نفقات تمهد جيوش الاحتلال ؛ فاستوفوا بذلك مبالغ طائلة تفوق حاجات هذه الجيوش . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الاتفاقات المالية قد أفادت منها المانيا وحدها لانها لم تسلم المغلوبين شيئاً مقابل كل ما يقدمونه لها ، فأرغمت الحكومات من ثم على تحمل ما تنفقه هي في بلدان هذه الحكومات .

جاءت النتائج بصورة عامة وبالأعلى على البلدان المحتلة : فمن جهة اقتطع الالماني حصة مطردة الزيادة من الانتاج ، ومن جهة ثانية وسعوا حجم وسائل الدفع ، فخلقوا بذلك وضعاً تضخيمياً . وتسبب ارتفاع النقد المتداول ، وما رافقه من نقص في السلع ، في اتساع نشاط السوق السوداء التي شجّعها الالمانيون لانها اتاحت لهم الحصول على البضائع التي كانوا بحاجة اليها بالاضافة الى الكميات المحددة في الاتفاقيات والعقود الخاصة ؛ ولجأت مكاتب الشراء في بعض المصالح الكبرى (البحرية ، الطيران ، مؤسسة تودت ...) الى خدمات كبار التجار للحصول على كافة البضائع المتوفرة .

كانت نتيجة الطابع القومي للحرب الالمانية ، التي تعذر معها البقاء على الحياد ، في العلائق بين الغالب والمغلوب ، تعزيز موقفها المقاوم والتعاون المتناقضين تعزيزاً لم يسبق له مثيل . فقد اثار النظام النازي نفسه ، والعصبية والوحشية اللتان عومل بهما السلافيون ، واليهود ، واللاتين المعتبرون متخلفين عنصرياً ، والماركسيون والديموقراطيون المعتبرون اعداء خطرين ، مقاومات ضارية شجّعها الانكلوساكسون والسوفييات وجهازها من الخارج .

في كافة البلدان المحتلة ، حيث اعترفت المانيا بالحكومات او شكلتها كما يطيب لها ذلك ، جُرّت هذه الحكومات ، مسيرة أو بخيرة ، الى انتهاج سياسة تعاون اقتصادي وسياسي وحق عسكري مطرد الوثوق . فبعد ان استغلت في البدء الغضب الشعبية على الحكام السابقين الذين

الشكل ١٧ - الحرب في الشرق ١٩٤١ - ١٩٤٥

اعتبروا مسؤولين عن الهزيمة ، لم تلبث ان ظهرت على حقيقتها : مطية للاجنبي ؛ ولذلك اشتدت المقاومة كلما طالت الحرب ، وقضاء لخط الالمان في احراز النصر ، وثقلت من جهة ثانية وطأة الجور والاستغلال على الشعوب .

اذن « تعاونت » الحكومات التابعة وبعض سكان المناطق المحتلة مع الالمان — اي ساعدت آلهم الحربية ونظامهم الجائر . وكانت فئات « المتعاونين » كثيرة ومتنوعة . فكان هناك اولئك الذين دخلوا ، منذ قبل السنة ١٩٣٩ ، وبدافع من ميولهم الفاشستية او مطامحهم الشخصية ، في خدمة دول المحور ، وساعدوها اثناء فتح بلادهم وبعده ؛ ويتمثلون خير تمثيل بـ « كويسلنغ » . والى جانب هذه الفئة يمكن افساح مكان لـ « مثل فلاسوف » ، القائد السوفيياتي الذي اسر في السنة ١٩٤٢ وحاول ان يجمع الفارين واسرى الحرب حول بيان وضعه في سمولنسك اعلن فيه ان « روسيا الجديدة » المحررة من ستالين والبلشفية ، سوف « تظهر من اليهود » وتعيد الملكية الخاصة ، الخ. فعبئت افواج من المتعاونين في المعسكرات حيث كان الروس مخضعين لخطوة ابادية ، وبالتفضيل بين الاوكرانيين والجيورجيين وتتر القرم ومسلمي القفقاس وآسيا الذين تمثل بعضهم في الوحدات البوليسية التي تولت العمل في صربيا وفرنسا .

وهناك اولئك الذين كانوا ينتمون الى اقلية قومية او الى قوميات تابعة فقالوا بشرعية كل تحالف يساعد على قطع اوصال الدول التي يخضعون لها ، وتحالفوا مع المحور على رجاء تحرير امتهم الخاصة : وهذه حال السلوفاكيين والـ « اوستاشي » الكرواتيين ، والاقليات الرومانية واليوغوسلافية والتشييكوسلوفاكية . وهناك اولئك الذين ساروا وراء حكومتهم حتى الهزيمة وتوقيع اتفاق وقف اطلاق النار (اليونان ، يوغوسلافيا) والذين اقتنعوا بعد ذلك بأن المحور كسب الحرب فتعاونوا مع الالمان ظناً منهم بانهم ربما استطاعوا حماية مواطنيهم باقتهاج سياسة تصالح واتفاق مع الظافر ؛ وهذه حال الجنرال « ناديك » في بلغراد . ولكن هؤلاء « الترقبيين الانتهازيين » لم يلبثوا ان ارغموا على تحديد موقفهم على صعيد هامين لم يسمهم تجنب الوقوف الى جانب العدو فيها : مكافحة المقاومة وتقديم اليد العاملة للآلة الحربية الالمانية . وهناك اخيراً اولئك الذين استمروا في هدائهم للغزاة ، ولكنهم باتوا اكثر قلقاً وجزعاً يوماً بعد يوم امام نمو حركات المقاومة بادارة رؤساء جدد ، مجهولين ، ثوريين ، فساعدوا الغزاة حرصاً منهم على السلامة الاجتماعية . وقد خشوا في صميم قوادهم من ان يؤدي نصر ساحق يحرزها الانكلوساكسون ولا سيما الاتحاد السوفيياتي ، الى تدمير السور القائم في وجه البلشفية الذي يمثل ، في نظرهم ، بالجيش الالمانى .

لذلك يمكننا القول بصورة عامة ان التعاون على مفارقاته المختلفة ، الطوعي ، والمعلن ، والمتردد ، والخافر ، قد استند في معظمه الى العناصر المحافظة في البلدان المحتلة .

فرنسا فيشي
في شهري ايار وحزيران من السنة ١٩٤٠ ، انخست فرنسا ، التي اغرقها
الغزو وجلاء السكان عن منازلهم في خضم نشوش حقيقي ، امام
الحكومة التي ألغى المارشال بيتان ؛ فأقدم المجلسان التمثيليان ، دون صعوبة ، وبدافع ادراكهما
عدم شعبية النظام البرلماني ، وخوفهما من عنف الدعاوة المعادية للجمهورية التي حملتها وحدهما
مسؤولية الكارثة ، وتأثير بيار لافال ، على اقرار مبدأ اعادة النظر في القوانين الدستورية ،
واعطيا المارشال بيتان - ب ٥٦٩ صوتاً مقابل ٨٠ معارضاً - صلاحيات استثنائية لاعتماد
دستور جديد .

« الثورة القومية »
فكان ما يفتظر فرنسا ، تحت سلطة بيتان ، نظاماً جديداً ، دكتاتورية
رئاسية تعيد الى الذاكرة دكتاتورية الامير الرئيس في السنة ١٨٥٢ .
وعاد معه الى الحكم « الاعيان » الذين سيطر اجسادهم على الجمعية الوطنية المنتخبة في السنة
١٨٧١ ، والذين اقصتهم « الطبقات الاجتماعية الجديدة » - البورجوازية الصغرى والطبقة
المهنية - طيلة الجمهورية الثالثة . فكان ان الملاكين العقاريين ، والضباط المحترفين ، وكبار
الموظفين ، والاكليروس ، والاشراف الريفيين ، وكل الذين تولوا ادارة المقاومة الاكثريكية
الرجعية في عهد الجمهورية الثالثة وحاولوا اسقاطها بمناسبة ازمات « الحركة البولونجية » وباتامسا
وقضية دريفوس ، اتحدوا مع ممثلي المصالح المالية والصناعية المعادين لتشريع الجبهة الشعبية
الاجتماعي ، بغية الاستيلاء على الحكومة والادارات ؛ وقد ساعدهم مساعدة قوية كبار الموظفين
واعضاء « الهيئات الكبرى » الذين اتاحوا وحدهم للنظام الجديد حكم البلاد . وقد اغتبطوا
بتخلصهم من رقابة البرلمانيين الذين احتقروا عدم كفاءتهم وعجزهم ، ورقابة نقابات العمال
والموظفين ، فاداروا البلاد ادارة مطلقة بالروح الابوية التي اشتهرت بها « الثورة القومية » .

ثم حدثت عملية تطهير شديدة تناولت موظفي الادارات البلدية والموظفين المشتبه بتعلقهم
بالمبادئ الجمهورية : اليهود ، البناؤون الاحرار ، الاشتراكيون ، المدافعون عن المدرسة العلمانية
التي ألقيت عليها مسؤولية اضعاف الروح المدنية والوطنية . وارتجلت ادارة جديدة اسندت
اعمالها الى عناصر مختلفة غير منسجمة ، بل الى جمهور من « الصخابين والهوآشين » ، كما يصفها
رئيس غرفة المارشال ، « هـ . دي مولين دي لباريت » .

كان قوام النظام الجديد السيامي والاجتماعي الذي حلم به هؤلاء الموظفون ، ولا سيما بطانة
المارشال حيث سيطر رجال اقصى اليمين ، تطبيق مبادئ اليمين التقليدية : محاربة « العقائد
الباطلة » التي ظهرت في السنة ١٧٨٩ ، اقصاء الآراء الديمقراطية ، محاربة الفردية والنظام الحر
والماركسية ، الصراع الطبقي (« انما الشعب تسلسل عائلات ومهن ومسؤوليات ادارية وعائلات
روحية ») ، واحياء مجتمع تسلسلي مبني على مبادئ سلطة الرئيس (« يجب ان تكون الدولة
استبدادية وتسلسلية ») ، وتنظيم مهني تعاوني ، واحترام القيم العائلية التي لا يستطيع المحافظة
عليها سوى مجتمع بطريركي وقروى ومجتمع صناعيين يدويين . فعل شعار « العمل » العائلة ،

الوطن ، لحل الشعار الجمهوري « حرية ، مساواة ، أخوة » . ونما حدث بعيد ثورة السنة ١٨٤٨ وفي أيام « النظام الأدبي » ، استند الحكم الى الدين لمحاربة فوضى الافكار والتماليم الخطرة . وقدمت له الكنيسة مساندة فعالة بصوت الكردينال « جريليه » : « بيتان هو فرنسا وفرنسا هي بيتان » ، واهلن الراعي بوغتر ، رئيس الكنيسة البروتستانتية من جهته ان ليس هناك سوى واجب واحد : « السير وراء المارشال » .

وقد نفذ هذا البرنامج : زوال اسم « الجمهورية » ، اعطاء سلطة شخصية (« نحن ، فيليب بيتان ... ») للمارشال الذي ادعى لنفسه بالسلطة التشريعية حتى تشكيل المجلسين الجديدين . إلغاء كافة الانتخابات في القرى التي يجاوز عدد سكانها ٢٠٠٠ نسمة ، وحل اتحادات العمل . تنظيم الحرف على اساس تعاوني على يد لجان تنظيم الصناعة (التي يديرها كبار الصناعيين) ، والاتحاد العمالي وميثاق العمل . وابطال التشريع المتعلق بالجمعيات الدينية ، وتقديم المساعدات المالية لمؤسسات التعليم الدينية . والغاء دور المعلمين الابتدائية ، ومحاولة ادخال التعليم الديني في برامج المدرسة الابتدائية (« لقد ولي عهد المدرسة بدون اله ») . والعمل بالتشريع المعادي للسامية المستوحى من قوانين نورمبرغ : فأقصى اليهود عن الوظائف العامة وعن بعض الحرف ، وانشئت مفوضية عامة للشؤون اليهودية وابطل قانون كريميو . رُحلت كافة الاحزاب السياسية وطورد الحزب الشيوعي (كان هناك ٣٠ ٠٠٠ شيوعي في السجون في شهر ايار من السنة ١٩٤١) .

اتفق رجال الثورة القومية على محاربة النظام البرلماني ومقاومة المبادئ تطور النظام الديمقراطية والاشتراكية . وقد اقتنعوا كلهم بأن نصر المانيا اكيد وقريب وان مقاومتها امر مستحيل . ولكنهم شككوا فئات ذات مصالح ومطامع متناقضة . ففي فيشي تفوق ممثلو اليمين القديم الوطني والمحافظ والكاثوليكي ، تلامذة « شارل موراس » ، واعضاء الحزب الاشتراكي الفرنسي الذين لم يكونوا ضد الانكليز فحسب بل ضد الالمان ايضاً ، واستندوا الى « جوقه المحاربين » . ووقف في وجههم بعض العناصر المنحدرة من اليسار ، من امثال محبي السلم القدماء والاشتراكيين الجدد كـ « مرسيل ديا » الذي سيؤسس « التجمع القومي الشعبي » ، والنقابيين المحبي السلم كـ « جورج ديولين » ، وبعض الشيوعيين القدماء كـ « جاك دوريو » الذي طرد من الحزب في السنة ١٩٣٤ ثم اسس الحزب الشعبي الفرنسي في السنة ١٩٣٦ ، وضموا جهودهم الى جهود بعض الفئات اليمينية ، كـ « الكاغولاد » واللجان السرية للعمل الثوري ، للطالبة بتعاون وثيق مع المانيا . واسسوا جوقه معادية للبشفية (لن تضم يوماً اكثر من ٣٠٠٠ متطوع) للمحاربة الى جانب الالمان في الاتحاد السوفياتي . وقامت في حقل المصارف والصناعة الثقيلة عناصر المانية الميول ذات نفوذ قوي قالت بالتعاون الاقتصادي الفعلي : « بارنو » ، من مصرف « وورمس » الذي سيمسي مندوباً عاماً للعلائق الاقتصادية الفرنسية الالمانية ، و « لوهدو » ، صهر « رينو » ، الذي سيمسي مندوباً عاماً للتجهيز الوطني ،

و « بيشو » مدير الجمعيات الصناعية التعدينية ، الذي سيمسي وزيراً للداخلية ، الخ . فحدث في جوار المارشال بين هذه النزعات صراع من اجل النفوذ والاستيلاء على السلطة من احداثه الخطيرة إبعاد لافال في ١٣ كانون الاول ١٩٤٠ ثم عودته الى الحكم في نيسان ١٩٤٢ .

هو لافال من مثل في الحقيقة سياسة التعاون الوثيق التي كانت في نظره الوسيلة الوحيدة للتخلص من نتائج الهزيمة او أقله لتخفيف وطأتها . وكانت باكورة هذه السياسة ، التي نمت اكثر فاكثرا كلما تزايدت المتطلبات الالمانية ، اجتماع هتلر بالمارشال في « مونتوار » . « وان بين فيشي ١٩٤٠ الوطنية والحفاظة وفيشي ١٩٤٤ المتعاونة والفاشية تسلسلاً صارماً ... وتضامناً سلبياً ضد النظام المبطل » (هوفمان) .

فان استمرار الحرب في روسيا وهزائم المحور في افريقيا قد جعلت نصر المانيا النهائي امراً مشكوكاً فيه جداً . وباتت المقاومة أشد نشاطاً ، والقمع اكثر وحشية بإدارة « بيشو » ، وزير الداخلية ، مع محاكمة الخاصة ومجلس « غانسا » العرفي ، ومحاكم الدولة في ليون وباريس . واشتد القمع حين اصبح « دارفان » اميناً عاماً للمحافظة على الامن في كانون الثاني ١٩٤٤ ، فقدم الالمان مؤازرة الميليشيا والمحاكم العرفية الخاضعة للرقابة البوليسية . ومن جهة ثانية عزز نزول الحلفاء في افريقيا الشمالية واحتلال كافة اراضيها موقف التعاونيين الفرنسيين : كان ذلك نهاية فيشي الثورة القومية التي خسرت الامبراطورية ، فاقدم اسطولها على اغراق نفسه ، وتضامل نفوذها في البلاد ، فلم يبق للالمان اية مصلحة في الابقاء على حكومة مستقلة وهمية . واكتفوا بالابقاء على شبكة الموظفين والادارات التي يستغلون بواسطتها البلاد . ومنذ اواخر السنة ١٩٤٣ سيطر « التعاونيون » الباريسيون نهائياً على فيشي ، فدخل دارفان وهنريو الوزارة التي ضمت « كافالا » و « دي برينون » و « آيل بوتار » و « بيشلون » و « ماريون » ، الخ . واصبح « ديا » اخيراً وزيراً للعمل . فانتهجت سياسة تعاون كامل ، ولكن البلاد كانت في حالة حرب اهلية غير معلنة ، والاطراف المحافظة التقليدية - ولا سيما البورجوازية الكاثوليكية التي استألتها نفوذ المارشال - اصبحت ترقبية على غرار الدهاة والمتحذرين . فكان ذلك ، قبل النزول في نورماندي والتقدم الحليف ، نكبة نزلت بالتعاونيين .

ان الدول الصغرى في اوربا الشمالية الشرقية ، التي احتلت دون الدول المحتلة الاخرى اعلان حرب في اعقاب غزو صاعق ، قد لاقت ، مع بعض المفارقات ، المصير الذي لاقت فرنسا . فان التصريحات الاولى الرسمية حول ابقاء واحترام المؤسسات التقليدية والوعود باحترام نظامها السياسي والاقليمي ، والتأكيد بأن الاحتلال لا يستهدف سوى حمايتها من غزو الفرنسيين والبريطانيين القريب الوقوع ، لم تلبث ان قللتها تدابير يقصد منها اما ضمها فوراً الى الرايخ العظمى ، واما تجزئتها بالذات ، وتستهدف في كل مكان استثمار مواردها استثماراً منظماً . وبالرغم من ان الحكومات الالمانية الالاجئة الى بريطانيا العظمى كانت لاشعبية في بعض هذه البلدان (حكومة بييرلو ، الحكومة النرويجية) ، ومن ان الرأي العام قد اتصف ببعض

الاضطراب ، فان الموقف كان اكثر جلاء منه في فرنسا حيث استمر مع حكومة فيشي وهم الحكومة المستقلة . ولم تلبث المقاومة السلبية ، ثم الناشطة ، ان تنظمت دون ان تتبرأ منها الحكومة الشرعية . وفي كل مكان لم تفلح الفئات التعاونية والحكومات الصورية في استمالة سوى جزء لا شأن له من السكان .

حلت النقابات والاحزاب السياسية باستثناء الحزب النازي المحلي : ففي بلجيكا اقصى الالمان « دغريل » الذي اسس الجوقة الفالونية وحارب في روسيا ، ومحمضوا ثقتهم حزب « اصدقاء الرايخ » . كما محضوها « موسير » رئيس الحزب الوطني الاشتراكي في هولندا ، وكويسلنغ رئيس الحزب الوطني في التروبيج ، الذي شكل الحكومة في السنة ١٩٤٢ ، النخ . وهكذا عين « التعاونيون » في كل مكان في المراكز الادارية الهامة .

الا ان الدانمارك شذت عن القاعدة واستفادت من بعض المراعاة لأن حكومتها الشرعية لم تغادر البلاد ولأن المانيا ارادت ان تجمل منها « محمية نموذجية » . فقد سبق للملك ان اصدر اوامره بعدم مقاومة الغزو واعترف بواقع الاحتلال ، وان اعترض عليه . ورغبة منه في الحيلولة دون قيام حكم عسكري او استيلاء النازيين الدانماركيين برئاسة « كلوزن » على السلطة ، لم يتراجع امام بعض التنازلات : اتفاق مالي مضر بمصالح الدانمارك ، سحب الحاميات الدانماركية من « جتلند » ، انضمام الى ميثاق مكافحة الشيوعية ، النخ . . ولكن الدستور الدانماركي لم يبطل ابطالا صريحاً ، فنجح اليهود من الابداء والجور واستمرت الادارات المركزية والمحلية في عملها .

٢ - المقاومات

بينما لم يكن « التعاونيون » في كافة البلدان المحتلة سوى طائفة قليلة « المقارمة » العدد ، تنظمت مقاومة الغازي - السلبية او الناشطة - واتخذت اشكالا مختلفة بحسب الاوقات والازمنة واستهوت اعداداً كبرى من السكان تزايدت يوماً بعد يوم كلما اتضح لهؤلاء هدف الصراع على حقيقته .

على غرار التعاون ، تميزت المقاومة بمفارقات كثيرة ، وببعض الصفات المشتركة ايضاً : نقمة شديدة على الغازي كانت فورية عند البولونيين والصرب والتشيكيين واليونان والسكندنافيين ، وفي اوروبا الغربية حيث كانت وطأة الجور ثقيلة بصورة خاصة ، واكثر تأخراً عند السلوفاكيين والكرواتيين الذين بدا لهم النصر الالمانى وكأنه سوف يحقق استقلالهم . واقل حرارة عند الرومانيين والهنغاريين . ومن جهة ثانية اتسعت المقاومة بسرعة في المناطق الحرجية والجبلية حيث سهل احتواء المتمردين ، وحيث لم يكن يوسع الالمانى مطاردهم بسبب افتقاره الى الجيوش اللازمة . فكانت يوغوسلافيا والبانيس واليونان وجبال الألب والاحراج البولونية ، من هذا القبيل ، اكثر موافقة لمقاومة ناشطة من تشيكوسلوفاكيا حيث

كانت السهول مكتظة بالسكان وحيث اهل الجبل بأكثرية المانية . واتضح بسرعة اخيراً ان حركات المقاومة لم تحارب الالمان فحسب ، بل حاربت من اجل بلوغ أهداف خاصة ، من اجل تنظيم اجتماعي وسياسي هو نقيض النظام الذي كان قائماً قبل الغزو .

لا ريب في انه يصعب تحديد النزعات السياسية التي سيطرت الداخلين في المقاومة . وإنما يبدو جلياً — من مطالعة الصحف الصادرة في الحفاء — ان الأكثرية الساحقة ابتغت تبديل النظام الاقتصادي والاجتماعي تبديلاً جذرياً . فان كافة البرامج التي وضعتها وحدات المقاومة المختلفة في الغرب قد وعدت بادخال اصلاحات ديموقراطية على النظام السياسي ، وبخاصة على النظام الاجتماعي والاقتصادي ، ولا سيما بتأميم الصناعات الرئيسية . أما في أوروبا الوسطى والشرقية ، فقد طالب المقاومون باصلاح زراعي جذري ومصادرة املاك كبار الملاكين قبل كل شيء . وحين غزا الالمان الاتحاد السوفياتي اصبح الوضع اكثر تعقيداً : فقد برز الخلاف بين معلمي الآمال بتحريرهم على الانكلاوساكسون وبين متوقعيه من الاتحاد السوفياتي . فبصورة عامة كانت العناصر المحافظة اشد ميلاً للانكلاوساكسون ، وكان كافة المتطلعين الى الاتحاد السوفياتي تواقين الى اصلاح النظام ، ولكن المطالبين بمثل هذه الإصلاحات لم يتجهوا كلهم نحو الاتحاد السوفياتي ، كما ان انكليزي الميول لم يوافقوا ، بمجرد ميولهم ، احياء النظام القديم . وفي بولونيا بقي العديد من انصار الإصلاحات اوفياء لعدائهم التقليدي للروس ، بينها مالت اكثرية المقاومين في يوغوسلافيا واليونان ، مهما كانت نزعاتهم السياسية والاجتماعية ، الى السلافي العظيم .

الا ان تماظم نفوذ الشيوعيين في حركات المقاومة ، وتماظم نشاطهم من ثم ضد احتمال احياء النظام القديم ، قد اسهم في حمل بعض اشياح التنظيم السابق وبعض المخلصين لحكومات المنفى على الالتفاف حول الالمان لانهم اعتبروا الشيوعيين اخيراً اعداء ادهى خطراً من الالمان (اليونان ، يوغوسلافيا ، بولونيا) . وإنما عرضت الطبقات الحاكمة عن المقاومة في البلدان التي كان فيها التأثير الشيوعي كبيراً . ويرد الخلاف الى سبب آخر هو ان انتقام العدو قد استهدف الفلاحين الميسورين او الأثرياء بصورة خاصة . ولم ينظر هؤلاء من ثم بمعين راضية الى نشاط المقاومين الشيوعيين . فتعاون البعض عليهم وحملوا السلاح الى جانب القوات المحتلة لمنع أعمال التخريب . وقد انفجرت نزاعات مسلحة منذ السنة ١٩٤١ في يوغوسلافيا ، ومنذ السنة ١٩٤٣ في اليونان وبولونيا ، بين الوطنيين والشيوعيين . وفي اوكرانيا ايضاً ، انفجرت هذه النزاعات بين الالمان ، والوطنيين الأوكرانيين المعادين للسوفييات ، والانصار الشيوعيين الأوكرانيين الذين كانوا في حربهم على اتصال بالجيش الاحمر . وكلما اقترب النصر الحليف انتهى الصراع من اجل الاستيلاء على السلطة بعد وقف اطلاق النار الى التقدم على الصراع ضد الالمان ؛ وقد شوهد ذلك في اليونان حيث حاربت قوات « زرفاس » القوات الشيوعية ، وفي يوغوسلافيا مع حركة ميخالوفيتش ، وفي اوكرانيا مع القوات الأوكرانية المعادية للسوفييات ، وفي ألبانيا حيث

جرت الى « باتي كومتار » الى دعم الجهود الحربية الالمانى المائل الى الزوال .

حكومات المنفى ساعدت المقاومات الداخلية وشجعتها وادارتها ونسقتها من الخارج
اجهزة لجأت الى لندن وكان بعضها حكومات شرعية افلنت من الغازي .
نظمت كافة هذه الحكومات في محطة الاذاعة البريطانية برامج اذاعية شجعت الشعوب
المخضعة ، وبثت الاخبار وعلقت عليها ، ووجهت الى المقاومين التعليمات و« الرسائل الشخصية »
وجمعت معلومات عسكرية او سياسية مفيدة للقيادات والحكومات الخليفة ، وجندت جيوشاً
اشتركت في العمليات العسكرية ، وألقت من الجو اسلحة ، وضباطاً ، ومفادير لتولي اعمال
التخريب في البلدان المحتلة . ومن جهة ثانية غالباً ما كانت علائقها بالمقاومة الداخلية غير وثيقة ،
وغالباً ما انقسمت هي على نفسها بسبب المنافسات والدسائس ، واختلاف نزعاتها المحافظة
والثورية ، فانهط الاتصال بينها وبين السكان الذين دفعت بهم آلامهم الى الحلول الجذرية .
ووقفت موقفاً حذراً من الحركات الطوعية التي لم تكن تحت اشرافها . فالكل يعلم اليوم ان
« جان كافايس » الذي ذهب الى لندن في شهر شباط من السنة ١٩٤٣ قد عاد منها متقرز
النفس من « ذهنية المهاجر » و« روح المعبد » اللتين لمسهما في الأشخاص القليان الدائرين في فلك
الجنرال « دينول » . وقد نجم عن كل ذلك سوء تفاهم ، ونزاع ، حاد احياناً ، كما حدث في
يوغوسلافيا واليونان ، وحق بين الجيوش ، كما يتضح ذلك من تمرد الأسطول والجيش اليونانيين
في مصر .

وبرزت كذلك مقاومة خارجية ايطالية قبل السنة ١٩٤٣ ، نهض بها « الفارون » المهاجرون
منذ السنة ١٩٢٤ الى جنيف ونيويورك ولا سيما باريس ، الذين توحدت قواتهم خلال الحرب
الاسبانية . وفي السنة ١٩٤١ تأسست في تولوز « لجنة تجمع ضد الفاشستية » من ممثلي الحزب
الشيوعي ، وبخاصة « نيني » و« ساراغات » و« سيلفيو ترنتين » و« نيتشي » . وفي نيويورك اذاع
الكونت « سفورزا » بيان النقاط الثماني « من اجل ايطاليا بعد الفاشستية » ، وكذلك حملت
الجمعية المازينية في نيويورك و« لجنة ايطاليا الحرة » بنشاط الى جانب الحلفاء من اجل اعداد
التحرير .

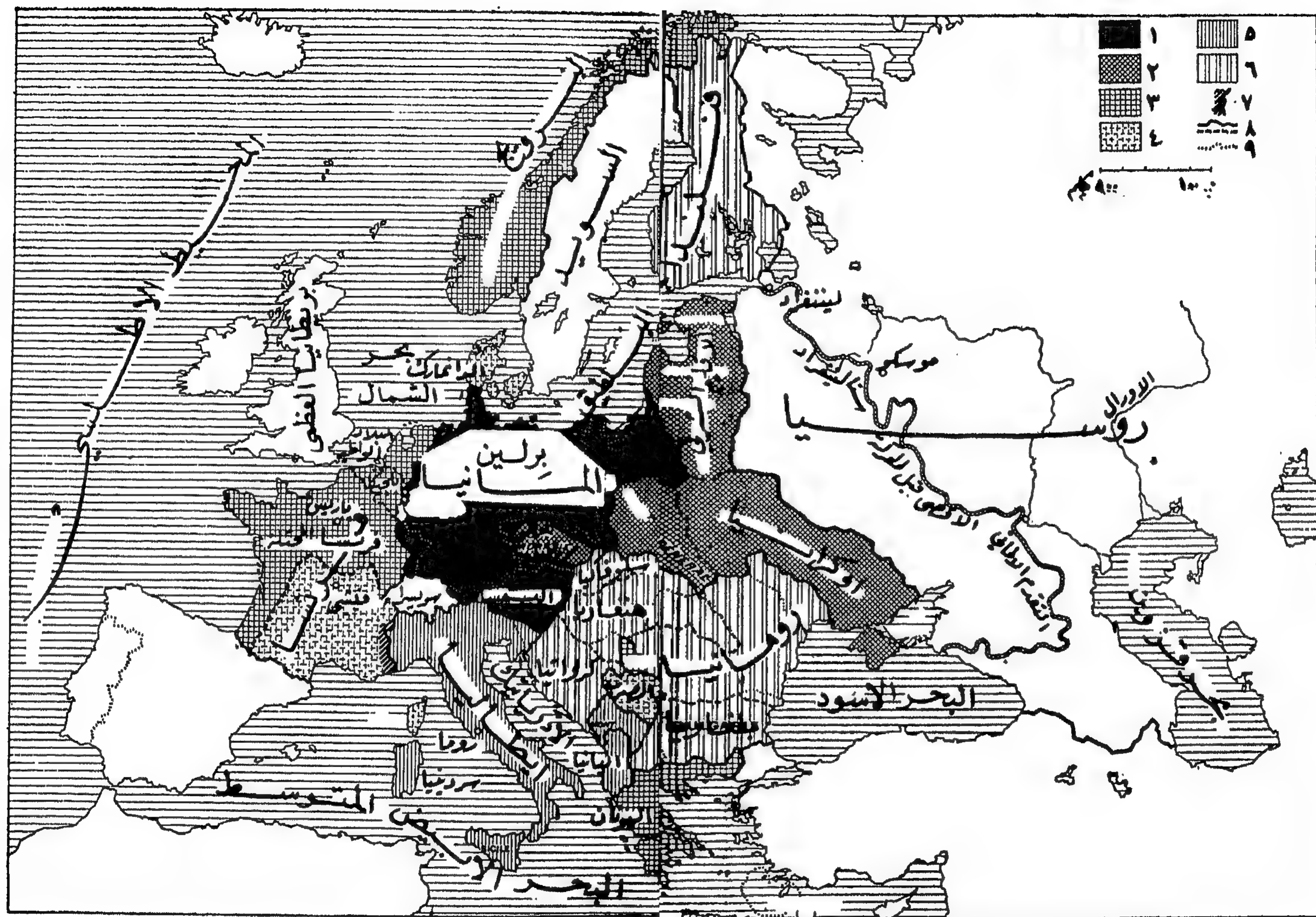
رأى المقاومون عديم يتزايد كلما ثقلت وطأة الاحتلال واصبح النصر الالمانى مريباً . فكم
من متعاونين خاضعين للألمان او متحمسين لهم اصبحوا ترقبين في السنة ١٩٤١ ثم اصبحوا
مقاومين بعد السنة ١٩٤٢ . لقد تجمع المقاومون الأولون كما هو طبيعي من بين الأحزاب اليسارية
التي كان الألمان والحلفاء على السواء يحاولون القضاء عليها : الشيوعيين ، الاشتراكيين ، الاحرار .
ثم انضم اليهم ممثلون عن البورجوازية اليمينية اوفيساء للقيم التي دافعت عنها ، في ما مضى ،
القرمية والحد على « المانيا الخالدة » . وتزايد عديم بعد انزال الجيوش الخليفة في افريقيا الشمالية
واحتلال المنطقة الجنوبية .

المقاومة في أوروبا الشمالية الغربية على نقيض فرنسا حيث حاربت الحكومة المقاومة ، اتسمت الحركات في الدول الأخرى المحتلة ، وغالباً ما حظيت بتشجيع وهدي السلطات الاجتماعية . فكثر من ثم في كل مكان أعمال التخريب والاعتداءات على الألمان والتعاونيين . وقد تجلّت من جهة ثانية بطرائق مختلفة . ففي بلجيكا رفضت الكنيسة قبول تقدم مرتدي البزات السياسية لتناول القربان المقدس والسماح برفع الأعلام السياسية في بيوت العبادة . واعتضت على ترحيل العمال الى ألمانيا وعلى الزام القصر بالعمل أيام الأحاد . وقاطع الطلاب الاساتذة التعاونيين الذين يعينون في الجامعات . وعلنوا الاضراب استنكاراً لقانون العمل الإلزامي ، طيلة سنة كاملة ، قبل تسجيل اسمائهم في الجامعات . وأعلنت محكمة التمييز الاضراب كذلك اعتراضاً على توقيف بعض قضاة محكمة الاستئناف . وبين شباط وإيار ١٩٤٣ ، أعلنت اضرابات كبرى في لياج (٦٠ ٠٠٠ مضرب) ، و « شارلروا » ، و « لوفيفر » ، و « مون » ، و « فرنييه » ، ضد ترحيل العمال بالجملة الى ألمانيا .

لم تكن المقاومة أقل تصلباً وعناداً في اللوكسمبورغ . ففي احصاء تشرين الأول ١٩٤١ ، وبالرغم من منع الادعاء بجنسية لوكسمبورغية « مزعومة » ، وبلغه « لتزبورجيش » لم يكن لها من وجود في يوم من الأيام ، تعصب ٩٦ ٪ من سكان المسدن و ٩٩ ٪ من سكان الأرياف للجنسية اللوكسمبورغية واللغة الهولندية (لتزبورجيش) ، مما تسبب في ترحيل عدة ألوف من السكان وإبطال الاحصاء . وفي شهر آب أعلن اضراب عام كان اول اضراب أعلن في بلد محتل . وفي السنة ١٩٤٣ تنظم الحزب الوطني اللوكسمبورغي الذي قام بأعمال تخريبية كثيرة . وفر من الجيش أكثر من ٥٠٠٠ شاب لوكسمبورغي ورُحِّلَت بين ١١٠٠ و ١٢٠٠ عائلة الى بولونيا ، وفي الأشهر الأخيرة شكل ألوف المقاومين عصابات مسلحة في احراج الأردن .

في هولندا اضطهنت المقاومة بلون سياسي أقل بروزاً . ففي شهر شباط من السنة ١٩٤١ ، أعلنت اضرابات لمدة ثلاثة أيام في امستردام ثم شملت المدن الأخرى . وادان الاكليروس الكاثوليكي والبروتستانت ، من على منابر الكنائس ، اضطهاد اليهود وترحيل العمال الى ألمانيا . وفي شهري نيسان وإيار ١٩٤٣ أعلنت اضرابات جديدة حين تقرر حجز كافة قدامى صفوف المضباط الهولنديين في معسكرات اعتقال المانية . وفي ايلول أعلن مستخدمو السكك الحديدية وعملها اضراباً عاماً .

في الدانمارك تنظمت المقاومة ، بعد تشتت طويل ، بفضل « مجلس الحرية » الذي تألف في شهر آب من السنة ١٩٤٣ من ممثلين عن كافة الاحزاب النشطة ، وقد ركز كافة الجهود على الصناعات الحيوية التي تخدم المصالح الألمانية وعلى وسائل النقل ، ففي ٢٤ حزيران ١٩٤٤ مثلاً قام ٧٠ وطنياً في مرفأ كوبنهاغن الحر ، بتخريب مصنع للمدافع الرشاشة والمدافع المضادة للدبابات والبنادق ذات الاطلاق المتواتر تخريباً كاملاً ، وكانت الوحيد من نوعه في الدانمارك .



الشكل ١٩ - أوروبا المحتلة

٤ - أقاليم محتلة مستقلة إدارياً ، ٥ - إيطاليا وأقاليم تحت إدارة إيطالية ، ٦ - دول تابعة للمحور ،

٩ - حدود معاهدات ١٩١٩ - ١٩٢٠

١ - ألمانيا ، ٢ - أقاليم تابعة ودومينيونات ، ٣ - أقاليم محتلة تحت إدارة ألمانية ،

٧ - أقاليم فرنسية احتلتها إيطاليا (حتى تشرين الثاني ١٩٤٢) ، ٨ - حدود أوروبا في عهد السيطرة النازية ،

وفي النرويج كانت اعمال المقاومة الاولى من مآثر رئيس المحكمة العليا ، « بال برغ » ، اهل
قضاة الدولة ، واسقف اوسلو ، حبر الكنيسة اللوثرية ، « برغراف » ، اللذين اسسا « جبهة
الوطن » الصرية . فانتشرت « الجبهة » في كافة انحاء البلاد واصدرت زهاء ٣٠٠ صحيفة غير
شرعية ونظمت ادارة مهاجرة الى السويد او انكلترا استفاد منها ٥٠.٠٠٠ شخص . وفي شباط
١٩٤٢ استقال اساقفة النرويج السبعة ومعظم الرعاة . وعرفت المصالح الادارية اعمال قيد الشبان
للعمل في المصانع الالمانية ؛ ففي كانون الاول ١٩٤٣ ، اوقف ١٥٠٠ طالب من طلاب جامعة
اوسلو - المقفلة - و ٦٥ استاذاً بسبب اعتراضهم على فرض الاختبارات السياسية من اجل
تسجيل اسمائهم في الجامعات .

ان نظام القوة والجور الذي اخضع له السكان ليفسر نشاط
وعنف حركة المقاومة التي نمت في كافة انحاء الارض البولونية .
فان تقليد المقاومة القديم الذي يرقى الى عهد الاقتسامات ،
في اوربا الشرقية
والجنوبية الشرقية
والمهارة في التنظيم السري التي انتقلت من جيل الى جيل ، قد افاحا ، منذ خريف السنة ١٩٣٩ ،
بناء جهاز سري ضخم كان بمثابة حكومة حقيقية على اتصال وثيق بحكومة المنفى ، بفضل
الاحزاب السياسية الاربعة الرئيسية : الحزب القروي ، الاشتراكيين ، الوطنيين الديموقراطيين ،
الديموقراطيين المسيحيين . واعيد تأليف جيش بري (ضم ٣٨٠.٠٠٠ رجل في السنة ١٩٤٤) .
وزاولت السلطة الادارية « مندوبية حكومية » ضمت عملاء لكل منطقة ، وادارات بمثابة
وزارات ، و « تمثيلاً سياسياً » سرياً ضم ممثلين عن الاحزاب الاربعة . ومما بدا ذلك غريباً
فقد استمر ، بعد اقفال مؤسسات التعليم الثانوي والعالي ، في توزيع العلم في الخفاء بحسب التقليد
البولوني وفي اجراء الامتحانات . وطبعت صحف سرية ووزعت ، واستمر العمل في بعض
مصانع الاسلحة والذخائر . وارتدى الصراع ضد العدو طابع ادهاب ووحشية لا يعرفان
للرحمة معنى .

تجزأت يوغوسلافيا بعد حرب لم تدم سوى ايام معدودة ؛ فبينما حظيت كرواتيا بمطف
الابطاليين والالمان ، وتقاسمت الدول المجاورة اشلاء الدولة القديمة ، اخضع ما تبقى منها اي
صربيا ، لنظام جاء ثقیل الوطأة . ولكن القسم الاكبر من البلاد قفري وجبلي ، وعرف البقاء
هنا ايضاً تقليد مقاومة قديم جداً ضد تعسف الاجني . فقد نجحت بعض وحدات الجيش
المهزوم ، بقيادة الكولوتيل ميخالوفيتش ، في الالتجاء الى الجبال . وكان لدى الشيوعيين
اليوغوسلافيين من جهتهم ، بقيادة تيتو الكرواتي منظمة قوية وواسعة الانتشار . ولكن
الحلاف لم يلبث ان ذر قرنه بين الفريقين : فقال فريق ميخالوفيتش بالتقليد المركزي الصربي ،
الارثوذكسي والملكي ، بينما قال فريق تيتو بنظام المحادي وديموقراطي يحقق اصلاحات عميقة .
فاستمال الشيوعيون بنشاطهم وحيويتهم كل من رغب في محاربة الالمان والاوستاشي ، بينما خشي
فريق ميخالوفيتش (تشتيك) من انتقام الالمان الوحشي وتعاون على الكرواتيين والانصار

الشيوعيين مع حكومة الانقاذ الوطني الخاضعة للامان التي اسسها الجنرال « نديك » في بلغراد ومع الايطاليين المعسكرين في الجبل الاسود .

بفضل سرعة حركتهم ومهارتهم في المناورة نجح الانصار في الاقلات من الهجمات المختلفة التي شنت عليهم ، لا بل جمعوا في « بيهاك » ، في تشرين الثاني ١٩٤٢ ، (جمعية تحرير يوغوسلافيا الوطنية المعادية للفاشية) - افنوج - التي تبنت مبدأ التحساد يوغوسلافي . وفي ١٩٤٣ اشتركت قوات ميخالوفيتش جهاراً في عمليات الهجوم الالمانى الرابع على الانصار ، العملية البيضاء ، فاوقف الحلفاء عنها حينذاك كل مساعدة مادية وحصروا مساعدتهم كلها في تيتو . وعند الاستسلام الايطالي ، كان هذا الاخير قد نجح في الاستيلاء على « دالماتيا » باستثناء « سبليت » وعلى مخزونات هامة من الاسلحة الايطالية فتوطدت سلطته على اسس متينة ؛ وفي السنة ١٩٤٣ قرر مجلس التحرير الوطني ان مسألة الملكية سيسويها الشعب بعد تحرير البلاد .

وكانت اليونان المحتلة كذلك مسرح منازعات غامضة بين عدة قوات مختلفة ومتنافسة ومنقسمة على نفسها : الحكومة اليونانية في المنفى مع انصارها ، المقاومة الداخلية غير الشيوعية (أدس) وأكتا ، واخيراً الحزب الشيوعي اليوناني والمنظمات التي يشرف عليها .

في ايطاليا ، زال نفوذ الحكم الفاشستي زوالاً كلياً بفعل عجزه عن المقاومة الايطالية اعداد الحرب وتسييرها ، وبفعل فساد وفساد تكتلاته المختلفة . وفي الحقل الاقتصادي ارتدى الوضع طابع البلبلة . ففي شهر آذار ١٩٤٣ حددت حصة الفرد من الخبز بـ ٢٠٠ الى ١٥٠ غراماً (نصف الحصة الالمانية) . ثم ان نقص الحامات والفحم الحجري والبترول قد خفضت انتاج الصناعة الى ٤٠ او ٦٠٪ من امكاناتها الاولى ، فأقفلت عدة مشاريع ابوابها او ضمت الى المشاريع الالمانية الكبرى . فاحرز مناوئو الفاشستية تقدماً ملموساً : ارفع عدد الشيوعيين والاشتراكيين في جنوى وميلانو وتورينو ، وانضمت الاوساط الجامعية الى مناوئو الفاشستية ، وبات شطر كبير من البورجوازية انكليزي الميول ، فصدرت صحف سرية في كل الجهات . وفي ربيع السنة ١٩٤٣ ، انفجرت اضرابات في تورينو تطالب بـ « الخبز والسلم والحرية » ، وفي مؤسسة كابروني في ميلانو ، وفي مصانع بيرلي وفيات - مينافيوري . ومنذ السنة ١٩٤٢ عقد تحالف بين الاحزاب السرية : الشيوعيين ، والاشتراكيين ، والديموقراطيين المسيحيين ، وحزب الوسط اليساري الصغير الذي سيدعى الديموقراطيين العمال ، واليسار المازيني الذي سيؤلف (حزب العمل) . وحدد التحالف هدفاً له قلب موسوليني وعقد الصلح . وكان البلاط والعائلة المالكة على اتصال بهم وعلى علم بما يدبر . ومن جهة ثانية فكر عدد من كبار المسؤولين الفاشستيين المستائين ، كـ « شيانو » (وبوتاي) و (غراندي) بفاشية تسدين بالحرية بدون موسوليني . وفي ٢٥ تموز ١٩٤٣ قرر المجلس الفاشستي الاعلى بالتصويت المطالبة باعادة كافة الصلاحيات الدستورية الى التساج . فارقف موسوليني وحل محله

المارشال « بادوليو » الذي دخل في مفاوضات سرية لوقف إطلاق النار . الا ان موسوليني ، الذي حرره هتلر ، قد اسس حكماً وطنياً فاشستياً أمسى في كانون الاول (الجمهورية الاجتماعية الإيطالية) التي لم تكن اكثر استقلالاً من الدول التابعة الاخرى .

تميزت المقاومة الإيطالية بفعالية خاصة على الرغم من انها فاضلت في ظروف صعبة بسبب تصرفات بادوليو الخرقاء ومناورات الحلفاء الخادعة وعدم ادراكهم الذي جعل الالمان يستفيدون من فترة الـ ١٥ يوماً الثمينة التي انقضت بين سقوط موسوليني ووقف إطلاق النار لاحتلال روما وتثبيت اقدامهم في كافة انحاء البلاد . ولكن المقاومة عبات الامة في حركة وطنية عامة ، في موجة عارمة من الحماس للعدالة والحرية مثلتها بـ (ثورة ثانية) اشتركت فيها هذه المرة الطبقة العمالية وشر من القرويين ، على نقيض الثورة الاولى التي قامت على اكتاف سكان المدن البورجوازيين .

لم تترد هذه المقاومة الطابع نفسه في كل مكان : فقد كانت اقل نشاطاً في ايطاليا الجنوبية وايطاليا الوسطى حيث ادارتها الاحزاب الديموقراطية المعتدلة في لجنة التحرير الوطني التي يشرف عليها الحلفاء الانكليز ساكسون والحكومة الملكية منها في شمالي الابنين حيث تشددت احزاب اليسار - حزب العمل والشيوعيون بنوع خاص - في تصميمها على تحقيق « ديموقراطية تدريجية » وتجديد البلاد تجديداً كاملاً . وكان لجيوش الانصار فيها ، على العموم ، لون سياسي وصريح جداً ، اقله عند القادة الذين لم يفرضوا قط اعلان الاخلاص للملكية . ففي اودية جبال الالب ، وفي لينغوريا ومنطقة البندقية الجولية ، تمكنت بعض جماعات المقاومين المسلحين من تأليف وحدات محاربة حقيقية . وقد الفت لجان تحرير وطني اقليمية ومحلية ، ولجان مصانع ، واحياء ، واخيراً لجنة التحرير الوطني العليا التي ضمت ممثلين عن الاحزاب الخمسة الرئيسية . فجمعت كل هذه اللجان الاموال والمؤن للانصار وشجعت الصحف السرية ونظمت اعمال التخريب ، والاضرابات (في ميلانو في كانون الاول ١٩٤٣ واذار ١٩٤٤ ، وفي تورينو في حزيران) وحق الاضرابات الثورية في جنوى وميلانو في شهر نيسان ١٩٤٥ . وهكذا كانت مخافة المدن الهامة في ايطاليا الشمالية في قبضة الوطنيين قبل وصول الجيوش الحليفة .

المقاومة الألمانية في ألمانيا، افضت قوة تنظيم الحزب النازي وقوانينه، والفظاظة التي لجأ اليها في تشييت كل من يقف حجرة عثرة في سبيله قبل استيلائه على السلطة وفي قمع كل معارضة ، والنجاحات الباهرة التي احرزتها سياسته الخارجية ، الى ملاشاة كل بادرة معارضة صريحة . اجل مازال للشيوعيين الموجودين في السجون او في معسكرات الاعتقال او في المنفى ، بعض الخلايا المنتشرة في البلاد ولكن نشاطهم كان مشلولاً شلاً تاماً . وآل الديموقراطيون والاجتماعيون الديموقراطيون الى العجز نفسه . وأزيل كذلك المعارضون معارضة مبدئية . وقد جاز للمناصر المحافظة وحدها ، على نطاق محدود جداً ،

مخالفة نظام الحكم بعض المخالفة : القادة والدبلوماسيون الذين اقضت مضجهم جسارة المشاريع الهتلرية فاقصوا عن مراكزم ، والاشراف الريفيون الذين ابتعدوا عن اسياد المانيا الجدد ، مغتاضين من فسادهم ومن دناءة الحكم وبهيمنته ، والمسيحيون وعظام الاسياد المملكون والاحرار ، والكنائس التي لم تهددها مبادئ فلاسفة النازية فعسب ، بل سيطرتهم على الشبيبة والتهجمات الصريحة وغير الصريحة على اعضائها والجمعيات المنتمية اليها . ولكن المقاومة لم ترد سوى طابع فردي : اعتراضات الراعي « نيمولر » الذي دافع عن « الكنيسة المعترفة » ، أو اسقف « مونستر » ، الكونت « غالن » . ومنذ السنة ١٩٤١ ، اعترض بعض الاساقفة - حاذين حذو اسقف فريبورغ - في رسائلهم الراعية على مصادرة الاديرة (التي حوّلت الى مستشفيات) واقفال المدارس وإلغاء صحف الاسقفيات ومخالفة الاتفاقية المعقودة مع الفاتيكان وتعميم المرضى الزمنيين والمعتوهين وقتلهم . ثم حدثت بعض المبادرات كتوزيع منشور « الوردة البيضاء » على طلاب مونيخ بواسطة كريستوف برويست و هانس و صوفي شول في السنة ١٩٤٣ ، ولكنها مبادرات افراد او جماعات صغرى اعجزت من ان تقوم بعمل فعال .

من هذه الاوساط خرجت ، منذ السنة ١٩٣٩ ، المقاومة الالمانية المعسودة التي بلغتنا اخبارها : فقد حاكت المؤامرات واتصلت بالمصالح السرية الحليفة . وكلما طالبت الحرب - التي لم يرض عنها الشعب قط - وثقلت اعباؤها وتزايدت الغارات الجوية الانكلوساكسونية وبدأت الهزيمة النهائية اكيدة ، ابتعدت جماهير السكان عن الحكم . ولكن هذه الجماهير كانت اعجزت من ان تبدي اي نشاط بسبب ضغط السلطات ، ولا وجود للمنظمات التي كان باستطاعتها استثمار استيائها . فليس سوى الجيش المتمتع بالقوة ما قد يستطيع القيام بعمل ما . وقد كان عدد كبير من القادة معادين للنازية : رئيس الاركان السابق (بك) ، والمارشال (فون وتزلين) ، و (اولبرخت) ، و (هالدر) ، و (فون ترشكوف) و (اوستر) . وكانوا على اتصال بامير البحر (كافاري) الذي كان يسهل نشاطاتهم ويبررها ، بالاتفاق مع (فون كلوج) و (رومل) ومعظم كبار القادة الآخرين . واشترك في المؤامرة بعض كبار الموظفين المدنيين السابقين والحاليين : (غوردلر) الذي كان حاكم مدينة ليبزيغ ثم مفوض مراقبة الاسعار ، ووزير المالية البروسي (بوبيتز) ، و (جيزفيوس) احد موظفي ال (ابهر) ، والجنرال (س. س. نبي) رئيس الشرطة الجنائية ، والكونت (وولف فون هلدورف) ، مدير شرطة برلين ، وبعض الدبلوماسيين من امثال (اولريخ فون هاسل) ، و (فون وايزاكر) ، و (ورنر فون دير شولنبورغ) الذي كان قد تزوج من ابنة الاميرال فون تربيتز ، و (اريك كوردت) ، الخ . فقد كان كل هؤلاء محافظين ملكيين يمثلون المانيا ما قبل السنة ١٩١٤ ، على غرار اعضاء (جمعية كريزو) التي يعود الفضل في تأسيسها الى (هلموت فون مولتكه) ، حفيد شقيق مارشال السنة ١٨٧٠ ، و (بيتر يورك فون وارتنبورغ) ، ورئيس الكنيسة اللوثرية (اوجين جريستناير) ، الخ . الذين شكلوا النواة

الاساسية للمقاومة ، واتصلوا ببعض الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين (ميرندورف وتيودور هوباخ) وربما بالحزب الشيوعي السري ايضاً . فتوصلوا في صيف السنة ١٩٤٤ الى الاتفاق على برنامج مشترك وعلى الوزارة التي سوف تتولى السلطة بعد اقضاء هتلر . الا ان الحاجة كانت ماسة الى حل القادة - المقتنعين منذ زمن بعيد بضرر الفوهرر - على فرض وقف العمليات ، وازالة هتلر وغورنغ والمقربين اليها . فاصطدم المتآمرون بتردد ضمائرهم ، ويمين اخلاصهم لهتلر ومخاوفهم ، واحترافهم الطاعة ، وقد قيل ان اخفاقهم دليل على استقامة المحافظين الالمان الشخصية وعجزهم السياسي . وكان من الواجب ، في الحقيقة ، ان تحدث موجة عصيان عميق الجذور تشمل جنود الجبهة والطبقات الشعبية ، ولكنها لم تحدث . واخفقت كذلك محاولة الكولونيل (فون ستوفنبيرغ) قتل هتلر في ٢٠ تموز . ولكنها ادت الى عمليات قمع ضارية تناولت كافة المشتبه بهم دون تمييز (اوقف ٧٠٠٠ اعدم منهم ٥٠٠٠ او عذبوا حتى الموت) . لعل المتآمرين كانوا على اتصال بالحركة المعادية للنازية (المانيا الحرة) التي تكونت في الاتحاد السوفياتي في اعقاب معركة ستالينغراد وتمثلت بلجنتين: اللجنة الوطنية المؤلفة من قدامى الالاجئين السياسيين ، ولجنة الضباط من اسرى الحرب . اما اللجنة الاولى التي كان نائب رئيسها الكونت (فون ايلسيدلن) ، ابن حفيد بسمارك ، فقد أسسها شيوعيون يدخل في عدادهم الكاتب (اريك واينرت) ، والعامل في صناعة استخراج المعادن (ولهم بيك) . واما اللجنة العسكرية فقد ترأسها الجنرال (فون سيدليتز - كارسباخ) واشترك في عضويتها ٢٤ قائداً انضم اليهم ، بعد اخفاق محاولة العشرين من شهر تموز ، الجنرال « فون ارنيم » والمارشال « فون بولوس » . وقد انحصر نشاط اللجنتين في معسكرات اعتقال اسرى الحرب ، والمهندسين الالمان الذين امكن الاتصال بهم بواسطة الاذاعة ، والصحف ، والمنشairs التي كانت تلقى فوق الخطوط داعية ايتام الى ايقاف القتال .

جاء القمع وحشياً ومتعدد الاشكال ، وقد تولته قوات الرايخ البوليسية المختلفة : غستابو ، ابوهر ، S.D. ، امن هام ، استخبارات ، بالاتفاق مع قوات الشرطة في الحكومات التابعة ، مستخدمة كافة وسائل الضغط الممكنة : وبصورة خاصة مصادرة اجهزة الراديو اللاقطة ، منع التجول ، توقيف الرهائن ونفيها ، تعذيب ، اعدام ، وتقتيل .

لم تلبث الوسائل الشرعية ان اهملت لان المحاكم المعادية قد برهنت عن عجزها عن معاقبة المسؤولين عن اعمال التخريب الموجهة ضد الجيش ، ولأن هتلر - الذي استشهد بمثل هوفر وشلاجر - قد انف من استخدامها خوفاً من ان يظهر المحاكمون بمظهر الشهداء . فلجأت السلطات بسرعة الى توقيف الرهائن . ومنذ السنة ١٩٤١ قرر الجنرال (فون ستولبناغل) اعتبار كافة الاسرى المحتجزين لدى السلطات الفرنسية كرهائن . ثم شمل مبدأ المسؤولية الجماعية عائلات المشتبه بهم وطبق للمرة الاولى حين حدوث مجزرة (ليديس) في شهر حزيران من السنة ١٩٤٢ . وفي

هولندا اوقف ٤٦٠ شخصاً ممن لعبوا دوراً هاماً في الحياة العامة واعتبروا مسؤولين ، تحت طائلة الاعدام ، عن « دسائس اللاجئين الى لندن » . وفي بولونيا اصدر الحاكم العام فرانك أمره بقتل ١٠٠ عضو من اعضاء المقاومة رمياً بالرصاص مقابل كل الماني يعتدى عليه ويقتل . وأصدر كيتل في ايلول ١٩٤١ أمراً باعتبار كل عمل مقاومة صادراً عن الشيوعيين وباعدام ٥٠ - ١٠٠ شيوعي مقابل كل جندي الماني قتل ؛ واخيراً صدرت الاوامر في كانون الاول بابعاد كل متهم لا يحكم عليه بالموت الى المانيا ، حيث لن يعرف شيء بعد ذلك عن مصيره . وفي تموز ١٩٤٤ ، بعد نزول الحلفاء في نورمانديا ، صدر قانون اشد قسوة يقضي بقتل « الارهابيين » والمخربين في مكان اعتدائهم بالذات .

في كافة الاقاليم المحتلة ، نقلت حالة الطوارئ السلطة القضائية الى محاكم خاصة (مجالس عرفية) برئاسة ضباط من الـ S. S. تصدر احكاماً سريعة ، غير قابلة للاستئناف ، دون استماع الى محامي دفاع ، وتقضي احكامها اما باعدام المتهم واما بتسليمه الى الغستابو . واعتمدت احياناً تدابير لـ « مكافحة الارهاب » و « مكافحة التخريب » ، اي جرائم قتل انتقامية يكون ضحاياها المقاومون او المشتبه بهم ويكون ابطالها افراد الـ S. S. او النازيون المحليون .

واخضع الوف الوطنيون من ابطال اعمال المقاومة أو من المشتبه بهم فقط بسبب آرائهم السابقة ، او من الرهائن الابرياء الموقوفين في احدى عمليات الخطف السريعة ، لعذابات برعت الشرطة النازية في تنويعها . وقد اعتمد « التعذيب الاعدادي » منذ زمن طويل ضد مقاومي النظام ، الا انه أصبح مرعي الاجراء رسمياً بموجب مذكرة اصدرها هتلر في ١٢ حزيران ١٩٤٢ ونصت على استخدام « الدرجة الثالثة » : حرمان من الغذاء والنوم ، تمارين مضنية ، جلد ، عقوبة المغطس ، تعذيب كهربائي ، الخ . ، لانتزاع اعترافات بعض فئات المساجين « كالشيوعيين والماركسيين و « شهود يهوه » والمخربين والارهابيين ، واعضاء حركات المقاومة ، والمعملاء الاجانب المتزلزين من الجو والعناصر المعادية للمجتمع ، والفارين البولونيين والسوفييات من الجندية » . فقتل عشرات الوف النساء شتلاً او رمياً بالرصاص او ضربت اعناقهم بالفاوس أو ماثوا اثناء التحقيق ؛ وجرت اعدامات بالجملة كما حدث في « فوس اردياتين » (حيث قتل ٣٥٠ رهينة ايطالية رمياً بالرصاص) ، وشنت هجمات انتقامية افنت سكان مدينة او سكان قرية باجمعهم ، بمن فيهم الاولاد والنساء ، كالهجمات على « ليديس » و « كراكيافانس » (٧٠٠٠ قتل) ، و « اورادور - سور - غلان » ، وآسك ، ومرزابوتو ، الخ . وقد رحل المنفيون في ظروف فظيعة مستهجنة ، مكذسين في قاطرات نقل البهائم ، هاجزين عن الحركة ، محرومين طيلة سبعة ايام متعاقبة احياناً من الغذاء والماء ، فكانت الوفيات بينهم مرتفعة جداً :

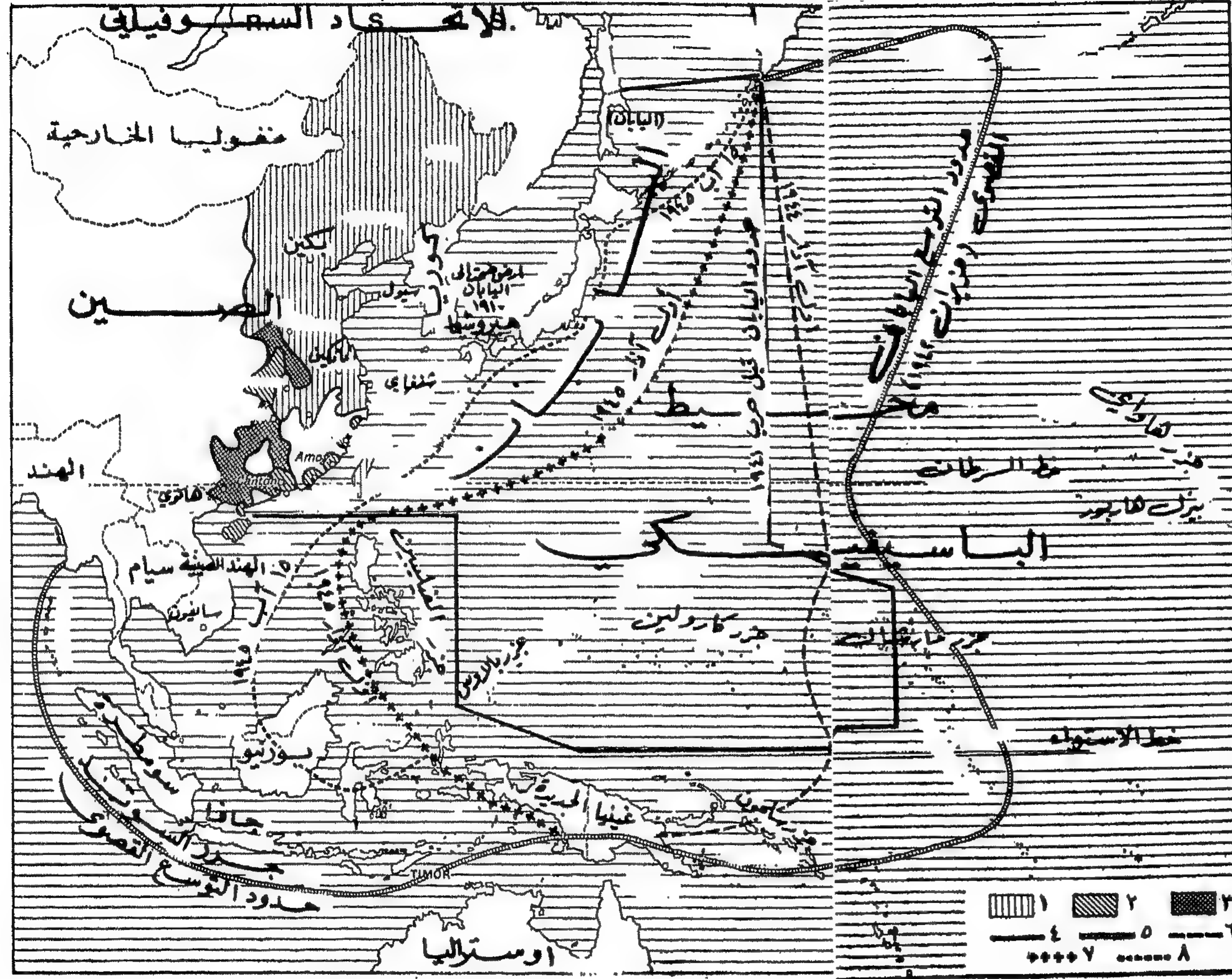
« كنا ٢٥٢١ عند مغادرتنا « كومبيانيه » فمات منا ٩٨٤ في الطريق ، ولم يعد منا من الاسر سوى ١٨١ فقط » .

هذا ما كتبه احد منفيي قافلة الثاني من
تموز ١٩٤٤ . ولكن نسبة الناجين هنا أعلى من
المعدل العام .

٣ - النظام الياباني الجديد

النظام الياباني الجديد
ان التوسع الياباني ، الذي
ابتدأ منذ أواخر القرن
التاسع عشر وازدادت
سرعته بعبء الحرب العالمية الاولى ، قد
استوحى - على غرار للتوسع الألماني - الايمان
بتفوق العرق ، وبعض الشواغل الاقتصادية
والاجتماعية ، واستهدف بسط السيطرة اليابانية
على القسم الشرقي من القارة الآسيوية بكليته
وعلى أرخبيلات « البعور الجنوبية » .

آسيا الشرقية
شجعت النجاحات الألمانية
في أوروبا الحزب العسكري
الكبرى الياباني ، ففرض في النهاية
سياسته التوسعية على الاسطول والامبراطور .
ومنذ شهر تموز ١٩٤٠ المحدد ما يجب ان تكونه
« منطقة الازدهار المشترك في آسيا الشرقية
الكبرى » : تطرد اليابان من الشرق الأقصى
الدول الاستعمارية : الكملترا ، فرنسا ، الولايات
المتحدة ، هولندا ، وتزيل تأثيرات الفلسفة
المادية الغربية ، وتطور الشعوب المحررة على
الصعيدين السياسي والاقتصادي بهداها . ويقام
حينذاك (نظام جديد) تدخله الصين والهند
الصينية وتايلندا وماليزيا والهند النييرلندية ،
وبحكم الطبيعة ، المناطق الخاضعة للنفوذ الياباني
كال (منشووكو) . فأتاحت القارة على الاسطول
الاميركي في (بيرل هاربور) ، في ٨ كانون الأول
١٩٤١ ، وتدمير طائرات الفيلبين ، تحقيق



الشكل ٢٠ - الحرب في الشرق الأقصى

- ١ - في اول ايلول ١٩٣٩ ، ٢ - في تموز ١٩٤٣ ، ٣ - في شباط ١٩٤٥ :
ارض صينية احتلتها اليابان ؛
- ٤ - في السنة ١٩٣٩ ، ٥ - حين توسعها الأقصى ، ٦ - في اول
اذار ١٩٤٤ ، ٧ - في اول آذار ١٩٤٥ ، ٨ - في ١٥ آب ١٩٤٥ .

فتوحات عظيمة خلال اسابيع قليلة : الفلبين ، بورنيو البريطانية ، ماليزيا ، هونغ - كونغ ، وايك ، غوام ، انسولندا . وكانت الهند الصينية قد سقطت في ايديهم ، فانضمت تايلندا الى اليابان وارسلت جيوشاً تشترك في غزو بورما الذي عزل الصين عزلاً تاماً . وكانت خسائر الحلفاء فادحة : بالإضافة الى البوارج الحربية المدمرة او المعطلة ، و ٢٠٠ ٠٠٠ طن من السفن التجارية ، و ٣٠٠ ٠٠٠ اسير أو قتيل ، وإضرار لا تسد ثلثه بنفوذ البيض ، وفقدان امبراطورية آهله بـ ٤٥٠ مليون نسمة وغنية بالثروات الهامة جداً ، وانفجار حماس فريد من نوعه بين الشعوب المستعمرة . وكان من شأن سرعة وسهولة هذه الفتوحات ان شجعت القيادة اليابانية على محاولة توسيع محيط دائرة دفاعها حتى ميدواي وجزر سليمان ، وحتى كاليدونيا الجديدة ، وجزر ساموا وجزر فيدجي اذا امكن ذلك ، وفي الشمال حتى الجزر الاليوسية ، بغية ملامشة شأن آلاسكا من جهة ، وشأن أستراليا وزيلندا الجديدة من جهة اخرى . وعلى الرغم من فشل هذه المحاولات فشلاً جزئياً ومن ايقاف التقدم الياباني في صيف السنة ١٩٤٢ ، فقد امتدت آسيا الشرقية الكبرى من منشوريا الى غينيا الجديدة والفت منطقة شاسعة الأطراف يستطيع النظام الجديد ان يقوم فيها (الشكل ٢٠) .

تجلت رسالة اليابان ، قبل أي شيء آخر ، كرسالة ثقافية
حكومات الشعوب الخضعة
تستهدف المحافظة على التأثيرات التقليدية الاجتماعية والدينية واقصاء التأثيرات الاجنبية . ففي كل مكان سميت اليابان جاهدة الى تقوية المثل المتسلطة على المجتمع الآسيوي : سلطة رئيس العائلة ، معنى تضامن الدم الواحد ، عقيدة مسؤولية الجماعة ، تبعية المرأة . وفي الصين ومنشوريا حاولت احياء الكونفوشيوسية ، وفي سيام وبورما شجعت البوذية وتعزيز الروابط بالطوائف البوذية اليابانية . وفي ماليزيا واندونيسيا جاهرت بالاحترام نفسه للاسلام ، وفي الفلبين للكاتوليكية ، التي هي دين سلطة ، وان كانت غربية ؛ وحافظت على علائق صداقة بالفاتيكان ، اذ ان الدعاوة المضادة للغرب استهدفت التأثيرات الاميركية اكثر من ارث روما واسبانيا . وعن اليابان يجب ان تقتبس الشعوب المحتلة مثلها الادبية والروحية ، ويجب ان تكون لغتها اللغة الثانية للجميع ، وان تكون الاعياد الوطنية اليابانية (عيد مولد الامبراطور ، وعيد تاسيس الامبراطورية) أعياداً وطنية في كل مكان ، وان تسلط الاضواء على تجانس العرق بين اليابانيين والفلبينيين والماليزيين والسياميين .

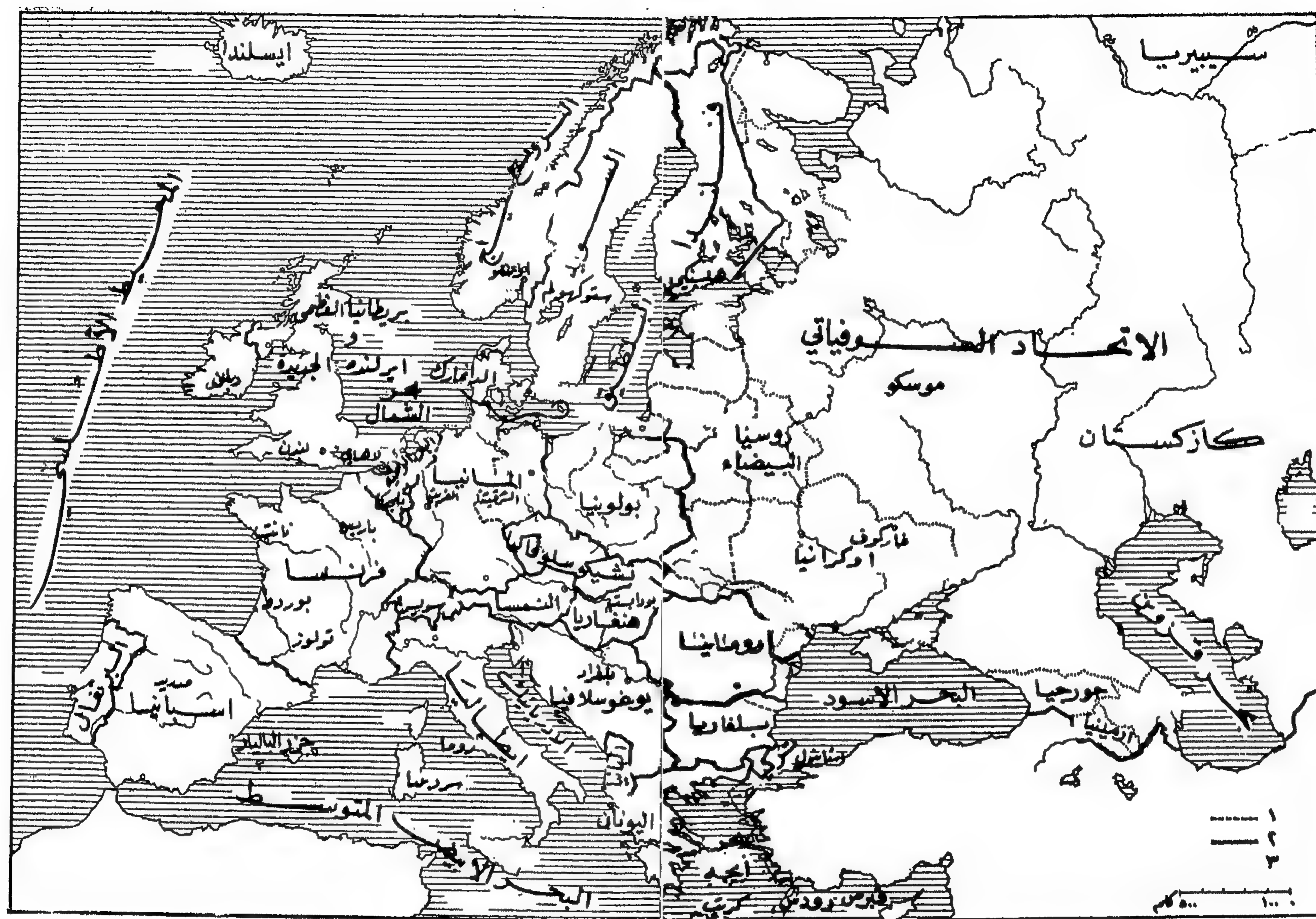
ان التنظيم السياسي لآسيا الشرقية الكبرى كان في الواقع بسيطاً جداً : تتولى اليابان القيادة ، وعلى الدول التابعة المرتبطة بها ارتباطاً سياسياً وثيقاً ان تسهم في تكوين دائرة الازدهار المشترك . وسوف تقسم الاقاليم المحتلة الى ثلاث فئات : الاقاليم التي سوف تضم الى اليابان بسبب اهميتها الاستراتيجية بغية المحافظة على تفوق اليابان البحري والعسكري : هونغ - كونغ ، سنغافورة ، بورنيو ، غينيا الجديدة ، تيمور ؛ الدول التي تحكمها اليابان حكماً مباشراً وقد تمنح استقلالاً محدوداً : الدول الماليزية ، الاتحاد الاندونيسي ؛ وأخيراً البلدان

الحليفة : مندشوكو ، الفيليبين ، الصين ، الهند الصينية ، سيام ، بورما ، التي سوف تستقبل حاميات عسكرية يابانية في النقاط الاستراتيجية وتوقع معاهدات تحالف عسكري .

في الحقل الاقتصادي ، خططت اليابان للاقتصاد الاستعماري المبني على نظام المغارس ورفض انشاء الصناعات ، ووعدت بالازدهار المشترك والاستقلال الاقتصادي : ان كل قطاع من قطاعات دائرة الازدهار المشترك سوف ينتج مايتناسب وامكاناته ويحصل من القطاعات الاخرى على ما يفتقر اليه . وكان الهدف في الحقيقة تنظيم البلدان المحتلة بحيث تحصل منها على الخامات التي تحتاج اليها وتبيع مصنوعات منها . ويبدو ان هناك خطة اقتصادية طويلة الاجل قد ووجهت : تكون اليابان ومندشوكو ، وكوريا ، والصين الشمالية الى حد ما ، مركز انتاج الفولاذ والحديد والمواد الكيميائية والآلات على اختلاف أنواعها وتوفر آسيا الجنوبية الشرقية الخامات وتصنع الانسجة والمطاط : وتنشأ فيها صناعات خفيفة لاستخراج المعادن وتنقيتها ومعالجتها . ولكن حاجات اليابان يجب ان تتقدم حاجات الدول الاخرى ، ويجب ان ينحصر التنظيم الاقتصادي في اليابانيين ، اذ ان مؤسساتها التجارية وشركاتها الملاحية تشرف على معظم النشاطات المالية والتجارية في كافة بلدان كتلة الـ « د ن » ، والتخطيط الاقتصادي منوط بالوزارة اليابانية لآسيا الشرقية الكبرى .

طيلة استمرار العمليات الحربية ، خضع الاقتصاد في الواقع لحاجات القوات المسلحة المقاتلة واملأ تطور العمليات المعاكس . ففي كل مكان تكررت الوقائع نفسها : منذ السنة ١٩٤٣ ، شلت الحركة التجارية بسبب الخسائر الفادحة في الاسطول الياباني بفعل الغارات الجوية وهجمات الفواصات ؛ وكانت نتيجة تزايد حاجات قوات الاحتلال الى الغذاء واليد العاملة ، والتضخم المالي الذي افتعله اليابانيون ، والنقص العام في المصنوعات التي كانت تستورد من اوروبا واميركا ، وندرة المواد الغذائية في المدن والبلدان التي تعودت الحصول عليها من الخارج ، ضيقاً وحرماناً وتشويشاً عاماً في الاقتصاد ، وبالتالي استياء بين السكان .

في كل مكان اصطدم النظام الجديد الياباني - على غرار نظام الالمان ، وللأسباب نفسها - بالصعوبات عينها وانتهى الى فشل يكاد يكون تاماً . فقد استقبله السكان - باستثناء الصينيين - بعطف ، ولكنه ما لبث ان صدمهم واثار استياءهم : عواقب الحرب ، والاحتلال ، والصعوبات الاقتصادية والحرمانات ، وخصوصاً عواقب الفظاظة والمجرفة اللتين عاملهم بهما الجنود والضباط العدليون الذين غالباً ما اتزلت بهم عقوبات جسدية فاعتقدوا يجاوز كل شيء لهم حيال السكان المدنيين . يضاف الى ذلك ان تأجيل تنفيذ الوعود بالاستقلال خيب آمال الوطنيين الذين رفضوا ابدأ قسماً مصالحهم القومية بمصالح اليابان والقبول بأن يصبحوا مجرد اعوان توابس . والحقيقة هي ان معظم الذين سلمهم اليابانيون زمام الحكم ، كـ « سوكارنو » ، و « هاتا » ، و « لوريل » ، و « بامو » ... لم يكونوا تعاونيين على طريقة كويسلنغ : آمنوا بالوعود المقطوعة



شكل ٢١ - أوروبا في السنة ١٩٦٥
 ١ - حدود ١٩٢٠ ، ٢ - الحدود الحالية ، ٣ - عواصم الدول .

بالاستقلال، ولكنهم ما ان استثبتوا عدم خلوص النية حتى استعدوا للاستفادة من هزيمة الغزاة. ففي اندونيسيا وسيام وبورما والهند الصينية استخدم الوطنيون اليابانيين ضد الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين، ثم انقلبوا عليهم.

الهند الصينية في الهند الصينية، اتصف الموقف بالتناقض؛ فان اليابان التي نشطت دعاوتها ضد السياسة التوسعية والاستعمارية الغربية قد تركت للفرنسيين امر حكم البلاد بسبب افتقارها الى جهاز فني كاف تحمله محلمهم. فقد كان بمقدور الفرنسيين وحدهم المحافظة على النظام وتنمية الانتاج في هذه البلاد التي كانت ضرورية لمواصلاتهم مع الجنوب والهند والتي كانت توفر لهم منتجات ثمينة. وفي شهر آب ١٩٤٠، اعترفت حكومة فيشي بتفوق اليابان سياسياً واقتصادياً في الشرق الاقصى ومنحتها امتيازات اقتصادية في الهند الصينية، وقواعد جوية وبحرية مقابل وعد الحكومة اليابانية باحترام السيادة الفرنسية. ولكن تطلبات الحكومة اليابانية لم تقف عند حد: وضع اليد على منتجات المناجم، ربط القرش باليكن، المساواة بين المشاريع الفرنسية واليابانية، الخ، وقد اخذت في الوقت نفسه تمهد السبيل لاقصاء الفرنسيين بتشجيع العناصر البلدية المعادية للشيوعية كشعبة الـ «كاووداي». يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان وجود الجيوش اليابانية، وغطرسة الظافرين - العسكريين والمدنيين المتوافدين على السواء - الذين استطابوا اذلال البيض والظهور بمظهر انصار الاستقلال الانثامي، قد اضعفا نفوذ الفرنسيين اضعافاً خطيراً. وفي ٩ اذار ١٩٤٥، قلب اليابانيون الادارة الفرنسية واعتقلوا الفرنسيين الذين استطاعوا ايقافهم وانشأوا «التحاد تونكين الوطني»؛ فاعلن امبراطور انثام «باو - داي»، وملك كمبوديا من بعده، ابطال معاهدة الحماية الموقعة في السنة ١٨٨٤، واستقلال البلاد استقلالاً تاماً، ووعدا بالتعاون مع اليابان، في حين ان المقاومين الـ «فيات منه» رفضوا الانحناء امام اليابانيين وعززوا الصراع ضدهم؛ وبعد استسلام اليابانيين اعلنوا استقلال فيتنام.

اذن انتهت خطة احتلال الشرق الاقصى التي وضعها العسكريون اليابانيون الى الفشل، وغمر النصر الحليف فكرة آسيا الشرقية الكبرى؛ الا ان نجاح الحركات القومية التي ساعدتها اليابان مساعدة كبرى، ولا سيما بمثلها وبأثرة نفعتها على سياستها التوسعية، قد قوّض الامبراطوريات الاوروبية الاستعمارية. ومن هذا القبيل يمكن القول ان اليابان لم تخض غمار الحرب عبثاً.

الخلاصة

تسببت الحرب العالمية الثانية بخراب ودمار دونها ما تسببت به الحرب الاولى ، اذ انها على نقيض الاولى كانت شاملة بعدد القوات المتجابهة في آن واحد ، وباتساع وشمول ميادين العمليات الحربية ، وبتعبئة كافة طاقات وموارد الدول المشتركة فيها ايضاً . لقد كانت الحرب العالمية الاولى حرباً بين الدول الاوروبية من حيث ان نصيب اليابان فيها لم يكن بذى شأن وتدخل الولايات المتحدة فيها جاء متأخراً ومحدوداً . اما في الحرب الثانية فقد تدخلت هاتان الدولتان تدخلاً كلياً وتدخل معها القسم الاكبر من العالم الآسيوي ، في الوقت الذي كانت فيه اوروبا مسرحاً للعمليات الكبرى .

لم يكن تدمير الآلة الصناعية ، التي ما كان العدو ليستطيع بدونها مواصلة القتال ، دون تدمير الجيوش اهمية . لذلك آمن المتحاربون في مهاجمة القطاع المدني حيث تتجمع هذه الطاقة الصناعية . فقد عانت كافة الدول المحاربة - باستثناء الولايات المتحدة - من الغارات الجوية الكثيفة ، ولا سيما بريطانيا العظمى واليابان . اما الاتحاد السوفياتي والمانيا حيث قاتل ملايين الرجال ، فقد جعل منها القصف الجوي والقصف البري ومعارك الشوارع وخطوة « الارض المحرقة » والتدمير المنظم اثناء الانسحاب ، مسرحاً لدمار شامل رهيب .

ولكن بينما قامت في السنة ١٩١٨ ، الى جانب الدول الظافرة ، الولايات المتحدة ، وانكلترا ، وفرنسا ، دول هامة اخرى ، وحتى من المرتبة الاولى - يدخل في عدادها المانيا وروسيا بالرغم من افول نجمها الى حين - ، ففي السنة ١٩٤٥ ، سيطرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بطاقتهم العسكرية والاقتصادية ، وقتلتها انكلترا من مسافة بعيدة . اما اوروبا البرية ، المخربة والمقطعة الاوصال ، فليست بعد اليوم مؤلفة الا من دول ثانوية آلت الى وضع دوني . وفي آسيا لم تعد اليابان المغلوبة على امرها سوى ارخبيل صغير مكتظ بالسكان ، تحتلها الجيوش الاميركية ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بسياسة الولايات المتحدة . وفي كافة الحماة منطقة « الازدهار المشترك » التي سيطرت عليها خلال سنوات قليلة ، حرك انهيار الامبراطوريات الانتفاضات القومية البلدية تحريكاً حاسماً ، وانبأت الحركة التي انتشرت في العالم الاسلامي بهجوم شامل على الامبراطوريات الاستعمارية .

الكتاب الثاني

العالم الحرّ الجديد

« في معظم المواسم راقبت الدوائر الاميركية ردود فعل الاقتصاد وتقدم التسليح قبل توزيع القروض ومراقبة استخدامهما . فجعلت المساعدة الاقتصادية من الدول الاوروبية شريكات ممدّة بالمال ، وجعلت منها المساعدة العسكرية حليقات منصورة . وكانت الولايات المتحدة ، في الواقع ، حامية اوروبا الضعيفة » .

« غي دي كارموا »

« ان خير حقل للحرية هو السلم ، وان كافة أنظمة الحرب ، وحتى أنظمة الحرب الباردة ، صائبة حتماً الى المحسورية والاستبداد والتحكم » .

« وولتر ليهان »

الفصل الأول

انقسام العالم واختلال توازنه

على غرار الحربين العالميتين تتميز الفترتان اللتان تلتها بخلافات هامة . ففي اعقاب الحرب العالمية الاولى مباشرة سرّحت الجيوش تسريحاً شاملاً في كافة البلدان وتوقف انتاج الاسلحة . لا بل حين حدثت الازمة الاقتصادية العالمية لم يفكر احد قط بمعالجتها بتنشيط الصناعات الحربية . ولم يشاهد اقتصاد دولة كهوى يكرّس ، في وقت السلم ، معظم طاقته الانتاجية لصناعات الاسلحة ، لأول مرة في تاريخ البشرية ، الا حين استلم النازيون الحكم في المانيا ؛ فاكتفت حينذاك الدول المهددة الاخرى - باستثناء الاتحاد السوفياتي - بتنشيط صناعة مماثلة على نطاق أقل اتساعاً .

فقدان الثقة بين الحلفاء
اما بعد هزيمة المانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية ، فلم تُنقِص الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي طاقتهما الحربية الا انقاصاً جزئياً ؛ فأبقت كلها على جيوش قوية وصناعات حربية هامة ، وواصلت ابحاثها المجمومة في نطاق الاسلحة الجديدة . ثم أفسح نزاع الاسلحة الجزئي والوقتي هذا المكان لتسلّح جديد واسع النطاق ؛ لا بل ان الحرب قد اشتدت عنفاً وشمولاً خلال النزاعات المحلية التي اندلعت ، ولا سيما خلال حرب كوريا ، حيث فاقت ضراوة القصف ضراوة الحرب العالمية في اوروبا .

يرد ذلك الى ان العالم قد انقسم انقساماً عميقاً الى كتلتين ، قرب بينهما الخطر المشترك الى حين ، وفرقت بينهما خلافات النظام الاقتصادي والاجتماعي ، والامواء والمصالح . فقد حل محل نظام التوازن المتعدد الاطراف الذي كان مركزه اوروبا نظام توازن بين طرفين اثنين هما دولتان كبيرتان غير اوروبيتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ؛ وقد عزز هذا التوازن الجديد ان هاتين الدولتين كادتا تحتكران الاسلحة الذرية . فقد افضى النصر السوفياتي ، وانشاء ديموقراطيات شعبية في اوروبا الشرقية والوسطى ، ثم انتصار ماوتسي تونغ في الصين بعد سنوات قليلة ، الى توسيع « معسكر الشيوعية » توسيعاً مدهشاً ؛ ومنذ السنة ١٩٤٣ ، كان الامر الذي تركته

الانتصارات الروسية وتجلي قوة الدولة العسكرية وركانة النظام الذي وصف بالهشاشة منذ زهاء ثلاثين سنة ، ضربة هائلة للمجتمع القديم اقضت مضجع الدول الانكلوساكسونية . ولنتذكر هنا مساعي ونستون تشرشل من اجل توجيه « الجبهة الثانية » ، التي طالب بفتحها ستالين ، نحو « بطن أوروبا الرخي » - حوض الدانوب - ونصائحه الى ايزنهاور ببلوغ برلين قبل الصوفيات . ولنتذكر كذلك حسن التفات المسؤولين والدبلوماسيين الانكلوساكسون ومراعاتهم للحكومات والشخصيات المحافظة في كافة البلدان : حكومة فيشي ، حكومة بادوليو ، حكومتى اليونان ويوغوسلافيا الملكيتين ... ، وترددن حيال « المقاومة » ، فيتضح لنا ان الثقة بين الحلفاء ، حتى قبل نهاية الحرب ، ابعدهن من ان تكون تامة . فان السيطرة الاقتصادية والسياسية التي حسبت الولايات المتحدة انها ستفرضها بدت محدودة ومعتزلاً عليها منذ السنة ١٩٤٥ ، في الوقت الذي أدت فيه احلام الاصلاح العميق التي حرّكت « المقاومة » في كافة البلدان الى القاء الذعر في الطبقات الحاكمة وحملها على الانضمام الى المعسكر الاميركي .

منذ نهاية العمليات العسكرية في أوروبا وآسيا ، اشتد الحذر المتبادل وتراكت في كلا المعسكرين بوادر سوء التفاهم والشكوك والشكاوى ؛ فاشتدت من ثم الخلافات بين الحلفاء وأفضت خلال سنوات قليلة الى نزاع ارتدى في كافة الحقول - باستثناء حقل الاسلحة - طابع حرب حقيقية ؛ هذه هي الحرب الباردة التي رافقها انقلاب غريب في التحالفات والتي ميزت فترة ما بعد الحرب الثانية ؛ بدأت في السنة ١٩٤٧ ، ولم تبد بوادر الانفراج الا في السنة ١٩٥٣ . وكانت نتيجة الخلاف بين الدولتين الكبيرين اشتداد الانقسامات في داخل كل بلاد ؛ فان انصار ونخوص النظامين قد تعادوا وعبأوا كافة طاقاتهم ودخلوا في صراع لا هوادة فيه وفرضوا على الجميع تحديد موقفهم دون ان يتركوا لاحد امكانية البقاء على الحياد او التردد . وخارج أوروبا حاول كل معسكر توسيع منطقة نفوذه وتعزيز مراكزه بما اثار في كل مكان منازعات تحوّل بعضها ، في آسيا ، الى حروب محلية محدودة . وقد ارتبطت المسائل السياسية والمسائل الاقتصادية ارتباطاً وثيقاً في هذا الاستعداد لحرب عالمية ثالثة يعتقد كل طرف او يتظاهر بالاعتقاد بان الطرف الآخر قادر على اعلانها وخوضها ؛ فطُبعت كافة مظاهر الحضارة المعاصرة بطابع جديد من التقلقل المتزايد ، واشتد في الوقت نفسه التوتر القديم .

تأسس
الامم المتحدة

سار تفكك التحالف من ثم بخطى سريعة . وبغية سدّ فراغ جمعية الامم التي برهنت عن عجزها في الحيلولة دون نشوب الحرب ، أقر الثلاثة الكبار في « يالطا » انشاء منظمة دولية جديدة حدد مؤتمر سان فرانسيسكو في السنة ١٩٤٥ دستوراً لها في « ميثاق الامم المتحدة » . ولم يكن الهدف منها « المحافظة على السلام والامن الدولي » ، فحسب ، بل اقامة تعاون دولي يفرض احترام حريات البشر الاساسية دون تمييز ويشجع التقدم الاجتماعي ايضاً . وبموجب هذا الميثاق ، يقوم ، الى جانب جمعية عامة ليس لها سوى دور استشاري - درس المسائل والتصويت على التوصيات -

جهاز اساسي هو مجلس الامن الذي تنتخبه . ويخضع هذا الاخير لسلطة الدول الكبرى دون غيرها اذ ان اعضاءه الـ ١١ يضمون خمسة اعضاء دائمين (الولايات المتحدة ، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، الصين ، الاتحاد السوفياتي) يتمتع كل منهم بحق النقض : فكل خلاف بين اثنين منهم يؤدي من ثم الى شل عمل المجلس . وقد اسندت الى هذا الاخير مهمة تسهيل تسوية الخلافات سلمياً ، واتخاذ مقررات مؤقتة فورية اذا ما بدا نزاع وشيك الحدوث ، والنظر في الشكاوى المرفوعة اليه . وضمت منظمة الامم المتحدة كذلك مجلساً اقتصادياً واجتماعياً ارتبطت به اجهزة عدة كالـ « اونسكو » الذي اسندت اليه مهمة التعاون الثقافي والعلمي ؛ وقامت كذلك منظمة العمل الدولية ومجلس الوصاية الذي انتقلت اليه اختصاصات جمعية الامم المتعلقة بالمناطق المشمولة بالانتداب ، ومجلس القضاء الدولي ، وامانة السر .

زاولت المؤسسة اعمالها مزاوله غير ناجحة بسبب الخلافات التي قسامت بين الدول الكبرى منذ البدء ، وفي معظم المنازعات ، وبسبب استخدام حق النقض الذي لجأ اليه ، بصورة خاصة ، الاتحاد السوفياتي المنزول امام تحالف الدول الاخرى . وغالباً ما بدت منظمة الامم المتحدة وكأنها اداة في ايدي الولايات المتحدة — كما كانت جمعية الامم وسيلة للسيطرة في ايدي انكلترا وفرنسا قبل السنة ١٩٣٩ — ولا سيما بعد السنة ١٩٤٩ حين بقيت عضوية المجلس الدائمة الخاصة بالصين في ايدي حكومة فورموزا .

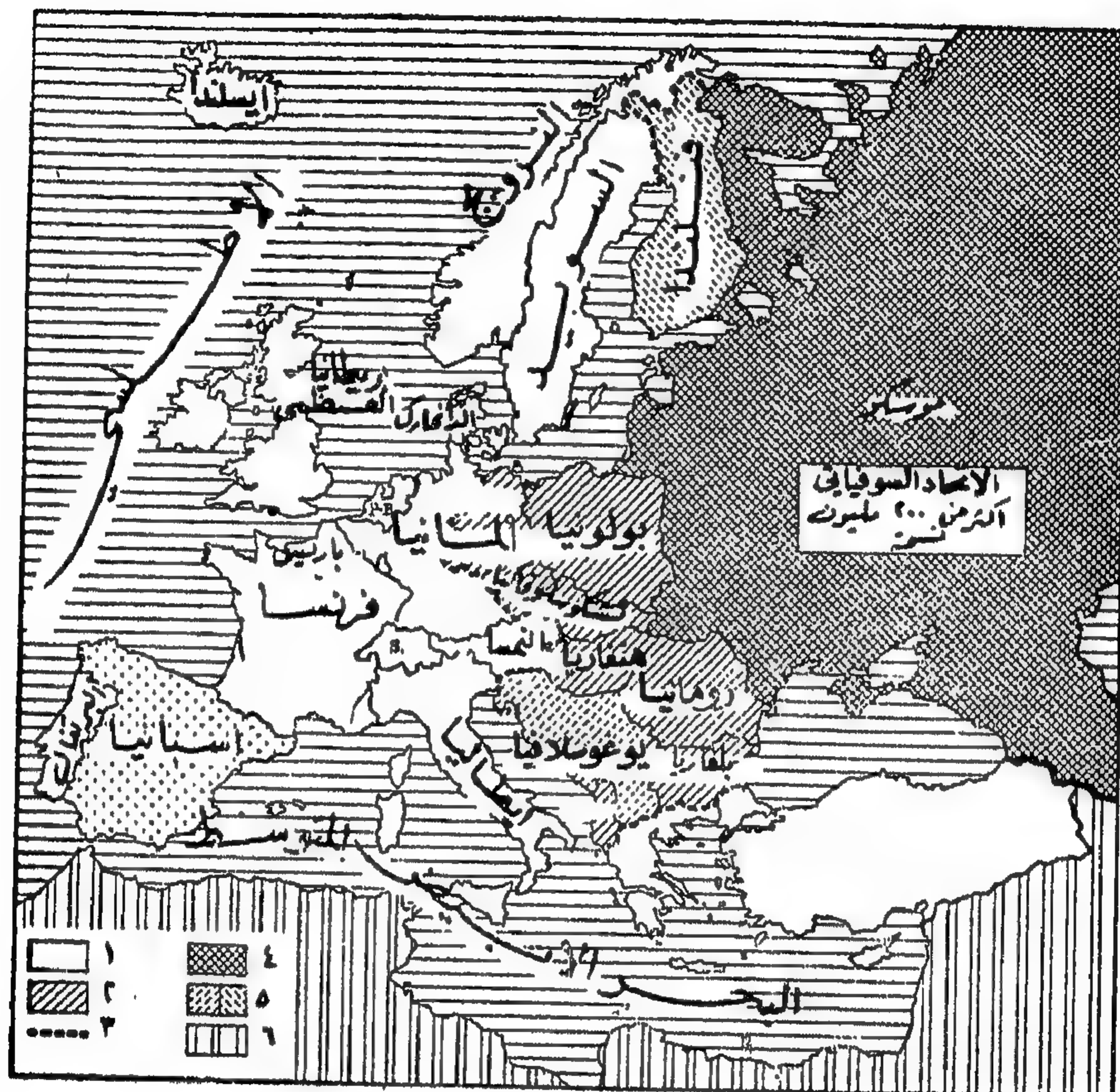
تكرست القطيعة بعد خطبة الثاني عشر من اذار ١٩٤٧ التي عبّرت عن « رأي ترومان » . فقد اعلن الرئيس الاميركي تصميم الولايات المتحدة على الحلول محل انكلترا في تقديم المساعدة العسكرية للحكومة اليونانية ضد العصابات الشيوعية ولتركيا ، ووضح ان هدفه هو « كبح » الشيوعية والنفوذ السوفياتي في هاتين البلدين .

« لن نبليح امدافنا ... ما لم نكن مصممين على مساعدة الشعوب الحرة على الاحتفاظ بمؤسساتها الحرة ووحدتها القومية بمقاومة الاعمال العدرانية التي تحاول فرض انظمة غير ديموقراطية . وليس ذلك سوى اقتناع صريح بان الانظمة غير الديموقراطية المفروضة على شعوب حرة باعتمادات مباشرة او غير مباشرة تقوض ركائز السلم الدولي وتقوض بالفعل نفسه ركائز امن الولايات المتحدة ... فاني اعتقد بان سياسة الولايات المتحدة يجب ان تبنى على مساعدة الشعوب التي تقاوم محاولات الاقليات المسلحة او الضغوط الخارجية لاجضاعها » .

وأبان وزيره « دين اتشسون » بمزيد من الوضوح ، بعد ذلك بشهرين ، انه ينبغي حصر المساعدة الاميركية في الدول التي تقر الولايات المتحدة نظامها السياسي والاقتصادي .

« ان تدابير مساعدة واعادة بناء (البلدان التي خربتها الحرب) لم تنبثق عن روح انسانية الا جزئياً . فان مؤتمر كم قد اجاز ، وحكومتكم تنتهج ، سياسة مساعدة واعادة بناء هي اليوم بمثابة قضية من قضايا المصلحة الوطنية ... وبما ان الطلب العالمي يفوق قدرتنا على تلبيته ، فاننا سوف نحصر مساعدتنا في البلدان التي ستكون المساعدة فيها اكثر فعالية لبناء عالم مستقر سياسياً واقتصادياً ، بمساعدة الحرية الانسانية والمؤسسات الديموقراطية وتشجيع سياسة التجارة الحرة وتميز سلطة الامم المتحدة . وبديهي ان هذا التدبير يفرضه الصواب ... ولذلك

فان الشعوب التي تسعى للمحافظة على استقلالها والمؤسسات الديمقراطية والحريات الانسانية في وجه الضغوط غير الديمقراطية الداخلية او الخارجية سوف تستفيد من المساعدة الاميركية قبل سواها .
كانت النتيجة الفورية لمشروع « مارشال » الذي نظم هذه المساعدة تقديم الكتلتين وتوسيع



شكل ٢٢ - أوروبا المقسمة

١ - بلدان انضمت الى مشروع مارشال ، ٢ - ديمقراطيات شعبية مرتبطة بالاتحاد السوفياتي بمعاملة
فرصية ، ٣ - « الستار الحديدي » ، ٤ - ارض الاتحاد السوفياتي ، ٥ - بلدان بقيت خارج الكتلتين ،
٦ - بلدان غير تابعة لاوروبا .
ملاحظة - اسبانيا لم تكن منضمة الى مشروع مارشال .

الهوة التي تفصل بين العالم الشيوعي والغرب . فقد انصرفت السياسة السوفياتية الى توثيق
الروابط بين دول الشرق هادفة من وراء ذلك الى خلق ميا يشبه مشروع مارشال في الشرق

وجعل الكتلة الشرقية ، ما استطاعت الى ذلك سبيلاً ، مستقلة استقلالاً تاماً عن الغرب .

منذ هذا التاريخ نظر كل من الكتلتين الى كل قرار يتخذه الطرف الآخر كما الى عمل هجومي يستلزم جواباً ، واعتبر كل جواب بدوره تهديداً يجب ان يستتبع استعدادات دفاعية جديدة . وهكذا استمر الخلاف وازدادت الشكوك . واقتنع كل طرف مخلصاً بان اعماله دفاعية بحتة ، وبأن اعمال الطرف الآخر هجومية . فكان من الغرب ، الذي اعتبر الاتفاقات الاقتصادية وانشاء مكتب الاعلام الشيوعي (كومنفرم) بادرة هجومية شيوعية ، ان اسرع في وضع الخطط لتحالف سياسي وعسكري متين : حلف بروكسل بين بريطانيا العظمى وفرنسا ودول البنلوكس (بلجيكا وهولندا واللوكسمبورغ) ، ومعاهدة الاطلسي الشمالي التي وقعتها اثنتا عشرة دولة انضمت اليها اليونان وتركيا في السنة ١٩٥٢ .

بينما كانت المعاهدات المعقودة في اعقاب الحرب معاهدات الميثاق الاطلسي
ثنائية موجّهة ضد اعتداء الماني محتمل الوقوع فحسب ، تجاهل هذا الميثاق كلياً امكانية اعتداء الماني ؛ فقد وجه بوضوح ضد الاتحاد السوفياتي ، وان لم يرد فيه اسم هذا الاخير . وجاء في مادته الرابعة ما يلي : « سوف تتشاور الاطراف كلما بدا ، في رأي احدها ، ان سلامة اراضي احد الاطراف او استقلاله السياسي او امنه عرضة للخطر » . وجلي ان هذه التعابير المبهمة لا تعني الهجوم المسلح على احدى الدول الحليفة فحسب ، بل استلام زمام السلطة من قبل اكثرية تعطف على الشيوعية . فالميثاق الاطلسي يكمل من ثم مشروع مارشال ، وتصبح المساعدات العسكرية والاقتصادية مظهرين مختلفين لمساعدة واحدة . وقد قدمت مساعدة عسكرية للبلدان الاوروبية الموقعة على الميثاق واليونان وتركيا وايران وكوريا والفلبين ايضا . وانشئت « منظمة معاهدة الاطلسي الشمالي » (اوتان) التي ضمت قيادة اركان مشتركة تشرف على عمليات المجموعات الاقليمية الخمس . وتوجب على كافة الدول الموقعة تعزيز تسليحها واللحاق بشريكاتها على الصعيد العسكري والصعيد الاقتصادي على السواء ؛ فعمزت جيوش دول الحلف ووحدت معداتها واساليب قيادتها وقتالها . وانصرف الحلفاء بصورة خاصة الى اعادة انشاء جيش الماني قوي اعتبر السبيل الوحيد لاقامة حاجز فعال في وجه هجوم سوفياتي محتمل الوقوع .

بصرف النظر عن الرأي النافذ القائل بشن حرب وقائية قبل زوال التقدم
الاميركي في حقـل الاسلحة الذرية ، اعتمد التحالف الاطلسي سياسة
الحرب الباردة
« احتباس » و « توزيع قوى » انطوت على امتلاك اسلحة قادرة على اهابة
الاتحاد السوفياتي و « بناء حاجز عسكري وبوليسي وسياسي » في وجهه ولكن انصار
السياسة الهجومية و « تحرير » البلدان التي تؤلف الديمقراطيات الشعبية ، واعضاء « الكتلة »
الصينية التي تدافع عن شان كاي شك وتطالب لمصلحته بمساعدة عسكرية ومالية متزايدة ،

قد احرزوا نجاحات هامة في انتخابات السنة ١٩٥٢ . فنجم عن ذلك تصلب سياسي تشهد عليه الاعمال الاولى التي قامت بها الادارة الجمهورية في الصين وكوريا والمانيا . الا ان السياسة الاميركية اضطرت للتسليم بـ «التعايش السلمي» ، والعدول عن التدخل مباشرة في حرب الهند الصينية وكبح مبادرات فورموزا الحربية والدخول في حوار جديد مع الشرق .

ان حلفاء الولايات المتحدة ، ولا سيما بريطانيا العظمى ، قد الاستراحة السريعة الزوال راقبوا مبادرات الحكومة الاميركية بتردد . فمنذ السنة ١٩٤٩ امتلك الاتحاد السوفياتي القنبلة الذرية ولن يلبث ان يمتلك القنبلة الهيدروجينية ؛ وكان من الواضح ان حرباً عالمية جديدة لن تهدد باحداث اضرار لا يمكن تلافيها والقضاء ، بكل ما للكلمة من معنى ، على أمم كاملة فحسب ، بل ستكون دول اوروبا الغربية ، ولا سيما بريطانيا العظمى ، القاعدة الجوية الاميركية الرئيسية ، من بين الدول الاولى التي ستعاني من ويلات الحرب . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان تجدد القوة الصناعية الالمانية واليابانية لن يلبث أن يخلق منافسة تجارية خطيرة ، بينما سيهدد تسليح المانيا بقيام حرب انتقامية ضد بولونيا والاتحاد السوفياتي . وفقد اقضاء الصين عن منظمة الأمم المتحدة شيئاً فشيئاً ما يبرره كلما توطد نظام حكمها وأقدم عدد متزايد من الدول ، ومنها بريطانيا العظمى ، على الاعتراف رسمياً بحكومتها . وأخيراً ردت الصعوبات الاقتصادية في اوروبا الغربية ، جزئياً ، الى قطع العلاقات التجارية اما بالصين واما بدول اوروبا الشرقية ، وقد استدعت مصالح هامة في اوروبا ، وحتى في اميركا ، اعادة المقايضات الى سابق حالها . ثم ان نجاحات سياسة الحياد في الدول الاوروبية ، ولا سيما في فرنسا ، قد حملت أنصار سياسة القوة على التفكير ، كما ان السباق الى التسلح قد زاد الخطر والحذر بدلاً من ان يساعد على ازالتهما ؛ فبدأ أكثر وضوحاً يوماً بعد يوم ان التعايش السلمي دون غيره بين العالمين هو الحل الوحيد الممكن اذا اريد تجنب حرب عالمية ثالثة . وجاء موت ستالين في الخامس من آذار ١٩٥٣ يمهّد السبيل امام انفراج مرتسم في الأفق . وكانت اولى الظواهر الهامة لهذه الحالة النفسية ، مؤتمر جنيف الذي انعقد في السنة ١٩٥٤ ، والذي سلكت فيه دولتان هامتان من دول الغرب ، هما بريطانيا العظمى وفرنسا ، سلوكاً مستقلاً عن الولايات المتحدة ، ففاوضتا الصين الشعبية في موضوع الهند الصينية ، على قدم المساواة .

بيد ان الانفراج أخرته الارتيابات والخاوف التي اثارها في الدول الغربية الذفوذ السوفياتي في آسيا الشرقية ولا سيما في الشرق الأوسط ، اذ بدا وكأنه على كف عفريت بسبب تدخل الاتحاد السوفياتي المسلح في هنغاريا ؛ ولكنه بات ضرورة ملحة حين هددت الحملة الفرنسية البريطانية على قناة السويس في تشرين الاول ١٩٥٦ ، لا بنشوب حرب محدودة ، بل بنشوب حرب عالمية . وقد صادف للمرة الاولى ان اتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على فرض ايقاف العمليات العسكرية . وفي الوقت نفسه أدت النجاحات التي احرزها الاتحاد السوفياتي في حقل الصواريخ العابرة القارات الى اقامة « توازن ارهاب » جعل اخطار الافناء

في حرب ذرية أكثر فاعلية في النفوس . فغفت منذئذ حدة الخلافات و « ذاب الجليد » ، مما أفضى الى قيام رئيس الحكومة السوفياتية بزيارة الولايات المتحدة في شهر ايلول من السنة ١٩٥٩ .

منذ هذا التاريخ ، ميّز دخول الدول الآسيوية والافريقية الحديثة منظمة الأمم المتحدة ، بصورة مؤثرة ، الوحدة العضوية لكثرة لا تستطيع اية دولة من دولها الوقوف موقف لامبالاة من سواها . فلم تعد أحداث أوروبا وحدها ما ترتدي طابع الأهمية العالمية ، بل هي أحداث بحر الكرايب (كوبا) وأحداث افريقيا (الكونغو وحق حرب الجزائر) أيضاً ما أرغمت كل دولة على تحديد موقفها وهددت السلم العالمي بالخطر . لا بل قام اتصال وثيق بين القضايا الأوروبية وقضايا الانحاء الأخرى من العالم — ولا سيما العالم الباسيفيكي — التي كادت تحتل المرتبة الأولى . ومن جهة أخرى كان للانفراج اثره في التفاف العالم حول الكبيرين المتوازنين : فاتجهت الروابط في داخل كل كتلة الى الارتقاء ، لا بل ان الازمة الصينية السوفياتية ايقظت عند بعض الدول الغربية الأمل بأن تستفيد منها لضعاف الكتلة المنافسة . وعلى أية حال ، فإن جو « الحرب الدينية » او الصراع الذي لا يكفتر عنه بين الخير والشر كما تصوره عضو مجلس الشيوخ « ماك كارتني » و « جون فوستر دالس » قد تبدل ، وتطورت الكتل واتجهت نحو فقدان طابعها السياسي : فإن الباكستان مثلاً ، وهي إحدى موقعي المعاهدة المركزية ، واحد أعضاء ميثاق بغداد بعد ذلك ، قد تعاونت مع الصين ، الصديقة ان لم تكن الحليفة ، على الاتحاد الهندي . وان هذا الموقف الاستقلالي ثقفه الدول الحديثة ، التي غذت عصبية قومية متصلبة بغية تعزيز تلاحمها الداخلي ، ليعيد الى الذاكرة العصبية القومية القديمة في الدول الغربية الحريصة على ان لا تتغلى عن عظمتها السالفة ، وعلى صيانة او احياء نفوذها المتفوق في ما وراء البحار ، اقله في الحقل الاقتصادي . وليس هذا التضاد بين عالم يسلك فيه الميل الى التدويل طريقه في الدول المتطورة (التي تعي ان التكتلات السياسية او الاقتصادية وحدها قابلة للحياة والتقدم) وبين عالم يضم عدداً كبيراً من الدول الصغيرة المتنابهة والاقليميات الاقتصادية المضرة ، بأقل مفايرات إيماننا هذه للصواب .

واخيراً ، أدى وجود الاسلحة النووية الى تبديل توازن القوى تبديلاً ظروف الحرب الجديدة حقيقاً وخلق ظروف جديدة كل الجدة في العلائق بين الدول . لقد انحصرت هذه الاسلحة عملياً في ايدي الكبيرين دون غيرهما ، فأوجدت « توازن ارهاب » اثبت فعاليتيه حين ارتسم في الأفق خطر نزاع بالغ الأهمية بمناسبة انشاء قواعد للصواريخ السوفياتية في كوبا . فحتى ذاك التاريخ ، استخدمت في الحروب المندلعة منذ السنة ١٩٤٥ الاسلحة « الكلاسيكية » ، اي الاسلحة التي استخدمت خلال الحرب العالمية الأخيرة ، والحرب بين اسرائيل وجيرانها ، وحروب كوريا والهند الصينية والجزائر وفيتنام الجنوبية ... ولكن الابحاث العلمية لم تتوقف منذ نهاية الاعمال الحربية — على نقيضها في ما بعد الحرب العالمية

الاولى - وتوصلت الى نتائج حاسمة . فان الطاقة التدميرية قد ازدادت ازدياداً يكاد يكون غير محدود ولا يتصوره عقل : ان القوة التدميرية للقنابل الحالية توازي الف ضعف بالنسبة لقوة قنبلة هيروشيا (وقد قدرت قوتها بـ ٢٠.٠٠٠ طن من الـ ت. ن. ت.) التي كانت خاتمة الحرب العالمية الثانية . والحال لم تستخدم هذه الاخيرة اجمالاً سوى قنابل وزن ١٠ اطنان من الـ ت. ن. ت. كحد اقصى ، لا تتناسب كذلك وقنابل الـ ٥٠ او ١٠٠ لبرة في الحرب الكبرى ! وفي الوقت نفسه بلغ مرمى المدافع ١٥٠ ميلاً ومدى الطائرات بين ٥٠٠٠ و ٦٠٠٠ ميل ، ومدى الصواريخ ٨٠٠٠ . فليس بعد اليوم مركز واحد آهل بالسكان بنأى عن الاسلحة النووية المطلقة من البر او من الغواصات . وباستطاعة هذه الاسلحة اجراق مساحات تبلغ عدة كيلومترات مربعة ، وتلويث الجو والمياه ، ويمكن ان يبقى اثر اشعاعاتها القتال طيلة اشهر عدة في مساحات قد تبلغ ٥٠ ضعفاً بالنسبة للمساحات المحرقة . فارتكز الدفاع منذئذ الى مبدأ ابتكار ما يصعب ابتكاره : يجب ايجاد « قوة دفاعية » تكون قدرتها الثارية كافية لاهابة من قد يفكر بالاعتداء ومنعه من المخاطرة بالاقدام على نزاع مسلح . وتستلزم هذه القوة ، بالاضافة الى كميات كبرى من الاسلحة النووية ، محاولة تحقيق السيطرة في الجو ، وإنشاء شبكة رادار للمراقبة والاتقاء ، وتكوين مدفعية قوية مضادة للطائرات ، وصواريخ مسيّرة ، وطائرات تعترض سبيل الطائرات المهاجمة ، وتشيت مستودعات الاسلحة والمصانع ومراكز التموين ومراكز القيادات ، وحفر ملاجئ فسيحة للسكان . وبالاختصار ، نفقات باهظة تفوق كل تصور تقرر كاهل موازلات بعض البلدان الغنية جداً وتعجز عن تأمينها موازلات كافة البلدان الاخرى .

اشتداد اختلال التوازن الاقتصادي والسياسي في العالم

احدثت الحرب انطلاقة لا سابقة لها في الانتاج . فان المشاريع التي كانت مقفلة الابواب او كانت ابعيد من ان تستخدم طاقتها الانتاجية الكاملة اخذت تعمل مجدداً وفتحت ما أمكنها انتاجه ، وانشئت مصانع جديدة ومعامل جديدة ، لا في الولايات المتحدة وكندا فحسب ، بل في البرازيل والارجنتين والشيلي وافريقيا الجنوبية واستراليا واسبانيا وتركيا والسويد والدول المحتلة في اوروبا الوسطى التي كانت اقل تعرضاً للغارات الجوية ايضاً . وانغى الاتحاد السوفياتي من جهته طاقته الانتاجية إنغاء كبيراً . وفي الوقت نفسه تحسنت الاساليب وارتفع الانتاج ارتفاعاً عظيماً ربما بلغ ٢٠٪ .

كانت النتيجة ان اختلال الاقتصاد العالمي ، الذي برز جيداً بعد الحرب العالمية الاولى ، قد تعاضم بفعل هذه الزيادة الكبرى في الانتاج . فحرصت الدول الصناعية اكثر من أي وقت مضى على حماية سوقها الداخلية والبحث عن اسواق خارجية . وسوف تتصف المنافسة الدولية والصراع من اجل هذه الاسواق بمزيد من الحدة لا سيما وان البلدان التي افقرتها الحرب كانت اكثر حاجة الى التصدير منها قبل الحرب لتسديد اثمان مستورداتها ، والحصول على الدولارات ،

وتوظيف الاموال في المشاريع الضرورية . وهو تدخل الحكومات المتيقظ وحده ما حمى هذا الاقتصاد من الازمات التي كانت تهدده . والحال اعتمد شطر من العالم اقتصاداً اشتراكياً يجنبه الحلقة الاقتصادية القديمة ويقلل من ثم من الاسواق المحتملة . وليست روسيا وحدها ، كما في السنة ١٩١٨ ، ما كانت معزولة أمام عالم حر ورأسمالي . ففي السنة ١٩٤٥ ، كانت هنالك ، من جهة ، كتلة الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية ، التي ستندمج اليها بلاد الصين الشاسعة في السنة ١٩٤٩ ، ومن جهة ثانية عالم رأسمالي اعيتته ثورة الشعوب المستعمرة وحركة تحرير الشعوب المسودة . ففي آسيا بنوع خاص نمت الحركات القومية نمواً سريعاً غير منتظر وفازت بالاستقلال . وفي افريقيا انهارت الامبراطوريات الاستعمارية . لقد رفض العالم بصراحة الانحناء ابداً أمام سلطة اوروبا والولايات المتحدة .

وهكذا فان هذه الفترة قد شاهدت تقهقر اوروبا والمخطاط النظام الحر الاقتصادي والسياسي اللذين برزا منذ السنة ١٩١٤ ، لان جو الحرب الباردة وانقسام العالم الى كتلتين لم يكونا موافقين لمبادئ الحرية . وفي الوقت نفسه ابرزت تصفية الامبراطوريات الاستعمارية واستقلال الشعوب الملونة والانسحاب من السويس ، نهاية هيمنة دول تولت منذ خمسة قرون امر استعمار الكرة الارضية . لا بل هددت مرتكزات ازدهارها بالذات .

الفصل الثاني

الولايات المتحدة

اصبحت الولايات المتحدة ، بعد الحرب العالمية الاولى ، اعظم دولة في العالم ، قيات بمقدورها ، بعد السنة ١٩٤٥ ، فرض نفوذ متفوق ساحق ، لابل هيمنة حقيقية ، على كافة الدول الاخرى المضعفة او المخربة .

تضم الولايات المتحدة ٧٪ من سكان الكرة الارضية وتحتل ٧٪ من مساحة الارض ، ولكن دخلها القومي يفوق ثلث الدخل العالمي ، وينتج سكانها ، الذين كانوا ١٥١ مليوناً في السنة ١٩٥٠ واصبحوا ١٩٠ مليوناً في السنة ١٩٦٣ ، ٦٠٪ من مصنوعات العالم بأسره ، اي اكثر من الملياري نسمة الموزعين على كافة انحاء العالم الاخرى . ومثل احتياطياتها من الذهب والنقد النادر ٧٨٪ من الاحتياطي العالمي في السنة ١٩٥٧ (باستثناء الاتحاد السوفياتي) . وهي تمتلك في كل قطاع اقتصادي نسبة انتاج مثوية تتيح لها تحديد الاسعار وسن القانون في السوق العالمية ، بينما يتعذر على الدول الاخرى الاستغناء عن مساعدتها المالية للقبول بشروطها في الحقلين الاقتصادي والسياسي . وفي اعقاب الحرب ، التي لم تكن بالنسبة لها سوى « امتحان ثانوي » ، اذا ما قورنت بالازمة الكبرى ، مارست « زعامة » لا جدال فيها على العالم الحر .

بصورة عامة ، تعاظمت الطاقة الصناعية خلال الحرب في كافة الدول
تزايد الانتاج المحاربة — وحتى في المانيا التي عانت ما عانت من الغارات الجوية — وفي الدول التي حافظت على حيادها . ولكن الولايات المتحدة امتلكت طاقة صناعية ضخمة دونها طاقتها في اعقاب الحرب العالمية الاولى . فان انتاجها الصناعي في السنة ١٩٤٥ كان ضعفه في السنة ١٩٣٩ . وقد تحققت هذه النتيجة باستخدام الآلة الانتاجية واليد العاملة استخداماً كاملاً وبانشاء مصانع او استثمارات جديدة كبرى . ففضي على البطالة قضاء تاماً ، اذ هبط عدد البطالين من ٩ ٤٨٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٩ الى ٦٧٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٤ . لابل ارتفع عدد العمال ارتفاعاً عظيماً على الرغم من رفع عدد القوات المسلحة ، بفعل استدعاء النساء والفتيان والكهول الذين عادوا الى المصانع ، بينما انخفض عدد عمال الزراعة . وبالاختصار ارتفع عدد

العاملين في المشاريع المدنية المختلفة من ٥٠ ٧٥٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٩ إلى ٥٤ مليوناً في السنة ١٩٤٤ .

عند نهاية الحرب ، كان انتاج الولايات المتحدة ٦٨٤ مليون طن من الفحم الحجري (نصف الانتاج العالمي) ، و ٢٤٤ مليون طن من البترول (الـ ٢/٣) ، واكثر من نصف الانتاج العالمي من الكهرباء . وكانت الصناعة الاميركية مجهزة لانتاج ٩٥ مليون طن من الفولاذ ، ومليون طن من الالومينيوم ، و ٢٠ مليون طن من السفن ، و ١٠٠ ٠٠٠ طائرة ، و ١٢٠ ٠٠٠٠ طن من المطاط التركيبي . وكان لديها اكبر اسطول تجاري (يوازي بحوله ثلاثة اضعاف بحول اسطول المملكة المتحدة) والطيران التجاري الوحيد الذي يضم ١٥ ٠٠٠ طائرة .

طرحت نهاية العمليات الحربية وتسريح جزء من القوات المسلحة وتوقف جزء من صناعات الاسلحة مسألة العودة الى احوال ما قبل الحرب . فهل سيؤدي الافراط في تجهيز البلاد الى قيام أزمة اقتصادية جديدة وانتشار البطالة مرة اخرى ؟ كلا فان المخاوف من حدوث ذلك لم تتأيد ؛ وقد تمت العودة الى احوال ما قبل الحرب بسرعة ودون اثاره صعوبات كبرى . فان الصناعات الحربية الهامة (السفن والطيران والالومينيوم والآلات) قد خفضت تخفيضاً كبيراً ، ولكن هذا التخفيض قد اعاض منه ازدياد نشاط فروع صناعية اخرى ، وبصورة خاصة فروع صناعة المواد الاستهلاكية التي انميت من اجل تلبية حاجات السوق الداخلية والخارجية . فحافظت نسبة الانتاج على مستوى واحد تقريباً : ١٧٠ في السنة ١٩٤٦ ، ١٨٧ في السنة ١٩٤٧ ، ١٩٢ في السنة ١٩٤٨ ، ١٧٥ في السنة ١٩٤٩ . واتاح التقدم التقني انماء صناعات جديدة : المنتجات الكيميائية والالياف التركيبية ، والمصنوعات البلاستيكية ، وانواع الوقود السائل (انطلاقاً من الغاز الطبيعي) واجهزة التلفزة ، والمأكولات المجمدة . . . وانطلقت الخدمات العامة (غاز ، كهرباء ، هاتف) كذلك انطلاقاً عظيمة جداً . وزادت الابحاث العلمية والتقنية مخبراتها ، على غرار مصالح الدولة الاتحادية والولايات .

بالرغم من انتشار البطالة مرة اخرى - ارتفع عدد البطالين من ١٠٧٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ٢ ١٢٤ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٧ ، ثم الى ٣ ٣٩٥ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٩ . - فان الانتاج نفسه ، وانخفض بالنسبة لارقام الانطلاقة الكبرى في ايام الحرب ، قد حافظ اجمالاً على مستوى رفيع جداً اذا ما قورن به في السنوات الاخيرة من فترة ما قبل الحرب ؛ فقد بلغ تقدمه التدريجي ، بين ١٩٤٥ و ١٩٤٩ ، معدله خلال القرن التاسع عشر ، واتاح ارتفاعاً محسوساً في مستوى المعيشة العام . واذا قورن الانتاج الاميركي بالانتاج الاوروبي (باستثناء الاتحاد السوفياتي) ، لا تضح انه مثل ١٥١٪ منه في السنة ١٩٤٧ و ١٣٥٪ في السنة ١٩٤٨ ، في حين لم يمثل سوى ٧٦٪ في السنة ١٩٣٧ .

خطر الازمة
في السنة ١٩٤٩

يرد هذا الوضع الممتاز في السنوات الأولى من فترة ما بعد الحرب الى اسباب عدة : امكن الاحتفاظ بالقدرة الانتاجية بفضل ارتفاع عدد الاميركيين وبفضل « ارجاء طلب » المواد الاستهلاكية التي حرم منها السكان في سنوات الحرب . فبيعت من ثم اعداد كبرى من السيارات والادوات المنزلية واجهزة الراديو اللاقطة . وشيدت مساكن كثيرة . وسهلت هذه المبيعات والابنية وفرة وسائل الدفع الناجمة عن التوفيرات الجوية المحققة خلال الحرب وسرعة زيادة حجم الاعتمادات المفتوحة للاستهلاك . ويجب ان يضاف الى انطلاقة التجارة الداخلية هذه الدور الذي لعبته التجارة الخارجية . فقد كانت الولايات المتحدة قادرة وحدها آنذاك على ان توفر للسوق العالمية المواد الأولية ، والآلات الضرورية لاعادة بناء اوروبا ، والمواد الغذائية التي تحتاج اليها اوروبا وآسيا .

الا ان الاتجاه انقلب في السنة ١٩٤٩ وارتسم في الافق تأخر اقتصادي ناجم عن تحسن الانتاج الزراعي والصناعي في الدول الاوروبية وتدني الطلب في الاسواق الداخلية . فانخفض انتاج الصناعات الاساسية . واشتدت بصورة خاصة الازمة الزراعية بفعل تعاقب الحصاد الجيدة التي استتبعته انخفاض الاسعار انخفاضاً محسوساً جداً . فبلغ عدد البطالين زهاء ٤ ملايين شخص وجاوز الـ ٥٠٠ ٠٠٠ في اوائل السنة ١٩٥٠ .

التدابير المتخذة
لايقافه

هو تدخل الدولة والعودة الى سياسة التسلح ما اوقف خطر الازمة . لقد عمل الرئيس بمشورة خبرائه الاقتصاديين واستخدم صلاحياته للتأثير تأثيراً سريعاً وفاعلاً على الاقراض (بواسطة الخزنة العامة ودائرة الاحتياط الاتحادي) وعلى الدخل القومي (بسياسته الجبائية) . فتمكن من ثم من ايقاف الازمة بتنظيم المبيعات بالدين (تخفيض الاجال الى ١٥ او ١٨ شهراً ، ايجاب دفع ٢٠٪ من قيمة السلع عند البيع ، و ٣٣٪ من قيمة السيارات) ، وبزيادة معدل احتياطي المصارف بالنسبة للودائع ، مما يحد من امكاناتها الاقراضية ، وبمراقبة الرهونات المعقودة من اجل بناء المساكن ، وباعتماد سياسة اعمال كبرى او بتخفيض الضرائب ، وبمنح المزارعين قروضاً وفيرة بشراء الفوائض المخزونة او بفتح الاعتمادات ، وبضمان المساواة التي قامت قبل السنة ١٩١٤ بين الاسعار الزراعية والاسعار الصناعية لمساعدة « سمر المساندة » . واخيراً بالاكتثار من طلبات البضائع المعدة للدول المقررة مساعدتها في اوروبا وآسيا .

وبغية الابقاء على ما يشتريه من الولايات المتحدة الاجانب الفقرون ، والمفتقرون الى النقد النادر ، والعاجزون عن التصدير ، رفعت الحكومة - او مصرف التصدير والاستيراد - قيمة القروض ، وحتى الهبات ، اي انها « امدت المشتريين المحتملين بقيمة مشترياتهم » . ومنذ السنة ١٩٤٨ زادت اهمية الهبات وتدنيت اهمية القروض : فان الدول التي قد تدفعها البطالة والاضطرابات الاجتماعية الى اعتماد خطة اشتراكية ، وتكون محالقتها ضرورية للولايات المتحدة بغية اقامة « نظام دفاع اميركي » في وجه الاتحاد السوفياتي : الصين ، الفيليبين ، كوريا ،

اليابان ، تركيا ، إيطاليا ، فرنسا ، النمسا ، اليونان ، ألمانيا ، قد استفادت بموجب مشروع مارشال من قروض لا تسدد ، و سلع مجانية ، وقروض طويلة الاجل .

ثم ان النهضة الاقتصادية ، التي بدأت قبل انفجار الحرب ، قد تعززت بعد السنة ١٩٥٠ بفعل الحرب الكورية واعادة تسليح اوروبا الغربية . فقد اجريت تعبئة صناعية واقتصادية جديدة خزنت المواد الاستراتيجية الطابع . وارتفع انتاج الفولاذ (١٩٥١ = ١٠٣ ملايين طن) وأعيد فتح بعض المصانع المغفلة في السنة ١٩٤٥ ، كمصانع المطاط التركيبي ، والمطاط التركيبي ، والطيران . وفتحت مشاريع ومعامل جديدة . وجرت نهاية الحرب الكورية في السنة ١٩٥٣ الى تأخر اقتصادي جديد . فرفع هبوط الانتاج الصناعي مرة اخرى عدد البطالين الى زهاء ٤ ملايين في شهر آذار من السنة ١٩٥٤ . ولكن الابقاء على ميزانية عسكرية مرتفعة (٦٤٪ من الميزانية الاتحادية في السنة ١٩٥٨) ، وتوسع حركة بناء المساكن بفضل توسيع القروض مقابل رهن العقارات ، وانطلاقة صناعة السيارات بصورة خاصة (٨ ملايين سيارة في السنة ١٩٥٥) والمبيعات التقسيطية التي بلغت ٦٢ مليار دولار في السنة ١٩٥٥ ، وزيادة تعويضات البطالة وتخفيض الضرائب ، كل ذلك قد اوقف حركة الهبوط .

وهو تدخل الدولة كذلك ما مكن الاستهلاك وحال دون انفجار ازمة جديدة عند نهاية الحرب ، ولكنه لم يحل المسألة التي طرحها ابدأ الفرق الكبير بين حجم انتاجي ضخمة والامكانات الاستهلاكية التي لم توازن قط . فان الطاقة الانتاجية الصناعية التي ارتفعت بنسبة ٥٥٪ بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥٣ ، وربما بلغت ، في السنة ١٩٥٥ ، ١٩٠٪ من مستواها في السنة ١٩٤١ ، كانت ابعد من أن تستخدم كلها ، ولا سيما في انتاج المواد الاستهلاكية : فهي لم تبلغ سوى نسبة ٧٥٪ في صناعة السيارات وصناعة اجهزة التلفزيون ، و ٥٠ بالمائة في صناعة الأدوات الكهربائية المنزلية ، و ٣٠ بالمائة فقط في الصناعة القطنية بفعل انطلاقة المنسوجات الاصطناعية بصورة خاصة . وفي بعض الحقول الهامة ، كالمنسوجات والملابس ، لم يرتفع الانتاج عملياً منذ السنة ١٩٤٧ ، فشملت البطالة ٢,٥٦٤,٠٠٠ عامل . وفي السنة ١٩٥٤ جر حجم المبيعات التي توقر دخول المشترين لمدة طويلة ، وحجم القروض مقابل رهن العقارات ، الى تدني معدل الصفقات وتكدس الخزونات . وفي هذه الاثناء ارتفعت قيمة الأموال الموظفة في الصناعة ارتفاعاً مطرداً ، فزادت الطاقة الانتاجية ، وبالتالي الخزونات التي لن ينقصها سوى ارتفاع عدد المستهلكين وقدرتهم على الشراء .

كانت الولايات المتحدة « دار صناعة الديموقراطيات » ، وفورت التوسع الاميركي
لكافة الحلفاء ، بموجب قانون الاعارة والتأجير ، الاسلحة والمنتجات الضرورية للحرب . ولكن البلدان المدينة لم يتوفر لديها ، لتسديد ديونها ، لا دولارات ولا ذهب بكمية كافية ، ولا سلع . يضاف الى ذلك انها كانت كلها بأمس الحاجة الى رؤوس الأموال من اجل الحصول على المواد الغذائية والمواد الأولية والأدوات الضرورية . فأتاحت هذه الظروف

للولايات المتحدة ، بفضل تفوقها المالي الساحق ، احتلال مراكز من المرتبة الاولى في العالم غير الشيوعي .

وبغية تسهيل المقايضات ، اضطرت الولايات المتحدة الى منح قروض للبلدان صاحبة العلاقة بواسطة مصرف التصدير والاستيراد ، وبعد السنة ١٩٤٧ ، بواسطة مشروع مارشال الذي لحظ هبات (٨٠ بالمائة اجمالاً) وقروضاً طويلة الاجل (٢٠ بالمائة) . فارتدى التوسع الأميركي في جوهره من ثم طابعاً مالياً ، وزاد اتفاق الأموال في الخارج بعد السنة ١٩٤٩ بواسطة النقطة الرابعة التي أقرها الرئيس ترومان من أجل تنمية المناطق المتخلفة عن طريق اتفاق أموال أميركية خاصة .

وهي الصناعة البترولية والمنجمية (معادن غير حديدية) بصورة خاصة ، وصناعة المطاط والصناعات الكيميائية ما اجتذبت رؤوس الأموال الأميركية : في كندا — حيث اشرفت على انتاج النيكل والبترول والفولاذ والالومنيوم والكتان الحجري — وأميركا اللاتينية ، ولا سيما البرازيل ومنطقة الكرايب (امتعت القارة الأميركية من ثم ٢/٣ الاموال الموظفة) والبلدان الاوروبية (٢٠ بالمائة) وممتلكاتها الافريقية بصورة خاصة ، والشرق الادنى . وفي الشرقين الادنى والأوسط اللذين يمتلكان ٢/٣ احتياطي البترول في العالم ، ساعدت الدولة الأميركية الشركات الأميركية ، ستاندر د اويل ، وسوكوني فاكوم ، ورامكو ، على حصر واقتضاء المصالح البريطانية في العراق وايران والكويت ومصر والمملكة العربية السعودية ؛ وفي أميركا الجنوبية اشرفت الولايات المتحدة على ثلثي الانتاج وثلاثة أرباع التكرير في فنزويلا .

وفي الحقل الجوي ، حيث وقفت الولايات المتحدة موقف الدفاع عن «حرية الاجواء المطلقة» ، أي عن حق التحليق فوق اراضي الدول الموقمة اتفاقات دولية ونقل المسافرين والبضائع اليها ، بصرف النظر عن نقاط الانطلاق والوصول ، أمنت شركات الطيران الأميركية اتصالات مباشرة بكافة بلدان العالم الحر .

مشروع مارشال
ان مشروع مارشال الذي اوحته دوافع انسانية والتصميم على الدفاع عن مفهوم معين للحياة تهدده الشيوعية ، قد كان كذلك افضل وسيلة لبسط وتدعيم النفوذ الأميركي في العالم واحدى ادوات توسعها الكبرى . فان هذا المشروع المعد لان يمد البلدان الاوروبية ، عن طريق القروض او الهبات ، بالدولارات الضرورية لانتعاشها الاقتصادي ، قد دخل في حيز التنفيذ في السنة ١٩٤٨ ، بعد انشاء منظمة التعاون الاقتصادي الاوروبية التي ضمت ١٦ دولة غربية . واشترط القانون بعض التدابير «لحماية الاقتصاد الأميركي» : على كل دولة ان تتعهد باستخدام المساعدات الأميركية لتعديل موازناتها وتمكين نفسها ، وللتعاون مع الدول الاخرى الداخلة في المنظمة ، وتسهيل نقل الخامات الضرورية (الكروم ، التونغستين ، الانتيموان ، الخ .) الى الولايات المتحدة . وانخفض استخدام المساعدات لمراقبة دقيقة تتولاها ادارة التعاون الاقتصادي — باشراف بعض رجال الاعمال —

التي حق لها مراقبة الادارة المالية والاقتصادية في الحكومات المستفيدة. وفرض القانون على هذه الاخيرة اتفاقات ثنائية تمكن اميركا من الحصول على الختامات النادرة والستراتيجية التي تنتجها اراضيها الاقليمية والاستعمارية والتي تشجع توظيف الاموال الاميركية الخاصة في هذه الاراضي. ثم برز هذا الطابع المعتدل التجرد حين انصهر مشروع مارشال في المشروع المعروف بـ «مشروع الامن المتبادل» وارتدي بعد السنة ١٩٥٢ طابعاً عسكرياً بصورة خاصة .

اتاح تطبيقه للحكومات الاوروبية إعادة بناء اقتصادها بالوسائل الحرة الكلاسيكية دونما حاجة الى اللجوء الى النظام الموجه والتخطيط اللذين يتعينان على كل اقتصاد متقهقر. فاستطاعت الولايات المتحدة من ثم نشر مبادئها الاقتصادية والسياسية في البلدان التي كاد البؤس وفقدان الامن فيها يتسببان في اثاره اضطرابات اجتماعية ويهددان من ثم مراكز نظام الحكم الرأسمالي بتضييق نطاق ممارسة النظام الحر بانتقال هذه البلدان الى معسكر الشيوعية ؛ واستطاعت كذلك تصريف مخزوناتهما من المحاصيل غير المبيمة وحل مسألتها الزراعية الخطيرة جزئياً . وأفادت اخيراً من تدعيم تفوقها الاقتصادي ، اذ ان القروض والهبات الموفرة للبلدان الاوروبية قد ربطت هذه الاخيرة بالدولة المقرضة .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان حق رقابة استخدام الاموال الذي أولاها إياه قانون مساعدة الدول الاجنبية ، قد اتاح للسلطات الاميركية الاشراف على المشاريع الصناعية وابداء الرأي في ملاممتها وجانب اهميتها (اقتضى عرض مشروع مونثيه عليها) ، فتدخلت في اتفاق الاموال العامة وتمكنت من مقاومة انشاء مشاريع قد تعمق مشاريع مواطنيها . ولم تشمل مراقبتها السياسية الاقتصادية فحسب ، بل ميزانيات الدول ، اي سياستها المالية ايضاً ؛ فاثارت لها من ثم التدخل تدخلاً مستمراً في السياسة العامة للدول المساعدة . ولما كانت المساعدات « قابلة الابطال حين لا تتفق ومصلحة الولايات المتحدة الوطنية » ، فقد كانت منوطة بانقياد الحكومات .

واخيراً ، كانت نتيجة منع تصدير « المواد الاستراتيجية » الى الدول الشرقية اشبه بانعدام العلاقات التجارية بين الشرق والغرب وزيادة ارتباط الغرب اقتصادياً بالولايات المتحدة .

الازمة الزراعية . ان القطاع الزراعي ، وهو موضع الضعف في الاقتصاد الاميركي ، قد استمر في التأخر أكثر فأكثر ؛ فقد تدنى قسطه في الدخل القومي الى ٧,٢٪ في السنة ١٩٥٠ والى ٥,٦٪ في السنة ١٩٥٥ ؛ وفي السنة ١٩٤٧ لم يعمل فيه سوى ١٩٪ من مجموع السكان ، وفي السنة ١٩٦٢ ٧,٧٪ فقط . الا ان الحرب وفترة ما بعد الحرب قد اعطتا الزراعة ازدهاراً حقيقياً . فان الانتاج ، الذي حرّكه طلب داخلي وخارجي متزايد ، قد أدى في الزراعة الى استخدام المزيد من الآلات والاسمدة والمواد المبيدة للحشرات وطرائق تحسين الاصناف . فارتفع عدد آلات كثيرة الى اربعة اضعافه خلال عشر سنوات . ولكن حركة لجميع الاستثمارات ، بالمقابلة ، كانت آخذة بالاتساع ، بحيث ان المزارع الضامسة

أقل من ٤٠ هكتاراً ، التي كانت تمثل ١٣,٥ ٪ من المساحة المزروعة في السنة ١٩٤٠ ، لم تمثل سوى ١١,٤ ٪ منها في السنة ١٩٤٥ وأقل من ١٠ ٪ في السنة ١٩٥٥ ، بينما ارتفع معدل مساحة الاستثمارات من ٧٠,٤ هكتاراً في السنة ١٩٤٠ الى ٨٨ في السنة ١٩٥٤ ، وإلى ١٢٨ في السنة ١٩٩٤ . وهبط عدد الاستثمارات الزراعية من ٥٨٩٥.٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ٣٤٧٤.٠٠٠ في السنة ١٩٦٤ . وقد انتج زهاء ٨٠ ٪ من كافة المحاصيل الزراعية ٣٣,٧ بالمائة من المزارعين ، بينما لم ينتج الثلثان الآخران سوى ٢٠,٥ بالمائة . وإذا ما تطلعتنا في ملكية الأرض ، لتبين لنا ان ٧٣ بالمائة من المزارعين كانوا ملاكين في السنة ١٩٥٠ مقابل ٦١ بالمائة في السنة ١٩٤٠ ، ولكن ١,٩ بالمائة من بينهم يملكون أكثر من ٤٠ بالمائة من الأرض الصالحة للزراعة ، و ١٣ بالمائة يملكون ٦٥ بالمائة ، بينما لا يستثمر ٦٩ بالمائة من بينهم سوى ١٧,٨ بالمائة . وإنما قامت في الجنوب والجنوب الشرقي بصورة خاصة الاستثمارات الصغرى الحفيرة حيث اقتصرت المزرعة على حوض خشبي بسيط ، والقوة المحركة على بغلة واحدة ، بينما قامت في الغرب الاملاك الكبرى المصنعة ، « المصانع الريفية » ، حيث يدفع استخدام المزيد من الآلات الى تجميع الاملاك لانه لا يعطي إنتاجاً كبيراً الا في الاستثمارات الكبرى . فمقابل ذلك في تقهر المزارع التي لم يبلغ رقم مبيعاتها السنوية ٢٥٠٠ دولار . وكانت النتيجة ان الثورة التقنية التي بدأت منذ السنة ١٩٣٠ ، وتحسين طرائق الاقتراض ، والتمويل والتجارة ، أدت الى رأسمالية زراعية جديدة وقوية ، محكوم عليها بتوسع مستمر ، لا يفيد منها سوى عدد مطرد الانحصر من الافراد والمشاريع ، (ج. غومن) . ومنذ السنة ١٩٦٤ ، أنتج ٣ بالمائة من المزارعين ثلث قيمة الانتاج الزراعي المعد للتجارة .

استمر الانتاج من ثم في الارتفاع ، ولكن على الرغم من ازدياد الاستهلاك الداخلي والصادرات ، ازدادت مخزونات الحبوب كل سنة ، فبلغت ١٥ مليون طن في السنة ١٩٥٢ ، و ٢٤ في السنة ١٩٥٣ ، و ٣٨ في السنة ١٩٦١ ، فأصبح الوضع عسيراً لاث المخزونات العالمية الفائضة عن الحاجة تتكدس سنة بعد سنة .

بغية معالجة هذه الازمة العميقة ، الناجمة عن تضخم الانتاج ، فكر بعضهم بتحسين التغذية القومية . وهذا ما استهدفه مشروع قانون « ايكن » في السنة ١٩٤٨ ، الذي اقترح ان تؤمن لكل مواطن حصة سنوية اساسية تضمن « الصحة الكاملة » ، وان ينظم كذلك التصدير الى مئات الملايين من سكان الكرة الارضية الذين تعنى بهم منظمة التغذية (فاو) . ولكن مشروع قانون ايكن قد رُفِض في السنة ١٩٤٩ ، وكان التصدير المجاني عرضياً وغير ذي اهمية . فحدث من الازمة الزراعية بتدخل مستمر من قبل الدولة التي اعتمدت سياسة مساندة الاسعار (٧ مليارات دولار في السنة ١٩٥٥) : قروض ، شراء الفائض ، تعويضات عن تخفيض مساحات زراعة الحبوب ، التي لم يفد منها سوى كبار المزارعين ومتوسطيهم . ومنذ السنة ١٩٥٠ انخفضت الدخول الزراعية انخفاضاً مطرداً منتظماً . فبلغت في السنة ١٩٥٥ ادنى مستواها

منذ السنة ١٩٤٢ ، بالرغم من ان الانتاج قد بلغ رقماً قياسياً ، وهبطت قوتها الشرائية بنسبة ٣٤ ٪ منذ السنة ١٩٤٨ .

يتضح من ثم ان تدخل الدولة كان مستمراً في كافة الحقول . وعلى تدخل الدولة المتزايد
الرغم من ارتفاع الاسعار خلال الحرب وسهولة تحويل المصانع العسكرية
حالت ذكرى الازمة الكبرى دون العودة الى النظام الحر القديم . وقد اعرب « قانون
الاستخدام » الصادر في السنة ١٩٤٦ عن شاغل الاطمئنان الذي سيطر على كافة الافكار : كل
حكومة ملزمة ببعض الواجبات حيال المواطنين . عليها ممارسة صلاحياتها للابقاء على حد
اقصى من الاستخدام والانتاج والقوة الشرائية . فدولة النظام الحر خلال العشرينيات قد دخلت
التاريخ ، ونحن اليوم امام « نظام اقتصادي يرتكز الى مبدأ الحرية ، ولكنه لا يستقيم ولا يتسع
ولا يقوم عيوبه الا بالافادة من نظام تدخل قوي » (د . فوشيه) . لقد تعود المتمهدون
والنقابات العمالية الاعتماد على الدولة ، على غرار المزارعين الذين ما كانوا ليستطيعوا العيش بدون
مساعدتها . وقد رفضوا كلهم نظاماً موحها يكون بمثابة تخطيط ملزم ويحرم المتمهد من حق
التقرير ، ولكنهم طالبوا جميعهم بتدخل يسهل التسليم به . ان الادارات الاقتصادية في الدولة
خالباً ما تكون مسندة الى صناعيين وصيارفة مقتنعين بان صوالح الاعمال وصوالح الامة تتطابق
مطابقة تامة (« ان ما هو صالح لـ « جنرال موتورز صالح لاميركا ») . يضاف الى ذلك ان
هناك بداية تخطيط اعلامي : فقد ضمت معظم المشاريع الكبرى دوائر تخطيط معدة في الدرجة
الاولى لدور اعلامي . اما تخطيط السياسة الاقتصادية فقد تحقق في « التقرير الاقتصادي »
السنوي الذي يضعه الرئيس ويوضح الاهداف التي يفرضها اتفاق الظروف (الاستخدام ، نسبة
الزيادة ، الاسعار ، ميزان المدفوعات ...) والتي اضيفت اليها ، في وقت متأخر ، اهداف
يفرضها نظام الدولة وتتعلق بالصحة والرفاهية الوطنية .

ان هذا الدور تقوم به الدولة في الحياة الاقتصادية ليس الدور الوحيد الذي رآته يتم اظام
ويتسع . فان ميزانية الدولة الاتحادية التي بلغت ٣ مليارات دولار في السنة ١٩٢٩ قد ارتفعت
الى ٤٢ ملياراً في السنة ١٩٤٨ حين اخذت موازنة السلم العسكرية تتزايد تزايداً فقط ، كما ان
نفقات الاتحاد العامة التي مثلت ٩٠٩ بالمائة من الدخل القومي في السنة ١٩٢٩ ، قد مثلت
٢٥٠٨ بالمائة في السنة ١٩٥٥ . وانشئت ونظمت نهائياً في السنة ١٩٤٩ هيئة موظفين ينعمون
بنظام خاص . وفي هذا التاريخ ارتفع عدد الموظفين الاتحاديين من ٥٧٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٢٩
الى اكثر من مليونين ، وجاوز مجموع العاملين في مصالح الخدمة العامة الستة ملايين . وكان
لدى الدولة احتياطي مدني وعسكري من الممتلكات المنقولة يساوي اكثر من ٢٧ ملياراً
ويشتمل على مليون وسيلة نقل واكثر من ١٠٠ مشروع صناعي وتجاري . فألفت « اوسع
مشروع مستقل في العالم » بحسب تعبير لجنة « هوفر » .

فلا عجب ، والحالة هذه ، اذا ما زادت سرعة التطور الذي سبقت الاشارة اليه والذي

اتجه اكثر فاكثر الى احلال العمل الاتحادي محل العمل المحلي ، واذا مسح « نظام المحادي جديد » ، يحول الولايات الاعضاء الى وحلاء تنفيذ سياسة الاتحاد ، محل النظام الاتحادي التقليدي . وقد تأيدت السلطة الاتحادية نهائياً منذ ان ابطال التفسير الثنائي للتعديل العاشر الذي سبق وغيره قرار المحكمة العليا في السنة ١٩٣٧ . وكان ان هذه الاخيرة ، التي غالباً ما تعدت صلاحياتها الاساسية للوقوف في وجه الكونغرس ، لم تعد منذئذ سوى محكمة تنحصر مهمتها في تأويل القوانين وابداء الرأي في مطابقتها للدستور .

امام هذا الطغيان ، اكتفى مجلس الكونغرس بالتصويت على القوانين - الاطر ، بما افضى الى تعزيز السلطة الرئاسية المطلقة التي لم يتوفق لاحق مجلس الشيوخ بالنقض ولا الرقابة اليقظى الحد منها كما من قبل . ومن اجل مقاومة اتساع صلاحيات الرئيس هذه « ودكتاتورية » ف.د. روزفلت الذي اعيد انتخابه في السنة ١٩٤٤ للمرة الرابعة ، اقر في السنة ١٩٤٧ التعديل الذي حظر اعادة الانتخاب للمرة الثالثة والذي اصبح ساري المفعول في السنة ١٩٥١ .

كانت نتيجة الازدهار العام ، على الرغم من تأخر الانتاج في نظام المجتمع :
السنة ١٩٤٩ ، والسنتين ١٩٥٣ و ١٩٥٤ ، والقوانين الاجتماعية
ضمن الطبقة العمالية
الموروثة عن « النهج الجديد » ، ابقاء القوة الشرائية في مستوى
على بعض الارتفاع . الا ان التفاوت الاجتماعي ما زال كبيراً جداً ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ارتفاع الاسعار وارتفاع مستوى المعيشة الذي جعل دخل الـ ٣٠٠٠ دولار في السنة ١٩٥٨ مجاوراً للفقر . فان نسبة الدخل المثوية التي لم تبلغ ٢٠٠٠ دولار والتي كانت ٦٤ بالمائة في السنة ١٩٤١ قد هبطت في السنة ١٩٤٨ الى ٢٦ و ٥ بالمائة ، والى ١٤ و ٩ بالمائة في السنة ١٩٥٧ . اما الدخل التي تجاوزت ٥٠٠٠ دولار ، والتي لم يحصلها سوى ٤ بالمائة من السكان في السنة ١٩٤١ ، فقد حصلها ٢٦ و ٥ بالمائة منهم في السنة ١٩٤٨ و ٣٤ بالمائة في السنة ١٩٥٤ (٤٤ بالمائة من مجموع الدخل) . فيتضح من ثم ان عدد الفقراء الذين يحصلون اقل من ٢٠٠٠ دولار قدنى كثيراً ، ولكن ارتفاع كلفة المعيشة قد ثقلت وطأته عليهم . فان ١/٥ السكان قد عاشوا عند حدود الفقر ، وبقي عدد الاغنياء ضئيلاً نسبياً ؛ وما زال التفاوت كبيراً جداً في مستويات المعيشة ، على الرغم من تضائله منذ ١٥ سنة ، لا سيما وان معظم الدخل المتوسطة والمرتفعة هي دخول العائلات التي ما كانت لتبلغ هذا المجموع لولا عمل عدد من اعضائها (الـ ٢/٣) . وان الـ ٦٥ ٠٠ ٠٠٠ شخص الذين امتلكوا اسهم الشركات المغفلة مثلوا اقل من ٧٪ من مجموع السكان البالغين وتقاضى ربعهم اكثر من ١٠ ٠٠٠ دولار وحصل ١ بالمائة منهم ٤٢ بالمائة من مجموع الربائح . وديبدو ٢ و ٣ - بالمائة من الاميركيين ، كحد اقصى ، تقاسموا الفوائد المالية التي وفرتها الاعمال الكبرى ، (و. رايت ملز) . زد على ذلك ان تفاوت الدخل الظاهرة قد ازداد بفعل شتى اشكال المكافآت غير الخاضعة للضرائب او الخاضعة لرسوم ادنى من رسوم الدخل ، ولا سيما بفعل قوائم النفقات التي يتقدم بها مسؤولو الادارات ، والفوائد العينية

(سيارات المشروع ، الاجازات المدفوعة ، الرحلات ، محطات الاستحمام ، الاشتراك في النوادي الخاصة ، شراء البنزين بموجب بطاقات) ، التي يجب ان يضاف اليها طريقة التمويل الذاتي ، التي انقضت ، ولا ريب في ذلك ، الربائح المدفوعة الخاضعة للضريبة ، ولكنها اتاحت توزيع الأسهم المعفاة منها ، بصرف النظر عن التهرب من الضرائب « الذي سهله تعقيد غريب في التشريع ومهارة خبراء الجباية » .

كانت نتيجة كل ذلك مجتمعاً يختلف كل الاختلاف عن مجتمع اوربا بنظامه وايدولوجيته ؛ فقد بدت القوى النقابية وكأنها تتمتع بقدرة عظيمة ، وضمت اعداداً كبرى ارتفعت من قرابة ٩ ملايين عضو الى قرابة ١٥ مليوناً . اما في الواقع فانها لم تضم سوى ٢٥ ٪ من العمال وكانت اعجز من ان تعادل خصومها . اجل لقد نظمت الاضرابات وفازت احياناً برفع الاجور الذي اعاد الاجور الحقيقية بعد ان كاد ارتفاع الاسعار يفقدها قيمتها ، ولكن تدخلاتها في الحياة السياسية كانت متفاوتة الفعالية : ففي السنة ١٩٤٨ اوعزت النقابات بالتصويت للرئيس ترومان ؛ اما في السنة ١٩٥٢ فلم توّزع بانتخاب المرشح الديموقراطي ، ولكنها بالمقابلة قامت بدور حاسم في فوز الرئيس كينيدي في السنة ١٩٦٠ . ويرد ذلك الى ان الحركة النقابية في هذه البلاد ، التي ليس فيها لا حزب اشتراكي (٨٠ ٠٠٠ صوت في انتخابات السنة ١٩٤٤ ، اي ١٢٥ ٠٠٠ بالمائة من المقترعين) ولا حزب شيوعي ، بقيت منقسمة بين اتحادين لم ينصهرا في اتحاد واحد الا في السنة ١٩٥٥ وبين النقابات المستقلة ؛ انها « حركة نقابية مصلحية » يديرها موظفون نقابيون يتقاضون اجوراً مرتفعة تشبعوا من مبادئ الحرية ويقوا اوفياء لأحلام المهاجرين الاول الذين اعتبروا الارتقاء الاجتماعي شأناً فردياً ؛ اعتبروا صوالح التجارة والعمل متكاملة واعتبروا التعاون بينهما ضرورياً ؛ فلم يحاولوا سوى تحقيق فوائد جزئية خاصة وبلوغ اهداف قصيرة الاجل ، بل نفروا من مبدأ الصراع الطبقي .

على ان في الولايات المتحدة طبقات ، ولكن الوعي الطبقي نادر الوجود . فان ازدهار البلاد العام ، ونظام التقاعد ، والتأمين على الحياة الذي افاد منه اكثر من نصف الاجراء ، والتأمين ضد البطالة ، والاجازات المدفوعة ، وتحديد مدة العمل الاسبوعي بقرابة اربعين ساعة ، وقيام الاتفاقات الجماعية التي أمنت ، في العديد من المشاريع ، ضد المرض ، وحوادث العمل ، والعمليات الجراحية ، وتوفير المتاجر التعاونية ، ودور التوليد ، والمكتبات ، والمدارس احياناً ، وإقدام شركتي فورد وجنرال موتورز على تعيين اجر سنوي ادنى مضمون - وكان من شأن مثلها هذا ان امتد الى مؤسسات اخرى - ، وارتفاع الاجور الذي غالباً ما عقب ارتفاع كلفة المعيشة ، واخيراً بعض التجانس في اشكال الحياة والملبس ، وفقـدان وسائل التعبير الخاصة بالطبقة العمالية ، كل ذلك قد اسهم في خلق مناخ غير ملائم لنشوء الصراع الطبقي . ويجب ان يؤخذ بعين الاعتبار كذلك التطور الذي حدث في المجتمع الاميركي بفعل ارتفاع عدد المنتمين الى « الطبقة المتوسطة » . فان طبقة صغار اصحاب المشاريع المستقلين في حياتهم والعاملين

لحسابهم ، ولا سيما فئة اصحاب المشاريع الريفيين المستقلين ، قد هبطت أعداداً امام توسع حركة جميع المشاريع ؛ وبالمقابلة احرز القطاعان الثاني (٢٦ بالمائة في السنة ١٩٥٠) والثالث (٥٧ بالمائة في السنة ١٩٥٣ مقابل ٤٠ في السنة ١٩٢٠) نجاحاً وتقدماً كبيرين . كما ان عدد المستخدمين ، والعمال الاختصاصيين واعضاء المهن الحرة ، كان آخذاً في الارتفاع بينما كان عدد العمال غير الاختصاصيين آخذاً في التدنّي . اجل لقد كان العديد من « ربط العنق البيضاء » اجراء ولم يفضل مستوى معيشتهم مستوى معيشة العمال ، وغالباً ما كان عملهم ، بفعل استخدام الآلات ، شبيهاً بعمل عمال المصانع ، ولكن هذه العناصر المتزايد عددها يوماً بعد يوم قد ألقت ما يشبه بوجوازية صغيرة تحرص على اعتبار نفسها متميزة عن الطبقة العمالية بذهنيتهما ونوع معيشتها . لذلك فان شطراً كبيراً من البروليتاريا قد ارتبطت شخصياً بالطبقات المتوسطة ولم تصطبغ بأية صبغة من الذهنية البروليتارية ، بينما خفف ارتفاع مستوى المعيشة من حدة العداء لأصحاب الامتيازات .

على ان تصلباً لا يمكن انكاره قد حدث في موقف الطبقات الاجتماعية . فان سهولة الانتقال من طبقة الى أخرى ، التي كانت كبيرة نسبياً في اوائل القرن ، والتي اتاحت الامكانات المتشابهة بفضلها ارتفاعات كثيرة وسريعة ، قد تضاعفت تضاعفاً كبيراً . كما ان الدرجات الوسيطة قد تكاثرت بينما تضاعفت امكانات الوصول الى المراكز القيادية . فقد احتل المزيد من الوظائف العليا في الصناعة ائس متخرجون من معاهد مهنية او معاهد هندسة او جامعات . وانتمى نصف ارباب الصناعة الى الطبقة العليا . وبلغت النسبة بين رجال السياسة اكثر من الثلث ، وبات انتقال الوظائف بالوراثة امراً كثيراً الوقوع يوماً بعد يوم (٥٧ بالمائة بين ارباب الصناعة ، مع العلم ان هذه النسبة اكثر ارتفاعاً في المهن الحرة) ، والارتفاع العمودي ابطأ منه في ما مضى ، والمحصرات التخييرية الوظيفية في الانتقال من الدرجة الدنيا الى الدرجة العليا . ووفر الصناعيون وارباب المهن الحرة ، الذين الفوا ١٠ بالمائة من السكان ، ٧٠ بالمائة من رؤساء المشاريع . فتتضح من ثم النزعة الى تأليف طبقات مغلقة شبيهة بها في اوروبا ، على الرغم من ان الثروة ما زالت هنا ، اكثر من اوروبا ، الطابع المميز للطبقة .

كان هناك من ثم اميركا محجوبة ، « اميركا الاخرى » ، التي وصفها اميركا الاخرى « ميكائيل هارنغتون » ، والتي تمثل بين ٢٠ و ٢٥ بالمائة من السكان تقريباً . ان اميركا غير المنظورة هذه هي اميركا الفقراء الذين « لا وجه ولا صوت لهم » ، ولا يلتسبون الى اية نقابة او جمعية اخوية ، وليس لهم اية « كتلة » تدافع عنهم ، ويتجاهلهم رجال السياسة ، ويتضورون جوعاً ، ويفتقرون الى مساكن لائقة (١٢ مليون مسكن من اصل ٥٥ مليوناً اعتبرت في السنة ١٩٥٦ غير صالحة للسكنى) ، ويعيشون دون مستوى المعيشة العادي . لقد تألف هذا « العالم السفلي » من العمال الاتفاقيين ، والعمال غير الاختصاصيين ، ومهاجري الزراعة الفصلين ، و « المزارعين » ، الكثيرين الذين يعيشون حياة بائسة في استثمارات ضيقة جداً او ينزحون الى

المدن (١ ٥٠٠ ٠٠٠ غادروا مزارعهم في الابلاش خلال ١٠ سنوات) ، وعمال بعض المناطق المتأخرة ، (عمال المناجم في الشمال الغربي الباسيفيكي ، وفرجينيا الغربية ، وملتوتا) ، والطاعنين في السن المضطرين للاستغناء بمساعدة المحادية حددت ، منذ السنة ١٩٥٩ ، بـ ٧٠ دولاراً في الشهر بعد سن الـ ٦٥ ، وبعض الاقليات العنصرية : البورتوريكيين ، والمكسيكيين ، والزنوج بصورة خاصة . فقد تعاطى هؤلاء الاعمال الدونية واكثر المهن قذارة واقلها دخلاً ، وعاشوا في احياء مغلقة شبيهة بالاحياء اليهودية القديمة (في هارلم) بلغت نسبة الوفيات بين الاطفال ٤٥,٣ بالمائة في السنة ١٩٥٩ ، بينما لم تبلغ ١٥,٤ بالمائة في اواخر احياء البيض) . فهم من يمانون من البطالة قبل غيرهم واكثر من غيرهم ، لانهم اول من يسرحون في ظروف الازمات .

نجمت هذه البطالة عن التقدم التقني ولم تنخفض منذئذ الى اقل من ٤,٣ بالمائة (رقم السنة ١٩٥٤ الذي بات عادياً) . وفي السنة ١٩٥٨ بلغت ٥,١ بالمائة (رقم التأخر الاقتصادي في السنة ١٩٤٩) ، وفي السنة ١٩٦١ ، ٧ بالمائة . وفي اواخر السنة ١٩٦٥ انخفضت الى ٤,٤ بالمائة من مجموع اليد العاملة . فلم يحل « المجتمع الميسور » من ثم مسألة اشباع الحاجات الضرورية الاولى لمجموع المواطنين .

وهكذا تألفت طبقة موجهة ضئيلة العدد سيطرت على الحياة الاقتصادية وقامت منذ نصف قرن بدور متزايد الامة في التطور المحافظ المتزايد

ادارة البلاد السياسية . فكما قدمت الدليل على ذلك مؤلفات د.و. رايت ملز ، (النخبة المسيطرة) ، المحذر اوفر الاميركيين ثروة (اولئك الذين يملكون اكثر من ٣٠ مليون دولار) ، بنسبة متزايدة ، من الطبقات العليا : ٦٨ ٪ في جيل السنة ١٩٥٠ ، مقابل ٥٦ ٪ في جيل السنة ١٩٢٥ و ٣٩ ٪ في جيل السنة ١٩٠٠ . وحدث الشيء نفسه في وظائف الحكومة الاتحادية الهامة : فبين الشخصيات الـ ٥١٣ التي شغلتها منذ السنة ١٧٨٩ حتى السنة ١٩٥٣ ، لاحظ ملز ان ٦٠ بالمائة المحذروا من اوفر عائلات البلاد ثروة (وهي تمثل بين ٥ و ٦ بالمائة من عدد السكان) وان ٥ بالمائة فقط المحذروا من عائلات العمال وصغار التجار والفلاحين المتواضعين . وقد تكامل امتزاج ادارة الاعمال بالادارة الحكومية تكاملاً متزايداً . ومع عودة الجمهوريين الى الحكم في السنة ١٩٥٢ تألف اكثر من نصف موظفي الادارة الاخيرة من رجال جاؤوا مباشرة من الاوساط المرتبطة شخصياً ومالياً بالاعمال الكبرى واختيروا بالتعيين لا بالانتخاب ولم يسبق لهم قط ان تعاطوا السياسة . لقد اصبحت الدولة والاقتصاد ، اكثر من اي وقت مضى ، في ايدي الطبقة نفسها .

فلا عجب والحالة هذه اذا ما تعززت النزعتان الانتهازية والحفاظية واذا ما املت روح « النهج الجديد » او حوربت . فان المعارضة العنيدة التي صادفها ف.د. روزفلت وبعض مستشاريه لدى بعض الصوالمح الكبرى والقوى المحافظة ، قد استمادت كل قوتها بعد موت

الرئيس . وتشهد المؤلفات الادبية على زوال حظوة هذه « اليسارية » التي احرزت ذاك النجاح العظيم في الثلاثينيات ؛ وهي تعكس تشوش الرأي العام امام زعزعة النظم التقليدية ؛ فاحتى في الاوساط الجامعية والفكرية برزت حركة مناهضة للتقدمية عممت الرأي المضاد للمساواة الذي قال به ادباء ومؤرخون من امثال « ت.س. اليوت » و « ارنولد توينبي » ، ودلت على حنين الى حقيقة ثابتة وشغف بما هو مخالف للصواب اذا عتبرا كلفة وسائل التعبير : السينما ، والراديو ، والتلفزة ، والصحافة طبعا . فنجم عن ذلك ازدياد حقيقي بالقيم الفكرية في حقل التعليم ، وحذر عميق من كل روح نقدية ورفض البحث في الآراء المقبولة . وهكذا تمادى تأثير جوهريبي القرن التاسع عشر ، واولئك الذين ايدوا في العشرينيات عدااء الـ « كوكلوكس كلان » لليهود والكاثوليك وتحريم تعليم فلسفة التطور ؛ واولئك الذين قاوموا النهج الجديد الذي سار عليه ف.د. روزفلت بعد السنة ١٩٣٠ ثم اصبحوا انصاراً نشاطاً للماكارتية و « مطاردة الساحرات » ، قبل ان يصوتوا لمصلحة « ب. غولدووتر » ويؤيدوا نشاط « جمعية جوت بيرتش » . وهكذا وجد جو عزز الانتهازية كما ابان ذلك دافيد ريسمن (الجمهور المهمل) ، واحترام السلطات الاجتماعية ، والروح القومية ، والاعتقاد بان الطريقة الاميركية في الحياة اعلى شكل حضاري وبأن الذين يتجادلون فيها يكونون « غير اميركيين » اي خونة بالقوة يجب على قوى الامن مراقبتهم .

على الصعيد الداخلي ، كانت الغلبة لسياسة ثورة اجتماعية : انه انتقام ارباب الاعمال من التشريع الاجتماعي الـ روزفلتي الذي اقره قانون « فاغر » في السنة ١٩٣٥ ؛ فالفي هذا القانون بمشروع قانون « هارتلي - تافت » الذي حدد من ممارسة حق الاضراب في النشاطات القومية الصالح واعطى الرئيس حق تحريمه في الصناعات الرئيسية . ومن ظواهر هذه الحالة النفسية ، في السنة ١٩٥٢ ، اقرار قانون الهجرة (قانون ماك كارن - ولتر) الذي ادخل المزيد من الصعوبات على قوانين الهجرة السابقة ، اي على هجرة سكان اوروبا الشرقية والجنوبية . ولكن السلطات الاتحادية بذلت مجهوداً يهدف الى تحسين وضع الزوج - الذين يملغ هددهم ١٧٣٠٠٠ في السنة ١٩٥٧ - كما يدل على ذلك قرار المحكمة العليا في ١٧ ايار ١٩٥٤ الذي جعل قبول الزوج الزامياً في كافة المدارس ، ولكنه اصطدم بمقاومة ضارية وظافرة عملياً ابداهها السكان البيض في الولايات الجنوبية (قضية « لتل روك ») . بيد ان الزوج خرجوا من سلبيتهم ولجأوا الى المظاهرات السلمية والعصيان المدني بغية الفوز بالمساواة الممنوعة عنهم - بالرغم من ورودها في التعديل الرابع عشر للدستور - ووضع حد للتمييز العنصري في المؤسسات ووسائل النقل العامة ، والمدارس والجامعات ، والاحياء المقفلة التي يعيشون فيها . وتوصل عناد الرئيس كنيدي وجونسون الى اقرار قانون وفر لهم ضمانات هامة لاحترام حقوقهم المدنية (اب ١٩٦٥) ، ولكنه اثار موجة جديدة من اعمال العنف والتقتيل التي استهدفت القسائلين بالغاء التمييز ، وعمل في الوقت نفسه صبر الزوج . ثم تخلى عن سياسة اللاعنف حين بدا انها

انتهت الى الفشل ؛ فبرزت حركة « الزنوج المسلمين » الذين قاموا بهجوم معاكس متنصلين كلياً من الثقافة الغربية اليهودية - المسيحية . وكان لهذه الحركة ، بالرغم من قلة عدد الناضحين بها ، جاذب قوي على الجماهير السوداء التي تخلت اكثر فاكثر عن انقيادها كما تشهد بذلك انفجارات الهيجان الخربة والدامية في ديترويت (١٩٤٣) و هارلم ولوس انجلوس في تموز ١٩٦٤ وآب ١٩٦٥ .

الحياة السياسية
يضاف الى ذلك ان نطاق المهادلات السياسية اصبح اكثر انحصاراً يوماً بعد يوم . فان تدخل الدولة ، وتوجيهها للحياة الاقتصادية ، ودور النقابات ، والتدابير المتخذة لتوطيد الدخول الزراعي ، اي كافة الاستحداث التي اعتبرت ثورية في زمن النهج الجديد ، لم تكن لتثير منازعة جدية من قبل الجمهوريين منذ ان استمالوا اليهم شطراً من الطبقات المتوسطة والعمالية المتخلقة بالاخلاق البورجوازية ، و شطراً من الزنوج ايضاً . اما الحزب الديموقراطي فلم يتقدم من المنتخبين ، منذ فشله ، بأية فكرة جديدة حقاً . فكانت المسائل التي تناولتها المناقشات مسائل ظرفية : التعريفات الجمركية ، تأثير التجارة الكبرى ، مناهج السياسة الخارجية ؛ فكانت النتيجة إعادة انتخاب الرئيس ايزنهاور في السنة ١٩٥٦ بـ ٥٧,٢٨٪ من الأصوات ، بينما هو لم يفز الا بـ ٥٥,٤٪ منها في السنة ١٩٥٢ .

بيد ان فوز كنيدي باكثرية ضئيلة في السنة ١٩٦٠ بدا وكأنه احدث تغييراً في حياة البلاد السياسية . فان الآمال التي بعثها اسلوب ادارته الجديد ، وتأليف وزارته التي ضمت - كما في عهد روزفلت - عدداً كبيراً من رجال الفكر واساتذة الجامعات ، وبرنامج « الحدود الجديدة » الذي انطوى على اصلاحات عميقة بغية ازالة بؤس « اميركا الاخرى » ، والحزم الذي اعتمده الرئيس في مقاومة ملوك الفولاذ والقائلين بالتمييز العنصري في الجنوب رغبة منه في الدفاع عن الزنوج ، قد زالت كلها بزواله . واذا استفاد خليفته ج. لندون جونسون من اكثرية استثنائية تشهد بوجود تيار حرية قوي بمثابة ردة فعل للتيار الفاشستي الطابع الذي تزعمه منافسه « باري غولدووتر » ، فانه قد عاد الى انتهاج سياسة محافظة في الداخل (باستثناء ما يتعلق بحقوق الزنوج) وسياسة تدخل في الخارج تعيد الى الذاكرة عهد « القضيبي الطويل » .

فهل كان تجديد الحياة السياسية امراً ممكناً يا ترى ؟ ان النظام الانتخابي الذي يشوه التعبير عن الرأي ، والمؤسسات نفسها قد ساعدت بقوة على الجمود . فان عدد « كبار الناضحين » ، لا يطابق ، عند انتخاب الرئيس ، عدد الاصوات المجموعة : في السنة ١٩٣٦ جمع روزفلت ٩٨٪ من المقتريين بـ ٦٢٪ من الاصوات . وفي السنة ١٩٦٠ فاز جون كنيدي على منافسه بـ ٥٠,١٪ فقط من المقتريين ، باكثرية ٨٤ صوتاً من اصوات كبار الناضحين . وفي السنة ١٩٦٤ ، فاز « ج. لندون جونسون » ، باكثر من ٦٠٪ من المقتريين ، بـ ٤٨٦ صوتاً من كبار المنتخبين مقابل ٥٢ صوتاً لمنافسه . وساد انتخاب اعضاء المجالس التشريعية وانتخاب الممثلين كذلك

تباين كبير جداً: فان الاصول المحددة في السنة ١٩٢٩ تعيد آلياً توزيع المقاعد في مجلس الممثلين على الولايات بدالة التغييرات الديموغرافية الطارئة في الاحصاءات العشرية ، ولكن تقسيم الدوائر في كل ولاية - وهو من اختصاص السلطة المحلية دون غيرها - متباين جداً وموآت - كما في اوروبا - للمناطق الريفية التي لا تقيم فيها سوى اقلية ضئيلة جداً ؛ وهكذا فان المناطق الآخذة بالاستيعاش تمتعت بنفوذ كبير جداً بالنسبة للمناطق الآهلة بالسكان (في كونكتكت نجد دائرة صفري تضم ١٩١ شخصاً ودائرة كبرى تضم ٨١ ٠٠٠) . وقد استتبع تساوي عدد الشيوخ بين الولايات ، بصرف النظر عن عدد سكانها ، رجحان كفة اقل الولايات سكاناً في مجلس الشيوخ ؛ فان آلاسكا التي لا يمثلها سوى نائب واحد تتمثل بشيخين على غرار ولاية نيفادا التي يبلغ سكانها ٢٨٥ ٠٠٠ نسمة ، وولاية نيويورك التي تضم ١٧ مليوناً . وفي مجلس الشيوخ كما في مجلس النواب تقوم بالدور الأساسي اللجان الدائمة حيث يقضي العرف بان يكون الرئيس ، الذي يتمتع بصلاحيات شبه مطلقة ، لا منتخباً من قبل زملائه ، بل اقدم عضو بين اعضاء اللجنة . فهو من ثم ممتنع العزل عملياً ومستقل عن الذين يحدد انتخابهم بين دورة واخرى ، ويحتل المراكز الشاغرة زعماء الاحزاب . فنحن من ثم امام حكم شيوخ يمارسون نفوذاً راجحاً لانهم احرار في تعجيل المناقشات أو تأخيرها الى ما لا نهاية له . واذا ما اضعفنا الى ذلك ان النفقات الانتخابية باهظة وتجاوز مليون دولار لمجلس الشيوخ ، لاتضحت لنا الفائدة الكبرى التي يمكن ان تجنيها من هذا الوضع الفشائ النافذة التي باتت مؤسسات رسمية والتي تدافع بكافة الوسائل (الحملة الصحفية ، الافلام ، الاذاعة ، وحتى الرشوة) عن مصالح الدول الاجنبية (كتلة الصين الوطنية ، كتلة تشومي) ، ومصالح التكتلات الاقتصادية (كتلة السكر) .

وأثر التأثير نفسه نفوذ آخر حذر الرئيس ايزنهاور مواطنيه منه في خطابه الوداعي الذي القاه في كانون الثاني ١٩٦١ : « في مجالسنا الحكومية يجب ان نحترز من النفوذ الكبير جداً الذي يتمتع به العسكريون والصناعيون ... فيجب الان سمح البتة لهذه القوة المزدوجة ان تمس حرياتنا الديموقراطية » . وجلي ان هذه الكلمات تشدد على المكانة الكبرى التي يحتلها الجيش اليوم في بلاد لم يكن لها قبل السنة ١٩١٧ سوى نواة جيش لا اهمية لها . فان الحرب الباردة ، وفقدان الاستقرار العالمي ، والدور النافذ الذي تقوم به الولايات المتحدة منذ السنة ١٩٤٥ ، وتدخلاتها الكثيرة في « العالم الحر » ، وقواعدها البحرية والجوية وبعثاتها العسكرية الموزعة على كافة القارات ، ودورها البوليسي في مقاومة الشيوعية او ما يعتبر شيوعياً ، والسباق الى التسليح النووي ، والدفاع عن المصالح الاقتصادية حيثما بدت مهددة بخطر الاصلاحات الاجتماعية ، كل ذلك يفسر اهمية الجيش الذي يخصّ بميزانية ضخمة يغذي قسم منها دعاوة فاشطة جداً ومتعددة الاشكال غالباً ما ترتدي طابع التخويف والوطنية المتطرفة .

يضاف الى ذلك اخيراً ان اهمية طلبيات الدولة في حياة المؤسسات الصناعية ، التي يعمل معظمها للدفاع الوطني ، تحمل هذه المؤسسات على التأثير على الادارة واقامة العلاقات بالسلطة العسكرية من اجل الحصول على الطلبيات ، خصوصاً بواسطة العديد من كبار الضباط والقادة

المتقاعدین الداخلین فی خدمتها ، وعلى تغذية الحملات التي تظهر اميركا وكأنها مهددة بخطر التخريب ، ومن ثم تغذية الروح الوطنية والوطنية المتطرفة وذهنية المحافظة السياسية .

هدد هذا الاستقرار الخطر الناجم في تموز ١٩٥٧ عن ظهور
 انهبوط الاقتصادى الاخير
 والتوسع الجديد
 ازمة اقتصادية جديدة ، هي الثالثة وخطر ازمة منذ السنة
 ١٩٤٥. فان التوسع الذي اتاح منذ السنة ١٩٥٣ ارتفاعاً متواصلاً
 في الدخل القومي والاموال الموظفة ، ومن ثم في الطاقة الصناعية ، قد أفسح المكان حينذاك
 لركود واضح المعالم جداً عقبه تأخر بارز منذ تشرين الاول : فلم يبلغ ارتفاع الاستهلاك القومي
 سوى ١ بالمائة ، وهو رقم لا يوازي الحاجات الناجمة عن التزايد السنوي (الذي يبلغ ٢٧٠٠ ٠٠٠
 شخص) في عدد السكان ، وقدنت ارباح الشركات بنسبة ٣ - ٤ بالمائة عنها في السنة ١٩٥٦ ،
 وانخفضت مبيعات المخازن الكبرى ، وتكدست المخزونات ، وانخفض معدل الانتاج الصناعي
 بنسبة ٩ بالمائة في كانون الثاني ١٩٥٨ عنه في كانون الثاني ١٩٥٧ ، وتواصل الغاء الاستثمارات
 الزراعية الهامشية ، واستمر عدد المزارع في التبدل ؛ واخيراً ارتفع عدد البطالين في نيسان
 ١٩٥٨ الى ١٩٨ ٠٠٠ ٥ ، اي ٦٧ بالمائة من اليد العاملة الموجودة في البلاد ، وهو رقم لم يبلغ
 قط منذ ١٩٤٢ . وكانت اكثر الصناعات تأثراً بالازمة صناعة الفولاذ حيث هبطت نسبة طاقة
 الانتاج المستخدمة الى ٥٣ بالمائة في شهر آذار من السنة ١٩٥٨ ؛ وتأخرت كذلك تأخراً بيتناً
 الصناعات الكيميائية (المنتجات المعيشية) وصناعات الاجهزة المنزلية الكهربائية ، وصناعة
 مواد البناء ، بينما استمرت كلفة المعيشة في الارتفاع . وقد أدت حدة اعراض التدهور هذه الى
 ظهور « شبح فقدان الثقة الاقتصادية » ، وتطلبت علاج « المستخات الآلية » التي باتت
 كلاسيكية : تدخل الدولة بواسطة تعويضات البطالة ، وزيادة القروض من اجل تأمين حاجات
 الدفاع الوطني ، والاعمال الكبرى ، وخطط التجهيز ، والمساعدات لتشديد الابنية ...

انفجرت الازمة ، وفي السنة ١٩٦٠ ، دخلت الولايات المتحدة ، التي احرزت أقل تقدم بين
 الدول الصناعية الكبرى منذ السنة ١٩٥٣ ، في طور ازدهار عظيم لم تعرفه منذ السنة ١٩٢٩ . فان
 معدل الانتاج الصناعي الذي ارتفع بنسبة ٩٠ بالمائة خلال السنوات ١٩٦١ - ١٩٦٣ قد ارتفع الى
 ٧ ٪ في السنة ١٩٦٤ و ٨ بالمائة في تموز ١٩٦٥ . ولم تعرف البلاد قط ، منذ ١٩٣٣ - ٣٧ ، فترة نمو
 متواصل على مثل هذا التماهي . وكان ذلك نتيجة سياسة تدخلية تمشت عليها ادارة كندي التي
 استهدفت النمو والمحافظة على نسبة نمو مرتفعة بتنشيط التجارة الخارجية وضمن العمل لكافة
 السكان . وشجّع توظيف الاموال في الصناعة بسلسلة من التدابير المالية والنقدية وبتمخيف
 الضرائب ، الخ . في الوقت الذي زيدت فيه زيادة محسوسة المساعدة الاقتصادية للدول غير
 النامية . فبلغت التجارة الخارجية في السنة ١٩٦٤ مستوى قياسياً اذ بلغ الرصيد الدائن الصافي
 ٧ مليارات دولار . الا ان ميزان المدفوعات قد بقي في عجز بفعل النفقات الحكومية
 والعسكرية واطراد اخراج رؤوس الاموال الخاصة الموظفة في الخارج ، ولا سيما في بلدان السوق

المشتركة (هولندا ، بلجيكا ، ألمانيا ، فرنسا) ؛ وهكذا فقد انشأت فروع الشركات الأميركية أكثر من ٣٠٠٠ مصنع فافست الشركات الأصلية نفسها أحيانا في العالم وحتى في الولايات المتحدة . وهي الاتجاهات نحو التضخم المالي المتسببة عن ارتفاع الأجور والنقبات غير المنتجة ، « تسليح » مكافآت تخفيض المساحات الزراعية ، « ما يهدد قيمة الدولار المعترف اليوم ذا قيمة مرتفعة على العموم .

ما تزال الولايات المتحدة أقوى دول الكرة الأرضية ولكن مركز الهيمنة الذي احتلته بعيد النصر الحليف آخذ في التضاؤل يوماً بعد يوم . فإن النجاحات التقنية التي حققها الاتحاد السوفياتي قد أرغمتها منذ اليوم على إعادة النظر في سياستها الخارجية التي أمست دفاعية . وإذا ما أضيفت هذه النجاحات إلى تجديد بناء أوروبا الاقتصادي ، فإنها تهددها - في أجل بعيد - بصعوبات شبيهة بصعوبات البلدان القديمة .

الفصل الثالث

أوروبا الغربية واليابان

حين وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، كانت أوروبا الغربية في حالة يرثى لها . فإن اقتصادها كان أكثر تلفاً وزعزعة منه بعد الحرب السابقة ، وهبط معدل الانتاج الصناعي في فرنسا وبلجيكا وهولندا الى ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ بالمائة من مستواه قبل الحرب ، وفي ألمانيا الغربية الى ٣٤ بالمائة . وقدنى انتاج الحبوب ، واقل من نصف وسائل النقل او اصيب باضرار كبرى . وفي بعض المناطق عرفت أوروبا المجاعة ، وفي كل مكان تقريباً عرفت بؤساً حقيقياً . وانفدت الخزونات والمؤن . وخلال ست سنوات لم تجدد اية آلة ولم يشيد اي بناء ، بل على نقيض ذلك درست كافة الآلات بسرعة بينما اقفلت اسواق أوروبا التقليدية وتعودت الحماة العالم الاخرى الاستغناء عنها . واخيراً تبدل نظام المقايضات تبديلاً عميقاً بحيث ان الدول ، التي كانت من قبل دائنات العالم ، اضطرت لتصفية اموالها في الخارج واستدانة مبالغ طائلة : لقد انتهت الى الافلاس .

قبل السنة ١٩٤٠ ، لم يكن تفوق الولايات المتحدة ساحقاً بعد ، وبالرغم من ان أوروبا لم تعد سوى المركز الصناعي الثاني في العالم ، فانها قد بقيت المركز التجاري الاول . ففي السنة ١٩٤٥ كان الانهيار كاملاً في الحقل التجاري والمالي ، وعلى الرغم من اعادة بناء سريعة ، فان تأخرها سيزداد يوماً بعد يوم . ويرد ذلك في السنة ١٩٤٥ ، الى ان البيئة التاريخية التي بنيت فيها قوتها قد تغيرت في اتجاه اكثر معاكسة لها منه بعد السنة ١٩١٨ . وليست روسيا وحدها بعد اليوم ما اخذت تتخلص من نفوذها الاقتصادي كما في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، فأوروبا الشرقية جمعاء وجزء من أوروبا الوسطى لم يعودا مستودعاً لحاجاتها من المنتجات الغذائية والمواد الاولية . ومنذ السنة ١٩٤٩ ، اصبح للصين الشاسعة الاطراف ، والمستعمرات المتحررة ، كالهند واندونيسيا ، سياسة اقتصادية لا تهتم الا بصوالحها الخاصة . ولم تعد هذه البلدان مدينة لأوروبا ، لا بل رغبت كلها رغبة متزايدة الوضوح في استخدام خاماتها الخاصة وتنظيم نقلها البحري وغيره . وغالباً ما صادرت الحكومات رؤوس الاموال الاجنبية وابطلت ،

امتيازات المشاريع الاجنبية . وفي مناطق ما وراء البحر التي ما تزال مخضمة ، وفي آسيا وحتى في افريقيا ، وفي بلدان الشرق الاوسط النصف مستعمرة ، هددت الحركات القومية المكاسب التي تحققتها اوروبا من استثمار الثروات الطبيعية . اما تفوق الولايات المتحدة الاقتصادي فقد اصبح ساحقاً .

الحاجات المتناقضة
كان لازماً اعادة بناء كل شيء في اوروبا ؛ والحال خلفت الحرب إرثاً ثقيلاً تناقضت ردود فعل الرأي العام حوله تناقضاً لا شعورياً . فمن جهة اثار طاعة الاقتصاد الموجه ، والتقنين الذي فرضه « اقتصاد الحاجة » ، استياء كبيراً لا في اوساط الصناعيين بسبب الحد من سلطتهم في عملهم وفي اوساط التجار فحسب ، بل في اوساط المستهلكين الذين تضايقوا في عاداتهم وحرمو ما يرغبون في ابتياحه أيضاً . فكان هناك من ثم ترقى شامل الى العودة الى الحرية ، والغاء الرقابات الادارية المختلفة والتحديدات . وبرزت في الوقت نفسه رغبة مماثلة في العودة الى الحرية الفردية ، الى حرية الفكر والتعبير التي عطلت في البلدان الخضعة للنازية ، والتي حددت تحديداً متبانياً في البلدان الحرة بفعل الرقابة والتشريع الحربي . فبدأ النظام الاقتصادي الحر والنظام السياسي الحر من ثم متضامنين ، ولكن المفوضى الاقتصادية والاضطراب السياسي اللذين قادا المانيا ، قبل السنة ١٩٣٣ ، الى النازية وقادا الدول الحرة ، بعد السنة ١٩٣٩ ، الى الهزيمة ، قد خلقا رغبة في نظام اقتصادي وسياسي لا تكون فيه المصلحة الشخصية القاعدة السائدة ؛ وظهر اختبار الأزمة والحرب ان المنافسة الحرة غير المحدودة والسعي وراء المكسب غالباً ما يضران بالمصلحة الوطنية ، وان قوة الدولة وحدها قادرة على استثمار كافة موارد البلاد في سبيل المصلحة العامة ، وان هذه الاخيرة تقضي بأن تسند الى الجماعة رقابة قطاعات الاقتصاد الرئيسية . واثارت ذكرى ضائقة المهال والفلاحين ابان الازمة الرغبة في نظام يؤمن العمل للجميع ويبعد عن الناس كابوس الخوف وعدم الاطمئنان ؛ « العمل للجميع في مجتمع حر » ، هذه كانت الصيغة التي توجز نظرية « بفردج » الذي أحدثت خطته ، وقد أقرها البرلمان البريطاني في ايام الحرب ، دوماً عميقاً جداً . وعلى الصعيد السياسي طالب كل من فكر بالاصلاحات الواجب ادخالها على النظام البرلماني بسلطة تنفيذية قوية قادرة على فرض الانحاء أمام المصالح الكبرى ، وباعادة تنظيم الاحزاب ، وتجديد البشر والاساليب تجديداً كاملاً .

وهكذا وجدت في البلدان المحررة حديثاً على ايدي « المقاومة » رغبات في نظام شبيه بالاشراكية لا يتفق كثيراً والنظام الاقتصادي الحر ، وفي تنظيم لا تكون فيه الديمقراطية شكلية فحسب . اما في الواقع فسيكون فشل هذه الابتغاءات كاملاً ، لأن اعادة بناء اوروبا ستتم في اطار النظام الاقتصادي والسياسي القديم .

١ - التطور الاجتماعي

النزوحات البشرية
في أوروبا
انضاف الى الدمار المادي الذي خلفته الحرب، والخسائر الفادحة
بالارواح التي سببتها، مثار آخر للصعوبات، هو تجدد النزوحات
البشرية التي لم تبلغ قط مثل هذا الاتساع منذ قرون العهود
الميلادي الاولى، والتي غيرت وجه أوروبا تغييراً هاماً (الشكل ٢٣).

إبان العمليات الحربية بالذات ارغم ملايين البشر على النزوح بفعل النفى (البولونيون، اليهود، الأوكرانيون، الروس) ونقل اسرى الحرب والعمال للقيام بالاعمال الالزامية، وسياسة «الارض المحرقة» واخلاء المناطق من السكان اخلاء منظماً. ومن جهة ثانية، انتهت الاتفاقات التي عقدها هتلر في السنة ١٩٣٩ مع ايطاليا والاتحاد السوفياتي الى نقل الاقليات الالمانية في التسيرول والبلدان البلطيقية... الى الرايخ. ثم اقصى الالمانيون عن الالزاس - لورين اكثر من ١٠٠٠٠٠ فرنسي، وادى دخولهم البلدان البلغانية الى فرار العديد من اليوغوسلافيين ويونانيي اقليمي مقدونيا وتراقيا الذين ضمتها بلغاريا الى اراضيها واحلت فيهما مستعمرين بلغاريين محليهم. وفي رومانيا كذلك نزح ٢٠٠٠٠٠ روماني عن ترانسلفانيا الشمالية و١١٠٠٠٠ عن دوبرودجا الجنوبية، بينما نزح ١٦٠٠٠٠ مجري عن ترانسلفانيا الجنوبية. وقد قدر «كوليشير» باكثر من ٣٠ مليون اوروبي، يدخل في عدادهم المدنيون الفارون امام الغزو، عدد المنقولين والمشردين والمنفيين بين تاريخ اندلاع الحرب واولائل السنة ١٩٤٣. وبعد ذلك جرانسحاب الجيوش الالمانية معه اللاجئين الالمانيون من «الشرق»، وروسيا البيضاء، والبلدان البلطيقية، وبولونيا (١١٠٠٠٠٠)، وبلدان جنوبي شرقي أوروبا، لانهم كانوا يخشون انتقام الشعوب التي تسلطوا عليها واستغلوها. وقد تم الجلاء اثناء انسحاب الجيوش، في ظروف صعبة جداً، في الثلج والزمهرير، سيراً على الاقدام او في شتى وسائل النقل، صفوفاً طويلة على الطرقات. فهذا ما حدث فعلاً لـ ٣٥٠٠٠٠ الماني كانوا في القرم واوكرانيا واجلوا الى بولونيا الغربية وما لبثوا ان نزحوا نحو الغرب امام التقدم السوفياتي. وهذا ما حدث كذلك لـ ٢٠٠٠٠٠ الماني كانوا في رومانيا، واللمان الذين كانوا في يوغوسلافيا، وهنغاريا...

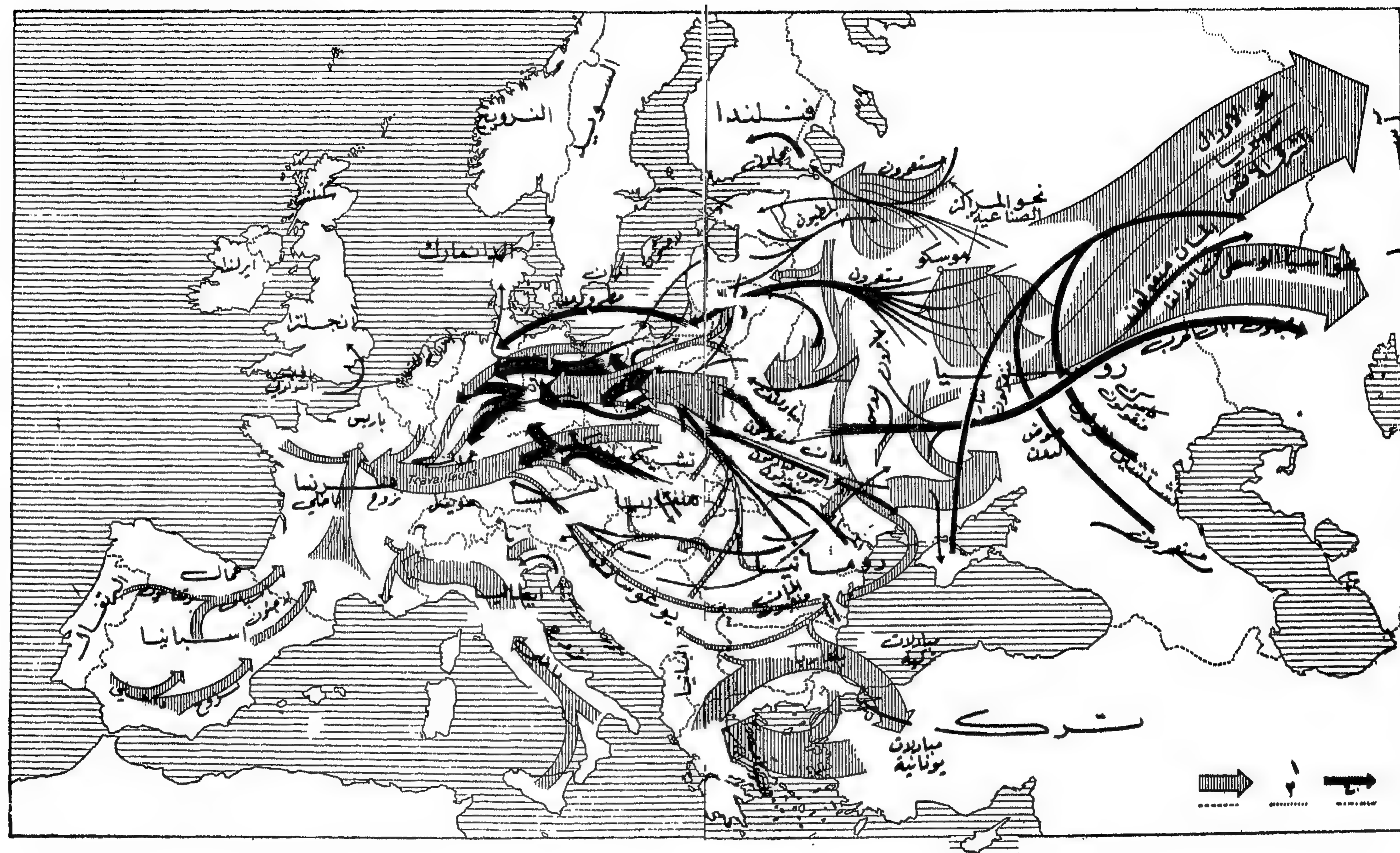
لم يكن النزوح بسبب الحرب من نصيب الالماني وحدهم. فان السكارييلين - ربما بلغ عددهم ٢٥٠٠٠٠ - الذين فروا الى فنلندا في السنة ١٩٣٩ خلال الحرب الفنلندية الاولى، قد عادوا في السنوات ١٩٤١ - ١٩٤٣ الى كارييليا اثناء الحرب الثانية، ثم فروا مرة اخرى في السنة ١٩٤٤. وارغم كذلك عشرات الوف الفنلنديين والنرويجيين الى الابتعاد عن ميادين المعارك في لاتفيا، ولجأ اسوجيو استونيا و٦٥٠٠٠ انغري الى السويد وفنلندا. واضطر كذلك الى الفرار نحو الغرب الفلاحون الأوكرانيون والروس الذين ما كانوا يستطيعوا البقاء في مناطق الحدود، و«المتعاونون» مع الالماني الذين خافوا من تأدية الحساب، والرومانيون الذين استوطنوا

ترانسدستريا حديثاً ، ورومانيو بوكوفينا وبسارابيا ، وربما بلغ مجموعهم ٧٠٠ ٠٠٠ . وكذلك في الغرب دفعت الجيوش الخليفة المتقدمة امامها الألمان المقيمين في البلدان المحتلة و « التعاونيين » الفرنسيين والبلجيكيين والهولنديين ...

اوقف سيل اللاجئين الآتين من الغرب بسرعة . اما سيل اللاجئين الآتين من الشرق فلم يكن من اليسير إيقافه . فان ملايين الألمان الفارين من الشرق قد لحق بهم سيل آخر . وفي مؤتمر بوتسدام تخلى الحلفاء كلياً عن سياسة حماية الاقليات التي انتهجت في معاهدات ١٩١٩ - ١٩٢٠ والتي أمكن تقدير مدى فشلها . وقادم الخوف من مطالبة ايطاليا بالاقاليم الايطالية اللغة والسكان ومن انبعاث الحركة الجرمانية الشاملة الى اعتماد سياسة تقضي بان ينقل الى المانيا الألمان الموجودون في بولونيا (٣ ٥٠٠ ٠٠٠) وتشيكوسلوفاكيا (٢ ٥٠٠ ٠٠٠) والنمسا وهنغاريا . فنقل زهاء ٩ ٥٠٠ ٠٠٠ لاجيء لا موارد لهم تقريباً الى المانيا التي انخفضت مساحتها بنسبة ٢٥ بالمائة . وعقدت اتفاقات بين الاتحاد السوفياتي ورومانيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا بغية تبادل اقليتها او اقله تسهيل عودة مواطنيها . ومن جهة ثانية احتل قرابة مليوني تشيكي وسلوفاكي الاقاليم التي غادرها الألمان . ووطنت بولونيا في الاقاليم الالمانية التي استولت عليها في الغرب ، وكانت شبه خالية من السكان ، ٣ ملايين فلاح بولوني ، بينما استقبلت اكثر من مليون بولوني من الاقاليم الواقعة الى الشرق من خط كورزون التي اصبحت سوفياتية ، وانتقل زهاء ٧٠٠ ٠٠٠ اوكراني بغية استيطان اوكرانيا .

في يوغوسلافيا غادر استريا اكثر من ١٠٠ ٠٠٠ ايطالي ، واجريت مفاوضات مع هنغاريا لتبادل السكان ؛ وبالمقابل وصل ٢٠ ٠٠٠ يوغوسلافي من مقدونيا و ١٠ ٠٠٠ من بلغاريا . وفي الاتحاد السوفياتي ، استوطن الجمهورية القومية الارمنية ٦٠ ٠٠٠ ارمني جاؤوا من مختلف أنحاء الشرق الاوسط ، ولكن الـ ٤٠٠ ٠٠٠ الماني المقيمين في جمهورية الفولغا المستقلة قد نقلوا بتدبير اتخذته السلطات حرصاً منها على سلامة البلاد ، واتخذت التدابير نفسها بعد الحرب في اربع جمهوريات مستقلة تقيم فيها اقليات غير سلافية بسبب تعاونها والامان : تتر القرم ، الكملوك ، التشنشين - انغوش ، الكبرد البلقار (وقد بلغ مجموعهم ٥٦٠ ٠٠٠ شخص تقريباً) الذين نقلوا الى آسيا الوسطى وحل محلهم فلاحون روس . وهم الفلاحون الروس كذلك من استوطنوا الاقاليم المحتلة او المستردة في الغرب ولا سيما بروسيا الشرقية القديمة .

ارتدى معظم هذه التنقلات ، التي ربما تناولت ٢٥ مليون شخص ، طابعاً نهائياً ؛ وبدلت تبديلاً كلياً خريطة توزيع الاعراق في اوروبا الوسطى والشرقية التي لم تتبدل منذ اواخر القرون الوسطى . فنقلت بمبدأ نحو الغرب حدود استيطان السلافيين ، من روس وبولونيين ، على حساب الفنلنديين والبلطيقين ولا سيما الألمان ، وحدود اليوغوسلافيين بعض الشيء على حساب الايطاليين . وكانت النتيجة ان المستعمرات الالمانية في اوروبا الشرقية والجنوبية الشرقية ، التي كانت تؤلف جالية مزدهرة وثاقفة من ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ الماني بين البلطيق



الشكل ٢٣ - الفروقات الأوروبية بين ١٩١٨ و ١٩٥٠

- ١ - نزوحات بين الحربين العالميتين ، ٢ - نزوحات خلال وبعد الحرب العالمية الثانية ، ٣ - حدود ١٩١٨ ، ٤ - حدود ١٩٤٦ ، ٥ - حدود بين قسمي ألمانيا .

والبحر الأسود وبين الكريبات والفولغا ، والتي يعود تاريخ بعضها الى القرن الثاني عشر ، قد صفت تصفية نهائية خلال سنوات معدودة .

تجمع العدد الأكبر من هؤلاء اللاجئين (١٠ ملايين) في المانيا الغربية ، وقد أثار وجودهم مسائل صعبة من حيث التكيف وفقاً للبيئة الجديدة وللحياة الاقتصادية . وتوجب ان يؤخذ بعين الاعتبار كذلك اللاجئين ، او « الأشخاص المرتحلون » الذين ما زال بعضهم في النمسا وايطاليا وبريطانيا العظمى . هؤلاء يؤلفون جمهوراً ينيف على المليون شخص نزحوا بخيرين أو مكرهين منذ السنة ١٩٣٩ : امري حرب لم يعودوا الى بلدانهم ، عمال مدنيون من غير الألمان ساروا على أثر الجيوش الالمانية ، لاجئون من بعد الحرب ، وقد جاء معظمهم من اوروبا الشرقية : بولنديون ، سبق ان انخرط منهم ١٦٠ ٠٠٠ في جيش اندرز ، بلطيقون ، او كراتيون ، يوغوسلافيون ... من المتعاونين والالمان ، او اعضاء الطبقات الحاكمة القديمة ، الذين لم يرغبوا في العودة الى بلادهم بعد ان اصبحت شيوعية ، او اليهود الخائفين من اعداء السامية ، الخ . لقد تمهدتهم منظمة الامم المتحدة التي اصطلحت بمقاومة الدول الراغبة عن قبول المهاجرين ، فشكّلوا طيلة سنوات عدة عنصراً يثير القلق والارتياح في اوروبا المضطربة والمنقسمة .

لقد زالت امكانية المهاجرة . وهناك في اوروبا اربع بلدان

مسألة

عجزت عن تأمين المعيشة لسكانها الزائدين عن طاقتها السكانية :

الهجرة الأوروبية

اليونان ، ايطاليا ، المانيا الغربية ، هولندا . وقد بلغ مجموع

هذه الزيادة في اوروبا وحدها بين ٣ و ٤ ملايين شخص لا يجدون مكاناً لهم في اقتصاد بلادهم ويرتفع عددهم كل سنة بفعل زيادة الولادات على الوفيات . وكانت المهاجرة داخل اوروبا محدودة وغير ذات شأن . الا ان المهاجرة الى ما وراء البحار ، التي توقفت عملياً منذ السنة ١٩٣٠ ، قد استؤنفت مجدداً في السنة ١٩٤٧ . فسافر كل سنة ، بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥١ ، زهاء ٦٠ ٠٠٠ شخص ، جلهم من « الأشخاص المرتحلين » ، بفضل القانون الخاص بهؤلاء الذي سمح في السنة ١٩٤٨ بدخولهم الى الولايات المتحدة دونما تعيد بالانظمة المرعية . الا ان منظمة اللاجئين الدولية التي كانت تشرف على تسفير « اللاجئين المرتحلين » قد ألغيت آنذاك ، ولم يسمح قانون ماك كارن - وولتر ، الذي عمل به في اواخر السنة ١٩٥٢ بقبول سوى ١٥٤,٠٠٠ مهاجر سنوياً ، اي قرابة ٣٠,٠٠٠ في السنة من البلدان الأوروبية المكتظة بالسكان ، ولكن عدد المهاجرين بلغ ٢٥٣,٠٠٠ في السنة ١٩٥٨ التي انتهى فيها العمل بقانون استثنائي لمساعدة اللاجئين .

بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥١ قبلت كندا بدخول ٧٦,٠٠٠ مهاجر في السنة ، أما استراليا التي بدلت سياستها حيال المهاجرة تبديلاً كلياً ، فقد استقبلت ٥٣,٠٠٠ مهاجر اتوا من اوروبا ، ولكن الافتقار الى الاموال والصعوبات الاقتصادية قد أدت الى تخفيض هذا العدد

منذ السنة ١٩٥٢ . ولم تستقبل منهم دول اميركا اللاتينية ، البرازيل والأرجنتين وفنزويلا والشيلى ، سوى عدد ضئيل جداً . ففي كل مكان اصطدم اتساع الهجرة الاوروبية بمراقيل خطيرة : خوف من فقدان التوازن الاجتماعي والعنصري في بلاد المهجر ، رقابة سياسية شديدة جداً ، تعذر استيعاب المهاجرين في المؤسسات الراهنة ، حاجة الى الاموال التي تتيح ادخالهم في اقتصاد البلدان غير النامية ، لان بسلدان المهجر باتت ترغب في المتخصصين في الادارة والاعمال لا في اليد العاملة . ولم يبق هناك سوى تيار هجرة واحد ، ولكنه محدود بطبيعته الدينية ، اعني به تيار هجرة اليهود الى دولة اسرائيل . وربما قدر بـ ١,٥٠٠,٠٠٠ شخص عدد الذين غادروا اوروبا بين السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٥٢ . وبالمقابلة ادى تحرر المستعمرات الى عودة زهاء مليوني فرنسي وبلجيكي الى اوطانهم .

النظام الاجتماعي
كاد نظام المجتمع لم يتغير قط ، لا بل ازداد التباين بين المستفيدين من اجور ودخول محدودة ثابتة من جهة ، وبين المنتجين والمشرفين على توزيع السلع من جهة اخرى . وزاد التجمع الصناعي وتقدم التصنيع نسبياً من اهمية المشاريع التي تقدمت تقدماً كبيراً ، ولا سيما بفعل تقدم الاسعار على الاجور . ويصح هذا القول في فرنسا حيث ارتفع عدد الاجراء بعض الارتفاع - منتقلاً من ٦٢ الى ٦٤٪ من السكان العاملين بين ١٩٤٦ و ١٩٥٤ - ولكنهم تقاضوا اجوراً تمثل ابدأ النصيب نفسه من الدخل القومي ، بينما ارتفعت قيمة المواد الاستهلاكية وطالت مدة العمل . اما ارتفاع الاجر الاجتماعي بالنسبة للاجر المباشر (الذي مبسط من ٨٦٪ من المجموع في السنة ١٩٣٨ الى ٧٧٪ في السنة ١٩٥٣) فقد ادى الى توزيع اجور موافق لارباب العائلات على حساب العمال الآخرين . وتعمل الطبقة العمالية عملها وكأنها تعاونية كبرى معدة لان تتيح لأقل العمال حظوة تربية اولادهم .

ويصح هذا القول كذلك في ايطاليا : امام طبقة غنية جداً وقليلة العدد ، يعيش جمهور الشعب حياة فقر متدنية المستوى جداً . فالصناعيون والملاكون العقاريون الذين أفادوا من ارتفاع الاسعار ومن التضخم ، والارستوقراطية التي ما زالت ، بفضل قاعدتها العقارية المتينة ، القوة الرئيسية في المجتمع (اذ ان العائلات النبيلة القديمة لم تحتفظ في اي بقعة من اوروبا ، باستثناء اسبانيا والبرتغال ، بامتيازاتها الاجتماعية والاقتصادية مثل هذا الاحتفاظ الكلي) يؤلفون طبقة عليا تستفيد من نظام جبائي خفيف الوطأة جداً (لا تمثل ضريبة الدخل سوى ١١ بالمائة من المداخيل ، وهناك مجال واسع للغش) . اما الطبقات المتوسطة التي افلسها التضخم المالي فقد انفقتم اموالها المدخرة ، وسدت في وجه ابنائها سبل العمل . فهناك بطالة حاملة الشهادات لان المهن الحرة ووظائف الدولة كانت في زحمة من اهلها ، بالرغم من ضآلة الرواتب التي كانت ادنى منها في السنة ١٩٣٨ بصورة جلية . وفي المناطق الجنوبية ، عاش المجتمع الريفي بأجمعه ، من ملاكين صغار (١,٥٠٠,٠٠٠ عائلة في اراض تتراوح مساحتها بين نصف هكتار و ٥ هكتارات) ومزارعين وعمال زراعيين ، في جو يسيطر عليه القلق وعدم الاطمئنان .

وأثارت سرعة ارتفاع السكان للملاكين التوفيق أبدأ الى استخدام عمال بأجر ادنى من الاجر القانوني . وكثيراً ما شوهد هنا اولئك «العمال» الذين ينتظرون سحابة ايام كاملة في شوارع القرية وساحتها مجيء احد المستثمرين ليختار بينهم واحداً او اثنين بسبب حاجته الى «يوم عمل» كان اجره ١٥٠ لبراً في السنة ١٩٥٤ !

كان البؤس من ثم شديداً جداً . وفي السنة ١٩٥٣ اظهر التحقيق الذي اجرته لجنة فينغورلتي البرلمانية ان مستوى معيشة ربع السكان تقريباً (١١ مليون نسمة) كان متدنياً او متدنياً جداً ، اي ان نصفهم كان يعيش في الاكواخ الخشبية او المفـاور او المرائب او السقائف ، والنصف الآخر في ابنية مكتظة بالسكان ؛ وان ٥٠٪ كانوا يرتدون الحرقا والراث ، واكثر من ٥٠٪ لم يستهلكوا اللحم ولا سكرأ ولا نبيذاً ؛ وان هذه الفئة البائسة لم تؤلف سوى ٦ بالمائة من سكان ايطاليا الشمالية ، ولكنها جاوزت نصف سكان الجنوب ونصف سكان الجزر .

وفي المانيا حيث استهدفت سياسة الوزير اهرارد توظيف الاموال بفائدة مرتفعة جداً وتنشيط حركة الصادرات ، اقيمت الاجور متدنية جداً بحيث ان ٦٤ بالمائة من السكان تقاضوا في شهر ايار من السنة ١٩٥٠ اجراً لم يبلغ ٢٥٠ ماركاً في الشهر وتقاسموا ٣٥,٦ بالمائة من مجموع الدخل ؛ وان ١ بالمائة من العمال و ١٥ بالمائة فقط من المستخدمين تقاضوا اكثر من ٤٠٠ مارك في الشهر ، بينما تقاسم ٢,٣ بالمائة من السكان ١٦,٥ بالمائة من مجموع الدخل بدخول شهرية تفوق ١٠٠٠ مارك . زد على ذلك ان المانيا الغربية لم تعرف اي اصلاح زراعي ، اذ ان بضعة آلاف هكتار فقط قد اعيد توزيعها ، وان حل « المشاريع » الكبرى التي تتحمل قسطاً كبيراً من مسؤولية وصول هتلر الى الحكم ، لم يؤد الا الى انقاص التجميع الصناعي العمودي . وان الرغبات المترددة في تأميم الصناعات الاساسية لمصلحة المجموع في القطاع البريطاني ، التي ابداهها حزب العمال في السنة ١٩٤٥ ، قد اصطدمت بالمعارضة الاميركية . فسرعان ما عاد المسؤولون القداماء عن الاقتصاد الى مراكزهم القيادية ، وما استعاد الملاكون القداماء ممتلكاتهم . واستؤنفت عمليات التجميع والصهر ، ولا سيما في الصناعات الفولاذية حيث شجعتهم ادارة الوحدة الاوروبية للفحم الحجري والفولاذ .

في بريطانيا العظمى ، اعتمدت سياسة اجتماعية متلاحمة تؤمن للجميع حداً ادنى من الدخل وتضمن العمل لكافة السكان وتوفر الخدمات الاجتماعية ، كخدمات الضمان الاجتماعي والادارة الصحية ، كما اعتمدت بصورة خاصة سياسة جبائية صارمة فرضت ضرائب تصاعديّة على الدخل الكبرى والمتوسطة ، فأدت هاتان السياستان الى الحد من التفاوت الاجتماعي حداً اقوى منه في اي بلاد غربية كبرى .

ان دخول رأس المال الذي مثلت في السنة ١٩٣٨ ٢٢,٦ بالمائة من مجموع الدخل ، لم تعسّد لتمثل في السنة ١٩٥٠ سوى ١٤ بالمائة قبل اقتطاع اية ضريبة . وارتفعت الدخل المختلطة (اي دخول الذين يعملون ويديرون في الوقت نفسه رأسمال استثمارهم : التجارة ، المشاريع الزراعية ،

الصناعيون اليدويون ، المهن الحرة) من ١٢ الى ١٢,٣ بالمائة . اما دخول العمل ، واعني بها الاجور والمرتببات التي تضاف اليها « الدخل الاجتماعية » : الضمان الاجتماعي ، التعويضات العائلية ، معاشات الشيخوخة والتعويضات عن حوادث العمل ، والمساعدات المرضية ، فقد ارتفعت من ٥٩,٧ بالمائة الى ٦٦,٧ بالمائة . فقد حدث من ثم انخفاض كبير في دخول رأس المال (٣٠ بالمائة) ، وزيادة في الدخل المختلطة ، وزيادة كبرى في دخول العمل (٣٦ بالمائة) . فهل يعني ذلك ان الحكومة العمالية قد قامت والحالة هذه « بثورة صامتة » واعادت النظر في توزيع الدخل ؟

قطعاً لا ، اذ ان معظم الخدمات الاجتماعية المشتركة الجديدة قد امتنتها زيادة الضرائب المفروضة على الطبقات الفقيرة ، في حال ان الثروات الطائلة بقيت طائلة . لا بل ان جمع الاملاك في ايدي قليلة العدد قد بات اكثر بروزاً منه في عهد لويد جورج الذي احتج عليه بحدة . فقد قدر في السنة ١٩٤٧ بأن ١ بالمائة من السكان البالغين كانوا يملكون نصف الثروة القومية ، و ١٠ بالمائة يملكون الـ ١/٤ . لقد حققت حكومة العمال « الدولة المزدهرة » ، وتوفقت بحسب تعبير كروسمين ، « الى تحديد المرحلة الاخيرة من مراحل قرن تخللته اصلاحات المجتمع الرأسمالي وتنظيمه » ، ولكنها لم تفتح قط عهد الاشتراكية .

ما زال التفاوت الاجتماعي بارزاً على العموم شأنه في العمود السالفة ، ولكن تطورات الاقتصاد استتبعتم توزيع السكان توزيعاً جديداً بين مختلف قطاعات النشاط ، وتحول النظام

انطلاقة
القطاعين الثاني والثالث

الاجتماعي تحولاً تدريجياً .

منذ زمن بعيد ، أدى اعتماد الآلات في الأرياف الى نزوح واسع مطرد السرعة الى القرى ، في البلدان القديمة التصنيع ، كالولايات المتحدة ، كما في البلدان القليلة التطور اقتصادياً ، كبلدان أوروبا الشرقية حيث كان اكتظاظ الأرياف بالسكان سبباً هاماً من اسباب البؤس الشديد . اجل لا يرد هذا النزوح الى اعتماد الآلات دون سواء ، اذ ان استثمار المستعمرات قد رحل عن الوطن الام الى المستعمرات جزءاً من انتاج المواد الغذائية او الخامات الصناعية النباتية الأصل ، بينما جمع من المستعمرات جزء من اليد العاملة اللازمة للأعمال الشاقة ، او غير الصحية ، او البالغة الصعوبة . الا ان انكماش القطاع الاول (زراعة ، احراج ، صيد) ، بحسب تصنيف كولن كلارك ، قد لوحظ في كافة البلدان ، بينما اتسع القطاعان الثاني (الانتاج الصناعي ، المناجم ، النقل) والثالث (كل ما تبقى) . ففي الولايات المتحدة زاد عدد المستخدمين بنسبة ٤٥٠ بالمائة بين السنة ١٩٠٠ والسنة ١٩٤٠ ، بينما لم يرتفع عدد العمال الا بنسبة ٢٧٥ بالمائة . وفي فرنسا كان هناك ١٠ مستخدمين مقابل ١٤٥ عاملاً في السنة ١٩٠٠ ، ومقابل ٧٦ في السنة ١٩٣١ ، ومقابل ٤٧ في السنة ١٩٤٨ . وهبطت نسبة السكان العاملين المستخدمين في القطاع الاول ، بين السنة ١٩٢٠ والسنة ١٩٤٠ ، من ٣٦,٣ بالمائة الى ١٧,٦ بالمائة (وحق الى ١٦ بالمائة في السنة

(١٩٥٠) في الولايات المتحدة ؛ ومن ٦٠٨ بالمائة الى ٤٠٨ بالمائة في بريطانيا العظمى ؛ ومن ٤٠٣ بالمائة الى ٢٨٠٨ بالمائة في السويد ؛ ومن ٤١٥ بالمائة الى ٣٥٠٦ بالمائة في فرنسا . اما القطاع الثاني فقد تأخر بعض الشيء في الولايات المتحدة : ٣٣٠٤ بالمائة و ٣١٠٤ بالمائة (وهبط الى ٢٦ بالمائة في السنة ١٩٥٠ ، وفي بريطانيا العظمى : ٤٥٠٧ بالمائة و ٤٥٠٥ بالمائة ، بينما استمر في التقدم ببطء في البلدان التي لم تصنع سوى تصنيع محدود كالسويد (٣٠٠٨ و ٣٥٠٦ بالمائة) وفرنسا (٣٠ و ٣٠٠٩ بالمائة) . واما القطاع الثالث الذي استقبل كل من ليس له محل في عمل الارض او في المصنع ، فقد انتقل من ٤٠٣ بالمائة الى ٥١ بالمائة (و ٥٧ بالمائة في السنة ١٩٥٠) في الولايات المتحدة ، ومن ٤٥٠٧ الى ٤٩٠٧ بالمائة في بريطانيا العظمى ، ومن ٢٨٠٩ بالمائة الى ٣٥٠٦ بالمائة في السويد ، ومن ٢٨٠٥ الى ٣٣٠٥ بالمائة في فرنسا .

يرد ذلك الى ان تقنيات الانتاج تستتبع احداث وظائف عديدة ذهنية الطابع . ويشمل هذا القطاع الثالث من جهة ثانية نشاطات عديدة منتجة بصورة غير مباشرة من حيث انها تحسن ظروف العمل : التعليم ، الخدمات الطبية والاجتماعية ، الخدمات العامة ، المصارف ... او توجهها : الفنيون ، موظفو ادارة المشاريع ، وكذلك النشاطات التجارية و الخدمات ، كالتشيليات مثلا ، وجهازاً اعلانياً موزعاً ايضاً (غالباً ما يكون طفيلياً ، ولا سيما في فرنسا) يفرضه الانتاج الكبير ، الذي يحند الخدمة صفار التجار الكثيرين جـداً جمهوراً من الجوالين التجاريين والوسطاء والمعلمين . ويجب ان ندخل فيه كذلك ابناء الوطن الام الذين يقيمون في المستعمرات حيث يارسون وظائف ادارية وتوجيهية .

رأت كافة البلدان من ثم اتساع قطاعها الثالث وانكاش قطاعاتها المنتجة . وتوقف نمو الطبقة القروية والعمالية عددياً بينما ارتفع عدد المنتمين الى الطبقات الاجتماعية في حين انها لا تنتج انتاجاً مباشراً .

ليس من الصعب استخلاص النتائج السياسية لاتساع القطاع الثالث وانخفاض عدد عمال القطاع الأول انخفاضاً نسبياً . فان تحليل السلوك السياسي الذي يسلكه هؤلاء «الاطواق البيضاء» مستخدمين كانوا ام موظفين مرؤوسين ، يكشف القناع عن طابع التناقض في ردود فعلهم : فهم بورجوازيون صفار انتهازيون يمانون في عملهم الطبقات الموجهة التي يحملون بالتشبه بها ، أو أقله تمثيل اولادهم بها ، ويقتبسون ازياءها ، ويقرأون صحفها ، وبها - أقله في المشاريع الخاصة - ترتبك ترقيتهم ، فيرغبون في الانضمام الى الطبقة المسيطرة ، ولكنهم في الوقت نفسه عمال مستغلون واصحاب مطالب يمكن مقارنتهم بالعمال من حيث قدني اجورهم (وهي ادنى من اجور العمال اليدويين في اغلب الاحيان) وظروف العمل التي فرضها عليهم اعتماد الآلات المتزايد . لقد دخلوا صفوف البروليتاريا باعداد كبيرة بفعل التطور الاقتصادي والتقني ، فشمروا انهم بورجوازيون صفار ثارة وعمال ثارة اخرى . فنحن لعمري امام بروليتاريا حقيقية ، ولكنها خلو من الوعي الطبقي ، وسريعة التأثير بسبب ضعف تربيتها السياسية وميولها الى نفوذ

الصحافة الكبرى . وهي تقوم بدور سياسي متعاطف يوماً بعد يوم وتسلك الاتجاه المحافظ نفسه الذي يسلكه الصناعيون اليدويون وصغار التجار الشعرون شعوراً غامضاً بانهم ضحية التطور الاقتصادي .

٢ - التطور الاقتصادي

عرف اقتصاد « المشروع الحر » ، بصورة عامة ، منذ السنة ١٩٤٥ ، انتشاراً سريعاً تخللته بعض الازمات حدثت في السنة ١٩٤٩ حين انجزت عملية إعادة البناء ، وفي السنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ حين توقف الانتاج الوفير الذي اوجبه الحرب الكورية وطراً التأخر الاقتصادي الاميركي .

خلفاً لما حدث في القرن التاسع عشر أو في الفترة التي سبقت الحرب التطور العام المالية الثانية ، لم يعرف العالم ، منذ السنة ١٩٤٥ ، ازمات كبرى خانقة ذات طابع دوري . فخلال هذه السنوات العشرين تقدم الاقتصاد تقدماً متفاوت السرعة ماراً بمراحل توسع وتأخر ، على ان مراحل التأخر كانت « فترات توقف في الارتفاع » ، لا فترات هبوط حقيقية . وفي رأي « جان مارشال » ان علماء الاقتصاد يعتبرون ان الازمات الكبرى الشبيهة بأزمة السنة ١٩٣٠ والازمات التي تدوم ثلاث سنوات واكثر لم تعد ممكنة الحدوث . ويرد ذلك الى التطور العميق الذي طرأ على الانظمة العامة للاقتصاد الغربي .

ان المحافظة على النظام العام ، والحرص على تجنب الازمات الاجتماعية وتوزيع الدخل القومي على مختلف الفئات الاجتماعية ، قد فرضا على الحكومات واجب تأمين العمل والرفاهية للجميع بواسطة اقتصاد يختلف توجيهاً وتخطيطاً وينمو نمواً منتظماً . فعليها من ثم مراقبة تغير الفرص عن كثب واستخدام « المثبتات » . زد على ذلك من جهة ثانية ان ذوي العلاقة : فئات المستخدمين ، ونقابات العمال والمستخدمين ، وجمعيات المزارعين ، قد تضامنوا وألفوا تكتلات قوية النفوذ ، وبات بوسع الشركات الكبرى ، التي ألفت اتحادات واسعة ، والتجمعات المالية التي كانت تشرف على مشاريع كثيرة ، التأثير على الحكومات تأثيراً قوياً . وكان لدى المشاريع والحكومات كلها دوائر مراقبة متخصصة تحلل يوماً فيوماً وضع الاسواق وتراقب الميزان التجاري ، وتوجه الاقتصاد ، كما كان بمقدورها ان تلجأ على الفور الى عدد من هذه المثبتات . وفي كل مكان - باستثناء المانيا الاتحادية ، حيث لم يسيطر سوى التخطيط الخاص - انتهجت التخطيط انتهاجاً متفاوتاً . فحتى في الولايات المتحدة ، كما سبق ورأينا ، حيث تمتع الاحرار الجدد بنفوذ قوي وشنوا هجمات معاكسة قوية على كل تدخل ، استخدمت الحكومة الاتحادية ، في لجنة مستشاري الرئيس الاقتصاديين ، وفي لجنة البيان الاقتصادي المختلطة لدى الكونغرس ، خبراء كثيرين اسندت اليهم مهمة درس الفرص . واخذت بريطانيا العظمى بدورها رسمياً بالتخطيط في السنة ١٩٦٥ .

في عداد هذه المثبتات يدخل تحديد القروض الممنوحة لهذا الفرع أو ذاك من فروع النشاط (هذه هي إحدى وسائل محاربة التضخم المالي بتخفيضها الأرباح وبارغامها المستخدمين على رفض زيادات الأجور) ، وتصدير الذهب أو النقود الأجنبية ، ورفع الرسوم الجمركية بغية توقيف انخفاض سعر النقد الذي ينجم عن العجز في الميزان التجاري . يضاف الى ذلك تشجيع توظيف الاموال بتخفيض الضرائب ، والمحافظة على مستوى الاسعار بالمكافآت والتخزين ، وتحديد بعض الانتاجات ، والتأثير على التوسع اما بزيادة واما بتخفيض النفقات الادارية والثقافية الرسمية والنفقات المتعلقة بالقطاع المؤمم . واستطاعت المشاريع المجموعة من جهتها ان تقاوم الانخفاض مقاومة اجدى بانتهاج خطة آخذة بالانتشار ، اعني بها اللجوء الى ادخار شطر هام من الأرباح والى التمويل الذاتي . أما الاجراء فكانوا بمأمن نسبي من هبوط هام يطرأ على مستوى معيشتهم بفضل الفوائد التي أمنتها لهم القوانين الاجتماعية : الاجازات المدفوعة ، معاشات التقاعد ، تحديد الاجور بموجب اتفاقات جماعية ، الاجر غير المباشر المتقاضى عن طريق الضمان الاجتماعي والتعويضات العائلية ، وتعريف الحد الأدنى ، الخ .

استلزم هذا الجهاز المعقد عدداً كبيراً من الخبراء الكفاء ، القادرين على ان يؤمنوا تأميناً فعالاً مراقبة دقيقة على مختلف فروع الاقتصاد : الاقراض ، الانتاج الزراعي والصناعي ، أهمية اليد العاملة نوعاً وكماً ، وضمان تنسيقها ونموها المتوافق . والحال تمتع هؤلاء الرؤساء الفنيون ، الذين اصبح دورهم رئيسياً في المجتمع المعاصر ، بنفوذ عظيم (تفسره كفاءتهم وخبرتهم) على الحكومات التي اضطرت ، شاءت ام أبوت ، الى العمل بأرائهم وتنفيذ مقرراتهم .

ارتدت هذه الانطلاقة طوابع جديدة ترد الى التغييرات الطارئة على العوامل الجديدة
التوزيع الجغرافي للمنتجات الكبرى وعلى نظام التجارة العالمية . فنحن نرى من جهة ان الدول المنتجة المواد الأولية الاساسية : (الهند ، استراليا ، كندا ، الأرجنتين) قد خفضت صادراتها لان استهلاكها قد ازداد بازدياد عدد سكانها وحاجات تصنيعها . كما ان الدول المستوردة المواد الأولية والمواد الغذائية قد خفضت استيرادها على كل حال لانها اخذت تنشط الانتاج الداخلي ، ولان التحسينات التقنية اتاحت اما توفيرها احكث من ذي قبل واما استخدام منتجات اخرى بديلة . ونرى من جهة ثانية ان التجارة العالمية توزعت قطاعات متباينة الحصرية : لقد حدث انفصال يكاد يكون تاماً بين البلدان الشيوعية والبلدان الرأسمالية ، بينما اصبحت المقايضات في داخل كل كتلة ناشطة جداً ؛ كما حدثت انفصالات - اقل عمقاً ، ولكنها على جانب كبير من الأهمية - بين المناطق النقدية المختلفة : مناطق الدولار ، والسترليني ، والفرنك الفرنسي والبلجيكي ، والفلورين ، والاسكودو وبلدان الاتحاد الاوروبي للمدفوعات . فتألفت ٣/١ الصادرات العالمية تقريباً في السنة ١٩٥٣ من مقايضات في داخل مناطق المقايضة الثلاث الرئيسية : البلدان الشيوعية ، منطقة الدولار ، منطقة الاتحاد الاوروبي للمدفوعات ؛

وجرى ١/٥ المقايضات بين المناطق الثلاث ، ومثل الـ ١/٥ الاخير تجارة الفحم العالم الاخرى .

اعادة البناء
سهل اعادة البناء واقع مزدوج هو ان قسماً كبيراً من الصناعة انتج
قبل الحرب انتاجاً اقل من طاقتها الى حد بعيد ، ولا سيما في الصناعات
الثقيلة والمنجمية ، وكذلك في الصناعات التي تغذي التصدير : المواد الكيميائية ، الصوف ، الخ .
وان الطاقة الصناعية قد ازدادت في كل مكان بين السنة ١٩٣٩ والسنة ١٩٤٥ ، حتى في المانيا
حيث اقتطعت التعويضات — التي تمثل ٥٪ من طاقتها الانتاجية — من الصناعات المجهزة خير
تجهيز التي لم تتضرر بفعل الغارات الجوية ؟

وقد جرت بأسرع مما كان منتظراً وفي وقت اقل منه بعد الحرب السابقة ، بالرغم من ان
التدمير كان اكثر تخريباً وشمولاً . يضاف الى ذلك ان تحويل الصناعات الحربية قد كان ايسر
بما امكن تصوره . فمنذ آخر السنة ١٩٤٨ — اي اقل من اربع سنوات بعد توقف العمليات
الحربية — استطاعت اوروبا الغربية بلوغ مستوى انتاج ما قبل الحرب . وفي أواخر السنة
١٩٤٩ بلغت مستوى الصادرات نفسه .

هو تدمير ودروس معدات النقل ما اثار اكبر الصعوبات في عملية اعادة البناء . ففي السنة
١٩٤٧ نفسها ، ما زالت قاطرات ومقطورات السكة الحديدية ادنى عددا منها في السنة ١٩٣٩
بنسبة تتراوح بين ١٠ و ٢٥ بالمائة ، وما زال عمول الاسطول النهري سوى ١/٤ محموله مسا قبل
الحرب . اما خسائر الاسطول التجاري فكانت اكثر فداحة ايضاً : ٢٤ مليون طن من اصل
٤٤ ، ولم يعض منها جزئياً سوى ابتياع السفن وبناء السفن الجديدة . فان الاسطول الاوروبي
قد انخفض في السنة ١٩٤٥ الى ثلثيه في السنة ١٩٣٩ . فكان من ثم على عملية اعادة البناء تحمل
عبء ثقيل هو دفع اكلاف الشحن للاسطول الاميركي . واخيرا كانت الابنية الخاصة والعامة قد
دمرت بنسبة ٢٠ بالمائة في المانيا ، و ٩ الى ١٠ بالمائة في بلجيكا ، وهولندا ، وفرنسا ، والمملكة
المتحدة ، و ٥ بالمائة في ايطاليا . فلا عجب من ثم اذا ما كانت آثار الحرب في هذا القطاع ،
الذي يمثل اموالاً ضخمة ، اكثر عمقاً واطول ديمومة ، لا سيما وان توقف حركة البناء ابان الحرب
قد اضاف الى الخراب حاجة اخرى . فكان عدد المساكن الواجب تشييدها ٥٠ مليون مسكن ،
اي ١٦ بالمائة من مجموع المساكن العام .

لقد يسرت اعادة البناء القروض والهبات التي قدمتها الولايات المتحدة ولا سيما تنفيذ مشروع
مارشال ، والطلب الذي اوجده الحرب الكورية ونفقات التسليح . وقد اعيقت في بعض
البلدان بعدم استقرار الاسعار وبالتضخم المالي الذي لم يوضع له حد في فرنسا الا في السنة
١٩٥٢ بعد تخفيض الفرنك في السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٤٩ الذي رفع قيمة الدولار من ٤٣ و ٦٠
في السنة ١٩٢٩ الى ١١٩ و ١٠ ، ثم الى ٣٥٠ فرنكاً ، وفي ايطاليا حيث ثبت سعر اللير في
السنة ١٩٤٧ بـ ١/٥ من قيمته في السنة ١٩٣٨ . وفي المانيا الغربية حيث اتاح الاصلاح النقدي
للاقتصاد ان ينطلق في السنة ١٩٤٨ من اسس سليمة .

كانت إعادة البناء أكثر تباطؤاً عند المهزومين ، في ألمانيا واليابان اللتين أبدى المنتصرون رغبتهن في اقتلاع جذور قوتها العسكرية . وإذا كانت المشاريع المعدة أثناء الحرب لجعل ألمانيا دولة زراعية بجثة لم تعد واردة ، فإن التصميم على نزع الأسلحة منها ومن اليابان قد حمل على اقرار تخفيض طاقة انتاجها الصناعي بنسبة ٥٠ بالمائة من مستواها في السنة ١٩٣٨ : فليس بعد اليوم من صناعة بنزين ومطاط تركيبى ، ومن مواد مشعة ، وقد خفضت الصناعة الكيميائية الأساسية الى ٤٠ بالمائة (من مستواها في السنة ١٩٣٦) ، وانتاج الفولاذ الى ٧٥٠٠٠٠ طن . وان معدل الانتاج الصناعي الذي كان ٣٣ (بالنسبة لمستواه في السنة ١٩٣٨) في السنة ١٩٤٦ ، لم يبلغ سوى ٥١ في شهر حزيران من السنة ١٩٤٨ . وفي اليابان لم يبلغ في شهر آب من السنة ١٩٤٧ سوى ٤٠,٥ بالمائة من مستواه في ١٩٣٠ - ١٩٣٤ . ولكن النهضة بدأت في ١٩٤٧ - ١٩٤٨ حين قررت الولايات المتحدة تحويل المهزومين الى حلفاء على الاتحاد السوفياتي ودشنت « التطور العكسي » الذي اعاد تسليح من نزع سلاحهم واعاد لهم طاقتهم الصناعية وعززها .

منذ منتصف السنة ١٩٤٠ حتى اواخر السنة ١٩٥٢ ، ادى تجديد التسليح
تقدم
الانتاج الصناعي
الى ارتفاع الانتاج بسرعة ؛ ولكن الهبوط حدث منذ السنة ١٩٥٢ ،
حين اتضح ان العمليات العسكرية في كوريا سوف تبقى محدودة . الا ان
الازمة التي حدثت في الولايات المتحدة في ١٩٥٣ - ١٩٥٤ لم تؤثر تأثيراً يذكر على الاقتصاد
الاوروبي الذي دخل ، بعد السنة ١٩٥٣ ، مرحلة توسع على نطاق كبير . اما اليابان فقد بلغت
منذ السنة ١٩٥١ ، بفضل الحرب الكورية ، مستوى انتاجها في السنوات ١٩٣٠ - ١٩٣٤ .
فان ضعف المراقبة وسخاء الاقراض قد شجعا انتاج المواد الاستهلاكية ، ولا سيما السيارات ،
وتشييد الابنية ، وتوظيف الاموال . فليس ثمة من تأخر الا في الصناعات الدسجية التي تراجعت
امام الخيوط الاصطناعية وامام اقفال الاسواق التدريجي في افريقيا والشرق الادنى حيث
كانت منافسة اليابان والهند ناجحة بفعل تدني الاجور فيها . اما زيادة الانتاج الصناعي
والزراعي والمنجمي بين السنة ١٩٤٠ والسنة ١٩٥٤ فقد تجاوزت ٤٠ بالمائة كماً ، وكانت منذ
السنة ١٩٤٨ اسرع في اوروبا الغربية منها في الولايات المتحدة ، وانما عوض عنها جزئياً بارتفاع
عدد السكان وبتباين تقدمها ، من حيث ان جزءاً كبيراً من اوروبا الحرة قد ضم مناطق
غير نامية كابطاليا الجنوبية واسبانيا والبرتغال واليونان . يضاف الى ذلك انها اختلفت باختلاف
البلدان ، فكانت أكثر تباطؤاً في فرنسا مثلاً حيث لم ترتفع بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٥٤ الا
بنسبة ١٨ بالمائة ، بينما ارتفعت بنسبة ٦١ بالمائة في بريطانيا العظمى ، و ٧٠ بالمائة في ايطاليا ،
و ٨٦ بالمائة في ألمانيا ، و ٩٩ بالمائة في هولندا (و ١١١ بالمائة في الولايات المتحدة) . وكانت
نهضة ألمانيا الغربية سريعة جداً منذ السنة ١٩٤٨ : فان معدل انتاجها الصناعي قد انتقل من
٧٩ في هذا التاريخ الى ١٥٠ في السنة ١٩٥٢ والى ١٧٦ في السنة ١٩٥٤ ، كما ان نصيبها من

الاتّاج الصناعي الاوروبي ، الذي كان بنسبة ٢٠ بالمائة في السنة ١٩٣٨ ، وهبط الى ٨ بالمائة في السنة ١٩٤٧ ، قد ارتفع في اواخر السنة ١٩٥٠ ، فاحتلت الاسواق الخارجية مرة اخرى ، وبات المارك احد اقوى نقود اوروبا . وهي الصناعات المعدنية والميكانيكية (٦٠ بالمائة) ، والصناعات الكيماوية - بما فيها مصافي البترول - ما احرزت اكبر تقدم وما بلغت اعلى الارقام بالنسبة لمستواها قبل الحرب ؛ وتضاعف انتاج الكهرباء خلال عشر سنوات بينما استقر انتاج الفحم الحجري وارتسم فيه اتجاه نحو التراجع .

بعد السنة ١٩٥٠ ، تواصلت انطلاقة الانتاج الصناعي بسرعة : فان معدل التقدم السنوي ، في العقد السادس ، قد اختلف في اوروبا بين ٧،٤ بالمائة في المانيا الغربية و ٢،٥ بالمائة في المملكة المتحدة ، و ٦ بالمائة في النمسا وايطاليا ، وبين ٤،٢٥ و ٥،٢٥ في سويسرا وهولندا وفرنسا ، وبين ٣ و ٣،٧٥ بالمائة في النرويج والسويد والدانمارك وبلجيكا . ولكن السنة ١٩٦١ التي رأت اقتصاد الولايات المتحدة يخرج من الازمة وينطلق انطلاقة جديدة ، تشكل نهاية التقدم السريع في صناعة بلدان اوروبا الغربية . وقد اختلف التطور باختلاف البلدان : فاحتفظت المانيا الغربية وحدها بمعدل تقدمها المرتفع (٧ بالمائة في اوائل السنة ١٩٦٥) ، بينما لم يبلغ معدل تقدم فرنسا سوى ٣،٣ بالمائة فقط ، بفعل خطة الاستقرار وتحديد القروض وتجميد الاسعار . اما التقدم الايطالي فقد طرأ عليه هبوط كبير بفعل الازمة التي حدثت في اعقاب الانتخابات التي كانت نتائجها مؤاتية لـ « منفذ الى اليسار » : ارتفاع الاسعار ، تهريب رؤوس الاموال ، عجز في ميزان المدفوعات . فكان ذلك نهاية « المعجزة الايطالية » التي ترد في الدرجة الاولى الى وفرة اليد العاملة الضئيلة الاجور ، وكانت النهضة في السنة ١٩٦٥ بطيئة ومترددة . اما بريطانيا العظمى ، التي كانت عنصر الاختلال الرئيسي في مدفوعات اوروبا الغربية ، فكان معدل الزيادة فيها ابطأ منه في كافة الدول (٢،٤٥ بالمائة) ، وميزان مدفوعاتها في عجز ، ونقدها مهدداً ابداً .

يرد هذا الوضع الى تدني الطلب من خارج اوروبا ، بحيث اصبحت زيادة الاستهلاك آتئذ العامل الاول بين عوامل التقدم . ولكن العائق الرئيسي كان الحاجة الى اليد العاملة (ولا سيما المتخصصة) قبل نقصان الطاقة الانتاجية لانها هي كانت السبب الاول في ارتفاع الاجور والاسعار الزراعية ، الذي لم يلبث ان بلغ نسبة عالية في المانيا وايطاليا وجاوز تقدم الانتاجية الى حد بعيد . فقد صادفت في الزمن زيادة في الاحتياط النقدي ، واسهمت من ثم في زيادة التضخم . ومع ارتفاع الانتاج احرز تجمع المشاريع تقدماً سريعاً جداً ، بغية مواجهة المنافسة في الدرجة الاولى ، في البلدان التي تحققت فيها فكرة السوق المشتركة تحقّقاً بطيئاً . وقد تم التجمع عن طريق الانصهار ، وانشاء فروع مشتركة ، واقامة علائق مالية على جانب كبير من التعقيد : زهاء ٩٠٠ علاقة بين المشاريع المرنسية المئة التي جاوز رأسمالها مليار فرنك في السنة ١٩٥٨ (تمثل ٦٠ بالمائة من اموال الشركات المسعرة اسهما في المصفق والمستخدم

٧٠٠ ٠٠٠ عامل) ، و ٦٧٧ بين المصارف التجارية الفرنسية الاثني عشر وحدها ... ثم اتسعت الحركة . فتحقق بين السنة ١٩٦١ والسنة ١٩٦٤ مائتا انصهار بين المشاريع الصناعية الكبرى الـ ٥٠٠ في المانيا الاتحادية . وفي السنة ١٩٦٤ حقق ٥٠٣٤ بالمائة من المشاريع (الصناعية والتجارية) الفرنسية ٥٠٤٩ بالمائة من مجموع المبيعات ودفعت ٥٤٤٩ بالمائة من الاجور . وبالرغم من ذلك كان التجمع في اوروبا اقل تقدماً منه في الولايات المتحدة ، اذ ان اهم مشروع الماني لم يأت في السنة ١٩٦٤ الا في المرتبة التاسعة والعشرين في لائحة المشاريع الصناعية العالمية الكبرى ، واهم مشروع ايطالي في المرتبة الثامنة والثلاثين ، واهم مشروع فرنسي في المرتبة الخمسين .

نجم عن ذلك انخفاض سريع في عدد مشاريع الصناعة اليدوية المستقلة والمؤسسات الصناعية المستخدمة اقل من ٥٠ اجيراً . وفي فرنسا ، حيث نعلم ان المشاريع الصناعية والتجارية الكبرى اقل عدداً واقل شأناً منها في الولايات المتحدة او في المانيا ، لم يرتفع ، بين احصاءي السنة ١٩٥٤ والسنة ١٩٦٢ ، سوى عدد المشاريع المستخدمة بين ٥٠ و ٢٠٠ اجير (١٥١ بالمائة) واكثر من ٢٠٠ اجير (١٢ بالمائة) ، بينما زال من الوجود ٨٤ ٠٠٠ مشروع صناعة يدوية و ٤٣ ٠٠٠ مؤسسة صناعية تستخدم بين اجير وعشرة اجراء .

الوضع الزراعي
كان التقدم بطيئاً بصورة عامة بعد السنة ١٩٤٩ حين بلغ الانتاج الزراعي مستواه قبل الحرب . فان المعدل السنوي الذي بلغ ١٠ بالمائة بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٩ قد هبط بعد ذلك الى ٧ بالمائة ثم الى ٢ بالمائة (في ١٩٥٢ - ١٩٥٣) . فتكاد الزيادة توازي من ثم زيادة مجموع عدد السكان ، بالرغم من ان المساحة المخصصة للانتاج الزراعي قد انخفضت منذ السنة ١٩٣٨ بنسبة ٢ - ٣ بالمائة . وقد اعاض تحسين الانتاج من انخفاض المساحات المزروعة بفضل استخدام المزيد من الاسمدة ومن الآلات الزراعية (جرارة لكل ٢٠ هكتاراً من الأراضي الزراعية في المملكة المتحدة وسويسرا ، ولكل ١٤٠ هكتاراً في فرنسا ، و ٢١٠ هكتارات في ايطاليا) ، ولكن الاموال الموظفة في الزراعة كانت اقل شأنًا الى حد بعيد من الاموال الموظفة في قطاعات الاقتصاد الاخرى : ٧٥ بالمائة في المملكة المتحدة ، ٤٢ بالمائة في المانيا ، ٣٥ بالمائة في بلجيكا ، ٣٤ بالمائة في فرنسا ، ١٣ بالمائة في ايطاليا ، واستقر الانتاج في مستوى لم يتبدل تبديلاً يذكر . الا ان تنظيم الزراعة الاوروبية ، المتباين تقدماً ، غالباً ما اعاقه عجز العمال عن شراء ما يريدون ، ووجود ملايين صغار الملاكين الذين كانت املاكهم اضيق من ان تؤمن لهم طيلة ايام السنة عملاً منتجاً ، والذين افتقروا الى الاموال اللازمة لتنظيم استثمارها ، فحدوا من الانتاجية والتقدم الاجتماعي .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الزراعة الغربية لم تضمن الازدهار الا لجزء من مزاويلها . فبالاضافة الى قلة العمل ، وبالتالي الى قلة الاستخدام ، اللذين ولداً بؤساً حقيقياً احياناً ، ليس

من شك في وجود املاق لا جدال فيه بين الفلاحين ، فاجم عن الفرق الكبير بين الدخول الزراعية والدخول الصناعية وعن انخفاض اسعار البيع بالمجمل . ومرد ذلك الى ان نصيب الزراعة الاجمالي في البلدان الصناعية ذات الدخل القومي المتزايد ، اخذ في التدنّي يوماً بعد يوم (هبط من ٣٥ الى ١٢ بالمائة من الدخل القومي في فرنسا بين السنة ١٩٠٠ والسنة ١٩٦٠) ، بحيث انخفض معدل مستوى معيشة الفلاحين انخفاضاً كبيراً بالرغم من انخفاض عددهم انخفاضاً كبيراً ايضاً . وقد افضى هذا الانخفاض في مستوى المعيشة بالنسبة له في المدينة الى الحداد طبقي حقيقي والى امتعاض عام سببه « شعور بالحرمان والحيف والاهمال وعدم الاطمئنان للغد » .

فلا عجب والحالة هذه اذا ما اتسمت حركة الهجرة الريفية : فان نسبة العمل الزراعي بين المذكور ، التي انخفضت في النصف الاول من القرن العشرين في كافة البلدان (بمعدل ٥٢ بالمائة في بلجيكا و ٤٨ بالمائة في السويد ، و ٤٦ بالمائة في انكلترا ، و ٤٠ بالمائة في سويسرا وهولندا والمانيا الغربية ، و ٣٠ بالمائة في فرنسا) ، قد استمرت في الانخفاض ، اذ ان فرنسا قد « حرمت » بين السنة ١٩٥٤ والسنة ١٩٦٠ من اكثر من ١/٢ فلاحين ، ولا تزال « تُحرّم » من ٥٠.٠٠٠ فلاح تقريباً في السنة ، كما ان المانيا الغربية « حرمت » من ١٦,٤ بالمائة ، وهولندا من ١١,٧ بالمائة ، وايطاليا من ١٠ بالمائة ، وبلجيكا من ٥ بالمائة ، الخ .

تجلى هذا الامتعاض احياناً باضطرابات وانفجارات استياء عنيفة تستهدف ارغام الدولة على التدخل لمصلحة الفلاحين الراغبين في التوصل الى وضع اجتماعي يعادل مستواه مستوى الفئات الحرفية الاخرى المماثلة . وبهذا الصدد شجعت الانظمة الانتخابية الغربية الدوائر الريفية ، حتى القليلة السكان منها ، لان وجود طبقة قروية راضية عنصر من عناصر استقرار المجتمع وديمومته . لذلك تنبّهت الحكومات ، بصورة عامة ، الى قلبية مطالبها : فهذه كانت الغاية في المانيا الاتحادية من « المشروع الاخضر » الذي اقر في السنة ١٩٥٥ ، والمشروع الاخضر الايطالي (١٩٦١) ، والقانون الزراعي السويسري الاساسي (١٩٥١) ، وكافة التشريعات الفرنسية منذ السنة ١٩٦٤ ، التي يمكن مقارنتها ، من اوجه عديدة ، بالتدابير التي سبقت الاشارة اليها في الولايات المتحدة .

في اليابان تحققت اصلاحات اقتصادية اساسية بغية جعل تنظيم الانتاج الزراعي والصناعي في متناول الجميع . وكان أهمها اصلاح الزراعي الذي فرضته السلطات الاميركية في السنة ١٩٤٦ . ففي هذا التاريخ كان ٦٤٪ من سكان الأرياف يعملون في اراض مكثرة بجزيئاً او كلياً ويدفعون كراء يبلغ نصف الحصيد او اكثر من نصفه . وكان الهدف من اصلاح وضع حـد لبؤس هؤلاء المكثرين باعطائه اولئك الذين يزرعون الارض امكانية امتلاكها . فاضطر الملاكون الذين لا يقيمون في اراضيهم الى بيعها من الحكومة بأسعارها في السنة ١٩٣٩ ، اي ان هذه الاراضي انتقلت الى الحكومة بما يشبه المصادرة والاستملاك . ولم يسمح للفلاحين بامتلاك

أكثر من سبعة أكرات ونصف ولغير الفلاحين من أكرين ونصف ، باستثناء « هوكايدو » ، حيث سمح بامتلاك أربعة أضعاف هذه المساحات . وتمكن المكثرون من الحصول على هذه الأراضي إما بدفع ثمنها ، وإما بدفع فائدة سنوية توازي ٣,٢٪ من ثمنها طيلة ٣٠ سنة . وحددت بدلات الكراء بحيث لا تتجاوز ٢٥٪ من محاصيل الأرز و ١٥٪ من محاصيل الزراعات « البعلية » . وصادف تطبيق الإصلاح صعوبات كثيرة بفعل معارضة بعض الوزراء الذين عرقلوه (خصوصاً في تسجيل انتقال الملكية) ولا سيما معارضة الملاكين السابقين الذين غالباً ما اشرفوا على عمليات اللجان المحلية وخوفوا المشترين . ولكن ٧٠٪ من المستثمرين الريفيين ، مقابل ٣٦,٥٪ في السنة ١٩٤٥ ، أصبحوا منذ السنة ١٩٤٩ يملكون ٨٢٪ من الأرض الزراعية مقابل ٥٤,٢٪ . وبالرغم من هذه النتائج ، فإن أكثر من ٦٠٪ من الفلاحين كانوا يستثمرون في السنة ١٩٥٦ حقولاً لا تبلغ مساحتها الـ « شو » (١,٢٤ هكتار) . ولذلك اعتمدت منذ السنة ١٩٤٩ سياسة تحديد النسل التي نجحت في تخفيض معدل الولادات (الذي كان ٣,٤ بالآلاف في السنة ١٩٤٧) إلى ١,٨ بالآلاف في السنة ١٩٥٦ ، بينما تدنى معدل الوفيات من ١٤,٦ إلى ٨ .

أما في إيطاليا الوسطى ، وخصوصاً في إيطاليا الجنوبية ، فلم يحقق إصلاح واسع بغية تسوية المسألة الزراعية ، بالرغم من استيلاء فلاحي كلابريا وصقلية ، في السنة ١٩٤٩ ، على أملاك كبرى ، وبالرغم من الأضرابات العامة التي أعلنها العمال الذين ينتظرون في شوارع القرى من يستخدمهم . ولم يطبق سوى قانون خاص عمل به في منطقة « سيليا » ، هو قانون « سترالسيو » الذي اتساح استملاك ١٠٠,٠٠٠ هكتار ، وقانون خاص آخر عمل به في صقلية . فبلغ مجموع الأراضي الموزعة حتى هذا التاريخ ٥٠٠,٠٠٠ هكتار ، وبمجموع المستفيدين من هذا التوزيع ٩٠,٠٠٠ عائلة .

لم ينقطع الاستخدام عن التقدم ، وقد أتاح تشغيل الجماهير الفقيرة التي هاجرت الأرياف إلى المدن . لقد زالت آفة البطالة في البلدان الصناعية الكبرى باستثناء بلدان أوروبا الجنوبية . لا بل لوحظت في كثير من البلدان حاجة كبرى إلى العمال الاختصاصيين ، ففي إيطاليا حيث استقر عدد البطالين زمنياً طويلاً حول رقم الـ ٢,٠٠٠,٠٠٠ (بطالة كلية) ، أي ١٠٪ من اليد العاملة ، وبحول نسبة مماثلة من البطالين الجزئيين ، هبط هذا العدد إلى ١,٧٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٦٠ وإلى ١,٢٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٦٤ . وفي ألمانيا الاتحادية هبط عدد البطالين من ١,٨٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٥١ إلى ١,٣٠٠,٠٠٠ في أواخر السنة ١٩٥٤ وإلى الصفر منذ السنة ١٩٦٠ . لا يسأل جاءها منذ السنة ١٩٦٤ أكثر من مليون عامل أجنبي (٣٥٠,٠٠٠ إيطالي ، والمديد من اليونانيين والاسبان والأتراك والبرتغاليين وسكان الدول المتاخمة) . ويصح هذا القول في سويسرا أيضاً حيث يوجد عامل أجنبي من كل ثلاثة (٢٧١,٠٠٠ في السنة ١٩٥٥ و ٩٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٦٤) . لذلك بانت نسبة البطالة ضئيلة جداً : ٥,٠٪ في ألمانيا ، ٨,٠٪ في هولندا ، ١٢ بالمائة في فرنسا ، ١٤ بالمائة في المملكة المتحدة ، ٢٠ بالمائة في إيطاليا .

وبالمقابلة ارتفعت الاجور الاسمية .

الانبعثات التجارية
استلزم الانبعثات التجاري تكيفاً جديداً عسيراً، ولكن تقدمه كان سريعاً بالرغم من العراقيل الكثيرة التي أقامتها في طريقه الرقابات ، والانظمة النقدية ، والتعريفات الجمركية . ففي السنة ١٩٥٥ تجاوزت التجارة العالمية ، بنسبة ٥٠ بالمائة ، مستواها في السنة ١٩٤٨ (وستين بالمائة ، مستواها في السنة ١٩٣٨) . الا ان أوروبا الغربية خسرت جزءاً كبيراً من دخل الاموال الموظفة في ما وراء البحار والمقدرة في ١٩٥٠ - ١٩٥١ بأكثر من خمسمئة مليون دولار في السنة ١٩٣٨ . وان هذا الدخل ، الذي كان يمثل ٣٢ بالمائة من حجم الصادرات في السنة ١٩٣٨ ، لم يمثل سوى ٩ بالمائة فقط في ١٩٥٠ - ١٩٥١ . وأضيف الى هذه الخسائر عبء تسديد الديون الجديدة المتراكمة اثناء الحرب . فحتى البلدان التي توفرت لديها اموال احتياطية بفضل صادراتها في الحماة اخرى من العالم (كبريطانيا العظمى وخصوصاً البلدان التي لم تتضرر تضرراً كبيراً من الحرب كبلجيكا وسويسرا والسويد) قد اصطدمت بصعوبات كبرى نجمت بصورة خاصة عن استحالة تحويل كافة النقود تقريباً ، باستثناء الدولار والفرنك السويسري .

اذن كانت مسألة سد هذا المعجز الكبير في ميزان المدفوعات على جانب كبير جداً من الخطورة . فان أوروبا الغربية ، باستثناء إيطاليا ، لم تستفد من المساعدات المخصصة للبلدان الفقيرة ، بحيث لم تؤمن المدفوعات الا بالفاق احتياطي الذهب او الدولار ، او بفضل القروض التي منحتها الحكومة الاميركية : اعني بها القروض الممدة لدفع قيمة « فائض » الخزونات الحربية المتروكة في أوروبا ، او ثمن السفن المعروفة بـ « سفن الحرية » . والحال كانت الحاجة الى معدات التجهيز والمواد الغذائية كبيرة جداً ، والموارد اللازمة لدفع قيمة هذه الواردات المتزايدة اخذت في التناقص ، وتقدم الانتاج الصناعي مؤدياً ، كما هو طبيعي ، الى انقاص الفوائض الممدة للتصدير ؛ كما ان الاسطول التجاري قد خسر جزءاً كبيراً من محموله ، والتقنين الغذائي قد منع السياحة من استعادة اهميتها القديمة ، والجزء الاكبر من الاموال الموظفة في ما وراء البحار ، ولا سيما في اميركا الشمالية ، قد صفى حسابه . وهكذا كانت أوروبا الغربية ، اقله خلال السنوات الاولى ، مدينة للولايات المتحدة ، حتى في حقل الخدمات . اما العلائق بأوروبا الشرقية ، التي كانت في البدء متوقفة توقفاً تاماً ، فلم تتجدد بعد ذلك الا على نطاق ضيق ، بسبب الدمار الذي خلفته الحرب فيها وحاجات اعادة بناء هذه البلدان وادخال الاصلاحات الزراعية من جهة ، واتجاه تيارات التجارة الجديدة نحو الاتحاد السوفياتي ، من جهة ثانية . ثم كادت تنقطع انقطاعاً كلياً حين اشتدت الحرب الباردة .

وهكذا ازداد المعجز في المبادلات بين أوروبا الغربية ومنطقة « حرة الدولار »
الدولار . فارتفع من ٧٠٠ مليون دولار في السنة ١٩٣٨ الى ثلاثة آلاف وخمسمئة مليون في السنة ١٩٤٦ والى خمسة آلاف وسبعمئة مليون في السنة ١٩٤٨ فيما

نخص الولايات المتحدة وحدها .

وزاد تأخر صادرات المنتجات الأساسية من بلدان ما وراء البحار من هذا الارتباط بالولايات المتحدة لان معظم الواردات الأوروبية التي حلت محلها قد ابتيعت من منطقة الدولار (٣٠ بالمائة اكثر من السنة ١٩٣٨) .

كادت الصادرات الأوروبية تتضاعف بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٤ ، بفضل ألمانيا والسويد بصورة خاصة ، ولكنهما ما كانت لتزيل اختلال التوازن ، اذ ان أوروبا ما كانت لتستطيع زيادة وارداتها من الدولارات باستغنائها عن المنتجات الأميركية في أوروبا او في النحاء منطقة الدولار الأخرى . أما بريطانيا العظمى وفرنسا فقد حققت صادراتهما أعلى ارتفاع (٨٥٪ بين السنة ١٩٣٨ والسنة ١٩٥١) في منطقة السترليني او في منطقة الفرنك أي في مستعمراتها في ما وراء البحار ، ولكن القضية كانت ، في الدرجة الأولى ، قضية توظيف اموال من أجل تنفيذ خطة تجميدية او اتفاق عسكري (ماليزيا ، الهند الصينية) . واذا تدنى العجز فليس ذلك بفضل الحصول على الدولارات بل بفضل القروض التي قدمتها المشاريع الخاصة والحكومة الأميركية والمصارف المرتبطة بها ، وبفضل ارتفاع نفقات القوات الأميركية المتمركزة في أوروبا وطلبات بلدان ما وراء البحار . ولكن المقصود هنا هو مساعدة مرتبطة بالوضع السياسي والعسكري لم تفلح سوى في « إخفاء » عجز دائم بلغ زهاء ٢٤٠٠ مليون دولار في السنة ١٩٥٤ و ٣٤٠٠ مليون في السنة ١٩٥٥ . فان اطراد ارتفاع صادرات الولايات المتحدة (خصوصاً صادرات البترول والقطن في اعقاب أزمة السويس واقفال التريفة) ، وتباطؤ انتاجها الصناعي الذي خفض مشترياتها من المواد الأولية واحـدث تدنياً جليلاً في اسعارها ، ورفضها تخفيض تعريفاتها الجمركية ، قد ادت في السنة ١٩٥٧ الى اتفاق كميات كبيرى من احتياطي الذهب والدولارات في بلدان كثيرة — البلدان المنتجة الخامات والبلدان الصناعية على السواء — وزادت من عجزها التجاري وفرضت على البعض منها تدابير تقييدية واكـرهتها على استدانة مبالغ باهظة من صندوق النقد الدولي . تلك هي الازمة الأميركية في السنة ١٩٥٨ التي كان اثرها على التجارة الأوروبية غير ذي شأن ، وذلك هو انخفاض سعر المواد الأولية التي اتاحت وحدها للاقتصادات الأوروبية ان تجدد مخزوناتهما من النقد النادر وتستعيد مكاناً اكبر في التجارة العالمية .

من أجل تنظيم اقتصادات أوروبا تنظيمًا صوابيًا ، ومن أجل تيسيقها
مشاريع توحيد
أوروبا الغربية
تدقيقاً أكثر فاعلية ، ومن أجل تأليف « قوة ثالثة تكون على قدر
كاف من الركائز والازدهار لتعيش مستقلة عن الكتلتين » الولايات
المتحدة والاتحاد السوفياتي ، نشأت الحركة الهادفة الى توحيد دول أوروبا غير الشيوعية . فان
« حركة أوروبية » تأسست في لاهاي ورأسها و. تشرشل ول. بلوم وسباك وغاسبري اقترحت
في السنة ١٩٤٨ انشاء « اتحاد أوروبي » مع جمعية استشارية تكون نواة لبرلمان الغد الأوروبي ؛
الا ان المشروع أثار معارضة البريطانيين المتمسكين بمعلائقهم بالملكيات ولم يؤد الا الى انشاء

« مجلس أوروبا » الذي عين مركزه في ستراسبورغ ولم تتوفر له اية وسيلة عمل . ولما كانت الوحدة السياسية وحتى « الدستورية » صدمة كبرى للمشاعر القومية ولا سبيل الى تحقيقها ، فقد فكر محركوها بالتوصل الى خلق جو مؤات بتحقيق وحدة اقتصادية تضع حداً لاضطراب الاقتصاد الدولي الناجم عن نظام الحماية والاكتفاء الذاتي وعن القيود المفروضة على انتقال السلع ، والبشر (بايقاف الهجرة) ، ورؤوس الأموال . وكانت المقصود جعل أوروبا « سوقاً واحدة » تمكن من توزيع العمل توزيعاً صوابياً وتوزيع الصناعات توزيعاً جديداً من شأنه تحسين الانتاجية وتوفير قوائد الانتاج الكثيف . ويفترض هذا التحول ، في كافة المناطق الموحدة ، ان تقلل السلع واليد العاملة ورؤوس الأموال بحرية . ولكن اقتصادات أوروبا المنقسمة هذه كانت عرضة ومسرحةً للمنافسة . فان اقرار حرية التبادل بين الدول الأوروبية قد يعني بالنتيجة تقويض اقتصاد عدد كبير من الدول والمناطق . وهكذا طرحت مسألة المناطق الفقيرة التي تتعرض لان تسمي اكثر بؤساً اذا تركت الحرية لنشاطات السوق ، كما حدث في ايطاليا بعد التوحيد اذ رأى الجنوب ، وقد كان ضحية الشمال الذي يفضل تجهيزاً ، ان صناعاته تهمرت بسرعة لانها لم تعد محمية بالحواجز الجمركية . فبدون تدابير تحمي مناطق أوروبا الجنوبية التي يكثُر فيها الفلاحون ، قد يزداد الفرق بين مستويات النمو الاقتصادي في المناطق الأوروبية ذات الدخل المرتفع والمناطق ذات الدخل الزهيد .

اتضح من ثم ان مشروع انشاء وحدة جمركية واسعة ، الذي حظي بمعطف الامير كين ، كان مشرعاً خيالياً ، وقد اعمل واستفيض عنه بفكرة انشاء وحدات جمركية ضيقة النطاق ، ولكن المفاوضات ، هنا ايضاً ، اظهرت صعوبات يستحيل التغلب عليها ، ولم تنته اية محاولة الى نتائج عملية ، باستثناء اختيار وحدة البنلوكس (١٩٤٨ - ١٩٤٩) التي تعتبر نجاحاً اذا ما قورنت بالمحاولات العديدة الفاشلة في مناطق اخرى ، فقد كان انتقال اليد العاملة محدوداً جداً ، وانتقال رؤوس الأموال محصوراً جداً ، والمبادلات التجارية ، على الرغم من تزايدها ، قليلة جداً بسبب اختلاف الانظمة في البلدان الداخلة في الوحدة : زراعة بلجيكية متقدمة معدة لتغذية بلاد مصنعة واسعار مرتفعة ، وزراعة هولندية موجهة نحو التصدير . وصناعة بلجيكية تهددها المنافسة الهولندية . وخيبت الآمال كذلك الوحدة الجمركية الفرنسية الايطالية في السنة ١٩٤٩ ومحاولة الوحدة السكندنافية في السنة ١٩٥٠ .

اكتفي آنذاك بصيغة اكثر تواضعاً هي صيغة « وحدة القطاعات » ،
خطه شومان ،
ولا سيما القطاعين اللذين لم تؤد حرية التجارة فيهما الى نتائج ثابتة :
السوق المشتركة
صناعات الفحم الحجري والفلاذ (خطه شومان) في شهر ايار ١٩٥٠ ،
والزراعة . فقد أسست خطه شومان « وحدة الفحم الحجري والفلاذ »
والادراتوم
وانطوت على مقاصد سياسية بعيدة اذ كان مفروضاً فيها ان تهيه لاتفاق فرنسي الماني يكون بمثابة خطوة اولى نحو أوروبا موحدة سياسياً ، وقد استهدفت بادىء ذي بدء ايجاد تضامن

اقتصادي فرنسي الماني يجمعها في وحدة اوسع نطاقاً الدول التي تتجمع فيها صناعات الفحم الحجري (الفرنسية والبلجيكية والالمانية واللوكسمبورغية) في رقعة ضيقة نسبياً ، والتي تحول فيها عوائق الحدود دون استخدام الموارد الطبيعية استخداماً حوالياً . فانخرطت فيها من ثم المانيا وفرنسا واطاليا والبنلوكس ؛ اما بريطانيا العظمى فقد اعرضت طوعاً عن الانخراط فيها . أسندت الى « سلطة عليا » الصلاحيات الضرورية لتنظيم السوق المشتركة والاشراف عليها ، وتنسيق توظيف الأموال ، وتمويل او ضمان المشاريع المرغوب فيها ، والحؤول دون قيام اتحادات مهنية او اية اتفاقات اخرى احتكارية الطابع ، ومن جهة ثانية ، لاتخاذ التدابير المجدية في حال ازمة او حاجة .

في الحقل الزراعي ، اصطدمت شتى خطط « الاتحاد الاخضر » التي حاولت توحيد اسواق اوروبا الغربية توحيداً تدريجياً ، فيما يتعلق بعدد من المحاصيل الزراعية ، بصعوبات كبرى مختلفة ، اذ ان الحكومات كانت كثيرة الاهتمام بان تضمن لطبقة فلاحها دخلاً ثابتاً كافياً لم تتدخل ، حفاظاً عليه ، عن جزء من مهامها لمصلحة جهاز دولي .

خطيت الخطوة الحاسمة في شهر آذار من السنة ١٩٥٧ حين وقعت في روما المعاهدات التي انشأت الـ « اوراتوم » (من اجل اشتراك الاعضاء في مصادر الطاقة النووية) ولا سيما « الوحدة الاقتصادية الاوروبية » او « السوق المشتركة » التي تخطت الوحدة الجزئية التي حققتها وحدة الفحم الحجري والفولاذ . وكانت الغاية من السوق المشتركة التوصل ، خلال ١٢ او ١٥ سنة ، الى إقامة وحدة جمركية مع تعريف خارجي واحدة وحرية انتقال كاملة ، داخل الوحدة ، للأشخاص ورؤوس الأموال والخدمات ؛ وسن قوانين وانظمة تتوافق والسياسات التجارية الموحدة تدريجياً . وقد سبق لوحدة الفحم الحجري والفولاذ ان اظهرت في نطاقها الخاص الفوائد الجلى الناجمة عن انشاء نطاق اقتصادي واسع : الملاءمة بين التعريفات الجمركية وظروف النقل ، تنظيم العمل الصناعي ، تأسيس شركات كبرى (عن طريق الصهر) قادرة وحدها على جمع رؤوس الاموال الضخمة التي تستلزمها معدات واجهزة متقنة ، تنسيق السياسات التجارية ، الا ان التقسيم الدولي للعمل لما يكن متقدماً .

اصبحت الوحدة الاقتصادية الاوروبية سارية المفعول في السنة ١٩٥٩ ، بعد ان اصبحت العملات الاوروبية الرئيسية قابلة التحويل ، وبمسد ان اطلقت حرية (٤٠ الى ٩٠ ٪ من) المبادلات الاوروبية الداخلية . وفي الوقت نفسه دشن مؤتمر بروكسل مرحلة ثانية بتبني ميثاق زراعي كان منطلقاً لمفاوضات طويلة معدة لان قفسق اوضاعاً مختلفة كل الاختلاف (كانت الاسعار الزراعية الالمانية اعلى من الاسعار الفرنسية بنسبة ٢٥ ٪ ، وقد احتلت فرنسا مركزاً مسيطراً بعد ان كانت مصدرة كبرى للمحاصيل الزراعية ، الخ) ، وانضمت الى السوق المشتركة اخيراً اليونان وتركيا و ١٨ جمهورية افريقية وملغاشية . اما بريطانيا العظمى التي لم تبال بكسل هذه المساعي ، ولم تؤمن بان الوحدة الاقتصادية الاوروبية سوف تعرف البقاء ، واهاقها « ثقل

امبراطوريتها ، قد انشأت في السنة ١٩٥٩ ، في وجه الوحدة الاقتصادية الاوروبية (اوروبا الدول الست) ، جمعية اوروبية للمبادلة الحرة ، او « اوروبا الدول السبع » (مسح السويد والنرويج والدانمارك والبرتغال وسويسرا والنمسا) التي لم توجد سوى مجرد تعاون جمركي .

في اواخر السنة ١٩٦٢ برزت فوائد السوق المشتركة بارتفاع في المبادلات بين الدول الست بنسبة ٩٣ بالمائة خلال خمس سنوات ، وتقدم صناعي كبير ، وتدنّي البطالة ، ان لم يكن زوالها كلياً . الا ان الصعوبات المتكاثرة كادت توقف تطور المؤسسة . ويرد ذلك الى ان اوروبا مقتصرة على الدول الست ، تكون منطقة الرور قطبها الرئيسي ، بعثت الخوف من ان توفر الوحدة الناجزة لمانيا الاتحادية مركزاً مهيمناً في اوروبا الغربية ، لا سيما وان التوحيد الاقتصادي يستتبع حتماً قيام سلطة سياسية تتقدم كافة الحكومات في الدول الموحدة ، كما هو « منطق الاحداث » (ج ويلر) ؛ هذا كان موقف الذين قالوا غير ما قاله الجنرال ديغول ومشايعوه : « اوروبا الاوطان » . وكان من شأن انضمام بريطانيا العظمى الى السوق المشتركة ان يعيد التوازن ، او اقله التوازن السياسي ، ولكن هذا الحل قد طرح جانبا بمعارضة رئيس الحكومة الفرنسية طلب الانضمام الذي تقدمت به (كانون الثاني ١٩٦٣) . واخيراً انتهت المفاوضات بين الدول الست من اجل تنظيم تحويل السياسة الزراعية المشتركة الى الفشل (تموز ١٩٦٥) ، بينما كانت تعدّ معارك جديدة حول « جولة كندي » ، اي مفاوضات من اجل تخفيف الحواجز الجمركية الذي اقترحه الولايات المتحدة . فقد أقر الكونغرس بالفعل مشروع « قانون التوسع التجاري » الذي اعطى الرئيس صلاحيات واسعة للتفاوض في موضوع تخفيض التعريفات . ويبدو اليوم تخلي الولايات المتحدة عن مذهب حماية الصناعة ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار تفوق صناعاتها والوسائل المالية المتوفرة لديها ، غير متفق والغاية التي نشدها مؤسسو السوق المشتركة : ايجاد « قوة اقتصادية ثالثة » مستقلة عن « الكبيرين » .

٣ - تراجع الديمقراطية الكلاسيكية

في السنة ١٩٤٥ ، خرج المبدأ الديمقراطي ظاهراً من الصراع ضد الانظمة « الفاشستية » في المانيا وايطاليا واليابان . فلم تثبت الفكرة الديمقراطية قوتها الاشعاعية فحسب باجتذابها المزيد من الدول ، بل اثبتت الانظمة الديمقراطية فعاليتها وتفوقها عملياً حق في النطاق الذي بدا فيه خصومها على خير استعداد ، اي في نطاق تسيير الحرب . ففي كافة بلدان العالم - باستثناء اسبانيا والبرتغال والارجنتين - تسلمت الاحزاب الديمقراطية السلطة ووضعت خططاً لإصلاحات معدّة لتجديد اصول الدولة وتقنينها ولتحديد حقوق الانسان الاجتماعية . الا ان تحالف المقاومين قد اضطر الى مماشة اكثر اعضائه اعتدالاً ، فلم تتناول الاصلاحات المحققة من ثم سوى المؤسسات السياسية العليا ، دون ان تحدث اي تغيير في المؤسسات الاجتماعية الدنيا ؛ واقترت دساتير جديدة ، ولكن السلطة بقيت في ايدي الطبقات الحاكمة القديمة .

بيد ان خطط الاصلاحات العميقة هذه ، الهادفة الى وضع حدٍ للنناقض المتمثل « بمجتمع متسار قانوناً وسياسياً ، ومتسلسل السلطات اقتصادياً واجتماعياً » ، قد اثارت لدى الطبقات الحاكمة ارتياحات زادت من شدتها ان تعاضم قوة الاتحاد السوفياتي وقيام الديمقراطية الشعبية قد جسّما خطر نفوذ الشيوعية على الطبقات العمالية التي كانت الضحايا الرئيسية للحرب والاحتلال . وبدأ زوال الفاشستية ، التي اعتبرها شطر كبير من البورجوازية ، قبل الحرب وخلالها ، ضمن خط دفاع ضد اخطار انتشار البلشفية ، وكأنه ترك هذه البورجوازية دون دفاع . وامام سيل المطالبات الاجتماعية واخطار التأميم بالجملة ، اعيت الحيلة الطبقات الحاكمة ، فأعربت بمزيد من القوة ، خلال سنوات ما بعد الحرب ، عن ميولها المحافظة والتسلطية وعدائها للحركات التقدمية والشيوعية . وقد شجّعها في هذا التصلب الدعم الذي جاءها من الحكومات الانكلو ساكسونية التي انتهجت على الدوام نهجاً محافظاً جداً : دعم حتى الساعة الاخيرة الملكية التي اعتبرت عنصر استقرار في ايطاليا ويوغوسلافيا ، اعادة الملكية الى اليونان ، مراعاة ورعاية للدكتاتوريات الاخيرة التي عرفت البقاء في اوروبا الغربية (البرتغال ، اسبانيا) ، مساعدة وتشجيع للأحزاب المحافظة في كافة البلدان بوجه عام .

الدساتير الجديدة باستثناء بلجيكا ، وهولندا ، والنرويج ، والسويد ، والمملكة المتحدة (حيث خفض مفعول حق النقض في مجلس اللوردات من سلتين الى سنة) ، عدلت كافة مؤسسات دول اوروبا الغربية الحرة في السنوات التي عقيبت الحرب . فان الدساتير السارية المفعول بعد السنة ١٩١٩ والممارسة الدستورية في كافة الدول الاوروبية قد اتجهت الى جعل النظام البرلماني نظاماً « صوابياً » يعين شروط الاستقرار الحكومي . الا انه في كل البلدان — باستثناء انكلترا — ثلاثي او تفكك بفعل الازمة ، « موهناً بدساتن متوسطي الذكاء ومؤامرات المفسدين » ؛ ولذلك اعد كافة وطنيي البلدان المشتركة في المقاومة مشاريع عدّة انطوت كلها على الفكرة المشتركة التالية :

« تكوين طبقة حاكمة جديدة ، وحكام جدد ، يحلون محل الطبقات التي اتضحت دونيتها وعدم جدارتها في تسيير الشؤون قبل السنة ١٩٣٩ ، والتي اقدم شطر كبير منها على ممارسة الحكومات التي تعاونت والنازية . لقد اجمعت الآراء على الاحتفاظ بالمبدأ الانتخابي والتصويت العام ، ولكن الكثيرين ميزوا بين الديمقراطية والنظام البرلماني ... فالنظام البرلماني ليس الشكل الوحيد والناصح والضروري للديموقراطية ... ليست هاتان الكلمتان ، بأي شكل ، متعادلتي او متماثلتي » (ليون بلوم) .

ان النظام الذي ممكن عندهم كان نظاماً على الطريقة الاميركية يضمن للسلطة التنفيذية صلاحية واسعة ومستقلة . ولذلك فان النصوص الاساسية التي تضمنتها الدساتير الجديدة (فرنسا ، ١٩٤٦ ، ايطاليا ، ١٩٤٨ ؛ المانيا الاتحادية ، ١٩٤٩) قد جعلت المؤسسات اكثر فعالية رغبة من راضعيتها ، كما اعتقدوا ، في ضمان الاستقرار الحكومي لمدة معينة وتعزيز سلطة رئيس الحكومة الذي هو رئيس الاكثية ايضاً . وسهلت هذه النصوص ممارسة حق حل المجلس

ووضعت اصولاً استهدفت الحد من الازمات الوزارية (في فرنسا : تولية رئيس مجلس الوزراء بالاقتراح العلني والاكثرية المطلقة ، احتمال الحل اذا حدثت ازمات خلال ١٨ شهراً) . وفي ايطاليا ، اقتضى للتصويت على اقتراح بعدم الثقة ، ان يحمل الاقتراح توقيع عشر اعضاء المجلس وان لا يطرح الاقتراح على المناقشة قبل انقضاء ثلاثة ايام على تقديمه ؛ وفي المانيا الاتحادية ، لا تسقط الوزارة سوى اكثرية « بناءة » : « لا يحق للمجلس الاتحادي ان يعبر عن عدم ثقته بالمستشار الاتحادي الا بانتخاب خليفته بأكثرية الاعضاء وبدعوة رئيس الاتحاد الى اعفاء المستشار الاتحادي من مهامه » ... « ويجب ان تمر ٤٨ ساعة بين تقديم الاقتراح بعدم الثقة والتصويت عليه » . وباستثناء المانيا الاتحادية اوضح في كافة البلدان ان هذه النصوص لم تكن ذات فعالية كبرى .

اتسعت مهام الدولة في كافة الحقول . ففي السنوات التي عكبت
التحرير ، سنت قوانين اقتصادية توجيهية كثيرة دونها سياسة
التدخل في سنوات الازمة . وليس المقصود هنا التدابير المؤقتة
التي استلزمته مرحلة العوز والحاجة ، كالبقاء على التقنين الغذائي ، وتوزيع المواد الاولية ، وتحديد الاسعار ورقابتها ، ورقابة التجارة الخارجية وحركات النقود النادرة ، وتنظيم الاجور ، حتى ولا تدخل السلطات العامة بغية « اعادة النظام الى الاجور » اي بغية تنظيم ارتفاعها (ارتفعت سبع مرات في فرنسا بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٨) ، بل تدابير هامة جديدة ونهائية كالتأميم واعداد الخطط الاقتصادية .

هكذا ولدت اشكال جديدة للملكية العامة اقامت في البلدان الغربية نظام اقتصاد مختلط حيث شوهدت مؤسسات غير مؤمنة تستثمر قطاعاً هاماً من النشاط الاقتصادي غير الخاضع للملكية الخاصة . هذه هي حال « التعاونيات العامة » البريطانية (الفحم الحجري ، الكهرباء ، وسائل النقل العام ، الغاز) و « المؤسسات العامة الاقتصادية » الايطالية : « ادارة المعادن الايطالية » و « ادارة الهيدروكاربور الايطالية » التي اسسها انريكو ماتيني ، ومصرف ايطاليا ، والمعهد الوطني لاعادة بناء الصناعة ، الذي احتل المرتبة الرابعة بين المؤسسات الاوروبية الكبرى واشرف على قطاعات واسعة من الاقتصاد الوطني (نقل الركاب ، بناء السفن ، الصناعات الميكانيكية ، الفولاذ ، اربعة مصارف كبرى ، « ايطاليا » ، شركة « اوتوسترادا » ، الاذاعة ، الخ .) وشطر كبير من صناعة الفولاذ في النمسا ، و « كهرباء وغاز فرنسا » ومصانع رينو في فرنسا ، ومصانع آردال للألومينيوم و « مورابي - رانا » للصب في النرويج ... فقد خضعت كافة هذه المؤسسات لانظمة خاصة ، وتمتعت بالاستقلال المالي ، وكانت لها موازنات مماثلة لموازنات المشاريع الخاصة ، ونجت ، اقله نظرياً ، من التدخل الحكومي .

التأمينات
ادى عجز الاقتصاد الرأسمالي عن التغلب على الازمة والبطالة وعن اعداد الحرب اعداداً فعالاً ، ومن ثم عن صيانة الاستقلال الوطني ، والنمو العظيم في الانتاج الذي حققه الاقتصاد البريطاني المراقب خلال الحرب ، على نقيض ركوده قبل الحرب ، الى القناعة بان اعادة البناء بعد الحرب وتحويل الصناعات الى اقتصاد ايام السلم لا يمكن ان يترك للمبادرة الخاصة ، وبأنها يجب ان يخضع لتخطيط الدولة وتوجيهها اقله في القطاعات الرئيسية .

وكانت هنالك بواعث اخرى قامت بدورها ايضاً : كالموقف الذي وقفه في البلدان المحتلة عدد كبير من اعضاء الطبقات الحاكمة الذين تعاونوا مع المحتلين وعملوا في خدمة آلتهم الحربية ، فنقلت مصانعهم الى اسم الدولة واشترك العمال في ادارتها . يضاف الى ذلك ان الالمان اسهموا خلال الاحتلال في مشاريع كثيرة واشرفوا على معظم المشاريع الكبرى ؛ فاصبحت هذه الملكيات الالمانية ، بعد التحرير ، املاك دولة ايضاً ؛ وهكذا تحقق تأمين قطاع هام .

واخيراً بدا من الضروري ضمان ادارة اكثر فعالية منها في السابق . وكان ذلك باعث تأمين الصناعات القديمة المتدهورة كصناعات الفحم الحجري البريطانية حيث برهنت الملكية الخاصة عن عجزها عن توظيف الاموال اللازمة وتحقيق اعادة التنظيم الضرورية لزيادة الانتاج . وهي الرغبة في تنظيم ادارتها ما حمل على تأمين المصارف الفرنسية الكبرى التي كثرت في ادارتها الوظائف المزدوجة ، وما حملت على تأسيس مثل « معهد الصناعة الوطني » في اسبانيا و « المعهد الوطني لانماء الصناعة » في ايطاليا اللذين اسهما إسهامات واسعة في عدد من المشاريع .

يجب اخيراً ان نضيف الى ذلك الاقتناع بخطور الاحتكار الخاص بسبب التجاوزات التي قد تنجم عن اثره السياسي . ففي بريطانيا العظمى ، ولا سيما في فرنسا ، مازال الناس يتذكرون السنوات الاخيرة التي نجحت الرأسمالية المالية فيها في احباط محاولات الاصلاحات الاجتماعية التي قامت بها الحكومات اليسارية ؛ وهو هذا العداء للاحتكارات ما دفع الى تأمين السكك الحديدية البريطانية وشركات الضمان والمصارف الكبرى في فرنسا ، والخدمات العامة (غاز ، كهرباء) في البلدين .

لم نجح في اي مكان ، من جهة ثانية ، محاولة تأمين كامل ، وباستثناء حالات الاحكام ، دفعت التعويضات لاصحاب المشاريع المستملكة . اذن اجريت تأمينات صناعات رئيسية . ليس في الديمقراطيات الشعبية فعسب ، بل في بلدان اخرى عديدة . ففي السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ قضى عدد من الاحكام والقوانين الفرنسية بتأمين مصانع رينو ، وشركة محركات « غنوم ورون » ، والنقل الجوي ، ومصرف فرنسا ، ومصارف الودائع الاربعة الكبرى ، والمصرف الجزائري ، و ٣٤ شركة ضمان ، وانتاج وتوزيع الكهرباء والغاز ، ومصانع الفحم

الحجري . وفي الترويج اامت المناجم والجزء الأكبر من الصناعة الكهربائية - التقنية . وفي بريطانيا العظمى اقدمت الحكومة العمالية بين السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٤٩ على ثماني عمليات تأميم كبرى تناولت : مصرف انكلترا ، الاسلاك والاتصال اللاسلكي ، الطيران المدني ، مصانع الفحم الحجري ، النقل الداخلي ، الكهرباء ، الغاز ، وفي السنة ١٩٥١ ، الفولاذ .

وفي كل الدول ، من جهة ثانية ، تدخلت الدولة في الاقتصاد بتخفيف الضرائب ،^{الخطط} واستئجار المصانع ، وتسهيل الاقراض او تقييده . واسندت الابحاث المتعلقة بالطاقة النووية وبناء منشآت تحليل الذرة ، التي تستلزم اموالاً طائلة ، الى ادارات رسمية في انكلترا وفرنسا والمانيا . وبرز تدخل الدولة كذلك في رسم الخطط الخاصة ، كخطط وصل الشبكات الكهربائية ، والخطط الشاملة للاقتصاد الوطني . ففي انكلترا حيث لم ترسم خطة شاملة ملزمة تنفذ طيلة سنوات عدة ، كانت السياسة الاقتصادية ، بالرغم من ذلك ، منسقة ومخططة : في السنة ١٩٤٨ اعلنت خطة موضوعة للسنوات ١٩٤٨ - ١٩٥٢ كان الهدف منها اعلام الأمة بالمهام الاقتصادية الواجبة التحقيق وابرار ما يمثل بينها مركز الأولوية ، على ان تستخدم الحكومة صلاحيتها الرقابية من اجل توجيه الصناعيين نحو تحقيقها . واعتمدت هولندا بعد الحرب خطة اتمائية يستغرق تنفيذها اربع سنوات كان من المنتظر ان تعيد ، في السنة ١٩٥٠ ، مستوى المعيشة الى ما كان عليه في السنة ١٩٤٠ ، وتصلح ما هدمته الحرب ، وتعوض خسارة دخول الأموال الموظفة والتجارة مع المستعمرات الاندونيسية السابقة ، وخسارة تجارة الترانزيت مع المانيا . ورسمت ايطاليا الخطة المعروفة بـ « خطة قانوني » المدة لايحاد ٤ ملايين وظيفة او استخدام . الا انها لم تتوفق حتى السنة ١٩٦٠ لا الى ازالة البطالة ولا الى ادخال اي تعديل على الفرق العظيم بين الدخل في الشمال والدخول في الجنوب .

بالإضافة الى هذه الخطط الجزئية التي فرضتها الظروف ، اعتمد تخطيط قياسي طويل الاجل في ثماني دول غربية : فرنسا والترويج أولا ، ثم هولندا والسويد وفنلندا والبرتغال واليونان وتركيا ، ثم ايطاليا (١٩٦٥) وبلجيكا والمملكة المتحدة . لقد اختلفت هذه الخطط الجديدة فيما خص هدفها وطرائقها ، ورسمت ابدأ بالاتفاق بين القطاع الخاص والدولة ، وانطوت في جوهرها على تقديرات لتناول معدل الزيادة ، وعلى نصوص بيانية غير الزامية معدة لان توجهه او تنظم تطورات الانتاج ، وتوزع الموارد والاعتمادات المالية في اطار النظام الرأسمالي . فكان المقصود منها لمعري « تنظيمًا مخططًا » وتخطيطًا محافظاً يوطد النظام القائم ، لا تخطيطاً حقيقياً كما اريد تحقيقه في مستوى المشروع او في البلدان الاشتراكية .

في فرنسا ، انشأ « جان مونييه » في السنة ١٩٤٦ « لجنة التخطيط » التي تمخضت في السنة ١٩٤٧ بخطة وطنية « للتجهيز والتجديد وفقاً لمتطلبات العصر » ، كانت اوسع خطة في اوروبا الغربية ، ووضعت في السنة ١٩٦٥ خطة خمسية خامسة .

توظيف الأموال
بات دور الدولة رئيسياً في حقل توظيف الأموال بصورة خاصة . ففي
السنة ١٩٣٨ خصص ٥٪ فقط من موارد الموازنة الفرنسية للتوظيف في
المشاريع . وارتفع هذا الرقم الى ٢٩٪ في السنة ١٩٤٦ ، و ٤٠٪ في السنة ١٩٤٩ ، ولكن تزايد
ارتفاع الاعتمادات العسكرية جعله يهبط الى ٣٠٪ في السنة ١٩٥١ . فمن اصل الـ ١٢٠٠ مليار
الموظفة في الاقتصاد الفرنسي في فرنسا في السنة ١٩٥٠ ، جاء ٧٤٩ ملياراً (٦٢٪) من الأموال
العمومية بشكل اعتمادات واعانات مالية ، وتمويضات عن اضرار الحرب ، وخصوصاً بشكل
قررض منحها صندوق التجهيز والتجديد وفقاً لمتطلبات العصر . وعلى نقيض ما حدث قبل
الحرب ، كان دور اصدارات الاسهم والسندات غير ذي شأن ، ودور التمويل الذاتي اكثر
اهمية (٢٥٪) ، ولكن شطراً كبيراً من رؤوس الأموال المتوفرة للانتاج قد تأمن باللجوء
الى الأموال العامة .

مثل سويسرا
في سويسرا ، ادخل التعديل الدستوري على الدستور في السنة ١٩٤٧
« بنوداً اقتصادية » جديدة أضافت بالصلاحيات الاتحادية تشريع العمل
والضمان الاجتماعي ، وسمحت لها بنقض حرية الصناعة والزراعة من اجل المحافظة على التوازن
الاقتصادي في البلاد واستدراك الازمات الاقتصادية والبطالة . والحال كانت السلطة الاتحادية
قد عززت وسائل تأثيرها على سلطات الولايات بالاعانات المالية التي منحتها اياها بشكل اعفاء من
بعض الضرائب ؛ فاصبحت بعض الولايات ، التي تألف ٢٠ بالمائة من مواردها من هذه الاعادة ،
خاضعة لها ، شأن الولايات بالنسبة للدولة الاتحادية في الولايات المتحدة .

اتساع الوظيفة العامة
ومن ظواهر توسع سلطة الدولة هذا الارتفاع التدريجي ، الذي سبقت
الاشارة اليه في الولايات المتحدة ، في عدد الموظفين في كافة البلدان ؛
فالنسبة في انكلترا اعلى منها ، بشكل ظاهر ، في فرنسا حيث ارتفع العدد الى ثلاثة اضعافه
منذ السنة ١٩١٤ ، كما هي الحال في سويسرا حيث ارتفع عدد موظفي الادارة المركزية الى اكثر
من خمسة اضعافه بين السنة ١٩١٣ والسنة ١٩٤٩ ، وارتفع عدد الموظفين الاتحاديين ، في الوقت
نفسه ، بنسبة ٣٧ بالمائة ، وموظفي الشؤون الخارجية الى ثلاثة اضعافه ، وموظفي الاقتصاد
العام الى عشرة اضعافه ، وموظفي البرق والهيدرو والكهرباء الحديدية الى اربعة اضعافه .

تدخل الدولة في الحقل الاجتماعي
ان التدخلات التي دفعت بعض الحكومات - وحكومة
المانيا البسماركية قبل سواها - ، قبل الحرب العالمية الاولى
بسياسة الازدهار والرفاهية
بزمن طويل ، الى ولوج الحقل الاجتماعي ، قد تسببت
منذ السنة ١٩١٨ ، وباتت مألوفة اثناء الازمة الكبرى . وجاءت الحرب العالمية الثانية ، التي
عبأت كافة طاقات الدول المتعاربة ، تحتها احتشاً حاسماً ، حتى في الولايات المتحدة حيث لم
تقو المقاومة التي تعرضت لها سياسة « النهج الجديد » ، على عرقلة اتساعها .
لم تتدخل الحكومات تدخلاً شبه دائم ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ، في العلاقات بين

المستخدمين والمستخدمين ، وفي تحديد الاجور الدنيا وشروط العمل (المدة ، الاجازات المدفوعة ، النخ) فحسب ، بل كان الابتكار الكبير بعد الحرب اعتماد انظمة حماية اجتماعية تستجيب لها جس الضمان والاستقرار الذي تسلط على كافة الطبقات الاجتماعية . اما اسباب ذلك فكثيرة . فهناك ذكرى الازمة الكبرى والبطالة المزمنة ، والتصميم على تأمين العمل الكامل بدافع النظام الاجتماعي وتمكين الاقتصاد وضمان الفاعلية ، والسياسة المالية السليمة والحرص على توفير المزيد من الرفاهية والاطمئنان للطبقات الفقيرة ومقاومة المرض مقاومة فعالة باتقائه اولا وبمعالجته ثانياً في افضل ظروف ممكنة ؛ وهناك اخيراً سياسة التجهت الى تعديل توزيع الدخل بالمساواة بين الاعباء الاجتماعية بحيث تتحمل الموازنة ، اي الامة بكاملها ، الاعباء التي كانت فردية من ذي قبل : الملاجيات الطبية ، تقاعد الشيخوخة ، الضمانات الاجتماعية بوجه عام . فالضمان الاجتماعي بمفهومه هذا يفوق من ثم كل مفهوم تقليدي للضمان الذي لم يؤمن على بعض الاخطار المعينة سوى عدد من السكان فحسب . وهو لم يعد مرتبطاً بمقدار العمل بل ارتكز الى مبدأ التضامن القومي : على الامة ان تؤمن رفاهية الجميع . وخلال الحرب ، اي منذ السنة ١٩٤٢ ، اعتمدت بريطانيا العظمى ، التي عانت اكثر من غيرها من فقدان الضمان الاجتماعي والاستقرار الاقتصادي ، المبادئ التي وضعها السير وليم بفردج في التقرير التاريخي الذي ارتبط به اسمه . ومنذ السنة ١٩٤٥ ، رسمت معظم الدول خطط ضمان اجتماعي استوعبت استيعام متفاوتا .

بالامكان ربط النظام البريطاني بالنظام الذي تديره الدولة ويشمل كافة السكان والاطار كما في الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية . وقد اقرت بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٥٦ قوانين عدة تؤلف كلا كاملاً ومتلاحماً : تقاعد شيخوخة يبلغ ٣٢ شلناً في الاسبوع ، تأدية كل او بعض النفقات الطبية (معالجة ، ادوية ، استشفاء) ، على ان يؤمن التمويل بواسطة الضريبة . فاستتبع النظام تأمين المستشفيات وبلدية المهنة الطبية ، اذ اخضع الطبيب لقانون شبيه بقانون الوظيفة العامة . وبديهي ان ثمن هذا الاجراء كان مرتفعاً جداً : فقد مثل ١٥ ٪ (٦٩٣ مليون ستيرليني) من موازنة ١٩٥٣ .

وقام في السويد كذلك نظام كامل لضمان شيخوخة يضاف الى تقاعد الاجراء (الذي يضمن دخلاً يوازي ٢/٣ مبدل الاجور خلال سني العمل الاخيرة الـ ١٥) ، وتعويضات عائلية ، وتعويضات سكنى وتدفئة ، وتنظيم صحي فعال وزهيد الكلفة ، وطبابة مؤمنة عملياً اذ ان ٨٠٠ طبيب فقط من اصل ٥٠٠٠ كان لهم مجموع زبن خاص .

وهناك دول اخرى ، كالولايات المتحدة مثلاً ، لم تسلم بالضمان الالزامي الا لبعض الفئات وبعض الاخطار (البطالة ، الشيخوخة) ، على ان توفر الاموال اللازمة اشتراكات العمال وأرباب العمل ؛ لذلك فان الاجر المباشر وغير المباشر لم يختلف على العموم بالنسبة للدخل القومي ، ولا يصح الكلام هنا عن اعادة توزيع الدخل لمصلحة الاجراء . واعتمدت

فرنسا في السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ نظاماً وسيطاً قضى بإنشاء «صناديق» مختلفة وأجهزة مستقلة بحسب الفئات الاجتماعية المختلفة ، إذ أن ذوي الدخول قد رفضوا الاختلاط بالاجراء . على ان الاستفادة من الفئان الاجتماعي كانت محصورة في البدء في القطاع الصناعي والتجاري ، والتمويل امنه الاجراء دون غيرهم ، وانتفاع فئات الاجراء المؤمنين الاخرى من الفوائد نفسها قد تم بعد ذلك تدريجياً .

وهو هذا الحرص نفسه ما دفع الحكومات الى الحلول محل المبادرات الخاصة من أجل حل مسألة السكنى . فان كافة الدول قد واجهت هذه المسألة بعد الحرب بسبب تزايد سكان المدن والدمار الذي خلفته الحرب واكتظاظ الاحياء القديمة والاحياء المرتجلة بسكان عاشوا فيها في ظروف يرثى لها صحياً واخلاقياً ، مما جعل حركة البناء الواسعة فوق وسائل وامكانيات الافراد . لذلك ، وحتى في الولايات المتحدة ، حيث معظم الناس يقيمون في المدن وحيث كثيراً ما ينتقل السكان من مدينة الى اخرى ، بنيت بعض الوحدات السكنية بمساعدة الاموال العامة : قيام الحكومة الاتحادية ببناء مساكن زهيدة الثمن ، منح قروض من أجل البناء او سلفات من اجل احداث الخدمات الجماعية (ماء ، براليع ، طرقات ...) . وفي بريطانيا العظمى كذلك ، اكرت الحكومة من القروض المباشرة ، والمساعدات المالية للسلطات المحلية من اجل تشجيع البناء .

في حقل التعليم اخيراً ، اضطرت حتى اكثر الانظمة تشجيعاً للمبادأة الخاصة ،
للمواجهة اقبال عظيم على التعليم في كافة درجاته ، هو احد الطوابع المميزة للتعليم
لـ « حضارة الجماهير » . لقد ولى زمن المفاهيم القديمة التي كانت تحصر التعليم في نخبة محدودة العدد تنتسب الى الطبقات الحاكمة ، وتخصصها بمنح تعليمية قلما يخصص بها سواها ، ولا توفر لباقي السكان سوى تعليم ابتدائي . الم تتبن الامم المتحدة مبادئ حق « الجميع بالتساوي وبحسب استعدادهم » في التربية والتعليم العالي ؟

لقد فرضت مستلزمات المصلحة الوطنية ، هنا ايضاً ، رقابة شديدة ، وتعليماً إلزامياً اخترت فيه السن القصوى جهد المستطاع : يجب اعداد اجيال متعلمة قادرة على استساغة التقنيات والعلوم العصرية . يجب ان يربى المزيد من النحاتين والاطباء والمهندسين والفنانين والاساتذة . فابرزت هذا الاتجاه ثورة حقيقية في بريطانيا العظمى احدثها قانون بتلر الصادر في السنة ١٩٤٤ الذي اطال مدة الدراسة حتى ١٥ سنة منذ السنة ١٩٤٧ وحتى ١٦ سنة حالما يصبح ذلك ممكناً ، ووفر التسهيلات للوصول الى التعليم العالي . اما الشبان الذين لن يواصلوا تحصيلهم ، فسوف يتلقون حتى سن الثانية عشرة دروساً تكميلية خاصة مدة يوم او يومين في الاسبوع .

اعلنت الحرب على الامية (٨٠ ٪ في الشرق الادنى ، بين ٥٠ و ٧٥ ٪ في اميركا اللاتينية ، بين ٩٠ و ٩٥ ٪ في افريقيا السوداء) في كافة البلدان بتعليم الاولاد في المدرسة الابتدائية

والفتيان بطرائق التربية الاساسية المختلفة . فمن الواجب ان يضع تنظيم التعليم بتصرف كل فرد وسيلة إنماء كفاءاته خير إنماء : تكاملت الاساليب التربوية الجديدة بأبحاث سيكولوجية الطفولة ، فسعت الى تنمية قوى المبادأة والملاحظة والتفكير عند الاطفال بواسطة تعليم مباشر وحسي وفردى يضيف الى الثقافة العامة ثقافة هندية . ووضعت فرنسا منذ السنة ١٩٤٤ ، بفضل اجاث لجنة « لانجفين - فالون » اسس اصلاح في هذا الاتجاه حال الظرف السياسي دون وضعه في حيز التنفيذ .

اذا كان التعليم الذي تتولاه الدولة او المؤسسات الخاصة لا يخلو من الغرض احياناً ويفرض على الاولاد والفتيان رأياً قوياً وطنياً ، او سياسياً (لنفكر مثلاً بالاميان التي فرضتها بعض الولايات في الولايات المتحدة على اعضاء الهيئة التعليمية) ، او معتقدياً ، فان الوسائل الجديدة لنشر الفكر قد اصبحت صناعة عظيمة وظفت فيها رؤوس اموال هامة ؛ فان الاعلام بأشكاله المختلفة : الصحافة ، والاذاعة ، والتلفزة ، ومستوياته المختلفة : وكالات الصحافة ، المطابع ، الاعلان ، المبيع ، قد خضع من ثم ، شأن كافة الصناعات الاخرى ، لقوانين الكسب والتجمع ، عوضاً عن ان يكون وسيلة لا مثيل لها للتربية ونشر الثقافة . « ان اهمية رؤوس الاموال اللازمة للحصول على المعدات العصرية الضرورية لاصدار صحيفة كبرى قد جعلت من امكانية التعبير وقفاً على عدد ضئيل من الناس ... لقد خلفت صحافة الاحزاب والافراد وصحافة الرأسمالية ، (ب. لازاريف) . فأصبح الاعلام من ثم ، اكثر منه قبل ٢٥ سنة خلت ، احتكاراً في ايدي المصالح الكبرى او حكومات اوفر البلدان ثروة .

لما كانت الصحف كلها عاجزة بمكاناتها الخاصة عن تحمل اعباء النفقات وكالات الاعلام التي يستلزمها في العالم الحالي استقصاء الاخبار ، فهي وكالات الاعلام ما توفر للصحافة ٣/٤ الاخبار التي تنشرها . وبين الـ ٧٥ وكالة التي ترتدي اهمية عظيمة ، ترتدي ست فقط طابعاً عالمياً وتوزع على كافة انحاء الكرة الارضية الاخبار الدولية ، وهي : وكالة « رويتر » البريطانية ، ووكالة الصحافة الفرنسية ، ووكالة تاس السوفياتية ، وثلاث وكالات اميركية ، « الصحافة المشتركة » وهي اكبر وكالة في العالم وتؤمن الاخبار لأربعة آلاف صحيفة ، و « جمعية الصحافة المتحدة » و « دائرة الاخبار الدولية » . فيجب ان تتوفر لهذه الوكالات موارد عظيمة لتتعمد مراسليها في الخارج ، وتقنني وسائل الاتصال السريعة الضرورية ، ونقل الاخبار في اسرع وقت ممكن برقياً او بواسطة التلغراف اللاسلكي ، او بواسطة التلغراف اللاسلكي الآلي التسجيل . فمن اين تأتي هذه الموارد يا ترى ؟ ان رويتر اتحاد دولي في ايدي الصحف الاقليمية البريطانية وصحف بعض الممتلكات ، وترتبط كلياً بالدولة وكالتان : وكالة الصحافة الفرنسية التي هي جهاز تؤمن موارده الاشتراكات والاعتمادات التي يقرها البرلمان - مديرها تعيينه الحكومة الفرنسية التي من حقها عزله من منصبه ايضاً -

ووكالة ناس ؛ اما الوكالات الاميركية الثلاث ، المسيطرة على اكبر قطاع ، فانها مشاريع خاصة . وهكذا فان ٨١،٧ ٪ من سكان العالم يطلعون على اخبار الاحداث بواسطة وكالات اجنبية توزع كذلك على العالم اخبار بلدانها .

ان ارتباط معظم سكان الارض بالدول التي تنتسب اليها وكالات الاعلام العالمية الست قد استتبع بالضرورة مساوئ خطيرة ؛ فمن الطبيعي ان تترك المصالح والآراء المقبولة في الدول الاربع التي تمتلك هذه الوكالات اثرها في طريقة نشر الاخبار ، وبطء او سرعة نقلها وعدم نقلها . أما الوكالات الوطنية ، فلا تجد اية واحدة منها في صحافة بلادها الموارد الكافية لان تتوفر لها موازنة مستقلة . فتضطر من ثم الى الحصول على المساعدات المالية من الموازنات العامة او السرية في بلدانها او من مقرضي مال آخرين .

أما بصدد الصحافة حيث - كما رأينا - ما زال التجمع يتزايد يوماً بعد يوم ، فان التفاوت بين البلدان ليس اقل شأناً : فان ست بلدان فقط توفر ٣/٤ الانتاج العالمي من ورق الصحف ؛ اما المعدات الآلية ، فان صناعتها محصورة في بعض الدول : كندا ، الولايات المتحدة ، اوروبا الغربية والشمالية ، الاتحاد السوفياتي ، استراليا ، زيلندا الجديدة ، التي تمتلك وحدها ، بدرجات مختلفة كل الاختلاف ، الوسائل الاعلامية المادية الموافقة .

ان الاذاعة ، التي اصبحت خلال ٢٠ سنة « احد العوامل
الاذاعة والتلفزة
الاساسية للحضارة المعاصرة » ، جاءت تكمل الصحافة وتحل محلها في اغلب الاحيان كوسيلة الاعلام . فهي تتيح الوصول حتى الى الاميين والى المناطق التي تحول صعوبة المواصلات دون وصول الصحافة بسهولة اليها . وكان دورها عظيماً خلال الحرب العالمية الثانية ؛ فقد كانت آنذاك اداة دعاوة وإعلام من الدرجة الاولى تسد في الدول المحتلة مسدّ صحافة لا يثق احد بها . فأصبحت من ثم وسيلة مألوفة للاعلام والاهل وزاد انتشارها يوماً بعد يوم . وهي في بعض البلدان ، كالولايات المتحدة مثلاً ، مشروع تجاري خاص يوفر الاعلان فيها موارد الشركات التي تمتلك وتستثمر محطات الارسال . « تبسيع المواقيت » من الشركات المملوكة . وهنا ايضاً تتدخل سنة التجمع . فهناك ٢٦٣٦ محطة اميركية مجازة تملك نصفها اربع شبكات رئيسية . والاذاعة في بلدان أخرى مصلحة من مصالح الدولة التي تشرف عليها وتراقبها مراقبة متفاوتة الكتمان .

ولكن نوعية برامج الاذاعة والتلفزة ضحية العدد ، كما في الصحافة . فهي البرامج المبتذلة ، تلك التي تتوجه الى المثقفين « ثقافة ابتدائية فقط » ، ما تحظى بالمزيد من الشعبية . وقد الفت الانتباه تكراراً في الولايات المتحدة الى ما تتركه الاذاعة والتلفزيون من اثر سيء على الاخلاق ، اذ ان اعمال العنف التي تشاهد في البرامج ربما كانت ، مع السينما ، سبب تزايد الاجرام بين الفتيان في هذه البلاد .

اما التلفزة فقد احرزت تقدماً كبيراً ان من حيث التحسينات التقنية وان من حيث سرعة

الانتشار : ففي ١٩٦٠ بلغ عدد المحطات المرسله في الولايات المتحدة ٦٠٠ مقابل ١٢٥ في السنة ١٩٥٣ ؛ وفي النسبه ١٩٤١ ، كان هناك ٥٠٠٠ محطة لاقطة ، فارتفع هذا العدد في السنة ١٩٦٥ الى ٧٣ مليوناً من اصل الـ ١٧٣ مليوناً الموجودة في العالم. وقد وفر هذا التقدم ٦٨٩ مليون دولار من ربيع الاعلان في السنة ١٩٥٥ (وهو رقم ارتفع الى اكثر من ثلاثة اضعافه خلال ثلاث سنوات) ؛ وسيطرت على التلفزة كذلك بعض الشبكات القوية ، اذ على الرغم من ان القانون يحظر امتلاك اكثر من ٥ محطات مرسله ، فان اربع شبكات تسيطر على كافة الشبكات الاخرى. وقد تأيد دور التلفزة كسلاح للدعاوة بين الجماهير بشهادات واستبارات كثيرة ؛ ففي الحقل السياسي بنوع خاص ، كان تأثيرها حاسماً خلال الانتخابات الاميركية منذ السنة ١٩٥٢ ، اذ ان اسعار الاستئجار (بين ٥٠ و ٦٠ الف دولار للشبكة الواحدة ولمدة ١/٢ ساعة) قد اظهرت ضعف الحزب الديموقراطي بالنسبة لمنافسه .

العودة الى الماضي
ان الاحزاب والمصالح المحافظة ، التي نبذت في السنة ١٩٤٥ بسبب اتهامها بالتعاون والفاشستيات ، قد نجحت ، بسرعة متفاوتة ، في استعادة مركزها المسيطر كلما خفت وطأة الفاقة واشتد الخوف من الانحداد السوفياتي . ففي فرنسا وايطاليا تألفت في ايام التحرير حكومات اتحاد وطني ضمت الحزبين الشيوعي والاشتراكي وبعض الاحزاب الجديدة : الحركة الجمهورية الشعبية في فرنسا ، والديموقراطية المسيحية ، وحزب العمل ، والاحرار في ايطاليا . وفي ايطاليا ، اتفق الحزبان اليمينيان ؛ الديموقراطيون المسيحيون والاحرار ، منذ اواخر السنة ١٩٤٥ ، وتوفقاً بمساندة السلطات الحليفة الى قلب الحكومة التي يرأسها « فروشيو بارتي » ، احد زعماء حزب العمل . فانتقلت رئاسة الحكومة الى « السيد غاسبري » ، زعيم الديموقراطيين المسيحيين . وفي السنة ١٩٤٧ حدثت العطفة الكبرى . فقد حدثت في تلك السنة التعبئة الكبرى ضد الشيوعية في كافة أنحاء العالم الغربي : في بلجيكا وفرنسا وايطاليا اقصى الشيوعيون عن الحكم ، وانقسمت القوى اليسارية ، وتخلى الاشتراكيون ، - باستثناء اكثرية الحزب الاشتراكي بزعامة « لنسي » - عن فكرة تحقيق المدينة الاشتراكية ، واكتفوا اكثر فاكثر بتكييف النظام الرأسمالي بسياسة اصلاحية تستهدف تأمين العمل للجميع والضمان الاجتماعي ، وانضموا الى سياسة المعتدلين الكاثوليك . وكلما ارتسمت خطوط الحرب الصليبية بمزيد من الوضوح ، قضت الحاجة الى استخدام اشد العناصر عداء للاتحاد السوفياتي بتسليم زمام السلطة والمراكز الهامة في الادارة لاقوى الاحزاب نزعة محافظة ، حتى لتلك التي تعاونت والنازيين ، ومراكز الادارة في المانيا الغربية للنازيين القدماء انفسهم . وتعزز هذا الاتجاه في السنة ١٩٤٨ بالدعر الذي اثاره استيلاء الشيوعيين على السلطة في تشيكوسلوفاكيا ، وباشتداد الحرب الباردة . ففي ايطاليا اعتمدت حكومة غاسبري ولا سيما الوزير « شلبا » سياسة صارمة لمحاربة تضخم ورق النقد وابتقت ، دون اي تغيير تقريبي ، على تشريع ومؤسسات الفاشستية . واستمرت منظمة الصناعيين ، التي بقيت عملياً كما كانت في ظل النظام السابق ،

في التأثير تأثيراً عظيماً على الحكومة . ولم يجر قط بحث في التأميم كما حدث في فرنسا وبريطانيا العظمى . وارجئت كافة الاصلاحات التنظيمية ، ولا سيما الاصلاح الجبائي والاصلاح الزراعي . ومنذ السنة ١٩٤٨ اعيد كافة الموظفين الفاشستيين السابقين تقريباً ، حتى الكبار بينهم ، الى وظائفهم . وفي اليابان استلم زمام السلطة اولئك الذين كانوا يتولونها قبل السنة ١٩٣٩ ، وقد « طهر » معظمهم في السنة ١٩٤٥ ، لا بل لوحق بعضهم (هاتوياما) قضائياً كمجرمي حرب . في فرنسا تعاقبت تحالفات ظهر اتجاهها اليميني يوماً بعد يوم ، وبرزت هذه الظاهرة تطوّر الديغوليين الذين انتقلوا من المعارضة الى الحكومة بينما خرج منها الاشتراكيون . فلم يؤد ذلك الى الغاء التأميمات المحققة في السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ ، ولكن المشرفين السابقين على المشاريع المؤممة ومثلي مصالحها غالباً ما عينوا في مجالس ادارتها وحتى في مراكز المسؤولية فيها الى جانب ممثلي الدولة ، بحيث لم تتغير الطرائق قط .

كأنت نتيجة الحركة العسكرية التي اطاحت بالجمهورية الرابعة
رجحان لفوز المحافظين
قيام « ملكية » حقيقية استثنائية الطابع اعطت السلطة التنفيذية امتيازات عظيمة . فمن جهة استلقي لرئيس الحكومة نطاق خاص به ، ولا سيما ادارة السياسة الخارجية والشؤون العسكرية والاقتصادية . ومن جهة ثانية قيّد نشاط البرلمان التشريعي الذي آل دوره ، بحسب تعبير بعض اساتذة الحق الدستوري ، الى دور « تمثيلي » بحت : اعطاء الاولوية ، في جدول اعمال المجالس ، للمشاريع التي تتقدم بها الحكومة ، اخضاع تقديم مشاريع تعديل القوانين والاستجابات لنظام شديد ملزم ، تخفيض عدد الابعان الدائمة التي كانت تقوم بدور هام جداً في عهد الجمهوريتين السابقتين ، حصر صلاحية اعداد الموازنة في الحكومة دون غيرها . ثم ان واقع قيام المركز الذي تصدر عنه القرارات الهامة فوق الحكومة نفسها ، والسلطة الواسعة التي تمتع بها كبار الموظفين ، قد افضيا عملياً الى انتزاع كل سلطة اشراف حقيقية من البرلمان . وانتهج النظام الجديد بالمقابلة سياسة جبائية عاطفة على المصالح الكبرى بالغاء الرسوم المفروضة على ربايح المساهمين وارباح الشركات ، وبتخفيض الرسوم على انتقال الارث ، في حين انه فرض رسوماً ثقيلة على عدد متزايد الارتفاع من الاجراء ، اذ ان معدل الضريبة التصاعدية على الاجور لم يعدل تعديلاً يذكر .

في ألمانيا ، نشاهد بعد السنة ١٩٤٧ توقف العمل بحظر جمعيات التجار والصناعيين وحظر النازية الذي لم يكن ذا فعالية هامة كما يظهر ذلك ، بعد انقضاء عشرين سنة على انهيار النازية ، اكتشاف العديد من مجرمي الحرب - الناجين من العقاب - في وظائف هامة احياناً .

في بريطانيا العظمى ، ألغي تأميم الفولاذ والنقل البري ، منذ عودة المحافظين الى الحكم . وبعد ان بقي حزب العمال بعيداً عن الحكم طيلة ١٢ سنة ، احرز في السنة ١٩٦٤ فوزاً انتخابياً هزئياً (بأكثرية ٣ اصوات) جعله رهين حزب الاحرار القليل العدد . فاصطدم منذ تأليف الحكومة بأزمة مالية خطيرة جداً وبانخفاض مقلق في سعر الاسترليني قيداً حريته في العمل ،

وارغما على اتخاذ تدابير تقشفية لم يرض عنها الشعب ، كان الاجراء ام ضحاياها ، ومنعاه من تحقيق برناجه . واصطدمت بصعوبات مماثلة حكومة « الوسط اليساري » الايطالية التي تألفت في السنة ١٩٦٠ ، بعد ازمة وزارية دامت شهرين ، بفضل ائتلاف حزب « نني » الاشتراكي وحزب الديوقراطيين المسيحيين . الا ان خروج رؤوس الاموال ، وارتفاع الاسعار السريع ، والازمة الاقتصادية ، قد نجحت — بفعل تأثير الجناح الايمن في حزب الديوقراطيين المسيحيين وتأثير الكنيسة ومنظمة الصناعيين — في شل هذا التحالف وفي مقاومة كافة مشاريعها الاصلاحية باستثناء تأمين الطاقة الكهربائية .

طهرت الادارات العامة من العناصر الشيوعية او العناصر اليسارية المعتبرة « شيوعية متسترة » ، بالرغم من النصوص الدستورية التي تضمن المساواة في الحقوق دونما تمييز في المعتقد أو الرأي ، ومن مبادئ ميثاق الامم المتحدة وعلان حقوق الانسان الذي أقرته الجمعية العمومية للامم المتحدة في السنة ١٩٤٨ . وأدى انشقاق القوى النقابية ، الذي حدث في السنة ١٩٤٨ (فرنسا) والسنة ١٩٤٩ (ايطاليا) الى اضعاف إحدى القوى القادرة على الوقوف في وجه سياسة مكافحة التضخم المالي وعودة العناصر الحاكمة السابقة الى الحكم .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الحركة النقابية الغربية — باستثناء الاتحادات الايطالية والفرنسية الكبرى التي يسيطر عليها النفوذ الشيوعي — قد اصبحت « نقابية موحدة » تهدف الى الحصول على الفوائد المادية عن طريقة التماقد في اطار النظام الرأسمالي . فهي مرتبطة بالاحزاب الاشتراكية التي ازداد تطورها الاصلاحية نحو التعاون بين الطبقات ، كما يتضح من موقف الحزب الاشتراكي الفرنسي وموقف الاحزاب السويدية والنمساوية ، ومؤتمر الحزب الاشتراكي الديوقراطي الالماني في « باد — غودسبرغ » (تشرين الثاني ١٩٥٩) الذي دافع عن « الملكية الخاصة لوسائل الانتاج » و « حرية تأسيس المشاريع » ، ومؤتمر حزب العمال في « بلاكبول » حيث قادت اقلية يمينية بالتخلي عن التأميمات . واخيراً من مذكرات مؤتمر الاتحاد الدولي الاشتراكي في تل ابيب في شهر نيسان ١٩٦٠ . ثم لم يستكمل « بيترو نني » نفسه ، في السنة ١٩٦٦ ، تطوره نحو المطالبة المعتدلة بالاصلاحات بسميه من اجل صهر حزبه مع حزب ساراغات (الحزب الاشتراكي الايطالي) وبالمساعدة ، على غرار ساراغات ، بـ « اشتراكية خلو من الصراع الطبقي » ؟ زد على ذلك ان الاحزاب الاشتراكية في البلدان ذات العلاقة المباشرة بتصفية الاستعمار لم تختلف قط عن المحافظين في قمع الحركات الاستقلالية سواء في اندونيسيا ، ام في الكونغو البلجيكي ، ام في قبرص وافريقيا الغربية ، ام في الهند الصينية والجزائر . ويجب ان لا ننفل هنا الحملة الفرنسية البريطانية على بورسعيد والسويس .

كان من المقرر ، في فكر الظافرين ، ان تخضع المانيا واليابان ، الخاضعتان تطور المانيا لاحتلال الحلفاء وادارتهم — وقد خلت الاولى من كافة اجهزة الدولة — لفترة طويلة من الوصاية الضرورية لازالة الطابع النازي عنها وجعلها ديموقراطيتين . الا انه استحال

أبعاد سبعة ملايين نازي مع عائلاتهم عن كل نشاط ، كما ان السلطات المحتلة افتقرت الى العدد اللازم من الموظفين الاختصاصيين لمواجهة كافة الاعباء ، فاضطرت من ثم الى استخدام كافة « الفنيين » الذين كان الكثيرون منهم نازيين او نازيين الميول . ثم جاءت الحرب الباردة والحرب الكورية ، كما سبق ورأينا ، تدفعان الى التخلي عن استئصال النازية ، باعتبار ان النازيين خير حلفاء لـ « محاربة مبادئ الشيوعية والاستراكية » .

ان عملية استئصال النازية التي بوشر تنفيذها بأساليب اختلفت باختلاف القطاعات قد فشلت من ثم في كل مكان . وبرز مثل على ذلك مثل القطاع الاميركي حيث توجب على حكاية الالمان البالغين اكثر من ١٨ سنة ان يجيبوا على عدد من الاسئلة في السنة ١٩٤٦ ؛ فتبين ان ٣٥٠٠٠٠٠ ، اي ٢٧ ٪ من الهيبين ، نازيون . فصدرت قوانين عفو متعاقبة خفضت هذا العدد الى ٢٣٧٣٠٠٠ ، ثم الى ٩٠٠٠٠٠ ، ثم الى ٢٣٠٠٠ مجرم كبير ، واخيراً الى ١٨٠٠٠ برّئ اعظمهم مسؤولية .

شاهد من ثم في كافة الحقول رجوع القوى القديمة والتقليدية الى مراكزها الاولى : فالتعليم على كافة مستوياته في ايدي اكثر العناصر نزعة محافظة ، وجمعيات المحاربين القدماء اخذت في الانتشار من اجل الدفاع عن شرف الجيش الالماني والـ S.S. . وباستثناء « ادب الدمار » الذي وصف آلام الحرب والاسر ومشاق وضغائن فترة ما بعد الحرب ، انحصرت النجاحات الادبية في مؤلفات (كـ « ذكريات » لغودريان ، و « اسئلة » لـ « ارنست فون سلون ») تؤيد نفوذ التقاليد القومية الراسخ ، « الشرف » ، والبطولة . وعلى غرار الادب ، عبّرت الصحافة الكبرى احياناً عن بعض الحنين الى النظام المنهار وعن عداؤها للمهاجرين من مقاومي النازية ، ولا سيما اليهود ، ولـ « مجرمي » اعتداء العشرين من تموز ١٩٤٤ .

تطور اليابان
سلكت اليابان في تطورها الطريق نفسها . فمرت اولاً ، بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٧ ، في مرحلة تحول ديموقراطي : فقد نادى « اعلان حقوق » بحرية المعتقد وحرية الصحافة والمساواة التامة بين الاعراق والاجناس . واقصيت العناصر الرجعية عن المراكز الهامة في الادارة ، والمؤسسات الاقتصادية ، والصحافة . وظهرت الاحزاب مرة اخرى ، ولا سيما الاحزاب اليسارية . للمرة الاولى اصبح الحزب الشيوعي شرعياً ، واعلن في شهر اذار من السنة ١٩٤٦ دستور جديد تمخضت به اعمال تمهيدية كثيرة ، بالرغم من نفور الحكومة من تبديل جوهر النظام القائم . وبوجب الدستور الجديد ، لم يعد الامبراطور ، الذي تخلى بصراحة عن فكرة الدخول في حرب ، سوى رمز الدولة ووحدة الشعب ، وقيدت صلاحياته . وكان الجهاز الرئيسي للحكم « الجمع » المؤلف من مجلسين هما الامينان الوحيدان على الوظيفة التشريعية والسلطة . وكان لمجلس الممثلين المنتخبين وحده حق اعداد الموازنة ، وكان اعلى من مجلس المستشارين ؛ وكان على هؤلاء ان يعلنوا موقفهم من كل قانون يقره الممثلون خلال مدة ٦٠ يوماً ، وفي حال الرفض ، حق للممثلين فرضه باكثرية الثلثين . وحددت بدقة صلاحيات مجلس الوزراء المسؤول ؛ فوجب ان يكون كافة الوزراء مدنيين وان

يكون نصفهم أعضاء في المجمع . وهو رئيس الوزراء ، الذي ينتخبه المجمع ، من يعينهم . وكان استقلال القضاء مضموناً . واتخذت التدابير من أجل حماية حقوق الانسان والحريات الرئيسية ، ولا سيما المساواة بين الجنسين ، والحريات النقابية ، ومنع التوقيعات التعسفية . واصلت وسائل عمل الدكتاتورية ، واصبحت قوى الامن لامركزية ، ورفعت عنها سلطة وزير الداخلية ، ووضعت قوانين جديدة : القانون المدني المبني على المساواة بين الافراد والحرية الفردية ، الذي احدث ثورة في المجتمع القديم بإبطاله النظام العائلي التقليدي ، ونص على تقسيم الأرض بالتساوي ، واجاز الطلاق ، والقانون الجنائي الذي عدل . وكان اصلاح التعليم كذلك احد شروط التحول الى الديمقراطية . وقد استوحى المبادئ المناقضة مناقضة مطلقة المبادئ المقبولة حتى ذاك التاريخ . وطهرت الهيئة التعليمية من عناصرها العسكرية والمتطرفة الوطنية ، ومنع التدريب العسكري منعاً باتياً . كما منعت الكتب القديمة الموضوعة لتعليم الاخلاق والتاريخ والجغرافيا . واشهرت براءة امبراطورية المفهوم الخاطئ لالوهية الامبراطور وللتفوق العنصري للشعب الياباني المدعو لحكم العالم ، وفقد الـ « شنتو » طابعه الرسمي . وبني التعليم على حرية رأي الهيئة التعليمية ، واعطيت المبادأة الفردية اهمية خاصة . وأقر التعليم الالزامي حتى سن التاسعة ، والتربية المشتركة ، ونظام متلاحم الأجزاء يوجب قضاء ٦ سنوات في المدرسة الابتدائية ، و ٣ سنوات في التعليم الثانوي الأدنى ، و ٣ سنوات في التعليم الثانوي الأعلى ، و ٤ سنوات في الجامعة . وغدت المراقبة لامركزية ، واسندت ، كما في الولايات المتحدة ، الى ادارات مدرسية محلية تلتخبها الجماعة . ووضع تشريع للعمل ، واستحدثت وزارة العمل ، وأقرت الحرية النقابية والتأمين ضد البطالة والحوادث ، وحدد يوم العمل بثمان ساعات ، وفرض دفع الاجور نقداً ، كما أقرت قوانين الضمان في المناسج . وبموازاة تنفيذ الاصلاح الزراعي حلت الـ « زيباتسو » مع ٥٠ جمعية صناعية وتجارية و ٦٧ جمعية لتوظيف الاموال ، واقصيت العائلات الكبرى عن كل وظيفة ادارية ، وحظر تأليف الاتحادات .

في السنة ١٩٤٨ ، انقلبت هذه السياسة على غرارها في المانيا والاسباب عينها ، واستهلت عملية تطهير معاكس بينما أعيدت الحقوق السياسية والمدنية لـ ٢٠١ ٠٠٠ شخص من اصل الـ ٢٢٠ ٠٠٠ الذين قتلواهم التطهير . فطرد الصحفيون والاساتذة والموظفون والنقابيون المناضلون اليساريون ، ثم اتخذت بعض التدابير ضد العمال : حظر الاضراب العام في السنة ١٩٤٧ ثم حظر كل نوع من أنواع الاضراب وكل مطالبة جماعية في القطاع العام في السنة ١٩٤٨ . ولم يحدد القانون القاضي بمنع تأليف الاتحادات الذي انتهى العمل به في السنة ١٩٤٩ ، فاتيح للاتحادات السابقة استعادة نشاطها . وفي السنة ١٩٥١ اخيراً أجاز الجنرال ريجواي للحكومة اليابانية اعادة النظر في كافة القوانين الصادرة في ظل الاحتلال . وهكذا استعادت الاحزاب اليمينية التي لم تُقص قط عن السلطة ، والسلطات الاجتماعية التي لم تفقد قط نفوذها ، والزيباتسو ، كل قوتها الاقتصادية والسياسية .

لجميع هذه الاسباب كانت اعادة البناء الاقتصادي في اليابان موفقة وسريعة ، فجاءت « معجزة » على غرار المعجزتين الالمانية والايطالية . فمنذ السنة ١٩٥٤ ، بُلغ مستوى انتاج السنة ١٩٣٩ ، ومنذ هذا التاريخ ، وبفضل وفرة رؤوس الاموال (وجلها اميركي المنشأ) واليد العاملة الاختصاصية ، وقوة ميل السكان (١٠٠ مليون نسمة) الى الادخار ، تقدم الدخل القومي بمعدل ٦،٥ بالمائة في السنة . وبحسب تقليد الميجي ، قدمت الدولة مساعدة عظيمة للشركات الخاصة الكبرى التي مازال يقوم الى جانبها قطاع مستقل يضم عدداً كبيراً من المشاريع الهامشية الصغرى المجهزة تجهيزاً دونياً . وقد الف عمال هذا القطاع الـ ١٠ ملايين جيشاً صناعياً احتياطياً جليل الفائدة معداً للدخول في الاتحادات .

اذن خابت آمال المقاومين في الحقل السياسي والحقل الاقتصادي على
ازمة النظام الحر
السواء . « انتظرت الشعوب واملت طيلة ليال عديدة غير منجسة .
المقاومون كلهم - فرنسيين كانوا ام بلجيكيين ، يونانيين ام يوغوسلافيين ، ايطاليين ام بولنديين -
انتظروا التحرير - الثورة الذي قدروا انه لن يطرد الخونة فحسب ، بل سوف يؤسس
ديموقراطية جديدة ايضاً » (مركين - غلزييتش) .

لم تؤسس هذه « الديموقراطية الجديدة » في اوروبا الغربية . ولم تصهر الدولة صهراً جديداً
شاملاً في اي بلد من بلدان الغرب ؛ ولذلك تفاقمت ازمة النظام البرلماني المفتوحة منذ السنة
١٩٣٩ . لقد تلاشى التقسيم القديم بين السلطتين التنفيذية والتشريعية تلاشياً تاماً . فاذا كان
هنالك حزب واحد ، كما في تركيا حتى السنة ١٩٤٦ ، فان واقع السلطة بجميع اشكاله في
ايدي زعماء الحزب ؛ واذا كان هناك حزبان ، كما في البلدان الانكلوساكسونية ، فان الحزب
المنتصر يؤلف الحكومة التي يكون رئيسها في الوقت نفسه زعيم الاكثرية ، وان السلطتين
التنفيذية والتشريعية تكونان مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً ، ويستحيل عملياً على المجلس اسقاط
الحكومة . وهذا ما حدث في بريطانيا العظمى : ففي الحالين دكتاتورية حزبية حقيقية . اما
اذا كانت هنالك احزاب متعددة ، فتقوم تحالفات معرضة للتفكك بين احزاب مختلفة ، وتكون
الحكومة ضعيفة ويسيطر عليها الجمود ، لان كل مبادعة من مبادعاتها قد تهدد بذسف التحالف .
وهي غالباً ما تُسقط ، فتحاول البقاء بتخفيض عدد ممثلي خصومها . وهذا هو الهدف من
الاصلاحات الانتخابية المعدة لا الى ضمان خير تمثيل بل اقضاء عناصر الاقليات عن المجالس
و ضمان اكبر عدد ممكن للاكثرية . تلك كانت الغاية من القانون الانتخابي الالمانى في السنة ١٩٤٩ :
يُختار ٣/٢ اعضاء المجلس بموجب لوائح فردية باكثرية الاصوات ، ويختار الثلث الآخر بالاكثرية
النسبية : يُسلم كل منتخب بطاقةتين ، احدهما لانتخاب مرشح بموجب اللائحة الفردية ، والثانية
لتعيين حزب سوف يتمثل في المجلس بنسبة عدد الاصوات التي يفوز بها ؛ واعطى القانون
الانتخابي الفرنسي الصادر في ايار ١٩٥١ مجموع مراكز الدائرة الانتخابية للوائح التي تحصل على
اكثريه الاصوات ، على ان لا يؤخذ بالاكثرية النسبية الا في حال وجود مرشحين منفردين . اما

القانون الايطالي الصادر في السنة ١٩٥٣ ، فقد اعطى اللوائح ٦٤ و ٥ ٪ من المراكز ، اذا فازت بأكثرية الاصوات . وقد اسفر القانون الفرنسي عن النتيجة التي سعت وراءها الاكثرية التي اقرته : فان احزاب الوسط المتحالفة قد فازت في عدد كبير من الدوائر الانتخابية بالاكثرية المطلقة على حساب الحزبين المطرفين ، تجمع الشعب الفرنسي والحزب الشيوعي ، اللذين جاء تمثيلهما دون اهميتها الحقيقية في البلاد . وكان من جهة ثانية ان القانون نفسه قد خيب في كانون الثاني ١٩٥٦ آمال المستفيدين السابقين منه بتيسيره فوز الاحزاب الشيوعية . اما في ايطاليا فلم تعط النصوص النتيجة المتوخاة منها اذ ان الحزب الديموقراطي المسيحي لم يحصل على الاكثرية المطلقة .

ذهبت القوانين الانتخابية الفرنسية الصادرة في السنة ١٩٥٨ الى ابعد من ذلك : فقد قسمت البلاد تقسيماً موفقاً امن للمناطق الزراعية تمثيلاً كبيراً على حساب سكان المدن ، بحيث اقتضى معدل ٢٢٠ ٢٨٨ مقترعاً لانتخاب نائب شيوعي و ٧٣٣ ٤٧ لانتخاب ممثل للحركة الجمهورية الشعبية و ١٩ ١٧١ لانتخاب ممثل للاتحاد الوطني الجمهوري . اما الهيئة الانتخابية لمجلس الشيوخ فقد تمتع فيها الاعيان الريفيون بتفوق ساحق جعل التصويت تصويتاً محصوراً حقيقياً .

ان التطور الذي برزت معالمه قبل ١٩١٤ قد ازدادت سرعته في كافة سلطة الاختصاصيين البلدان الحرة ، بريطانيا العظمى وممتلكاتها ، فرنسا ، ايطاليا ، البلدان السكندنافية ، المانيا الاتحادية . فشاهد تراجع مستمر في الرقابة البرلمانية على السلطة التنفيذية ، وبالمقابلة تزايد نفوذ الاختصاصيين والخبراء الذين اكتظت بهم الادارات والجهزة الفنية الشبه حكومية .

يرد ذلك الى الطابع الفني المتعظم في المسائل المطلوب حلها من الحكومات ، خصوصاً في الحقول المالية والاقتصادية والعسكرية ، والمكان الذي احتلته التقنيات الحسابية في اقرار العمليات العسكرية والتجارية والصناعية والبحث عنها (التي تفرض لعبة رياضية لا يدرك معناها سواد الموظفين السياسيين) قد اضفيا اهمية متصاعدة على الخبراء والاختصاصيين . فان الصعوبات المالية والتقنية التي تعترض الموازنة من الضخامة والاهمية بحيث ان الادارة التي تضمها - مديرية الموازنة في فرنسا - تكلفت طبعاً الاشراف على كل النشاط الاداري ، وبالتالي على كل النشاط السياسي . ويصح القول نفسه في مستلزمات الدفاع الوطني الذي يحتاج اليوم الى استخدام كافة موارد البلاد . فليس من ثم اية مسألة اقتصادية او مالية او سياسية - بما في ذلك التعليم والتربية المدنية - لا تخضع ، حتى في ايام السلم ، لبعض الرقابة من قبل الاركان العامة .

الا ان عدد هؤلاء الاختصاصيين محدود . فقد قدر د. م. دبريه بـ ٧٠٠ او ٨٠٠ عدد الشخصيات النافذة حقاً في فرنسا : موظفين مدنيين (منتسبين الى الهيئات الكبرى) وعسكريين ، ورجال سياسيين (يناهزون المئة) يحتلون مراكز وزارية ، ومستشاري حكومة (اقتصاديين ، علماء) . وقدّر د. ف. م. ج. ولسون ، هذا العدد في بريطانيا العظمى وحدها بـ ٣٥٠ يدخل في عدادهم زهاء خمسين رجلاً سياسياً كحد اقصى . فاذا اضفنا الى ذلك ان امر تحرير منشور وانظمة

الادارة العامة المعدة لتوضيح كيفية تطبيق القوانين متروك ابداً لصغار الموظفين الذين يستطيعون الانحراف بسهولة عن مقاصد المشرع ، لرأينا الدور المحدود جداً المتبقي للهيئات المعنية ديمقراطياً .

الاختصاصيون اكثرية بين هذه الشخصيات النافذة القليلة العدد . ويتخرج معظمهم في فرنسا من مدرسة الـ « بوليتكنيك » ومن « معهد الادارة الوطني » ، وفي انكلترا من « المدارس العامة » التي ينتسب معظم طلابها الى الطبقتين البورجوازيتين العليا والمتوسطة (وينتسب ٦٥٪ من طلاب معهد الادارة الوطني الى فئتين : فئة الصناعيين وارباب المهن الحرة ، وفئة كبار الموظفين) . وينتمي هؤلاء الموظفون الكبار الى الطبقة الاجتماعية نفسها التي ينتمي اليها ارباب الاعمال ، وغالباً ما تجمع بينهم الثقافة الواحدة وأواصر القربى ، والطرائق والآراء المشتركة . وكثيراً ما يقوم بين هذين العالمين تبادل الموظفين (ولكن على نقيض الولايات المتحدة حيث ارباب الاعمال « يعيرون » الحكومة موظفيهم الاختصاصيين) . فهنا يؤلفان « الاقطاعية الاقتصادية والادارية والعسكرية الجديدة » التي اشتهرها « جورج غورفيتش » ، و « نخبة السلطة » غير المسؤولة والكلية القدرة التي سبق لـ « رايت » ان اشار اليها في الولايات المتحدة ، والتي انتزعت عملياً من الزعماء السياسيين زمام الامور وباتت « تهدد بابتلاع الدولة » . فنشأ عن هذا التقارب بين « نظرية اولوية ارباب العمل ونظرية اولوية بيروقراطية الدولة » (ج. بيردو) « استبداد مستنير » قد يكون - في افضل الاحوال - مجدياً وفعالاً ، ولكنه غير مسؤول لأنه هو من يعين معظم ممثليه .

استمرار تدني الرقابة البرلمانية
اضطر البرلمانيون المنتخبون اكثر فأكثر الى التخلي عن بعض صلاحياتهم للجنة التشريعية والسلطة الادارية بالتصويت على « قوانين مبدئية » ومراسم اشتراعية (١٦٠ في ظل وزارة لانيل ، ١٣٠ في ظل وزارة منديس - فرانس ، ١٦٥ في ظل وزارة ادغار فور) ، حيث يترك تفصيل الانظمة لمقررات خبراء الادارة . واذا كان من المفالة القول ان « بريطانيا العظمى دكتاتورية مستترة في ايدي الادارة الدائمة » فبإمكاننا التأكيد ان نفوذ الادارة في كافة دول اوروبا الغربية يحساري نفوذ الهيئات المنتخبة وغالباً ما يشله .

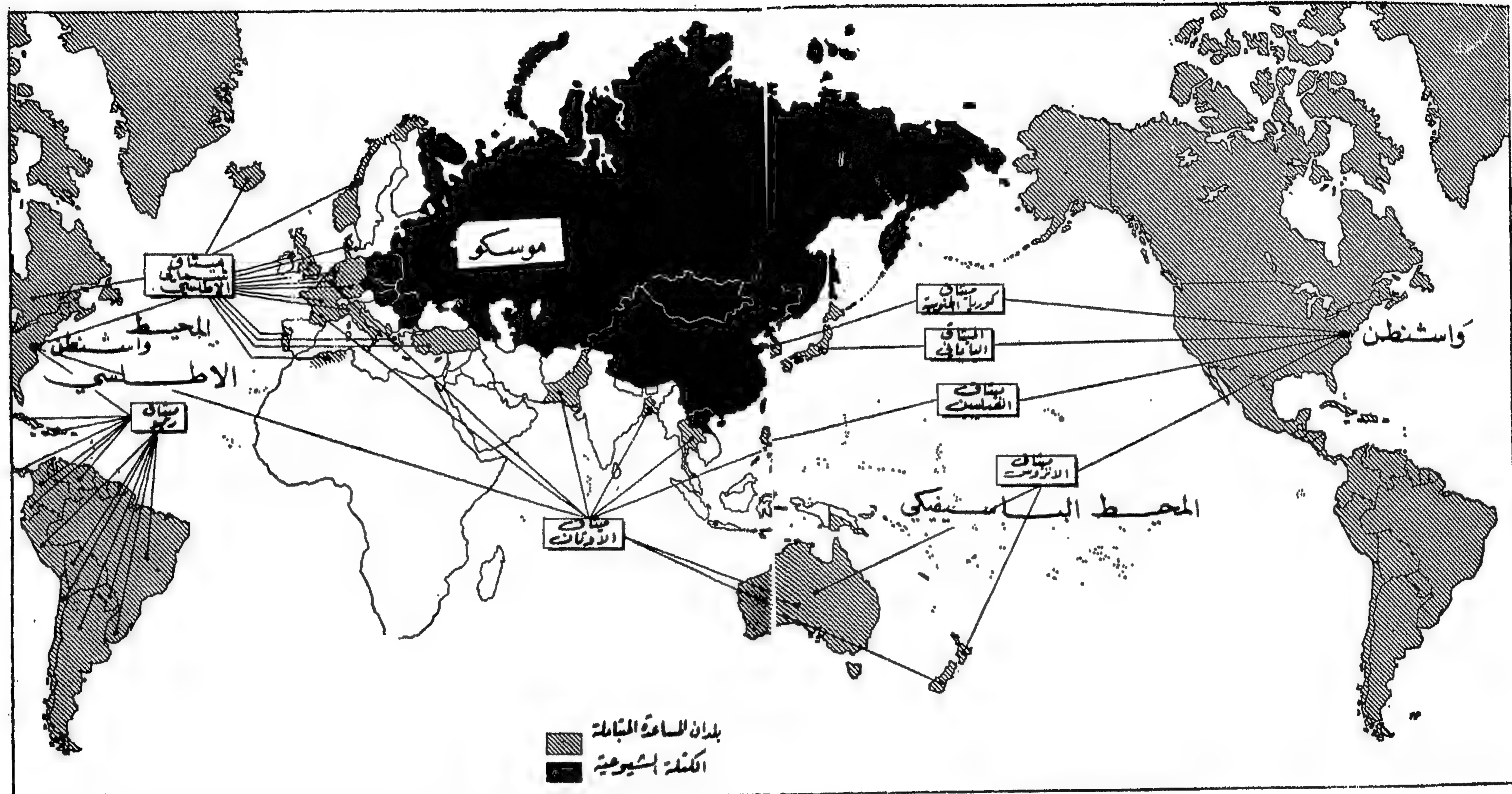
اما السبب في ذلك فهو ان رقابة اعمال البيروقراطية تصبح ومما خادعاً كلما توسعت المصالح الحكومية . فان انكلترا وسويسرا والولايات المتحدة تعرف هذا الوضع ، والدول الاخرى ، كفرنسا مثلاً ، حيث تسقط الحكومة بسهولة ، تعرفه معرفة فضلى ايضاً . وان طريقة « الاسئلة » والاستجابات التي يلجأ اليها النواب للتنبيه الى تجاوزات الادارة ، ليست مجدية قط لأن وزيراً تسانده الاكثرية غير ملزم بالإجابة . فالادارة العليا ، المسيطرة سيطرة شبه مطلقة على كافة دوائر الدولة ، والمستيقنة من عدم المسؤولية وغير القابلة العزل ، تشل عمل الوزراء والنواب على السواء . وينبثق معظم مشاريع القوانين عن دوائر الوزارات و « المصالح » ،

فليست المجالس النيابية من ثم سوى جمعيات تبحث فيها هذه الاقتراحات . أليس جديراً بالملاحظة ان المجلس النيابي الفرنسي كان غريباً عن فكرة وإعداد الخطتين الاوليين للتجديد والتجهيز وفقاً لمقتضيات العصر بالرغم من اهميتها بالنسبة لمستقبل البلاد ؟ وتصبح المناقشات نفسها شكليات لا طائل تحتها بسبب تصلب مواقف الاحزاب التي تلبس مبدئياً وجهة نظر لا تقوى أية مناقشة على تغييرها . فلم تعد المناقشات من ثم وسيلة فعالة للوصول الى الحقيقة .

يرد ذلك الى ان المقررات الهامة تتخذ في داخل الاحزاب لا في الجمعيات . ولكن تطور هذه الاحزاب العام يزيد اكثر فاكثراً من تصلبها . فمركزية السلطة المتزايدة في الاحزاب تعد من نفوذ الاعضاء على المسؤولين . ولم يعد اختيار المسؤولين لمعاونيهم سرّاً خفياً ، لا بل قد يحدث احياناً ان تنص الانظمة الاساسية على شرعية هذا الاختيار . ولذلك فان الاعضاء اصبحوا يخضعون اكثر فاكثراً لنظام ملزم صارم . والبرلمانيون انفسهم ملزمون بطاعة تحولهم الى آلات انتخابية يسيرها رؤسائهم .

على غرار « التكتلات » الاميركية اخيراً ، التي قيل عنها انها « الحكومة غير المنظورة » ، برز اكثر فاكثراً تأثير « الجماعات الضاغطة » الفعّال . فهي تؤثر على الرأي العام (لأنها توصلت الى الاشراف على كافة الصحف تقريباً) وعلى الاوساط البرلمانية أو الحكومية بالتهديد بالامتناع عن انتخابها مرة اخرى وتمويل الاحزاب السياسية ، وبتقديم مشاريع القوانين أو مشاريع تعديل القوانين ، وبالسئلة الخطية أو الشفهية التي يوجهها الى الوزراء النواب المتفانون في خدمتها وبالمساعي المنطوية على التهديد وحتى بالعمل المباشر : عرقلة السير في الطرقات العامة ، إقامة الحواجز في الشوارع ، اضرابات المنتجين ... وهي متعددة الاشكال : جمعيات محاربين قداماء (الجوقة البريطانية) وجمعيات مهنية كالاتحاد الوطني للمستثمرين الزراعيين ، والاتحاد العام لكرومي الجنوب ، والمعهد التقني الفرنسي للشندري الصناعي ، والاتحاد الوطني للمالكي وسائل النقل البري ، واتحاد الصناعة البريطانية ، وجمعية صانعي الجمعة ، وجمعية المزارعين الوطنية ، الخ . وقد سيطرت كلها على فئات برلمانية معروفة أو مستترة يؤثر نشاطها على استقلال السلطات العامة والمنتخبين . فتجسدت من ثم في عرقلة نشاط المؤسسات البرلمانية .

لم يستطع البرلمان التكيف وفقاً للظروف الجديدة الناجمة عن واجب تجسد السلطة
حل المسائل بسرعة وفي كل مكان ، فلم يعد من ثم المصدر الوحيد للسلطة الحكومية . فقد اضطرت هذه الاخيرة - كي تكون فعالة - الى التمرکز والتوحد في ايدي عدد من الرجال او في ايدي رجل واحد احياناً . ففي هذا الاخير - الذي قد يكون مجرد رمز او رئيساً فعلياً - تجسدت السلطة . فكانت النتيجة ان ضرب عرض الحائط بفصل السلطات شيئاً فشيئاً ، لا بل كاد البرلمان في بعض البلدان يفقد دوره في رقابة السلطة التنفيذية الذي كان رئيسياً في القرن التاسع عشر .



الشكل ٢٤ - خريطة الاتفاقات الغربية في سبيل المساعدة المتبادلة في السنة ١٩٥٥

ليست ظاهرة تجسد السلطة ظاهرة جديدة ، ولكن وسائل عمل قوية جداً برزت حين طرأ هذا التأخر على المجالس التمثيلية . فان الاذاعة والتلفزة والسينما قد قربت المسؤولين من الجماهير الشعبية ، وجعلت اسماءهم وصورهم مألوفة ، وساعدت على ان تتكون حولهم اسطورة استتبعت المشايعة العاطفية ، اي عاطفة اعجاب او تقدير نحو « المنقذ » ، نحو « الرجل الذي لا بديل له » . وان تجسيد السلطة هذا ، الذي استفادت منه الحكومات الدكتاتورية قبيل الحرب ، لم يخل دائماً من عبادة الشخصية ، لانه ينطوي على قلق للرجال العظام الذين حذرهم ديموقراطيون القرن الاخير لأسباب وجيهة كثيرة .

الخلاصة

اذن واجهت العالم الرأسمالي والحرب ، بعد الحرب ، صعوبات مردها وجود عالم شيوعي عرف نهضة صناعية واسعة وتحرر الشعوب المستعمرة ، ولكن مردها كذلك متناقضات داخلية ليس أقلها شأناً فقدان التوازن بين القوة التي تتولى ادارته وقوة الدول التي يتألف منها . فقد خرجت الولايات المتحدة من الحرب دون خسائر مادية وبشرية هامة ، وبطاقة صناعية واحتياط مالي متزايدين ، فاستطاعت ، بفضل تفوقها الاقتصادي والمالي الساحق ، ان تفرض زعامتها باستغلالها ، بصورة خاصة ، الخوف من الثورة الاجتماعية المسيطر على الطبقات الحاكمة في اوروبا . وأدى النفوذ الاقتصادي والمالي الذي عناء مشروع مارشال بعد السنة ١٩٤٨ ، ثم الارتباط بالميثاق الاطلسي في الحقل العسكري في السنة ١٩٤٩ ، والاشراف على القوات المسلحة (ومن ثم على الموازنات) ، والحرب الباردة ، الى توسيم الهوية بين اوروبا الغربية واوروبا الشرقية ، واستمرار ارتباط الغرب اقتصادياً بالولايات المتحدة الاميركية — بالرغم من نهضته الاقتصادية . فهل كان ذلك تمهيداً لـ « امبراطورية الاميركية » التي حلم بها « بورنهام » ، المبنية على السيطرة الاقتصادية والمالية ، وشبكة متصلة الحلقات مؤلفة من ٩٠٠ قاعدة عسكرية بحرية وجوية موزعة على كافة القارات ، واحلاف عسكرية قوية محاصرة الاتحاد السوفياتي وحلفاءه (الشكل ٢٤ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥) والشبيهة بالامبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر ؟

ان هذا التفوق الاميركي قد خلف في الحقيقة التفوق الذي حققته بريطانيا العظمى في القرن السابق ، ولكنه اختلف عنه بعض الشيء . فبينما كان التفوق البريطاني يمثل اوفر الحضارات حرية واكثرها تقدماً في ذاك العهد ، ويساعد الحركات التحررية والديموقراطية على المؤسسات المحافظة المسيطرة على البر الاوروي ، استندت الولايات المتحدة الى القوى المحافظة في العالم التي تقاوم حركات التحرر القومي والاجتماعي . وهكذا فان الزعامة الاميركية ، التي

تساند النظام الرأسمالي المتخلخل في كل بلاد، تعرضه لخطر بعيد الاجل بإبقائها في مراكز السلطة القوى التي تحول دون تحقيق الاصلاحات الضرورية .

لا ريب في ان تحسن العلاقات الدبلوماسية منذ السنة ١٩٥٧ ، والتقدم الذي احرزه الاتحاد السوفياتي ، ونهضة الاقتصاد الاوروبي ، وتعاظم النزعات الجهادية البارزة في العالم الثالث التابع ، قد اضعفت هذه الهيمنة الاميركية وشجعت قيام سياسة داخلية ذات طابع حر في الولايات المتحدة . وانما ازداد في الوقت نفسه ، في الحقل الاقتصادي ، تجمع المشاريع الذي عزز قوة الشركات الكبرى ووسائل تأثيرها على الحكومات ؛ وفي الحقل السياسي ، توطدت بالمقابلة دعائم الحكومات المحافظة في الدول الغربية . فان الاحزاب اليسارية - حتى اكثرها اعتدالا - آلت في كل مكان الى العجز او وقفت موقف الدفاع .

الفصل الرابع

الفكر والفن والحياة الدينية في فترة ما بعد الحرب الثانية

ان انتصار السنة ١٩٤٥ ، الذي عقبه على الفور تأزم دولي جديد ، لم يتسم كآخر الحرب العالمية الاولى بالاسترخاء على الصعيدين الفكري والفني . فهو لم يولد لا تفاؤلاً ولا غروراً حيال المستقبل . وان ادب هذه الفترة قد « انف من العواطف النبيلة » ، وحرص على ان يكون واضحاً ويتجنب الاكاذيب والصور الخادعة على السواء . « لقد اختبر الانسان ، على مقياس العالم ، قوته المادية وفشله الاخلاقي » ؛ ولا يمكن اعتبار توسع الحضارة المادية تقدماً او تأخراً : « انه النتيجة الطبيعية للنشاط البشري ، التي اصبحت ضرورية بفعل تزايد سكان الكرة الارضية وتزايد متطلباتهم » . انتهت الحرب ولكن مسائل اخرى تستوجب الحل ، وفي مقدمتها بناء السلم :

... « ان نهاية الحرب تعني نهاية « هذه » الحرب فقط . ليس المستقبل مضموناً ؛ نحن لا نؤمن بنهاية الحروب ... راءنا يجب ان نراهن . فحين تضع الحرب اوزارها تترك الانسان عارياً ، وغير مفكر مدركاً اخيراً انه لا يمكنه الاعتماد الا على ذاته » .

(ج . - ب . سارتر)

تعلم الانسان تعبير عقله ، وعرف ما يمكن ان ينتظره منه وما لا يمكن ان يؤمله ؛ الاطلاق ، والكمال ، والمثالية ، وكل المقولات التي خلت من معناها والتي اعاض عنها بالقيمة والذسبية ... لذلك تخشن الحس في كافة الحقول ؛ وبات الارتياح والتشكك بعد ذلك يحومان حول كل مذهب مقفل يبدو في الظاهر نهائياً .

١ - الفكر وفنون الادب

لقد سيطر على كل فترة ما بعد الحرب هذه ج . - ب . سارتر - البعيد
ج . - ب . سارتر
عن اوهام سلفه « هايدغر » - الذي عرض اسس فلسفته في « الوجود والعدم » (١٩٤٣) . ففي هذا المؤلف نرى الانسان في جوهره محكوماً عليه بحرية مطلقة

وغير معقولة معاً ، وبالعيش في عزلة وانفراد . ولا معنى لحياة كل انسان الا ذلك الذي يعطيها اياه ، وليس للاحداث نفسها من حقيقة ومعنى سوى ما يعزوه اليها . ذاك الضمير الزائل على غير هدى الذي هو الانسان ، ومن هذه الزاوية وهذا المنظور ، تفقد المعرفة العلمية والموضوعية قيمتها كحقيقة ، ولا يبقى لها سوى قيمة وجودية . ولكن هناك شيئاً آخر في فكرة سارتر ؛ ان عدم التقدم لا يستلزم بالضرورة الحطاط البشرية ، فانما هو انعدام مفهوم عام وموضوعي للتاريخ ، ويعود لكل انسان تحديد هذا التاريخ ، وتاريخ الماضي ، والتاريخ الذي يعيشه ، والتاريخ الذي يستشعره . « اذا كان كل شيء جائزاً ، فلا شيء سواء ، حتى السواء نفسه » . وفي الواقع ، ان ما يبرز في « الوجود والعدم » ، هو المهارة في الجدل على صعيد الاسلوب الفلسفي : الانسان منفرد وليس منفرداً قط . انه حر ، ولكن « في وضع معين » . واذا صرفنا النظر عن الآراء الماركسية ، فان هذا المفهوم للانسان والعمل الانساني الذي يعبر عنه هو بالذشر والطبي مفهوم ما بعد الحرب : انعدام اي نظام سام ، انعدام اي فعل ايمان . ولكن القلق امام غير المعقول لا يحوز ان يستحيل الى يأس ، انه يقود الانسان الى اختيار واضح للعمل ، الى تولي امر مصيره الخاص والوضع الذي هو ملقى فيه .

تكاملت علوم الانسان ، بعد ازمة اوائل القرن ، واصبحت علوماً النسبية والعقل مختلفة عن علوم الطبيعة ، وباتت كلها ، ولا سيما علم الاجتماع الذي احرز اكبر تقدم خلال السنوات الـ ٣٥ الاخيرة ، تعلمنا نسبية شاملة بما فيها نسبية العقل البشري .

كانت هذه النسبية حصيلة كل الحركة الفكرية في اوائل القرن التي اجتمعت في احتقار العقل كدالة للحقيقة وافضت ، عبر علم الظواهر ، الى رفض العقل العاقل بواسطة الوجودية . فقد سبق لـ « هايدغر » ، في العشرينيات ، ان جاهر بازدرائه الشامل لكل المعارف التي قد تنبثق عن العلم : « ان ضبط اي علم لا يوازي ركافة علم ما وراء الطبيعة » . ان علم ما وراء الطبيعة والعلم على طرفي نقيض : فهو يبحث عن الوجود في اختبار عاطفة الانسان وتأثره . ومنذ الثلاثينيات رغب علم الظواهر في ان يكون معرفة الانسان فقط ، وهي معرفة ناقصة في جوهرها كما يعرف علم الظواهر ذلك . فهو يضاعف من ثم ، بوصفه الظاهرة ادق وصف ممكن ، كما تبدو للضمير الناقد ، نتائج علم تحليل النفس . وينطلق هذا الاخير ، من جهة ، من تحليل اعماق العقل الباطن لتقديم الدليل على عدم موضوعية اكثر الافكار صوابية في الظاهر : وهو يجد مصادر هذه الافكار في غريزة الجنس على غرار « فرويد » ، او في طلب العظمة ، على غرار أدلر ، او في الامثلة الرمزية ، الشاملة والثابتة في طبيعتها ومتزاها على السواء ، لعقل باطن جماعي أبانه « يونغ » .

تبني علم الاجتماع مدلول العقل الباطن هذا ، فأثار ابحاثاً كثيرة : علم اجتماع المعرفة ، الذي

ابتغى تحديد المفازي الخفية اللاشعورية للأفكار المعبر عنها . ومنذ ماركس الذي طاب له ان يرى في افكار الانسان انعكاساً لطبقته الاجتماعية ، تعددت واختلفت تحولات الافكار الى غير جوهرها ، ولكنها انطوت كلها على ان الافكار ليست سوى مجرد حصيلة عقل خالص : تصدر عن شعور او عن ردة فعل يحدثها موقف معين ، فهي نسبية بفعل منشأها . ويظهر تحليل النفس في مدلوله الواسع (البحث عن المصادر اللاشعورية للأفكار) ان تعريضه ليس سوى احتمال من جملة الاحتمالات .

ويبدو تحول الفلسفة في حقل علم الاخلاق ماثلاً للعيان : فبعد ان جعل نسبياً ككل شيء آخر ، استحال قيام مذهب اخلاقي متلاحم ، صوابي ، يمكن تعليمه . وحين يقترح « كامو » ، في « اسطورة سيزيف » ، علماً أخلاقياً معيناً ، فهو يعترف بعجزه عن تبرير بنائه الا بالحاجة الى جعل الحياة جديرة بأن تعاش . ولعل سارتر نفسه ، بتأجيله تكراراً نشر كتاب « بحث في الانسان » ، يعترف بعجزه عن اقتراح علم اخلاقي مبني على أسس ركيكة . « ان مدلول استحالة العالم يبدو مثبتاً اثباتاً نهائياً في الفلسفة ، ويرد ضمناً في كل مؤلف فلسفي » . ولا يتخلص المؤمن منه الا « بقفزة » في الايمان ، كما يقول كامو ، ولكنه يسلم بالفاصل الكبير بين قدرة الفكر البشري واثبات وجود الله ، ويزعم في الوقت نفسه بأنه يكمل بفعل الايمان حركة انعكاس الفكر على الانسان والعالم .

وهناك قطاع من قطاعات البحث بات توسعه ذا شأن كبير بالرغم من حداثة عهده ، واصبح له في العهد المعاصر اهمية ومغزى خاصان ، اعني به قطاع تاريخ العلوم : ففي الوقت الذي يفقد فيه العقل ، في الفلسفة والعلوم البشرية ، قيمته كمصدر للحقيقة ، لا يسعنا سوى مشاهدة تحقيقاته في حقل العلوم وتطبيقاتها التقنية . فالعقل البشري يعي هنا فعاليتته وركانه مساعيه . وهو يؤثر على مدلول الحقيقة مدلول « المعرفة الدانية » (باشلار) ؛ وليس موضوع الكلام ، على كل حال ، العودة الى الايمان الكلي بإمكانات العلم أو الى التفاؤل المطلق الذي جوهر به في أواخر القرن التاسع عشر : فان نمو العلم ليس نمواً خطياً دون اخطاء وتراجعات ، ومن الضروري تحليل المعرفة العلمية تحليلاً نفسياً ؛ فان صوراً كثيرة شبه اسطورية وأمثلة كثيرة تتسلط على الضمائر وتكسب خلصة الى براهين علمية مزعومة . وانما قام غاستون باشلار بتحليل العناصر الاربعة (ماء وهواء وتراب ونار) تحليلاً نفسياً رغبة منه في تبيان هذه الامثلة .

من جهة ثانية تغلب العلم المعاصر على الازمة النظرية التي برزت في أوائل القرن : فان ظهور علم الطبيعة النووي مع تطبيقاته الرهيبة (القنبلة الذرية ، القنبلة الهيدروجينية) ، وتأسيس علم كيميائي عقلي مبني لا على وصف اختبري لخصائص الاجسام كما في السابق ، بل على معرفة التركيب الذري الذي يعين هذه الخصائص ، قد اعاد للعقل اطمئنانه كان قد فقده . وان النظريات المحيرة التي رأت النور في اوائل القرن قد مكنت من ادراك الظواهر ادراكاً جديداً ، ولا سبيل لانكار حقيقةها بحجة

التغلب على أزمة الحتمية

انها بالغة الجرأة او متناقضة : لقد اثبتت صحتها، ولكن عقل العالم قد تحول بسببها لمحو لا كليا، لا بل انه في تحول دائم ، إذ أن النتائج الجديدة تخلق مسائل جديدة، وتعتبر هذه التجددات منذئذ شرط التقدم بالذات .

تسير أزمة الحتمية نفسها في طريق الحل . فان خطوات العلم الذري الاولى (تفجير الذرة في السنة ١٩٣٨) كانت تأكيداً كافياً بأن العلم ما زال يتمتع ببعض القدرة على صعيد الذرة . ولكن الابحاث الاخيرة التي قام بها الفرنسي « ج . - ب . فيجيه » والاميركي « دافيسد بوم » قد اثبتت ان نظرية عدم تحديد الظواهر على الصعيد الذري كان مردها الى ادخال مبدأ ضمنى وغير ضروري مسلم به دون برهان البرهنة : ليس عدم التحديد الموضوعي للظواهر ما اثبت ، بل الحدود الراهنة لقدرتنا على معرفة هذه الظواهر فقط . فتبقى نسب الارتياح التي يقول بها « هايزنبرغ » مقبولة عملياً ، وانما لم يعد لها المعنى النظري الذي كان يعزى اليها . فان انشتاين لم يستطع قط التسليم بعدم الحتمية . ولكن « لويس دي بروي » نفسه اعلن في السنة ١٩٥٢ ان ابحاث فيجيه وبوم قد قادت الى اعادة النظر في التفسير الاحتمالي الصرف لعم الآليات التمجج الذي سبق له وسلم به منذ عشرين سنة وانه يواجه امكانية حل حتمي من شأنه وضع حد «لأساة علم طبيعة الاجسام الصغرى المعاصر ... اكتشاف ثنوية الموجات والجسيمات ، . (وهل يبقى علم الطبيعة الكمي غير حتمي ؟) .

من جهة ثانية ، ولسى زمان فلسفة العلوم القديمة بدورها ايضاً :
المدلول الجدلي للعلم
انبتقت عن موقف فلسفي تأملي صرف ، فتحولت الى مذهب عقلي اعتدالي اعتبرت الاشياء فيه بسيطة وثابتة ، والمعرفة سبجينة مقولات مقبولة كأنها ازلية . فجاءت سرعة تقدم العلم والتقنيات بعد السنة ١٩٣٠ ، والصعوبة القصوى التي اتصف بها العمل العلمي ، تظهر ان نشاط العقل يبرز بشكل آخر مختلف جداً . وهو المنطقي « كافايس » من برهن ان العلم ليس مستقلاً عن موضوعه ، وان ليس هناك من عقلية مجرد ذاتها ، بل ان عقلية العلم قائمة في بنائه الاجمالي : ان نسبية العلم هذه انقضت من مخالفة الصواب اذ انها لم تأت من ضعف تركيبه ، بل من طبيعته الجدلية في جوهرها التي تجعله لا وجود له الا في الجهد الذي يبذله للسيطرة على موضوع حقيقي .

في هذا الافق الجدلي نفسه توجد فلسفة العلوم التي طلع بها « ج . باشلار » : انها تعطي تاريخ العلوم كل معناه ، لأن « العقل يتكون بتبصره في العالم » ولأننا نكتشف من خلال توسع الآراء العلمية شروط تطبيق الفكر على موضوع ما ، والاختفاء الواجب لتجنبها في المستقبل ، وتولد الافكار العلمية الراهنة . فلا عجب من ثم اذا ما طلب ج . باشلار الى العالم ان يمتلك كل ماضي العقل ، اي كل ماضي علمه ، وفي الوقت نفسه كل حاضر التقنية (والعقلية التطبيقية) (١٩٤٩) ، وهذا جديد كله : « المجهود العلمي ليس مجرد تأمل في الموضوع ، انه التحام بالمادة ، ومعرفة هذه المادة ممتعة الانفصال عن القدرة عليها . وهكذا يبرز مدلول جدلي للعلم هو

على ملتقى « عقلية تطبيقية » و « مادية متهذبة » ، يقابل بها باشلار المادية الفلسفية الغليظة (« المادية العقلية ») .

اذن هو مدلول الجدل ما يبدو جوهرياً في الفلسفة المعاصرة. وقد اتاح إحكامه بعلم الظواهر (خصوصاً بشكله الوجودي مع سارتر) خلال العقود المنصرمة استخدامه استخداماً شاملاً . اجل لا يعرف الانسان قط سوى فكره الخاص ، لا واقع الاشياء ، ولكنه يكتفي طوعاً بهذا التأكيد شرط الاعتراف بصحة تفكيره في بعض الظروف . « هو تضامن الانسان الفاعل والموضوع المادي ، وهو تضامن الفرد والمجتمع في الزمان والمكان ما يتيحان التبصر جدلياً في العلم وحياة الفرد في المجتمع » .

علم الاجتماع اما بصدد حجم الابحاث ، فهي مدرسة علم الاجتماع الاميركية لعمرى ما تفوقت تفوقاً كبيراً على سواها ، حتى في فرنسا حيث لا يزال مركز الدروس الاجتماعية مدينياً للأبحاث الاميركية. وتسيطر على هذه المدرسة مؤلفات « ر. بنديكت » ، و « م. ميد » ، و « ر. لندتون » الذين يقاومون الفكرة التطورية ، و « بيديريم ا. سوروكين » الذي يرى ان المجتمعات البشرية تنمو ، لا في اتجاه تقدم قد يكون تحسناً ، بل « بموجات ودورات نسقية » . ولكن اتجاه بعض ممثليها ، ممن يعتبرون المجتمعات مجرد آليات ، الى اقصار ابحاثهم على درس وقائع تفصيلية كثيرة وعلى « اختبار كاذب » بصرف النظر عن كل تفكير فلسفي ، وعلى التعبير عن « صورة الواقع هذه » بصيغ حسابية ، ينطوي على خطر الافضاء الى « مرض الاختبار » و « جنون الكم » الفارغين والعقيمين حقاً .

ارتبط علم الاجتماع الفرنسي منذ نشأته ارتباطاً وثيقاً بعلم الشعوب ، ونما تحت تأثير « مارسيل موس » وتلميذه « ليفي - شتراوس » باتجاه درس الهياكل الذي يعتبر ان التحليل البحث في علم الاجتماع لا يمكن ان يؤدي لاية نتيجة ، لأن كل عنصر لا مغزى له سوى في مجموع هو فيه ضروري وقابل للتغير بدالة كافة العناصر الاخرى .

ان لـ « كلود ليفي - شتراوس » الفيلسوف والعالم باصول الشعوب واخلاقها تأثيراً بتخطى جمهور مستمعيه في كلية فرنسا الى حد بعيد . فان مؤلفاته « دوائر الانقلاب الحزينة » ، و « الفكر البائر » ، و « النوى والمطبوع » ، و « الوثنية المعاصرة » ، وسواها ، قد جعلت الكثيرين يألّفون افكاره وأسلوبه . وبالفعل ، فتح علم الانسان التركيبي آفاقاً جديدة أمام العلوم البشرية التي اعطاها اسلوباً يخالف التحليل الجدلي على الطريقة الماركسية الذي يقول به سارتر ، وربما كان « ليفي - شتراوس » - في رأي « جان لاكروا » - آخذاً في بناء الفلسفة « الاسكتشر الحاداً عنيفاً في أيامنا هذه » .

بصورة عامة تسود علم الاجتماع المعاصر روحٌ نسبية شاملة : ليس بعد اليوم من تسلسل مجتمعات ، وليس من تفرق للبيض وحضارتهم . وتمنع فكرة الشخصية الاساسية التي ترافقها فكرة « التجميع الثقافي » فكرة تسلسل القيم أو التقدم التاريخي ، فكل مجتمع ينمو نمواً خاصاً به .

واذا حول المجتمع الغربي كل جهده المنطقي نحو العلم والتقنيات ، فقد حولته مجتمعات اخرى نحو الدين ، او النسب ، وأسست في هذه الحقول مذاهب معقدة جداً . لقد زال تعبير «المجتمع البدائي» من اللغة العلمية . فنحن هنا أمام توسع مفهوم الانسان ، ونشأة انسانية تعترف بسمو انسانية القيم الغربية عن الغرب . وهذا لعمرى حدث غريب وهام جداً في الوقت الذي يتجه فيه مثال الحضارة الغربي الى الانتشار في العالم كله والى قلب مجتمعات كاد الجمود يسيطر على تنظيمها منذ آلاف السنين رأساً على عقب .

تقدمت السيكلولوجيا نقداً هاماً في الحقل العملي بنوع خاص . فالطب
السيكلوجيا
والعلائق البشرية
النفساني الاميركي قد نوع طرائقه بغية تطبيقها على الاضطرابات العقلية المختلفة ، لاجئاً الى المزيد من الاختبارات والاستئلة الدقيقة .
ومن جهة ثانية اتجهت السيكلولوجيا المختبرية ، خصوصاً بعد السنة ١٩٣٠ ، نحو طرائق تقدير انفعالات الفرد النفسية ومساائل الترجية المهني . فقد استخدمت أولاً من قبل حكومة روزفلت في اطار « النهج الجديد » ، ثم من قبل المشاريع الكبرى التي وضعتها في خدمة تنظيم وسائل الانتاج ، الذي كان في الواقع تنظيم استثمار الانسان بالانسان والآلة . وبعد ان اثبتت اختبارات عدة ان تحسين الانتاجية هو دالة عوامل سيكلولوجية واخلاقية ، فبات لازماً ، لا تحسين ظروف العمل المادية فحسب ، بل الجو نفسه الذي تنمو فيه الحياة المهنية . هذا هو مذهب قياس الظواهر الاجتماعية لـ «العلائق البشرية» ، المنبثق عن الاختبارات الجبراة في السنة ١٩٢٧ في مصنع « كهرباء الغرب » في « هوثرن » - أحد احياء شيكاغو . وقد كان هذا المذهب منطلقاً لبحاث جامعية كثيرة حول «العلائق البشرية» في الصناعة ، وحول السيكلولوجيا الاجتماعية التطبيقية ، وحول دراسات سلوك فريق العمل والوكالات التي تقدم للمشاريع سيكلولوجيين اختصاصيين . وجر عجز رؤساء المصانع الكبرى عن معرفة من يستخدمونهم معرفة جيدة الى اعتماد تقنيات سيكلولوجية اخرى : اختبارات الشخصية : التوازن التأثري ، الصدق (بواسطة «بوليفراف» ، اي جهاز كشف الاذيب) ، النزاهة ، التي اضيفت الى الاختبارات الكلاسيكية المقتصرة على درس الحركات الانعكاسية لمراكز الحواس والدلائل الطبيعية على الكفاءة .

كان دور هؤلاء « المهندسين البشريين » الذين درسوا « حركات » الجماعات - بحسب روح سوركين - والسيكلولوجيا العمالية ، معرفة العمال شخصياً (حتى باسمائهم) ، وتوجيههم ، وكسب ثقتهم ؛ وكان على المسؤولين من جهتهم الابتعاد عن كل غطرسة او تصرف استبدادي ، وعلى « المعلم » ان يكون مرشداً . فالمطلوب هو حث المستخدم والعامل على الانتاج اكثر فاكثر وذلك باقناع المستخدمين والعمال بان المشروع يؤلف نظاماً اجتماعياً مترابط عناصره بعضها ببعض الآخر ، وبموت محبة المصنع في العامل بخلق روح التضامن ، والخدمات الاجتماعية ، وصحف المصانع التي تخلق روحاً جماعية ، وتنظيم المحاضرات ، والنوادي

والنشاطات المختلفة ، والمباريات الرياضية ، والاعبياد العائلية ، واستشارات العمال والمستخدمين في امر تنظيم العمل ، ومراعاة حق الأقدمية في المؤسسة مراعاة كبرى . ويجب ان يؤدي زوال الاستبداد الى اثار الانطباع في العامل بان كرامته محترمة وفضله معترف به .

في الواقع ، وجد اختصاصيو درس الانفعالات السيكولوجية ، وهم رجال بحث علمي ومستشارون صناعيون للإدارة التي تتيبهم في وقت واحد ، في وضع مشتبه قليل من سلطتهم وتأثيرهم . فان التدابير المتخذة بناء لمبادئهم بدت للعمال وكأنها بوادر مذهب « ابوة سيكولوجية » ، واعتبرت « احساناً ممنوحاً مفروضاً » ، لا اعترافاً بـ « حق » ؛ وقد نظر اليها المستخدمون والعمال بحذر لانها تستهدف ، في رأيهم ، ابعادهم عن منظماتهم السياسية الخاصة وعن نقاباتهم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان تقنيات الاستقصاء السيكولوجية الاجتماعية قد اعتبرت جاسوسية تشجع الوشاية والرياء ، وتستهدف القضاء على حركات المطالبة بالحقوق وابقاء العامل في حالة خضوع دائم .

في هذا الحقل توزعت الطاقات توزعاً جديداً . فان مدرسة باريس قد عرفت البقاء ، ولكن النهضة لم تحدث على غرارها عشية الحرب العالمية الاولى . ولم تعد باريس المركز الوحيد لاجتذاب الفنانين الشبان . وفي هذا الحقل كما في غيره برزت قوة الولايات المتحدة الجديدة . ومما جعلها تزاحم باريس مزاحة ظافرة توزيع المنح التعليمية (على الاجانب والمواطنين الاميركيين على السواء) . فقد فازع متحف الفن المصري في نيويورك متحف باريس باكورة المعارض الكبرى . واذا ما احسنت اميركا منذئذ وفادة الفنانين والكتاب ، فانها حرصت كذلك على تهذيب شخصيتها الخاصة ؛ فقد اصبح هنالك سوق داخلية على بعض الامة وعزة وطنية جعلتا اثرياء الاميركيين والمتاحف يؤثرون شراء اللوحات المعاصرة الاميركية .

من جهة اخرى ، وسعت الحياة الفكرية والفنية آفاقها توسيعاً عظيماً . فقد اخذت البلدان السكندنافية والشرق الاقصى واميركا الجنوبية توفى قسطها للشؤون الثقافية ، لا باهتمامها بالفن والادب في الغرب التقليدي بل باسهامها في هذين الحقلين اسهاماً خاصاً ، يزداد . وبالمقابلة بحثت فرنسا والولايات المتحدة في الشرق الاقصى عن تقنيات ومصطلحات من شأنها تجديد تقنياتها ومصطلحاتها او توسيع حقل بحثها .

علم الفنان ، شأن الكاتب ، بأنه يدخل حضارة جديدة لا يمكن ان يعتمد الانسان فيها الا على نفسه . واذا ما زال الملحن والرسام والمقاش يعيشون من ثورة اوائل القرن (التي قادت ، فيما يعني الموسيقى ، حق في العشرينيات بفضل ابتكار التقنية التوافقية) ، فان البحث ما زال متواصلاً بنشاط . فكل شكل من اشكال الفن بحث عن لغته الخاصة وتحرر من كل شاغل ادبي . وقد شوهدت تصفية عامة للمذهب التعبيري (اقله في الجيل الذي بلغ سن الرشد في السنة ١٩٤٥) وفتح الفن التجريدي . فلا مبرر بعد اليوم لأن يفرغ الفنان نفسه في قوالب صنعها

الآخرون اذ انه لم يعد ليرى في السلم الموسيقية او في الموضوع الطبيعي المطلوب منه تمثيله سوى مصطلح من جملة المصطلحات ؛ فالمتوالية التوافقية ليست اقل « طبيعية » من السلم الموسيقية ، والموضوع الطبيعي ليس اقل تحكما من اي ابتكار تصويري . فالتصميم على عدم التشكيل في الفن التصويري وعلى كتابة المتوالية التوافقية في الموسيقى ، « لرغبة في اعطاء شكل لما هو دون اي شكل وتحديد وجود شيء جديد كلياً » . والتعبير عن تأثر خاص بالفنان يُدخل بعض الذاتية والسينكولوجية مما في الحقل الجمالي ، كما يقضي على استقلاله وشموله ، فيجب من ثم المزوف عنه . وليس المقصود بعد اليوم ذاك الجمال « الخالص » والخلو من الروح ، الذي نادى به سترافنسكي وفاليري في العشرينيات ، بل جمالاً يكون اشبه « ببيئة » يحتاج اليها الانسان كما يحتاج الى الهواء الذي يتنشق .

هذا هو نقيض علم سنن الجمال التقليدي ؛ وفي الوقت نفسه ، توسع البحث ألفي توسعاً كبيراً واصبح نسق تطوره اكثر سرعة بفعل المواد الجديدة التي توفرها الصناعة المعاصرة دون انقطاع . ويلبس هذا الاسهام خصوصاً في حقل النقاشة حيث جارت المادة البلاستيكية الجديد والحجر والاسمنت ... ، وفي حقل الموسيقى حيث جاء العلم الالكتروني يحدد امكانيات الفرق الموسيقية والآلات الموسيقية .

نادراً ما ينحصر الفنانون في تقنية خاصة ؛ فالرسام قد يكون نقاشاً
الفنون التصويرية
كـ « ارب » و « بفسنر » وقد يمارس فن صناعة الخزفيات كما فعل بيكاسو في « فالوريس » او يمارس فن جمع القطع الزجاجية على الطريقة القديمة كـ « ليبييه » ، او فن صناعة المديجات كـ « لورسا » ... وبالمقابلة قد يصبح مهندس المهارة رساماً (له كوربوزيه) او نقاشاً (الهنقاري « ا. بيوتي » ، والاسباني « ادواردو شيليدا ») ؛ وأن في تنوع حقول نشاطهم لدليل ، لا على همق وحدة المسائل ، وروح البعث التي تحرك الفنانين فعسب ، بل على اهتمامهم بالتوفيق التام بين الانتاج والمسكن البشري وبخلق ، اطار يتجاوب ويتكامل فيه التفصيل التزييني واللوحة والخط الهندسي .

عبر عن الرسم التجريدي في فرنسا ، منذ السنة ١٩٤٦ ، في « صالة الوقائع الجديدة » (حيث نجد مرة اخرى « هربين » ، و « بفسنر » ، و « ارب » و « غليز » و « دل مارل ») ؛ وفي السنة ١٩٥٤ ، فتحت اول صالة للنقاشة التجريدية التي ضمت اناساً مختلفين بقومياتهم ومنتجاتهم الفنية ، من امثال الامير كين « كالدرو » و « داي شابل » ، والدانماركي « روبرت جاكوبسن » والاسباني شيليدا ، والاطالي « فرانشينا » ، الى جانب « ارب » و « بيوتي » و « اندريه بلوك » و « ن. شوفر » و « جيلولي » و « ستاهلي » .. وعشية الحرب كادت النزعة « الهندسية » وحدها تقريباً ان تكون ممثلة على هذه الصورة ؛ ولكن وفرة المنتجات والنجاح الذي صادفه ، على غير انتظار ، هذا الشكل التجريدي الذي بلغ عهده الكلاسيكي ، منذ « كاندنسكي » و « لارپولوف » و « ديلاوتاني » و « جومندريان » في الرسم ، و « برانكوزي » و « غونزاليس » في النقاشة ، قد

تركا انطباع تمسك مفرط بالشكليات يراعى وكأنه تله بالمح ؛ ولذلك تحول الجيل الطالع نحو دروس الواقعية المفرطة ، فبرز تفتيح نزعة واقعية مفرطة تجريدية (« بولياكوف » ، « ديرويل » ...) « قد تبدو ، بازديادها ، اقله ظاهريا ، بالتركيب والشكل المحدد تحديداً واضحا (البقية) وكأنها عودة الى مادة بسيطة جداً و اقل ما تكون اعداداً وروحانية ، واستوحى بعض الاميركيين ، ولا سيما « طوبي » و « طوملن » و « كلين » و « الكوبلي » و « ستاموس » ، « السنخ » ، وبعض الفرنسيين ايضا من امثال « هارتونج » و « بوت » و « ماتيو » و « سولاج » و « شنايدر » ، الخط الصيني او الياباني في الشرق الاقصى . اضاف الى ذلك ان الاتصالات تعددت بين الخطاطين اليابانيين والرسميين الغربيين (في السنة ١٩٤٥ ، عرض منتجات الخطاطين اليابانيين المصريين في متحف الفن المصري في نيويورك ، عقبه عرض مماثل في متحف الفن المصري في باريس) .

اثارت هذه النزعات ردة فعل واقعية : عمم « بازين » (تعليقات على الرسم المعاصر) فكرة التجريد ، فأبان ان كل رسم تجريدي من حيث انه لا ينقل موضوعه بل « يستخدمه كنقطة انطلاق للابداع التصويري » . فلا مبرر من ثم لان ينحصر في ما هو غير تشيلي : بمقدوره انتقاء مواضيعه حيث يحدها . ويحيز بازين لنفسه ، استناداً الى هذه الملاحظة ، ان لا يبقى واقعياً ، على نقيض « سنجيه » و « مانسييه » و « بينيون » و « استيف » و « لايك » و « له مول » . وقد استهدف هؤلاء الاخرون التعبير لا عن الشعور فحسب بل خصوصاً عن التأثير الذي يتركه الشعور ، فأفضى بهم هذا الاهتمام بالتعبير الى تشويه الموضوع والاستغناء عن الكثير من مظاهره بحيث يفقد هويته .

يبدو ان الجدة الهامة في هذا النصف الثاني من القرن العشرين هي ولادة « فن الابداع عن الشكل » الذي انما هو « فن تعبير داخلي ووحى » يغوص مباشرة في اعماق الوجود ويبرز المسوخ والاشباح واختراعات الخيلة المعجبية ، بكل حرية وحتى بسخرية من اشكال التعبير السابقة . وكان تأثير بولوك و هارتونج كبيراً جداً على هذا الاتجاه المصاحب الذي سلكه « فوترييه » و « وولز » وخصوصاً « جان ديبيوفيه » .

ان تقنية المتواليات التوافقية التي ابتكرها « شونبرغ » لم تأخذ بالانتشار الواسع بين الملحنين الشبان الا بعد السنة ١٩٤٥ . فقد وفرت دليل المقام للخط الموسيقي ، واصبحت من ثم الالحان التوافقية الاثنتا عشرة القاعدة الاساسية للابحاث في الخط الموسيقي واجتذبت الملحنين الشبان الجسارين ، طلاب معهد الموسيقى في باريس و « ماسيان » و « ليبوفيتز » . الا ان الموسيقى التجريدية التي ابتكرها الفرنسيون « بيار بوليز » و « موريس له رو » و « اندريه هودير » ، والبلجيكي « هنري بوسور » ، والالمانى « ستوكهوزن » ، لم تصادف النجاح نفسه الذي صادفه التجريد التصويري . ويجب ايضاً ان تؤخذ بعين الاعتبار الصعوبات التقنية التي يتوجب على الملحن تذليلها عند كل خطوة في هذا الحقل الجديد ، والتي تجعل من

التمهين التوافقي نظاماً شاقاً غير مضمون النجاح . فالمؤلفات هي بعد اليوم من صعوبة الاداء بحيث تتراجع الفرق الموسيقية امام عدد التمارين الضرورية ، باستثناء فرقة اذاعة مونيخ للمؤلفات السمفونية وفرقة اذاعة باريس حيث 'تحيا بعض الحفلات الموسيقية . وباتت الظروف من ثم غير ملائمة لانتشار موسيقى مستعصبة لا يتعودها الحس في وقت قصير .

بانتظار تحقق الثورة الموسيقية التي تعدها مؤلفات «ابله» و «ايمرت» في «بون» و «كولونيا» بواسطة الموسيقى الالكترونية ، تبدو الالحان التوافقية الاثنتا عشرة الآن وكأنها اغنى مذهب موسيقي بمكانات المستقبل ، وانما يجب الاعتراف بأنها مجرد اصطلاح . فلا عجب والحالة هذه اذا ما اثارت اعتقادية الملحنين الشبان ، ثم اعتقادية المدرسة التقدمية (التي تستوحى « الواقعية الاجتماعية ») ، منذ السنة ١٩٤٧ ، مقاومة عدد ضئيل من الملحنين الذين يؤلفون فريق « الزودياك » . وهذه الصفة يتميز الفريق (موريس اوهانا ، ستانسلاس سكروفلشفسكي ، سرجيو دي كاسترو) في الدرجة الاولى برفض المدارس والمذاهب وبتصميم على الاستقلال التام . في حقل موسيقى الجاز ، شوهد اثناء العمليات الحربية ما يشبه العودة الى اسلوب «اورليان الجديدة» مع ارمسترونغ و « سيدني بيشيه » ، وانما ظهرت في آخر الحرب اشكال تحيي لغة الجاز او قد تستطيع على الاقل احياها : اسلوب « بي - بوب » اولاً الذي اشهره جلبي وباركر ، ثم الاسلوب « البارد » ، في عهد متأخر .

استفادت السينما ، اكثر من اي شكل آخر للتعبير الفني ، من السينما بعد الحرب . تقدمت التقنية ، وارتدت طابع حضارة الجماهير التي تميز العصر . وقد اتجهت نحو اعطاء المشاهد صورة اقرب الى واقع الابعاد الثلاثة بواسطة «السينما البارزة» ، اما بتحقيق صورة مجسدية ، واما بالشاشة البانورامية (سينرما ١٩٥٢) ، سينماسكوب (١٩٥٣) ، وبالسينما الملونة التي تحققت بفضل طرائق مختلفة (تكنيكولور ، اخفاكولور ، سوفكولور ، روكولور ، النخ .) . ولكن الحدث الاساسي كان ، في الدرجة الاولى ، ظهور المدارس الوطنية ، ولا سيما في البلدان التي استيقظ فيها الوعي القومي والتي فازت بالاستقلال وحرية التعبير . فمنذ السنة ١٩٤٥ ، انبعثت سينما ايطالية است « واقعيتها الجديدة » مدرسة في العالم كله ، بينما اخذت دول اوروبا الوسطى ، بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا ، تلتج افلاماً قومية معدة لارضاء رغائب زين يتزايد عددهم تزايداً مطرداً . وليس بعد اليوم سوى افريقيا - باستثناء مصر التي توزع الافلام على الشرق الادنى - وزنوج اميركا (اذ ان البيض يشرفون على انتاج الافلام « الزنجية ») من هو محروم من التعبير السينمائي . وهي السينما اليابانية بصورة خاصة ما حققت اسرع تقدم في كية (٣٥٠ فيلماً في السنة ١٩٥٤) ولوعية انتاجها . فبينما اخذت الاتحادات الخمسة الكبرى ، التي تشرف على معظم مراكز التصوير السينمائي وصلات السينما ، تكاثر من انتاج الافلام التجارية ، والافلام السامورائية المنتحلة التاريخ (على ان بعضها من الدرجة الاولى « راشومون » ، « باب الجحيم » ،

« الساموراي السبعة ») ، اتاحت احدى المنظمات التعاونية ، بفضل مساعدة النقابات وعطف الجمهور ، لبعض المنتجين من امثال « كينوشيتا » و « كوروساوا » ، انتاج افلام تتميز بالواقعية الجديدة (« اوكاسان » ، « ابناء هيروشيما » ، « كزهرة الحقول » ، « لو علمت الطيور ... ») . احتلت المرتبة الاولى في العالم . وبعد الهند ، التي تستطيع انتاج ٣٠٠ فيلم في السنة (كلكوتا المدينة الطاغية ، اباراجيتو ، باتر بنشالي ، ...) ، والصين منذ السنة ١٩٤٩ ، وتركيا (٥٠ فيلماً في السنة) ، اخذت ايران وباكستان وسيلان واندونيسيا وتايلاند وبورما قفلة بعض الافلام . وفي اميركا اللاتينية ، تحتل المركز الاول السينما المكسيكية التي تسيطر على العالم الاسباني بفضل المخرج السينمائي لويس بونويل ، وممثلين موهوبين من امثال بدرو ارماندارين (ماريا كندالاريا ، ١٩٤٢ ، لوس اولفيدادوس ، ١٩٥٠ ، فيريديانا ، ١٩٦١) ، ولكن السينما الارгентينية والسينما البرازيلية الناشئتين اخذاً تلتجان افلاماً طريفة .

نجم عن ذلك تراجع السينما الهوليوودية بالرغم من قدرتها المالية التي جعلت اتحاد « ارثور رانك » البريطاني الكبير تحت سلطتها المطلقة ، والفوائد المالية التي وافقت لها عليها بعض البلدان (اتفاقات « بلوم - بيرنز » في السنة ١٩٤٦) . وزاد في خطورة هذا التراجع المخططات فني يرد اما الى نظام « مطاردة الساحرات » الذي ابعده عن اميركا او حرم من العمل بعض المخرجين والفنانين المجهدين من امثال « تشارلي تشابلن » الذي انتج « لايملايت » في اوروبا (١٩٥٢) ، واما الى انتشار التلفزة . فيبدو ان المرتبة الاولى في انتاج الفيلم ، التي استأثرت بها هوليوود منذ السنة ١٩٠٨ ، تنتقل شيئاً فشيئاً الى اليابان التي تتبعها عن كثب السينما الهندية والسينما الصينية (٢٠٠ فيلم في هونغ - كونغ وحدها) ؛ وتأتي بعد ذلك السينما الايطالية (١٤٠ فيلماً) والسينما الفرنسية (١٠٠ فيلم في السنة ١٩٥٥) . وفي اوروبا كانت السينما الايطالية المنتصرة الكبرى في فترة ما بعد الحرب بفضل مخرجيها « روبرتو روسيني » و « فيتوريو دي سیکا » و « لوتشينو فسكوني » و « فديريكو فليني » و « ميكيلنجلو انطونوني » . اما السينما الفرنسية التي حافظت اثناء الاحتلال ، وفي ظروف صعبة ، على انتاج يتصف بخير نوعية (« زوار المساء » ، « العودة الدائمة » ، « بونكارال » ، « الغراب » . . .) ، فقد استطاعت مقاومة سيل الافلام الاميركية بفضل افلام ذات قيمة كبرى (« السكوت من ذهب » ، « ابواب الليل » ، « رصيف الصاغة » ، « أحق الحق ») تعالج المسائل الاجتماعية : عقوبة الاعدام ، اجرام الشبان ، مآسي الحياة اليومية .

بين المخرجين البارزين في السنوات الاخيرة ، من امثال « باردم » الاسباني (« اهلا وسهلا يا سيد مارشال » ، « موت راكب دراجة هوائية ») ، و « فاجدا » البولوني (« قنار » ، « رماد وماس ») ، و بوندارتشوك الروسي (« حين يمر الملقى » ، ١٩٥٨) يمكن الجزم بأن الاسوجي انغمار برغم من ، الى جانب فلميني (« عذوبة الحياة » ، ١٩٦٠) ، قد برهن في ما اخرجها (« بسماط ليلة صيف » ، ١٩٥٦ ، « الخاتم السابع » ، ١٩٥٧ ، « على عتبة الحياة » ، ١٩٥٨ ، « ثمر التوت الافرنجي »

البري، ١٩٥٩) هو اقوى واغرب شخصية وانه يعبر بمزيد من النبوغ والقوة عن قلق العالم الحاضر و«شؤم» الحياة . وفي فرنسا ظهرت في السنة ١٩٥٨ ، الى جانب كلير و كلوزو و «بكر» و بشون و كليمان و تاتي، موجة جديدة باللغة الاختلاط برز فيها ، الى جانب كلود شابرول ، فرنسوا تروفو ، وآلان روسنيه (هروشيا حبيبي ، ١٩٥٩ ، وخصوصا « السنة المنصرمة في مارينباد ، الذي هو خير فيلم تجديدي في ايامنا) ، ومارسل كامو (اله الموسيقى الزنجي ، ١٩٥٩) .

في فرنسا ، كان تأثير القصة الاميركية في الثلاثينيات عظيما جداً .
القصة في فرنسا اما ما اكتشفه الجمهور فيها ، من خلال الطرائق التقنية الجديدة ، فهو الرؤيا الخيالية المطبقة على العالم الذي يعيش فيه : صورة يذوب فيها الفرد في الواقع الاجتماعي ، تحركها حياة نابضة ، يزداد نسقها بفعل التطورات المادية . واكتشف فيها كذلك مثالا جديداً للموضوعية ، لا موضوعية القرن التاسع عشر الصناعية ، بل تلك المنبثقة عن عالم زالت منه كل قيمة سامية وكل مركز اسناد مطلق .

يبرز هذا التأثير في مؤلفات سارتر منذ السنة ١٩٤٥ . فهو في « طرق الحرة » (١٩٤٥) يتخلى عن وجهة نظر الضمير الفردي ، الذي اكتفى به حتى هذا التاريخ ، بغية ايقافنا ، بشكل خيالي ، على كيفية نظره الى التاريخ المعاصر . ومنذئذ حوّل نظره الى الواقع الاجتماعي ، ولكن ميوله اليسارية تركته في موقف المناادي بالحرية الذي يرى في تطرف هذه الجهة وتلك شططاً يجب تجنبه . ولم يؤمن بحل جذري ونهائي للمسائل المعلقة ، وانما شددت مؤلفاته آنذاك على نسبية كل عمل انساني (الايدي القدرة ، ١٩٤٨) ، وتجده الدائم ، دون تقدم يذكر ، بسبب جاذبية الحتميات الاقتصادية والاجتماعية (اتفاق الظروف الصعبة ، ١٩٤٦) . اما كامو فقد حاول ، بعيد الحرب ، ان يلقي الناس علماً اخلاقياً جديداً : لا ريب في ان العالم والحياة البشرية محالان (الغريب ، اسطورة سيزيف ، ١٩٤٢) ، وانما يمكننا الاعتقاد بعدد ضئيل من القيم ، كالوضوح والصدق اللذين يجعلان هذه الحياة الهشة ممكنة ومقبولة (الطاعون ، ١٩٤٧) . ويبدو الانسان مثقلاً بمصير لا يتحكم به ولن يتحكم به البتة ، ولكن له القدرة على رفض هذا المصير ، والثورة على الظلم والكذب ، وهي قيم يستمر واقعهما حين يزول تبريرها بحسب علم المعقولات .

ولكن مفهوم العالم هذا ، الخالي من التعزية ، الذي يقترحه علينا الكتاب عشية الحرب ، ما زال جميلاً جداً ؛ فهو ما يزال يفترض وحدة البشر حول قيم اساسية . ولكن الحرب الباردة قضت على هذا الوهم الخادع الاخير اذ ان المفردات التي تعبر عن القيم اختلفت منذئذ معانيها باختلاف المعسكر الذي تنتمي اليه . ولذلك فان تأثير كامو ، الذي كان كبيراً جداً في اعقاب الحرب ، قد تدنى بسرعة كلية . فعدل عن مقاومة فساد العالم ، وبانت رسالته سلبية تماماً : ليس للانسان بعد ذلك سوى رفضه الوضع الراهن (الانسان الثائر ، ١٩٥١) ، وليس بوسعه

سوى المجاهرة بشورته ما دام كل عمل مشوباً بالفساد . وكانت هذه كذلك رسالة انويل الذي كان موضوعه الوحيد المطالبة بحرية لا هدف لها (انليغون) .

يضاف الى ذلك ان سارتر ، تحت تأثير الاحداث ، قد تخلّى عن أسلوبه في المؤلفات التي اصدرها في اعقاب الحرب . فقد كانت مقاومته للحرب ، التي ادخلته الصراع الايديولوجي تدريجياً ، اشدّ إلحاحاً من مذهب اخلاقي او أسلوب ادبي . لذلك قل انتاجه الادبي (الشيطان والله) كلما عالج المسائل السياسية ، فانطلق سارتر من تحقيقه اليأس لعدم جدواه ، وانقذ الانسان من عزلته ... بحمله على العمل .

عرفت القصة السيكولوجية البقاء مع ذلك ، ولكنها غالباً ما اصبحت نقدية او هجائية ، متباهية باحتقارها القيم الاخلاقية او مبيدة بالاحرى انها غير موجودة بالنسبة لاي شخص (مارسيل ايمه) . وبلغ من عدم اهتمام الروائي بالواقع الاجتماعي انه لم يتردد في الانتقال الى عالم خيالي تماماً . وتناول الوصف المحبة بكافة اشكالها وانحرافات وافرطاتها ؛ وغالباً ما يكون البطل لواطياً ، رغبة من الكتاب في الاستمراء بالانظمة القائمة . ولكن شتان ما بين هذا الجو وجو التعشير الذي اكتنف اعتراف « جيد » في العشرينيات : فليس المقصود بعد اليوم الاستسلام للفجور والطيش لان الحرب قد انتهت . فلم ينبثق ادب هذه الايام من ردة فعل لسنوات الحرب القاسية فحسب ، بل من طرح مسألة الحالة الانسانية طرْحاً جديداً ؛ لا بل ليس المجتمع بعد اليوم ما يثير المسألة ، بل الانسان الملقى في الكون دون ان يدرك سبباً لذلك ، والمستعد اكثر من اي يوم مضى للاعتقاد بان ليس هنالك من سبب . ولذلك فان القصصيين المعاصرين يصفون عالماً محالاً لا قيم فيه .

لا يختلف الجيل الادبي الطالع بهذا الصدد عن الاجيال السابقة ، ولكنه ، على نقيضها ، ينحرف عن « التاريخ » وعن النزاعات الحقيقية التي تمزق البشر او تثير الاختلاف فيما بينهم . هذه هي « مدرسة مقاومة القصة » التي لا تكثر بالسيكولوجيا والحياة الداخلية وترفض الحياة في الحاضر . اما مقصدها فهو وصف عالم حيادي ، او « واقع مادي بحصر المعنى » خلو من مغزاه التاريخي ، او عوالم صغيرة مقفلة « منفصلة عن كون ليس الزمان ولا الحركة التاريخي تأثير عليه ويكاد الانسان يكون غائباً عنه » . هذه هي الملامح المشتركة بين كتّاب يختلفون اختلافاً بيناً من جهة اخرى : « آلان روب - غرييه » الذي يبدو وكأنه مقدم الصف ، فاطلي ساروت ، مرغريت دورا ، ميشيل بوتور ، كلود اولييه ... ونجد رفض الدسياسة نفسه والتصميم على بناء مسرح عار و طاهر في تمثيلات « يونسكو » (بانتظار غودو ، الكراسي ، المغنية الصلدة الراس ، وحيد القرن) ، و صموئيل بكت (وهو قصصي ايضاً) ، وأداموف .

في الولايات المتحدة ايضاً اختلفت حال الكتاب عنها في العشرينيات .

القصة الاميركية

وليس المقصود بذلك انه فاز باجتناب مزيد من القراء ، ولكنه كان

مشغل الفكر بجو الانقياد المحيط به ، فسر ابطال الثورة القدامى انفسهم (همنغواي ، دوس

باسوس ، ستاينليك) في النهاية بان يعيشوا في مجتمع يجعل حياتهم مريحة . وقد تأثرت مؤلفاتهم بهذا المناخ الجديد ، وانحنى باخلاص امام غريزة الحياة الاجتماعية المتجلية في كل مكان . ولكن الشبان يبعثون الينا مع ذلك ، من بلادهم او من بلاد المنفى التي اختاروها ، بصورة عالم او جيل اعنى تأثراً الى حد بعيد منها في العشرينيات . فالذين اشتركوا في الحرب كان اختبار الحرب قاسياً عليهم : الظلم ، وعدم جدوى التضحيات ، هي الذكريات التي احتفظوا بها عنها . اما اوروبا التي اكتشفوا فيها حضارة اوسع حرية على صعيد الاخلاق وصعيد الافكار فقد اخذت روحهم المحافظة وجعلتهم يستشفون امكانية التحرر من المحرمات الجنسية والعنصرية ، ولكنهم ، على الرغم من اعجابهم بها ، قد احتقروها ورفضوها . وقد خضع بعضهم (بورتز ، بولز ...) لجاذب ايطاليا وافريقيا الشمالية ، رغبة منهم في البحث عن اختبارات جديدة ، ولكن حياة بطلهم تنتهي بالفشل او بالموت الناجم عن شتى الافراطات . وتبرز خيبة الامل نفسها عند رسامي الارستوقراطية الاميركية التي لم تبحث عن علاج في المنفى والتي يسيطر عليها الخوف من الحرب والشيوعية والازمة الاقتصادية ؛ وانقلب الشبان على جيل الابهاء الذين لم يعدوا الاعداد الحسن للحياة في العالم المعاصر . وتبجل في هذه القصص سيكولوجيا معقدة ورقيقة تنم عن التحليل النفسي بالاضافة الى تأثير هنري جاكس وسكوت فترجرالد . فهي تنم عن الميل للكحول والانتحار ، وعن تسلط الحياة الجنسية الذي يتضح بوفرة الرموز الجنسية نفسها كما عند المنفيين (جون فيلبس ، فردريك بوشنر ، وليم ستايرون) ، وعن فلسفة الفشل نفسها والمعجز عن امساك الانسان بزمام حياته وانتهاج علم اخلاقي والسير وراء هدف (جون كلي) .

بيد ان الشمال والجنوب مازالا مختلفين ومتناقضين ، الشمال صناعي ومدني ، والجنوب نزوع الى الاحلام التي تغمر بالشعر اكثر الكائنات حرماناً وكافة القباحات . ولكن الشمال تخلى عن القصة الاجتماعية التي انتشرت في الثلاثينيات وعن جو الثورة الذي رضي عنه . فقد اقتصرت واقعيته الآن على وصف الزوايا المظلمة في المدن الكبرى ، كنيويورك وشيكاغو حيث تتماثل اقلية عنصرية ، بولونية (نلسون الغرف) ، او يهودية (شاوول بلو) ، تسهم في ما تنطوي عليه الحياة الاميركية من تشويش وفوضى . وقد تكلم بعضهم في هذا الصدد عن انبعاث قصص المغامرات : مزيد من المغامرات غير المألوفة ، ابطال عاطفيون لا دين ولا شريعة لهم ، السجن والبيت المقفل لبيئة اعتيادية ، والملاكمة كرياضة مفضلة . وميل طبيعي الى المشاجرة والجريمة التي لا تخضع لاي حكم ادبي . وفي المسرح ابرز المؤلفون - واشهرهم ادوارد الببي (من يخشى فرجينيا وولف ؟ ١٩٦٣) - انعدام مغزى العالم بتشديد على بعض الملامح الاميركية المميزة .

في فترة ما بعد الحرب برز في ايطاليا ادب حالت الدكتاتورية
القصة الإيطالية
الموسولينية دون ظهوره ، وكانت في الوقت نفسه مصدر وحيه :
نقد عنيف للنظام ورسم واقعي وبؤس البلاد . وانتفض هذا الادب كذلك ، تحت تأثير بيارو

غوبتي وانطونيو غرافشي ، ضحيتي الفاشستية ، الاول فيلسوف سياسة تقديمية والثاني فيلسوف ماركسي مبدع قوي ، على دكتاتورية حنادية كروتشي الذي خلط ووفق بين التعابير المتناقضة بدلاً من ان يتخطاها ، فأفصى به الامر الى فجور حقيقي « يبرر اكثر الشرور جلاء باسم غايات التاريخ البعيدة الغور » كما برر التفاسل اللاهوتي الزلزال الذي ضرب لشبونة بأن الغاية منه تكوين عالم افضل . و امام « فلسفة الامر الواقع هذه ... او الحتمية التاريخية التي تبرر وتقديس كافة الاحداث » ، بحث العديد من الكتاب الايطاليين في الماركسية عن درس واقعي ، او عن وسيلة لتمكين البشر من التحكم بتاريخهم . ويغلب على الظن ان هذا ما يفسر اهتمام هذا الادب الجديد بالمسائل الاجتماعية . فان هؤلاء الكتاب الذين اشتركوا كلهم اشتراكاً فعلياً في مقاومة الفاشستية قد استوحوا مشهد الوقائع الاجتماعية ، وبؤس المساكين والظلم الذي تعرضوا له ، بيدنا هم وصفوا فساد البورجوازية ودونيتها يحفاء وقساوة . وقد ارتبطوا في عملهم ارتباطاً وثيقاً بفنساني السينما والمخرجين (زافاتيني وفيتوريو دي سيكا) ، فاقترضوا في اغلب الاحيان تقنياتها : مشاهد متعددة ، صور آنية مثيرة تعرض على التوالي دون تلاحم يذكر . وان هذه الواقعية الجديدة التي تبرز في الافلام الكبرى كـ « شوشيا » و « سارق الدراجات » و « معجزة في ميلانو » ، هي كذلك واقعية قصص كارلو ليفي (توقف المسيح في ايبولي) وايليو فيتوريني (حديث في صقليا ، ١٩٣٨ ، السملون يطرف بعينه للفريجوس ، ١٩٥٠) ، اللذين يعيدان الى الذاكرة فظاعة بؤس الفلاح الصقلي ومأساة الجوع في العائلات العمالية ، وقصص شيزاريه زافاتيني ، وانياسيو سيلوني الذي كتب القسم الاكبر من مؤلفاته في سويسرا حيث اختار له مقاماً ، وفاسكو براتوليني الذي استعمل في « يوميات العشاق المساكين » طرائق مدرسة التعبير الاجتماعي الفرنسية في وصف الحياة يوماً بعد يوم في احد شوارع فلورنسا ، والذي وصف في « بطل معاصر » (١٩٤٨) ، على غرار سيلفيو ميشيلي (الحبز الجاف ، ١٩٤٥) و كارلو كوشيو (الامل العسير ، ١٩٤٧) صراع الانصار في المقاومة وفي اعقاب الحرب . ومع هذا الاخير ، من جهة ثانية ، ومع غولييلمو بترولي (العالم سجن) ، وشيزاريه بافيزيه ، والبرتو مورافيا ، والامير دي لمبدوزا ، تعود القصة السيكلولوجية الى الظهور وتصف عالماً وثني الاخلاق بطبيعته متمسكاً بأهداب الايمان التقليدي .

انكلترا ومحاولات التجديد
في البلدان الانكلوساكسونية

ان فترة ما بعد الحرب لم تحدث فيها نهضة فكرية شبيهة بها في فرنسا وايطاليا . ففي الثلاثينيات كان الادب الانكليزي « مجتهداً » وعبر بروح متساهلة على بعض العمالية عن قلق عهد شاهد ، باضطراب وعجز ، نشأة النازية وتحقيقاتها ، والحرب الاهلية الاسبانية ، والعدوان الايطالي على اثيوبيا ، والازمة الكبرى والبطالة . اما الجيل الطالع الذي حارب في الشرقين الادنى والاقصى ، وفي افريقيا الشمالية واوروبا ، فقد انثنى عن المسائل الراهنة ؛ واذا ما قورن بالجيل الذي تآلق ما بين الحربين ، فانه يبدو على بعض الإعتماد ويحافظ من جهة ثانية على التقليد

الطبيعي بحصر المعنى : فمع جورج اورول وانغوس ولسون ، بقيت القصة وفيمة للتقليد الكلاسيكي في القصة الفكتورية ، وخفيت عليها محاولات تجديد الالوان والمواضيع في البلدان الاخرى . ولم يشذ عن القاعدة سوى المؤلفين المسرحيين : ت. س. اليوت وجون وايتنغ ، ولا سيما لورنس دورل (جوستين ، بلشصر ، كليا) . فان فنه في سرد القصة على مراحل متعاقبة تبرز في النهاية ، بشكل مؤثر في النفس ، اللوحة التي يرسمها لمجتمع متحرك ومتلون جداً ، يضعه في المرتبة الاولى بين القصصيين البريطانيين .

الا ان جيلاً غير متلاحم ومختلف العادات من الكتاب قد ظهر في البلدان الانكلوساكسونية : « الشبان الساخطون » البريطانيون و« الجيل الضارب » في سان فرانسيسكو الذين جمعت بينهم الثورة على النظام القائم والمحرمات الجنسية والرثاء البورجوازي والتمثل الاجتماعي والاخلاقي . فقد دفعهم مقاومتهم لمجتمع لا يعرفون ولا يستطيعون الانصهار فيه الى الاكثار من الانكارات والتحديات : ارتداء ثياب غير لائقة ، فظاظه ، حياة تشرد ، عدم احترام للمرأة التي المحصر تقديرها باهليتها او عدم اهليتها لـ « فراش » ، عدا للثقافة الجامعية المتمسكة بالشكليات وغير المطابقة للحياة ، وحق لكل ثقافة . وانضاف الى هذا الاعجاب المعكوس ، الذي صدر احياناً عن سابقهم ، عدم اكتراث تام بكل عمل سياتي او اجتماعي . فهم ضد « اكاذيب المحافظين ووعود الاثراكيين الكاذبة » . ولم يكن عداؤهم للطبقات الحاكمة مبذياً من ثم على وعي طبقي ، او حتى على مفهوم مقبول للعالم ، بل كان حلاً شخصياً بحثوا عنه لمواجهة صعوباتهم ، بحث بعضهم عنه في الاختطاف الصوفي الذي بلغوه بواسطة العقاقير ، والبعض في ايدولوجية دينية طُلبت في آسيا ، والبعض - وهذه حال « الضاربين » بصورة خاصة - في العودة الى الطبيعة الوحشية ، في بلدان لما تتأثر « بحضارة الاعمال » . اما هؤلاء « المتمردون بدون سبب » فهم ، بدرجات متفاوتة ، من انصار مذهب الفردية اليائسين او الثائرين الذين يابون ان يصبحوا « اعضاء المؤسسة » . وقد تحلى بعضهم بنوع حقيقي ، كما هي حال مقدم صف « الضاربين » ، جاك كيرواك (في الطريق ، ١٩٥٥) ، واهم « الشبان الساخطين » ، كنفزلي اميس (جيم المحظوظ) ، وجون واين ، المؤلف المسرحي ، وجون اوسبورن (قطلع الى الورا ساخطاً ، ١٩٥٦) ، والقصصي كولن ولسون ، وجون براين .

المانييا
في المانيا لم يعكس الادب قط المسائل الاجتماعية ، بل رافق الجيل الطالع الذي تؤلف قصصه حول احداث الحرب وما بعدها « ادب الدمار » الذي شاركه اياه ايضاً كتاب الجيل السابق (باستثناء هرمن هس) من امثال اريك ماريا رمارك (جزيرة الامل) وارنست اريك نوت (الماضي العاري) وهنريخ بول (وصل القطار في الوقت المحدد) ، وارنست فيشرت (ابناء جيرومين) الذي رسم اللوحة التاريخية للسنوات العشرين الاخيرة في قرية صغيرة من اعمال بروسيا الشرقية ، وارنست فون سلمون (الأسئلة المطروحة) ، وارنست جونكر ، وفراز ورفل . اما مؤلفات النمساوي روبرت

موزيل التي لم تعرف حقاً ولم تقدر حق قدرها الا بعد صدور كتاب «الانسان الخلو من الصفات» في السنة ١٩٥٢ ، فقد اشتهرت ، على غرار مؤلفات هرمن بروخ (النومشون) ، مسؤولية انانية ورثاء البورجوازية في الازمات السياسية . وفي الجمهورية الديمقراطية الالمانية ارتهن الأدب بمزبد من الجلاء لوزير الثقافة فيها ، الشاعر جوهانس ر. بشر ، والقصاصين ارفولد زوينغ ، واننا سغرز ، ولودفيك رن ، وبودر اوس ، وبصورة خاصة لأعظم كاتب الماني معاصر ، برتولد برخت الذي ادار مع امرأته هلم هيجل جريدة «برلينر انسامبل» حيث استطاع اخيراً اختبار نظريته حول « المسرح الملحمي » . وتشكل مؤلفاته كلها انتقاداً لسوء تنظيم المجتمع . وتقترح على البشر — وعلى الألمان بصورة خاصة — كوناً ذا قيمة نسبية لا ابطال فيه ولا قديسين ، بل حياة بشرية هي نضال من اجل تغيير وضع هذا المجتمع الهش والمؤقت ، (الأم الشجاعة واولادها ، روح القديسة تشوان الطيبة ، الدائرة الطبشورية القفقاسية ، الخ .) .

٢ - الحياة الدينية

ان الحياة الدينية في البلدان ذات النظام الديموقراطي الحر تعبر كذلك عن القلق الناجم عن الانتقال الى حضارة جماهيرية ، وعن حضارة احتكرت طبقة حاكمة قليلة العدد فيها توجيه الافكار والميول وتوجيه الحياة الاقتصادية والسياسية .

تسبب قيام مثل هذه الحضارة ، ورفض الطبقات الشعبية التسليم بانقياد بحالة تكاثر الشيع خضوعها وتبعيتها ، والاعتراض على فقدان المساواة بشتى اشكاله ، في خلق مناخ اشبه بمناخ النكبة يسوده الشعور بالزوال والفناء . هذا هو سبب تكاثر المبدعة المتسولين (الفقراء) والمرافات والمنجمين وانتشار شيع دينية وفلسفية عديدة : بعضها صوفي النزعة من وحي بوذي او هندي ، وبعضها الآخر — نشأ معظمها في افريقيا الشمالية — مرتبط ارتباطاً قريبا او بعيداً بالمسيحية وقائل بمقيدة دينية غامضة وساع لأن يبعث في اعضائها او في بيتها معنى الأخوة ووحدة المصالح اللتين كادت تقضي عليها الحضارة الصناعية المعاصرة الانسانية . وقد انتشرت شيع الفئة الاولى بصورة خاصة في الاوساط البورجوازية والارستوقراطية التي تشعر بأنها ابعدت عن محيطها الطبيعي في الحضارة الجديدة وتغذي ، عوضاً عن ذلك ، ابتغاءات روحانية غامضة : فالتجهت نحو حضارات تنتظر منها الخلاص لانها لا تقوى على ترجي مستقبل قابل للحياة في مجتمع لم تعد تجد فيه محلها . فبقيت الحياة الفكرية فقيرة وغير متطلبة ، وحققت المنطق (الغربي) لمصلحة صوفية كاذبة ادعي بانها شرقية . اما شيع الفئة الثانية فقد انتشرت بصورة خاصة بين الازمراء وصغار البورجوازيين واصحاب الدخول السنوية والمستخدمين... الذين وفرت لهم بيئة بشرية قادرة على ان تستجيب لحاجاتهم العاطفية (المعرفة المسيحية ، مسيح مونفافيه ، شهود يهوه ، جيئيو اليوم السابع ، الخ .) .

الكنيسة الكاثوليكية
 اما الكنيسة الكاثوليكية فقد ادركت منذ عشية الحرب العالمية الاولى ، بوضوح تدريجي ، المسائل التي اثارها ظهور قوى جديدة في العالم ، وحاولت التكيف بحسبها على كل صعيد . فعند السنة ١٩٤٦ لم تعد الاكثوية ايطالية في مجمع الكرادلة ، فبات « مجلس شيوخ » الكنيسة « صورة لشمول الكنيسة » اكثر وضوحاً . وفي الحقل الفكري ازيل الخطران اللذان هدداهما ، الخطر الخارجي واعني به الايمان المطلق بامكانات العلم ، والخطر الداخلي واعني به الروح المعنوية : الاول بفعل التيار الفكري الذي نما خارج الكنيسة على كل حال والذي سبق لنسبنا واستعرضناه ، والثاني بفعل توضيح المسائل التي اثارها تفسير الكتاب المقدس واللاهوت المعنوي . فقد صدر في السنة ١٩٤٢ رقيم بابوي ، هو « الرقيم المنقذ » ، دعا مفسري الكتاب المقدس من الكاثوليك الى ان يلجأوا « بفرح شديد » الى كافة الموارد التي تضمنها منجزات العلوم الكتابية المختلفة تحت تصرفهم . ومن جهة ثانية تقدم العمل الراعوي على العمل العلمي : نهضة طقسية حول الرهبان البندكتيين في « ماريا لاش » افضت الى ازمة الطقسية ، وفي السنة ١٩٤٠ الى انشقاق حقيقي بين الاكليروس الالماني والاكليروس النمساوي اللذين سيوفق بينهما رقيم « وسيط الله » في السنة ١٩٤٨ . وترجم كتاب القداس الى اللغة العامية ، واحتفل بالقداس الحواري بموافقة الكرسي الرسولي في السنة ١٩٤٣ ، وترجم كتاب الفروض الكهنوتية ترجمة حديثة ، ففتح كل ذلك للمؤمنين الاشتراك في كافة الصلوات الطقسية . ومنذ قبل السنة ١٩٤٠ كان الكتاب المقدس موضوع اهتمام المؤمنين ، فتأسست جمعيات كتابية رعائية ، ونشرت تراجم عديدة طوعية للكتاب المقدس : ترجمة « ماردسو » و ترجمة « ليل » و ترجمة « اورشليم » ، بين التراجم الفرنسية . وعاد الفضل في شرح الكتاب المقدس للمؤلفات البروتستانتية التي اعتمدت في بعضها الاساليب العلمية . فعرضت العقائد والمواضيع الدينية الكبرى ، لا من زاوية الازل ، بل بصورة حسية وبحسب ظهورها التاريخي ، اذ ان المسيحية ليست عقيدة فحسب ، بل تاريخاً ايضاً ، اي تاريخ « الاقتصاد التدريجي الذي بواسطته اخذ الله الانسانية في حالتها البدائية ورفعها شيئاً فشيئاً ... الى ان جعلها قادرة على تقبل الصكامة المتجسد » . واستوحيت كتب اللاهوت للاكليريكيين وكتب تلقين التعليم المسيحي كذلك مصادر الايمان استيعاء اكثر مباشرة . واثرت الوجودية في الوقت نفسه على الفكر المسيحي واسهمت في حمل اللاهوت على الاهتمام بالانسان الحسي المتورط في العالم .

الكنيسة والمجتمع
 يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان المسيحيين اكتشفوا انهم لا يعيشون في مجتمع مسيحي بل في مجتمع علماني تفقد فيه الكنيسة تأثيرها ونفوذها اكثر فاكثر كل يوم . ولذلك لم تواجه مسائل الرسالة والتبشير في بلدان الرسالات التقليدية حيث تنشأ الاسقفيات الجديدة بحسب مقتضيات الحاجة والظروف (في السنة ١٩٤٦ عين اول كردينال صيني ، وفي السنة ١٩٥٣ كردينال هندي ، وفي السنة ١٩٦٠ كردينال ياباني واول كردينال زنجي) ، ويعين المزيد من الكهنة البلديين ، وحيث قام الاب « لاب » في

الصين والاب موشانين في الهند بمحاولات تبشيرية جديدة - صادفت مقاومة كبرى على كل حال - بغية جعل الاساليب اكثر فعالية . فاذا ما زال الواجب التبشيري يستهدف « خلاص غير المؤمنين » ، فانه يبدو وكأنه التعبير عن المحبة التي حلت اكثر فاكثرا في صميم الحياة الروحية المسيحية . ووجهت في البلدان المسيحية القديمة كذلك بعض المسائل التبشيرية : تشييد العديد من الكنائس في ضواحي المدن الكبرى ، ودرس منظم لتطور ظاهرة زوال الروح المسيحية ، واستحداث طرائق تبشيرية جديدة : في السنة ١٩٤١ تأسست « رسالة فرنسا » بغية توفير الكهنة للارياض التي اضمحلت فيها الروح المسيحية ، وانشئت في الوقت نفسه اكليزيكية مشتركة بين كافة الابشيات الفرنسية في ليزيو تخرج منها اكثر من ٤٠٠ كاهن ، وفي السنة ١٩٤٣ تأسست جمعية « الاخوة المرسلين الى الارياف » ، وفي السنة ١٩٤٤ « رسالة باريس » التي انتسب اليها الكهنة العمال .

وفي الوقت نفسه الذي نما فيه العمل الكاثوليكي منذ السنة ١٩٣٠ ، نضجت بين العلمانيين فكرة « لاهوت الحياة العلمانية » - وكان المقصود منها تقديم البرهان على عدم وجود حاجز منيع بين الحياة الدينية والحياة العلمانية ؛ فيجب التدخل في الحقل المهني والنقابي والسياسي والفكري بغية جعل المجتمع مطابقاً للمسيحية في روحه ومؤسساته . وتأسست كذلك جمعيات كهنة علمانيين مكرسين لخدمة الرعايا بمساعدة الكاهن على الاحتراس من عزلة النسق الاداري المطرد . « ان الكهنوت والحياة العلمانية وظيفتان كذسيتان لانهما في خدمة حياة الكنيسة الذاتية . فلا الكهنة من ثم في خدمة العلمانيين ولا العلمانيون في خدمة الكهنة . انهم كلهم في خدمة الكنيسة » .

جرى هذا التصميم على العمل شطراً من الرأي العام المسيحي الى الانخراط بعزم في المجتمع العلماني حيث رضي بالنضال الى جانب الملحد من اجل الدفاع عن قيم انسانية بحجة هي من هذا القبيل بالذات ذات اهمية كبرى للمسيحي . هذه كانت ، عند اشتداد الازمة ، في فرنسا ، نزعة مجلّة « الروح » التي تأسست في السنة ١٩٣٢ والتي شرح مؤسسها موقفها المستمد من مذهب الشخصية القائل بان القيمة المركزية هي الشخص البشري بكلية : « امام الازمة ... قال الماركسيون : ازمة اقتصادية للاسيكية ، ازمة نظام . اجرّوا عملية جراحية للاقتصاد ، يتعاف المريض . فرد علماء الاخلاق على ذلك بقولهم : ازمة الانسان ، ازمة الاخلاق ، ازمة القيم . غيروا الانسان ، تشفّ المجتمعات ... » فاقترح مونييه ، في وجه هذين الحلين ، حلاً هو ثورة زمنية بحصر المعنى مبررة باختيار الوسائل . وعشية الحرب العالمية الثانية ظهرت جماعات اخرى يسارية الميول ، كجماعة اتحاد المسيحيين التقدميين التي اقترحت تعاوناً حازماً بين اعضائها والحزب الشيوعي .

عقب اندفاع الكنيسة هذا نحو العالم انكفاء رسمي على الاقل . فان النجاحات التي احرزها الاتحاد السوفياتي ، وتوسع نفوذه حتى اوروبا الوسطى ، والحرب الباردة قد قوّت اتجاه

البابوية العنيف العداء « للشيوعية الملحدة » وافضت الى تصليب الكنيسة في كافة الحقول : ادانة الاشتراكية والشيوعية برقيمي السنة ١٩٣١ والسنة ١٩٣٨ ، وقدابير اخرى كثيرة : قرار (١ تموز ١٩٤٩) بحظر كل عمل ينفذ بالاتفاق مع الحزب الشيوعي (حتى قراءة صحفه) ، انكار اختبار الكهنة العمال ثم منعه منعاً نهائياً (١٩٥٩) في اعقاب مساع عديدة قامت بها الاوساط القائلة بالوحدة الشاملة ، حل الاجهزة والجمعيات المتعطفة على هذا الاختبار : « فتوة الكنيسة » و « الخمسة عشر » ، والمعطف على مشروع توحيد الدول الاوروبية الست وبعض الدول الاوروبية التي تلعب الاحزاب الديوقراطية المسيحية فيها دوراً سياسياً هاماً جداً ، وتحذير الكردينال اوتافياقي الرسمي بصدد علائق رجال الدولة الغربيين والشرقيين (٧ كانون الثاني ١٩٦٠) ، ورسالة الاحبار الايطاليين الجماعية ضد العلمانية في نيسان التالي ، وتدخل السلطات السكاوليكية في الانتخابات الصقلية (١٩٥٩) والازمة الوزارية الايطالية (شباط - نيسان ١٩٦٠) ، والمواقف العدائية الصريحة من الاحزاب الاشتراكية (حتى المعتدلة) التي وقفتها صحيفة « الرقيب الروماني » في اوائل السنة نفسها . ويجب ان يرد الى هذا الموقف المتصلب نفسه رقيم « الجنس البشري » (١٩٥٠) الذي يضع حداً للحرية الفكرية ويشهر بخطر « التاريخية » ، والايماز بتعزيز التهذيب النظري في تعليم الاكليريكيين ، وانتقاد الاكاديمية البابوية اللاهوتية لاراء الاب « تيار دي شاردن » اليسوعي .

تأثرت فرنسا اكثر من غيرها بفعل ردّة الفعل هذه لانها كانت على رأس حركة لتجديد الأساليب والفكر . اما في المانيا فقد احرز « الكاثوليك اليساريون » بعض التقدم حتى السنة ١٩٤٩ ، وجزم بعضهم بان حق الادارة المشتركة يدخل في الحق الطبيعي ويجب ان يعترف به كما يعترف بحق الملكية . ولكن الاحبار تراجعوا تراجعاً واضحاً بالنسبة لهذا الموقف وتمسكوا بوجهات نظر المناشير البابوية دون ان يتدخلوا البتة في المنازعات الاجتماعية .

الحياة الدينية
الا ان الاحصاءات الدينية ، التي تكاثرت في فرنسا بنوع خاص ، قد اظهرت مدى تأثير ظروف الحياة المعاصرة على الكنيسة . فاذا تحققت نهضة دينية بين بعض فئات المفكرين - وهم دونهم عدداً وشأناً في الفترة السابقة - ، فقد تجلى زوال العاطفة الدينية في الجماهير العمالية ، وكانت هذه الظاهرة ملحوسة في المدن الصناعية ومناطق الزراعات الكبرى على السواء .

ارتبطت هذه الظاهرة ببروز حضارة جديدة «مرتكزة الى التقدم التقني» ،

« حين تحدث ، تصطبغ ... مركباً من التقدم التقني (الذي هو خير مجد ذاته) والمادية ايضاً : انها تنقل الاثنين معاً . ويرافق هذه الحضارة من جهة ثانية نظام اجتماعي هو الرأسمالية الحرة التي يكمن عيبها العميق في ان المصنع لم ينشأ لخير عماله وبجبروتهم ، بل لفائدة رأس المائل في الدرجة الاولى ؛ وهو بذلك يتسبب في ضغط يضر بالحياة الروحية . ولا ينجم هذا الاضرار عن العمل الصناعي بل عن تقديم المال على الانسان . وترافق هذه الحضارة كذلك ثقافة جديدة مستندة الى العلوم الوضعية : تفضي الى نشأة مثال جديد من البشر ليست انسانياتهم ، المشبعة بالتقنية ، ضد الاكليروس بالضرورة ، ولكنها وضعية بالطبيعة » (الكاهن القاوني « ف. بولار ») .

وقد أيد هذه الملاحظة «غابريال له برا» :

« ان للبخار والكهرباء تأثيراً مذهبياً على ممارسة اعمال التقوى لم تحوز الفلسفة والتاريخ مثل نجاحهما في ايجاده .
وانما فقدت الكنيسة الكثير من مؤمنيهما بفعل اضطراب الاخلاق المشتركة ، لا يفعل اضطراب الافكار الارستوقراطية
والمشاعر الشعبية » .

ان تسلط المال « الذي ووجهت معه كافة المسائل من زاوية الانتاج فقط » ، وتأثير الرفاهية
والتخلق باخلاق البورجوازية ، والتحرر الذي نجم عن ذلك حيال السلطات الاجتماعية ،
وتداخل المدن والارياف بواسطة الخدمة العسكرية ، والسهول المتزايدة في المواصلات (« هي
الدراجة ما ارالت الروح المسيحية من رعيته ») ، « والصحافة العاطفية » التي زينت الحس ... قد
اشهرت من قبل الاكليروس الذي اعتبرها سبب زوال الروح المسيحية هذا . وقد تبذلت اجهزة
الاتصال والتأثير : « فلا مجال بعد اليوم للكلام عن انتقال العقيدة الكاثوليكية آلياً » . وافضت
ابحاث علم الاجتماع الديني في ايطاليا الى النتائج نفسها . فقد اجري تحقيق في السنة ١٩٥٣ ،
بحسب طريقة استفتاءات «غالب» ، بين سكان غالات في ولاية فاريز الصناعية ، كشف القناع
عن تطور هام في الآراء حول نقطتين اخلاقيتين وقفت الكنيسة بصددهما حتى تاريخه موقفاً
متصلباً جداً : هل الاجهاض سائق شرعاً ؟ وهل الطلاق شرعاً ؟ فحيال النقطة الاولى كانت
الاجوبة سلبية بنسبة ٣٨٪ فقط ، وحائرة بنسبة ٢٦٪ ، وحيال النقطة الثانية لم تبلغ نسبة
خصوم الطلاق سوى ٤٢٪ في السنة ١٩٥٣ بعد ان بلغت ٥٣٪ في السنة ١٩٤٨ .

واظهرت التحقيقات المجراة بين المؤمنين في مناطق وخورنيات مختلفة كل الاختلاف خطأ
منحنيًا عاماً ، وان الكثير من الممارسات الدينية « سريع الزوال خارج بيئته الطبيعية ولا اثر
له تقريباً على الحياة » . ففي البرنتغال ضمت اسقفية لشبونة ٣٢٠ كاهناً مقابل ١٤٠٠٠٠٠
مؤمن في السنة ١٩٣٠ ، وضمت ابرشية فارو في اقصى جنوب البلاد ٨٪ فقط من المؤمنين
المتهمين واجباتهم الدينية . وفي اسبانيا لاحظ الاب بيرو في السنة ١٩٣٣ ان ٥٪ من السكان
يقومون بواجبهم الفصحى في خورنيات كثيرة من ابرشيات كوانكا وطليلة ومدير وان
المدن تضم « اعداداً كبيرة من السكان الوثنيين كلياً » . وفي باريس اظهرت بعض التحقيقات
المجراة في السنة ١٩٥١ ان ٢٣٪ يحضرون القداس في خورنية سان جرمان دو بريه ، و ١٩٪
في خورنية سان - سفيرين و ٢٠٪ في خورنية سان - سوليس ، و ٢٢٪ في سان بيير دي نوي ،
و ٦٪ في سان - ايبوليت دي بوتو . وان الخورنيات الجيدة تضم ٢٠٪ من متممي واجباتهم
الدينية ، والخورنيات الشعبية ١٠ بالمائة فما دون ، والخورنيات العمالية اقل من ٦ بالمائة . وفي مرسيليا
تبلغ نسبة من يحضرون القداس في سن الرابعة عشرة فما فوق ١٠,٥ بالمائة ، وفي ليل ١٩,٥٪
وفي غرينوبل ١٤ بالمائة ، وفي تولوز ١٠,٨ بالمائة . وفي بلجيكا يبلغ معدل حاضري القداس في
ايام الاحاد ٢٥ بالمائة في الولايات ، و ٢٦,٣ بالمائة في بروكسل ، و ٣١,٧ بالمائة في انفرس . وفي
المانيا الاتحادية حيث تم ٥٤ بالمائة من الكاثوليك واجباتهم الفصحى في السنة ١٩٤٩ ، يحضر

القداس ٢٩,٤ بالمائة منهم في كولونيا ، ٢٦,٥ في مونيخ ، و٢٢,٧ في هامبورغ . ويختلف السلوك الديني باختلاف المهن المتعاطاة . « هو النظام المهني ما يحدد تميم الواجبات الدينية » (الكاهن القانوني ف. بولار) ، كما نرى خير مثل على ذلك في منطقة لنس المنجمية : ان متممي واجباتهم الدينية من الذكور يبلغون ٢,٥٥ بالمائة بين عمال الاعماق ، و٥,٥١ بالمائة بين العمال خارج المناجم ، و٢٢ بالمائة بين موظفي الادارة ، و٦٥,٣ بالمائة بين المهندسين ، و٤٩,٦٣ في البورجوازية .

في ايطاليا اظهر التحقيق الذي اجراه مركز الدروس ، « الحياة في المسيح » ، في السنة ١٩٤١ - ١٩٤٢ ، « اهمالاً متزايداً ونخيفاً في اوساط الجماهير ، ولا سيما العمالية والمدنية منها ، للواجبات الاساسية في الحياة المسيحية » . ففي بعض الخورنيات مازال ٨٠ - ٩٥ ٪ من الرجال يحضرون القداس في منطقتي البندقية والد « مارش » . ولكن هذه النسبة تنحدر الى ٢٠ - ٣٠ ٪ في خورنيات اخرى من توسكانا واومبريا وليغوريا حيث لا تشمل هذه النسبة سوى رجل واحد مقابل ٢٠ امرأة . وفي بعض خورنيات ابرشية فولتيرا ، لا يحضر قداس يوم الاحد سوى ٥ ٪ من السكان في السنة ١٩٥٢ . وفي روما لا يتجاوز عدد متممي واجباتهم الفصحية الـ ١٠ ٪ ، وفي ميلانو تتراوح هذه النسبة بين ٢,٥ و ١٧ ٪ ، وقد قدنى عدد المشارلات فيها بنسبة ٣٠ - ٥٠ ٪ بين السنة ١٩٣٨ والسنة ١٩٤٨ .

في البلدان المختلطة الاديان ، يشهد بتدني تأثير الكنيسة ارتفاع عدد الزواجات المختلطة التي استتبعت المحرافات معتقدية كثيرة في هولندا ، والولايات المتحدة (٢٥ - ٣٠ ٪) ، والمساكنيا حيث ادى تدفق اللاجئين منذ السنة ١٩٤٥ الى تصدع وحدة الكتلة الكاثوليكية البافارية والرينانية ، وحيث ارتفعت نسبة الزواجات المختلطة من ١١,٣ ٪ من عدد الزواجات الكاثوليكية الى ٢٨,٢ ٪ في السنة ١٩٤٩ .

واصطدم اختيار الاكليروس واعداده بصعوبات كبرى . ففي فرنسا نرى ان معدل الترقية الى الدرجات الكنسية (اي النسبة بين الترقية الى الدرجات المقدسة خلال خمس سنوات متوالية ومجموع عدد الشبان بين سن الخامسة والعشرين والتاسعة والعشرين) ، الذي هبط منذ قانون الفصل من ٥١,١ بالالف الى ٣٦ بالالف في السنوات ١٩٠٩ - ١٣ ، قد حافظ على هذه النسبة تقريبا حتى السنة ١٩٢٩ ، ثم ارتفع ببطء الى ٤٩,٥ في السنوات ١٩٤٠ - ١٩٤٧ وهبط مرة اخرى الى ٣٩ بالالف في السنوات ١٩٥٠ - ١٩٥٥ . فالنقص من ثم في تزايد مطرد ، اذ ان عدد الكهنة العاملين الذي بلغ ٥٦.٠٠٠ في السنة ١٩٠٤ ، اي ١٣,٥ بالمائة قد هبط الى ٤٦.٥٠٠ في السنة ١٩٢٩ ، وهبطت النسبة الى ٩,٧ بالالف في السنة ١٩٤٦ بما فيها ٣٥ ٪ من الستينيين . اجل لقد ارتفع عدد الاكليروس القانوني من ١٣.٠٠٠ الى اكثر من ١٤.٠٠٠ ، ولكن النقص العام واقع ثابت ، وقد حدثت الظاهرة نفسها في كافة البلدان تقريباً ، حتى تلك المشهورة بحيويتها الدينية كهولندا وبلجيكا واسبانيا ودول اميركا الجنوبية . وفي ايطاليا نفسها هبط عدد

الكليروسيين الذكور من ٩٢.٠٠٠ في السنة ١٨٨١ الى ٦٨.٠٠٠ في السنة ١٩٢١ والى ٥٨.٠٠٠ في السنة ١٩٥٣ . وفي ألمانيا تجاوزت نسبة هبوط الدعوات الكهنوتية منذ السنة ١٩١٤ الى ٢٠ ٪ .

كان تزايد اللامبالاة والابتعاد عن الدين في العالم الغربي ، ونمو سكان العالم المطرد الذي قلل يوماً بعد يوم من أهمية الكاثوليك النسبية ، باعثاً على التثام مجمع الفاتيكان الثاني في السنة ١٩٦٢ . فقد كانت البابا الجديد يوحنا الثالث والعشرون ، بفضل بعثاته الدبلوماسية في الشرق وفي أوروبا ، على بيئة من المسائل التي تطرحها نخالة الاقليات الدينية في البلدان التي تتعايش فيها طوائف مسيحية كثيرة والصعوبات التي يصادفها الكاثوليك في المجتمعات المتحولة تحولاً عميقاً الى العالمية ، فحدد لأعمال المجمع اتجاهات واضحة جداً نحو اصلاحات عميقة تستهدف انفتاح الكنيسة انفتاحاً عاماً على العالم وتجدد نشاطها والتوفيق بينها وبين المجتمع الذي خلقت ثورات القرن التاسع عشر السياسية والثورة الصناعية . ورافقت هذا العزم الرغبة في الابتعاد جهد المستطاع عن الاعراف والوسائل التي تعمق حوار وثقافة الكنيسة مع المسيحيين من غير الكاثوليك ، وحتى مع غير المؤمنين . فنحن من ثم امام مشاريع اصلاح تناقض ، استيعاء ، ما تضمنه الـ Syllabus منذ قرن خلا . ويبدو ان البابوية قد اقتنعت باستحالة المحافظة على مواقفها التقليدية اذا استندنا في حكمنا على الرقيم « السلام في الارض » الذي اصدره البابا يوحنا الثالث والعشرون قبيل وفاته ، في الفترة الفاصلة بين الجلستين الاوليين . فهو يؤيد صراحة اعلان حقوق الانسان الذي تبنته منظمة الامم المتحدة في السنة ١٩٤٨ ، ويشدد بالحاح على وسائل اقرار السلام بين البشر ، ويعلن امكانية التعاون في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع من يستوحون « التعاليم الزائفة » التي يدينها في الوقت نفسه . ويشدد كذلك رقيم خلفه بولس السادس ، « الام والمعلمة » ، على شرعية سياسة تأميم وسائل الانتاج والمقايضة .

ويبرز هذا الاتجاه كذلك احداث امانة سر من اجل الوحدة ، والدعوة للاشتراك في المجمع التي وجهت الى مراقبين تنتدبهم الكنائس البروتستانتية والكنيسة الانكليكانية والكنيسة الارثوذكسية (بينهم روسيان) ، والى علمانيين وعلمانيات من الكاثوليك . وقد تأيد بأكثرية المطالبين بالاصلاح بين آباء المجمع الـ ٢٣٠٠ بادرلة ينتسبون الى اكثر البلدان تطوراً : ألمانيا ، هولندا ، انكلترا ، فرنسا ، بلجيكا ، الولايات المتحدة ، يساندهم العديد من الاحبار الايطاليين واحبار العالم الثالث . فأفضت المناقشات ، الحادة احياناً ، التي اثارها معارضة اساليب الادارة البابوية التي تعرضت لانتقادات شديدة ، ومناورات العرقلة ودسائس الاقلية المحافظة ، الى اقرار عدد من المشاريع العامة المتعلقة اما باصلاح الليتورجيا وتيسير فهم الرموز والطقوس . (بالاكثار من استخدام اللغات الوطنية والتخلي عن لغة الفلسفة المدرسية) ، واما بالمشاركة الاسقفية التي اعترف بسلطتها المطلقة ونبوعها من حق الهي ، واما ببعث خدمة الشماس

الانجيلي الدائمة التي يمكن اسنادها لرجال متزوجين ، واما بالوحي (وهو اكثر حرية من اساليب مجمع الايمان الى حد بعيد) ، واما بالحركة المسكونية في روح متعطفة على الطوائف المسيحية غير الكاثوليكية ، واما بادانة العداء للسامية . الا ان الحماس الاول عقبه بعض خيبة الامل حين انتهت الجلسة الاولى (تشرين الثاني ١٩٦٤) . وقد نجمت عن جو الدسائس والمقاومات الخفية الذي خلقته الاقلية ، لا سيما اثناء مناقشة مشروع القرار رقم ١٣ بصدد علائق الكنيسة بالعالم المصري ، والحرية الدينية التي طالبت الاكثرية في سبيلها باعلان لا لبس فيه . ويرد تعوق الاعمال وتردد المجمع ساعة الشروع باتخاذ المقررات الحاسمة الى اسباب عدة اهمها الحرص على مراعاة ظروف بعض الشومب الكاثوليكية التي ما زال نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي متخلفاً جداً ، وشخصية البابا الجديد ، وربما حرص بولس السادس على استمالة المحافظين الى الحركة الاصلاحية مقابل بعض التنازلات .

في البلدان التي يدين اكثر سكانها بالبروتستانتية ، برز الضعف نفسه
البلدان البروتستانتية في العاطفة الدينية . ففي بريطانيا العظمى مثلاً لم يعقب الحرب العالمية الثانية تأخر شبيه به بعد السنة ١٩١٨ ، وانما يقدر ان ٥٪ على الاكثر من الانكليز و ٢٠٪ من الاسكتلنديين يسهمون اسهاماً متفاوت النشاط في اتحاد مذهبي ما ؛ وان عدد الطلاقات الذي بلغ ٧٦٢١ في السنة ١٩٣٨ قد ارتفع الى ٧٦٤٠ بعد مرور عشر سنوات ، ووهنت التقاليد الدينية ، وزال عن واجب الانقطاع عن العمل في ايام الاحاد الطابع الالزامي . ولعل ذلك يرد الى علنة التعليم كما اثبت ذلك التحقيق الذي اظهر فتور العاطفة الدينية بين طلاب التعليم الثانوي في السنة ١٩٤٥ ، والى عدم تأثير الكنائس بالظواهر الاجتماعية (تحقيق اجري في السنة ١٩٤٢ بين مشيخي اسكتلندا) . وقد رافق فتور الايمان هذا في الكنيسة الانكليكانية ارتداد الى الكثلركة الانكليزية : فاحييت بعض اشكال الحياة الرهبانية وبعض الاحتفالات والطقوس الكاثوليكية : صور للقلب الاقدس والقديسين والعذراء في الكنائس ، سجود ، رسم اشارة الصليب ، قداديس مع تكريس القربان ورفع ، صلوات من اجل الموتى ، عبادة القربان المقدس ، عفة الكهنة ، اعتراف . وقد تأيد تدني تأثير الكنيسة القائمة ، من جهة ثانية ، بالهزيمة النكراء التي منيت بها في السنة ١٩٢٧ في قضية « كتاب الصلاة » الذي رفض البرلمان ترجمته المنقحة بروح طقسية .

كان تأثير غير الانكليكانيين ، الذي برز في انكلترا خصوصاً بين الطبقات المتوسطة والشعبية ، قوياً جداً في الولايات المتحدة على الرغم من ان ٤٨٪ فقط من سكانها اعلنوا انتمسائهم الى كنيسة ما في السنة ١٩٢٩ . وانما يجب القول بأن الـ ٧٧ مليون اميركي الذين عرفوا بلا مبالاتهم كانوا مع ذلك بروتستانتية الثقافة والميول . وبين البروتستانت المحصين ، انتسب زهاء الـ ١٪ (٨٨٪) الى ثنائي كنائس هامة وتوزع الباقون على ٢٥٧ شيعة معروفة رسمياً ، تشعبت كلها الى اتجاهات مختلفة كثيرة تبندى بأرسخ المؤمنين ايماناً قوياً ، الذين يفسرون الكتاب

المقدس تفسيراً حرفياً دون أقل لحفظ ، وتنتهي بالاحرار الذين يحصرون جهنم في العمل الاخلاقي والاجتماعي .

قاومت الكنائس البروتستانتية ، بصورة عامة ، على غرار الكنيسة الكاثوليكية ، اتجاه ما قبل الحرب نحو اعتبار المسيحية لا كنمط حياة كما اعتبرت من ذي قبل ، بل كمجموعة تعاليم . وهكذا برز على الصعيد اللاهوتي ، في قلب الكنيسة الانكليكانية ، اتجاه نحو اعادة اثبات الوحي واعادة مزبد من السلطة اليه . وكان تأثير « كير كيغارد » و « بارت » ، المعتبر خليفته ، جلياً في هذه النهضة المعنوية التي سلطت الاضواء على « المسيح السيد والخلص الوحيد » ، والمبرر بفعل النعمة الالهية وحدها ، وفي الاهتمام الجديد الذي اعبرته الاسرار ، والاهمية المتعاظمة المعطاة للكنيسة والخدمة الروحية التي اثارت ندرة الدعاوات الراعية بين الذكور بصدددها مسألة نوقشت تكررأ هي مسألة الخدمة النسائية ، ومسألة دور العلمانيين في الكنيسة ، واهتماماً متزايداً بطقوس قد تضر احياناً بالوعظ الذي بدا من الضروري اعادة اثبات أهميته .

الحركة المسكونية
ان اختلاف الشيع والتسميات الكثيرة قد دفع الكنائس المتشعبة عن الاصلاح ، منذ زمن بعيد ، الى القيام بمجهود توحيدى ، على الصعيد القومي والصعيد الدولي ، بغية تجنب ازدواجية العمل في حقل الرسالات التبشيرية التي احرزت نجاحات مدوية في البرازيل وبلدان اميركا الجنوبية الاخرى ، وافريقيا الجنوبية الوسطى ، والانسولند وآسيا . فعلى الصعيد القومي تأسست جمعيات او كنائس بغية تحقيق هذا التوحيد في المانيا ، والولايات المتحدة حيث ضمت « الكنيسة الميثودية » ثلاث كنائس ميثودية مختلفة ، وكندا بنوع خاص حيث توحد الجمعيون والمشيخيون والميثوديون . وعلى الصعيد الدولي وجهه رئيس اساقفة كنتربري منذ السنة ١٩٢٢ « نداء الى عموم المسيحيين » ، وفي ١٩٢٥ ، التأم في ستوكهولم الجمع المسكوني ، « حياة وعمل » ، الذي تخلف عن حضوره الكاثوليك وحدهم ؛ ثم التأم في السنة ١٩٢٧ مجمع لوزان ، « ايمان ونظام » ، الذي حضره ٥٠٠ مندوب عن ٩٠ كنيسة . ولكن الحركة المسكونية توقف عملها في السنة ١٩٢٨ في اعقاب الرقيم ، « نفوس الموتى » ، الذي رفض مصافحة اليد الممدودة وتصلب في تمسكه بمبدأ استحالة الخلاص خارج الكنيسة الرومانية . وبعد الحرب العالمية الثانية ، عقد مجلس الكنائس المسكوني الذي تقرر تأسيسه في السنة ١٩٣٨ ، جلسته الاولى في امستردام في شهر ايلول من السنة ١٩٤٨ ، وقد اشترك في اعماله مندوبون رسميون عن معظم الكنائس البروتستانتية والانكليكانية وبعض ممثلي الكنائس الارثوذكسية الشرقية ؛ فاقر تأسيس هيئة دائمة ، وانعقاد جمعية كل خمس سنوات ، وتعيين جهاز اداري ، هو المجلس العام للكنائس ، ولكن اتفاقاً معتقدياً واحداً لم يتحقق بين الكنائس .

الا ان ذلك لم يحل دون استمرار الخلافات ؛ فالكنائس « الكاثوليكية » الاتجاه اي تلك التي تشدد على حقائق الايمان والسلطة الكنسية التسلسلية والاسرار ، قد ألفت منذ زمن بعيد

« التحالف الدولي للايمان الرسولي والنظام » ، بينما تجلعت الكنائس التي تخشى العودة الاحتمالية الى الكنيسة الرومانية في « المجلس الدولي للكنائس المسيحية » و « جمعية الدفاع عن البروتستانتية المهددة بالخطر » .

امام نجاحات الاسلام ، واستقلال الدول المستعمرة التي غالباً ما رفضت نفوذ الغرب السياسي ونفوذه الديني في وقت واحد ، وامام نجاحات الشيوعية ايضاً ، بدا انقسام المسيحيين مؤسفاً جداً ، ولكن معارضة الكنيسة الارثوذكسية (على وجه غير واضح ومطلق) والكنيسة الكاثوليكية اللتين تعتبر كل منهما انها الكنيسة الحقيقية الوحيدة ، قد حالت دون اي تقارب . بيد ان الرقيم المشهور في السنة ١٩٤٤ ، الذي سلم بالزواج الذي يعقده الكهنة الارثوذكس ، ووعد الشرقيين بانهم لن يرغموا قط على تبني طقوس اللاتين ومؤسساتهم ، لا بل منع انتقال الشرقيين المتحدين الى الكنيسة الرومانية ، كان خطوة خطتها الكنيسة الرومانية نحو الكنائس الشرقية ، ولكنه لم يترك اصداً تذكر . الا ان الجمع الفاتيكاني (باعترافه علناً بان اخطاء ومظالم قد ارتكبت بحق المسيحيين الشرقيين « المنفصلين » (لا « المنشقين » كما دعوا في الماضي) ، ورحلة بولس السادس الى الشرق ولقاءه بالبطريرك اثنينوغوراس ، قد غيرا هذا الجو .

اما من الجهة البروتستانتية ، فقد بقيت روما على موقفها من الحركة المسكونية : فهي لم تتمثل في امستردام ، واذا هي تمثلت في السنة ١٩٥٢ في جمع « الايمان والنظام » الذي التأم في لوند ، فقد بدا تحديد عقيدة انتقال السيدة العذراء في السنة ١٩٥٠ تعبيراً عن رفضها كل تسوية واثار معارضة البروتستانتات الاجماعية . الا ان الجمع الفاتيكاني قد حاول هنا ايضاً خلق جو جديد ومدّ يده تكراراً للبروتستانتات : فروقت اعماله بشغف كبير وعطف حقيقي ، ولكن بتحفظ عززته بعض المقررات (اعلان مريم امماً للكنيسة) ؛ ولعل خير ايجاز لهذا التحفظ ما قاله الراعي بورغيه : « لقد نزع الثلج من جوار قصر « كانوسا » وزين مدخله بالزهور ، ولكن كانوسا ما زال كانوسا » .

الكتاب الثالث

العالم الشيوعي

في السنة ١٩٤٥ ، كان الاتحاد السوفياتي الدولة المسيطرة في البر الاوروبي الآسيوي ، اذ ان منافستيه الرئيسيتين قد هزمتا وازيل خطرهما : في الشرق ، اليابان ، وفي الغرب ، المانيا ، المستظهرة والجزأة . فعندما وضعت الحرب اوزارها ، كانت جيوشه قد بلغت قلب اوروبا الوسطي واقامت في بلغاريا ، ورومانيا ، وجزء من يوغوسلافيا والنمسا ، وهنغاريا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبرلين وجزء كبير من المانيا . وفي كافة هذه البلدان المحتلة تألفت حكومات من منظمات التحرير ما لبثت ان حولتها الى ديموقراطيات شعبية ؛ وبعد السنة ١٩٤٨ ، اتحدت هذه الاخيرة اتحاداً وثيقاً فيما بينها ومع الاتحاد السوفياتي ، بينما اقتبست مؤسساتها عن مؤسسات الاتحاد . وفي هذه الاثناء ، افضى انتصار جيوش مار - تسي - تولغ الشيوعية في الشرق الى طرد حكومة تشان - كاي - شك من البر في السنة ١٩٤٩ . وهكذا تألفت ، في اقل من خمس سنوات بعد توقف العمليات الحربية ، كتلة برية متراسة تمتد من ضفاف نهر الايلب حتى المحيط الهادي وتضم اكثر من ٩٠٠ مليون نسمة تختلف فيها اصول المعيشة والنظام الاقتصادي والاجتماعي اختلافاً كلياً عنها في العالم الغربي والاميركي . وكادت هذه الكتلة ، اقله حتى السنة ١٩٥٦ ، تميش خارج التيارات التجارية والايدولوجية في الحما العالم الاخرى ولا تتصل به تقريباً .

الفصل الأول

الاتحاد السوفياتي

ان الاتحاد السوفياتي هو الدولة الوحيدة بين الدول الأوروبية التي طورتها الحرب اقل من سواها : فان اعادة بنائها وانماها قد انجزا بحسب اصول ما قبل السنة ١٩٣٩ نفسها والتخصيص نفسه ، على الرغم مما لحق بها من تخريب هائل ، دون مجافاة للماضي ودون قطع سياق الحقل الاجتماعي والحقل السياسي . لقد عاشت مرحلة استقرار وهدوء لم تعرفها قط قبل الحرب ؛ ولم تعاني من الانقلابات العميقة التي عانت منها أوروبا الوسطى والشرقية ، ولا من الاضرابات السياسية والاجتماعية التي كانت فرنسا وإيطاليا مسرحاً لها .

كانت اعادة البناء هنا ايضاً اسرع منها بعيد الحرب العالمية الاولى . فقد اقتضى ثماني سنوات آنذاك لبلوغ مستوى انتاج ما قبل الحرب ، بينما كانت اربع سنوات كافية بعد السنة ١٩٤٥ لبلوغ هذه النتيجة ، على الرغم من فداحة الخسائر (ربما ٢٠ مليون نسمة) وحجم الابنية المدمرة (٦٠ مليون متر مربع للسكنى وجب اعادة بنائها) ، وألوف المصانع الخربة ، والمناجم المعطلة الانتاج ، وطرق المواصلات المفككة . الا ان صعوبات اعادة البناء قد تزايدت بفعل عزلة الاتحاد السوفياتي المالية . فعلى غرار ما حدث عشية الحرب العالمية الاولى ، وجب تحقيقها بدون مساعدة رأس المال الاجنبي . وبينما تدفقت رؤوس الاموال الاميركية على أوروبا الغربية بعد انتهاء العمليات الحربية ، توقف العمل باتفاقات الاعارة والتأجير مع الاتحاد السوفياتي وتوقف استيراد السلع الاميركية توقفاً فجائياً . يضاف الى ذلك اخيراً ان الظروف الدولية وتآزم العلاقات بين الحلفاء السابقين قد دفعت الاتحاد السوفياتي الى ابقاء قوة مسلحة كبرى تحت السلاح ، والابقاء على صناعة هامة للتسلح ، لا سيما في حقل الاسلحة الجديدة والسلاح الذري بنوع خاص (في الاتحاد السوفياتي فجرت القنبلة الذرية الاولى في شهر ايلول من السنة ١٩٤٩) ، والانصراف الى سباق تسلح كانت نفقاته اثقل منها قبل السنة ١٩٤١ . فاستهلكت اعادة البناء من ثم شطراً هاماً من الانتاج الجديد ، في حين ابعدت صناعة الاسلحة ، عن ترميم البلاد

ظروف اعادة البناء
والانطلاقة الاقتصادية

الاقتصادي ، جزءاً من اليد العاملة . وقد سهلها - خلافاً لما حدث في السنة ١٩٢١ - توفر العديد من الاداريين ، والفنيين ، والمهندسين ، والعمال الاختصاصيين ، المتعودين طرائق الاقتصاد المخطط ، الذين لم يحتاجوا الى ارنجال اساليب العمل والادارة . وساعدتها كذلك التعويضات التي دفعها المهزومون او فرضت على المناطق المحتلة : تفكيك مصانع ، نقل آلات الى الاتحاد السوفياتي ، تسليم جزء من الانتاج المنجمي او الصناعي .

بينما اتخذت بعض التدابير بغية تشجيع النسل وسد الفراغات الخطط الخمسية الاخيرة الهائلة التي تركتها الحرب ، وبينما جعل التشريع الخاص بحماية العائلة معاملات الطلاق اكثر صعوبة واعاد للزواج معناه وقيمه ، كانت اعادة البناء المادية سائرة بخطى حثيثة . وحين انتهى تنفيذ الخطة الخمسية الرابعة في السنة ١٩٥٠ ، بلغت نسبة الانتاج الصناعي ١٧١ (١٠٠ في السنة ١٩٤٠) ، وبلغ انتاج الفحم الحجري ٢٥٠ مليون طن ، وانتاج الفولاذ ٢٧ مليوناً ، وكان الانتاج اعلى منه في السنة ١٩٤٠ بنسبة ٦٠٪ في صناعة الآلات ومعدات التجهيز ، وبنسبة ٨٠٪ في صناعة المواد الكيميائية . اما انتاج المواد الاستهلاكية فكان ادنى منه في الخطط السابقة ، باستثناء الصوفيات والقطنيات . ومن مميزات الخطة الرابعة انطلاقة الصناعات الاساسية في الشرق السوفياتي ، فقد احدثت في قازاخستان وسمرقند وطشقند صناعات كثيرة : مصاهر حديد ، ومصانع فولاذ ومصانع آلات . وبالرغم من ان المراكز الصناعية القائمة في الغرب قد رمت ووسعت ، فان انتاجها لم يرتفع الا بنسبة ١٥ بالمائة بينما بلغ ارتفاع الانتاج الاجمالي في الاتحاد السوفياتي ٤٨ بالمائة ، وهكذا فان مركز الثقل في الاقتصاد السوفياتي قد استمر في الانتقال بشكل متزايد للوضوح نحو الشرق : فهي مناطق كوزباس وقازاخستان والاورال والاحواض السيبيرية التي وفرت منذ السنة ١٩٥٠ اكثر من نصف الفحم الحجري والفولاذ ، وارتفع كذلك اكثر فأكثر انتاج البترول في « باكو الثانية » بين الاورال والفولغا ، التي احتلت المركز الانتاجي الاول في السنة ١٩٥٢ ، وفي آسيا الوسطى والشرق الاقصى .

ولكن الاتحاد السوفياتي واسع الارحاء وسكانه موزعون على غير قساو ، بسبب وجود مساحات كبرى يجعلها انخفاض الحرارة او الجفاف غير صالحة للاستثمار والاستيطان ، فان ٤٨ ٪ من السكان يعيشون متجمعين في ٦ ٪ من الارض ، ولا يعيش في ٣ ٪ المساحة سوى ٦ ٪ من مجموع السكان . والحال يرتفع عدد هؤلاء السكان بنسبة ٣٥٠٠٠٠٠ في السنة ، اذ انه ازداد بنسبة ٢٤ مليون نسمة بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٦ ، فجاوز في السنة ١٩٥٩ الـ ٢٠٨ ملايين . وطرات الزيادة على سكان المدن في الدرجة الاولى (٤٨ بالمائة من مجموع السكان في السنة ١٩٥٩ ، و ٥٢ بالمائة في السنة ١٩٦٣) ، وارتفع عدد المدن الكبرى الضامة اكثر من ٥٠٠٠٠٠ نسمة من ١١ في السنة ١٩٣٩ الى ٢٥ في السنة ١٩٦٢ ، وارتفع عدد سكان بعضها بسرعة استثنائية بسبب اتساع حركة الزواج عن الارياف : فان غوركي وكوبيشيف

وساراتوف قد زادت بنسبة الثلث ، وسفردلوفسك واومسك وتشيلياينسك قد تضاعف سكانها تقريباً ، وارتفع عدد سكان نوفوسيبيرسك من ٣٠.٠٠٠ نسمة الى ٤٠٠.٠٠٠ بين الحرب الاولى والحرب الثانية ، وبلغ ٩٨٢.٠٠٠ في السنة ١٩٦٢ (الشكل ٢٥) . فتوجب من ثم تعزيز الزراعة واستثمار المساحات التي لما تستثمر او اسمي استثمارها . وفي سبيل تحقيق هذه الغاية ، اهدت في السنة ١٩٤٨ ، بعض المشاريع لاستحداث طرائد حرجية واسعة تسير بمحاذاة الوديان من الشمال الى الجنوب وتقف حاجزاً في وجه الرياح التي تهب من آسيا الوسطى وبحر قزوين على روسيا الجنوبية . وزرعت اشجار اخرى كثيرة ثبتت الثروة وحالت دون انجرافها . وشيدت على الدون والديبير والفولغا سدود كبرى رفعت مستوى مياه الانهر وكونت وراءها خزانات واسعة للمياه ، فأثارت انتاج الطاقة الكهربائية وتغذية اقنية الري بالماء ، وتأمين ري البورات الجنوبية وتحويلها الى اراض زراعية . ووفرت المعامل الكهربائية على الفولغا في كويبيشيف (١٩٥٦) وفولوغراد ، وعلى الديبير في كاشوفكا (١٩٥٥) ، ٥٠ مليون طن من الفحم الحجري واتاحت القناة التي حفرت بين الدون والفولغا ، بالاضافة الى دورها الهام لجهة المواصلات - اذ انها ربطت بين البحار الروسية الخمسة - ، ري كافة اراضي منطقة روستوف وفولوغراد . وبوشرت في آسيا كذلك اعمال انشاء معمل كهربائي في براتسك على الدانغارا ، واعمال حفر قناة تركمانستان الكبرى التي ستصل بين كراسنوفودسك على بحر قزوين وبين بحيرة ارال وتؤمن ري كل القسم الغربي من قراخوم .

اما الخطة الخمسية الخامسة التي بوشر تنفيذها في السنة ١٩٥١ وتحققت بنسبة ١٠٣ بالمائة ، فقد انصرفت الى رفع مستوى الانتاج الصناعي الى ٧٠ بالمائة ، اي بمعدل ١٢ بالمائة في السنة ، و ١٣ بالمائة لمواد الانتاج : استخراج المعادن ، معادن غير حديدية ، بترول ، كهرباء ، و ١١ بالمائة لمواد الاستهلاك .

الا ان الخطة الخمسية الرابعة ، التي نفذت كلياً ، لا بل تمخطيت في انتاج مواد التجهيز ، قد بقيت دون الهدف المحدد لانتاج المواد الاستهلاكية (٩٥ بالمائة) والزراعة (٨٤ بالمائة) ؛ وفي السنوات الاولى من تنفيذ الخطة الخمسية الخامسة حصل كذلك تاخر محسوس في هذين الحقلين كان نتيجة للحرب الكورية والحظر المفروض بسببها اللذين افضيا الى نقصان رؤوس الاموال والحامات النادرة . ولذلك عدلت الخطط منذ السنة ١٩٥٢ بضية زيادة انتاج المواد الاستهلاكية وتحسين نوعيتها ، بحيث تتحقق تنمية صناعات المواد الاستهلاكية بمزيد من السرعة دون ان يطرأ اي تغيير على نظام الصناعة . وقد ظهر هذا الاتجاه في الخطة السادسة الموضوعة للفترة ١٩٥٦ - ١٩٦٠ ؛ فقد اعطت الاولوية ، على غرار سابقتها ، للصناعة الثقيلة ، مع مراعاة الصناعات الاخرى : زيادة المواد الانتاجية بنسبة ٧٠ بالمائة والمواد الاستهلاكية بنسبة ٦٠ بالمائة . زيادة انتاج الحديد المصبوب بنسبة ١٥٠ بالمائة ، ومضاعفة انتاج البترول والطاقة الكهربائية ، وكذلك اللحوم والحليب والبطاطا . وزيادة انتاجية الصناعة بنسبة ٥٠ بالمائة

على الأقل ، واثناجية المزارع النموذجية بنسبة ٧٠ بالمائة ، وزيادة الاجور الحقيقية بنسبة ٣٠ بالمائة واجور اعضاء التعاونيات الزراعية بنسبة ٤٠ بالمائة . اما الجدة العظمى فهي الامة الكبرى (اكبر منها في السابق) المعطاة للبحث العلمي ، والمكننة والآلية اللتين ستليحان زيادة الانتاج بنسبة أعلى الى حد بعيد من زيادة اليد العاملة التي نقصت على كل حال بفعل إطالة مدة الدروس حتى ١٦ سنة . وبالفعل تحقق في المدن والمراكز الريفية التعليم الثانوي الموزع على عشرة صفوف ، واتسعت شبكة المدارس المسائية والدروس بالمراسة . فتخرج مليون حامل شهادة من المدارس الثانوية والعليا في السنة ١٩٦٠ . ومنذ السنة ١٩٥٧ تابع مليوناً طالب دروس التعليم العالي .

في الحقل الزراعي لم تبلغ النتائج تقديرات الخطط الخمسية . اجل لقد الزراعة ارتفع عدد محطات الآلات والجرارات من ٦٠٠٠ في السنة ١٩٣٩ الى ٩٠٠٠ في السنة ١٩٥٥ ؛ وخطت مكننة الاعمال الزراعية المختلفة خطوة كبرى الى الامام : حراثة ، بذر ، حصاد ، وبات عدد الخبراء الزراعيين مرتفعاً جداً . ومن جهة ثانية حسنت طرائق الانتقاء واتساع المساحات المروية المحاصيل المختلفة ولا سيما القطن والشمندر السكري . الا ان نسق زيادة الانتاج الزراعي كان ابطأ من ذلك الذي قدر له ، فلم يبلغ سوى ٢ - ٣ بالمائة اي ما يقارب معدل زيادة السكان : ويرد ذلك الى قساوة شتاء السنة ١٩٤٦ والجفاف الكبير في الفترة ١٩٤٦ - ١٩٤٩ الذي تسبب بنكبة دونها النكبة التي تسبب بها جفاف السنة ١٩٢١ ، والنقص المزمن في الاكلاء الذي زاد النقص في الحبوب من خطورته . يضاف الى ذلك ان السياسة التي استهدفت حصر مساحات زراعة الحبوب وتوسيع مساحات زراعة الاكلاء ، وزيادة الانتاج بتحسين التقنيات والدورات الزراعية المدروسة قد اسفرت عن نتائج خيبت الآمال ، مما حمل الخطة الخمسية الخامسة على اعادة الاولوية لتوسيع مساحات زراعة الحبوب . فزادت هذه المساحة اكثر من ٢٥ مليون هكتار بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٧ ، وجاءت الخطة السادسة لتحقيق زيادة ٣٦ مليون هكتار من الاراضي الجديدة التي لم تحرث قط من ذي قبل ، في سيبيريا وقازاخستان . واستتبعت المكننة من جهة ثانية لجميع التعاونيات الزراعية في وحدات كبرى . فانخفض عددها من ٢٥٢٠٠٠ في السنة ١٩٥٠ الى ٧٨٩٠٠ في السنة ١٩٥٧ . وقد استلزم اتساع مساحات المزارع التعاونية هذا اسناد ادارتها الى فنيين . فمنذ السنة ١٩٥٣ اختير اكثر من نصف مسيري التعاونيات من بين الزراعيين المتخرجين من المدارس الثانوية والعليا ، وعين مهندسون زراعيون للعمل ابدأ في محطات الآلات والجرارات . وبموازاة هذا التطور ، تجدر الاشارة الى تعاظم دور المزارع النموذجية لا في اراضي قازاخستان وسيبيريا الاستعمارية فحسب ، بل في الاراضي الزراعية الفقيرة في روسيا الاوروبية ايضاً التي تأثرت بالهجرة الريفية . فقد ارتفع عددها من ٤٨٥٧ في السنة ١٩٥٣ الى ٥٠٩٩ في السنة ١٩٥٦ . وقد تضاعفت مساحتها منذ السنة ١٩٥٠ وتضاعفت في الوقت نفسه المساحة المخصصة لزراعة

الحبوب (٥١ مليون هكتار في السنة ١٩٥٧ تمثل ١/٤ الاراضي الصالحة للحرث في الاتحاد السوفياتي) .

اما تربية المواشي فلم تتقدم تقدماً كبيراً بصورة عامة ؛ فان اللحوم والحليب والصوف قد انتجت بكمية غير كافية . لا بل ان الابقار قد انخفض عددها منذ السنة ١٩٤٨ . فاتخذت من ثم ، منذ السنة ١٩٥٣ ، سلسلة تدابير تهدف الى زيادة الانتاج : رفع اسعار محاصيل تربية المواشي ، زيادة مساحات زراعة الاكلاء (بنسبة ١٦٦ بالمائة بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٦) ، سياسة منسقة لتسمين المواشي ... ، مما ادى الى ارتفاع عدد المواشي وتحسين نوعيتها بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٧ .

بسبب الافضلية المعطاة للصناعة على الزراعة ولانتاج المواد التجهيزية
مستوى المعيشة
على المواد الاستهلاكية ، وبسبب ابتلاع حاجات اعادة البناء والتسلح
لجزء كبير من الانتاج ، لم يتح ارتفاع مستوى الانتاج احياناً حتى العودة الى مستوى المعيشة السابق . الا ان تقنين المواد الغذائية والمصنوعات الاستهلاكية ، الذي فرض ابان الحرب ، قد ألغى في الحقل الغذائي في اواخر السنة ١٩٤٧ حين قضى اصلاح نقدي بتنظيم الاسعار تنظيمياً شديداً واتاح وضع حد لازدواجية قطاع المخازن « التجارية » والقطاع المقنن . وقد طرأت من جهة ثانية سلسلة انخفاضات في عهد لاحق (سبعة انخفاضات عامة وبعض الانخفاضات الخاصة في عدد من المصنوعات) تقابل ارتفاع اسعار المواد الاستهلاكية ، وقد اختلفت باختلاف السلع ، ولكنها بلغت ، بحسب تقديرات روموف ، ٢٥ و ٣٠ وحتى ٥٠ و ٦٠ بالمائة .

وتحسنت الأجور بشمول « الاجر المشترك » اي الفوائد المختلفة التي يحصل عليها كل عامل بصرف النظر عن عمله . فقد منح قانون السنة ١٩٤٤ تعويض ومكافأة ولادة ابتداء من الولد الثالث (وليس من الولد السابع كما في السنة ١٩٣٦) ، وفي السنة ١٩٤٧ أقرت بعض التعويضات للامهات - العازبات . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان ارتفاع الاجر الحقيقي (٢٠ بالمائة لصغار الاجراء ، ١٥ بالمائة للعامل الاختصاصي ، ١٠ بالمائة للمهندس) قد تحقق بسرعة نسبية اذ امكن التأكيد في شهر تموز من السنة ١٩٥٣ « ان بمقدور المواطنين السوفيات شراء ضعف ما كانوا يشترونه في السنة ١٩٤٧ » . ولعل الطاقة الشرائية زادت بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥٣ ، بحسب تقديرات روموف ، بنسبة ٧٨,٥ بالمائة للعامل ، و ٧٨ للمعامل الاختصاصي ، و ٥٧ بالمائة للمهندس ، و ٥٠ بالمائة للفلاحين .

لا مناص والحالة هذه من مقارنة هذه الطبقة الاقتصادية بطاقات
مقارنة بالبلدان الرأسمالية
بلدان « المشروع الحر » . فاذا ما نظرنا الى الخط البياني المنحني الذي رسمه انطلاقة صناعة اساسية في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لاستعمال الا يسترعي انتباهنا انتظام نمو انتاج الاتحاد السوفياتي والتقلبات البارزة في انتاج الولايات المتحدة (الشكل ٢٦) ؛ ويرد انتظام نمو الاقتصاد السوفياتي الى انعدام الازمات ، كما قد ترد

سرعته الى مستوى الانطلاق المنخفض جداً وتوفر تقنية متقدمة جداً افاحت للاتحاد السوفياتي ان يستخدم دفعة واحدة ادوات جديدة وطرائق مضمونة النتائج . فحتى السنة ١٩٤٧ ، اي في مرحلة البناء الاشتراكي ، بلغ المعدل السنوي في تقدم الانتاج الصناعي ٣٠ بالمائة ، وبين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥٠ ، ٢٣ بالمائة ، وفي السنة ١٩٥١ ، ١١ بالمائة ، ومنذ السنة ١٩٥٢ ، ١٠ بالمائة . اي ان المعدل العام كان ١٧,٥ بالمائة ، بينما كان ٤,٥ بالمائة في الولايات المتحدة . وعلى الرغم من ذلك ، ما زال الفارق كبيراً بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . ففي السنة ١٩٥٣ ، كان معدل الانتاج ، المعتبر ١٠٠ في السنة ١٩٤٧ ، ١٢٩ في الولايات المتحدة و ٢٦٦ في الاتحاد السوفياتي ، ولكن هذا الاخير لم ينتج آنذاك سوى ١/٣ الانتاج الاميركي من الفولاذ ، و ٥ بالمائة من انتاج السيارات و ١/١٠ انتاج الجرارات ، و ٣٣ بالمائة من الفحم الحجري ، و ١٤ بالمائة من البترول و ٢٥ بالمائة من الكهرباء المولدة من القوة المائية ، بصرف النظر عن الغاز الطبيعي . وربما بلغ مجموع الدخل القومي غير الصافي بحسب تقديرات مختلفة ١٨ - ٣٦ بالمائة من الدخل الاميركي غير الصافي . ولكن الفارق يتجه نحو النقصان ، والتأخر يتلاشى سنة بعد سنة .

الحياة الفكرية
ان الظروف الخاصة التي عاش فيها الاتحاد السوفياتي منذ السنة ١٩١٧ ادت الى قيام صلة اكثر وثوقاً منها في اي مكان آخر بين الحياة الفكرية والفنية من جهة ، وبين الظروف السياسية والدولية من جهة اخرى : ادب وفن رومنتيقيان وعارمان بالقوة اثناء المرحلة « الثورية » في العشرينيات ، ثم اثناء العمل بالخطط الخمسية ؛ اما المذهب الذي نال الخطوة فهو « الواقعية الاشتراكية » التي اتجهت شطر تمجيد نشاط الانسان في العمل اي في المصنع والتعاونية الزراعية . وقد عزز هذا الاتجاه منذ السنة ١٩٣٨ الخطر الالماني الذي وجهه الافكار نحو ايقاظ الشعور القومي ، والعودة الى اجداد الماضي ، والاشادة بذكر الملوك والقادة ورجال الدولة الذين صنعوا روسيا العصرية بمقاومتهم السيطرة الاجنبية ؛ وهكذا فان روايات « الكسي تولستوي » وموسيقى بروكوفيايف وافلام ايزنستاين قد عظميت بطرس الاكبر « وايفان الهائل » و « اسكندر نوسكي » وسوفوروف . واوحت الحرب مؤلفات ادبية كثيرة تمجد الوطنية السوفياتية التي وحدث بين احترام ماضي روسيا القومي واحترام روسيا الجديدة الشيوعية . فمنذ السنة ١٩٤١ وضع « ايليا اهرنبورغ » كتاباً يتجلى فيه عداؤه للامان : « سقوط باريس » ؛ وكانت حراجة وضع الاتحاد السوفياتي في السنة ١٩٤١ والسنة ١٩٤٢ مصدر وحي لشعراء كثيرين من امثال سيمونوف وسوركوف ، ومؤلفات ليونوف وكازاكيفيتش (الكوكب) واوفيتشكين وبولغوي (رجل رجل) ، ومجدت افلام بطولية المدافعين عن موسكو وستالينغراد والمنتصرين في برلين ، بينما الف شوستاكوفيتش سمفونيتيه السابعة والثامنة ، والف شولوكوف ، الذي بلغ الشهرة بكتابه « الدون الهادي » (١٩٢٨ - ٤٠) ووصف فيه سنوات الحرب الاهلية العشر من خلال

تزايد سكان المدن الرئيسية في الاتحاد السوفياتي من ١٩٢٦ الى ١٩٥٩

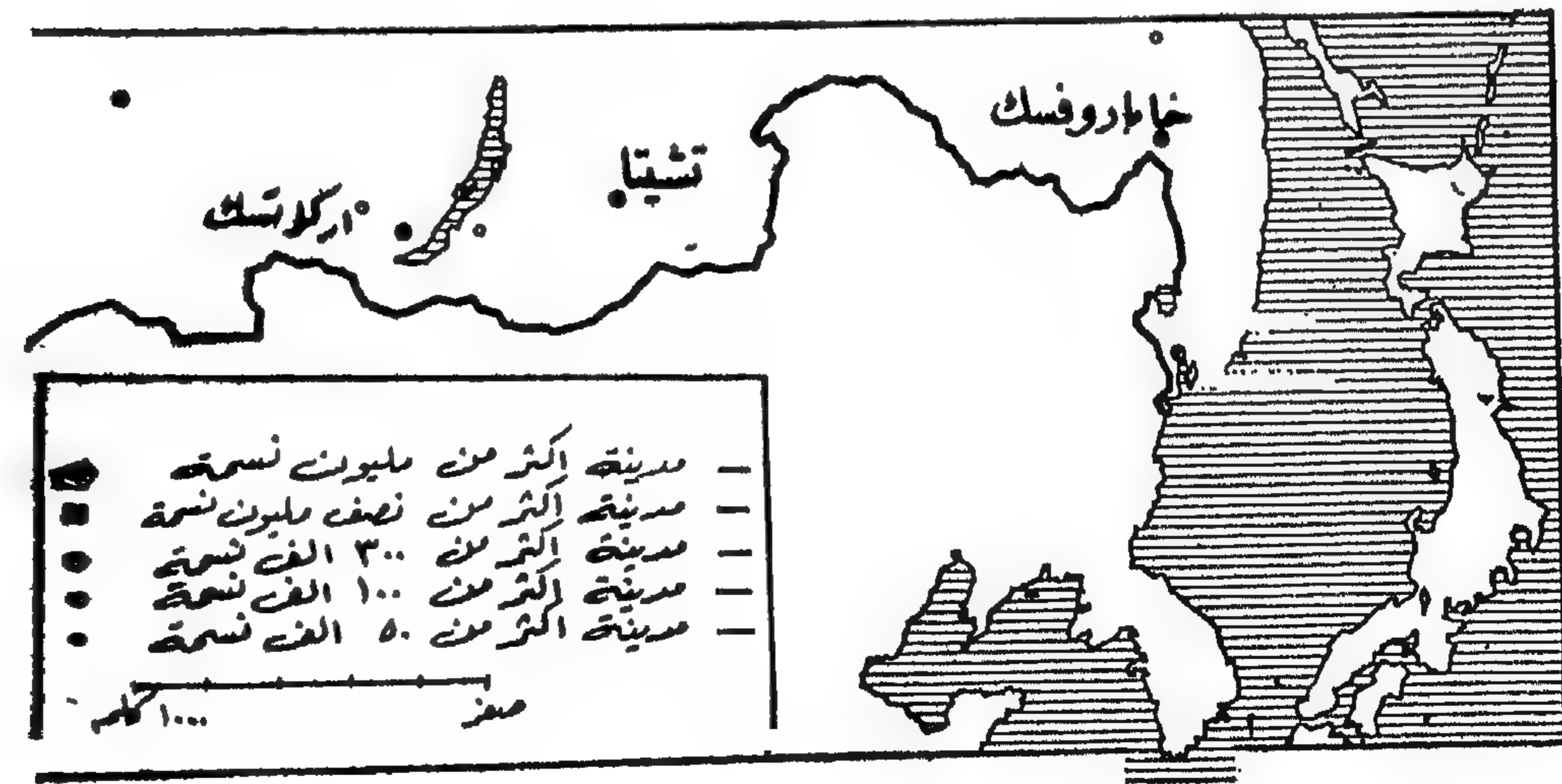
(احصاء ١٥ كانون الثاني ١٩٥٩)

الشكل ٢٥ - نمو المدن في الاتحاد السوفياتي ، ١٩٢٦ - ١٩٥٩



١٩٥٩	١٩٢٦	
٨٨٧ ألفا	١٢٠ ١٢٨	لوفوسيرسك
٦٦٧ ألفا	٤٢٠ ٨٦٢	ارديسا
٥٧٩ ألفا	١٦١ ٦٨٤	ارمسك
٥٤٦ ألفا	٩٨ ٥٣٧	اورفا
٦٢٨ ألفا	١١٩ ٧٧٦	بيرم
٢٨٢ ألفا	١٠٧ ٠٠٠	ريفا (١٩٣٩)
٥٩٧ ألفا	٣٠٨ ١٠٣	روستوف
٥٨١ ألفا	٢١٩ ٥٤٧	سراتوف
٧٧٧ ألفا	١٤٠ ٣٠٠	سفرلوفسك
٩١١ ألفا	٣٢٣ ٦١٣	طشقند
٦٩٤ ألفا	٢٩٤ ٠٤٤	تبليسي
٦٨٨ ألفا	٥٩ ٣٠٧	تشيلياينسك
٣٠٢ ألفا	٦١ ٥٢٦	تشيتا
٣٤٥ ألفا	١٥٥ ٠٠٥	تولا
٥٩١ ألفا	١٥١ ٤٩٠	فولغوغراد
٤٥٤ ألفا	١٢١ ٦١٢	فوروبنيج
٤٠٦ آلاف	١١٤ ٢٧٧	يوسلاف
٥٠٩ آلاف	٦٤ ٦١٣	يريفان
٤٣٥ ألفا	٥٥ ٧٤٤	زبوروي

١٩٥٩	١٩٢٦	
٤٥٥ ألفا	٤٥ ٣٩٥	ألتا
٩٦٨ ألفا	٤٥٣ ٣٣٣	باكو
٦٥٨ ألفا	٢٣٦ ٧١٧	دنيبروبتروفسك
٩٤٣ ألفا	٢٢٢ ٣٥٦	غوركي
٣٦٥ ألفا	١٠٨ ١٢٩	اركتوسك
٣٣٢ ألفا	١١١ ٤٦٠	ايفانوف
٣٩٨ ألفا	٧٧	كر اغاندا
٦٤٣ ألفا	١٧٩ ٠٢٣	كازان
٣٢٢ ألفا	٥٢ ٠٤٥	خاباروفسك
٩٣٠ ألفا	٤١٧ ٣٤٢	خاركوف
١ ١٠١ ٠٠٠	٥١٣ ٦٣٧	كييف
٨٠٦ آلاف	١٧٥ ٦٣٦	كوبيشيف
٣ ٣٠٠ ٠٠٠	١ ٦٩٠ ٠٦٥	ليننغراد
٤١٠ آلاف	٣١٦ ١٧٧	لوف (١٩٣١)
٣١١ ألفا	٣٠ ٠٠٠	مانيلوغورسك
٣٥٨ ألفا	٢٤٢ ٠٠٠	ماكيدكا (١٩٣٩)
٥٠٩ آلاف	١٣٤ ٨٠٣	منسك
٥ ٠٣٢ ٠٠٠	٢ ٠٢٩ ٤٢٥	موسكو
٣٣٨ ألفا	٣٨ ٨٤٩	نيجني تاغيل



حياة الفلاحين والجنود الوضاع ، كتابه « حاربوا من اجل الوطن » (١٩٤٣) الذي استعاد فيه ذكرى الانسحاب من الدون في السنة ١٩٤٢ . اما بعد السنة ١٩٤٥ ففي الحرب الباردة وخطر السلاح الذري ما اثار حذر السوفيات من الحلفاء السابقين ، فبات لازماً ان تبقى قوات البلاد على استعداد لمقاومة الحرب الوقائية التي خيل لهم ان الاميركيين يعدونها : فنجم عن ذلك عداء للتأثيرات الفكرية الآتية من البلدان الرأسمالية ، خلق حالة نفسية « سبارتية » تقاوم كل تراخ وكل تمويه . وهو جدانوف ، امين سر الحزب بين السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٤٨ ، من تولى هذا النضال ضد الوطنية الشائعة وضد المثالية ، وضد التشبه بالاجني ، وضد « التمسك بالاشكليات » . وقد وُجّه اللوم الى الشاعرة اكاتوفا والهجتاء سوشستشنيكو لانهما اعطيا فكرة خاطئة عن العالم السوفياتي ، والى شوستاكوفيتش بسبب تشاؤمه . واستمر الفن في انحرافه عن الاتجاهات الجديدة المخصصة التي ظهرت في اوروبا الغربية . واتصف الادب بالتفاؤل واعطاء القدوة الصالحة ولم يترك مكاناً كبيراً لتحليل المشاعر الشخصية : الحب ، والطمع ، والحسد ، والبخل . وطارد الانانية والاخلاق السهلة ، واطرى النخوة الوطنية والحياة الجماعية والبطل السوفياتي واعادة البناء وجمال الارض الروسية في مؤلفات غالينا نيقولائينا ، وفيرا بانوفا ، وبابنسكي (الجواد المكوكب) الذي وصف تجدد العمل في احدى تعاونيات كوبان الزراعية ، واجايف (بعيداً عن موسكو) .

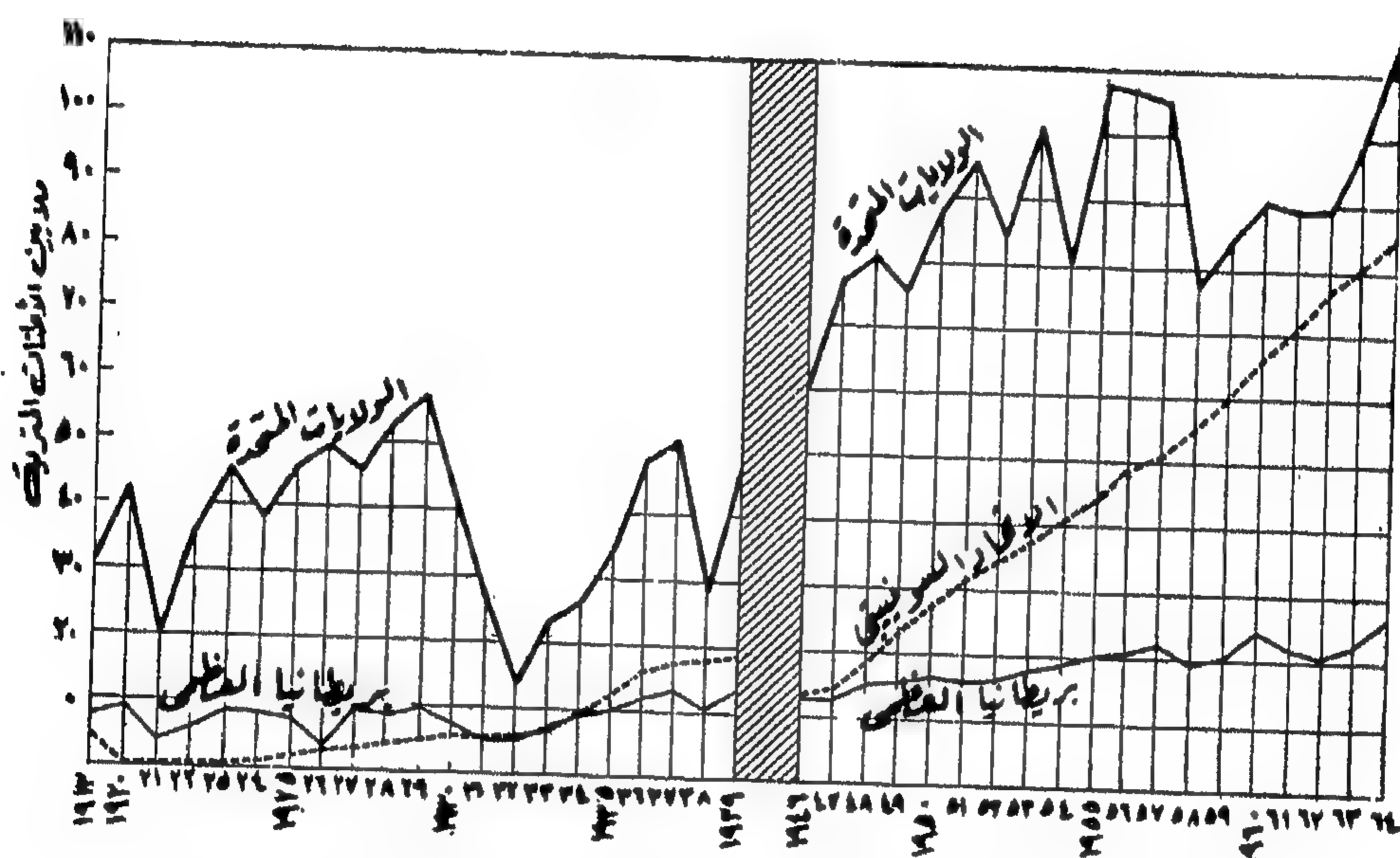
بعد النصر الشيوعي في الصين وزوال الاحتكار الاميركي للقفلة الذرية ، عرف عالم الكتاب والفنانين بعض الراحة والاطمئنان ، وتلاشى جو التعبئة الفكرية : فالف بروكوفيف سمفونيته السابعة وشوستاكوفيتش لحنه المسرحي الديني « غناء الغابات » ، وكلاما نشيد لروح السلم والعمل السلمي ، وأخذ مؤتمر الكتاب السوفياتيين المنعقد في السنة ١٩٥٤ يناقش مسائل النقد الادبي والمسرحي دونما نظر الى الناحية العقائدية . واتصفت مقاومة التقليد الاعمى والانقيادية الستالينية بمزيد من الحرية حيال « الواقعية الاشتراكية » ، وتجلت بمزيد من الاهتمام بالمؤلفات الغربية (او اقله برغبة حقيقية في التعرف الى الفن المجرد والرسم غير التمثيلي) ، وطالبت بحرية الابداع الفني واكدت ضرورة « تسهيل تفتح روح المبادأة والافكار والخيالة الشخصية » . وتجلت كذلك بالمناقشات الحامية في اوساط الفنانين والكتاب امام لوحات فالك نيكوف ، وقصائد افوشنيكو التي كانت احداها موضوع سمفونية شوستاكوفيتش الثالثة عشرة (١٩٦٣) ، ومؤلفات بوريس باسترناك ، ورواية اسكندر سولجنيسين حول المعسكرات الستالينية .

سبق لهذه الحرية ، التي نمت بعد وفاة ستالين بنوع خاص ، ان ظهرت ابان الحرب في الحقل الديني . فقد ضمن دستور السنة ١٩٣٦ حق ممارسة العبادة ، ثم حصلت الكنيسة الارثوذكسية في السنة ١٩٤٥ ، بسبب اخلاصها للعهد القائم ، على حق عقد مجمع انتخاب البطريرك الكسيوس .

ومنذ ذلك الحين لم يسمح للاكليس بعضوية الجمعيات الدينية فحسب ، بل ألزم بان يكون المسؤول الرئيسي فيها .

لم تتبدل المؤسسات تبديلاً يذكر بعد السنة ١٩٤٥ ، ولكنها عرفت ، منذ وفاة ستالين تغييرات عميقة في سير حركتها ، ولا سيما بعد انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في شهر شباط من السنة ١٩٥٦ ، وإذاعة تقرير خروتشوف (وثيقة اتهامية حقيقية ضد الدكتاتورية) ، ونشر وصية لينين . فُخِطَّت « عبادة الشخصية » واتخذت

الاتحاد السوفياتي
منذ المؤتمر العشرين
المؤسسات



الشكل ٢٦ - انتاج الفولاذ الخام في الاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة بين ١٩١٣ و ١٩٥٥

الحكومة شكل ادارة مشاركة تعزز في السنة ١٩٦٤ حين أقصي نيكيتا خروتشوف القوي الشخصية عن الحكم . واذا ما سلمنا ، مع جورج غورفيتش ، وبأن الطابع الحصري للأنظمة الشيوعية مرده ... الى طابع التخلف او نصف التخلف في البلدان التي قامت هذه الأنظمة فيها ، فان التحول الراهن الى الحرية انما يقابله تطور اقتصادي يسمح اليوم بتخفيف الضغوط ، وتلبية بعض المطالب ، والكف عن التضحية باليسار على مذهب القوة وبلاستهلاك على مذهب التجهيز ؛ فقد توفرت من ثم الشروط اللازمة لقيام نظام ديمقراطي وحر . اجل لم تفقد الدولة شيئاً من مقومات وصايتها : فهي ما زالت سيدة الجيش وقوى الأمن ، والحياة الاقتصادية ايضاً ،

اذ انها تتصرف في الموارد الانتاجية . واحتفظ الحزب من جهته بمراكز القيادة وبادارة القطاعات الرئيسية ، ولكن اساليب جديدة في الحكم والادارة خلقت جواً جديداً كل الجدة . فان الغاء عدد من الوزارات الاتحادية ، وزيادة مهام مجالس العمال ، ونقل مصالح كثيرة من موسكو ومن عواصم الجمهوريات المختلفة الى مراكز الانتاج ، كل ذلك قد احدث يقظة حقيقية في الحياة العامة . وبفضل تعاظم استقلال المجالس الذاتي ، بات باستطاعة المواطنين الاسهام مباشرة في ادارة الشؤون المحلية ، بينما دعي المجلس السوفياتي الاعلى ، من جهته ، لمناقشة وتعديل مشاريع القوانين التي يتقدم بها الحزب . وتستدعي الانتباه هنا ظاهرة لا تخلو من المفزى ، هي تعاظم شأن احدى المؤسسات منذ المؤتمر الثاني والعشرين ، مع انها ، بالرغم من قدمها (١٩٢٢) ، لم تقم منذ زمن بعيد بأي دور بارز ، اعني بها الد بروكاتورا ، التي فوض إليها مراقبة شرعية عمل الأجهزة الادارية او القضائية (وزراء ، مشاريع ، مؤسسات مختلفة) على مختلف مستوياتها . فان النائب العام ، الذي يعين لمدة سبع سنوات ، مستقل عن وزير العدل وعن الحكومة ولا يرتبط الا بالمجلس السوفياتي الاعلى في الاتحاد السوفياتي ، وعليه تنبيه المجلس الاعلى الى مخالفة القانون التي يرتكبها هذا الجهاز أو ذاك .

أنكرت الاساليب البوليسية واعيد الاعتبار الى ضحاياها كما اعيد الى الشعوب الشراكسية ، الـ كابر د — بلكار — والتششين — انفوش ، والمان الفولغا الذين كانوا قد نقلوا الى سيبيريا . والغيث النصوص التي تفرض عقوبات جزائية على من يتغيب عن العمل او يتركه دون اشعار سابق ، ورفعت الاجور المتدنية (بنسبة ٣٣٪) ، وحدث بعض الشيء من المكافآت ، وحدد يوم العمل مرة اخرى بسبع ساعات في السنة ١٩٦٠ ، واعيد تنظيم المعاش والتقاعد ؛ ويجب ان يضاف الى هذه التدابير الاسراع في بناء المساكن ، ولا سيما البناء الذي يتولاه الافراد بمساعدة الدولة والمشاريع ، وتوسيع شبكة المؤسسات المدرسية والمؤسسات التي تعملها ، وتوزيع النشاط الصناعي على المناطق خدمة للجمهوريات المتحدة . وبذل مجهود هام جداً بغية تحسين مستوى معيشة الفلاحين تحسيناً سريعاً : تخفيض الضرائب على دخول مزارعي التعاونيات الشخصية ، ورفع اسعار المواد الضرورية من جهة ، وزيادة كمية المواد الاستهلاكية في الاسواق من جهة ثانية ، وزيادة القيمة المالية للوحدة الحسابية التي تستخدم قاعدة لمكافأة الاعمال الزراعية ، الـ «تروودون» .

كانت التغييرات العضوية في النظام الاقتصادي اعظم اهمية وابعد
اصلاح الاقتصاد
خطورة من حيث النتائج . فاللجان النقابية المنتخبة للمشاريع قد اتسعت مهامها واعطيت حق ابداء رأيها في المرشحين لمراكز الادارة ، وتوجب استشارتها قبل اي تسريح . واخيراً حصلت على المزيد من النفوذ للجمعيات الانتاجية الدورية التي تضم ادارة وعمال كل مشروع بغية مناقشة المسائل المتعلقة بهم . وكان التصنيع المخطط ، الذي استهل منذ زهاء ثلاثين سنة ، قد اخضع لتنظيم مركزي ناجح في السنة ١٩٢٩ ، ولكنه افضى

بسبب نجاحاته بالذات ، الى تعدد الوزارات الصناعية (٣١ في السنة ١٩٥٥) وتشابك صلاحياتها ،
 فنجم عن ذلك توتر وازدواجية وتبذير وفصل عمودي صارم بين القطاعات المتكاملة . فآدى
 الاستياء من هذه الحصرية البيروقراطية ، الثقيلة الوطأة والباطلة الكلاف ، حين توجب ادارة
 ٢٠٠ ٠٠٠ مشروع صناعي و ١٠٠ ٠٠٠ مشغل في انحاء البلاد المختلفة ، الى الغاء معظم هذه
 الوزارات في شهر ايار من السنة ١٩٥٧ والاعاضة منها بـ ١٠٥ اجهزة (سوفنار كوز) حصرت
 صلاحياتها في الاقاليم (٧٠ في الجمهورية السوفياتية الاتحادية الاشتراكية الروسية ، ١١ في اوكرانيا ،
 ٩ في قازاخستان ، ٣ في اوزبكستان ، ٢ في كيرغيزيا ...) واشرفت على كافة مشاريع
 اقليمها وليس على هذا الفرع او ذاك من فروع الانتاج كما في السابق . وكان الهدف من هذه
 اللامصرية ، عن طريق التقسيم الاقليمي الصوابي للعمل ، للتقريب بين الادارة الاقتصادية
 والمشاريع ، واتاحة قيام مزيد من التناسق والاختصاص ، وتسهيل التمويل ، وتحقيق وفر هام
 في النقل ، واستخدام اليد العاملة استخداماً افضل ، لاسيما وقد اخذت الحاجة تمس اليها . وقد
 خضع كل سوفنار كوز لاشراف لجنة يعاونها مجلس اقتصادي وفني ، وعمل تحت رقابة
 الـ « غوسبلان » الذي لم يعد جهازاً ادارياً بحتاً بل حصرت مهمته بعد اليوم في مطابقة التخطيط
 بتنسيقه الخطط في الجمهوريات والمناطق . ووفرت له دوائر الاحصاء الموحدة الموضوعة تحت
 تصرفه واموال المصرف المركزي التي يوزعها كافة الوسائل الضرورية للقيام بمهمة
 الادارة هذه .

واقر في شباط وحزيران من السنة ١٩٥٨ تدبيران ليسا دون هذه التدابير اهمية ، اعني بهما
 نقل ملكية معدات « محطات الآلات والجرارات » الى المزارع التعاونية في مدة سنة واحدة —
 وكان الهدف من ذلك ، كما في الحقل الصناعي ، ازالة البيروقراطية من الزراعة واستخدام المعدات
 خير استخدام — وإلغاء التسليحات الإلزامية المفروضة على المزارع التعاونية . وقد استجاب
 هذان التدبيران لرغبات الفلاحين وسهلا زيادة الانتاج . ووسعت كذلك صلاحيات مديري
 المزارع التعاونية لجهة حرية التقرير بصدد نظام الانتاج وحجمه ، وتوزيع الاراضي والعمال ،
 ومكافأة اليد العاملة ، وذلك بمنع اجهزة الدولة والحزب المحلية ، في شهر آذار من السنة ١٩٦٤ ،
 من التدخل في تفاصيل الانتاج . ووصل اخيراً إلغاء المزارع التعاونية المتدنية الانتاج ، باعتبار
 انها اصغر من ان تفيد من التقدمات التقنية . فلم يبق سوى ٦٧ ٠٠٠ مزرعة في السنة ١٩٥٩
 معدل مساحة الواحدة منها ٢ ٢٠٠ هكتار ، وقد اعتمد الكثير منها نظام مكافآت اعتبر ضماناً
 ثابتة تقرب بين ظروف عمل المزارع التعاوني وظروف عمال الصناعة . وزيد كذلك عدد
 المزارع النموذجية التي توازي انتاجيتها ثلاثة اضعاف انتاجية المزارع التعاونية ، فارتفع من
 ٨٠٠ ٥ في السنة ١٩٥٨ الى ٢٨١ ٨ في كانون الثاني من السنة ١٩٦١ . وقد بلغت مساحتها في
 هذا التاريخ ٢٧ بالمائة من مساحة الاراضي الزراعية .

كانت نتيجة مرونة طرائق التخطيط واستعالة تحقيق الخطة الخمسية
الخطوة السبعية
السادسة التي لوحظت في السنة ١٩٥٧ احلال خطة سبعة للفترة
١٩٥٩ - ١٩٦٥ محل الخطط الخمسية . وكانت الخطة الجديدة محصورة
(تناولت ٣٠٠ صنف فقط مقابل ٥٠٠٠) وهدفت الى السماح لكل مشروع بتجديد برنامجها الصناعي
لفترة اطول مدى . وقد وضعت وفقاً لاصول سابقاتها نفسها ، ولكنها ابتغت نموا اقل سرعة
(٧ بالمائة للدخل القومي بدلاً من ١٠ بالمائة) وشددت على اولوية اعادة تجهيز السكك الحديدية ،
والصناعات الكيماوية ، والطاقة (ولا سيما البترول والغاز) ، والاسمنت ، والمعادن غير الحديدية .
وبذل مجهود خاص (مسمى ٢٥٥ للتقدم) لزيادة الانتاجية (٨ بالمائة في السنة ١٩٥٩) بغية
تلافي النقص في اليد العاملة ، الناتج عن دخول بعض الطبقات القليلة العدد في الحياة العاملة .
وكان مقدراً للمناطق الشرقية من الاتحاد - التي استفادت من نزوحات داخلية هامة جداً - ان
تنتفع اكثر من سواها من هذه الانطلاقة : مضاعفة الاموال الموظفة في قازاخستان وسيبيريا
حيث ستبلغ المسمى ٢٥٧ . وبفضل المراكز الصناعية الجديدة والهامة في كوستانائيسك
وبافلودار - اكيباستوز و اتشفسك - كراويارسك وبراتسك تايشت ، انتجت المناطق
الشرقية في السنة ١٩٦٥ نصف الفحم الحجري والفولاذ والاسمنت والطاقة الكهربائية في الاتحاد .
فقد استمر الانتاج الصناعي من ثم في تحقيق تقدمات كبرى ولكن سرعته اخذت تخف منذ
السنة ١٩٦٠ : فان معدل الزيادة الذي لم يبلغ قط ١٠ بالمائة (على غرارہ في السنوات السابقة)
قد اخذ يتدنى تدنياً منتظماً ؛ فبلغ ٧٫١ بالمائة في السنة ١٩٦٤ بالنسبة للسنة ١٩٦٣ (وكان في
اوروبا الغربية بين ٥٫٤ بالمائة ، وفي بريطانيا العظمى اقل من ٢ بالمائة) .

اما الانتاج الزراعي ، الذي زاد بنسبة ٥٠ بالمائة بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٨ ، فما زال
مع ذلك مركز الضعف الحقيقي في الاقتصاد السوفياتي . فاذا كانت زراعة القطن اكبر نجاح
حققته هذه الزراعة ، فان انتاج الحبوب وتربية المواشي لم يحققا سوى نتائج متوسطة جداً .
وقد بقيت الانتاجية السنوية للفلاح السوفياتي متخلفة جداً عن انتاجية المزارع الاميركي (التي
ربما بلغت ثمانية اضعافها بحسب تقدير رينه ديمون) ، كما ان معدل انتاج السنوات ١٩٥٨ -
١٩٦٢ - ١١ قنطاراً في الهكتار - ضئيل جداً بالنسبة لزراعة متقدمة المكننة لا يزال يعمل
فيها ٣٨ بالمائة من السكان العاملين الذين لا يستفاد من ثم من بعضهم استفادة كافية . اما في حقل
تربية المواشي فقد بقي عدد البقرات على حاله وحليب الابقار غير كاف ، بحيث تعذر تنفيذ
خطط تسليم اللحوم والحليب والزبدة . ويرد ذلك الى ان اراضي باثرة كثيرة ، حولت الى
اراض زراعية الى الشرق من الاورال ، لم تكن خصبة التربة . وكانت معرضة بالاضافة الى ذلك
لنقص المياه وانجراف التربة وظروف جوية غير مؤاتية (كارثة الجليد المبكر في السنة ١٩٦٣) .
فأرغم الفشل الذي انتهت اليه محاولة حل مسألة الانتاج بتوسيع المساحة المزروعة وخيبة
الامل التي سببها توسيع مساحة زراعة الذرة الصفراء المعدة لتربية المواشي (وقد تجاوزت

هذه المساحة هشة اضعافاً بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٦٢ ، اذ ارتفعت من ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ هكتار الى ٣٧ مليوناً (على البحث عن زيادة الانتاج باستعمال المزيد من الاسمدة ومبيدات الحشرات . وهذا هو سبب الاولوية المطلقة التي اعطيت في المشروع الجديد لتوظيف الاموال في الصناعات الكيميائية (التي قدمت على الصناعة الثقيلة والنفقات العسكرية) . وفي الوقت نفسه ، زادت اعتمادات الدولة للري والاعمال المائية ٥٠ ٪ في السنة ١٩٦٥ بالنسبة للسنة ١٩٦٣ . وارتسم كذلك مجهود هام في اتجاه اساليب التخطيط وادارة الاقتصاد . اجل لقد سبق ورأينا ان اجماع الانتقادات الموجهة لجهاز اداري فضفاض ولاساليب تنظيمية جامدة ومتروكة وبيروقراطية عادمة الجدارة احياناً ، قد ادت الى تخفيف وطأة الرقابة ، والى اللامصرية التي اعترفت للمشاريع باستقلال ذاتي في موضوع اختيار العمال وتحديد الاجور . ولكن مدرسة كاملة من علماء الاقتصاد من امثال ترابزنيكوف وارزومانيان وليبرمان قد نادت بالعودة الى فكرة الكسب وتقدير دخل المشروع ، وشددت الكلام على اهمية تعيين الاسعار واوصت باستخدام بعض الحوافز (مكافآت ، غرامات ، ضرائب) المدة لحل المشاريع على العمل في اتجاه يوافق الاقتصاد العام ، وتحقيق ارباح تتيح توظيف اموال جديدة ، وإقامة علائق مباشرة بين الميئارة والزبن بغية مطابقة الانتاج على الطلب ومن ثم تحسين نوعية السلع المعروضة للبيع .

التغيرات الطارئة على المجتمع
تطور المجتمع السوفياتي تطوراً سريعاً جداً ، وتبدل توازن الطبقات الاجتماعية تبديلاً كلياً منذ السنة ١٩٤٥ . فان سكان المدن الذين زادوا زهاء ٨٠ مليون نسمة منذ اربعين سنة قد جاوزوا ٥٥ ٪ من مجموع سكان البلاد ؛ كما ان عدد عمال المصانع ومستخدمي المكاتب الذي كان ٤٤ مليوناً في السنة ١٩٥٣ قد زاد بنسبة ٧٠ بالمائة خلال اثني عشرة سنة ، فبلغ ٧٥ مليوناً في السنة ١٩٦٥ . اما الفلاحون الذين تدنى عددهم بفعل الهجرة الريفية التي دفعت نحو المدن بـ ٥ ٥٠٠ ٠٠٠ فلاح بين السنة ١٩٥٦ والسنة ١٩٥٩ ، فقد حدث نقص مليون في عدد عائلات المزارعين التعاونيين بينهم (٦ بالمائة من الاستثمارات الزراعية) . فأقام العديد من اعضاء هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة في المدن منذ جيلين او ثلاثة وتلقوا تعليماً ثانوياً جعلهم اهلاً للوقوف على اسرار المسائل التقنية ، وفتح على هذا الجيل برابطة الجأش التي يعطيها التعليم ، وكان اكثر تطلباً لجهة الحرية والرفاهية واقل اعتماداً من الجيل السابق لتحمل الوصاية البيروقراطية . وبرزت في الوقت نفسه فئة تمثل ٢٢ بالمائة من كافة الاجراء (وهي نسبة تكاد توازي نسبة المزارعين التعاونيين) ، وتتألف من فنيي ومستخدمي الاقتصاد (١١ مليوناً مقابل مليونين في السنة ١٩٤٠ ، تلقى ٦٠ بالمائة منهم تعليماً عالياً) والمعلمين والمربين (٦ ملايين) ، والاختصاصيين في البحث العلمي (٢ ٥٠٠ ٠٠٠) ومستخدمي دوائر الصحة (٤ ملايين) ، والموظفين الاداريين (١ ٨٠٠ ٠٠٠) . وليس محتملاً والحالة هذه ان تصبح طبقة المثقفين هذه المؤلفين من الفنيين والموظفين ، والمتماظم شأنها

في حياة كافة المجتمعات الصناعية ، طبقة حاكمة من الفنيين المستقلين الذين يفرضون مقرراتهم وتنتقل صلاحيتهم الادارية بالوراثة ؟ فان السبيل الوحيد للارتقاء الاجتماعي في مجتمع يستحيل فيه جمع رأس مال ينتج الدخول ، هو التعليم العالي الذي يفتح باب الوظائف الهامة ؛ والحال ينسب ٦٠ بالمائة من الطلاب الحاليين الى هذه الطبقة . ولكن الدولة السوفياتية والحزب اللذين واجها هذا الخطر قد اخضعا مديري المزارع التعاونية والمصانع ورؤساء دوائر التخطيط لرقابة اعضاء الحزب العشرة ملايين ورقابة الادارة الذاتية لذوي العلاقة ؛ وهذا كان احد اهداف اللاحصرية الاقتصادية التي طلع بها خروتشوف . وتوجب كذلك التوفيق بين متناقضات متطلبات العقيدة الهادفة الى إلغاء كل تفاوت بين العمل الفكري والعمل اليدوي (بنشر الثقافة نشرأ واسعاً جداً) وندرة المراكز الهامة المتوفرة نسبياً (التي تفرض الحد من التعليم العالي) : بين السنة ١٩٥٤ والسنة ١٩٥٧ تعذر على اكثر من ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ تخرجوا من المدرسة الثانوية الانتقال الى التعليم العالي والمدارس التقنية . اما الحل القليل الجدوى الذي اعتمده اصلاح السنة ١٩٥٨ فقد قضى بفرض فترة تمرين على العامل اليدوي قبل دخول التعليم العالي .

كانت من ثم نتيجة ازالة « الصبغة الستالينية » ارتياحاً داخلياً حقيقياً ، دون ان تتعرض مع ذلك لمبدأ دكتاتورية البروليتاريا او تدخل اي تغيير على نظام المجتمع . ووفرت كذلك ارتياحاً خارجياً استعجل تحسن العلاقات بين الدول في العالم . وقد أسهم كذلك في هذا الارتياح اعتراف المؤتمر العشرين بشرعية استخدام كل امة طرائقها الخاصة للوصول الى الاشتراكية ، حتى عن الطريق البرلمانية ، بواسطة تقارب دائم — لا مؤقت كما كان تقارب الجبهات الشعبية — مع الاحزاب التقدمية الاخرى ، والموافقة على السياسة الخارجية الحيادية التي تمشى عليها عدد من الدول الآسيوية والافريقية وحتى الأوروبية ، والحرية التي تركت للاحزاب الشيوعية القومية في الاتصال فيما بينها اتصالاً مباشراً .

الفصل الثاني

الديمقراطيات الشعبية في أوروبا الوسطى والشرقية

ان أوروبا الوسطى والشرقية تؤلف ، مع الشرق الأقصى ، الجزء من العالم الذي امتحن ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، بأعمق ثورة شاملة . فعلى غرار ما حدث في روسيا في السنة ١٩١٧ ، قوّضت العروش ، وُشتتت الارستوقراطية القديمة ، ومحقت الملكية الاقطاعية ، وأُلغيت الامتيازات ، وتلاشى السياسيون القدماء الذين اقصوا أو نُفوا أو حُكم عليهم بالموت ؛ وقُسمت الاحزاب او تحولت واخيراً زالت من الوجود : ان الطبقات الحاكمة السابقة كانت تتطلع الى لندن وباريس وواشنطن وروما لتتلقى منها التوجيه الفكري او الاقتصادي ؛ اما بعد السنة ١٩٤٥ فانما استنزل الوحي من موسكو ؛ ولقد قضت الثورة في عقد واحد على عادات وتقاليد الف سنة .

الى الشرق من الخط الذي بلغه الجيش السوفييتي في أوروبا الوسطى ، دخلت سبع بلدان في منطقة احتلاله ونفوذه : التشيكوسلوفاكيا ، بلغاريا ، رومانيا ، هنغاريا ، يوغوسلافيا ، البانيا ، قتل ٩٠٩.٠٠٠ كم^٢ مساحة و ٧٠ مليون نسمة سكاناً ، يجب ان يضاف اليها القسم الشرقي من المانيا . وكانت تختلف اختلافاً كبيراً ، إن لجهة النظام الاجتماعي او لجهة الوضع المادي الراهن . فان تشيكوسلوفاكيا لم تعاني مادياً ما عاناه سواها من ويلات الحرب ؛ وكانت اقل تعرضاً للغارات الجوية ، فتعززت طاقتها الصناعية بنقل بعض الصناعات الالمانية اليها . اما بولونيا و المانيا الشرقية ورومانيا وهنغاريا فقد كانت مسرحاً للمعارك الضارية والنهب والتدمير . وخرّبت سلوفاكيا ويوغوسلافيا والبانيا تخریباً كاملاً بفعل حرب العصابات والعمليات الثائرة ، وعملت معاملة قاسية . ولم يسلم نسبياً من الأذى سوى بلغاريا في الجنوب الشرقي . ففي كل مكان اتى الالمان اعمال عنف و اباداة رهيبة : قتل ٦ ملايين بولوني نصفهم من اليهود ، اباداة حملة الشهادات العليا

إبادة منظمة (أكثر من نصف الأطباء مثلاً) ، نفي أكثر من ٢٠٠ ٠٠٠ تشيكوي وقتل ٢٨ ٠٠٠ رهينة رمية بالرصاص ، نفي مئات الألوف من الهنغاريين ، إبادة ٥٠٠ ٠٠٠ يهودي مجري . وهكذا فقدت بولونيا ويوغوسلافيا ٢٠ و ١٧ ٪ من سكانها . وإن الأضرار التي قد قدرت لها لجنة التعويضات بـ ١٠٧٤ دولاراً للشخص الواحد في فرنسا ، قد قدرت بما يقارب ضعف هذا المبلغ في بولونيا (٢١١٨ دولاراً) ويوغوسلافيا (١٨١٣) . وهكذا ففي كل مكان اقتصاد مقوّض ، وحاجة تكاد تكون كلية إلى المواد الضرورية ، بما فيها المواد الغذائية ، وخطر مجاعة عامة ، وتضخم مالي مفرط لا مثيل له في التاريخ (في السنة ١٩٤٦ ، سوف يرمز إلى الـ «بنغو» بعدد يضم ٢٧ صفرًا) وسوف تبدل السترلينية بمليون «لاي» في السنة ١٩٤٦ بعد أن كانت تبدل بـ ٣٢ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥) ، ونفقات احتلال مرتفعة جداً ، وتمويضات يجب تسديدها ؛ وجملة القول إن الوضع كان يائساً حقاً .

إلى هذه الصعوبات تضاف الصعوبات الناجمة عن تغيير الحدود ونقل السكان . فإن بولونيا قد انكشحت مساحتها بنسبة ٢٠ ٪ بفعل فقدانها الأقاليم الشرقية ، وعلى الرغم من حصولها على سيليزيا وجزء من براندبورغ وبومرانيا وبروسيا ، فإن عدد سكانها قد تدنى إلى ٢٤ مليون نسمة ، أي أن نسبة التدني بلغت أكثر من ٣٠ ٪ من عدد سكانها ؛ ولكنها بالمقابلة باقت متجانسة عنصرياً ولم يبق فيها أقليات عملياً . وفقدت تشيكوسلوفاكيا من جهتها منطقة روثينيا وأكثر من ٣ ملايين نسمة ، بينما أصبحت مساحة هنغاريا موازية لها في السنة ١٩٣٧ ؛ واقتطعت من رومانيا ١ ٪ مساحتها : بيسارابيا وبوكوفينا ودوبرودجا ، و ٢٢ ٪ من سكانها ؛ أما بلغاريا فقد ضمت إليها منطقة دوبرودجا ، وضمت إلى يوغوسلافيا منطقة البندقية الجولية مع «فيومه» وجزر الأدرياتيك .

اضطر معظم هذه الدول (بولونيا ، بوهيميا ، رومانيا) من ثم إلى القيام باستعمار داخلي حقيقي ، وتخفيف حدة المنازعات القومية والاجتماعية بإزالة فوارق النمو الاقتصادي (بين بوهيميا وسلوفاكيا مثلاً ، وبين صربيا القديمة والجبل الأسود) ، وتجديد مختلف أجهزة الانتاج ، ولا سيما وسائل النقل التي يجب أن توافق البناء الإقليمي الجديد في الدول ، وتحسين وضع طبقات الفلاحين التي بائت بأثمة بفعل ندرة العمل وضآلة الانتاج ، ووضع حد لارتباطها الشبيه بالارتباط الاستعماري بالنسبة لرؤوس الأموال الغربية ، وضمان استقلالها الوطني .

في سبيل مواجهة هذه الأعباء ، تألفت منذ التحرير حكومات اتحاد
حكومات
الاحزاب المتحدة
(الجبهة الشعبية ، الجبهة القومية الديمقراطية ، الاتحاد الوطني المعادي
للفاشستية ، جبهة الوطن ...) ضمت ، في وجه الطبقات الحاكمة
السابقة التي تشوّهت سمعتها بتعاونها مع الألمان وتدني نفوذها بسبب سياستها ، كافة عناصر
السكان التي قاومتها . وقد اختلفت الأحزاب التي اشتركت فيها بأسسها الاجتماعية وايدولوجيتها
وأهدافها البعيدة ، ولكنها اتفقت حول برامج قصيرة الأجل بوشر تنفيذها على الفور : تطهير

ومعاقبة العناصر الفاشستية والتعاونية ، اصلاحات اجتماعية عن طريق توزيع الاراضي العائدة ملكيتها للامان والتعاونيين والملاكين الذين هاجروا البلاد ، رقابة الطاقة الاقتصادية عن طريق تأميم الصناعات .

الا ان تقسيم الاملاك الكبرى بواسطة لجان شعبية قروية ، وتأميم الصناعات قد زادا في حينها من خطورة الصعوبات الاقتصادية والمالية : فقد ارتدى التضخم المالي طابع الكارثة ، واستولى الجزع على الاحزاب غير الاشتراكية المعادية للاصلاحات العميقة . وحدثت آنذاك ظاهرة كلاسيكية في الفترات الثورية ، هي انضمام انصار النظام المغلوب على امره الى صفوف الاحزاب المعتدلة في التحالف الحكومي والتأثير عليها . وقد سبق للشيوعيين ان اختبروا ذلك في روسيا بعد السنة ١٩١٧ مع المنشفيك والاشتراكيين الثوريين والاشتراكيين الديمقراطيين ، فشاهدوا حدوث الظاهرة نفسها في فرنسا وايطاليا اثناء الانتخابات التي اعطت المزيد من الاصوات لحزبي الوسط ، الحركة الجمهورية الشعبية والحزب الديمقراطي المسيحي . وكان لأمر الحرب الباردة التي قامت بين حلفاء الامس دور حاسم جداً ، لانها جعلتهم اكثر تنبهاً لانبعاث معارضة قد تنجح في إعادة السلطة للاحزاب البورجوازية ؛ وهكذا فان المعارضة ، شاءت أم أبت ، قد ارتدت طابع المقاومة للسوفيات ولقيت تشجيعاً ومساعدة من الحكومات الغربية او بدت وكأنها تلقاهما .

يضاف الى ذلك ان الاحزاب الشيوعية قد استمالت العديد من الاعضاء . ففي تشيكوسلوفاكيا ارتفع عدد هؤلاء من ٥٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ١ ٣٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٧ . وفي بولونيا من ٣٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ٨٠٠ ٠٠٠ . وفي رومانيا ارتفع هذا العدد الى ٧٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٧ ، وفي هنغاريا الى ٧٥٠ ٠٠٠ . فتعاظم نفوذها وقوتها في كل مكان .

قيام النظام الشيوعي تدريجياً في مثل هذا الجو تطور الوضع الداخلي في هذه الدول : فقد اشتد الصراع بين الاحزاب ، وافضى خطر انتهاء السلطة مرة اخرى الى التأثيرات السابقة المعادية للاصلاحات ، الى تصلب الاحزاب الشيوعية والاتحاد السوفياتي الراغب في ان لا يرى بعد اليوم على حدوده حكومات تناصبه العداء . ومنذ السنة ١٩٤٥ حتى السنة ١٩٤٨ ، وفي كل بلد من هذه البلدان ، اقصيت الاحزاب المعارضة تدريجياً وتحولت حكومة الاحزاب المتحدة الى نظام يكاد يكون بكليته تحت اشراف الشيوعيين . الا ان التشديد على الاصلاحات الاجتماعية الجذرية قد استتبع في البدء انقساماً في قلب كافة الاحزاب الديمقراطية بين العناصر المتمسكة بالاصلاحات التي انجرت الى اللحاق بالحزب الشيوعي ، والعناصر التي خشيت هذه الاصلاحات واتجهت شطر العناصر الرجعية : فتصدعت من ثم كافة الاحزاب القروية والديموقراطية . واقصي زعماء جناحها الايمن المعادي للاتحاد . وعرفت الاحزاب الاشتراكية - الديمقراطية المصير نفسه . فان الفئسة العاطفة على الاحزاب الغربية التابعة للدولية الثانية والمنحرفة عن الماركسية ، قد اقصيت بينها الفت الاكثرية مع

الحزب الشيوعي « جبهة ديموقراطية » . واضطر الزعماء المعتدلون اما الى الانسحاب واما الى مغادرة البلاد . ومنذ ذاك الحين ، وبعد ان احرزت «الجبهة الديموقراطية» النصر في الانتخابات اكملت الحكومة المنتصرة العمل الثوري ، فوسعت التأميمات وانجزت تطهير العناصر المعادية . اما الاحزاب القروية والبورجوازية فقد انضمت الى معارضة اغضي عليها ولكنها أصبحت أكثر صعوبة يوماً بعد يوم . ومنذ اوائل السنة ١٩٤٨ ازيلت كل معارضة علنية في كافة بلدان أوروبا الشرقية ، بينما فر زعماء المعارضة او القبي القبض عليهم .

الفت الجمهوريات الست ويوغوسلافيا جمهوريات شعبية . ففي تشيكوسلوفاكيا وبولونيا انتخب رئيس جمهورية يتمتع بصلاحيات واسعة . وفي البلدان الاخرى حل محل الملوك مجلس اعلى تنتخبه الجمعية من بين اعضائها ويمارس وظيفة رئيس الجمهورية جماعياً . واصبح لكل جمهورية مجلسها التشريعي المنتخب بالاقتراع العام ، باستثناء دولة يوغوسلافيا الاتحادية التي قام فيها مجلسان . وكانت المبادئ الاساسية واحدة في كافة البلدان : مساواة أمام القانون وفي الثقافة ، وحق في العمل والضمان الاجتماعي . وتولى الادارة المحلية هرم من المجالس شبيه به في الاتحاد السوفياتي ، وكان النظام القضائي كذلك شبيهاً به في الاتحاد السوفياتي ايضاً ، وهو الحزب الشيوعي ، المنظم على غرار الحزب البلشفيكي ، وفقاً لمبدأ « المركزية الديموقراطية » ، ما كان القوام الاساسي للنظام .

الجمهورية الديموقراطية الألمانية
اختلف وضع القطاع السوفياتي في المانيا، حيث يقيم زهاء ١٧ مليون الماني ، اختلافاً ملموساً عنه في تحليلنا اعلاه ؛ فان هذا القطاع ، الذي خربته الحرب والغارات الجوية كما خربت بولونيا تقريباً ، قد اخضع لاحتلال صارم . فقد وضع السوفييات يدهم فيه ، بحجة التمويضات ، على اجهزة كثيرة حصلوا عليها بتفكيك آلات المصانع ، وعلى كميات كبرى من السلع واعداد وفيرة من المواشي ؛ وأسسوا شركات سوفياتية مساهمة - اكثر من ٢٠٠ شركة استثمرت عدداً من المصانع والصناعات الرئيسية ، وقدرت ارباحها بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٨ بـ ٢٥ بالمائة من مجموع انتاج القطاع السوفياتي . وبالرغم من ذلك ، تحقق الاصلاح الزراعي ، وتناول تأمين المشاريع الصناعية على انواعها ، في السنة ١٩٤٨ ، ٣٥ - ٤٠ بالمائة من مجموع المصانع ، ومثلت الشركات السوفياتية المساهمة ٢٥ - ٣٠ بالمائة ، والصناعة الخاصة ٣٠ - ٣٥ بالمائة .

وتألف بالمقابلة ، على الصعيد السياسي ، في السنة ١٩٤٦ ، الحزب الاشتراكي الموحد بانصهار الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي ، والاتحاد المسيحي الديموقراطي ، وحزب ديموقراطي حر ؛ وسمحت السلطة العسكرية السوفياتية بالانتخابات في البلديات ، ثم في البلاد كلها في السنة ١٩٥٠ . ومنذ السنة ١٩٤٧ انعقدت في كل سنة « مؤتمرات الشعب » التي تمثل مختلف الاتجاهات في القطاع . واتسعت الهوة تدريجياً بين الألمانيتين ، فقبول كل تدبير غربي لتنظيم المانيا الغربية على نحو استقلال ذاتي بتدبير مماثل له في الشرق . وفي تشرين الاول ١٩٤٩ ، اخيراً ، أعلنت

الجمهورية الديمقراطية الألمانية التي أعادت لها السلطات السوفياتية الشركات المساهمة السوفياتية الثلاث والثلاثين الأخيرة التي كانت قد احتفظت بها ، وتخلت لها عن صلاحياتها للحكومة في السنة ١٩٥٣ . فبات منذ ذلك الحين دخول الكتلة الشرقية امراً ميسوراً ، وقد تحقق بسرعة .

الا ان الجمهورية الديمقراطية الألمانية لم تسر ، على الصعيد السياسي ، في طريق تطور الجمهوريات الديمقراطية الشعبية نفسه : فقد جرى الانتخاب في ظل نظام القائمة الواحدة ، ولكن مبدأ تعدد الاحزاب ما زال سائداً . فقد تعاون حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي والحزب الحر الديمقراطي مع الحزب الاشتراكي الموحد ، وقامت في البلاد احزاب اخرى كالخزب الوطني الديمقراطي والحزب القروي الديمقراطي .

الاخذ الاقتصاد يستعيد بعض نشاطه في الوقت نفسه الذي بوشر
الاصلاح الزراعي
في الديمقراطيات الشعبية
فيه اجراء اصلاحات عميقة في النظام ، وفي الدرجة الاولى
الاصلاح الزراعي الذي طالما طوالب به ، والذي ارجىء ابدأ

او تحقق تحققاً جزئياً فقط . وقد قطع الاصلاح المراحل التي قطعها في الاتحاد السوفياتي تقريباً : توزيع الارض على الفلاحين ، وضع نظام للمقايضات بين المدن والقرى بواسطة تحديد الرسوم وانشاء مخازن تعاونية رسمية وتميين نسبة المواد المفروض تسليمها ، تصفية الـ «كولاك» وتأميم الزراعة . وقد بلغ مجموع الاراضي المستملكة ٢٠ مليون هكتار وزرع ١٢ مليوناً منها على اكثر من ٣ ملايين عائلة قروية .

وانما كانت المسألة على مزيد من الصعوبة والالاحاح في هنغاريا حيث لم ينفذ اي اصلاح حقيقي بين الحربين . فمنذ السنة ١٩٤٥ بلغت الاملاك التي لم تجاوز ٨ هكتارات ٦٥ بالمائة من الارض الزراعية (مقابل ٣٢ بالمائة في السنة ١٩٣٥) ، وفي السنة ١٩٤٧ ، انجز الاصلاح ، وجاوزت الاراضي المصادرة مساحة ٣ ملايين هكتار . فاحتفظت الدولة بالغابات والمراعي ، ووُزِعَ ما تبقى على ٦٤٢ ٠٠٠ عائلة . وبالرغم من ان منطقة الاملاك الكبرى في بولونيا قد ضمت الى الاتحاد السوفياتي ، فقد صودر ٣ ملايين هكتار في السنة ١٩٤٧ في بولونيا الوسطى والغربية . فاحتفظت الدولة بمليون هكتار من الغابات ووزعت الباقي على ٤٠٠ ٠٠٠ شخص من صغار الفلاحين . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار اراضي الولايات الغربية الجديدة ، يكون هناك مليون فلاح قد استفادوا من توزيع ٦ ملايين هكتار . ووزعت اراضي المليون الماني المقصين عن تشيكوسلوفاكيا واراضي الهنغارين والامان والتعاونيين السلوفاكيين في سلوفاكيا على ٢٥٠ ٠٠٠ مالك جديد . وفي البانيا حيث كان ثلث الاراضي الخصبة ، قبل السنة ١٩٤٠ ، من ملك ٢٠٠ شخص من كبار الملاكين ، وزعت منذ السنة ١٩٤٥ كافة الاملاك التي تجاوز ٢٠ هكتاراً (او ٤٠ هكتاراً اذا ما اعتمدت فيها طرائق «تقدمية») . وفي رومانيا انتزع ١ ٤٤٠ ٠٠٠ هكتار من طبقة كبار الملاكين التي برزت مرة اخرى الى الوجود بعد اصلاح السنة ١٩٢١ ، ووزعت على ٦٠٨ ٠٠٠ فلاح . وفي يوغوسلافيا ، وزع الـ ٤٠٠ ٠٠٠ هكتار المصادرة من الاقلية الألمانية

في فوزجودينا وسلوفينيا على ٥٠.٠٠٠ فلاح من المناطق المتخربة ، كما ورع مليون هكتار مستملك على ٢٦٠.٠٠٠ عائلة اخرى . وفي بلغاريا ، حيث كانت الاملاك الصغرى واسعة الانتشار ، وزَّع الـ ٢٣٠.٠٠٠ هكتار ، التي انتزعت في السنة ١٩٤٨ من الكنائس والاديرة والاملاك التي تجاوز ٢٠ هكتاراً ، على ١٢٨.٠٠٠ عامل زراعي . وفي المانيا الشرقية اخيراً ، حيث بلغت الاملاك الكبرى ٣٦ بالمائة من الارض الزراعية ، صودرت كافة ممتلكات النازيين ومجرمي الحرب والاملاك التي تجاوز ١٠٠ هكتار . فوزع اكثر من مليوني هكتار تمثّل ٢٣ بالمائة من المساحة الزراعية ، على ٥٤٤.٠٠٠ فلاح .

وجملة القول ان طبقة الاشراف الريفيين قد صفيت نهائياً وما عادت لتلعب الدور السياسي الذي لعبته حتى ذاك التاريخ .

في البلدان التي احتلها الالمان او تحالفت معهم ، وضع المحتلون يدهم على التأميمات المشاريع والمؤسسات الهامة ، اما مباشرة بمصادرة ممتلكات الدولة (البولونية ، التشيكية) واليهود ، واما بصورة غير مباشرة بواسطة شركات المانية . ومنذ التحرير ، انتزعت هذه المشاريع من واضعي يدهم عليها ، بدون اي تعويض ، ثم سلّت قوانين نظمت ووسعت التدابير المعدة لوضع مفاتيح الاقتصاد تحت اشراف الدولة . فمنذ السنة ١٩٤٥ اُمت تشيكوسلوفاكيا المصارف وشركات الضمان والمناجم ومصانع الاسلحة والذخائر ومعظم الصناعات الحديدية والكيميائية وكافة المؤسسات التي يعمل فيها اكثر من ٤٠٠ شخص . وفي السنة ١٩٤٨ ، خفض هذا العدد الاخير الى الـ ٥٠ . وشمل القانون البولوني الصادر في السنة ١٩٤٦ كافة الممتلكات الالمانية دونما نظر الى اهميتها وطبيعتها ، وكافة مؤسسات المناجم ، والمواصلات ، والطاقة ، والتسلح ، والسكر ، والنسيج ، والطباعة ، وكافة المؤسسات التي يعمل فيها اكثر من ٥٠ شخصاً ، باستثناء صناعات البناء . فبقي في اواخر السنة ١٩٤٨ ، ٦ بالمائة من الصناعات في ايدي المؤسسات الخاصة . وفي يوغوسلافيا اُمت منذ السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ المؤسسات التي عملت لمصلحة الالمان ، اي كافة المؤسسات تقريباً . اما في البلدان العدو القديمة ، حيث استولى السوفييات على الممتلكات الالمانية ، فقد تقررّت التأميمات تدريجياً في عهد اكثر قسراً . ففي هنغاريا اُمت المناجم منذ السنة ١٩٤٦ ، ثم المؤسسات الكبرى لاستخراج المعادن ، وفي السنة ١٩٤٨ اُمت المصارف وكافة المؤسسات التي يعمل فيها اكثر من ١٠٠ شخص . وفي رومانيا سن قانون في حزيران ١٩٤٨ اُمت بموجبه كافة المؤسسات المرتدية طابعاً على بعض الاهمية . وفي بلغاريا اُمت منذ السنة ١٩٤٦ شركات الضمان ، والمناجم الهامة وصناعة وتجارة التبغ والكحول بالجمل ، وفي السنة ١٩٤٧ اخيراً ، اُمت عملياً كافة المؤسسات ، باستثناء مؤسسات الصناعة اليدوية . وفي المانيا الشرقية ، اتخذت تدابير متوالية امم بموجبها ٧٧ بالمائة من الانتاج الصناعي .

وهكذا لم تكن الصناعات والمصارف مؤمنة وحدها في اواخر السنة ١٩٤٨ ، بل التجارة

ايضاً ، اذ ان التجارة بالمجنل كانت مرتبطة بمخازن الدولة او التعاونيات التي تشرف عليها الدولة وتراقبها . ففي بولونيا لم يبق سوى ٢٠٥ بالمائة من التجارة في ايدي المؤسسات الخاصة ، وكانت التجارة بالفرق نفسها آخذة في التعمق بسرعة . وقد اديرت كل هذه المؤسسات وفقاً لمبدأ الاستقلال الاداري المعمول به عند السوفيات .

الشرع في التخطيط
ان الاصلاحات الزراعية والتأمينات ، بقلبها نظام الاقتصاد رأساً على عقب ، شقت الطريق امام التخطيط من شأنه اقامة توجيه كل النشاط توجيهاً عاماً وفقاً للمثل الذي اعطاه الاتحاد السوفياتي منذ السنة ١٩٢٩ . الا ان الخطط الاولى اختلفت عنها في الاتحاد السوفياتي لان العملات لما تعرف الاستقرار ، فلم يكن المقصود بعد تحويل النظم الاقتصادية والاجتماعية نحوياً كلياً ، بل في الدرجة الاولى الانتاج بسرعة واعادة البناء وبلوغ مستوى ما قبل الحرب في اقرب وقت ممكن ، دونما اهتمام بالدخول . وكانت هذه الخطط برامج انتاج وتوظيف اموال ، لا خططاً اقتصادية حقيقية . زد على ذلك من جهة ثانية ان كل بلاد تصرفت بمعزل عن غيرها قبل « منعطف » السنة ١٩٤٨ ، وهذا ما يعرف بعهد الخطط القصيرة الاجل : سفتان في تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ، ثلاث سنوات في بولونيا وهنغاريا . وهي يوغوسلافيا وحدها ما وضعت في السنة ١٩٤٧ خطة لمدة خمس سنوات . وحتى السنة ١٩٤٨ في المانيا الشرقية ، والسنة ١٩٥٠ في رومانيا ، لم توضع في هذين البلدين سوى خطط سنوية او نصف سنوية ذات طابع تقني بحت . ووظفت كافة البلدان اموالها في الصناعة واعادة بناء المساكن بنسبة اعلى منها في الزراعة الى حد بعيد : ٣٦ و ٣٥ ٪ مقابل ٧ ٪ في تشيكوسلوفاكيا ، ٣٩ و ١٨ ٪ مقابل ١٣ ٪ في بولونيا ، ٣٢ و ٢٢ ٪ مقابل ٩ ٪ في هنغاريا ، ٤٥ و ٢٨ ٪ مقابل ٦ ٪ في بلغاريا . ووظف القليل الباقي في وسائل النقل . فكانت التضحية المطلوبة من السكان عظيمة جداً ، وكان معدل الاموال الموظفة اعلى منه في اوروبا بشكل ملموس . وقد قدر في بولونيا بـ ٢٠ بالمائة من الدخل القومي غير الصافي ، وبـ ١٦ بالمائة في تشيكوسلوفاكيا ، و ٩ بالمائة في هنغاريا ، و ٧ بالمائة من الدخل القومي الصافي في بلغاريا . وتقدم انتاج مواد التجهيز على انتاج مواد الاستهلاك ، وكلما كانت البلاد اكثر تخلفاً كان الفارق كبيراً بين الانتاجين .

من الطبيعي ان نجاح هذه الخطط لم يكن متساوياً . فان الخطة الهنغارية الثلاثية قد تحققت كلياً ، وتحققت الخطة البولونية بنسبة ٨٥ بالمائة ، والخطة البلغارية كلياً في المنتجات الصناعية ، وبنسبة ٧٠ بالمائة فقط في الزراعة ، والخطة التشيكوسلوفاكية بنسبة ادنى بقليل . اما الخطة اليوغوسلافية التي كانت اكثر طموحاً ، فربما لم تبلغ ٥٠ بالمائة من اهدافها . وقد انتهت ابحاث جان ماركزفسكي الى الاستنتاج ان الاستهلاك الخاص الاجمالي في هنغاريا في السنة ١٩٤٩ ، الذي كان ادنى منه بعض الشيء في السنة ١٩٣٨ ، قد كان مع ذلك اعلى بنسبة ٥٠ بالمائة منه في السنة ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، وانه تجاوز في بولونيا استهلاك السنة ١٩٣٨ ، وزاد عنه بصورة

ملموسة في تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا . وحصلها نتائج جديدة بالملاحظة اذا ما فكرنا بان الاحداث السياسية قد حرمت هذه البلدان من القروض الاجنبية التي كانت معتمدة عليها ، وان الظروف الجوية كانت معاكسة في السنة ١٩٤٧ ، وان تأمين الزراعة قد استتبع تأخراً في الانتاج ، وان يوغوسلافيا اخضعت لحصار اقتصادي مكدر منذ السنة ١٩٤٨ .

رأينا أعلاه ان التأميمات قد امتدت اكثر فاكثر خلال السنتين
توحد الديمقراطيات الشعبية ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، بموازاة تبدل انظمة الحكم وتعاضل نفوذ
الاحزاب الشيوعية الوطنية : وذلك نتيجة للمنطق الضمني للثورات الاجتماعية التي لا يمكن ان تنجح بدون دكتاتورية ، ونتيجة كذلك لتأزم العلاقات الدولية الذي تجلى في الحرب الباردة ، وبصورة خاصة لرفض الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الشعبية لمشروع مارشال .

كانت الولايات المتحدة الدولة الوحيدة المنصرفه في اعتمادات مالية وفيرة ، فعرضت تقديمها للدول الأوروبية شريطة وضع برنامج اقتصادي عام تراقبه لجنة ادارية يسند اليها امر توزيع الاعتمادات . الا ان الاتحاد السوفياتي اعتبر هذا المشروع محاولة تهدف الى عزله واستمالة الدول الفقيرة الآخذة في النهوض في اوروبا الوسطى الى المعسكر الاميركي بغية فرض رقابة اقتصادية عليها تحول دون استمرار الثورة القائمة . فرفضت يوغوسلافيا وبلغاريا العرض الاميركي . ثم حذت حذوها الديمقراطيات الشعبية الاخرى في شهر تموز من السنة ١٩٤٧ حين اتضح عداء الاتحاد السوفياتي للمشروع .

ولكن تكوين كتلة اقتصادية غربية من المنضمين الى مشروع مارشال قد هدد بعزل الديمقراطيات الشعبية التي تستلزم اعادة بنائها وتصنيعها وارادات كبرى وتمجزيها عن تأمين الاموال اللازمة لها الا بصادراتها والقروض الاجنبية . ففي سبيل دفع هذا الخطر قوبل مشروع مارشال بمشروع مولوتوف ، ووقع الاتحاد السوفياتي مع هذه البلدان المختلفة اتفاقات تجارية طويلة الاجل استكملت بمعاهدات تجارة وملاحة ، ومنح قروض ، وتقديم خرائط ومشاريع واجهزة ، وارسال فنيين . وكما تأسس الكومنفرم بغية تنسيق النشاط السياسي بين الديمقراطيات الشعبية والاتحاد السوفياتي ، تنظم في كانون الثاني ١٩٤٩ مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة ، الذي اسند اليه امر تنسيق سياساتها الاقتصادية ؛ وفي السنة ١٩٥٠ انضمت اليه الجمهورية الديمقراطية الالمانية بينما بقيت يوغوسلافيا على حدة ، بعد ان ابتعدت عنها الديمقراطيات الشعبية الاخرى في حزيران ١٩٤٨ . فسوف تتيح هذه الاتفاقات والكوميكون وضع خطط طويلة الاجل في كل بلاد وتناسقاً بين الاقتصادات وتعاوناً اكمل فيما بينها وتوحداً يجعلها اوثق تضامناً بعضها ببعض الآخر . الا ان ما تنبأ به مولوتوف حين عرض مشروع مارشال ، اي انقسام شطري اوروبا ، قد اصبح اكثر عمقاً من اي وقت

مضى . فقد نشبت حرب اقتصادية ادت الى ايقاف المبادلات ايقافاً يكاد يكون كلياً بين بلدان الشرق وبلدان الغرب . وتمتع رئيس الولايات المتحدة بحق مطلق في رقابة الصادرات لاسباب تتعلق بالامن ، وكان باستطاعة ادارة مشروع مارشال حظر تصدير بعض المواد الاولية الى البلدان الغربية حين يمكن تحويلها الى بعض الادوات التي قد ترسل الى احدى الدول الشرقية . وفي شهر كانون الاول ١٩٥١ نشرت لائحة بعدة مئات من المواد الاولية والمنتجات الاستراتيجية المحظرة تصديرها الى البلدان الشرقية . ومن الطبيعي ان الاقتراض قد حظّر على المصرف الدولي لاعادة البناء والتنمية ومصرف الاستيراد والتصدير . وبالمقابلة تعززت العلائق التجارية بين الديمقراطيات الشعبية ، واصبح نصيب الاتحاد السوفياتي ، الذي شكّل « سوقاً واسعة تكاد تكون مسعورة » ، عظيماً جداً ، شبيهاً بنصيب المانيا في اوروبا الشرقية قبل السنة ١٩٤٠ .

لقد استحال ، والحالة هذه ، وضع خطط طويلة الاجل . ولما
الخطط الطويلة الاجل
كان قد تحقق انهاء بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ، بؤشر فيها
وتوطيد الكتلة الشيوعية
تنفيذ بعض الخطط منذ السنة ١٩٤٩ ، ثم في بولونيا وهنغاريا
ورومانيا في السنة ١٩٥٠ ، وفي المانيا الشرقية في السنة ١٩٥١ . وكانت هذه الخطط خمسية في كل مكان باستثناء بولونيا حيث كانت سنّية . وقد وضعت خلال السنوات ١٩٤٩ - ١٩٥١ التي ازدادت خلالها حدة الحرب الباردة . فاعدت في كل بلاد على ضوء اختبار التخطيط السوفياتي ، واعاد النظر فيها خبراء روس ساعدوا على تنسيقها . وعين هؤلاء للزراعة معدل زيادة سنوية يفوق اعلى المعدلات المعروفة من ذي قبل : ٨ بالمائة في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا ، و ١١ بالمائة في بلغاريا . وكذلك في الصناعة حيث عين لبولونيا ورومانيا وبلغاريا معدل ١٧ بالمائة ، وتشيكوسلوفاكيا ١٤,٦ بالمائة ، وهنغاريا ٢٦ بالمائة . وقد شكلت الاعتمادات المخصصة لهذه الغاية ، والتي بلغت ٢٣ بالمائة من الدخل القومي غير الصافي ، عبئاً ثقيلاً جداً ، اذ ان دولاً قليلة ، كالنرويج والسويد ، قد حققت معدلات اكثر ارتفاعاً . وهي الصناعات الاستخراجية والفولاذية والميكانيكية ما احتلت المركز الاول وابتلعت معظم الاعتمادات ، وتأتي بعدها الصناعات الكيميائية . وتأتي الصناعة الخفيفة والزراعة بعيداً وراء الصناعة الثقيلة .

الا ان دولة واحدة من هذه الدول ما كانت لتستطيع — على غرار الاتحاد السوفياتي أو الولايات المتحدة — ان تكفي نفسها بنفسها . ولذلك فقد استلبح التوفيق بين الخطط توسعاً هائلاً في المقايضات بينها وبين الاتحاد السوفياتي ؛ وهكذا توطدت كتلة الديمقراطيات الشعبية . فمنذ قبل السنة ١٩٤٨ ، كانت تجارة الاتحاد السوفياتي الخارجية مع رومانيا وبلغاريا واسعة جداً . ثم جاءت المعاهدات الموقعة في السنة ١٩٤٨ تزيد من نصيبه ؛ ولكن خير مثل تقدمه لنا تشيكوسلوفاكيا التي كانت تصدر سلعها في النصف الاول من السنة ١٩٤٧ الى سويسرا والسويد وهولندا في الدرجة الاولى ، ولا يحتل الاتحاد السوفياتي سوى المرتبة الرابعة

بين زبائنهما ، بينما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وسويسرا مائزاتهما الرئيسية . ومنذ توقيع معاهدة التجارة في شهر كانون الاول ١٩٤٧ ، جهزها الاتحاد السوفياتي بالحبوب والخامات والقروض التي اتاحت للتشيكوسلوفاكيا شراء خامات اضافية : استورد منها الآلات والمواد الكيميائية والالبسة والسكر . فارتفع نصيب الاتحاد السوفياتي من التجارة التشيكوسلوفاكية بنسبة ١١ - ١٦ بالمائة . وحدث الشيء نفسه في بولونيا التي منحها الاتحاد السوفياتي قرضاً بقيمة ٤٥٠ مليون دولار اتاح لها شراء تجهيزات الصناعات الفولاذية والنسيجية والكيميائية . فارتفعت المبادلات من ثم ارتفاعاً عظيماً : ارتفعت من ١٧ بالمائة في السنة ١٩٤٨ مع بولونيا الى ٣٣ و ٢ بالمائة في السنة ١٩٥١ ، و ٦٧ و ٥ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . ومن ١٥ بالمائة مع تشيكوسلوفاكيا في السنة ١٩٤٨ الى ٣٢ بالمائة و ٧٢ بالمائة . ومن ١٨ بالمائة مع هنغاريا الى ٣٨ و ٧٢ بالمائة . ومن ٢٢ بالمائة مع بلغاريا الى ٣٤ و ٨٩ بالمائة . ومن ٣٣ بالمائة مع رومانيا الى ٨٢ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . ومن ٤٠ بالمائة في السنة ١٩٤٩ مع المانيا الشرقية الى ٨٦ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . والحال ، زادت تجارة كافة هذه البلدان زيادة كبرى ، ربما باستثناء تجارة رومانيا : مرتين بين ١٩٣٨ و ١٩٥٢ في بولونيا ، ومرة ونصف المرة في تشيكوسلوفاكيا . وبالمقابلة تدنت نسبة العلائق التجارية بالدول الغربية تدنياً سريعاً بعد السنة ١٩٤٨ ، ولن تعود الى الارتفاع الا في السنة ١٩٥٤ .

يتضح من ثم ان حصار المواد الاستراتيجية الذي ضربته الولايات المتحدة ، والحاجة الى المال للعبادة ، لم يحولا دون تصنيع هذه البلدان ، ولكنها ارغماها على ان تنتج بسعر مرتفع جداً مواد التجهيز التي كان من الطبيعي ان تستوردها في الظروف الطبيعية ، وذلك على حساب مستوى معيشة السكان .

كانت نتيجة الاصلاحات الزراعية والتأميمات القضاء على قوة الطبقات
المجتمع الجديد
الحاكمة السابقة اقتصادياً وسياسياً : الاشراف الريفيين ، كبار
الملاكين ، الصناعيين ، التجار الماليين . وأدت الخطط الخمسية الى تبديلات أخرى في نظام
المجتمع القديم .

في كافة هذه البلدان تدنى معدل السكان الريفيين بالنسبة للسكان
الفلاحون
العاملين من الذكور . وقد هبط هذا التدني في بولونيا من ٥٣ بالمائة
في السنة ١٩٣١ الى ٤٩ بالمائة في السنة ١٩٥٣ ، وفي تشيكوسلوفاكيا من ٣٣ و ١ بالمائة في
السنة ١٩٤٠ الى ٢٨ بالمائة في السنة ١٩٥٣ ، وفي هنغاريا من ٥١ بالمائة الى ٤٤ بالمائة ، وفي
يوغوسلافيا من ٧٦ بالمائة الى ٦٦ بالمائة وفي رومانيا من ٧٨ بالمائة الى ٧٢ بالمائة (في السنة
١٩٥٠) . ولكن حياة الريف بصورة خاصة قد انقلبت رأساً على عقب بزوال الاملاك
الاقطاعية الكبرى وبقسمة الاراضي بين صغار الفلاحين الذين لا يملكون ارضاً ، وفقاً للمبدأ
القائل ان « الارض ملك يمين من يحرثها » . وقد أدت هذه الاصلاحات الى توزيع الارض املاكاً

صغيرة جداً (اقل من ٥ هكتارات) ، عادمة الدخول اقتصادياً وتقنياً ، استحالة معها تجديد الزراعة على مستوى الفرد وتحسين الانتاج . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الفلاح قد بقي فقيراً جداً ، فمعجز مرة اخرى عن تعاطي زراعة مجدية وكان معرضاً لان يخضع لفلاحين ميسورين عليه ان يستعير منهم الماشية وادوات العمل . فاذا اراد المسؤولون تجنب زوال هذه الاملاك الصغيرة بسرعة ، كما حدث ذلك بعد اصلاحات العشرينيات ، وتحسين حال الفلاحين ، وجب عليهم وضع المعدات تحت تصرفهم ، وتنظيم عملهم وتعليمهم طرائق فعالة . فتمنحت قروض مختلفة الاجل من اجل بناء وتحسين ابنية الاستثمار او تأمين سير العمل الزراعي ، ووزعت مزارع الدولة البذار المنتقى ، وحدثت محطات آلات وجرارات ، وادخلت زراعات جديدة ، ولا سيما بعض الزراعات الصناعية . وتأسست بصورة خاصة تعاونيات مختلفة الانواع ، ابتداء من الشكل البدائي ، حيث تنظم الحراثة والزراعة وحدهما بالاشتراك ، حتى المزرعة التعاونية حيث تجري قسمة المحاصيل بحسب كمية عمل كل شخص . ولكن ملكية الارض تبقى خاصة في كافة الحالات ، وغالباً ما يحافظ على نظام المساحة القديم . الا ان هذه التعاونيات ، التي تستفيد من القروض ، وهبات الحيوانات والمعدات ، والمستشارين الزراعيين الممارسين بمجموعة من القرى ، قد باشرت نشاطها على نطاق ضيق ، اي في مساحة محصورة وبعدد محدود من الاعضاء . ثم تقدم الاستثمار الجماعي واتسعت المساحات المستثمرة بفضل تأسيس محطات الآلات والجرارات ، وتعميم الطرائق التقدمية بواسطة مزارع الدولة . ففي تشيكوسلوفاكيا مثلاً انشئت في السنة ١٩٥٠ اربعة انواع من التعاونيات التي طبق فيها استثمار جماعي متزايد : استخدام اليد العاملة والآلات والحيوانات بالاشتراك للاعمال الموسمية الهامة ، ثم زراعة الارض بالاشتراك وقسمة المحاصيل بنسبة الاراضي المزروعة ، وفي مرحلة ثالثة تربية الماشية بالاشتراك وقسمة المحاصيل بنسبة كمية ونوعية العمل المؤدي . وفي مرحلة اخيرة مكافأة العمل وحده .

اصطدمت حركة تأميم الزراعة بتمسك الفلاحين بتقاليدهم الفردية ، وفي معظم الاحيان بجهلهم وعدم خبرتهم في ادارة التعاونيات ، بحيث كان تقدمها بطيئاً نسبياً واضطرت الحكومات في السنة ١٩٥٣ الى كبح الاندفاع ، الطائش احياناً ، الذي كان يدفع الى ابتكارات سابقة لأوانها ، بتشديدها على الطابع الطوعي الذي يجب ان يكون شاملاً . ففي السنة ١٩٥٥ شمل قطاع الاستثمار المشترك (املاك الدولة والتعاونيات) ٣٠ بالمائة من المساحات الزراعية ، وفي بولونيا لم تضم التعاونيات سوى ٢٠٠ ٠٠٠ عضو يستثمرون ١ ٨٠٠ ٠٠٠ هكتار ، اي ١٠,٦ بالمائة تقريباً من المساحة الزراعية ، فلم يشمل قطاع الاستثمار المشترك من ثم ، مع مزارع الدولة ، سوى ٢٠ بالمائة فقط من هذه المساحة ؛ وفي تشيكوسلوفاكيا ، كان الاستثمار المشترك اكثر تقدماً وضم اكثر من ٧٠٠٠ تعاونية ، فشمّل زهاء ٣٠ بالمائة من الاراضي الزراعية . وفي بلغاريا شمل التأميم ٦١ بالمائة من الاستثمارات و ٦٠ بالمائة من الاراضي الزراعية ؛ وكان في

رومانيا ، في التاريخ نفسه ، ٢٠٠٠ تعاونية تضم ١٨٠ ٠٠٠ عائلة وتشمل ٩٠٤ بالمائة فقط من الاراضي الزراعية . وفي المانيا الشرقية ، حيث بوشر تنفيذ التأمين في النصف الثاني من السنة ١٩٥٢ ، ادارت ٥٠٠٠ تعاونية ٣٠ بالمائة من مجموع الاراضي الزراعية .

قلبت هذه التغييرات حياة الفلاحين بالذات ، الذين لم يأتوا من قبل عملاً كافياً ، واقاموا في مزارع لم تكفيهم لتأمين معيشتهم ، فكانوا مرغمين على البحث عن موارد اضافية في اعمال غير ثابتة وزهيدة الاجور . ولنتذكر هنا التشريع الهنغاري واليوغوسلافي الذي عمل به حتى السنة ١٩٤٥ ومنع استخدام الآلة الحاصدة والرابطة ، بغية توفير العمل للحصادين . او لم يقدر بعضهم ان ١٨ بالمائة من الفلاحين البلغاريين ، و ٢٠ بالمائة من الفلاحين الرومانيين ، و ٢٤ بالمائة من الفلاحين البولونيين ، و ٢٨ بالمائة من الفلاحين البلغاريين ، و ٣٥ بالمائة من الفلاحين اليوغوسلافيين ، و ٥٠ بالمائة من الفلاحين السلوفاكيين ، وحتى ٨٦ بالمائة من الفلاحين الروتينيين ، لم يجدوا لهم عملاً في قراهم ؟ لقد شاهد الناس فجأة معدات عصرية حين انشئت محطات الآلات . فأوحى لهم هذه المشاهدة عالماً جديداً تعبر عنه هذه الملاحظة التي ابداهم لـ « رنيه ديون » فلاح سلوفاكي استخدم آلة حاصدة للمرة الاولى : « لو اشتريتها قبل عشر سنوات لطال عمري عشر سنوات ، ولشعرت بانني في مستقبل العمر ، ولكنني تمكنت من الشرب حين اكون ظمناً ... هؤلاء الشبان سوف يستخدمون هذه الآلات بينما عملت ابدأ بساعدي : ليس ذلك عدلاً ، . الا ان هذه الآلات التي وفرت المشقة على الناس قد اثارت بمزيد من الالحاح مسألة اكتظاظ الارياف بالسكان التي لم يكن لها من حل سوى التصنيع . فنقلت منذئذ جماهير ريفية كبيرة الى القطاع الصناعي ، مما استنزف احتياطي اليد العاملة الزراعية في بعض الاماكن . ولكن الفلاحين ، في مرحلة الانتقال هذه ، كانوا « الضحايا المؤقتة لهذا التوزيع الاجتماعي الجديد » : فقد توجب بناء المصانع دون التمكن في الوقت نفسه من بناء المساكن اللازمة ، ولم ينقل كذلك الى الصناعة عدد اكثر فاكثراً من الفلاحين الا بصورة تدريجية . وفي هذه الاثناء ، بقي انتاج الحبوب متدنياً بسبب افتقار الاستثمارات الى التجهيزات وتقسيمها الى اجزاء صغرى ، مما حال دون سرعة ادخال الزراعات الصناعية الجديدة وتنمية تربية المواشي . فتأخر من ثم تحسين مستوى المعيشة وتزايد التفاوت بين الصناعة الآخذة في الاتساع وبين الركود الزراعي . وهكذا فقد زال العمال الزراعيون ... وتمثل اجراء الدولة بعمال المصانع بوضعهم الاجتماعي . فليس في الارياف بعد اليوم سوى ملاكين ينضم صغارهم الى التعاونيات .

كانت نتيجة تحول هذه البلدان الزراعية الى بلدان صناعية ارتفاعاً كبيراً في عدد العمال . فباتت الطبقة المحترقة والمريسة في نظام الحكم السابق قوة كبرى وطبقة موجهة في نظام الحكم الجديد . وقد بلغت زيادة عددهم نسبة عالية : ففي هنغاريا تضاعف عددهم بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٥١ ، وجاوز المليون . وفي بولونيا ارتفع عددهم من ٩١٣ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٨ الى ٢٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٥٢ . وفي رومانيا بلغ

١٨٠٠٠٠٠ مقابل ٥٠٠٠٠٠ في احسن احوال ما قبل الحرب ، وبالرغم من ذلك مست الحاجة بالحاح الى اليد العاملة في هذه البلدان التي كانت في ما مضى مكتظة بالسكان . وهم العمال الاختصاصيون من مست الحاجة اليهم بصورة خاصة لان الكثيرين منهم قد استخدموا في المصالح الادارية او السياسية بسبب الثقة التي اوحوها لنظام الحكم . فتوجب اتخاذ بعض التدابير في تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا لتشجيع النسل وتوسيع التعليم التقني . واتخذت تدابير مماثلة لها في الاتحاد السوفياتي تهدف الى زيادة الانتاج : منافسة بين المصانع من اجل تحسين انتاج ، لقب « عامل الاصطدام » او « بطل العمل » ، اعزاز العمال الستاكتوفيين الذين يسمون بنشاط في زيادة الانتاج وتبسيط العمل ، اوسمة ، مكافآت مالية ، التخصص في انتاج القطع ، اجور مرتفعة جداً للساعات الاضافية ... تحديد الاجور بالاستناد الى الاهلية ، اللجوء المتزايد الى اليد العاملة النسائية ، نظام مشدد للعمل بغية مقاومة عدم الثبات والتغيب .

من اجل هذه الجماهير للقروية والعمالية ، البائسة والامية بنسبة مرتفعة احياناً (٢٣ بالمائة في رومانيا وبولونيا ، ٣٢ بالمائة في بلغاريا ، ٤٥ بالمائة في يوغوسلافيا ، ٦٥ بالمائة في البانيا) ، لحظت الخطط مجهودا كبيرا للتجهيز الصحي وبناء مؤسسات مدرسية كثيرة لكافة الاعمار ، ودور كتب ، الخ ... فالغني كل « عدد مقفل » وزيد عدد التلاميذ والطلاب زيادة كبرى ، واستقبلت مدارس المشاريع والمدارس التقنية ومكليات العمل والعمال والفلاحين الذين تعذر عليهم في صباهم تحصيل العلم اللازم لشغل وظائف قيادية .

رأينا ان احدى نقاط الضعف في دول اوربا الوسطى والشرقية قبل
الحل المعتمد
السنة ١٩٤٥ كانت انعدام التجانس العنصري والمنازعات القائمة بين
للسائل الوطنية
الاقليات القومية والاكثورية المسيطرة . فنجم عن هذا الوضع قلق عميق في نفس كل شخص ، وحين تولت النازية الحكم في المانيا ، خلق هذا الوضع جو حرب اهلية قابله تصلب البلدان المهزومة السابقة .

اختلف وجه الدول التي اعيد النظر في حدودها بعد النصر الحليف اختلافاً كبيراً جداً عنه في السابق ، لا من حيث الشكل الجغرافي فحسب ، بل من حيث الشكل العنصري ايضاً ، بفعل انغلال او نقل الاقليات العنصرية . وحيث ما زالت هناك عناصر مختلفة ، اعتمد التنظيم الاتحادي - كما في يوغوسلافيا الجديدة مثلاً - او منحت منطقة الاقليات بعض الاستقلال الذاتي الاداري : كما حدث لسلوفاكيا داخل الدولة التشيكوسلوفاكية . أما في الدول الاخرى فقد حلت المسألة بسهولة اذ ان الاقليات الباقية في هذه الدول كانت ابعد من ان تمثل الكتلة المتراصة الكثيرة العدد التي كانت موجودة فيها قبل الحرب . فلم يقف في تشيكوسلوفاكيا سوى بضعة مئات الالوف من الالمان والهنغارين بين سكان البلاد البالغين ١٢ مليون نسمة . وفي بولونيا وهنغاريا لم تجاوز الاقليات العنصرية نسبة الـ ٥٪ . وكانت اقل الدول تجانساً رومانيا التي ليست رومانية الا بنسبة ٨٥,٧٪ بسبب ضمها ٩,٤٪ من الهنغارين و ٢,٢٪ من الالمان وأقليات عنصرية اخرى .

وكان الحل الذي اعتمد في هذه البلاد حكومة مركزية ووضع اللغات على قدم المساواة في الادارة والمدارس الوطنية حيث توجد الاقليات في البلاد. أما الادارات المحلية فقد تألفت من الهنغاريين في الاقاليم الهنغارية ومن ممثلين عن القوميتين في الاقاليم المختلطة. وللمرة الاولى في التاريخ قامت في «كلوج» جامعتان احدهما هنغارية والثانية رومانية.

التنظيم المدني الجديد
على غرار ما حدث في الاتحاد السوفياتي، ادت الظروف الاقتصادية والاجتماعية الجديدة الى قيام تنظيم مدني جديد : زالت الطبقة وزال معها التمييز الاجتماعي، «فامتصت المدينة ضواحيها»، زال الدخيل العقاري، فامكن تشييد المزيد من الابنية في المساحات المتوفرة، وتشييد مجموعات كبرى تحيط بها مساحات واسعة خضراء. فأطلت بيوت كل مجموعة على ساحات كبرى اعدت فيها اقسام خضراء وحدائق للاطفال؛ وتألفت وحدة الاقامة الرئيسية من مجموعات سكنية متقاربة توفر فيها كل ما هو ضروري للـ ١٠.٠٠٠ او ١٥.٠٠٠ شخص الذين يقيمون في دائرة شعاعها ٥٠٠ متر تقريباً : مدارس، مخازن، مستوصفات، سينما، منتديات... وشيدت في الحي - مجموعة من وحدات الاقامة - ابنية هامة من الدرجة العليا : مؤسسات التعليم التقني والثانوي، المستشفيات، مراكز الادارات... فعملى هذا الشكل شيدت المدن الجديدة، كـ «نوفاهوتا» التي نشأت قرب كراكوفيا وبلغ عدد سكانها ٦٥.٠٠٠ نسمة في السنة ١٩٥٤ ولم يلبثوا ان بلغوا ١٥٠.٠٠٠؛ وعلى هذا الشكل اعيد بناء المدن القديمة كفرصوفيا وبودابست حيث شيدت، الى جانب الاحياء القديمة التي رمت بحسب النمط التقليدي، احياء جديدة تتميز بشوارعها العريضة وحدائقها الكبرى وساحاتها العامة.

معارضة المعارضة
ان عملية الاقصاء التدريجي التي تناولت معارضي تطور الحكم الجديد نحو الشيوعية قد انتهت في السنة ١٩٤٨؛ فبعد هذا التاريخ لم يبق من مكان لمعارضة شرعية قادرة على إعادة النظر في الاصلاحات الزراعية والتأميمات. ولم يبق للطبقات المواجهة القديمة من امل الا في النشاط السري والتدخل الاجنبي. فتوجه انصار نظام الحكم السابق بأنظارهم الى المؤسسة القائمة الوحيدة، اعني بها الكنيسة الكاثوليكية، «لا سيما وان الكاثوليكية غالباً ما ارتدت شكل اكليروسية على ارتباط وثيق بالارستوقراطية العقارية في هذه البلدان التي سيطر عليها اقتصاد زراعي ونظام متخلف» (م. دوفرجيه). فان كبار رجال الاكليروس المنتسب بعضهم الى الطبقات الممتازة - والمتضامن معها - قد كانت اقوى سند لحكم الاميرال «هورتي» في هنغاريا وحكومة الكولونيلات في بولونيا والمالوك الدكتاتوريين في يوغوسلافيا ورومانيا؛ وكانوا حريصين على الاحتفاظ باملاكهم الواسعة واحتكارهم المدرسي.

ومنذ السنة ١٩٣٩، بصورة خاصة، ايدت الكنيسة انفصال سلوفاكيا وبوهيميا الذي حققه المطران «تيزو» بعد اجتماع مونيخ، وأيد رئيس اساقفة «زغرب»، المطران «ستيبيناك»

نظام الحكم الذي اقامه « انقي بافليك » في كرواتيا ؛ فان هذا النظام الاخير « قد مثل بأجلى صورة وطنية الاكليروس الكرواتي المتطرفة التي لم تسلم بقيام الدولة اليوغوسلافية » (فختو) . وفي السنة ١٩٤٥ ، اعترض الكردينال « مندرنقي » على اعلان الجمهورية الهنغارية « المخالف للدستور الهنغاري الالفي » . وحين ادخلت الدساتير الجديدة « المتبناة بعد السنة ١٩٤٥ » ، الاصلاحات التي اقترتها دساتير الدول الغربية منذ زمن بعيد : فصل الكنيسة عن الدولة ، الحالة المدنية والزواج المدني ، اعلان الاحبار معارضة شديدة جديدة تميزت بمزيد من القوة هندما طبق الاصلاح الزراعي على املاك الكنيسة . فاحتج الكردينال مندرنقي ورئيس اساقفة براغ ، « بيران » ، ورئيس اساقفة بولونيا الجديد ، « وسرنسكي » ، ورفض الفاتيكان كل تنسازل . وكما اوضح ذلك « فرنسوا فختو » .

« كسبت الكنيسة ، بموقفها هذا المعادي للشيوعية مزيداً من الشعبية ... فأصبحت الكنيسة محط شكاري وآمال الملاكين الذين سلبت املاكهم والموظفين الذين عزلوا من وظائفهم ، وصغار البورجوازيين الذين سيطر عليهم الخوف ، والفلاحين الذين شعروا بالخطر يهدد املاكهم ... وقد شجعت هذه الشعبية الفاتيكاني وحملت الاساقفة على الوقوف مرعفاً متزايد الحزم يوماً بعد يوم . »

الا ان بعض الكهنة انتظموا في جمعيات رغبت في الاتفاق مع الحكومات وعطفت على الاصلاحات الاقتصادية المحققة . فكان الوضع شبيهاً بذلك الذي تسبب في ايام الثورة الفرنسية بنزاع خطير بين الحكومة والكنيسة وبانشقاق في داخل الكنيسة نفسها . وفي السنة ١٩٤٨ ، كانت علمنة المدارس وتأميم ممتلكات الاكليروس (الذي اعطي مرتباً بالمقابلة) في هنغاريا وبولونيا بمثابة اعلان حرب . فاقوقف الكردينال مندرنقي وحكم عليه بالسجن المؤبد في السنة ١٩٤٩ . ثم جاء دور رئيس اساقفة براغ في تشيكوسلوفاكيا الذي حرم جمعية الكهنة المتعاونين مع الحكومة . وفي السنة ١٩٥١ اوقف خليفة مندرنقي ايضاً مع عدد من الاساقفة والكهنة . وقطعت المفاوضات بين السلطات الكنسية والحكومات البولونية والهنغارية والتشييكوسلوفاكية وذلك ، كما يبدو ، تحت ضغط الكرسي الرسولي الذي تميز موقفه المعادي للشيوعية بمزيد من الحزم (اعلان الحرم في شهر تموز ١٩٤٩) . بيد ان هذه المفاوضات انتهت في السنة ١٩٥٠ الى اتفاق مع بولونيا حيث استاء السكان ، بالرغم من ايمانهم العميق ، من استمرار البابوية في رفض الاعتراف بالحدود الغربية الجديدة المعينة لبولونيا .

اعطت سنوات تنفيذ الخطط الاولى النتائج المرتقبة . فان الاهداف
تحويل السنة ١٩٥٣
المهددة للصناعات الثقيلة قد تخطيت الى حد بعيد ، ومعدل زيادة
الدخل القومي قد بقي مرتفعاً جداً : ٩,٥ بالمائة في تشيكوسلوفاكيا ، ١٠,٢ في المانيا الشرقية ،
١٢,٢ في بلغاريا ، ١٢,٦ في بولونيا ، ١١ في هنغاريا ، اي انه جاوز معدل الارتفاع الطبيعي
في عدد السكان مجاوزة كبرى . فللمرة الاولى نجحت الحكومات الجديدة في اوروبا الوسطى
والشرقية ، حيث اخفقت حكومات النظام السابق ، في التغلب على عدم التناسب بين ازدياد

السكان وازدياد الموارد . فان هذه الاخيرة ستزداد بعد اليوم اكثر من السكان .

ولكن تقديم الصناعة الثقيلة على انتاج المواد الاستهلاكية والزراعة قد افقد التوازن بين الانتاج الصناعي الذي تضاعف في خمس سنوات (١٩٤٨ - ١٩٥٣) وبين الانتاج الزراعي الذي لم يجاوز مستواه في السنة ١٩٤٠ الا بنسبة ١٠ - ٣٠ بالمائة . ويرد ذلك الى ان الانتاج الزراعي قد تدنى بنسبة تجاوز الـ ١٠ بالمائة . وقد افضى نزوح الشبان الى المدينة ، وهم اكثر السكان انتاجية ، قبل ان يعاض منه بمعدات آلية كافية ، الى نقص وسائل الانتاج في الارياف وزيادة طلب المنتجات الزراعية والمساكن في الاوساط المدنية والصناعية . فنجحت عن ذلك صعوبات في تموين المدن بالمواد الغذائية والمواد الاولية الزراعية المنشأ اثارت الاستياء وازمت العلاقات بين العمال والفلاحين .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان نقص انتاج المواد الاستهلاكية شجع السوق السوداء واخذ نشاط الفلاح الذي بات عاجزاً عن تأمين المنتجات التي يحتاج اليها . وتأمينت الأموال أخيراً في هذه البلدان المفتقرة الى رؤوس الأموال عن طريق الاقتراض الذي جعلها تسير بخطى سريعة نحو التضخم المالي . وعبثاً حاولت بعض الاصلاحات النقدية اصلاح الحال ، فان الاجور الحقيقية قد تدنت قدنياً محسوساً بصورة هامة بالنسبة لمستواها في السنة ١٩٥٠ . فكانت من ثم نتيجة الخطط المفرطة الطموح والمفتقرة الى الدرس ، والاموال غير الكافية الموظفة في الزراعة ، وسياسة الاسعار التي ضحكت بالزراعة ، وتدنى مستوى المعيشة ، قلقاً عبّر عنه في ١٧ حزيران ١٩٥٣ ، في برلين الشرقية وبعض المدن الصناعية في الجمهورية الديمقراطية الالمانية ، بثورة عمال مستائين من الازمة الغذائية وقوانين العمل المتزايدة التي قيدوا بها .

ومن جهة ثانية ، ارتدى التشديد المفروض على الاقتصاد اخطر طابع في البلدان الزراعية التي خضعت لتصنيع قوي وسريع . وفي بولونيا كما في هنغاريا ، كان عبء الاموال الموظفة (وقد خصص معظمها للصناعة الثقيلة) ثقيلاً جداً . فان بولونيا قد كرس لها ١٩٤٤ بالمائة من الدخل القومي في السنة ١٩٥٣ ، وهنغاريا ٢٤،٥ بالمائة (مقابل ٨،٨ بالمائة في الجمهورية الديمقراطية الالمانية) ، اي اكثر مما استطاع الاتحاد السوفياتي تكريسه لها في خطته الخمسية الاولى . وفي سبيل وضع حد لهذا القلق ، حدث حينذاك تبديل في السياسة الاقتصادية ، وذلك بالعودة الى مبادئ السياسة الاقتصادية الجديدة ، اي الى اقتصاد انتقالي . فمنذئذ - ودون اجمال اولوية الصناعة الثقيلة - زيد نصيب المواد الاستهلاكية وانتجت بمزيد من السرعة . انه لاتجاه جديد تأيد بخطب مالنكوف وخروتشوف وميكويان في السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٤ ، وتجلى في الديمقراطيات الشعبية بعدم زيادة الاعتمادات المخصصة للصناعة الثقيلة وزيادة الاعتمادات المخصصة للصناعة المواد الاستهلاكية والبناء والزراعة ، ورفع الاجور الحقيقية ، وتشجيع الزراعة : ازالة التمييز تدريجياً بين التعاونيات والاستثمارات الفردية ، رفع قيمة مكافآت الانتاج ، تخفيض الضرائب ، تخفيض التسليمات الالزامية .

ان هذه المقررات، التي رافقتها بعض التدابير السياسية، واصلاح
القضاء والشرطة، وتخفيف الانظمة الادارية، وإعادة الاعتبار
لضحايا الحكومات « الستالينية »، واصلاح البيروقراطية،
وتخفيف وطأة التخطيط العقائدي في المجال الفكري، قد اثارت لمختلف البلدان الشيوعية
تحسين وضعها الاقتصادي وتدشين عهد نظام حر شامل. ففي تشيكوسلوفاكيا وجمهورية المانيا
الديموقراطية، اللتين كانتا اكثر البلدان تطوراً، كما في رومانيا وبلغاريا اللتين
كانتا اقلها تطوراً، امكن حل مسائل التكيف بسهولة نسبية. اما بولونيا
وهنغاريا فقد كانتا مسرح احداث مؤثرة. فهنا لم تفض التدابير المتخذة الى ازالة كل عديم
توازن اقتصادي، لا سيما وان التعديلات المتكررة المدخلة على الخطط قد زادت مظاهر فقدان
التوازن بروزاً؛ ولم تفض كذلك الى تخفيف حدة الاستياء الشعبي. ويرد هذا الاخير الى
اسباب عديدة؛ فهناك، بالاضافة الى مستوى المعيشة المتدني جداً، حذر الجماهير التي حيرتها
ترددات قادة الحكم الجديد وانقسامهم الى « السالينيين » و « مطالبين باعادة النظر » في السياسة
السابقة، والتي لم تتعود الانضباط وحياء المصنع، كما هي حال مئات الوف العمال الجدد المنتسبين
اما الى طبقة صغار البورجوازيين وصغار التجار والصناعيين اليدويين، واما الى طبقة
الفلاحين. ويجب ان يؤخذ بعين الاعتبار كذلك هزال الاحزاب الشيوعية التي يفسر نموها
العظيم باقبال الاعضاء الجدد (ارتفع عدد اعضاء الحزب الهنغاري من عدة آلاف الى ٩٠٠.٠٠٠)
الذين كان بعضهم « طلاب وظائف »، او انتهازيين، او عناصر غير وطيدة العقيدة، وتضعف
المسؤولين امام بيروقراطية غير ذات جدوى وحكم مستضعف سائر في طريق الانحلال، واخيراً
نفوذ الكنيسة الكاثوليكية وتأثير العداء التقليدي للروس الذين كان احتلالهم ثقیلاً الوطأة.
فبدأ الانفجار الشعبي في بولونيا في شهر حزيران ١٩٥٦ بالاضرابات الدامية التي اعلنت في
بوزنان، والهجمات على الابنية العامة، وبوادى العداء العنيف للجيش السوفياتية والاتحاد
السوفياتي، ولكن زعيماً شيوعياً كبيراً، هو « غومولكا »، لم يلبث ان ألف منذ تشرين
الاول حكومة وطنية بولونية ايدتها انتخابات ظافرة في كانون الثاني ١٩٥٧، ونجح في اقناع
الاتحاد السوفياتي بسحب جيوشه وأعاد الهدوء الى البلاد.

اما الازمة الهنغارية فكانت اكثر خطورة الى حد بعيد: كانت حرب الشوارع عنيفة
جداً، واقتيل عدد كبير من المدافعين عن نظام الحكم، وتألقت وزارة برئاسة « ناجي »،
حولتها التعديلات المدخلة عليها شيئاً فشيئاً الى حكومة بحسب صيغة السنة ١٩٤٥. فعلت
مقرراتها الاولى التعاونيات الزراعية واعادت المشاريع الخاصة في التجارة الصغرى والصناعة
الصغرى، واعلنت حياد البلاد، وتركت انطباعاً بأن الحركة الشعبية والعمالية اخذت في
الانهيار اكثر فأكثر امام العناصر المقصاة منذ السنة ١٩٤٧ وامام انصار الحكم السابق؛ فجاء
التدخل السوفياتي حينذاك يسحق الثورة.

في اعقاب هذه الاحداث الجسيمة، تبنت البلادان تدابير تكاد تكون متماثلة: التخلي عن

تأميم الزراعة ، وفي هنغاريا ، الحرية في شراء الاراضي (٢٥٥ هكتار) مباشرة ، تخصيص الفلاحين بمزيد من الآلات ومواد البناء ، الغاء النظام القاهسي بتسليم الدولة جزءاً من منتجاتهم ، زيادة الطاقة الصناعية (يحمل المشاريع القائمة عصرية ، واستحداث مشاريع جديدة احياناً) . اما نظام ادارة الاعمال فقد عدل باخضاع الاقتصاد للامركزية شبهية ، الى حد ما ، بتلك التي تحققت في الوقت نفسه في الاتحاد السوفياتي : فأعطى مزيداً من الاستقلال للمشاريع الاشتراكية ، تاركاً لها حرية اختيار اساليب ووسائل تحقيق الاهداف الاساسية التي لم تحدد الخطة العامة سواها . والغيت في هنغاريا المجالس العمالية المقتبسة عن المجالس اليوغوسلافية ، بحجة ارتدادها طابعاً سياسياً في الدرجة الاولى ؛ اما في بولونيا فقد ابقى على هذه المجالس ، ولكن صلاحياتها قد قيّدت في شهر نيسان ١٩٥٨ بالتدبير الذي ضمها ، مع الممثلين النقابيين وخليئة الحزب ، الى « مؤتمر الاستقلال العمالي » الذي يمارس نوعاً من الشراكة في ادارة الاعمال مع رؤساء المشروع . وفي البلدان الاخرى ، لم يتوقف تأميم الاراضي قط ؛ ففي السنة ١٩٥٩ بلغ ما تناوله ٩٥ ٪ من الاراضي الزراعية في بلغاريا ، و ٨٢ ٪ في تشيكوسلوفاكيا ، و ٧٥ ٪ في البانيا ، و ٦٤ ٪ في رومانيا ، و ٤٧ ٪ في الجمهورية الديمقراطية الالمانية . ثم عمل به ثانية في هنغاريا (حيث تناول ٣٠ ٪) ، وبصورة بظيئة جداً في بولونيا ، بواسطة الجمعيات الزراعية (الضامة ٦٠٠ ٠٠٠ فلاح - اي مزارع واحد من اصل ٦ - في شهر كانون الاول ١٩٥٩) ، التي تتلقى المساعدات المالية وتتمتع بحق الاولوية في شراء المعدات الزراعية .

فبضرورة عامة - اذا ما استثنينا بولونيا ، نرى ان كافة الديمقراطيات الشعبية ذهبت بعيداً في تأميم الاراضي وشرعت في جميع الاستثمارات الصغرى المتوسطة في وحدات زراعية كبرى وفرت لها تدريجياً كافة التجهيزات العصرية .

الوضع في السنة ١٩٦٦ بعد خضوعها عشرين سنة للنفوذ الشيوعي ، تطورت بلدان اوروبا الوسطى والشرقية من ثم تطوراً عميقاً . فهي مع محافظتها على وحدة المبادئ الماركسية سلكت « الطرق المختلفة نحو الاشتراكية » التي توافق حاجاتها الخاصة المميزة . فبلغ اقتصادها في كل مكان معدلات مرتفعة جداً : بلغ الانتاج الصناعي في تشيكوسلوفاكيا ثلاثة اضعافه بالنسبة الى انتاج ما قبل الحرب ، وفي بولونيا بلغ في السنة ١٩٦٣ تسعة اضعافه بالنسبة الى انتاج السنة ١٩٣٨ واربعة اضعافه بالنسبة الى انتاج السنة ١٩٥٠ ؛ وفي الجمهورية الديمقراطية الالمانية تضاعف هذا الانتاج وبلغ معدل الزيادة ١١٠٧ بالمائة بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٧ ، وحق ١٢٠٣ بالمائة في السنة ١٩٥٩ . فغدت بولونيا الدولة الصناعية الخامسة في اوروبا منذ الاكتشاف الذي اتاح لها تحويل « ذهبها القاتم » ، اي الفحم الحجري غير المتكامل المتوفر لديها بكميات كبرى ، الى وقود لتنقية المعادن (١٩٥١) . وان هذه البلدان التي عرفت قبل السنة ١٩٣٩ بطالة أليمة ومهاجرة واسعة في صفوف العمال ، هانت آنذاك من حاجة حقيقية الى اليد العاملة ، باستثناء بولونيا حيث عمل معظم الفلاحين في املاكهم

الصغرى . أما الأمية فقد قهرت عملياً والكفاءة المهنية تحسنت . وعرفت رومانيا في السنة ١٩٦٤ اعلى نسبة في ارتفاع عدد السكان (٨ بالمائة) ، وتجاوز الدخل القومي ضعفه (٢,٧ بالمائة) في السنة ١٩٣٨ . وعلى الرغم من ان نجاحات الزراعة — على غرارها في الاتحاد السوفياتي — قد بقيت دون نجاحات الصناعة بشكل ظاهر ، فان مستوى المعيشة قد تحسن تحسناً ملحوظاً في رومانيا ، وفي الجمهورية الديمقراطية الالمانية ، ولا سيما عند سكان الارياف ، وفي بولونيا حيث لم يعد استهلاك المواد الغذائية دون اعلى المستويات في اوربا الا بنسبة ١٠ — ٢٠ بالمائة . ووفرت السياسة الاقتصادية والاجتماعية التي انتهجتها الجمهوريات الشعبية لكل مواطن ولوج ابواب العلم والارتقاء الاجتماعي وآفاق تقدم عظيم . فأسهمت من ثم في « ازالة معظم الفوارق الاجتماعية القديمة والعميقة » ، ولكن الاولوية المعطاة للانتاج الصناعي وضالة انتاجية العمل قد أخرتا تحقق تقدم يفي بالحاجات .

الا ان خموداً في التقدم ، شبيهاً به في الاتحاد السوفياتي ، قد برز منذ السنة ١٩٦٣ . ومرد ذلك الى ان سير التخطيط والتوزيع لم يمد هنا ليوافق متطلبات الاقتصادات المعقدة التي اخذت تواجه مسائل الاعتماد والانتاج المتنوع . وهذا ما يفسر اصلاحات ادارة الاعمال والتخطيط ، وليونة الرقابة الحكومية ، والاعتراف للمشاريع بتحقيق الارباح ومطابقة برنامجها على طلب الزبائن .

ومن جهة ثانية ، تم تصنيع الديمقراطية الشعبية ، منذ السنة ١٩٤٥ ، الكوميكون بصورة فوضوية في اطار كل دولة ، على الطريقة السوفياتية ، اي باعطاء الاولوية للصناعة الثقيلة . ففي كل بلاد وجدت من ثم مصانع يفوق انتاجها حاجات البلاد وطاقاتها الحقيقية وتنتج دون اي اعتبار للدخول التي يجب ان توفرها . وهو لعمري وضع محال وخطر في ظل نظام الحصار الذي فرضته الولايات المتحدة على المواد الاستراتيجية اثناء الحرب الكورية والذي بقي معمولاً به جزئياً .

وحين تأسس في السنة ١٩٤٩ ، رداً شرقياً على مشروع مارشال ، مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة (كوميكون) ، لم يلعب لمدة طويلة سوى دور محدود في درس مشاريع التنسيق وخطط مطابقة الانتاج ؛ فهو الاتحاد السوفياتي ما منح القروض ، وسهل بين الديمقراطيات الشعبية المبادلات التي تمت بشكل اتفاقات ثنائية على مقايضات يحدد اجلها بسنة واحدة . الا ان ازمة السنة ١٩٥٦ في بولونيا وهنغاريا ، وتوقيع معاهدة روما في شهر آذار ١٩٥٧ ، الذي جعل من المجلس الاقتصادي الاوروبي حقيقة راهنة ، ابرز الحاجة الملحة الى اعتماد تدابير حسية . فقرر منذ السنة ١٩٥٨ مد انابيب لنقل البترول بين الاتحاد السوفياتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا والجمهورية الديمقراطية الالمانية ، وتنسيق وتوحيد انتاج بعض المصنوعات الكيميائية والصفائح المعدنية والانابيب ؛ وفي السنة ١٩٥٩ تم الاتفاق نفسه حول تجارة القطن والفواكه والبقول ؛ وفي السنة ١٩٦٠ ، تم الاتفاق بين بولونيا والجمهورية الديمقراطية الالمانية

من اجل زيادة انتاج الفحم الحجري البولوني ، وبين تشيكوسلوفاكيا ورومانيا من اجل بناء
 معمل لانتاج الطاقة الكهربائية يغذيه الغاز الطبيعي الروماني ، وتوحيد بعض شبكات توزيع
 الطاقة وجعل مركز تنظيم التوزيع في براغ ، الخ . وفي السنة ١٩٦٢ قطع مؤتمر موسكو
 المرحلة الحاسمة بتقريره تنسيق الخطط الطويلة الاجل والتوفيق بين السياسات الوطنية على اساس
 « التقسيم الاشتراكي الدولي للعمل » . فاستلزم التنظيم لجاناً دائمة ، ودائرة تخطيط ، وامانة سر ،
 ولجنة تنفيذية يكون كل عضو فيها متحكماً بالقرار المطلوب اتخاذه ، لأنه يتمتع بحق النقض .
 وجلي ان تحقيق مثل هذه الوحدة قد اثار صعوبات جمة : صعوبات تنسيق شتى السياسات
 الزراعية والخطط المختلفة الآجال والافتقار الى النقد القابل التحويل ، الخ . وشعرت بعض
 الدول بصعوبة الخروج من قومية ضيقة (بولونيا ، ولا سيما رومانيا) ، فرفضت التضحية
 ببعض الصناعات التي اوجب التخصيص التضحية بها ، وأسفت على هذا الارتباط الالزامي
 بالدول الاشتراكية الاخرى ، وطالبت بحرية كاملة في الاتجار مع الدول الغربية ، وتمنت ان
 تعمل الوحدة « لا ككل تنصهر فيه الاجزاء ، بل كمجموعة اقتصادات وطنية مستقلة » . وانما
 على الرغم من هذه الاختلافات ، سار التعاون في طريقه : ففي السنة ١٩٦٤ تأسس مصرف على
 مثال « الاتحاد الاوروبي للمدفوعات » اسندت اليه مهمة تمويل مجموعات المشاريع الكبرى ؛
 وبعد مرور اشهر معدودة ، أسست تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وهنغاريا ، التي انضمت اليها
 بلغاريا والجمهورية الديموقراطية الالمانية والاتحاد السوفياتي ، جهاز « المعادن المشتركة » الذي
 ارتدى طابع التخصص في انتاج الانابيب والمصنوعات الفولاذية الاخرى ، واستهدف تنسيق
 الدروس والمبادلات وبرمجة الانتاج ، اللذين سيتيح تحقيقهما تنسيق التجارة الخارجية وتأسيس
 مشاريع مشتركة . ويجب الاشارة كذلك الى سلسلة التدابير المتخذة منذ السنة ١٩٦٣ لتنسيق
 النقل في مختلف البلدان بغية تجنب انزال وتحميل البضائع (الداخلة الى الاتحاد السوفياتي او
 الخارجة منه) ، وانشاء استثمار محطة دولية لشاحنات البضائع ، وإقرار مشروع ضخ لامتياز
 الدانوب الاسفل ابتداء من الحدود النمساوية - التشيكية بواسطة ١١ محطة لتوليد الكهرباء
 تبلغ طاقتها ٢٧ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلوات في الساعة ، تليح بالاضافة الى إنتاج الكهرباء ٥٠ ٠٠٠
 كيلومتر مربع وجعل معدل عمق النهر ٣٥ و٣ م .

عمل الكوميكون بعد المجلس الاقتصادي الاوروبي وقصد تحقيق اهداف تختلف كل
 الاختلاف عن اهدافه ، واستخدم اساليب ووسائل مختلفة . ولكنه استوحى الحرص نفسه على
 التوحيد والتنظيم . وحقق نتائج ذات قيمة في كافة الحقول ما عدا الحقل الزراعي . وباستطاعته
 اليوم الاسهام اسهاماً فعالاً في اعادة الوحدة الى الكتلة الشيوعية بعد ان زعزعها النزاع الصيني
 السوفياتي .

الفصل الثالث

يوغوسلافيا

ان الظروف التي عاشت فيها يوغوسلافيا اثناء الحرب تفسر طابع تطورها الخاص في المرحلة التي عقيبتها . فالبلاد حققت ثورتها ابان الصراع بالذات ؛ ولذلك كانت ثورتها امراً واقعاً حين توقفت الاعمال الحربية - في الوقت الذي بدأت فيه في بلدان اوروبا الوسطى والبلقانية الاخرى . وكان لدى تيتو جيش شعبي كثير العدد تعود الحرب وخضع لنظام سياسي مرن وقوي ، وحظي بنفوذ وشعبية كبيرين حصل عليهما في المعركة من اجل تحرير البلاد الذي كان لليوغوسلافيين انفسهم اليد الطولى في تحقيقه . ولكن عداء حكومة المنفى في لندن ، والجنرال ميخالوفيتش ممثلها في البلاد ، الذي لم يتعاون مع الايطاليين والالمان فحسب ، بل اعلن الحرب على الانصار ايضاً ، قد اعطى المعركة من اجل التحرير طابع صراع ثوري ضد ممثلي الطبقات الحاكمة القديمة والحكومة الملكية .

تكونت الدولة الجديدة اثناء الحرب بالذات . فعند اواخر
النظام السياسي الجديد
السنة ١٩٤٢ ، مثل جيش تيتو أقوى قوة محاربة والقوة الفعالة
الوحيدة في الصراع ضد الفاشي ؛ وفي كل مكان - حتى في المناطق المحتلة - تألفت لجان شعبية
للتحرير من ممثلين انتخبهم الفئات الوطنية المحلية استلمت زمام السلطة فور انسحاب الالمان .
وفي تشرين الثاني ١٩٤٢ ، التأمت جمعية ثورية تضم الممثلين المنتخبين المنتسبين الى كافة المعتقدات
والاديان والاحزاب والفئات المعادية للفاشية ، عرفت بـ « المجلس المعادي للفاشية » لتحرير
يوغوسلافيا الوطني ، الذي كان الجهاز الموجه للصراع ، دون ان يكون برامناً او حكومة ؛
فاختارت المجلس الذي اسندت اليه السلطة التنفيذية ومهمة البت بالمسائل الاقتصادية والسياسية .
الا ان الدولة لما تنظم تنظيماً جديداً ، بناء على اشارة صريحة من الاتحاد السوفياتي الذي خشي
من ان يخلق اعتماد التدابير الثورية بعض المتاعب مع الحلفاء الغربيين . وفي السنة ١٩٤٣ قرر
مجلس التحرير ، الذي اصبح « الممثل الاعلى للسيادة اليوغوسلافية » ، ان البلاد سوف تنظم
تنظيماً اتحادياً يجمع بين الشعوب المتساوية في الحقوق في صربيا وكرواتيا وسلوفينيا وبوسنيا -

— هرزيغوفينا والجبل الاسود . وافر بالتصويت القوانين الدستورية الثورية الاولى التي انتزعت كل سلطة من الملك الموجود في المنفى واعدت قيام الجمهوريات الشعبية الست التي سيؤلف اتحادها الدولة اليوغوسلافية . ولم يتخذ أي تدبير شامل بصدد القاعدة الاقتصادية المقبلة التي ستمشي عليها البلاد . ولم تقرر مصادرة المصانع والاملاك ، حين قررت ، الا اذا كانت هذه المصانع والاملاك ملك الغازي او المتعاونين معه . الا ان المساحة القصوى للأملاك ، في الحقل الزراعي ، قد حددت بـ ٢٥ هكتاراً ، باعتبار ان حركة التحرير قد ارتكزت في جوهرها على طبقة صغار الفلاحين الفقراء . وفي كانون الثاني ١٩٤٦ ، أعلنت الجمهورية الاتحادية اليوغوسلافية بواسطة الجمعية التأسيسية التي فازت الجبهة الشعبية فيها بـ ٦٧٢٥٠٠٠٠ صوت مقابل ٧٠٧٠٠٠٠ للمعارضة . وهكذا ازيلت الملكية الصربية المنشأ التي كانت منذ السنة ١٩١٩ العقبة الرئيسية في سبيل المساواة بين القوميات والتي ساندت على الدوام اقوى العناصر نزعة محافظية في المجتمع السابق . وقد اعطيت الدولة الجديدة دستوراً اتحادياً : ست جمهوريات شعبية ، وفي اطار جمهورية صربيا اقليمان مستقلان استقلالاً ذاتياً توجد فيهما اقلية قومية : فوجفودينا التي يستوطنها الهنغاريون والسلوفينيون والرومانيون ، وكيروفو — ميتوهيجا التي يستوطنها الالبانيون . وكان لكل جمهورية جمعيتها ودستورها . واحتفظت الحكومة الاتحادية بالدفاع الوطني والسياسة الخارجية والمالية الاتحادية والخطط الاقتصادية العامة والعلاقات التجارية والمواصلات . وتألفت « الجمعية الشعبية » ، كما هي الحال في كل نظام اتحادي ، من مجلسين هما « المجلس الشعبي » المنتخب على أساس ممثل لكل ٥٠٠٠٠ نسمة ، و « مجلس القوميات » الذي تلتخبه الجمهوريات والاقاليم والمناطق . وتنتخب الجمعية الشعبية مجلساً اعلى يمارس رئاسة جماعية ومجلساً تنفيذياً .

تركت الحرب البلاد مخربة تخريباً كاملاً ، وأفقدتها زهاء مليوني نسمة
 النهضة المادية
 لا قوا حتفهم وزهاء ٦٠٠٠٠٠٠ من العناصر الغريبة ، ولا سيما من
 الالمان ؛ وقد هلك ١/١٠ السكان القرويين . وقد درت الاضرار بـ ١٠٥٠٠٠ مليون دولار
 (١٩٣٨) تكاد تمثل زهاء اربعة اضعاف الدخل القومي في هذه السنة . وانتشرت المجاعة لا في
 المناطق الجبلية الجنوبية الغربية التي لم تنتج قط مواد غذائية كافية لسد حاجاتها فحسب ،
 بل في اغنى مناطق سلوفينيا وصربيا الشمالية ايضاً . فتوجب على منظمة اغاثية
 اللاجئين تغذية اكثر من ثلث السكان ، وقدمت لهذه الغاية اكثر من ٦٠٠٠٠٠ طن من
 المواد الغذائية .

كما حدث في الديمقراطيات الشعبية الاخرى ، تحقق اصلاح زراعي صادر في السنة ١٩٤٥ ،
 لقاء دفع تعويض ، تناول كافة الاملاك التي تزيد مساحتها عن ٣٥ هكتاراً من الاراضي الزراعية .
 فباتت الاملاك التي لا تبلغ مساحتها ٥ هكتارات تمثل ٧٥ ٪ من مساحة البلاد ، وتلك
 التي تتراوح مساحتها بين ٥ و ١٥ هكتاراً تمثل ٢٢ ٪ ، والاملاك التي تتجاوز ١٥ هكتاراً
 ٣ ٪ فقط . ومن جهة ثانية صدر في السنة ١٩٤٦ قانون سوف يعدل في السنة ١٩٤٨ أمت

بموجبه كافة فروع النشاط الصناعي ، والموارد المنجمية ، ومصادر الطاقة . وامت كذلك التجارة الخارجية ، ثم ٨٨ ٪ من التجارة التفصيلية ، وامت الـ ١٢ ٪ الباقية بدورها في السنة ١٩٤٨ . ولكن نهضة الصناعة تقدمت تقدماً بطيئاً جداً . ففي السنة ١٩٤٦ لم يبلغ الانتاج سوى ٥٠ ٪ من انتاج ما قبل الحرب .

وخلافاً لما حدث في الديمقراطيات الشعبية الاخرى التي لما تضع سوى خطط لسنتين او ثلاث سنوات ، بوشر في السنة ١٩٤٧ تنفيذ خطة خمسية (١٩٤٧ - ١٩٥١) . فقد نهضت يوغوسلافيا من ثم على الفور بخطة طويلة الاجل معدة لانهاض المناطق المتخلفة : الجبل الاسود ، بوسنيا ، مقدونيا ، بغية الحد من التفاوت الاقتصادي بينها وبين الجمهوريات الاخرى . وكان المقصود تحقيق تنمية سريعة للطاقة الصناعية التي يجب ان تبلغ خمسة اضعافها بمعدل زيادة سنوية خيالية يجب ان يبلغ ٣٧ ٪ ، خصوصاً في انتاج المناجم وانتاج الطاقة الكهربائية والصناعة الثقيلة .

يجب ان تكون الاعتمادات الملحوظة مرتفعة جداً : في السنة ١٩٥١ بلغت ٢٧,١٥ ٪ من الدخل القومي السنوي . ويجب ان يتضاعف عدد العمال الصناعيين ويصبح ٧٥٠,٠٠٠ . اما نجاح هذه الخطة التي استلزمتم اموالاً طائلة بسبب كلفة تجهيز المناطق المتخلفة ، فكان رهين استيراد بعض المصنوعات الجاهزة وبعض الخامات : آلات وتجهيزات مختلفة للصناعة ، تجهيزات كهربائية ، فحم حجري ، بترول ، منسوجات ، مطاط ... واقتصرت الصادرات على المعادن والمنتجات الزراعية .

الا ان الخطة اليوغوسلافية كانت اقل الخطط نجاحاً في الديمقراطيات الشعبية . فان معدل الزيادة المقرر لم يتحقق في يوم من الايام : في الحقل الزراعي انتهت الخطة الى فشل ذريع ، وفي الصناعة لم تبلغ سوى ٥٠ ٪ من اهدافها فقط .

اما اسباب هذا الفشل فعديدة : الحاجة الى اصحاب الكفاءات لادارة كافة المشاريع المؤممة ، الحاجة الى اليد العاملة الاختصاصية في الصناعة ، بطء انتشار التعاونيات : ١٣٠٠ في السنة ١٩٤٨ تعمل في ٨ و ٣ ٪ فقط من المساحة الزراعية ، استياء الملاحين العاجزين عن الحصول على المصنوعات التي يحتاجون اليها . ويجب القول بصورة خاصة ان المصانع الكبرى ، ومحطات انتاج الطاقة الكهربائية التي انجزت ، وطرق المواصلات التي حسنت شبكتها ، لم تستخدم استخداماً يتناسب وطاقاتها الانتاجية ، لان الخامات الضرورية لاستخدامها قد انتجت او استوردت بكميات ضئيلة بسبب قلة التصدير .

وهكذا كانت الخطة في طريقها الى الفشل حين حدثت القطيعة
عزلة يوغوسلافيا
بين يوغوسلافيا وبين الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الشعبية
الاخرى ، وحين اقصيت يوغوسلافيا عن الكومنفرم . اما الحجب التي استند اليها لتبرير هذا القرار فكانت الاتجاه القومي العام ، والموقف المعادي للسوفييات ، والتنظيم البيروقراطي

للحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذي لا يقوم سوى بدور ثانوي الى جانب الجبهة الشعبية المؤلفة من عناصر غير متجانسة ، وخصوصاً السياسة الاقتصادية غير المعتدلة التي تسرعت في تأميم الصناعة والتجارة المتوسطتين وتصفية العناصر الرأسمالية في طبقة الفلاحين ، فعرضت النجاح للخطر وشقت « الجبهة الاشتراكية الموحدة ضد التوسعية » . وعقب قطع العلاقات الاقتصادية القطيعة السياسية ، واستتبع تغييرات عميقة في تطور الخطة الخمسية المتردة منذ قبل القطيعة . لقد عوقبت يوغوسلافيا بسبب عدم انقيادها الذي عزلها في « الشرق » ، فقطع عنها البترول الالباني والروماني والآلات التشيكية ، وفي السنة ١٩٤٩ هبطت مبادلاتها مع الاتحاد السوفياتي الى ثمنها في السنة السابقة . وكانت يوغوسلافيا مصممة على متابعة تنفيذ خططها ، فطلبت حكومتها من الدول الغربية المعدات التي تحتاج اليها . ولكن تجارتها الخارجية شلت شللاً تاماً بسبب هبوط صادراتها التي كان تصريفها في الغرب اصعب منه في الشرق ، وتوقف استيراداتها من الفحم الحجري والاسمدة والبترول والحديد المصبوب ومعدات التجهيز . أضف الى ذلك من جهة ثانية ان البلاد اخذت تنتج المزيد من الاسلحة (ابتلعت ميزانية الحرب ٢٠٪ من الدخل القومي) ، وقد قال « ف. برتو » عن الخطة اليوغوسلافية : « خطة لا يمكن ، في احسن الاحوال ، الا ان تكون فشلاً محدوداً » ، انتهت الى فشل ذريع . الا ان التأميمات تواصلت بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٠ ، بموجب قانون اقر في السنة ١٩٤٨ ، واسرع في وضع وسائل الانتاج والمقايضة في خدمة الجماعة ، فارتفع عدد التعاونيات من ١٣٠٠ في السنة ١٩٤٨ الى ٧٢٦٢ في السنة ١٩٥١ استثمرت ٢٥٪ من الاراضي الزراعية .

ثم ان يوغوسلافيا التي تقربت من جيرانها الجنوبيين وعقدت معاهدات دفاع متبادل مع اليونان وتركيا قد عدلت سياستها . فتوقفت عن تقديم المساعدة لمصبات « ماركوس » وهالاس التي لم تلبث ان هزمت هزيمة منكرة امام الجيوش الملكية اليونانية ، وتقربت من الدول الغربية ، التي فتحت لها اعتمادات انقاذ ووسعت علائقها التجارية معها . وفي خريف السنة ١٩٥٠ ، اخذت يوغوسلافيا ، بفضل الاعتمادات الغربية ، تحوّل تجارتها الخارجية . ففي السنة ١٩٥١ ، اشترت الولايات المتحدة وكندا ١٥٪ من صادراتها مقابل ٢٪ في السنة ١٩٤٦ ، وباعت منها ٣٩٪ من وارداتها مقابل ٣٪ فقط قبل خمس سنوات خلت . الا ان الصعوبات الاقتصادية ما زالت على جانب كبير من الخطورة ، فاعادت الحكومة النظر في سياستها الزراعية ، وغضت الطرف عن ارتفاع الاسعار ، بينما ابقت الاجور على حالها تقريباً ، ولكن الانتاج لم يسجل ارتفاعاً يذكر بالنسبة لمستواه قبل الحرب الا في الصناعة الثقيلة . وبعد سنوات التكيف العسير بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٢ ، لم يبلغ مستوى انتاج السنة ١٩٤٩ الا في السنة ١٩٥٤ ولم يجاوز الا في السنة ١٩٥٥ .

الطريقة اليوغوسلافية
ابتداء من السنة ١٩٥٠ ، اخذ يبرز الى الوجود تنظيم سياسي مميز ،
شيوعي وماركسي في جوهره ، مختلف عن النظام السوفياتي . فان
الحاجة الى تغيير نظام اقتصادي مشوش والنزاع المتأدي مع الاتحاد السوفياتي قد دفعا بالحزب
الشيوعي اليوغوسلافي ، خلال فترة الانتقال ، الى ايجاد طريقة جديدة لتطبيق الماركسية
تختلف اختلافاً كبيراً عن طريقة حلفائه السابقين .

كان الهدف من هذه الطريقة ازالة رأسمالية الدولة والبيروقراطية التي ترافقتها ، واشراك
الجمهور اشراكاً دائماً في « بناء الاشتراكية » ، ونقل مهام الدولة - في بلاد غير متجانسة آخذة
في تكوين وحدتها - الى اجهزة مستقلة استقلالاً ذاتياً . فلم تحتفظ الدولة الا بالشؤون الخارجية ،
والجيش وامن الدولة . وانتقل كل ما تبقى من الادارة الى اجهزة منتخبة في كل جمهورية
اتحادية ، والى لجان شعبية في التقسيمات الادارية الصغرى تتخذ القرارات وتراقب الادارة بحصر
المعنى . وانما تستلبد السلطة المركزية شرعية اعمال هذه الاجهزة واللجان ، دونما اهتمام للملاءمتها
ودون ان تكون موافقتها المسبقة ضرورية .

وتقرر الشيء نفسه في الحقل الاقتصادي : اسندت ادارة المشاريع الى مجالس عمالية ينتخبها
المستخدمون وتعين لجنة ادارة . وقد ألقت مشاريع عديدة « تجمعاً اقتصادياً اعلى » تختار
ادارتها ، التي تعينها الدولة ، مدراء كل مشروع . ويهتم المجلس العمالي ، لجنة الادارة بحماية العمل
وتطبيق الخطة ، وميزان الدخل ، والتدابير الآتية الى تحسين الانتاج . وهي « لجنة الاقتصاد
الوطني » ، التي تألفت بموجب دستور السنة ١٩٥٣ ، ما تضع « الخطط العامة » التي ترسم
الخطوط الكبرى التي تضع لجان الادارة والتجمع ، بحرية ، خطط وحداتها بالاستناد اليها .
وتوزع ارباح المشروع الصافية (اي الدخل غير الصافي بعد ان تحسم منه الضريبة والأجور
والأموال المستهلكة والفوائد) بين الدائرة الصغرى (الضريبة العقارية) والجمهورية والاتحاد
(الضريبة على الارباح) و« صندوق العمل » الذي يمنح العمال علاوة على أجورهم . فليس
استقلال المشاريع من ثم مقيداً إلا بالرقابة على شرعية اعمالها والرقابة الجبائية ورقابة المصرف
الدائن . ولا تشترك الدولة لا في تحديد الأجور ولا في مراقبة تنفيذ الخطة .

يتضح من ثم ان دستور السنة ١٩٥٣ المعدل قد حدد ، ما امكن الحد ، من تدخل السلطة
المركزية باقراره « حكماً ذاتياً » ادارياً حقيقياً على مستوى الدائرة الصغرى والقضاء والجمهورية
المتحدة التي يدير مصالحها الجماعية الشعب نفسه ، وحكماً ذاتياً اجتماعياً اذا ان المنتجين يديرون
مشاريعهم . وقد ادخل على دستور السنة ١٩٤٦ تعديل واحد هام : ضم مجلس القوميات الى
المجلس الشعبي واحلّت محله جمعية المنتجين التي تنتخبها الفئتان الكبريان : العمال والفلاحون ،
بنسب غير متساوية على كل حال (ممثل لكل ٣٠.٠٠٠ عامل ، وممثل لكل ١٥٠.٠٠٠ فلاح) .
وهناك ، تحت هذه المجالس ، بضع مئات من اللجان الشعبية في الاقضية والمدن ، التي تنتخب
بالتصويت العام ، وبضعة الوف من المجالس التي ينتخبها عمال المشاريع الصناعية والتجارية ، وعمال
التعاونيات الزراعية ، وتؤلف كلها شبكة ادارية لامركزية واسعة تضمن البروليتاريا لها فيها مركزاً

مسيطرًا . ونص دستور السنة ١٩٦٣ على ان واحداً - باستثناء المارشال تيتو - لا يمكن إعادة انتخابه مرتين متواليتين للمركز الواحد ، مما يفرض حركة دورية سريعة في كافة أجهزة الدولة .

تحول الحزب الشيوعي في السنة ١٩٥٢ الى « عصابة الشيوعيين » ، والجبهة الشعبية الى « التحالف الاشتراكي للشعب العامل » ؛ فاصبحت مهمة الحزب منذئذ لا التدخل في تفاصيل النشاط السياسي والاقتصادي (الذي انيط بالتحالف) بل اعطاء التوجيهات وتسيير هذا النشاط بتثقيف الجماهير الشعبية .

ان تأخر النمو الاقتصادي الذي لوحظ منذ السنة ١٩٦١
الازمة الاقتصادية الراهنة
قد افسح المجال لتحسن ملموس في اواخر السنة ١٩٦٢ وفي السنة ١٩٦٣ (ارتفع معدل النمو العام من ٥ بالمائة الى ١٢ بالمائة تقريباً) . ولذلك فقد بوشر تنفيذ الخطة السبعية الجديدة (١٩٦٤) في جو من التفاؤل ايدته زيادة الانتاج الصناعي وازدهار المشاريع ، ولكنها لم تلبث ان تعرضت لخطر تضخم مالي سريع الخطى وارتفاع مفرط في الاسعار . ويقسر هذا الوضع فقدان التوازن بين الصادرات والواردات ، وتزايد الاموال الموظفة بسرعة وعلى غير انتظام ، وتزايد الاستهلاك الداخلي بفعل ارتفاع الاجور والرواتب والشراء بالدين . الا ان الافتقار الى النقود النادرة اللازمة لتأمين الاستيرادات الضرورية من الحامات والمصنوعات قد ارغم الحكومة على تجميد الاسعار في شهر آذار ١٩٦٥ وتخفيض قيمة الدينار في شهر تموز . اي على انتهاج سياسة تقشفية تهدف الى اكراه المشاريع على إعادة تنظيمها وزيادة انتاجيتها والاستغناء عن الاعانات المالية التي تدفعها الدولة (باستثناء المناطق الفقيرة كمقدونيا والجبل الأسود) بغية جعل الانتاج قادراً على مزاحمة غيره في الأسواق الدولية . فلم تستلزم الازمة من ثم تدخل الدولة بشدة مرة اخرى ، وانما اتجه الاصلاح الى تطبيق قوانين اقتصاد الاسواق تطبيقاً فعالاً .

في الحقل الزراعي شمل قطاع الملكية الاجتماعية ١٨٠.٠٠٠ هكتار ، اي ١١,٤ بالمائة فقط من المجموع . وقد تألف من مزارع وطنية في الاستثمارات الكبرى التي صودرت ، ومزارع عمل (موازية للمزارع التعاونية السوفياتية) ، وتعاونيات زراعية من الطراز العام ، هبط عددها من ٧٢٦٢ في السنة ١٩٥٠ الى ١٢٠٠ في السنة ١٩٥٤ ، ثم عاد فارتفع الى ٢٢٠٠ وحدة في السنة ١٩٦٣ ضمت ١٣٠٠.٠٠٠ عضو . اما القطاع الخاص ، فقد تألف من استثمارات صغرى - حددت الاملاك الفردية بـ ١٠ هكتارات بغية الحؤول دون ظهور الكولاك مرة اخرى - يبلغ معدل مساحتها ٤,٢ هكتارات في الوحدة ، ولم يتجاوز اكثر من ثلثها الهكتارين وبجلي انه نظام لا يساعد على تحقيق الاصلاح العمري ، وقد زاد من سوءة اكتظاظ الارياف بالسكان الذي استتبع بطالة ريفية حقيقية متفاوتة الظهور احياناً ، بالرغم من هجرة ريفية هامة . فنجم عن ذلك انتاجية متدنية واستهلاك ذاتي مرتفع (١/٣ الانتاج الزراعي) ، وهكذا كانت

معظم الاراضي خاضعاً لنظام زراعي قديم جداً في بلاد تشكو من المعجز في منتجات اساسية كثيرة .

هنالك من ثم ، والحق يقال ، « طريق يوغوسلافية » نحو الشيوعية هي نظام تسوية بين التخطيط المركزي والمفصل الشبيه بالمثل السوفيياتي ، وبين الامر كزية الفعلية المتحققة بالادارة الصناعية الذاتية و « المزاحمة الاشتراكية » مع توزيع الارباح والابقاء على الدخل العقاري .
انه لعمري « نظام شيوعي حر » مميز ، اعاد منذ وفاة ستالين العلائق التجارية بالديموقراطيات الشعبية ، شريكاته الطبيعية في التجارة . فيوغسلافيا دولة شيوعية تخلت عن مبادئ الاقتصاد والديموقراطية الحرة ، ولكنها ترفض الانضمام مرة اخرى الى الكتلة التي يؤلف الاتحاد السوفيياتي عنصرها الموجه ، وتنتهج سياسة « حيادية » تتمتع بنفوذ حقيقي في دول آسيا وافريقيا الحديثة الاستقلال ، وقد تكون - بحسب الظروف - موافقة للكتلة الشرقية حيناً والكتلة الغربية حيناً آخر .

الفصل الرابع

الصين تسمى شيوعية

انتقلت الصين الى المعسكر الشيوعي في السنة ١٩٤٩ ، ولكن انقلاب التوازن بين الكومنتانغ والحزب الشيوعي الصيني ، الذي سوف يؤمن نصر هذا الاخير ، قد حدث اثناء الحرب بالذات .

الحرب الاهلية في السنة ١٩٢٠ ، كانت الصين غارقة في فوضى هائلة شبهها بعضهم بالفوضى التي عرفتتها فرنسا في ايام الشركات الكبرى . فقد كانت البلاد فريسة الدتوكيون ، اسيااد الحرب ، الذين تصرفوا في كل ولاية تصرف الملوك المستقلين ، وحاول كل منهم تعزيز جيشه وموارده ، وحالف جيرانه تارة وخاصمهم تارة اخرى ؛ وكانوا كلهم على علاقة بالحكومات الاجنبية التي منحوها شتى الامتيازات ، واحتفظوا لأنفسهم بحصيلة الضرائب في ولايتهم ، وأودعوا ارباحهم بعض المصارف الاجنبية احتياطاً لادبار الزمان بهم ؛ فكانت حكومة بكين وحكومة كانتون ، والحالة هذه ، مفتقرتين الى القوة والموارد .

كانت نتيجة ذلك عدم امن وبؤساً شاملين - الا في الامتيازات الاجنبية ، ملاجئ الطمانينة الاخيرة - أدت الى نقص عام في نسبة الولادات وزيادة هائلة في نسبة الوفيات بين الاطفال . فانتقلت القرى الى المواقع الدفاعية ، وتوقفت اعمال صيانة سدود يانغ - تسي ، ودهان ، والقناة الامبراطورية ودهوانغ - هو ، فانهارت السدود وغمرت بالمياه مساحات كبرى من الاراضي الزراعية . وجاءت البلبلة التي احدثتها الحرب الاهلية تضيق نتائجها الى نتائج علتين تقليديتين هما بؤس البلاد واكتظاظها بالأهالي : تقسيم الارض المفرط ، ازدياد وطأة الدخل المدفوع لكبار الملاكين ، استحالة استخدام كل هذه اليد العاملة في صناعات المدن . فنزح العديد من الفلاحين الى منشوريا . وأمست الهجرة نهائية بعد ان كانت موسمية . وكان عدد المهاجرين ٤٠٠ ٠٠٠ في السنة قبل السنة ١٩٢٦ ، فبلغ المليون في السنة ١٩٢٧ ، و ٥٤٦ ٠٠٠ في السنة ١٩٢٨ ... وقد ذهب سوادهم سيراً على الاقدام ناقلين ما يملكونه على العربات ، فكان نزوحهم مسيرة مجاعة يموت فيها الكثيرون على قارعة الطريق . فكان ان

عدد سكان منشوريا قد ارتفع ، بين السنة ١٩٢٢ والسنة ١٩٣٠ ، من ٢٢ مليون نسمة الى ٣٠ مليوناً . وطلب غيرهم العمل في مفارس ماليزيا واستثماراتها المنجمية . وقد بلغ عدد المهاجرين ٣ ملايين بين السنة ١٩١١ والسنة ١٩٢٧ ، استقر نصفهم في ماليزيا .

الصين الجديدة
العمال
الا ان الصين الاقطاعية القديمة ، صين اسيااد الحرب ، مع جماهيرها القروية الخاضعة لسيطرة الملاكين العقاريين ، كانت آخذة في التحول . فان صناعات جديدة قد نمت في ظل الحرب ، كالصناعة الثقيلة ، واستفادت الصناعات القديمة (قطنيات ، مطاحن ، تبغ ، اسمنت) من قدي اجور اليد العاملة . وتأسست مدن جديدة . وغدت هانكيو وشنغاي وتيان تسين مراكز صناعية كبرى ، وضمت طبقة عمالية متجانسة ، قد تبلغ المليون شخص ، عاشت فيها حياة مختلفة عن حياة الفلاحين ، ولكنهم حافظت على علائق وثيقة بطبقة الفلاحين . وكانت الاجور متدنية ويوم العمل طويلاً (١٢ - ١٥ ساعة) ، وعدد النساء والاولاد المستخدمين مرتفعاً ، ووضعهم شبيهاً بوضع البروليتاريا البريطانية والفرنسية في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، وقد ساعد على قيام منظمات عمالية ، قامت باضرابات متتالية ومتكاثرة ، وبلغ عدد المسجل منها رسمياً في شنغاي ٤٧ منظمة .

البورجوازية الوطنية
غالباً ما حظيت هذه الاضرابات بمساعدة ومساندة البورجوازية الوطنية - التجار وصغار الصناعيين - التي كانت هي ايضاً ضحية امتيازات الاجانب . فان رؤوس الاموال التي جمعها التجار بوفرة في المرافىء ودخول الملاكين العقاريين قد ساعدت نمو صناعات ومصارف صينية بحصر المعنى . ومنذ السنة ١٩١٩ ، تجاوز عدد صنابير الحياكة القطنية في المصانع الصينية عدد الصنائير نفسها في المصانع الاجنبية . اجل لقد بقي الاميركيون والاوروبيون واليابانيون اسيااد الصناعة الثقيلة ، ولكن رؤوس الاموال الصينية قد حققت السيطرة في الصناعات الخفيفة . وكانت هذه الرأسمالية الوطنية بحاجة الى النظام وتوحيد البلاد والى اصلاح اداري وقضائي على الطريقة الغربية ، واستلزمت وضع حدٍ للامتيازات التي يفيد منها الاجانب بالاستناد الى معاهدات غير متساوية ، ولذلك فهي قد اسهمت في حركة الاستقلال الوطني الموجهة ضد الـ « توكيون » والتجار الاجانب . واستخدمت الموجة الوطنية التي حركت الفلاحين والعمال ، متقربة في الوقت نفسه من الملاكين العقاريين ، وحتى من الاوروبيين والاميركيين حين تنطوي الموجة القروية او العمالية على خطر محقق (في كانتون في السنة ١٩٢٤ ، وفي شنغاي في السنة ١٩٢٧) .

الثورة الثقافية
يتميز المثقفون القوة المحركة لتطور الصين . فقد نمت بينهم ، كما نمت بين العملة ، وطنية صينية حية كانوا هم دعايتها النشاط . لقد ولد تعليم ديموقراطي على كافة المستويات : تعددت الجامعات ، وازال اصلاح اللغة والكتابة المراقيل

التي كانت تعترض تثقيف الجماهير الشعبية . هذا هو « اصلاح اللغة العامية » ، « الـ باي - هوا » وقد اصبح الزامياً في السنة ١٩٢٠ - الذي اعرض عن اللغة الادبية الكلاسيكية واعتمد اللغة اليومية ، المستعملة منذ قبل ذلك في ادب المهازل والروايات المألوف ، بعد ان اعطاها شكلاً كتابياً . وفي الوقت نفسه ، اتاحت « طريق الالف حرف » ، المبني على استخدام اكثر الحروف استعمالاً ، التغلب على اهم الصعوبات التي انطوت عليها الكتابة الصينية وتعليم القراءة بسرعة . ثم جاء النجاح كاملاً حين نشر كتاب « هو - شو » ، « موجز في تاريخ الفلسفة الصينية » ، الذي اثبت امكانية استعمال الاسلوب الجديد في المناقشات المجردة .

مهدت هذه الاصلاحات السبيل لثورة ثقافية كانت بمثابة نهضة حقيقية . فقد نشرت ترجمات عديدة مؤلفات الغرب الكبرى ومكتشفاته العلمية ، وهاجمت روايات واقعية ومؤلفات انتقادية النظام السياسي والاجتماعي السابق . كما هاجمت تنظيم العائلة البطريركية ، والمعتقدات الدينية ، ولا سيما الكونفوشيوسية « غير الصالحة للحياة العصرية » و « المنافية للجمهورية » ، والمسيحية .

ان الحركة الوطنية التي ارادت استقلال البلاد ووحدةها وتجديدها
الحركة الوطنية
العصري قد ضمت في عمل مشترك العناصر الناشطة في المجتمع الجديد :
البورجوازية الرأسمالية ، البروليتاريا العمالية ، المثقفين . هذه هي « حركة الرابع من نوار » (١٩١٩) - يوم اعتراض الطلاب من معاهدات الصلح - التي كانت اعلاناً للثورة الوطنية . وكان تأثير الثورة الروسية عظيماً جداً على كل حال ، بالمثل الذي اعطته ، وبتعليمها ان على الصين ، اذا ارادت التقدم ، القضاء على الرأسمالية الاجنبية ، وبالمساعدة الفعالة المباشرة التي قدمتها . وبالرغم من انه لم يتعصب للشيوعية ، فان سن - يات - شن ، الذي اعاد تنظيم الكومنتانغ ، قد اوفد تشانغ - كاي - شك الى موسكو للاشتراك في دورة تدريبية ، وتعاون مع الحزب الشيوعي الصيني . ووقع على اتفاقات تتخلى روسيا بموجبها عن المعاهدات غير المتساوية وترسل الى الصين مدربين عسكريين ومنظمين سياسيين . وانما نجاح الكومنتانغ في استعادة الصين الشمالية وهزم اسباب الحرب بواسطة الجيش الذي دربه وتولى قيادته الضباط الذين اعدوهم .

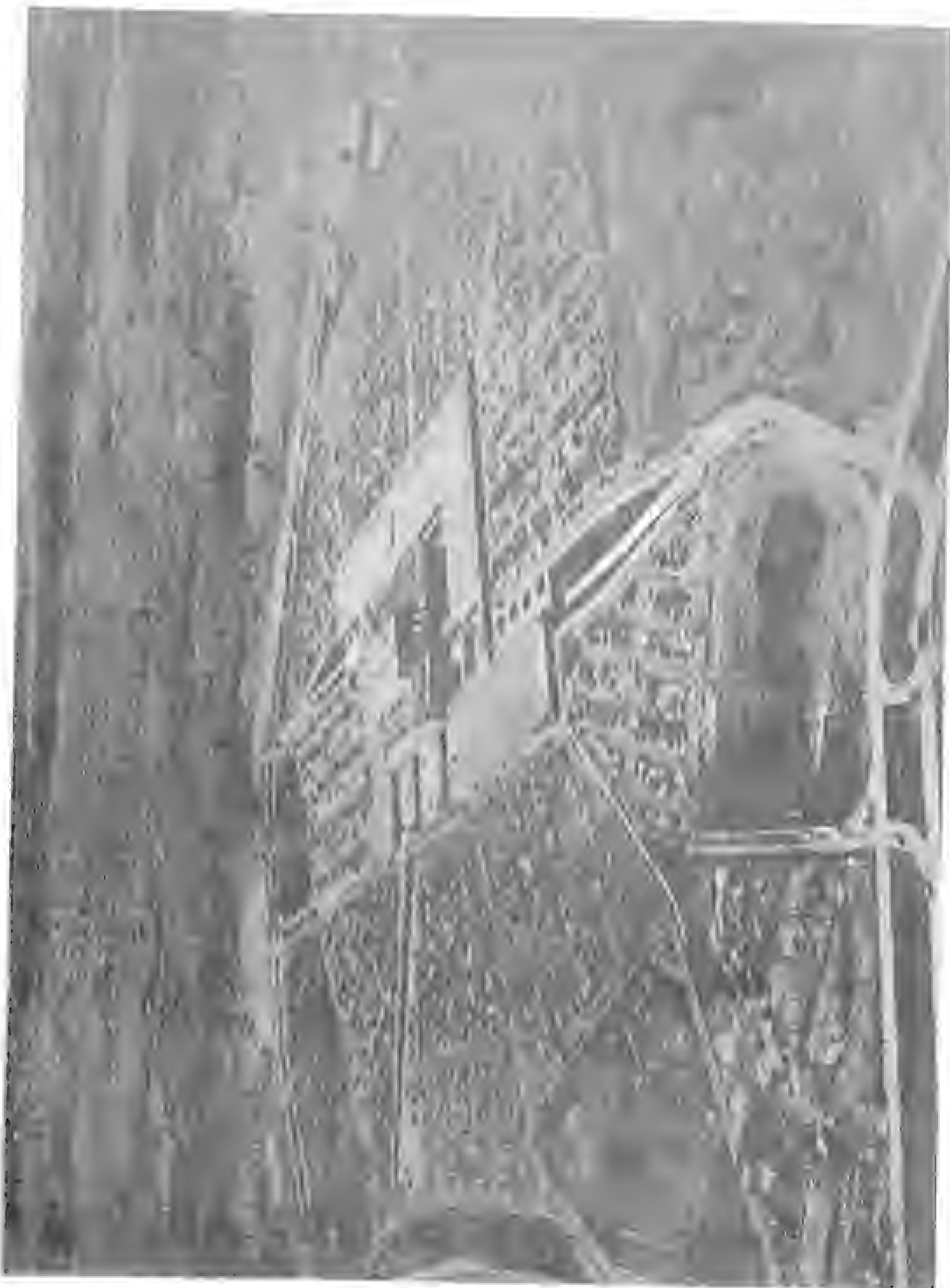
وقفت الحركة الوطنية الصينية بحزم في وجه الدول الاوروبية التي اثبتت ، في السنة ١٩١٩ في فرساي ، وفي ١٩٢٠ - ١٩٢١ في واشنطن ، انها لا تريد لا مساعدة الصينيين على بناء صين مستقلة سياسياً واقتصادياً ، ولا التخلي عن امتيازات المعاهدات غير المتساوية . وحين تعددت الاحداث الدامية في مراكز الامتيازات ، رد الصينيون بمقاطعة التجارة البريطانية . فاضطر المرسلون والتجار الانكليز - وقد كانوا اكثر الاجانب تعرضاً للخطر لأن مصالح انكلترا الاقتصادية والسياسية في الصين كانت اعظم شأنًا من مصالح سواها - الى الجلاء عن الداخل نحو المرافئ .

۸۱-۸۰ : جہانگیر آباد کی منظر





١٨ - الباخرة فرنسا التي انزلت الى البحر في السنة ١٩٦٠ .

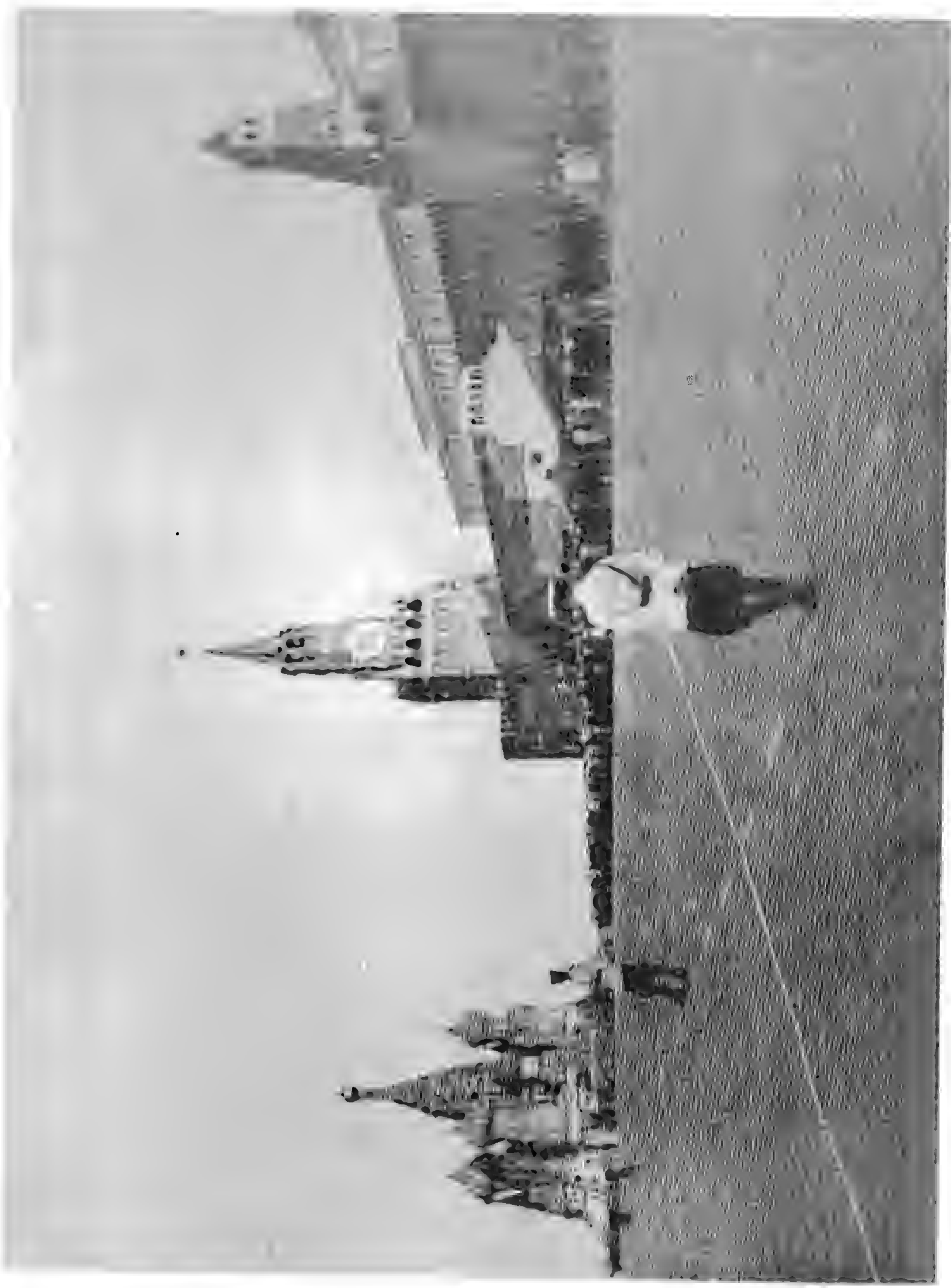


۱۹ - غازیان امیر کی گنبد علی مقبرہ میں اذیت وایت



٢٠ - شبكة طرقات عمرية في لوس انجلوس : هاربور فريواي .

٢١ - الساحة الحمراء في موسكو ١٩٤١ - في الوسط صرير لينين -





٢٢ - جامعة موسكو . منظر لموسكو التي يشرف عليها بناء الجامعة الرائع .



٢٣ - مجاعة ١٩٥٣ في الهند .



٢٤ - المہاتما غاندي محیط بہ تلامیذہ .



٢٥ - ماوندي - تويج جھنڈ لي جیوت



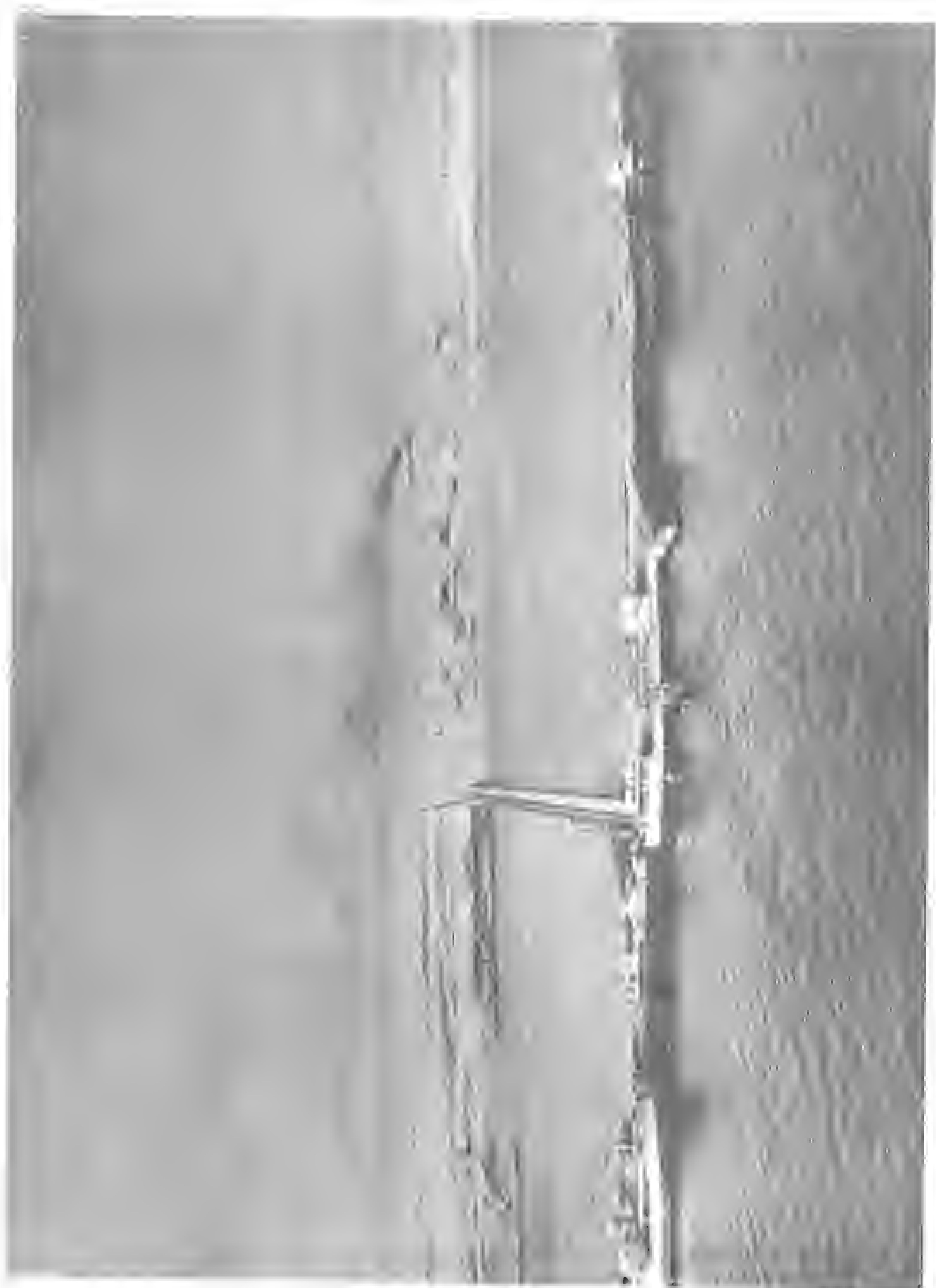
٢٦ - شغلاي : مدرسة في الهواء الطلق الجارب والتربية .



٩٧ - طريق الطريق العام من الطريق إلى الجبل في المدينة



٢٨ - عيد الحصاد في مزرعة جماعية .



٣٥ - صفاً بطولي في العراق ..



٣٠ - رباط المدينة الأوروبية والمدينة البلدية



۳۱ - ارلکین و کولومبین ، بریشتة بابلو پیکاسو . متحف لینینغراد .



ارتبطت الحركة المعادية للمسيحية ارتباطاً وثيقاً بهذه الحركة الوطنية . فبينما كانت هذه الحركة من قبل وقفاً على القوى المحافظة التقليدية ، قادتها آنذاك العناصر الثورية والوطنية ، أي الطلاب والعمال . لقد 'فرّق' حتى ذاك التاريخ بين المسيحية كدين وبين المرسلين حملة 'الغزو الثقافي' . وان عمل المرسلين ، الذي غالباً ما ارتبط في الماضي بالتدخلات المسلحة الأجنبية ، قد اعتبر منذئذ لا كـ 'طليعة التوسعية' ، فحسب ، بل كدعوة لأفكار باطلة مناهضة للتقدم ايضاً . وطولب بارجاع 'حق التعليم' ، الذي يجب ان يعاد للصينيين. فوضعت الحكومة في السنة ١٩٢٦ ، رغبة منها في تحقيق هذه الامنية ، مدارس المرسلين تحت إشراف حكومي ، وقررت الا يكون المديرون اجانب بعد اليوم وان يكون التعليم الديني اختيارياً . وفي اثناء المظاهرات خربت املاك الارشاليات واعتدي على المرسلين بالجرح والقتل ، فاضطر عدة آلاف منهم الى الجلاء عن داخل البلاد ؛ فكان الرد على هذه الاصطدامات 'سياسة السفن الحربية' ، التي اطلقت نيران مدافعها على مدن الساحل انتقاماً . وقد صادفت الحركة في الزمن فترة التحالف بين الكومنتانغ والحزب الشيوعي ؛ الا ان عنفها قد تضاعف حين اتجه تشانغ التجاهاً يمينياً وانفصل عن العناصر العمالية والشيوعية .

بعد وفاة سن - يات - سن ، في السنة ١٩٢٥ ، انتهت حكومة اصلاحات الكومنتانغ ، التي استعادت سيطرتها على كافة اجزاء الصين تقريباً ، الى مناوذة الحزب الشيوعي الذي كان يطالب باصلاح زراعي عميق والذي اقضت نجاحاته مضاجع جامعي الثروات من التجار . وكان ان جناح الكومنتانغ الايمن الذي كان لصمري تشانغ ، 'ت. ف. سونغ' و 'ه. كونغ' ، تأثير كبير عليه ، والذي حظي بتأييد الجيش الظافر ، قد تقرب من الاجانب في شنغاي . فحرّم الحزب الشيوعي وقتل اعضائه المقبوض عليهم بعشرات الالوف ، ولذا المستشارون الروس بالفرار . واستولى تشانغ على هان - يانغ و هانكيو ؛ فبدأ الحزب الشيوعي وكأنه قضي عليه قضاء تاماً .

اعترفت الدول الكبرى بلشانغ وساندته انكلترا والولايات المتحدة ، فتولى القيام بعمل عظيم تناول التصنيع وتجديد الاقتصاد والادارة بحسب مقتضيات العصر : احداث الطرق والسكك الحديدية ، تنمية الصناعات ؛ ولكنه لم يحاول اي اصلاح اجتماعي . واهلن ابطال المعاهدات القديمة عند انتهاء مدة العمل بها . فتخلت بلجيكا وايطاليا والدانمارك والبرتغال واسبانيا عن امتيازاتها كما تخلت عنها مهزومو السنة ١٩١٨ بين ١٩٢١ و ١٩٢٥ . واسترد استقلاله الجمركي والرقابة على مصلحة الجمارك البحرية والضريبة على الملح . وفي السنة ١٩٣٠ تخلت انكلترا عن اقليم واي - هاي - واي . الا ان محاولة إعادة التنظيم هذه قد اعاقها التدخل الياباني من اجل احتلال الصين قطعة وراء قطعة .

١ - مصير الكومنتانغ

حكومة تشانغ كاي - شك
منذ السنة ١٩٣٧

الا ان وحدة المقاومة الصينية ضد الياباني قد تحققت مرة اخرى في السنة ١٩٣٦ . فان الشيوعيين - بالرغم من الحرب التي شنها حكم الكومنتانغ عليهم طيلة اكثر من عشر سنوات - قد وقفوا الى جانب تشانغ كاي - شك حين توقيفه في « سيان » لانهم اعتبروه خيرا من يتولى مقاومة الغازي . ووافق تشانغ على الجبهة الموحدة التي عرضوها عليه ، واخذ على نفسه اعادة تنظيم الجيش الذي سوف تنضم اليه القوات الشيوعية ، والوقوف بعزم في وجهه اليابان . فاعتمد الجيش فن الحرب الشيوعي : التخلي عن بعض الاراضي بغية كسب الوقت . واستمر الصراع بالرغم من استسلام مونيخ الذي قضى على الامل بتدخل اوروبا ، وبالرغم من الهزائم . فانتقلت الحكومة الى تشونغ - كنج بعد انتقالها الى هانكيو . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان اليابان ، التي استألت اليها رجال الاعمال وعدداً كبيراً من الوطنيين المعادين للبيض في الدرجة الاولى ، والتي الفت حكومة صينية صديقة في نانكين ، قد اعتبرت ، بين السنة ١٩٤١ والسنة ١٩٤٣ ، ان الولايات المتحدة هي عدوها الاول . واكتفت بالنقاط التي احتلتها ، ولم تقم ، ضد مقاومة بدت لها غير منظمة ، سوى بعمليات معدة لإشاعة الذعر : قصف جوي ، وغارات سريعة على ارض العدو تستهدف القتل والنهب .

ربما اسهم نخود الحرب اليابانية هذا في التبدل الذي طرأ على سياسة حكومة الكومنتانغ . فان هذه الحكومة التي اثبتت بين السنة ١٩٢٧ والسنة ١٩٣٧ « انها خير حكومة عصرية ونافاذة عرفتها الصين » قد ارتدت طابعاً آخر . لقد كانت في نانكين تحت تأثير التجار ورجال الاعمال في المرافىء ، المرتبطين ارتباطاً وثيقاً بكبار الملاكين العقاريين . فحافظت من ثم على النظام الاجتماعي القديم في الارياف دون ادخال اي تغيير عليه ، ولكنها حققت بعض الاصلاحات : نشر قانون جزائي ومدني جديد ، توحيد النقد ، اعادة تنظيم اعمال المصارف . وقد بذل مجهود كبير لاقامة حكومة عصرية موحدة . اجل لقد تحقق التجديد العصري لمصلحة الطبقة الوطنية العليا ، وانما اصبح هناك تجديد عصري . اما في تشونغ - كنج ، اي في قلب احدى اكثر الولايات تخلفاً في البلاد ، فكان الجو مختلفاً . فان الحكومة هنا كانت بعيدة عن العناصر القوية التي من شأنها الضغط عليها : الجماهير الشعبية والطلاب . فليست السيطرة لنفوذ صيارفة شنغاي بعد اليوم ، بل للملاك العقاري المحافظ الذي يفسر شعار الحرب مقاومة واعادة بناء ، بأنه مقاومة للاصلاحات الاجتماعية وتدعيم لمركزه ، (فيربانك) . اما عناصر الاصلاح فقد شلت نشاطاتها ، ولا سيما ان اكثرها نشاطاً كان على خط القتال . واقصي الاحرار والشيوعيون عن الادارة ، وعطلت صحف المعارضة ، وراقبت قوى الامن عن كثب المثقفين والاحرار الذين هاجروا باعداد كبرى الى هونغ - كونغ وسنغافوره او التحقوا بالجاليات الصينية في جنوبي شرقي آسيا . وقطعت

العلائق مع الشيوعيين ، ولم يُطوَ ذكر نجاحاتهم في الحرب ضد اليابان فحسب ، بل نظم « حصار طبي » حول جيوشهم - الثامن والرابع - التي لم تستلم بعد ذلك معدات صحية ومواد صيدلية . وزال بصورة خاصة طابع القوة والعنف عن الحرب ضد اليابان . فلم يوضع اي مخطط لتعبئة طاقات البلاد ، ونقلت المصانع الى الداخل دون مخطط شامل ودون تنظيم عام ، ولم تفرض رقابة على القطع والمؤسسات المالية ، فلم يلبث التضخم المالي ان ظهر بظهور الكارثة ، واطلق العنان للمضاربة في المواد النادرة غير المحددة .

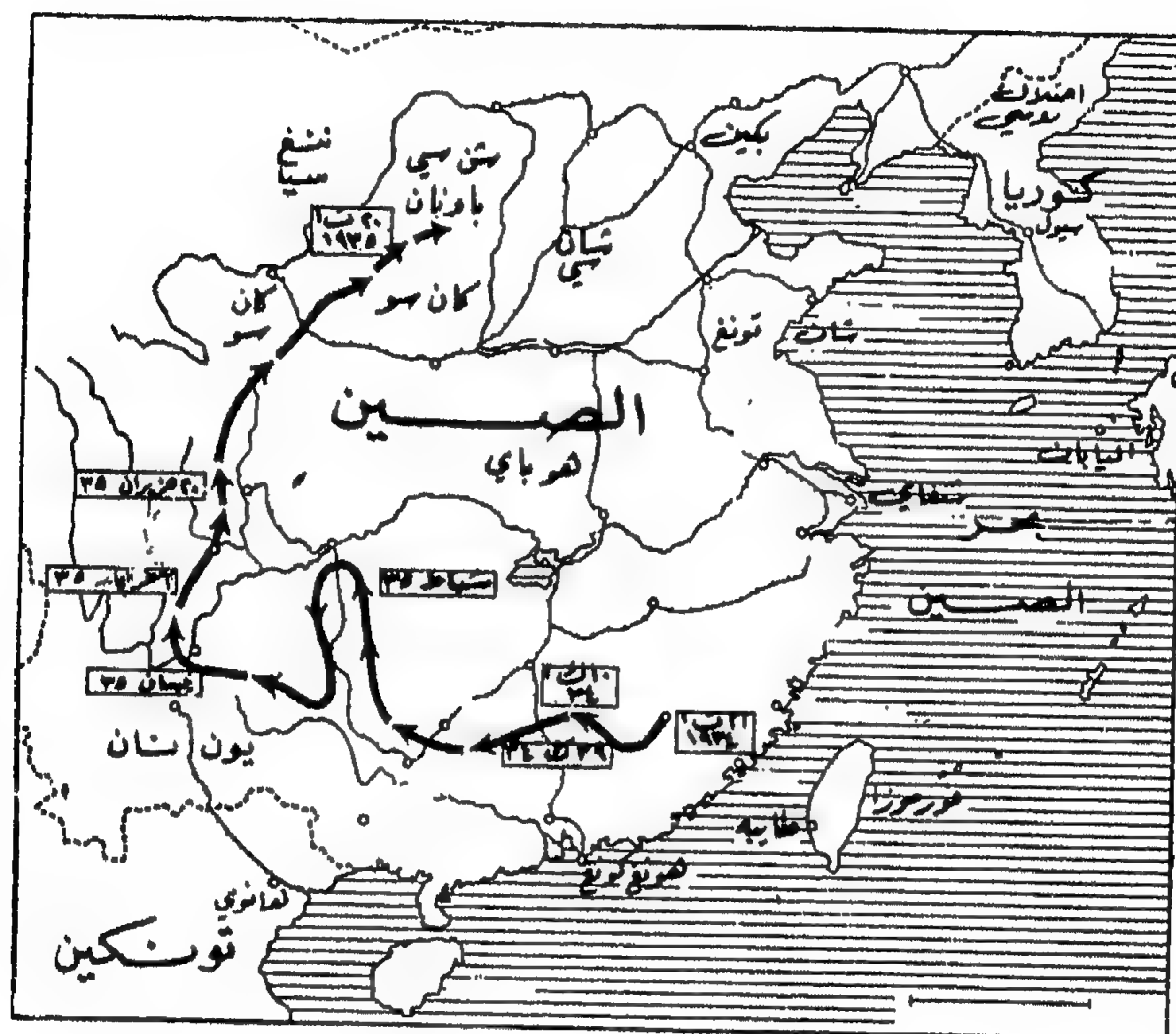
ورافق الفساد التهاون والتقصير . وتسبب التبذير وسوء الادارة في موت ملايين البشر في الجيوش المفتقرة الى المؤن والملابس والعتاد ، وفي السكان المدنيين الذين فتكت مجاعات السنة ١٩٤٣ بثلاثة ملايين منهم في هونان وكوانتونغ وشي - كيانغ . وزادت في الطين بلة سرقة اموال الخزينة ، والمتاجرات التي استفاد منها القادة العسكريون والموظفون والوزراء - وفي طليعتهم صهر القائد العام بالذات ، ت . ف . سونغ ، وزير المالية ، ثم وزير الشؤون الخارجية ورئيس مجلس الوزراء . فابتيعت العقارات المبيلة في القطاعات الممنوحة للاجانب ، والاراضي و « القيم المضمونة » كالمواد الصيدلية ، والآلات ، والاقمشة ، ولم يبلغ الجيش شيء من « المصنوعات المرسله اليه (بموجب قانون « الاعارة والتأجير ») . فكل هذه المصنوعات بيعت في طريقها الى الجيش بواسطة الوزراء وحكام الولايات او حتى الضباط انفسهم . وقد ادانت الشهادات الاميركية والبريطانية نظام الحكم الذي شبهه الجنرال « ستيلول » بالنازية : « حكومة مماثلة .. واصوصية مماثلة .. » ومال قادة الجيش طبعاً الى الاحتفاظ بالاعتدة الحربية ... « يعدون بشن الهجوم ، تم يتراجعون ؛ .. يصدرون الاوامر ، ثم يعززون الى المروءسين بعدم تنفيذها » . « يدفع قادة الجيش مرتبات الجيوش كما يطيب لهم الدفع .. ولا يُجند سوى المساكين المفتقرين الى المال او الى حماية النافذين » .

وفي الحقل العسكري شوهد الارتجال نفسه والفوضى نفسها . فالجيوش ضعيفة لأن الحكومة لا تريد تسليح الفلاحين خوفاً من الشيوعية ، والقيادات تسند الى العناصر المعروفة بميوها المحافظة ؛ وحدث ما هو ادهى من ذلك كله حين تجددت الحرب الاهلية في السنة ١٩٣٧ ؛ فنذ السنة ١٩٤١ استبقى تشانغ ، بغية محاربة الشيوعيين ، العتاد الحربي الحديث الذي شحنه اليه الحلفاء . وقام ما يشبه هدنة ضمنية مع اليابانيين وجرت اتصالات غير رسمية بين ممثلي تشانغ وممثلي وانغ تشنغ واي ، رئيس الحكومة الموالية لليابان في نانكين ، وتوقفت مخطتا الاذاعة عن التهاجم . ولم يواصل الحرب ضد اليابانيين ، بالاضافة الى الشيوعيين ، سوى الطيارين الاميركيين الذين ينطلقون من القواعد الصينية لالقاء القنابل على اليابان ، وهذا ما حمل اليابانيين في السنة ١٩٤٤ على شن هجوم ادى الى الاستيلاء على هذه المطارات ، وعلى التقدم في شي - كيانغ ، وهونان الغنية ، فلتشتت الجيوش مرة اخرى ، وكان الاندحار العسكري تاماً . « فلم يبق من الصين الحكومية ، في اوائل السنة ١٩٤٥ ، سوى دولة اقطاعية صغرى » .

محق الحزب الشيوعي بعد مجازر كانتون وشنغهاي وهانكيو وحملات
 تشانغ في السنتين ١٩٢٧ و ١٩٢٨ ، فانصرف الى اعادة تنظيم صفوفه
 بين ١٩٢٨ و ١٩٣٥ رضع الحزب الشيوعي
 ببطء تحت اشراف ماو - تسي - تونغ و « شوت » في المساقل التي
 احتفظ فيها ببعض الجماعات المسلحة عند حدود هونان وكيانغ - سي والى الجنوب من هانكيو .
 وفي اواخر السنة ١٩٢٩ ضم حوالي ٦٢ ٠٠٠ جندي زود ٤٠ ٠٠٠ منهم بأسلحة نارية . فأقصى
 جبابة الضرائب وكبار الملاكين عن الاقاليم التي كان يحتلها الشيوعيون ووزعت الارض على
 الفلاحين . فوجه تشان كاي - شك ضد جيش الحزب الشيوعي سلسلة من « حملات الابداء »
 التي تخللتها الهزائم والانتصارات غير الحاسمة . اما الحملة السادسة التي ضمت ٤٠٠ ٠٠٠ جندي
 و ٤٠٠ طائفة ، والتي اعدتها بعثة الجنرال فالكنهوزن الالمانية ، فقد حققت في السنة ١٩٣٣
 النتائج الهامة الاولى : في تشرين الاول ١٩٣٤ قررت الجيوش الشيوعية الجلاء عن كيانغ - سي
 والانسحاب غرباً الى « سوتشوان » . فبدأت حينذاك « المسيرة الطويلة » ، التي تعتبر اغرب
 احداث هذه الحرب : طيلة سنة كاملة ، انسحب ١٣٠ ٠٠٠ رجل وامرأة وولد سيراً على
 الاقدام ، بمعدل ٤٠ كيلومترا في اليوم الواحد ، معرضين كل ساعة لغارات الطائرات ، مكثرين
 من المسيرات الليلية بغية النجاة من هذه الهجمات ، ومن المناورات الالهائية بغية التمكن من
 عبور الانهار ، تاركين وراءهم المعتاد والمرضى والجرحى وضحايا البرد والجوع ، مقاتلين في سبيل
 اجتياز الخطوط المحصنة ، قاطعين سلاسل جبال يبلغ ارتفاعها ٥٠٠٠ متر (تاهسويه سان) .
 وفي ٢٠ تشرين الاول ١٩٣٥ اخيراً ، استقر الناجون الـ ٢٠ ٠٠٠ في شمالي شنسي حيث كانوا في
 مأمن من حصار كامل بسبب وجود الصحراء من ورائهم ، وحيث توجب عليهم تجديد كل
 شيء (الشكل ٢٧) .

هنا ، في ينان ، وضع ماو تعاليم « ديموقراطية الصين الجديدة »
 « الديموقراطية الجديدة »
 التي نشرها في السنة ١٩٤٠ . وقد قادته قوة العنصر القروي
 الصيني الى بناء الحركة الشيوعية على اساس قروي لا عمالي اسوة بالاحزاب الشيوعية الاوروبية .
 فسوف تكون المرحلة الاولى للثورة الشيوعية « الديموقراطية الجديدة » التي ستحول المجتمع
 القديم الاقطاعي الطابع ، بمساعدة الاتحاد السوفياتي ، الى مجتمع ديموقراطي مستقل . وسيحكم
 هذه الدولة تحالف عدة طبقات ثورية ، لأن البورجوازية الصينية ، على غرار البورجوازية
 الفرنسية في السنة ١٧٨٩ - كانت ثورية جزئياً . وخلال فترة الانتقال هذه ، ستخضع الصين
 لنظام لن يكون لا بورجوازيًا فحسب ، ولا بروتيتاريًا فحسب ، بل حكماً ديموقراطياً مركزياً
 مبنياً على انتخابات (يحق للجميع الاشراف فيها) يختار بموجبها اعضاء سلسلة جمعيات شعبية
 ابتداء من جمعيات القرى حتى المؤتمر الوطني . وعملاً بمقررات الكومننتانغ المتخذة في
 السنة ١٩٢٤ ، يتوجب على الدولة ، منذ هذه المرحلة الاولى ، ان تضع
 يدها على النشاطات الاحتكارية : المصارف الكبرى ، الصناعات الهامة ، وسائل النقل . وبغية

ستدراك محاولات الانتقام التي قد يقوم بها الرأسماليون وكبار الملاكين العقاريين، سوف تصادر املاك هؤلاء وتوزع على الفلاحين الذين يحرثونها . وقد اراد ماو ابدأ ان يتصرف تصرف وريث مبادئ « سن » التي تخلى عنها نظام الكومنتانغ، ولم تكن فكرته من ثم مجرد انعكاس للفكرة السوفياتية ، بل اخذت بعين الاعتبار التقاليد الصينية ونظام المجتمع الصيني الخاص والظروف السياسية الراهنة .



ويتألف من جنود يساعدون الفلاحين الذين هم منهم ويعيشون فيما بينهم ، ويدفعون لهم ثمن ما يأخذونه منهم ، ولا يعتمدون على ممتلكاتهم ولا يعاملونهم بفظاظة . فكانت النتيجة ان الجماهير الشعبية قد تأثرت للمرة الاولى بالدعارة السياسية ، بعد ان كانت تقف في هذا الحقل موقفاً سلبيّاً تقليديّاً .

وكانت النتيجة كذلك ان الوضع في الارياف اصبح اشد صعوبة على الفلاحين يوماً بعد يوم . ولم ينجم ذلك عن « ويلات الحرب » التي كانوا هم اولى ضحاياها : عنف واستلاب ، وتدمير وقتيل فحسب ، بل عن التضخم المالي المفرط الذي استتبع انهيار النقود . فكل من توفر له المال وبجث عن « قيم حقيقية » اخذ يشتري الاراضي ، حين اضطر الملاك الصغير المدن الى البيع ، وارتفع من ثم ثمن الارض ، فقفز معدل سعر ٧٥٠ آر في الموزات من ٤٥ دولاراً صينياً في السنة ١٩٣٧ الى ٢٥٠٠ في السنة ١٩٤١ ؛ وهكذا نشأت طبقة جديدة من كبار الملاكين العقاريين المضاربين الذين لا يكتفون حتى بزراعة الارض . وحذا حذوهم العديد من الاسياد الاقطاعيين ، بحيث تبسط النظام الاجتماعي في الارياف الصينية وبرز التضاد بين من يملكون الارض ومن يزرعونها دون ان يملكوها .

تخلت حكومة ينان مؤقتاً عن برنامج مصادرة الاراضي وعن الصراع الطبقي رغبة منها في ان تسهم الطبقات صاحبة الامتيازات في النضال الوطني . واكتفت بتخفيض قيمة ضمان الارض وفائدة الديون (١٠ ٪ كحد اقصى) ، وجعلت عقد الضمان إلزامياً ، وحددت الضريبة بحيث لا يتجاوز معدلها ١٥ ٪ من الربح . واستغنت عن المجالس بتنظيم انتخابات اقتصرت فيها بثلاث المقاعد . وشجعت قيام التعاونيات التي يعمل فيها الجنود والفلاحون معاً ، رغبة منها في ان تسد كل منطقة حاجتها من المواد الغذائية ، ومن القطن اذا امكن ذلك . فقامت وحدة مطلقة بين الجيش والسكان الفلاحين . وأدى التعاون بين القرى المتجاورة في مقاومة غارات اليابانيين وفي الاعمال الزراعية الى تنمية روح التضامن وقولدهم قومي تعزز يوماً بعد يوم . فكانت سياسة الحكومة ، بصورة عامة ، سياسة حريصة على المصالح الشعبية ، وانسانية حق حيال الاسرى اليابانيين الذين يخلى سبيلهم او يهدبون تهديباً جديداً على ايدي « عصابة تحرير الشعب الياباني » ، فاستهوت احراراً كثيرين من اعضاء الحزب الشيوعي الصيني . ولم يجتذب التنظيم الشيوعي بفعاليته ونزاهته ونشاطه في محاربة العدو الياباني طبقة الفلاحين فحسب ، بل الطلاب ايضاً الذين تدفقوا كالسيل على جامعة ينان المعادية لليابان وانضموا الى الحزب الشيوعي ، والاحرار الذين ارغمهم نظام تشونغ - كنج البولييسي على الفرار الى ما وراء البحار ايضاً . وقد ألف هؤلاء في هونغ - كونغ ، في السنة ١٩٤١ ، « اتحاد الاحزاب الديمقراطية » الذي سيصبح « عصابة الصين الديمقراطية » في السنة ١٩٤٥ والذي تقرب من الحزب الشيوعي الصيني .

يتضح مما تقدم التضاد الكبير بين هذه « الجمهورية السبارتية » التي تحارب اليابانيين بعزم وبين حكومة تشونغ - كنج المتميزة بضعفها وفسادها وجودها .

الحرب الاهلية
(١٩٤٩-١٩٤٥)

ان النزاع بين الحكومتين ، الذي نشب قبل نهاية الحرب بزمان بعيد ،
قد شمل البلاد بأجمعها منذ توقيع الهدنة . وقد توخت كل منهما
احتلال ما امكن من الاراضي ومن النقاط الاستراتيجية . فتمكن
الشيوعيون ، بفضل سيطرتهم على الصين الشمالية ، احتلال أهم منطقة صناعية ، هي منشوريا
غير البعيدة عنهم ، في ربيع السنة ١٩٤٦ . وتلقت حكومة تشونغ - كنج المساعدة العسكرية
والاقتصادية من الاميركيين الذين نقلت طائراتهم واسطولهم ثلاثة جيوش وطنية الى الشمال
والشرق ، ومساعدة القادة والحكام والموظفين الذين كانوا قد تعاونوا مع اليابانيين وحاربوا
الشيوعيين تحت امرتهم . ولكن الجيوش الشيوعية التي لفتت الانظار بحسن قيادتها وتدريبها ،
وتسلحت بعتاد الجيش الياباني وعتاد الجيوش الوطنية الذي استولت عليه ، اصبحت الآن
قادرة على التخلي عن حرب العصابات والشروع بعمليات كبرى حتى ضد جيوش تفوقها عدداً
وتسلحاً .

سواء وضع تشانغ أكثر فأكثر . فقد رفض القيام بالاصلاحات العميقة التي اشار عليه بها
الاميركيون ، وتأثر أكثر فأكثر بنفوذ العناصر الرجعية . ثم تكاثرت الاعمال المفاخرة للقانون ،
وتعرض الاحرار لقمع بوليسي متزايد العنف . ولعل السياسة المنتهجة حيال الولايات المتحدة
كانت ، قبل تفاقم الحكم الدكتاتوري والفوضى الاقتصادية والبؤس الناجم عن التضخم المالي
- كان الدولار الاميركي يعادل ٢٠ دولاراً صينياً في السنة ١٩٤١ ، فبات يعادل ١٢ مليوناً في
السنة ١٩٤٨ - العامل الحاسم في انفراد القائد العام . فبموجب معاهدة « الصداقة والتجارة
والملاحة » الموقعة في ٩ كانون الاول ١٩٤٦ ، استفادت الولايات المتحدة من حق التوقف
لجيوشها ، وقواعد بحرية وجوية ، وحق جنودها وموظفيها بالتصرف وكأنهم في بلادهم ،
والمساواة مع الصينيين لتجارها وصناعيها ، وحق الاشراف على تعريف الاسعار وتنظيم الجمارك ،
وامتيازات هامة جداً كشركة الطاقات الكهربائية في شنغاي ، والسكة الحديدية بين كانتون
وهانكيو ، ومناجم الفحم الحجري ، ومصانع السكر والاسمدة ... وعين مستشارون
اميركيون في الوزارات المختلفة . لا بل اعطيت اللجنة الصينية الاميركية المختلطة لادارة صندوق
التجهيز واعادة البناء ، في السنة ١٩٤٨ ، حق رقابة الصناعة والمناجم والمواصلات . فكانت
ذلك عودة النظام نصف الاستعماري الذي توحدت في وجهه الامة . ولم تعد الحرب ضد الوطنيين
من ثم حرباً اهلية ، بل حرب تحرر وطني ، على غرار الحرب ضد الحكومات الموالية لليابانيين
منذ السنة ١٩٣٩ .

ردّت الانتصارات الشيوعية الوطنيين الى الوراء : حملة سريعة ، « تجلية فريدة من نوعها
في التاريخ العسكري العالمي » ، بدأت بسقوط « موكدن » (٨ تشرين الثاني ١٩٤٨) وانتهت
بسقوط كانتون في ١٥ تشرين الاول ١٩٤٩ ، اي بمعدل ١٠ كلم في اليوم ، تستحق بعض
معاركها ، « التي تعتبر نماذج حقيقية للاستراتيجية والفن الحربي ... ان تدرس بعناية من قبل

فصباط الدول الغربية ، (الجنرال شاسين) . انهارت مقاومة جيوش تشانغ في منشوريا ، فهرب الكثيرون من الجنديّة ، والتحقّت فرق كاملة مع اسلحتها بالجيش الشيوعي الذي استولى على كميات كبرى من الذخائر والاعتدة الحربية وعلى مصانع كثيرة للسفن ، واستسلم العديد من الحكام الوطنيين ، كحساك منطقة قيانلنسين - بكين التي انضم ٢٥ فرقة منها الى الجيش الشعبي . ففي اواخر نيسان لم يعد هناك مقاومة وطنية منسقة ، وفي تشرين الاول اعلنت الجمهورية الشعبية الصينية .

٢ - الصين الجديدة

في هذه البلاد التي يبلغ سكانها (تقديرات السنة ١٩٥٨) ٦٥٦ مليون نسمة ، اي ربع سكان الكرة الارضية ، بينما لم يبلغوا في الاربعينيات سوى ٤٧٥ مليوناً في السنة ١٩٣١ ، يعيش ٥٠٠ مليون (٧٧ ٪) من الزراعة ، ولا يتجاوز ٤١ ٪ منهم سن الثامنة عشرة . فيغلب من ثم طابع الشباب على السكان الذين يتزايدون تزايداً عظيماً (١٥ مليوناً في السنة) . اما مستوى المعيشة فمتدن جداً . وبحسب مبادئ « الديمقراطية الجديدة » ، اعتمدت حكومة ماو ، حتى السنة ١٩٤٩ ، برنامجاً لم يكن شيوعياً بكمليته في المناطق الواقعة تحت سلطته ؛ فكان نظام الحكم انتقالياً : تحالف بين صغار الفلاحين والمثقفين والعمال وصغار الملاكين والبورجوازية الوطنية (التي لم تتعاون مع الكومنتانغ واليابانيين) ، وانتخابات بالاقتراع العام لمجالس البلديات والاقضية والاقاليم والمناطق ، واشترك كافة الاحزاب والطبقات في الحكم ، واصلاح زراعي وتأميم النشاطات الرئيسية ، مع الاحتفاظ بقطاع حر كبير ، يُبقى فيه على كل مشروع لا يرتدي طابعاً احتكاريّاً . فهو في الاصل نظام اقتصاد مختلط يعمل فيه ، في آن واحد ، قطاع حر وقطاع اشتراكي التنظيم ، وقام فيه قطاع ثالث ، هو قطاع التعاونيات .

في المناطق المحررة تحققت الاصلاحات تدريجياً ؛ فقد جرت الانتخابات ، وعمل الحزب الشيوعي الصيني بفطنة : بالمثل والايحاء و « التفسير » . وهكذا فان الاصلاح الزراعي قد جرب في البدء على نطاق ضيق في بعض القرى ولم يشمل المناطق كلها الا بعد نجاح التجربة . وقد اتاح النقد الذاتي ورقابة الصحافة اصلاح الاخطاء وتجنب الخرق . وعين مسؤولون لنشر التعليم في ادنى درجاته بكافة الوسائل ، وقد طلب احياناً الى المرسلين الاوروبيين تعليم الفلاحين الكتابة والقراءة والحساب . وفرض الشيوعيون انفسهم بالمثل اولاً : بساطة الملبس ، والغذاء ، شرف الحياة الخاصة ، التأثير ، النزاهة ، قمع التجاوزات . « اجمع الاجانب المقيمون في الصين على اطراء سلوك الشيوعيين المثالي ... واثرت في نفسهم بساطة الموظفين والجنود ونزاهتهم ... لقد زالت السرقات والمحسوبيات والاقتسارات التي رافقت ممارسة الادارة والقضاء منذ قرون طويلة » (بيو) .

الاصلاح الزراعي
ان اول اصلاح اساسي اجري في هذه البلاد التي تعتبر ، بفضل سكانها الريفيين ، الدولة الزراعية الاولى في العالم ، هو الاصلاح الزراعي الذي تناول مساحة توازي مساحة فرنسا مرة ونصف المرة . وقد افضى الى « اعظم عملية توزيع زراعي في التاريخ » .

لم تستهدف التدابير المتخذة ابان الحرب سوى زيادة الانتاج وتحسين وضع الفلاحين دون ادخال اي تغيير على نظام الارض القانوني . ومنذ السنة ١٩٤٦ صودرت املاك الاسباد والاملاك الفائضة عن حاجة اثرياء الفلاحين ووزعت على الفلاحين ، وفي السنة ١٩٤٧ ، عمل بقانون زراعي في كافة المناطق التي يحتلها الشيوعيون . وبعد قيام الجمهورية الشعبية ، عمل بقانون ٢٨ حزيران ١٩٥٠ الذي اعطى مزيداً من الحريات لان الوضع الاقتصادي كان حرجياً . وقد ادت الحرب الاهلية ، وقنابل المدفعية ، والمجمعات ، وامال صيانة السدود الى تخفيض الانتاج وتخفيض اثار القلق والذعر . وكان لزيادة الدخول القروية اهمية اولية اذ انها الشرط الاساسي لتحقيق التصنيع : فان قدرة الفلاحين المتزايدة على الشراء سوف تفتح الاسواق امام الصناعة ، كما ان ادخاراتهم ، التي يسرها الغاء الكراءات المرتفعة ، سوف توظف اخيراً في الصناعة . وكذلك سوف يصدر فائض الانتاج الزراعي بغية الحصول على النقد النادر الذي يتيح شراء المعدات التجهيزية . فالواجب يقضي من ثم بحماية اقتصاد « الفلاح الثري » ، الذي ينتج للأسواق التجارية اكثر من سواء . وانطلاقاً من هذا المبدأ ، لم تصدر منذئذ سوى ممتلكات الملاكين العقاريين في الارياف ، اي ممتلكات اولئك الذين يعيشون من عمل الاجراء او من فوائد كراءاتهم ، وارضى الجماعات الدينية والارواق التقوية التي تحملت الحكومة الاعباء الاجتماعية المطلوبة منها . فاحتفظ الفلاحون الاثرياء (الذين يحققون ٢٥ ٪ من دخولهم من « الاستثمار ») بالاراضي التي يزرعونها ، ولم يفقدوا سوى تلك التي يؤجرونها . وبقيت الاحراج والبحيرات ومغارس الشاي الكبرى ، والمشاتل ، والمزارع النموذجية ، ملكاً للدولة . فكانت هذه التدابير مرحلة نحو النظام الشيوعي ، يجب ان قدوم طاملاً لا تستخدم الآلات في الزراعة استخداماً كافياً لاعتماد طرائق الاستثمار الجديدة على نطاق واسع . اما المستفيدون من الاصلاح فكانوا الفلاحين الفقراء ، والاجراء ، والفلاحين المتوسطين احياناً ، ولكن التوزيع لم يكن متساوياً ، اذ ان مصالح الانتاج قد روعيت مراعاة كبرى . فان نصيب من يملك المواشي والادوات ويحسن الزراعة كان اكبر من نصيب سواء .

التأميمات
ان التصنيع ، شأنه في كافة البلدان المتخلفة ، هو شرط الاستقلال وتحسين مستوى المعيشة ، وهو حاجة اشد الحاجة في بلاد مرتكزها الزراعة بفعل تزايد سكانها تزايداً مطرد السرعة . لقد أدى الحرص على تنمية الانتاج تنمية سريعة ، ومراعاة جانب « الرأسماليين الوطنيين » ، والافتقار الى مديري الاعمال والفنيين ، الى قيام اقتصاد مختلط واعتماد سياسة مصادرة وسائل الانتاج بصورة بطيئة وتدرجية ، وابقى على رأسمالية

خاصة معينة وغض الطرف عن « كسب عادل » . ولم تؤمم سوى المصارف والمشاريع الرئيسية التي كان معظمها ملك يمين رجال حكم الكومنتانغ - الم تشرف العائلات الاربع الكبرى ، تشانغ ، وكونغ ، وسونغ ، وشن ، على ٥٠ بالمائة من الصناعة النسيجية ، و ٦٥ بالمائة من الكهرباء ، و ٣٥ بالمائة من استخراج الفحم الحجري والرصاص ؟ ولم يمثل القطاع المؤمم في السنة ١٩٥٢ ، سوى ٥١ بالمائة من مجموع الانتاج الصناعي ، وفي النصف الاول من السنة ١٩٥٥ ، سوى ٦٢,٣ بالمائة . فما زال هناك من ثم قطاع خاص في الصناعات الغذائية والنسيجية - ١٣٠.٠٠٠ مشروع تقريباً - مثل ، في السنة ١٩٥٢ ، ٤١ بالمائة من الانتاج ، وفي النصف الاول من السنة ١٩٥٥ ، ٢١,٧ بالمائة . وما زال هناك اخيراً ، بالإضافة الى قطاع الصناعة اليدوية ، الذي ابقى عليه استديراكاً لكل بطالة ، والتعاونيات الريفية والقروية ، قطاع مشترك يسهم فيه الرأسمال الخاص والدولة ، بشكل كراء ابنية ومروا وطينية ، كالمناجم والملاحات التي يستثمرها الملتزمون من بين الافراد بصورة عامة . أما التجارة ، فقد بلغ نصيب اجهزة الدولة والاجهزة التعاونية منها ٨٩ بالمائة بالنسبة لمجموع تجارة الجملة في السنة ١٩٥٥ ، وكانت التجارة الخارجية وقفاً على اثني عشرة شركة رسمية تشرف على الواردات والصادرات بواسطة الاجازات .

نما القطاع التعاوني نمواً كبيراً في الصناعة الصغرى والصناعة اليدوية ، وفي الزراعة ايضاً حيث يتوجب على التعاونية ان تؤمن ، دون صعوبات ، انتقال الملكية الخاصة الى الملكية الجماعية . اما الصيغ المعتمدة فكانت اكثر مرونة منها في ديموقراطيات اوروبا الشرقية : تتألف اولا فرق مساعدة متبادلة موسمية الاعمال المشتركة في مواعيد الحصاد والزرع ، ثم تصبح هذه الفرق دائمة وتتحول الى تعاونيات انتاج . ولكنها « نصف اشتراكية » لان ايراد الارض عرف البقاء والدخل توزع بين كراء الارض المستثمرة والعمل . فهي تختلف عن المزارع التعاونية بهذا الفارق اولاً ، وبابعادها الصغرى ثانياً . فقد شملت التعاونيات الزراعية في اول عهدها ٦٠٠ هكتار من الارض الزراعية ، اما هنا فلا تضم التعاونية سوى بعض العائلات - قرابة العشرين - وقدرها بمائلاً من الهكتارات ، وتتيح من ثم اعتماد تقسيم العمل وتطبيق التقنيات العصرية تطبيقاً افضل ، والاستفادة من ملايين الهكتارات التي تمثلها الطرائد الضيقة الفاصلة بين قطع الارض الفردية ، وتنشيط اعمال الري ، والسدود . . . ، و « تلاشي الفردية في مستوى العمل اليومي وفي اطار محدود » ، وتؤلف مدرسة يتعلم فيها الفلاحون العمل الجماعي . فكانت النتائج المحققة مشجعة جداً ، اذ ارتفعت نسبة العائلات القروية في التعاونيات الى ٩٠ بالمائة في السنة ١٩٥٥ . وتعتبر التعاونية اشتراكية وتصبح مزرعة تعاونية حقيقية حين يزول الايراد العقاري وتوزع الارباح الصافية بنسبة العمل المؤدى فقط . ففي اواخر السنة ١٩٥٥ ، كان هناك ٢٦٠.٠٠٠ تعاونية من هذا الطراز ضمت ٥٦ بالمائة من العائلات القروية . وفي منتصف السنة ١٩٥٦ لم يبق سوى ١٠ ملايين عائلة قروية من اصل ١٢٠ مليوناً ، خارج النظام الجماعي . ومن المفروض ، في المستقبل ، ان تنمو

التعاونيات وتوسع بحيث تصبح مساحتها موافقة للعمل الآلي والجرارات . ولكن هذه الاخيرة لن تخرج من المصانع باعداد كبرى الا في المرحلة الاخيرة من الخطة الثانية . وهكذا . فان التعاونية ، على نقيضها في الديوقراطيات الشعبية الاخرى ، قد تقدمت الجرارات في هذه البلاد ، و « تقدم الاصلاح الاجتماعي الاصلاح التقني تقدماً كبيراً » (رنيه ديمون) . وقد ساعدت مزارع الدولة ، والمحطات الاختبارية ، ومراكز الابحاث الزراعية التي تعمم التقنيات العصرية ، وتأسيس مصرف الصين الزراعي (١٩٥٥) ، الذي وزع قروضاً لآجال قصيرة أو طويلة ، وتعاونيات الاقراض ، على تحسين الانتاج ورفع مستوى المعيشة . اضيف الى ذلك الاعمال المائية : السدود التي تحمي من الفيضانات ، والتحريج الضروري لبلاد لا تبلغ مساحة احراجها سوى ٥ بالمائة من مساحة اراضيها ، واعمال الري ، واستصلاح ٣٠ مليون هكتار من الاراضي البائرة في الشمال الشرقي والشمال الغربي وجبال الجنوب الغربي .

تمارس الدولة رقابة تنسيقية على هذا الاقتصاد المركب المنطوي على اشكال نشاط مختلفة جداً . فمن حيث هي سيدة التجارة الخارجية ومالكة الصناعات الرئيسية ومصادر الطاقة ، تتوفر لديها وسائل عمل قوية تضاف اليها سياسة مالية تتيح لها التأثير بصورة فعالة على الاستهلاك والانتاج على السواء . وتستفيد اكثر الصناعات نفعاً من القروض وتخفيف الاعباء الجبائية وطلبات الدولة . وتؤثر هذه الاخيرة بالتخطيط الطويل الأجل ايضاً . فان الخطة الخمسية الاولى قد استهدفت ، على غرارها في الديوقراطيات الشعبية الاخرى ، تحويل هذه البلاد الزراعية ، المتخلفة تقنياً ، الى بلاد صناعية ؛ وقد شددت من ثم على تنمية الصناعة الثقيلة والمواد الانتاجية : الفحم الحجري ، طاقة ، فولاذ ، آلات . وبالرغم من الحاجة الماسة الى الاختصاصيين على مختلف درجاتهم ، ومواجهة بعض الصعوبات (الحاجة الى الفحم الحجري بصورة خاصة) ، وقلة الاتاء والريع بسبب سوء الاحوال الجوية والفيضانات في السنة ١٩٥٦ ، فقد تخطيت الاهداف المرسومة لها . وان النجاحات المحققة في الصناعة ، ولا سيما الصناعة الفولاذية والكيميائية ، وسرعة نمو شبكة وسائل النقل (بفضل الجسر العظيم الذي بني فوق الـ « يانغ - تسى » في ووهان واتسع لخط حديدي وطريق واسعة) والشروع في بناء سد « سائمن » الكبير (على الـ « هوانغ - هو ») الذي سوف يضع حداً لفيضانات النهر ويزود بالطاقة المراكز الصناعية الكبرى في المنطقة الوسطى ، لشاهد على هذا التطور الذي جعل من الصين منذ اليوم الدولة الصناعية الثانية في آسيا ، بعد اليابان . واخيراً وزعت الخطة الصناعات توزيعاً اكثر صوابية من ذاك الذي اقامها ، تحت التأثير الاجنبي ، على مقربة من السواحل . فقد « شرع جدياً في اواخر السنوات الخمس بإنشاء مراكز جديدة في جوار مصادر الطاقة والموارد المنجمية في الشمال والشمال الغربي والوسط : باوتوف ، ووهان ، شو - تشيو ، شونغ - ونغ ، لان - تشيو ، في مناطق شنسي ، ومنشوريا وشنيانغ ، و « انشان » بصورة خاصة .

ظروف الحياة الجديدة . أصبحت الصين بلداً تكثر فيها الاملاك القروية الصغيرة والمتوسطة . فبينما كان ١٠ ٪ من السكان يملكون من قبل ٧٠ - ٨٠ ٪ من الارض ، ارتفعت نسبة الملاكين اليوم الى ٨٠ ٪ من السكان في الشمال الشرقي ، و ٧٠ ٪ في الشمال . وقد استفاد ٧٠ مليون عائلة قروية من تقسيم ١١٠ ملايين هكتار (بمعدل ٢/٣ هكتار للعائلة الواحدة) . وقد ادى زوال الكراء والمراعاة ، وتخفيف عبء الضرائب الى زيادة قدرة الفلاحين الشرائية بنسبة ٥٠ ٪ . ولكن كثافة سكان الارياف مرتفعة جداً ، ولا مناص من نقل جزء من هؤلاء السكان الى قطاعات نشاط أخرى ، بعد اخذ استثمار الاراضي الجديدة بعين الاعتبار . من جهة ثانية استتبعت تقدم التصنيع منذئذ تأخر الصناعة اليدوية ، وخفضت انطلاقة تعاونيات الاستهلاك ، اكثر فأكثر ، عدد صغار تجار التفصيل . فتوجه فائض السكان هذا نحو الصناعة والمدن . وارتفع سكان المدن بنسبة ٤٠ ٪ بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٣ ، ولكن عددهم لم يبلغ آنذاك سوى ١٤,٢ ٪ من مجموع السكان . لقد تقدمت المدن القديمة ، وبلغ عدد سكان بعض المراكز الصناعية ، شأن المدن السيبرية ومدن الاورال ، ثلاثة اضعافه واربعة اضعافه خلال خمس سنوات ، اي بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٣ : قفـز في « فو - شوت » من ٢٢٠.٠٠٠ الى ٦٩٣.٠٠٠ ، وفي انشان من ١٢٠.٠٠٠ الى ٦٢٠.٠٠٠ . وفي السنة ١٩٥٦ ، اخصي في الصناعة زهاء ٢٤ مليون اجير . وتدخلت النقابات في تنظيم العمل ، فوضع من ثم نظام ادارة مختلطة بفضل لجان المشاريع التي تعاونت مع المديرين على التنظيم ، وبفضل العقود الجماعية ، وخفضت ساعات العمل من ١٤ او ١٦ الى ٨ او ١٠ ، ووضعت الجداول بالأجور بالاستناد الى اسعار السلع الضرورية (الذرة البيضاء في الصين الشمالية) . واخيراً اتاحت سياسة مالية حازمة التغلب على الازمة المالية التي خلقها حكم الكومنتانغ وثبتت الاسعار . « بالنسبة الى الوضع في السنة ١٩٤٩ ، كان الاصلاح المالي نجاحاً كبيراً جداً ، (ج. شاردونيه) .

بيد ان مستوى معيشة الفلاحين والعمال بقي متدنياً جداً ، والاجور قليلة الارتفاع ، وتقدم الانتاج الزراعي بالنسبة للسكان بطيئاً ومتواضعاً : اقل من ٢ ٪ في السنة . فنجم عن ذلك ان فلاحين كثيرين لم يجدوا لهم عملاً كافياً في الارياف نزحوا الى المدن المكتظة بالسكان . لقد ارتفع مستوى معيشة مجموع السكان بالنسبة للسنوات التي سبقت ١٩٤٩ : وقد تجلت البساطة بمائلة اللباس القطني الازرق الذي يرتديه الرجال والنساء ، ولكن البطالة توقفت ، وارتدى كافة السكان ثياباً محتشمة ، وخلا المجتمع من ملايين المعوزين والمتسولين والبغايا . وفي الوقت الذي اعلنت فيه الحرب على البؤس ، بذلت الجهود لتطوير الاخلاق ، ولا سيما لتحرير المرأة - التي ربما كانت أكبر مستفيد من كافة التطورات التي شاهدها في العالم كله - : مساواة تامة بين الزوجين ، وحدة زواج إلزامية ، انقلاب عظيم في العائلات بفضل ابطال العرف القاضي باخضاع الزوجة للحياة ، اعلان مساواة حقوق الجنسين في الدستور ، حق المرأة في التعليم الوسيط والعالي وفي تولي الوظائف ، رقابة النسل (منذ ١٩٥٥) . ولعل أكبر مجهود يلفت الانتباه تنمية

التعليم العام في كافة درجاته (٥٧ مليون تلميذ في المدارس الابتدائية ، اي ، منذ الآن ، ٧٠ بالمائة من عدد الاولاد البالغين سن الدخول الى المدرسة) ، مع انه ما زال ابعد من ان يستجيب لشغف المعرفة النادر المتجلي في كافة انحاء البلاد ؛ وقد اتخذت بالموازاة بعض التدابير لتحسين الحالة الصحية وتخفيض نسبة الوفيات : حملات تلقيح حالت منذ السنة ١٩٥٠ دون انتشار اوبئة الجدري والتيفوس والطاعون ، حملة ناجحة على القذارة ، والذباب ، والبعوض ، والجرذان .

تخلصت الصين الشعبية ، بفعل الحرب ، من المعاهدات غير المتساوية ، واصبحت سيادة على اراضيها البرية - باستثناء اقليم كو - لون البريطاني المواجه لهنغ - كونغ ، واقليم ماكاو البرتغالي - فأزالت النفوذ الاجنبي في الحقل الاقتصادي بتأميم الصناعات ، وفي الحقل الثقافي والروحي بطرد المرسلين الاجانب . وانتهجت سياسة مماثلة لسياسة الاتحاد السوفياتي حيال الاقليات القومية والدينية ، ولا سيما الاقليات الاسلامية ، التركية اللهجات ، المستوطنة سن - كيانغ ، وكان - تشو ، وجزءاً من يونان : اسهمت في اصلاح الزراعي واعتمد العديد من البدو الرحل الحياة الحضرية ، وبيعت اصفافها من « المخازن الشعبية » بدلا من التجار السابقين ، وصدرت صحف ومجلات باللغات المغولية والريفورية والقازاخستانية والتبتية ، ووزعت المدارس التعليم على كافة درجاته باللغات نفسها ؛ والنشئت اخيرا بعض المناطق المستقلة استقلالاً ادارياً : منغوليا الداخلية ، سن - كيانغ (ويغور) ، التبت . فليست الجمهورية الصينية من ثم دولة اتحادية ، وبرلمانها يتألف من جمعية واحدة .

من الصعوبات الكبرى التي اصطدم بها النظام نقصان الموظفين المسؤولين والفنيين والمثقفين اللازمين لادارة هذا المشروع التجديدي والتطويري الكبير . وهذا هو سبب الامة الكبرى التي أغبرت تنمية التعليم في كافة درجاته ونشر المعارف التقنية والعلمية . وقد افضت الجهود المبذولة لتجديد اللغة ، في السنة ١٩٥٦ ، الى توحيد لغة الكلام ؛ واصبحت لهجة بكين (المندرينية) الواسعة الانتشار لغة التعليم في المدارس ، واستعملت في الاذاعات ، ومهدت بعض الابحاث لتبسيط الكتابة بحيث ينخفض عدد الاحرف من ٤ - ٥ آلاف الى ٥٠٠ او ٦٠٠ حرف تقريباً ؛ ولحظ كذلك اعتماد الاليفبائية اللاتينية تدريجياً . فقد يقضى بذلك على الامة خلال بضع سنوات .

بالرغم من خيبة الآمال التي عاقتها الحكومة الاميركية على حكومة تشانغ كاي - شك ، أصرت الولايات المتحدة ، بعد هزيمة محيتم النكراء ، على مساندته في جزيرة فورموزا حيث يقبى الاسطول الاميركي من كل هجوم ، وفي منظمة الامم المتحدة حيث احتفظ نظام الحكم الساقط بمركز دائم في مجلس الامن . وقد حال رفض الحكومة الشيوعية الاعتراف بشرعية

التمهيدات التي التزم بها تشانغ ، والسياسة الرادعة ، والحرب الكورية وما رافقها من تدابير حظر تناولت عدة ميثاق من المواد « الاستراتيجية » ، دون قيام علائق اقتصادية طبيعية بين الصين ودول العالم الاخرى . الا ان الولايات المتحدة لم تستطع ان تفرض على حلفائها ضرب حصار شامل ؛ فمنذ السنة ١٩٥٠ ، اعترف الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية ، ثم بريطانيا العظمى وبورما والهند وباكستان بالنظام الجديد ، وسوف تعترف به فرنسا في السنة ١٩٦٤ . ولكن هذا الحظر قد أعاق اعادة بناء الاقتصاد الصيني اعاقه كبرى ؛ فوالت الصين وجهها شطر الاتحاد السوفياتي الذي ربطتها به معاهدة صداقة ومساعدة متبادلة لمدة ثلاثين سنة ، بغية الحصول منه على القروض ، وخصوصاً على معدات التجهيز والفنيين . وتمززت كذلك العلائق التجارية بالجمهوريات الشعبية الاخرى . فقد اضطرت الصين والكتلة السوفياتية الى انتاج التجهيزات الواجب شراؤها مبدئياً من الخارج . ونسقت العلائق التجارية بين الديموقراطيات الشعبية المختلفة بحيث امتصت العلائق التجارية بين دول الكتلة /٤ مبادلاتها وهبطت نسبة اسهام هذه البلدان في التجارة الدولية الى ٢ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . الا ان العلائق بالدول الآسيوية والافريقية كانت آخذة في النمو : فقد نافست القطنيات الصينية القطنيات الهندية واليابانية منافسة كبرى حتى في الشرق الاوسط . كما ان ارتقاء شدة الحصار والمخالفات المتزايدة للوائح المواد المحظورة قد اتاحت زيادة الكميات المشتراة من السويد وسويسرا وبريطانيا العظمى والمانيا الاتحادية وفرنسا .

قبل ان يسلم المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي بتعدد الطرق « الطريقة الصينية » المؤدية الى الاشتراكية ، وقبل ان يلفت القلق الذي اثارته القطيعة بين الحكومة الهنغارية والشعب الهنغاري انتباهه الى ان « الخلافات مع العدو ، اي مع الرأسمالية » ليست هي الخلافات الوحيدة التي قد تقوم في النظام الشيوعي ، شعر الحزب الشيوعي الصيني بإمكان قيام « خلافات داخل الشعب ايضاً » تجدر معالجتها . وعلى نقيض الطريقة التسلطية التي اعتمدتها الحكومة السوفياتية - اقله حتى وفاة ستالين - ، اراد « المذهب الصيني » التغلب على هذه الخلافات بالاقناع والتفهم قبل الاقتتار . وقد سبق ورأينا في سياق هذا البحث ان الطرائق الجديدة المعتمدة منذ قبل انتصار السنة ١٩٤٩ قد وفقت بين مبادئ ماركس ولينين والظروف الخاصة بالمجتمع الصيني وطبقته بمنتهى المرونة بمجنبة البسلاد ، التي عانت ما عانت خلال نصف قرن من الحروب الاهلية والحروب ضد الاجانب ، الثمن الغالي الذي دفعته روسيا من اجل تطويرها . ففي رأي مار ، كما اكد ذلك في خطاب ألقاه في ١٧ شباط ١٩٥٧ ، ان الفائدة كل الفائدة في استمرار « تفتح المائة زهرة في آن واحد » و « تنافس المائة مدرسة » ، ما دامت المقاييس الاساسية الستة مقبولا بها : وحدة القوميات الصينية ، تطوير المجتمع اشتراكياً ، الدكتاتورية الشعبية الديموقراطية ، المركزية الديموقراطية ، قيادة الحزب الشيوعي ، التضامن الاشتراكي الدولي .

القفزة الكبرى الى الامام . الا ان فترة الحرية هذه لم تدم طويلا ، وفي السنة ١٩٥٧ بدأت مرحلة جديدة جذرية من مراحل السير نحو الشيوعية باختيار لا مثيل له في تاريخ العالم . فان « حملة المائة زهرة » قد عقيبتها حملة « تقويم » ضد « رجعية » و « اعتقادية » بعض المعارضين . وان العمل الحكومي الذي تميز ابدأ حتى الآن باعتدال حقيقي وبمزيد من الفطنة ، قد انتقل فجأة الى التطرف : كان المقصود بلوغ الشيوعية وقطع المرحلة الانتقالية بمنتهى السرعة ، وذلك بتعبئة الجماهير ، اي بالاستفادة ، ما امكنت الاستفادة ، من هذا الرأسمال البشري الكبير الذي يؤلفه الـ ٦٠٠ مليون صيني . وقد توجب « السير على القدمين » ، اي تأمين خير تناسق بين الانماء الزراعي والانماء الصناعي . فما هو سبب هذا التبدل يا ترى ؟ لا شك في ان سرعة زيادة السكان ، الذين هبطت نسبة الوفيات بينهم ، منذ السنة ١٩٥٢ ، من ١٧ بالآلاف الى ١٢ بالآلاف ، قد استلزمت سرعة زيادة الانتاج ، ولكن هذه المقررات تصادف في الزمن بداية فتور العلاقات الودية بالاتحاد السوفياتي . ففي هذه الفترة اخذ هذا الاخير يقلل من ارسال المعدات الى الصين ويزيد من ارسالها الى الهند ، ورفض الوفاء بوعده قطعه في السنة ١٩٥٥ بايقاف حليفته على سر القنبلة النووية . ومنذئذ عدلت الصين عن الظهور بمظهر التلميذ المنقاد للسوفيات والمقتدي بهم ؛ وطاب لها التحدث عن طرافة حلولها ، بينما انتقد الاتحاد السوفياتي من جهته حركة التصنيع السريعة وانشاء الدوائر الريفية . وفي ربيع وصيف السنة ١٩٦٠ ادت حدة الخلاف الى نزوح ألوف المهندسين والفنيين السوفيات الذين استدعوا الى الاتحاد السوفياتي ، تاركين الاعمال المشروع فيها ومستصحبين التصاميم التي كانوا قد وضعوها . فهل اعتقدت الصين آنذاك بوجود اعتمادها على نفسها فقط ، ورغبت في تقديم الاتحاد السوفياتي سرعة يا ترى ؟

ارتكزت « القفزة الكبرى الى الامام » - دونما نظر الى الانتاجية - الى استخدام الثروة الكبرى التي تزخر بها الصين الحالية في اعمال تؤول للمصلحة العامة : اعني بها طاقة اليد العاملة التي لا تستخدم استخداما كافيا في الارياف . اجل ان الافتقار الى رؤوس الأموال وعدم توفر الفنيين يحولان دون تصنيع سريع الخطى ، وانما يمكن تعبئة ملايين العمال مع ادواتهم المألوفة ، كالمجرفة ووعاء نقل الرمل... من اجل حفر الاقنية والاحواض ، وبناء السدود وشق الطرق ، وتنظيف الانهار والمستنقعات للحصول على السجاد . وبناء على ذلك تمكن مليون فلاح ، في شتاء ١٩٥٧ - ١٩٥٨ ، من مضاعفة مساحة الاراضي المروية واتاحوا زيادة الانتاج زيادة كبرى . وفي سبيل استخدام موارد اليد العاملة هذه خير استخدام انشئت الدوائر الريفية الصغرى التي تضم زهاء ثلاثين تعاونية قروية (٢٠٠٠ عائلة تقريبا ، اي حوالي ١٠٠٠٠ شخص) في تجمع لامركزي يتمتع بحرية مبادأة كبرى من اجل استخدام اليد العاملة والخامات جهد المستطاع ، وتحسين الانتاج ، وسد حاجاته الخاصة . فنظمت حياة جماعية وانشئت محلات لبيع المأكولات والمشروبات ، وحدائق وملاجيء نهائية للأطفال ، وحمامات عامة ، ومساكن للمعجزة ، وذلك

بغية تخليص المرأة من اعبائها المنزلية واستخدامها في الاعمال الآثلة الى الخير الجماعي. ثم امتدت الحركة بسرعة مدهشة الى المدن حيث انشئت « دوائر مدنية صغرى » كان الهدف منها جمع الاشخاص البطالين ، وتنظيم الاستهلاك بواسطة محلات بيع المأكولات والمشروبات ، ومحاربة الاسراف . الا ان المشروع ، الذي ارتجل ارتجالا كما يبدو ، قد انتهى ، بعد ثلاث سنوات ، الى فشل ذريع .

منذ السنة ١٩٦٠ بدأ التراجع التدريجي : نزع من الدوائر الصلاحيات الواسعة التي اعطيتها في السنة ١٩٥٨ ، وحلت محلها الشرازم (٧٠٠ ٠٠٠) ، وهي دونها عدداً الى حد بعيد ، ثم « فرق الانتاج » (٢٠٠ ٠٠٠) التي اصبحت الوحدات الانتاجية الحقيقية . الا ان الحياة الخاصة لم تخضع قط لنظام جماعي (كما يشهد بذلك « جلبيير اتيان » و « رنيه ديمون ») ، وليست منامات الرجال ومنامات النساء في ابنية مشتركة كبرى ، وتناول ٥٣٠ مليون صيني وجبات طعامهم في محلات بيع المأكولات ، وتربية الاطفال بعيداً عن والديهم في الملاجئ النهارية ، سوى من نسج الخيال ، ولكن سرعة هذا التنظيم الجماعي تطلبت من الجميع جهداً مفرطاً لم يلبث ان لاشى الحماس . وهو من ثم فتور الجهد ما ادى الى الفشل ؛ ويضاف الى ذلك ان الاختبار قد أفسد ببلايا طبيعية تمادت ثلاث سنوات (جفاف وفيضانات تسببت في أزمة غذائية كبرى وأوجبت تقنيناً صارماً) ، والافتقار الى مسؤولين ذوي خبرة ، وعدم أهلية اولئك الذين سلموا زمام ادارة المشروع . وقد أدت كافة هذه العوامل الى ابراز مساوئ الجهاز الاداري وتشويش الانتاج .

في الحقل الصناعي ايضاً اتصفت حركة الانتاج بسرعة محومة : استمر انشاء الوحدات الصناعية الكبرى ، واكثر في الوقت نفسه ، في المناطق الريفية ، من المشاريع الصغرى المتوسطة التي لا تستلزم عدداً كبيراً من المسؤولين والفنيين ، والتي تستخدم محلياً اليد العاملة المتوفرة وتخفف من عبء وسائل النقل : مصانع احذية واسمدة واسمنت ، وخصوصاً استثمار مناجم الحديد والفحم الحجري الكثيرة غير المستثمرة ، وجمع نفايات الحديد واحداث اكثر من ١٣٠٠٠ فرن يتراوح ارتفاعها بين مترين وثمانية امتار . تلك هي حملة « الفولاذ الشعبي » التي انتجت كثيراً من الحديد المصبوب والفولاذ ، المتدني النوعية في اغلب الاحيان ، اللذين كانت ثمنهما تزداد كثيراً في المعدن والطاقة . الا ان ميزان الحساب لم يكن سلبياً : فغالباً ما استبدلت هذه المصاهر الريفية بمصاهر عصرية صغرى ايقظت صناعة الآلات الزراعية الريفية ، واوجدت صناعات تستخدم الخامات المحلية دون غيرها ، وتقومها موارد الدائرة الاقليمية ، ويوفر العمل للفلاحين الكثيرين الذين لا عمل لهم . « لم يكن الفشل محلياً ، ولكن الفارق بين الاهداف والنتائج كان كبيراً » .

اذن توجبت العودة الى الاعتدال واعادة ضبط الاقتصاد بالاستفادة من
 الميزات الاقتصادي الخبرة المكتسبة . الا ان الاقتصاد الصيني - الذي استعاد عافيته -
 والاجتماعي بعد الاضطراب الناجم عن « القفزة الكبرى الى الامام » - ما زال
 بالرغم من ذلك اقتصاداً هشاً سريع العطب ، لانه سيبقى ، لمدة طويلة ، رهين الزراعة غير
 المنتظمة الانتاج تحت تأثير عوامل طبيعية كثيرة : جفاف ، فيضانات ، اعاصير ، فالى هذا
 يرد الاهتمام الذي اعيرته اعمال رقابة تصريف المياه والري ، واعادة التحريج ، واحياء الاراضي
 البائرة . وان نقص الانتاج الزراعي في السنة ١٩٦٠ قد ارغم الصين على استيراد كميات كبرى
 من الحبوب باسعار مرتفعة ، ولكن كمية المواد الغذائية والمواد الارلية الزراعية المنشأ قد
 تزايدت منذ حصاد السنة ١٩٦٢ ، فالقي التقنين وتحسن تصدير الارز . ولوجب كذلك ايشار
 الانماء الزراعي على الصناعة الثقيلة واحلال انتاج المواد الاستهلاكية في المرتبة الاولى . ويرد
 ذلك الى ان عدد السكان الذي ربما جاوز ، بحسب التقديرات ، ٧٠٠ مليون نسمة منذ السنة
 ١٩٦٢ ، وقد يبلغ المليار في السنة ١٩٨٠ ، يزداد بسرعة مطردة ، بالرغم من السياسة الهادفة
 الى تحديد النسل (عدم اعطاء اي تعويض عائلي ، واية فائدة اخرى بعد الولد الثالث ، اظهار
 مساوىء الزوجات المبكرة ، تشجيع وسائل منع الحمل) .

تقدمت النهضة الصناعية تقدماً مستمراً . فان المصانع الصينية قادرة اليوم على انتاج معظم
 الآلات والتجهيزات الضرورية ، والمصنوعات الكيميائية الهامة ، وقد نشأت اخيراً صناعة
 نووية فجرت قبلتها الاولى في تشرين الاول ١٩٦٤ . وان في ذلك لدليلاً واضحاً على ان الصين
 قد احتلت مكانها في الصف الاول بين الدول العظمى . فقد كتب « روبير غيلين » في السنة
 ١٩٦٤ ، بعد انقضاء تسع سنوات على رحلة رجع منها بانطباعات تشاؤمية نسبياً ، ما يلي :
 « انتصر النظام على كافة الآفات القديمة : فساد ، فوضى ، مرض » ، وارسخ « التفسيـرات
 الخارقة » المحققة منذ السنة ١٩٥٥ : وحدة الصين ، تربية ، نزاهة ، اخلاق ، صحة (الاذبة لم
 تعد) ، والصينيون « يا كلون اليوم حين يحرقون » ، وانتصر على المعارضة (او اقنعها) « بخلفه
 سبعماية مليون مطيع » .

ان طرافة هذه الطريق الصينية نحو الشيوعية ، ومسدى تحقيقاتها ، وسرعة تحول هذه
 الامبراطورية الآسيوية المستضعفة والمذلة الى دولة صناعية عصرية كبرى ، بفضل جهود وتضحيات
 عسيرة طلبها من شعب نشيط وصبور وحاذق زعماء يتحلون « باخلاق نادرة » وذكاء ، وواقعية ،
 وتصلب ومرونة معاً ، (ج. ايتان) ، لتضفي على مثلها اهمية ثورية دونها اهمية مثل الاتحاد
 السوفياتي .

الخلاصة

ان المجال البري والاقتصادي والسياسي العظيم ، الذي 'فسد' للنشاطات المخططة في الديمقراطية الشعبية المختلفة ان تنسق فيه ، والذي يضم ثلث سكان الكرة الأرضية ، قد رأى وحدته العقائدية تتصدع بفعل الانشقاق الكبير الذي ما زال يباعد منذ السنة ١٩٦٠ بين الاتحاد السوفياتي والصين . وكانت النتيجة تراخياً في الروابط التي قامت بين الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الشعبية الأوروبية وتشوشاً في الأحزاب الشيوعية المختلفة المنتشرة في العالم . ولكن ذلك لم يمنع العالم الشيوعي من استهواء شطر كبير من الطبقات العمالية في الغرب ، والبلدان الآسيوية والأفريقية . فقد اخذ الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الشعبية تخرج من عزلتها وتقدم للدول غير النامية مساعدتها التقنية والمالية ؛ وان الشروط التي تضمنها لذلك تفضل شروط الدول الاطلسية التي لا تبحث شركاتها ، الحريصة على تحقيق كسب جزيل وفوري ، الا عن استثمار المناجم والبتروول ، وشروط « مصرف التصدير والاستيراد » الذي لا يمنح قروضاً لا فائدة منها للصناعة والتجارة الاميركيتين . وكان المثل الصيني بصورة خاصة جليل الفائدة بالنسبة لهذه الدول ؛ فلا الدول الاستعمارية القديمة التي رفضت ان تطبق في ما وراء البحار مبادئها الحرة ، ولا الولايات المتحدة التي لم يأت نظامها الاقتصادي الحر يجديد من اجل رفع مستوى معيشة الجماهير الآسيوية ، والتي تطمع في ان تفرض عليها مرة اخرى حكومات عاجزة وفاسدة في اغلب الاحيان ، ولا الاشتراكية الغربية التي لم تسلك سلوكاً يختلف عن سلوك الاحزاب الأوروبية الاخرى في ماليزيا او الهند الصينية ، اوحث لها بالثقة . وهذا هو ما يفسر عظمة نفوذ الصين في آسيا وفي كافة البلدان التابعة ، بالرغم من الانشقاق الذي شطر العالم الشيوعي شطرين . فالصين قدوة وهداية لشعوب العالم الثالث التي تعاني من التأخر الذي تعيض هي منه . وكل يوم تقصدها وفود آسيوية وافريقية واميركية - جنوبية بغية درس منجزاتها محلياً ، ويختلف الى جامعاتها طلاب افريقيون وآسيون بغية تعلم طرائقها ؛ وتنتشر بعثاتها الدبلوماسية والتجارية في العالم اجمع . ومنذ اليوم تستفيد من مساعدتها الاقتصادية او قروضها او هباتها الجمهوريات الجديدة في افريقيا السوداء ، ومعظم دول جنوبي شرقي آسيا الحياضية ، ودول الشرق الأدنى ، وكوبا والبنان . وتحاول بعض البلدان : غينيا ، ومالي ، وحق الهند - بالرغم من النزاع الدبلوماسي والعسكري الحاد بينها وبين الصين - التمثل بتعبئة الجماهير المنظمة في الصين من اجل تنفيذ اعمال تقتضيها المصلحة العامة .

الكتاب الرابع

حول البلدان التابعة والبلدان الخاضعة للاستعمار

الفروق الاجتماعية لم تكن بالمساوية الوحيدة التي عيل صبر الناس بها ، فقد برموا بالأسكنر من الفروق العرقية والعنصرية اذ استأثرت قسلة من العنصر الابيض ، في اوروبا واميركا بخيرات الارض واختصتها بنفسها . فقد اخذت جماهير الشعوب الملونة ، او المتخلفة التطور التي تؤلف الشطر الاكبر من البشرية — اسوة بالطبقات العمالية والفلاحية — تخرج من سلبيتها وتلتزم لوضعها ، اذ قد هبت على العالم اجمع حركة تحرر تطلت في ثنايا شعوب اميركا وآسيا وافريقيا ، المستعمرة منها او المستقلة مبدئياً ، وأخذت تشرئب بنفوسها الى الحرية والاستقلال .

الفصل الأول

أقطار أميركا اللاتينية

فقد تأثرت بعيداً ، في نصف القرن الاخير ، اقطار اميركا الجنوبية واقطار اميركا الوسطى بهذه الازمة الاقتصادية التي رزحت تحتها . وقلبت ظهراً لبطن اوضاعها الاقتصادية والسياسية وهي لا تدري من اسبابها ومسبباتها شيئاً . فقد اتخذت المشكلات الخاصة بالبلدان المتخلفة اقتصادياً طابعاً حاداً في اعقاب حربين عالميتين وضائقة اقتصادية اخذت بخناقها . وقد ازدادت بؤساً وشقاءً من جراء الازدهار الديموغرافي الذي سجل فيها اكبر معدل عرقه العالم من قبل ، والبنين الاجتماعي البسالي الذي قام فيها . وتفاقم الوضع وزاد حرجاً من جراء العراقيل والصعوبات التي لقيتها في استثمار خيراتها لاقتنارها لرؤوس الاموال اللازمة ولليد العاملة الصالحة بما زادها تبعية وارقباطاً بمعجلة الدول المستعمرة الكبرى في نصف الارض الغربي . . فقد حيل بين هذه الاقطار عام ١٩٤٠ كما حيل بينها عام ١٩١٤ ، والى حدود ما عام ١٩٣٠ ، طلياً او جزئياً ، بين زبائنهم ومموليها من هذه الدول الاوروبية . فقد اضطرت الإتكال على نفسها او التمويل على دول جديدة في ما يساعدها على تأمين حاجاتها او تطوير انتاجها تأميناً لمقتضيات الحرب ومتطلباتها . وهكذا خضع التطور الاجتماعي فيها لتغيرات جذرية ، اذ ظهرت عندها طبقة صناعية جديدة ، كما اخذت طبقة العمال العاملة في الصناعة الكبرى تزداد اهمية وشأناً مما ادى الى المزيد من الضغط الاجتماعي والعرقى واخذت تبرز بصورة اشد وأعنف روح التمرد على السيادة الاجنبية . وبالرغم من هذا كله ، فقد بقيت الاقطار الواقعة الى الجنوب من نهر ريو غراندي في اميركا اللاتينية ، في وضع نصف استعماري ، بالرغم من كل الجهود التي بذلتها والنتائج الطيبة التي حققتها .

١ - المشكلات الاجتماعية والاقتصادية

شهدت القارة الاميركية الجنوبية ، اكثر من اي قارة
المشكلات السكانية والتمديدية
اخرى في العالم ، اكبر زيادة في السكان تمت في أي بلد آخر ،
اذ ارتفع عدد السكان منذ عام ١٩٢٠ من ٩٤ مليون نسمة الى ٥٠٠ ٠٠٠ ١٣٤ عام ١٩٣٧ ،

ليبلغ ، عام ١٩٦٣ ، أكثر من ٢٠٠ مليون . وكانت نسبة الزيادة ٣٨،٥ ٪ في السنوات الخمس عشر الأخيرة ، وارتفع هذا المعدل الى ٥٢ ٪ في فنزويلا والى ٤٥ ٪ في المكسيك . وهو أكبر من أي معدل سجل في أي بلد آخر في أي من القارات الخمس (مصر ٣٣،٧ ٪ ؛ كندا ٣١ ٪) . وبأقي البلاد الواطئة ٢٠،٥ ٪ - وهو أعلى معدل سجلته أوروبا - ، والهند أقل من ٢٠ ٪) . وبأقي البرازيل في الطليعة إذ بلغ عدد سكانه ٤١ ٢٣٥ ٠٠٠ نسمة في احصاء عام ١٩٤٠ ، و ٦٥،٧ مليون ، في احصاء عام ١٩٦٠ . وبذلك زاد عدد سكانه ٢٥ مليون نسمة في ٢٠ سنة ، مع الهجرة الى البلاد بين ١٩٤٥ - ١٩٥٠ ، كانت في حكم العدم ، واقتصرت على بضعة آلاف بين ١٩٤٥ - ١٩٥٠ . وفي الأرجنتين ، ارتفع عدد السكان من ١٣ ٥٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٣٧ الى ٢٠ مليون ، عام ١٩٦٠ ، كما ان عدد سكان المكسيك بلغ ٢٢ مليون ، بعد ان كان عددهم ١٩ ٦٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، وجاء معدل الزيادة في كل من الشيلي وجزر البحر الكريبي على هذه النسبة . ومع ذلك فقد بقيت كثافة السكان في القارة متدنية جداً إذ لا تزيد على ٧ في مجموع القارة ، وهي في حدود ٦ في البرازيل ، و ٨ في الشيلي ، و ١٢ في الاورينغواي ، و ٢،٣ في بوليفيا ، كما ان الواحات السكانية متفرقة جداً . ففي المكسيك ، نرى ١٤ مليون نسمة أي نصف سكان البلاد ، يقطنون رقعة من الأرض حول العاصمة ، شعاعها أقل من ٣٠٠ كلم ، كما ان أكثر من نصف سكان البرازيل يتمركزون جنوبي خط العرض العشرين ، في ١/٦ مساحة البلاد ، كما ان الولايات المركزية الثلاث في الشيلي تحتفظ بـ ٤٥ ٪ من مجموع السكان الذين يمثلون ٤ ٪ فقط من مساحة البلاد . وفي الأرجنتين ، نرى ٧٣ ٪ من مجموع السكان يعيشون في ربع مساحة البلاد ، وفي فنزويلا نرى ٦٠ ٪ من مساحة حوض نهر الاورينوك ، لا يتعدى عدد السكان فيها ٧ ٪ من المجموع . وهكذا نرى ان السكان يتوزعون رقعاً محدودة ، في قارة تشكو من قلة وسائل الاتصال ومعظم أراضيها موات لا تزرع . وتيارات الهجرة في الداخل تحفز سكان الريف على النزوح من القرى الى المدن أو مجتمعاتها مقاطعة معينة دون أخرى ، كما ان سكان المناطق شبه الصحراوية الواقعة الى الشمال الشرقي أو في وسط البرازيل ينزحون بالأكثر نحو ولاية ساو باولو أي الى الغرب البرازيلي ، وإلى « المقاطعة الرائدة » حيث تزدهر مزروعات القطن وقصب السكر وتنشط تربية الماشية . في كل مكان تسجل حركة الاسكان في المدن ازدياداً مطرداً . ففي المكسيك ، هبطت نسبة السكان في الريف من ٩٠ بالمائة في عام ١٩٠٠ ، الى ٥٤،٧ بالمائة عام ١٩٤٠ ، وقد تضاعف سكان مكسيكو العاصمة في عشرين سنة . وبينما ازداد عدد السكان العام في البرازيل بمعدل ٢٨ بالمائة بين ١٩٤٠ - ١٩٥٠ ، ازدادت نسبة السكان في المدن ٤٩ بالمائة . ان نصف سكان المدن يقطنون ١٤ مدينة ، كما يقوم ثلث سكان هذه المدن في اثنتين منها هما الريف وساو باولو ، فازداد عدد سكان الريف ٣٦ بالمائة في ١٠ سنوات ، كما ازداد سكان ساو باولو ٦٠ بالمائة وبذلك برزت العاصمة الريف ، إذ بلغ عدد سكانها ٣ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة .

وفي الأرجنتين كان ٥٧٤٣ بالمائة من مجموع سكان البلاد من سكان المدن عام ١٩١٤ ،
فارتفعت النسبة ، عام ١٩٥٩ ، الى ٧٠ بالمائة . وبونس ايريس التي تعد ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة تقع
في قلب منطقة يزيد عدد سكانها على ٦٠٠ ٠٠٠ نسمة وفيها يحتشد اكثر من ربع سكان
هذه الجمهورية . وفي عام ١٩٦٣ ، نرى ٤٦ بالمائة من الاهلين يعيشون في المدن ، بينما ٣٦ بالمائة
يعيشون في تحشيدات تعد ١ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة ، كما ان ثلثي سكان الشيلي يقطنون المدن .

تتكس هذه الجماهير في مساكن يقيم عليها البؤس والشقاء ويحتشدون في احياء تفتقر اصلا
الى الشوارع ومصلحة الطرقات والوسائل الصحية ، اذ اعداد كبيرة من الاولاد والنساء والرجال
يعتمدون التسول ويعيشون على الصدقات والحرف الصغيرة النقلة . والنقص في التغذية هي من الامور
العادية والشقاء فيها مع ذلك اخف وطأة مما هم عليه الفلاحون والمزارعون .

الملكية المقاربية الضخمة هي القاعدة . ففي هذه القارة ، نرى ٥٠ ٪
من الاراضي الزراعية تقع ضمن ملكيات تزيد مساحة الواحدة منها
على ٦٠٠٠ هكتار وتعود ملكيتها لـ ١٤٥ ٪ من كبار الملاكين . وفي الشيلي ان ٨٩ ٪ من
الاراضي يملكها ٥٩٣٦ ملاك لا غير ، كما ان ما لا يقل عن نصف المساحات تتكون من عقارات
تزيد مساحة الواحد منها على ١٢ ٠٠٠ هكتار . وفي الأرجنتين نرى ١/٦ ولاية بونس ايريس
وهي اغنى ولايات الأرجنتين على الاطلاق تعود ملكيتها لـ ٢٢١ شخصاً ولـ ٥١ شركة عقارية .
وفي (الاراضي الوطنية) بملك ١٨٠٤ شخصاً املاكاً يساوي مجموعها مجموع مساحة بلجيكا
وهولندا والدانمارك ، وملكيت عشر شركات لوحدها من الاراضي ما يوازي مساحة بلجيكا
وسويسرا مجتمعين . وتمثل الممتلكات التي تزيد مساحة الواحدة منها على ١٠٠ ٠٠٠ هكتار
في الاورغواي ٤٣ ٪ من مساحة البلاد ، وهنالك عقارات يبلغ مساحتها معاً ٢ ٥٠٠ ٠٠٠
هكتار ، كما ان ٩٨٤٦ بالمائة من الممتلكات تمثل ٧ بالمائة من مساحة الارض فيها . وفي فنزويلا ،
ان ٨٤ بالمائة من الاراضي في المقاطعة الاتحادية ، تعود ملكيتها لـ ١٩ شخصاً ، وان ١ بالمائة
من السكان يملكون ٥٦ بالمائة من مجموع الاراضي الزراعية في البلاد . وفي كولمبيا ، يملك
٨١٢٣ من اصحاب الاملاك المقاربة اكثر من ٣٣ بالمائة من الاراضي الزراعية ، بينما تتقسم
٥٠٠ ٠٠٠ هائلة ٣٤ بالمائة من مساحة الارض ، كما ان مليونين من العمال الذين يعملون في
الزراعة لا يملك الواحد منهم اية قطعة ارض . وعلى مثل هذا الوضع نرى جمهوريات
الاكوادور والبيرو وبوليفيا . وفي غواتيمالا ، يعود ثلث مساحة الارض الزراعية ، لبعض
كبار الملاكين . ومزروعات البن وقصب السكر الكبيرة في كوبا تعود ملكيتها للملاكين اجانب
عن البلاد ، وفي نيكاراغوا وهوندوراس تعود ملكية هذه الاراضي الزراعية للشركات
الثمانية الكبرى وهي ايضاً غريبة عن البلاد . وفي المكسيك ما قبل الاصلاح الزراعي ، كان
٤٩ بالمائة من الاراضي تتكون من املاك تزيد مساحة الواحدة منها على ٥٠٠٠ هكتار ، كما
ان ٣٠٠٠ اسرة كانت تملك اكثر من نصف مساحة البلاد ، وبضع مئات من الافراد كان

يملكون كامل اراضي ولاية تشيهواهوا ، وكان الجنرال طرازاز يملك لوحده ستة ملايين هكتار كما ان شركة الخط الحديدي الغربي كانت تملك ٩٨٨.٠٠٠ هكتار ، ويملك هيرست ٥٠٧.٠٠٠ هكتار . أما في ولاية سان لويس دي بوتوسي فكان ٩٦ بالمائة من العمال العاملين في الشؤون لزراعية لا املاك لهم . وفي جمهورية الدومنيك كان الدكتاتور تروخولو قبل ان تخلعه الثورة ، عام ١٩٦١ قد تمكن من تحويل ٦٠ بالمائة من الاراضي الزراعية في البلاد ، الى ملكية اسرته . والملكية الصغيرة لا وجود لها الا في بعض المناطق : في جنوبي البرازيل وفي جمهورية كوستاريكا .

وفي نظام عقاري على هذا الشكل ينقسم المجتمع الريفي الى طبقتين تتباينان في كل شيء : اقلية من كبار الملاكين من اصل اوروبي او من الخلاسين ، وسكان الريف الذين يتألف معظمهم من الهنود الحمر ، ومن مهاجرين وضعهم وضع العبيد يعيشون في وضع زري من العبودية ويرسفون في البؤس والشقاء . ويخضع هذا المجتمع لنظام بطريركي في اطار الملكيات الكبيرة ، صاحبها يكون على الغالب بعيداً عنها ، ويترك امر العناية بها لوكيله . فكل العاملين في الزراعة ، سواء في البرازيل او الشيلي هم في وضع ارقاء الارض . فالمزارع يرتبط بالارض ارتباطاً وثيقاً اثناء ثلثي السنة . ويرتبط عليه وعلى افراد عائلته ان يعملوا لصاحب الارض لقاء تمتعهم بحديقة صغيرة تقوم امام زريبتة او كوخه المصنوع من الدلفان ، ولقاء بعض المحاصيل الزراعية التي تعطى له خلال فصل العمل في الارض . ويقدم صاحب الارض عادة للمزارع سلفة من الدرامم والمواد الغذائية الذي لا يستطيع تغيير عمله قبل ان يسدد دينه . ولما كانت الاجور واطية جداً ، فقد يستحيل عليه وفاء دينه الذي ينتقل عند وفاته ، الى اولاده . ففي ظروف كهذه ، ليس من الغريب قط ان يتردى الوضع الاقتصادي في البلاد ، اذ لا يخطر قط على بال هذا الملاك الامي المهمل ان يدخل اي تحسين فني او تقني على وسائل استثمار ارضه . فهو يمارس زراعة صنف واحد ويبقى جانباً كبيراً من ارضه مهملاً . وهكذا نرى ان ١٤٤ بالمائة من الاراضي الزراعية في هذه القارة هي قيد الاستثمار (٧٥ بالمائة في البرازيل ، و ٧٨ بالمائة في الأرجنتين) . والحصاد يتم بالمنجل ، والغلة هي من الفقر بحيث ان بعض هذه الاقطار التي لا يستثمر القسم الاكبر منها ، تضطر لاستيراد موادها الغذائية من الخارج .

هذان العالمان العائشان معاً جنباً الى جنب يتفاوتان تفاوتاً عظيمًا من جهة العرق والاصل : العالم الاوروبي او المنحضر مشكلة الهند الحمر
اوروبياً (الهجناء) ، فالارستوقراطية : ارفع أسر ليما الخمس والعشرون ، وكبار الملاكين المقاريين والأثرياء المحدثون الذين تمت لهم النعمة منذ منتصف القرن التاسع عشر ، أمثال سيموز باتينيو هذا المعدن الهندي الذي اصبح ملك القصدير واغني اغنياء اميركا الجنوبية على الاطلاق ، واصحاب الانوار في المكسيك ، وغيرهم الذين تتألف منهم الطبقة العليا وينعمون وخدمهم بنعم وخبرات حضارة العصر ، يعتمدون على كنيسة ثرية ، غنية ، بالرغم من قلة عدد رجال

الأكليروس الغريب ، وبالرغم من عدم وجود أكليروس وطني في بعض البلدان ، كما هي الحال مثلاً في البرازيل . فهذه الطبقة تستأثر بالسلطة السياسية وتمارسها لما يؤمن مصالحها .

ويلي هذه الطبقة العالم الهندي الذي اهل شأنه تماماً ، ومنها يتألف السواد الاكبر من الشعب ، يزيد عددها كثيراً عن الارقام الرسمية التي توفرها الاحصاءات مصدر معلوماتنا عن العرق او الاصل بالاستناد الى اللغة او اللسان اذ ان عدداً كبيراً من اهل البلاد لم يعودوا يتكلمون لهجتهم الخاصة . فالهنود الخُلصّ او الهجناء يؤلفون ، بلا ريب ، اكثرية السكان في المكسيك (١٠/٩ ، وفي فنزويلا ٣/٢) ، وفي البيرو وبوليفيا (لا تزيد نسبة البيض في هذين البلدين عن ٨ بالمائة) وفي جمهورية الاكوادور (٥ بالمائة من البيض) وفي كولومبيا والباراغواي حيث ٩٠ بالمائة من الالهالي هم من دم غواراني وحيث الجميع يتكلمون اللغسة غواراني ، وفي الفواتيمالا ، والسلفادور ، وغيرها . وهنالك مجتمعات اخرى في البرازيل مثلاً حيث تمثل ٢٠ بالمائة من مجموع السكان .

فحروب الاستقلال والثورات المتعاقبة التي انفجرت تباعاً في القرن التاسع عشر لم تدخل اي تحسين قط على وضعهم . فهم يعيشون في شبه عزلة بعد ان ارغموا على السكن في مناطق غير صالحة للسكن ، كما يبدو ، تقوم فيها الغابات الظليلة ، او الاغوار المرتفعة ، يعيشون من نتاج الارض الزراعية او من العمل في المناجم التي يستغلها البيض او الخلاسيون فيشترون محاصيلهم الزراعية بأبخس الاثمان ويدفعون لهم اجوراً لا تذكر . وقد منعهم ما هم عليه من فقر مدقع من استهلاك المحاصيل المستوردة وحتى تلك التي تؤمنها بعض المصانع المحلية ، فيعتمدون في معاشهم بما يشبع جوعهم من الذرة والفاصوليا ، عرضة للنسبة العالية من الوفيات ، ولذا بقوا ابدأ على هامش الحياة القومية وقلما استبدلوا سيداً بآخر . فهنود المكسيك وخدم توصلوا ليلعبوا دوراً بارزاً في حياة البلاد ، كما ان قسماً منهم يساهم فعلاً بتطوير حضارة البلاد . اما في البيرو وبوليفيا وفي الاكوادور ، وفي الجمهوريات الاخرى الواقعة بين جبال الاندس او في اميركا الوسطى .

« فقد اصبح الهندي في هذه الأقطار منطوياً على نفسه ، سكوتاً خشناً يوحى الرعب ، هو في منتصف الطريق بين الانسان والحيوان » ينفر من كل اتصال بأي عرق آخر ، يتسكع في جهل مطبق وقد بلغ عقله لادمانه الحكوكا والمشروبات الروحية ، لا يتذكر شيئاً عن هذا التراث الجيد الذي تركه له آباؤه الأقدمون » .

هنالك الى جانب الهنود مشكلة الملونين او الزنوج تفرض نفسها في
مشكلة الزنوج
جزر بحر الكرايبي حيث حل الزنوج محل سكان البلاد الاصليين بعد ان

تم افناؤهم (فهايتي هي دولة من الزنوج) ، او في جمهوريات اميركا الوسطى ، لا سيما في نيكاراغوي ١٠٪ ولا سيما في البلدان الواقعة في المناطق المدارية في اميركا الجنوبية : الفويتان وفنزويلا ١٠٪ وفي الشمال الشرقي من البرازيل . ومع ان هجرة البيض وعملية التهجين ساعدتا كثيراً على « تبييض » السكان تدريجياً بحيث نرى بينهم كل قوارق اللون الابيض والاسود ،

فهناك ، مع ذلك ، ما لا يقل عن ١٥ مليون من الزوج ومن الهجاء يمكن تمييزهم بسهولة . اما مستواهم الحضاري فمتدن جداً ، على الاجال . فسماة افريقيا تبرز في امور الدين والفولكلور الشعبي والاقاصيص الشعبية ويتبين العلماء الاجتماعيون ، بيسر ، تحت اسماء القديسين الكاثوليك ، اسماء قدامى الآلهة والمراسيم الدينية المعمول بها عند الداوميين واليوروبا ، إذ انتقلت من السلف الى الخلف ، عبر الاجيال بصورة غامضة . كذلك اخذت تبدل لدى بعض رجال الفكر من الملونين معالم المذهب الطبيعي للفرد الاميركي .

فالنخبة التي طلعت من بين الهنود الحمر والزوج هي من القلة والضعف بحيث لا تصلح بعد اساساً لشد الروابط بين العروق والحضارة اسوة بما يجري في البلدان المستعمرة . ومن جهة اخرى اخذت الخصومات والمفارقات تخف وتلين بفضل التهجين وبفضل تأثير الثقافة الاسبانية . التي اخذت تؤثر منذ القرن السادس عشر على سكان البلاد الأصليين وعلى الملونين ، بحيث تنامي كثيرون لغتهم الام . ومع ذلك هنالك بوادر يقظة تلتمع في الافق يخشى معها من احتدام التوتر .

هذه اليقظة التي نشاهد ظهورها في اوساط الهنود والزوج ليست الطبقات الاجتماعية الجديدة
بالاشارة الوحيدة لهذا التغير الآخذ به المجتمع . فالنمو الديموغرافي هو مظهر آخر من مظاهر هذا التبدل . فالإقبال على التصنيع ، والبؤس المسيطر على الريف اللذان ادّيا بسرعة الى حركة التحضر هذه ، ساعدا كثيراً على تطوير الطبقات الاجتماعية الجديدة التي اخذت تطل على البلاد في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى مباشرة . ففي كل مكان ، ساعدت حركة التصنيع على بروز نخبة بين البورجوازية ، وزادت من نطاق رجال الصناعة ومن التجار ، كما زادت من عدد التقنيين والمهندسين ومن العاملين في المهن الحرة او في الادارة العامة او في مصالح الجيش .

في هذه الاقطار التي تنطبع مدنيته بالنشاط الزراعي ، نرى ابناء الطبقة الوسطى التي تتألف من رجال الفكر من ذراري المهاجرين او من التجار ، يعملون ضباطاً في صفوف الجيش ويؤلفون العناصر التقدمية اذ لا مكان لهم في المجتمع التقليدي . فهم يطعمون في تجريد ارستوقراطية كبار الملاكين من استئثارها للسلطة واحتكارها لها ، نجيش فيهم الروح القومية وينفرون من الرأسمالية الاجنبية ، ولا سيما الرأسمالية الاميركية التي تستثمر لحسابها الخاص ولنفعها موارد البلاد الطبيعية وثرواتها ، هذه الرأسمالية التي تعارض قيام صناعات كبرى في البلاد وتتحالف دوماً مع الطبقات الموجهة فيها : فالمركوزة الاستراتيجية ، الذي يتمتعون به في المدن يوليهم نفوذاً ويعطيهم شأنًا لا يتفق قط وعددهم الضئيل . الا انهم يتعذر عليهم استلام السلطة عن طريق الاكثية بعد ان يتحكم الاشراف بالانتخابات ويفرون بالجساهير الشعبية على الاقبال عليها لمصلحتهم ، فطريقهم الوحيد الى السلطة قيام دكتاتورية مصلحة تهد لهم الوسائل المؤدية الى السلطة هذه الطبقة بعينها تلعب دوراً يبرز أثره يوماً بعد يوم ، في هذه الانتفاضات

السياسية التي وقعت منذ عام ١٩٤٣ . فهي النواة ونقطة الدائرة في الحزب المعروف بحزب Apriste في البيرو ، وحزب استنسورو في بوليفيا الذي ساند الانقلاب الذي قام به بتنكور في فنزويلا ، عام ١٩٤٤ ، والانقلاب الذي قام به فرغاس في البرازيل ... وهذه النخبة تطالب بتشريع خاص يلائم العمل ، ويطور التربية والتعليم في البلاد ، ويكفل الازدهار لحرمة التصنيع بحيث يرتفع مستوى الحياة في البلاد ، وينقذ الأمة والشعب من الروابط التي تشدها الى الاستعمار الاقتصادي . فالبرنامج الذي تطالب به هو برنامج اصلاحي ليبرالي ، معتدل ، مناهض للشيوعية ، وهذا ما يفسر لنا إجماعها عن معالجة اصلاح الزراعي والتعرض للبنيان الاجتماعي ، وكلاهما من مشكلات البلاد الاساسية . وأثرها يبرز جلياً في هذه الدساتير الجديدة التي تطل علينا والتي تشهد عالياً ، على اقدار متفاوتة ، على شدة اهتمامها بالمشكلات الاجتماعية من خلال هذه التشريعات الجديدة المتعلقة بالعمل .

والعمال الذين يتسكعون « في اشق بؤس عرفه العالم » كما يؤكد لمبرت ، أخذوا يؤلفون بالفعل بروليتاريا استفاقت على ذاتها وادركت ما لها من شأن واخذت تطالب بتأليف نقابات لها . فقبل عام ١٩٤٠ ، لم نر ائراً لهذه النقابات الا في بعض البلدان كالمكسيك والارجنتين والشيلي وكوبا وبعض قطاعات خاصة من قطاعات الصناعة : كالبحرية التجارية ، والسكك الحديدية وصناعات التبريد ، والصناعات الاستخراجية . اما بعد عام ١٩٤٤ ، فقد ظهرت النقابات في كل مكان بعد ان شجعها على ذلك تطور الصناعة والاتفاق الذي يشد بعضاً الى بعض احزاب اليسار الشيوعيين والاشتراكيين ، نجاح الحركة النقابية في بلدان اميركا الشمالية . وتمثل تجمع القوى العمالية عندما تألف اتحاد العمال في اميركا اللاتينية (C.T.A.L.) بزعامة فيسانته لمبردو تولقدونو ، وهو اتحاد هدد عام ١٩١٦ ، خمسة ملايين عضو منتسب . والتدابير المضادة للشيوعية التي اتخذت ضد الحركة بايعاز من الولايات المتحدة بعد عام ١٩٤٧ ، ادت الى انشقاق الحلف في السنة التالية ؛ فقد انشق عن هذا الاتحاد المعروف بنزعته نحو الشيوعية نقابات عدة تشكل منها منظمة جديدة عرفت « بالمنظمة الاقليمية لعمال اميركا اللاتينية » O.R.I.T. التي اوسحت بتشكيلها وساعدت على قيامها المنظمات C.I.O. و A.F.L. وانضمت الى اتحاد النقابات الحر الذي كان بعد عام ١٩٥٥ حوالي عشرة ملايين عضو ..

ويؤلف العمال ، مع ذلك ، اقلية محظوظة بالنسبة الى هذه الدماء التي تتألف منها اكثرية السكان ، ومن هؤلاء الجياع الذين يؤلفون ٢٠ بالمائة من الجماهير الريفية ، الذين يحملهم تكاثر السكان في الريف على النزوح ، منذ ٢٥ سنة ، الى المدن ليضخموا عهدهم الزرائب والاكواخ في الخيمات القائمة في ضواحيها . فالشركات الاجنبية العاملة في البلاد تدفع لهم عادة اجوراً اعلى بكثير من المألوف ، الامر الذي يباعد بينهم وبين الفلاحين ويحملهم يعرضون عن مواجهة المشكلة الاجتماعية الاساسية ، مشكلة الارض . ومن جهة اخرى ، فالبيروقراطية النقابية لا تتورع قط ، كما هو شأنها في الولايات المتحدة الاميركية ، عن اللجوء الى الاغراء والافساد

والتواطؤ مع ارباب الاعمال ومنظمي الانقلابات السياسية ، فيبسع زعماءها « الاضرابات » ، بمسا تيسر ويميشون برخاء على شاكلة ارباب الاعمال ، ويتعاونون مع الحكومات .

ومن الملاحظ ان هوة تأخذ بالظهور بين هذين المجتمعين كما يأخذ الصراع الطبقي والمنصري التوازن بالاختلال في هذه المناطق والاقاليم التي تعتنق اسباب الحياة الاقتصادية الحديثة ، والمناطق المتخلفة القابعة في ريفيتها ، وبعبارة اخرى ، بين المناطق المنفتحة على اقتصاد اساسه التبادل والمقايضة والمناطق الاخرى التي قشد بنواجذها على اقتصاد حياتي بدائي . وهذا التفاوت يبدو على اشده ويبرز على ابشع صورته في كل الحاء القارة كما يصفه لنا جاك لمبرت : بين البرازيل الاستوائي الاطلسي بمنزله المبني بالحجارة والاسمنت ، وبين برازيل الامازون او برازيل الشمال الشرقي بمنزله المتخذة مواده مما قيسر منها في المنطقة او من اللين المجبول على لوح خشب او من الخيزران . في هذه المناطق التي لم تخرج عن عزلتها والتي لا تزال مستمسكة بهذه الاطر التقليدية التي كانت في عهد الاستعمار ، والتي يقوم فيها ، جنباً الى جنب ، مجتمع أبوي على رأسه طبقة من الاشراف يصدرون الاوامر من علّ ويحيون حياة بذخ واسراف ، وفي الحضيض شعب رازح ، مقعد ، من ابناء البلاد المقدمين او من الملونين ، يتسكع في الجهل والجهالة ، بائس ساء غذاؤه واخشوشن ، مستوى العيش عنده اشبه بأحط مستوى للعيش في اكثر البلدان تخلفاً كصر والهند مثلاً . وعلى ذلك هذه المناطق التي استقبلت وفود النازحين من الاوروبيين حاملين معهم تقنياتهم وطرق معاشهم الجديدة ، التي عرفت ان تنشئ صناعات كبيرة بفضل ما تم لها من رؤوس اموال حاشدة ومن تطوير لوسائل النقل فيها ونجد فيها طبقة وسطى ومزارعين ينعمون باستقلالهم ، وبروليتارية مدنية يحيشون جميعاً بالعداء لحكومة المتسلطين من النبلاء . وهذه الهوة تقوم كذلك بين منطقة بونس ايرس والريف في داخل البلاد حيث تعيش الارستوقراطية ناعمة البال ، قريبة العين بين عمال يتآكلهم البؤس ويقلبهم الجوع ، وعلى هذا النحو في البرازيل بين المنطقة الشمالية الشرقية والمنطقة الشرقية من ساو باولو ، وكذلك قل عن الشيلي ، بين المناطق الصناعية والتعدينية والمدن الكبرى ، والمنطقة التي ترسف في تقاليدها الزراعية البالية مع مزارعيها الخائعين .

حق في المكسيك الذي بذل جهوداً مشكورة لتحسين اوضاع العمال والفلاحين وحيث يلعب قسم من الهنود دوراً يزداد شأنه في حياة البلاد الوطنية ، فالجماهير الريفية لا تزال تحيا حياة نباتية وترسف في بؤس نحيف ، تشكو دوماً من نقص مزمن في اسباب التغذية ، وتعمل في تربة ممسكة تضن بالمطاء ، وتزاول خلفاً عن سلف صناعات عائلية بوسائل واعتدة بدائية .

فالتفاوت الاجتماعي يبدو على اشده . ففي البرازيل ٢٥٠ بالمائة من السكان العاملين يصيبهم ٣٠ بالمائة من الدخل العام في البلاد ، كما يروح اكثر من نصف هذا الدخل الى ٥ بالمائة من السكان . وعمال المدن المسجلة اسماؤهم لدى مختلف صناديق الضمان الاجتماعي ، والذين يمثلون ٢٤ بالمائة من مجموع اليد العاملة في البلاد ، يتناولون ٢٠ بالمائة من الدخل العام . وما تبقى من

اصحاب الاجور : كصفار المزارعين والمربعين والعمال الزراعيين ، اي ما يوازي ٧١ بالمائة من مجموع السكان ، فلم يكن ليصيبهم ، عام ١٩٤٤ ، سوى ٣٠ بالمائة من الدخل الوطني العام . كل هذا يساعدنا على تفهم الضغط او التوتر الاجتماعي الذي كثيراً ما ارتدى طابعاً عنصرياً او عرقياً .

وفي كل مكان ينزع عامل المنصر بما له من شأن ، باعتباره دليلاً اجتماعياً ، الى تقوية التفرقة العنصرية ، التي لم تكن ، في هذا الوقت بالذات الذي كان فيه الزوج من طبقة الفقراء ، لتعتبر من الامور الموجبة ، اخذت تبرز اكثر فاكثراً للعيان . اذ « بنسبة ما يتمكن معها الزوج والخلاسيون من تحسين اوضاعهم الاقتصادية وتحسين وسائل التربية والتعليم لديهم ، ترى الطبقة البيضاء المسيطرة ، الخطر يتهدها اكثر فاكثراً » ، كما ان الماضي في عملية التمدين من شأنه ان يوطد الاواصر بين هذه الطبقات ويساعد على توعية الزنجي والهندي على الوضع الزري الذي يحتله في السلم الاجتماعي . لم تصل البلاد بعد الى التمييز العنصري في المدرسة او في الحياة العامة كما انها لم تصل بعد الى حظر عقود الزواج المختلط . ومسألة اللون ليست بعد من هذه القضايا التي تقيم الولايات المتحدة وتقعدها ، مع العلم ان « اللون الضارب الى السمرة يؤلف عائلاً او حائلاً دون الترقى في السلم الاجتماعي » ، واخذت تظهر في البلاد اجراءات تمييزية الامر الذي حمل مجلس الكونغرس في البرازيل على اصدار تشريع خاص يعتبر مثل هذا التصرف من الجنح . وهكذا نرى ان فارق او عامل المنصر اخذ يزداد شأنًا ويتخذ اهمية في المجال الاجتماعي ، في الوقت الذي اخذ التوتر بين مختلف الفئات واجراءات التمييز العنصري تهدد بالاستعداد والاحتدام .

مشكلة الهنود الحمر مشكلة طرحتها على بساط البحث منذ او اخر
الحركة الوطنية
القرن التاسع عشر ، الحركة الهندية التي سجلت نجاحاتها الكبرى
الاولى في المكسيك والتي كان روادها الاوائل من البيرو . فقد راح مانويل غونزالس برادا يرفع عقيرته احتجاجاً ، بالشعر نارة والنثر طوراً ، ضد الاضطهاد الذي يتعرض لها الهندي الأحمر . ثم آلت حركة الدفاع عن الهنود الى الزعيم هايا دي لاتوربه ، المؤسس الحقيقي لحزب Apriste الذي تختصر حروفه ، الاسم الذي عرف به وهو : الاتحاد الشعبي للثورة الاميركية ، والذي وضع نصب عينيه العمل على توحيد الفلاحين ورجال الفكر والعمال حول برنامج سياسي جاء مزيجاً من الاشتراكية الزراعية والروح القومية الهندية الاميركية ، وعمل على نشر الحزب والترويج له : سيرو اليغريا ، والشاعر خوسيه سنتوس كوكانو ، والفيلسوف خوسيه كارلوس مارياتيغي الذي اسس عام ١٩٢٨ ، الحزب الشيوعي في البيرو ، وفريق من علماء السلالات البشرية والمؤرخين . ونحت تأثير هذا الفريق من الدعاة والانصار ، لم تلبث الحركة الهندية التي اقتصر في بدء امرها على حركة من سكان البلاد الاصليين ، ان تحولت الى حركة اصلاحية كبرى تناضل في سبيل تحسين اوضاع البؤس والشقاء والجهل التي تتسكع فيها جماهير الشعب الهندي . وقد تباينت الحركة اصالة وعقلنة بتباين المناطق والاقاليم المختلفة . فقد برزت حيناً

كحركة حضارية ، واحياناً كحركة سياسية ، مناهضة لاوروبا وللرأسمالية . وقد حققت لها شعبية كبرى في كل من البيرو والمكسيك والاكوادور وبوليفيا . وراحت تلوح بوجه الاستعمار الاسباني الذي جردته من كل قيمة وبوجه الحضارة الاوروبية بالصفات السامية التي تطبع الحضارات الوطنية ، كما افسحت في برنامجها ، مجالاً واسعاً ، لبعث الحضارات الوطنية التي سبقت مجيء كولمبوس ، واقتباس الوسائل التقنية والعلمية التي توفرها الحضارة الغربية ، بعد تجريدتها تماماً من روحها . فالحركة حركة سلبية في الكثير من مظاهرها ، وكثيراً ما بدت خيالية ، عندما فكرت ببعث المنظمات المجتمعية القديمة (*L'ayllu*) عن طريق الجمعيات الحرفية او المهنية ، والتي راحت تحاول ، انقاذ العرق الهندي من الفناء والاضمحلال الذي يتهدده ، بتحسين مستوى العيش عنده ، وببشر التربية الشعبية بين افرادة ، وتحقيق الوحدة بين كل دول القارة .

كان من بعض نتائج الحرب العالمية الثانية الحد من استيراد المحاصيل الاندفاع نحو التصنيع الصناعية ، ولا سيما المصنوعات الاوروبية ، وبالمقابل نشطت حركة التصدير بالرغم من ندورة وسائل الشحن ، كما انه جرى التوسع في تصدير بعض المحاصيل الأخرى . وقد طلعت في البلاد مصانع جديدة لا بد منها لتأمين المعدات اللازمة للزراعة وللخطوط الحديدية ، ومصانع السكر ، واخرى لصنع الترابية والاسمنت ، ومصانع النسيج والحياكة ، ومصانع الورق والزجاج ، وأطر السيارات والاسمدة لتأمين حاجة البلاد من المواد والاصناف التي توقف استيرادها . وقد انصرف الحلفاء من جهتهم ، ولا سيما الاميركيون ، منذ عام ١٩٤١ ، الى انشاء نظام اقتصادي يؤمن لهم ما كانوا بحاجة اليه . وتأسست عام ١٩٣٩ ، اللجنة الاستشارية المالية والاقتصادية المشتركة بين الدول الاميركية ، كما انشئت ، في كل جمهورية من الجمهوريات الاميركية ، لجان خاصة تعمل على تطوير وتحسين وسائل انتاج الخامات والمواد الأولية : كالطاطم والنحاس ، والفلزات النادرة الوجود مثل : التنغستين والفااديوم والمولبدن والتصدير ، وانشأت معامل جديدة بمؤازرة التسهيلات المالية التي امنها قانون : الائجار والتأجير ومصرف الاستيراد والتصدير والشركة المالية للتعمير .

وهذا الدفع الاقتصادي توليه الحرب جاء حاسماً ويختلف اصلاً عن الدفوع الذي أحدثته الحرب العالمية الاولى ، اذ اقتضت الحركة ، إذ ذاك ، على تأمين الخامات والمواد الاستهلاكية ، بينما استهدف الجهد في هذه المرة ، انشاء صناعات ضخمة ، واعطاء الاقتصاد تركيبياً عصرياً ، ونشطت وسائل الانتاج وتنوعت . واستأثر الامر باهتمام الحكومات كما وقع موقع الرضى من الخاصة الذين أثروا وجمعوا ثروات طائلة ، بفضل هذا النزاع الدامي ، كيف لا يثرون ويكدسون الثروات بعد ان ضاعفوا من صادراتهم وخففوا من استيرادهم ، وتجمع في صناديقهم مقادير هائلة ومبالغ طائلة من القطع والاصفر الرنان ، وظفوا جانباً منها في صناعات جديدة . وبذلك تمكن المكسيك من رفع طاقتها الصناعية ٣٠ ٪ لا سيما في الصناعات النسيجية والكيميائية ،

كما ان البرازيل زاد من طاقته على استثمار موارده الطائلة من الحرير والبوكسيت ، واستطاعت الشركة الوطنية للصناعات الحديدية ان تشيد المجمع الصناعي الضخم في فولتا ريدوندا وزادت من طاقتها الانتاجية في الصناعة ثلاثة اضعاف ، كما زادت اربعة اضعاف من انتاجها للخامات الاولى . والانتاج الصناعي الذي لم يكن ليمثل ، عام ١٩٣٠ سوى عشر الدخل القومي ، اصبح يمثل نصف هذا الدخل عام ١٩٥٥ ، والصناعة القطنية التي انتقلت الى طور التصدير ، اخذت تستثمر القسم الاكبر من محصول القطن في البلاد . وضاعفت جمهورية الأرجنتين بين ١٩٤٠ - ١٩٤٥ ، عدد فباركها الصناعية واخذت حركة التصنيع بعد عام ١٩٤٣ ، بتأثير من الجنرال بيرون ، تعم جميع اطراف البلاد . وقد ارتفع معدل اليد العاملة في الصناعة من ١٢ و ٨ ٪ عام ١٩٣٩ ، الى ما يزيد على ٢٠ ٪ منذ عام ١٩٤٥ . وراحت كولمبيا من جهتها تنشئ ، هي الاخرى ، مجموعة متناسقة من معامل صناعة الحديد ، في باز دل ريو ، بمساعدة رؤوس الاموال والصناعة الفرنسية . ودليل التجارة في الأرجنتين ، ارتفع من ١٠٠ عام ١٩٣٧ الى ١٦٢ ، عام ١٩٤٧ ، وفي الشيلي الى ١٤٨ ، وفي المكسيك الى ١٤٣ .

٢ - الحياة السياسية

ان التركيب الاجتماعي المناهض اصلاً للنظام الديمقراطي ،
عدم الاستقرار السياسي والتفاوت العظيم بين اوضاع البلاد ، وعدم توفر طبقة متوسطة كبيرة العدد ، والبؤس الذي تتسكع فيه الجماهير البدائية التي لا تزال ترسف في دياجير الجهل ، كل ذلك وما اليه يساعد على تكوين حالة من عدم الاستقرار السياسي في البلاد ، كما يساعد على تغفل النفوذ الاجنبي وتسربه اليها . فبالرغم من اقرار مبدأ الاقتراع العام ، فالنظام المعمول به هو قيام حكومات من الاقلية بين اصحاب الاملاك . وكثيراً ما أدى انقسام هذه الاقلية وانشقاقها على نفسها الى حدوث ازمات سياسية كان يوضع حداً لها قيام دكتاتوريات عابرة . والنزعات الاقليمية حتى وهذه الخصومات التي كان يزيد من حدتها قلة طرق المواصلات ، وتفاوت كثافة السكان واختلاف التطور الاقتصادي بين مقاطعات واقاليم الدولة الواحدة ولدت فيها نزعات انفصالية هددت الدولة بالانحلال والزوال . وكثيراً ما كان الدكتاتور يعتمد في بقاء نظامه ، على الجيش والبوليس ، ولذا كانت سلطته دوماً سلطة مزعزعة يتهددها الخطر باستمرار ، مصيرها متوقف دوماً على هذه الاقليات وعلى المصالح الاجنبية تؤثر عليها المظاهرات غير المنتظمة التي تقوم بها الجماهير المحتاجة ، التي لم تكن تتحرك دوماً من تلقاء ذاتها وبصورة مستقلة ، بل بدافع وبتحريض من الطبقات الجديدة المتوسطة الناشطة والمفامرة ، هذه الطبقات التي ظهرت للوجود ، مع التطور الذي خضعت له المدن وحركة العصرية التي اخذت بأسبابها . ولذا تكررت الازمات في البلاد وكثيراً ما أخذ بعضها برقاب البعض تعبيراً عن توق الجماهير

الى تحقيق التوازن بين التركيب الاقتصادي والاجتماعي الجديد وبين الوضع الاقتصادي القائم من قبل . فالمجتمع القديم الذي يشد من ازره المصالح الاجنبية في البلاد يحاول - واحياناً بالاجواء - اذا ما اقتضت الحاجة ، لدكتاتورية من الطراز التقليدي المعروف - ان تحتفظ او ان تعيد الى الوجود ، انظمة و دساتير تخفي وراء ستار مزعوم من الحرية والليبرالية ، كيانا اجتماعياً مناهضاً للديموقراطية وفي وجه حكومة من الاعيان او في وجه نظام ديموقراطي تمثيلي مسخته عملية مزدوجة من التزوير والمصانعة وقعت فريسة لها ، هذه الجماهير الفقيرة الجاهلة . تحاول الطبقات المتوسطة ، ولو بأساليب غير شرعية ولا قانونية كاتقلابات عسكرية او دكتاتوريات شخصية ، ان تقيم في البلاد حكومات تولي المزيد من اهتمامها مصالح الطبقات الشعبية والدفاع عن استقلال البلاد . والى جانب دكتاتوريات محافظة ترعى مصالح الاميركيين ، كثيراً ما وقعت دكتاتوريات تأخذ على نفسها تأديب العناصر المعادية لواشنطن ، بعد ان تكون هذه الطريقة الاسلوب الوحيد لتعطيم سلطة النبلاء ولتفادي لعبة الاكثية المزورة التي تصانع الماضي وتبسم له .

وهكذا نرى ان الاوضاع والظروف التي تكتنف النشاط السيامي في هذه البلدان لم تكن لتساعد على توطيد وترسيخ الافكار الاقتصادية فيها . فالحياة السياسية تبقى فيها وقفاً على اقلية ناشطة متحركة بينما تبقى جماهير الشعب قابعة في سلبية سادرة . فأينما أجعلنا النظر نرى مستوى العيش متدنياً للغاية كما ان مستوى الفكر يتردى في حالة مزرية ، فالمجتمع المديني الجديد يفتقر للكثرة والعدد ، ولا يزال مشتبكاً ليلعب الدور الرئيسي الذي يلعبه في الغرب . فالأممية تسيطر في كل مكان باستثناء الأرجنتين التي تعرف اقل نسبة من الاميين ، ١٠ بالمائة ، اما النسبة في غير هذه الدولة فتبقى عالية جداً : ٩٢ بالمائة في هايتي ، و ٧٩ بالمائة في سلفادور ، و ٧٠ بالمائة في نيكاراغوى ، و ٦٧ بالمائة في غواتيمالا وفي جمهورية الدومنيك ، وأعلى من ٥٧ بالمائة في البرازيل ، و ٥٠ بالمائة في المكسيك ، و ٤٨ بالمائة في هوندوراس ، و ٤٠ بالمائة في كوبا ، و ٣٥ بالمائة في بناما ... ولذا كانت المساهمة بنشاط البلاد السياسي ضعيفة اما لأن الاميين هم مستثنون من حق الاقتراع واما زهداً وعدم اكتراث . ففي المكسيك ٥ ملايين ناخب من اصل ٢٨ مليون نسمة ، وفي البرازيل كان عام ١٩٦٠ عدد الذين يتمتعون بحق الاقتراع ١٦ ٠٠٠ ٠٠٠ من اصل ٣١ مليون هم في سن الاقتراع ، بينما يشترك بعملية الاقتراع فعلاً منهم ٨ ٢٥٢ ٠٠٠ لا غير ، اي اقل من ١٧ ٪ من مجموع السكان . وفي الشيلي كان عدد من يتمتعون بحق الاقتراع ٥٩٢ ٠٠٠ عام ١٩٤٩ من بين ٥ ٧٦٥ ٠٠٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٧ ، اشترك في عملية الاقتراع ٣٥ بالمائة من الرجال و ٩ بالمائة من النساء . وفي بوليفيا ، جرى انتخاب الرئيس هرزوخ عام ١٩٤٧ بـ ٤٠ ٠٠٠ صوت لا غير ، كما ان عدد البوليفيين الذي كانوا يتمتعون بالمواطنة الكاملة ، لم يزد عام ١٩٥١ ، على ١٥٠ ٠٠٠ .

عندما انفجرت الازمة الاقتصادية ، كان الوضع الاقتصادي في
 في دول اميركا اللاتينية من التبعية للدول الكبرى والارتباط
 بها بحيث كان لا بد له من ان يتأثر عميقاً بالازمة ونتائجها الموهنة
 الامر الذي جلب عليها انهيار العملة الوطنية . وأدى الى هبوط ذريع في اسعار المواد الزراعية .
 والمواد الغذائية (كالحبوب والبن والماشية) والمواد المعدنية التي سببت هبوطاً ذريعاً في التجارة
 الخارجية . كما احدث قلقاً وتشويشاً في موازنة هذه البلدان انخفاض الاستثمارات الاستخراجية
 العائدة للشركات الاجنبية او توقفها . واستتبع هذا الوضع ، اتخاذ اجراءات عدة منها مراقبة
 النقد ، والتوقف عن دفع فوائد الديون فاهيك عن موجة جديدة من البؤس والشقاء وفقدان
 المنتوجات الصناعية المستوردة من الخارج . واذ ذاك ، اخذت الحكومة تبحث عن وسيلة
 تؤمن التوازن في المجال الزراعي ، وذلك بفرض تنويع طبيعة المحاصيل الزراعية ، فعمدت
 الحكومة في الأرجنتين الى الاكثار من زراعة النباتات الزيتية والكرمة والاشجار المثمرة
 كما عمدت البرازيل على تشجيع زراعة القطن بعد ان تعذر على رجال الصناعة تأمين العملات
 الصعبة لشرائه من الخارج . ولم تلبث هذه البلدان ان تبينت ما هو عليه نظامها من وضع حرج
 سريع العطب ، وشدة تبعيتها وارتباطها بالخارج . ان تخلف المشتريين الاميركيين والاوروبيين
 لمنتوجاتهم ايقظ فيهم روحاً قومية اقتصادية كما اثار نقمة الشعب ضد الطبقات الموجهة التي
 كثيراً ما تتواطأ مع الرأسمال الاجنبي . ووقع اذ ذاك « جائحة من الثورات والانقلابات » ،
 جاء بعضها بوحى من الانظمة الفاشية ، في هذه البلدان التي تكثر فيها عناصر الهجرة الايطالية
 والالمانية ، حيث تلقى قادة الحرب وكبار ضباط الجيش تدريبهم العسكري في المانيا ، وحيث
 يشتد ويظهر نفوذ اسبانيا الجنرال فرنكو .

ففي كوبا حيث جيراردو ميشادو سيد هذه الجزيرة غير المنازع منذ عام ١٩٢١ ، هوى الى
 الحضيض ، عام ١٩٣١ ، تعاقب على رئاسة البلاد ستة رؤساء خلال ٢٢ شهراً ، وتمكن الكولونيل
 باتيستا من إقامة دكتاتورية على غرار دكتاتورية موسوليني ، وفي البيرو ، سقط حكم الرئيس
 ليفويا عام ١٩٣٠ ، على يد الكولونيل تشيرو . وسيلس الذي سيطر على بوليفيا منذ عام ١٩٢٦ ،
 خر صريعاً تحت ضربات الكولونيل قورو الذي لم يلبث ان اخلى محله لبوش . وفي فنزويلا
 غوميز ، وفي هايتي الجنرال تراخولو ، وفي غواتيمالا أوبيكو ، وفي هوندوراس كارياس ، وفي
 سلفادور مارتينيز ، انشأوا حكماً دكتاتورياً في بلادهم . وفي الاكوادور تعاقب على اريكة
 الرئاسة ١١ رئيساً بين ١٩٣١ و ١٩٣٩ ، وفي الأرجنتين عاد المحافظون الى الحكم بفضل الانقلاب
 الذي قام به الجنرال اوريبيورا ، وفي الاوريفواي قامت دكتاتورية دي ترا التي زادها احتداما
 وغتفا وصول الجنرال بلدومير الى الحكم ، وفي البراغواي ، قامت الدكتاتورية على يد الكولونيل
 فرنكو الذي لم يلبث ان خلعه عن الحكم الجنرال استيفاريسا ، عام ١٩٣٩ ، وايبانيز في الشيلي
 طرد من الحكم عام ١٩٣١ ، ليتمتع على كرسي الحكم ، من بعده ثمانية رؤساء في عشر

سنوات ، وبعد المناداة بجمهورية اشتراكية استمرت ١٢ يوماً ، عاد الى استسلام الحكم الرئيس القديم أيسلندرو ، بعد ان تحالف مع حزب المحافظين ، الى ان امنت انتخابات سنة ١٩٣٨ ، فوز الجبهة الشعبية التي وضعت للبلاد تشريعاً اشتراكياً كان من اكثر التشريعات تقدمية في العالم اجمع ، اذ نص على حد ادنى للاجور وعلى معاش تقاعدي لمن هم في سن الشيخوخة ، والبطالة ، والضمان ضد حوادث العمل ، والتعويضات العائلية .

ففي كل اميركا اللاتينية ، كان يوجد عام ١٩٣٩ ، اربع جمهوريات لا غير تتمتع بنظام ديموقراطي ثابت : الشيلي التي تخضع لحكومة إئتلافية برئاسة الجبهة الشعبية ، والمكسيك حيث اوشك الرئيس كارديناس بلوغ نهاية ولايته ، وكوستاريكا وكولمبيا التي تقوم عليهما حكومة محافظة بالاشتراك مع الاحرار . أما في ما عدا ذلك ، فدكتاتوريات مستترة .

واستفحل عدم الاستقرار في هذه البلدان ، خلال الحرب العالمية الثانية والفترة التي تلت الحرب مباشرة . فالبنين الحياة السياسية وارضاعها الجديدة الاقتصادية في كل من هذه الجمهوريات ، ارتكز أصلاً على تصدير صنف ار صنفين من انتاجها للخارج ، وبذلك ارتبطت حياتها السياسية وتبعيتها بالمشتريين في الخارج : فاذا ما تأخروا أو تلكأوا - وهو امر بيد الزبون الرئيسي اي بيد الولايات المتحدة - هبطت الاسعار وكشرت المجاعة عن أنيابها ولاح في الافق شبح التضخم النقدي . وبعبارة اخرى ، شبح الفوضى وسقوط الحكومة .

وهكذا يبدو ، كما يلاحظ جاك لمبرت ، ان التخلف الاقتصادي الذي تتسكع فيه دول هذه القارة ، وبرز طبقات اجتماعية جديدة في حياة البلاد السياسية مما وراء عدم استقرار الاوضاع في هذه البلدان . فالنقص العددي وانتفاء التجانس بين الطبقات الوسطى والطبقة العمالية ، جعل واهياً كل تحالف تمقدهانه لهذا التناقض بين رغبات كلا الجانبين في مجال التصنيع وعجزهما عن تحقيق شيء من هذا كله دون اللجوء الى رؤوس اموال اجنبية ، التي لا يمكن ان تأتي الا من بلدان اميركا الشمالية ودولها على اساس ضمانات اقتصادية وسياسية لا يمكن ان يرضى بها او يستأنس لها الوطنيون في هذه البلاد . ومن جهة اخرى ، فالنفوذ العظيم الذي حققته الطبقة العاملة وضعف امكاناتها الشرائية زاد من مطالبتها كما زاد من صلابتها . فالقطيعة تأتي سريعاً عندما يجري قمع الاضطرابات العمالية وكبح الاضرابات والحد منها ، وبذلك تمهد الطريق امام المناضلين عن البنين التقليدي ، لاستلام الحكم في البلاد او للوقوف في وجهه اي محاولة اصلاحية فيها ، فهياج الطلاب ومشاغباتهم التي لا ينكر احد اهميتها في الحياة السياسية ، تبقى عديمة الاثر ، ولا طائل تحتها . وبالفعل ، فالطلاب الذين ينتمي معظمهم ، هنا او في الشرق الادنى او في اقطار آسيا الشرقية ، الى الطبقة البورجوازية الصغرى ، والذي يفتح التعليم الجامعي امامهم امكانات الرقي والتطور في السلم الاجتماعي ، في مجتمع اساسه التسلسل ،

هم التعبير البليغ والعنيف لهذه القومية التي لا تصانع ولهذا الصراع ضد النخبية التقليدية في البلاد .

دور الجيش
ومن العوامل الاساسية في الحياة السياسية ، في هذه البلدان ، الجيش .
والجديد هنا ليس في تدخل الجيش في الامور السياسية وهو تدخل حصل باستمرار منذ ان نالت هذه البلدان استقلالها الناجز ، بل الجديد هو في هذا الطابع الذي اخذ يطبع تدخل الجيش منذ مطلع القرن العشرين . فالجيش في هذه الجمهورية هو جيش محترف ، وصفار الضباط فيه اخذ يقل انتسابهم الى الارستوقراطية العقارية (باستثناء البحرية) . فهم من ابناء رجال الادارة والصناعة والتجار الذين يرون في البزة العسكرية علامة من علامات التصعيد الاجتماعي . وقد تلقوا في الاكاديميات الحربية التي خرجتهم تدريباً تقنياً يشعرون عميقاً بنبذ دورته في بلدان اميركا اللاتينية . ولما كانوا على شيء محترم من الثقافة ، وأعدوا حياة زاخرة بالنشاط مع انها اقتصرت بالفعل على شبه عطالة لخلو اوضاع البلاد من مشاكل الدفاع ، أو على القيام بأعمال ، كالمحافظة على النظام ، فهم يتوقعون من كل جوارحهم الى تصنيع الاقتصاد والى تأمين استقلالها والمحافظة عليه ، فيشقى عليهم ويشعرون بشيء من الحزني والعار من جراء مساعدة الولايات المتحدة المالية ومن تدخلها في شؤونهم السياسية . فهم يكتنون العداوة لهذه الاوليفارشية القديمة وهذه الدكتاتوريات من الجنس البالي التي طالما ساندتها اسلافهم ووقفوا الى جانبها ، بعد ان عرف عنها مآلاتها المصالح المالية الاجنبية وسياسة الاجنبي في البلاد ، ولذا نراهم يحبذون اي اصلاح اجتماعي يعود بالخير واليمن على الطبقات الوسطى والسفلى معاً .

وهكذا يتدخل الجيش في الازمات الاجتماعية والاقتصادية التي تنزل بالبلاد ، بصفته عاملاً من عوامل النظام والانضباط ، او عندما تبرهن مؤسسات الدولة عن عجزها التام وقصورها ، فيصبح الجيش الحكم الفصل في الحياة السياسية . ليس من طائل قط في بحث هذه التدخلات والتفصيل المسهب في قضاياها . فبينما كان في القارة عام ١٩٢٨ ، ست جمهوريات تخضع لنظام عسكري من اصل ٢٠ جمهورية ، فقد ارتفع هذا العدد الى عشرين عام ١٩٣٩ والى ١٣ عام ١٩٦٤ . وبين ١٩٣٠ - ١٩٥٧ ، تولى ٥٦ عسكرياً رئاسة الدولة في مختلف جمهوريات اميركا اللاتينية ، استمر ١١ منهم في الحكم لاكثر من سنة . وهذا التدخل لم يجر دوماً لصالح الجاه معين او نزعة محددة ، فقد استجاب الجيش ، نارة لنداء جاءه من الطبقات الممتازة لتأمين استمرار الوضع القائم (في الأرجنتين عام ١٩٣٠ ، وفي البيرو ، عام ١٩٤٨) وطوراً لمساندة ثورة معينة (في فنزويلا ، عام ١٩٤٥) وآونة كحكم للفصل في نزاع لا نهاية له بين حزبين : بين الاحرار والمحافظين في كولمبيا ، (عام ١٩٥٢) .

ومع ذلك فهذا التدخل له طابعان متناقضان . هناك ، ولا شك ، طابع إصلاحي ، يرمي

إلى عصنة البلاد ، يعطف على تأمين مساواة اجتماعية أكبر ، وتأمين أكبر قدر من التقدم المادي ، وهكذا يمكن ان نجعل في عداد الخدمات التي أدى اليها تدخل الجيش وضع حد لحكم استبدادي ظالم (فرغاس - بيرون) . الا ان هنالك طابعاً آخر يتسم بالسلبية ، عندما تظهر محدودية هذه الرغبات التقدمية حتى في هذه الحالات بالذات التي تمت فيها محاولات اصلاح وعصنة للبلاد ، فالجيش يبقى دوماً فوق القانون ويشكل دولة في الدولة ويولي نفسه حق التدخل لالغاء نتائج الانتخابات مثلاً ، او لفرض اصلاحات مالية او لزيادة الاعتمادات الحربية . والغالب ، بعد كل هذا ولا سيما بعد ١٩٣٠ ، هو ان صفار الضباط الذين يتطلعون الى الشهرة ، ينزعون دوماً ليس للوقوف الى جانب النظم الدكتاتورية والقوى المحبذة للركود الاجتماعي فحسب ، بل ايضاً ، الى جانب الولايات المتحدة الاميركية « المدافعة عن العالم الحر » والتي تجود بمساعدات حربية سخية . فالجيش يكبح التطور الاجتماعي اكثر من ان ينشطه . فهو يعمل عادة في اتجاه الاصلاح ، انما يقف مكتوف اليدين امام تغيير أو مسّ الارضاع الزراعية التي هي محور كل الارضاع . ومهما يكن ، لا بد من ان نلاحظ هنا ان البلدان الثلاثة التي امكن فيها تحقيق اصلاح زراعي (المكسيك منذ عام ١٩١٤ ، وبوليفيا منذ ١٩٥٢ ، وكوبا منذ ١٩٥٩ - ١٩٦١) ، هي هذه البلدان بالذات التي جاء الجيش بضباطه النابعين من الطبقة الوسطى او الطبقة العليا ، جرى الفاؤها بصورة جذرية من قبل ثورة شعبية .

وهكذا فعدم التوازن القائم بين الطبقات ، والسرعة التي يتم الحياة السياسية منذ عام ١٩٤٠ فيها التطور الاجتماعي ، هما من القوة والعنف بحيث ان بقاء استمرار القوى الاقطاعية القديمة امام تطور البورجوازية والبروليتاريا يجعل من المستحيل تحقيق « اصلاحات ثورية جذرية مستعجلة » .

ومثل هذا الوضع يتوفر في البلدان الآخذة بالتطور حيث تستدعي الحاجة غالباً الى سلطات استثنائية . غير ان تاريخ اميركا اللاتينية المضطربة بدلنا بصورة نهائية انه بقطع النظر عن بعض الدول الصغيرة فيها ذات التركيب الاجتماعي البالي والتي تعيش باستمرار تحت نظام دكتاتوري وحيث « تحول الوضع فيها الى نظام كيفي ظالم » ، فالنظام الدكتاتوري ليس سوى أسلوب سياسي لا يلجأ اليه الا في الازمات الاقتصادية الحادة . فالسواد الاعظم من الدول اللاتينية يحتضن نظاماً رئاسياً تشيل فيه سلطة الرئيس مستوحى من نظام الولايات المتحدة ، انما يختلف معه اختلافاً بيناً في الروح ، إذ تنقصه عادة الهيئات القائمة في هذه الولايات والتي تؤمن التوازن في سلطات الرئيس . فالمجالس والهيئات البرلمانية ، كما يلاحظ جاك لمبرت بحق ، لا تلعب سوى دور مغمور وتبقى سلطات الرئيس عملياً دوناً رقيب او حسيب ، لا حدود لمداها الا بانتهاك ولايته الذي يضع حداً لسلطاته الكيفية .

ففي السنوات الاولى من الحرب ، نرى الحكومات « تجمع » في سلطاتها ، ثم يأخذ الجليد بالدوبان بعد عام ١٩٤٣ ، عندما أخذ يشتد نفوذ الطبقة المتوسطة : ففي حزيران تنشب في

الارجنتين ثورة الزعماء الموالية للنازية ؛ وفي بوليفيا ، يقوم في كانون الأول قدماء المحاربين في حرب تشاكو الى جانب فاشيين يساعدهم مدنيون من « الحركة الوطنية الثورية » بقيادة بار أستنسورو ، باعلان دستورية لم تعمّر قط ، من برنامجها تأميم الخطوط الحديدية في البلاد ، والكهرباء ، والدخول في صراع مع فئة كبار الملاكين لمناجم القصدير . وفي ايار ١٩٤٤ ، نشبت في جمهورية الاكوادور ثورة حملت الى كرسي الرئاسة فيلاسكو ايبارا الذي وضع مشروع دستور جديد للبلاد ، وضاعف ٥٠ بالمائة عدد العمال الزراعيين الذين يعملون في المزارعات الكبيرة ، كما يقوم بمحاولة اصلاح زراعي ، ويقرر الضمان الاجتماعي والزامي وخطط لاصلاح زراعي مع تمثيل العمال في المجلس النيابي ، وفي عام ١٩٤٥ ، قام البيرو بانقلاب ابيض تسلمت معه الجبهة الديمقراطية التي يرئسها مؤسس الحزب A. P. R. A. الذي غير اسمه في السنة التالية وعرف باسم حزب الشعب ، يستلم دفعة الحكم ، على شاكلة الاشتراكي رومولو بيتانكور في فنزويلا . وفي عام ١٩٤٦ ، يعهد الرئيس فيدلا بثلاث وزارات الى الشيوعيين بينهم وزارة الزراعة .

واشتد الضغط الاميركي كما اشتدت الحاجة الى رؤوس اموال لا مندوحة عنها وقد أدى انهزام دول المحور الى سقوط عدد من الحكومات في البلدان الاميركية الجنوبية : في غواتيمالا وفنزويلا والبرازيل وبوليفيا . وقد تجاهلت الحكومة في فنزويلا مشروعات التأميم ، كما لم تلبث حكومة الشيلي ان حلت الحزب الشيوعي واعلنته غير شرعي ، وجرى قلب استنسورو في بوليفيا ، كما ان المكسيك تخلت تدريجياً بعد انتخاب كاماكو للرئاسة عام ١٩٤٠ ، عن السياسة الاصلاحية التي تمشى عليها الرئيس كارديناس ، أقرت سياسة عدم التأميم اجتذاباً لرؤوس الأموال الاجنبية . وفي عام ١٩٤٦ ، تحول « الحزب الشيوعي المكسيكاني » بعد ان تجرد من كل نزعة ثورية الى « الحزب الدستوري الثوري » ، واستمر الرئيس ألتمان في سياسة حسن العلاقات مع الولايات المتحدة والتقرب من الكنيسة .

ووقعت انقلابات دبرها كبار الملاكين العقاريين بمساعدة الجنرال اودريا في البيرو والباراغواي وفنزويلا حيث حل الجنرال شلبو محل بيتانكور . وظهرت ردود فعل ومقاومة قوية ، في الاكوادور اعرب الرئيس الذي تم انتخابه عام ١٩٤٨ عن رغبته القيام باصلاحات تكون في صالح الهنود الحمر ، وصمد بنجاح في وجه عدة محاولات للاطاحة به ؛ وفي بناما جرى عام ١٩٥١ قلب الحكومة التي تمثل « الحزب الثوري الاصيل » المعروفة بعدائها الشديد لاميركا ، وفي بوليفيا قام فريق بمحاولة الانتخابات التي أمنت اكثرية في المجلس التمثيلي لباز استنسورو ، الذي تغلب على المحاولة وقام بثورة فعلية كان من بعض اهدافها : تأميم مناجم القصدير وتوسيع التعميم وتطويره ، والاصلاح الزراعي الذين بوشر به عام ١٩٥٣ وهدف للقضاء على وضع الاراضي الزراعية الواسعة التي لا تستثمر او انها تستثمر بشكل لا يفي بالغرض . وفي غواتيمالا ، قام الكولونيل اربنز ، عام ١٩٥٢ ، باصلاح زراعي من اهدافه توزيع المزارع الضخمة ، منها مزرعة تخص شركة الفاكهة الاميركية مساحتها ٨٣٠٠ هكتار وهي شركة تملك ١/١٠ مساحة

البلاد . وتسجل الاحزاب الاصلاحية نجاحات باهرة منها الحزب الزراعي العمالي الذي يرأسه الجنرال ايبانيز في الشيلي عام ١٩٥٢ ، وانتخاب الرئيس فيغوراس ، رئيساً لكوستاريكا ، ١٩٥٣ . وليس بغريب قط ان تصمد المصالح المهددة في وجه هذه المحاولات وتدافع عن نفسها . ففي عام ١٩٥٤ ، قامت بعض عصابات من المهاجرين ، مزودة بالاسلحة اللازمة وبطائرات مقاتلة اميركية بمهاجمة غواتيمالا بينما فرض الاميركيون حصاراً على مرافئ البلاد لمنع وصول الاسلحة التي اوصت عليها الحكومة . وقد ارغم اربنز على التخلي عن الحكم كما ان خلفه ألغى الاصلاح الزراعي الذي كان بوشربه . وفي سنة ١٩٥٥ ، جاء دور الرئيس فيغوراس الذي ضاعف الضريبة المفروضة على الشركة الاميركية للفاكهة . وجرى اسقاطه من الحكم على يد « جيش التحرير » تم تدريبه في نيكاراغوي وزود بقاذفات اميركية ... فأصحاب هذه المصالح القوية ينجحون في قلب الاوضاع القائمة في اكبر دولتين بين دول اميركا اللاتينية : ارجنتين بيرون ، وبرازيل فرغاس .

فالشيعوية المخطورة تقريباً في كل مكان ، باستثناء بعض فترات
دور الاحزاب الشيوعية قصيرة ، هي دوماً عرضة لمطاردة الحكومات ومحاربتها . ومع ذلك فليس من ينكر او يشك بالنفوذ القوي الذي تتمتع به في الحفاء وان كان من الصعب تقييمه على وجهه الصحيح . ففي سنة ١٩٥٥ جرى الغاء الحزب وحظره في ١٣ بلداً ، وسمح له بالبقاء والعمل ضمن تقييدات شديدة في خمس منها ، واطلقت له الحرية التامة في بوليفيا وحدها . فهو يجتذب بعض كبار المفكرين اليه امثال كارلوس برستس رئيس الحزب الشيوعي البرازيلي وهو ضابط كبير وكاتب معروف ، والشاعر الكوبي غوبليان ، والشاعر الشيلي بابلو نرودا ، ويرسخ بشكل قوي في البلدان التي تقوم فيها صناعات حديثة ويعتمد فيها على الطبقة المالية وينشط للعمل بين النقابات ، وفي البرازيل حيث قال الحزب في انتخابات عام ١٩٤٥ ، اكثر من ٥٧٠ .٠٠٠ صوت ، يأتي الحزب في المرتبة الرابعة بين الاحزاب ، كما يبدو نشاطه في كل من المكسيك ، والشيلي حيث آزر ايبانيز على انتخابه رئيساً ، وكوبا وغواتيمالا . فليس في مقدوره ان يلعب بعد ، دوراً حاسماً في اي من هذه الاقطار ، ويراى جانبه في كل مكان لمؤازرته قيام الدكتاتوريات التي يعتمد برنامجا اصلاحياً وتعمل على مناهضة النفوذ الاميركي . الا ان انتصار الكاسترية في كوبا الذي الهب عداء العناصر المحافظة في هذه الجمهورية بدّل كثيراً من اوضاع نشاطه وظروف عمله .

٣ - الصراع في سبيل الاستقلال

بالرغم من الازدهار الاقتصادي الذي عرفته خلال الحرب ،
التبعية الاقتصادية والمالية
ومن دفع قسم من ديونها للدول الأوروبية الدائنة بقيت دول
اميركا اللاتينية تعاني من تبعيتها وتربطها . فقد بقيت ، مدة طويلة مسرحاً لصراع عنيف

أحتدم بين رجال المال البريطانيين وبين الممولين الأميركيين ، وهو صراع شالت كفته لصالح الفريق الأخير منذ عام ١٩٢٨ . ففي هذا التاريخ بالذات بلغت رؤوس الاموال البريطانية الموظفة في هذه الاقطار ، ١٢٠٠ مليون ليرة انكليزية ، منها ٢/٣ هذا المبلغ قدمت قروضاً للدولة ولشبكة الخطوط الحديدية في حين انطلقت حركة الانكماش من بيع بعض المصالح العامة لفرقاء يشرف عليهم ممولون اميركيون . ومنذ ذلك التاريخ ، وبالرغم من محافظة الدول الأوروبية على مراكزها القوية في كل من الأرجنتين والبرازيل والمكسيك والشيلى ، فرؤوس الاموال الأميركية ، اخذت تبرز بشدة وتحاول السيطرة جلياً : فهي تمثل ٢٠ ٪ من ديون البرازيل الخارجية . والمال الأميركي يوظف في مشاريع استثمار المناجم والصناعة والمزروعات الواسعة النطاق ، كما انها توزع سلفات لبعض الزعماء ، وتعمل على توثيق ارتباطها مع بعض الاقليات المسيطرة على السلطة في البلاد . وفي الوقت ذاته ، زادت حصة الولايات المتحدة في تجارة هذه البلدان مع الخارج بصورة محسوسة (فبلغت ٣٨ ٪ من مجموع استيراد الدول اللاتينية لقاء ١٥ ٪ منها لانكلترا) .

والضائقة المالية الكبرى والحرب العالمية الثانية اللتان عملتا كثيراً على التخفيف من روابط هذه الدول الاقتصادية بأوروبا ، لم تخففا قط من تبعيةها وارتباطها بالخارج . وعلى عكس ذلك تماماً ، فقد ادت الحرب الى توثيق قبضة الولايات المتحدة . وهذه القبضة تبرز على الاخص في المجال الاقتصادي : فالمبادلات مع الولايات المتحدة هي اقوى من اي وقت مضى اذ ارتفعت الواردات من ٣٢ ٪ والصادرات من ٣٨ ٪ ، عام ١٩٣٨ ، الى ٥٥ بالمائة و ٥٨ بالمائة عام ١٩٥٢ ، وفي المكسيك ٩٠ بالمائة من الواردات و ٧٥ بالمائة من الصادرات ، وفي الشيلى ٤٢ و ٥٣ بالمائة ، وفي البرازيل ٥٨ و ٤٦ بالمائة ، وفي فنزويلا ٥٠ و ٢٥ بالمائة ، وفي كولمبيا ٥٠ و ٦٦ بالمائة وباستثناء الأرجنتين ، الاوريفواي ، تحتل الولايات المتحدة ، المرتبة الاولى في تجارة هذه الدول مع الخارج ، وتمارس نحوها بالفعل سياسة خنق ، (فرنسوا بيرتو) ، والوضع الاقتصادي في كل من هذه الجمهوريات سريع العطب كما هو سريع النيل منه ، اذ بدلاً من ان تعمل على تنويع تجارتها الخارجية ، فهي ترتبط ، اكثر فاكثراً ، بعدد من اصناف الانتاج آخذ بالتناقص ، اسعارها تحدد في الخارج بمعزل عنها في الاسواق العالمية (النترات ، النحاس ، البن ، السكر ، البترول ، القمح ، الصوف) بينها ما يشكو الفائص او التخمة ، بينما يشتد فيها الطلب على المنتوجات الغذائية والمحروقات . ومن جهة اخرى ، فرؤوس الاموال نادرة هي والتوفير ضعيف للغاية والضرائب قليلة المردود اذ ان المواد التي تصيبها الضرائب قليلة ، وفائدة التسليف عالية ٨ بالمائة للقروض التي تقدمها الدولة ، واعلى من ذلك في القروض الخاصة .

ثم ان الولايات المتحدة لا توظف اموالها الا في البلدان التي تسودها ظروف سياسية مؤاثية وتتمتع باستقرار اقتصادي وتطمع بمعاملة عادلة سوية تتيح لها توزيع ارباح عادلة على اصحاب الاسهم ، . فهي لا توظف اموالها في الصناعات التي تسهم في تطوير البلاد الاقتصادي

والاجتماعي ، بل في المجالات التي تنعم بأسواق قريبة مرتجة ، أي في هذه الاقطار التي حقت قسم من سكانها مستوى رفيعاً من العيش اللائق ، وهذا الشرط لا يتوفر كثيراً في بلدان تتسكع في البؤس والشقاء هذه الاقطار الواقعة في قلب منطقة جبال الاندس او في اميركا الوسطى حيث تشتد الحاجة الى مثل هذه الاستثمارات .

وهكذا نرى ان رؤوس الاموال الاميركية حلت محل رؤوس الاموال الاوروبية . فمنذ ١٩٤٣ ، ان نصف استثمارات الولايات المتحدة ، في الخارج ، تتركز على الأرجنتين ، وفنزويلا والشيبي والبرازيل . وبعد عام ١٩٤٥ يرتفع هذا الرقم من ٤٣٠١ مليون دولار الى ما يقرب من ٨ مليارات دولار عام ١٩٥٣ ، تنال ست دول منها ، هي فنزويلا والبرازيل ، والشيبي والارجنتين ، وكولمبيا والبيرو ثلثي هذا المبلغ الضخم ، ويذهب نصف هذا المبلغ للبرازيل وحدها . وهذه الاستثمارات يطلب اليها ، قبل اي شيء آخر ، تأمين المزبد من الخامات والمواد الأولية اللازمة للحرب . وقد حدث بعد الهدنة رأساً هبوط بالاسعار أثار أزمة . وقد وجب ، عام ١٩٥٠ ، العودة الى انتاج المواد الاستراتيجية مما أدى الى ارتفاع الاسعار ، وبعد انتهاء الاعمال الحربية في كوريا ، أدى المخزون من المواد الأولية غير المباعة الى اثار أزمة اخرى في البلاد .

وريع هذه الاستثمارات الجسم الذي يعادل ١١،٢٪ من قيمة رأس المال الاسمي الموظف عام ١٩٤٥ ، و ٢٠،٥٪ من المبالغ الموظفة عام ١٩٥١ ، و ٣٠٪ من الاستثمارات البترولية ، يرسل قسم كبير منه خارج البلاد وقلما يعود اليها للاستثمار فيها ، ولذا يبقى مستوى العيش فيها متدنياً جداً ، لا بل ينخفض معدله بالنسبة للضغط الديموغرافي الناجم عن ازدياد عدد السكان . فمنذ عام ١٩٤٠ ، لم تعد بلدان اميركا الجنوبية سوى دولة واحدة . فهي بحاجة ماسة للعون المالي الاميركي ولا ميركا بالذات كزبون لا بد منه ولا ندحة عنه ليس لتحسين الاوضاع التي يرسفون فيها بل ايضاً منعاً للتدهور الى ما هو اسوأ ، اذ ان عدد السكان يتزايد باسرع من تزايد الانتاج الوطني فيها . ولذا رأت نفسها دوماً بحاجة ماسة لرؤوس أموال أجنبية .

وهذا التغافل الاقتصادي يصحبه إنشاء شبكة واسعة من الخطوط الجوية (كالبيان اميركان والبيان اغرا) ، وخطوط الملاحة البحرية ، وكلها تستدعي وجود فنيين واخصائيين بأعداد تتزايد يوماً بعد يوم ، وإنشاء مؤسسات تعليمية وبعثات دراسية الى الولايات المتحدة يتابعون فيها تحصيلهم الجامعي ، والاكتثار من مكاتب الاستعلامات ومن الجرائد التي تتلقى الوحي والالهام من مصادر اميركية ، واستيراد كميات هائلة من الافلام السينمائية (٨٠٪ من مبيعات هذه الافلام في الخارج) التي من اهداف الترويج لنمط العيش الاميركي في طول البلاد وعرضها .

تمتد سيطرة الولايات المتحدة الى كل اطراف نصف الارض

التبعية السياسية

الغربي . فسياسة العصا والعريض التي رسمها الجمهوريون مع

نيودور روزفلت منذ منتصف القرن العشرين تجاه « اللاتين المنحطين » و « انغال الكلاب » ،

بقيت بخارية المفعول، ومطبعة لاسيا في منطقة البحر الكاريبي حيث اخذت مصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية والاقتصادية تزداد شأناً وخطورة. فالمصالح الكبرى تحرص حرصاً شديداً على قيام حكومات طيعة، سلسلة الانقلابات تتركها وشأنها لتتصرف كما تريد مع انها تلاقى نفوراً وكرهاً لها لدى الشعوب، وعرضة للخطر والتهديد. ولذا توجب مساعدة هذه الحكومات عن طريق القروض التي تنفق على تقوية تشكيلات الجيش والأمن العام او مؤازرتها عند الاقتضاء بالسلاح. والطريقة التي تعتمد عليها الدبلوماسية الاميركية عادة هي الحصول على تنازلات جبركية او في شبكة الخطوط الحديدية وتنازلات عن منافع اخرى متنوعة تأتي على غرار الاساليب والخطط التي ركنت اليها الدول الاوروبية، في توطيد حمايتها على ما تبقى من الدول المستقلة في القارة الافريقية.

ففي منطقة جزر البحر الكاريبي جاء التدخل العسكري في سلسلة متصلة الحلقات. ففي كوبا حيث أرسل عام ١٩٢٠ الجنرال كرودر للفصل في قضايا انتخابية واشترط تحقيق بعض الاصلاحات المالية قبل عقد اي قرض مالي، وفي نيكاراغواي التي جرى احتلالها من سنة ١٩٠٩ الى ١٩٢٩، حيث تتمركز القواعد العسكرية الاميركية في خليج فونساكا، ولن تلبث مصلحة الجمارك والخطوط الحديدية ان وقعت تحت اشراف الاميركيين، وفي هوندوراس التي تضطر للتخلي عن مراقبة جماركها، وفي هايتي، في سان دومينيك بالذات، حيث يتسلم ادارة الشؤون المالية خبراء اميركيون. كما ان الحكومة الوطنية في سان دومينيك تستبدل لمدة اربع سنوات بحكومة عسكرية تحت اشراف البحرية الاميركية، ومنذ عام ١٩٢٣، ما من دولة من دول هذه المنطقة تعقد قرضاً مالياً خارج الولايات المتحدة، وتنهال عليها رؤوس الاموال الاميركية، لاسيما بعد هبوط الاسعار عام ١٩٢٠ وخلال السنوات التي تم فيها الاحتلال العسكري الذي اتاح لهم حيازة عدد كبير من الاراضي. وفي كوبا تملك شركات السكر خمس مساحة الجزيرة و ٦٠٪ من معامل تكرير السكر بينما ٨٠٪ من المعامل الاخرى تعيش على السلفات المالية التي تقدمها لها المصارف الاميركية؛ فالمصارف وشركات التأمين الاميركية، يقيمون بالفعل احتكاراً كاملاً للجزيرة. اما على القارة، فنحن امام «امبراطورية الموز» مملكة الشركة الاميركية الاثمار التي تملك، في سنة ١٩٣٠، مزدروعات شاسعة، لقصب السكر والكاكاو، واسطولاً من ١٠٠ سفينة (الاسطول الابيض الكبير)، وتشرف على ١٦٠٠ ميل من الخطوط الحديدية والخطوط البرقية التي تكون، على الغالب، الوحيدة في هذا البلد الذي تعمل فيه الشركة. وهذه الشركة بما لها من سفن تعمل في نقل الثمار والركاب ومن ارضية واسعة في المراهي، ومن فنادق ومعامل تكرير، ومصانع ضخمة ومن مدن عمالية هي اليوم من أهم الشركات الكبرى في العالم، شبيهة من نواح كثيرة بستاندرد اويل. فهي تشرف مباشرة او بواسطة فروعها العديدة على مساحة ثلاثة ملايين هكتار من المزدروعات (اي ما يزيد على مساحة بلجيكا)، ولها في ولاية كوستاريكا وحدها ١٠٧٠٠ هكتار من الاراضي المزروعة شجر الكاكاو،

و ٧٠٠٠ هكتار من حقول الموز ، ويستغل فرغها في غواتيمالا ، المعروف بشركة غواتيمالا الزراعية ٥٠٠ ٠٠٠ ٥٠٠ قطعة موز من مزرعات للموز مساحتها ١٢١ ٠٠٠ هكتار ، اي من يوازي كل انتاج الجزر الخضراء او كناري . ويعمل في استثمار هذه المزارع جيش من العمال ، يؤتى بهم من سكان جامايكا ومقاطعة الاندلس في اسبانيا وجزر الكناري ومن الهنود الحمر ، والصين . وهي تتحكم بهؤلاء المزارعين المعزولين الذين يضطرون للتعاقد معها بعقود بيع ويتخلون لها عن جميع الارباح التي تجنيها من اعمال التسويق .

فالسكان يبقون عاجزين تماماً في وجه احتكار هذا الانتاج الضخم وهذه التجارة الواسعة بحيث تبقى الحكومات حياها مستكينه ضعيفة ، لا تبدي ولا تعيد امام ما لهذه الشركات من غنى و ثراء وحول وطول ، والتي باستطاعتها ان ترفع الدكتاتوريات وتخفيضها كما تريد ، وان تفسد ضمائر الموظفين ورجال السياسة ، وتلاعب بالمنافسة السياسية وتهدى الانقلابات السياسية والثورات . والترابط الشديد بين مصالح مزارعي الموز والخطوط الحديدية ، وسيلة من وسائل الضغط والاكراه الفعالة ترزح كل من لا يقف الى جانبها . والنشاط الاثاني الذي تبذله هذه الشركة يتعارض كل المعارضة مع مصالح السكان ، اذ انها تعتمد على الزراعة الاحادية اي زراعة المصنف الواحد الذي يؤلف خطراً حقيقياً على اقتصاد هذه البلدان ، وتهمل جانباً قسماً كبيراً من الاراضي الصالحة لاعطاء المواد الغذائية اللازمة . كذلك هي ضد كل اصلاح اجتماعي الذي يقوي جانب العامل ويحرره من ربة هذه الشركة ويجعله اقل طواعية لها .

وهكذا فالولايات المتحدة التي لا تمارس الاستثمار بمذلوله المتعارف ، خلقت في اميركا اللاتينية عميات خفية او مستترة كوضع اليد الكامل على جمهورية سان دومينيك او بمراقبتها الحياة الاقتصادية والمالية للبلاد كما يجري الامر تماماً مع الشركة الاميركية للثمار في غواتيمالا .

وقامت في البلاد حركة تسمى لنزع سيطرة الاجنبي وعيشه بمواردها في سبيل التحرر الوطنية ، حاولت اثراك العمال وابناء الطبقة الوسطى فيها للاسهام معاً في النجاح هذه الحركة . وهذه الجبهة وقفت في وجه الولايات المتحدة والحكومات الوطنية الخاضعة لسيطرتها التي لا تستمر في الحكم الا بدعم منها . واتخذت المعارضة اشكالا مختلفة من المقاومة والصمود وارتدت طابعاً عنيفاً في هذه البلدان التي تم فيها تدخل عسكري : في نيكاراغواي ، اصلي سندينو الايركيين ، سلسلة من المناوشات والحروب دامت اكثر من ست سنوات . وظهر في هايتي وفي سان دومينيك « عصابات » ، منها العصاة التي ألفها الهايتي بيرالت ووجدت تجاوباً في الاوساط الشعبية وشنت سلسلة من الهجمات ضد المحتلين والحكومات المتواطئة معهم ، واضطرت الحكومة لشن حرب فعلية للتغلب عليهم استمرت سنتين . وفي كولمبيا قام العاملون في زراعة الموز بأضرار عنيفة اودى بحياة الف واحد منهم . ان نفور الشعب من هذه الاستملاكات ، والحقد الذي واجهت به كل اميركا اللاتينية الاساليب التي تلجأ

اليها المفارز الاميركية ، اجبر حكومة الرئيسين هاردنغ وكوليدج على تصفية هذه الممتلكات وعلى انتهاج سياسة جديدة من « حسن الجوار » . وهذا النفور من الاميركيين الذي كان تجلى في مؤتمر الجامعة الاميركية في سنتياغو ، عام ١٩٢٣ ، بلغ من العنف في المؤتمر الخامس لهذه الجامعة الذي عقد في هافانا ، عام ١٩٢٨ ، بحيث اضطر وزير خارجية اميركا للتمييز بين « التدخل » *Interpositon* ، و « التدخل » *Intervention* . وعندما أقر مجلس الكونغرس ، عام ١٩٢٩ ، اتفاق كيلوغ الذي ينص على عدم اللجوء للحرب اضطر للتغلي عن الملحق الذي وضعه روزفلت الذي كان ينص على ان للولايات المتحدة ، في نصف الارض الغربي ، سلطة « بوليس دولي » .

ومنذ ذلك الحين اخذت بعض الحكومات تنهج لها سياسة استقلالية جديدة سواء في مجال سياستها الخارجية كالارجنتين مثلا التي عقدت علاقات تجارية مع الاتحاد السوفياتي كما عقدت معاهدات تحالف مع الدول المجاورة لها ، او في مجال سياستها الاقتصادية بإنشائها صناعة وطنية ثقيلة ، وبالحد من مكاسب شركات الاستثمار الاجنبية وارباحها ، عن طريق مشروعات اصلاح الزراعي كزيادة التعويضات التي يتوجب عليها دفعها ورسوم جديدة واجبارها على دفع اجور اكبر للعمال الذين تستخدمهم ، او عن طريق سياسة التأميم التي انتهجتها حكومات المكسيك وبوليفيا وفنزويلا وغواتيمالا وكوستاريكا والبرازيل . وقد اضطرت جميع هذه الدول في نهاية الامر للتقيد بسياسة الولايات المتحدة . فالحاولات التي قامت بها لسن تشريعات عمالية او لوضع خطة لتطوير اقتصادياتها ، دونما نظر الى مصالح الاستثمارات الاجنبية هوجمت بعنف . وقد تمكنت « سياسة حسن الجوار » التي سارت عليها اميركا في الثلاثينيات الى تهدئة الحواطر وازالة سوء الظن في السياسة الاميركية بعد ان كانت لوحت « بالعصا الكبيرة » . وساعدت الحرب في اعقاب ١٩٣٩ ، على تقوية النهج الاميركي الجديد الذي قام على التعاون والتشاور ، مما حمل دول اميركا اللاتينية على الانجاء من الولايات المتحدة للحصول منها على عون اقتصادي ومالي . وقد تغير الوضع بعد وفاة ف. د. روزفلت . وقد امتعضت بعض الجمهوريات في اميركا اللاتينية من المداخلات المكشوفة التي اخذ يقوم بها فريق ممثلي اميركا الدبلوماسيين ، منها مثلا تدخل السفير الاميركي برادن ضد الجنرال بيرون ، في انتخابات عام ١٩٤٦ ، كما ساءها جداً المطالب الملحفة التي تنهال عليها والضغط الذي تتعرض له من قبل هؤلاء الممثلين وفي مجال العلاقات الدولية بين الاميركتين ، رات ان قضية الأمن التي تتذرع بها الولايات المتحدة والتي طالما اثارته في مؤتمر شاولتبيك (١٩٤٥) وفي مؤتمر بوغوتا (١٩٤٨) لا تتعلق بها كثيراً وان تقوية امور الدفاع عن نصف الكرة الغربي تعود بالنفع على الولايات المتحدة بالأكثر . ولذا فقد أبت التسليم بمبدأ مراقبة أدق للعلاقات الدولية التي تنوي وضعه موضع التنفيذ . كما نفرت من الالتزامات الحربية والمالية التي تقنع عليها من جراء هذه السياسة ، وأعربت من جهة ثانية عن امتعاضها الشديد للاعتمادات القليلة التي

يلاحظها مشروع مارشال ، اذا ما قورنت بما يخص من هذه الاعتمادات والمساعدات للبلدان العدو من قبل ، ولكيفية تطبيق النقطة الرابعة . فلم تنل جمهوريات اميركا الوسطى المتخلفة والجمهوريات الاخرى الواقعة في جبال الاندس سوى ١ - ٦ ٪ من مجموع السلفات التي وزعت على العالم وبلدان الشرق الادنى وافريقيا ولا سيما اوروبا الغربية لأسباب سياسية لا تخفى على احد .

ولذا برزت في جميع المجالات ردة فعل عدائية ، ضد السياسة الاميركية ، ففي هذه الآثار الفكرية والادبية التي اخذت تمجد ماضي الهنود التي جاد بها الكاتب البوليفي شيرو اليغريا ، والكاتب الآخر الشيلي غبريل مسترال ، والشاعر بابلو نيرودا اشهر شعراء اميركا في وقتنا هذا ، مع الشاعر البوليفي فلنسيا فيرغا والشاعر دانيال فلكرسيل البوليفي الذين اخذوا ينادون بثورة عارمة تؤمن الاستقلال التام نحو كل نفوذ اجنبي . والكاتب ميكل المجالو استدياس الذي تصف لنا مؤلفاته جهاد المواطنين في غواتيمالا وصراهم الدامي ضد شركات الاحتكار ورجال الاعمال التي يوجهونها الذين يستثمرون دونما شفقة او رحمة سكان هذه البلاد الفقراء (قصة : البابا الاخضر . وعيون سكان القبور) وظهرت هذه المشاعر على الاخص في المؤتمرات الاميركية الدولية ، في واشنطن عام ١٩٥٤ ، وفي كراكاس ، عام ١٩٥٤ ، ولا سيما بعد وصول الحزب الجمهوري الى الحكم اذ اخذ يهدد اصحاب رؤوس الاموال بالرجوع الى سياسة التدخل .

وتفتح الشخصية الاميركية ووقوفها في وجه اوروبا ولا سيما
الزعة الاميركية الاسبانية
في وجه الدول الانكلوسكسونية ، هذه الحركة التي انطلقت من المكسيك ، لم تلبث ان عمت كل اقطار اميركا الجنوبية . وقد وجدت تعبيرها في هذه التوعية التي تغلغلت في العنصر القومي الاصيل ، وفي هذه الردة التي تطالب باحياء الحضارة الاميركية الاسبانية الفائرة . وقد عبرت هذه الحركة عن الروح الجياشة التي غلغلت فيها ، بهذا الادب الاميركي الاصيل الذي اخذ يعالج المشكلات القومية في بلدان اميركا اللاتينية والف سداً يقف في وجه العملاء المنتصب في الشطر الشمالي من القارة . وهذه الوحدة او الاتحاد السهلة التحقيق في المجال الثقافي او الفكري ، كان من العسير جداً تحقيقها او الوصول اليها في المجالات السياسية والاقتصادية . فقد اتخذت الحكومات المعنبة موقفاً متبايناً بعضها من بعض ، بالنسبة لموقعها الجغرافي ولما هي عليه من يسر وبسطة عيش وبنسبة العلاقات التي تشدها من الولايات المتحدة . فمن منها شدها الى اميركا وشائج وثيقة واواصر متينة ، كالارجنتين مثلاً ، انست من نفسها حرية اكبر وقدرة اشد للحد من النفوذ الاميركي ، بينما بقيت الجمهورية الاميركية الاخرى تحت تأثير الحزب الاميركي ، عاجزة عن كل مقاومة ، ليس من حليف يقف الى جانبها للشد من أزرها . والضغط الاميركي شق طريقه الى هذه الجمهورية ، عن طريق الانقسامات التي مكر جيداً في تغذيتها ، والتبها بعضاً في وجه البعض الآخر . فقد نجحت

أربع دول منها ، على أقدار متفاوتة ، في توطيد استقلالها ، هي المكسيك والأرجنتين والبرازيل وكوبا .

ثورة المكسيك ، وحدها بين هذه الدول ، قامت بالفعل ، بثورة اجتماعية . فالعمل البنّاء فيها بوشر به ، عام ١٩٢٠ ، عندما وضعت الحرب الاهلية اوزارها بعد ان لحقت الخراب والدمار بالبلاد ، وهي حركة تميزت بوضع حد للسلطات الواسعة التي تمتعت بها الكنيسة في تلك البلاد ، مما أدى الى حركات عصيان وتمرد غذتها مبرويات عن ظهورات عجائبية للعدراء مريم . والى اضرابات قام بها رجال الاكليروس فامتنعوا عن ممارسة واجباتهم الدينية لمدة ثلاث سنوات ، وحروب عصابات نظمها « الناصريون » وتطبيق ام مواد الدستور الاساسي التي تنص على اماكن مصادرة املاك الكنيسة ، وبعث الممتلكات الجماعية للمجتمعات القروية بعد ان نُزعت منها في الماضي ، والغاء الديون المترتبة على المزارعين وانشاء نقابات للعمل والاصلاح الزراعي الذي تمهّل بتطبيقه رؤساء الجمهورية الثلاثة : كارانزا واوبريغون وكلاس ، ادى بالرغم من هذا التباطؤ في وضعه موضع التنفيذ ، الى توزيع ٤ ملايين هكتار من الاراضي على الاهلين ، كما ادى الى انشاء مصارف زراعية في البلاد ؛ الا انه لا يزال في البلاد ، عام ١٩٣٠ اكثر من ١٢٠ مليون هكتار من الاراضي تفتقر من يوزعها على مليون من الاسر المكسيكية لا املاك لها . وتوقف المشروع الاصلاحى ، عند هذا الحد ، كما لم تطبق ، كما يجب ، سياسة تأميم الصناعات الاستخراجية . والمادة ٢٧ من دستور البلاد التي تعلن باطن الارض ملكية لا يمكن التصرف بها ، اعتبرت لا مفعول رجعي لها . والانجازات المهمة بالفعل والتي كان لها تأثير بعيد ، هي التي نمت على يد وزير التربية والتعليم خوسيه فاسكونسلوس الذي انشأ عدداً كبيراً من المدارس في القرى وقام بمجهود ضخم في سبيل تعميم التربية الشعبية . ومع ان الثورة تعثرت في سيرها ، فقد سجلت ، مع ذلك ، حدثاً بارزاً في تاريخ القارة الاميركية . ولأول مرة في تاريخ هذه القارة قامت ثورة زراعية عضدتها الجماهير الشعبية وهدفت للعمل في ما يؤول لخيرها ، وخرجت عن كونها مجرد تغيير فريق ليحل محله فريق آخر . وتمكن الفائزون في هذه الثورة من تقليم اظافر هذه الاقلية الاقطاعية التي طالما هبّت بمقدرات البلاد وعرفوا كيف يصمدون بنجاح في وجه ضغط المصالح الاجنبية .

وهذه الحركة الاصلاحية لقيت دفعا اكبر ابان استداد الازمة المالية عندما انتخب كورديناس رئيساً للبلاد . فبين ادارته والخطوة الجديدة التي وضعها ف. د. روزفلت اكثر من شبه واحد ، فقد وقف كورديناس الى جانب الفلاحين والمزارعين ، واولى اهتماماً صادقا حركة بعث البلاد وتجديدها عن طريق تأمين الاستقلال الاقتصادي للبلاد وتحقيق الاشتراكية العمالية والزراعية وهي المطالب التي جاش بها وتبناها الجناح اليساري للحزب الوطني الثوري (P. N. R.) وأخذ تحت رعايته وتوجيهه تنظيم الجبهة الوطنية المكسيكانية التي لم تلبث ان اصبحت الحزب الثوري المكسيكاني ، الذي جمع حوله الجناح اليساري لحزب الاحرار وعدداً كبيراً من المنظمات

الصغيرة ، والاتحاد المكسيكاني للعمال الذي أسسه لمباردو توليدانو ، عام ١٩٣٦ والاتحاد الوطني الريفي (C. N. C.) . واعيد العمل بمشروع توزيع الاراضي وجرى تنفيذه بسرعة لم نهدما من قبل . فقد جرى توزيع ٢٠ مليون هكتار ، عام ١٩٤٠ على ٧٧٤ ٠٠٠ أسرة . وقد وزعت هذه الاراضي على اصحابها ، كمقارات شخصية او فردية ، بينها حارلت الحكومة - خلافا لما جرت عليه الحكومات السابقة التي هدفت لجعل هذه الاراضي الموزعة مرحلة يتهيا معها الهنود ليصبحوا من صغار الملاكين ان تجعل منها مزارع تعاونية مجهزة تجهيزاً حديثاً . وقد تولى كريديناس بنفسه تنفيذ هذه العملية في قضاء لاغونا ، حيث الفت ٣٩ ٠٠٠ أسرة من ٢٨٠ ٠٠٠ هكتار اقطعت لها ، مزارع تعاونية ، كان لها من النجاح والازدهار ما شجع على توسيع هذا الاختبار ، الى مقاطعات يوكاتان وسونورا .

وبتأثير من المنظمات العمالية التي اخذت تطالب بأجور أعلى ، ورغبة منه بتأمين موارد جديدة للبلاد ، وعملًا بالسياسة العامة التي اعتمدها والتي رمى من ورائها للاحتفاظ بموارد البلاد للبلاد عملاً بالشعار : « المكسيك للمكسيكيين » راح الرئيس كريديناس يطبق قانون التأميم الذي صدر عام ١٩٣٦ ، لارغام ارباب العمل على القبول بعمود جماعية . وسند بنفوذه حركة الاضرابات وصادر الاستثمارات الاجنبية وحولها الى تعاونيات . فقد أمم ، عام ١٩٣٧ ، الخطوط الحديدية (وهي بريطانية في معظمها) ، كما أمم عام ١٩٣٩ ، شركات البترول التي يعود معظمها للأميركيين بعد أن تأزمت العلاقات بين اصحابها والنقابات العمالية . الا ان خلفاءه تراجعوا عن هذه السياسة من بعدها ، عام ١٩٤٠ امام الشركات التي اخذت تعرقل بيع البترول المكسيكاني وتسببت بنشوب أزمة مالية في البلاد .

وبعد ان غطت الثورة المكسيكانية في ثومها بين ١٩٢٩ - ١٩٣٤ ولا سيما بعد ١٩٤٠ ، فقد برهنت عن حيوية زاخرة ونشاط عارم ببعث الفن الوطني الاصيل في البلاد فسجلت بذلك عملاً ندر مثيله في عصرنا هذا ، إذ افرغت هذا الفن في حياة المجتمع المكسيكاني : فالرسامون والنقاشون والحفاريون المكسيكيون يعملون وثيقاً مع الجماهير الشعبية ، وبذلك بعثوا من جديد التقاليد الاصلية التي سارت عليها البلاد من قبل وترسمتها ، فجاءت بذلك دليلاً على المثل العالية التي جاشت بها الثورة ، فعبروا بالآثار الفنية التي وضعوها على الآلام والمصائب التي انتهالت على الشعب المكسيكاني . فن قاس ، خشن ، بليغ هذا الفن ، الا انه فن ، النبيل والاباء ملء وقاضه ، يزخر بالقوة مع اوروزكو وريفيرو وسيكويروس . الا ان الثورة تخلت ، على ما يبدو عن الصورة التي تمثلتها لديموقراطية عمالية زراعية . وبالرغم من الاسم الذي عرف به الحزب الحاكم وهو : الحزب الثوري المكسيكاني ، الذي كان الجهاز الممثل للطبقات الوسطى في المدن ، فقد اصدر تشريعات اخذت تماليه ، اكثر فأكثر ، قيام المقارات الكبرى وتراعي جانب الكنيسة الكاثوليكية . فالبطالة والحاجة الى الارض والتضخم المالي المتصاعد كل ذلك

وجد له صمام امان في الهجرة الجماهيرية المتسيرة غالباً ، والبائسة دوماً ، باتجاه الولايات المتحدة الاميركية .

ارجننتين يبرون فالامثلة البليغة التي نستمدّها من سلوك الدولتين الكبيرين في اميركا اللاتينية قدل بوضوح ، بالرغم من الارتجاجات وحركة النكوص التي ارتسمت عليها ، على عمق التطور الذي وقع منذ نصف قرن في هذه البلدان وسيرها الحثيث نحو تحقيق استقلال اكبر .

ولما كانت الارجننتين مرتبطة الى حد بعيد ببريطانيا العظمى من الوجهة الاقتصادية ، فقد تأثرت بعيداً بالازمة الاقتصادية الكبرى واصبحت على حافة كارثة مالية تهددها لا سيما بعد اتفاقات اوتوا حيث نالت منافستها الكبيرتان : كندا واوستراليا ، من المنافع والامتيازات ، في الاسواق البريطانية ، ما كانت تتمنى ان تنال منه نزرأ نزرأ . ولذا اخذت هذه الاقلية الصغيرة ، الميالة للانكليز والتي تطالب بتنشيط انتاج الحبوب في البلاد والتوسع في تربية الماشية ، والتي استطاعت ان تسقط الراديكاليين وتبعدهم عن الحكم ، تثير معارضة التجار وسكان المدن المعروفين بمعدائهم لسياسة تغليب الزراعة في البلاد التي من بعض نتائجها تعزيز استيراد المواد المشفولة واجتذاب رؤوس الاموال البريطانية . وقد راح الحزب الراديكالي المحافظ ينحى باللائمة على كبار الملاكين العقاريين المتولين الحكم في البلاد ، بمرقلة الازدهار الاقتصادي فيها واخذوا يطالبون بسياسة أشد واقوى تأخذ على نفسها تصنيع البلاد وتعمل على تنويع الاقتصاد وتلويثه بحيث تتوفر ليس ظروف الكسب والربح امام الصناعيين وزبائنهم من التجار فحسب ، بل ايضاً اجتذاباً للمهاجرين ولليد العاملة . ان سياسة توسيع المزارع وايجساد الالوف من صغار الملاكين ، من شأنه ان يخلق في الداخل سوقاً لا بد منها لتصريف الانتاج الصناعي ، كما انهم - يُحِبِّدُونَ من جهة اخرى بأن يساهموا مساهمة اكبر بسياسة الجامعة الاميركية بحيث تتأمن مصالح البلاد العليا ، وتستقيم المنافسة الانكلو الاميركية . وأدت المضاربات ، خلال الحرب والعسر المالي الذي عانت منه البلاد الى ارتفاع الاسعار والى المزيد من الاستياء العام بين الاهلين ، وفي الرابع من حزيران ، أدت « حركة زعماء الجيش » الى قلب الحكومة . فنحن ليس امام انقلاب عسكري تقليدي من النوع المعروف . فالضباط الذين هياؤوا استجابوا بالأكثر لروح التقاليد الارجنطينية كما ظهرت عبر الاجيال والروح الكاثوليكية المحافظة التي اثارها رجال الدين المعجبون بفرنكو ، كما استجابوا للمشاعر المضادة للديموقراطية وللسامية التي جاش بها الجيش ، واعجابها بالجيش الالماني وببعضها لكل ما هو اجنبي ولكل ما ينسجم مع رسالة الارجننتين المقدسة التي تعمل في سبيل وحدة اميركا الاسبانية ، وللدعاية الفاشية وللنازية والفرنكوية . فنحن هنا امام مزيج من نوع خاص تآلفت عناصره من رجعة كلاسيكية ومن روح قومية ثورية حديثة شاعت بين الطبقات المفكرة والضباط وشيبة الطبقة المتوسطة عدوة الرأسمالية والليبرالية والديموقراطية التي ترغب بأن يوضع حد نهائي للفساد في البلاد والى عجز الحكام الذين

اخذوا ينظرون اليهم نظرم الى عملاء الرأسماليين الاجانب ، ولا سيما عملاء البريطانيين وراح الضباط الشبان ذور النزعة النازية يُنحَثون جانباً الجنرالات ذوي الميول الرجعية والمشاعر التقليدية ، ويطبقون برنامجهم : فالوصول الى مركز القيادة في اميركا الجنوبية يقتضي له صناعة قوية تستطيع ان تؤمن للجيش الوسائل التي تساعد على تعادل ما للبرازيل ، الجارة المنافسة الكبرى التي تساندها الولايات المتحدة ، من صناعة قوية ومن قوة حربية . والنظام الجديد ينسج على منوال الفاشية : تقوية قوى الأمن العام (وجعلها من القوة والبطش في بونس آيرس كما هي في نيويورك التي تزيدها اتساعاً ثلاثة اضعاف) ، وانشاء « مصلحة خاصة » تكون نسخة طبق الاصل من الفستابو الالماني ويلجأ الى الاساليب ذاتها ويقوم بعمليات مذابح بالجملة بين احياء اليهود في المدن ، ويضع تحت اشرافه الصحافة والاذاعة ، والمراقبة وحل الكونغرس ، ومراقبة التعليم الديني وينشر المبادئ التي تقول بها الدكتاتورية وتعلم ، والتدريب العسكري لكل الجنسين من سن ١٢ سنة فصاعداً ، ومضاعفة خمسة اضعاف ميزانية الدفاع والحربية .

ولكي تعترف بها الامم المتحدة ، اضطرت الحكومة للاعتراف بالاحزاب ، حتى بالحزب الشيوعي ، انما تخضعها لمراقبة دقيقة وتخضع الانتخابات التي تقوم بها للإرهاب . وجرى ترسيخ النظام الجديد على يد بيرون الذي دخل للحكومة عام ١٩٤٥ وقد أنيطت به وزارة العمل والضمان الاجتماعي وقام فيها باصلاحات أمنت له شعبية جنونية ، اذ أدت الى زيادة محسوسة في اجور العمل ، وتثبيت اسعار المواد الغذائية ، وتحديد حد أدنى للعمال الزراعيين ، وظهر للجميع بأنه الشخص الوحيد الذي يستطيع الوقوف في وجه الاستئثار الاجنبي البغيض وان يضع حداً للبؤس والشقاء المسيطرين على المدينة والريف معاً . واصحاب القمصان السوداء كلهم يتهاككون في خدمته ويتدخلون لمصلحته بتنظيم مظاهرات ضخمة هادرة تأييداً له كلما كانت سيطرته أو نفوذه في خطر .

« المدلانية » فهو صاحب « النظام المدلاني » ، وهو نظام دكتاتوري يؤلف حلقة ثالثة في سلسلة هذه الانظمة الجماعية ، يذبذ على السواء الرأسمالية والشيوعية . ويعرف هذا النظام بكونه « نظاماً فلسفياً في جوهره » ، يتميز عن الفردانية الرأسمالية كما يختلف عن الجماعية من جميع الوجوه . و « النظام المدلاني » هذا مستوحى في اصوله العامة من انظمة موسوليني وسالازار وكديريانو ، ولذا فهو يمت الى الفاشية بسبب وثيق . فهو كمثاله المهتدى ، يشدد على الاستقلال الاقتصادي ، وعلى العدالة الاجتماعية والسيادة الوطنية دون أي رغبة في تحقيق الدولة الحرفية او المهنية وبدون ان يولي النقابات اية وظيفة عامة . واسوة بالنظم الفاشية ، فقد علل النفس بالقضاء على الصراع الطبقي واستبداله بالتعاون المتبادل فيما بين الطبقات . اما القومية عنده فأساسها العرق دون الفكرة البيولوجية ، « فهي نظرية روحية محض » .

والنقابات التي تعين الحكومة رؤسائها ، تضم طبقة عمالية يفتقد عليها النظام عوارفه :

كالمقود الاجتماعية ، ومرتب شهر اضافي في آخر السنة والضمان الاجتماعي الإلزامي والمشاركة في الارباح ، وقوانين مضادة للتكتلات الاحتكارية .

وقد صدر في البلاد ، عام ١٩٤٩ ، دستور جديد شدد كثيراً من جانب السلطة التنفيذية ، يضمن حقوق العمال الاجتماعية ، وأشار من طرف خفي على ان الملكية الاجتماعية ، ستاتي بديلاً للملكية الفردية . وإيفا بيرون ، سيدة الامل ، أخذت على نفسها تأسيس منظمة خيرية تمد يداً مسعفة للشيوخ وللأولاد وللنساء ، وتؤمن للنظام القائم شعبية واسعة . من مفارقات هذا النظام هو انه في الوقت الذي برز فيه نصيراً للطبقات الراححة والمضطهدة يبعث فيها الشعور الطبقي المبني على البروليتاريا العمالية او الـ *Negada* (طبقة الصماليك) ، راح يشدد من جانب القوى الرجعية في البلاد : كالجيش والبوليس والاكليروس . وقنع بأن 'يحيّد' الاسر القديمة ويراعي جانبا بعد ان امتنع من تطبيق القانون بحفاها ، هذا القانون الذي يميز له مصادرة املاكها الواسعة وتوزيعها على الشعب .

والمحازاة الاقتصادية لم تأت اقل شأناً وقدرأ . ولكي يحرر البلاد من وصاية الاجنبي عليها ، كان لا بد من انشاء صناعة وطنية قوية . ولذا سار على سياسة الاقتصاد الموجه والتأميم ، هذه السياسة التي تضع بين ايدي الدولة القطاعات الرئيسية في الاقتصاد الوطني . وعلى هذا الاساس جرى تأميم البنك الاهلي وفرض الرقابة على كل مؤسسات التسليف ، وانشأ اسطولاً تجارياً ملكاً للدولة كما عهد الى شركات وطنية باستثمار ثروات البلاد من البترول والفحم الحجري . أما الصناعات الاخرى ، فعملت الدولة على تشجيعها وسهلت لها وسائل النهوض بالخطوة الاقتصادية التي وضعتها ، وذلك عن طريق تسهيلات مالية واعفاءها من الضرائب ، ومعدل قطع تفضلي . . . وتمويل مشروع تصنيع البلاد يجب ان تؤمنه الزراعة . فعلى مكتب تأمين النقد النادر ان يشتري محاصيل البلاد بالعملة الوطنية (البيزوس) من المنتجين لها ، على ان يبيعها للخارج بأعلى سعر ممكن تأمينه بالليرات الانكليزية . وهكذا دخلت الخطة الخماسية الأولى (١٩٤٧ - ١٩٥١) دور التنفيذ ، وجاءت نتائج الانتاج الوطني مرضية متفقة تماماً مع التصميم الموضوع حتى عام ١٩٤٨ ؛ الا انه حدث بعد هذا التاريخ ركود عام في الخطة . والتأميمات الوحيدة التي اجريت انحصرت في شراء شبكة الخطوط الحديدية من الشركات الفرنسية والانكليزية ، وشراء شبكة التلفون من الشركة الاميركية بل محتكرة هذه الشبكة . ومن الواضح ان هذه الخطة الجديدة الواسعة لم يكن من الممكن تطبيقها لعدم توفر رؤوس الاموال اللازمة في البلاد ، وللبلية القائمة بين التوسع الصناعي وركود الزراعة . وقد حدث بالفعل تأخر ملحوظ في المجال الزراعي ومن جراء نقص في اليد العاملة التي مالت للعمل في المصانع ، وللتفاوت العظيم بين اسعار المواد الزراعية والمنتوجات الصناعية ، وهو سعر متدن جداً تدفعه الحكومة كان من بعض نتائجه تناقص الاراضي المزروعة قحاً وبالتالي نقص يلحق التصدير . وقبل الحجاز الخطة الموسوعة ، عام ١٩٤٩ ، كان لا بد من 'قلب البخار' وانتهاج سياسة تعمل على تشجيع الزراعة في البلاد.

وعصر النفقات العامة . وارتقاع حركة التصدير التي نتجت عن التسليح الاميركي واشتباكها بحرب كوريا افسدها ارتفاع الاسعار العالمية فزادت من كلفة الاستيراد بحيث انخفضت جداً القدرة الشرائية في البلاد وعمد كثيرون من رجال الصناعة والتجارة الى التخفيف من نشاطهم وعادت البطالة تكثر عن انيابها ، هام ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، وزاد التضخم المالي في البلاد . ومع ذلك فقد اعطت الانتخابات العامة الجنرال بيرون ، عام ١٩٥١ اكثرية اقوى من التي تمت له عام ١٩٤٠ .

١ وجاءت الخطة الخمسية الثانية ١٩٥٣ - ١٩٥٧ تختلف تماماً عن سابقتها . فقد حلت فيها لزراعة وتربية الماشية المرتبة الاولى من العناية ، ووضعت للتصنيع برنامج متواضع جداً كان لا بد للنموض به ، من الاعتماد على رؤوس الاموال الاجنبية . وحاول بيرون ان يستدرج الممولين الاميركيين ، واضطر في هذا السبيل لتوقيع اتفاقات مع شركة ستاندرد اويل . وقد بعثت هذه المصاعب التي لقيها المعارضون من مكنتها مع انها لم تلق سلاحها . وقام في البلاد حلف ضم كبار الملاكين العقاريين بعد ان كان بيرون راعى جانبهم وابقاهم دوماً تحت التهديد ، والتجار والطبقات المتوسطة ، والطلاب ورجال الفكر الذين استهدفوا للاضطهاد ، والكنيسة التي اقلقها انشاء اتحاد بيروني ضم الطلاب والجيش والبحرية ، واسقط من الحكم في ايلول عام ١٩٥٥ .

ان مقاومته العنيفة للولايات المتحدة الاميركية ، والدور الذي لعبه كالمدافع الاكبر عن اميركا اللاتينية ضد خصم عنيد بطاش ، اكسبه نفوذاً كبيراً . فالنجاحات التي حققتها انجازاته في الحقل الاجتماعي ، بعد عام ١٩٤٥ ، والجهود التي بذلها لبعث ثورة سياسية واقتصادية تعم اميركا اللاتينية بطولها ، ضد الاميركيين ، قوبلت بدوي عظيم تجاوبت ارجاؤه في كل جمهوريات هذه القارة ، وامنت له العديد من الانصار والمريدين ولم تلبث ان استوثقت علاقته بكثير من الدول في الخارج ولا سيما مع الفئات العسكرية والمدنية التي جاشت مثله بالاماني نفسها ، وراح « الملحقون التجاريون » في سفارات الأرجنتين في الخارج ومفوضياتها يبشرون تعاليمه ومبادئه العدلانية . وقد قام بعد عام ١٩٤٣ ، في طول البلاد وعرضها زملاء او رصفاء لبيرون ، اثر الثورة التي اندلعت نيرانها في بوليفيا ، والانقلابات المتتالية التي وقعت تباعاً في باراغواي ، وانتخاب فيلاسكو ايبارا في الاكوادور ، وباز استنسورو في بوليفيا ، والجنرال ايبانيز في الشيلي الذين وقفوا موقفاً استقلالياً شديداً من الاحتكارات الاميركية وقاموا بحركات تأميم في بلادهم . وعقدت معاهدات تجارية رمت كلها الى تأمين التعاون بين النظم الاقتصادية المعمول بها في هذه الدول وراح كل منهم يقف موقفاً استقلالياً باتجاه الولايات المتحدة . ولذا جاء هبوطه انتقاماً ثأرياً اعدته الاحزاب القديمة والطبقات الموجهة التقليدية ، كما ساهمت في احكامه المصالح الاجنبية التي وجدت في وضع الأرجنتين المالي الصعب ، فرصة لها سانحة لاستعادة ما خسرت في هذا المجال .

تأثرت البرازيل التي شذتها الى الولايات المتحدة روابط اقتصادية متينة ، الى
 برازيل فرغاس
 حذ بعيد من الانهيار المالي الذي اصاب الولايات المتحدة واخلخل اقتصادها ،
 عام ١٩٢٩ ، اذ انخفضت الاسعار فيها ٢/٣ قيمتها ، وافلس عدد كبير من اصحاب الاملاك
 المقارية فآلت املاكهم فجأة الى ايدي ممثلي البورجوازية . والثورة العسكرية التي وقعت
 عام ١٩٣٠ ، ورفعت فرغاس الى السلطة ، وضعت حداً لسيطرة الأُطر التقليدية وجلبت الى
 الحكم عناصر جديدة عمادها الطبقات المتوسطة في البلاد ، وخلقت الدولة الجديدة : قومية
 اصلاحية . وتمكن فرغاس من التغلب على المراقيل والصعوبات التي اثارها في وجه الحزب الفاشي ،
 وتحطيم المقاومات المحلية والحركة الانفصالية التي ظهرت في ولاية ساو بالو ، عام ١٩٣٢ .
 ووطد سلطته عام ١٩٣٧ ، بوضعه دستوراً جديداً اعترف له بحق تجديد ولايته : بحيث بقيت
 دكتاتوريته قائمة حتى سنة ١٩٤٥ . وقوى من سلطات الحكومة الاتحادية ، وألغى الجيوش
 المحلية ، وانتهج سياسة اصلاحية انتهازية استهدفت تحسين وضع الفلاح والخلاسي والمثونين ، عن
 طريق تحديد ساعات العمل في اليوم . وقد حاربت النخبة الفكرية المتحررة في البلاد ، كما لقي
 حرباً عواناً من قبل المجتمع القديم ، المؤلف من الأسر القديمة والارستوقراطية المقارية ،
 والاعيان ، بعد ان خلخل ما كان لهم من شأن ونفوذ ، كما ان انتشار الطبقات الوسطى
 بالسلطة حرّمهم من وسائل العمل والتأثير في البلاد .

وقد احتفظ بمقاليد السلطة حتى عام ١٩٤٥ بفضل الشعبية التي تمتع بها والتي اعادته الى
 مركز السلطة والقيادة عام ١٩٥٠ ، في اعقاب الفترة الدستورية التي شغلها الجنرال دورا ،
 واحتفظ بها حتى وافاه الاجل المحتوم ، عام ١٩٥٤ . وعلى شاكلة « المدلانية » ، التي اسسها
 بيرون ، قال « Gélutisme » التي اقامها فرغاس ، قامت مع محاربتها الشيوعية ، بجهود طائلة
 لتحسين اوضاع الفلاحين والعمال في البلاد . وتولى وضع تشريع اجتماعي لم يعرف مثله الى ذلك
 الحين اقتصر اثره على المدن الا انه ترك حائلة من البؤس والشقاء وعدم المساواة في المجتمع
 البرازيلي ، وجمع حوله العناصر الشعبية ، كما ان السياسة التي انتهجها في تصنيع البلاد اكسبته
 عطف رجال الاعمال بعد ان غض النظام النظر عن الارباح الطائلة التي كانوا يجنونها . فدكتاتورية
 من هذه الدكتاتوريات الانتهازية « الاكثر فطنة والاقبل وحشية .. لا عنف فيها ولا مبادئ »
 لها ، . وفرغاس لا يفي بوعوده ، الا انه يتدبر الامر في ارضاء الجميع ، فقد غض النظر عن
 تعدد الاحزاب في البلاد ، وحرية الصحافة لا أثر لها في عهده ، ومع ذلك فحرية الكلام تبقى
 كاملة غير منقوصة . فالاحزاب الجماعية التي ظهرت قبل عام ١٩٤٠ والشيوعية تكافح وتعتبر
 غير شرعية الا انه يحافظ على علاقاته مع زعمائها . فبعد ان عبر عن مشاعرها نحو دول المحور ،
 هاد وتحالف مع الولايات المتحدة الاميركية وارسل حملة تشترك بالحرب في ايطاليا . ومع انسه
 يعتمد على الروح الوطنية في البرازيل المعروفة بعدائها للاميركيين ، فقد استخدم الاعتمادات
 الطائلة التي وضعتها الولايات المتحدة تحت تصرفه ، لتشجيع حركة التصنيع في البلاد ، من جميع

وجوهرها . ووضع عام ١٩٤٥ خطته الانمائية لتطوير البلاد المعروفة S. A. T. E. (الصحة العامة - التغذية - النقل والطاقة) ، وهو برنامج رمى من ورائه الى رفع مستوى العيش بين العمال . وبعبارة اخرى : الانتاج ووسائل النقل ومصادر الطاقة التي تكون الاعمدة الاساسية لكل تطوير في الزراعة والصناعة . وادى انتصار الحلفاء على المانيا، هنا كما في اي مكان آخر من بلدان اميركا اللاتينية الى زوال النظم الدكتاتورية . فقد اجبر الجنرال دوتروا ، فرغاس على التعلي عن الحكم وأقر دستور جديد للبلاد عمل بموجبه ابتداء من عام ١٩٤٦ .

وفي خلال خمس سنوات تولى الحكم في البرازيل حكومة منبثقة عن تحالف بين الكاثوليك والمحافظين ، زاد خلالها التضخم المالي من جراء الازمة الاقتصادية التي عقت الحرب ، وارتفعت الاسعار اكثر مما ارتفعت الاجور . وكشف الارتفاع الهائل المتجمع في ايدي قلة من الناس البؤس المدقع والشقاء المسيطر على البلاد . واعادت انتخابات عام ١٩٥٠ فرغاس الى كرسي الرئاسة ومعه برنامج اجتماعي اجراً من اي وقت سبق . وفي ايار ١٩٥٤ ، رفع الاجور ١٠٠٪ وانشأ الـ *Petrobas* الذي هو عبارة عن احتكار الدولة للبترول ، كما انشأ الـ *Electrobas* الذي لم يكن حتى ذلك التاريخ سوى بناء مركز ضخيم لتوليد الطاقة الكهربائية تابع للدولة الا انه يؤلف بالفعل تهديداً لرؤوس الاموال الاجنبية التي وظفت في البلاد قبل عام ١٩٤٥ ، واذا ذلك حدث انقلاب عسكري دعاه للتنازل والانسحاب . فانتحاره المؤثر ووصيته البليغة قوت شعبيته ، وقام حزبه اي الحزب العمالي بانتخاب الرئيس بوبتشيك لتولي مهام الرئاسة الاولى ، كما انتخب نائباً له ج. غولار ، وزير الاشغال العامة في عهد فرغاس . وانتصار الـ *Gélutisme* انما يعني انتصار حزب اليسار . وقد نصح الحزب الشيوعي الممنوع في البلاد التصويت الى جانبه ، وهو بالحقيقة فوز العناصر التي تهتم بتطوير الصناعة بين الشعب البرازيلي ، وتقوية السوق الداخلية ، والتجارة مع جميع الاقطار في وجه الطبقات الموجهة القديمة المتحالفة مع الرأسمال الاجنبي . بينما الطبقات الشعبية لم تكن حتى الآن سوى عنصر تكميلي ليس الا .

قام النظامان البيروني والجيوتولي على التباس : هو محاولة تحويل انتفاضات الجماهير عن الاجنبي . . . فقد احترما الامتيازات التي نعمت بها الاقليات القديمة وحافظا عليها ، لا سيما الارستوقراطية العقارية القديمة وشركات الاستثمار الخاصة في الوقت الذي جهدا للعمل في سبيل تحسين ظروف العيش بين الجماهير والنهوض بالتصنيع الذي هو أساس كل استقلال اقتصادي . وقد رفضا كلاهما الاخذ باصلاحات جذرية او المس بأرباح رأس المال ، مؤثرين اللجوء الى التضخم المالي لمواجهة متطلبات الاستثمارات والنفقات الاجتماعية . وهكذا تسببا في رفع الاسعار وزادا الوضع تشويشاً بزيادة اختلال التوازن في الميزان التجاري . فلم يكن من العسير على هذه الاوليفارشيات ، والحالة هذه ، ان تزيجهما معاً بمؤازرة المصالح الكبرى العائدة لدول اميركا الشمالية .

٤ - وضع القارة بعد ثورة كوبا

اثار الفوز الذي حققه رجال المقاومة (*Maquisards*) على دكتاتورية باتيستا الدامية ، في كانون الثاني ١٩٥٩ ، في الحياة الدولية ، ازمة حادة في العلاقات الدولية بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي عن طريق احتمال المجابهة المسلحة بين القوتين العملاقتين ؛ كما ساعدت على احداث تغيير جذري في اوضاع القارة من الوجهتين السياسية والاجتماعية .

الثورة الكوبية ولتائجها
فقد كانت كوبا بالفعل مستعمرة للولايات المتحدة تستثمرها وتمتص خيراتها عن طريق الشركات الضخمة التي كانت تتصرف بملكات شاسعة يزيد بعضها على نصف مساحة محافظة من المحافظات الفرنسية ، وبواسطة مصانع هامة كانت جميعها تتحكم بجميع مرافق النشاط الاقتصادي في الجزيرة . وقد باشرت كوبا ، منذ سقوط حكومة باتيستا الاخذ بسلسلة من الاصلاحات رمت الى تحسين مستوى العيش بين الجماهير الكادحة : كتمخيف الاجور ، وتحويل المزارع الكبرى الى تعاونيات زراعية ، ومكافحة الامية في البلاد ، وتسليح الميليشيا الشعبية . وقد استهدفت هذه التدابير الاصلاحية لمقاومة كبار الملاكين ولرجال الاعمال ، كما واجهت عقوبات صارمة من قبل الولايات المتحدة ، ونالت اكتمالها بالقانون الزراعي الذي صدر في ١٧ ايار ١٩٥٩ . وعندما قررت اميركا عام ١٩٦٠ ، ادخال تعديلات على الحصص المسموح استيرادها من السكر ، تحول الصراع الى صراع مكشوف . فحاولت اميركا من جهتها ، انشاء جيش لغزو كوبا يتألف من المهاجرين الكوبيين عندها ، وفرض الحظر على التصدير لكوبا بجميع اشكاله كما ردت كوبا من جهتها على هذه التدابير باتفاق عقده مع الاتحاد السوفياتي تعهد معه شراء السكر والفواكه والغزول النباتية ، وتقديم مساعدات مالية ، كما صادرت الشركات الاميركية العاملة في الجزيرة (معامل السكر ومصافي البترول ، ومعامل توليد الكهرباء والتلفون) ، وتأميم المصارف في البلاد ، والوقوف سياسياً الى جانب الاتحاد السوفياتي . وكلها تدابير واجراءات جذرية مضادة لبعضها من كلا الجانبين ، وانتهت في كانون الثاني ١٩٦١ الى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، والى محاولة فاشلة بانزال المهاجرين على شواطئ الجزيرة في خليج كوشون ، وهي محاولة دبرتها السلطات الاميركية .

فالنجاح الذي حققته الثورة في كوبا وعجز الولايات المتحدة في الوقوف
المشكلة الزراعية
في وجه الاصلاحات التي قام بها فيدل كاسترو ، وهي دندنة عرفت عنهم وعمدوا اليها في كل مكان آخر ، اثار في البلدان التي تتعامل من تابعيتها للولايات المتحدة ، آمالاً عراضاً ، كما اثار فيها الرغبة بالسير على منوالها . والقضاء على الجيش الذي اوفدته الدكتاتورية كان الفضل فيه للفلاحين والمزارعين . فاثار هذا الدرس البليغ تعطيه المقاومة الكوبية حركة احتياج في كل مكان : وظهرت في جميع هذه الدول تكتلات زراعية ، واحتلال

للأراضي من قبل الفلاحين في المقاطعات الواقعة الى الشمال الشرقي من البرازيل وولاية ريو غراندي في الجنوب ، واضطرابات المزارعين في البيرو ، وفي الاكوادور وكولمبيا وفنزويلا وغيرها . ومرد ذلك يعود الى تطور وسائل الاعلام والاتصال ، كما ان تغلغل الصحافة والراديو وضع هذا العالم الريفي على اتصال بالعالم اجمع ، فأخذ يعي نفسه ويعي حاجاته وما فيه من قوى وامكانات .

ولذا راحت الحكومات تتخذ من التدابير والاجراءات ما يحول دون امتداد العبودية الثورية وانتشارها . ولذا نرى ان من النتائج الاولى للثورة الكوبية جعل الرأي العام يشعر بضرورة القيام باصلاحات زراعية هي الاساس لكل تطور جذري يراد ادخاله على هذه البلدان والدفع الديموغرافي العنيف الذي يفجر الانتاج عن متابعته والحقاق به (المعدل السنوي للانتاج بالنسبة للفرد الذي كان يزداد بمعدل ٣,٣٪ عام ١٩٤٥ ، لم يعد ليزداد ، عام ١٩٦٣ ، سوى ١٪) وحركة النزوح بالجملة للجماهير من الريف الى المدينة التي ألحقت الخلل بالاقتصاد اكثر فاكثرت كل ذلك قضي بزوال السلطة المطلقة التي اعتادت ممارستها السلطات التقليدية على سكان الريف ، اذ ان نظام المزارع الواسعة الذي تعتمد من شأنه ان يؤخر تطور الانتاج الزراعي في البلاد ، كما يميئ ازدهار القطاع الصناعي فيها ، ويبقى خارج الاسواق ، في نظام اقتصادي أساسه الاستهلاك ، جانباً مهماً من السكان ، كما يترك دونما استثمار او استغلال مساحات زراعية شاسعة بينما هنالك العديد من العمال الذين لا عمل لهم . في هذا الوقت بالذات الذي سجل انتاج اميركا الجنوبية للمحاصيل الزراعية نسبة اقل من عام ١٩٣٩ بالنظر للفرد .

وهكذا نرى بين السنوات ١٩٥٩ - ١٩٦٣ ، تطل علينا قوانين زراعية ومشاريع قوانين عديدة في الاكوادور (العمل عام ١٩٥٩ بمشروع قانون بقي حرقاً جامداً منذ عام ١٩٥٤) ، وفي فنزويلا ، عام ١٩٦٠ ، وسان سلفادور وكوستاريكا ، عام ١٩٦١ ، وبناما والبيرو ، وكولمبيا والشيلى والبرازيل وجمهورية الدومينييك وهايتي وهوندوراس ، عام ١٩٦٢ . وقد لقيت هذه التشريعات ، في كل مكان مقاومة يائسة انما ناجحة الآن ، من قبل الملاكين . وهذا الوضع أدى الى نشوب ثورة في البرازيل في ربيع ١٩٦٤ أدت الى سقوط الرئيس غولار عندما اراد ان يطبق القانون الذي اصدره عام ١٩٦٢ ، الرئيس كوادروس ، وهذا ما يفسر لنا ايضاً الثورة التي قامت عام ١٩٦٥ بمساعدة الجنود الاميركيين في جمهورية دومينييك وقلبت الحكومة الدستورية القائمة فيها التي اظهرت استعدادها لتطبيق قانون اعده معهد الاصلاح الزراعي فيها .

وفي اربعة بلدان لا غير ، تحقق اصلاح زراعي له شأنه اثر هو في طريقه الى التطبيق الفعلي . فالمكسيك الذي كان رائداً في هذا المجال منذ عام ١٩١٠ والذي جاء فيه الاصلاح على مراحل ، لاسيما في الحقبة الواقعة بين ١٩٢٠ - ١٩٢٨ ، والحقبة الاخرى الواقعة بين ١٩٣٤ - ١٩٤٠ ، وفي عهد رئاسة الرئيس ادولفو لوبيز ماتيوس . وعمدت بوليفيا ، تطبيقاً

منها لقانون اقرته عام ١٩٥٣ الحركة الوطنية الثورية (M. N. R.) برئاسة فكتور باز استنصور الى مصادرة الاراضي الزراعية التي كانت في وضع « نصف اقطاعي » ، وذلك عقب احتلال الهنود المفاجيء للاراضي . وبعض الاحيان الى مصادرة بعض الاطيان ، اذا ما تجاوزت مساحتها حداً معيناً ، التي يطبق في استثمارها الوسائل والاعتدة الحديثة وبالرغم من قلة الاشخاص المؤهلين واقتدار البلاد للاعتمادات اللازمة ، فقد خضع عام ١٩٦٣ ، نحو ٤٠٪ من مجموع الاراضي الزراعية التي اصحابها الاصلاح (٣٤٠٠ ٠٠٠ هكتار) للتوزيع ووزعت بالفعل على ١٤٥ ٠٠٠ مزارع . وفي فنزويلا حيث العمل الديموقراطي وهو حزب الرئيس رومولو بيتانكور كانت وزع الاراضي المصادرة (والتي امر الدكتاتور بيريس خيمينس بإعادتها الى اصحابها ، عام ١٩٤٨) ، فقد صدر عام ١٩٦٠ قانون في البلاد وزع الممتلكات الكبرى الواقعة في قلب المنطقة الشمالية ، حيث يشتد الضغط الديموغرافي . وفي عام ١٩٦٤ ، قال اكثرون من ١٠٠ ٠٠٠ أسرة حصصاً وزعت عليها . وقد جاءت عملية الاصلاح هنا اقل جذرية وشمولاً اذ تعلق الامر على الاخص بتعمير الارض واحيائها . وفي كوبا وحدها جاء الاصلاح الزراعي الذي تم عام ١٩٥٩ اكمل ما يكون . فقد وزعت فيها المزارع التي تزيد مساحتها على ٤٠٠ هكتار بين الفلاحين الذين لا ارض لهم ولا مزارع . وهو اصلاح وضع اساسه : المهدد الوطني للاصلاح الزراعي ونظمه على اساس تعاونيات استعالت ، عام ١٩٦٢ ، الى مزارع للدولة ، وتحتل ٨٠٪ من مجموع الاراضي الزراعية .

سياسة الولايات المتحدة الاميركية ونفور دول اميركا اللاتينية من الولايات المتحدة الاميركية كما تجلّت مظاهره الواسعة ، عام ١٩٥٨ ، خلال الرحلة التي قام بها نائب رئيس الجمهورية السيد نيكسون ، وفشلها في القضاء على نظام كاسترو ، هذه العوامل وما اليها أحدثت فيها ردات فعل متناقضة . فقد قامت من جهة بعرض مساعدات ضخمة على هذه الدول ، فأنشأت في هذا السبيل مشروعاً مشتركاً للمساعدات لتطوير الاوضاع الاجتماعية فيها وفتحت لها اعتمادات لتحسين الاوضاع الاقتصادية في هذه الجمهوريات . ومنذ انتخاب الرئيس كينيدي ، فقد لوح بفكرة لم تلبث ان اصبحت مشروعاً عرف بمشروع بونتا دل استيه أو وضعه عام ١٩٦١ ، وأصبح وثيقة التحالف في سبيل التطور ، رمى من ورائه الى حل المشكلة الاقتصادية في القارة الاميركية (وأهمها التخلف الاقتصادي ، ونقص الاحتياطي والقطع النادر) . وفرضت الوثيقة على الدولة التي تفيد من هذه الخطة التعهد بالقيام باصلاح زراعي . ورفع الدخل وزيادة الانتاج الاجمالي وتأمين توزيع الدخل القومي بصورة اقرب للعدالة والانصاف والنهوض بعملية التصنيع . وتعهد الولايات المتحدة من جهتها بتقديم عون مالي ووضع تحت تصرف الدولة المعنية سلفات ومساعدات مالية جسيمة . الا ان بنود هذا الاتفاق بقيت بالفعل حبراً على ورق اذ ان مجلس الكونغرس لم يصادق ، متأخراً جداً ، الا على اعتمادات أقل بكثير مما كان اقترحه المشروع المذكور ، وهذه التسهيلات لم يقدمها البنك الدولي للتطوير الاقتصادي

الذي يعود ١٩٤٢ بالمائة من رأس ماله للولايات المتحدة التي تهيمن على الجانب الاكبر من ادارته ، الا وفقاً لما تراه . ولم يلبث ان ساء الوضع الاقتصادي في هذه البلدان ، كما ان فشل المشروع زاد الدول الاميركية نفمة وكرهاً كما تجلّى ذلك في مؤتمر الدول الاميركية الذي عقد في مدينة ساو باولو في تشرين الثاني ١٩٦٣ ، الامر الذي زاد في الاضطرابات والقلاقل . ناهيك عن ان ضعف النتائج أوجد خيبة أمل بين الاميركيين أنفسهم . وقد ردت الاميركيون على هذه المشاعر خلال رئاسة الرئيس ليندون جونسون وادارته بالرجوع الى سياسة «العصا الكبيرة» ، وأخذوا يتهمون المصلحين الاحرار المعروفين مع ذلك باعتدالهم بالماركسية والشيوعية ، وزادوا من حدة الحصار البحري على كوبا . كما ضغطوا على الدول الاخرى لكي تتقيد بهذا الحصار وتساهم به بصورة فعالة ، وبذلوا مساعدات سخية لهذه الدكتاتوريات التي لا يمكن الدفاع عنها ، كالدكتاتورية التي يقوم بها فرنسوا دوقالييه في هايتي ، وتشجيعهم الانقلاب العسكري الذي اطاح بالرئيس غولار في البرازيل ، هام ١٩٦٤ . والتدخل العسكري المكشوف في جمهورية الدومنيك لمساندة الانقلاب العسكري ضد الحكومة الشرعية والاشتراك الفعلي بالحرب الاهلية الدامية التي نشبت في البلاد في اعقاب هذا الانقلاب .

فشل الحركة الليبرالية وحركة الاستقلال الوطني التي قامت في وجه هذه الدكتاتوريات التي تؤيد مصالح اميركا الاقتصادية ، استطاعت ان تؤمن ، خلال السنوات العشر الاخيرة ، نظاماً ديموقراطياً قام في اعقاب انتخابات قانونية وبمشاركة الاحزاب القائمة . وهكذا تم انتخاب جوسلينو كوبتشيك رئيس حزب العمال ، رئيساً للجمهورية في البرازيل ، اثر وفاة ج. فرغاس (١٩٥٥) ، كما ان النظام العسكري الذي انشأه الجنرال اودريا جرت تصفيته على يد الحزب A.P.R.A. الذي اتصف بالشرعية عام ١٩٥٦ ، كما اسقط في كولمبيا النظام الدكتاتوري الذي اعلنه الجنرال روخاس بنيلا ، في ١٩٥٧ ، كما ان الجنرال ايدينغوراس فوانتس فاز في الانتخابات التي جرت في غواتيمالا بفضل عدائه المكشوف للشركة التسابعة لاميركا الشمالية . وفي فنزويلا ادى اتحاد احزاب المعارضة فيها الى سقوط بيمريس خيملس (كانون الثاني ١٩٥٨) ، وانتخب لمركز الرئاسة رومولو بيتانكور . وفي الارجننتين تم انتخاب الدكتور فرونديزي بفوز عظيم ، لموقفه المعروف الى جانب البترول واخيراً في كوبا ، انتصار حركة ٢٦ تموز على الرئيس باتيستا بفضل « اصحاب اللحى » التابعين لفيدل كاسترو .

جاء م نظم هذه الانتصارات عابراً ولفترة وجيزة ، اذ يسود هذه البلدان اقتصاد مفكك نجد فيه جنباً الى جنب قطاعات حديثة التنظيم وقطاعات مهلهلة القوام والتركيب ، حيث الانتاج ضعيف ورؤوس الاموال الوطنية لا تتدخل الا في المضاربات العقارية وفي القمار بدلاً من ان يوظفها اصحابها بشكل معقول ، وحيث وجدت الحكومات الليبرالية نفسها عاجزة عند

محدث أول أزمة تصيب صادراتها ، نتيجة محتومة لهذه النكسة التي وقعت ، عام ١٩٥٨ ، في البلدان الرأسمالية . وقد وجدت نفسها عاجزة تماماً عن النهوض باصلاحات جذرية : من اصلاح زراعي ، وتخطيط اقتصادي ، وتحديد ارباح الشركات الاجنبية ، والبورجوازية الكبرى المسيطرة على مرافق التصدير وكبار الملاكين العقاريين . وتطور الامور في مثل هذا الوضع ، وفقاً للأعراف المألوفة التي تتسم عادة بأزمة مالية وتفتت قيمة النقد وارتفاع اسعار الحاجيات والاجور ، والبطالة وتخفيض قيمة النقد . اما علاج هذا كله فقد قام بالرجوع الى الليبرالية الاقتصادية ، وسياسة التقشف ، اي تثبيت الاجور الذي كان يتم عن طريق زيادة محسوسة في الاسعار ، والمدول عن سياسة تأمين مصادر الثروة في البلاد والتسليم بامتيازات جديدة للمتمولين الاجانب استدناء لهم . والاضطرابات الاجتماعية التي كانت تؤدي اليها هذه السياسة ، كثيراً ما سمحت علاقات الحكومة مع النقابات والاحرار الذين اوصلهم الى الحكم ، وعلى التعاون مع الطبقات صاحبة الامتيازات للبحث عن اعتمادات مالية لدى المصارف الاميركية . وهذه هي السياسة التي سار عليها فرونديزي في الأرجنتين الذي امر فاعاد الى القطاع الخاص شركتي الكهرباء والتبريد الوطنيتين التي سبق للدولة ان امتتها في عهد الرئيس كوبتشيك بعد ان عجز عن مداواة المجاعة الهائلة التي حملت عشرات الالوف من البائسين على مفادرة اراضيهم المنهوكه الواقعة الى الشمال الشرقي من البرازيل الذين اخذوا يقضون جوعاً في منطقة واسعة ٣/٤ مساحتها تعود الى ٨ بالمائة من كبار الملاكين .

وهذا المعجز والشعور القوي بالحرمان الذي جاش في صدر النخبة التي صدمها الفشل بتحقيق امانها ، يفسر لنا ازدياد تفتح الوعي بين افراد الشعب وادراكهم انه لا سبيل للخروج من الحلقة المفرغة التي يتخبطون فيها والتي تجعل من المستحيل تحقيق اي اصلاح جذري ، ما لم يتخذوا تدابير حاسمة دون ان تؤدي الى القطيعة مع اصحاب المصالح الخاصة التي تعيش في شبه نظام اقطاعي ، ومع اصحاب رؤوس الاموال الاجانب . وفي هذا الاتجاه الصريح ، سارت بوليفيا عندما راحت تؤمم مناجم القصدير التابعة لشركات باتينيو وهوبشيلد وارانايو ، وقرار الاقتراع العام ، والغاء الجيش وتسليح الميليشيا العمالية والفلاحية ، وجاء ذلك مقدمة يهد بها لاصلاح زراعي يجب ان يؤدي الى زيادة القوة الشرائية لدى الجماهير الشعبية ، وتنويع الانتاج الزراعي ، و « تحطيم احتكار التصدير » وهو الوسيلة الوحيدة لفتح السوق الداخلية امام الصناعة الوطنية . وهذا هو السبيل الذي سار عليه رئيس فنزويلا ، بيتانكور ، الذي قام في البلاد باصلاح زراعي ولا سيما باصلاح ضرائبي فحدد كثيراً من ارباح شركات البترول الاجنبية .

وقد طرأ على الوضع العام بعض التحسين منذ عام ١٩٦٠ اذ لم يضع القارة عام ١٩٦٦ بعد قائماً في طول القارة وعرضها سوى اربع دكتاتوريات هي براغواي ونيكاراغواي وجمهورية الدومنيك وهايتي . وقد وقعت منذ عام ١٩٦١ ، عدة انقلابات عسكرية على اقدار متفاوتة من النجاح والفشل ، في جمهوريات البيرو والاكوادور

وغواتيمالا وسان سلفادور والأرجنتين ، والبرازيل وبوليفيا وجمهورية الدومينيكا . ونرى في كولومبيا والبيرو وفي فنزويلا الجيش يقوم بمناوشات متصلة مع معارضة كبيرة قوية الجانب . وبعيت الأرجنتين يسودها الاضطراب من جراء سيطرة العسكريين على الحكومة المستضعفة التي اقامها الرئيس ايليا ، ومن جراء الشعبية القوية التي لا يزال بيرون وانصاره يتمتعون بها في طول البلاد ، اذ كان حزبه لا يزال اقوى حزب من حيث العدد والنفوذ . وبعد ان استقر الامر للعسكريين في البرازيل ، فقد عجزوا عن تأمين الاستقرار لنظام هزيل ضعيف . والديموقراطية المثالية التي كانت تتمثل بالفعل في جمهورية الاوريفواي ، رأت الاستقرار فيها والازدهار الاقتصادي يتعرضان لخطر مدام من جراء تدهور الوضع الاقتصادي فيها (تخفيض متكرر لسعر البيزو فاصبح يساوي جزءاً من عشرين من الدولار ، وهبطت الصادرات الى ٥٠٪ من قيمتها وزادت تكاليف الحياة فيها ضعفين بين ١٩٥٩ - ١٩٦١) .

فبين الدكتاتوريات شبه المتخفية والديموقراطية الشعبية القائمة في كوبا التي عرفت بأصالتها ، تبرز الحكومات الاصلاحية ممثلة بفنزويلا الاشتراكية المعروفة بموقفها العدائي من كوبا والتي كانت تقربص بحرب اهلية فعلية ضد احزاب اليسار ، وبالشيبي حيث تسلم الحكم لأول مرة في اميركا اللاتينية الحزب الديموقراطي المسيحي الذي تغلب في الانتخابات على اتحاد احزاب اليسار وأسس حكومة باسم جبهة العمل الشعبية . وقد وضع الرئيس ادوارد فراي مشروع قانون حول مساهمة العمال بملكية الاستثمار وادارته ، كما وضع مشروع اصلاح زراعي . وقد حصل الكتلة القوية التي تتألف من الشركات الاميركية المحتكرة للنحاس التي رأت نفسها مهددة بالنأيم ، على تشكيل شركة اقتصادية مختلطة تصيب الدولة ٥١٪ من اسهمها وفي المجال السياسي اتخذت الشيبي موقفاً معادياً لكوبا ، وقررت انشاء علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، كما هدفت من جهة اخرى الى الانجراح مشروع اقتصادي ضخم يقضي بدمج ٢٠ جمهورية في السوق المشتركة الاميركية اللاتينية ، هذا المشروع الذي وضعت خطوطه الكبرى في معاهدة مونتفيدو ، عام ١٩٦٠ . وهذه الحركة الاصلاحية التي اقيمت معارضة قوية من قبل احزاب اليمين الحريصة على امتيازاتها ، ومن احزاب اليسار ، هل يمكن لها ان تنعم طويلاً بالحياة ، بدون معاضة وزارة الشؤون الخارجية الاميركية ؟ فاذا جاء الجواب بالايجاب وقدر لهذه المشاريع الاصلاحية النجاح المرجح ، شكلت هذه المحاولة الجريئة تحدياً للكسترية وادت بالتالي الى احداث تغيير عميق في تطوير القارة بأكملها .

الفصل الثاني

ثورة الشعوب المستعبدة

« .. أعلنت الاكثية الساحقة الجنس البشري الثورة على
هذا النظام الاقتصادي الذي فرس عليها القرب ... حتى
اليوم » .

تسور عائد

لم يقتصر النجاح العظيم التي حققته الحركة القومية خلال العقود الاخيرة على اميركا الاسبانية
وسجدها . فابن اجلنا النظر ملياً ، في العالم اجمع ، يرى الشعور الوطني واليقظة القومية تحيى في
صدور الشعوب الملوثة التي راحت تطالب بالاستقلال . فاداً ما اقيت نظرة عدلى على خريطة
آسيا وافريقيا السياسية ، عسام ١٩١٥ حيث لا يرى غير اليانف ولايلاند تستعان بالاستقلال
والسيادة . بينا ترسف الصين المشتبكة بالحرب تحت وطأة « الماهدات غير المتكاهنة » وعلى
هذه الخريطة ، عم ١٩٢٥ ، امكنا ان نجح على قوة دفع هذه المشاعر الاستقلالية وصحة
التحركات الناهرة التي حلفتها . فقد اخذ الاستعمار يعاني من ازمة خانقة ، ولم يلد ان قام
على انقراض هذه الامبراطوريات الاستعمارية التي انشأتها اوروبا الغربية في افريقيا وآسيا مجتمعات
مستقلة لم تقم ان اصبحت دولاً عصرية . وهكذا قضى ثاماً على النظام الاستعماري القديم
وحيث لا يتطور ما بقي منه فاعماً بالرضى والوفاق ، هو في سبيل الزوال ، بيتا يصل عليه اعظم
جديد من الاستثمار من الصعب تحديده الآن .

تأثير الحرب العالمية الاولى
كان للحرب تأثير بالغ ودوي عميق بين الشعوب المستعمرة اما
مشاركتها العملية بأعمال الحرب عن طريق ارسال الجندين
والعمال الى الدول لأم للاستعداد بالحرب او بالعمل في مصانعها وهذا هو بالعمل وصح المستعمرات
الفرنسية والانكليزية - واما عن طريق الاقتصاد بعد ان جلب اليها تقديم المؤن والتجهيزات
اللازمة لسول الاتفاق - كالتوسع بالاعمال لزراعة ، والاخذ بأساب التصنيع وقد اتبع لهذه
الشعوب ان تشهد ، عن كسب ، اوروبا تشبكي ، بحرب « هلية دامية » وتقتصر دولها فيها

بينها وتطاحن ، بعد ان كانت سيادتها في نظرم ، فوق كل شك ونظر . وكثيراً ما لوحثت دول الآلة في هذه امام انظار هذه الشعوب والملاذ المستعمرة ، بمبادئ التحرر والعنق ، واخذوا يتوقعون تحقيقها بفارغ صبر . وقد عم العالم بأسره ، هنا كما لدى شعوب أوروبا المتعارية أمل بسام بطواع وضع جديد يكسب بالمعذلة والروح الانسانية السمعاء .

ومع ذلك فقد بقيت الحصار الأوروية تتمتع بسحر ونفوذ عظيمين . وقد بدا للجميع احتال القور برضى المستعمرات وشعوبها ، اذ ما راحت دول الاتفاق تطلق مبادئ الحرية والتحرر التي طالما تبجعت هاليا بالدفاع عنها . الا ان الاستعمار في القرن العشرين جاش بمطامع اشمية ، وحديثه نفسه بتحقيق المزيد من لاستثمارات ومناطق النفوذ وامتيازات وتارلات جديدة ، كما ازداد ككالباً في استثمار هذه الشعوب والموارد الطائلة التي تخفيها اراضيها . وهكذا أطلق علينا في المستعمرات وضع يسر بالانقياد شبه من رجوء عدة ، بهذا الوضع الذي احاط بالمجتمعات الصناعية ، في تطورها الصعد ، خلال القرن التاسع عشر ، ان ازل انساء المستعمرات منزلة البروليتاريا في الصناعة الكبرى ، اصبح من الامور العادية المبتدلة في نظر عماء الاقتصاد والفلاسة الاجتماعية ، فالعلاقة بين المستعمرة والبلد لام لا يختلف للينة هن العلاقة بين رأس المال والعمل ، كما يؤكد غيتون .

« فالامر م يخرج ، في كلا الوضعين ، عن انفس ينتهرون كل اسباب الثروة والفسى مسكتين من كل حقوق سياسية او اقتصادية ، وصمم وضع « حلة مستمة مرمقة » .

وراحت الدول المسيطرة تبرر سياساتها الرامية الى استقلال المستعمرات واستنزاف مواردها الأولية الصائلة بالاحتجاج بمبادئ ارتكضتها بنفسها عديدة ، منها : تسامي العرق الأبيض ، وعبر سكان البلاد الاصليين عن حكم نفسهم بنفسهم واستثمار مواردهم الشخصية بما فيه نفهم ، وصرورة لمحافظة على سيادة البيض وهدوهم ، واتخذت منها ككناة وذريعة لاستثمار خامات المستعمرات على نطاق واسع ، ولتحويل الاعلبية العددية من سكان السلاسل الاصليين ، الى وضع « اقلية اجتماعية » واستعملتها أداة لراء وإبراء ، لا تعود عليها حتى خيرات بلادها بكبير امر .

وقد حانت آمال المصلحين الاجتماعيين في هذه المستعمرات من هذه السياسة وفقدوا كل ثقة لهم بهذه المبادئ التي طالما نادى بها الدول الغربية منوحة امام انظار الجماهير بالحرية والتقدم ، وتلاشت كل امكانيات التعاون مع أوروبا ، ولم يلتوا ان أصبحوا اعداء أوروبا وخصوصها الالء ، وللعاملين على شجب حضارتها وللتنديد بها عالياً . فالحوف من أوروبا ولحقه على الغرب قريهم اكثر فاكثراً ، من دعة الرجعية والمستمكنين بتقاليدهم القومية والوطنية ، وألهمت آسيا وإفريقيا ففي كل مكان هست تيارات عنيفة تطالب بالاستقلال واتصبت في وجه المستعمرين الذين لم يروا بدأ من التسليم ببعض التنازلات : وهكذا احبرت الهند المسيطر البريطاني على التسليم بتنازلات مهمة ، وسارت على الطرقت ذاتها مصر والصين ،

بالرغم من الحرب الأهلية التي قامت فيها .

واخذ العالم الاسلامي يشده من روابطه ويرتق من هري التضامن التي تشد المسلمين بعضهم الى بعض واستيقظت في كل مكان ، هذه الحضارات النائمة او المتخلفة بمحاولة حث الخطى للالتحاق بالركب المتقدم وللأخذ بأسباب الحضارة والبرقي للبعد من سيطرة الاجنبي الفاشم . ولتحقيق السيطرة التامة والسيادة الكاملة لبلادها وكثيراً ما اضطجعت هذه الحركات الوطنية محركات او بمشاعر عرقية تحمل البعض والحقد للابيض ، الذي يستأثر بغيرات البلاد ويأخذ منها حصه الأسد .

كان الرئيس ويلسون والرأي العام الاميركي مناهضاً لفكرة الاستعمار صيغة الانتداب من الاساس ، ولذا فقد اصطدم بالاميراليين البريطانيين والفرنسيين الذين تشدوا بعضاً الى بعض مواثيق الحرب ، كما شدد بينهم رغبة جماعة بالمحافظة ليس على مستعمراتهم السابقة فحسب ، بل ايضاً ، بتوسيع رقعة هذه المستعمرات عن طريق ضم المستعمرات لالمانية السابقة والولايات التي اقتطعت من السلطنة العثمانية . وهكذا اطلت عليها صعة جديدة او مصطلح جديد استنبطه ضياهم الحبيب من شأنه ان يؤمن بعض التعديلات في النظام المقترح ، هو الانتداب الذي اقترحه الجنرال سمطس ، ونص على انتداب الدول الكبرى الاعضاء في عصبة الأمم على هذه المقاطعات الالمانية والتركية القديمة ، فتدبرها باسم المنظمة وتسهر على تأمين القربة والتعليم لابناء البلاد واعدادها تدريجياً للاستقلال الناحز ، على ان تشرف لجنة خاصة تابعة لعصبة الأمم على الطريقة التي تحقق بها الدولة المنتدبة ، المهمة الموكولة اليها . هذا الحل المؤقت ، في نظر لولايات المتحدة ، وهذا التوكيل الذي يحاو من كل اهمية في نظر الدول المنتدبة ، هذا الانتداب ، لم يراع حاسه ، ولم يحترم اهدافه كثيراً . فلم يعمل شيء تقريباً في سبيل اعداد البلاد المنتدبة وتميئتها للاستقلال . فالعراق وسعد بن هذه البلدان أعلن استقلاله عام ١٩٣٠ ، دون ان تلقى اي مشكلة من مشكلاته السياسية والاجتماعية الكبرى ، حطها المرحى . فمناقصة الدول ، ضلحت اعمال لجنة الانتدابات حتى ان اليابان و اتحاد جنوبي افريقيا رفضا التسليم او القبول بأي اشراف من قبل المنظمة .

وهكذا يرى كيف ان النظم الاستعماري القديم بقي قائماً غير الغرب وناقيره الثوري منقوص . وقد بقيت البلدان الخاضعة او التابعة عرضة كما في السابق ، لتصرفات البلد الام الكيفية . والتطور الذي لحق بمواردها انما جاء لحساب الرأسمال الاحسي وليس اصلحة ابناء البلاد بشيء ، واقتصادهم الانتاجي للخدمات ارتبط اكثر فكثر بأسواق اسول لاكثر تطوراً ولقدماً . ان اقصار انتاجهم الوطني على التصدير ، كان من بعض نتائجه لداشرة نقص في لزومات الغذائية ، وانخفاض الناتج في مستوى المعيش . ومن جهة فقد كان لسيطرة رؤوس الأموال الاجنبية على البلاد ، والاتصال المباشر بين حضارتين خبير ملساويتين ومتبيلتين ن حطهم عادات سكان البلاد الاصليين ، وخلخل عظم المعيش عندهم ،

وقضى على الأطر الاجتماعية واكتسفت المتاركة في البلاد كما قضى على تنظيمهم التقليدي المتوارث عبر الاجيال ويعمل على نشر النور المدقع والافوضى فيها .

وقد لغتهم سيطرة العرب درساً بلغة امتد اثره في انحسار نظامهم الاجتماعي فعلمهم ان الحق ليس امراً موطاً عشية الله بل هو مديحة عنومه لعدم الكفاءة الفنية وامدتهم بجامعات ونشرت التعليم الذي ايقظ فيهم الوعي والتحسن بهظمة ايجادهم ، بيتا بحث فيهم عنهموا حديداً للحرية والتطور والمساواة ، وكل الزعماء الذين تولوا قيادته لحركات الوطنية تخرج معظمهم من معاهد الدول المستعمرة منهم مثلاً ، حناح رئيس النهضة الاسلامية ، ونورو رئيس حزب المؤتمر ، وسوكلرو في سونفيسيا ، ودالتو او بن جعفر في ماليزيا ، وسكروما في الشاطيء الذهبي وبورقبة وفرحات عباس في تونس والحرائر . وقد قوتى عزم معظمهم على الصمود والكفاح لاعمال المتكررة التي استهدفوا لها مراراً ، في سجون الدول المستعمرة . وهى نسبة اقل ، فالزعماء الذين تولوا قيادة الشعوب التي لا برجورية عندها ، طلوعوا من بين صفوف صغار الاصلاء وطغىوا لاحدهم الوحيين ، الذين يمكن مقاربتهم ، من هذا القبيل ، يقدمى موظفي الصحة ، عندها ، من اطلعهم القرن التاسع عشر في اقطار البلقان او في روسيا القيصرية .

وكما ساعد العرب على تفنيد هذه البدن بأفكار جديدة وطرقت جديدة ووسائل انتاج جديدة ، فقد تسبب في خلعة النظام الاقتصادي الذي ساد في هذه البلدان منذ عهد بعيد : إذ سهل استيراد المواد الصناعية ومشط حرفة النسيج مما أدى الى تأخر محسوس في الصناعة البدوية المحلية ، وساعد على طلوع طبقات جديدة في هذه المدن كالكبروليتارية المحلية ، وطبقة وسطى من القيسيين ، وبورجوارية رأسمالية رحبت امامها وانفسحت آفاق العمل والنشاط . وقد راحت هذه طبقات على حملها قلوب مجتمعة بحكومات قسرية ولتحتج بشده على الامتيازات الامنوحة للاستثمارات الاجنبية الموقفة في البلاد على حساب لاستثمارات الوطنية .

والفشل الذي ميئت به حركة الارسلات والمثبات الدينية من لوجه النظرية - اذا مسا احداثا يعين الاعتبار الارقدات التي حصلت - لم يأت مع ذلك كاملاً ، في الجوانب العملي . فقد علم المرسلون عالمياً واعطوا نصرتهم المثل ، ان الهوس يمكنها تأمين خلاصها لأبدى ليس فقط بالانقطاع عن هذا العلم والاعتصام بالتأمل والتدسك ، من ايضاً عن طريق نعمة القريب وخدمته خدمة مصوحة مجردة عن هوى . كذلك ان التعليم الدينامي ، وروح القصد ، ومثل هؤلاء الاوروبيين المستعيرين الذين يشككون بكل شيء ، كل ذلك كثيراً ما أدى الى صعاب الشعور الديني في الهوس ، كما احداثت هذه كله بين اذعان الكبرى كالفندوسية والودوية والاسلامية بمحاولات حرسة لاعادة النظر في الامور المتأخر بقية بحيث مستوون بين عقائدهم وبين مطلب العلم الغربي الحديث ، ويعمل على صهرها في بوتقة جديدة بعد ان يطهرها عما خلق بها من الاساطير

والخرافات ومن الاعتقادات التي أكل الدمر عليها وشرب .

الحرب العالمية الثانية
وإنما في هذا المجال
هذه الحركات الاستقلالية التي اختصرت بها آسيا وأفكار الشرق منذ
الحرب العالمية الدولية ، ازدادت حدة واشتعالاً من جراء الأزمة
الاقتصادية والاحتاجية التي سببتها الضائقة المالية الكبرى . وقد
حققت هذه الحركات في أفريقيا حيث تحلت متأخرة عن مثيلاتها في البلدان الأخرى ، نجاحات
سريعة . ولم تعد نرى بلداً في العالم كله إلا وتجيش فيه مثل هذه الحركات الوطنية التي تحاول
التحرر من التأثير الذي رصف تحته وتسمى إلى تحقيق استقلالها السياسي والاقتصادي .

وحاء تأثير الحرب العالمية الثانية حاسماً في هذا المجال . وضعف النظام الاستعماري تعلى
بأجلى مظهره في الانهيار التدريج الذي آلت إليه الامبراطوريات الاستعمارية في آسيا أمام
الغزو الياباني . فقد وجد الانتكليس انفسهم في سنغافورة بعد احتلال دام ١٢٠ سنة ، والمولنديون
في اندونيسيا بعد ثلاثة قرون من استعمارهم لها ، وحبش ومنفردين في اندفاع عن مراكزهم أمام
الغزو الياباني . والفوز المبين الذي سجلته دولة من الملوكين يمثل هذه السهولة على الدول الكبرى ،
قضى تماماً على الخرافة التي تؤكد تفوق المرقق الأبيض ، هذه الخرافة التي أصيبت في الصميم منذ
عام ١٩٠٥ ، فالعامة المشينة التي تعرض لها أسرى الحرب وإدلالهم من قبل الياباني المحتل ، سواء
المدنيون منهم والعسكريون ، والأشغال المحقرة التي فرضها عليهم عرقية ، وإعمالات العظة
التي استهدفوا لها من قبل أفراد بسيطين من الجيش الياباني أو من رجال الشرطة ، قضى تماماً
على كل ما بقي لهم بعد من منة وشأن . عندما كانت تهب في وجه اليابانيين حركة مقاومة ،
فقد ارتدت طابع حركة وطنية ضد احتلال أجنبي ، لا تعني بشيء ، بأمر الدفاع عن مصالح
الدولة المستعمرة التي دفعت طعم الحسف والذل . فانتصارات رومل المدوية ، وهزيمة فرنسا ،
أحداثاً راحة عفيفة لتحاوئ أرحامها ، كل بلدان الشرق الأدنى وشمال أفريقيا . والحرب التي
جندت مئات الألوف من اليهود ومن الأفريقيين للدفاع عن الدول الأوروبية ، أفلحت لهم
الفرصة أن يقارنوا بين ما هم عليه من مستوى حياتي متدنٍ ومستوى العيش الذي يؤفل به
الأوروبيون ، كل ذلك حرك فيهم لهم وبعث فيهم الرغبة الشديدة لوضع حد لما يستهدفون
لهم وشيرات بلادهم ، من ستملال مشين ، وعولوا على المهادنة بحرية وإلادهم واستقلالها
الساحر

وقد سبق للعلماء أن علّوهم مثل هذه الحرية وروحوا هم مثل هذه الاستقلال . أفهم بطلان
الميثاق الأطلسي ، حق الشعوب باختيارهم الحكومة التي يرغبون العيش في ظلها ، وراح
الرئيس روزفلت يوضح بعد تفسيرات صريحة جاءت من لسان وستون تشرشل ، في ٢٢ شباط
١٩٤٢ ، وأن هذا الحق لا يقتصر قط على البلدان التي تعطل على المحيط الأطلسي بل يعم أيضاً
جميع أقطار العالم . وقد جتمع فيها بعد ممثلو الدول الحليفة الثلاث في مؤتمر موسكو عام
١٩٤٣ ، ووصروا الأساس التي ترتكز عليها عملية تدويل المستعمرات القديمة ، كما حاولوا تحديد

المادى، التي يقوم عليها نظام الوصاية المفروض على البلدان التي لا تتمتع باستقلالها الاداري .
 ووضع مؤتمر سان فرانسيسكو بعد ما ظهر من معارضة الانكليز (في ايار - حزيران ١٩٤٥) ،
 نظام وصاية الذي ينص على توحيد شعوب البلدان المفروضة عليها الوصاية ، وهي عملية يهدف بها
 الى دولة موضع ثقة للجميع . ومن جهة ، فقد كان من قوة نفوذ الاتحاد السوفياتي الذي احـذ
 منذ عام ١٩١٧ يدافع عن البلدان الواقعة تحت الاستعمار ، ومناصرة الممثلين الاميركيين من أي
 وزن كانوا ، ووقوفهم الى جانب رءساء الحركات القومية وتشجيعهم للسلطات الوطنية ، في كل
 من بلدان الشرق واورقيا ، ان شجع شعوب هذه الاقطار على الصمود في وجه الدول المستعمرة
 عندما راحت تحاول توطيد نفوذها وتأييد سلطتها على تلك البلدان .

وفي نهاية الحرب ، وقبل ان يسد ماو تسي تونغ دعمه القومي
 لحركة الثورة و « يغير وجه العالم » بقلبه ميران القوي في العالم ،
 ادرك دحضها المقدم
 منذ ١٩٤٥
 دخل الاستعمار في ازمة لم تلبث ان شملت العالم بأسره . فعند
 عام ١٩٤٦ ، تجلت لولايات المتحدة الاميركية للفيلبيين عن كل سلطتها في البلاد واعترفت لها
 بالسيادة المطلقة . وفي عام ١٩٤٧ ، اعلنت انكلترا استقلال الهند والباكستان ، كما اعادت
 استقلال بورما ، عام ١٩٤٨ ، التي قطعت كل صلة لها بدول الدومينيون . وفي سنة ١٩٤٩ ،
 عرفت هولندا باستقلال اندونيسيا وفقاً لاتفاقات لاهاي . كما نشأت دول مستقلة بالفصل في
 كوريا الشالية وفيتنام الشالية . وفي الشرق الاوسط الذي يعتبر بحق « محور الامبراطورية
 البريطانية ونقطة الدائرة فيها » قامت حكومات « مستقلة » كانت مع ذلك خاضعة
 لنظام الوصاية لما قام فيها من قواعد حوية وعسكرية ، واحياناً لوجود حاميات بريطانية ، ومن
 ارشاليات اقتصادية والمصالح المالية العائدة لرجال اعمال تشد من الشركات البترولية الكبرى
 اوضاع متينة ، مما أدى الى حركات مقاومة عنيفة تجلت بانقلابات (في كل من سوريا والاردن
 والعراق ومصر وايران) ، وبثأم حوارد البلاد الطبيعية . وتجسلى في افريقيا على تم حوره
 وأشكاله معارضة عنيفة من قبل المايدين في افريقيا ووقوفهم في وجه سياسة حكومة جنوبي
 افريقيا القائمة على التمييز العنصري . وقد تجلت هذه الروح ايضاً في هذه الحركات الوطنية
 التي قام بها سكان المنجمرات البريطانية في افريقيا الغربية وافريقيا الشرقية . وقامت في
 روديسيا ونياسالاند مقاومة عنيفة من قبل سكان البلاد ضد اتحاد افريقيا الوسطى . وظهرت
 حركات جماهيرية في جميع بلدان افريقيا الغربية والفرقبة الاستوائية ، وبلدان شمالي افريقيا ،
 تلوح كلها بمطالب قومية استقلالية . وفي قلب اميركا ، راحت جزر الهند الشرقية ومقاطعة
 غوايانا البريطانية تطالب بتحررها ونالت نصيباً كبيراً من الاستقلال خوفاً التمتع بنظام
 الدومينيون .

فإذا ما اضطرت الدول الاوروبية للتخلي عن الكثير من امتيازاتها ، فلها كانت عاجزة
 من تدعيم نفوذها بالقوة في هذه البلدان ، بعد الحرب مباشرة . فلي الماضي كان سكان

المستعمرات يسمون خائفين ، اذ يكفي ان يظهر في عرض البحر حمارة من الاسطول الحربي أو يرد على البلاد نجدة عسكرية مها كانت صغيرة لتفرض الدولة المستعمرة ارادتها على الحكومة المحلية . فمنذ عام ١٩٤٥ ، بعد أن استيقظ الضمير الوطني في هذه الشعوب وبعد ان عهد الناس لأعمال المناوشات ، لم تعد وسائل التخويف التي كان يركن اليها في الماضي ، لنفي بالمرض فانصراب من البحر أو من الجو لم يكن ليجدي كثيراً ، لخلو البلاد من منشآت عسكرية أو من وحدات حربية لها اهميتها ، وكذلك الحصار البحري لم يكن ليأتي بنتيجة تذكر بعد ان يتحول اقتصاد البلاد من اقتصاد قائم على تصدير الخامات للخارج الى اقتصاد يؤمن المواد لاستهلاكية الضرورية ، كما حدث ذلك بالفعل ، تسبب الحرب ، في كل من ماليزيا وبورما والفلبين وكثيراً ما رأينا الانكليز والفرنسيين والهولنديين يسيطرون في مايريا والهند الصينية واندونيسيا على قواعد السلاسل الكبرى ومراكزها الرئيسية ، دون ان يتوصلوا مع ذلك ، الى نتائج حاسمة .

والوسائل التي اعتمدها المستعمرون من قبل لكبح الحركات الاستقلالية والانتفاضات الثورية التي تقوم في المستعمرات ، اقتصرت على كبح هذه الحركات بقوة السلاح والعمل على تفشيها بكل وسائل الاعراء . كذلك ان اللجوء الى القوة المسلحة التي تتكون من السعاليين والفرقة الاحبية والجاكس وغيرهم ، تؤلف عملية ذليلة الثمن ولحاحها يتوقف ، الى حد بعيد ، على حسن ولاء القوى المستعمدة ، وهو ولاء اخذ يضعف شيئاً فشيئاً ، والتمرد الذي اعلمه الاسطول الهندي ، عام ١٩٤٦ كان حاسماً في ارفع انكلز على التراجع ، وتكاثر منذ هذا التاريخ حوادث ، حودث الانكفاء ولانصعاب بين القوى الوطنية التي استخدمت لكبح الحركات الاستقلالية في استعمرات . ومن جهة اخرى ان التعاف ازعاج الاقطاعيين حصول الدولة المستعمرة ، كما جرت العادة بذلك ، لم يعد له التأثير الذي كان له في الماضي . فهذا الفريق من الناس الذي وقف موقفاً يتعارض وموقف الاكثية في البلاد يرى نفسه مشغولاً لمخافة الرأي العام له في البلاد ، ومن هذا الفريق ، كان في اكثر الاحيان قليل الحدوى ، هذا ان لم يلعب على الحبلين ويتأرجح بين الجنين . وهذه الشعوب التي كانت من قبل مقسمة على نفسها والتي كثيراً ما اقاموها بمصاً على بعض ، اصبحت الآن اكثر اتحاداً وتماسداً ، وتشد بعضها بعضاً ، ويظهر الواحد منها الآخر فالدول المسيطرة تلاقى في كل مكان روح المقاومة ذاتها ، وتسمع النداءات ذاتها ، هذه النداءات التي تكافلها الهيئات الطلابية ومنظماتهم في كل المدارس والجمعيات ، في القاهرة ودمشق واليمن والهند ، وبين عمال الارصفة في الموانئ البحرية فما من شعب مستعمر يجد نفسه منفرداً في جبهة الوطنية . فالشعوب الاخرى تظاهرة وتشد من أرره ، كما يحظى بالكثير من المصطفى الرأي العام في العرب وهكذا يرى الحركات والمطالب لاستقلالية تعضد بعضها البعض في كل زمان ومكان . واعادة تنظيم الحشة مثل تحديده نيجيريا ، واستقلال الهند تنهج على منواله بورما وغيرها كثيرون ، فعلى الدول المستعمرة ان

تكون متباعدة في كل القطاعات والضرورة تفضي بارساء المرد من القوى والسعدات تهاها
الى كل من مصر وكينيا وماليزيا ، ونقل القوات الفرنسية من شمالي افريقيا الى الهند الصينية .

وجبهة الدول الغربية بعد من ان تكون موحدة . فبريطانيا العظمى التي
اوربا والفسانمايت كانت اصغر من ان تصون قواعدها الغربية ومواقعها الحصينة وقد فع
عسا ، اضمرت للتحلي لاميركا ، مما يقع من هذه المواقع في الشرق لاقصى وفي المحيط الهادي ،
وتعصم النظر عن الوحيد لاميركا في بلدان الشرق الاوسط . لا انها تنهج في هذه المنطقة
مبينة نصرب بمصالح اميركا عرض الحائط كما تعارون انصاها عن هذه المنطقة . الا ان
الموقف التي اتخذتها اميركا ، في اليابان وفورموزا ولحمي كوريا ، والمؤامرة التي قدمتها
لشن كاي شوك ولسمهان ري في كوريا الجنوبية ، واخصار البحري الذي فرضته على الصين
الشعبية ، والمنافسة الحادة التي شنت بين شركات الدول الضخمة حول بترول ايران والعربية
السعودية هي اكد برهان على هذه الاحتلالات التي تناعد فيها بسبب والتي عرقت الشعوب المستعمرة
الاعادة منها . وهذا التأثير دلمب دوره وبصمط على اهلنديين للتساؤل مع انديسيا ،
وتقف موقفاً معادياً من السياسة الفرنسية في الهند الصينية ونشد من اورد الفيتناميين
اعداء فرنسا

قدفون لاتحاد السوفياتي ومنش الصين منذ عام ١٩٤٩ ، لا يمكن الانهامة بها . فقد وجد
الاتحاد السوفياتي لمشكلة العلاقات بين الشعوب التي تلتاين في تطورها الاقتصادي والثقافي ، خلا
اساسه مساواة اصام القانون ، بعيداً عن كل نزعة عرقية وعن كل تميز عرقي ، وبسبب هي
سياسة تطوير سريع في الامور المتعلقة بالاقتصاد والحركة الفكرية ، هذه السياسة التي تعبد الى
بناء البلاد لاصليين المؤهلين ، ما هي المسؤوليات والعهدت ، وتحاول ازالة كل أثر قسوي ، بين
رئيس ومرؤوس . وكل مرة يشار في الامم المتحدة السحت حول الدول المستعمرة والبلدان
لستعمرة ، فهي تقف دوماً الى جانب الشعوب المسلوقة بين تمنعين الديوقراطيات العربية
بوسائل الاكراه وتعهد الى القوة اسلحه لتقمي هذه البلدان تحت طاعتها ، وسيطرتها . وهكذا
فالشعوب الاراسحة تحت لاسثمار ترمي في لاتحاد السوفياتي وفي الصين رهراً لاستغلال ،
والديوقراطية توطد هي نفسها مثل هذا الاعتقاد في نفوس الشعوب المستعدة ، اذ لا تلت ان
تصف الحركات الاستقلالية التي تقوم بها هذه الشعوب ، بأنها حركات شيوعية .

فالحركة القومية والثورة الاجتماعية امران يأخذ الواحد منهما بيد الآخر ،
مطالب الحركات
اد لمطوب توجه العمل الثوري ضد سيطرة الاحبي على البلاد وصد
القومية وظلامات
ستجارة لواوردها والاستئثار بها لنفسه . وقد يتجه هذا المذهب حياناً
ضد غير الاوربيين ، فقد قامت مثل هذه الحركة ضد الدان في كوريا ، وضد الهند في بورما
وفي بلدان آسيوية اخرى ، وارتدت طائفاً معادياً لاصلي احباً لا انها كانت مصاها لأوروبا في
أعلب لاهيان . والعداء الذي نجه الى اليابان والمعروب التوسعية التي قامت بها ، لم يلبث ان

سكن وهذا . فذكرى كماحه المديد ضد سيطرة الرجل الأبيض والنداء الذي طالما نادى به
 اهانته ولوث « آسيا الآسيويين » ، والاعتراف بمصل اليابان على قدرتها من البلد على اساليب
 لادارة الاستقلالية ، كل هذه الاعتبارات احدث تشبيل على شعور النقص الذي تحلى صدها
 خلال الاحتلال والتشكيات التي طالما عبروا عنها والنهم التي طالما وجهوها للاروبيين تركز
 في كونهم حصروا كل نشاطهم في اغناء ثرواتهم من موارد البلاد الاقتصادية ، ولم يابهاوا قط لما
 يؤول لتحصين مصير الشعوب التي طالما تسعوا بانهم اما جاورا اللادلتامين الحثير هم ولتدبنتهم .
 فاصرف حل مهم الى تحسين وسائل استثمار ثروات البلاد وإعداد ما يصلح مهسا للتصدير
 للعارج بما يعي محاسنهم والخطوط الحديدية التي أنشأوها ، والطرق التي شقوها ، والجسور
 والاقنية التي بسوها ، والمرافىء التي أنشأوها ، فقصدها مهسا تسهيل وصول هذه الخامات من
 مصادرها في المناجم والمردعات التي لمحود بها بسخاء الى مراهىء تصديرها وشحنها ، وتسهيل
 وسائل الاتصال اماءهم دواء الاكثارات بمحاجات ابناء البلاد الذين كانوا يعملون في قعر كائهم
 ونحوهم على حل او الحار . كذلك رفقوا جائلا دون انتاج المواد والمصانع المصنوعة محليا ،
 ومنعوا تأسيس اي صناعة او انشاء اي مصنع يمكن ان يتنافس يوما بمصنوعات البلد الام .
 وانتبهوا في كل ذلك سياسة تقوم على الابتزاز والاستغلال وحرصوا شديدا على ان يؤمروا لهم
 اسواقا شاسعة لتوزيعهم ، واخرى لتصرف انتاجهم ومصنوعاتهم . وقد كان من بعض نتائج
 الضغط الشديد الذي مارسوه ان قبلوا في البلاد اراءات المدائية او الاستهلاكية ولو عرض
 ذلك ماء البلاد فلهف في المواد المعدنية التي يعملون عليها ، كما افقدوا الطاقة الانتاجية للقرية
 لعدم تقديم ماصول الدورات الزراعية المعمول بها ، ويشجعهم انتاج المحاصيل الممدة للتصدير ،
 فقد جعلوا اقتصاد البلاد عرصة لكل ازمة ولكل تطور في سعر النقد .

ورضع بورما هذا خير مثل نضربه على ذلك . فقد لفبرت البلاد تماما في اقل من قرن ، اد
 تحولت عشرات الالوف من هكتارات المطائع والمستنقعات الى مزارع للارز واستخرجت من
 بطن الارض مصادن وغازات دفيئة اخرى شحها للخارج ، وحرق استغلال احراستها
 الظلمية ، كما انشئ في طول البلاد وعرضها شبكة واسعة من الخطوط الحديدية والطرق
 الواسعة والاقية والبرع المائية لتسهيل المفاية . وكان من نتائج هذه السياسة ان البورمايين
 نلبوا حائبا ليس السيطرة الانكليزية فماسب مل رفضوا الانضمام الى نظام الدومينيون ، وعلة
 ذلك هو ان هذا التطور المادي لم يعد بأي فائدة على الوضع الاجتماعي في البلاد لسنيين رئيسيين .
 فكثرت عدد سكان البلاد من جهة ، ومن جهة اخرى ، لأن الذين أقعدوا من هذا التطور المادي
 هم التجار الاجانب واطفون وامرايون . فقد كثر عدد الاغنياء في بورما ، ولكن قصة منهم
 كانت من النورمايين ، بينها ساءت اوضاع السود الاعظم من سكان البلاد ، اد ان التوسع في
 الزراعات التصديرية زاد من قسوة الملاح وقهوله على المراهين ، اد ان الشرائع الأوروبية التي
 طبقت في البلاد قصت تماما على الاعراف والمعدات المتوارثة جيلا بعد جيل والتي كانت تقصي

بقاء الاسرة وبثها في الارض ومنع خروجها من بين ايديهم ، فإذا بالقوانين الجديدة تسبب التصرف بالأرض بيعاً وشراء ورهنًا ، بحيث ان نصف عدد المزارعين فقدوا املاكهم واصبحوا عمالاً مياومين اضطروا للعمل عن عمل لهم خلال ابواسم . كذلك ان استيراد المواد المصنوعة بكيات ومقادير هائلة وبأسعار رخيصة قضت قسماً على المصناعات اليدوية في البلاد ، وهذا ساعد الاستثمار ، من حيث يدري او لا يدري ، على خلخلة التوازن الاجتماعي الذي عرفته البلاد من قبل ، وخلق فيها مجتمعاً لا جذوره ولا اصول ، ينتشر اصلاً لكل ما يوطد اسباب الطمأنينة الاقتصادية والاستقرار في البلاد ، ويتسكع في مقر مدفع .

فالسواد الاعظم من ثروات البلاد الطبيعية كان يجد طريقه الى هواصم البلاد المستعمرة فتستأجر محصة الاسد منها بيبا يصب ابن البلاد قسمة يخشى منها ، فإذا ما انعمنا ننظر ملياً في موازنة شركات الاحتكار البريطانية التي تشغل القسم الاكبر من رأس المال في الخارج ، ولا سيما في البلدان الواقعة عبر البحار ، نجد الشركة الانكليزية الايرانية تحني من الارباح ما يوازي ٥٦ ٪ من رأس المال ، عام ١٩٥١ ، وان شركة اوليفر تريج ٣٨ ٪ ، وان شركة رويال دتش شل تريج ٤٤ ٪ ، وان شركة التسغ الامبريالية تريج ٣١ ٪ وشركة دنلوب للمطاط تجني ٤٠ ٪ ، وشركة غيت ولابل تريج ٣٩ ٪ ، وان شركة اورينتال ويسانسولار تريج ٢٣ ٪ . كذلك ترى ان هذه الشركات السبع الكبرى التي لا يزيد رأس مالها لمستثمر من ١١١٥ مليون جنيه انكليزي ، تؤمن لها في السنة ومخاً صافياً يبلغ ٤٦٨ مليون جنيه ، اي ٤٢ ٪ من رأس مالها الموظف ويمكن تحقيق مثل هذه الارباح الباهظة لأن مستوى الاحور متدن جداً ، كما ترى ذلك بوضوح في مناجم القصدير في بنجيريا ، فقد بلغت قيمة الصادرات من هذا المعدن ، عام ١٩٣٧ ، نحو ٥٠٠ ٠٠٠ ٢٠٠ جنيه انكليزي نصفها (اي ١ ٢٤٩ ٠٠٠) هي ارباح صافية ، بينما لم يكن العمال الوطنيين العاملين في المناجم وعددهم ٣٩ ٠٠٠ عام ، لا يتقاضون من المرتبات سوى ٣٢٩ ٠٠٠ جنيه ، اي ما يساوي من ٣ - ٦ شلن في الاسبوع ، اي جزء من سبعة من قيمة الانتاج . اما استغلال جماهير الفلاحين الذين يؤلفون السواد الأكبر من السكان ، فيبرز اكثر فأكثر . ولا يكفي قط ان يجبرهم النظام الضرائبي والاضط الذي يتعرضون له من قبل الادارة للتخلي عن زراعتهم الغذائية للانصراف الى زراعات تصديرية ، فالشركات التجارية تدفع لهم اجوراً واطية جداً ، كما ان هذه الشركات تبيعهم بأسعار عالية جداً المواد المصنوعة التي لها وحدها حق استيرادها وبيعها . ففي افريقيا الغربية ، ان شركتين فقط من هذه الشركات ، هما : شركة (S. F. A.) وشركة (S. C. O. A.) كانت تملك ، عام ١٩٣٨ ، اكثر من نصف رأس المال الذي يعود لـ ٣٨ شركة افريقية مسجلة في النورصة ، والارباح التي كلفتا تصرحان بها لم تنزل قط عن ٢٥ ٪ من رأس المال وهما لا تتدخلان الا من قدر في الانتاج ، باستثناء مساهمتها في بعض الاستثمارات الزراعية او في بعض الشركات العاملة في شؤون النقل وهما لا يستثمران ارباحهما في البلاد ، وتقتزمان بتوزيع بعض حصص من الارباح لاصحاب الاسهم في انكلترا .

والحركة الوطنية أو القومية صفتها ما اصطفت بحركة تصدت لحاربة الفقر وعدم
الاطمئنان . فالهون الشاسع بين الوضع الري البئيس الذي تتسكع فيه الجمهير وبين المعنى
الفاحش الذي تحمل فيه قلة ضئيلة من الناس فاسدة ومفسدة عميلة للرأسماليين الأحناف ، خلق
بين شعوب المستعمرات شعوراً حاداً باحترام الذي ضاعف من روح الثورة ورادها ضراماً .
وقد بلغ معدل دخل الفرد في الهند ، عام ١٩٨٠ ، (بالدولار الأميركي لمسام ١٩٤٦) ٤٣
دولاراً في الهند و ٣٥ دولاراً في اندونيسيا وفي ٢٥ بلداً من بلدان العالم يمثل عدد سكانها نصف
عدد سكان العالم جاء دخل الفرد الواحد اقل من ١٠٠ دولار ، بينها هو ١٤٧٦ دولار للفرد
الوحيد في الولايات المتحدة الاميركية ، و ٦٦٠ دولاراً في انكلترا . وهذا الفقر المدقع الذي
لا يوصف ، يرد سكان البلاد لهذا الظلم ولهذا الاهمال الذي تعرضوا له هو بئس ما قبل الدول
المستعمرة .

استقر رأي بريطانيا العظمى ، عام ١٩٤٦ على القيام بما لاند
سياسات الدول المستعمرة منه ، وعدلت عن اتخاذ الوسائل اللازمة لقرض سيطرتها على
الهند وعلى بورما التي قررت عدم الانضمام الى الكومنولث البريطاني ، وعلى سيلان حيث احتفظت
ها بقواعد بحرية ومراكز اقتصادية قوية . وركزت جهودها العسكرية في هذه الاراضي التي
تؤمن لها السيطرة عليها ، اكبر ما يكون من المنافع والارباح ، على ماليزيا ، منتجة الدولارات
وسارت لولايات المتحدة من حيثها في الفلبين على سياسة تحررية ، مع الاحتفاظ بما يؤمن لها
السيطرة الاقتصادية على البلاد . وعلى عكس ذلك ، راسيت هولندا وفرنسا لمحاولات فرض
هيبتها على البلدان التي تستعمرها بعد ان تحملنا لها عن بعض الامتيازات الثاقبة . وقد تجاهلت
الدولتان المذكورتان حق الحركات الوطنية التي هزت السلاسل واندى الذي بلفته ، والمعارضة
المبيفة التي انتصت في وجهها ، واتعمد بين مغمصة ، نصائح شدة من « خبراء » الاستثمار
الذي يملكون النفس بالروح و في ذلك الماضي الجليل الذي ولى ، وراحوا يرشقون بالسنة حذاد
هؤلاء « الزعماء » الذين يقودون الحركة ، هذه « اللغظة من الزعماء المخالفين » الذين في نصيبتهم
عن طريق الشرطة بالوسائل التقليدية المعروفة التي لتنادي بالمساعدي : فرق تسد ، وتوصي
بالاعتدال على الزعماء الاقهارين الذين تخرمهم القساد ، ضمان لعودة الهدوء الى البلاد ، وبذلك
جرى فقد ن كل شيء . واضطرت البلاد الرأطية للمهادنة منذ ايلول ١٩٤٨ تحت ضغط الدول الاخرى ،
كبريطانيا والولايات المتحدة والهند واوزتراليا ولبنان عند رضات الامم المتحدة وقوصياتها ،
التي هما ان ترى الهدوء والاستقرار يعودان الى تلك الاقطار ، بمسند ن وثقت شططيات
وقصص بحاث سوكارو بموقفه المعادي للشيعوية . وقامت فرنسا ، في الهند الصينية بحرب مكثيرة
التكاييف كلفتها دماء زكية انتهت بمثل فربيع وانكسار منزل ، وتفقداً ليس مركزها
السياسي في هذه البلاد ، فعمسب ، بل ايضاً مركزها الاقتصادي والثقافي مع ما بدا عليه من
قوة وعظمة . وعلى مثل هذا جاء الوضع في افريقيا الشمالية حيث اضطرت للاعتراف بتباعد

باستقلال تونس والمغرب وفي النهاية باستقلال الجزائر .

كان للحرب كورية تأثير بالغ وعميق الغور على تطوير الحركات
 تأسير حرب كوريا القومية في القارة الآسيوية فالتدخل الأميركي حمل الأمم
 المتحدة المزمدة على التدخل في هذه الحرب في الوقت الذي وقعت في المحيط الهادي ، موقفاً
 مؤيداً لتشان كاي شيك : أدى الى اعلان حياده فورمورا وحايته من قبل الاسطول الأميركي
 السابع ، والتصريح بربط مستقل جزيرة ووضعها معاهدة الطمأنينة والهدوء الى المحيط الهادي
 وقرار السلام مع اليابان ، مع انه كان لقرار في مؤتمر يالطا وبوتسدام ، اعادة فورموزا الى
 « جمهورية الصين » . وفي الوقت نفسه راح الرئيس ترومان يصرح بمصاعفة مساهمة فرنسا
 ولباو داي في الهدد الصينية وقد نظر لزعماء الوطنيين في آسيا الى موقف الولايات المتحدة
 من فورموزا ، نظرهم الى تدخل هذه الدولة بشؤون الصين الداخلية ، كما نظروا الى مساهمتها
 لفرنسا ولباو داي كأييد من الولايات المتحدة الاستعمار في الشرق الأقصى ، وفي الوقت ذاته ،
 استطاع جيش آسيوي يتألف من وحدات كورية وصينية ، من الصمود سنتين في وجه جيش
 أميركي حصري السلاح والى إجباره على التقهقر أحياناً ، بين بررت حكومة كوريا الجنوبية
 حكومة مستعدة بزرر الانتخابات ، وتبقى في الحكم بغض نظام بوليسي ، واعلان حالة
 الطوارئ في البلاد ومساعدة دولة اجنبية ، كما برزت الأمم المتحدة كعالم مقدس في الغرب
 يتحرك في الشرق الأقصى وفي الشرق الأدنى وفقاً لرغائب الولايات المتحدة المصدة للآسيويين ،
 لتعرض حلبيهم مظلماً مهلهلة ، فاسدة لا شأن لها (سيفيان ري وتشان كاي شيك وهو داي ونوري
 السعيد ومافندريس) ، وانها خاضعة لنفوذ الدول الغربية . فليس من عجب قط ان يتأثر من
 هذه السياسة نفوذ الرجل الابيض ، وسلطة الأمم المتحدة الأدبية ، كما انها حلت الآسيويين على
 ان لا يعولوا على احد وان لا يعتمدوا الا على انفسهم ليؤمنوا استقلالهم الناجر .

ويعد الفوز بالاستقلال كان لا بد للدول الجديدة التي أطلت على
 الحياة ، ان تنشئ لها - أحياناً من الأساس - ما هي بحاجة
 اليه من الاطر والملاكات الحكومية والادارية ، هذه الملاكات التي
 لم تعمل الدولة المستعمرة ، شيئاً ، على الاجال ، لإيجادها ولتدريبها ، كما كان عليها ان تعالج
 المشكلات السياسية والاقتصادية التي تسبب لها الاستمثار بالحرية التي حققتها والتي طامنا حلت
 بتحقيقها والمهمة الأساسية الاولى ، هو إيجاد ، وان أمكن ، رفع مستوى الحياة في البلاد لدى
 هذه الجماهير البائسة ، كما بدت الحاجة ملحة ملحفة لاصلاح زراعي حلوري ، ولتنسيق العشاه
 الزراعي ، وحلق مصاعف جديدة في البلاد ، وتحقيق ردة ضد صيق السوق ، عن
 طريق تمويج الانتاج وتوسيع نطاق السوق الوطنية فيها ، والتحرر من الاسواق ورؤوس
 الاموال الاجنبية عن طريق تأمين مصادر الثروة في البلاد والمصاعف الأساسية فيها .
 والوسائل التي تؤول الى هذا كله تختلف اصلاً عن النرائع التي ألف الركون اليها رأس المال

الكلاسيكي ، فعلى الدولة ان تشرف بنفسها على تطوير اقتصادياتها بحيث تتوازن وتنكافأ مجالاتها المتعددة عن طريق التخطيط الاقتصادي والتنسيق بين القوى المنتجة ، ودرس وجوه الاستثمارات التي يجب الركون اليها دوماً التوقف عند اعتبارات الانتاج المباشر القريب ، ودرن ان تلتظر من القطاع الخاص ان يسبقها او يتقدمها في حركة لاستثمار هذه ، ووجوب مراقبتها لهذه الاستثمارات وتأمين التنسيق العملي فيما بينها ، مراعاة للمصلحة العامة ولخير المجموع ، والحد من استيراد المواد او المصنوعات غير الضرورية لانتظام الحياة في البلاد ، ومراقبة اصدار الاسهم والسندات . فعلى الدولة ان تتولى هي نفسها مضاورة الانشاءات الكبرى من سدود وأقنية وطرق وخطوط حديدية ، كما عليها ان تستثمر ثروات الارض الطبيعية كالمناسم والملاحات فالدولة في الماكستان اخذت تشيد المعامل والمصارف الخاصة بالصيج والمجوت والسكر . وافشئت في الهند وفي اندونيسيا مصانع تؤمن حاجة البلاد من الاسمدة الزراعية والاجهزة للتلفونية والادوات الصناعية ، ومصانع للفلاد والصلب كذلك على الدولة الناشئة ان تشجع الصاعات الناشئة وتعميها مثلاً من الضرائب ، وتقدم لها حاجتها من القدر النادر لتأمين استيراد السماد والاجهزة التي هي بحاجة ماسة اليها . وتنشأ في كل مكان من اطراف البلاد شركات اقتصادية مشتركة بين ابناء البلاد والاجانب . كما ان اجراءات التأمين التي اتخذتها السلطة في كل من الهند واندونيسيا ، امتت لها صبح ما تحتاج اليه من السلاح والعتاد البحري ، ومراقبة الطاقة الذرية . على كل هذه الدول الجديدة ان تشق طريقها بجرأة واقدام نحو طرق واساليب مختلفة كلياً عن الاساليب التي طالما حول عليها واعتمدها الرأسمال الاجنبي دون ان تشتط الى اشتراكية مدروسة مخطط لها ، والتي هي ، شاءت او أت ، السبيل الوحيد الى الاشتراكية الصحيحة

المبحث الثالث

آسيا الجنوبية وآسيا الشرق، لأقصى

الحركات القومية التي جاشت بين هذه الشعوب المعتمدة الى حد كبير على الاجنبي، تكاثرت بالنجاح بسرعة لم تكن لتتوقعها. فهذه الاقطار الشاسعة التي تمتد من حدود ايران غرباً الى شبه الجزيرة شرقاً، هي اكثر بلدان العالم من جهة التغيرات التي طرأت عليها بعد الحرب. ان اعتراف بريطانيا باستقلال الهند عام ١٩٤٧ واستقلال الصين مما من هذه الحدود المميزة لمصر هذا، وبعثان قصيراً جذرياً في ميزان العلاقات الدولية، تحولاً عظيماً في نظام العالم القديم. فمنذ ان خرج الاشراف على آسيا من يد اوروبا والولايات المتحدة، فكل هذه الاقطار الواقعة ضمن هذا المدى للسياج - باستثناء ابلاند التي كانت مستقلة - نالت أو حققت استقلالها السياسي بعد ان كانت من قبل مستعمرات لانكلا، وللبلاد الواطية ونمرسا، ورحلت قطيعاً هذا الاستقلال بمسح خاص بأكمله باستقلالها الاقتصادي.

١ - الهند

الحركة الوطنية في الهند

حققت الهند استقلالها بعد جهود جسارة وقصصيات عزيزة في ظروف اجتماعية معقدة. ترأس الحركة الوطنية فيها منذ عام ١٩١٤، حزب المؤتمر، هذا الحزب الذي تألف عام ١٨٨٥ بموافقة الحكومة البريطانية، فضلاً منها بين العناصر الموالية، والعناصر المتطرفة، واقتصر برنامج الحزب السياسي، على ذلك التاريخ على امور سياسية كاندخال الجماهير الشعبية حملة السياسة بعد الحرب العالمية الأولى، وهي حركة انخرجت الحرب عن موقفه لتأرجع بين الاجنبي وبين الجماهير الهندية التي اخذت ميولها الثورية صابماً حطراً. وبعد ان حاول الحزب التقدم مع الحكومة، مال عنها بعد ان صدمته وبقرة في موقف الى جانب الجماهير الشعبية يستعصها ويثيرها ضد السلطة العاتقة العابسة باقدار البلاد.

وتأزم الوضع وساء منذ الحرب مع شخصية مهاتما غاندي المتضاربة النزعات الذي دعا

« للاحتف » ، فمثاليته مثالية أدبية في الأساس ترمي لتقويم هيبو الشعب وإيقاظه ، وإنشراح حياة تقسم بالسعادة والنمسك بالأعراف التقليدية وذلك عن طريق العودة الى حياة الأرض في هذن وال أحياء حضارة الهند الهندوكية ، والعودة الى المرفدن والمفزل بمساعدة الانكليز أو بدونهم ، وهي نقطة فائقة ، في بظره بعد ان استقر في اعتقاد ان خلاص الهند يتم عن طريق تحول رروحي وليس عن طريق السياسة ، إا لم يحس خندي ليهم كثيراً بالأصلاحات الدستورية والاجتماعية . فاحكم الذاتي الذي تطمع به الهند اق ، يأتي عن طريق Satyagraha أو المقاومة المعالة المعيدة عن كل عيب ، ووقوف العمل بال Hartal بعد ان كانت اوصى باعتداده منذ عام ١٩١٩ ، على ان خروج بعض اتباعه عن سياسة اللاعنف ، ورأى نفسه مضطراً ، مراراً كثيرة لوقف الحملات التي يكون بها « بسبب سوء انجهاير غير الانساني » . فالتنود المنقطع النظر الذي تمتع به لقد سته الشخصية ورعه وقوده ، ومبادئه النواصع ومحبة الفقر التي طالما قادى بها ، كثيراً ما سحت عن انظار الناس ، الطابع الرجمي والمطلب الخيالي دعوه الحسارة للاستمسالك بالصناعات اليدوية - التي لو نجحت لأرقت الهند في ركود اقتصادي مريع - كما اخفت عنهم امهالطت ، ومارقات المدينة التي جعل بها ، وحتقاره لمشكلات الاقتصادية ، في الوقت الذي كان فيه يطالب باستقلال الهند ، ودفاعه عن ال Zamindars وعدائه للثقات المالية ، في الحين الذي كان يحاول ايجاد دواء داعم للدوس المدقع الذي رسفت قيسه جماهير الفلاحين والمهال .

وحزب المؤتمر الذي كان يهتق بلسان الطبقة البورجوارية العليا والذي صم بين صفوفه المعاصر التقسيمية سلبية كبار الملاكين العقاريين ، ومعكرين وأدباء مشهورين ، لم يطلب في بدء الامر سوى تمثيل اكبر للهنود في نظام الحكم ولادارة البريطانيين ، تجراً وطالب بالاستقلال الادري للمنظمات الوحدية في الهند كما راح يؤرد المطالبة باستقلال البلاد الاقتصادي . ولم يتصل بالجمهير الشعبية في الهند الا بعد اشتعال الحرب العالمية الاولى وعند اشتداد شعله الثورة العالمية ، بحيث اخذت البورجوارية الصغرى في المدن تنتسب الى صفوف الحرب . فالجرب رادت من وطأة الضرائب المالية وقسمت في رفع الاسعار ، وعقدت الحياة ، كما ان والمدة لاملونزا قضت على اكثر من ١٤ مليون شخص دهبوا جيماً فريسة هذا انداء الوبيل ، وقد قامت في البلاد حركات فرد وعصيان في مقاطعة البنجاب ، وراح تيلاك ، بمؤازرة آمي بيزان ، يؤسس عام ١٩١٦ ، عصبة الوطن القومي توفق حرب المؤتمر في لكونه ان يجمع ممأ « المعالين المتطهرين » و « المعتدلين » بعد ان تفرقوا وقاعدرا منذ عام ١٩٠٧ ، كما عقد تحالفاً مع الرابطة الاسلامية التي تالمت عام ١٩٠٥ . وهذا الاتفاق الذي تم بين الاحزاب الهندية ادى الى وضع خطة عامة للإصلاح رمت الى لاستقلال التام ضمن رابطة الامبراطورية البريطانية . وعندما نشبت الثورة الروسية ، سارعت الحكومة البريطانية ، الى قطع الوعود بالامل على « تطوير مؤسسات احكم الذاتي تدريجياً في سبيل تأليف حكومة مسؤولة عن الهند تكون قسماً متمماً للامبراطورية

البريطانية . ونظام السلطة الثنائية الذي اقترحت الاخذ به لجنة مونتاجر شيفسفورد ، لم يباشر بتطبيقه ووضعه موضع التنفيذ الا في سنة ١٩٢٥ .

وزع هذا النظام المسؤوليات بين الحكومة المركزية التي استقطبت لنفسها بد الامور الخاصة ، كالشؤون العسكرية والجبركية وامور الامن العام والقضايا المالية ، وبين الحكومات المحلية العامة التي انيطت بها ادارة الشؤون المنتقلة اليها ، كأمور الصحة العامة والزراعة والتربية والتعليم . واستندت الحكومة المركزية الى نائب الملك ومجلس التشريعي المعين لمدة ثلاث سنوات ١٩٢٥/٦ . عضواً في السنة الاولى ، و ١٩٢٦/١١ في السنة الثانية يجري تعيينهم من قبل الحكومة . كما انشأ مجلس الامراء . لكل من الولايات العشرين حكومتها الخاصة ومجلس تنفيذي ومجلس تشريعي . فنائب الملك والحكام مسؤولون امام الحكومة البريطانية فقط ، وهم يتمتعون بحق القيتو للشاريع التي تقرها المجالس ، ويمكن لهم ان يفرضوا - بالرغم من اقتراح معار في المجلس - الاجراءات التي يرون ان لا بد من اتخاذها .

وفي ظل هذا النظام البعيد جداً عن نظام الحكم الذاتي الذي وعدوه به ، عاشت الهند بين ١٩٢٥ - ١٩٣٥ . وعلى غرار الاصلاح الذي قامت به لجنة مورلي - منتو قبل ذلك بعشر سنوات ، قال هذا النظام موافقة الممثلين الذين اظهروا استعدادهم للتعاون مع بريطانيا العظمى ، وبذلك تم شق المعارضة الوطنية . واخذ حزب المؤتمر ، في نهاية الامر ، قراراً بتبني هذا النظام مع استمراره في المطالبة باصلاحات اكثر جذرية وعمقا ، وتكاثرت حركة الاضرابات في البلاد بالرغم من محاولة الحكومة لاصحابها ، واتخذت نطاقاً أوسع . واعطت الاحكام العرفية في مقاطعة البنجاب ، واد ذاك راج عاندي بعد ان اقلقت الحركة الثورية ، يوقف حركة العصيان المدني التي دعا اليها ، وتبني بديلاً عنها سياسة « اللاتماون واللاهف » ومقاطعة احمك في البلاد والشرائح المعمول بها ، والؤسسات التعليمية ، وعدم دفع الضرائب . وفي سنة ١٩٢٢ ، دخل اكثر من ٣٠٠٠٠ هندي السجن لأسباب سياسية . ودب اليأس الى الحركة وولاهما القسوت والمخلف من الاعضاء المنتسبين اليها الى ٢٠٠٠٠٠ . وانضمت الحكومة هذا النظر بالذات للتراجع عن التنازلات الاقتصادية الجزئية التي كانت قدمنها ، وحددت عام ١٩٢٧ قيمة الروبية بسم مرتفع الامر الذي عاد بالازعاج الشديد على عدد كبير من ارباب الصناعة في البلاد ، وخفض من الحماية الممنوحة عام ١٩٢٤ ، لصناعة الفولاذ وأدخل على السلاص تعريفات تفصيلية لصالح الفولاذ البريطاني .

اتمام هذا الموقف تلك الحكومة البريطانية رأت النورجوارية المعتدلة
التطور الجدي ان تقطع تعاملها مع الحكومة ، وفي اواخر عام ١٩٢٢ ، راج جواهر لال نهرو الذي قصى سنة ونصف متجولا في ارجاء اوروا واتبع له ان يقوم باصلاص عديدة مع اوساط اشتراكية ، يطالب مع صجاس بور ايس بالحكم الذاتي كما في الماضي ، بل بالاستقلال التام . ولحمت تأثير عاندي شرح بالمناقشات وراج زعماء حزب المؤتمر يقدمون ، عام

١٩٢٩ ، الحكومة لائحة عامة عرضت بمذكرة دلي التي تقترح سياسة التمساون مقابل انشاء دومنيون الهند . عرضت الحكومة هذه المذكرة . وراح مؤتمر لاهور يطالب في اواخر عام ١٩٢٩ بالاستقلال التام ، هذا الاستقلال الذي تحتفل الهند بيوم ذكره لأول مرة منذ ٢٦ كانون الثاني عام ١٩٣٠ .

وهكذا فالمحركة الوطنية التي كانت تنهض بها قبضة من رجال الطبقة الوسطى المستنيرة والتي كانت ترضع بعض اصلاحات محدودة في إطار الامبراطورية ، ارتدت بعد نصف قرن من العمل الموصول والجهد المستمر ، طابع مطلب تؤيده جماهير الشعب الهندي التي لم يعد رصيدها سوى الاستقلال التام والانفصال عن الامبراطورية البريطانية .

وبعد ان عرفت انكلترا كيف تستمر وكيف تحافظ على الوضع مستعينة قارة بالضغط مساندة انكلترا ولا كراه وطوراً بالرهود البراقة ، رأت النق انواع الامبراليات وأكثرها اليونة وطواعية و غنما خيرة وحسكة في العالم ، تتمتع بالرغم عنها وحدة الهند . الا انها تستطيع ان تعتمد على تردد العناصر المحافظة في حزب المؤتمر ، وعلى طبقة كبار الملاكين التي كونتها وانشأتها وعلى الامراء الذين حافظت عليهم واقتنهم على رأس الـ ٥٦٣ ولاية التي وحدتها في الهند منذ عام ١٨٥٧ ، بينهم ١٠٠ يتشعرون بالتمل بأهمية وشأن كبيرين ، اذ كثيراً ما عصت الحكومة البريطانية للصرف عن الابتذارات وعمال العسف التي قاموا بها وضرات صعباً . ١ . ولما كل الفضل عليهم لانهم مديونون لها بمراكرهم وممراتهم رسيحت حوالهم من عوادي شهر فحفظوا لها الولاء واسلخواها الطاعة . وانشأ البريطانيون عام ١٩٢٥ مجلس الامراء احتفظ له بدور كبير في نظام الحكم الذي رسموه للهند . الا ان الاستثمار البريطاني اعتمد قسراً كل شيء على لافلية الاسلامية في البلاد التي تعد ٢٥ ٪ من مجموع سكان الهند ، الذين كانوا أقل تطوراً فكرياً واقتصادياً ، وأقل غنى وراة ، وأقل تطوراً من الوجهة الاقتصادية من الهندوس ، على الاجمال ، الذين يؤلفون غالبية السكان ويزرعون الخوف في قلوب المسلمين . وقد تحلق المسلمون حول الرابطة الاسلامية وحضروا لنظام انتخادي خاص بهم ولتمثيل فياسي مختلف له امتيازاته الخاصة . وهكذا أعدت بكل دراية ودهاء وبدت بشكل طار الاستلاغات الدينية والمنافسات السياسية التي اخذت بعين الاعتبار في تقسيم الهند عام ١٩٤٧ .

يشتمل هذا المجتمع على الاجمال بالفقر المدقع الذي يزداد عمقاً وسوأ يوماً بعد يوم . ولم يأت هذا الوضع نتيجة للمركة الديموغرافية ولا لزيادة السكان المفرطة ، اذ ان هذه الزيادة كانت في يادي الامر احدى مسها في انكلترا ، ولم ترتفع لتبر معدل نمو السكان في عرسي أوروبا الا بعد عام ١٩٣١ ، اذ سجلت الزيادة اذ ذلك ٢١ بالمائة . وبعد هذا التاريخ ارتفع معدل الزيادة أكثر بكثير ، اذ راه عدد السكان بين ١٩٢١ - ١٩٣١ ما يعوق ٧٧ ٧٠٠ ٠٠٠ كما ان هذه الزيادة بلغت ٢٧ ٢٠٠ ٠٠٠ بين ١٩٣١ - ١٩٤١ . وهذا النمو العظيم لا يتم عن أي حطر نو جاء في بلاد تسم فادها رها الصناعي ، فقد جاء في الهند نذيراً بحد

مدام في بلد زراعي كالهند حيث الانتاج الزراعي يبقى جامداً وحيث الصناعة لا توفر اي بديل لسد حاجة البلاد من المواد الغذائية المستوردة من الخارج . فالحمد لله من هذه البلدان حيث تنخفض الى الخسيس احتمالات المعيش ومعدل الحياة ، اذ بلغ هذا المعدل ٢٣ سنة للرجال ، عام ١٩١١ ، و ٢٧ سنة عام ١٩٣١ ، و ٣٢ سنة في عام ١٩٥٥ .

يؤلف الفلاحون اقلية السكان . ويمكن رد بعض هذا الشقاء الذي يؤس الفلاحين وشغلهم بقرودون فيه الى الاصلاح الذي قام به البريطانيون في اواخر القرن الثامن عشر ، اذ فرغوا على الهند نظريات وفكار غربية لتناقض وتقاليدهم المرحية ، اصابته في الصميم نظام الملكية الشخصية ، وحتى بيع الاراضي ورهها . والضرية الاميرية القاذرة على اساس الامة والمحصول حلت محلها ضريبة ثابتة تدفع مقدماً ، حتى اذا ما تعذر عليهم دفعها امكن للحيطة والمحملي الضرائب استملاك الارض - التي كانت تعود ملكيتها للمجتمعات القروية - وبذلك يستحيل للفلاحون مراهم ويترس وضهم المضاطر من جميع الجهات وبذلك مهد البريطانيون السبيل لطوع طاعة من كبار الملاكين العقاريين ، يستثمرون لمزارعين ويستغلونهم بأبشع الطرق ليس من يحميهم ، يرطدون لسلطة البريطانية على البلاد ، كما ان فرض النظام النقدي على البلاد ساعد المراهين على تكوين ثروات صائلة . وهكذا اذ يرى الفلاح نفسه راحاً تحت وصاة ثلاث ضرائب مختلفة : دية المراهين ، وصرية الحكومة واثاقه لصاحب الارض ، تستهلك ثلثي ايراده ، لا يرى من سبيل امامه للخلاص الا بيع ارضه او التزوج .

ويزداد يؤساً على يؤس مع برار الصناعة اليدوية في الريف بعد المنافسة الشديدة التي تعرضت لها من قبل البضائع والماحيات المستوردة من اوروبا ، ومع مشاري لأغنياء الاملاك . هين ١٩٠١ - ١٩٢١ ، تضاعف عدد المراهين في ولاية مدراس وحدها كما ان معدل المزارعين فيها انخفض حد الاجر بمعدل ٢٠٪ والديون المترتبة على الفلاحين في الولايات المتحدة التي قدرت بـ ٤٠٠ مليون جنيه عام ١٩٢١ ، ارقعت الى ٦٧٥ مليون عام ١٩٣١ . وهكذا اردادت الأزمة الزراعية احتداماً في الهند مع تكرار حوادث نزاع الملكية ، والثمان المترايين الطبقات وتقهقر الزراعة . فالاحصاء العام الذي جرى عام ١٩٣١ يقدر بـ ٣٨٪ عدد الفلاحين الذين لا ارض لهم يحرثونها ، والاحصاءات التي اجريت في المناسقات الاكثر ازدهاراً كالفوجارات والبنجاب والولايات المتحدة تشير بوضوح الى ان ما بين ثلثي وثلاث ارباع الاسر تزرع تحت دين يفوق قيمة غلة السنة ومواسمها ، بفائدة تبلغ احياناً ٧٥٪ من قيمة غلة الموسم . كذلك ظهر في الجنوب ان ٨٧٪ من السكان هم ايضاً عارقون في الدين ، وفي ولاية اسام ٨٥٪ . ان ثلثي عدد المزارعين هم عاطلون عن العمل جزئياً ، اذ ان اقتدارهم للارض بقصرهم على البطالة من ١٠٠ الى ٣٠٠ يوم في السنة ، والفلال ضيقة جداً لحاجة الارض للساه وللمتاد الرراعي ولعدم توفر الاساليب الفنية في استنار الارض . وهم يتعرضون لنقص في اسلوب التغذية اذ لا يصيب الواحد منهم ١٦٠٠ سعر حراري في اليوم الواحد للفرد البالغ ، (بينما مصلعة التغذية البريطانية كانت

توفر للفرد الانكليزي ما يعادل ٢٩٩٠ سعر حراري ، عام ١٩٤١) .

والعاملون في الصناعة من السكان لم يكونوا في رضع افضل . ففي عام ١٩٣١ كان ٤٤٪ من مجموع السكان لا غير يمولون في معاشهم ، على الصناعة . هم يكن في تلك البلاد ، بهذا التاريخ اكثر من ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ عامل يعملون في الصاعات الكبرى (بينهم ٨٠٠ ٠٠٠ يعملون في مناجم الفحم و ٢٦٠ ٠٠٠ في مناجم التعدين) اي ما يوازي ١٤٪ من مجموع السكان العاملين . وطبقة العمال هذه يمورها عصر النحاس ، اذ انها تتألف بالاكثري من مزارعين مأجورين و من صغار الملاكين مسطوا المدينة طمعاً بعمل اصلي او بأجر اكبر بينما بقي افراد هائلاتهم في الريف ، فهم غير مستقرين ، لم يألوا قط العمل المنظم السريع ، انتابهم ضعف ومردودهم محدود بما هم عليه من سوء الصحة .

حياتهم تنقضي في اسوأ الظروف . ففي عام ١٩١١ ، كان ٦٩٪ من مجموع السكان يسكنون بيوتاً تتألف من غرفة واحدة يأوي اليها ٤٥ شخصاً . ويشير احصاء عام ١٩٣١ ان ٧٤٪ من السكان يعيشون في مثل هذه الظروف . فالدنسة في مدينة احد آباد هي ٧٣ بالمائة ، وفي كراتشي ، فان ثلث سكان المدينة يتورعون على غرف تضم الواحدة من ٦-٩ اشخاص . فليس يعرب قط والحالة هذه ان تبلغ نسبة الوفيات ٥٧٧ بالالف من المواليد في مساكن تتألف من غرفة واحدة في بومبي ، و ٢٤٦ بالالف في معظم المدن الاخرى ، و ٢٣٩ بالالف في كلكتا و ٢٢٧ بالالف في مدراس .

والاحوار المتدنية : ثلث واحد ونحوهاستان هو معدل ما يكسبه ٦٠٪ من العمال في بمباي ، في اليوم ، تعطينا فكرة صحيحة عن الوضع الزري الذي يكثف حياة العامل ، كما تفسر لنا وضع النقابات المالية و لاضطرابات الاجتماعية التي اخذت تدور وقلقت النظر بعد عام ١٩١٩ . وهذا الاضطراب ابتداءً باضراب ١٢٥ ٠٠٠ من عمال النسيج في بمباي في كانون الاول ١٩١٩ ، ومنها امتد الى جميع اشراف البلاد عام ١٩١٩ - ١٩٢٠ . وفي هذا الوقت بالذات جرت المحاولات الاولى لتشكيل نقابات . والنقابة الاولى تشكلت في مدراس اثر المؤتمر الذي عقده اتحاد عمال الهند برئاسة لاجبات راي . وتعاقب على رئاسة هذا الاتحاد شخصيات هم اعضاء في حزب المؤتمر مثل جواهر لال نهرو ومن . ر. داس وصحاس شندراجور . ولما كان عدد العمال قليلاً سبياً فلم تستفيقيهم بعد روح الطبقية كما انه لم يطلع من بينهم رجال يتولون امرهم ومع ذلك فقد اخذت تتسرب الى صفوفهم مبادئ الاشتراكية والشيوعية . وفي سنة ١٩٢٦ ، تصكون في البغال اول حزب تألف من العمال والملاحين ، كما نشأ بعد ذلك مثل هذا الحزب في السحاب وبمباي والولايات المتحدة . وقد اندمجوا معاً ليؤلفوا فيما بعد اتحاد عمال وفلاحي الهند ، الذي اخذ ينظم حركة الاضرابات في البلاد ويهيء لظواهر واسعة . والحركة العمالية برزت هنا ، كما في الصين وجايات في طلبعة الحركة الوطنية في صمودها امام الاجبي . وهدد العمال الذي دخلوا النقابات في بمباي كان عام ١٩٢٦ نحو ٦٠ ٠٠٠ ،

فارتفع ال ٢٠٠ ٥٠٠ في آذار ١٩٢٩ . والأضرابات التي وقعت عام ١٩٢٨ سجلت لوحدها أكثر مما سجلته الأضرابات في السنوات الخمس السابقة مجتمعة من أيام العطلة .

استقلال الهند وانقسامها
انفصرت الحرب والهند تتململ وتتمطى بحجة عالية على الدستور الاتحادي الجديد الذي أعلن عام ١٩٣٥ ، كما اتضح من الفور الذي حققه حرب المؤتمر في انتخابات ١٩٣٧ ، إذ نال فيها ٧٠ ٪ من الأصوات . وعندما راح نائب الملك يعلن سنة ١٩٣٩ ، دون أن يثني ممثلي الشعب بأن الهند لم تعرب ، وبعبارة قرار الدفاع عن الهند كل السلطات ، قدم جميع الوزراء استقالتهم ، كما امتنع حزب المؤتمر عن تقديم أي معونة للجيش الهندي . وبالرغم من الهزائم التي توالى على الإنجليز فقد رفضت الحكومة البريطانية إعطاء أي تعهد بالاستقلال ، فكبحت كل معارضة وراحت من الصف (وحري توقيف أكثر من ٦٠ ٠٠٠ شخص بينهم ١٠٠ عضو من مجالس الولايات ، بينهم ٣١ وزيراً سابقاً ، وكل زعماء الحركة أمثال نهرو وغاندي ونائل) . وفي هذا الوقت راح أحد زعماء حزب المؤتمر ، ومناصه الأكبر ، يؤلف حزب : الهند الحرة (*Azad Hind*) . ويسعى لثورة ضد الإنجليز ويحشد من بين معسكرات الاعتقال جيشاً وطنياً حارب إلى جانب اليابان في بورما

وفي عام ١٩٤٥ ، رأت الحكومة البريطانية نفسها غارقة في فوق أدبها في إشكالات والصعوبات التي تواجهها في كل من مصر وفلسطين وماليزيا والهند نفسها حيث تكاثرت حركات الاضراب والانتماءات الشعبية ، وحركات العصيان والتمرد في الجيش وقوى الطيارين والأسطول والمقاومة التي قام بها موظفو الإدارة حرمت السلطة البريطانية من كل وسيلة لفرض إرادتها . ولم يعد لإنجليز من أسباب اقتصادية قوية كما كان لها في الماضي لتحتفظ بمواقفتهم السياسية على الهند . ففي عام ١٩٣٩ كانت تجارتها مع الهند انخفضت إلى الثلث ، كما أن أموالها الموطنة في شبه القارة الهندية سقطت إلى ٧٥ ٪ وعلى هذا الأساس وقع تقارب عام ١٩٤٥ بين حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية التي أوحست ثراً من الحركات الشعبية ، وإلى ممثلي هذين الحزبين كان من المتوقع أن يؤول الحكم في البلاد . ورحت أول حكومة عمالية قألت هي إنكلترا تستعجل المفاوضات حول الموضوع ، وفي تموز ١٩٤٧ أعلن استقلال الهند وقسمت إلى دولتين مستقلتين ذات سيادة لم تلبث أن دخلت في مناعة حادة ، تماماً كما وقع في أيرلندا ، لتعمل بريطانيا على أن تلعب دور الحكم بينها .

ج . انقسام الهند إلى دولتين لأسباب دينية محضة ، إلا أن تشاك السكان وتماطهم بين مسلمين وهنود في بعض المناطق لم يسهل كثيراً عملية الانقسام هذه إذ أن الإحصاء الذي تم عام ١٩٤١ دل على أن سكان باكستان يضمون ٧٥ بالمائة من المسلمين كما أن اتحاد الهند ضم ٣٥ مليوناً من المسلمين إلى حدود ال ٢٨٠ مليون هندي . والمذابح الدامية التي وقعت في آب وأيلول من عام ١٩٤٧ أودت بحياة ١٠٠ ٠٠٠ قتيل وخررت على الصرقت وفي عهد الأرياح

أكثر من ١٣ مليون نسمة من هؤلاء البائسين الذين يقتفرون لكل شيء وكلوا يقضون جوعاً وسفياً ، اذ ان عدداً كبيراً منهم (أكثر من ٥٠٠.٠٠٠) قضوا بحبهم وهم هائون على وجوههم . وهناك نفس ذهب ضحية ، أحد المتحصنين الذي غاصه جداً انقسام المسند الى دولتين ، ولائي حنقه على يد أحد أبناء ملته الذي اخذ عليه موقفه المتساهل تجاه المسلمين .

يتألف الباكستان من قسمين مختلفين يبعد الواحد عن الآخر
التركيب الاجتماعي والسياسي ١٨٠٠ كيلومتر ، كما ان ٣٧٪ من مساحته غير صالحة للأعمال
في الباكستان الزراعية ، ثلثها مروي ولا يمكن زيادة هذه الأراضي الزراعية
لا بعد اقامة سدود وانشاءات تكلف غالباً والدولة الجديدة غنية بالقمح والحبوب والقطن
والجلود ، وتكفي بخلاف الهند ، نفسها من المواد الغذائية وسجل ميزانها الاقتصادي فائضاً
محسناً . الا ان ٧٠ بالمائة من سكانها البالغ ٨٦ مليون (عام ١٩٦٠) يعملون على الزراعة
ويعيشون في البؤس والشفاء ، إذ ان معدل الدخل الحقيقي لمائة تتألف من ٥ أشخاص لا
يزيد على ١٥٠ روبية في السنة (١٥٠ فرنكاً) في الباكستان الغربية ، و ١٢٥ روبية (١٢٥
فرنكاً) في الباكستان الشرقية . وبذلك يمس كسار الملاكين المقاربين من ٦٠ - ٨٠ بالمائة من
مجموع الأراضي في بعض الولايات . والسواد الأعظم من الفلاحين هم مزارعون أو مزاربون ،
بتراوح ما يزرعه المائة الواحدة بين ٢ - ٤ دوم ، ولا يصبهم من غلة الأرض سوى ٥٠ - ٣٠
بالمائة كما يترقب عليهم ان يقدموا حيناً ونقداً للملكي الأرض اطواة أخرى من لافضة أو أشغالاً
أو من غلة الأرض تؤلف في مجموعها من ٣٠ - ١٢٠ بالمائة من المبالغ المدبتون بها . والاصلاح
الزراعي الذي نص عليه مشروع الرابطة الاسلامية عام ١٩٤٦ ، لقي مقاومة عنيفة من قبل
كبار الملاكين المقاربين الذين يؤلفون اركان الرابطة المذكورة . فالتقى الشرقي من الباكستان
وحده حيث يشتد البؤس وحيث الجماعة اودت بحياة احوار من ثلاثة ملايين نسمة عام ١٩٤٣ ،
حقق عام ١٩٥٠ ، اصلاحه الزراعي ، وفي غرة عام ١٩٥٥ لم يجر سوى استملاك ٢٣٧ قطعة
أرض من اصل ٢٨٢ ، ١٢٣ قطعة خاضعة للمصادرة والتوزيع ، ولم يستفد الفلاح الا من إلغاء
الافادة المقربة عليه . اما في الولايات الاربع الاخرى ولا سيما في البنجاب اعنى هذه الولايات
على الإطلاق ، حيث تصطبغ الرابطة الاسلامية فيها بمسحة نادر يمس كبار الملاكين المقاربين ،
فلم يكن من أثر فط هذا الاصلاح ، وفي الولاية الواقعة على الحدود في الغرب ، جرى تخفيض
الاعفاء عن الفلاح : كإلغاء الرهونات ، وتخفيض القسم المتوجب على المربع تقديمه وحمله ١٠٪
من مجموع الغلة وبعض تسهيلات أخرى تسمح له باستملاك الأرض .

والتصنيع وحده كغليل تنعمين هذا الوضع الزراعي ، ولكن هيات ان تتوفر في البلاد
الشروط الأساسية للصناعات الثقيلة ، فالصناعات الوحيدة القائمة هي صناعة النسيج والدباغة
وبعض المامل الكهربائية ومصانع الترابية وهي كلها تفتقر جذرياً للموظفين الفنيين ، بحيث ان

الحل الوحيد يقتضي اصلاحاً زراعياً من الاساس ، يزيل من الوجود العقارات الضخمة او يؤمن للدولة الوسائل المالية التي تعتمد عليها. فمن اذن أمام مشكلة سياسية في الاساس اد ان تركيب البلاد الاصلية الاجتماعي والاقتصادي يحول دون هذا الحل أو ذاك .

وجاعة العلماء الذين دفعوا تحت تأثير لاشتناكات لدية وفي وقت الانفصال ارتاحوا جنداً لقيام دولة دينية في الصمم قامت على « المبادئ التي نص عليها الاسلام » يكون فيها القراآت والسنة أساساً لتشروعات البلاد ، كما يفرض النخعي واحراج الموظفين عبر المسلمين من دون الحكومة الرئيسية ، كما على المرأة الا تظهر في حياة العامة . والدستور الذي دشر عام ١٩٥٦ اثناً في البلاد دولة اسلامية مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج . وقد بان اضرار التجدد في البلاد فرضية بان تقوم المؤسسات السياسية في البلاد على قرار المؤسسات البريطانية : مجلس تمثيلي يجري انتخابه بالاقتراع العام ، وحكومة مسؤولة ، ومع ذلك فالأطوار المصري المفروض يظهر مع ذلك نصوص السلطة شبه المطلقة التي يتمتع بها كبار الملاكين. وهذا الاضطراب والقلق الاجتماعي الذي تعاني منه الدولة الجديدة اوضح لمجال لظهور عدد من الاحزاب المعارضة : كحزب الفلاحين ، والربطة الشعبية ، وربطة باكستان اخرى في باكستان الغربي يجري انتخاب الزعماء ويتجدد انتخابه في دائرته الريفية بصورة آلية من قبل الفلاح الأمي ، الجماعل الذي يعيش في حوار هذا الزعيم وفي تبعيته الضيقة ، أما في باكستان الشرقي حيث الفلاح البندي لا تشده الى صاحب الارض مثل هذه الرابطة الآصرة ، فقد تقوم جهة المعارضة بمثلة « بالرابطة الشعبية » التي هي العامل الاساسي والحركة الاكبر في هذه المقاطعة وقد نالت في انتخابات عام ١٩٥٤ العامة ٩٠ بالمائة من الاصوات ففي اربع من ولايات باكستان الخمس ، تدور الديمقراطية واحبة برانية . تلقى معها العناصر الديموقراطية عاجزة عن تحقيق اي اصلاح ، وحيث لا يستطيعون التنبس عن مشاهيرهم واحاسيسهم لا بواسطة مؤامرات يحسنون حكمها كالمؤامرة التي شهدتها روالندي عام ١٩٥١ ، و كهذه الفتن التي فشت في كل من لاهور وكراشي عام ١٩٥٣ .

ان عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي الناجم عن الفساد
الانقلاب العسكري عام ١٩٥٨ العام المضارب ببراقه على البلاد وتجاوزات القانون التي تأتيها كبر المسؤولين الى جانب الفقر المريع الذي تتسكع فيه الجماعات الشعبية شعع - على عرارها جرى في مصر - المارشال ايو خان ، عام ١٩٥٨ ، على القيسام بحركة انقلاب عسكري واستلام الحكم - فبعد في نادي الامر الى حل الاحزاب السياسية ، واعلان لاصحكام العرفية في البلاد ، والغاء الدستور ، و« كبح » الصحافة ، ونشر قانوناً زراعياً نزع الى تقسيم لاملاك الصغيرة والى اثناء طلبة وسطى من الملاحين ، وهي تدابير وجرادات جاءت بالأكثر في صالح صغار الملاكين ومتوسطيهم بينما يحول الفقر الذي يتسكع فيه المربعون وعكثرو الارض دون امتلاكهم لهذه الاراضي التي يتعهدونها بصرف جيبيهم .

ورصد النظام الجديد الذي سيطر على البلاد لم يكن كله سليماً . فقد فرض عام ١٩٥٩ على كبار الملاكين العقاريين في باكستان الغربية إصلاحاً زراعياً قارموه دوماً من قسـل بالعنف الشديد (إذ حدد ملكية الأراضي الزراعية بـ ١٢٥ هكتاراً) ، وحاول التعفيف من فساد الموظفين ، ونشر قانوناً للأسرة حدد فيه حقوق المرأة ، وشجع على الحد من القسـل بالرغم من معارضة العلماء . كذلك شجع التطور الاقتصادي في بلاد ، إذ زاد عدد سكان المدن في صـعين في خلال عشر سنوات ، مع أن الطابع المسيطر على السكان فيها هو الطابع الريفي ٨٠ ٪ . ومعدل النمو السنوي للزراعة جاء مع ذلك وإصـاحداً ، آدم يرد على ١٩٦٦ بأداة بينها بلغت الزيادة في السكان ٢٤٥ بالمائة ، وهكذا فالنـسـل الفردي بقي تقريباً على حاله في مستوى متدنٍ للغاية ، والسواد الأعظم من الناس يستمرون في حالة فقرية مدقعة ، بينما ترتفع الأمية إلى ٨٥ بالمائة ، و ٦ بالمائة من مجموع السكان تتوفر لهم مياه صالحة للشرب . وعدد الذين يحتاجون إلى عمل في الريف ، بلغ عام ١٩٦٥ ٨ ملايين نسمة (مقابل ٥ ملايين في عام ١٩٦٠) ومعدل استثمار الأرض يتراوح بين هكتار واحد في الأراضي الزراعية في باكستان الغربية و ٤٠٠ هـ من الهكتار في باكستان الشرقية

أما إصلاح الدستور ، فعمليته دامت بالفشل التام ، بعد أن استقر في خـسـكـ الدين قاموا بالانقلاب العسكري أن فشل الديموقراطية البرلمانية سـمـها عدم وعي الضمير الوطني لدى المـلـاحـين الذي لا يتجاوز نظر الواحد منهم أفق أرضه الضيقة أو قريته . ارتضوا بديلاً عنها ديموقراطية أساسية ، هدفها تمديدهم على أدرة شؤونهم المحلية في نطاق القرية أولاً . وكان من المقرر أن يقوم على شكل هرم مجالس وهيئات تقوم بالاقتراع العام ، في القرية والساحية والمنطقة والقضاء والمحافظة بحيث تتم معه تدريبهم السياسي والمدني معاً ، يـمـزـل المـلـاحـين وحملهم في مأمن من الأعباء رجال السـيـة والملاكين العقاريين . وجاء لاختصار قصير المدى والتحرية قصيرة الأجل ، إذ لم تـمـر ثلاث سنوات حتى كان الموظفون السابقون عادوا إلى مراكزهم من جديد والدستور الجديد سم بتشكيل أحزاب جديدة في البلاد بعد أن منع قيامها من قبل ، وبذلك عاد إلى أعيان القوم ووجوههم ما كان لهم من شأن ونفوذ . وبفصل الاقتراح المحدود حيث الكلمة الأخيرة لسكان الريف ، انتخب المارشال ايوب خان رئيساً لدولة باكستان في مطلع عام ١٩٦٥ ، بأقل من ٢/٣ أصوات المقترحين .

الآنحد امسدي ومشكلاته
 فالهند المستقلة التي نالت ٨١ بالمائة من الأراضي في شبه القارة
 الهندية ، وكان عدد سكانها ٣٦٩ مليون في عام ١٩٥٠ ، تعد
 ٤٣٩ مليون من السكان في عام ١٩٦٣ ، ينتم معظمهم بالطابع الريفي هنا أيضاً .

وعلى مرر باكستان ، أن ٨٠ بالمائة من سكان البلاد يعملون في الأرض ويحصدون في الأعمال
 الزراعية حرفة ثابتة لا بد منها لتأمين أروهم ، وهذه الجماهير الهندية يوسف في الجهل أداس
 ٨٨ بالمائة أميون ، وهم فريسة رخيصة لمصبة من المراهبين الجشعين ولعدد من الرسطاء ، عرصة

دوماً للصوم والمجاعة ، كما ان ٦٨ ٪ من هذه الذخائر لا روع لهم ولا ضرع ، يمشون من عليهم كمرارعين (٣٥ بالمائة) او كمرابين تحت تصرف الواحد منهم على الاجمال ، مساحة هكتار من الارض للفرد الواحد ، و ٣٣ بالمائة بينهم عمال لا يخرج وضمهم عن وضع الارقاء المستعدين ، فهم يفتقرون اصلاً الى اي نوع من السداد ، كما ان عتادهم لزراعي من النوع البدائي ، فليس من عجب ان تأتي مواسمهم السنوية حقيرة شحيحة ، و د الفلة تكاد تلامس الحاجة ولا تقى بالفرش ، و الاصلاح الزراعي العام الذي طبق عام ١٩٥٦ ، قضى على نظام الزمندان مع التمريض على صاحبه وتركزت للولايات المختلفة مسؤوليات اعداد واصدار القوانين الخاصة بتطبيق هذا الاصلاح ، فصارت هذه التدابير تختلف مدى واتساعاً واتراً ، وبصت على جعل الحد الاكبر للمزارع يتراوح بين ٢٠ - ١٠٠ هكتار ، بينما حاولت معظم هذه الولايات على التلطيف من وضع الفلاح وجعله اكثر استقراراً من قس ، بمقود ايجار واستئجار طويلة الامد ، على ان يحدد المحاكم سراً عادلاً للاستئجار او للاستكراء ، على طريق جعل حد ادنى للاجور وغير ذلك . وقد لقي تطبيق هذه القوانين معارضة شديدة من قبل اصحاب الزمندان وعين طريق فرض مبالغ عالية للتمريض عن الاستملاكات (بلغت ٤ مليارات روبية) ، دفعها يزيد كثير من التضرع المالي في البلاد .

وتطورت الطبقة الصالية في الهند من جراء الحرب ، بعد ان اصعبت الهند ترسافة الجيوش البريطانية العاملة في اقطار جنوبي شرقي آسيا او في بلدان الشرق الاوسط ، مما ادى الى تنشيط الصناعة فيها ، والى صنع الاسلحة الخفيفة والمعدات الخاصة بالمدفعية والمرتبات المصفحة وبسات السفن الصغيرة ، كما تلقت طلبات قوسية خاصة بتجهيزات الجيش وصاباته . ولأول مرة في تاريخها ، تمكنت الصناعة الهندية من صنع صفائح من الفولاذ لتدريع العربات المصفحة ، ولوفاً من الفولاذ الخاص يستعمل في المدافع المضادة للدروع كما تمكنت من صنع ادوات فولاذية تدخل في مبات الجيش الاساسية كالنشاب والمخارط وماكانات النحت ، ومواد كيميائية وصيدلية . واقل على العمل في المدن عدد كبير من العمال ، فارتفع عدد العمال في البلاد من ١٧٤٥٠٠٠ عام ١٩١١ الى ٣١٤١٠٠٠ بسهم ، والحق يقال ، عدد كبير من عمال نصليين او موسمين . فالأوضاع التي تمكنتهم مريضة . فالقوانين الاجتاهية التي تسيج حولهم ناقصة ويحرمي تطبيقها بشكل سيء جداً . فهذه المدن التي تمص سكانها لتظهر الفريد من المساكن ، والتراكم الفظيع الذي شهدناه في الفترة السابقة ارداد حدة وشدة . فليس بغير قط ان نرى هائلتين او ثلاثاً يمشون في حرفة واحدة ، كباراً وصغاراً جسا الى جنب وبعضهم فوق بعض ، ففي عام ١٩٤٩ ، ترى في مدينة بمباي نفسها ١٥٠٠٠٠٠ لاجئاً لهم قط او يسكنون زرائب في ظروف واوضاع غصيفة ، واكثر من نصف مليون نسمة يدرهون الشوارع طحولا وحرشاً وينامون على قارعة الطريق يلتحفون السماء . وقامت حول المدن دحبات عمل ، هي خليط من الاكشاك والحيام والمضارب والاكوام تنقر المارة لرويتها او لرائحتها . ويذهب ١/٣ اجور

العامل ليؤمن له ولذويه غذاء يبقى دوماً ناقصاً ، الامر الذي يضطر معه اكثر العمال للاستدانة (ففي عام ١٩٤٦ ان ٩٥ بالمائة من اسر العمال هي مدراس ، و ٦٣ بالمائة من هذه الاسر في بياي وزج تحت الدين لمبالغ تتراوح بين ٨٠ - ٣٣ دولاراً بينما الفائدة تتراوح بين ١٠٠ و ١٢٥ بالمائة والطبقات الوسطى ، مع انها قليلة ، تعاني هي الاخرى ، من الحرمان ، فتضطر ان تخصص نصف ما تربحه على تأمين قوتها وعذاتها ، وتسوء وسائل التغذية لديها يوماً بعد يوم .

بعد التقسم بقليل سجل النشاط الاقتصادي في الهند هبوطاً
المشكلات الاقتصادية محسوساً في كل مرافق الصناعة اذ هبط الانتاج من اعلى نقطة سجلها عام ١٩٤٣ ، وبلغ الدليل العام للانتاج ١٢٦٤٨ في هذا التاريخ بالذات ، و ١٤ في عام ١٩٤٩ ، كما كان من نتائج التضخم المالي حدوث انخفاض في الدخل الحقيقي تراوح بين ١٥ - ٢٥ بالمائة بالنسبة لسنة ١٩٣٩ ، اذ كانت الاسعار دوماً في الارتفاع .

والسرعة الهائلة التي ميرت عو السكان فكان ٨ ملايين عام ١٩٥٩ لم تعد بانتاج الحبوب لي معدل عام ١٩٤٦ الا في سنة ١٩٥٨ ، ولذا اقتضت هلعاً مريعاً لمشكلة المواد الغذائية فكيف السبيل الى تأمين الغذاء لـ ٢٠ بالمائة من سكان العالم يقيمون في ٣ بالمائة من مساحة الارض ؟ ولذا يجب ان تكون الارض اكثر خصبة ، والنساء اقل انجاباً ومسلية ، كما يلاحظ العالم الجيوجرافي سبت . فالضغط الديموجرافي شديد الوطأة ، والاراضي التربة والحصول المتناقص باستمرار ، تحشاج للساء ، (فالاستهلاك لا يزال حرياً بالسفري ٢٠٠.٠٠٠ طن فقط في عام ١٩٥٠ ، مقابل ١٣ مليوناً في الولايات المتحدة الاميركية) . في الهند ٤٠ مليون هكتار من الاراضي الجذباء ، منها ربع هذه الكمى يمكن استثمارها بشكل مفيد . فبرؤوس الاموال اللازمة لفتح الارح والاقتية خير مثمرة ، ومراقبة التسلسل عملية لم يعمل بها بعد .

والخطة الخمسية التي برشر بها عام ١٩٥١ ، خططت لتحسين وسائل النقل عن طريق شراء الاجهزة والمعدات اللازمة ، ولتطوير الانتساج الزراعي عن طريق زيادة المحصول وقوته ، وعلى اساس توسيع شبكة الري وعلى بناء السدود الضخمة ، كما نصت على النهوض بالصناعة عن طريق تشييد معامل لتوليد الكهرباء وانتاج الآلات الصناعية اللازمة . وقد جاءت نتائج الخطة مرضية للغاية وتجاورت الاهداف المرسومة لها ، وارفع الانتاج الصناعي الى النصف كما زاد الانتاج الزراعي ١٥ بالمائة بحيث تجاوزوا خطر هبوط الانتاج الحقيقي والدخل الحقيقي للفرد ، كما امكن تفادي خطر المجاعة . . الا ان القدرة الشرائية بقيت متدنية ، ولجم عن هذا الوضع صبر في التوسية على المواد المصنوعة الامر الذي يزيد من البطالة (اذ كان في البلاد اكثر من ٥ ملايين عاطل عن العمل عام ١٩٥٥ ، بينهم عدد عظيم من حملة الشهادات) . والخطة الخمسية الثانية (١٩٥٥ - ١٩٦١) التي جاءت اكثر تطللاً وطموحاً من الاولى ، اعطت الاولوية للصناعات الثقيلة والمناجم ووسائل النقل ، كما اهدت الى انشاء ثلاثة معامل ضخمة لصنع

القولاذ قول إنشاءها الاتحاد السوفياتي وشركة كروب وعدد من أرباب الصناعة البريطانيين فيما
أعمل امر المؤد الاستهلاكية وشؤون الزراعة ، إذ المطلوب إيجاد من ١٠ - ١٣ مليون مصالحة
أو وظيفة لاستيعاب أكبر قدر ممكن من العاطلين عن العمل الذين تحملهم الأجيال الطامعة ، كما ان أهمية
الاستثمارات الضرورية التي بمصدها مشروع كولمو ، تفرط التطور الديموقراطي للقطاع المسام
ولمسه الدور الاول بالنسبة للقطاع الخاص ، وبالتالي لرأس مال الدولة ، شاء أم أبى . ويبقى
من العوامل المهمة في الموضوع مساهمة الرأسمال الأجنبية من انكليزية واميركية بمسد اتفاقها
بالطبع ، مع الشركات الهندية ، وتكوين شركات جديدة يشترك في رأس مال ميركي انكليزي
هندي ، كالاتفاق الذي توصلت الي تحقيقه شركة بيلو مع مؤسسة نافيل في موضوع السيارات ،
والاتفاق الذي عقده مؤسسه فاما مع شركة الصاعات الكهربائية الاميرالية ، وشركة بيلو مع
ستوديسكو ، بشأن تجميع قطع التركيب المرسله من قبل نافيل وستوديسكو ثم تناع السيارات
الجديدة تحت ماركة مصوغات هندية . ففي الصاعات الخاصة بالنزول والبطاطا وعيدان
الكبريت والخوت ، كان يصب رؤوس الاموال لاحسية يريد في سنة ١٩٤٨ ، على مايسوي ٦٠٪
من مجموع الاستثمارات ، اما في مجال الاعمال المصرفية والكهرباء والبن والورق وغير ذلك ، فقد
بلغت الزيادة ٢٥٪ ومن جهة اخرى فقد سارت الولايات المتحدة ، بعد ١٩٥٠ - ١٩٥١ ، في
الطبيعة واحتلت المرتبة الاولى في استيرادها من الهند ، وانشئت في السداد مصافي
للبنزول ومصانع اخرى برؤوس اموال اميركية . وراحت الحكومة تشجع هذه الاستثمارات
بعد ادخال الطمأنينة الى قلوب اصحابها ، انه لا يوجد في مشروع لمصادرة او التأميم ، ويشغلي
الحكومة عن كل مراقبة قدخل القلق الى نفوسهم .

حدثت الخطتان الاولى والثانية وان لم تتحققا بكاملها ، الى نتائج مهمة . فقد انتقلت مساحة
الاراضي المروية من ٢٠ مليون هكتار الى ٢٨ مليوناً ، والانتاج الصناعي ارتفع هو الآخر بـ ٢٪ ،
وزاد انتاج المعولاد اربعة اضعافه ، والطاقة الكهربائية بحسب صريحها بـ ٢٠٠٥ . الا ان السكان
رأد عددهم في السنوات العشر الاخيرة ٦٠ مليون نسمة . فمعدل النمو الاقتصادي وتطوره
بالنسبة للفرد الواحد لم يرد من ٢٪ فالخطة الخمسية الثالثة (١٩٦١ - ١٩٦٦) التي تنوي رفع
معدل الاستثمارات من ١١ الى ١٥٪ وتطوير المصانع التي تؤمن التجهيزات الثقيلة والميكانيكية
وحمل التعليم الابتدائي إلزامياً ، تخشى ان تصاب بالفشل امام متطلبات الدفاع الوطني
والضرورات الحربية التي تلح ثلث اواردت (اشتباكات مع الباكستان ومع الصين) ، وزيادة
ديموقراطية تفوق كل ما يمكن للمرء تصوره . فانه عدات الخارجية وحدها سهلت استيراد
٣٠٠٠ ٠٠٠ طن من الحبوب التي اقتضتها عذابة المجاعة والحشد من الاضطرابات الحضرية التي
سببتها المجاعة في البلاد كالحرق ونهب المحارن ، وغير ذلك ، واخيراً قضية البطالة التي لا تزال
مرتفعة بين العمال (٥٠٠٠ ٠٠٠) والشباب المتعلمين مليون شاب مثقف عاقل عن العمل في
السنوات الواقعة بين (١٩٥٠ - ١٩٦٠) .

يقول الحكم في البلاد حزب المؤتمر الذي يمثل الطبقة اللورجوارية الهندية العليا
جود الهند والحكومة التي تخرج معظم أعضائها من المعاهد الأوروبية حافظت على
طابع الجهاز الإداري القديم وعلى البيروقراطية ذاتها والحاكم والشرطة المعمول بها في عهد
الاحتلال البريطاني والسياسة التي تدير عليها في المجالين الاقتصادي والاجتماعي سارت على
عمود السياسة التي انتهجها الإنكليز من قبل ، ويمكن من هذا القليل مقارنتها بسياسة
الحكومة التي قبل تصفحه ، الملكية الكبرى والاستثمارات هي في حي القانون ، وقام المصاحبات
الرئيسية التي أوجها بها في البدء والذي كانت من شأنه لو طبق ، القضاء على نفوذ رؤوس
الأموال الأجنبية في البلاد ، أسل تطبيقه إلى أجل غير مسمى ، كما روعي جانب الأمراء ،
هورعت عليهم إعطيات ملحومة وأعطيت بهم مراكز هامة في الإدارة والسلط الدبلوماسية .
ولا تزال الحكومة تعتمد إلى كسب التدمير الذي تعبر عنه الصحافة والنقابات والمنظمات الزراعية ،
كما فعلت من قبل عام ١٩٤٧ ، وقانون الأمن العام الذي ورثته من الإنكليز ، يلا السجون ، يمدد
من المساحين السياسيين لم تشهد البلاد مثل حتى في اسلك أيام الاستعمار البريطاني ، وقدر
ثيور ماند عدد هؤلاء الموقوفين ، عام ١٩٥٠ بسبعين شيوخين وأثريين وفقاريين ، جرى
اعتقائهم ورحلهم في غياهب السجون في ظروف غريبة دونما تحقيق مهم أو محاكمتهم ، أنة طوية
بين ٥٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ سجين .

وجود الهند هذا الذي يؤلف أكبر عقبة في وجه تطورها الاقتصادي والاجتماعي يجب رده
أصلا لهذا التضاد القائم بين نظريات العصر الحديث والنظريات الفلسفية والدينية المتوارثة في
الهند . وقد شدد أحد المراقبين المعروفين بمد النظر على استمرار الطوائف في هذه البلاد
وحضورها في كل مكان والابديولوجيا المسيطرة عليها . فبدلاً من أن تزول أو تضعف ترى هذه
الطبقات تقوى وترسخ أكثر فأكثر وتلبس دوراً عظيماً في الانتخابات والشؤون الإدارية ، إذ
تؤلف من بينها عوامل ضغط لصلحة مصلحتها . ويسرع النظر على الأخص « الجود القريب الذي
يشكع فيه الهندي الفقير ، وعدم شعورية المثري الهندي الخفية وفساد السياسي الهندي ،
وعدم كفاءته وعدم الأهلية المطلقة التي لحلت في الخطط الهندي ، والتقاليد المرحية والجمود المائل
يحملان من الصعب جداً الأخذ بالشرائع العصرية ووضعها موضع التنفيذ ، هذه الشرائع التي تقضى
دولة علمانية . وتعلن عدم المسابة مستوجبة للقصاص ، وتحرر المرأة عن طريق الطلاق ،
وتنقح تعدد الزوجات ، هذه الشرائع التي تعترف بشرعية خلافة البنات ، وتسهل مراقبة السل
بأبعاد مستوصفات وعبادات خاصة . الأمر شبه بهذا في المجالين الاجتماعي والاقتصادي فلم
يحد منها لمصري جديد بمسلك بعض الشيء من الوضع المقاري الذي يكاد يكون إقطاعياً في
جميع مظاهره ، وهو رضع قائم على المزارعة والقدانة وأوضاع المديدين من هؤلاء الفدنيين أو هي
من غيط العسكوت ، وكذلك لم يطالع فيها شيء يذكر في الحال الاجتماعي بخلاف من التسمية التي
ترسبها وتلك الطبقات السفلى ، وقد ظهر في الآونة الأخيرة بعض معالم التطور في الأوساط

الاجتمعية التي تحاول ، على غرار ما فعلت الصين ، ان تجد بديلاً لرأس المال ، في تجسيده المبال للمواطنين في كل مجتمع محلي ، ورومي ، وتكليفهم القيام بمشروعات مائية ، وبأعمال التشجير من أمثل الأساليب التي يوصي بها الفلاس الحديث . وقد كان نجاح المشروع حق الآن ضئيلاً ومردوداً ضعفاً في هذه «الوحدات التطورية» التي قامت بالتحرية المذكورة ، وذلك لافتقار هذه الخلايا الأخذة بأساليب التطور ، لمؤشدين أكفاء يكونون دوماً على أتم استعداد للبلد والتضحية ، ولحاجتها بنوع أخص لخدمة التطوير للعمل ، وللمناخنة وحده الناحية لهذه المشروعات ومثل الطليعات العليا الذين يرفضون بمجيب الأساليب المساهمة بهذه الأعمال الاجتماعية ، ومد يد رفقة إليها .

والاضطراب الاجتماعي ومما له وهذا التماس الخفيف في لاصح - اد ان ٢٪ من السكان يصيبون ٥٠٪ من دخل البلاد - واشتداد التلوث والتشعب ، ينفذون في الهند شعوراً عميقاً بالاضطراب والاضطراب . فالتناس يتبدلون أمور معاشهم التي هي احسن يشكون دوماً النقص في الغذاء وللتأهب باستمرار الامراض المرافقة للفقر والصحة ، ويتمرضون لحركة من الوفيات عالية النسبة ، ولذا بدأ التمر وعدم لرعي يظهر بأجلى صورته يوماً بعد يوم . فالفلان يتورون في بيهار وفي الولايات الشرقية ، عام ١٩٤٢ وفي عام ١٩٤٦ . والفلاح الذي كان يصرب مثل بصره وقوة احتاله ، لم يمد يده الاوصاف والآلام التي تتجرع كأسها الى ربه Karma ، بل يرى سبب شقائه وتعاثه في هذا النظام الاجتماعي الطام الذي ارادوه له والذي اخذ يشور عليه . وبالرغم من كبح اللوليس بعنف وقسوة بالغين لهذه الانتفاضات التي تعتبر من تدمره وتقله ، فالفلاح يقاوم بشدة ما يتعرض له من اعمال العنف والتوقيف . وقد نظم الفلاحون عام ١٩٤٧ - وهو اول حادث من نوعه يقع في الهند - اول ثورة مسلحة ومنظمة لهم في مقاطعات تلتفا وحيداً راجه ، اد اخذت اكثر من ألفي قرية متتلة في مساحة تقرب من مساحة الداعارك ، ينظم فلاحوها نوعاً من حكم جمهوري ويؤلفون لهم لجاناً قروية او محلية وينشئون مطاعم مشتركة فيها يتضم خزن الحبوب ، ويقسمون المزارع فيما بينهم ، ويلعبون فيهم ، كما حددوا معدل الفائدة المقررة على الدي ٦ بالمائة ، ولم تقمع الثورة بشكل نهائي الا في سنة ١٩٥٦ . وراى عدد الاضرار بين المبال . اشرك في بعضها احياناً اكثر من ٣٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٤٨ ، كذلك ارتفع عدد النقابات كما ارتفع عدد المنتسبين اليها بحيث تشكل ١٩٥ اتحاداً عام ١٩٤٠ ضم أكثر من ٣٧٤ ٠٠٠ عضو ، وارتفع هذا العدد الى ٦٠٨ ٠٠٠ عام ١٩٤٧ ، بلغ عدد اعضائها ٧٢٦ ٠٠٠ عضو . واحزاب المعارضة ، كالحزب الاشتراكي مثلاً الذي يطالب بالاعزاد مساحة الممتلكات الخاصة على ٢٠ فداناً ، دعا الفلاحين لان يقوموا بأنفسهم بتوزيع الاراضي فيما بينهم . والحزب الشيوعي الذي يمين من كتب على اتحاد النقابات هندية كما يشرف بعض الشيء على تحالف النقابات المتعددة ، كل هذه الاحزاب وسعت من دهايشها بين الفلاحين والمزارعين في الريف ، وفي الانتخابات العامة التي أجريت عام

١٩٥١ - ١٩٥٢ ، والتي بلغ عدد الناخبين فيها لأول مرة في الهند ١٧٥ مليون ناخب (٨٠ ٪ / بينهم من الأميين) لكن حزب بهرو وغاندي المسيطر على الحكم في البلاد منذ عام ١٩٤٧ ان ينال أكثرية المقاعد (٧٤ ٪) ولكن بفضل ٤٤ بللانة من اصوات الممارعين ، كما نال الحزب المذكور ٢٧ بللانة من مجموع اعضاء المجالس التمثيلية مع العلم ان ٦٨ مليوناً من لم حق التصويت امتنعوا عن الاقتراع . فان كان ثم ما يستحق ان يسمى فوزاً فقد جاء محدوداً للغاية ، اذ لم ينل الحزب المذكور اكثرية الاصوات الا في ٦ ولايات لا غير من اصل ٢٢ ولاية ، وهي ليست من الولايات الرئيسية في البلاد . فالولايات الاربع التي ذهب معظم اصوات الناخبين منها للمعارضة ، والولايات الأخرى التي نالت فيها المعارضة قسماً ضئيلاً من الاصوات ، تضم لك سكان الهند . كل هذا دليل قاطع وبرهان سامع على القلق الاجتماعي وعلى خيبة امل الجماهير الهندية التي تتوق من الصمم الى الاخذ باصلاحات جذرية ، والى معالجة للشقاء المريع الذي تنكح فيه معالجة في الصمم .

ودليل آخر على هذا القلق العميق الذي يساور القلوب والنفوس في الهند وعلى التور الذي تعيش فيه الجماهير الشعبية فيها ، هو هذا الطابع الثوري الذي اتخذته الاضطرابات الدامية في هذه المقاطعات الواقعة الى الجنوب من الهند من جراء اللغة . فراح مئات الآلاف من المتظاهرين يستولون عنوة على مراكز البحرية ويشعلون فيها النار ، كما اضرموا الحرائق في محطات القطر الحديدية ومراكز عديدة للجوليس ، وينهبون دور السينما التي كانت تعطي افلاماً صديعية ويعيشون بها حساداً . ويذهب ضحية اعمال الشعب هذه عشرات القتلى ومئات الجرحى في اشتباكات عنيفة مع قوى الامن والجيش ، وذلك احتجاجاً منها على عزم الحكومة بتطبيق دستور عام ١٩٥٠ الذي نص على ان تكون اللغة الهندية ، هي اللغة القومية في الهند في خلال خمسة عشرة سنة .

ان بروز الهند جمهورية مستقلة ذات سيادة هي ثاني دول العالم الهند احدي دول العالم الكبرى بعدد سكانها ، بما لها من موقع جغرافي ممتاز وبما تملك من قوة اقتصادية في قلب القارة الآسيوية التي لا تزال متخلفة جداً بالنسبة لها ، كل ذلك يولها مركزاً من الدرجة الاولى ويجعلها تلعب دوراً بارزاً في مضمار السياسة العالمية . فقد اجتمع في نبودلمي عام ١٩٤٨ المؤتمر الذي 'كلّف النظر في مشكلة اننديسيا وإيجاد الحل اللازم لها . ومن جهة ثانية ، فالجهود التي بذلتها الهند لاعلان الهندية في كوريا ووضع حد للحرب الدامية فيها ووضع تسوية سلمية لمشكلتها ، والدور الذي لعبته في الكتلة العربية الآسيوية النراة للعباد الايماني في اجتماعات الامم المتحدة ، وعملها المتصل في جنيف في وضع حد لحرب فيتنام ، عام ١٩٥٦ ، ولوقوف الحلة الفرنسية الاسكليزية ضد قناة السويس ، ولعاطفها مع الشعوب الآسيوية والافريقية ومناصرهما ، لها هذه الشعوب التي تعاني الامرين من السيطرة الاجنبية ، واصرارها للتكرار على هدم انضمامها لأي كتلة بالرغم من اصطدامها الدامي مع الصين حول مقاطعة لاداخ (عام ١٩٥٩) ، وقرارها بالبقاء خارج الحرب الباردة ، ومحاولتها الصادقة لتحويل دون وقوع

الاصطدام بين القوى دولتين في العالم ، اي بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي ، كل هذا ربما اليه عاد عليها بالذكر الحسن واعلاء الشأن والنفوذ العظيم كما اولاهما سلطة عارمة بقتصر منها كثيراً حرجها الاخيرة مع باكستان .

لما باكستان ، فتحاول من جهتها ان تلعب دوراً بارزاً بين الشعوب الاسلامية ، بصفتها اكبر الدول الاسلامية طرماً واكثرها سكاناً . وفي هذا السبيل عقدت في كراتشي ، منذ عام ١٩٤٩ ، عدداً من المؤتمرات الاسلامية العالمية ، فوطيدا للعلاقات الثقافية والدينية بين الشعوب الاسلامية ، والعلاقات السياسية ايضاً . فقد تحالفت مع تركيا والعراق ، ودخلت في تلك الولايات المتحدة بانضمامها الى حلف بغداد ، الا ان اصطدامها السوفوي مع الهند بشأن كشمير قريبا جدا من الصين كما ابعدتها من الولايات المتحدة الاميركية .

ويشوي مقدرات الهند منذ ان حصلت استقلالها السياسي ، كما يلاحظ تييبورماند بمق ، فريق من الناس ، مستغريون في تربيتهم وتدريبهم . فنهرو الذي كان والده عامياً ومتطعاً بطائغ الانكليز ، والذي تخرج هو الاخير في معاهد انكلترا العليا وكرج من معين الثقافة والتقاليد الانكليزية ، وغيره كثيرون من اعضاء حزب المؤتمر ، من ابناء الطبقة الوسطى في الهند التي تكاد لا تواف سوى ٥ بالمئة من مجموع سكان الهند ، كل هؤلاء مشيرون بنظريات الغرب التحررية ومنه اقتبسوا المنظمات والمؤسسات التي امدوا بها البلاد ، ونسجوا على منوالها في ديارهم .

الا ان بنيانهم في الهند بقي عرضة لمهب الرياح . فالجهود التي بذلوها للخروج بالخطوة الخمسية الثالثة الى حين الوجود ، اصطدمت بصعوبات يتمرد عليها والتغلب عليها . ومع هذا وحدوا انفسهم امام امرين لا ثالث لهما : اما التغلبي عن الخطوة واهمالها بالكلية ، وبعبارة اخرى قطع كل امل بادخال اي تحسين على الوضع الزراعي الذي تنحبط فيه الهند ، او اللجوء الى القوة والبطش والى انتهاج سياسة شديدة عنيفة قوامها المراقبة والتفتيش ، لا يمكن التفكير بها واعتمادها الا اذا تغير الوضع الاجتماعي في البلاد رأساً على عقب : فاذا ما قارنا معدل الدخل السنوي الذي مكنت له الخطوة الخمسية الثانية وهو بـ ٤٨ ، بالمئة بالنسبة التي حصلت عليها الصين وهي تتراوح بين ٧ - ٨ بالمائة ، وسياسة المصرفة التي انتهجتها ، وضالة النتائج التي تحققت وحجز نظام الحكم احبائاً وفساده بالاكتر ، كل ذلك يشير الى الماوضة القوية التي واجهوها بالرغم من تشدد الخطوة الخمسية الثانية على الطابع الاشتراكي ، وبالرغم من النفوذ العظيم الذي يتمتع به نهرو في المجال الدولي ، ولجأح سياسته الحيداية التي تسيطر قاصداً عن حذر الجماهير الهندية من اوروبا والولايات المتحدة الاميركية . فمن جهة اليمين هم عرضة لهجوم الاحزاب التقليدية التي تمثل الطوائف العليا في الهند والتي ترى الخطر يهدد ما تنعم به من امتيازات ، منها مثلاً المهازيه ، هذا الزعيم الوطني ومن اشداهم اخذاً بالانصرية والمناجح الاكبر عن التقاليد ، والحصم المعند لسكل اصلاح رراحي ، ولكل فكرة قاصم لاصحاحات البلاد ، ومن المطالبين حول بتحرير المرأة

والنساء الرضع الذي يحمي بالشيوعيين بينا يعمد سياسة الحكومة ويؤيد بها أرباب الصناعة ، لمحاربتها للشيوعية بأساليب شديدة وبطرق الهجوم تدكراً بالنظام الهتلري ، والحزب المعروف بـ R. S. S. الذي قتل أحد أعضائه غاندي . وإلى يسار حزب المؤتمر ، الحزب الشيوعي المعروف بنشاطه والذي جاء الثالث بين الأحزاب الهندية في انتخابات عام ١٩٥٧ . إذ نال ٨ بالمائة من أصوات الناخبين ، و ٩٤٨ من هذه الأصوات عام ١٩٥٧ . ومع أن القطيعة بين الاتحاد السوفياتي والصين ، أدت إلى انقسام الحرب إلى شقين متميزين أحدهما مع الاتحاد السوفياتي والآخر مع الصين ، الأول يسار الاتحاد السوفياتي ويسار التالي حزب المؤتمر ، بينما يميل الثاني الصين ، وتعرض لهذه الأسباب لملاحقة شديدة إذ أن أكثر من ١٠٠٠ من مناضليه ، جرى اعتقالهم في كانون الأول ١٩٦٤ . وليس ما يدل على أنه ترقف من الانتشار . والحزب مدفوع كسيرة في ولايات اندرا وولاية كيرالا التي تعد أقن نسبة من الأميين في البلاد كلها أنها تضم عدداً كبيراً من المسيحيين - فقد تمكن الحزب الشيوعي أن يستولي على الحكم في هذه الولايات بعد الانتخابات التبريرية التي حوت عام ١٩٥٧ ، وقد طردته من الحكم الحكومة المركزية بعد أن أقر مشروعاً اصلاحياً في المجال الزراعي - كما أن الحزب حقق أيضاً ، ورأ كبيراً في الانتخابات العامة التي جرت في آذار ١٩٦٥ ، وجاء فورهم يؤيد الصين ويناصرها .

٢ - آسيا الجنوبية الشرقية

حول اندونيسيا انتهج الهولنديون في اندونيسيا سياسة ايجابية محافظة تشبه من وجوه عدة ، السياسة التي انتهجها البلجيكيون في الكونغو فلم يحاولوا يوماً توحيد أسباب التثلم لهذه الشعوب التي استعمروها ولا هياؤها للاستقلال - كما جرى أحياناً للبريطانيين ولا حريوا قتلها ، كما قتل الفرنسيون . فاعتمدوا ، في إدارتهم ، لهذه الشعوب والبلدان التي وقعت تحت استعمارهم ، على رجاء البلاد الوطنيين وأولهم مناصب ووظائف بجموعها وراثية في قراراتهم ، كما عهدوا إلى ملتزمين ومنتمين صليبيين بحماية الضرائب المفروضة وبالرغم من السياسة الاخلاقية ، الجديدة التي اعتمدها ، فالميل بنظام السخرة الذي وضعه عام ١٨٣٠ بقي معمولاً به في جاوا إلى سنة ١٩١٦ ، في كل ما يتعلق بالأشغال العامة ، وإلى سنة ١٩١٩ في الزراعات الخاصة بالبن . أما في الجزر الأخرى ، فلم يتوقف العمل بهذا النظام قط

هذه السياسة المحافظة التي تغيرت بإحترام للتقاليد والعادات الشعبية للتركيب الاجتماعي المرعبة ، كان من نتائجها الحسنة الحفاظ على الملكية الفردية الصغيرة ، بشكل أفضل بكثير مما تم في غير قطر من هذه الاقطار الآسيوية ، ولذا جاء فيها التماوت الاجتماعي أقل بروزاً للبلدان منه هنا في أي مكان آخر . ففي عام ١٩٢٥ ، كان ٤٩٪ من المائلات في جاوا وفي مادورا من اصحاب الاملاك ، والقرية كومت خلية اجتماعية حية تأخذ

عن جهتها مسؤولية تأمين أود البناسي والشيخ والمرغى والاشخاص العاطلين عن العمل ، شأنهم شأن ما الفء من سائب الأرماء ، حيث يشترك الجميع ويساهمون معاً بإعمال بناء المنازل والمصد وللطمانينة التي يعيشها التضامن بين افراد القرية حالت طويلاً دور قيام مظاهرات عنيفة تتم عن تأفف أو عدم رمى الجذعات فاذا ما قلّ في البلاد عدد كبار الملاكين العقاريين ، فقد كان مع ذلك معظم صغار الملاكين يرستون في ناحية أسرة لدائهم ولا سيما للصينيين الذين كانوا يفرسون عليهم بعض الزراعات المحددة ويحددون بأنفسهم اسعار المراسم ويحاصيل الارض . وهكذا استحال عدد كبير من صغار الملاكين الى وضع شبيه بوضع المكثرين للأرض اذ كانت الفلة تذهب لجيوب الموابين . وهذه الزيادة المحسوسة في مواسم الأرض وعلاها التي طالما تنافس بها الهولنديون ، كانت فائدتها تعود ، على الاخص لجيوب المصدرين من صيليين وأوروبيين ، وليس الى جيوب الفلاحين . ومن جهة ثانية ، ففي الوقت الذي كان عدد سكان البلاد يسمو بسرعة مذهلة ، كانت المهن والحرف الريفية أخذت بالانحطاط والذبول أمام المصوغات الهندية أو اليابانية التي كانت تدخل البلاد بأسعار مخسّة ، فأهلك عن ان لتجارة كانت بأبدي الاجاب ، اذ ان من أصل ٥١٩٧ مشروعاً استثمارياً ، يشمل أكثر من ٦ أشخاص ، عام ١٩٧٥ ، كان منها ٨٦٥ مشروعاً تعود ملكيتها للاندونيسيين ، والباقي كان يعود ثلثه للأوروبيين والثلث الآخر للصينيين . فالطبقة البورجوازية الاندونيسية ، كانت تتألف أصلاً ، في حال وجودها ، من اصحاب الاجور (٨٣٪ من اصل المجموع ، بينهم عدد كبير من موظفي الادارة الذين كانوا تعلموا اللغة الهولندية وتلقوا تربية اوروبية ابتدائية .

بذلت جهود صغيرة في البلاد لتطوير التعليم ورفع مستواه ، اذ لم يرد عدد الحرفة القرية الطلاب الاندونيسيين في المعاهد الثانوية ، على بضع مئات لا غير ، والوظائف التي كانت قلشظرم لدى تخرجهم ، سواءاً في الادارة الحكومية او في الشركات التجارية ، كانت قليلة جداً وتقومصاتها متدنية ، باستثناء الذي يعملون مدرسين في المدارس الخاصة ، بينما مجال العمل في المجتمع الاندونيسي نفسه كان صيقاً للغاية وهذه المראה النساجة عن التمييز المصري والتي حاشت بها صدور القوم بعد أن رأوا قسمتهم الصئوى من حيرات بلادهم ، هي التي دعمت الطبقة المفكرة والطبقة الوسطى الصغيرة في البلاد وحملتها على ان تقف موقفاً ثورياً ، في الوقت الذي اخذت تطالمهم حوادث التمرد على قوة الغرب العسكرية ، كما تجذت في تورات الميليين وسرعة التآكرك ضد الاحتلال العسكري لبلادهم ، والنشاط الذي قام به حزب المؤفر في الهند ، والنجاح العظيم الذي بلغته حركة للتنصيع في اليابان ، كل ذلك ادخل في روعهم انهم لا يتحصرون بشيء ذكاه عن الاوروبيين ، وان في مقدورهم ان يحكموا انفسهم بأنفسهم دون مساعدتهم .

والجمعية التجارية الاسلامية التي قدم بتأسيسها ، عام ١٩١١ ، لجبار التطبيع البائيك في سوراكارا ، دفاعاً عن مصالحهم ضد الواردات الاوروبية واليابانية ، لم تلت ان اشتد منفسا الساعد بعد ان التفت حولها الجماهير ، واخذت تطالب بالانقلال . وظهر في البلاد ، عام ١٩٣٩ ، الحرب الشيوعي الاندونيسي ، كما راح سوكارنو يؤسس بعد تخرجه مهندساً من معهد

البوليتكنيك العالي في بائدونغ ، الحزب الوطني الاندونيسي (P.N.I.) . وعرفت هذه الأحزاب ان تجتذب حولها كل هذه العناصر الحاققة على الأوروبيين والفاصة لكرامتها مما تعرضت له من قبل الأوروبيين ، من تحقير واذلال ، كما جمعت حولها كل هؤلاء الذين ينمون احتكار الأوروبيين لطيرات البلاد ويستبيحون مواردها الطائلة (اذ ان نصف ارباح الاستثمارات ومكاسبها الطائلة كان يرسل خارج البلاد) ، كما انضم اليها كل هؤلاء الذين فعموا غريسة التمييز المصري ، في الادارة والمحاكم والقوانين اجزائية والمحاكم الوطنية التي تعقد جلساتها بحراسة البوليس . واشتد ساعد هذه الأحزاب وتآلب حولها الانصار بانضمام هذا الفريق الذي رفع عقيده عالياً عنجباً على فرض الثنتين (الكوتا) المحدد ٣٠٪ فقط في المباريات المفتوحة للوظائف الادارية ، وحشد رجال القانون والاطباء الأوروبيين الذين أخروا بنفوذهم المريض ، الى سنة ١٩٢٤ و ١٩٢٦ ، موعد افتتاح مدرسة للمعقوق واخرى للطب في البلاد ، كما امتنعوا في جميع نفوسهم من عدم المساواة في المدارس حيث التعليم مجاني لبعض الأوروبيين ، بينما يحسد الاندونيسيون على النطق ، كما ساءم جداً اعمال الأوروبيين ، تأميم وسائل لتعليم لابناء البلاد . والتدخلات الوحيدة التي رضي الهولنديون القيام بها لا تقتضي بعض اجراءات لتوسيع الامر كترية الادارية ، وذلك بانشائهم عام ١٩١٨ ، مجلساً تشريعياً علياً ، عقد صفته الاستشارية عام ١٩٢٧ ليتمتع بسلطة تشريعية ، تألف من ٦٠ عضواً ، بينهم ٢٥ من الهولنديين يأبى ثلثهم بالتصديق المباشر ، ويجري انتخاب الثلثين الباقين بواسطة اقتراح غير مباشر ، ويبقى بعد هذا كله للعاك العام حق الفيتو او الرفض لكل قرارات المجلس المذكور .

صلاية النظام
كان من جراء تدني مستوى المعيش بين ابناء البلاد للضرائب النازحة المفروضة عليهم ، ولتنمو السكان السريع ، ان قوى من جانب الحركة القومية في البلاد . فالسلطة الهولندية على البلاد كانت قوية ومتينة : فاذا ما قورنت الاساليب الادارية التي متوا عليها بهذه الاساليب والطرق الاستعمارية التي سار عليها الفرنسيون والانكليز في هذه الاقطار المجاورة ، لاحت لنا اكثر فاعلية واشد رقماً من الاخرى ، اذ كان يحيا كثيراً المحافظة على القوانين والتقاليد المتبعة في البلاد ، والحد من بيع الاراضي من الاجانب والتصرف بها ، وحماية المجتمعات والمنظمات القروية من العوامل والمؤثرات المحلية ، والجهود الفعلية ، ولو جاءت غير كافية ، المدولة لمعالجة مشكلة الديون التي يزرع تحتها الفلاح الاندونيسي ، وتوفير ما يحتاج اليه من مساعدات مالية بشروط ملائمة ، كل ذلك يفسر لنا هذا التوازن النسبي الذي يتمتع فيه المجتمع الاندونيسي . ومن جهة اخرى ، ان اعتماد الحكومة ، ولو بصورة غير مباشرة ، سياسة المحافظة على الطغلة الارستوقراطية والدفاع عن مركزها في البلاد ، كل ذلك خفف من حدة المعارضة وشغف من التصادم بين الحكيم والحكوميين . ثم ان التساين العظيم بين الفئات السكانية من الوجهة العرقية او العنصرية ، والتركييب الاجتماعي الذي ساد البلاد ، كل هذا كان في صالح الدولة مستمرة . فالزعما يرون انفسهم مشدودين شداً بالوضع القائم في كل ما يتصل

مصالحهم الاقتصادية والسياسية ، وأطر الادارة وملاكات البوليس والجيش والادارة ، التي هي بيد الأوروبيين والأوراسيويين الذين ينفرون جسداً من الطالب التي ينادي بها الوطنيون . ويكرهونها كره الهولنديين لها وأكثر . وهذه القوة التي تتألف منها الطبقة الوسطى في البلاد ترى نفسها مضطرة لحماية الجماهير ، والصعالة مرافقة ، وليس أكثر من ٦٤٪ من سكان البلاد يحسنون القراءة ، والمادة ١٥٥ من قانون الجراء تحكم بأربع سنوات حبس ، كل عظامرة حنقار او ازدراف خطية كانت ام شفوية ، نحو اي فئة من فئات البلاد العنصرية المتعددة ، كما ن الاجتماعات وامشاء الجمعيات مخاضع للرقابة الشديدة ، والحركة النقابية وحدها دون سواها ، يسمح لها انى حد ما ، فالقيام بنشاط وطني مشروع (١٩٢٣ و ١٩٢٦) كما ان يد البوليس السري الطويلة تصل الى كل نشاط او حركة تقوم في الحقاه ، ويحق للعاهك المصام ان يتغنى او ان يبعد من البلاد ، ايا كان ، اذا ما رأى ذلك ضرورة لما فيه الحفاظ على السلام والنظام . فالحركة الوطنية وقفت دماً على سكان المدن حيث تشتد رابطة اللغة المائيزية ، كما تشترك فيها بعض العناصر الهامشية بين طبقة الفلاحين والجيش ، في نهاية الامر ، يتألف من عناصر ووحدة مأخوذة من بين الاقلية المسيحية في امبون وقيمور ، والحكومة ملء الثقة بولائهم لها والوقوف الى جانبها ضد الاكثية الاسلامية .

الاستقلال ومع ذلك ، فقد انهار نظام الدفاع الهولندي عن البلاد وبسرعة هائلة ، اذ ان استلال اليابان لاندونسيا عدة ثلاث سنوات ، افاح الحركة الوطنية ان تقوى وتستأسد ، بحيث تعذر على الهولنديين ان يبعدوا عام ١٩٤٥ ، الى تلك البلاد ، السيطرة التامة التي سكنت لهم فيها . فاحتلال الياباني ، حرر من السجون الزعماء الاندونيسيين المعتقلين فيها . ومراكز التوجيه التي شغرت بعد تنحية الأوروبيين وابسادهم عن البلاد ، تسلمها الموظفون الاندونيسيون ، واثقت الجماهير حكم ابناء البلاد وأنسبت الى ادارتهم بعد ان غاب كل اثر للادارة الأوروبية . واخذت الحركة الوطنية تنظم نفسها : فبينما راح شهرير احد زعمائها البارزين ينظم المقاومة السرية ، راح سوكرنو وحنا ، يعملان علانية ، بالاتفاق مع اليابانيين ويبدلان المزيد من النشاط ، بشد من أوردها الجمعية الوطنية في حاروا بعد ان علل اليابانيون النفس باستخدامها يوماً لصالحهم فألفا ما يعرف بالميليشيا الوطنية وامدها اليابانيون مسالمة اللارمة والسلاح ، هذه الميليشيا التي اصحمت فيما بعد نواة الجيش الوطني وعندما نزلت وحدات من الجيش الانكليزي فقد على البلاد ، في اثر استسلام الياباني في ايلول ١٩٤٥ ، وجدت هذه الوحدات امامها في البلاد حكومة قائمة ، وجيشاً مجهزاً بالعناد الذي حلقه اليابانيون وراهم ورأياً عاماً موثقاً العزم على الدفاع عن استقلال البلاد والدود عن حياتها . وجرت بين ١٩٤٥ - ١٩٤٩ تحت ضغط قوي من البريطانيين والاميركيين والاصتداليين مقوضات بين الهولنديين والاندونيسييين تخللتها اشتباكات مسلحة دت في نهاية المطاف الى اتفاقات متتالية لم تلت ان تحفظها الحوادث بسرعة ، فبعد اتفاقات شريدون (او لنفدجاني) لمعقدة في تشرين الثاني

١٩٤٦ ، التي أوجدت دولة التعادلية أو الاتحاد الهولندي-الاندونيسي التي تتركز الولايات المتحدة
الاندونيسية شطراً منها ، وللدولة الفيدرالية نفسها شطرها الثاني ، ساول الهولنديون ، بلقة ،
الارخبيل ، كما حاولوا ان يستغلوا المسافات الفاصلة بين الجزر ، والعناصر العرقية التي يتألف
منها السكان ، لتفريق بين رحاء الحركة والتنشيف من شأن زعماء الحكومة الاندونيسية
المنتخبين كلهم الى جزيرة جاوا ، وراحوا يشجعون تكوين حكومة مستقلة ، ويقوون من النزاعات
الانفصالية ضد الامبريالية الهالوية ، كالحركة السودنية التي قامت في قلب جاوا نفسها . وقام
الهولنديون بهجوم ادى الى إلغاء لمدة المعلقة بين الطرفين ، والى ابرام اتفاقات وقيل بالتالي
بين الطرفين ، التي وقعت على ظهر السفينة الاميركية المعروفة بهذا الاسم ، وذلك في كانون
الاول ١٩٤٧ ، وخلال كانون الاول ١٩٤٨ بينها كانت المفاوضات تجري بين الطرفين لتحديد
وسائل تطبيق هذه الاتفاقات ، قام الهولنديون فجأة ، بحملة قاذبية ثانية ، وضرب جاكرتا
العاصمة من الجو ، واعتقال الرئيس ، ورئيس مجلس الوزراء واحتلال النقاط الاستراتيجية
الرئيسية في البلاد ، على يد مظليين هولنديين وقد تدخل مجلس الامن هذه المرة في الوضع وشجب
العملية ، وفرض على هولندا الرجوع الى الوضع القائم . وفي اواخر ١٩٤٩ ، تم عقد اتفاق
نهائي تشكل بموجبه اتحاد هولندي-اندونيسي ، تشارك فيه ولايات اندونيسيا المتحدة المعروفة
باستقلالها وسيادتها . وهذا الاتحاد ، الذي سار بصورة هرجاء ، نقضته اندونيسيا عام
١٩٥٥ ، دون ان يكون تقرر مصير القسم الغربي من غينيا الجديدة المعروفة بإيربان الذي انف
قسماً متمماً من الهند الهولندية عام ١٩٤٥ ، والذي غالت اندونيسيا عام ١٩٦٢ حقه اليها .

كان على اندونيسيا بعد ان تحررت من استعمار هولندا لها ،
مصعب اندونيسيا في عهد الاستقلال ان تواجه المشكلات ذاتها التي تربصت بها الاقطار الاخرى
التي تحررت من رقة الاستعمار ، باستثناء المشكلة الزراعية التي لم تكن مطروحة فيها على بساط
البحث ، من قديم الوحدة الوطنية ، وتحقيق استقلال البلاد الاقتصادي بإبلاغها نظاما اقتصاديا
حديثا وتأمين اسباب الغذاء لشعب باتس أخذ بالنمو بسرعة مذهلة .

فالوحدة الوطنية رأت نفسها مهددة في الصميم من جراء تشتت هذه الألوف المؤلفة من
الجزائر المتاعدة التي يأخذ بعضها برقاب البعض الآخر على مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر ، وبما تجور به
من تنوع العروق بين السكان (١٧ عرقا وليسيا و ١٥٠ فرعا قانويا ، وثلاثين الاديان واللغات
٢٥ لغة و ٢٥٠ هجة عكسية ، وقفاوت توزيع السكان على هذه الجزر) فحرياً جاوا وماورا
لثلاثين مثلاً ٧ / من مجموع مساحة اندونيسيا ، تضمان معا ثلثي مجموع سكان البلاد . ولذا
رأى الدولة الجديدة تتعجل بسرعة عن النظام الاتحادي او الفدرالي الذي فرضته عليها هولندا
والدستور الذي وضع لها عام ١٩٥٠ لتتشقء بدلا عنه جمهورية أسادية قسمت اداريا الى عشر
ولايات تنعم باستقلالها الاداري .

الا ان العوامل والقوى النافذة التي دفن شرراً الى حيرات هذا الارخبيل ومواردها الطاقة

كما تنعرق على ما يتمتع به من موضع استراتيجي ممتاز في سنغافورا والفلبين وپورت دارون في عربي اوستراليا ، راحت تستثمر وتستعمل لمصلحتها هذه المباحثات الدبقية والعرقية ، والنفرة التي تجيش في صدر الجرار المساعدة ضد الحكومة المركزية المتهمه باحتكار هذه الموارد والحريات لمصلحة جارا وحدها لا غير ، وبمالة الشيوعية ومشاكلها . وهذا ما يمسر لنا الانتفاضات الثورية التي وقعت تناعا في حرر بورنيو وسيليس ، ولا سيا في سومطرة (١٩٥٨) في صبل تأمين استقلالها ، والحركة الانفصالية التي قام بها حرب دار السلام الذي حاول ان يشي على انقاض جمهورية الكفار هذه ، دولة سلامية صرفه .

والسكان الذين قدر عندهم عام ١٩٦١ بنحو ٩٦ مليوناً بعد ان كان ٦١ ٥٠٠ ٠٠٠ في سنة ١٩٣٥ ، تبلغ لغاتهم في جاوا بنسبة ٤١٠ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد ، بينما يهبط هذا المعدل الى ادى من ذلك بكثير ، اذ لا تتجاوز في بورنيو وفي غيرها من الجرار المدينة ٤٠ ٪ مع العلم ان معظم السكان يعملون في الزراعة بنسبة ٧٥ بالمائة منهم . ويجب تأمين اعاشة هذا العدد الوفير من السكان والخل الوحيد الذي يفرج نفسه هنا كثيرها من البلدان المتخلفة ، اقتصادياً يقوم على عصمة النظام الاقتصادي والتنضيق الحديث . والحال ، فوضع البلاد الاقتصادي الذي رزح الى الحضيض خلال الاحتلال الياباني وفي سني الحرب ، كان يماي ، في سنة ١٩٤٩ ، الامر من جراء اطلاق وسائل الانتاج ووقفها ، ومن جراء فقدان البلاد للأطر الاقتصادية ولاصحاب الاختصاص والتقنيين ولرؤوس الاموال . ففي عام ١٩٥٢ فقط ، تمكن الانتاج القوي ان يبلغ المستوى الذي كان عليه عام ١٩٣٨ ، مع العلم ان عدد السكان كان قد زاد في هذه الفترة ، ١٤ مليوناً ، فالانتاج يبقى والحالة هذه ١٥ بالمائة ادى من مستواه في تلك السنة . ولتأمين الاستقلال الاقتصادي ، كان لا بد من رفع معدل الانتاج في البلاد فحسب ، بل ايضاً تغيير الاوضاع الاقتصادية تغييراً جذرياً ، بعد ان استمرت على ما هي عليه مدة ثلاثة قرون استغل فيها الاستعمار الهولندي الذي حرص على ان يربط اقتصاد هذه المستعمرة بالاسواق العالمية وباسواق هولندا على الاخص . واذا وسعت الحكومة جهودها نحو تطوير التعاونيات في الاوساط الريفية لما تؤمنه لاصحاب المنتجين ولرجال الصناعة من نصيب وتوجيه قبي ، ومن مساعدات مالية تكون منها في مأمن من حائل المرائب . وهكذا هدت البلاد ٨٦٠٠ تعاونية عام ١٩٥٤ تمت بين ١ ٤٣٢ ٠٠٠ من الاعضاء . أما الانتاج الصناعي ، فقد حدث منه ، حاجة البلاد الماسة الى الطاقة الكهربائية الحركة والفنيين من اصحاب الكفاءات بالرغم من الازدياد المتواصل في اليد العاملة ، فليس من عيب الا تتمكن من تحقيق مستوى ١٩٣٨ . والخطه التي وضعها سومارو عام ١٩٥٠ والتي هرقت بخطة سومترو لتصنيع ، كانت مشروعا متواضعا لتأمين المزيد من الحاجيات الاستهلاكية ، كانشاء المطابع ومصانع الورق والثرابة و كياس الخيش ومعمل الفسيف ، وفاراك تصبيغ الطاط ومصانع للاسدة الزراعية لتأمين اكبر قدر من حاجيات البلاد . والنايت ان مشاريع التصنيع تقوم اصلا على المشروعات

الاستثمارية ولا سباحة على رؤوس الأموال الأجنبية التي يقدمها بنك التصدير والواردات ، في نطاق مشروع مساعدة المدن المنحلة أو النشطة الرابعة . ومحافظة منها على الاستقلال الوطني ، تسلمت الحكومة بكل الوسائل واتخذت كل احتياطات التي تقتضيها هذه الاستثمارات ، وهي وسائل أدت إلى إنشاء مصانع جديدة أجازت الدولة إنشائها ، تستخدم الاقتصاد الأدويسي ، يساهم الرأسمال الوطني فيها بنسبة ٥١ بالمائة ويكون الموظفون مناصفة بين أبناء السلاسل والأجانب ، وتحفظ الدولة بحق الإشراف على بعض الصناعات الأساسية : كصناعات توليد الكهرباء ، ومصانع الترابية والمصانع الكيماوية . وقد بقيت على حدتها مستعصية الحل للقضايا السياسية ومستوى الحياة في البلاد والانتاج ، كما أن ركود الحركة الاقتصادية والخوف من فشل الخطة الخمسية هما وراء قلق الرأي العام ومن عدم استفادة البلاد بالقدر الذي ترغب فيه من ثرواتها الهائلة التي تشارك في تصديرها للتجار ، الشركات الهولندية والإيركية التي تملك مزارع شاسعة وتشرع على أهم المناجم وتضمن على وسائل النقل ، وتتحكم بالجانب الأكبر من التجارة الخارجية . وهكذا تبرز أساساً بوضوح كلي الهيكل الوطني الشديد وفورة الرأي العام ، عندما اصطدم ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧ ، برؤس هولندا للتسليم بالطريقة التي سالت بها قضية إيران . وكان رد الدولة على هذا التمسك ، مصادرة وسائل النقل الهولندية في البلاد والمغامرة بها نحو البلاد الواطية . والانتخابات النيابية التي جرت عام ١٩٥٥ ، أمنت للحزب الوطني في المجلس والحزب الشيوعي والاتحاد الأحزاب المناهضة للاستعمار ، عدم كبير من المعاهد في المجلس التمثيلي وراحوا يلتفون حول سوكارنو ، كل ذلك جاء تعبيراً صادقاً عن هذه النزعات العنيفة التي تمتلئ في قلوب المواطنين الذين لا يفرقون قط بين الاستقلال الوطني وبين التطور الاقتصادي . إلا أن هجر الحكومة الذي جاء هذا كما في باكستان ، نتيجة عتومة لعنف الصراع السياسي ، حمل الرئيس الذي يؤازره الجيش ، على التدخل من الطرار السياسي الغربي ، إذ استدعى النظام التمثيلي ، نظام الديمقراطية الوحيدة ، هذا النظام الذي يمثل فيه الجيش دوراً بارزاً ، وقضى مع الأحزاب السياسية من أي نشاط سياسي باستثناء الجبهة الوطنية ، بتعطيل الحياة النيابية التي كادت تنفيس عام ١٩٦٥ ، مطالها عن آسيا برمتها ، بأغلبها اليابان والهند .

فالحكومة الضالعة بالحكم بشارك بتأليفها أربعة أحزاب بينها الحزب الشيوعي ، وحل محل البرلمان مجلس وطني ضم ممثلين عن المؤسسات المدنية والحرفية ، بين عمال وفلاحين وصناعيين ورجال أعمال . إلا أن الجناح اليميني في الجيش الذي لم يرق قط مثل هذا الحل ، قام في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٥ ، بانقلاب عسكري استغل فيه سوكارنو بالرئاسة ، إلا أن الحكم قواه فريق من ضباط الجيش لم يلبث أن قام بهزاع عنيف ضد الشيوعيين ، فألقى الحرب ، وقام باعتقالات عديدة في صفوفه وأصدر الوف الأحكام بحق أعضائه .

الفلبين
وانتهجت الولايات المتحدة في الفلبين إثر احتلالها لها عام ١٨٩٩ سياسة
تفاير غاماً السياسة التي سارت عليها البلاد الوطنية فقد قام في تلك البلاد
بفضل قانون جونز الصادر عام ١٩١٦ مجلس تشريعي تألف من مجلس الشيوخ (٢٢
شيعاً منتخبتين و ٢ معينين) ومن مجلس تمثيلي جميع اعضاءه مستخرون ، على ان يصادق الحاكم
العام ومجلس الشيوخ الامير كي ، على كل القوانين التي يقرها المجلس التشريعي الجديد . ولم تلبث
ان احتل ابناء البلاد الوظائف الرئيسية في البلاد ، ومنذ عام ١٩٢٥ ، وبدافع من ضغط منتجي
السكر ، من امير كيبي وكوبيين ، الذين تأثروا ، الى حد بعيد ، بتنافسه محاصيل الفلبين ،
اخضت حكومة الولايات المتحدة تعد البلاد للاستقلال التام .

وبالرغم من هذه الحركة التحررية ، برزت الحركة الوطنية في الفلبين هارمة ناشطة بعد
ان اشتدت قابلية الفلبين الاقتصادية للولايات المتحدة الاميركية . ان توافد رؤوس الاموال
الاميركية على هذه البلاد ، والقانون الاميركي الصادر عام ١٩٠٩ الذي أطلق الحرية المطلقة
لعمام استيراد البضائع والمصنوعات الاميركية ، كان من بعض نتائج ان تخلف اقتصاديات
البلاد ، اذ ان ٨٠٪ من صادرات البلاد كانت توجّه الى الولايات المتحدة كما ان للفلبين كانت
تستورد منها بمثل هذه النسبة . وريارات التصدير حلت على سبب كبيرة ، محل الزراعات
الفدائية ، فاضطرت البلاد بعد ان ارتفع عدد السكان فيها ، الى استيراد ٢٠٪ من حاجتها للوقود
الفدائية ، كالارز مثلاً . وهكذا اصبح اقتصاد البلاد ، ككل بلد يرسف تحت الاستعمار سريع
التعطيل ، اذ ان ٧٥ بالمائة من سكان البلاد يعيشون من الاعمال الزراعية ، ووجدت الصناعات
التحويلية بالنسبة نفسها عاجزة عن التطور الذي وعى فيه ، لمزاحمة المصنوعات
الاجنبية لها .

ولازدهار التجاري العظيم الذي عرفته تلك البلاد لم يستفد منه سوى فئة من الاغراب ومن
سكان البلاد ، دون ان يعود ذلك بفائدة محسوسة ، على جماهير الشعب . ان انتاج سكر
القصب والكوبرا الممدي لتصدير الخارج ، يتطلّلت مساحات شاسعة من الارض ورؤوس
اموال طائلة ، الامر الذي جعل صغار الملاكين على الاستدانة والاستلاف ولم يلبثوا ان وقعوا
تحت وطأة صغار الملاكين ومعظمهم يبيعون عن البلاد .

فالذين من جهة ووطأة الضرائب من جهة اخرى جرّث على البلاد المصادرة والاستعلاكات كما
اخذ بالتداعى عدد المزارع المستثمرة من قبل اصحابها ، ولدى جندأ مستوى العيش في البلاد .
لجحت الولايات المتحدة في تحصيل لوصح الصحي في البلاد : فتراجعت الملايا والنيغوس واليهضة
كما صاعمت عدد المدارس ودور التلميم ، لا ان الشعب الذي كان يأمن من الامراض الوارثة ،
بقي يعاني نقصاً مريعاً في وسائل التمذية لديه ، ولذلك كان معدل الوفيات عنده عالياً ، ولم
تخف وطأة الوفيات بين الاطفال وفلك التندون الرئوي الا بصورة تدريجية . فالاجانب يملكون
اكثر من ثلث ثروات البلاد الطبيعية ويهيمن الاميركيون على ثلاثة ارباع التجارة الخارجية ،

كما ان الصينيين واليابانيين يستأثرون بثلاثي التجارة بالفرادى .

استقلال الفلبين
مع انه نودي باستقلال الفلبين عند انتهاء الحرب عام ١٩٤٦ ، فالدولة الجديدة بقيت مشدودة الى الولايات المتحدة ليس من الوجهة الاقتصادية فحسب بل ايضاً ولا سيما من الوجهة العسكرية . فالتاوتون بيل الذي صدر عام ١٩٤٦ ، اعترف للفلبينيين بمناقب وامتيازات فعلية عديدة . فتح السوق الاميركية امامهم لمدة ثلثي سنوات ، وتخفيض الرسوم الجمركية على الصادرات الفلبينية منها لمدة عشرين سنة ، الا انه اصر على عدة تعديلات وقبوه . فتقصت من سيادة البلاد . فالى جانب ٢٣ قاعدة بحرية وحربية وحويه احتفظت بها اميركا ، فقد فرضت على البلاد تعديلات محسوسة في تصدير اهم منتجاتها كالسكر وزيت البلخ ، والحكومة الاميركية اُلحق باضافة مواد اخرى الى قائمة القيود هذه حساسياً براء . فالحصائل المستوردة من اميركا يجب ان تبقى معفاة من اي رسم ارقب يفرض عليها لمدة ثلثي سنوات ، وقيمة الميزو لا يجوز مساها بشكل من الاشكال ، كما لا يجوز الحد قط من حرية توزيع الاموال الاصلية في الولايات المتحدة . الاميركية . وفرضت بنوع خاص التبرر على نصوص دستور البلاد الذي يحظر انتقال ملكية الاراضي والمناجم والمعاملات والخدمات العامة الى ايد اجنبية او الى شركات يعود اليه ٦٠ بالمائة من مجموع رأس المال . والحال ، فالتاوتون بيل يترجم التساوي في هذا المجال مع الرعايا الاميركيين وهو متباين لا تنعم مثله اية جلبية احسية اخرى في البلاد . وانخيراً وليس اخراً ، فرؤوس الاموال الاميركية تستثمر بحرية مطلقة في القطاعات الام من قطاعات الاقتصاد الوطني كالسكر والتعدين ومزروعات الكوكو والمناجم العامة .

فالتعالم القائم بين رجال الاعمال الاميركيين والفلبينيين ، وبين انصار وكبار اصحاب الاملاك العقاريين الذين يقدرون ماتحتهم حركة التصدير في البلاد ، يقف حائلاً دون ادخال اي اصلاح حشري على وضع اقتصادي سريع الخطى قابل للتعبير ولا سيما اذ حال في تعديل او التقييم لأي تنوع في زراعات البلاد ومجالات الاقتصاد الكبرى .

هذا الفريق المحدود جداً من رجال الاعمال ومن كبار الملاكين العقاريين ، هو الذي فبر بالاحكام من الازمة الاقتصادية الذي نعمت به البلاد في اعقاب الحرب العالمية الثانية . وتقرير بيل الذي وضع عام ١٩٤٦ ، يؤكد ان السواد الاعظم من السكان . يعانون كثيراً من وضع صحي سيء ، قيامه ومقاومة الكرامة الانسانية في الضيق . فالاجر اليومي العادي الذي يتقاضاه العامل في الصناعة يتراوح بين ٢ - ٥ بيزوس ، سخا يهبط في الاعمال الزراعية الى ادمى من ١٠٥ بيزوس ، في حين يحتاج العامل لـ ٢٤٥ بيزو لتأمين الحد الأدنى من معاشه . فالفلاحون الذين يؤثفون ٧٥ بالمائة من مجموع سكان البلاد هم في وضع ادنى بكثير من الوضع الذي يحق بالمعيار في المدن . فالتاوتون الذي صدر عام ١٩٤٦ والمرفوع دون ٧٠ - ٣٠ من محصول القمح الذي ينمو على ان يتناول منه الارض ٧٠ بالمائة من غلتها ، لا يراعي قط ، والموسم ياتت

دون معدلها قبل ١٩٤٠ . والنظام الضرائبي المنفي على الضريبة المباشرة بصيب على لآخره الفقراء والضريبة التي فرضت عام ١٩٤٩ على الدخل وعلى التراكات لا تدر على الخزينة أكثر من ٥٠ مليون بيروسيو بينما يبلغ دخل الضريبة المباشرة ٢٩٢ مليون .

واحد العمال والفلاحون يلاحظون منذ عام ١٩٤٦ ، ان استقلال البلاد السياسي ، لم يمد عليهم بأي دفع يذكر ، وانه لم يتقدم بما يتخطون فيه من يؤس وشقاء وما يساورهم من شعور بعدم الطمانينة كما شعروا ان السلطة لا تزال بيد الاجنبي . فاشعور لوطني الذي امتسكه قانون بيل ، والذي يؤله هذا الامراء والاستخفاف « بالاخوة الصمد السمور » ينتصب مستمراً غاضباً في وجه حكومة منبلا صبيحة الامير كيبي وألومشهم . ولذا قامت في البلاد حركة مهجة هي حركة *Hukbatahops* التي تؤلف جيشاً شعبياً حارب الاحتلال الياباني ، تأسس عام ١٩٤٢ ونظم حركة المقاومة ضد في جزيرة لوسون ، وراحت تعمل في المظاهرات التي تسيطر عليها ، على توزيع الاراضي الزراعية التي يعيش اصحابها في الخارج ، على المزارعين . وأخذت الحركة بعد عام ١٩٥٠ ، تعرف « بقوى التحرر الوطنية » ، بعد ان وصفت لها برنامج عمل وتسلحت بذرائع اقتبستها عن الحزب الشيوعي الصيني ، وأحدثت تناهض الامير كيبي وكسار الملاكين المقاريين ، وتعمل على تكوين « ديموقراطية جديدة » في البلاد ، يتولى الحكم فيها الفلاحون والميل والبورجوازية الوطنية . ولم يجر قمع هذه الحركة الا في سنة ١٩٥٤ .

ومثل الفلبينيين في هذا المحيط والجو الجغرافي الذي يحيش بالثورات والانتفاضات له دلالة الخاصة ومعناه الخاص . لا شك بأن الولايات المتحدة الاميركية وقفت اكثر من اية دولة استعمارية اخرى ، موقفاً يتصف بالتحرر ونهجت في هذا المجال ، نهجاً يتم بالقي لم تهوج مثله اية دولة اخرى ، فلم يعرف عنهم انهم حاربوا امتصاص مالية البلاد ودفعوا دوماً تكاليف احتلالهم العسكري ، وعملوا جاهدين على تطوير الخدمات الصحية في البلاد بما أدى الى هبوط محسوس في معدل الوفيات ، وشجعوا التربية والتعليم فيها ، بما جعل الفلبينيين تأتي في الطليعة ، في هذا المجال ، من الدول الاخرى في الشرق الاقصى ، بالنسبة لعدد الطلاب الذين يرتادون مناهل العلم في البلاد في أي مستوى كان . وهرفت التجارة الخارجية توسعاً وازدهاراً لم يتم بمعهه أو مثله لأي من هذه البلدان . ومع ذلك فقد انتصب في وجههم بعض حقين وعداء اوراق هم جميع طبقات الشعب ، لهذا الاستلاء المنصري ، ولهذا التمييز العرقي الذي ينتقص في الحميم ، من شخصية ابناء البلاد ويشعرهم بالذل والمهانة ، ولا سيما ما شهدوا منهم من سياسة خرقاء . فمن جهة اعطوا البلاد استقلالها السياسي ، وراحوا من جهة ثانية يتجهجون سياسة اقتصادية ابقث الفلبينيين مشدودين الى تابعيتهم . فقد حافظوا على النظام لاساني القديم للكيكيات المقارية الكبرى ، احدى مخططات « النظام الاقطاعي » الذي يتعارض اصلا مع التطور الذي يأخذ به نظام اقتصادي حديث . شجعت حرية التبادل التجاري مع الولايات المتحدة الزراعات التصديرية التي يستفيدون منها وحدهم دون سواهم من اصحاب الاملاك العقارية ، ولا تعود بأي نفع على

الجمهير التي ساء وضعها وتدهور الى الحضيض . فالحظ الذي ينجح على النظم من نشوب ثورة يقوم بها الفلاحون ، والامتيازات التي يؤمنها نظام الحكم لارستوقراطية الدم الاسباني المسيطرة على الثورة المعاصرة في البلاد هو الضمان الوحيد لاستمرار الولاء لهذه الحماية الفعلية التي قارسها الولايات المتحدة الاميركية على هذا الارخبيل .

ورما سبق ووفنا بالنجاح الذي اصابته بورما في المجال التجاري والفشل الذي بليت به في الحقلين الاجتماعي والسيكولوجي خلال العهد الاستعماري الذي عرفته هذه البلاد . وطلّح الحركة القومية في بورما برزت من صفوف الرهبان البوذيين الذين لعبوا هنا الدور الذي لعبه الرهبان الكاثوليك في ايرلندا ، بعد ان ساءم المصير الناس الذي آلت اليه اديلم ، وعدم مبالاة السلطات الهندية التي انتقصت كثيراً من شأنهم واهدرت بعلمهم ومعارفهم . فقد كانوا وراء الاضطرابات التي اثارها رابطة الشينيه البوذية ، عام ١٩٠٦ ، ورأسوا عام ١٩٢٠ ، حركة حث القرى على التمرد ضد موظفي الحكومة ، كما كانوا وراء الاضرابات الاولى التي قام بها الطلاب ، واشتأوا في البلاد شبكة من المدارس لا تخضع لمراقبة الدولة .

والحركة تنسم في صميمها ليس بالعداء ضد الاسكندر فحسب ، بل ايضاً ضد الهند الا انها قبل كل شيء مصادرة لكل ما هو اوروبي . فاختلّت الحركة فطال بالاستقلال وبانتهاج سياسة اجتماعية جذرية . وعندما هرا البانيون البلاد ، عام ١٩٤٢ ، استقبلوا بهمس ظاهر . فاعلن استقلال للبلاد ، وتألّفت في البلاد حكومة بورمية مئة بالمئة . وفي عام ١٩٤٥ ، اخذت عصبة تحرير الشعب المناهضة للفاشية تشد من أزر الحلفاء لطرد القوات اليابانية من البلاد . وعندما راح البريطانيون يهاوئون ارجاء لحكومة النورمية القائمة في سيملا ، تحولت العصبة المدكورة الى منظمة منطوحي الشعب ، واجبرت البريطانيين ، يشد من أزرها الفمال وقوى الشرطة في رانفون على اعلان البلاد جمهورية مستقلة لا تشدها الى بريطانيا ، رابطة أو أسرة . تتميز بورما اليوم بأن الحكم فيها يسد حزب اشتراكي سار منذ البدء ، على سياسة قائم المؤسسات والاقتصاد ، والتي تستوحى في سياستها الخارجية مثال يوغوسلافيا . يحرم الدستور الملن عام ١٩٤٧ الشركات الاحتكارية ، كما يصر على ان يستثمر الاتحاد ثروات البلاد الطبيعية كالاحراج والمناجم ومصايد الاسماك والمخزول ومصادر الطاقة المحركة ، ويعلن ان الدولة هي المالك الحقيقي للارض كما تحرم قيام المقاربات الكبيرة . ومنذ عام ١٨٧٨ اصصعت التجارة بالآرز فيها من الاحتكارات التابعة للدولة التي احتكرت ايضاً التجارة بخشب التيك ، وأعت شركة الملاحة في نهر الايروادي . والقانون الخاص بتأميم لارض اخبوا يطبقونه منذ عام ١٩٣٥ ، فهد يحول الدولة مصادرة الاملاك الفائت اصحابها عن البلاد ، كما يصر المشتككات المعاصرة التي تزيد مساحتها على عشرين هكتاراً ، ويعمل صغار المزارعين في مزارع لا تزيد مساحة الواحدة منها على ١٠ هكتارات . الا ان الاراضي التي يملكها اصحاب لا يعملون في الزراعة ، تصادر وتوزع على الفلاحين الذين لا ارض لهم ، كما ان تعمم التسليف الزراعي بفائدة

منخفضة تقارح من ٢ - ٧ مائة تؤمنه لدولة او للتعاونيات لزارعية وضع حسداً لنشاط المرابين . ففي هذه البلاد التي يزيد عدد سكانها على ٢٠ مليون نسمة ، منهم ٦٦ بلداً يعملون في المجالات الزراعية ، فكثافة السكان لا تتعدى ٣٨ نسمة في الكيلومتر المربع ولا يزال جانب كبير من الاراضي القابلة للزراعة غير مستثمر بعد . وهكذا فمشكلة الزراعة هي في طريقها الى الحل المنشود . وأشيء في البلاد ، عام ١٩٥٤ ، شركة اقتصادية محتلطة تعرف باسم شركة يتروك بورما ، ساهم في تأليفها كل من الحكومة والشركات ، (الخصوصية القديمة التي كانت تعمل في مجال الاستثمارات المنزلية ، كما سبق وتألّف عام ١٩٥١ ، شركة محتلطة لاستثمار منجم النمسيتين الا ان النظام السياسي يشكو انقلابه ، بضاً ، اذ ان الجيش ستم الحكم بمسند انقلاب عسكري وقع عام ١٩٦٢

ماليزيا والهند الصينية هما القطران الوحيدان في القارة الآسيوية اللتان وقفا فيها الأوروبيون محرم وعزم ضد الحركات القومية التي جاشت بهب شوب هذه الاقطار ، والتي حمل منها تطور الاحداث الدولية حدة صراع وقصادم بين نظريتين متعاندتين لتقاسمان العالم اليوم .

فماليزيا هي القطر الآسيوي لملم الوحيد حيث استطاعت دولة أوروبية مستعمرة ان تؤمن سيطرتها عليها الى عام ١٩٥٥ ، بالرغم مما تعرضت له من معوم ومقاومة عبيده ، بعد حروب شاقة كافتها عالياً .

كانت ماليزيا ، على عرر بورما وحرر لحد الهولندية مؤذخاً مثابياً هذه المستعمرات المدارية التي عاود الازدهار الاقتصادي العظيم الذي عرفته الى هذه المشروعات لاستثنائية التي حققها الأوروبيون وبعضوا بها ان استنار مساهم القصدير ومزارع شعر انطاط ، وريب البلع ولافاناس ساعد كثير على رفع مستوى لدخل القومي في البلاد ، قريب من مستوى اليابان ونجح البلاد ان تتمتع بوضع اقتصادي احدث حداً ، ثم منه ليابان ولطوا . فوضع الضرائب فيها اختلف كلياً عن مثله في الاقطار الآسيوية لآخرى ، ومخل الحكومة الصحيح كان يتألف معظمه من الرسوم المفروضة على الدخول والتمنع وصريسة الدخول ، ولم تكن البلاد لتعاني كثيراً من تضخم مريح لعدد السكان ، ولدا بقي فائض كبير من الاراضي الصالحة للزراعة . ومن جهة أخرى ، فالحكم عبر المباشر ، الخفيف والطماسة ، أقصر السلاطين على جور الملوك الداخلين ، وهو دور أسوأ له وألقوا لآخذه ، فقد ساعد نظام الحكم البريعاني ، على إعانتهم وعلى تأمين سلامتهم وماليزيا التي تؤلف ستطالة للامبراطورية الهندية لم يعم فيها حكومة مسؤولة ، ولا انتخابات نيابية ولا حزاب سياسية ولا انتخابات نقابية . والمؤسسات التمثيلية التي قامت فيها تألفت اصلاً من اعضاء هينهم الحاكم العام ومن موظفين اما النظام الاقتصادي فيها ، فقد كالب في وضع سريع التطب ، على شاكسة الوضع اسي تم للغبليين ولورما ، اذ كان يتوقف اساساً على تصدير بعض المحاصيل كالصدير والمطاط اذ نـ /

مساحة البلاد كانت تعطي محاصيل معدة في الاصل للتصدير .

وقد اجتذب حسن استثمار ثروات البلاد الطبيعية سيلاً من المهاجرين قدموا اليها من البلدان المجاورة واستقروا فيها : فعادها من الهند ٢٦٧.٠٠٠ عام ١٩١١ و ٦٢٤.٠٠٠ عام ١٩٣١ ، ولا سيما من الصين (٩١٦.٠٠٠ عام ١٩١١ و ١.٧٠٠.٠٠٠ عام ١٩٣١) . ولأن تلبث هذه الهجرة الكثيفة ان جعلت سكان البلاد الاصليين أقلية في ديارهم ، فألفوا ٤٢ بالمائة من مجموع السكان مقابل ٣٩ بالمائة من الصينيين الامر الذي تسبب عن ضغط وتوتر شديدين بين العناصر المتعددة التي يتألف منها المجتمع الماليزي .

فقد ساعد الحكم البريطاني في ماليزيا على الرأه البلاد وإغنائها بسرعة وادخل عليها زراعات جديدة غيرت ملامحها وهدلت من قسائمها ، وراود من عدد السكان في البلاد بنسبة صغيرة الا انه اشأ فيها نظاما اقتصادياً قوالياً ، شديد التبعية ، سريع العطب ورصف جساً الى جنب ، معتمعات سكانية دون ان يحاول رحها ، ليس بينها شعور عاطفي مشترك ، ولا تنحس مصالح مشتركة . والمفضل في إبقاء الضمير القومي وبعث الشعور الوطني الحاد في البلاد انها يعود اصلاً لاحتلال اليابان لها خلال الحرب . إن انهيار الحكم البريطاني بعدد حرب صاعقة لم تطل أكثر من ستة أسابيع اثر بليماً في شعور الرأي العام ، كما ان سقوط سنغافوره الذي يعد اكبر كارثة أمت ، عبر التاريخ ، بالاستعمار البريطاني ، كان له دورى قاصف في تلك الأرجاء . فلم يرى في اي مكان ما ، العناصر الوطنية ، باستثناء العصر الصيني ، تنهض للدفاع عن البلاد . فالمرقب السلبي الذي وقفته بغير تعبيراً عميقاً عن ضعف الاستعمار البريطاني لهذه البلاد . والدعاوة اليابانية التي نشطت منذ اليوم الاول من احتلال الجيش الياباني للبلاد ، لطمس كل اثر للسيطرة الانكليزية (كتحريم استعمال اللغة الانكليزية واعادة تنظيم الادارة من الاماس) ، عدت الحق والضمية ضد البيض ، الا انها هجرت عن استالة اي عنصر من العناصر الرئيسية الثلاثة اليها وحملها على التمازج مع الغاري المستبيح ، بل أدت ، على عكس ذلك تماماً ، الى وقوفها صدها والصمود في وجهها ، العصف الذي تعرضت له من جراء قبضه اليابان وقسوة شكيمتها ولملت الذي استهدفت له موارد البلاد . كل ذلك حرك شهوة السلاطين في البلاد الى الاستقلال ، كما حل الشبهة في البلاد التي فخرت من المعاهد الاوروبية وتشربت روح الحرية على المطالبة بسيادة البلاد ، وانارت صدم العناصر الصينية المتمركزة في البلاد ، والمنقسمة بين الكيومانتنغ وبين الشيوعيين ، الذين اشتدت عليهم يد اليابانيين وقعرضوا لسوء المعاملة ، فلموا درراً حاسماً في الجيش الشمسي الذي حارب الاحتلال الياباني ، وساعد كثيراً الجيش البريطاني على استعادة سلطته على البلاد .

فقد ساعدت مع ذلك السياسة التي تبناها اليابان في ماليزيا
على تحقيق اعادة العاصمة بين الصينيين والماليزيين وعلى خلق بعض
حقائق بين المنصرين الاساسيين الذين يؤلفان سكان البلاد . فبعد
ان عاد البريطانيون الى البلاد عام ١٩٤٥ ، قدموا بمدة ثمارات ، ارضاء للشعور الوطني ،
ورغبة منهم في توحيد هذا القطر المنقسم على نفسه الى ما يريد على عشر سلطات تشاهد بينها
حواسن جوكية . فحشواوا بادىء ذي بدء ، المحساد ماليزيا ، فالولايات التي تتمتع بالحراسة
اصبحت ولايات محمية او تحت الحماية ، خاضعة مباشرة للحكام ، كما انشئت حكومة مركزية
بشكل بقي معه واقع الحكم والادارة للدولتين . ومواطنة الجامعة الماليزية اُعطيت بسواء
بحيث ينعم بها على السواء الصينيون والهنود . وقامت معارضة قوية في وجه هذا التنظيم الجديد .
وبعد ان انس السلاطين مؤامرة قوية من قبل الطبقات الموالية المحافظة ، ومن قبل السكان
الماليزيين في البلاد الذين شعروا بخطر اغراقهم بالمنصر الصيني الخصب الانكسار ، واصلوا الى
عصف العناصر القبلية ، وأخذوا درساً من مسلك اندونيسيا ، راحوا يعدون ويؤلفون
تحالفاً فيما بينهم ، بما احذر الحكومة البريطانية على العدول عن سياستها . . فالاتحاد حل محل
حكم فدرالي ماليزي تمتع معه الولايات باستقلال اداري اكبر ، كما ان الماليزيون ضمنت
بالحصول على الأغلبية في المجالس التمثيلية وفي الحكومة المركزية . وادخلت قيود وتقييدات
جديدة ضيقت من عملية للتجنيس امام الصينيين ، كما بقيت سنغافوره مستعمرة تابعة للتاج
البريطاني ، وهي الوحيدة في كل آسيا . كل هذا حل العناصر غير الماليزية على المعارضة العنيفة
وتنظيم المظاهرات العنيفة ضد البريطانيين . كذلك تحركت الرابطة الصينية الماليزية وعرفة
التجارة الصينية ، كما تحرك للعمل الحرب الشيوعي الذي يلعب دوراً بارزاً في نشاط المحاد
نقابات الجامعة الماليزية . وفي عام ١٩٥١ ، راح د فوان بن جعفر ، ابن رئيس الوزراء في ولاية
جمهور ، يؤلف له حزباً يطالب باستقلال ماليزيا وسيادتها التامة وينص البرنامج الذي وضعه على
اعطاء الأولوية للفئة الماليزية في كل المعاملات الرسمية ، واتخاذ اجراءات فعالة ضد الوحدة
الديمقراطية الصينية العارمة ، والحد من مغبة قنوع الثقافات والحضارات والانتقال بالسلاد من
وضع اقتصادي استعماري ، الى وضع اقتصادي وطني ، واتخاذ الوسائل الفعالة لارالة
القلق الاجتماعي المسيطر على البلاد من جراء التركيب الاقتصادي الشد الذي يوجب بالبلاد ،
واخيراً استقلال ماليزيا .

وهكذا تجلّت لأسباب ودوافع متضاربة احياناً معارضة السكان العنيفة للسيطرة البريطانية
على البلاد ، التي اخذت تعبر عن استيائها وهدم رضاها عن الوضع بتنظيم الاضرابات وبعثه
الاستباكات الدامية التي نظمها حزب الشعب الماليزي ، اقوى الاحزاب طراً في هذا الجزء
الجنوبي الشرقي من آسيا واحكمها تنظيمًا . وهذه المناوشات الدامية التي ثالت رضى جماهير
الملاحين والزراعيين ، احدثت مهاجم الزدروعات ، ومراكز البوليس ، ولم يند في نهدها أو

التحصف من شرها اعلان البلاد لحالة الطوارئ، وتشكيل فرق دفاع حمضا اصحاب المزارع ،
والكتكت المصيف الذي تعرضت له من قبل السوليس والاعمال الحربية التي جرت لقمعها . وقد
صعرت كل هذه الوسائل من القضاء على حركة المقاومة ، التي احترت كثيراً في انتاج المطاط
والقصدير وحدثت من تصديرها ، وبذلك قطعت عن بريطانيا سبلاً من الدولارات . وهذا ما
يفسر لنا تماماً السيف الذي اظهرته بريطانيا في المحافظة على مواقعها ومركزها في هذه البلاد
التي تؤلف قاعدة حربية من الدرجة الاولى لها . وفي هذا السبيل ، استقدمت جيشاً زاد عدد
أفرادها على ٣٥٠٠٠٠ من الحرس الوطني ومؤسسة الطيران الاوسترالي والسيوريلاندي
لوقوف في وجه بضع آلاف من رجال المقاومة ليس من سبيل الى القضاء عليهم . وقد اتاحت
هذه الحرب للمناصر غير الشيوعية الوقوف موقف المتصليب . وأخذ رئيس الوزراء في حكومة
الاتحاد في ايلول ١٩٥٥ ، يحدد عقيدة الادارة مقاطعة تامة اد تم ذل البلاد استقلالها التام
وفي آخر المطاف رأيت الدولة الجديدة للنور في آب ١٩٥٧ ، بعد ان توصلوا الى عقد اتفاق ، كما
جرى في الهند ، لتعقد بين الدولة المستعمرة وبين المنطقة الموجهة استعظمت بريطانيا معه
بقواها الحربية .

وعكست بريطانيا من ان تشدد من نموها في هذه المنطقة ذات الأهمية الحيوية بالدرجة لها ،
عندما أشتأت في ايلول ١٩٦٣ ، و امتداداً أعلى ، تألف من الاتحاد الفدرالي الماليزي الذي
انضمت اليه سمنافوره عام ١٩٦١ ، ومن مقاطعات سراواك وبروني وصباح (القسم الشمالي من
بورنيو) فداد ما عدلت الفلبين عن معارضتها لهذا الحلف الجديد ، فقد احترت اسويسيا
عن عدائها المكشوف له ، اد شت عليه حرباً فعلية اضطرت معها اسكلندا الى لقوة حاميتها في
سمنافوره ، التي تألف من ٣٥٠٠٠ جندي ، وهي أم حامية لها في المحيطين الهندي والهادي .
الا ان انفصال سمنافوره لحديث عن هذا الاتحاد (١٠ آب ١٩٦٥) اضغف كثيراً من جانب
الدولة الجديدة ، وطرح من جديد ، على بساط المسح توارث القوى في هذه المنطقة وبالتالي
سياسة بريطانيا الاستراتيجية في هذا الجزء من العالم .

كانت السياسة التي سارت عليها فرنسا في الهند الصينية سياسة
تثليل وامتصاص دامت الى جعل هذه البلاد امتداداً لفرنسا
في آسيا . الا ان اهتئين الاجتاهتين القائمتين - الفرنسية
والوطنية - والنظامين الاقتصاديين المعمول بهما ، عاشا حساً الى حسب مون أي تداحس ار
تأرجح فيما بينهما . فالعناصر الاوربية ومن لف ألفها (من الخلاسيين ، ومن قديمة من اليابانيين
والفلبينيين ، وسكان جزر الانكيل ولا سيبا هنود يوديشري) لم يؤلمو ، في سنة ١٩٣٧ ، سوى
إطار صيق تألف من ٤٠٠٠٠ نسمة بينهم ٣٠٠٠٠ من البيض ، معظمهم من الشبان ، تتراوح
اعمارهم بين ٢٠ - ٣٠ سنة ، كثر من بعضهم عاربون غير متزوجين . من هذه الكتلة
تشكل المجتمع الاستعماري ، (نصفه من رجال الجيش) ومن بعض موظفي الادارة ، ومن

أصحاب الحرف الحرة، ومن موظفي المصارف ومن أصحاب الاستثمارات التجارية والاستخراجية. أما المعمرون فعلاً، فلم يكن عددهم يتجاوز بضع مئات معظمهم موظفون في أهم الاستثمارات الحرجية والمعمية. ولم يطرأ على وضع البلاد السياسي شيء جديد منذ عهد دومر، فقد أقصر وضع الكوشين على وضع المستعمرات القديمة، لها نائب في البرلمان الفرنسي ومجلس استعماري، كلاهما منتخبان من قبل الغير أو ثلاثة آلاف نائب يتمتعون بالجنسية الفرنسية، معظمهم من صغار الموظفين أو من الجنود. واستثناء بضع مئات من المتحسين الجنسية للفرنسية أقصر وضع معظم أبناء البلاد على وضع رعايا. أما في مقاطعتي الأناضول والتونكين فقد حل محل نظام الحماية تدريجياً حكم فرنسي مباشر، أقرته الماهدة التي عكست في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٥ والتي حررت المصادقة عليها في أثر وفاة الامبراطور شاوي دنه. فقد نصت هذه الماهدة على انه: «لما تكاثرت نواحي الأعمال الادارية في البلاد وتضخمت»، بحيث أصبح من المستحيل «على الامبراطور الاعلاء شخصياً على شؤون الادارة اليومية بنفسه»، فقد قبل مجلس الوصاية وعلى ان ينحصر اهتمامه على ترأس المحلات الطبقية ومراسم العبادة وبمقل جميع السلطات للادارة الفرنسية. فالى جانب صيانة الاملاك والأشخاص بوضع حد لأعمال القوصية، فقد تمكنت السلطات الفرنسية من تطوير الجهاز الاقتصادي في البلاد والاوزاع الصحية فيها، وانشأت شبكة من الخطوط الحديدية، والطرق المعبدة، وبناء السدود، وفتح الترع والافنية المائية لتسهيل الري وبناء المستشفيات، ومهد «استور» ومكافحة انلاريا وحمية ورفضت من مستوى التعليم العام. وهذا التطوير العام مرقق البلاد، ونصاعف عدد الموظفين بين ١٩١٩ - ١٩٢٥، من مالية البلاد أعضاء ثقيمة قامت عن النهوض بها لخروجها عن طاقاتها الاقتصادية. خرائب باهضة صابت، الاملاك، وخرائب مبادرة وقع عملها على ابتناء البلاد (الاصليين) بما أدى الى عقد قروض بشروط ثقيلة ترسب عليها عوائد عالية ووضعت لها وسائل لاستهلاكها ارهقت خزينة الدولة.

والاتحاد الحركي مع فرنسا الذي جرى معه «ثقيل» المستعمرة، حدث عام ١٨٩٢ واحذ بالنسبة بجانب المصالح الفرنسية بالحد من تجارة البلاد مع البلدان الآسيوية المجاورة التي أمكن لها تجهيز المستعمرة بمواد ومصنوعات ارخص بكثير من المصنوعات الفرنسية، كما كان باستطاعتها ان تؤلف سوقاً لفائض انتاجها من الارز والقمح. وقد اراد الوص حرجاً، عام ١٩٢٨، بعد فرض تعريفات كيرشيه التي أولت حماية اكبر ايضاً للوحدات الفرنسية في الهند الصينية ولبناتوجات الفرنسية، أدى الى ارتفاع عظيم في أسعار المصنوعات الفرنسية المستوردة، اذ أسس عدد كبير من رجال المال طمأينة اكبر في حصة البلاد والعرش، ضد تقلبات العريك الفرنسي وتخفيض سعره. وهكذا ظهرت في السلاسل انشاءات فرنسية واستثمارات جديدة. كمنزوع لخطوط والشاي والبن والتشقيب عن المعادن، وإنشاء معامل الترابية، ومعامل الورق ومصافي البترول، ومعامل الجعة. ونعم عدد كبير من هذه الاستثمارات بامتيازات عريضة في

هذه الاراضي ذات التربة الحمراء الواقعة عند صعيد دارلاك ، وفرضت احتكراً على المطاحن بحيث لم تترك للرابعي من أسماء البلاد حراً شيئاً من الأرباح لا يتعدى ٦٪ بينما كان معدله في ماليزيا البريطانية ٣٩٪ وفي حرر الهند البريطانية ٥٠٪ وهذا النشاط الاقتصادي هيمن عليه شركتان كبيرتان للاستيراد والتصدير ، ومصرفان كبيران هما المصرف الفرنسي الصيني ومصرف الهند الصينية . وكان السواد الأعظم من أرباح هذه الشركات يذهب هنا ، كما في المستعمرات الأفريقية إلى فرنسا دون أن تفيد المستعمرة منها شيئاً لا سيما وهذه الراسخيل واصحابها الأوروبيين هم معفون من الضرائب .

وهذا التحسن الاقتصادي بطراً على وضع ابن البلد لم يقترن
أرداء المؤس والشعب بتحسين اجتماعي فالاستعمار ادى ، ما تشاء اندونيسيا ، الى قتل المبادئ والأعراف المحلية . فالقوى التي ساد فيها حتى الآن ، نظام مئة على وسدتها تقاليد متينة المعنى من التضامن والتضامن ، ساعدت النظام النقدي ، على ان تلتزم لها على حساب التواحي المحلية وصغار الملاكين المعارقين في ديونهم مشاهات واسعة تراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ هكتار (كما في الكوششيين مثلاً) المتمتعة الى حد كبير بالادارة الفرنسية الرشيدة ، وبفضل قواعد الحكام المحليين واهبان المنطقة والرا الذي كان يتقاضى ٣ - ١٠٪ شهرياً على الأقل ، من دفع بمصر صغار المستعمرين الى مصف انتميين (فلم يشاهد فلاحاً يافر الموسم الزراعي دون ان يستدين بعض الشيء من صاحب الأرض التي يستأجرها) ، والمرايعون الذين يستغلون شقة صغيرة استحال وضعهم الى وضع الرق مُدْءوا الى الأرض ، دون ان تتوفر لهم اية فرصة لتحسين وضعهم المعني بحيث ان عائلتهم السنوية من الارز هي من ادمى ما سجلته الوامم عدم . ففي الكوششيين مثلاً ان ٧١٪ من السكان لا يملكون سوى ١٢٤٥٪ من مساحة الارض الزراعية ، بينما ٢٤٥٪ يسيطرون على ٤٥٪ . وفي دلتا النهر لاجر ٩٠٪ من مجموع السكان (اي ما يوازي ٨٧٠٠٠٠ أسرة) ، لا يتصرفون بشيء ٣٦٪ من مجموع الارض الزراعية .

ففي هذه المقاطعة التي لا يزيد عدد سكان مدن فيها على ١٠ بالمائة لا غير ، يقل فيها عدد العاملين في دور الصناعة (١٪) واللاجور فيها متدنية للغاية . ان دخل المعدل الاسمي هو اقل ، بالنظر لما هو عليه من ضعف المضللات ، من ٣٪ ما يكسبه ريسل له فرنسي ، او ياباني . والنؤس الذي يحيط بالعمل العاملين في مزرعات المطاط هو من الشدة بحيث يبلغ معدل الوفيات بينهم عام ١٩٢٧ ، ما يزيد على ٥٤ بالمائة . فالنمو السريع للسكان (٦٠٠٠٠٠٠ بالسنة في الكوششيين ، و ١٠٠٠٠٠٠ في الفونكيين ، وهدم التساوي في توزيع الاملاك ، وتجزؤ الاستثمارات والوسائل الزراعية الدائبة التي يعملون عليها ، كل ذلك عرض سكان الريف للنقص مريع في التغذية وحملهم يتسكعون في النؤس والشقاء (فاستهلاك الفرد الارز هبط ٣٠ بالمائة بين ١٩٠٠ - ١٩٣٠) . وانشاء بنك التسليف الزراعي ، عام ١٩٢٧ ، على غرار ما حدث في حبارا ، لمساعدة صغار المزارعين للصدود صد حبالل المرائي ، لم يحسن الاوضاع كثيراً . وعلى هذا فاق

ايضا وضع النخلة في الهند الصينية . ووضعها المادة ليست احسن مما ذكرنا بكثير . ففي عام ١٩٢٠ ، لم يكن حاكم كبير لاحدى الولايات يريد مدخوله في الشهر على ٣٠٠ غرض (اي ٣٠٠٠ فريك) . بينما شرطي اوروبي واحد ، كان يتقاضى عند بدء عمله في هانوي ، ٣٥٠٠ غير التعويضات والمخصصات الاخرى التي كان ينالها ، .

وحاصل القول نرى ان الصفة المتنازعة (المولفة من اوروبيين وصينيين والطبقة الغنية او ابوسرة والطبقة الوسطى من سكان البلاد) اي ١٠ بالمائة من مجموع سكان البلاد تقريباً ، يصيبون ٣٧ بالمائة من دخل البلاد السوري في كل الهند الصينية ، عام ١٩٣١ ، و ٥٣ بالمائة في الكوشنشين وحدها . وال ١٠ بالمائة من مجموع السكان كانوا يستهلكون ٤٩ بالمائة من مجموع واردات البلاد ، بينما مدخول الفرد الواحد من الطبقة الفقيرة في سنة لم يكن يقدر باكثر من ٢٧ قرشاً (٢٧٠ فرنكاً) . وهكذا نرى ان بضعة الوف فقط من سكان البلاد لاسيما ، كانوا يستفيدون من النظام الجديد .

ان هذا الوضع الذي اتينا على وصفه بالتدقيق كان ينفذ في النفوس حركة الترويب
الشعور العميق بالحرمان ويحمل الناس على التدمير والشكاية ، وهو شعور بدت مساهمة مع العنح ، وراده حدة واحتمد ما الانتصارات اليابانية عام ١٩٠٥ ، وانفجار الثورة الصينية ، والحرب العالمية الاولى حيث ساهم فيها اكثر من ١٠٠٠٠٠ من ابناء البلاد ، محاربين او عمالاً خدموا في فرنسا . فالتعليم كان من نصيب فريق صغير من م في سن للدراسة . ففي عام ١٩٢٤ ، كان ١/٨ من الاولاد يترددون المدارس . والمعاهد الخمسة للتعليم الثانوي الفرنسي الوطني لم تكن قد اكتملت اكثر من ٢١٦٧ طالباً مورعين على ٦ ملايين مسمة وجامعة الهند الصينية لم تكن تخدم غير يحميها الا للوظائف الثانوية ، في الخدمات العامة وفي الطب . ومع ذلك ، فقد طلعت في البلاد طبقة من اهل الفكر ، هيئ الاساتذة والاطباء ورجال القانون ، وعمالوا مكتبة من ليحلوا محل طبقة المثقفين القديمة التي اخذت بالزوال ، والتي كانت متشعبة بمساعيء الحربة الفرنسية ، واكتست قسراً كبيراً ، واحياناً بشكل ممتاز ، من الثقافة الفرنسية ، وقد اخذت تتألم من الوضع الحزيب الذي اقضرت عليه ، كما اخذت تصي ، اكثر فأكثر الفوارق التي تساعد بينها وبين السلطة المسيطرة . وراحت هذه العناصر الوطنية تطالب بسياسة فيها قدر اكبر من التعاون والمشاركة ، واحراء اصلاحات في البلاد تضع حداً لتجاوزات لا سيما في ما يتعلق بحماية الضرائب ، ووضع حد نهائي في التمييز بين ابن البلد ، وجاؤواوا نشر نوع من التعليم لا يشهد معه الطلاب عن ثقافتهم الوطنية . بعد اصلاح الذي ادخل على الكتاتبة . وحوادث التمرد الفردية ، والاهتمامات التي اخذت لتكرار منذ عام ١٩١٨ من قبل اعضاء الجمعيات السرية ، كانت لا تزال تثق بتقليد فرنسا للتحربية التي جاء النصر يزيد من نفوذها وهيبتها . إلا ان فشل المحاولات الاعلامية التي قسام بها الكسندر مارين ، والذي استدعي الى فرنسا إثر فوز أحزاب اليمين بانتخابات عام ١٩٢٨ ، كان له وقع أليم في نفوس هذا الفريق الذي يشعر بالغربة وهو في هجر دارة ، والذي لا أمل له في ثورة

هزيمة تأكل الأخضر واليابس . واخذت الجمعيات السرية تتملل وتتحرك ، وظهرت في البلاد احزاب سرية ، منها مثلاً بقطة الفيتنام ، وبعث فيتنام ، والحزب الثوري لفيتنام الفتاة ، ومنها الحزب الوطني الفيتنامي الذي رأسه نغوين ثاي هو الذي استمد برنامج عمله من برنامج الكيومينتاغ ، ووظف نفسه على نظام الحزب الشيوعي ورمى الى طرد فرنسا من البلاد عن طريق الثورة . وقد كان اشأ له حلايا عديدة في كل أنحاء التونكين ، منذ عام ١٩٢٩ . وإلى جانب هذه الأحزاب ، تشكل حزب شيوعي ترجمه نغوين اي كوه المولود عام ١٨٩٢ والذي قصى جانباً من حياته في فرنسا ، والذي عمل في كتلون ، عام ١٩٢٥ ، سكرتيراً للورودين رئيس اللجنة الروسية لدى تشان كاي شيك . وشكل في الصين أطر الحزب ، ومنها أخذ يوسع سيطرته من الصحف محرراً على المقاومة والوقوف في وجه فرنسا .

وحادث حركة قمع هذه الاحزاب والتشكيلات دامية لما انصفت به من شدة وعنف أدى الى تمهيد حركة انقلاب عام كانت لاشارة امله بطلاقة عصيان حامية ، بن باي في شباط ١٩٣٠ . ولأول مرة في تاريخ الحركة القومية في هذه البلاد ، يجري حشد جماهير الفلاحين وتجهيدهم ، وانضموا الى الحركة الوطنية التقليدية بقيادة نخبة من المفكرين أهيبت في صميم شعورهم .

تأنيده اللامع الياباني
والانتيار العسكري الذي اصيبت به فرنسا عام ١٩٤٠ تبعه انتيوار آخر حقق الجيش الفرنسي في الهند الصينية الذي كان مهيئاً للأعمال المولوية التي مستدعيها الحماط على أمن البلاد وليس للوقوف في وجه اليابان أو السيام . واتحدت حكومة تشي بالقصة لاحتلال اليابان للهند الصينية مؤقتاً يتسم بالتعاون ، للدفاع المشترك عن الهند الصينية ، محافظة منها على ماء الوجه أمام سكان البلاد الأصليين ، وصيانة هيبة فرنسا وكرامتها ، ولتوسط بين اليابانيين وسكان البلاد الوطنيين ، ولاستعمال مصلحة اليابانيين لالقاء على الفتيين الفرنسيين في مصائبهم والمحافظة على الملك الإداري الفرنسي ، إذ لم يكن في وسع المزداء استداله فقيره ، ولعمرهم عن مرض ارادتهم في الحال ، ينبا وحدوا . وراح النظام الجديد يلغم في المجال السياسي الهبات الامتشارية القائمة في البلاد . ولئلا يتركوا للدينيين وحدهم فصل الدعوة للمطالب الوطنية ، عمد مسؤولون الفرنسيون في البلاد الى تشجيع اللغة والادب الفيتناميين ، وإلى استعمال اللغة الوطنية في المدرسة والادارة ، وعمدوا الى نشاء حركة شبه عسكرية بين شبيبة البلاد .

ولم يهاجم اليابانيون ، بعكس ما فعلوا في الاقطار الأخرى التي دوزوها واحتلوها ، لاستعمار المربي ، مواجعة . إلا أنهم أخذوا بتشجيع الحركة القومية الفيتنامية ودعموا على الأصص ، بعض احركات المناهضة للفرنسيين والشيوعيين ، أو المعروفة بروحها المحافظة كالحركة الكودائية . ان احتلال اندود اليابانيين من البيض وادلالهم هم ، خلخل شيئاً فشيئاً العود الفرنسي . وفي نهاية الامر ، وضع اليابانيون حداً لسياسة التريث التي انتهجوها ، فامروا بأسر القوات الفرنسية الرابطة في البلاد ، وحدوا ادارتهم محل ادارة الاميرال ديكو ، وأوعروا الى الامبراطور باو داي وال ملك كموديا باعلان استقلال بلادهم .

المقاومة الفيتنامية وفي ١٩٤١ ، عقدت أحزاب فيتنامية عديدة من لغات متباينة اجتماعاً لها على الأراضي الصينية وألفت من بينها عصبة المنظمات الثورية في فيتنام ، وجهت نشاطها ضد اليابانيين المحتلين وضد السلطة الفرنسية . وكان أهم هذه الفئات والفئة الوحيدة بينها التي كانت تتمتع بشبكة واسعة تمتد إلى جميع أطراف البلاد من الاستعلامات والمناصر النشطة ممثلة بحزب فيت مه وريث الحزب الشيوعي برعمة نفون آي كوك (الذي سيمرف قياً بعد باسم هوشي منه) وبعد التسع من آذار ، استمرت هذه الفئات المقاومة كفاحها واتخذت توسع من نشاطها في جميع جهات البلاد . وقد فتح لهم انهيار اليابان وموت لامبراطور ناو داي بعد ذلك بقليل ان يؤلفوا حكومة مؤقتة برئاسة هوشي منه أعلنت استقلال البلاد ، في الوقت الذي رحلت فيه الحركات القومية في كل من بورما واندونيسيا والفلبين مهاجم اليابانيين وللأحقهم مناقشات دمية ، وقعت في الحين ذاته موقفاً معادياً من السلطات المسيطرة على البلاد .

ولاحقت العرق الفرنسية مقاومة عنيفة عندما راح الامبرال دارجنليو بمحاول إعادة السلطة الفرنسية على البلاد . وقد بدا الفيتناميين ان السلطات الفرنسية تحاول العت بالانفاقات المعقودة التي تعترف بجمهورية فيتنام كدولة حرة لها حكومتها ومجلسها النيابي وجيشها ونظامها المالي ، وهي عضو في الاتحاد الهندي الصيني وفي لاتحاد الفرنسي . كذلك اتهموا السلطات الفرنسية بانتهاج الاساليب ذاتها التي انتهجها الهولنديون في اندونيسيا ، بالكثارة من الوحدات القومية بقصد دافقة فيتنام . وكان قصف الاسطول الفرنسي لمدينة هايفون بدء حرب عنيفة قاسية شبيهة بتلك الحرب التي دشت بين وحدات ماو تسي تونغ وبين الوحدات التابعة للكيو متنانغ واليابانيين ، وحدث طبقت الأساس والسدى التي اوصى بها ماو تسي تونغ عام ١٩٣٦ في حرب العصابات . وكان التفاوت كبيراً بين الوحدات العسكرية الفرنسية التي يدعمها الاسطول وطيران قومي ، وحديث الفيتنام المؤام من وحدات نظامية وفي لمينشيا الشيعة القليل ومع ذلك فقد استطاع الجيش الفيتنامي السيطرة تماماً على الموقف وفرض ستراتيجيتهم للمعطف الذي يحظى به في الاوساط الشعبية . فالجيش هناك ، كما في الصين ، « موجود في قلب الشعب كالمسك في وسط الماء » ، فهو لا يُرى ومستمر ، الكل في خدمته ومناصرته ، بينما لوحدها الفرنسية تنقيد بالطرقات وبمراكرها والمدن ومهابد الطائرات . وبسبب راحت حكومة فيتنام تنظم نفسها في الجبال بعد ان تمثلت فيها كل العناصر المختلفة التي يتألف منها الرأي العام ، اخذت قلنسها لها معامل لصنع الاسلحة اللازمة للجهز بالحرب ، واقتمرت للنقاشات الحربية على احوال انذاك الجيش الفرنسي .

تغيرت الحرب حتى عام ١٩٤٨ بكونها حرباً استعمارية تأثرت فيها الولايات اتساع نطاق الحرب المتحدة الاميركية ، إلى حد بعيد ، بالاعتدال الذي ميّز موقف هوشي منه ، واخذت تظهر عطفها الشديد هذه الحركة القومية ، الا انه ما كاد الامر يستتب للشيوعيين

في الصين حتى بادرت حكومة الولايات المتحدة الى إرسال بعثة عسكرية وامدادات حربية ضخمة الى هوشي منه ، ساعدت على إذكاء نار الحرب . وفي عام ١٩٤٩ ، اهدت الحكومة الفرنسية الى منصبه الاميراطور باو . داي ، وتنازلت له عن امتيازات وسع بكثير من التنازلات التي اقرها هوشي منه عام ١٩٤٦ أملا منها داجتذاب المعاصر الوطنية غير الشيوعية الى جانبها ، دون ان تصل به الى الاستقلال التام . ولم تأت المحاولة بأي نتيجة لدى الرأي العام وفشلت تماما ، اد رأى فيها الشعب تجسيدا للسلطة الفرنسية ومحاولة منها للحفاظ على الامتيازات العريضة التي كانت لها ، ومما استنأه الرعايا الفرنسيين من المحاكم الوطنية واحراء محاكمتهم رفقا للقانون الفرنسي . ولما اخذ عدد كبير من خصوم الفيات منه ، يقولون باعتناء للقتل السياسي ، من بينهم عدد كبير من الكاثوليك الذين آزروها ، والذين بقوا مع ذلك يكون الكره الشديد والعداء الأزرق لكل ما يذكروهم بالحكم الاستعماري الشفيظ ، وكل هذا الفريق الذي يتسبب الحكومة لابقائها على هذا النظام المؤلف من مصف حماية ، وفساد الادارة والموظفين ، وشراء الوظائف والمخطوء التي لا يزال اسمها كساد لتزريعين للارز ورجال الاعمال ، وعدم وجود أي خطة لاصلاح رراحي على الاخص . وبالرغم من الانتصارات الحربية التي سجلها الجنرال دي لاير عام ١٩٥١ استطاع معوا ان يستعيد قسما من الاراضي التي خسرتها فرنسا منذ عام ١٩٤٩ ، اشند الصراع عنفا ومرارة ، بعد ان اخذت المساعدات الصينية تعادل في المجال العسكري ، المساعدات التي تلقنها فرنسا من الولايات المتحدة . وهكذا أصبحت فيات منه تسيطر على ١/٢ مساحة البلاد وتهمس على ٥٣٪ من عدد سكان البلاد . والى جانب الاراضي التي تسيطر عليها ، « فهي موجودة في كل مكان » والقوات الفرنسية تسيطر في النهار على القرى بينما تستقل السيطرة عليها « خلال الليل قوت جمهورية فيتنام الديمقراطية » ، « ففي داحل كل اسرة وعائلة اعضاء ينتمون الى فيات منه » . واقتصرت مهمة الوحدات الفرنسية على الدفاع عن المدن الرئيسية وحصونها ، وشواطئها ، هرب الميكونغ السفلى ، ومزارع المطاط في الكوششين والمنطقة الصناعية في التونكين . في كل مكان في هذه المنطقة تقوم « لجائن مقاومة » تعمل في الحفاء كما يوجد ممثلون لفيات منه الذين يمارسون السلطة الفعلية تجاه السلطات العسكرية الفرنسية أو السلطات التابعة لاداي . فتهارت الحياة الاقتصادية في البلاد بعد اختلال الأمن ، وتجنس الكثيرون عن الاعتناء بزروعاتهم . وأخذ سكان الريف ينزحون الى المدن (فارتفع عدد سكان هونج منه من ١٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، الى ٤٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٥٢ ، وتجاوز عدد سكان سايفون - شولوم مليوني نسمة لقاء ٣٠٠ ٠٠٠ منذ البدء بالاعمال الحربية .

والمحاولة الاخيرة التي حرب فيها الجيش الفرنسي تسجيل نصر حاسم ، أدت الى انهزامه الدريع أمام ديان - بيان - فوي في ايار ١٩٥٤ ، كما أدت بالتالي الى اتفاق جنيف الذي قسم البلاد الى شطرين : شمالي يجهل الفيات منه والجنوبي ، نصت بعض فقراته على وجوب توحيدهما فيما بعد .

وهذه الحرب التي دامت من سنة ١٩٤٥ الى ١٩٥٤ والتي كلفت فرنسا ضلعي قيمة

الاستثمارات الفرنسية الموطنة في هذه البلاد ، ارتدت طامعاً مختلف عن طامع صراع يقوم به شعب آسيوي لتحرر من ريقه السيطرة الأجنبية ، إذ استعالت لى حرب هدفت لاحتلال من انتشار الشيوعية الى جميع أطراف آسيا وتخلت لها مظهراً جديداً من مظاهر الصليبية التي تقوم بها الولايات المتحدة في مجال الحد من اتساع الشيوعية وسيطرتها العالمية .

تحويل الفيتنام الى كوريا ثانية ويقسمه خط العرض ١٧ الى دولتين
شطر الفيتنام متميزتين الشمال الذي كان دوماً بلداً فقيراً مكتظاً بالسكان يحاول القيام باصلاحات جذرية بمساعدة ، والذي اخذت اسباب التصحيح بالرغم من اعتقاده الراسميل التي تمسح بالاستثمارات الضخمة ، ولجنوب الذي بعد ان تخلص من دكتاتورية بنو دنو ديم واسرته ، شهد بعد عام ١٩٦٣ ، سلسلة من لادعلايات العسكرية وموجة من الاضطرابات الدينية والاجتماعية ، كما ان الثورة التي اعلنها الفيتكونغ تحولت الى حرب عصابات ، وارتدت بتدخل أميركا فيها ، طابع حرب محلية .

ودكتاتورية ديم الرهابية التي دعت بديلاً آسيوياً للطريقة الفرنسية ، استمرت متعكة بالبلاد بفصل المساعدات المالية لأميركية التي عطلت دوماً ثلثي العجز الذي عانت منه ميزانية البلاد ، ويفصل ركنين آخرين هما : الكاثوليك وعددهم فيها ١٣٥٠.٠٠٠ ، نصفهم نارحون من القسم الشمالي ، والنوليس الذي اعتمد عليه . سيطر ديم وحكم البلاد بالرعب وعرف د يستعمل في هذا السبيل الشعور الوطني والنصب الديني الشديد ، وبتفاني ، تحت ستار مكافحة الشيوعية ، في ملاحقة كل ثر للقاومة المتحررة . والاصلاح الزراعي الذي حاول القيام به عام ١٩٥٥ أصيب معظمه بالشلل للمعارضة الميفة التي لصتها من قبل ارستوقراطية البلاد القسدين الكلي القدرة . وفي سنة ١٩٥٨ بلغ عدد من استفاد من عملية الاصلاح هذه ٨٠.٠٠٠ من اصل ١٥٠.٠٠٠ كان يجب ان يفيدوا منها كما لم تحترم قط المبادئ التي جعلت في حدود ٢٥٪ معدل تخفيض الايجارات . وعملية تصحيح البلاد سارت ببطء كلي ، إذ ان الراسميل الاجنبية يجري تشميلها في الصناعات الكيماوية والاستهلاكية ، على الاخص ، وحسب المساواة في مستوى الحياة هو اقوى من أي وقت مضى ، كما ان ازدياد الاضطراب جعل الأمن في الريف بعد سنة ١٩٥٩ ، عندما اشتدت حرب العصابات التي شنتها الفيات منه ، أدت في ماديء الامر الى تجميع سكان القرى وحشدهم في دساكر استراتيجية (على عرار ما جرى في الجزائر) ، ولتخلي عن الاراضي الزراعية ، والى الفروح الى المدن التي احدثت تنضجهم ويرداد فيها عدد الماطلين عن العمل ، والى مراعاة مصالح الاقارب ولانساء وغير ذلك من المصالحات ووسائل الاصدار ، والى المحسوبية التي جعلت عدداً من الكاثوليك الى المراكز السياسية والعسكرية الموحدة العليا ، مما أدى الى الاحتجاج الصارخ ضد الظلم السياسي والاجتماعي الذي عبرت عنه مظاهرات ضخمة قام بتنظيمها البوذيون (٨٠٪ من سكان البلاد) ومعارضة البوذية ، التي ظهرت هـ ، كما بدت في بورما منذ عهد بيميد ، قوة سياسية ودينية يجب ان يحسب لها حساب ، كانت صرية

قضية تولت بمظلم الحكم . ان الزعماء البوذيين هم الناطقون باسم حقبة ضمت معاً كل العناصر المتحصنة الكاثوليكية والكنائس ، وكل انصار السلام في البلاد ، وصغار القوم فيها واصحاب الحرف ، والتجار الذين نزل بهم الفقر ، والدلاحون الذين طردوا من ارضهم وكل ما كثر هم الجوع عن ابيانه الحادة ، والشبان الذين يتهددهم خطر تجنيدهم في الجيش . وقد وقعت حوادث تتعار علانية قام بها عدد من الرهبان البوذيين ، كما تكثرت حركات التمرد في البلاد والغنى العسكرية ، وأخذ يتعاقب على الحكم قود عسكريون ، بعد ان اشتدت بينهم المنافسة ، هن طريق انقلابات عسكرية ، يؤررها حسناً وبهاضها اخرى منظمات والهيئات الاميركية ، المختلفة المنافسة فيما بينها القاذفة في سايفون .

وفي هذه الفوضى انضمت الجبهة الوطنية لتحرير البلاد بتنظيم نفسها وعملت عام ١٩٦٠ على توحيد المقاومة السرية ، كما أخذت تطالب منذ عام ١٩٦٢ باستقلال فيتنام الجنوبية وحيادها . وتتمثل في اللجنة المركزية ، المقاومة من اي فئة سياسية انتسبت بررها جميعاً للفئة ذات الزعامة التقدمية الشيوعية . وهكذا وحدثت حكومة فيتنام الجنوبية نفسها بل ذات الوضع الذي أحاق بالسلطة الفرنسية عام ١٩٥٤ تسرب رجال الجبهة الوطنية الى صفوف الجيش والدولة ، وعباد سياسة الترويع في المدن ، ووقوف سكان اريف موقفاً مائلاً أو محايداً ، واعتماد قتل بعض الموظفين وبعض السياسيين ، وحصر لوجنات العسكرية التابعة للحكومة في بعض مراكز محصنة صعبة الزعامة في المقاومة ، مع سيطرة الوحدات التابعة للفييتكونغ على الريف سيطرة تامة ، اقله خلال الليل . وللمساعدة العسكرية التي قدمتها الولايات المتحدة الاميركية من عتاد حربي معهم ومن « مستشارين » تم تمكن من قلب الاوضاع واستعالت تدريجياً الى تدخل عسكري مكشوف امتدعى ارسال قوات ميكانيكية ضخمة يوماً بعد يوم ، برهنت على عجز قام أمام عدو لا يرام ولا يمكن الاتصال به ، يعمى بغطف الشعب ومناصرتة . كل هذا جر الولايات المتحدة الى سياسة تصعيد الحرب بقصف اراضي فيتنام الشمالية قصفاً عنيفاً متصلاً بغية إحاطة الخصم الشيوعي الذي يمد الفيتكونغ بالمساعدة الحربية التي تتيح له الاستمرار في مقاومته العنيفة . ومحاكاة الوضع للوضع في كوريا اخذ بيد اكثر فأكثر ، كما ارداد الخوف من اشتداد التوتر الحربي الذي ظهر عام ١٩٥٣ .

الفصل الخامس

البلدان الإسلامية في الشرق وشمال إفريقيا

إن الـ ٢٤٠ مليوناً من أسطى عام ١٩٢٠ ، في هذه البلدان التي تمتد من العرب لأقصى حتى حدود الهند وإندونيسيا ، هزتهم هزاً عتيفاً أحداث الحرب العالمية الأولى . فقد أسهم مسلمو شمالي إفريقيا وعربي إفريقيا و الهند و حرية العربية بالأعمال الحرسية ضد الماب وتركيا . وبرئاح التحرر الذي وضعه الحافد وفادوا فيه بحرية كل شعب أن يحكم نفسه كما يريد وروحوا له في جميع اطراف العالم الإسلامي لث بدتظر تحفة في سنة ١٩١٩ . وقد مانع مسامحه أيضاً أنه في الوقت الذي قطعت فيه للعالم الإسلامي مثل هذه الوعود المارة ، حر عقد معاهدات سرية نصت على ققسام بلدان الشرق الأدنى ، كما رأى موقر السلام في باريس يرفض الاستماع لى ممثلي إيران - بعد أن صعد بالصين في سبين ارضاء اليابان - وحولتها انكثرا الى محبة فعلية كسما رفض الاستماع الى مندوبي مصر ومثليها ، وقسم تركيا وهشميا ، ووضع تحت الوصاية ما يبقى من دول إسلامية مستقلة وبعد خيبة الأمل والألم الذي انتاب من الحث بالوعود المقطوعة له ، رأى هذا العالم الإسلامي نفسه مجحولاً حملاً الى الثورة وقد شععها عليها ما شهد من منافسة حامية قامت بين الأنكليز والعربيين ز دتها حدة وعدفاً مقاومة إبطاليا وألمانيا المكشوفة للفتنصرين في الحرب ، وهذه الصرخات الدوية الصادرة عن الحرب الشيوعي التي تدعو للانتفاض على الاستعمار . وشتمعن الشعوب الإسلامية على توسيع وترحيب الحركات التحررية في الاقطار الشرقية ، هذه الحركات التي بدت مظاهرها الأولى قبل ١٩١٤ . وهذه الحركة القويمة اردادت التساعاً وعتماً وارادت طابع الشمول بعد عام ١٩٣٠ ، وفي السنوات المشر التي عقت الحرب العالمية الثانية اخدت معها البلدان الإسلامية بأساب التطور السريع ، وعقدت كثيراً كما زدادت منها استخداماً للعلاقات بين السيد والسود .

وقد وجدت اللقومية العربية الطريق امامها مهددة اثر النش العربي
الذي تهايات اسماه في الربع الاخير من القرن التاسع عشر في هذه
الحركة التحررية الي نادى بها جمال الدين الافغاني ، المتوفي عام ١٨٩٧) ، وتليذه محمد هبة

ومصطفى كامل . وقد تجلّت حركة البعث هذه على أتمها في مصر التي لجأ اليها واعتصم فيها فريق من رجال الفكر والعلم تخلصاً من مضايقات بوليس السلطان عبد الحميد وملاحقائه الضيقة ، وحيث راح الإنكليز يذكرون الشعور القومي ويشجعون احياء اللغة العربية وبعث الثقافة العربية الاسلامية ، اسوة بما جرى في اوروىا ، خلال القرن التاسع عشر ، وارتدت الحركة مظاهر الحذب على لغة الضاد ومنها من حديد بعد جهود متطاولة من الجهود والقعود انحدرت معها اللغة والادب العربي الى الحضيض . وحرث الادب العربي وبعثه ، والكشف عن ايجاد للعروبة والاسلام بعد ان عفا عليها الدهر وتناشها الادمان والتفريغ بها في وجه النفوذ الاوروي والتركي ، والسعي الحثيث لتطويج اللغة العربية بحيث تستحيب لمتضيات العصر الحديث وذلك عن طريق اغناء مفرداتها بالوضع والبحث وادخال المصطلحات الجديدة ، والمفردات التقنية التي تقتدر اليها للتعبير كما يجب عن الافكار والنظريات العلمية المستحدثة وبعض ل هذه الجهود الكبيرة التي قام بها فريق من حملة الاقلام والمفكرين بينهم عدد كبير من اللبنانيين النصارى ، اطل علينا ادب حديث وقوي ومشرح شمسي ، كما نقلت الى العربية ، عدد من المؤلفات الاوروية التقنية ، مما هاد على اللغة بالافراء عن طريق تعريب عدد كبير من المصطلحات والمصيات ، واقتباس العديد من التراكيب والصور البيانية المستعملة في الغرب . كذلك حرت تنقية اللغة الفصحى مما علق بها من الشوائب وحوشي الكسلا م ، واصبحت بالتالي اداة ربط واتصال بين المسلمين كما ان الصحافة الكبرى اخذت تنمي الرأي العام وتقذبه بالمستحدثات مما استنبطه الراديو ، هذه الاداة الداهية التي تشد من اواصر الوحدة والاتحاد ولها من الوقع وبعد الاكبر ما لا يتوفر لبعض الجريدة والصحيفة .

عصره الاسلام
القضية المطروحة على بساط البحث هنا كما في الشرق الاقصى ، هي كيف يمكن استتراء الموم وتقبل الفنون المصرية التي هي أساس قوه أوروىا وعهاد سلطوتها ونفوذها ، بحيث يمكن مواجهة استعداد الغرب ورد عادياله والتخلص من السيطرة الاجنبية ، والتسييج حول التقاليد الشرفية وصيانة مقدسات الشرق ولا سيما اللغة والدين من الشبهات التي يحاول الغرب إلصاقها بها كل هذه المطالب اقتضى تحقيقها والاخذ بها جهود شاقسة رمت الى ربيع اصول البعث العربي وعصره الاسلام . وراح عدد من كبار المصلحين في الاسلام امثال الافداني ومحمد عده وبعض تلاميذهم يدهون الى تنقية الاسلام من الشوائب التي حطقت به مع قادمي الزمن ، مع الفتوحات الاسلامية ومن جراء الاتصال بمادات واهراف الشعوب التي دخلت في جورة الاسلام . وراحوا يشددون على الاخص على تنقية الاسلام من بعض معالم الضمنية ومما علق به من اهراف للتمريم والسعر مما يتبرأ منه الاسلام في الصميم ، ولتكريم الاولياء هذه المادة التي تحمكت بالاهراف الشعبية ، كما راح بعضهم وعلى رأسهم المرحوم رشيد رضا صاحب مجلة النار يتبرأ من تعاليم بعض فقهاء الاجيال الوسطى والتقليد بقوال السلف وأخذوا يطالبون بإصلاح جذري لنظم التعليم العالي الاسلامي ، وتطوير مناهج

العلوم الحديثة والتاريخ وادخال مادة الدين المقرر وكل ما يتعلق بالمعتقد والمذاهب الاسلامية المختلفة . إلا ان هذه الدعوة الصريحة الى التجدد لم تلبث مقاومة عنيفة ومعارضة قوية من قبل علماء الدين المقيمين المتمسكين بأهداف الرجعية النخبة ، الذين راحوا يقطعون من جهاتهم الشيخ مصطفى عبد الرزاق الذي طالب بمصل أمور الدين عن أمور الدنيا ، وبفصل الشيخ محمد ابي ريد الذي وضع تفسيراً للقرآن يعتمد فيه على موضوعية العلم الحديث ، كما حاولوا الوقوف في وجه ترجمة دائرة المعارف الاسلامية لما تثيره في رءوسهم من شكوك . إلا ان حاسة الشبهة لم تنأ عن كثير بله الحركة الرجعية ، كما ان المطالب والاماني التي اثارها في نفوس النشء الجديد المدارس الأوروبية والتعليم الجامعي الذي يؤمنه عدد من الجامعات نشأت في المدن الكبرى على غرار الجامعات الأوروبية ، حملت الجامعة الأزهرية والمعاهد الدينية الاخرى على اصلاح منهج التعليم التي تسير عليها وعلى اقتباس العلوم الحديثة واعتماد مبادئها في التدريس ولا سيما العلوم الفيزيائية . هذه الافكار الجديدة لم يتأثر بها سوى قلة من النخبة بين المفكرين باستثناء من يقيمون العقل حكماً . ويلاحظ المستشرق الانكليزي حب ان كل مفكري الاسلام واحة العلم بينهم وحدوا انقسم في ذات الوضع الذي احاط بحمة الفكر في الغرب في القرن التاسع عشر بالسنة للمعتقد المسيحية . وبالرغم من موقف العلماء السمة ومن ان المقعد العلمي الحر في أمور الدين لم يسلم نه في أي قطر من الاقطار الاسلامية بعد ، فالتفكير العلماني اخذ يظهر ويمتد ، وراح الدعوة لمصرفة الاسلام يضمنون على ساطع البحث والتحليل وبمرصون للتشريع والنقد التحرر اصول الدين الاسلامي وقواعده ، واخذوا يعتمدون في حذمهم ورد الشبهة عن الاسلام اسلوباً جديداً يتعرض على الاحصاء لكهال القرآن وحجته مقابل الفساد والتعريف الذي ادخل على الكتب اليهودية والاسلامية ، وحول شخصية الرسول العربي .

وفي عهد حيث التعليم العالي الجامعي على الطراز الأوروبي يجري الاخذ به منذ عهد بعيد ، تأثرت الطبقات المتعلمة الى حد بعيد بمنهج الانكليز وأفكارهم ولا سيما في كلية أليمان التي أصبحت جامعة منذ عام ١٩٢٠ حيث تسير حثماً الى حثب تدريس العلوم الدينية وعلوم العصر ، وحيث حركة عصوية الاسلام ارتدت مع عهد إقبال شدة واقبالاً لم يبرقها الشرق الأدنى

هذا الاسلام المطلوب على امره ، وسبقه عن نفسه الى قطار ودول انتشار الاسلام
تختلف اوتساعاً وتلبان شعبية ، بشعر في الصميم حضارته وبحسول
جاءه تحقيق وحدته وحاميته . فالجامعة الاسلامية والعروبة هما للصورتان اللتان تلتور
عنها هذه النزعة . فبعد عام ١٩١٩ ، تفر على الاحصاء حركة الجامعة العربية والحركة العمالية
في تركيا تؤيدها بريطانيا ، وقصطبع هذه الحركة بعبان قومي يرافقتها وهي ديني سلامي
يشند يوماً بعد يوم . فالاسلام لا يزل ديباً حياً ناشطاً آخذاً بالانتشار والتوسع فهو عين
الديانات الكبرى الدين الذي كان اوسع انتشاراً من أي ديانة اخرى منذ احرب العمالية لاولي

وكان له أكبر مد يد بين الشعوب الموصوفة بالمعدائية في هذه المناطق ما بين المذار الاستوائي وخط الاستواء ، وعلى حساب كل الأديان الموجودة فيها تقريباً . . وهذا التوسع الديني يوسع كذلك لانتشار اللغة العربية . وهكذا تفسح بأحة الإسلام في الشرق الإسلامي ، بأحة رحمة الحسنة في المدى الأفريقي . وهكذا راح البارز ، مؤرخ نيجيريا يلاحظ بعمق يلمت النظر : أنه أبنا التقى الإسلام والمسيحية وجهاً لوجه محل الأول عشرة أربعة مقابلات واحد يمتنق المسيحية ويعتمد ، وحيث مثل على ذلك ما يقع كل يوم في ريوخ اوغندا وتنغانيكا والكامرون والكونغو . والإسلام يتمتع بأفضل مركز ليصبح بالفعل دين القارة الأفريقية .

فهو يحمل إلى أتباعه وبنيه المساواة في الحقوق والدم والطبقات وينعت بين أتباعه شعوراً عميقاً بالوحدة والتضامن ، يازمهم القول بألله القويوم القدير ويعدهم بحياة أبدية دون أن يعرض عليهم عقائد ومراسم معقدة . فالمسلم الجديد يشتره الإسلام عن كل اتفاق أو قراطيل مع السيطرة الأوروبية ، كما يجد فيه أكبر درج له بقيه من التعمد لأوروبي . فالإسلام يحصل في نظره حضارة وثقافة ساميتين ، دون أن يكون له ما للعضارة الغربية من أوهام للصادات والأعراف المتوارثة أما عن حد . وهذا الواقع يبدو على أنه في مصر حيث تجتذب المدارس القرآنية الصغار من أبناء الأقباط ، إذ أن عناقيدهم للإسلام يفتح أمامهم أبواب الطبقات العليا وحيث الألو من أطفال الأقباط المسيحيين يقدون على الإسلام مع كهنثهم

وحيث دعاة للإسلام هم هؤلاء التجار هؤلاء الجنود ، وهذه الجماعات الدينية التبشيرية التي نالت عام ١٩٠١ في مصر ، وشركة البعث الإسلامية في الهند ، والنشاطات التي تقوم بها طوائف الأحدية والحمدية الذين يقومون بنشاط واسع في سبيل نشر الإسلام في كل من أفريقيا والصين ، واليابان والندونيسيا وأميركا حتى وفي أوروبا مستعمرات على ذلك حتى بالأماليب التي يعمد إليها المشرقون المسيحيون ، شاحين في مسيحية ديانة الاحاسب ، ومتمنين في لاستعمار الأوروبي نمثاً للحروب الصليبية . أفتم يشبه الجنرال ألبني محول حبشه فأتمحا إلى القدس الشريف عام ١٩١٧ ، بدعوى الصليبيين إليها ؟

١ - فترة ما بين الحربين

وجد الشرق الأدنى نفسه بعد الحرب العالمية الأولى ، مجرداً إلى العالم الإسلامي مجزأ ومزبد مصطلقتي نفوذ ، وفقاً للاتفاقات سايكس بيكو . فقد أعطت عصبة الأمم فرنسا لانتداب على دول الشرق الأدنى وإن ثلثت أن قصت سريعاً على دولة سوريا تحت رئاسة الملك فيصل وطلدته من البلاد كما أولت انكليترا الانتداب على فلسطين بعد أن أعلنتها لهور وريو حارحية انكليترا وطناً قومياً لليهود ، وعلى شرقي الأردن وعلى العراق . ومن هذه الوعود التي قطعتها البريطانيون للعرب لم تحترم سوى استقلال الجزيرة

العربية للنسبي . فالوضع في العالم الاسلامي يندرج على هذا الشكل : خمسة اقطار تتمتع رسمياً بالاستقلال هي تركيا وايران وافغانستان والجزيرة العربية واليمن ، الا انها تخضع عملياً للحماية ولو بصورة غير مباشرة ، او تصجز اصلاً عن ان تحيا حياة مستقلة . أما ما تبقى فيخضع لدولة اوروبية : ففرنسا تهيمن من جهتها على دول الشرق الأدنى وشمال إفريقيا وإفريقيا السوداء الاسلامية ، كما تهيمن انكلترا من جهتها على مصر وفلسطين وشرقي الاردن والعراق وعلى شبهات الخليج العربي ، وعلى الهند وماليزيا ، وتحتكم هولندا بإندونيسيا ، وإيطاليا بليبيا والاربعيا وبلاد الصومال ، واسبانيا بشمال المغرب والقي ، والاتحاد السوفياتي بالقرقستان . ففي فترة ما بين الحربين بينا تبقى المستعمرات الفرنسية بنأى عن نشاط المراكز الاسلامية الكبرى وتأخذ لها موقفاً سلبياً ، نرى الاقطار الأخرى تحاول على اعداد متفاوتة من النجساج والفتش ، زحزحة نير السيطرة الأجنبية عليها .

كانت تركيا أول دولة تحررت من عقابيل هزيمتها الكراء في الحركة الإصلاحية في تركيا الحرب العالمية الأولى فبعد ثورتها الأصلية ، فككت من تأسيس دولة حديثة على الطراز الغربي .

فقد حردتها معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠ من كل ممتلكاتها الواقعة الى الجنوب من آسيا الصغرى ، ومن ارمير وملحقاتها ، ومن تركيا الشرقية باستثناء الاستانة وصواحبها . وقد وجدت خلاصها في هذه اللحظة الوطنية التي قامت بها على يد المصلح الاكبر مصطفى كمال ، اندي ازوي في آسيا الصغرى وحذر الرأي العام والسلطان من الدول بأي تارلات حفرافية جديدة واجتمع في نفرة والمجلس الوطني وشكل حكومة تولي هو رفاستها .

بعد قتل أي شيء آخر الى إعادة تنظيم الجيش وطرد اليونان بعد ان ألحق بهم عام ١٩٢٢ هزيمة نكراء في معركة أميون وبدلك حرر كل بلاد لاناصول وبعد هذا النصر المبين فرض في لوزان عام ١٩٢٣ معاهدة جديدة حررت تركيا الى الابد من الامتيازات الأجنبية واصبحت تركيا دولة ذات سيادة ، قومية ، لا تعرف من الاقليات غير اليونان والارمن المحصورين في سدانول وادرمه والاكراد الذين خضعوا لسياسة تقريبك شديدة ، فوصلاً لنزع عصريتهم الميرة ولذين استمدفوا للدمي والقشريد بالجملة بعد الثورة التي قاموا بها عام ١٩٢٥

انصرف مصطفى كمال الى تنظيم العهد الجديد بصدار عدة مراسيم يؤلف مجموعها ما يدعى بالكيمالية التي تقوم على دكتاتورية لها قاعدة شعبية مؤلفة من حرب الشعب وضع به برنامجاً مؤلفاً من ست نقاط اشلت بوجهه جمهورية صناعية تقدمية ، وطنية ثورية وبالانقضاء حيناً والضبط أحياناً جرت عصرة المؤسسات الوطنية : كاختيار انقرة عاصمة جديدة للجمهورية ، وإلغاء الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ ، وهي تدابير تشير بوضوح الى التحول الكامل عن الماضي . فالدولة القومية اساسها نظرية تاريخية تقول بأن الأترك ليسوا مغولاً ولا طورانيين ، بل من المرق الآري الاصين يتصل بالسومريين والخطيين بسبب متين . وعلى هذه الدولة ان تتمرر تماماً

من كل نفوذ اجنبي واعتبارات دينية تربت استقلالها وتحدد منه . وفي هذا السبيل اتخذت عدة اجراءات حولتها في دولة علمانية تفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية ، كإلغاء المحاكم الشرعية ، وقرض التعليم العلماني و سقذال الجمعية كيوم عطلة بيوم الاحد . واعتماد التقويم الغريغوري ، وتحريم الطربوش وتحريم النعل الديبسي والماء الدراويش و ترجمة القرآن الى اللغة التركية . كذلك اعطى البلاد تشريعاتاً مدنيّاً مستوحى في مجموعه من القانون الالماني والايطالي والسويسري . الا انه اضطر ان يحسب حساباً للمقاومة التي تبديها الاوساط لاسلامية المحافظة في عام ١٩٢٨ ألغيت من الدستور المادة التي تجعل الاسلام دين الدولة الرسمي . وفي هذه السنة بالذات من الحزب اللاتسي محل الحزب العربي تسبباً منه لعصبة السلام ولتسهيل تعلم اللغات الاوروبية ، وقطع كل صلة مع ماضي البلاد ونقل الامانة التركية الى جو ثقافي جديد . ولعل هذا هو من أهم الاصلاحات التي حققتها البلاد مع القانون الذي ساوى في الحقوق المدنية والسياسية بين الرجل والمرأة وحرر المرأة وفتح أمامها ابواب المعرفة والتعليم على مصراعها ، وبذلك احلّت المرأة المقام الذي يجب ان يكون لها في المجتمع ، كما ألغى المحاب . والتعليم الذي يستوي أمام المرأة والرجل يوصي بالتعليم المختلط وهو مجاني وإلزامي في المرحلة الابتدائية كما صاعف من عدد المدارس والمعاهد التربوية في البلاد لتأمين المزيد من اصحاب الاختصاص والتقنيين الاراك ليعملوا محل الاجانب .

تغير الوضع الاقتصادي أما السياسة التي انتهجتها الكيالية في المجال الاقتصادي فتتسم بالروح القومية والتأميم . ففصل قبل كل شيء العناصر غسيرة التركية التي استأثرت حتى الآن باقتصاديات البلاد كالدائنين واصحاب الامتيازات ووضع حداً للقروض ، باستثناء بعض منها قصيرة الامد احدها من الاتحاد السوفياني واشترى تبعاً الاستثمارات التي يملكها الاحانب ، ولا سيما شبكة الخطوط الحديدية . وحاول ان يجعل تركيا دولة تكفي نفسها بنفسها ، والاستمناة قدر المستطاع عن الاستيراد بتشجيعه الصناعة لكي تستفيد من خامات البلاد ومواردها الاولى كما هي بذوع خاص الصناعة الكبيرة . وانتج سياسة شديدة من الحماية الجبركية كما خفض الضرائب وشجع الطلب كما شجع الصناعات بتسليف الاعتمادات اللازمة عن طريق السك الاهلي . وما كان ذلك السكان يعملون في معاشهم على انزلة كان لا بد من توجيه عناية كبيرة لمرافق البلاد الزراعية وتشجيعها ، اذ ما شاء توسيع السوق المحلية وتشجيع الصناعة في البلاد . والحد ان معظم الفلاحين هم من صغار الملاكين تراوح مساحة الارض التي يستعملها الواحد منهم بين ٤ و ٦ هكتارات نصفهم لا ارض هم ولا مراعي ، وهالك مساحات شاسعة من الاراضي لزراعية في الجنوب لا يستغلها اصحابها من كبار الملاكين العقاريين لمدهم عنها ، كما ان أساليب الزراعة والاعطة المستعملة هي بدائية جداً ومتأخرة . وخربة العشر التي كانت حيايتها تؤدي الى تجاوزات كثيرة استبدلت عام ١٩٢٥ بصريية عقارية على لايراد ، وتأسست في البلاد تعاونيات عديدة للتسليف الزراعي

وليس المحاصيل ، والمصرف الزراعي الذي يقوم بمراقبة هذه التعاونيات ويشرف على السوق المحلية يشتري المحصول ويسلف الاعتمادات اللازمة بعد اجراء معاملات الرهن .

لم تكن نتائج هذه الجهود في عام ١٩٢٩ مهمة بمد : فالعمال الموصوفون او المهرة يتوفر وجودهم في البلاد ، واصحاب رؤوس الاموال المحليين يتحفظون حسداً ، كما ان عدم توفر الرغبة في الاستثمار وضمف الموقر ، كل ذلك حدت كثيراً من قدرة البلاد على التطور . فعدد الاميين في تركيا اوروبيا لا يقل عن ٦٦٪ بينما هو ٨٨٪ في تركيا آسيا بين الرجال ، و ٧٩ و ٩٧ بين النساء ، وكان عدد المحارث الزراعية المستعمدة في طول البلاد وعرضها لا يتجاوز ٢١٠ ٠٠٠ محارث من الحديد لقاء ١٢٠٠ ٠٠٠ محارث خشب . والمجر في الميزان التجاري لا يزال في حدود ٢٥٪ . وعدم المساواة الاجتماعية يبدو فاضحاً ، إذ ان فئة خشيعة من السكان عرفت ان تستفيد من الجهود التي بذلتها الحكومة ، وهي جهود اقتصرمت على المجال الصناعي وحده دون المجال الزراعي . وتقع افانورك بمورد دولي عظيم ، حتى في العالم الاسلامي حيث اثارتم اصلاحاته العلمانية ، حقيقة الرجعيين والمترجمين . فقد كانت تركيا الكيالية لجيرانها مثلاً يجب الاحتذاء به والنسج على منواله بعد الجهود العظيمة التي بذلتها لتعطيم الطوق الذي صوبه حوله الفاتزيون في الحرب .

لمصر مظهر خاص ومقام محترم في العالم الاسلامي . فالرغم من معدل الوفيات العالي فيب فمعدل المواليد يقى مع ذلك مرتفعاً (٤٠٥٪) لامر الذي اتاح زيادة في السكان تلفت النظر (١٦٥٠ شخصاً في اليوم) في رقعة ضيقة من الاراضي الزراعية تحف بها الصحراء فهي واحدة تزخر بالسكان بمد لا مثيل له في العالم . فالاجنب فيها وعددهم ٢٢٥ ٠٠٠ عام ١٩٢٠ ، بين ١٦ مليون نسمة من سكان البلاد ، كانوا يملكون ٥٣٪ من الثروة العامة في هذه البلاد ، وكان عدد من الفرنسيين والاسكليز يشغلون في الادارة مناصب عالية . فليس بغريب قط ان يتمرر أبناء البلاد من سيطرة الاجنبي فيها وهي مركز النهضة العربية الادمية والفكرية وبعثة الروح الاسلامية . احدثت على دخول الحرب فقد استباح الجيش الانكليزي ارضها وراحت فريسة ألوان من اعمال المصادرة محمولاً من القمح والقطن ، كما تضررت كثيراً من اعلان الاحكام العرفية . ثم ات اعلان الحماية البريطانية على البلاد في كانون الاول ١٩١٤ ، أريد به تحويل الاحتلال الذي وقع سنة ١٨٨٢ الى نظام موصول من الحماية ، فليس من عجب ان تلتئم المشاعر القومية فيها وتقيم المظاهرات العنيفة عام ١٩١٨ .

والنشاط السياسي والكفاح ضد الاحتلال البريطاني انحصر على لآخر في حزب صغير من المجتمع المصري . وهذه الدماء من الجماهير الشعبية التي يرسف معظمها في الجهل المطبق ، لم تكن تأثرت بمد الافكار الجديدة . فبين كبار الملاكين ، بعض العناصر التي اخذت بأسباب المدينة الحديثة ، وقالت في القاهرة ، اكبر مدن القارة الافريقية ، طبقة وسطى تعود بأصولها

الى الزيف ، فخرج اصحابها من المدارس التقنية ، ومن الجامعة ، رقيت مع ذلك محافظة على تقاليدما في حياتها اليومية ، تحسن الفردية والانكليزية وتأثرت بالافكار الاوروبية . وقد صحت هذه الطبقة بين صفوفها العديد من الموظفين من صفار ووسط ، وتجاراً ، وألفت مع طلاب المدارس ، القسم النشط في البلاد . والبروليتاريا الصناعية التي لم تهتم كثيراً بمد المشكلات الاجتماعية ، كانت تشكو من قلة العدد ومن عدم التنظيم الذي يشل حركاتها فهي وطنية في الصميم . ومن بين صفوفها طلع معظم رجاء الحركة المصددة للإنكلير كزغول باشا . واهدت قطائب الانكلير بالخروج من مصر ، وارجاع السودان اليها ، والماء الامتيازات الاجنبية والحكم المختلفة التي لم يمسد الشعب يطبق وجودها وقيامها بعد ان نصت مهادنة لوزان على إلغائها في تركيا كما زال كل اثر لها في دول الشرق الأدنى والعراق ويران . ان اشياء صدامات عديدة محتلة في البلاد كصناعات الزيت ، لمطاحن واطاحن وحاج القطن . والنجاح الذي صادفه بنك مصر الذي تأسس عام ١٩٢٠ برؤوس موال مصرية وشهات شركات محتلة تابعة له كشركة الملاحة والطيران ، والمصارف ، والشركات التجارية والصناعية والتأمين على حياة ، وشركة ستار المسارح والسينما ، كل ذلك شجع الناس على المطالبة بتحرير البلاد واستقلالها في المجالين السياسي والاقتصادي .

من بين الاحزاب السياسية في مصر ومن اهمها على الاطلاق ، كان حزب الوفد برئاسة سعد زغلول الذي فتح شعبية كبيرة . فقد تبني هذا الحزب المطالبات الوطنية ونظم نفسه تنظيمياً قوياً وقاموا له شبكة من الوكلاء والمرسلين يشرون في جميع قرى البلاد وسداكرها كفة للسر لاقبال المحلات التجارية وقبيلهم المظاهرات والاضرابات ، ومقاومة المضاعف الانكليزية واصراب طلاب المدارس . وتعاثرت بين ١٩١٨ و ١٩٢٢ ، حوادث الاضرابات ، والمقاطعة ومهاجمة القطر الحديدية لمحطة الجيود البريطانيين ، واستقالة الوزارات احتجاجاً على اعمال القمع الشديدة ، وعلى نفي زغلول وابعاده عن البلاد . ورفضت الامة المصرية رفضاً باتاً مشروع الانظمة الدستورية التي وصفتها كل من اللورد طنر واللورد كوررون . واصدرت الحكومة البريطانية من جانب عام ١٩٢٢ تصريحاً بالقضاء بنظام الحماية واعلنت استقلال مصر وسيادتها . الا ان هذه السيادة بقيت نظرية دون تطبيق فعلي ، اذ انها احتفظت لنفسها بأربع نقاط اساسية الى ان يتم وضع اتفاق نهائي بين الطرفين ضمنه مواصفات الامبرطورية البريطانية (اي قضية القنال) ووضع السودان ، والدفاع عن مصر ضد كل عتداء او تدخل اجنبي ، والحفاظة على الاقلبات والمصالح الاحمدية .

والعلم الذي خطر لبريطانيا بفرن سيطرتها التامة على السيطرة لبريطانية في الشرق الأدنى البلدان الآسيوية في الشرق الأدنى ، كما يشهد بكامله فيواسطة مندوبيها وممثلها في هذه البلدان امثال لوردس وسات جون قبلمي ، هيأت اسباب « الثوره في الصحراء » بعد ان قطعت اليهود للشريف حسين بتأمين استقلال الحجاز وباشاء

ملكية عربية . الا ان معارضة فرنسا التي تششت باحترام الاتفاقات السرية المفردة عام ١٩١٦ « ووقوفها في وجه الملك فيصل واجساره على الحرب من دمشق » الاح لانكفرا الفرصة لتنصيبه ملكاً على العراق ، وتعيين اخيه عبدالله اميراً على شرقي الاردن ، وبذلك كونت دولتين اصطناعيتين لا موارد مالية لها ولا حيوش تقوم على حراستها ، ولا سيا الثانية منها ، وضعتا تحت الانتداب البريطاني واسندت الوظائف الكبرى فيها لموظفين بريطانيين . فالجيش العربي الاردني بقيادة الهاشمي العربي هاروب باشا ، أمن على سلامة المواصلات بين العراق وساحل البحر الابيض المتوسط . وخط انابيب البترول الذي يمتد من الموصل الى البحر . وقد قال فيصل « عام ١٩٣٠ لمسايرة السياسة البريطانية » استقلال العراق ، بعد ان عقد مع بريطانيا حلفاً عسكرياً يتناول بريطانيا استعمال وسائل النقل ومطارات البلاد .

اما في الجزيرة العربية فلم تلاق السياسة البريطانية مثل هذا التوفيق . فالحاكم ابن السعود ، ملك الوهابيين والعدو اللدود للهاشميين الذين يحمون بحماية بريطانيا وعطفها ، استطاع ان يؤلف له جيشاً قوياً (الاخوان) تألف معظمه من البدو واضمر . و استطاع عام ١٩٢٦ ان يستولي تماماً على مدن الاسلام المقدسة مكة والمدينة وان يهادي به ملكاً على الحجاز والمجد . فحركة التنحصر ، هناك في اليمن ، انحصرت في مجال التسليح اذ ان الملكية الوراثية التي قامت على اساس دينية كانت تلف في وجه كل فكرة عصرية الى البلاد

ومن مواقعها القوية في العراق وشرقي لاردن ، استطاعت نكلترا ان تعرض السلام على القبائل لتساقفة بفضل بعض الحمايات ، وبفضل الاعطيات السخية التي كانت توزعها ولا سيما بعض فريق من معتقديا المختصين . حسوا اللغة العربية كأسانها وتحرجوا بالعادات والتقاليد العربية لدى القبائل العربية ، كما احادوا الى حد بعيد بتوجيه المناقصات القبلية والميث بها . ثم هناك قوى الطيران الملكي البريطانية . اذ يكفي ان يخلق بمصها ، كما جرى في هذه مناسبات فوق الوحدات العسكرية السعودية حتى يعود السلام الى نصابه وبرحمن الجميع الهدوء .

وفي فلسطين يأخذ اليهود بتنظيم وطهم القومي الجديد بعد التصريح الذي اطلقه الاردن بلفور عام ١٩١٧ . لا ان المعوض والاشكال الذي قام عليه هذا التصريح ، حر على تلك البلاد عواقب وخيمة . فبينما رح البريطانيون يؤكدون ان هذا التصريح لا يمي سوى اشاء مجتمع حضاري يتمتع باستقلاله الاداري روح زعماء الحركة الصهيونية يتحدون منه قاعدة لانشاء دولة يهودية لهم .

الى الشرق من هذه القطعة القوية التي تحص ضمها البريطانيون والتي تتألف ايران و افغانستان من البلدان المتاخمة للبحر الاحمر ، وقعت اقطار سكانها مسلمون نعمت ظاهرياً بالاستقلال . وراحت الدولتان القباثلان في هذه المنطقة ومايران و افغانستان ، تنهجان على موال تركيا ، في جهودها المعرنة بلاحها ، هذه السياسة التي انتهجوها عاجلها التفت

حولها العناصر المتطورة فكرياً وثقافياً . الا انها اصطدما بالتقاليد الدينية التي تسك بها
بمصاد سكان البلاد الذين يتسكعون في مهاوي الجهل والجهالة .

فالحصم ، التي لم تعرف رسمياً باسم ايران الا في سنة ١٩٣٥ ، تعرضت خلال الحرب للاحتلال
من قبل الروس والانكليز لجمعها في عام من الدساتير التركية والامانية التي استهدفت لها ، وما
كاد الروس ينسحبون منها بعد ثورتهم الكبرى ١٩١٧ ، حتى فرض عليها الانكليز حمايتهم
العملية عليها . وكان من شدة استياء الشعب لهذه السياسة ان قام احد ضباط الجيش ، يدعى
رضا خان ، بانقلاب عسكري عام ١٩٢١ ، حله في نهاية الامر الى تنوء العرش في عام ١٩٢٤
لحم اسم رضا خان بهلوي الذي استرجع سياسة ترمي الى عصرية البلاد على قرار ما تم في تركيا ،
بحادراً مع ذلك ان يس مشاعر الاهل الدينية . كذلك اخذ بتعويض القبائل الرحل في البلاد
وتوطينهم ، وسد من الملكيات الشاسعة وقلصم بالنالي من «ظافر كار الملايكه المقاريبي» ، واحد
البلاد بادرة حديثة ومعهم كم قانونية أدت الى إلغاء الامتيازات الاحدية في البلاد ، عام ١٩٢٨ ،
كذلك قام باصلاح في ري السكان ، اد افس لس الطربوش وفرض ارتداء الكسكيت او القمعة ،
واعطى الجيش تنظيماً حديثاً ، واستعان بفنيين حائلي لاصلاح النظام المالي وانشاء شبكة
عصرية من الخطوط الحديدية ، والطرق المعبدة ، والاقضية المائنة الري ، وقاسيس المصانع .
وفرض على الشركة الانكليزية الفارسية للنفط شروطاً افضل استفادت منها
ميرانية البلاد .

أما في الافغانستان ، والمحاولة التي قام بها الملك امان الله الذي قدماً كرسي الملك عام ١٩١٩ ،
باعت بالفشل . فبعد حربه الناجمة ضد الانكليز حرر نفسه من الشرط المفروض عليه بحصر
علاقاته السياسية في خارج مع حكومة اهدد الانكليزية . وأسس علاقات دولية مع الدول
الاخرى ، وفرض على سكان العاصمة كابول لبس الزي الاوربي واستعان ببعض الخبراء الفيين
من الاجانب . وحظر عام ١٩٢٨ تعدد الزوجات للموظفين وجميع الملكية بالسفور وطرح
الحجاب ، الا انه تم تخلف عام ١٩٢٩ ، على يد لادر خان . وتوقفت بذلك عملية
عصرية البلاد .

سأهت الازمة الاقتصادية التي اطلت عام ١٩٢٩ والنظم
تأثير الازمة الاقتصادية الكبرى
الدكتاتورية التي ظهرت هناك على تطوير الحركات
القومية في بلدان الشرق الادنى وبين دوله . فالمشكلات الاقتصادية التي شأت عن الازمة
رادت كثيراً في خلقة مجتمع وراثي مهمل ، كما ن افتقار البلاد للتقاليد الليبرالية ، اوجد
فيها جواً لانتشار النظريات والانظمة الفاشية والعسكرية . فائت الذي تركه اتاتورك ، هذا
البطل الذي عرف ان يصد بهجاء ويقف في وجه اوروبا ، واندي خلق امة قوية مهية الجناح ،
لحجة قاطعة وبرهان ساطع على امكانية دولة قومية قوية تتمتع بالاستقلال الساحز ، في مدة
وحيرة نسبياً . ان التطور العظيم الذي احد بأسبابه لوطان القومي اليهودي في فلسطين حيث

توافد المهاجرون اليهود بأعداد ضخمة هددت بأهراق الشجر العربية في بحرهما ، اثار هياجاً عبقياً بين سكان البلاد . وراح المؤتمر العربي لمقودع ١٩٣١ يوصي بوقف الهجرة اليهودية وراح يستنهض الشعور الاسلامي .

ان احتلال ايطاليا للحدث ، عام ١٩٣٥ شكل خطراً مدهماً على الدول المجاورة ووطد نفوذ الدول الدكتاتورية وبعث فيهم الشعور بان في مقدور اي دكتاتورية ان تحقق كل شيء . وقامت الدعاوة الالمانية والفاشية بعد هذا قؤمن كل شيء ودش المارشال بالو في ليبيا منذ عام ١٩٣٣ سياسة عدائية تجاه ابناء البلاد ، كما ان الدبلوماسية الايطالية وقعت الى جانب العراق ، في عصبة الامم ضد الانكليز ، عام ١٩٣٥ ، واتي جانب سوريا ضد فرنسا ، عام ١٩٣٤ ، وعضدت القضية العربية ضد الصهيونية . وسارع الالمان لمزيد المساعدة للعرب في ثورتهم ضد الانكليز في فلسطين ، واخذوا يمتدنون الى جامعاتهم عدداً كبيراً من الطلاب في لدول الواقعة في الشرق الادنى ، كما راح طبرال فرانكو من جهته يؤازر الحركة القومية التي نهض بها السيد عبد الحاق الطريس بين المغاربة . وتشكلت في جميع بلدان الشرق جمبات وهبات نظامية قوامها الشباب لها شارتما ورجا وتطلياتها شبه العسكرية الخاصة ، منها مثلاً « مصر الفتاة » « بمصانهم الحضراد تحت اشراف مؤسس الحركة المرشد احمد حسين » والحرب الوطني السوري ، والكتلة الوطنية والمنتدئ العربي في العراق ، وغيرهما . وحملت الاضطرابات التي وقعت في مصر عام ١٩٣٦ الحكومة المصرية على تقديم استقالتها ، وتمكنت من حمل البريطانيين على بدء مفاوضات ادت بها الى الاعتراف من جديد باستقلال مصر وفي سوريا ، وقعت مظاهرات عسيفة وحوادث اضرابات عامة دت الى اقفال ، لاسواق والمخلات التجارية اكثر من حسين يوماً ، كما ان الاشتاكات الدامية بين قوى الامن والمتظاهرين في دمشق وغيرها من الدول السورية الكبرى ، كل ذلك ادى الى عقد معاهدة مع فرنسا وعدت البلاد بالاستقلال الناحز . وفي فلسطين حمل الانتعجار الوطني العنيف ، الانكليز للبحث عن حل سريع للمشكلة الصهيونية ، والى تدبيل محسوس في سياستهم في هذه البلاد

٢ - نتائج الحرب العالمية الثانية

كان للحرب العالمية الثانية التأثير الحاسم على التطور الذي احد الشرق الادنى بأساسيه . فالروح القومية التي كانت ، حتى ذلك ، وقماً على قسم من الطبقات الموحدة ، حمت الاوساط الشعبية وكهربت منها المشاعر والاحاسيس في هذا الوقت بالذات الذي اشتد فيه تسلل العرب واستحكامهم . واسوةً به ، جرى في كل البلدان الراحة تحت السيطرة الاسمية فقد رصمت المنطقة المنكورة كل ثقلها ووردها في الحركة القومية التي عاشت بها البلاد وذلك دفماً منها لحوادث واستثناءات لانقلابات المصرية بعد ان ضاقت الصدور بهد الاقتصاد المتخلف الذي كانت

هلب واضعهم وهذه الاحوال والاضاح الاحتمالية البالية التي تعيق سيرهم الى الامام . وفي الوقت ذاته اصيب الاسلام بوصفه نظاما دينيا صدمة عنيفة . مسح الدم ان هذا التصادم بين الملتزمين الرحيمين وبين انصار التعدد لم يسبب شيئا طاقته على الانتشار والتوسع الذي بدا على اشده في افريقيا خاصة .

ففي الحرب العالمية الاولى ارتدت الاحمال الحربية في بلدان الشرق الادنى طامعا غلويا . والنصر المبين الذي حققه الحلفاء افاح لهم ان يصعدوا الى اقطاره نفوذهم كاملا غير منقوص وان يوسعوا بالاضافة الى ذلك ، من رقعة سلطنتهم على بعض بلدانه . والاهمية الاستراتيجية التي تتمتع بها هذه البلدان برزت بأعلى وضوح خلال الصراع الجبار الذي قامت به امبراطورية هتلر ضد القوى البحرية لانكلوسكسونية ، وقد شهد شمالي افريقيا معارك طاحنة للسيطرة على قنسال السويس ، كما ان الحلفاء احتلوا حرماء من ايران وشهدت سنة ١٩٤٢ مواقع مدوية في الوقت الذي كانت اليابان تسجل في الشرق انتصارات وفتوحات ادخلت تحت سيطرة شعب هتي مبض بالقبوة والنشاط ، اكثر من ٦٠ مليوناً من المسفين ، كما بلغ رومل في رحفه الحاطف عبر الصحراء ، ٦٠ كيلومترا لا غير عن الاسكندرية ، واداء اسلام شمالي افريقيا يقع فجساة تحت سيطرة الانكلوسكسون .

فقد عادت الحرب على الاجمال بالفائدة لجموع هذه البلدان . فبأسكتانه ليبيا وتونس اللتان ألفتا ساحة حرب ، فلم تتألم هذه البلدان كثيراً من هوال الحرب . والحاسائر التي اصابته المجددين من انشائها كانت خفيفة جداً بالنسبة لعدد السكان وللتطور السريع الذي سجلته . فقد باع بعض هذه الاقطار انتاجها من السكر والقطن بأسعار عالية وربحوا كثيراً من هذه الانشاءات للخدمة التي استندت القيام بها الأعمال الحربية في اراضيها : كالنقل الحديدي ، وانشاء المرافئ وشق الطرقات وبناء المطارات . والمؤسسة الانكليزية التي أصبحت انكليزية اميركية عام ١٩٤٢ وعرفت باسم « مركز توين الشرق الارسط » تولت تسيق الحياة لاقتصادية في هذه الشعوب ، وساهمت في تطوير بعض الزراعات وبعض الصناعات كما نظمت حركة التبادل التجاري بين هذه الاقطار التي استفاد بعضها من قانون الاهارة والتأخير . وفي مؤتمرات فريبسكو كان لاكثر هذه الدول ممثلون حضرو المؤتمر المذكور بينما لم يحضر أحد منها مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ ، فقد وجدوا انفسهم وحبا لوجه مع الدول الاستعمارية المتهوكة وأمام متصرفين عملايين هما الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية ، اللذين اخذا يؤكدان عداوتهم للنظام الاستعماري القديم .

كذلك جاءت احزاب ثبنت لانياء هذه البلاد ، من جديد خرافة للقوى الاوروبية كما ادخلت في روعهم ان تسي التفتيات العربية واقتصادها يموه عليهم بتبيل استقلالهم وتأييده .

من هذه العوامل المهمة في تطوير دولة الشرق خلال الحرب وما بعد الحرب النفط والبنز المظلم الذي لعبه في توفير ثروات طائلة هاد به عليهم هذا السائل الأسود الذي يفيض به بطن لارض عديم وندي يمثل ٧٠ بالمائة من الثروة في العالم ، و ٣٨ بالمائة من إنتاج العالم له عام ١٩٥٧ ، مقابل ٥٧ بالمائة عام ١٩٣٨ . وتدخل انكلترا واميركا المستمر بأمور هذه البلدان وشؤون هذه الاقطار السياسية والاقتصادية بحسب رده اسامياً ليس لي ما لها من موقع ستراتيجي يكون محور الامبراطورية البريطانية وملقياً نفوذ الاتحاد السوفياتي والترب فحسب ، بل ايضاً وبالأكثر لوجود هذا الاحتياطي الضخم من النفط في العالم . فقد كان الشرق لاوسط حتى عام ١٩٣٣ ، امجال الذي كان أو كاد ان يكون وقفاً على شركة بترول العراق وشركة النفط الانكليزية اليرانية ، ثم اخذت شركات كبرى عديدة من الانكليزية واميركية تسهم في استثمار هذه الثروة البترولية الضخمة ، واقامت الحرب لها الظروف المؤاتية لتسهيل تقديم كبير في هذا المجال ففي أواخر عام ١٩٤٤ ، ظهرت الشركة العربية الاميركية للنفط (ارامكو) ، وتوصلت الشركات الاميركية ، عام ١٩٤٦ من الحصول على امتيازات جديدة للتنقيب عن البترول اثر الصعوبات المالية التي ألمت فانكلترا . وتشكلت كتلة قوامها السوكوني هاكوم والسندسرد اويل وقالت امتيازاً مدته ٢٢ سنة حصلت عوحيه على قسم من نفط الشركة الانكليزية اليرانية والشركات الانكليزية والاميركية المتنافسة مما يسما تقوم بأعمال التنقيب في كل بلدان الشرق الأوسط والبحار المحيطة بها في الوقت الذي اخذت فيه الحكومات تكاثر من بناء القواعد الجوية والبحرية ، كما تشتد فيها سياسة التدخل ليعم نفوذها وقوة مواقعها

والنشاط المتزايد في استثمار الثروة البترولية كان من بعض آثاره قلب نظم الحياة في بعض هذه البلدان رأساً على عقب ، وذلك ناشئ منطقة رأسمالية متقدمة في هذا الشرق الأوسط المتحالف اندي اقتصرت فائدته على بعض مناطق مادية معظمها مالية صحيح ان هدداً من رجال البترول تركوا حياة البداوة وعملوا موظفين لدى بعض شركات النفط او في محطات الضخ و في حراسة حط الانابيب ، الا انهم ينتمون نسبة هزيلة من اليد العاملة المحلية ، ٣٤ ، امانة من مجموع السكان . والانتاج في مجموعته تقريباً لا يخصص لأي تصنيع محلي ، فالفائدة تنحصر في بعض المائدات تدفعها الشركات لشيوخ هذه الامارات وحكام تلك الاقطار . فالشركات تدفع مبلغاً مسبقاً قبل المباشرة بأي استثمار كما تدفع رسماً معيناً بالنسبة لوحدة الانتاج . وتتمتع هذه الشركات الى جانب هذا بحرية تكاد تكون كاملة ، دون اي مراقبة البتة لا على وسائل الاستثمار ولا على الجهات المستفيدة منه . فنحن امام امبراطورية صناعية في قلب دولة عجيبة ، لها كل مميزات دولة اجنبية مع حق نزع الملكية واستيراد الاهتدة معانة من كل رسم جمركي ، واعداد المواسم والانشاء الطرقات والخطوط الحديدية . والشركة الانكليزية اليرانية للبترول التي لها امتياز استثمار حقول البترول في جنوبي ايران هي مثل على القوة التي تتمتع بها شركة

استثمار من هذا الشكل في قطر من افطار الشرق . فقد كان في خدمتها اكثر من ٧٠.٠٠٠ موظف وكانت المعاشات والرواتب التي تدفعها لعمالها وموظفيها تؤلف عهراً هاماً في حياة البلاد المالية . فالنقط الموصول الذي تمارسه على اولى الامر والمسؤولين في ايران ، يشكل مرتكزاً هاماً للسياسة البريطانية في ايران ، ولذا كانت لها الحركة القومية في هذه البلاد بقصاً جميعاً ، لا سيما اذا ما عرفنا ان الرسوم التي تدفعها الشركة والاحوار وعن الادوات والحاجيات التي تشتريها من البلاد لا يوازي ١/٨ من الدخل القومي ، وهو شيء رهيد جداً بالنسبة لـ ٣٣ مليون طن من البترول الذي تستخرجه وتصدره الخارج ، والذي يحصل من ايران النولة الرابعة بين الدول الكبرى المنتجة للبترول في العالم . وعندما قرر مصادق رئيس وزارة ايران عام ١٩٥١ تأميم الشركة وموجوداتها ، هكل قوة بريطانية لمحركت دفاعاً عن الشركة وبمحافظة عليها . وضع الحجر على البترول الايراني الذي استمرت النولة باستخراجه والضبط على الشركات الاميركية حتى لا تحس بحمل الشركة البريطانية الايرانية . وحدث في آخر لحظة ، وفي الوقت المناسب ثورة اطاحت بالحكومة الوطنية واعادت الى الحكم حكومة اظهرت استعدادها لاهادة الامور الى مجراها .

والمنافسة الشديدة التي تقوم بها شركات النفط الكبرى ومن وراءها حكومات الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا تظهر على انها في كل انقطار العالم العربي . فالمشكلة التي تارها حادث احتلال مفرزة من الجيش البريطاني لواحة النوريجي في قلب الجزيرة العربية ليست سوى مثل بسيط لهذا التنافس بين الارامكو وشركة نفط العراق ولم تثبت ان اوقدت طائفاً دولياً . والحادثة الجديدة التي وقعت عام ١٩٥٧ وراحت تهدد في الصميم المكاسب العظيمة التي تجنيها هذه الشركات ، ترتبط بالاتفاق المعروف باتفاق سافلي بين شركتي دولة وليس بين شركتي خاصتين ، هما الشركة الوطنية الايرانية للبترول والشركة الوطنية للوقود اللتين اقترحتا عقد اتفاق جديد لورع بحسبه عائدات الشركة ليس ٥٠ ٪ ٥٠ كما هو متبع اليوم ، بل ٧٥ ٪ - ٢٥ ٪ وهي شرط في صالح الدول المنتجة للبترول . فالاهراء كبير والتجربة لا تدفع امام هذه الدولة بالاخذ بمثل هذا الاتفاق المغربي والدخول في سباق التأميم .

سفر في هذه الحالات التي تستخدم فيها العائدات والمبالغ المسقة لتحسين اوضاع هذه البلاد ، عهد الثروات الهائلة التي منطت فضاء على هذه المشيخات والامارات تنح لهم الجبال بتكوير ثروات اسطورية يبدون معظمها في اللهو والعمش دون ان يكون لها كبير الرقي لتحسين اوضاع البلاد الاقتصادية ورفع مستوى العيش بين افراد الشعب . ان استثمار رأس المال الاجنبي لثروات البلاد الطبيعية يثير الاستياء الشديد بين الزعماء الوطنيين ويقوي فيهم اللزم على التحرر من السيطرة الاجنبية ، لا سيما وهم يعتبرون ان هذه الموارد التي يمت بها على هذا الشكل والتي تنفق على تأمين وسائل الاستمتاع والمذا على اختلافها ، يجب ان تخصص في سبيل

تصنيع البلاد وبذلك يضمون حداً لهذا النؤس وهذا الشفاء المربع الذي تتسكع فيه الجماهير الشعبية .

فالتغييرات التي حدرأت على الاقتصاد في الشرق من جراء اقتباس نظام الملكيات الكبيرة والنؤس الاجتماعي في الشرق
التغييرات المصرية في فترة ما بين الحربين كان من نتائج ارتفاع عدد السكان في المدن ، الذين مثفوا ٢٩٪ من مجموع السكان في سوريا ، و ٣١٪ في العراق و ٣٥٪ في مصر ، و ٤٠٪ في لبنان و ٦٩٪ في اسرائيل . ففي مصر بلغت الزيادة ٥٣٪ بين ١٩٣٧ و ١٩٤٧ ، بينما لم يرد ارتفاع عدد السكان الا بنسبة ٢٠٪ ، وفي تركيا ٣٧٪ على ارتفاع في السكان بلغ ١٧٪ فقد تجاوز عدد سكان الاسكندرية والقاهرة المليون في لاولى والمليونين في الثانية وسكان حبرن ارتفع عددهم من ٥٣٣٤٠٠٠ الى ٩٩٠٤٠٠٠ بين ١٩٤٠ و ١٩٥٠ ، وفي عمان ، ارتفع عدد السكان من ٢٥٤٠٠٠ الى ١٠٠٤٠٠٠ . وفي هذه المدن التي ارتفع عدد سكانها بهذه السرعة ، يجتشد افئس بانئون . فالتفاوت في الترخسل اتسع ورحب اكثر فاكثروا ، ومستوى المعيش بين هذه جماعات التشرية المنخفض ومبط نتيجة محتومة للتفاوت العظيم في توزيع الملكية العقارية والتضاعف الديموغرافي . ففي العراق راح رؤساء القبائل التي حبرى تحضرها واسكانها ، والسلاء وكبار الموظفين في البلاد ، يصابئون بملكية القسم الاكبر من هذه الاراضي التي كانت القذائل لرحل تقيم عليها . وفي خلال ٢٠ سنة ظهرت طبقة جديدة من الاغنياء العقاريين الذين استملكوا هذه الاراضي والزارعون الذين لم يصبوا سوى ٢٠٪ من هذه العقارات اضطروا للعمل فيها بأجر لا يبلغ احيانا ١/٤ غة الارض و احيانا ١/٤ حتى ١/٢١ . فتعفن امام وضع من اسوأ ما رى من امثاله في كل الشرق . وهذه الاقطاعية العقارية بعدها في كل من سوريا وايران حيث كبار الملاكين العقاريين الغالبين من اراضيهم يملكون ٦٠ - ٧٠٪ من الاراضي الزراعية ويصبئون ٥٠ بالمائة على الاقل من علال الارض . ففي مصر حيث ٧٢ بلداة من مجموع السكان يملكون ١٣ بالمائة لا غير من الاراضي لزراعية ، ترى ٢٢ بلداة منهم يملكون ٢٠ بالمائة من الارض و ٤٤ بالمائة (اي ١١٤٠٠٠ عقار) يملكون ٣٧ بلداة ويزداد عدد السكان هنا بسرعة مذهلة (عدد الموليد فيها يبلغ ٤٠ بالمائة) كما ان اليد العاملة متوقفة حداً في الوقت الذي بقي احر العامل اليومي على حاله بين ١٩١٤ - ١٩٣٩ . وفي قلب البلاد العربية ، فالمشايخ الذين يقومون بامور السطة يستأثرون بالموائد التي تدومها لهم شركات الزيت كما عبر الكويت مثلاً الذي يصيبه ٦٠ مليون ليرة انكليزية (بحيث صبحوا اغنى اغنياء العالم) في كثر اقطار العالم فقراً . وهم يروون مرارهم بواسطة طائفت عصرية . ففي كل مكان رى اغنياء الملاكين العقاريين يجهرون راضيهم باعثة زراعية تكلف عالياً ، ويحصلون من الفلاص صحي او ثلانة اصعاف ما يحصل عليه حارهم الملاك الصعير وان يلبث ان يبتسحوا رضه المجاورة لهم وهكذا ففي الحين الذي ينهار فيه النظام القبلي القائم على مساواة تبر اقلية قوية تأخذ بالارتفاع بينما تتسكع الجماهير الربعة في الشفاء وتتكون في المدن بروليتاريا جديدة بائسة هي الاخرى .

والسكان يتزايد عددهم بأسرع مما تزداد موارد الرزق ووسائل العيش في البلاد ، في وقت يحول نظام الملكية دون استثمار مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة وقمعز فيه موارد الدولة عن تأمين عمال الري والسقاية التي هي أساس كل انتاج زراعي . فالتطور الصناعي في المدن ضعيف ، والصناعة اليدوية التي تأثرت كثيراً من استيراد المواد الجاهزة أخذت بالانحطاط ، ومجموع الانتاج الصناعي مما فيه النقص لا يزيد عن ١ بالمائة من الانتاج العالمي . ففي أي من بلدان الشرق الأدنى هذه فالانتاج الصناعي لا يساهم بأكثر من اندحل القومي . والقدرة الانتاجية ضعيفة جداً وكان على هذه الصناعات التي نعشها الحرب في كل من تركيا ومصر ، ان تكيف نفسها ، بعد ان وضعت الحرب ورائها ، لتستطيع الوقوف بوجه المنافسة الدولية التي اصابتها في الصبح . ولذا رأينا دخل الفرد الواحد منخفضاً جداً ، أدنى من ١٠٠ دولار في السنة في معظم هذه الأفكار ، فهو ٨٠ في العراق ، ٤٠ في الجزيرة العربية و ١٥٠ في لبنان وفي تركيا ، ومعدل الاستهلاك الذي يمكن مقارنته من هذه الساحة بالمعدل الذي تسجله اميركا اللاتينية ، هو أدنى من مثله حتى في بلدان شرقي آسيا . فالدولة اعمى من ان توجه نفقات الاستثمارات الضرورية للمعارضة التي تلتقيها من طبقة الاغنياء ، كما ان وريثاتها مصدرها الصربية على الاستهلاك والرسوم الجركسية (٦٠ - ٧٠ بالمائة من وريثات الخزنة . فالنفقات العامة تروح في معظمها مرسلات لموظفي الإدارة وتبذل في وجوه أخرى .

وهذا الفقر المنقطع يصحبه دوماً الرأيا المألوفة قلة التمدية ، وسوء الحالة الصحية والأمراض التي يجرها البؤس وراه ، ولامية (يتراوح معدلها بين ٨٠ - ٩٠ بالمائة من مجموع السكان) . ففي كل مكان يعيش الفلاح في ظروف واوضاع لا تحتمل .

فلم يرف في أي محل كان الدول المتقدمة في خاصي القريب ولا هذه لاويعمرشات التي عشتها ، تحاول اصلاح نظام الملكية المقدرية كعلاج موصوف لسد المعز في الانتاج لرراعي فكبار الملاكين القريين ، نشد من ارهم لاصالح الانكوسكسوسية في هذه البلاد ، يقعون بمساد في وجه كل محاولة اصلاح من هذا القبيل . ومن جهة أخرى ، والتوسع في حركة تصبيع البلاد يقتضي لها العديد من التقييد الذي تفتقر اليهم البلاد . والنشل القومي المتدني وتوزيعه عبر العادل يعملان لوفر واحطاً وميء التوزيع ، وفقدت القدرة الشرائية متدنية ، لاهر الذي يحد كثيراً من قدرة السوق المحلية . فالسليف القصير والهيول الاجل تبقى عملياته ضيقة محدودة ، والاستثمارات عاجزة .

الا ان التوسع في التعليم وانتشاره المتواصل منذ الثلاثينيات حتى الآن ، سواء أكان مكتبياً ، أو غنل في هذه المموت التي ترسل الى الجامعات والمعاهد الأجنبية في الخارج ، خلق في البلاد طبقة من المفكرين والمعلمين جاؤوا على لاجدل من طبقة دنى من الطبقة التي اخرجت الطبقة الموحمة في الغرب . وقد تألفت هذه الطبقة الجديدة ، على اقدار مختلفة بالنظم العاشية التي استبهر شأنها

البلق لاصحابي رثائعه
السياسية

حتى عام ١٩٤٣ ، وهي على علاقات وطيدة برؤساء الجيش وقادته الذين كثيراً ما انحدروا هم ايضاً من طبقة متواضعة . وهذه الطبقة الجديدة هي التي تلعب اليوم دوراً بارزاً يزداد أهمية يوماً بعد يوم في تارة لحيجيات وتنظيم الاضطرابات ضد الدول العربية المسيطرة ، وتهاجم الطبقات الموحدة القديمة بما فيها من المنحصرين والمترفين والرحميين ، وهي تطالب بإصلاحات اجتماعية وتحسين وسائل اربي والأساليب المستعملة في الزراعة ، كما تطالب بالتحصيل الشامل في كل ما يتصل بالتجهيز الصناعي ، وتطوير التعليم . هذه الصحافة والرافد يبنان الأفكار الجديدة بين جماهير الشعب التي وقعت اكثر فاكثرت تحت تأثيره المباشر واخذت تصي شيئاً فشيئاً ان في زوال الطبقة القديمة التي تتألف من الباشوات والبيكوات المؤيدين للدول الغربية ، على الاجمال ، يمكن الشرط الاول لكل استقلال حقيقي .

ينتج من هذه الأوضاع مجتمعة حالة من عدم الاستقرار السياسي والطبقة النورية انتعرج معظم منها من المدارس الأوروبية ثبت نظاماً برلمانياً ليس فيه من الديمقراطية سوى الاسم . ففي كل مكان ، تحول الاقطاعية التي لا تزال قائمة في هذه البلاد والطبقات الشعبية الباطلة المرتبطة الى حد بعيد بكنيار ملاكين العقارين الابقاء على هذه لأوليغارشية الضيقة التي تتألف من محترفي السياسة الذين يعتمدون على الفساد والافساد والعش ويسخرون سياسة الحكومة لتأمين المصالح الشخصية العائدة لنواب الأمة ويمثلها ولناخبينهم معاً ، كما ان عدم توفر الأطر الفنية المتخصصة في البلاد يساعد على انتشار الموضي والفساد في ادارة كما يدعو الى الاسراف والالاف في الاعتمادات المالية . وفي سبيل تصفية هذه الطبقات الموجهة القديمة ، التي ترسفت في العجز والفساد والافساد والتي كثيراً ما تتخذ لها تكأة من الاجسي ، تحاول حركات النورية والانتفاضات النورية التي يقوم بها الوطنيون ان تحرر حكومة ، كما وقع بالفعل في اميركا اللاتينية ، من هذه الهيئة الانتهازية التي لم تنور لها اسباب التعليم ولا تزال في مجموعها تتسكع في الجهل ، والتي تتأثر الى حد بعيد بجمادية انال وتخصص لوجوه البلاد واحبائها والقوى الاقطاعية . والثورة والدكتاتورية هما الوسيلة الوحيدة لحمل السلطة بآمن من هؤلاء كبار الملاكين العقارين الذين يتحكمون بموارد البلاد ويسيطرون على السياسة العامة وهذا شرط اساسي لا بد منه لانجاح كل عملية اصلاح رراعي شامل في البلاد . وقد تنسم هذه الروح القومية احيداً بصفات وسماحت متناقضة هي تؤيد بكون قواها المطالب لدينية الرشيدة التي تطالب باصلاح الحياة الروحية وثقافتهم من كل ما علق بها من شوائب والزام التقاليد القديمة التي كانت موضوع احترام الجميع ، كما بها تعارض تحرير المرأة وعصرية الحياة الفكرية ، الا انها تتبنى مطالب حيائية حريثة جداً وتكاد تصل الى الصراع الطبقي ، مع انها حارب عوان على الشيوعية ودعاتها .

هذه التيارات والبرعات والمسار الذي لحق بالشعور العربي من جراء تكسار الجيوش العربية امام اسرائيل عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، وهي اهانة يجب ردها قبل كل شيء الى خيانات

الحكومات العربية وعجزها ، أدت الى انتفاضات شعبية وثورات ، وإلى هدد من الانقلابات في كثير من الدول العربية . فلم يبق في كل هذه الدول العربية من اثر أو ظل لهذه الديمقراطية النيابية . ففي عام ١٩٤٥ ، قُتل أحمد ماهر بعد أن أعلن الحرب على ألمانيا باسم مصر ، وهوى بعده بضربة جنم كل من النعزشي باشا والامام يحيى امام اليمن . وفي عام ١٩٤٩ يقوم الزعيم حسني الزعيم بانقلاب عسكري لم يلبث ان سقط هو الآخر وقتل بانقلاب عسكري قام به اللواء الشيشكلي . وفي عام ١٩٥١ ، قتل الملك عبد الله ، ملك الاردن ، بعد ما عرف من ولائه لبريطانيا واتهم بخيانت للقضية العربية . وفي عام ١٩٥٢ قام بطل حرب فلسطين اللواء نجيب ، رئيس اركان الجيش المصري ، بانقلاب عسكري أدى الى طرد الملك فاروق الذي اعتبر مسؤولاً عن الفساد والفسوس المتغلغلين في مصر ، وعن العجز الذي فكشف عنه الجيش المصري .

وفي هذه البلدان العربية المتخلفة حيث اخذ المجتمع القبلي فيها يزول تدريجياً ، اطلت علينا طغيات احتاجية جديدة قائلت من التجار ورجال الفكر والمثلمين وعمل النمط احدث مطالب باعطاء البلاد دساتير ومؤسسات جديدة ويوضع حد لمهد الفساد والتخدير الذي وقع فيه عراوهم ومشايخهم ، والذين راحوا يستلمون آمالهم من هذه المثالية الوطنية التي يلوح بها صوت العرب من القاهرة . وقامت في العربية السعودية اضرابات وحوادث تعريب أدت الى توقيف ععدد ممن كانوا وراء هذه المظاهر وتنفيد الاعدام بالعص مسهم ، ولم تقص حركة الجمع هذه على بعض الجمعيات والنظمات المالية التي بقيت تعمل في الخفاء وهي تتلقى المساعدات من بعض النازحين عن البلاد والمقيمين في الخارج ، في دمشق حيث تأسست الجمعية السعودية الاصلاحية ، وغيرهم ممن لجأوا الى الحشمة ومصر لاريافة ، وفي عدن او اقاموا بين عمال المرافىء في ليربول وكرديف ومرسيليا الذين التفتوا حول حزب اليمين الاخر .

تأخذ الدول العربية ، على الاجمال ، بالتأخر . فقد استطاعت انكسار خلال الحرب من ترحرح فرنسا من سوريا ولبنان ، وبعد ان سيطرت بريطانيا في اعقاب عام ١٩٤٣ والانتصارات النولية التي سحلت الجيش الثامن فترة من الدهر على كل سلسلان الشرق الادنى ، وهبست بذلك على كل الشرق بواسطة الجامعة العربية التي اشرفت على انشائها والتي تشكلت مائياً عدم ١٩٤٥ ، تحلت عن دولة اسرائيل بعد ان اغدقت عليها من الحماية والرعاية ما اعدقت . الا ان معاضتها هذه الدولة والمشكلات التي شبت بينها وبين مصر حول مستقبل السودان وحول قناة السويس ، مستت كثيراً من هبستها وخلعت سيطرتها ونمودها ، وساعدت في تصعية النظام القديم الذي اعتمدته والسياسة التي انتهجتها في هذه المنطقة ، حتى في المملكة الاردنية صبيعتها التي اقضت من اراضيها في غرة ١٩٥٦ بكلل خشونة ، الجبرل غلوي بات مؤسس اجيش الاردني . واشعلت الثورة نهر في هدنة حتى وفي الصحري . وتعددت المظاهرات العنيفة

في المشيخات السبع . وفي محميتي حضرموت وحسان ، عزز المنشردون البريطانيون فيها عن القضاء على اسباب التدمير والشقاق ، بالرغم مما همموا به من مقدرة ودهاء . واضطرت الحكومة البريطانية للجوء الى الطيران الممككي البريطاني للقضاء على حركات التمرد المتكررة .

لا شك قط في ان الولايات المتحدة الاميركية حلت الى حد ما ، محل بريطانيا في هذه لارحاء للشرقية ، ووسعت من نفوذها في الحديق الاقتصادي والثقافي ، في الحين الذي راحت فيه المدارس الفرنسية ، ومعظمها من ، المدارس الكاثوليكية ، تتأخر وتسير القهقري ، وذلك لتعويلها على الطوائف المسيحية في المنطقة وبلاهمية التي اتحدتها اللغة الانكليزية في هذه البلدان ، وهي الوسيلة التي تؤس الاتصالات مع الدوائر العسكرية ولا سيما مع الشركات الصناعية والتجارية الاميركية القوية ، هيسوعيون لاميركيون في بغداد ، والمرسلون المشيخيون للبروتستانت المتنوعون حول جامعة الاميركية في بيروت ، اخذوا يكثررون من ابناء المدارس ويحيدون اليها الطلاب وهم على شبه البقي بانهم سيجدون وظائفهم في هذه الشركات الاميركية . الا ان الحركة الوطنية لم تحف او تضيء من جراء ذلك ، لاسبب والاعتبارات الاستراتيجية التي يخضع لها الاميركيون ، تحميمهم هذا ، كما حلتهم في اميركا اللاتينية وفي بلدان آسيا الشرقية ، على مؤازرة الحكومات المحلية ، وهم في ذلك اءا يعارضون الاهداف الاساسية لبرجوة من مساعدات لاقتصادية والفنية التي يدفعونها للدول المتخلعة والتي هي بحاجة ماسة الى اصلاحات سياسية واقتصادية اساسية . والوقوف الى جانب النظام السياسي القائم انما يعني الامتناع عن كل اصلاح في البلاد . وهذه الجهود التي تبذلها اميركا لتعاطف في وقت راح على صداقتها لاسرائيل وصداقتها مع الدول الاسلامية ، من شأنه ان تثير الشك وتبعث سوء الظن بها . ومن جهة اخرى ، فالتنافس القوي القائم بين الاتحاد السوفياتي وبين الولايات المتحدة الاميركية في المجال الاقتصادي ، يوفر للدول العربية ظروف وامكانيات الافادة من هذه المنافسة القائمة بين المعسكرين القائمين ، للحصول من هذا المعسكر او من ذلك على المزيد من العون المالي والتقني ، دون ان يمس ذلك من استقلالها مع بقائها على حياد التام بين الجانبين .

امية المامل الديني تأثر الاسلام ولا يزال بالفكر الغربي ، والازهر نفسه حصن الاسلام الحصين ، اخذ يستجيب شيئاً فشيئاً لهذا التطفل . ففي عام ١٩٤٦ ، قرر مجلس العلماء وضع مجموعة من الاحاديث الصحيحة ، التي هيء على ذكرها في تفسير للقرآن المتصلة البناء من القرون الوسطى ، والفصل بينها وبين الاحاديث الفاسدة لموصوفة « بامرائيلية » . وهكذا يرى نصير الجديد يقدمون على النظر في الاسس التي ينهض عليها الدين الاسلامي . ويتفق انصار الجديد وانصار القديم على تفسير القرآن تفسيراً يؤيد المطالب القومي . وهذا ما يفسر لنا هذه الحركة الدينية الرجعية ، التي تدور في كل الاقطار الاسلامية والجهود المذولة الصادقة التي تهدف الى جمع شمل الاسلام وقوطيد الوحدة بين شعوبه . فالايان على أشده حيوية ، والحجاج يتوافدون الى الاماكن الاسلامية المقدسة باعداد متزايدة

سنة بعد سنة ، وقامت في المجتمع الاسلامي حركات دينية لقيت تأييداً حاراً من قبل الطوائف الشعبية ، منها مثلاً جمعية الاخوان المسلمين ، ومنها مثلاً حركة مسجومي ودار الاسلام في اندونيسيا التي تطالب بدولة اسلامية تقوم على اصول الشريعة الاسلامية ، وحزب المولى في ايران الذي يطالب بتقوية الدروس الاسلامية في المدارس الرسمية ، والجمعية الاسلامية في باكستان ، حيث الدستور الجديد الذي وضعته البلاد ، يقوم ، كما رأينا ، على مبادئ الشريعة الاسلامية ، كما يودي باكستان هند ظهورها . الجمهورية الاسلامية ، وجمعية العلماء في الجزائر . وفي سوريا ، استطاعت الاقليات المسيحية ، بعد جهود كبيرة بذلتها عام ١٩٥٠ ، اسقاط العنصرية التي اقترحت دمجها في صلب الدستور ، الاخوان المسلمون . وتأسست في باكستان ، عام ١٩٤٨ ، الجمعية الاسلامية العالمية ، التي وضعت برنامجاً واحداً تحت اسم : اسلامستان . وهذه اربعة اشدية بتأليف الجامعة الاسلامية هي ذرية لدفاع عن الاسلام ضد موجة روح النصر والمؤثرات لاجنية ، كما انها محاولة للتوفيق بين الاسلام والمطالب الفكرية في عصرنا هذا . وهذه الحركة تصطدم ، بنسبة رغبتها في الانفلات من الضوابط الدينية ، بصعوبات كبيرة تتباين حدة ودفعاً بتساين الفوارق الجغرافية والتاريخية ومدى التطور في مختلف البلدان الاسلامية ، والمنافسات الفاعلة مثلاً بين مصر والعراق ، وبين سوريا والمملكة العربية السعودية ، وهذا التنافس القائم بين هاتين الدولتين الكبيرتين : بين القاهرة وبيروت ودمشق والقدس . ونلاحظ ان الدلائل التي تحميها الدول الكبرى ، يجري احاطتها بسهولة ، وقد رال الخوف لئلا من انت تصح الجامعة العربية الموية في يد الانكليز ، وبالرغم من هذه المنافسات الشخصية التي راحا دائرة بين بعض رجال الاسلام ورجالهم ، والشعور بالتصامن يرداد قوة ومثابة بين الدول الاسلامية كما ترداد الشاعر بالوحدة فيها بيتها ، وكلها تنضج بالمساء الاررق لدولة اسرائيل .

تطور المجتمع الاسلامي بما لا شك فيه قط ان بعض الاقطار العربية اخذت باساليب التصنيع ، كما ترى ذلك مثلاً في تركيا ودلتنا النيل في مصر وبعض المناطق النفطية في حنوبي ايران والعراق والعربية السعودية ، كما ان البروليتاريا لا أثر كبير لها في هذه المناطق . ومع ذلك ، فلا تزال تهاضمنا في بلدان عديدة من بلدان الشرق الاوسط : في جميع أنحاء افغانستان وايران وفي داخل الجزيرة العربية واليمن والعراق العديد من القبائل الرحل تشتد فيها العصبية القبلية والشعور بشيء من المساواة . ومع ذلك فالمجتمع القديم اخذ بالتوسع والظلم الاقتصادية التي اطلت على البلاد حديثاً زادت من تخضير البدو (في شمالي سوريا والعراق وايران وشرقي تركيا) كما ان حركة استملاك الفرد للأرض شددت من العروق بين طبقة الاثراء ، وهم قلة ، والطبقة الفقيرة ، كما امكن تسجيل تطور حقيق في المعاداة والاحلاف ولا سيما العائلية منها . سياسة تركيا ، كل ما يتصل بحقوق الاسرة يعود للمحاكم التشريعية كما ان تعدد الزوجات لا يزال معمولاً به . اما في المدن ، فإن كثيراً من عادات الاسرة

غلب عليه الطابع الغربي ، نتيجة محنومة لازمة للسكن والرغبة بالتمتع بحياة مستقلة في منزل
وخص اطار موارد مستقلين . والامر الذي لا تزال تسيطر عليها الحياة العائلية التقليدية معصورة
على الاحصن ضمن المدن الصغيرة والريف حيث الناس لا يزالون متمسكين بالمعادن القديمة ،
ويستند نظام الملكية العقارية ويحصر طرق الممارستها بشكل جماعي يقيها موحدة . اما
النظام القبلي وما اليه من بطون واعضاء تقوم رئاسة شيخ القبيلة وتعارف له بالولاية ، فقد انصهر
على للمقاتل الرجل او القاتل الحضر . ومن السادر الآن ان يمتد زواج روجي بالاتفاق مع اوي
الفرقيين دون اي تعارف سابق بين الزوجين او المحرم رأجا في الامر فالسواء بين زوجين
اصبحت عادة مرغية في المجتمعات الكبرى كما ان مراكز تعليم المرأة آخذة بالازدياد والتوسع ،
واخذت المرأة تعمل او ترافق زوجها في ما مشترك فيه من اجتماعات والفراح وحفلات وزيارات
وللمرأة حقوق سياسية متسارية مع الرجل في كل من تركيا ويران وسوريا (١٩١٩) ولبنان
(١٩٥٢) ، وللمرأة حق الاقتراع في مصر منذ ١٩٤٢ . والحجاب لم يوسع استعماله في كل من
تركيا ويران ، آخذ بالزوال تدريجياً في جميع هذه الاقطار . وازياء النساء والوان القطع
والاثاث والمفروشات تأخذ اكثر فأكثر طابعاً غربياً .

الا ان اوصار القديم وارجعيين يستمرون في ممارسة هذه الحركة التقدمية ، ويقارمون بها
بكل ما لديهم من حول وطول ، ويهاجمونها على المكشوف كلما سمحت لهم الظروف المسعفة
ودشن الشاه محمد رضا ، في ايران منذ عام ١٩٤١ ، عهداً جديداً ، بتجديد عن السياسة
لاصلاحية التي سار عليها منذ عام ١٩٢٧ رسماً بلوي ، واعد العمل للحجاب ، وفتح الباب على
مصر اعيه امام بشارة الجمليات الدينية الاسلاميه ، وطبقة ادوية الذين عادوا الى الزي الذي
كان لهم من قبل ، كما عاد الاتراك منذ عام ١٩٤٨ ، للعمل بفرصة الحج

وقامت في تركيا حركة رجعية متناوئة لحزب الشعب الجمهوري
الذي شكله مصطفى كمال ، والذي نشأ في البلاد نظاماً جديداً
قضى على كل العناصر غير التركية المسيطرة على مرافق البلاد

الاقتصادية ، وانتمج سياسة الاكتفاء الذاتي ، احسنت تشجيع الانتاج الزراعي والصناعي في البلاد.
لم تعاني البلاد كثيراً من الحرب الاخيرة وعرفت كيف تحافظ على الحياد بعد ان خطب ودّها
كل من المستعمرين المتحاربين محاولين حررها للخروج على سياسة الحياد لما فيه مصلحته الخاصة
كذلك رحلت بحرارة بكن الطلعت التي شبعتها على الانتاج كما ان البريطانيين ساعدوها كثيراً
على تحرير مواسمها واليهوس بصاعتها . ومع ذلك فقد استولى على البلاد منذ وفاة اتاتورك عام
١٩٣٨ شعور بالقلق واستمادت العناصر الرجعية الكثير من نفوذها ، واخذت بتنافس حزب
الشعب ومحاربه على المكشوف ، هذا الحرب الذي ستأثر بالحكم منذ عشرين سنة والسنين
نشأه في ادارة البلاد . كما ان مطالب السوفييات حول الملاحة في المضائق عررت التيار الرجعي
ومن جهة ثانية ، فقد أصبحت تركيا ، منذ عام ١٩٤٧ عاملاً قوياً في الخطوة السوفياتية

الاميركية في الشرق الأدنى وكانت مع اليونان من اوائل الدول التي اقامت من مشروع ترومان ، كما ان الولايات المتحدة الاميركية امدتها بنصف المبالغ اللازمة لتنفيذ الخطة الخمسية لعام ١٩٤٨ - ١٩٥٢ . وبعد ان ارادت المساعدة الاميركية طابعاً عسكرياً في يادى الامر انخفضت لما عيا بعد طابعاً اقتصادياً صرفاً ، وقامت على شروط واضحة جلية استوجبت التخلي عن ابداءى التي سارت عليها السياسة الكيالية ، منها التزام الحكومة التركية اعطاء الأولوية للشركات الاميركية ، فتمتعت عن النفط في البلاد ، مع ابقاء هذه الشركات حق استثمار موارد البلاد النفطية والتسليم باشراف الحكومة الاميركية على كيفية انفاق هذه الاعتمادات ، وبعبارة اخرى حق مراقبة السياسة الاقتصادية التي تتهبها ، وللتعمد بعدم فرض رسوم تمييزية على رؤوس الاموال الأجنبية .

وهذا التبدل في سياسة تركيا الاقتصادية ادى بالتالي الى تعديل سياستها العامة . وهذا التعديل اوحسته الانتخابات العامة التي جرت في البلاد عام ١٩٥٠ ، والتي أدت الى فوز حزب الممارسة ، الممثل في الحزب الديمقراطي ، اقوى الاحزاب التركية الذي مال ٥٣٪ من اصوات الناخبين وفاز به ٤١١ مقعداً من أصل ٤٨٧ مقعداً . وعلى اثر هذا النجاح ، سمح رئيس الوزارة التركية الجديد مندريس بدخول رؤوس الاموال الأجنبية الى البلاد كما اجاز استرجاع ١٠ بالمائة من مجموع الفوائد . واضطر عام ١٩٥٣ للتسليم بحسب رؤوس الاموال المستثمرة مع فوائدها بالمال دونما اي حد او قيد والتلطف من احكام القانون التعماري التركي في كل ما يتصل بالشركات الأجنبية . وكان من بعض نتائج سياسة التدخل هذه من قبل الولايات المتحدة الاميركية ، زيادة محسوسة في انتاج البلاد لزراعي والمدني قابلها من جهة ثانية فرض ضرائب ورسوم ممرسة لتقوية الدفاع ، كما ادى الامر الى خلع ميراث التجارة الخارجية والى ارتفاع سريع في الاسعار اصاب بالانحسار الطبقات الشعبية . ان قسماً طفيفاً من سكان البلاد عرف ان يفيد من ارتفاع الانتاج . فالبلاد ترحح تحت وطأة بطالة قوية (قد تبلغ ٣ ملايين عاطل عن العمل في عام ١٩٦٤) كما ان اكثر من ٨٠ ٠٠٠ عامس تركي تركوا عن البلاد بحثاً عن عمل يجد لهم في الدول الصناعية في غربي اوروا ، ولا سيما في ألمانيا .

ومن جهة ثانية راح الحزب الديمقراطي في الوقت الذي يعلن فيه ولاءه لمبادئ الدولة العلمانية ، يعتمد على احزاب اليسار اي على هذه العناصر الاجتماعية الرجعية التي لم تلق قط سلاحها والقانون العقاري الذي صدر عام ١٩٤٥ ، والذي جعل الملكية الخاصة في حدود ١٢٠٠ فدان ، لم يحور تطبيقه ، وهذه الحرية السياسية التي مهدت الطريق امام الاحزاب للظهور في البلاد من جديد ، مكنت الاحزاب الرجعية على احتلالها من دينية وسياسية واقتصادية ، من الافادة من هذه لاسترجاع السلطة التي فقدتها

وهذا الدعم الرسمي الذي ادى الى فرض دكتاتورية فعلية على البلاد أدت الى مظاهرات دين الطلاب وصباط الجيش ضد حكومة مندريس البوليسية الفاسدة والى استيلاء الجيش على السلطة

في أيار ١٩٦٠ . ومنذ هذا التاريخ ، بقيت السياسة التركية كريمة في مهبط الريح واكثر اضطراباً من أي وقت مضى لما انتابها من انقلابات عسكرية ومن مظاهرات صاخبة ضد اكثرية فياضية رجعية . ومن جهة ثانية ان خيبة الاعل التي سببتها الارمة القبرصية ، وتعدت الوصول الى حل مرض سبب شيئاً من التراخي في علاقات تركيا مع الولايات المتحدة الاميركية ، كما احدث في البلاد دفلاً قوياً للالتزام موقف عكايد .

اعترفت المعاهدة المعقودة عام ١٩٣٦ باستقلال مصر ونصت على اعلان الجمهورية في مصر قيام تحالف دائم بينها وبين بريطانيا العظمى . الا ان بريطانيا ابقّت لها حاميات عسكرية استقرت في القواعد التي احتفظت بها في منطقة القناة ، محافظة عليها كما ان قضية السودان لم تلاق حل لذي نشدته مصر كل حسمه الامور كان من شأنها ان تهيئ الرأي العام المصري ندلاً من تهديء من روعه . وجاءت الحرب تزيد من نفرة البلاد وتذكى الحفاظ ، وتذكاً لجروح اصف الى ذلك عطسة الجنود البريطانيين الذين ما زالوا يظهرون الى مصر بظريتهم الى بلاد محنة ، وتجهيد الالوف من المصريين للعمل خداماً في مصالح الجيش البريطاني ومصادرة جهلم لتأمين وسائل النقل في الجيش واستياء المدن لارتفاع اسعار الحاميات فيها ، وعندما سجل القائد الالماني رومل انتصاراته الساحرة في الصحراء ، قابلها الطلاب المصريون بمظاهرات دائرية يتعمون فيها باطل اصواتهم . نحن رجلك يا رومل ، وكان لا بد من ان توجه قيادة الجيش نذراً مدحوماً عناورات عسكرية فطر معها الملك من استبدال رئيس الوزراء . ودارت هم ١٩٤٥ مفاوضات بين الجانبين لتحديد موعد معاهدة الجيوش البريطاني مصر وحل مشكلة السودان ، انتهت الى فشل ذريع عام ١٩٤٧ ، وردت من الهياج في البلاد . وفي نهاية الامر ، عد الوفد وهو الحزب الحاكم ، عام ١٩٥١ ، الى الماء المعاهدة المعقودة عام ١٩٣٦ ، وتادى الملك فاروق ملكاً على مصر والسودان . واشتدت في ذلك المظاهرات وحوادث الاعتداء على الاحزاب في البلاد ، كما اشتدت لئارشات مع وحدات الجيش البريطاني وراح الاخوان المسلمون يقدرون لاصطراب في البلاد ، وهو حرب ديني عرف برجعيتيه وبتمصه جمع معظم انتصاره ومؤيديه من الطبقات الشعبية في الريف تجاوز عددهم في مصر الى ٥٠٠٠٠٠ من الاعضاء . وهناك قوة اخرى تألف معظمها من بروليتارية المدن ، والمقاتبات العمالية التي اصبحت قيامها شرعياً منذ عام ١٩٤٢ وقامت هدفاً رئيسياً للدعاية الاشتراكية والشيوعية . واخذ نفوذها يتعاظم ويشد ، ملقية بكل ثقلها في الكفاح الوطني وحركة التحرر . وقد زدت من حدة الاضطراب الاجتماعي ، مستوى العيش لتدني كثيراً سواء بين سكان الريف وبين سكان المدن ، والانكسار العسكري امام اسرائيل من جراء خيانة الحكومة ، والقلق الاجتماعي المستحوذ على البلاد ، انفصالي في ثور ١٩٥٢ الى سقوط الملكية . ولم الوصول الى اتفاق مع انكلترا حول تأمين اندفاع عن القتال بعد ان تقرر اخلاؤه من الجيش البريطاني عام ١٩٥٥ . والنظام الجديد الذي اطل على البلاد وامن لها الاستقلال الناجر حرص على تحقيق اصلاح زراعي

فيها . وصدر عام ١٩٥٢ قانون صودرت بموجبيه الاملاك التي تزيد مساحتها على ٢٠٠ فدان (٨٤ هكتاراً) وهكذا اصبح في الامكان توزيع ٦٥٥٠٠٠٠ فدان ، اي ١١ ٪ من الارض القابلة للزراعة في البلاد انتزعت من عدد من كبار الملاكين يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ لتتوزع على صغار الفلاحين . كذلك ألغيت الاوقاف الخاصة التي تقطع جاكاً كبيراً من مساحة البلاد ووزعت على عدد من المصريين لا اراضي لهم .

واحدت مصر تلعب دوراً بارزاً في هذه المنطقة باعتبارها مركز الجامعة العربية وام دولة اسلامية في الشرق الادنى من حيث هذه السكان وازدهار الثقافة العربية التي هي مركز من مراكزها الهامة ، وبفضل هذه الحيوية العارمة التي ميرت عهداً الجديداً ، وهذه الاصلاحات الاجتماعية التي باثريتها ، والسياسة الخارجية النشيطة التي انتهجتها . فقد لجأ اليها واحتمى في حماها عدد من الزعماء الوطنيين حاوها من شمال افريقيا ومن جميع اطراف القارة الافريقية . وهي محور نشيط بين هذه المحاور الداعية الى الجامعة الاسلامية .

ورغبة مصر هذه التي يشاركها فيها جميع العالم الاسلامي بأمره الشرق منذ « حادثة السويس » بانتهاج سياسة تحصيل واستقلال وحياد ايجابي لم تكن بعيدة عن هذه الأرملة الدولية الخدانة التي ساعدت كثيراً منذ عام ١٩٥٦ في اضرام الثورة في جميع بلدان الشرق الاوسط . ولوطد مرجع مصر على اثر شجب الامم المتحدة لاسرائيل عندما قامت بمساعدة بريطانيا العظمى وفرنسا بمهاجمة قناة السويس وغسل هذه السياسة العدائية . وقد اسهرت تغييرات جذرية في نظام مصر الاقتصادي الذي اصبح « جموداً » تحت مراقبة الدولة ، وبذلك اكتمت عملية تأميم السويس ، وعلمة قصير المصارف وشركات التأمين (معظمها بيد الفرنسيين والبريطانيين) ، وانشاء الهيئة الاقتصادية العليا التي كانت في الوقت ذاته شبه ما تكون بشركة مركزية ووكالة استثمار مكفلة بمراقبة كل الانشاءات الاستثمارية العامة في البلاد والاستثمارات الاخرى التي تقوم بها الدولة نفسها . ومن جهة اخرى ، وسعت مصر ، بفضل المساعدة المالية والفنية التي تلقتها من الاتحاد السوفيتي من نطاق علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع دول شرقي اوروبا وآسيا لاسيما الاعتراف المالية التي سلطها لاتحاد السوفييتي بفائدة ٢٠٥ بالمائة لشراء الاحهزة والاعطة الصناعية ولبناء سد اسوان الذي من شأنه ان يربط انتاجية مصر الزراعية اكثر من الثلث ، اي توفير الغذاء لما فيه كفاف العيش لهذه الاسبال التي ستطلع على البلاد في السنوات العشر القادمة . والقوانين الزراعية التي صدرت عام ١٩٥٢ (والتي قضت بتوزيع الاراضي على مليون من الفلاحين) والقوانين الاخرى التي صدرت عام ١٩٦١ التي خفضت الملكية الفردية الى ١٠٠ فدان لا غير (٢٢ هكتاراً) لم ترفع الانتاج الزراعي الى ما يتفق مع معدل زيادة السكان الذين ارتفع عددهم من ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ عام ١٩٥٠ الى اكثر من ٢٦ مليوناً عام ١٩٦٠ (وهي زيادة حادت بنسبة ٢٧ بالمائة) . ولذا كان لا بد من زيادة مساحة الاراضي الزراعية من طريق ري المناطق الصحراوية ، وتطوير الصناعة في البلاد التي يعمل فيها الآن

أكثر من ٧٠٠,٠٠٠ عامل وتؤمن ٢٠ بالمائة من الدخل القومي (مقابل ١٠ بالمائة في عام ١٩٥١). ومع ذلك فالنفس لا يزال على أشده في البلاد. وعدد العاطلين عن العمل لا سيما في صفوف الشباب كبير جداً في المدن ولا سيما في الريف (من ١٥٠ - ٢٢٠ يوم عمل في السنة لا غير). وهذه الدولة الاشتراكية المستبدة منذ عام ١٩٦٣ التي تتألف منها مصر يتولى الأمر فيها الجيش. فالجيش هو الذي يؤلف ملاكها الرئيسي منذ أن بعدت الإصلاحات الاقتصادية وعملية التأميم والاستملاكات العناصر الأجنبية وهذه الوجودية المقاربية والصناعية التي كانت مسيطرة عليها وهذا الجيش المستمد عناصره الأولى من صفات الوجوديين والذي يرفع أفراد فوق مستوى الشعب بما تم لهم من تدريب فني، والذي يرغب صادقاً في حصرنة هيكل دولة وإدارتها، يحتل المراكز الهامة في الإدارة وفي المؤسسات الاقتصادية التابعة للقطاع العام أو للقطاع المزدوج كما يحتل معظم المراكز الدبلوماسية، إذ أن ١٠ أعضاء من أصل ١٢ عضواً الذين يؤلفون مجلس الرئاسة الذي يحيط بالرئيس عبد الناصر هم من الضباط. وقد استحال الجيش إلى طبقة موحدة مهمة يعتمد كلياً على الوجودية للصغرى في المدن وعلى صفات الملاكين، الذين يتمتعون بعيش أهنأ من العيش الذي يجنيه أصحاب الحظوظ النائية في الريف (١٤ مليوناً من أهل الريف لا أملاك لهم من أصل ١٩ مليوناً) ومن المسدود (٤٠٠,٠٠٠ من أصل ٨٠٠,٠٠٠) الذين يشكلون قوة التغذية وبؤس البطالة. وهذه الطبقة الجديدة تنهض عالياً بالتقاليد الوطنية والإسلامية، وتحاول أن تخلق دولة علمانية عصرية. ومثل أن هشتل تحريرة وحدتها مع سوريا (التي دامت ٣ سنوات) وحللتها على اليمن وسياسة التقرب من العراق، فهي تشدد على الجامعة العربية، أي تشدد التعاون الفعلي بين الدول العربية لما فيه خير التطور الاقتصادي للمجموعة العربية.

فصل الثورة التي قامت بها سوريا عام ١٩٥٨ وادت إلى الوحدة مع مصر، وثورة العراق التي أطاحت بنظام الملك وبمحكومة فردي السعيد، لتحول هذه البلاد، على غرار مصر، لتحقيق إصلاح زراعي شامل. فقد صادرت الحكومة في سوريا ١,٥٠٠,٠٠٠ هكتاراً من ٣٢٠٠ مالهكتار من كبار المقاريين والحد الأعلى للملكية المقاربة جعل ٤٠ هكتاراً من الأراضي المروية ومن ٣٠٠ هكتاراً من الأراضي البعلية إلا أن العملية تحرري ببطء كلي. أما في العراق فقد حدد القانون الصادر عام ١٩٥٨ الحد الأعلى للملكية الخاصة بـ ٢٥٠ هكتاراً (من الأراضي المروية) و ٥٠٠ هكتاراً (من الأراضي البعلية). وفي إيران، صدر عام ١٩٦٢ قانون، كان يبرر تطبيقاً وتحديداً، جعل الحد الأعلى للملكية الخاصة ما يوازي مساحة قرية، ومن من أصحاب الأملاك يملك أكثر من مزرعة أو قرية عليه أن يختار أحداً ليتدخل عن الأخرى للحكومة التي تشتريه منه ثم تعمد إلى قسمتها بين المزارعين. وعلى الملاكين البعد أن يؤثفوا من يسهم تعاونيات زراعية. ففي عام ١٩٦٣، جرى تقسيم مساحة ٨٠٠٠ قرية أو ضيعة على ٢٧١,٠٠٠ أسرة من الفلاحين، كما ألفوا من بينهم ٢٣٠٠ تعاونية زراعية.

٣ - اسرائيل المعجزة^(١)

في هذا العالم الاسلامي الآخذ بالاختار والنفاذ ، قام عامل جديد سمم العلاقات بين دول هذه المنطقة وعصرها وساعد في نهاية الامر على الالة الشعور القومي وادكاه الحق ضد الدول المسيطرة على المنطقة ، قتل ماشاء دولة اسرائيل .

كانت هذا الوطن القومي لليهود في فلسطين الذي أنشأه اسكترا
من الوطن القومي الى دولة
دات سيادة
خلال الحرب العالمية الأولى يضم عام ١٩٣٥ نحواً من ١٣٦٠٠٠٠
نسمة منهم ٢٨٪ من اليهود . الا ان شراء المنظمات الصهيونية
لأطيب الاراضي ، والتطور للمظلم الذي اخذت باسبابه المدن والصناعات في البلاد ، اثار بين
الكثيرة سكان البلاد من العرب موجة عارمة من الاستياء والحاج لما استهدفوا له من كبت
وصت وفضيقي اقتصادي اضطرت معه الحكومة البريطانية للتصحي عن سياستها التقليلية
المشوبة بالمعطف على السامية . فقد أثبت عليها الاعتراف رسمياً بالقومية الفلسطينية ولم تسلم الا
في سنة ١٩٤٤ بتشكيل عرقه يهودية خاصة له اعلامها وشاراتها الصهيونية . ومراعاة مهمسا
لعنايب عرب فلسطين والبلدان المجاورة الاخرى التي كانت اسكترا ترغب حداثاً في بقائها على
الحيدة في الوقت الذي اتخذ تقدم لحيوش المارة في شمالي افريقيا يهدد البلاد ، وراحت تطلق
مكل دقة القوانين التي وصفتها عام ١٩٣٩ ، للحد من الهجرة ، الامر الذي اعاط اليهود والار
حيفقتهم بعد ان كُذت ابواب الدخول الى فلسطين في وجه بضمة آلاف من اخوانهم وأبناء
حلتهم ذهبوا فريسة للمظام النازية واضطهادهم الشديد . وما كادت الحرب تضع اورارها
حتى قامت بين بريطانيا واليهود مناوشات دامية كانت اشه بحرب مكشوفة . واخذ الانكليز
يوقفون في طريق سفرهم النازيين سرأ من اليهود الى فلسطين ورسولهم الى معتقلات اقاموها في
قبرص ، واخذ الاسطول البريطاني يطارد كل سفينة من أي نوع كانت تحمل على ظهرها
مهاجرين يهود الى فلسطين ولا سيما من يفر منهم من المعتقلات التي كانوا يرسفون فيها في بلدان
اوربا الوسطى ، ويهربون من اعمال التصفية التي تعرضوا لها في بولونيا حتى ان بعضهم اخذ
يقنح ويضع بيده حداثاً لحياة بائسة يائسة . ولعل اظلم هذه الحوادث وبرزها هو حادث السفينة
اكودوس التي خرجت من هامبورغ في ايار ١٩٤٧ حاملة عدداً من اليهود ، اذ ما كادت تطل
لى ارض فلسطين حتى أجبرت على العودة من حيث أتت وعلى ظهرها هذه القطعان من مهاجري
يهود . وراحت المنظمات الصهيونية شبه العسكرية السرية كمنظمة شاترن والارغون تشن سلسلة
الهجمات على الحاميات البريطانية المربطة في البلاد ، وقامت باعمال تخريبية كسف الخطوط
لدينية ، ومهاجمة وحدات الجيش ، واعمال ثأرية اخرى مضادة لتنفيذ الاحكام الصادرة
د لليهود . وفي تشرين الثاني ١٩٤٧ ، أقرت الجمعية العامة في الامم المتحدة تقسيم فلسطين الى
لتنين : يهودية وعربية ، وفقاً لتوزيع السكان ، ونصت على اعطاء المقب ، هذه المنطقة

النشر

(١) ار : رأس حمر للاستثمار الانكليزي الاميركي في الشرق ، كما يقول نهر

الصعراوية للدولة اليهودية . وقد رفض العرب هذا الاقتراح وقامت تمحيدات من المتطوعة المسلمين في سوريا والعراق ولبنان حتى ومن الباكستان ، كما دخلت جيوش ست دول عربية مجاورة تهاجم المناطق اليهودية في فلسطين وبالرغم من ضعف تسليحهم ومن تفوق الجيوش العربية الممدي ، استطاع اليهود الصمود لهذا الهجوم بعد ان اخذت الجاليات اليهودية في جميع أنحاء العالم قدم بالمتطوعة والاسلحة والمال ، وبرهنوا عن روح عربية وعن كفاءات عسكرية لم تكن المرويات المروجة عنهم لتعترف بها بن تنكرها عليهم . وقد استطاعوا للتغلب على هذا الحشد العسكري العربي ولقاهي ما كان يتوقعه الجميع .

ومنذ ذلك الوقت اخذت وفود اليهود تنزع قادمة الى الدولة
الحركة السكانية الجديدة
الحديثة التي كانت مساحتها ثواري نصف مساحة سويسرا ، مع العلم ان ٧٢ بالمائة من هذه المساحة هي ارض صعراوية تتألف من النقب . وقد قدم هذا السيل من مهاجري اليهود من جميع أنحاء العالم ولا سيما من هذه البلدان الواقعة حول حوض البحر الابيض المتوسط والاقطار الشرقية . ففي عام ١٩٥٤ كانت الدولة اليهودية تمتد ١ ٢١٢ ٠٠٠ نسمة ، بينهم ١ ٥٢٦ ٠٠٠ من اليهود ، وبعض المسيحيين واقلية من عرب فلسطين (١٨٠ ٠٠٠) ضعف حاضيتهم بعد نزوح أكثر من ٨٠٠ ٠٠٠ عربي ، غادروا البلاد خوفاً او بسبب الاموال الحربية . وقانون العودة الذي صدر عام ١٩٥٠ ينص على ان كل يهودي له الحق بالعودة الى البلاد كهاجر ، وان بمجرد عودته الى البلاد يصبح تلقائياً من الرعاية الاميرالية . وكان من نتائج هذا التوزيع ان من اصل عشرة من سكان البلاد ٩ منهم يهود . الا ان قبائل الاجناس واختلاف الممارب والمادات ونط العيش وتباين المستوى الحضاري بين هذه العناصر المتعايشة جلباً الى حنق جمل من العسير حداً عملية مزج الجوالي اليهودية القريبة الاصل : من روس بيض ويولبيين وبلغيين والسان ومجر وبلغاريين مع يهود شمالي افريقيا وبلدان الشرق الاوسط الذين دخل نصفهم البلاد بعد عام ١٩٤٨ ، كما قامت صعريات اعترضت عملية لتظم هذه العناصر وصهرها معها . وهؤلاء السكان الجدد يختلفون اختلافاً كبيراً عن السكان القدامى في البلاد الذين تألف معظمهم من طلائع الصهاينة الذين قدموا الى فلسطين ومن بناء الوطن القومي من اصحاب رؤوس الاموال . فآلفوا معاً فئة اشراكية النزعة متجانسة من اصل اوروبي واحد ، ضعيفة النزعة الدينية ، كانت وضعت منذ عام ١٩٤٠ على السط لاوروبي او الاميركي ، جميع أطر الدولة ومؤسساتها . فاللوجة الجديدة من المهاجرين اليهود تألف معظمها من يهود نجوا من مخيمات الاعتقال في اوروبا حيث رسلوا في النك والمهانة حرصاً لصنوف الاضطهاد والألوان المذاب او من يهود نزحوا من الاقطار العربية المجاورة او جاؤوا من الاقطار الاسلامية الآسيوية من شمالي افريقيا ، من يمنيين وعراقيين وليبيين ، لا مال عسدم ولا حرفة لديهم يمولون عليها في معاشهم ، بعد ان عاشوا في ظروف واوضاع صحية سيئة . مستوى المعيش يندم من ادنى المستويات ، معظمهم اميون ، لا يعمهون شيئاً من ابسط المبادئ التي تقوم

عليها الحضارة الغربية يستهجن الأوروبيون منهم نمط العيش الذي يسبرون عليه . وقد أدى هذا الوضع الى ايمان روح الريادة والطليعة والى إضعااف المثل العليا التي جاشت في صدور من كانوا ملانغ الحركة الصهيونية ، ولا سيما إصعاف روابط التعلق السقي تشد لدولة الجديدة بالديموقراطية ، وإنتوجيه الغربي كما اشتد جانب اليهود الشرقيين في البلاد . وهكذا فالملتص اليهودي في اسرائيل يتقسم الى شطرين متباينين في المجال الحضاري ولا سيما الاجتماعي منه ، اذ ان العناصر الشرقية في البلاد شأن احدى من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية من العناصر اليهودية الغربية . والاختلاف بينهما يشند على الأخص حول فكرة تشكيل المجتمع الجديد ، الذي يقترح القدامى منهم ان يكون مجتمعاً علمانياً بينما يرى القدامون حديثاً الى البلاد ان يكون وفقاً لتقاليد اليهودية المتوارثة . فالهم الأكبر الذي يحول في حاطر العسقة الموحدة الغربية للزعة والانتحاء هو طمع الدولة الاسرائيلية بطابع « دولة عربية » في قلب المحيط العربي ، وهي فكرة تحدرها العناصر الحديثة لهم في البلاد يشد من اررها الفرقة المعروفة بالأسكافازيم *Askenazim* التي تتألف من ضمنها عدة أحزاب سياسية ناشطة .

التنظيم الاقتصادي في البلاد هذا التيار العام من المهاجرين أفقد البلاد توازنها واضطرها الى انتهاج سياسة شديدة صرامة من التقييدات والتضييقات عرفت عديم سياسة شد الحزام (*Tesóda*) لم يستطع نقلها والعمل بها عناصر عديدة من الوافدين الى البلاد حديثاً ، مما عقد للعلاقات بينهم وبين العناصر الاخرى المستقرة في البلاد من عهد بعيد مما أدى بهمهم الى مفادرة البلاد والروح عنها من حيث اقوا . ولتأمين اسباب العيش لمؤلاء السكان الآخذ عددهم بالارتفاع السريع في رقعة من الأرض صيقة وفقيرة ، يحتشد في مسها الكبيرة نصف السكان ، كان لا يد من تطوير الصناعة ولا سيما الزراعة . فقد كان سقى لادارة البلاد ، قبل عام ١٩٤٠ ، ان شجعت كثيراً الاهتمام بالزراعة الى جانب القطاع الخاص ، وتشجيع التعاونيات المجتمعية ، الخيبور . وقد استمر الاتحاد العام للعمال (المستدروت) المرتبط بحزب العمال (الهاي) ، هذا الاتحاد الذي يصم ٧٥ بالمائة من مجموع العمال في البلاد (بين يهود وعرب ، في مراقبة حياة البلاد الاقتصادية بما له من تعاونيات تؤلف شبكة تتصل حلقاتها بجميع اطراف البلاد ، وما لها من مصارف وشركات تأمين تسلف الاعتمادات اللازمة للشهوض بالمشروعات الاستثمارية على مختلف نواعها ، من تجارية وصناعية وزراعية ، وما لها من ضمان اجتماعي ومدارس ومعاهد ومشايخ عمرانية وشغال عامة ، وهي منظمات تعمل الى حاد تعاونيات خيبوتزين التي لا تزال قائمه مع انها فقدت جدساً من هيئتها ، اذ كانت تصم ٣٠٧ بالمائة من مجموع السكان في سنة ١٩٥٦ مقابل ٧٥ بالمائة عام ١٩٤٧ ، وهو دليل واضح على تقهقر القطع الاشتراكي بالنسبة للقطاع الخاص . ان ازمة تضخم النقد خلال فترة الحرب كان من نتائجها المحتممة قول بعض التمازلات للقطاع الخاص ، وبذلك مهدت الطريق لطولوع « طبقة جديدة من الأثرياء » ومن جهة اخرى اعرب المهاجرون الجدد الى البلاد عن رهنهم في العيش في المدن ، او كبراءين

يعملون في مستعمرات زراعية كملاكين صغار ، يملكون منازل سكنهم وحيوانات أليفة وحظائر لتربية الدجاج ، يحصلون على رزقهم من حيايا لارض . فالارض تؤجر مدة ١٩ سنة ، الا ان ادوات العمل فيها والاحجرة لزراعية الصناعية تستعمل مشاركة ورشها وغلاط لاهدي التعاونيات الزراعية ، وتشتري منها المواد الاستهلاكية . وهكذا يرى ان الحيتون المروقة تجتاز أزمة شديدة من جراء تناقص عقود الايجار ومن حراء اجتذاب رواد الحركة وطلاتها الذين ساهموا في الحرب ، للعمل كموظفين في لادارة العامة او على رأس التعاونيات والبنكيات العمالية .

ان تحسين الانتاج الزراعي وتطوره يتوقف قس كل شيء على اعمال الري التي اشرف على تنفيذ قسم منها في وادي الغور وفي التقيب المهندس المعروف لودميلاك ، والذي يشارح قنق قناة تصل بين البحر الابيض المتوسط وبين البحر الميت وهو مشروح يمكن استخدامه لتوليد طاقة كهربائية هائلة . وقد رادت مساحة الارض المروية في البلاد اكثر من ستة اضعاف .

ان عملية الفراغ السكان وصهرهم في بولقة واحدة وقولية هذه العناصر المتناشئة في قوالب اجتماعية وثقافية واحدة ممكن تحقيقها بواسطة الشعبية . فالوسط المدرسي او الجامعي هنا كما في الولايات المتحدة لمج الى حد بعيد ، في اقلية الطالب او تدجينه ودمجه في المجتمع الاسرائيلي كما ان الجيش والخدمة العسكرية هما من خير الوسائل لتصديق هذه الوحدة واتحاد عملية الصهر الاجتماعي ، اذ للشار الممول به هو . « خلق احسن جسمي من كل مواطن وخلق احسن مواطن من كل حندي » ، وهو شعار امكن تمييزه وتحقيقه الى الحد الاكمل بواسطة تعليم اللغة الواحدة ، ودروس التاريخ ودروس التربية المدنية ، التي تعطى للجدي كما يعطى دروساً مهنية او حرفية توليه مهنة يمتاش عنها عند نهاية خدمته في الجيش . واللغة عامل اساسي في عملية التوحيد والصهر . فجميع من يحسنون اللغة العبرية ويجودونها يشكلون من بينهم الوفاء من خيرة الاساقفة والمدرسين يتبرعون لتدريس هذه اللغة وللتعليم ، ان يجهونها في ساعات فراغهم كما ينحصر كل اسبوع ، ساعة او ساعتين من اوقاف فراغهم لتعليم العبرية لشخص او اثنين او لتدريس بعض الفئات المتأخرة . وهذا الترابط والتضامن الوطني يشد من نزره ويقوي من لفته عامل خارجي ، هو عداء الدول العربية لاسرائيل .

ودولة اسرائيل هذه هي الوحيدة بين دول الشرق الاوسط التي تشيل فيها الصناعة على الزراعة : هنالك طبيب واحد لكل ٣٨٠ شخصاً من سكان البلاد ، كما ان معدل دخل الفرد الواحد هو ٤٠٠ دولار في السنة . فهي في ذية الازدهار ، هو ارددها يقوم على قواعد اقتصادية سرية المطب ، ولا يستمر الا بفصل ما يلقاه باستمرار من رؤوس اموال تزد عليه من الخارج . واسرائيل التي تحيط بها دول ممادية تحمل دوماً بأحد الثأر من الهرائم العسكرية التي لحقت بها عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، ترى نفسها دوماً اكثر فأكثر بحاجة ماسة لتجهيز والتنظيم والحفاظ على جيش قوي يكلف بقاؤه على صير استعداد ، غالباً ، والدفاع عن حدودها الطويلة

لمنع تسرب عناصر معادية الى داخل البلاد ولرد تعديات المهاجرين من الفدائيين ولتقوية وحدة البلاد . ولذا تدور لنا الروح القومية فيها حاشدة وتعتكف باستمرار وراء العصور الديني . فالتقاليد والمناظر الدينية قوية جداً ، ومؤسستها راعت دوماً في تشكيلها طابع الديانة الموسوية (كعبود الايجارات المعقودة لاجل ٤٩ سنة كاحرى على ذلك السك الوطني اليهودي للتسليف الزراعي) . وتلعب الاحزاب الدينية التي يتألف من مجموعها حرب ديني موحدة ، دوراً بارزاً في حياة الأمة وتطمح بطابع ديني بارز وفقاً لمناسك العادة الموسوية ، كاحترام العطلة يوم السبت والتقييد بلحم الكاشير *Kashir* في كل ما يتعلق بأمور التغذية ، والامتناع لكل الاجراءات الدينية التي تفرصها المحاكم الدينية في كل ما يتصل بأمور الزواج بين الاسرائيليين مع غير الاسرائيليين . وهكذا تقف اسرائيل في وجه العالم الاسلامي الذي يحيط بها احاطة السوار بالمهصم ، معتمدة كلياً على العون المالي الاميركي ، ولأولف كما يقول نهرو « رأس جسر للاستعمار الانكليزي الاميركي في الشرق » . ان مهاجرتها الفرعة السويس عام ١٩٥٦ ، والعوز الباهر الذي حققته في سيا ، مع ان التدخل الاميركي حال بينها وبين قطع ثماره البانعة ، يؤيد كل ما ذهبنا الى تأكيده هنا .

٤ - البلدان الاسلامية - افريقيا الشمالية

حققت الأنظار الاسلامية الواقعة الى الشمال من القارة الافريقية استقلالها بعد ان حققت بلدان الشرق الاوسط الاستقلال بمضى الوقت . ليبيا هذه المستعمرة الإيطالية القديمة في هذه المنطقة ، نالت استقلالها منذ عام ١٩٥٠ ، بفضل الانتصارات الباهرة التي حققها الحلفاء ، وجمعت منها دولة مستقلة ذات سيادة . فقد قامت العناصر الوطنية فيها بمقاومة عنيفة للاحتلال الإيطالي الذي لم يثنه من فتح البلاد الا في سنة ١٩٣٤ ، بعد ان ارسل الإيطاليون الى غنيمات الاعتقال ثلث سكان البلاد ، وبعد ان قتلوا وشرذوا عدداً كبيراً من رجالات ذلك البلاد وصادروا اطياب اطيابها ، ومع ذلك فقد بقي موذ السنوسية فيها قوياً بالرغم من لجوء زعماء الحركة السنوسية الى مصر ، وعرفت ان تؤجج الحقد والبغضاء في قلوب الليبيين ضد الإيطاليين ، يشد من ازرم عدد من اللجان قامت في دمشق والقاهرة ضمت العديد من الليبيين الذين زحوا عن اوطانهم . وقد خلا الامر في ليبيا للبريطانيين الذين احتلوا في اثر الانتصارات الباهرة التي حققتها الجيش الثامن ، ففادها عدد كبير من المعمرين الإيطاليين ومن اليهود وبذلك اصحت ليبيا بحية بريطانية بالفعل تأتمر فيها الحكومة بأوامر المستشارين الانكليز . وقام يديهم بعد ان انشأ البريطانيون والاميركيون فيها قواعد بحرية لهم منيعة .

وقامت في بلدان شمالي افريقيا . المغرب الاقصى والجزائر وتونس ، حركات قومية اخذت تطالب باستقلال هذه البلدان ومحاهدة عمارة لاجبصار فرنسا وارغامها على اعطاء البلاد تنازلات مهمة .

الجمعية المتحدون: المجتمع الأوروبي
 ان استيطان ١٦٠٠ ٠٠٠ أوروبي في بلدان أفريقيا الشمالية
 و « فرنسا » ونصف مليون يهودي فيها الى جانب عشرين
 مليوناً من أبناء البلاد الأصليين كان من بعض نتائج خلق مجتمعين وجهماً لوحه : مجتمع وعاني
 احتفظ بوسائل الانتاج والمقايضات التي تورثها عبر الاجيال أباً عن جد ويعيش في مستوى من
 العيش متدن جداً ، ومجتمع مستمر تتوفر له رؤوس اموال وافرة ويتحكم بحياة البلاد
 الاقتصادية وسيطر من على مراكز التوجيه في الادارة وفي الحياة السياسية ، وينتمى
 بمستوى عيش رفيع ، ولوضع القم صارخ . فهو من جهة يختلف تماماً عن الوضع الذي يحيط
 ببلدان أفريقيا الجنوبية حيث يسمح الجو ويتسع لاستيطان البيض بأعداد كبيرة وبصورة
 مستمرة ، اذ اقام قارن اللون فيها حاجزاً رقيقاً عنصرياً بين مختلف العرقي لا يمكن تجاوزه ،
 ومن جهة ثانية افطار أفريقيا السوداء حيث تقيم جبال اوروبية قليلة العدد ، لا يمسها من
 البلاد سوى استعمار حيراتها الطائفة ولا تتدخل في شيء لتقرير انتاجها ، فلا تجد في اي قطر من
 افطار العالم ، مثل هذا المدد الغير من الأوروبيين يعيشون منذ احيال متعاقبة بين الجماعات
 الاسلامية حيث تشابكت المصالح وقد اخلت ، وحيث يشتد اثر القرب الاجتماعي والثقافي
 ويعرف في الاقطار الاسلامية بشكل لم ير له مثيلاً من قبل . وهذا المليون ونصف من
 الأوروبيين ، اكثرهم من الفرنسيين ، يؤلفون اقلية ضئيلة حتى في هذه الجزائر التي يمثلون
 ١١ بالمائة من سكانها ، وفي تونس حيث يمثلون ٧,٣ بالمائة ، وفي المغرب حيث لا تزيد نسبتهم الى
 مجموع السكان عن ٤٠ غلطة وهي اقلية آخذة بالتفؤل يوماً بعد يوم ، امام تزايد عدد
 السكان في هذه الاقطار ، وهو عدد ٨٠ بالمائة منهم من سكان المدن ، فمدينة الجزائر وحدها
 تضم ربع عدد سكان البلاد ، كما تضم تونس ١/٣ عدد سكان البلاد ، وفي المغرب ٤٢ بالمائة من
 السكان يعيشون في نواحي البيضاء .

وهذه الاقلية قلعة ، مع ذلك ، دوراً بارزاً في كل قطر من هذه الاقطار الواقعة الى الشمال
 من القارة الافريقية . ففي جوارها قسم كبير من مساحة البلاد ، بالرغم من هذا التفوق الذي
 صعد الاستعمار الاوروبي في الريف منذ عام ١٩٤٠ (لا سيما هذا النوع من الاستعمار الذي لم
 يعد يندر كثيراً على القانين به) ، وهي وحدها تستفيد من تسهيلات التسليف الذي توفرها
 هم المصارف ومن الاستثمارات الاستعمارية في البلاد . وبعد ذلك بمدة طويلة ، في سنة ١٩٣٩
 في تونس ، وفي سنة ١٩٤١ ، في الجزائر ، تكونت شركات مختلطة ساهمت الدولة في رأس مالها
 اسوة بما تم في المغرب بين ١٩٢٨ - ١٩٢٩ ، حيث قدم مكتب الابحاث العلمية والمساهمة في
 الاستثمارات الاستعمارية ، فالمرور هم الذين ينتجون اكر قسم من المواد التي تصدرها البلاد .
 كبواكب اثار الفاكهة والزراعات الحضرية والديدن والموسفات وهزات الحديد والزنك
 والرماس . فهم ينتجون في الجزائر ٣/٤ محاصيل البلاد من القمح الطري ، وثلاث الفصح الصلب
 ويؤمنون القسم الاكبر من صادرات البلاد الى فرنسا على الاخص حيث تنعم الجزائر بحرية
 تصدير كل ما ترغب في تصديره بفضل المعاهدات الجوركي مع فرنسا وحيث تتم كل من تونس

والغرب بقوائد خاصة . وبالدان هؤلاء المعمرون من حيث مساواتهم : ففي الجزائر يسيطر ستة آلاف من المعمرين على $\frac{1}{4}$ الاملاك التي في سيطرة الاوروبيين ، بينهم ٩٠٠ شخص يملك الواحد منهم مزارع تزيد مساحة الواحدة منها على ٥٠٠ هكتار ، كما ان ١٢ من كروم الاوروبيين تزيد مساحتها على ٥٠٠٠ هكتار ، و ٢٨ كروماً منها تقارح مساحة الواحدة منها بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ هكتار ، و $\frac{1}{5}$ من منتجي النخيل يملكون نصف الحقول المزروعة كروماً . ففي الوقت الذي تستثمر فيه ٢٥٠٠٠ مؤسسة استثمارية ٢٠٢٢٠٠٠ هكتار تزي ٥٣٢٠٠٠ من الاستثمارية الاسلامية لا تستثمر سوى ٧٠٠٠٠ هكتار . وفي تونس تزي ٧٧٠٠٠٠ هي ملك ثمانية او تسعة آلاف مزارع فرنسي ، وفي المغرب تزي ٦٥٠٠٠ هكتار خاصاً للاستثمار (اي $\frac{1}{4}$ مساحة الارض المزروعة) ، تعود ملكيتها لـ ٤٠٠٠ مستثمر تقريباً ولعدد صغير جداً من الملاكين المغاربة ، بينها ٩٠٠ مزرعة تزيد مساحة الواحدة منها على ٣٠٠ هكتار (١٤٠٧ ٪ من هذه الاستثمارات وتمثل ٦٠ ٪ من مساحة الارض المزروعة) .

والتي عكس ذلك ، فالمجتمع الوطني مجتمع فقير ، معدم ، تنقصه اصلاً المراتع النقية ورؤوس الاموال ، مفرس في استعماله الاجهزة الزراعية البالية والحيوانات الناسة ، تنكر للامدة الصناعية ويفضل معها الهكتار من ٤ - ٥ قناطر اي نصف ما قدره الارض على المستمر . هنالك عدد ضئيل من اغنياء الملاكين ، بين قدامى ومحدثين حاولوا ان يطلقوا الاساليب الفنية التي يستعين بها الاوروبيون ، ولا يتورعون ، والحالة هذه عن قضم صفار الملاكين المتأخمين لهم . وادام يكن في وسعهم استخدام الوسائل التي يستخدمها الاوروبيون لتمنعهم عن تقديم الضمانات التي يقدمها هؤلاء المصارف ، ولا وبة فنية لهم ، فهم اجهز من ان يطوروا اساليبهم الزراعية او ان يدخلوا عليها ما يكفل لهم مردوداً طيب والاندماج مع النظم الاقتصادية الأوروبية ، ولذا لم يكن في وسع الشركات التعاونية سوى تسليمهم من المبالغ ما يؤمن لهم الرزاق او « الموم » ، كما ان اصحاب الحرف منهم استمروا في ممارسة حرفهم المتوارثة وفقاً للأساليب المرحية ولذا لم يستطيعوا تفادي منافسة المتوججات المستوردة .

تألفت الملكية التابعة لاسماء البلاد على الاجمال من قطع زراعية صغيرة الحجم للمستغل وفقاً لشروط الاستثمار المألوفة . هنالك في الجزائر ٣٩١٠٠٠ ملكية عقارية تنقص ابناء البلاد ثقل مساحتها عن ١٠ هكتارات ، ٧٠ بانافة منها لا يرسى لها الحياة ولا يمكن ان تأتي بفائدة في هذه الظروف المناخية التي تعرضها لرعاية التوسعية حتى الزراعة البطيئة ، ويبدو ان أقصا هن طيب الاراضي واسودها ، فقد اضطر الوطنيون ان يزرعوا ارضي فقيرة ، بحيلة المردود ، او اكثر ارتفاعاً عن سطح البحر ، واحياناً تقع على سمع مع ارتفاعات شديدة الاسعار يجر استثمارها إلى حطرت ثرية الثمرة . ان نصف سكان الريف في بلدان افريقيا الشالية هم عاطلون جزئياً عن العمل لعدم توفر الارض الزراعية لهم ، كما ان مكنته المزارع الكسرى عملية مزرعة لاصحابها .

فقد حُرِّت الحيازة حتى الآن الى قتل الملكية الصغيرة واقتضى استثمارها بدأ عامة رخيصة .
فلاقتال على الملكية الرعية قتل اليد العاملة وعرضها للروال والاستثناء هبها فملكنته تؤلف
خطراً كبيراً على طبقة الفلاحين وتهدد مصيرها في الصميم ، اذ تقضي على حركة السكان في
الريف وتحملهم على التزوح نحو المدينة .

فالجهد الذي بذلت عام ١٩٤٥ لتحسين طرق الانتاج في البلاد بفضل قطاعات النموذج
بالزراعة (S. H. R.) في الجزائر ، وبفضل قطاعات تحسين وسائل الانتاج (S. A. P.) في
المغرب ، وعلى مشروع الخطة الزراعية في تونس ، توجت كلها الى مكسة الزراعة وتجهيزها بالمتاد
الصناعي الحديث ، الا ان مكسة الريف ، منها كما في الولايات المتحدة الاميركية من قبل ، وفي
الاتحاد السوفياتي وفي دول أوروبا الشرقية لا يمكن الاخذ به أو مجرد التمسك به الا في صورة
عملية تصنيع سريعة ، والا نشأ عنها زمة استيعابية حادة . فقطاعات النموذج بالزراعة في
الجزائر لم تحسب سوى نتائج ضئيلة . فلم تكن تضم عام ١٩٥٣ ، سوى ١٠ بالمائة من فلاحين
البلاد ، و ٤٢ من مجموع الأراضي ، فليس من عجب ان يأتي مردود الارض غير وافي بالفرص ،
وقطاعات تحسين وسائل الزراعة في المغرب التي تعمل بها منذ عام ١٩٤٥ نضجت للمنظجات التي
تتوفر لديها التقاوي والاحتدة الفنية فوق حميات صغار الملاكين القديسة ، مما اثار معارضة بعض
المعمرين (الذين احدثوا بشهونها بالكولخوزات الروسية) وخشوا من فقدان اليد العاملة ، ولذا
حدث كثيراً من هجلا وغيرت كثيراً من قدرتها

بفضل تناقص معدل الوفيات ، اخذ عدد السكان في النمو
المشكلة الديموغرافية ونتائجها
سريعاً بمعدل ٥٠ الف في السنة ، في تونس وب ١٨٠ ٠٠٠ في
المغرب ومن ١٢٠ الى ١٨٠ ٠٠٠ في الجزائر ، اي ما مجموعه ٣٥٠ ٠٠٠ في السنة . فالمسلمون
زاد عددهم ٣٨ بالمائة بين ١٩٣٦ - ١٩٤٦ في الجزائر وحدها ، و ٢٥ بالمائة في تونس . وهكذا
قام في الاقطار الثلاثة الواقعة في شمالي افريقيا ٢١ ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة بمعدل التمرع عدم هو من
اعلى ما عرف العالم من امثاله (المغرب ٢ بالمائة ، وتونس والجزائر ١٥ بالمائة) . ان التوسع في
زراعة الكرونة ، هذه الزراعة الأوروبية في الصميم التي يكثر حولها القول والنظر ، ورواغة
الخصراوات التي تضاعف حجمها بين ١٩٣٨ و ١٩٤٨ في الجزائر وفي تونس ، والتي زادت في
المغرب عام ١٩٤٨ ، ١٥ ضعفاً عما كانت عليه عام ١٩٢٠ ، قد خفضت كثيراً من مساحة
الأراضي الموقوفة على لزراعات الاستهلاك لدى المواطنين . ففي الجزائر وحدها اكثرت من
١ ٥٠٠ ٠٠٠ أسرة لا رضى لها ، والمساحة المزروعة لا تزال آخذة في التناقص بالنسبة للفرد
فيما كان يصيب الجزائري المسلم ١٥ ١٨٧٢ ، ثلاثة وثلاثين آراً من الأراضي الرابطة ، مبط
هذا الرقم عام ١٩٥٢ ، الى ٢٤ آراً . ان اتساع الاراضي الزراعية التي تكلف عمليتها غالباً م
تكن لها اهمية تذكر بالنظر لضعف الطاقة الشرائية لدى الطبقات الشعبية التي لا تشجع قط
المزارعين على الانجاء نحو هذا النشاط . واخيراً وليس آخراً ، الاستثمار الواسع البطاق عندما

تم الزراعة الاجهزة الميكانيكية اللازمة لها وتجري على اصول المرحية ، واحبياء الاراضي البور او الموات للزراعة من قبل ابناء البلاد الذي يعيشون لهم هن اراضي زراعية جديدة قد يمر الى تراع الاراضي المرحية وان ترمية الارض وتاكلها نتيجة حتمية لهذه الطريقة . فهاهي كل اقريقيا الشمالية ، تعمل الآن على ارسال تربتها نحو البحر ، لا سيما المناطق الجبلية فيها حيث يتكاثف عدد السكان ، كما هي الحال مثلاً في منطقة القبلي الصغيرة . ويقدر رتبة دومون ان عوامل ترمية الارض في السنة تفقر البلاد ما مجموعه ٣٥٠٠٠ هكتار من الاراضي الطيبة . فكل يوم يمر تحسر الجزائر فيه ما يساوي ١٠٠ هكتار من الاراضي الزراعية ويزيد هذه البطون التي يترقب ملؤها ٥٠٠ بطن في اليوم الواحد .

البؤس بين ابناء البلاد وهذا الاختلال المتزايد كل يوم بين عدد السكان وبين تخصيص مواردها الطبيعية عن تأمين اوده العيش لهم يرداد حرقاً . ففي منطقة الساحل وهي اكثر مناطق تونس خطراً ، كما يؤكد ل. شقاليه ، ان حشر سكان هذه المنطقة من اهل البلاد الاصليين يعيشون بيسر سيئاً ، بينما ١/٣ السكان هم في وضع وسط ، ونصفهم في حالة فقر وحشرهم يوسف في بؤس متفجع ويعيش على الاحسان والصلاقات . ومنذ عام ١٩٣٥ كانت المجاعة من هذه الاوبئة التي تكون دوماً خطراً يهدد البلاد . ففي كل سنة ياترب على البلاد ان تستدري القمح والشعير والارز لتتضمن اعسالة السكان المعوزين . ان مستوى العيش متدن جداً . وكان من يتصرف من افراد الشعب عام ١٩٥٣ ، اربعة آلاف فرنك في الشهر ، كانت من اصحاب المخلوط . فبينما كان تحت تصرف كل مواطن ، عام ١٨٧١ ، خبزة قدامية من الحبوب لاستهلاكه السنوي ، لم يعد لديه في سنة ١٩٠٠ ، سوى اربعة ، وهبط هذا الرقم الى اقل من ٢٫٥ بالمائة سنة ١٩٤٠ . وعلى هذه اللبسة فس ايضاً تونس حيث الامكابة تقى ضمن هذه الحدود ، وتأتي فوق هذا الحد بقليل في الغرب . كذلك نقصت ايضاً المواد الغذائية الاخرى : كالبزيتون والتين والتمر والبقول المجففة والماشية . ان ١/٣ السكان صرومون علماً من الحليب والقمح والبيض والمواد النعنية الجيدة . وهذا النقص التزريع في المواد الغذائية كان القاعدة العامة التي تحيط بالسكان قبل الحرب العالمية الثانية . ولعل خير مثل لهذا البؤس الذي يتسكع فيه السكان هو وضع القبلي الكبرى حيث تبلغ كثافة السكان ٢٤٠ واحيداً ٤٣٠ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد .

ان قضية تون نصف سكان القبلي بالمواد الغذائية في عام ١٩٤٥ ، لم تكن من الامور الماردة على الاحلاق . ان هؤلاء الاناس يتألف من طيعين البؤس الذي كثيراً ما يجرى خلطه بقشر البؤس بعد قشعها . ففي قرى القبلي القليلة في الجبال ، هذا الطحين الاسود المروج بادة خشبية هو الذي تفسط ربة المنزل لتفقيه طرال التها كوجبة رئيسية للأسرة . ان قطعة من الطينة المصنوعة من هذا الطحين وبعض اطراب من التين المجفف ، يكون اسس الغذاء الذي تقدمه لاسرتها ، (كما يؤكد لويس شقاليه) .

فالتقص في التغذية يسبب الضعف للفرء والحوزال كما تثبت ذلك النتائج التي ادت اليها الاعان فلي مقاطعة قسنطينة عام ١٩٣٩ ، كان ٢٦٪ فقط من الذين تقدموا للكشف الصحي اعتبروا

صالحين للخدمة . واللامساواة بين أبناء البلاد و لاوروبيين تبرز في كل المجالات والقطاعات . وقد اظهرت لجنة ماسبيول سرس توزيع الدخس القومي في ليجرائر ، ان دخل الاسرة الاوروبية السوري يتابع ٢٤٠ ٠٠٠ فرنك ، بينما هو في الاسرة الجزائرية ٣٠ ٠٠٠ فرنك ، ويهبط الى ٢١ ٠٠٠ فرنك في السنة عند ٦ ملايين من الفلاحين . وفي المغرب كلت ٣٦٠ ٠٠٠ فرنسي يصيبون ١/٢ الدخل العام ، ويتقسم ٧ ٥٠٠ ٠٠٠ مغربي الثلاثة اخصاس الباقية ، فيكون دخل الفرد الواحد اقل من ٣٠ ٠٠٠ فرنك في السنة ، أي ١٦ مرة اقل من دخل الفرنسي . وعدم المساواة هذه بين شقي السكان تبدو اكتر بروزاً ووضوحاً في مجال التعليم . فبينما ولاد لاوروبيين الذين هم في سن الدراسة واولاد اليهود كلهم يذهبون الى المدارس ، فالولاد لاسر الاسلامية من هم بين ٦ - ١٤ سنة ، يذهب ١٢٪ منهم الى المدرسة في تونس ، و ١٥٪ في الجزائر ، لعدم توفر الابنية المدرسية والمدرسين . ان ولداً من اصل ثلاثة من اولاد الاوروبيين يذهب الى المدرسة الثانوية ، بينما يرى صالاً واحداً من ١٢٥ طالباً من اولاد الاسر الاسلامية يتلقى تعليمه فيها .

والتمنيع يبدو الوسيلة الوحيدة لحل المشكلات الحادة التي يشهدها الوضع الديموقراطي في البلاد . وقد جرت اول محاولة من هذا القبيل عام ١٩٤٠ عندما صبح من لتعدد جداً استيراد مواد البناء والاقمشة والسكر والمواد الاستهلاكية المصنوعة العادية التي لم يكن احد منها يُصنع محلياً . ففي هذه السوق التي اهدمت فيها كل منافسة هربية ، تم اشاء عدة صناعات لم تلت ان ضاقت امامها شروط العمل عندما امكن استئصال العلاقات التجارية مع الخارج . وقرّوس الاموال الوطنية تستثمر بالاحرى في شراء الاراضي والعقارات السكنية . فلاستثمارات الكبرى جاءت من الخارج كما توجهت الى افريقيا الشمالية صناعات فرنسية ، واستثمرت اموال اميركية في مناجم وليجة بحثاً عن النفط . وحركة التصنيع هذه اعاقها فقر البلاد لمصادر الطاقة . فالنعم الموجود الى الجنوب من وهران لا يمكن استغراحه الا عن طريق مساعدات مالية ويغى اعلى سعراً من النعم المستوردة .

التخطيط الاجتماعية الجديدة

كان من بعض نتائج الاستعمار في هذه البلاد ان دمج نشاط بعض القطاعات في حياة العصر الاقتصادية ، وبذلك خرج هذا النشاط عن الطوق القبلي البدئي ، ان توطين القبائل في المناطق المحددة لها بكل دقة ، والانتقال بالبلاد من نظام الملكية المشتركة الى الملكية الفردية ، والتمويل على الاقتصاد النقدي في هذه المناطق بالذات التي عرفت بانطوائها على نفسها ، كل ذلك ساعد على تطور الروح الفردانية كما زاد في اللامساواة الاجتماعية المترتبة . فالقبائل الموحدة في الجنوب تنجزاً وتفتتت الى أسر بائسة عجزت عن التحضر والاستيطان لانقارها لموارد ضخمة من الآبار الارتوازية هي بحاجة ماسة اليها . وسكان الجبال الذي يخضعون لموجبات الظعن والانتقاص بطور ، للحد من ظمهم ولزج الوديان التي يتبعون فيها ، والبدر الرحل في القياقي اصطروا هم يضاً لاستثمار اراضيهم المعرضة دوماً للجفاف ، واصحاب الحرف ولبن الصغيرة في المدن تعرضوا للخراب

من جراء منافسة الحاجيات لمصنوعة لهم . هذه التغيرات والتسيلات التي وفرت اسبابها حالة الحرب ، وأعمال الرشوة ، كل هذه العوامل ساعدت الأعيان ووسومها ان يزيدوا كثيراً من ثرائهم ونفوذهم ، ووسعوا املاكهم على حساب صغار الملاكين بعد ان اضطروهم للتخلي عن اراضيهم . وعلى قرار ما جرى في بلدان الشرق الاوسط نرى رؤساء القبائل الضاربة في القسم لاوسط من جبال الاطلس مثلاً التي كانت آخذة بالاستيطان في هذه المنطقة ، اقتطعوا لأنفسهم مساحات واسعة ، وقد استطاع بعض التجار من سكان المدن ان يجمعوا ثروات طائلة وحدث في الوقت ذاته انحطاط اقتصادي شعري طائفة من الاخص سكان المغرب وسكان تونس وهذه الطبقة النورسوزية التقليدية المعروفة في المدن التي تلقت ثقافتها في المعاهد الثانوية الفرنسية والتي تطبعت بالطباع والمعدات الغربية . الا ان صعوبة ثقافتها لم تكن لتساعد على منافسة الغربيين . ومن هذه الطبقة بالذات ، ظهرت الاطراف والملاكات التي تنظمت الحركات الوطنية .

برونيتاريا المدن
في المدن تضخمت البرونيتاريا بأعداد ضخمة وذلك بعد ان ضاع عشرات الالف العمال الغربيين القبائل التي ينتمون اليها وولوا الى المدن كما كشف عن هذا كله الاحصاء الذي جرى عام ١٩٣٦ وبين الخطر الذي يمكن تحت هذه الظاهرة التي ستشهد وستطور مع كل اشتغال يطرأ على الوضع الاقتصادي في البلاد ، ومع كل جماعة او حلفاء يشهد بها . وهذه الألف المؤلفة توحى عن مقاطعات جرداً والمزاد والقبلي ومقاطعات بربر توارس الى الشمال من فسان ومن منطقة الربيع الشرقي ومن المنطقة الغربية في جبال الاطلس الغربية ومن سهل صوصة او انني اطلس ، ليمسوا بضعة اشهر في المدن ليوفروا من اجورهم ما يسمح لهم بتسديد الضرائب المترتبة عليهم ، واشراء الحاجيات المصنوعة ولا سيما الالبسة والمواد الغذائية لعاثلاتهم . وهناك نحو ٢٠ بالمائة من هؤلاء النازحين يهاجرون كما يهاجر عدد من النساء ايضاً ، فيتجهون في مجرتهم هذه الى فرنسا التي تستقبل ٣٠ ألفاً من المغاربة ، و ٣٠٠.٠٠٠ من سكان القبلي ليمسوا بما يوفرون ، المتقاعدين في الديار وهدم لا يقل عن ١٤٥٠٠.٠٠٠ نسمة . وفي سنة ١٩٥٠ ان ٦٧ بالمائة من متوسط الدخل في القبلي كان يأتي عن طريق الهجرة كما ان ٣٣٪ لا خير كانت موارد المنطقة تؤمنها لهم . والذين يبقون في البلاد ، كانوا يحتشدون في المدن و يتكدسون في هذه الخيميات الضخمة او في هذه التناشيب التي تكاثر مثلاً في ن مسبك التي تعد ١٥٠.٥٠٠ نسمة عند مداخيل الدار البيضاء او في هذه القرى السوداء ، القاعة في اراض مشاهية بالقرب من تونس وعداة ومدينة الجزائر او في المدن الساحلية في المغرب التي تضاعف سكانها في خلال عشر سنوات ، او في الدار البيضاء التي زاد عدد سكانها ثلاثة اضعاف هي الاخرى . وهذا المزيج نحو المدن ادى الى تعطيل أطر الحياة التقليدية وارتدت مع الحياة المائلية طابعاً جديداً يختلف عما كان لها من قبل : لا استقرار في الحق والحياة الداخلية في الاسرة مهددة بالمطب والخطر لاضطرار رب الاسرة للتغيب عن منزله بحثاً له عن امر طيب كما سـ امراته تعمل في الاخرى في ما يريد من دخل الاسرة ، وتصبح بالتالي اكثر استقلالاً عما كانت عليه ، مما ادى الى تكاثر حوادث الطلاق والروابط غير المشروعة .

وبالرغم من هذا التعبير العميق ومن اقبال الناس على ارتداء الملابس الداخلية الغربية الطرود، والتطور الذي حراً على المسكن والاثاث واسباب اللهو وكلمة الكورة والاقبال على رياضة العدو وركوب الدراجة ، والاقبال على حضور السينما ، فتأثير الشرق على الناس بقي قوياً كما بقي مسيطراً، كما ازداد قوة واثراً من طريق الصحافة والمسرح والراديو، هذه الاختراعات ووسائل الاتصال الحديثة ، التي تفلعلت بين سكان المغرب الأقصى مع التيسر الثقافي والدعوة الحزبية والجهود التي قام بها علماء الدين لتنقية الاسلام من الشوائب التي لحقت به متجبهة لمحاربة الجمعيات والاسويات الدينية ثم تحف من حدة هذا النموذ ، والنخف من استعصام الدين ومراسمه في المدن ابقى الروابط الدينية والشعور الديني قوياً في النفوس ، اطلت فجأة على البلاد جمعيات دينية جديدة وروايات كما بنات كتابات قرآنية يأخذ فيها الصغار باستظهار القرآن فالحضارة الاسلامية في المغرب قوية ناشطة ولم يمد هذا المغرب بشعر ان اشقاءه تخدوا به او انه لا يزال معزولاً عن باقي العالم الاسلامي . وبلعاً زعماء الحركة الوطنية الذين يتعرضون للاحقة السلطات انى القاهرة فيتلغون من العون المالي والادبي ، ومن القاهرة تنطلق الدعوة للجهاد ضد السلطة المسيطرة على البلاد .

فتح الجرائر ونوس الذي تم منذ عهد بعيد ، انتهى في نجاح الحركات الوطنية
المغرب ، عام ١٩٣١ . منذ عام ١٩١٤ ، لم يضطرب الامن في هذه البلاد بصورة خطيرة لا خلال الحرب التي شنها زعيم لريف المغربي عبد الكريم ضد اسبانيا اولاً (هزجة اوال عام ١٩٢١) ، ثم ضد فرنسا ، عام ١٩٢٥ . ووقع اول انفجار وطني في هذه البلاد ، عام ١٩٣٠ عند نشر الطوير الشريفي حول قضاء العرب ، الذي رأى فيه الرأي العام الاسلامي محاولة لتجريد المغرب من الاسلام الذي هو قلب ، وماصرة الحركة التشيعية التي تقوم الكنيسة الكاثوليكية بها في هذه المنطقة .

وفي هذا الوقت بالذات نشطت للعمل ونشأت الحركات الوطنية الثلاث السني لمجاهدات بعضها البعض ولو في الظاهر ، مدة طويلة ، من جراء هذه الحواجز الادارية التي اقامتها السلطات الفرنسية في البلاد ومن جراء هذا الثنائ في الاوضاع السياسية انتهت باقامة علاقات وطيدة فيما بينها . وبوصفها « فرعاً من الحركة التحررية الشاملة المضادة للغرب هذه الحركة التي اطلقها الملك الاوروبي نفسه في البلاد » ، كما جاء في لسان ج. دي مونتي ، فهي تنقسم في كل قطر من هذه الاقطار الى زعتين رئيسيتين . الاولى دينية ، رجعية محافظة في المجال السياسي والاجتماعي ، تتمثل في نوس هي حزب الدستور القديم الذي تأسس عام ١٩١٨ ، وفي الجرائر يجمعيه العلماء ، وبالرابطة الاسلامية الذي اسسها الشيخ اس باديس (١٩٣٦) ، وفي المغرب ، وفي جناح اليمين من الحزب الوطني . واساس هذه التفرقة هو الشعور الديني الذي لمحيش به الجماهير الشعبية ، وتشجب الروح القربية وتوصي باحياء التقاليد العربية وتطالب بالاستقلال الوطني ضمن حله شامل يضمن الدول العربية . اما التفرقة الثانية فهي التي طبعها هذه المحبة التي تلقت

تطعيمها في المعهد الفرنسي الكبري والتي تطالب بوطن مستقل على النمط الأوروبي ، وتمثل في حزب الدستور الجديد الذي أسسه بورقيبة عام ١٩٣٤ ، وبحزب الشعب الجزائري (P P A) ، والحركة التي تطالب بانتصار الحريات الديمقراطية (M T L D) ، التي سبها مصالي الحاج عام ١٩٣٥ والتي تطالب باستقلال الجزائر ، وبالجماع اليساري في لجنة العمل المغربي . والفكرة القومية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالفكرة الدينية والشعور الديني العميق لم تلت ان تخطت الاوساط الفكرية . وقد وجدت لها العديد من الانصار في اوساط اصحاب الحرف والمهن وفي الاوساط البروليتارية في المدن ، ولم تكن ان انصلت بالجماع الرئيسية . وهذا الشيوع والانتشار السريع انما جاء نتيجة لهذا التوجه السياسي والمادي الذي وقع في كل من هذه البلدان وهو من صنع الادارة الفرنسية والنظرية الاقتصادية الحديثة ، والتفسير الجبردي الذي طرأ على المجتمع التقليدي الذي اكثر من اقتصاداته ووطئ من علاقاته مع باقي احرار البلاد . وعملت الصحافة والراديو والسينما على تنشيط بقضة الرأي العام ، كما ان سهولة الاتصالات والاسفار ساعدت هي الاخرى على ذلك .

فحركة الجمع التي قامت بها السلطات في كل من تونس والمغرب عام ١٩٣٧ و ١٩٣٨ وفشل المشروع الذي تقدم به بلوم وفبولت عام ١٩٣٩ الذي اقترح الاسد بسياسة تمثل البلاد سياسياً والتخفي عن التدخل في ما يتعلق باحوال المسلمين الشخصية لاهل البلاد ، والحظر الذي وقع على الحزب الجزائري المعروف P P A عام ١٩٣٩ ، كل هذا أدى الى تقوية جانب الزعماء الوطنيين امثال مصالي الحاج وبورقيبة وعلال الفاسي ، ومهاجمة نظام الحماية ومقاومتها التي تتمثل في تونس بشخص الهادي منصف فسنر بعد ان جرى سحله وإسقاطه عن الحكم عام ١٩٤٣ ، في هذه السنة بالذات التي نشر فيها فرحات عباس « البيان الجزائري » ومشروعاً عاماً للإصلاح ينص على قيام دولة جزائرية لها دستورها الاساسي ونظامها الخاص ، وعمل في اثر ذلك على امشاء « جمعية استفتاء البيان والحركة » التي تطورت فيما بعد واصبحت ، عام ١٩٤٦ ، « الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري » (U D M A) ، الذي انضم اليه عدد كبير من اعضاء الحزب الشعبي لجزائري القديم . وفي سنة ١٩٤٣ ، ظهر في المغرب حزب الاستقلال الذي اخذ يطالب باستقلال المغرب . والفئة التي قامت في مقاطعة فستطسة ، عام ١٩٤٥ حري قعها بقسوة كلية ، وفي عام ١٩٤٧ ، ظهر « النظام الاساسي لجزائر » ، وفيه ابتعدت الحكومة عن سياسة التمثيل والاستمرار ، واعطت الجزائريين نظاماً لامركزيّاً موسماً مع مجلس تشبهي جزائري له صلاحيات واسعة ، ينتخب على دورتين يشترك في الاولى ٥٠٠ ٠٠٠ فرنسي اوس لف منهم ، ويشترك في الثانية مايقونان من المسلمين . الا ان هذا النظام لم يعمل به فقد . وقد عطب ذلك احراراً ورجية تنبذت المقاطعات الثلاث ادت الى توقيف عدة الوف من الجزائريين في اثر المظاهرات الوطنية التي وقعت في البلاد .

استقلال تونس والمغرب وروح يناهض المطالب الاستقلالية ومشاريع الإصلاح ،
 والمواطنون الفرنسيون ، في شمالي إفريقيا : كالمعمرين والموظفين
 والتجار وهذه « النخبة » التي لا قاعدة شعبية لها ، الذين يهيمنون على المراكز الرئيسية في
 الإدارة والحياة الاقتصادية ، مع ثلوث موقوفهم : فرجال الصناعة والتجار هم على الأجمال أقل
 دعماً من المعمرين لهذه التغيرات ، الذين يستقلون رخص اليد العاملة ، وكبير الموظفين الذين
 يعتمدوا أعمال الإدارة التي لا رقيب عليها كما ألفوا « الروح الأبوية الصلبة » التي لا تتحمل
 المتناقضات ، و « هؤلاء البيض الصغار » المتمثلين بصغار الموظفين والمستخدمين الذين يجمعهم حدأ
 الاحتفاظ بوضع قانوني يميز بينهم وبين أبناء السلال الذين لا يثيرون تفوقهم العددي وذهنية
 « البيض المساكين » التي عرفتها أميركا الجنوبية من قبل ، تفسر الهجمات التي تعرض لها المقيمون
 العامون والحكام المنحون بمآلاتهم المشاريع الإصلاحية ، ومذكرات لفت النظر إلى « المحافظة
 على النظام » ، أي لاستمارة بالتدابير العسكرية والبوليسية والقتل الذي استهدف له فرصات
 حشاد عام ١٩٥٧ ، ولوميفر دوبروي عام ١٩٥٤ . وهذه الشدة هي وراء المثل الذي أصيب
 به النظام الأساسي الذي وضع عام ١٩٤٧ للجزائر ، وهو حادث خضير الشأن أوحى للوطنيين
 الشعور بأن وعود الإصلاح التي قطعت لهم إنما هي وعود عرقوبية وإن لا أمل لهم في الاعتماد على
 فرنسا .

وبين هذا الموقف يقفه الفرنسيون في شمالي إفريقيا يشد من أزرم الفريق المحافظ من الرأي
 العام الفرنسي ، وبين الرغبة في الوقوف إلى جانب الوعود الممنوعة للوطنيين أخذت الحكومات
 تتردد وتتمهل ، على أن صحت في نهاية الأمر بالحكام المصلحين (أمثال شاتينو ، لا يون) ، وترك
 الحرية لكبار الموظفين المدنيين والعسكريين والتجبراء المختصين بشؤون إفريقيا الذين أوصوا
 بانتهاج سياسة الشدة ، كالترقيف وتمشيط المنطقة وإعلان حالة الطوارئ ، وفرض الرقبة على
 الصحف وإنشاء مجبات الاعتقال وتزوير الانتخابات بالرشوة والضغط الإداري مما أدى إلى
 تفاثر الاصرارات والمظاهرات المعارضة وخيراً محاولات القتل والتعريب والوصول إلى توحيد
 الاقطار الثلاثة وهي فكرة لم تكن لتخطر على بال أحد قبل ذلك بمصع سنوات . وقد بلغت
 هذه السياسة قروتها من العنف عام ١٩٥١ - ١٩٥٣ عندما وقع العلابي ، باش مراكش ،
 موقفاً ممادياً على لمكشوف ضد السلطان ، وبالتواطؤ مع الإدارة ، سارت قتال البربر بالجماء
 مدينة قاس والرباط لفرض خلع السلطان سيدي محمد بن يوسف .

وراحت الحركة الوطنية في المغرب وتونس تنهم فرنسا بتحويل نظام الحماية المخروص على
 البلاد إلى نظام حكم مباشر ، وذلك « بإنشاء إدارة مراقبة مباشرة في جميع المراحل وخلق
 إدارات جديدة استندت أعمالها إلى موظفين فرنسيين » ، كما اتهموها بتدخل المعمرين الفرنسيين
 بشؤون البلاد لداخلية عن طريق المرف الاقتصادية والجميات وغير ذلك . ولناداة بأن عرفة
 سلطاناً من قبل الفرنسيين دعى حركة مناهضة نظام الحماية ، حسده الحركة التي امتدت إلى

الجنوب من البلاد ، الى هذه المنطقة التي تعتبر « الاقطاع » الخاص بالفلاوي ، وامشدت الثورة الى قلب هذه القبائل التي كان يُظنّ فيها انه طرّح بشأن السلطة ، ثم انقلاب الفلاوي باشا الذي انضم للسلطان المخزوم مما أدى الى عودته منتصراً الى البلاد ، والى اعتراف فرنسا « باستقلال المغرب ضمن ارتباطه بفرنسا » وذلك في تشرين الثاني ١٩٥٥

وفي تونس يمكن تطبيق بعض الاصلاحات الموهودة بحيث ابرزت الشخصية التونسية مؤلفة بذلك مرحلة نحو الاستقلال الداخلي مع مجلس نيابي منتخب . الا ان « الجمعية الوطنية التونسية » بقيادة حزب الدستور الجديد ، اعتبرت هذه الاجراءات غير كافية ، وقام الفلاقة بمناوشات هامة في منطقة الكاف ، وقد امتدت الحركة التي عُدت بضعة آلاف من لانصار حتى بلغت حدود الجزائر ، الامر الذي اضطر معه مندوبين فرانس ، رئيس مجلس الوزراء في فرنسا الى اعلان استقلال البلاد الداخلي والدخول بمفاوضات مع الحكومة الجديدة التي تألفت برئاسة بورقيبة بعد ان اخرج عنه في فرنسا واختلفت له حريته . وفي آذار ١٩٥٦ ، تم الاعتراف رسمياً بدولة تونس ، فألغت لهاكم التشريعية ، كما ألغى فيها تعدد الزوجات . وفي تموز ١٩٥٧ ، تم إلغاء الملكية ، واعلنت الجمهورية في البلاد

وفي الجزائر اخذ نشاط الفلاقة يمتد في هذه المنطقة الواقعة بين سوق الاحراس وتيسة لتتصل بجبال الاوراس ومنها الى مقاطعة قسطنطين وكل المنطقة المجاورة لها . وقد كان لعلان « حالة الطوارئ » ، وفرض لمراقبة وللمبليات للترقيف بالجهة ان سمحت الحياة الفاضلة بين المتمردين الفرنسيين ومسلمي البلاد حتى المتدلين منهم . والاعضاء الجدد الذين جرى انتخايم في الدورة الثانية رفضوا رفضاً باتاً كل فكرة بالدمج ، ولقي الثوار ترحيباً حاراً في الاوساط الشعبية التي توطأت معهم ، واستنوا مساطق غير مأمونة رادت وقعتها اساعاً بالرغم من وجود جيش قوي وحركة القمع المنيعة التي قام بها . ولم تلبث ان قامت بين الجهتين حرب فعلية شاقة ودامية اضطر معها الجيش الفرنسي الذي تألف من ٤٥٠,٠٠٠ جندي ان يواجه وحدات نظامية لها برتها الرحيمة وتجهيزاتها واسلحتها الثقيلة ، مدربة على الهجوم المساجيء وعلى التسلسل والتي بالرغم من الحسائر الكبيرة التي تكبدتها ، بقيت تنمو وتزداد وتزيد من قوتها . وهكذا طالت الحرب وامتدت ، كما انت رفض المتمردين ومن بعدهم انصار جبهة التحرير الوطني الى مشروع قانون برباج يومى الى اعطاء الجزائر نظاماً جديداً اعتمد كل امل بالوصول الى اتفاق بين الطرفين . وفي اثر قصص القرية التونسية ساقية سيدي يوسف بررت امكانيات تدويل الحرب الجزائرية ، كما ان المؤتمر الذي عقد في صمعة بين ممثلين عن حزب الدستور الجديد وحزب الاستقلال المغربي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية شدد على توحيد المغرب بضم اقطاره الثلاثة . وقد تمرد صباط الجيش والمساكن الناشطة في الجزائر في ١٣ ايار ١٩٥٨ ضد سلطة حكومة فلان التي اتهموها ببده المفاوضات مع المتمردين .

ان استقلال الجزائر لم يعترف به نهائياً الا في تموز ١٩٦٢ ،
 القربى الشابة منذ الاستقلال
 وبذلك وضع حداً للمعارك التي غطت البلاد بالنساء منذ ثمانى
 سنوات . وقادت القوى الوطنية الحرة الحرب وفقاً للبادئ والنظريات الجديدة لحرب
 المناوشات . وتلقت المساعدات المالية والمادية من قبل الدول العربية والاسلامية كما حظيت
 بحطف الامم المتحدة ، ويمطف عدد من الدول أحد يتزايد يوماً بعد يوم ، كما تقوى بالولاء الذي
 لقيت من قبل سكان البلاد الاصليين . وبذلك استطاعت ان تجند الجيش الفرنسي الذي يتفوق
 عليها بكثير من حيث العدد والمعدة والتسلح ، والذي لم تسفر الاقتصارات التي حلقها عن
 نتائج تذكر . والى هذا الصراع الذي قام بين الجيشين ، قام صراع عنيف لا هوادة فيه ولا راحة
 تخلتها اعمال إرهابية حوت الى حوادث متفامية قامت بها وحدات البوليس والمنسحقون
 لاوروبيون اتخذت طابعاً وحشياً لا مثيل له جرت وراءه الخراب والدمار والارت الفخاش
 والاحقاد . وهكذا شهدت البلاد تطورات عميقة الجذور . ازدياد مدعش لعدد السكان في
 المدن بعد ان حمت البلاد موجة من نزوح سكان الريف الذين همروا مساكنهم بعد ان اضطرب
 حمل الامن في البلاد . وانشاء مراكز تجمع ، خاضعة لمراقبة الجيش الفرع منها عزل
 الفدائيين الجزائريين ، وذلك بمحشد سكان الدوار في قرى اصطناعية . وهكذا رأينا احصاء من
 ٢٠٠٠٠٠ من سكان الريف (اي جزائري واحد من كل اربعة جزائريين) وجدوا انفسهم
 عام ١٩٦٠ محشدين على هذا الشكل ، بعيدين عن ماكن سكنهم وهذا الاقتلاع الذي لم
 يسبق له مثيل من حيث الاتساع والشمول ، غير كثيراً من هادات اللقوم واخلاقهم وقلب رأساً
 على عقب عط العيش الذي ساروا عليه ابا عن جد كل يوم . وذلك باحداث تغييرات في العلاقات
 بين الرجال والنساء والاولاد بعد ان ارغموا على العيش معاً في هذا الاختلاط والبطالة القسرية ،
 بعد ان تركوا حائناً الاعمال الزراعية واهملوا اراضيهم الامر الذي قتل اقتصاديات البلاد حكماً
 قسى على المجتمع الريفي وزاد من تفكك الاخلاق والشقاء .

والاستفتاء الذي جرى في ٨ كانون الثاني ١٩٦١ والذي اعطى بين ابناء البلاد وبين
 المستوطنين الفرنسيين اكثرية تمجد حل القضية الجزائرية على اساس « حرية تقرير المصير » اوسى
 للاوروبيين المستوطنين في الجزائر فكرة صحيحة من العزلة التي تنتظروهم وتبينوا ان كل الاحمال
 التي عقدوها بفرع ارادتهم الاخيرة على البلاد كما تم لهم عام ١٩٥٨ ، قد ذهبت ادراج الرياح .
 وقد عقب ذلك موجة من العنف الذي لم يستق له مثيل لا سيما بعد الثورة التي اعطتها للقواد
 الارمسة والتسرد الذي قاموا به ضد الحكومة الفرنسية ، بما ادى الى قتل وتغليب عدد من
 الجزائريين قام هؤلاء باعمال ماثلة للنار من صحايم ، في مجازر بشرية عموية اشرك فيها حتى
 الاولاد . والمفاوضات سرية اولاً ثم علنية بين الحكومة الفرنسية ومثليين للجزائريين في ايطيان ،
 ادت في ١٨ آذار الى اتفاق وقف اطلاق النار دون ان يضع حداً لاهمال العنف والتشكيل واعلن
 المتمردون الفرنسيون سياسة الارض المحروقة ، وساروا ان يوجدوا مركز مقدومة في الاحراج

والغالبات كما حاولوا القيام بمحركات انقلابات نظمها فدائيون . والاستفتاء حول تقرير المصير المأخوذ
الفرصة أمام الحكومة الفرنسية لإعلان استقلال الجزائر في ٣ تموز في الوقت بالذات الذي نشأت
فيه أزمة حادة في قلب جيش التحرير خرج منها بن بلا منتصراً . والجزائر تؤلف إذ ذاك بلاداً
مبهوكة قضت الحرب فيها والأعمال العسكرية على مئات الألوف من سكان البلاد ، كما أن
المستوطنين الأوروبيين كانوا قد غادروها إلى فرنسا في بضعة أسابيع ، في هذه الموجة العارمة
من أعمال العنف والسلب ولم يبق فيها سوى ٢٠٠٤٠٠٠ منهم مع العلم أن كل العناصر التي تكون
الاطر الإدارية والتقنيين والمدرسين كانوا غادروا البلاد ، وسادت أعمال القسوة في جميع
أطراف البلاد ، كما أن رمه جيش التحرير كانوا على وشك حرب أهلية فيما بينهم .

أقرت الحكومة الجديدة دستوراً حديداً وراحت تحاول إعادة تنظيم البلاد على مبادئ
الاشتراكية . قامت لاملاك الشاغرة وعدداً مهماً من المشروعات الرئيسية كما صادرت جميع
املاك المرحمين الأوروبيين ، وأنشأت لجاناً صغيرة لإدارتها وبدأت تقاوم فرنسا التي لم يكن
بد من مساعدتها ، مالية ولتقوية ، ولأجل الوصول إلى اتفاق حول ترسيم وحدت العيش
الفرنسي الذي غادر البلاد هائياً في حزيران عام ١٩٦٤ . وهكذا تم الوصول إلى اتفاقات لتنظيم
مساعدة فرنسا المالية والتقنية واستثمار نفط الصحراء الكبرى

وقد توصلت كل من الحكومة التونسية والمغربية إلى عقد اتفاقات مع فرنسا لإخلاء البلاد
من الجيش الفرنسي واستعادة الاملاك التي كان يستثمرها العمرون . وقد أدت الساحة
الاستبدادية التي مارسها رئيس الحكومة في كل من هذه الأقصر إلى قيام معارضة في وجهه ،
وهي معارضة بقيت عاجزة في وجهه أبو رقبة في تونس لأنها كانت اعنف واشد نشاطاً في وجه
الملك حسن الثاني ، تمثلت على الأخص في الحزب القوي الشعبية وحزب الاستقلال . أما في
الجزائر فقد انتصرت المعارضة في الانقلاب العسكري الذي قام به العقيد هواري بومدين وأدى
إلى قلب بن بلا وإبعاده عن الحكم في (حزيران ١٩٦٥) .

وقد أدى هذا الصراع ككل الحركات الوطنية التي وقعت في القرنين التاسع عشر والعشرين
إلى توحيد ممثلي كل الأحزاب وكل طبقات الشعب في هذه الحركة المشتركة لتقرير المصير الذي
يؤمن استقلال البلاد وسيادتها . و وراء القضية السياسية تكن قضايا ومشكلات أخرى أهمها
المشكلة الاقتصادية التي تعاني منها كل البلدان المتخلفة : فكيف السبيل إلى تأمين أوطان الميش
لهذه الجماهير السائسة ، وهي نفس القضايا التي اعترضتنا في معرض الحديث عن أقطار جنوبي
شرقي آسيا التي فالت استقلالها منذ عهد قريب

التوصيل الختامي

تطور أفريقيا السوداء

نضع هذا القسم من أفريقيا الواقع جنوبي الصحراء ، هو الآخر لتطورات عميقة ارتسمت معالمها في الاقن خلال السنوات الخمس والعشرين لاختيرة وذلك بتأثير مزدوج من الازمة الاقتصادية التي رزعت بكل ثقلها على البلدان ذات الاقتصاد السريع للعطب ، ومن الحرب العالمية الثانية ، غيرت أوضاعها وبذلت من طروءها وصروءها ، وأوجدت فيها تورا عتيفا اشتد بين الدول المستعمرة والبلدان الخاضعة للاستعمار التي راحت تتطلع الى السيادة والاستقلال. فأثار ذلك امام الاولى منها مشكلات ومصاعب معقدة كان من العسير عليها حلها بعد ان ايقنت ان ليس أمامها من بلدان تستثمرها وتستغل خيراتها سوى القارة الأفريقية .

١ - تطور الاقتصاد والمجتمع

والسرعة التي تماقت فيها هذه الحوادث يجب ردها في الدرجة الاولى الى حدة التنافس الاقتصادي بين الدول الأوروبية على استثمار خبرات امكانياتها الاستثمارية ومواردها الطبيعية ، والى استنطار الرأسمالية التي أسست الى استنطارها، الناحية عبر البحار فرأت ان تشمل حائنا من هذه الاموال التي كانت تستثمرها من قبل في آسيا الجنوبية الغربية ، في أفريقيا ، واخيرا الى ازدياد الاتصالات بين الأوروبيين وسكان البلاد الاصليين .

يسرت هذه المواصلات ولانت بعد ان تكثر عدد الأوروبيين طرق المواصلات وانما
الذين استقروا عبر البحار مع اسد باقي ضعيفا نسبيا : ففي
مياالامدا ١٠٠٠٪ وفي أفريقيا الشرقية الاسكليزية ٣٠٪ ، وفي أفريقيا الشرقية الفرنسية ٤٦٪ ، وفي الكونغو البلجيكي ٥٧٪ ، وفي أفريقيا الغربية الفرنسية وانغولا ١٪ ، وفي روديسيا الجنوبية ٦٪ ، وفي أفريقيا الجنوبية ٢٠٪ . كذلك ساهم في هذا اليسر تجنيد عدد كبير من ابناء هذه البلاد واستخدمهم في الاعمال الحرة التي دارت رحاها في اثيوبيا وشمال أفريقيا وفي بورما واوروفا . وهكذا اسد يرداد عسده الوطنيون يوما بعد يوم الذين تضطروهم

الامال والظروف للاتصال الشخصي بالاوروبيين والتغلغل الى قلب المظاهر المسيزة للحضارة الاوروبية ، وبذلك تم لهم الاطلاع على ما فيها من عوامل القوة والضعف ، وأنسوا في اوروبا جواً لا تشوبه بشيء مظاهر العرقية والمصرية خلافاً لما يجري في بلادهم . وقد كان في نهاية الامر لتطور وسائل المواصلات ولا سيما وسائل النقل بالسيارات التي سهلت من اسباب الرحلة والتنقل اثره دسطلت حركة التبادل بين اجزاء افريقيا الثانية بعضها عن بعض . فالطرق المعبدة ، شأها شأن الخط الحديدي بالذات ، هي خير محل . فهي تقضي الى تحرير الاسود ، اذ تحمل اليه المال بشكل احور وسرعات ، كما تحمل التاجر الذي يظل معه وسيلة انفاقه ، وبفضل هذه الطريق يتعمرو المزم من الموديات التقليدية التي كانت تشده اليها تنقلاته بين القرى والمدن . وغير مثال على الدور الثوري الذي يمكن ان يلعبه شق طريق جديدة هو الخط الحديدي المعروف بخط باس - كوتفو - كاتفا (B. S. K) ، الذي يصل بورت فرانكي وبوكاما ونم بناؤه بين ١٩٢١ - ١٩٢٨ ففي اقل من عشر سنوات حدث سيل من تفتلات السكان بحيث اننا نجد عام ١٩٩٠ ربع سكان الولاية يقيمون على مقربة من الخط المذكور ، في رقعة من الارض مساحتها ١/٤ مساحة الولاية . وقد انتقلت قرى برمتها لتستقر بجوار الخط ، وصار قازج ونخالط بين حفاقات السكان ، والوضع الاقتصادي القديم في البلاد الذي جعل اصول الزراعات التجارية انقلب تماماً من جراء التفاوى الجديدة التي يمكن لها بناء الخط ونشاط الحركة عليه (احور العمال وبنقات صيانتهم) ، والزراعات الجديدة التي نشأت على جانبيه كالنبتق ولقطن والمانيوك والذرة الصمراء التي حلت محل الزراعات المدائية القديمة وامكن بالتالي تصديرها الى مقاطعات كاتفا وروديسيا الشمالية . والبنقات التي استعمل خشبها للوقود احدثت لتقهر وراحت احدى الشركات الفرعية اكسفوركا (استثار الاجراج) تستثمر الغابات الكثيفة استثاراً موحدياً ، بمدان قالت امتيازاً لاستثمار ارض مساحتها ٣٥٠٠٠ هكتار . كذلك تأسست شركات كبرى للزربية الماشية تربى اكثر من ١٠٠٠٠٠ رأس من البقر ، كما اقطعت الحكومة مساحة ٥٢٠٠٠ هكتار لمعمرين اوروبيين لكي يستعملوها . وهكذا زالت من الوجود قرى وقصبات ظهرت مع دخول الاوروبيين الى تلك البلاد لتحل محلها مجتمعات تجارية قامت على مقربة من الخط المذكور .

فلم يبق في كل افريقيا قرية مهابات ومدت ، لا يستعمل الوطليون من ابناء البلاد فيها المصوعات الاوروبية ، كما ن الافكار والامور التي يتكلمون عنها او يبحثونها والاحداث التي يطلقون عليها كلها تمت الى اوروبا . وهذا التعمور بين حصارين متعارضتين وهذا التواصل بين مدينتين ، ادى بالطبع الى تطورات عديدة في حياة هذه المجتمعات المدائية قضت تدريجياً على عاداتهم وتقائدهم المتوارثة

الاعتماد القائم على النقل
 توضع هذا الاقتصاد المغلق القائم على حركة القوية والمجتمعة كما
 قام على حركة القارة الأفريقية نفسها حيث تنتج القوية كل مسا
 يحتاج اليه سكانها من صنع الدابة (الكوخ والباص والمواد الغذائية) واصحاب الحرف في القوية
 (من خزافين وحدادين) لحل اقتصاد السوق المحلية ادرنطة بالطرقاات والخطوط الحديدية
 والتجار والعرض والطلب ومطالب الادارة . وبدافع من هذه العوامل المختلفة ، حال المزارع
 الافريقي الى الاهتمام بالماصيل التجارية التي تشتد اليها حاجة الاوروبيين لصناعاتهم المختلفة ،
 وهي في الاساس خامات وحواد زراعية ومواد استنراجية ثينة غير حديدية ، كالكاكولوفول
 السوداني وزيت البلع والبيزال والخبوط القاسية والبن والحشب الثمين المستخرج من غابات البلد
 والمنس والنحاس والمنسيع والاورانيوم والكوكالت والكروم وغير ذلك . وهذه المااصيل لتسر
 على الفلاح الافريقي وتكون له النقد الذي يحتاج اليه لدفع المراتب المقررة عليه وشراء المااصيل
 المشفولة المستوردة من الخارج التي يحتاج اليها . كالأقشة القطنية والحردوات والصابون ،
 وماكينات الخياطة والدراسات وغير ذلك ، لا سيما واشتداد هذه الحاجيات يقضي على الصناعة
 اليدوية بحيث يعتمد عليه الحصول عليها الا عن طريق الاستيراد . وهكذا قام في البلاد ، محل
 الرراعات الغذائية والصناعة اليدوية اقتصاد خاص قوامه شمس متنوعات البلاد ومماصيلها نحو
 المرافىء بقصد تصديرها وتوزيع المااصيل المصنوعة المستوردة . وهذا الاقتصاد القليل للتنوع
 وبالتالي السريع العطب (من اصل ٢٢ بلداً رئيسياً من بلدان افريقيا ، عام ١٩٤٩ خسة عشر
 بلداً منها ٧٠ بالمائة من صادراتها على ثلاثة اصناف لا غير) ، الخاضع دوماً حماية قط ، على
 تقلبات الاسواق الخارجية يسيطر عليه من جهة ثانية بضع شركات تجارية كبرى متخصصة
 بأموال النقل . وهذه الشركات هي التي تحدد اسعار المنتجات والحامات التي تعنى بتصديرها
 كما تحدد اسعار الحاجيات التي تستوردها وتبيعها لتجار اللفرادي ، هذه التجارة التي هي بيد بعض
 الاوروبيين : من يونان وبرتغاليين ولبنانيين وسوريين وهنود وهرب ويهد تجار آخرين من احتناس
 اخرى كالألوف والهاواس والنيلواس .

بعض هذه الشركات تكاد تحتكر حركة التصدير والاستيراد في هذه الاقطار ، منها مثلاً
 الشركة الفرنسية لافريقيا الغربية (F. A. O) ، والشركة التجارية لغربي افريقيا
 (S. C. O. A) في افريقيا الفرنسية ، وشركة الكونغو الاعلى والاسفل (C. F. B. B. C.) ،
 وشركة جون هولت ، هانفون وكوكس احد فروع شركة 'ونيليفر' ، وشركة ريووت الكونغو
 البلجيكي المعروفة بـ (U. A. C) او الشركة الافريقية المتحدة ، والشركة المعروفة باسم
 (Noone) او الشركة التجارية الجديدة وشركة النيجر الفرنسي ، وشركة كينغ في الكونغو
 وشركة كويمباري بلجو التجارية (S. C. K. N) . ويتخذ حشد رؤوس الاموال احيانا نسبة لم
 تعرف مثلها عوام البلاد المستعمرة حتى في الولايات المتحدة الاميركية ، كما نرى ذلك مثلاً
 في الكونغو البلجيكي حيث تملك الشركة العامة وفروعها الـ ٦٥ ، احتكاراً يمتد الى كل تجارة

التصدير في المستعمرات : كالنقل البحري والجوي والبحري والنهري ، كما قللك مساجم المواد غير الحديدية ومولدات الطاقة الحركة . وهي تهيمن بهاها من امتيازات ودون على عشرات الالوف من الهكتارات تمتد لعدة ولايات . وانشا في بلجيكية صناعة خاصة تعنى بتحويل المعادن الكولومبية غير الحديدية ، كالنحاس والقصدير والكوبالت وغير ذلك .

ولعل لبيبريا هي خير مثال يضرب لهذا الاقتصاد الدائم على النقل . فقد نالت فيها اهتمام ١٩٢٦ شركة فيرستونر للطايط الموسوعة في مدينة اكرون (اوهايو) ، احتيازا مدته ٩٩ سنة يخولها استثمار مليون إيكرو « مختارها » بسعر ٦ سنتات للإيكرو الواحد ، واختارتها بالطبع من الاراضي الطيبة في البلاد بحيث ان اصحاب الاراضي المجاورة لاراضي الشركة المذكورة من قبائل تلك البلاد والذين لم تنزع ملكيتهم عنها مباشرة سادوا بطيبة خاطر بتقليدها حتى ان كل النظام الاقتصادي التقليدي الذي كان سكان القرية يسرون عليه من قبل ، تبدل ليألف مع النظام الجديد الذي وصته الشركة . فمناطق هو من هذه الزراعات الاحادية التي تغطي ٩٠ ٪ من صادرات تلك البلاد . وفي المقابل على لبيبريا ان تستورد الخشب الاكبر من الاشياء التي تحتاجها . فالشركة تستورد الارز عا يكفي لاعالة عمالها البالغ عددهم ٢٥٠٠٠ عامل من ابناء البلاد ، كما تستورد كل شيء من اللحم الى حبة السندورة بشكل معلبات اميركية . وهي تستورد نصف ما تستورده هذه البلاد بواسطة احد هروع هذه الشركة المعروف باسم الشركة الاميركية للتجارة . والنور الذي يئته سكان لبيبريا في الحركة التجارية في بلادهم هو دور ضئيل لقفية . فالتجارة بالفرادى هي بيد الاسويين ، وما تبقى من النشاط التجاري يقع بيد الاحباب . وهكذا ان مليونين من السكان لم يكن لهم عام ١٩٥١ ، سوى ٣٤٧ مدرسة ابتدائية تضم معا ٣١٠٠٠ طالب وطالبة .

وهكذا لرى كيف يقوم في البلاد نظامان اقتصاديان متعاوران . هنا ، اقتصاد استهلاكي يعتمد السوق المحلية تهيمن عليه شركات كبيرة وقطبية مزدوعات اوروبية واميركية تستخدم في سبيل تأمينه يد عملة متوفرة رخيصة ، وذلك اقتصاد عائلي لا عدة له ولا عتاه ، ولا عمال مأحورين يؤمنونه ، يتألف اصلا من مجتمعات تتبادل الخدمات وعمليات التسليف ، تبين بالاسعار التي تعينه الشركة ولا تلتج سوى كمية ضئيلة من المواد الغذائية لا تفي بالحاجة .

تأزم وضع ابناء البلاد
كانت من بعض نتائج الاهتمام بتأمين المواسم الزراعية المدة
للتصدير ، اتساع الارضي الزراعية ، وبالتالي إنهاك الاراضي
التي تمت تعريتها من الشوك والهوسج باحراقها . فقد عملت الطرق والوسائل التي سار عليها
ابناء البلاد باعتماد الزراعة لمصلحة التي تحافظ على غنى التربة ماراحة لاراضي وتدويرها مدة
كافية . وهكذا صاع الثورن الذي قام من قبل بين امكانيات تربة فقيرة على العموم ووسائل
وادوات تقنية تستخدم في استثمارها ، مراعية نظام الامطار ومقتضيات فصول السنة والمواسم
المزروعة ، ولم تلت ان ظهرت النتائج . فالتوسع في زراعة القول السوداني في السنغال جرد الى ان هناك

الثروة في مقاطعة لوغا وكايور والتوسع في زراعة شجر المطاط في الشاطئ الذهبي جعل الأراضي المحرمة تتفجر بشكل عجيب ، كما ان التمويل على المخابرات التي تحرق الثروة عبقاً في استثمار الارض جعل في ايدى الثروة وفي تمريرها . والحركة العميقة وزيادة حياض الاراضي المزروعة والتقليل من الاراضي المحولة ، وتراجع الثغرات و لاسراج وساحات العشبة ، كل ذلك كشف عن ثروة جديدة جذباء هي طبقة الصلصال الاحمر الغفير . وهذا هو اوعيت شيفالبيه الذي سجد يتحول عام ١٩٥٠ في المنطقة الصحراوية والسودانية الواقعة في هذا القسم من اقليم الثروة الفرنسية والتي رارها لأول مرة قبل ذلك بخمسين سنة تعرب عن دهشته امام ما شاهد من موت الثغرات والثر الرمل الزاحف . والملاحظة دائما تبدو للويس شيفالبيه عند زيارته مدعشور حيث تنهال الثروة الى اللوديون والى البحر تكشف الطبقة الصخرية وقد تجردت من تربتها وحشيشها .

نظام الاراضي المحرمة
والعمل الاجباري

وزداد وضع بناء البلاد سوءاً على سوء من جراء نظام الارض المحرمة والامتيازات الممنوحة للاروبيين . فقد ورعت في كيب ، عام ١٩٥٠ على ٢٣٤.٠٠٠ معمر اوروبي ، ٢٤.٠٠٠ كيلومتر مربع من اطياف الارضي واحدها ، بينما رى ٣٤٣.٠٠٠ من ابناء البلاد الاصليين يحشرون في ١٠٨.٠٠٠ كلم مربع من الارضي المحرمة بعضها اراض فاحشة جذباء ، وبذلك سأل المعمر الاوروبي ٢٤ هكتاراً من الاراضي الطيبة ، سهلت طرق الاتصال بها وتمهدت بنيتها ليس تحت تصرف رب هائلة من ابناء البلاد ، سوى ٣ هكتارات من الاراضي المتوسطة الانتاج . وفي روديسيا الجنوبية ينال ٦٥.٠٠٠ من لاروبيين ١٨٥.٠٠٠ كيلومتر مربع بينما لا ينال ١٤٥.٠٠٠ من ابناء البلاد ، سوى ١١٥.٠٠٠ كيلومتر مربع . وفي تنانیکا يعيش ٢ السكان من ابناء البلاد على عشر مساحة البلاد ، وفي الكونغو البلجيكية ، رى تحت تصرف شركات بلجيكية ضخمة ، مثل شركة ريو الكونغو البلجيكية وشركة السكر الكونغولية ، عشرات الألوف من الهكتارات من الاراضي الزراعية الطيبة .

والقصد من نظام الاراضي المحرمة ، توفير اليد العاملة للاستثمارات الخاصة . والسكان الذين هم بحاجة الى موارد كافية ، او يضطرون الى دفع ما يترقب عليهم من رسوم نقداً ، عليهم ان يعملوا في المردعات لاروبية كيد عملة مأجورة ، وان ينتحوا في لارضي الواقعة تحت تصرفهم ، محاصيل معدة للتصدير . وهذا بالذات ، عاء حاكم كيب العام ، سنة ١٩١٣ عندما كان يؤكد .

« للصيغة المفروضة هي السبيل الوحيد لانظام ابن البلاد على مفارقة الاراضي المحرمة بحثاً عن عمل له . فهي الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى «حياة لدى ابن البلد» وبهذه الطريقة وحدها تتوفر اليد العاملة في البلاد وتجسد لاجور . ان رفع لاجور من شأنه ان يخلص الطلب على اليد العاملة ، ان لاجور اكبر فكل من لايتاء البلاد عن دفع «صرائب و لرسوم المقيمة عليهم بأقل قدر من العمل» .

والعمل الاجباري يهدف لمثل هذا الغرض تحت ستر ام روايات مفروضة «الفرض منها

التدريب على العمل الزراعي، كما هي الحال في أفريقيا الاستوائية الفرنسية، أو برسم القرية، (كما هي الحال في الكونغو البلجيكي عام ١٩٣٣)، وأما تحت ستر مصادرة وتضييق من قبل الإدارة لتأمين القيام ببعض الانشاءات العامة، من طرق وخطوط حديدية... فالاشغال الشاقة حرمتها معاهدة جنيف المعقودة عام ١٩٣٠ حتى لو كان الفرع منها تأمين المصلحة العامة، الا ان العمل بهذه المعاهدة وتطبيقها اقتضى سين جديدة قبل وضعها موضع التنفيذ. وقد صدرت بين ١٩٣٠ - ١٩٣٧ في كل من مقاطعة افريقيا الغربية الفرنسية وفي مقاطعة افريقيا الاستوائية الفرنسية عدة قوانين للحد من اشغال السخرة الشاقة، ثم جرى استبدالها بقوانين رسم بديل عنها أو بإفئتها كما تقدم. اما في الكونغو البلجيكي وفي مدغشقر، فبالاشغال لفرضت على المجندين. وفي سنة ١٩٤٦ فقط ألغى العمل بالاشغال الشاقة بصورة نهائية في الممتلكات الفرنسية الا ان الاخذ بهذه الطريقة بقي جارياً في المستعمرات البرتغالية، والاتحاد الجنوبي افريقيا ولو بصورة غير مباشرة.

تقل سكان هذه الاوصاح الجديدة التي طبعت الحياة الاقتصادية في هذه البلاد هي وراء هذه التغييرات التي لحقت المجتمعات الوطنية، من مميزات الباردة التغير الجغرافي الذي طرأ على توزيع السكان. فقد شهدا حركة توطين أو تضييق واسعة النطاق من جراء الانهيار السريع الذي اصاب المجتمعات البدوية الغالطة عند تخوم العالم الاسود. ففي الصحراء الكبرى كما في الجزيرة العربية وبادية سوريا، قامت قبائل مهتمة بالتزود سريعة الحركة والتنقل، تستخدم في غزواتها وهجومها الحطاط، ضرباً من التوق والجدل للسيطرة السريعة المدبو لمعطياتها في ما من كل مطاردة او ملاحقة، يخضع لسيطرتها سكان الواحات حتى سكان مناطق السودان. وهذا بالتمام هو وضع قبائل رغبة القارية على حدودهم اورو وحدود موريتانيا. ومنذ ان اصبح بالامكان، منذ عام ١٩١٤، تأليف وحدات الحسابة، مزودة بالاسلحة الحديثة، اشدت الصحراء قفرًا وتخلو من روادها واستهزتهم حياة المدر فاستكاثروا واستقروا واستأنفوا الى المراكز الآفة، وبذلك فقدوا كل سلطة لهم على الزنوج أو البربر الذين افروا السيطرة عليهم.

ومن جهة اخرى، فالسكان اخذ حدهم بالنمو والارتفاع ولو لم تستطع تحديد النسبة او المعدل بالذقة المطلوبة ان تطور الطب الاستوائي على يد تلاميذ باستور واتباعه سكن من طرد الحمى الباردة على أشكالها، والهيبضة والدنك والبرص والهواء الاصفر ومرض النوم والزحار الاميبي، والحمى الصفراء والتدود الحيطي رداء الانكلوستوما. الا ان جاساً كبيراً من هؤلاء السكان يشكون من سوء التغذية ويترضون بالنال لتضر الخبيثة كما ان هجرة الشباب منهم يعرض حديثاً للخطر نسبة المواليد. مع العلم ان معدل الوفيات بقي عالياً من جراء قتل بعض الامراض الرئوية والامراض الزهرية، ومن اشتداد الادمات على المسكرات، وسوء التغذية، ونقص المواد الغذائية. ومع ذلك فحركة المواليد تفوق الوفيات لزيادة في المواد الغذائية، (ففي

مدغشقر منذ زادت المواليد على الوفيات من ١١ - ١٠٠ عام ١٩٤٦ ، إلى ٥٩ - ١٠٠ عام ١٩٥٣ ، الأمر الذي اضطر معه جذب من السكان للانتقال إلى حيث يستطيعون تأمين ما يقوم بأوردهم . وهكذا نرى كم هي كبيرة حركة التنقل والانتقال بين الأقاليم . فهم يشكون الصيق في هذه المناطق المموجلة التي أحدثت انشائها تضعض وتناقص ، فهم مضطرون للبحث عم عن عمل في الأراضي التابعة للصعيرين أو يسكنون عن الأماكن المأهولة أو يقيمون على مقربة من القرية المجتمعة أو يذهبون للعمل في هذه الورشات القاذية في المدن . عالمياثرة بالانشغال الكبرى كبناء الخط الكونغو - المحيط اقنص تحديده ، بين ١٩٢٠ - ١٩٤٠ من ٢٠ - ٣٠ عام ، والنهضات التي أبرمت اقنصت تشييل نصف سكان الفايون من ٢٠ - ٤٠ سنة حتى أنهم تعاقدا مع عمال أرومي هم من بيجيريا .

هناك مهاجرة وقتية و نهائية نحو البلدان التي تدفع أجوراً أطيب من المستعمرات الفرنسية إلى المقاطعات الانكليزية ، في الشاطئ النعبي وفي بيجيريا ومن الفايون نحو غينيا الاسانية . ان كل من نصف سكان الداهومي قاموا برحلة أو أكثر في مقاطعة الشاطئ النعبي ، وكان الرلوج ينزحون بالآلاف من المورمسي ومن الكونغو البلجيكي يسملا عمالاً في روديسيا أو في أفريقيا الجنوبية . وكثير ود من الشأن ، مرو قاذياً منهم للخدمة العسكرية التي كان عليهم ان يؤدوها ، من المقاطعات الفرنسية إلى المقاطعات الانكليزية حيث لا خدمة عسكرية مفروضة . وحركة التنقل هذه شجعت عليها ودعت إليها رغبة العس في المدن إذ كانت تسبب الاسرة فرصة الظهور والبرور اجتماعياً ، وهي فرصة رأى فيها الشأن ساحة لهم للتخلص من هذا الوضع الشاوي الذي كثيراً ما أقصر عليه في أسرهم ، أو للتخلص من سيطرة وتابعة رئيس القبيلة المشدودين إليها بحسب تقاليدهم ، أو للحصول على بعض النفوذ أو بعض الشأن لدى الأقارب المتخلفين في قرنتهم . هنالك قرى تنتقل احباً بكاملها ، فبدلاً من ان يفرقوا في عزلتهم ، كما في السابق ، فهم يقيمون على مقربة من الطرق بحيث يسهل عليهم الامتراج في الحلقة الاقتصادية المحلية .

الزواج من الزيف وازدحام المدن من نتائج هذه حركة الهجرة ، إغفار لريف تدريجياً . هنالك قرى كبيرة جديدة في الفايون أو في الكونغو زلت من الزحود أو انتهى بها الأمر إلى صنع درائب أو بصمة الكواخ . فهم يعدون إلى المأبة ، معصم بندر وكأنه بحارة خوفاء ، لا تقع العين فيها لا على النساء والشيوخ والأولاد ، فاضطرب ميزان الجنس وتعلب عدد النساء على عدد الرجال . وبلغ من حدة حركة الزواج من لريف في السنه ل ، حتى أصبح سكان المدن هم - ٥٠٠ ٠٠٠ من أصل ٢ ١٠٠ ٠٠٠ من سكان لريف . وفي مقاطعات الكونغو الأولى - ٢/١ السكان يقيمون في المدن ، وفي كاتانغا ٢٨٪ منهم يسكنون المدن وفي الشاطئ النعبي ١٤ بالمائة والمجراد الريف من سكان في عدد كبير من

التقاطعات ادى ليس الى خلعة المجتمع لريفي وبلبلته فحسب بل تسبب ايضا في تأخير النظام الاقتصادي بين الالهين وأدى الى فقدان حظير في التوارن بين اريوب والمراكز الصناعية . فمن اصل ١٢ مليون نسمة في الكونغو البلجيكي ، هنالك ٢١٥٠٠٠٠ (اي ٣٦٠٠٠٠٠) كانوا يعيشون ، عام ١٩٥٤ يمينين عن نطاقهم القلي او من وسطهم التقليدي ، في غيبات الاشغال والمراكز الخارجية عن التقاليد او في المدن لأفريقية مقابل ٨٥٣٣٠٠٠ سنة عام ١٩٣٨ و ١٤٠٩٠٠٠ سنة عام ١٩٤٦ ، اي ٣٤٠٠٠٠٠ من الشبان المقتولي المضلات ، مقاس ١٩٥١ و ١٩٤٠ ، عام ١٤٠٣٩٠٠٠ سنة عام ١٩٣٥ ، فاداما وصفتا حاداً الى ٦٠٠٠٠٠٠ من الكهول الذين لا ينتحون (بين جنود وشرطة وشيوخ ومرضى) ، نجد ان مهمة تأمين العمل الزراعي و انتاج المحاصيل الغذائية ، كما يقع معظمها على عاتق النساء ، رضى نحو ١٧٠٠٠٠٠ من الذكور البالغين ، وهو عدد قليل جداً . ثم ان هذه لهجرة الضخمة بين الذكور القادرين على الانجاب والامسال يسدد البلاد بأزمة حادة من قلة المواليد .

وقد سجلت المدن في السنوات الخمس عشر الأخيرة تطوراً في حركة السكان والاسكان لا كفء ما ولا نظير من قبل . وهندية ، ست لاسان الاميس اصحت مسكاً للاسود ، . وعدد السكان في مدينة برازايل يرفع من ٣٨٠٠٠٠ في سنة ١٩١٣ ، الى ٧٥٠٠٠٠ عام ١٩٥١ ، ٩٠٠٠٠٠ سنة من سكانها لم يولدوا فيها ، و ٧٠٠٠٠٠ منهم عمرهم اقل من ٣٠ سنة . وفي اتحاد جنوبي افريقيا حيث عدد السكان زاد ٦٤٠٠٠٠٠ سنة عام ١٩٤٦ ، كانت هذه الزيادة سنة ٧٦٠٠٠٠٠ سنة ١٩٤٦ ، وان ١/٤ الاوروبيين و ٣/٤ الافريقيين و ٤٠٠٠٠٠٠ سنة من التزوج يسكنون المدن . فمدينة جوهانسبرج زادت ٥٢٠٠٠٠٠ سنة ١٩٤٦ - ١٩٣٦ ، اد رقق عدد سكانها من ٥٢٠٠٠٠ الى ٧٩٠٠٠٠ ، ومدينة الكاب ، ارتفع عدده سكانها من ٣٤٥٠٠٠ الى ٤٥٤٠٠٠ ، والمرامى الثانية الكبرى في الاتحاد المذكور زاد سكانها اكثر من الضميين سنة عام ١٩٣١ . فقد زاد عدد سكان بريتوريا ثلاثة اضعاف . وفي روديسيا الشمالية والمدن الخمس التي تؤلف منطقة النحاس وبروكمبل تعد من ١٤ الى ١٦٠ ألف نسمة وفي روديسيا الجنوبية ٢٠٠٠٠٠٠ عامل من الزوج يعيشون في المدن الصناعية او حولها . وفي الكونغو البلجيكي يرى ليوبونديل يرفع سكانها من ٤٠٠٠٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، الى ١٩٠٠٠٠٠ عام ١٩٥٠ ، ثم بلغ ٢٨٣٠٠٠٠ عام ١٩٥٤ . وفي افريقيا الغربية البريطانية ، لا عرس تعد ٢٦٧٠٠٠ رنجي مقابل ٢٠٠٠٠٠ من الاوروبيين ، واكثر تعد ١٣٦٠٠٠٠ سنة ١٩٤٦ ، وعبدان ١٥٩٠٠٠٠ ، وكلو ١٣٦٠٠٠٠ وفي افريقيا الشرقية ، يروبي تعد ١٢٠٠٠٠٠ سنة

وحركة الهجرة هذه قد لا تتعد لها حداً مائياً . فمعظم المهاجرين يبحثون هم عن أجر لفترة معينة من الزمن يستطيعون معه دفع ما يترتب عليهم من صرائب وللاقتضاء ببعض الدرام يقدموه صدقاتاً لغروهم عند الزواج ، وهكذا يرام يفررون من العقود الطويلة الاجل ويؤثرون عليها العقود القصيرة الاجل . ومع ذلك كثيرون منهم لن يعودوا للرام فيعطون كل

صلة لهم مع عاداتهم وأعرافهم الأوروبية ، وحتى لو عادوا إلى أوطانهم الأولى ، فانهم لا يتزوجون
تماماً مع مجتمعاتهم . فقد حلوا معهم عادات جديدة وأساليب جديدة وانماطاً جديدة في معابثهم
وطرق تفكيرهم كثيراً ما جعلتهم على الزواج ولاعتراف من جديد . ففي الشاطئ القديم ،
هذا المقطر الذي يعد من أكثر قطار إفريقيا الغربية تطوراً ، نجد أن ٥٠ بالمائة من عمال المناجم
هم من المستقلين . وفي مدغشقة وتونزير مراند ٩٠ بالمائة من اليد العاملة يجب توفيرهم كل سنة .
ففي الفترة الواقعة بين ١٩٢١ - ١٩٢٥ ، لرى اتحاد المناجم في كاتانغا العليا يشغل سنوياً
١١٢ عاملاً من أصل عدد يبلغ ٥٦٢ عاملاً . وهكذا يكون معدل التجديد ٩٦٧ بالألف ،
وبعد سنة ١٩٢٧ ، اتحدت الشركة المذكورة . حركات فصلت معها ، لتتحد مع عمال متزوجين
لقد عمل مدغش ٣ سنوات . وهكذا يحسب معدل التجديد إلى ٣٢ بالمائة . وبذلك يبقى حالياً
نسبياً . وقد أدت هذه النتائج إلى تثبيت ٩٠ بالمائة من اليد العاملة ، وهو مثل نصيره لك لا
مثيل له قط ولا كفاء في تاريخ إفريقيا السوداء .

شعبة التركيب الاجتماعي القديم
وهكذا وهنت الأطر لاحتياضية المعروفة . القسبة والفوضى
والأسرة (التي تؤلف لخليئة لاسامية) وتولاها الانحلال
والاضمحلال سريعاً وقد أخذوا يشعرون بالدور المخلص للاستعمار حتى في هذه المناطق حيث
يكاد لا يشعر للناس بالوجود الأوروبي ، وحيث الطبيعة الاقتصادية لا تعتمد أصغر أشكال
حرصه النقل والانتقال وحيث تغفل المؤسسات والنظم الجديدة هو في أدنى حدوده فالجتمتع
مهما كان صلباً متيناً لا يكاد يقوى أمام رفض الشباب للدول بالنسب الاجتماعي ، والتشديد بالنظام
العقوي وانتقالي الذي تتحكم بالزواج . والمهم في الأمر هو الدور الذي يلعبه دس . عالي جدب
الانتقال إلى الاقتصاد القدي ، فقد حرصت سلطات الاستعمار على تكوين طبقة من العلامين
وتشجيع الاستثمار والملكية الفردية للأرض ، وإلى تقوية الروح الفردية الزراعية . فالأعمال
الخاصة بالقسبة تبقى مشاعاً بينما الاستثمار يخرج عن ذلك ، فكل واحد يستثمر حقه كما يريد .
فالأرض أصبحت بذلك مصدراً من مصادر الرق الفردي ، وبالتالي موضوع تبادل تجاري .
وراح بعض رعماء القسبة يزعمون القس في مساحات شاسعة والكناكاو والفول السودبي ، وقد
تغير هنا كما في بلدان الشرق لأدنى وبلدان شمالي إفريقيا مستوى الحياة ، فبعد أن كان مرزحداً
يسير على صراط واحد ، أخذ يتنوع ويتنوع ، وظهرت طبقات جديدة في المجتمع أساسها
الثروة العقارية . ومع زوال لروح المجتمعية زالت كذلك الوحدات السياسية القديمة العبد
وضعت سلطة الرعماء التقليديين ، والعلاقات الأدبية والشوايح الخلقية التي كانت تشد أقراء
العائلة بعضاً إلى بعض ، تراحت عراها . ورهم العائلة لم يعد ، كما في الماضي الوسيط ، في مجتمعه
بين مجلس الاختيارية ، فهو مكلف بتأمين الخدمة الدسبة . فقد أصبح لخدمساً لدى لاديس
يتناول منه الأوامر وينفذها ، وم تعد القليلة سوى قيادة محلية . وفي أديمية لم يعد شيخ لحارة
رئيساً روحياً بل موظفاً مكلفاً على الأحص بأمور الأحص وبجباية الرسوم المترجمة ، فسلطته

موضوع اخذ ورد مدفوء ضئيف للغاية . والمؤسسات التقليدية التي كانت تصم كل شبان القرية تحت سلطة رئيس واحد حيث كانوا يتلقون مبادئ المساهمة بالاشغال المشتركة ويقومون بتبسيهم في تحمل الواجبات المفروضة على هيئة والذين كانوا يلعبون دوراً بارزاً في شدد اوامر المجتمع القروي ، وبعدون الشبان للحياة ، قد اخذت بالانحلال بعد ان غلص هدد كبير من الشبان من عضوة هذه المؤسسات . والطريقة العشائرية التقليدية التي اصصحت في نظرهم قياسية مرهقة ، جرى رذفا واسقاطها من الاستعمال . وراح الكبار يتساففون ويتذمرون من تراخي الانضباط ، ومن عدم الاحترام الذي يبديه الشباب لهم ، بعد ان صاروا يتنفسون عن القرية دون ارادتهم ، كما يرفضون الاحتفال لاوامرهم عندما يجمعون اليها ويشيرون المشاكل .

والكنة التقليدية الصلة التي كانت تتألف منها الاسرة اخذت بالانحلال والتراخي . والامر الكبيرة احدث تنقسم على نفسها الى عائلات صغيرة مستقلة والانضباط العائلي قام من يتنكر له ويتنقص منه باسم حتى الفرد ان تكون له واردااته الخاصة وتطور الزواج هو من هذه العلامات المبيرة للتهيئة الجذرية التي تمت ضمن هذه القيم التقليدية ، كما ان وضع المرأة دخل عليه كثير من الخلطة والبلبة . في هذا النظام الاقتصادي القديم القائم على التبادل والتعاوض في الخدمات ، لعبت المرأة دور العمل الرابط بين الاسر المتصاهرة كما ان الزواج كانت تبت بامرء العشت العائلية المعيبة بالامر . اما اليوم ، فالاقتصاد النقدي والمالي جعل من امرأة موضوع منافسة وعلمية رابحة لاسرتها ترضى بواجبها طمعاً بالثمنة التي اصصحت لمن سلعة عادية سجلت احباباً رقماً عالياً جداً (في الكامرون ١٠٠٠٠٠٠ فرنك في عام ١٩٥٣) . ولما كان عدد صغير من الشبان يصعبون عن تقديم مثل هذا المبلغ ، فقد آثروا ان يتقوا خارج حظيرة الزواج ، لمسا يريد من حظ الاعياء ومن حظ الكحول ايضاً . فالرسون من صحتهم حاربوا تعدد الزوجات ، والادارة التي لا تحب ان تتعامل في تخصيصاتها وفي التمويزات التي توزعها الامع الاهراء او مع رب المنزل ، تشجع هذه الروح الفردانية . فالمرأة تستفيد من هذا الوضع ، فهي ترفض لانصاع لرب الاسرة او الاحد بنصائح من يكبرها سناً ، فهي ترضى في ان ينظر اليها كرفيقة ، ينبغي معاملتها ومراعاتها بكل لطف ومساء . فالاختلاف ضمن العشيرة ، والتسري والمعاشرة غير الشرعية وحوادث الطلاق حوادث متعددة وتتكاثر كما يزداد البقاء بين الجماعة . ففي كل مكان نرى الصعوبات والمشاكل تقوم سواء في النظام الاموي او في النظام الابوي ، كما تشتد النزعلة لاحتلال سلطة الاب على سلطة الخال .

ففي داخل لاسرة عمتها لواسع او صماها الحصري الضيق ، فالعلاقات بين الاب واولاده وبين الزوج وامراته ، طراً عليها بعض التمييز . فانتشار التعليم والتوسع فيه اثار مشاكل وصعوبات في الإطار العائلي . فعمل مقاعد التدريس يتلقى الطلاب افكاراً ويتعصبون بأمور لا تخطر على بال زوج ، فيكتسبون في اندسة معلومات لا يتم مثلها او بعضها لوالدهم وكثيراً ما تتناقض والاهراف المعمول بها في الاسرة . وفي المدن ، حلت الالعب الرياضية والسينما والرقص الاوروبي

وغير ذلك من اسباب الدهر محل الملاهي التقليدية التي شتوا عليها ، ومن جهة ثالثة فامرأة هي اقل تملأ واقل تطورا من زوجها ، فهي الصق بالحرفات والقول بها وبالاغراب والتقاليد المتوارثة من زوجها ، وهو وضع يشأ عنه طلاق روسي يباح فكرياً بين الزوجين .

وظهرت في المدن جمعيات جديدة - جمعيات تسلية وجمعيات تعاونية - ، وقامت على مبادئ جديدة تغاير ان لم تناقض ما عرف منها في الماضي وكلها تدل صراحة على ان الشأن لم يعودوا ليرضون بالتقاليد الماضية ويحاولون استبدالها . وقد زالت شيئاً فشيئاً الديانات والمعتقدات المتوارثة مع روايا أطر احبة الديانة القديمة . فالديانة الطبيعية حلت محلها المسيحية او الاسلام هذه الديانة المسيطرة في الشمال ، او اشكل عدة من هذه الكنائس الزيجية المشقة ذات النزعة التلقيفية ، ومع ذلك فلا يزال عالفاً في اعماق النفوس لمايا راسخة من الصنمية ومن العقائد الطبيعية ، كالاقتداء مثلاً بتناسخ رواح السلف ، والاعتقاد بالحرمان الدينية وعبادة الآباء والتعريم ، والرغبة في مواراة جسام الموتى حسب تقاليد السلف .

لا شك قط في ان الثورة ضد القيم التقليدية ليست شاملة او عامة ومعظم الشبان يلتزمون بالعودة للحياة القروية والاستمساك بأعرافها ، التي لم تعد تنهض على التقاليد فقط ، وهذا التفكير الذي بدت معالمه يستمر متصاعداً وهكذا نشهد تناثر المجتمعات والفئات الاجتماعية ، كما يقوم التضاد بين سكان الريف وسكان المدن وبين المحدثين والقدامى والشبان والشيخوخة ، بين المجتمع الجديد الذي اتخذ قعدة الفلوس او الثراء الشخصي والامكار لمستوحاة من الاوروبيين .

المضت حركة هجرة المدن وتحسينها ، وتقل السكان وانتقالها الى المجتمعات الجديدة : التطورون وتطوير القرية والتعليم ، وعلى الاجال الاتصال بالبيض ، الى ظهور عصرين اجتماعيين جديدين ، فالسما من يورجوارية أشير اليها عادة باسم « التطورين » وبروليتاريا . فكل الوطني بلا استثناء الذين يدعون في خدمة المؤسسات الاوروبية او تكون لهم علاقات مع البيض ، يقضون على نسبة تكبر وتصغر ويشكل يختلف صرعة ، علاقاتهم مع الفئات التي ينتمون اليها . ان اختلاطهم وتمازجهم بميل من فئات ومجتمعات عرقية مختلفة ، لهم افكارهم ونظرياتهم الخاصة ونمط معيشي يختلف عما عديم من افكار ونظريات ونمط عيش اقتضت بهم من اعراف القرية وتقاليد المتوارثة ، ينمي فيهم الاعتقاد ان هذه الافكار والنظريات والمناهج الحياتية ليست بالافضل ، ومن جهة ان اكتسابهم لاساليب وطرق عمل جديدة ، والاقتداء بعبادات واخلاق البيض الذين يلامونهم بمعلمهم يشعرون بالقلق والارعاج من هذه الأطر والعادات القديمة التي تلامهم ، كما ان تحسين مستوى عيشهم واقدامهم على الملابس والازياء والوان الطعام الاوروبية (كالخبز والحليب الخبز والمعلبات) مما ألف الابيض استمالة ، قد يحذوهم الى نزع العادات القبلية التي ورثوها ، والى الاطراح جانباً حياتهم الروتينية .

كل هؤلاء المويين الذين توجهوا الى المدن بالمالين ، والذين تميزوا عن غيرهم عما تم لهم من تربية وتعليم ويحيون الفرنسية والانكليزية حسب المناهج التي ينتمون اليها ، تؤهلهم للتعامل مع

البعض ، والذين تؤهلهم عاداتهم المكتسبة وطبقتهم بالطباع الأوروبية ، يؤلفون فئة المتطورين عما فيهم من تجار وأطباء ومربين ومعلمين وكُتّاب ومستخدمين وموظفين ، كل هؤلاء يتمتعون حبيفاً بمناخية الحضارة الغربية ويتألمون في صميمهم من هذه التناقضات والفوارق القائمة بين زواجرهم وأمانتهم ورفائهم بالعيش كالأوروبيين ، وهذه الأوضاع الغربية المستهجنة التي لا تزال قائمة في الأحياء الأفريقية . فهم ينهجون نهج الأوروبيين في حياتهم عندما تقومهم الأقدار إلى روعة مستنيرة ، متطورة ، شعار رمز النهوض الاجتماعي الذي يؤذن بالانتقال من العيش في الكوخ القروي إلى بيت سكن مبني بالحجارة أو عادة صلبة قوية ، على النمط الأوروبي . فهم يؤلفون بالفعل الطبقة المفكرة التي بالرغم مما لها من وصاعة النسب والأصل والمهنة والمستوى القروي الذي لا يزال بدايياً تطمع القضاء على هذه الفوارق القائمة في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتذكر بما لها من نفوذ ومثولة في أعين بني جلدتهم وأقاربهم ، ببعض ثبات برزت في المجتمع الروسي بين ١٨٦٠ - ١٩٠٠ .

قتل الروح القبلية يتم بحركتين متزامنتين : من جهة إطفاء العادات والأعراف التقليدية ، والاتحاد ، نحو العالم الأبيض الذي برغم من قربها لا يزال مع ذلك بعيداً ومغلقاً . ومن هنا الرغبة الجامعة إلى العلم والدروس : يجب أن نتعلم كل ما يحسن الرجل الأبيض لنحصل على ما له من كفاءة وجدارة ، وما له من اختصاص قلبي ، والتساوي معه في الأمور الاقتصادية ، وللبؤع المراتب والوظائف المفتوحة أمامه ، والتمتع على مثاله وخراره بالاحترام والنفوذ والسلطان .

برونيتارة لندن إلى جانب طبقة المتطورين أو الطبقة البورجوارية تقوم برونيتارة العمال الصناعيين المأجورين الذين لا يزالون فئة فهي تعد في تقدير البعض مليون وخمسة الف نسمة من أصل ١٣٠ مليوناً يقطنون أفريقيا السوداء . هي نسبة ضئيلة إنما أخذت بالنمو بسرعة وتؤلف منذ الآن قوة تلف في وجه النظام الاقتصادي الاستعماري التقليدي . فهي تمثل ٣ بالمائة من مجموع السكان في الشاطئ الذهبي ، و ١ بالمائة في نيجيريا ، و ٧ بالمائة في تنزانيا ، و ٨ بالمائة في كينيا ، و ١٧ بالمائة في روديسيا الجنوبية ، و ١٨ بالمائة في روديسيا الشمالية . وإذا ما قورنت بالعالمين ، فهي تمثل ١٢ بالمائة في روديسيا الشمالية ، و ٥٨ بالمائة في مقاطعة ليونولد البلجيكية ، و ٤٧ بالمائة في ولاية كاليفورنيا .

يختلف وضع هؤلاء العمال باختلاف الأقطار التي يعملون فيها ، سواء أكلوا في المدن حيث لا تنتظم صفوفهم إلى جمعية أو مؤسسة ، أم كانوا في هذه المناطق التي تقوم فيها مشروعات كبرى أنشأت في سبلهم مراكز يقيمون فيها تؤمن لهم أسباب العيش كما أنها جهزت بالانشاءات الصحية ووسائل التعليم ، وعلى هذا الشكل قامت المراكز الصناعية الحقة الكبرى . في لاند والشاطئ الذهبي ، ومنجم القصدير في نيجيريا ، ومنجم النحاس في كاليفورنيا الشمالية (في بروكس هل) . وهذا الوضع يولد توتر في مزارع الكونغو والبلجيكي . والوضع يبدو سيئاً في كل مكان لعدم استقرار اليد العاملة وعدم توفر المقدرة الفنية

و المهنية فيها بينهم . وحركة تحديد العمال لملء الفراغ الذي يتركه في صفوفهم المساهل الذين يقادرون بسرعة عليهم ، تزداد حدة وحرجاً عدم توفر التدريب المهني المهي في بعض الحرف الموصوعة . وقلة نتائج العمل لـ $\frac{1}{4}$ أو $\frac{1}{5}$ ما ينتجها الابيض ، يجب ردها اصلاً الى سوء التقنية وظروف الحياة المادية السيئة التي تحيط بهم وعدم توفر التدريب التقني يسهم . ومن نتائج هذا الوضع بالطبع قذني الاحور الذي كثيراً ما يدفع العامل الى ترك عمله ، وهذا التقلب الذي يصعب له يحول حتماً دون اكتسابه قدرة هنية صحيحة . ومن جهة اخرى ، هناك مشرويع استثمارية اغلبها استخراجية ، تقوم على الحامش . تسمى هذه المشروعات «استخراج قازات قليلة المردود واستغلال هذه المناجم لا يعود بالربح على اصحابها الا اذا كانت الاجور التي تدفع لليد العاملة هي ادى ما تكون . وهكذا الوضع يدور ضمن حلقة مفرغة تتألف من مردود ضعيف واجور راطية جداً تؤدي الى سوء التنمية والى هذه الاوضاع التي تحف بمجاعة ملؤها الشقاء . وهذه الظروف والاحوال هي اسوأ ما تكون في وسط المدن . من اصل ٥٥٠٠٠ عامل صاهي في السنغال ، ٦١٪ منهم صنّاع يدائيين ، و ٢٦٥٪ عامل موصوفون . و ١٧٪ مستخدمون . وفي الغامون ٨٣٪ من العمال هم صنّاع يدائيين ، و ١٣٪ عامل موصوفون . فالاحور واطية في كل مكان . فمعدلاً اليومي في الكونغو البلجيكي ٦٥ ، ١٦ فرنكا بلجيكيًا عام ١٩٤٩ ، وفي الكامرون ٤٥ فرنكا ، وفي التوغو ٣٥ ، ٦٠ فرنكا ، وفي دكار ١٠٧ فرنكات ، وفي النيجر ٤٧ فرنكا ، وفي مدغشقر ٣٩ فرنكا ، وفي لسانطون . النيجري بقناوح اجر العامل بين ٢ - ٣ شيلن ، وفي نيجيريا من ٩ - ٣ شيلن ، وفي اتحاد جومبي افريقيا بتراوح الامر الاسبوعي بين ٢٧ شيلن و ١١٠ لعمال الحط الحديد والصناعة الميكانيكية في كمبرلي ، و ٣٦ شيلن العاملين في تجارة الفرق في جوهانسبرج . اما في المنطقة الصحراوية في روديسيا الشمالية ، فالمدن الافريقي يتقاضى أجراً وسطاً ٤٦ جيباً انكليزيا في السنة كلها بينما يتقاضى المدن الابيض ٩٢٠ جيباً اي ٢٠ ضعفاً اكثر .

ان السرعة التي يتم فيها اندفع الديموغرافي في المدن ادى الى الفصل بين السكان الاوروبيين والسكان من ابناء البلاد ، وهو تمييز له طابع رسمي في المستعمرات البريطانية والاتحاد جنوبي افريقيا وهو يختلف عفوياً في مناطق الاستعمار البلجيكي والفرنسي ، حيث مدينة سانت لويس ، هذه المدينة الاستعمارية القديمة ، تشذ وحدها عن القاعدة . وهذا التفرع تسبب في حدوث ازمة سكن ضخمة وأدى الى ظهور احياء من الرتب والاكواخ الوسخة حيث تنكدس حشود من هذه الاقوام التي فقدت طابعها القبلي . وهذا هو وضع هذه التفاضيل وهذه المدائن التي تطالع الناظر في اكر و دكار و بورتو بورتو والكونغو الاسفل في برازيل وأبديجان . حيث نجد الظروف الحياتية التي يعدها في الدار البيضاء او في بني . والانبجاث النادرة التي احريت بدقة حول هذا الموضوع تعطي الصورة الواحدة في كل مكان . ف هي ، عام ١٩٥٠ المدينة الاستعمارية القديمة محاسن حيث الظروف والاحوال المعاشية هي احسن بكثير من اوضاع

مدن كثيرة غيرها ، رى ٢٦ ٪ من بيوت السكان تصم الغرفة الواحدة خمسة اشخاص ، و ١٣ ٪ من هذه الغرف يحتل الواحدة منها من ٤ - ٥ اشخاص ، وفي ٥ ٪ من هذه المنازل يوجد غرفة واحدة او اكثر للشخص الواحد .

هنالك نسبة كبيرة من السكان لا تأتي عملاً « فالمُتَّيْلِيَّة العائلية » تسودها ، كما تسيطر في جميع انحاء افريقيا وتزيد الوضع مؤسماً وشقاءً والناس حنللاً . هنالك العديد من القرويين غادروا قراهم وهم غير واثقين ان يجدوا لهم عملاً . يملون ضيقاً ، وهم حادون في البحث عن عمل ، على قريب لهم ، او سيب و نصير يعمل ولا يستطيع التهرب من واجب الضيافة هذا . وفي السنغال ، من اصل ٥٠٠،٠٠٠ من سكان المدن ، ٥٠،٠٠٠ منهم فقط هم عمال في الصناعة . وفي الكونغو الاوسط ١/٥ يعمل بصورة مستمرة

٢ - التوتر الاجتماعي

« المجتمع الاستعماري »
الشعور المتزايد بهذه التبعية التي تشد الشعوب المستعمدة ، وبطاقة الروح الاستقلالية فيهم ، اثار فيهم مطالب جديدة وحالة من التوتر تختلف شدة وقدرها باختلاف هذه الاقطار . ففي المستعمرات ذات المناخ المعتدل حيث يقوم استثمار ابيض مستقر تاصل في الارض او في سبيل التأصل والاحراق ، كما هي الحال مثلاً في افريقيا الجنوبية ، في كينب او في روديسيا ، فالقصة لا تدور على الوضع الذي تبدو عليه في هذه المستعمرات الاستوائية حيث يؤلف البيض فئات هامة بتعددون باستمرار . يعمل في هذا النوع من المستعمرات على الاخص شان معظمهم عرب (معدل السن في دكار ٢٧ سنة ونسبة الرجال البيض الى النساء ١٧٠ رجلاً الى ١٠٠ امرأة من البيض) حازوا يحشون لهم عن ظروف حياتية أفضل و ابرك . من عسكريين وموظفين ومستخدمين لدى الشركات الخاصة ، وعمال وحرفيين الذين يرون في العيش في المستعمرة خطوة وقطوراً الى الاعام من بقائهم في بلادهم الأم ، بشرط ان « يتحلوا بذات الاوصاف وان يكونوا من اصل اجتماعي واحد ، حيث ينمون بظروف مادية احم وأرقى ، وحيث يتاح لهم الوصول بسهولة اكبر الى مراكز قيادية او ملاكية ويلفون مستوى من العيش هو في البلد الأم من حظ ابناء الطبقات المتارة » . كما يؤكد بول مرسيه في هذا « المجتمع » الاستعماري ، كنهم معالم الفوارق الطبقية ، وتضيح الخواجز الفاصلة بينها يبرز هذا كله في البلد الأم ويشدد التمسك به ، ذ يشد الجميع شعور مشترك بوحدة المصالح الواحدة ، والرغبة في الحفاظ على « هيئة الابيض وفوقه » هذا النموذج الذي يتمثل على الاخص في حضور « صفار البيض » موظفين من الدرجات الدنيا وعمالاً غير موصوفين او يرون انفسهم عرضة لدراسة الماويين لهم ، والذين يوجسون شراً من تصاعد السود الذين كثيراً ما يطوفونهم هلاً وتهديباً ركفاءة « فهم يمثلون اخيراً أنواع الاستعمار تنهما وكثرة رجعية

وهنصرية « كما يصرح ا. فيليب .

فالتوتر يشتد على الاخص في المناطق ذات المناخ المعتدل حيث استقر الاوروبيون بصورة دائمة وحيث يعملون مأجورين . فالعنصر المسيطر هنا يستمض عن عدم حمايته بتشديده على عدم المساواة العنصرية وباعتمادها ضمن جو جز وفواصل حادة . والتوتر العنصري يخف ويضعف حيث لا توجد بين عناصر اوروبية برويتاريا لنفس انشاء البلاد ، وحيث يعيش الناس ضمن تقاليد تتسم بالحرية . وكلما اشتد ضغط النخبة السوداء على المواقع والمراكز التي يحتلها الاوروبيون ، يرى المجتمع الاوروبي ينكشف على نفسه ، ويزعج في الحضارة والحياة الافريقية فالمدينة الاوروبية والمدينة البلدية منفصلتان الواحدة عن الاخرى ، كما لا تقوم ي علاقة قط بين الجمعيات والمنظمات الرياضية ، كما ان الوادي لا يفتح بعضها على اعضاء البعض الآخر ، والتعليم الابتدائي المشترك بين مختلف العرقي والعصر هو موضوع نق ، وعندما لا يقوم انفصال بين لمدارس يدرع الابيض الى ارسال اولاده للمعاهد والمدارس الخاصة . ففي المقاطعات الواقعة تحت الاستعمار الفرنسي يؤلف المستخدمون والعامل البيض فيما بينهم نقابات خاصة بهم مع العلم ان ابناء البلاد هم الذين كانت تتألف منهم حتى عام ١٩٥٦ ، النقابات المنسقة الى الاتحادات العالية الدقة في البلد لأم . والكشف الذي جرى في دكار بين ن اقل من ٢ بالمائة من البيض يرتبطون بعلاقات ود وصداقة اي بعلاقات من مساواة مع الزوج وان ثلاثة أرباع الاشخاص الذين تناوهم البحث المذكور لم يتصلوا قط ولم يقدوا علاقات مع الزوج ، حتى ولا بشكل طارئ ، باستثناء ظروف العمل .

جهل وعدم اكرات يحملنا على الاعتقاد ان المساواة امر يستحيل تحقيقه لا بل هو امر يستوجب الشجب والذم . ومن هنا كان الصمود في وجه كل مطلب . حتى عندما تكون الادارة في هذه البلدان الخاضعة للسيطرة البريطانية والتي تتمتع بالحكم الذاتي هو المطلوب لرجو تحقيقه ولا رضى قط ان يستق من وصايتها على البلاد ، فالوظفون ولا سيما الصغار منهم ، يرفضون التعاون مع المتطورين ، « فالحزب الاداري » الذي شتهر به ليوتيه هام ١٩٢٠ ، سلم مكرها بالعمل على تطوير ابناء البلاد وفقاً لبرتاؤن او ن يتحلوا لهم عن مسؤوليات فعلية ، فهو معني بالحفاظ على نظام ابوي رصينته من كل هبت بقوة السوليس . وهذا الموقف هو مستلهم اصلاً من هذه الاحكام المتناقضة حول السودان الذين يرمونهم بالمجر ويقصرون عضا . فالزنجي لن يكون قط غير « ولد كبير » كما يوجد « لزوج لاختيار » الذين سيقون يوماً تابعين وخاضعين ، وكما يوجد « الاشرار » منهم اي هؤلاء المتطورون الذين « يقتلون البيض » . ان ارتقاء الزوج والخوف من اضطراب قبولهم في مجتمع البيض أوجد حركة هنصرية مختلفة شعوراً لم يكونوا يشعرون بها من قبل وهو شعور يشتد عنفاً وحدة في اوساط البيض الأقل حظاً وقسمة وهو شعور ظهر منذ اليوم الاول الذي اخذت فيه الشعوب المستعمرة تستنكر « هذا الوضع من التنمية التي أقصرت عليه » .

والعنصرية الأفريقية ليست سوى ردّة ضدّ العنصرية الأوروبية،

مرفق للمستشرق (١)

كما يقول ر. ب. فان دنغ . وهذه البهنية أو الوضع الفكري
اشدّت تظهر بين الزوج منذ عام ١٩٤٠ ، على الأخص ، أي منذ أن أخذ الأفريقيون يتلقون
العلم في أوروبا وصحبوا في وضع أهلهم للمطالبة بذاكرة الإدارة والتوجيه التي كان يحتفظ بها
حتى الآن للاروبيين . فقد اضطدوا بممارسة الدول المسيطرة أو المجتمع الحاكم الذي
أقصرهم حتى الآن على دور ثانوي في إدارة البلاد وإدارة المشروعات الخاصة ، وعرضهم
لخاتمة العمال والموظفين البيض الثاويين (كالكتاب والضاربين على الآلة الكاتبة وغيرهم) ،
الذين يرفضون من جهة أن يتلقوا الأوامر والتعليمات من الزلوج ، كما طمحو ، من جهة أخرى ،
للاستئثار بالوظائف المفضلة هذا هو بلدات وضع النقابات القائمة في اتحاد جنوبي أفريقيا
التي تسلمت بحاجر اللون ، وهو وضع ما لست أن امتد لي الاقاليم والاقطار
الخاصة للاستعمار البلجيكي والفرنسي ، إذ أخذ العمال الأوروبيون الذين يعملون في مشروع
استثماري في دكار ، يحتجون عام ١٩٥١ ، لأول مرة ، على تشغيل العمال الأفريقيين الذين يتحلون
بذات القدرة الفنية . وهكذا رأى العمال الأفريقيون الحواجر تقسم في وجههم ، بالفصل أو
بحسب القوانين المزعجة ، للوصول إلى بعض الوظائف ، وهكذا بقي التفاوت عظيماً في سلم
الرواتب والأجور بين الأوروبيين والأفريقيين .

ونجم عن ذلك شعور مرير بالحمران ، وسقد ضمير ضدّ الفئة المسيطرة وضدّ البطء الذي
يتطور معه التعليم ، هذه الذريعة الوحيدة للترقي في السلم الاجتماعي ، محتجين على التساوير
والاحمرات الرسمية أو الطوعية التي تتمثل في التمييز العنصري الذي يسودون عليه ، وضدّ سوء
المعاملة التي يتعرضون لها كل يوم والتي تشبه الزنجي انه لا يتساوى مع الأوروبي : كالفصل بين
البيض والسود في وسائل النقل المشتركة ، وفي إدارة العريد ، وفي المخازن ، واللجة التي يحاطب
بها الأوروبي الأفريقي ، والمؤازرة التي يضمن بها الأبيض على الأسود في المستعمرات البلجيكية
والانكليزية على الأخص ، والنخبة الزنجية التي طمحو فيها الشعور بالثقة ، أخذت بردة حكيمة
هي الاخرى لفكرة مأخوذة عن الأبيض ، مردها انه ليس هناك من « ابيض خيّر او طيب » ،
باستثناء بعض شذات : كالرسلين ورجال الفكر ... ، وكثيراً ما تقف موقفاً معارضاً للفلسفة أو
النظرة التبيلية التي تقول بها الجماعة والكنائس المسيحية . وهذا الأفريقي المتفرنج الذي يتلقى
العلم على الأوروبيين ويستمنحهم الشهادات التي يحملونها ويستلمهم المناهج التي تطبق عليهم
بحيث يستحق لقب غير مستحسّر ، يشعر في صميم نفسه بوجود حضارة افريقية مصت وسبقت
قدوم البيض إلى بلاده . وفي وجه هذا الأوروبي الذي يدعي القيام بمهمة استعمار و الذي
يتعجب حالياً انه اصاد الشباب والنظارة إلى المجتمع الوطني الصالح في الانحلال والتفسيخ ، يحس
لأن البلاد ان يتصور الماضي الذي غير ويستحضر في ذهنه « هذا العصر الذهبي الذي حطه
الأوروبي » . ومها يكن من امره ، فلا يستسلم للتبيل أو لتحويل كما أكد ذلك المرسل

(١) يفتح للم .

الميثودستي جيمس غراي الذي أصبح وكيلاً لجامعة شيمونا في الشاطرة الذهبية عام ١٩٢٤ بعد أن درس في جامعة لفسنغن بكارولينا الجنوبية : « كل ما أرتب فيه وإقنائه » هو أن يثمن الزنجي لا أن يشرنج » أو يستقرب .

وهذا العداء يجعله الأسود ضد الأبيض قد تقف فيه مشاعر دينية . إن عدداً كبيراً من زعماء الحركات الوطنية ، تغلغل على المبشرين ودرس عليهم وشق عليهم كثيراً أن يضطروا في سبيل تحصيل العلم وطمأن تربيتهم ، أن يتظاهروا بحمود دينهم وببذ معتقداتهم ، وهو وضع عدل من زعماء الماو - ماو بالذات ، كما أن تهجمات المبشرين على الأعراف والعادات القبلية القديمة وعلى مناسك الطقوس الدينية التي يتقيدون بها ، تخرج من كبرياء الزلوج ونفس من شعورهم بعد أن تبين لهم أن الإرساليات رهبة منها في حملهم على التنكر لاعتقاداتهم وجحد ليعائهم ، لمحاول تحقيرهم وإذلالهم . وهذه الاحتكاكات التي طرأ تكررت بين الإرساليات وبين الدين يجري تدريسهم وتعليمهم أصول الدين المسيحي من الأفريقين ، كانت وراء هذه الشيع الخلية والكنائس المنشقة بين الزنوج ، كالكنيسة الأفريقية الأرثوذكسية كيكوي في كينيا ، والكنيسة المنقسمة في بانوكولا ، والكنائس الأنثوية أو الصهيونية ، والطائفة المعروفة بـ *Kimbungwe* أو كنيسة القلب الأقدس الكاثوليكية التي تأسست في روديسيا عام ١٩٥٨ ، وغيرها .

ومظاهر هذا القلق والتوتر تختلف باختلاف المناطق وتلبين بكتباي السياسيات التي ينتهجها أبناء البلاد . إلا أنه منها كان عليه التنفيذ الاجتماعي والمصومات أو المنقسات الفارقة بين قلة وأخرى ، وهي تلفت على بعضها وتتعد بعد أول بادرة لازمة حادة تشب بين الجانبين ، ويشتد التضامن فيما بينها ليس على أساس من الطبقة بل وفقاً للخطوط والروابط العنصرية أو العرقية . فالقضية الوطنية ، كما لاحظ لينين ، تبز في البلدان المحكومة ، كل صراع أو خصام يقوم أو ينشب بين مختلف الفئات الاجتماعية الاقتصادية .

ردة الفعل بين الدول المستعمرة
أمام هذا القلق المتنازع العالم ، وهذا الاختيار الفكري الأحسد بالارتداد في هذا مجتمع الضائع في الانحلال والتفكك ، راحت الإدارات المعنية في هذه المستعمرات تسمى ، وهي تشدد من وسائل الكبت والقمع والضغط إلى أن تمت الحياة في السلطات البلدية القديمة ضمن الممتلكات البريطانية وأن تقوم بعض الإصلاحات فيها . من ذلك مثلاً إعادة الحق القبل في الاقطار الواقعة تحت الاستعمار البريطاني ، ومحاولة تشريع العادات والأعراف منذ عام ١٩٣٥ ، والأعراف بالوضع الشرعي للقبيية ، في كل من أفريقيا الغربية الفرنسية (١٩٣٤) وفي التوغو (١٩٣٦) ، والعودة إلى العمل بمجلس القرية أو المحي عن طريق بحث القوانين والتوسع في المصوح كما جرى في مدغشقر عام ١٩٤٤ و ١٩٤٨ و ١٩٥٠ ، واتخاذ إجراءات عديدة في الكونغو البلجيكي عام ١٩٣٦ و ١٩٣٤ ، إعادة الحياة إلى نهيت ولؤسسات الوطنية التقليدية ، وتقوية سلطة الرئيس أو الزعيم على الفئة التابعة له ، وإنشاء مؤسسة جديدة جرى إنشاء مثلها في روديسيا الشمالية ، عام ١٩٣٦ ،

وذلك بالشاء « مركز اكثرا عرقي » هو مركز استعماري حرى تجريد السكان النسابيين له من هادتهم القليلة الا انهم لم يصنعوا بعض متعرجين « يستشون من الحق العرقي الذي كان يلتزم الفئة من قبل ويخضع لنظام خاص . ويدار المركز من قبل مجلس يتألف من ٥ او ١٢ عضواً يمينهم مفوض القضاء يكون رئيسه مسؤولاً عن حسن سير النظام والامن .

جرى تطوير التعليم « الا ان التوسع فيه واجه قضية اللغة التي يجب استعمالها في التعلم . ففي المناطق الخاصة للاستعمار الفرنسي ، كانت اللغة الفرنسية هي لغة التدريس في كل درجات التعليم وفقاً للبرامج وللاستعمالات المتبعة في البلد الام . اما في المناطق الخاصة للنفوذ البلجيكي فالتعليم الابتدائي كان يعطى باللغة الدرجة في المذممة ، وكان التعليم الثانوي من نصيب نخبة مختارة وتتلقنه باللغة الفرنسية . وقد ابشئت لواء جامعة في « كاز » عام ١٩٥٠ ، كسب تأمس فرع لجامعة لوفين في الكونغو البلجيكي . واسبس البريطانيون « من جهتهم » جامعات في « شيمونا » من اعمال الشاطئ النهمي . وفي عباد وكاز ، والفوا في بيجيريا لغة طلبة او لغة العلم هي الهاروسا التي كانت تكتب بالاحرف اللاتينية ، وساعدت على تعلم الثقافة الحديثة عن طريق الاكثار من كتب التدريس والمصوح والكتب التقنية والترجمات . « في الكونغو البلجيكي كان ٣٠٪ من الاولاد الذين هم في الدراسة » يذهبون الى المدارس ، اما في المناطق الفرنسية النفوذ فقد وفر معدل التلاميذ الذين يؤمون المدارس « في افريقيا الفرنسية الغربية من ٤١٪ عام ١٩٦٦ ، الى ٨٦٪ عام ١٩٥٣ ، والى ١٠٤٪ عام ١٩٥٥ . اما في هرتيسا الاستوائية الفرنسية ، فقد قفز هذا المعدل من ٣٣٪ الى ١٠٤٪ ثم الى ٢١٪ . وفي الكامرون من ١٢ ، ٢٧ بالمائة الى ٣٤ ، ٣٦ بالمائة ثم الى ٤٣ ، ٤٢ بالمائة . وفي مدغشقر من ١٦٪ عام ١٩٤٣ الى ٤٤ بالمائة عام ١٩٥٥ . اما في افريقيا الجنوبية والشرقية ، فالنسبة لم تكن مرضية قط .

ولكن كان لابد من إشراك المجتمعات الريفية التي تتألف من السالفين وحلها على المساهمة بحياة البلاد الاقتصادية والسياسية ، وهي مهمة ترك امر تحقيقها لشروع التربية الاساسية التي شاعتها الاونسكو وسام في تنفيذها ، ونشرها في المستعمرات البربرية والفرنسية والبلجيكية والبرتغالية . المهمة المطلوب تنفيذها وتحقيقها هي تربية الجماهير ، واثارة روح المبادرة فيها وتدريبها على بعض الاساليب الزراعية وتربية اشية . وعلى صوء الخبرات المكتسبة في المكسيك التي حققتها الاراسيات الثقافية واساليب التعليم المتبادل ، تألفت ثلثات وكالة تشكلت من اختصاصيين واساتذة واعطاء وعلمدين زراعيين واعطاء بطربين ، لتقضي بصفة اسابيع او بضعة اشهر في قرية ما او في قضاء معين . وتحويل تعليم الاميين مستعينة على ذلك بالوسائل السمعية والبصرية ، فتوزع على الطلاب كتب النصوص الامتدائية مكتوبة باللغة الدارحة المحكية في المنطقة لتعليم الكمار ، وفقاً لحاجتهم الخاصة والمصالحهم الملحة ، وبذلك يتعلمون القراءة والكتابة في اقل من شهر . وفي الوقت ذاته يعطون دروساً ولية في امور الصحة العامة ، وتزويد

بالمعلومات الأولية لمكافحة تآكل التربة ، والطبقيات الغذائية والحيوانات الضساسة ، ومراقبة المراعي وكيفية استعمال السمدة ، وإنشاء التعاونيات الزراعية ، وشروط إنشاء مستوطنات صعبة ودارتها ، وتحسين الطرق والآبار . وعلى مستوى أعلى ، أنشئت ، في المقاطعات البريطانية لجان استشارية في كل قضاء تشارك في تنظيم العمل والسهر على راحة المجتمع . وفي الكونغرس اللجيكي ولا سيما في مقاطعة رواندا أوروبندي برز عمل منظمة رغامية المواطن ، التي أخذت « تدرس وتحقق كل الوسائل الكفيلة بتأمين ما فيه راحة المواطنين في المحيط الريفي المادية والأدبية » . وفي المقاطعات الفرنسية قامت « التعاونيات العصرية الريفية المادية من إنشاء البلاد » في مدغشقر ، وأهميات الحيرية وقطاعات هسرة لزراعة ، وغير ذلك من هذه المؤسسات التي أخذت تعمل في هذا المجال .

نعم كل نظام استثماري ، جرى تطبيق هذه الأساليب والعمل بهذه التدابير ببطء وبصعوبة كلية ، بالنظر لعمز الاعتمادات المملوطة أو لعدم توفرها بالكلية ، ولا سيما بالنسبة لمداء البيض والإدارات لهذه المشروعات أو لعدم رضاها عنها أو التشكك بفعاليتها

توارد على أفريقيا ، منذ ١٩٤٥ ، من رؤوس أموال للاستثمار
الخطط والاستثمارات تزيد ما لم تشهد له مثيلا من قبل ، وذلك بعد أن أصبحت الامبراطوريات من سدة الثابتية الاستثمارية محصورة في هذه القارة . بعد أن خرج الأوروبيون

من آسيا ، قور لديهم المزيد من رؤوس الأموال ولهميد من التقييد للاستثمار والتشغيل وبذلك يفضون عجز الدولار الذي يشكلون منه في منطقة الفرنك وفي منطقة الستليني عن طريق تشجيع الانتاج في مستعمراتهم لما كان يستوردونه من المحاصيل من الاقطار الأخرى : كاللادن عبر الحديدية والزيت ، والقطن وغير ذلك من محاصيل الارض ولذا ترتب عليهم تجويز هذه المستعمرات بالمواسم البحرية والخطوط الحديدية والطرق ، وإن برجعوا اهتماما أكبر للناس أي أن يهتموا بأدخال تحسينات على أوضاعهم الصعبة والتعليم ، وإنشاء اقتصاديات سليمة في هذه المستعمرات بتشجيع وتنويع الانتاج الزراعي والصناعي معاً . كل هذا كان موضوع سياسة خاصة تخطط لوسائل هسرة العناد والأجهزة الفنية التي من شأنها أن تساعد على إنتاج بعض المحاصيل الزراعية واستخراج بعض الفلزات المعدنية وصيانة الغابات والتربة وقصيص شبكة لري ، وتوليد الطاقة الكهربائية وإنشاء بعض الصناعات المحلية وطرق المواصلات . لهذا عام ١٩٤٠ قرر مجلس العموم في بريطانيا قانون أول خطة للتنمية لاقتصادية ، ولنا خطط أخرى عام ١٩٤٥ و ١٩٥٠ ثم أقرت للحكومة البريطانية قانون تحسين الموارد عبر البحار سنة ١٩٤٨ ، وأنشأت في سنة ١٩٥٣ رابطة التطوير المالي التي أخذت تبحث عن مشاريع استثمارية للصناعة في عدة مقاطعات . ومن الجانب الفرنسي ، وضعت الخطة العشرين ، عام ١٩٤٦ التي نصت على إنشاء صندوق الاستثمار للتطور الاقتصادي والاجتماعي في الاقطار الواقعة عبر البحار تعذيب الدولة الفرنسية بمحصات ، عهيد اليه بتمويل مشاريع غير المستمرة (كالرواسي

والطرق ومحطات توليد الطاقة الكهربائية . وفي سنة ١٩٤٧ ، حل محل هذه الخطة خطة رابعة راح القسم الأكبر من الاموال المستثمرة لتأمين الانتاج الزراعي والمواد الاستخراجية الاخرى . ثم اطلت الخطة العشرية لتطوير الاقتصادي والاجتماعي في الكونغو البلجيكي ، التي نشرت عام ١٩٤٩ . اما الخطة الخمسية البرتغالية للسنوات ١٩٥٣ - ١٩٥٨ ، فلم تكن سوى برنامج عام للاشغال العامة التي يجب النهوض بها .

وبالرغم من الفشل الذريع الذي آلت اليه بعض المشروعات : كشروع الفول السوداني في تنزانيا عام ١٩٤٧ ، ومشروع تربية الدجاج في غينيا عام ١٩٤٨ ، فقد قامت مع ذلك صناعات لتحويل واخرى زراعية او متعلقة بصيد الاسماك ، ومشاريع استجار القابات وغير ذلك . ومع ذلك فهذه الاستثمارات والتحصينات الاقتصادية التي امكن النهوض بها لم تحفظ كثيراً من مساوىء الزراعة الاحادية ولا استطاعت ان تحرر الاقتصاد المحلي من ارتباطه واعتماده للدول المستعمرة . فالبن والفول السوداني شكلا عام ١٩٥٠ ٢/٣ صادرات افريقيا الغربية الفرنسية ، كما الف البن والكافور ٦٠ بالمائة من صادرات الكامرون ، والقطن والخشب ٦٥ بالمائة من صادرات افريقيا الاستوائية الفرنسية . وفي عام ١٩٥١ ، كان محصول الفول السوداني ٩٩ بالمائة من صادرات غينيا ، والتبغ والشاي ٧٨ بالمائة من صادرات نياسالاند والكافور ٦٩ بالمائة من صادرات الشاطئ الذهبي ، والسيال ٥٥ بالمائة من صادرات تنزانيا ، والمعادن ٩٥ بالمائة من صادرات روديسيا الشمالية .

كانت لاقطار المستعمرة ابعاد ما تكون عن استقلالها الاقتصادي ولذا رأت نفسها اكثر فأكثر تابعة لاوروپا ، والسبب هو ان هذه الاستثمارات مصدرها الاساسي من البلد الام صاحبة السلطة ، مما توجه الاعتبارات المستوفاة من الاقطار المستعمرة نحو القطاعات التي تؤمن خامريداً من الارواح والفوائد وذلك بدافع من المصلحة الخاصة . والسبب الآخر هو ان افريقيا اندت تعتبر اكثر عاكثر كتابع لاوروپا . فيجب ان تكون القاعدة العالمية لاوروپا في وجه الاتحاد السوفياتي وآسيا . فهي القارة الاخيرة الباقية تحت الامتعمار حيث تحاول انفكلا من حبة وفرنسا من جهة اخرى ان للشأن كل في ما يختص به ، اقتصاداً إضافياً لاقتصادها . ولما كانت تحجز اية دولة استعمارية من استثمار موارد هذه القارة ، فقد نشأ عن ذلك مشروع اورافريقيا الذي ينص على استثمار مشترك لهذه الموارد من قبل الدول الاوروبية مجتمعة . فمن والحالة هذه ، امام ميثاق ستيماري موسع غايته الاحتفاظ لاوروپا وليس لبعض دولها ، بالسوق الافريقية وبالخدمات والمواد الأولية التي هي بحاجة حاسة اليها .

والجتمتع الافريقي الذي اصبحت مصالحه المادية والادبية في الصميم رده على ابناء السلاط من جراء سيطرة الاوروبيين عليها ، قام بردة هكسية وذلك باقتباسه بعض عاداتهم واعرانهم وبلدليه بعض نظرياتهم ، وبلدليه بعيداً الاخرى منها . فقد احدث تفتت التجمع القبلي والضعف الذي نزل بالتقاليد لبلدية رمة فكلورية وبلدية لدى عدد

كبير ، خلقت « فراغاً روحياً ، يمكن تئبته وتبسه بشكل مختلف جلاءً ووضوحاً ، على طول الساحل الأفريقي ، هذه المنطقة التي سيطر عليها نفوذ الأوروبي منذ عهد بعيد ، والتي أخذت تنسج الى الداخل ، وهذا الفراغ يبدو بأشكاله السينائية والدينية او السياسي الدينية صكتي لظهور احزاب سياسية وتقايلات والتحادات خبت بين صفوفها جماهير المتحمسين ، منها مثلاً الـ R. D. A. في افريقيا الغربية الفرنسية ، والكتلة الديمقراطية السفالية ، والحزب القروفي التوهوي ، والحزب السوداني التقدمي ، والحركة الديمقراطية لثبث ملاغاشي ، والاتحاد سكان الكامرون (U P C) ، وحزب الاتحاد الشعبي الذي شكله نكروما في الشاطئ الذهبي ، والمؤتمر الوطني في نيجيريا والكامرون (N C N C) الذي ألفه أريكويبه ، وكتلة العمل في نيجيريا الغربية والاتحاد الوطني التثغابيكسي ، الأفريقي الذي شكله بولوس بيديرييه . والنقابية الوطنية اصطدمت طويلاً بصعوبات كبيرة . فقد منعت تماماً في افريقيا الجنوبية وخضعت للمراقبة الشديدة في الكونغو البلجيكي ، ولا سيما لمراقبة البوليس الشديدة . وفي نيجيريا أحرر تشكيل النقابات منذ عام ١٩٣٨ مع الاعتراف بحقوقها بتنظيم الاضرابات والاعتصامات ، وانشأ في الشاطئ الذهبي ، اتحاد النقابات عام ١٩٤٦ ، وفي المقاطعة الفرنسية وروديسيا الشمالية 'سمح في السنة ذاتها اي في عام ١٩٤٧ ، بتأليف النقابات العمالية .

واحياناً تظهر بشكل محتام سرية منظمات للدفاع ولجمع القوى ، منها مثلاً : « جمعيات العمل » في الكامرون وفي الفايون ، ومحاولة التجمع القبلي ، مؤتمر السامون عام ١٩٤٧ الذي جرب ان يشكل بين قبائل الفانغز ، جمعية وفقاً للتقاليد الافريقية المحاصرة تكون منأى من الوصاية الادارية التي تقوم بها الزعامة التي تقيمها السلطات المستعمرة . وهذه الفئة لا تزال تتعبد بذلك القبي ، الا ان من ابرر ما يميز بقلة هذه القوميات ، هو الشعور بالتضامن الذي أخذ يظهر من خلال هذه المساعي المرقية والسياسية ، اقله بين رؤساء هذه القبائل ورعايها .

هذا الفراغ الروحي يفسر لنا التماح الذي يحققه انتشار الاسلام على بين الاسلام والمسيحية اختلاف مظاهره « الزنجية الطابع والسمة » ، كالاخويات التي تمكن الشبان من التحرر والتخفف من الروابط التقليدية والاعراب عن مشاعرهم القومية ضد الاحتلال الاجنبي والتي تستعمل من الاساليب والوسائل ما يتفق تسمياً وذهنية لرنج واعتناق الاسلام قد لا يتعدى احياناً الظواهر السطحية ويصحي ورء كثيراً من بقايا الديانة الطبيعية انما يكون بدائه حداثاً منها ما يترتب عليه من النتائج ، اذ ان عدداً كبيراً من هذه الجماعات السرية السودانية لم تلبث ان استعالت تدريجياً الى اخوات اسلامية تفعل في الحقد وتنتشر بين هذه الاقوام التي لجردت من طابعها القبلي التي تسكن ابدان والتي اصحمت مركز شيطنة لسلعوة للاسلام ونشره بين السكان . ولما كان الاسلام يسيطر في هذه المناطق الواقعة شمالي خط العرض الحاشر ، فقد أخذ يتعد جنوباً هذا الخط بسرعة ٥٠٠ ٥٠٠ من المعتنقين له في السنة ، حسب للتدريبات الاب بوشو . ففي افريقيا الشرقية ، فأخذ محطة اذاعة القاهرة ومحطة اذاعة الباكستان

وغيرهم المماعد الدينية في كل من مصر والباكستان ، والبنجار ، والدعاة الذين عملهم طوائف الاحدية ينشرون القرآن ويوحون به في وجه المسيحية فقتل كفته (غويي) . والنسبة المئوية للمسلمين ، في عام ١٩٤٦ ، كانت ٩٠ بالمائة في النيجر و ٨٥ في السنغال و ٨٠ بالمائة في الغنية ، ارتفعت الى ٦٠ بالمائة في السودان وعلنا العليا حيث يصطدم بكتلة موسى ، و ٤٥ بالمائة في نيجيريا و ١٥ بالمائة في شاطئ العاج ، و ٧ بالمائة في الدهوماي وفي الكونغو ، ورعا ٢٠ بالمائة في مدغشقر وفي الكامرون . وفي الشاطئ الذهبي ازداد عدد المسلمين بين ١٩٣٠ - ١٩٤٥ ، اكثر من الثالث ، وفي غينيا اكثر من ٢٥ بالمائة وفي الغيبة البرتغالية حيث نسبتهم لا تزيد على ٢٠ بالمائة فقد ازدادوا الى النصف ويوجد كتس اسلامية في افريقيا الاستوائية الفرنسية وفي افريقيا الجنوبية . ويزيد عدد المسلمين في كل اقصاد افريقيا الغربية من فرنسية وانكليزية وبرتغالية وفي ليبيريا على ١٥ مليون من اصل ٣٦ مليون . فمن اصل ١٣٠ مليون من السود ١٤ مليون م مسلمون منهم ١١/٢١ موحودون في الشمال من شط الاستواء . والباقيون موحودون على ساحل المحيط الهندي .

وهي الحين الذي يندرفه لاسلام وكأبه جاء خصيصاً لافريقيا ، يعمل معظم الزعماء الوطنيين على مناهضة المسيحية بعد ان يشجب الروابط التي تشدها الى الاستعمار ، كيراثيون بخضوع الكنائس المحلية لسلطة عربية عن البلاد ، لندن أو روما والتي يلسم تطورها وتقدمها بالبطء الكلي وليس قياً ، يكفل ويضمن بقاءه . فالنصادة ارسولية في افريقيا الفرنسية تعد اربعة ملايين من اتباع الكنيسة الكاثوليكية لرومانية على حمسي مليون من السكان ، كما تعد افريقيا الجنوبية ٨٠٤ ، ٠٠٠ منهم ، من اصل ٢٠٠ ، ٠٠٠ ، ١٤٤ نسمة ، و افريقيا الشرقية والوسطى ٤ ، ٥٠٠ ، ٠٠٠ على ٦٧ مليون ، والكونغو البلجيكي وروندا وروندي ٤ ، ٦٩٠ ، ٠٠٠ على ١٥ ، ٥٠٠ ، ٠٠٠ نسمة . والارسلانيات البروتستانتية التي هي اسبق الى العمل التبشيري في افريقيا تهتم كثيراً بمطابقة ظروف وشروط الحياة في هذه المجتمعات الزيجية ، كما تحرص على الاكثار من المدارس والعيون المادي والاسماء الطهي ، وعلى تكوين اكليروس محلي بأسرع ما يمكن فهي تنمو بسرعة بدافع من التأثير لاميكركي الذي اشد حدة لا سيج بعد عام ١٩٣٦ في هذه البلدان التي تستمرها الدول الكاثوليكية كالكونغو البلجيكي والكامرون و افريقيا الغربية الفرنسية ، والمستعمرات البرتغالية . وقد بدأت خلال الحرب نوعاً من تعاليف عدالي تبشيري وحققوا تقدماً كبيراً في الكونغو بلرغم من الامتدادات العريضة المحصورة في مستعمرات الكاثوليكية وحدها . فهم يملكون عدداً كبيراً من الاولاد ويمدون اكثر من ١ ، ٥٠٠ ، ٠٠٠ من الالباع

والى هذه الاسباب يجب ان نمرؤ التبعاجات التي سعلتها الكنائس المنفصلة التي نشأت عن التبشير الذي قام به الانبياء السانتو الذين حاولوا ان يوفقوا بين عمل الارسلانيات المسيحية ذات الطابع لافريقي ، وبحث الحياة ، همن

الكنائس السودا

إطار مسيحي أو شبه مسيحي ، العناصر الحية في الديانة التقليدية .

فمنذ عام ١٩٩٢ ، ظهرت الكنيسة الاثيوبية التي اقامت لها علاقات مع كنائس لزوج في الولايات المتحدة الاميركية ، والتي قطعت كل صلة لها مع الارسلالات لأسباب عنصرية مسح الابقاء على تنظيمها وعلى روحها . ثم اعلنت علينا كنائس « صهيونية » وكنائس عنصرية (اي قت الى العنصرة) التي استندت الصورة الباهتة لمسيح البيض مسيح فريسي ، واخذت عناهضة الكنائس المسيحية مناهضة ضارية التي تأخذ مبدأ التمييز العنصري . ومسح ان هذه الكنيسة تعد نضع مئات من الاتباع والمريدين ، فهي ترسم طقوس معقدة للتطهير ، كما تفرض تعريجات أكثرها عنادية ، وتنتشر تعاليم وتعلم دوات لها تأثيرها على الجماعات المحرومة من وسائل التصرف والدمل ، وهو تأثير يشتد بدسبة ما يلوح بمحاصرة البلاد القديمة في وجه البيض . من هذه الطوائف في افريقيا الجنوبية الكنيسة المسيحية البدائية ، وكنيسة مافالوفا الافريقسية والكنيسة الميثودية الافريقية دلفيسا ، والكنيسة الافريقية الانعادية في نيجيريا ، والكنيسة المعمدانية في دوالا والحركة الدينية المعروفة بساعة البرج التي تنتظر قدوم مسيح جديد يولد من عذراء زنجية ، وهي حركة لها اتبعاها في افريقيا الغربية وافريقيا الوسطى ، والكنيسة الربجية لدلتا نهر النيجر ، واتباع ابولونيوس في مدينة غرون بسام ، وعشادة ماسا او القرن التي دخلت عام ١٩٥١ الى شاطئ الصاج . وهي المعروفة بكنيسة كيكور العنصرية المستقلة ، وغيرها كثير من . وقد تصادف احيانا حركات وعمرية الطابع كالحركة التي اسسها وليم هاريس احد المرشدين في الارسلانية الميثودية الاميركية سابقا في لبيروا الذي بعد ان ظهر له رئيس الملائكة غبريل ، كما يقول ، راح عام ١٩١٣ ينشر بالانجيل في شاطئ الصاج ، ويحارب « الاصنام » وينهي عن السرقه والزنى ، ويعد الاخير بالسوء ، والاشرار بالجحيم ، ونصرت بيده اكثر من ٥٠٠ زنجي واسس كنائس تابعة له في شاطئ الصاج والشاطئ الذهبي .

وهذا لتقلق الروحي ذاته هو وراء النضاح الذي حققته بعض الفئات الجديدة ذات الصابع الدمي او الثقافي او السياسي التي تكون مظاهر مختلفة ضد حركة الثقافة التي تعرضت لها الثقافات الافريقية المختلفة ، كما نواف حركة مقاومة في وجه الاستعمار . والى هذا يجب ان نرد حركة بويتي Bviti التي انتشرت في الغابون وفي الغيبة الاسيانية ، فكانت عبارة عن مجتمع قبلي يحاول ما له من هياكل وطقوس عديدة ، من ان يجمع حوله اقواما من عقائد متشابهة يعملون في هذه المورشات القائمة في الاحراج والامانات . من هذه الحركات ايضا الحركات المشيخية التي اعطت في الكونغو والبيجيكي والكونغو الفرنسي حركة المعرفة الكيبانجية من اسم دعيها الاكبر كمانجو ، عام ١٩٢٩ ، والحركة الاميكالية التي ظهرت عند اشتداد الازمة الاقتصادية سنة ١٩٣٥ ، و ١٩٤٠ ، و ١٩٤٧ . وبعد وفاة مؤسس الاميكالية في سجنه ، تدريبه مستوى الذي عمل في ورقة الرمة في الحرب العالمية الاولى وفي حرب الريف والذي اسس هذه الحركة في باريس عام ١٩٢٦ اندي سمي الى ضم شمل بساء افريقيا الاستوائية الفرنسية وراح ينسدي

بالمقاومة السلبية تجاه الإدارة ، رفض اتباعه الاعتراف بموته ، وراسوا بقيمونه عبادة : يسوع
ماتسوي ، وينتخبون في انتخابات ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، النسي المتوفي ، كايقتعون له في انتخابات
١٩٥١ . اما الحركة الكمانجية فقد تناسخت بعد عام ١٩٤١ في الحركة الكاكية ، التي اسسها
المبشر القديم والملازم في جيش الخلاص سيمون مبادي جعل نقطة الدائرة فيها سيمون كمانجو
الذي يمثل *Gounze* او « الخالص وملك الروح » . ينحصر اتباع هذه لديانة لنظام مسلسل ،
ولها طقوسها كما ان قواعد الصرامة الشديدة تفرض الزواج بين التلاميذ هذه الديانة ، وتحرم
الزنى وشرب المسكرات ، وفرض مقاطعة الارسلات (الاجبية مقادعة عامة ، كما تقاطع مثلي
الحكومة ، ومة الكيثاوالا التي انبثقت من كنيسة البرج ، نشأت في روديسيا الجنوبية وفي
بياسالاند ، وعم انتشارها ثلاثة ارباع الكونغو البلجيكي في عام ١٩١٦ ، وعلم ان سيمون
كمانجو هو مسيحا جديد يمت الى الارض ليخلص الروح وينقذهم من رقبة البيض ، الذين امروا
بقتل السيد المسيح ولينقذهم من السحر الذي يتعرضون له . وعبادة الـ *Vod* ، الملتصقة من كلمة
Vodo) التي تعني القوة والسيطرة ، انتشرت بسرعة كلية في مقاطعة الكونغو الاطلي وفي القابون
وكانت ترمي الى قسمة كل النشاطات التي تصدر عن عبادة الديانة الطبيعية ، وفرض على الاتباع
الاخوة ، وتعارف طقوس السحر ، والسرقة والزنى ، وتزويد من قوة الحُرُمات القديمة . وهي
لفرض طقوساً خاصة على المريدن الجدد ومراسم بحيفة وضواغط مقدسة واقتنبت مراسم كثيرة
من الديانة الكاثوليكية : كالميكال مع الشموع والاحراس والاعتراعات . وهي عبادة الدنيا التي
استنها النبية ماري لالو التي كانت تعد ، عام ١٩٥٨ ، اكثر من ٩٠٠٠٠ من الاتباع في شاطئ
العاج .

ان معظم هذه العبادات المسيانية التي جاءت عند منتصف الطريق بين التعاليم المسيحية
والفلسفة الدينية ، تتلقى عن السلف ، تتلقى حول ميراث مشتركة : عمارية بعض العقائد
والطقوس القديمة وضد السحر والتمازيد ، وهي الى حد كلة حركة رجعية ضد سيطرة البيض
وصيادتهم ، فادما تسببت عن حوادث هذه الحوادث من نصيب المناطق والاقطار التي يشهد
فيها التمييز المنصري ، وسيت تشدد وطأة النظام الاقتصادي الحديث ، لا سيما في هذه المناطق
المنجمية الواقعة في الكونغو البلجيكي وبياسالاند وكينيا ، عام ١٩٣١ و ١٩٤١ و ١٩٤٤ ،
وبالرغم مما لها من طابع نصف سري ونصف تسري وطابع رجعي ، عليها تأثير عظيم ولها
قدرة كبيرة على النجوع والانتشار . وهي تجتذب اليها عدداً كبيراً من المارقين عن الارسلات
النيانية ويقارن *W* هولاس الحماسة التي تلاقبها هذه الطقوس ، « هذه الحالة من الامس التي
احاطت بأوائل المسيحيين في دياميس روما » .

فهذه الاحقاد العنصرية والدينية ، وهذه المطالب الاجتماعية تكون تهديداً مباشراً لهذه
الاقلية البيضاء التي طالما لحكمت وعبثت ، وبعثت فيها شعوراً او حركة دفاعية على اساس
منصري تؤلف منها هذه الاقلية كتلة متراصة ، سواء في افريقيا الجنوبية ام في افريقيا

الشالية . وفي كينيا وروديسيا ايضاً .

فلاضطرابات والفتل التي تولى حطراً على النيس ثير ليم المياج ثم الملع . فالاستمادة باليسطة تجر ورجع القمع والكتب الذي يولد هو الآخر . الاوامب . وهذا يمت بدوره الملع الذي يجر بدوره الى تكوين ثلث القلاع من النفس . فمن امام حلقه مهبية تنال من الحطة ومن القمع (ر . مونتاني) .

وهكذا فالجتمعن يتزعان الى الانعزاع والتقاطع وينظران الواحد الى الآخر نظرة ملوها بالعداء .

٣ - السياسات الاستعمارية المتباينة الاتجاه

تابنت الحلول التي اتخذها الدول المستعمرة في المجال السياسي باختلاف ثقائدها والاسوال الخاصة بكل قطر من الاقطار التي تسيطر عليها . فالبريطانيون انتهجوا سياسة يحافظون معها على الزعامات الوطنية القائمة محاولين تحجيرها كأدوات لهم في احكام نظمهم الاستعماري ؛ هذه الطريقة التي رجب بها ليونجي وحد انتهابها موصيا بوضع الطبقات الموحدة الى جانب مصالحنا اي تشويق الاوستورقراطية الوطنية وشرائها . لا ان التقاليد الادارية التي عتمدها المستعمرون الفرنسيون خالفت هذا المسلك ونهجت بها آخر ، مفضلة عليه الحكم المباشر وطريقة التمثيل التي تهدف الى إعداد حلبة ادارية جديدة مشعة عندها لادارة الفرنسية . اما البلجيكيون فقد آثروا سياسة قوية واعتماد التمييز العنصري تخضع الوصيين لوصاية ضيقة .

سيانان برينالتيان
انتهج البريطانيون في مستعمراتهم الحكم غير المباشر وهي سياسة تبناها ووصوها موضع التجربة والاختبار ، رفعها الفورد لوغاردي الى مراقبة نظام في مدكرته السياسية التي وضعها عام ١٩١٨ وفي تقريره المصون الانتداب الثاني في افريقيا الاستوائية البريطانية (١٩٢٢) . ففي بيجيريا الشالية احتفظ امراء المقاطعات المحليون براكزهم وسلطانهم الاستقلالية وامنت لهم اموارد القانونية وشبكة من المحاكم كما قدمت في بعض المدن الكبرى مثل كاتو وعنادن هيئات بلدية تتمتع بسلطات واسعة . فالمدن الساحلية وحدها حيث يشتد النفوذ الاوروي بعد ان اعرف فيها ورسخ ، وحيث يكثر عدد المتطورين ، تقوم فيها بلديات على الطراز الاوروسي . وفي الشاطيء للدهي ، اعيدت الى ارحماء المحليين كان اقترح من سلطانهم ومن نفوذهم ، عندما اعيد عام ١٩٢١ العرش الذهبي الذي كان للشمب اشنتي ، وعندما تم الاعتراف عام ١٩٢٥ بسلطات الـ ٦٣ رعييا من اهم رعاء المستعمرة ففي هاتين المقاطعتين كما في مقاطعة السرالون وفي عسبا ، والادارة غير المباشرة نظر اليها ، منذ هذا التاريخ ، كمرحلة من مراحل إعداد البلاد للحكم الذاتي . اما لاقطار التي وجدت فيها اقلية كبيرة من البيض ، فقد اشاروا او زعوا الى انشاء نظام من التمييز العنصري لصالحه المجلس الابيض .

أفريقيا الجنوبية افريقيا تفضل على ايشع صورها سيطرة اقلية من البيض على اكرية مستعمدة مستقلة من ابناء البلاد عام ٢١٪ من الاوروبيين ، معدل المولد اقل نسبة سجلتها جالية اوروبية مقيمة عبر البحار (بامشاه اميركا اللاتينية) و ٣٦ بالمائة عام ١٩٥٢ ، وحيث معدل الوفيات واطر جداً (٦ ٨٠ بالآلاف) يقوم ٦٩ بالمائة من ابناء البلاد و ٨ بالمائة من الخلايين و ٢ بالمائة من لاسيويين معظمهم من المهود ، عرفوا كلهم مخصب المواليد والانسال يزيد معدهم معدل الانسال لدى البيض على ارتفاعه . وهكذا نشهد في هذه البلاد قاحراً او تقهقراً بطيئاً للعرق الابيض ونقصه مطرد ، يزداد الشعور به ويبرز بوضوح بالرغم من نمو السكان السريع في المدن ، حيث العرق الابيض اصبح اقلية في (٣٩ بالمائة عام ١٩٥٦) لقاء ٥٠ بالمائة عام ١٩٦١ ، مما يبعث فيه الشعور بأنه سيمرق عما قريب تحت هذا المد العدم الذي لا سبيل لدفعه او صداه . والى هذا الخوف الذي يخامرهم يجب ان نصيف هنا وهم العرق المستبد بانبويرر على الاخص وهم المحافظة على الوضع المتميز للانسان الابيض الذي يشتد على الاخص عند الطبقة الفقيرة . فبالهجرة التي تؤلف حيز طريقة رفع نسبة الاوروبيين في البلاد ، اصعبت من الامور المستعمدة جداً ان لم نقبل من المستعمدة من جراء المقاومة المزدوجة التي يبديها صغار البيض الذين يتخوفون جداً من قضية المساواة والارستوقراطية المقاربة للسيطرة على البلاد يهده المصرية العمياء التي يقول بها البويرر ، الاعداء اللدناء لكل ما هو غريب و لذين يصحون بان تنقلب اكرية *Afrikaaner* الضعيفة الى اقلية من جراء وصول مهاجرين يقنون الانكليز ويكرهونهم .

والانفصال الجغرافي او لارهي الذي يوشر به منذ عام ١٩١٣ ، ترك السكان من ابناء البلاد ١٢ بالمائة من مساحة البلاد فلا يجر لاي اسود ان يشتري ارضاً تقع خارج هذا النطاق . فالاراضي المحفوظة لسكن لوطنيين يعيشون فيها وفقاً لتقاليدهم المتوارثة اصعبت تقص بالسكان ، والاهون فيها يتكاثرون ويمون بأسرع من نمو الدولة فدائية ان الزراعة لاتزل فيها متأخرة جداً ، والثرثرة فيها عرضة للتأكل والتعحات كما تنهكها ماشية تزداد وطأتها باستمرار . ولذا يضطر عبده كبير من هؤلاء الرلوج للتروج عن مساكنهم انتجساعاً للعيش في خدمة الاوروبيين . وهكذا فهناك ٥٠٠ ، ٥٠٠ عامل رنجي من العمال الزراعيين يعملون خارج نطاق الاراضي المحفوظة ، مياومين او مرابمين او متعدين لاراضي تخص البيض ، تدفع اجورهم عينا من محصول الارض اما مودعدائية او بالترخيص لهم رعي مواشيهم ، مستوى المعيش لديهم متدن جداً ولا أمل لهم ان يصحوا يوماً من الملاكين . من منهم بعض في المدن وفي المناجم يعيشون في تخشب او في مجامات ، هي اقرب ما تكون من محبسات التجمع التي تقص يساكنها حيث التدون الرئوي وسل النعاعات يفتلك بهم فتكاً دريماً ويجعل معدل الوفيات بينهم ٣ او ٥ اضعافه لدى البيض الذي يقطنون المنطقة ذاتها . والانفصال الى حياء متميزة الذي خطط له منذ عام ١٩٢٦ دخل موضع التطبيق بكل قسوة منذ عام ١٩٥٠ ولكن هذا

الانفصال الارضي و الجغرافي يتمذر تطبيقه اكتر فأكثر كلما اتسع النسيج الاقتصادي .
والانتاج الصناعي الذي تطور كثيرا بحيث انتقل دبله من ١٠٠ عام ١٩٢٩ الى ١٣٦ عام
١٩٣٨ وال ٤٣٥ عام ١٩٥٠ ، وازدهر الصناعات المتنوعة بفضل الحرب ، حملات العمل غير
الاوروبي جرماً مقوماً وعصرأ اساسياً من الحركة الاقتصادية في البلاد ، اد بولف ٨٠٪ من
مجوعة طاقة العمل في الاتحاد هالك ٧ عمال ورج لاء عامل ايض في مساحم الذهب الواقعة
في ويتواترند ، و١٧ على عامل واحد ايض في مساحم الفحم . وبالرغم من قانون الملون
الصادر عام ١٩٢٦ الذي يحتفظ معظم الاعمال التي تقتضي الاختصاص لعمال البيض والذي
يقصر الزواج على الاعمال المحفوظة لعمال مساعد ، فعدد العمال نصف لمدرسين او المتخصصين
برداد . حتى العمال المسعدون الذين تتعاضدهم قطاعات ورعة والصناعة اصبح عددهم لا يفي
بالعرض ولا بالطلب ويجب استخدام العمال من خارج الاتحاد . انه لفرب جداً وضوح هؤلاء
البيض تحيط بهم المفارقات من كل جانب ، اد انهم يعيشون في خوف موصول بان يفرقوا في خضم
الزواج فيضطرون لاستخدام بعضهم من الخارج

فالازدهار اندي رجع فيه هذه الاقلية البيضاء التي تستأثر بـ ٧٤٪ من الدخل القومي ، ينهض
اساساً على الاحور المتديبة التي تدفع للامانة السوداء وعلى استمادها قالعوليتاريا الاوروبية
تتمم ماحور اكبر . هما من عامس ايض يرمع بقل من ١٥ جنبها في الشهر الواحد ، منها تواضع
عمله او خؤل ، بهذا العامل المعدن لاسود في مساحم الفحم يحصل مديمت لا غير اما في مساحم
التمدين ، فالاجر الذي يتقاضاه العامل الابيض يزيد عشرة اصعاف عن اجر العامل الاسود ، ب
٧٠٪ من العمال الوطنيين هم من الاميين ، والمدارس الوهنية لا يصيبها سوى ١٠٪ الاعتادات
المخصصة لتعليم البيض . ففي عام ١٩٥٢ كان التعليم الذي يعطونه يعدم للعمل اليدوي وليس
لتزويدهم بثقافة ومعلومات عامة . فالنظام والتشكيل الذي يقدم عليه العمل لا يتورك لاسود
اي اختيار او اي بارقة امل فاي عمل غير العمل اليدوي في الارض و في المنجم و في المصنع .
فبعد ان اقصي عن التعليم الذي يفتح امامه ابواب الرقي الاجتماعي ، أمد الزنجي ايضاً من
كل نشاط سياسي . فالانتصار الانتخابي الذي حققه الدكتور مالان عام ١٩٤٩ ، مكس من قور
سياسة التفريق الكامل : فحرم زواج الامض بغير الابيض ، والعدل بين احياء منفصلة . بعضها
عن بعض في المدن ، وسحب الترخيص الذي كان يقول الحلامي حق الانتخاب في ولاية الكاب .
وقد صدرت قوانين تميرية ، اضعفت الاسود الذي يقطن مدينة لنظام حواز مرور ورخصة
كان من الصعب جدا الحصول عليها بحيث ان ٧٠٪ من المخالفات التي يأديها غير الاوروبيين كانت
مخالفات عدم الامتثال لحد الرخص . ونغم عن ذلك نوع من لاشغال لشاقة فالحكوم عليهم
بالسجن ، تؤجرهم الادارة للتمدين او لارباب الصناعة لتأمين الاعمال الزراعية او للعمل
في المناجم .

وهذا الانفصال الذي يشتد يوماً بعد يوم ، ومقاومة الزواج لها الذين يتمردون عليها ،

فأكثر ، فالأجراءات التمييزية لا تؤدي إلا الى اذكاء الحقد والبغضاء العنصرية وعدم الطمأنينة والقلق . فكل مظاهرة عدئية او اعتداء من قسمل الزنوج ، حتى ولو لم تكن الا لفظية او شعوية تجر على صاحبها عقوبة قاسية في الحال . وقد يتحول امتيازهم احيانا نحو الخلاسين او الاسويين (هيجان دوران عام ١٩٤٩) ، وقد يتجه احيانا ضد البيض كالاضطرابات التي وقعت عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ في بورت البرايت وجوهانسبرغ وكيمبري والكاب واپست لندن ، او بمرور عن هذا الامتياز بعمل مشروع قليل او متواضع الاخر . كالمقاومة المسلحة او المقاطعة التي نظمها المؤتمر الوطني الافريقي ، والانضمام الى بعض النقابات العمالية التي تقفل في عصويتها العمال غير الاوروبيين . وحركة القمع وتدي طابعا بريريا عام ١٩٥١ ، وللتعديل الذي ادخل على قانون عام ١٩٥٠ حول حظر الشيوعية اعطى هذه الكلمة تعريفا بحيث يمكن ان يطبق . وان يطبق على كل شخص يمكن ان يعرب عن آراء او افكار يعتبرونها في انكفرا لبرالية او متحررة ، عقاب عام ١٩٥٣ بفرض عقوبات يمكن ان تتراوح بين ٥ سنوات حبس مع غرامة ٥٠٠ ايرة انكليزية ، نكدا ومهاجمة اي نص شرعي او تطبق هذا النص . غير ان الزنوج لا يجهون قط لحركة العمة نحو حرية والاستقلال التي تتمتع بها افريقيا السوداء ، فهم يشددون من مقاومتهم المسلحة . فالرغم من تدخل البوليس العنيف (اذار ١٩٦٠) ، فهم يابون الرضوخ لهذا النوع من لاشترقاق الذي يتمثل في لذكرة المرور لاقب انتقال يقومون به .

هدا هو الدؤس والشقاء ، هدا هو القلق واليأس الذي يحيش في قلب مجتمع مضطهد متمسك بهداد ثقائيه ، هدا هو دراما الصدام الصارخ بين العناصر والعروق القائم على اذلال الاسود والخوف الذي يسمر الابيض ، موضوع روية آلان باتون الممودة . استيفي يا بلادي العزلة التي ظهرت عام ١٩٤٣ ، وهرقت الناس بهذا الوضع الذي يسود تلك البلاد .

افريقيا الشربة البريطانية
بين الاتحاد افريقيا الجنوبي والسودان تقع مقاطعات بريطالية
حيث تقوم ساليات بيضاء ، استقرت نهائيا على الصعيد الجبلي
معطية الدليل على مقدرة البيض في استئثار المناطق المدارية

ها تقع منطقتا رودسيا ونياسالاند وتنهانكا وكينيا . وفي هذه الاقاليم تستخدم مشكلة اتصال العناصر والعروق العنصرية كختملة ، غير ان وزارة المستعمرات البريطانية تعرف كيف تقاوم نفوذها وتحاول ان تخفف من نتائج عنصرية البيض في هذه المنطقة .

ففي رودسيا الجنوبية حيث البيض لم يكونوا يمدد عام ١٩٣٤ سوى ٤٠٠٠٠ ثم ارتفع عددهم عام ١٩٥٣ الى ٦٥٠٠٠٠ . وقد اقتطعوا لهم ٤٠٠٠٠ رأينا ١٩٥٤ كيلومتر مربع من الارض الطيبة بينا لا يوجد تحت تصرف ١٦٥٠٠٠٠٠٠ ونحي سوى ١١٥٠٠٠٠ كلم مربع . وهم لا يقبلون عدم سوى المهاجرين الذين يملكون رؤوس اموال قوية خوفا من ان تفشاهندهم بوليتارياس . فقراء البيض ، كما هي الحال في افريقيا الجنوبية . فالقطار الثلاثة . رودسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند التي الفت عام ١٩٥٣ . الاتحاد افريقيا الوسطى ، تضم ٦٠٥٠٠٠٠٠٠ نسمة من

السكان ، بينهم ٤٠٠٠ ٢٠٠ من الأوروبيين الذين يتمتعون سياسة لا تختلف كثيراً عن السياسة التي يسير عليها اتحاد جنوبي أفريقيا . والبداهة التي لا مد منها لاستثمار المناجم لا يمكن توفرها الى عن طريق الاقتامات المالية التي تتقاضى رسوماً لها من الفداحة ما يصل الى ١٠٪ من ارباح البلاد الوطنيين مضطرين للمعت لهم عن عمن مأجور خارج لاقليم المحفوظة المخصصة لهم وقانون الاقتراح يخضع لشروط صرائعية ثقيلة ليس في وسع الكثيرين تحملها ، قد ترتفع احياناً (الى ٥٠٠ جنيه في روديسيا الجنوبية) ، فمئات الدم ليس من الاسباب الشرعية في نظر الحكومة ، ومع ذلك فهو يطبق في كل مكان ، ولقد السب عرست وراة المستعمرات ، وجود اربعة ممثلين عن الزوج في المجلس التشريعي القاطن في روديسيا الشمالية بالرغم من معارضة للمعري فيها . ومقاومة السود الذين يمثلون ٥ المؤتمر الافريقي ، تثلث لها شكلاً سلبياً ، ورفض التسليم بجامع الدم والخضوع له والعمل بقتضاء في المصادق ومكاتب البريد ، والاضرابات في مناجم الفحم في وسكي وفي مناجم النحاس في روديسيا الشمالية وعدم التمارن مع سلطات الاقتصاد ، واستقالة الزعماء الوطنيين .

واعلى الى الشمال تقوم تناميقا واوغندا وكينيا حيث قامت انكلترا بعد ٥ خسرت جاباما مواقعها الحصينة الحربية والجوية والبحرية في البحر الابيض المتوسط ، شبكة دفاع قوية صالحة لتكوين مركز دفاع مقاومة شديدة ونقطة انطلاق لمجوم محتمل فالحجاء آسيا الصغرى او المحيط الهندي او الشرق الاقصى . ولذا فهي حريصة على ان تشجع استيطان المصريين الابيض في هذه المنطقة ، وكبرت مبالغ حائلة لتجهيز هذه البلاد وتطور الزراعة فيها ، ففي كل قطر من هذه الاقطار الثلاثة يتمتع لحاكم العام بسلطة مطلقة ، والمجلس التشريعي المؤلف من الموظفين وممثلين منتصين عن الأوروبيين واعبود والعرب ، ومن اعضاء معينين بينهم بعض الافريقيين بحيث تؤدي قراراته دوماً اكثرية من البيض يوافق اليها .

ومقاومة ترندي لها صاهياً شد من الطابع الذي له في روديسيا . فامعمرون السود في تناميقا قليلو العدد (٧٠٠ ٢٧ من اصل ٤٠٠ ٨٠٠ نسمة واحتياجات الارض ليست مطابقة بالرغم من الاضطرابات التي وقعت في بعض الاماكن عام ١٩٥٢ ، وكذلك قص اوغندا حيث يقوم رئيس اورهم وعنه تحت الحماية البريطانية ، هو ادورد موفورا الثاني ، ملك بومندا ، اعنى المالك واكثرها ازدهاراً ولندي نعماء البريطانيين عام ١٩٥٣ لنزعته الاستقلالية ، واضطرت الى اعادته الى كرسي الملك امام احتجاجات السكان الصارخة .

اما في كينيا فامعمرون الأوروبيون هم اكثر بما هم في اي من هذه الاقطار والتجارة فيها يسيطر عليها البريطانيون والهند ، والتور المصري بين الشعوب الثلاثة اقوى منه في اي مكان آخر . فالمستعمرون البيض استقروا وازدهرت اعمالهم في السهول المرتفعة . فهم يراعون في تشكيل دومنيون ابيض كما انهم يخططون لتقوية الاستثمار الاوروبي في البلاد . فالشعور المصري يعيش على هامشهم وحائل اللون لا يقن شدة وهدماً عنه في افريقيا الجنوبية . فهم

يهالبون بالحكم الذاتي حتى يزوده صلاية ولكي يشككو معه من طرد الـ ١٥٠٠٠ من الاسويين ولا سيما طود والاكستيين الذين يسيطرون على النشاط التجاري في البلاد وسجل بعضهم درجة عالية من الثراء . كل بهاء البلاد الوطني يذهبون فريسة لهذا الوضع ولا سيما مدبرة الاراضي التي تتعرض باستمرار للتأكل السريع . كما يتأخفون من الالتزامات التي تفرض على الرحل من اب ١٥ الى ٤٥ سنة فيورد انفسهم مشغرين للعمل في الخدمات العامة وفي مزارع السيخ (اد عليهم ان يقصوا بين ثلاثة وخمسة اشهر في العمل ليؤدوا ما عليهم من ضرائب) . واكثر لجماعات الحاحا وعطالة باسترجاع الاعلاك التي برهت منهم قسرا وعصوة هم قبائل الكيكويدي . فهم يولمون السلطات المسؤولية لاعتبارها ارضاً حراما وتزكها الحرية للعصرين باستلاكها ، اراض شاسعة حسنها غير مملوكة بها كانت مراعي لمواشيم ومناطق للصيد ، واستلاك لاشعوري ، كما يؤكد غورور ، من كثيرا في نفوسهم لا سيما والاراضي التي يقيمون عليها كثيفة السكان ١٠٧ واحياء ٢٠٠ سمعة في الكيلومتر مربع الواحد . جمعية كيكويدي ماركرية ، التي تأسست عام ١٩٢٢ ، والتي عرفت غلبا بعد باسم « اتحاد كينيا الأفريقي » ، اصبحت جمعية سياسية قوية ونشطة عام ١٩٤٦ بعد عوده حومو كينيا من اوروبا . وفي واخر سنة ١٩٤٨ تظهر حركة الماوماو وهي جمعية سرية يؤدي اعضاؤها القسم ويرافق انضمامهم الى الجمعية مراسم وطقوس خاصة ، وهي معروفة بعد لها المكشور البيض والفسجية . وتهاجم باستمرار البيض والوطنيين الذين يرأونهم ويخلصون لهم العمل ، فردت السلطات المحلية عن هذه الاعمال يساعدها الصير ان ورجعات من الجيش البريطانية بأعمال قمع عنيفة استعالت الى حرب اداة فعلية . وفي عام ١٩٥٤ كان اكتر من ١٦٢ و ١٠٠٠ وطني جرى توقيفهم واعتقالهم ، وحكم على ٦٩ و ١٠٠٠ منهم ، بينهم ١٣٠٠٠ ثبت انهم اعضاء في جمعية الماوماو واشتركوا باعمالها ، وكان لا يزال في هذا التاريخ اكثر من ٣٠ و ١٠٠٠ لا يزالون موقوفين . وهذه الارقم المالية ، تكون دليل قاطعا على شعبية هذه الحركة . ولم يصب حد لاعلان المطواري في البلاد بعد ان شقت الاضطرابات التي تثيرها الا في كانون الثاني عام ١٩٦٠ بعد اعلانها عام ١٩٥٣

في هذه الاقطار الثلاثة استطاعت السياسة البريطانية ان تزيل تدريجياً العراقيل والمصاعب التي تعرض سياستها التحررية . دشاء مجالس وطنية لاناء البلاد الاصليين كانت لها صفة مشاورة في بادى الامر ، ثم اعطيت سلطات لاتخاذ قرارات . ورفع عدد الموظفين الوطنيين ، واحيرا الاجتماع حول طائفة مستديرة لمناقشة الافكار والنظريات المتماصة ، اعصت في نهاية المطاف الى اصلاح جذري في النظام الانتخابي حققت بفضل كل من تمنايقا وكينيا استقلالها عام ١٩٦٠ ، وانشاء مجلس تشريعي يضم اكنوزية افريقية على مثال ما تم ليوغندا .

منذ البدء تم استثمار ثروات الكومفو البلجيكي بشكل منهجي على يد الكومفو البلجيكي شركات خاصة قوية تحت اشراف فئات مالية قوية : مثل مصرف امين ، وشركة الكومفو للتجارية والمعدنية ، والاونيلير ، واهما طراً شركة بلجيكا العامة

التي تألفت من الشركات الفرعية التالية : الاتحاد المنحيمي في كاتنغا العليا ، ولجنة كاتنغا الخاصة ، ولجنة كيغور الوطنية ، والخط الحديدية من بحري الكومو الاسفل الى كاتنغا ، والشركة الحرجية المنحيمية ، وشركة ريرت الكومو السليبيكي ، وشركة كاساي ، والجيومين وغيرها . وسيطرت هذه الشركات على امتيازات واسعة أفضت لها ، ووجهت سل نشاطها على الاخص الى تصدير منتجات المعادن والمعادن الزراعية برسم الاسواق الخارجية . وقد نهضت باستثمار موارد البلاد خلال الحرب قسمة منها لطلبات الحلفاء ولتلبية حاجاتهم الى المطاط والبن والفوفيرام والقصدير والاورانيوم والنحاس والكوبالت وغير ذلك من المعادن . وهذا الاستنزاف الذي اهل جانباً المعادن اللازمة لمد السكان برهن مما يمكن تخمينه من ضعف وضعه خلال الازمة الاقتصادية ولم تبرز هذه المخاطر بشكل واضح الا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . خرج الكومو من الازمة بعد ان طرأ تطور عظيم على مراكزه الاقتصادية والمدنية التي تضم ربع سكان البلاد تقريباً ، الا ان اقتصاده اصبح كالوضع الاقتصادي في جمهوريات امريكا اللاتينية سرعان ما عطل في اثر الضعف الذي حل بأسواقه الداخلية والاهمية المتزايدة لتصدير البلاد . ان تلك ميزانية الكومو في عام ١٩٥٢ كانت تقوم على الرسوم والضرائب المقررة على شركة الاتحاد كاتنغا للمالية المعنية . ويكفي هذا اشارة الى الحد الذي ارتفعت به قيمة هذه البلاد بتصدير بعض منتجاتها التي ترتبط هي نفسها ، ان حد بعيد بتقلبات الاسواق العالمية ان اخطوط الذي سجلته اسعار المواد الزيتية عام ١٩٥١ بين مرة اخرى ، سرعة عطل الوضع الاقتصادي في الكومو .

وقد بذلت فيها بعد جهود صادقة لتصبح الاوضاع وبسطها اقل خطراً . وقد وضعت في هذا السبيل خطة عشرية دخلت موضع التنفيذ عام ١٩٥٠ خطت لتطوير وسائل النقل وتشيد محطات لتوليد الطاقة الكهربائية وتجهيز المصانع المحلية والدوائر العامة ، ورفع مستوى التعليم والصحة وتطوير الزراعة بين سكان البلاد من الوطنيين ، مقروين المزارعين بالمناهج والاساليب التي تحافظ على حصب الارض وحسن استغلالها ، وتحسين المواسم الزراعية ، ولتنقيح المعادن الزراعية عن طريق انشاء تعاونيات في البلاد والشهوض بالمؤسسات والاهمال الاجتماعية عن طريق تأسيس صندوق خاص يديره صندوق رفاهية المواطن ، وتطوير طرق المواصلات وتحسين اوضاع المجتمعات الريفية . وقد بقي مستوى جيش الوطنيين متدنٍ جداً كما بقي السكان عرضة للنقص في التغذية لضعف انتاج البلاد للمواد الغذائية ، كما ان اقتصاد البلاد يشهد تدهوراً هائلاً كان من شأنه ان يربط هذا الوضع حرجاً ما لم يتبادر البلاد الى مكتنة الزراعة بأسرع ما يمكن .

هذا الوضع المادي لهريل الذي حفر بالسكان بشجع كثيراً على إيقاف الروح نظام ابي الوطنية ومنع الرعية في نفوس الجميع بجره اصلاحات سياسية في البلاد . فقد عرفت السلطات السليبيكية ان تحافظ على نظام اداري ابي حتى الحرب العالمية الأخيرة ، في

المجالين الاقتصادي والاجتماعي : التعليم يعطى باللغة الدارجة لأنه الاساليب المستفيدة من المساعدات الرسمية . أما مسألة مهنة كاتوليكية ، إذ أن الآلة في التعليم المعقود عام ١٩٢٦ ، يضع بين أيدي « الارشاليات الوطنية » شبه احتكار للتعليم - فالارشاليات البروقشانية لم تستعد من هذه المساعدات الا منذ عام ١٩٤٦ ، وهو في مستوى وسط ، فهي وعمل في آت و حد . ويحصر تعليم اللغة الفرنسية عن سيكون على اتصال موصول بالاوروبيين ، ويمنون عنهم كل تعليم ثقافي وعلمي . والتعليم يهدف « الى بث الموضوعات الادبية والنظريات الخاصة بالصحة العامة والرقمي ، والاحترام والتعاطف مع العمل الاستعماري الذي تقوم به الحكومة البلجيكية » . اما فيما يتعلق بالترقية لادبية او لاحلاقية ، فيجب التمويل على التبشير بالانجيل ، وهذه الترقية تختلف بروحها عن المناهج التربوية التي تسير عليها الحكومات الاستعمارية في افريقيا ، هذا التعليم الذي يمكن ان يصغر ، كما يرغم الحاكم العمام في الحكومات ريكمانس « نصيب نخبة مختارة » ولا بد له من ان يبعث في نفوس القوم ادعاءات تفوق عصرية في قلب يجتمع لسوده الامية ، اد انطوب من التعليم نهضة « افريقيين صالحين » وليس فقط صوراً طلق الاصل للاوروبيين الذين سيهون ابدأ « ناساً من الطبقة الثالثة » .

اما في المجال الاقتصادي ، فقد وصيغ الرطبي من انشاء البلاد تحت وصاية ضيقة ، فعلى رب العمل ان يقدم للعامل ولاسرتة ، السكن والاثاث والامانة الصحية ، حتى اذا ما برهن فيما بعد « عن قدرة في العمل وعن حسن سلوك في المجال الاجتماعي » ، أعطي له مرتب شهري ولم يعد رب العمل مسؤولاً عن إعائته ، اما يكفل له السكن والصيانة الصحية . وهو يحصص لثلث هذه التسمية ، في المعايير السياسي والاداري لا حق له بالافتراء ، والمهالس القانسة لا تخرج عن كونها محاسن استعمارية ، مع اعتبار من البلاد قاصراً عن الدعا عن مصالحه التي تتولاه لادارة ، ولا مجال ، بطبع نشاط نقابي ، ولا حرية تعير . وقانون العمل يعاقب بالسجن كل مخالفة « لنظام العمل » ، بعقوبة ثلاثة اشهر من الاشغال الشاقة ، « ومالئة عقد العمل » ، وجميعات العمال الوطنيين التي تهدف ليس من حرية العمل .. ريكلف « مستشارون اوروبيون » بمرافقة وفادات العمال الوطنيين التي يحضض الانكساب اليها الشروط عدة . ليس هنالك من حد او عائق اللون مع ن القانون الذي صدر في نيسان ١٩٥٢ يجعل بحكم المستعبد الزواج بين ابنة البلاد الوطنيين وغير الوطنيين ، كما يوجد قيد العمل والتطبيق احراء تمييزية عنية ، واهوة بسين البيض والسود عميقة لا يمكن تجاوزها . والفصل المادي والادبي يزداد شدة وصرامة يوماً بعد يوم حتى من المرسلين الذين بالرغم من قلة عددهم ، يحاولون ان يؤلفوا اكثروس البيض وحدهم همي المدن التي لتقيم الاتصال بين الوطنيين والاوروبيين ، كندية ليوبولديفيل مثلاً ، ان يسمح للزوج بالدخول الى مدينة الاوروبية بعد الساعة ٢١ مساءً والعكس بالعكس . وفي عام ١٩٥٩ فقط بطل العمل باطفاء الانوار مع منع التجول للافريقيين واخضاع مخالفين لعقوبة الجلد . وكل لوسائل تستخدم لمنع الكومونيين من الذهاب لاوروبا والاطلاع على اساليب الميش بين

الناس فيها . ومن جهة اخرى ، فالمعمرون المحققون البلجيكيون المستقرون في الكونغو ،
والذين يتراوح عددهم بين ٦ - و ٧ آلاف معمر من اصل ٨٠ ، ٠٠٠ ايضاً يقطنون هذه البلاد ،
يخشون كتملائهم البريطانيين في المستعمرات البريطانية ، من ان تتخذ حكومة بروكسل سياسة
ملاطمة ومبالاة للوطنيين . ولذا فهم يطالبون بقوة سياسية خاصة ويطلبون باستقلال اداري
يؤمن لهم السيطرة والتفوق في المجالس القائمة في الكونغو . فهم يتمتعون بقوة قوي يفتق له
المتطورون من ابناء البلاد الاصليين الذين يتألمون من التمييز العنصري الذي يطبق عليهم
ويذهبون ضحية له ، فيفقدون برادة ولوعة وضميرهم بوضع المستعمرات الفرنسية او بوضع
نيجييريا او الكامرون حيث تقوم مجالس منتخبة ويوجد طلبة ومهندسون ونوج . فالروح الاموية
التي اصبحت بها الادارة البلجيكية في الكونغو قد طغت عليها ايس المطالبات المناهضة فحسب ،
بل ايضاً عجزها المدقع وقصورها عن مواجهة مسؤولياتها في الوقت الذي لم يعد كافياً اعطاء
الاوامر واصدار التعليمات والتوجيهات ، بل يجب فيه ايجاد العمل اصنام جمعية من الفلاحين ،
او امام تعاونية ، تأمين وسائل العيش لمدينة وقامين ادارتها . يجب والحالة هذه اسناء مهمة
سياسية للوطنيين ، وقامين مساهمتهم بنشاط في الامور التي تؤمن لهم الرفاهية والراحة ، وان
يثيروا فيهم الاهتمام بامورهم ومصالحهم ، وعملية التنظيم هذه تزداد إلحاحاً امام الانحلال الذي
بدت اعراضه تظهر على هذه الدوائر الادارية التقليدية التي هبط عددها من ١٢١٢ عام ١٩٣٨ الى
١٩٧ في عام ١٩٥١ ، وهي في طريقها الى الزوال تماماً في ولايات ليوبولدفيل او في ولاية كاساي
حيث استبدلت بدوائر اوسع . فالتطور الذي اخذت باسبابه المستعمرات الانكليزية والفرنسية
المجاورة والتي لا يمكن ان تمرل عنها ، حتمت على الادارة الاستعمارية في الكونغو ان تتغير
بأمرح ما يكون .

وقد بدت حركة رجلة تحيية ، حركة رفع الحواجز الاجتماعية وعملية تمثيل
النقل التدريج الوطنيين لحقوق القريبين . ان اشأ « قسيمة » الاستحقاق الوطني عام ١٩٤٨
أمن للوطنيين بعض المنافع - لا سيما في حال حدوث حادثة مثلاً - واعطاهم حق المحاكمة امام
محكمة اوروبية ، لا تعرضهم محاكمة يتعرضون معها لعقوبة الفلكي او الجلد امام الناس ، وهو حق
اعطي لكل مواطن في مكنته ان يبرهن عن حسن سلوكه وعن حسن اسلاق ينبض بالربعة
الصادقة بالوصول الى درجة محترمة من التمدن ، اي ان يكون متزوجاً من امرأة واحدة
بحسن السكينة والقراءة ومبادئ الحساب ويثبت احتياضه ومهارته في الحرفة التي يمارسها ،
الا ان عدد الذين اعتبروا حائزين على هذه الشروط كان مدعاة للسخرى اذ لم يكن ليتجاوز
١٢٥ - ١٥٠ في السنة كلها . وفي سنة ١٩٥٢ فرض تسجيل الحضور للقانون المدني الاوروبي .
على كل مواطن كونغولي ، يستطيع ان يزكي بما له من رتبة ومن سلوك حسن ، بلوغه وضماً من
التمدن يحمله صالحاً للتمتع بهذه الحقوق ، ومستعداً للقيام بالواجبات التي تنص عليها القوانين
المرسومة . الا ان عملية التسجيل هذه كانت توجب على صاحبها اتخاذ بعض الاجراءات والتدابير
القانونية التي كانت تفلان من حق الأوروبيين وحدهم ، كما تقضي باتهام بعض المعاملات المعقدة

بحيث لم يستفد منها سوى بعض الزنوج . وقد اتخذت إجراءات خفيفة ضد حاجر اللون ؛ فمثلاً عام ١٩٥٢ قُبل الطلاب النجباء من الوطنيين الذين يبرهنون « عن كفاءات قروية وأخلاقية » في المدارس الخاصة بالأوروبيين وإجبار شركات النقل المشترك على قبول الزنوج في الدرجة الأولى الخاصة بالبيض ، وإنشاء لجان وطنية للمعالم وللتقدم الاجتماعي ثلاثية التركيب (أرباب العمل والعمل وممثلو الإدارة) واختياراً قوياً جامعة لوغين إنشاء جامعة في ليوبولدفيل ، في تشرين الأول ١٩٥٤ ، كما أنشأت الدولة جامعة أخرى في أليزا بتفيل ، حالتان معاً دون سفر الطلاب الوطنيين إلى أوروبا لتلقي العلم فيها ، ولا سيما لدراسة الطب والعلوم الزراعية دون أن يقوم فيها أي معهد لتدريس الحقوق والعلوم الهندسية أو رسم ثمانية أعضاء وطنيين إلى مجالس الولاية وإلى مختلف المجالس الإقليمية وهي هيئات استشارية لا سلطة فعلية لها .

ولما كان الكونغرس البلجيكي « منطقة صامتة للاستعمار » في أفريقيا حيث الاستعمار المنهجي لموارد البلاد الطبيعية قلب اعترق ما يكون التوازن الاستعماري الذي كان سافداً في البلاد ، وللنظام الأبوي الذي سار به إلى الكمال والذي جاء بأطيب الأثر ، قد جنب البلاد الأعمال الوحشية المنيعة التي ميرت التمييز العنصري في أفريقيا الجنوبية وحسنت كثيراً من أوضاع الرنجي فيه إذ أضحت مراقبة دقيقة وأحياناً لعملية قمع هائلة ، بحيث حاد مدة طويلة دون تنفيذ التدمير وتنظيم أسباب الشكوى إلا أن التطور الاقتصادي لم يلبث أن أظهر بوضوح الدورق والمفارقات بين سياسة تفصح عما أكثر المعامل الأفريقيين بتسرع شيئاً فشيئاً في سياسة البلاد الاقتصادية ، وبين سياسة أخرى تمنح عليهم كل تنظيم سياسي ونحوه دوره . وقد بقيت تعمل في السر ، متخفية مدة طويلة ، بالرغم من تحريرها ومنحها قنات سرية ديبية مناهضة للبيض في ولاية كاساي وولاية شط الاستواء كالكييتارالا والتي ما لبثت أن تجاوزت حدود المقاطعة والكلمة لحيبة أو التمييزية في منطقة ستانليفيل . وقد ظهرت إذ ذاك حركة نقابية هائلة بين الزنوج لها مطالبها وشاغلها السياسي ، كما يشهد على ذلك مظاهر أن لا تعالوان من معنى قد « من ذلك مثلاً البيان الذي نشره في قوز ١٩٥٦ » الضمير الأفريقي ، وهي فئة قريبة جداً من مرسل شويت الذي يرفض كل اتحاد أو تحالف بلجيكي كونيولي يرفض على البلاد بمبرر رضى الشعب الكونغولي الحر ، ولا سيما لا كثرية الساحقة التي قالتها الأحزاب المناهضة للبيض في الانتعاشات البلدية التي وقعت في كانون الأول ١٩٥٧ ، لأول مرة في أحياء ليوبولدفيل الرئيسية الثلاثة وفي البرسيميل وحيدوتفيل . والمعلمة التي أحاطت بالسكان وضربت حولهم نطاقاً ضيقاً لم تلت أن زالت وارتفعت . وبارغم من « معركة التأخير والتسويق » التي تعرضت لها من قبل الحكومة البلجيكية ، فقد اضطرت هذه الحكومة في نهاية الأمر للسفر على عرر انكساراً وفرنسا في هذا المجال .

ولكن كان قد فات الأوان ليم هذا التعبير ولكي يتحقق هدوء وسلام . فعلى أثر الفضة التي قامت في ليوبولدفيل وعانت فيها عسافاً والتي سرح أو قتل بها عدد كبير من الأفريقيين (٤ كانون الثاني ١٩٥٩) اضطرت حكومة البلجيكية بعد أن صغرت على صعد الأمور

وقبع الفتنة، لتشهد باعطاء البلاد نظاماً ديموقراطياً، ثم بعد ان خففت المهلة المقررة - دعت الى طاولة مستديرة في شباط ١٩٦٠ للبحث في امر استقلال البلاد . وفي اول تموز اعلن استقلال الكونغو وتشكلت فيه حكومة مركزية . واذ ذاك حدثت فجأة حركة تمرد قوي الأمن ضد ضباطهم البلجيكيين واخذت ولاية كاتنغا تنزع الى الانفصال واهلانا استقلالها . والاصطدامات القبلية ادت الى انفجار هام في البلاد وجرت عليها وضما من القومى الشامية وضعت الكونغو امام خطر تدخل اجنبي من قبل الدول المتنافسة في المنطقة مما حل عهديداً السلام العالمي .

أفريقيا البرتغالية منطقة اخرى من مناطق الصمت الافريقي ، ندرت حولها المعلومات وضمت ، تكونت من هذه المناطق الواقعة تحت الاستعمار البرتغالي والتي لم تكن لتؤلف بعد ذاتها مستعمرات او محميات برتغالية بل ولايات ضمن مولة البرتغال الاتحادية ، وتخضع لمراقبة دقيقة من قبل حكومة لشبونة ، كما نص على ذلك القانون الاساسي ، اي انه كانت واقعة كالبند الام تحت النظام الدكتاتوري . والنظام المعمول به في هذه الممتلكات كان يشبه من وجوه عدة النظام القائم في الكونغو ، يبرز هنا الطابع الاجري أكثر منه هناك وإن كان أسوأ فعالية هناك منه هنا ، إذ كانت هذه الممتلكات تخضع لدولة متعلقة ، ترسب في وضع ما قبل عصر الصناعة مستوى الحياة فيها مسددة جداً (فالأحر الوسط في امورميتي كان ٩ دسات عام ١٩٥٠) ، ومعدل الأمية فيها هو من أعلى ما يرى في كل اقطار افريقيا ، وقانون الاشغال الشاقة الذي لا تزال البلاد خاصة له يطال أصحاب من ٤٠٠ ٠٠٠ من أبناء هذه الممتلكات . والقانون المعمول به محلياً يوجب على كل افريقي ان يأتي بالدليل القاطع على انه أمضى ستة اشهر عمل خلال السنة التي سبقت التحقيق او انه يعمل في الوقت الذي يجري فيه ، والا ارسلت به السلطات الى العمل الالزامي ، واصبح منذ ذلك الحين *Contratado* اي عرضة للسخرة يصعد الحكام البرتغاليون تحت تصرف المتعدين المحيطين الذين يوقعون بالنيابة عنه عقد عمل . اما الـ *Voluntarios* او المتطوعون منهم يرضعون تحت تصرف صعد الزعماء ورؤساء الورش الذين ترغمهم الادارة على حشد العدد المطلوب من لدن رؤساء المشروعات ، عازباًتهم وقصدهم ليس كثر حرية من العبد الذي يوقعه الـ *Contratados* ان عدم وجود حائسل الاون رسمياً او تغيير عنصره مرده الفقر المدقع والجهل المطبق الذي يرسف فيه امساء البلاد فيجعل من المستحيل كل اتصال او تقارب على اساس المساواة مع البيض . هسالك مع ذلك ، مؤسسة قريبة جداً من مؤسسة المسحطين الكونغولييين ، تتألف من المتدينين ، وهم من الوطنيين الذين ازولهم منزلة البيض والذين يسمون مثلهم بالحقوق والواجبات ذاتها ، وذلك بقررتهم هذه محكمة محلية عندما يشبهون اهم يحسبون البرتغالية ، وهم على الدين الكاثوليكي ولهم بعض الربيع ، وانهم على استعداد للعيش وفقاً سجع الحياة الأوروبية . وفي لواقع ان عدم القدرة التي تكاد تكون كاملة على التعلم ، ان عدد اندارس محدود جداً وهي كلها كاثوليكية، وستواما

متدنٍ للغاية ، والفقر المسيطر على البلاد ، كل هذه الاسباب مما لا تسمح الا لثمن صغير ولقلة محدودة ان ترقى الى درجة المتحضرين و المتمدنين . ففي عام ١٩٥٠ ، كان عددهم في انغولا ٣٠٠٠٠ من اصل ٤ ملايين نسمة ، وفي الموريشي ٤٣٧٨ من اصل ٦٠٠٠٠٠ نسمة ، و ١٤٧٨ في الملبية من اصل ٥١٠٠٠٠ . ان عدم الاخذ بفارق اللون يعود بالفائدة هنا ، كما في البرازيل ، على عدد كبير من الخلاسين الذين أنزلوا منزلة البيض بشرط ان يحيا حياة اوروبية . انما التمييز العنصري اخذ يدور قرناه ويظهر بتعظيم لزواج المختلط . ان وضع البلاد المتخلف اقتصادياً والامية العالمة على السكان يفسران لنا سبب عدم ظهور ردات وطنية في هذه البلاد

اذا ما قارنا الممتلكات الفرنسية بالبلدان المجاورة لها
فرنسا في افريقيا الغربية الفرنسية
كاثشاطى الذهب ونيجيريا والكوتيفو الليجي ، وجدنا
افريقيا الاستوائية ومدغشقر
ان هذه الممتلكات هي فقيرة ، على الاجال ، بمواردها الطبيعية ومصادر الطاقة وسكانها هم في حدود الوسط ، فالأوروبيون فيها قلة ، بين موظفين ومستعملين في بعض الشركات التجارية الكبرى ، او مؤلفون الملاك الادري لبعض المصانع ولا سيما الاستخراجية منها ، وعسكريين وبضعة ألوف من المعمرين والتجار . ان معظم المعمرين في مدغشقر هم من الأوروبيين المولودين في المستعمرات يستثمرون بأنفسهم الاستثمارات التي أعطوها بمساوئهم في عملهم هذا مما لا سيما مرابحون يتمدون بعض القطع الصغيرة التي استأجروها ، بعضهم يصبح للدين الفارق فيها عدداً مرتبها بالأرض والحياة الاقتصادية فيها ، يوجد بها - كما رأينا - بعض الشركات التجارية الكبرى وماها من فروع تابعة لها تعمل في قطاع النقل الذي يدر ارباحاً كثيرة : و ان ربح هذه الشركات في بعض السنين يوزي رأس المال المشغل ، كما يؤكد ربه دومون . وعلى الموارد المحلية ان تتعمل اعطاء ادارة مكثفة . ففي افريقيا الغربية الفرنسية يمتص موظفو الادارة ومندوبو الجيش ٦٢ ٪ من دخل الخزانة ، وفي مدغشقر ٧٥ ٪ وتنفق هذه الشركات كغيرها من الشركات الكبرى ، رباحها كاملة الى البلد الأم . والاقتصاد يهض على بعض المنتوجات الرئيسية ، كالكاكاو والبن والمواد الزيتية والحشيش والموز في مقاطعة افريقيا الغربية الفرنسية ، والاور والبن في مدغشقر . فالاسعار مرتفعة لان المستعملين الفرنسيين يتفاوضون مرتبات عالية واليد العاملة الوطنية لا تتوفر فيها مقتضيات الحكم والنوع . اما الصادرات فقيمتها ضعيفة فهي في كل افريقيا الغربية الفرنسية اقل مما يصدره الشاطى الذهبى ، والميزان التجاري هو دوماً في عجز لا سيما في مدغشقر . وحالفاً للمستعمرات الانكليزية والبلجيكية هما من مقاطعة واحدة من هذه المقاطعات الفرنسية تدخل دولارات . والاستيراد الذي يفشط ويرداد سنة بعد سنة يدور حول حاجيات مشغولة ومواد للتجهيز تدفع القسم الاكبر من ثمنها البلد الأم ، ومشروبات كحولية زاد حجمها بين ١٩٣٨ - ١٩٥٢ أكثر من ٣٨ ضعفاً في مقاطعة افريقيا الغربية الفرنسية ، و ٣٦ ضعفاً في الكامرون . فاصحاب الاموال الخاصة قلما يتجهون نحو افريقيا في استثمار اموالهم ، فهذه الاستثمارات تنح

بلاخرى لمواستغلال مناجم الحديد في موريتانيا، ومناجم النوكسيت في الغنيب والنجيب في الكورمو الاوسط . اما العجز في الموازنة فتسده البلد الام التي تحصل القسم الاكبر من هذه الخسارة (٩٠٪ منذ ١٩٥٦) من اشغال البناء وعمليات صهرية الخطوط واصلاح طرق المواصلات ، وهي تحصل ايضاً بمقات التجيز الاجتماعي والزراعي والصناعي والصحي والتعليم بكامله عن طريق شركة F. I. D. E. S.

توكت الحرب العالمية الثانية اثرها جميعاً في هذه الممتلكات . فالقلق الذي اعادى جاهل السكان في المدن التي ارفع عددها بسرعة وبشكل تجاوز الحد ، كما اعادى سكان الريف ايضاً نظراً لما تعرضوا له من ويلات الحرب ، كالأشغال الشاقة والمصادرات على اراضيها ، والافكار ، والصرايب والرسوم التي فرضت عليهم ، كل هذا وما اليه ساعد على ايقاظ الوعي الوطني في هذه البلدان ان حكم فيشي حرك فيهم « عنصرية محدودة » تميرت بالعلماء المجالس المحلية وكل الحريات التي كانت تتم بها ، بعد ان احيا نظام المواطنين الذي اضع ابناء البلاد الاصليين لعدده من عدم الحكومات الشرعية كالحاكم الخاصة ، ومنهم من مفادرة المستعمرة موعاً اذن مسبق ، والعمل الاحصاري او التعمد بتوفير هذا العمل لصيانة الطرقات ، والاعتراف للسلطات الادارية بحق عرض بعض غرامات او موقوفات حيس . ان دخول هذه الممتلكات الحرب من ١٩٤٠ - ١٩٤٢ فانصاهم حاكم التشدد فيلكس ايبويه الى فرنسا الحرة ، ثم انضم الكمارون وافرقيقا الاستوائية الفرنسية ، كان من نتائج تقديم جهود حربي لا حشيل له من قبل : نظام الاشغال الشاقة ، والمصادرات التصفية للثغمة ، واجبارهم على تقديم بعض الماصيل ولا سيما المطاط ، كان من شأنه ان هذه المقاطعت لقاء نتيجة هزيلة لا يؤبه له واستنجاباً على هذه « النتائج الجنوبية » والذكرى المريعة التي تركتها في النفوس والافئان ، صدر عام ١٩٤٦ كودة فعل لها ، القانون المعروف بقانون لامين عيبه الذي اص قانون المواطنة وضمن الحريات العامة . كحق تأليف الجمعيات وتشكيل النقابات والاحزاب السياسية ، والقضاء الاشغال الاجبارية ، وغير ذلك . وصدر قانون آخر عام ١٩٥٠ ، بشأن المساواة في الراتب والاحور بين الموظفين التابعين للبلد الام والوطنيين من الرتبة ذاتها .

الاتحاد الفرنسي
احد مؤثر برازاخيل الذي عقد في خرة ١٩٤٤ لاعداد مصادى السياسة الاستعمارية التي تسير عليها فرنسا بعد التحرر ، يزع الى نظام من شأنه ان يعطي كل مقاطعة مستعمرة نظاماً خاصاً به ، ويستعمل « كل فكرة استقلال وكل امكانية تطوير خارج كتلة الامبراطورية الفرنسية » ، والتوقف عند احتمال من دستور للحكم الذاتي ، ولو من بعيد ، والمجلس التأسيسي لم يتوقف حتى عند الفكرة القيدالية . والنص الذي أقر في نهاية الامر في اكتوبر (تشرين اول) عام ١٩٤٦ ، أقر لاتحاد الفرنسي . وهذا الاتحاد ليس بدولة فيدرالية . هو يتألف ، من جهة ، من جمهورية لفرنسية التي تضم فرنسا الام والمقاطعات والممتلكات الواقعة عبر البحار ، ومن جهة اخرى ، المقاطعات والبلد المشتركة ، لحسب

مقاطعات أفريقيا السوداء ضمن « المقاطعات الواقعة عبر البحار » . فهو يحافظ على دولة اتحادية تمنح مقاطعاتها نظام إداري أكثر لامركزية من المحافظات في البلد الأم . هكنا السكان من إنشاء البلاد الأصليين هم من الآن قصصاً مواطنون دون أن يطلب اليهم التحصيل عن أحوالهم الشخصية المتعارفة ، وبذلك تلقى المحاكم الوطنية في كل ما يتعلق منها بالجرم وتبقى في حملها ، في كل ما يتصل بالأمور المدنية ، مع ملء الحرية لصاحب العلاقة أن يختار اختصاص الحق العام . وكل المقاطعات تمثل في البرلمان .

وهكذا ، فالسياسة الفرنسية إذ تعمل عالمياً عن رعايتها في حق المبدان المستعمرة « على إدراك نفسها بنفسها » ، لا تقبل بهذا الوضع إلا طبعاً للجمعية الفرنسية . فالممثلات الواقعة عبر البحار هي حرة منهم أو مقوم لهم ، ويترب على إنشاء البلاد الوطنيين أن يستنوا للثقافة الفرنسية . ففي هذا استمرار لسياسة التمثيل التي تنزع إلى مدرسة الأفريقيين عن طريق المنزلة والخدمة العسكرية . فحق الانتخاب الذي يحصر في مائة الأمر ، في الأفراد المائتين على الوضع المدني الحق العام ، « توسع بسرعة » في بعد عام ١٩٥١ و ١٩٥٢ بحيث يضم هذه الفئات الجديدة من الوطنيين الذين تتوفر فيهم بعض شروط الكفاءة والأهلية أو الذين ادور بعض الخدمات اللازمة ، أو الأشخاص الذين يمكن فردتهم بكل ثقة . فعدد الناحين ارتفع بين ١٩٤٦ - ١٩٥٢ من ١٣٦ ، ٥٠٠ إلى ٢٢٥ ، ٥٠٠ في الثانية ، ومن ٩٥٧١ إلى ٥٠ ، ٥٠٠ في التوفر ، ومن ٣٨ ، ٥٠٠ إلى ٥٦٦ ، ٥٠٠ في الكامرون ، ومن ١٩٢ ، ٥٠٠ إلى ٦٦٠ ، ٥٠٠ في السنغال ، ومن ١٧٦ ، ٥٠٠ إلى ٩٠٦ ، ٥٠٠ في السودان ، ومن ٢٢ ، ٥٠٠ إلى ٢٥٠ ، ٥٠٠ في التشاد ، دوماً تميز قطبين انتعاشات خاصة للأوروبيين وانتعاشات خاصة للوطنيين ، باستثناء مدغشقر وأفريقيا الاستوائية الفرنسية والكامرون . وفي النطاق المحلي ، لكل قطر مجلس التمثيل الخاص اختصاصاته أوسع بكثير ، ما كان للمجالس العامة المتروبوليتية من اختصاصات . وأخيراً ، فافريقيا الاستوائية الفرنسية وأفريقيا العربية الفرنسية لكل منها « مجلس الأعلى » منتخب ، حيث للأوروبيين عادة ثلث المقاعد ، صالح للتصويت على الموازنات وأقرار الامتيازات الاستثنائية وسهده الأشغال الكبرى والتعليم ، وهو نظام ليبرالي جري إكماله بوضع قانون عمل في الأقطار الواقعة عبر البحار (١٩٥٢) لاقى تصديقه بعض المغاومة من قبل الزعماء التقليديين ومن قبل الحزب الإداري ، الذي يسوء حدة التنافس من سلطته السابقة الواسعة . أما النظام الاقتصادي الذي يهض على الميثاق الاستعماري ، فالبلد الأم فيه يحدد الأسعار ويحتفظ لنفسها باتساع المقاطعات بحسب الأولوية وهي لنوى توزيع ربح التصدير

الحركات الوطنية حادت الأحزاب الأولى التي تألفت على شاكلة الأحزاب القائمة في البلد الأم ، كالحزب التقدمي الموحداني ، والحزب الديمقراطي في شاطئ الساحل الذي أصبح فيما بعد « التجمع الديمقراطي الأفريقي » (R. D. A) الذي لاقى نجاحاً عظيماً وحظي بأكبر تمثيل في المجلس الوطني وفي المجلس الاستشاري للجمهورية عام ١٩٤٦ و ١٩٤٧ وجاء في

برأيه الموصوح في تشرين الاول ١٩٤٦ على تنظيم الجماهير الافريقية بقصد تحرير كل البلدان الافريقية وانقادها من نير الاستعمار عن طريق إظهار شخصيتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحضارية . وكان يرفع عقبرته بالاحتجاج ضد مبادئ التمثيل الذي نص عليها دستور الاتحاد عام ١٩٤٦ وبطالب « بالتحديد بحري بحرية تامة قائم على المساواة في الحقوق والواجبات » .

وقد انتشر هذا الحزب في كل الاقطار والمقاطعات التي قدمت فيها عملية قتل الروح القبلية شوصاً بعيداً كالكونغو الاوسط والسودان ، مدحلاً في صفوفه المتطوري كالكتاب والمستخدمين والموظفين الذين يؤلفون في صفوفهم بورجوازية صغيرة ويطمحون أساساً الى إلغاء عدم المساواة في كل ما يتعلق بالاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وبالعمل ، باستثناء مدعشقر والتوغو حيث اخذت الحركة الوطنية إيقه تطالب باعادة تنظيم الوحدة بعد ان حطمتها تقسيم البلاد ، وتترع ان الاستقلال ، يرى كل الاحزاب السياسية الوطنية تطالب قبل كل شيء بالمساواة التامة مع الاوروبيين ، وينصيب اكبر في ادارة الشؤون العامة ، دون ان تذهب الى المطالبة بالانفصال حالاً .

ففي شاطيء الذهب عام ١٩٤٩ وفي الكامرون ، وفي تشاد عام ١٩٥٢ ، قامت اضطرابات وحوادث تعبر عن القلق الاجتماعي وعن لدفع المعادي البيض ، يساً مدعشقر قامت وحدها بشورة لاهبة . فالحركة الوطنية في هذه البلاد بقيادة الحركة النيوغرافية للبحث الملاعشي التي نالمت في انتخابات عام ١٩٤٦ مجموع الاعضاء في المجلس التمثيلي الوطني ، تطالب بإبقاء نظام الحماية وتحويل مدعشقر الى دولة مشتركة في الاتحاد الفرنسي . وال جانب هذا الحزب ، هنالك لعمري جمعيات سرية تتمتع بنفوذ كبير لا سيما بين قبائل رتسيمبارا كاعلى الساحل الشرقي من الجزيرة ، وهي من أهم المناطق في هذه البلاد تشج الذين يقادير كثيرة حيث المعمرون من مواليد الاوروبيين يتكالمون على الربح ويتشددون كثيراً على اليد العاملة . هذه المقاطعة التي تؤلف مدعشقر والتيجار اللبيني ، والتي نالمت كثيراً من مصادرات حكومة فيشي التمسفية وحكومة فرنسا الحرة خلال الحرب . ومن هذه المنطقة انصهرت الثورة وامدت العنة في آذار ١٩٤٧ وتكونت اطرها السياسية العسكرية من مجدين مالغاشيين بعد تسريحهم من الجيش الفرنسي ، مما أدى الى قتل ١٥٠ اوروبياً . وقصدت حركات حركة القمع عيفة السم بالوحشية ويقدر عدد الضحايا ، مباشرة او غير مباشرة من ١١٠٠٠ الى ٨٠٠٠٠ قتيل .

ان تمثل المستعمرات الانكليزية المعاصرة وقطورها السريع نحو الاستقلال حل المتطوري على المطالبة بالزيد من السلطة وتوسع في صلاحيات المجالس المحلية ودوراً اكبر في ادارة البلاد ، وتوسماً اكبر في التعليم الثانوي والعالي يؤهلهم لاستلام مركز القيادة . فاصطدموا بمطالهم هذه ، او حاولوا المصاحبة مع الزعماء الأشداء في الريف السودين من قسبل الادارة والذين زاهدوا بنفوذاً وبأساً مع الاقتراح العام . كما جرى مثل هذا في فرنسا في القرن

التاسع عشر . اذ يمارسون نفوذاً عظيماً على الجماهير ودعاهم الفلاحين المسكين في الجهل والامية . وبعد ان اتهم التجمع الديمقراطي الافريقي باقامة علاقات مشبوهة مع الشيوعيين ، قُبني سياسة معتدلة طمعاً منه في كسب حطف الادارة كما أخذ يتقارب من البرلمان مع فريق من نواب الوسط . والمؤتمر العام الذي عقده في يونيو ديولاسو ، عام ١٩٥٣ ، اقترح اقامة « جمهورية واحدة قائمة للتجرو » اي اقترح حلاً فيدرالياً . وعلى الاجمال ، فالاحزاب الافريقية على اختلافها تعارض كلها سياسة التمثيل التي لم تعد تفي بالفرص ، في نظرم ، كما تعارض فكرة الدولة الشريكة . فهي تطالب بدولة مستقلة في قلب الجمهورية الفرنسية ، وهو مطلب مرجو ان يتحقق دون ان يضطروا الى استعمال العنف .

وفي الحين ذاته ، خذت الاحزاب تجمع صفوفها وتنتصر بعضها في بعض وترتدي اكثر فأكثر طابعاً افريقياً يختلف عن التشكيلات والميئات السياسية في البلد الام التي حاكمتها في بدء الامر . وهذا الاتجاه الواحد نحو « الأقرفه » يبرز في مجالي الحركة النقابية اذ ان المنضمين الى عضويته C.G.T. شككوا لهم اتصافاً عرف بـ C.G.T.A. والاعضاء المنضمين الى الاتحاد العالمي C.F.T.C. القوا الاتحاد الافريقي للماء المؤسسين المنضم رأساً الى الاتحاد الدولي للنقابات المسيحية

ايلاء الاستقلال
ان قرب حصول المستعمرات البريطانية في افريقيا الغربية على استقلالها ، والخوف من استئثار الحوادث في افريقيا السوداء كما استبقتهم حوادث الهند الصينية وافريقيا الشمالية ، حلت البرلمان الفرنسي على سن قانون - ملك (قانون مومير في ٢٣ حزيران ١٩٥٦) تتخلل بموجبه عن سياسة التمثيل واولى صلاحيات واسعة للمصالح التشرعية المنفحة في كل مقاطعة بحيث تتمتع بسلطة تشريعية ، وانشأ ادارات تمثيلية محلية (مجالس الحكم) تنتخب من قبل مجلس المقاطعة برئاسة الحاكم العام ، المنصر الوحيد المأخوذ من خارج المنطقة . فكل المصالح الادارية - باستثناء القومي منها - سلمت للحكام وطنيين من ابناء البلاد حري انتخابهم . والقانون - الملك او الهيكل اقام نظاماً لامر عسكرياً واسماً واستقلالاً داخلياً يكاد يكون كاملاً ، الا انه اعتبر في نظر عدد كبير من الافريقيين نقطة بداية او نقطة انطلاق نحو تشكيل اتحاد المقاطعات ، بشكل المحادات فيدرالية افريقية مستقلة - متصحيح فيما بعد دولا تشارك مع الجمهورية الفرنسية في الاتحاد الفرنسي وتتقاسم ادارة مصالح المشاركة مع حكومة باريس والفور في لانتخاب الذي حققه التجمع الديمقراطي الافريقي (R.D.A.) في معظم المقاطعات الفرنسية والاحزاب الوطنية في مدغشقر والحزب المناهض لها (جبهة الاتحاد الثوري) في التوغو في انتخابات نيسان ١٩٥٨ ، واستمرار الاضطرابات الدامية في مقاطعة سامبا البحرية في الكامرون ، تحت تأثير اتحاد الشعوب الكامرونية الذي يمثل في الحلقاء ، ومعارضة فئة العمل القومي في الكامرون لهذا النظام ، كل ذلك حاد برهناً على ان هذه الترتيبات لم تكن مرحلة نحو الاستقلال .

الاستقلال
ثم قطع هذه المرحلة بأقل من سنتين فبدأ عن الاتحاد الفرنسي المعلن عام ١٩٤٦ ،
قام عام ١٩٥٨ بنظام الأسرة الـ *Communauté* الذي عاش أقل من سنة ، فقد حدد
دستور الجمهورية الخامسة اختصاص وصلاحيات كل المؤسسات والهيئات المشتركة التي شكلها
هنا : الرئاسة والمجلس التنفيذي ومجلس الشيوخ والمجلس التكميلي ، واعترف للمقاطعات
بجمهورية الانضمام إلى هذه الأسرة أو الانفصال عنها ، وبحرية الانتخاب بين وضع المقاطعات أو
وضع المقاطعات أو للدولة المستقلة إدارياً . وهذه الوحدة ، هل تتطور باتجاه تأليف اتحاد دول
ذات سيادة كما يمتنى ذلك ، انصار المطالبين بمهاجمة الدول الفرنسية (سيدار سنفور) أو
نحو دولة فيدرالية فرنكو أفريقية ، كما يقترح هوغو بواني * . فالحل لاول بمرور عندما اعترف
باستقلال مالي وجمهورية مالاغاشي (كانون لاول ١٩٥٩) ثم استقلال المقاطعات الأخرى . أما
التوهم والكامرون للذان بقيا خارج الجامعة ، فقد رفعت عنها الأمم المتحدة الرصية التي كانا
يعملان تحتها ، وذلك بطلب من فرنسا نفسها ، وحققا استقلالهما في كانون الثاني وفي نيسان
١٩٦٠ . وهذا الاتحاد لم يدم أكثر من سنة ، ولم يمد بين مستعمرات فرنسا القديمة ، سوى
علاقات وفقاً لاتفاقات بين دول مستقلة .

أفريقيا الغربية البريطانية
سارت السياسة التي انتهجتها بريطانيا العظمى في أفريقيا الغربية
على طرفي قضيض مع السياسة التي تنهاها وأخضع الدستور الرسمي
عام ١٩٤٦ ، عندما خلقوا دولة اتحادية امتصاصية بمثابة الاتحاد الفرنسي . كذلك تتعارض هذه
السياسة مع السياسة التي سارت عليها كل من أفريقيا الجنوبية وأفريقيا الشرقية حيث توجد
فئات من المعمرين البيض متمكنو في تلك المقاطعات ويمارون حراً عن سيادتهم وسيطرتهم
على أبناء البلاد . فالسياسة التي تقوم على مساعدة الوطنيين هنا على التطور وفقاً لروح حضارتهم
التقليدية طغت دونما صعوبة على أفريقيا الغربية هذه التي بقيت شبه مغلقة في وجه المعمرين
الأوروبيين تكونت دول وطنية ، شبه مستقلة هي اليوم أكثر دول أفريقيا السوداء تطوراً
سياسياً ، فالشاطيء الذهبي هي أكثر هذه الدول تطوراً بملايين سكانها الأربعة ، معظمهم من
صغار المنتجين للكافور وبجوانتها الاقتصادية على الطراز المصري الحديث ، هذا الاقتصاد الذي
يسمح على إنتاج الذهب والماس والموكسيت ولا سي الكوبرا والكافور (١/٢ من قيمة صادراتها) .
ونيجيريا التي كان تطورها أقل بروراً وتجلياً ، وأقل سرعة هي أكثر قطار أفريقيا الغربية سكاناً
اذ تضم ٥٥ مليوناً من الناس ، وهي غنية بما فيها من مناجم القصدير والذهب ومن كبريات البلدان
المصدرة للكوبرا ولزيت الطح والكافور . في كل مكان تخرج اقطارها بطنقة كثيفة من الفلاحين
الهنسي العيش ، اذ ان مستوى العيش فيها هو أعلى مستوى في أفريقيا ، وطبقه متوسطة نشيطة
هيناميرية . وقد اوج الزدهار الاقتصادي الذي تنعم به ظهور طبق من الاعيان الاثرياء لا سي
في المدن الساحلية ارتفعوا غالباً فوق بروليتاريا ترسب في البؤس والاشقاء تجدر اغنياء وكبير
الملاكين واطباء ورجال قانون تلقى عدد كبير من بينهم تحصيله الجامعي في «كثفرا او في

الولايات المتحدة الاميركية مستكنين ، وموظفين في لادارات الحكومة او لدى الشركات ، خاصة الكبيرة ، يتألف عدد من كبار الموظفين الزوج الى رتبة الشرف وقالوا لقب « Sir » ، وطبقه كبيرة من رجال الفكر والادب في البلاد ساعدوا في وطم والبعوضة التي بنعمون بها على تحرير البلاد بسرعة ، ويطلبون مشاركتهم الحكومة والادارة وفي المقابل يحاول رعاة القائل في الدحل سبن ينهبون على التقايد المتواركة ، معظمهم على الاسلام ، وبينهم عدد من المسيحيين ، الحفاظ على ما لهم من سلطة سياسية او قراطية ، ودينية على الجدير الرتبة . وقد عرفت الحكومة البريطانية كيف لتلاعب ، حفاظاً على مصلحتها ، هذا التعاوت وكيف تمركز هذه الفوارق العرقية والدينية ، مقيدة بينها الشقاق والانقسامات لتشيء قارة العظم الادارية المتباينة ، وتقيم طورا الزعماء التقليديين في وجه الطمقة المتطورة التي اعتنقت عن الغرب افكارها ونظرياتها التقدمية ، باعثة المناطقي الداخلية ذات الحاضرة لاسلامية حيث القوى الرجعية لا زال قوية وتعم بالنفوذ في الوقوف في وجه المناطقي الساحلية سكانها على اوثنية او على المسيحية ، وحيث يعم التعليم الابتدائي ٢٥٪ من الطلاب الدين هم في سن الدراسة وحيث تطلع القوى الفتية لشبعة بالافكار التحررية .

وأمام مهاجمة الطبقة المتقدمة ، حري الشخصية عن نظام الحكم غير المباشر وأقيمت في بيجيريا والشاطيء الذهبي وسيراليون ، بين ١٩٢٢ - ١٩٢٥ نظم ودساتير جديدة نصت على انتخاب مجالس تشريعية استشارية . ولم تلبث هذه المجالس ان شال فيها تدريجياً عدد الأعضاء من غير الموظفين على الموظفين الذين يسمعون بعضويتها تسعقت هذه المرحلة في الشاطيء الذهبي وفي بيجيريا وغينيا ، سنة ١٩٤٥ ، وفي سيراليون عام ١٩٤٨ ، غير ان الحكومة فيها ليست بعد مسؤولة وستعمل كامل مسؤولياتها خلال الحرب ان هودا ال ٨٠.٠٠٠ عسكري جرى تعصيبهم من ابناء الشاطيء الذهبي ، وال ١٠٠.٠٠٠ مجندي من بيجيريا ، اثار مشكلات سياسية واجتماعية شائكة ان عدم رضى مسرحين من الجيش البريطاني الذين لم يرحع عدد كبير منهم لي قراهم ، وسوء سمر الكاكاو اثار في البلاد حركة هياج واضطراب لم تكن طمقة المتطورين وحدها مسؤولة عنها . ولأول مرة ، تجاوزت الحركة الشعبية صفوف طبقة المستعبرين هؤلاء ، ونشأت في البلاد احزاب سياسية واخذت تضخم صفوفها عن طريق الراديو والصحافة . وفي عام ١٩٤٧ ، ظهرت رابطة الشاطيء الذهبي المتحدة توى اعمال السكرتيرية فيها الدكتور نكروما ، الذي انفصل عام ١٩٥٠ ، عن رفاهه واسس حزب اتحاد الشعب (C. C. P) ، كان من ضمن برنامجها انشاء ديمقراطية جديدة باسم عا ، هذا الاسم الذي يثير فيهم اجماعاً وطنية قديمة ، وهو عبارة عن حزب شعبي حذ على نفسه الا يحسب حساباً لاي معارضة ولاي اختلاف عرقي او عسري ، قبلي او ديني ، هذه الاعراق التي لا تزال حية تنبص على أشدها في الشمال وفي مقاطعة الاسنق . وفي بيجيريا قام الحرب الوسطي في بيجيريا والكامرون (W. C. N. C) برعامة اريكويه ، الذي قدم بحملة هوجاء ضد البريطانيين في الجواند اليومية او الاسبوعية

الجلسة التي يقوم على إصدارها الوطنيون والتي قام بتأسيسها ، وحشد حوله الاصدار حق من مقاطعة لنداهومي . وقامت في البلاد اصرامات وسرقة مقاطعة المصانع ، الانكليزية في اعمارن البريطانية ، كما قامت مظاهرات عبيدة ، والدعوة الى العصيان المدني ، ردت عليها الحكومة باعلان حالة الطوارئ في البلاد وبيع التجول وبمركبة قمع دموية في اكرام عام ١٩٤٨ ، وفي صباح ١٩٤٩ عام ، وفي مدينة كلنو عام ١٩٥٣ ، وبتهطيس الجرائد الوطنية وتوقيف الزعماء الوطنيين . ومنذ ذلك الحين ، احدثت قتل في مشاريع الدساتير ، فظهر في الشاهي اندهي دستور برونر (باسم حاكم المنطقة) عام ١٩٤٦ ، ومشروع دستور وصعته لجنة كوساي رفضه نكروما عام ١٩٥٠ واستبدله مشروع دستور مضاد نص على الاستقلال التام . وفي بيجيريا طلع دستور رتشرس ، عام ١٩٤٦ ، ودستور ماك فرسون ، عام ١٩٥٢ ، الا ان معارضة الولايات لاسلامية في الشاه التي تولتها الحكومة من احتال وقوعه حين تصفيتها ادارة مسيحية ، ادت الى عقد مؤتمر في لندن ، عام ١٩٥٣ ، يضم ممثلي عن المندوبين الكبري الثلاث في البلاد ، اتفقوا على اسس دستور فيدرالي عام ١٩٥٤ . وهكذا تمخض عام ١٩٥٢ ، قال الشاهي الذهبي بولاه ، كما قام فيه رئيس وزراء ، تم انتخابه من قبل مجلس الشاهي ، على الحاكم اب يستشير اثنين الوزراء الاحد عشر ، بينهم ثلاثة (الدفاع والشؤون الخارجية والمالية) ثم بريطانيون . ولورر مسؤولون امام البرلمان اندي يمكن ان يطلب من الحاكم العام عنهم فالادارة اخذت تتأخر كثيرا اكثر (١٣٧٧ موظف كبيراً من الزوج عام ١٩٥٦ لقاء ٣٠٠ ، عام ١٩٤٩ ، ٣١٩ عام ١٩٣٨) والموظفون البريطانيون يجب ان يحضروا لوسائلهم من الزوج . وقد جرى تعديل الدستور ، عام ١٩٥٤ ، ووسع من نطاق مجلس التشريعي ، الذي صبح ينتخب بالاقتراع العام ، كما نص على ان جميع لوزراء يعينون من داخل المجلس المذكور . كان هذا النظام انتقالياً اذ عير من طبيعة وضع المستعمرة الانكليزية الى وضع ديموريون . وفي سنة ١٩٥٦ وضع دستور جديد (هو الرابع في خلال عشر سنوات) ، هيأ البلاد للاستقلال واقام فيها نظاماً يقوم على اللامركزية . وقد تم التطور في كل مكان بصورة منهجية ، و جرت تقييده على الطريقة الغربية ، على يد ريطاب العظمى ، وبمساهمة جان عدة اشتركت في عضويتها شخصيات افريقية بارزة وموظفون محليون هيأوا التوصيات والاقتراحات كما اشتركت فيها عناصر وطنية بعد استشارة السكان و خرج عن نكروما وخرج من السجن رئيساً للوزراء بعد انتخابات عامة جاءت كلها في مصاحته

ففي السيراليون وفي بيجيريا الاقل تطوراً من الشاهي الذهبي ، تلتص لاحزاب حول شخصيات بارزة او تتألف من مجتمعات عرقية تساعد على عليه من اندساسات قبلية ودينية على المعارضة وتقسيمها ، بينا يفضل بعض الوطنيين النفس تحت السيطرة الاوروبية ولا الوقوع تحت حكم مجتمعات رجعية يحتقرونها او يحشون شرها . الا ان المساح الذي حققه حزب اريكوبو في مقاطعة يوروب في انتخابات ١٩٥٤ ، جاء دليلاً على ان الشعور الوطني يمتد في

عام ١٩١٣ ، يولف مجموعها ١٧ ٪ من مساحة هذه البلاد ، يمتد فيها ويعيش ضمنها ٤٠ ٪ من الزوج بحيث يؤلفون فيها وحدات يسكنها الزوج لا غير ويتولون ادارتها بانفسهم (على رأس كل واحدة حقم ابيض) وتتمتع باستقلال اداري في المجالات المالية والمالية والتربية والصحة العامة والاشغال . واولى هذه الوحدات *Bantoustans* قامت في منطقة ترانسكي التي ياهلها اقوام الخوراس . وهذا التقسيم على الطريقة الاسرائيلية ليس سوى حل لا يصح بالنزاع ، لان هذه الوحدات المعزولة لا تشكل في حقيقة الامر ، سوى « صوب مناصات » لهذه البلد للعامة الرخيصة ، وما الاستقلال الاداري الذي تتمتع به سوى تميلة او « نظام بوليسي » متأسر يذكرنا « بأوروبا الجديدة » في عهد النازية (*G. B. Béké*) وهكذا ، وبالرغم من قوة حركة القمع التي يتمرسون لها ، لمقاومة الزوج لم تضعف ولم تخبت . وهنا كما في الولايات المتحدة الاميركية ، فالاندماج ، وقيام مجتمع متعدد العروق ، وسياسة عدم المقاومة التي دعا اليها رحما باتو التصفو بالاعتدال ، مثل لوقولي ، (جائزة نوبل ١٩٦١) ، كل هذه التدابير والاجراءات لم تعد تعتبر كافية في نظر العديد من المؤمنين ، اذ تهب عليهم عنصرية او دهوة عرقية زنجية شبيهة بالروح التي حاش بها لمسجون الزوج . فبعد ان قصعت الاقلية البيضاء من ذيل الاقطار المجاورة لها استقلالها النازي ، وبعد ان وقعت اسيرة المجمع الذي استحوذ عليها ، اخذت لتسلح بقوة وتساند حلااب الانفصال في كاتشا ، كما راحت تساعد الحكومة البرتغالية على النجاح في قمع حركة التمرد التي يقوم بها رعاياها . وهي تحاول ان تضم اليها لمحميات البريطانية الواقعة ضمن اراضيها (والتي تعمل انكلتر على اعددها للاستقلال) ، دلبزوتولاند والنشوتالاند ، فالاستقلال الداخلي عام ١٩٦٥ ، وحلا على التحالف مع روديسيا الجنوبية التي تشابه اوضاعها الداخلية مع اوضاعها .

وهذه المستعمرة المستقرة يسيطر عليها ١٥٧٠٠٠ من البيض يحتكرون فيها السلطة ويمتلكون نصف مساحة البلاد ، في وجه ٣ ملايين من الزوج جرى كبتهم في هذه الاراضي المعزولة التي تقص بالسكان الذين ذهبوا ضحية الفقر بعد ان ذهبت اراضيهم بما دهاها من التمري والانجراد . هنا كما في افريقيا الجنوبية يسود تفاوت عظيم في الاجور (اذ ينال العامل الزنجي ٦ حبيبات في الشهر في لندن الاحدى عشر الرئيسية في البلاد) بينما يُعطى العامل الابيض ٧٠ حبيبات في الشهر) . كذلك ان نظام جوار المرور والتمييز المنصري والفصل بين البيض والملونين خلق جو أمن التوتر الشديد حال دون انفجاره واستحالته الى كارثة تدخل الحكومة البريطانية ، فقد رفضت الحكومة البريطانية - امام صرخة الزوج - ان تعطي هذه البلاد استقلالها ما لم تقطع لهم الضمانات التي يطالبون بها . وبالفعل فان الحصاد افريقيا الوسطى الذي تألف ، عام ١٩٥٣ ، من مقاطعتي روديسيا من النياسالاند لم يحو على الصمود امام الصعوبات الناجمة عن المشكلة العرقية ، فقد تحمل بعد عشر سنوات من تشكيله ، وروديسيا الجنوبية حيث الحصة الروديسية ، هذا الحزب الابيض النشط قال انتصاراً صارخاً في الانتخابات ، يشدد من التمييز المنصري ، وخروج عام ١٩٦٥ ، وهذا

الانضمام الى الاتحاد الجنوبي الفريقي .

حدثت في المستعمرات البرتغالية حرب العصابات التي يشنها الوطنيون من جراء الممارسات التي تفرق بين الفئات السيسية التي تعد بها (جيش تحرير بولا ، حركة تحرير بولا) ، وتحاول الحكومة البرتغالية قمعها بالشدة التي تسم الخوف في القلوب : كتهديم القرى من الجو ، وتنفيذ عقوبة الموت بالجملة بما أجيبر مئات الآلاف من الاهليين على الجلاء والنهوء الى دولتي الكونغو المحلورتين .

كل اموريقية المحبوبة التي يرغها الرعب والقسوة ابرششية على بقاياها تحت وطأة سيطرة قبضة من البيض الحاكمين ، وهي اساليب احسن الدوليس والجيش استعملها ، تشهد طوعا كتلبيين سيحصلها الاهتياج والخوف على الاتصاف في حروب عنصرية دامية لم يشهد لها العالم مثيلا حتى الآن .

تميزت الحياة السياسية لدى دول فريقيا المستقلة بصراع عنيف بين الحزب السياسي الذي
الحزب السياسي الذي
عنده القبول المستقلة
الى حد بعيد من الاحزاب الثقافية في الغرب ، مع انها ليست في الواقع سوى احزاب رجاء ألفوا ان يروا انصارهم يطيعوهم طاعة عمياء ، سواء كانوا عبيدا مشدودين الى الارض ، أو ألياعا أو احزابا عنصرية أو اقليمية او بدلية .

اغتادت هذه الاحزاب ان تنقسم الى ثورة وال محافظة مقيمة المتطورين وصغار الموظفين والبروليتريا الباشئة في وجه ارجاء التقليديين وفي وجه بورجوازية الاحمال الجديدة . الا أن روابط التضامن العائلي ، وتقديرات الاقتراعات تجاه الفئة ونجاء الذرية هي من المثانة بحيث لم يلزم بعد بالمعنى الصحيح صراع طبقي في قلب الجماهير الافريقية ، باستثناء بعض حوادث محلية .

هذا الصراع صعبه احيانا حروب أهلية مالفعل ، منها مثلا ثورة الاتحاد الجماهير الكامرونية (U. P. C) تألفت لوات الكبرى على الغالب من اقوام الباميليكية فذهب زعيمها أم نيوبيه وفيلكس موميه قنلا ، وتبرر في السودان فتنة السكان غير المسلمين في الجنوب ، وفي رواندا - ورندي حيث قامت ثورة الهوتو (٨٥ ٪ من السكان) ضد اسياهم التوتوسي (١٥ ٪) وأدت الى مذابح تقشعر لها الابدان ، وفي موريتانيا وفي النيجر . وقامت ثورات بيضاء لم تسلك فيها الدماء ، طردت من الحكم الاب فولبرت بولون في كونغو - برازافيل . وحاولوا القيام بوحدة منها في المايون (حيث تدخل انجليون الفرنسيون واعادوا النظام باعادة الرئيس ميا) ، وفي تنزانيا ، وفي كينيا وفي بونغندا حيث أدى تدخل وحدات من الجيش البريطاني الى قمع الفتنة التي قامت بها وحدات وطنيه . ووقعت محاولات قتل ضد الدكتور نكروما في غانا ، وقتل الرئيس سلفاوس اوبو في النغو ، واحيرا مؤامرة فطيلة أو رهمية أدت الى دحاور كان من بعض نتائجها تصفية بعض المعارضين في السنغال (مامادو ضيا الذي حكم عليه) ، وفي النيجر وفي كونغو - برازافيل وغانا . وفي كانون الاول ١٩٦٥ ومطلع عام ١٩٦٦ ، حدثت ثلاثة

انقلابات عسكرية - حل قرار ما وقع في كوفنو - ليوباردفيل - انتقلت معها السلطة الى ايدي الجيش في جمهورية افريقيا الوسطى ، وفي الداهوماي وفي فولت العليا ، وليس آخره التتو الذي وقع مؤخرأ بين الرئيس اريكيري ورائه ، أي دين الشال المسم والساحل المسيحي اندي عدد للاتحاد الفيدرالي في بيجيريا بالانقجار ، أدت في كانون الثاني ١٩٦٦ ، الى استيلاء الجيش على الحكم بعد اضطرابات وحوادث دامية ومقتل رئيس الوزراء الاتحادي

في سنة ١٩٦٥ ، كانت البلدان ذات القصة الفرنسية حيث تقرر شخصيات سedar ستفور وهوو - براني ، ورميا مع كهنيت كاوند ، وتغابا مع يوليوس نيري و كينيا مع جومو كينيا ، وملاوي مع الدكتور بند ، يارسون سلطة استبدادية ذات نزعة معتدلة وحفاظة مع ميل ظاهر نحو الغرب . وقام في وسهم غانا والعنينة ومالي وكونغو - برازافيل التي انتهجت سياسة اشتراكية النزعة بالفعل ونسي - مع فترات من الانقطاع او التجمد ، علاقات وثيقة مع البلدان الشرقية ومع الصين . فمما تأفرقت تماماً ، ونشأت فيها جمعيات مختلطة تتولى تنفيذ المشروعات الرئيسية او مصانع النسيج ، والككاكو والخشب والالومنيوم . ان تأميم النفط والراديو وغارن البيع بالفردى وصناعة صقل لحاس ، والشركات الاستخراجية الحس من اصل السبع الموجودة فيها ، اضمحت من نشاط القطاع الخاص وتولت تعاونية خاصة بيع عدد من محاصيل البلاد ، تحت اشراف الدولة ، كالككاكو ، كما انشئ عدد من التعاونيات الزراعية . الا ان دكتاتورية نكروما اصطدمت بمقاومات عدة جاءت من جهات مختلفة ، كما ان الازمة الاقتصادية التي انفجرت في غانا ، في فوز ١٩٦٦ ، تسببت بقيام اضراب عام اهبطت حمة من الارهاب ، ومن الارهاب المضاد استمرت سنتين .

اما جمهورية الغنية التي نالت استقلالها عام ١٩٥٩ بتصويتها السلي في الاستفتاء الشعبي ، فقد تلقت مساعدات مالية وتقنية من الولايات المتحدة الاميركية ، ولا سيما من الاتحاد السوفياتي ، في اثر انسحاب الفتيين للفرنسيين المفاجيء . ولما كان الرئيس سيكوتوري يعتمد قبل كل شيء على بقوة القوي وعلى مساعدة النقابات له ، قد ازال من الوجود النقابات الادارية القديمة للنزاعة الى الفيدرالية ، فقد أتم وسائل النقل في البلاد والانتاج وقرزيم الطاقة والمصارف ومعامل التسيع باستثناء بعض شركات التعدين والشركات الصناعية المختلطة (كامتكا فريا وشركة بوكيت بوكيه) .

كوسو - ليوباردفيل هو البلد الوحيد في افريقيا الذي لم يحقق استقلاله الا بعد حرب اهلية دامية فالصراع الذي قام بين المتطووين المتضمين الى الحركة الكونغولية الوطنية (K.N.C) التي يتزعمها باريس لومومبا الذي كان يدهو الى اشاء دولة اتحادية ذات حكومة مركزية قوية ، وبين تحالف الجمعيات القبلية في كاتنغا بقيادة موييز تشومي المعروف بمرته الفيدرالية ، ادى الى انفصال كاتنغا وهو انفصال دام سنتين ونصف ، وبمساعدة الاتحاد المنجمي ، استطاع تشومي ان يحنذ فرقة من المرتزقة من افريقيا الجنوبية وروديسيا ومن

أوروبا، وأن يشاري معدات حربية وأن يؤمن له في كل من أوروبا وأميركا مؤازرة بعض العناصر المحافظة الانفصالية، كما أن مكتبه صناعياً قام بتنظيم حملة دعائية واسعة النطاق في الولايات المتحدة جاعلة من تشومي «أكبر رعيم مناهض للشيوعية ومن مصادر الغرب في كل الكونتمو» . إلا أن تسجل «الحود الزرقاء» التابعين للأمم المتحدة وصع في نهاية الامر حداثاً لهذا الانفصال . غير أن الدلائل التي حاكها الدول العربية المتنافسة على المنطقة والنزعات الانفصالية، سببت حالة من الفوضى والبله رال معاً مدة سنة كل امر او فعالية للحكومة المركزية (من أيلول ١٩٦٠ الى آب ١٩٦١) . وقد اعلنت ولاية كاساي نفسها دولة مستقلة كما اعلنت انفصالها كل من ولاية كينا وكاتما الشابية وكويو، كما أن «بصار نومومبا» في متانيليفيل بعد موت رعيمهم وانما فيها حيثاً حاول عينا استعادة السلطة . ن تفاقم الحالة والنزاع، والحلال اقتصاديات البلاد، والفساد الماصح الذي يفتش بين الموظفين السياسيين والاداريين، راد صحتياً من تعمور الحالة في البلاد، ومن اشتداد الفوضى والبله فيها . وعملت الشركات الكبرى التي تعرضت للخطر من جراء هذا الوضع، رفعت الى الحكم مويير تشومي بمؤازرة الولايات المتحدة وبلجيكا وبريطانيا العظمى . وقد حاول ان يجمع حوله حاساً من الوطنيين وأن يبعد الى الوحدة الولايات التي اعلنت انفصالها عنها، لأن استمرار لاضطراب مكن الرئيس كلسافويو من ابعاده عن السلطة، واخيراً تمكن الجنرال مويو من فرض دكتاتورية عسكرية على البلاد (تشرين الثاني ١٩٦٦)

تجاه مويو افرقيا الجنوبية القوة التسليح والتي يهيجهما الخوف
الافريقا المستقلة منطقة
تقتصب افرقيا المستقلة والجراة الى ٢٥ دولة ثم تحريرها على
اشكال مختلفة بيتا جاء لطورها الداخلي على وكيرة واحدة تقريباً (انظر الفصل السابق) .

وم ثلث ن بررت اخطار هذه المنطقة : كتحارض المصالح بين البلدان الغنية التي تنوغر فيها الماراد الطبيعية (كالأوكومو والمنصيز في الفانون، والبن والككاكو في شامبي الماچ) ، وبين البلدان الفقيرة (البحر) ، والمناقصات بين رؤساء الدول والمطالبات الجغرافية بين الواحدة والاخرى نتيجة لهذا الاقتطاع العشري الذي قامت به الدول المستعمرة نفسها، وصعوبة تأمين التوازن ووسائل العيش لبلدان صغيرة المساحة او قليلة السكان المتخلفين حداثاً مما يعرضها باستمرار للتخلف الاقتصادي، او يشجع على دس الدسائس وحسك الاحاييس من الحساريج والمحاولات العديدة باعادة الاستعمار ولو بصورة غير مباشرة . شمر الافريقيون بهذه الاخطار وتحسروا ما تحمله من تهميد . وحاولوا ان يتعادروا وأن يتعلموا على هذه النزعات والمطالب الخاصة ولو بشكل او بطريقة تفتقر الى الاستيعاب (حياناً) ، اما أنأ كيد على شخصية رنجيبة افرقية بعيد الى هزها لفة البلاد وحضارتها حتى والمعاهدات التقليدية، واما عن طريق افراع الدول الجديدة في وحدات اوسع رقعة .

الرنجية
وتخذوا بلوحون وجه المستعمرين « بالرنجية » أي بـ العصارة الأفريقية
الأساسية من إصافة . وأول من قال بالرنجية هو إيميه سيرير ، الذي يعود أصله
إلى جزيرة المرتقبيك ، وسار في أثره فريق من المفكرين ردد صدى مقالاتهم « المحصور لأفريقي »
الناطق بلسانهم . فالمطلوب هو ردل وعدم الاحد بالتمثل الفكري الذي شغل الشخصية
الرنجية ، وإعادة المباحة إلى أفريقيا ، بماضيها الأثيل ، في أثر الدروس والأبحاث التي قام بها
الاب بلاسيه تيلز (فلسفة البانتو) ، ومرسيل غريول والاب الكسي كيماي الدين أيردوا ليمان
إصافة الفكر الرنجي وماله من قيمة عالية ، وشرح العادات والأعراف والمؤسسات القبلية
وتكوينها ، ولجيد الإطيان الأفريقيين والأميراطورات الأفريقية العابرة (غانا ومالي وأمبراطورية
سنهاري) ، ومملكة الكونغو ومولوموتيا) ، وأحياء هذه الحضارة الأفريقية الأصيلة وذلك
بتقييم التقاليد والفولكلور الشعبي والأساطير والقصص الشعبية .

ألا إن تعدد الجهات حد للأسف من انتشار الأفكار الفكرية في لغة من هذه لغات . ومن
جهة أخرى فالأفريقيون المثقفون والذين باستطاعتهم أن يكتبوا ويؤلفوا قولوا تعليمهم كاملاً أو
القسم الرئيسي منه باللغة الفرنسية أو باللغة الاسكليزية بحيث - وهذا من المفارقات المضحكة ...
أنت هذا الأدب الذي يشيد بالرنجية في وجه الاستعمار الغربي ، يستعمل لغة المستعمرين ،
باستثناء بعض الأبحاث التي ظهرت باللسان الباروتني أو البانتو أو الخوت ، ومع ذلك بقي أثر
من وحي أفريقي حقيقي صميم ، كما يشهد على ذلك الأدب الشعري لليوبولد سبندر منقول أدهية
إلى أدهامج الرنجية ضمن القيم الحضارية الكبرى ، عن « طريق تقيم الثقافة الغربية تقيماً رنجياً » ،
وهن طريق « عتارات حديدية الشعر الرنجي والملاحشي » ، التي كان لها وقع الرحي عدهما
صدرت عام ١٩٤٨ .

محاولات التجميع والافراخ
فشلت حتى الآن كل المحاولات التي بذلت في سبيل تجميع
أقليمي ، وهي محاولات تتمثل بألم لدي راود الأفريقيين بقيام
جامعة أفريقية تضم الزوج ، ولا سيما الدكتور دويرا ومارقوس غاريي للذين أحذا بعبلائ على
تجميعه وبسعيان إلى الدعاوة له ونشره في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، بعد أن راج جورج
يادامور الذي يعود بأصله إلى حريرة الثالث (تربتي) أحد حمر البحر الكاريبي ، يركز على
مبادئها فكان أكبر داعية لها ومن استطاع نفوذاً وحجاسة إلا أن القانون - الملك المعروف
بقانون دي فير (١٩٥٦) والذي توسع نطاقه عند صدور دستور ١٩٥٨ ، حطم بالفعل هذه
التشكيلات الكبرى التي قامت في أفريقيا الغربية للفرنسية وأفريقيا الاستوائية بتمتعها لها واحل عليها
حكومات مستقلة في هذه المستعمرات ، وبدلك قوى المطالب الانفصالية ومحاولات التوحيد
المحلية التي بذلت فيها بعد كلفت بمثابة محولات دموية قامت بذلت ساحتها : كاتحاد الفينييه وغانا
(١٩٥٨) ، واتحاد مالي (١٩٥٩) الذي اقتصر على السودان وعلى السنغال وصار أمره إلى
الانحلال عام ١٩٦٠ ، واتحاد ساحل - بنين الذي أصبح مجلس الألفات (الشاطيء الذهبي

أوروبا، وأن بشري معدات حربية وأن يؤمن له في كل من أوروبا وأmericا مؤازرة بعض العناصر المحافظة الانفصالية، كما أن مكتب صحافتها قام بتنظيم حملة دعائية واسعة النطاق في الولايات المتحدة حادة من تشومي « أكبر دعم مخصص للشيوعية ومن مصادم الغرب في كل الكونغرس ». إلا أن تسجل « الحزب لزعزعة التأييد للأمم المتحدة وصنع في نهاية الأمر حداً لهذا الانفصال . غير أن الدسائس التي حاكها الدول الغربية المتنافسة على المنطقة والنزعات الانفصالية « سميت حادة من الفوضى والفساد ل مدة سنة كل الر أو فعالية للحكومة المركزية (من أيلول ١٩٦٠ إلى آب ١٩٦٦) . وقد أعلنت ولاية كاسي نفسها دولة مستقلة كما أعلنت المصالحات كل من ولاية كيما وكافندا الشمالية وكوير ، كما أن انصار لومومبا لجمبروا في ستانليفيل بعد موت زعيمهم وأنشأوا فيها جيشاً حارل عتفا ستعادة السلطة . أن تفاقم البعالة والفساد ، والتملل اقتصاديات البلاد ، والفساد المصاحبي ندي نفش بين الموظفين السياسيين والإداريين ، وأد حثيثاً من تدهور الحالة في البلاد ، ومن اشتداد الفوضى والفساد فيها . عملت الشركات الكبرى التي تعرضت للخطر من جراء هذا الوضع ، رفعت إلى المحكم موبيز تشومي مواطنة الولايات المتحدة وطمعها وبريطانيا العظمى . وقد حاول أن يجمع حوله جانباً من الرعيين وأن يبعد إلى الوحدة الولايات التي أعلنت انفصالها عنها ، لا أن استمرار لاضطراب ممكن لرئيس كاسافوير من إيماده عن السلطة ، وأخيراً تمكن الجنرال موبوتو من عرض دكتاتورية عسكرية على البلاد (تشرين الثاني ١٩٥٦) .

أفريقيا المستقلة مبلقة
تجاه فريق أفريقيا الجنوبية القوية التسليح والتي يهيئها الخوف
تلتصق أفريقيا المستقلة والجمهورية إلى ٢٥ دولة تم تحريرها على
اشكال مختلفة بناء على تطورها الداخلي على وتيرة واحدة تقريباً (انظر الفصل السابق) .

ولم تلبث أن برزت أخطار هذه السلطة : كتمارض المصالح بين البلدان القوية التي تتوفر فيها إيراد الطبيعة (كالأروكمه والمغيز في المايون ، والبس والكاكافو في شاطئ العاج) ، وبين البلدان الفقيرة (النيجر) ، والمنافسة بين رؤساء الدول والمطالب الجغرافية بين الوحدة والآخرى نتيجة لهذا الاقتتاع العشري الذي قامت به لدول المستعمرة نفسها ، وصعوبة تأمين التوازن ومائل العيش لبلدان صغيرة مساحة وقليلة السكان المتخلفين حدة مما يعرضها باستمرار لتختلف الاقتصادي ، أو يشجع على دس الدسائس وحك الإغاييل من الخارج والمحاولات المديدة بإعادة الاستعمار ولو بصورة غير مباشرة . ثم الأفريقيون بهذه الأخطار ومحسوساً ما تحمده من تهديد . وسادوا أن يتعدوها وأن يتعدوا على هذه النزعات والمطالب الخاصة ولو بشكل أو بطريقة تقتصر إلى الانسجام أحياناً ، أما تأكيد على شخصية زنجية أفريقية تميد إلى عزها لمة البلاد وحضارتها حتى والمعدات التقليدية ، وأن على طريق إغراع الدول الجديدة في وحدات أوسع رقعة .

الزنجية واخذوا يلوحدون بوجه المستعمرين « بالزنجية » أي بما للحضارة الافريقية
 لاساسية من اصالته . واول من قال بالزنجية هو ايميه سيزير ، الذي يعود اصله
 الى جزيرة المارتنيك ، وسار في اثره فريق من المفكرين رعد صدق مقالتهم « الحضور الافريقي » ،
 الناطق بلسانهم . فالطوب هو رذل وعدم لاخذ بالمثل المفكري الذي خنق الشخصية
 الزنجية ، واعادة المناهضة الى امريكا ، بناسيها الاثين ، في اثر الدروس والابحاث التي قام بها
 الاب بلاسيه قبل (فلسفة البانثو) ، ومرسيل عريول والاب الكسي كيدان الذين ابرروا لاميان
 اصالته الفكر الرنجي وماله من قيمة عالية ، وشرح العادات والاهراف والمؤسسات القبلية
 وتزكيتها ، وتجبده الانطال الافريقيين والامير حوريات الافريقية النفايرة (غانا ومالي وامبراطورية
 سنهاري ، وملكته الكونفو وموتومونا) ، واحياء هذه الحضارة الافريقية الاصلية وذلك
 بتقييم التقاليد والفولكلور الشعبي والاساطير والقصص الشعبية .

الا ان تعدد الجهات حد للاسف من انتشار الآثار الفكرية في لغة من هذه اللغات . ومن
 جهة اخرى فالافريقيون المثقفون والذين باستطاعتهم ان يكتبوا ويؤلفوا قولوا تعليمهم كاملاً او
 القسم الرئيسي منه باللغة الفرنسية او باللغة الانكليزية بحيث - وهذا من المفارقات المضحكة -
 ان هذا الادب الذي يشهد بالزنجية في وجه الاستعمار القوي ، يستعمل لغة المستعمرين ،
 باستثناء بعض الابحاث التي ظهرت باللسان البازوقي او البانتو او الحورسا ، ومع ذلك بقي اثر
 من وحي افريقي حقيقي صميم ، كما يشهد على ذلك الادب الشعري لليوبولديس منور الداعية
 الى اصاح الزنجية ضمن القيم الحضارية الكبرى ، عن طريق تقييم الثقافة الغربية تقيماً زنجياً ،
 وعن طريق « عتارات جديدة للشعر الرنجي والملاحاتي » ، التي كان لها وقع الرحي عندما
 صدرت عام ١٩٤٨ .

فشلت حتى الان كل المحاولات التي بذلت في سبيل تجميع
 محاولات التجميع والافراخ اقليمى ، وهي محاولات تتصل بالحلم الذي راوده الافريقيين بقبام
 جامعة افريقية تضم الزوج ، ولا سيما الدكتور دويوا ومارقوس غارفي اللذين احذا بمسئلات على
 تحقيقه وبسعيان الى الدعاولة له ونشره في اعتقاب الحرب العالمية الاولى ، بعد ان راج حورج
 يدمور الذي يعود باصله الى حرية الثالث (ترييني) احد حور البحر الكارابيبي ، يركتو هي
 مبادئها فكانت اكبر داعية لها ومن انشطهم بعدوا وحباة الا ان القانون - الملك المعروف
 بقانون دي فير (١٩٥٦) والذي توسع نطاقه عند صدور دستور ١٩٥٨ - سطم بالفعل هذه
 التشكيلات الكبرى التي قامت في افريقيا العربية للفرنسية وقربيا الاستوائية بتعاهد واحد اعلمها
 حكومات مستقلة في هذه المستعمرات ، وبذلك قوتى المطالب لانهصالية ومحاولات التوحيد
 المحلية التي بذلت فيها بعد كلفت بمثابة محولات رمزية قامت بثلث ساعاتها . كالتصايد القينية وغاها
 (١٩٥٨) ، وتحالف مالي (١٩٥٩) الذي قنصر على السودان وعلى السنغال وصار امره الى
 الانحلال عام ١٩٦٠ ، والتحالف شامل - بنين للذي اصبح مجلس الافساق (الشاطي) القديمي

دايمومي - سحر وفولتا العليا) وهو عبارة عن مجلس استشاري وتعاوني تسيطر عليه شخصية هو قوله - برانيي السارزة ، واتحاد جمهوريات أفريقيا الوسطى (التي دعاهم الفايون الانضمام اليها) الذي لم يكن سوى اتحاد ديمركي ، له هيئات او مصالح مشتركة للنقل ومعهد علمي للابحاث الخاصة بالمعادن ، وهي مشروعات ولدت هيئة كمشروع الولايات المتحدة لافريقيا اللاتينية الذي وضعه الاب بوغاندا ، ومشروع الولايات المتحدة لافريقيا الوسطى الذي وضعه هو الآخر ، الاب بولو ، واتحاد بلين دايشي ، ومشروع صوماليا الكبرى ، التي بعد ان تألفت من مقاطعات البريطانية والبريطانية السافيتين ، اخذت تتطالع بساحل الصومال الفرنسي وجزء من اراضي ليبيا) .

وفي عام ١٩٦١ ، أنعت المستعمرات الفرنسية القديمة الاتحاد لافريقي وملاعاشي الذي لم يلعب سوى دور محدود ، وتحول عام ١٩٦٣ الى الاتحاد الافريقي للاعاشي للتعاون الاقتصادي (O. M. O. E.) مقصراً نشاطه على هذا المجال . وفي شباط ١٩٦٥ انضم اليه كوتونجو بولونجيل وروندا وبذلك بلغ عدد الدول التي تألف منها الاتحاد ١٤ دولة فرنسية اللغة تشكل منها جميعاً المنظمة المشتركة الافريقية وملاعاشي .

أم بشأن المقاطعات البريطانية في افريقيا الشرقية ، والاتحاد افريقي الوسطى الذي تألف عام ١٩٥٣ من اتحاد مقاطعتي روديسيا ومن بياسا ، وقد انحل عام ١٩٦٣ ليحل محله دولة مالاوي (بياسا سابقاً) وجمهورية زامبيا (روديسيا الشمالية سابقاً) بينما بقيت روديسيا الجنوبية مقاطعة بريطانية تنعم باستقلالها الداخلي . فمع تقارب السقي تشكلت من انضمام تنزانيا ومن زيمبابوي ، نجد ، ما بين اثيوبيا وبين روديسيا الجنوبية ، مجموعة من البلدان التي اتحدت عام ١٩٦٣ تحت اسم PAFMECA (اي حركة جميع قطار افريقيا الشرقية والوسطى) الذي صبح ، عام ١٩٦٣ PAFMECSA اي حركة تجمع اقصاد افريقيا الشرقية والوسطى والجنوبية ، التي اندمجت بدورها في منظمة الوحدة الافريقية التي نشئت في ايار من عام ١٩٦٣ في انيس أيا بقصد تحرير افريقيا الجنوبية .

وفي حضموار لحد التجمع الافريقي الذي قامت ختمه هذه لدول ، قامت بحار اخرى هدوت الى توحيدها جميعاً في اتحاد واحد . وهكذا طلعت علينا فئة الدار البيضاء التي ختمت عام ١٩٦١ : غانا ومالي والسينغال والمغرب ، والجمهورية العربية المتحدة ومثلي الاتحاد (M P R M) اي اتحاد لدول ذات النزعة التقدمية المسارية للجمعية العربية ولومومبا ، والفئة المصادة التي تكونت في مورونغا وختمت ٢١ دولة من دول افريقيا السوداء المعروفة بشرعتها لمعتدلة المحافظة كلا الطرفين كانت متفقين ، من حيث لمدأ ، بحيث تتماور ، الحركة المناهضة للاستعمار الواقعي الاستعماري ، وتحافظ على ما حققت من تحرير للدول الافريقية ، لتوحيدها ، وفقاً للتقاليد السافية وفي كانون الثاني ، تشكلت فئة اخرى اجتمعت في لاغوس وختمت كل فئة مورونغا ، وتمايغا والكونغو ليو بولونجيل . الا ان نشاط الحركة الوطنية الصغيرة بقي قوياً (حدود عمدة فن

أدت إلى طرد الرعايا التوغويين والداوميين من الشاطئ الذهبي (وإلى الاشتباكات الدامية بين الرعايا المايين والكونغويين) كما أن بعض الدول الأفريقية لم تحف فرأيها التوسعية وخطتها بضم بعض مقاطعات لدول المجاورة لها ، ومحاولة لتوقف في وجه هذه المحاولات نادت بماهدة ادريس بابا مبدأ لمحافظة على استقلال الدول واحترام أراضيها ، قد يكون هذا ضمانا للسلام وقد يكون تكريساً لواقع بلقنة الدول الأفريقية الذي صارها إلى العصر قاماً كما حدث في مؤتمر بناما ، عام ١٨٢٦ ، مع دول أميركا اللاتينية . وقد يكون هذا أيضاً نقطة انطلاق نقطة افريقية صلبة : إذ أن ظهور منظمة الاتحاد الأفريقي ، في هذا الوقت بالذات لتتولى قض المتازعات التي تشتب بين الدول الأفريقية ، إنما يكون إلى حد بعيد « تصريح مونرو افريقي » من شأنه أن يبعد عن القارة كل نفوذ اجنبي .

الفرص والناووس

إنماء الاستعمار والاستعمار الجديد

« أدركت الدول الأكثر رعباً التصنيع الممنوع من الأفضل لها أن تتحول لدول التي » تدعي الاستقلال « من مسؤولية مصيرها » على أن تحتفظ بالثروة والسيطرة بالوسائل التي تضمن لها ذلك »

ر. هارون

(من كتابه : التاريخ والتفسيراته ، ص ١٥٣)

يخصر المصطلح الاستعمار عندما تأخذ البلدان المختلفة مصاعب تسهم بحياة ونشاط ، بالحركة الصناعية في العالم ، وذلك باستثمار التقنيات لحساب الحاصل وربائنها الخاصة »

لمرسوا ييرو

(الاقتصاد الدول الفتية)

المصطلحات الاستعمارية

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تولت التنازلات السياسية والتدابير المتخذة لتعسين أوضاع الشعوب المستعمرة ، بتوالي الحسف والمثل الذي حل بالدول المستعمرة ، وكلما شعرت هذه لدول بعدم قدرتها ، بعد الآن ، على تحمل الأعباء الثقيلة ، بحربية كانت أم مالية ، التي تسببها لها سيطرتها المباشرة بالطرق التقليدية التي سارت عليها ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، كلما شعرت يطبقان الأفكار والنظريات التحررية التي جاشت بها الدول التي عرفت تحت غير الاستعمار . فابتدأ احدينا النظر طالعنا « معركة انسحاب » تظهر بوضوح مع تغيير الالفاظ والمصطلحات بعد ان سقط شيئا فشيئا من الاستعمال ، كلمة « امبراطورية » وكلمة « مستعمرة » لتحل محلها كلمة « مقاطعة » ، وكلمة « كومونولث » وكلمة « رابطة » ، فالامبراطورية البرقالية الاستعمارية اصحمت بعد الآن : « الولايات الواقعة عبر البحار » في دستور البرققال

الذي صدر عام ١٩٥١ ومن وسائل التنمية التي استخدموها فيما بعد ، الاستانة بكلفة .
« الترابط » الى ان التفت نهائياً ما اصطلموا عليه من اوضاع استعمارية ، وحل محلها مساكن
تكرس الاستقلال الناجز ، بينما تصبح كلمة « عون » و « مساعدة » مرادفاً لكلمة « تعاون » .

السياسة الاستعمارية الجديدة وهكذا فالدول الكبرى التي قامت سيطرتها منذ عام ١٩٤٥ ،
على استثمارها المقاطعات التابعة لها وراء البحار ، كما كانت
تستثمر ، كشبه مستعمرات لها ، دول أوروبا الوسطى ودول أوروبا الشرقية ، اضطرت
للتخلي نهائياً عن الأساليب والوسائل المملة التي مارستها وصايتها . وقد حاولت ، في هذا كله ،
ان تتخذ نهجاً يداً من الوطنيين المحافظين وان كانوا تعاونوا مع اليابانيين ، امثال أو اونغ سان في
برما ، وروكساس وكيرينو في الفلبين ، وبار داي في فييتنام ، وداتو اون في ماليزيا ، حتى
في حال ممارستهم لنظام دكتاتوري يتنافى اصلاً مع القيم التي يدعي الغرب الدفاع عنها : امثال
سمنان ري في كوريا الجنوبية ، ونشان كاي شيك في فورموزا ، ونغو دن ديم في فييتنام
الجوية ، والمارشال اوب خان في الباكستان . وبريطانيا العظمى على الاخص ، عندما قامت
باسحابها للنفي و « وقتته في اللحظة الأخيرة » نجحت في نقل السلطة لحكومات خمنت
شخصيات حتى من تجار أو رباب اعمال وحديثين . وعرفت لربما متأخرة ان تعديل من سياستها
تحت تأثير الدرس السليح الذي لفته اياه الحوادث الدمية في الهند الصينية وفي الجزائر ، وان
تعرض بصورة طوعية الاستقلال الكامل على افريقيا السوداء ، مع العلم ان البلاد الواطية ، وربما
بليجيكا اخفقت ، على ما يظهر في سياسة العالمها الاستثمار .

فتعالت هذه الدول المستعمرة مع البورجوازية الوطنية ايها قامت ، ومع كبار الملاكين
العقاريين أو مع رعاة القبائل أو الرعاة الدينيين في اماكن اخرى ، وبالتخلي لهم عن السلطة
السياسية وعن جانب من ارباحها في المعدل الاقتصادي ، استطاعت الحد من نتائج الفائز
الاستثمار . فوسائل العون والمساعدة التي قدمتها للدول الجديدة قبل ان تصل الى الاستقلال
الناجز ، تثبت الى حد بعيد كيف حاول النظام الاستعماري ان يواصل عمله متسجراً بأشكال اسم ،
« فالروح الاستعمارية » لم تعد تجسر على الظهور بوجهها السافر . فهي تواصل البقاء والاستمرار
تحت ستار شفاف من التعاون والتحرر التدريجي ، (هرنسو بيري) . فقبل عام ١٩٦٠ وهي
السنة التي توالفت فيها حوادث الاستقلال ، راحت للنقطة الرابعة « مشروع كولمو »
والمعاهدات الثنائية تمهد السبيل لها اصطلموها على تسميته « بالاستثمار الجديد » اسي تولف
الميليسين ، خير مثال له

كان من البؤس الشديد الذي تتسكع فيه الجماهير السائرة في
الجهل والجهالة والمعرضة لسوء التغذية والمرض والبأس القتال ، و
يجعل هذه الجماهير هدفاً للدعاوة الشيوعية . وفي سبيل درأ هذا
الخطر عن الجماهير وفي سبيل مساعدتها على تأمين وضع اقتصادي سليم ومعادلة تعادل مدفوعاتنا ،
السلطة الرابعة ومساعدة
الدول للتحفة

و تأمين الاسواق اللازمة للولايات المتحدة وما لاحتاج اليه صناعها . لاستغدة بالتوسع ، من الخانات ، واستجار رؤوس اموالها في الخارج ، تم عام ١٩٤٩ وضع اول برنامج شامل لمساعدة الدول المتخلفة في عهد الرئيس ترومان . صحيح ان المساعدة الفنية التي تمتعت بها دول اخرى ، لم تكن حاداً جديداً ، فقد سبق للرئيس ف . د . روزفلت ان قرر مثل هذه المساعدة لدول اميركا اللاتينية على نطاق واسع ، لا سيما خلال الحرب العالمية الثانية . ام الرئيس ترومان فقد اراد التوسع في هذه الخطة بحيث تصبح خطة شاملة تتسع الى جميع اطراف العالم . فطالما لا يشفر للدول المتخلفة العدد الكافي من الاختصاصيين في بلادها فيصير ضرورياً بالتعيين تقدمه البلدان المتقدمة تقنياً . فعلى الدول المعنية ان تطلب هؤلاء الاختصاصيين من الامم المتحدة او من الولايات المتحدة الاميركية .

وفي هذا السبيل اشأت الامم المتحدة ، منذ عام ١٩٥٩ ، مكتباً خاصاً يعرف بمكتب المساعدة الفنية (وافدت ١٧٥٧ خبيراً من خبراتها وزعتهم على ٦٣ بلداً) ، كما وزعت بمعرفة الحكومات المعنية ، محققاً دراسية للتخصص على مستحقها بحيث يتاح هم اكتساب المهارات التقنية اللازمة . الا ان نشاطهم لم يكن ليشتمل هذا الحد لافتقارها الى الاعتادات المالية اذ لم تكن لتعمل الا على مساعدة الدول الاعضاء في المنظمة . اما مجلس الكومنولث الاميركي الذي لم يكن متحمساً جداً للمشروع ، فقد ادمج الاعتادات المخصصة للقطعة الرابعة كمساعدات للدول المتخلفة ضمن برنامج الامن المتبادل الذي حصل من ضمن نشاط وكالة الامن المتبادل الذي يختلف في روحه و مجال العمل المخصص له كثيراً عن الهدف الاول الموصوع له . وهكذا فالاعتبارات الاستراتيجية فطست في نهاية الامر على الاعتبارات التي كانت دعت الرئيس ترومان ، عام ١٩٤٩ ، الى وضع هذا المشروع . والمون الاقتصادي والتفسي الاميركي ، الذي قدم على تفهم صحيح لفصلحة الاميركية وللثالية الاميركية ، (كما يقول فرنسوا ميرو) والذي اقتصر في نهاية الامر على مصالح ضيقة نسبياً ، لم يكن امامه حظ بالنجاح وبالمواقفة عليه الا بقدر ما يستجيب لاعتبارات الامن ، و لما يسمح به من تطور اقتصادي يرتبط الى حد بعيد بالموجبات التي تقتضيها محاربة الشيوعية ، (جاك داليه) . وبعد حرب كوربا ، عام ١٩٥١ ، والاتفاقات الثانية حول المساعدة الفنية لم تعقد لامع للدول التي كانت ترضى بالتمهد بمساعدة عسكرية في حال شوب حرب . فالاعتادات التي قدمها عام ١٩٥٢ ، بمك التصدير والاستيراد ، اشترط في تقديمها الدول المعنية ، على ان تطور الخانات التي تتطلبها الاستراتيجية الاميركية والدفاع عن سلامتها . اما القسم الخاص بآفريقيا من مشروعات العون المالي ، فالاعتادات الاميركية ذهبت ليس الى الاقطار التي يشكو سكانها من العوز ، بل الى هذه الاقطار الفنية بالمعادن الاستراتيجية ، كالبحاس في روديسيا والكومو الساحلي ، والمنغير في الشاطئ الذهبي ، والاس والكوبالت في افريقيا الوسطى .

مشروع كودو لم تكن أفريقيا بالبلد المتخلف الوحيد في العالم . فقد ضمت آسيا جاماير لا
تتمنى من السكان الذين يشكون النقص في التغذية ، وسوء الكساء وبميشون
في السوس والشقاء في اراض مسافة جدياء ، لا صاعدا ثقيلة فيها ولا عيين ولا امرا ل هذا
هو الوضع الذي رسف فيه ٨٠ ٪ من سكان العالم المتخلفين . وهكذا مما كادت قبل سنة ١٩٤٧ ،
حتى عمدت منظمة الأمم المتحدة الى تأليف لجنة اقتصادية تعنى بشؤون آسيا والشرق الأقصى
الاقتصادية ، وعا من وزارة اقتصادية تعنى بشؤون المنطقة تأخذ على نفسها درس وضعها
الاقتصادي ، وتتقدم باقتراحات التي تقول الى تحسين اوضاع تلك البلدان العدائية عن
حريق تطوير الاتحاج الزراعي واخذ تدريجيا بأساس التصنيع ، ويقوم في قلب هذه الرقعة التي
تمتد من الهند الى كوريا منطقة تنتج المطاط والاقتصاد والتفنتين والنفط والكوبرا حيث تواف
ماليريا دهمة من دعائم النظام الدعاعي لانكلترا في هذه الناحية ، ولدفاع عن الليرة المالويلية
ولها أهمية عظيمة من الوجهتين الاستراتيجية والسياسية .

وفي هذه المنطقة بالذات يتم الاتصال بين الشرق والادس واوستراليا وافريقيا ، من جهة ، وبين
الشرق الأقصى من جهة أخرى . ومن هذه النقطة ينطلق الطريق الكبير الذي يؤدي من بورما
الى الصين الجنوبية الغربية . فقد كانت المنطقة ، فيها مضى ، منطقة نفوذ بريطاني حيث احتلت
المملكة المتحدة ها بدومسوات ومستعمرات في ماليزيا لم تكن قد على استعداد للتخلي عنها
وبعد سنة قداما من وضع اميركا لمشروع النقطة الرابعة ، قامت بريطانيا تضع من جهتها ، ردا
عنه مشروعاً ، تعاويها يرمي الى تطوير بلدان آسيا الجنوبية من الوجهة الاقتصادية ، وهو الذي
عرف فيما بعد مشروع كودو . في هذا الوقت كان الصينيون برعامة ماو تسي - تونغ قد بسطوا
سيطرتهم على جميع احواف الصين فتعاوت قطار آسيا الجنوبية الشرقية دوي هذا النصر
الذي الذي ارجحت له الجماهير الآسيوية . ولكي تحول بريطانيا دون نجاح لاشعوب الآسيوية الى
الشيوعية بعد هذا لامصادر الكاسح الذي حققته ، كان لا بد من رفع مستوى المعيش لدى
٥٦٠ مليون من السكان يعمرزون هذه المنطقة الواسعة ، والحطة التي وضعت ليست مخرت
كانت عتده برنامج مفصل لتطوير اقتصاديات كل من هذه البلدان التي تفيد مبدئيا من هذا
المشروع ، وهي في الاساس من البلدان لدخلة في مجموعة الدول البرهانية . ولكن ما كانت
مساهمة الولايات المتحدة في هذا المشروع ضرورية ، جرى توسيع المشروع ، من عام ١٩٥٢ ،
ونقلت كل من الولايات المتحدة وبورما واليابال والميتسم وكبروديا وسيام في لحة الاستشرية ،
كما دخلها مراقبون من اندونيسيا وتايلاند والفيليبين . والاتحسة التي قامت اصلا من سعة
اعضاء يتكون دول الكومونولث البريطاني جرى توسيعها بحيث ضمت ثمانين عن تسع بلدان اخرى
وهكذا صبحت لحة دويبة تمتد اقراق اميركا ، ومشروع لاو استمد لمخطط عامة
وصمتها الولايات المتحدة لاميركية ، تشمل جميع بلدان جنوبى آسيا التي يجب العمل على
قطورها ، لا سيما تشجيع انتاج الخدمات والمواد الأولية التي هي بحاجة اليها .

وهذا الضغط الذي تعرضت له هذه البلدان مباشرة أو غير مباشرة
 يؤثر بدوره
 بقدر لنا التمسك الذي استقلت منه الدول المتحللة هذه المساعدة
 المعروضة عليها، و ثارت فيها الشكوك حول الاهداف السياسية والمسكرية السكينة وراء امدعها
 الطريق ، وتندت لها من خلالها محاولة التدخل بشؤون الداخلية واستثار سكانها ، كما رأوا في
 هذا المشروع محاولة للحد من مساهماتها للاحد باسباب التصنيع الضخم .
 وكلما انضمت للسكان اكثر فكثر الظروف الوصية التي تحيط باستقلالها ، فقد رفض
 الاهلون ان يكونوا درماً مسخرين للدول الكبرى البيضاء . وهذا الوعي الكامل لـ فيهم من
 قوى وطاقت وامكانات هو الميزة السارة والاهمية البالغة التي انصفت بها المؤتمر الافرواسيوي
 الذي عقد في بانديونج في نيسان ١٩٥٥ ، اولى المؤتمر الدولي في تاريخ حضارة البشرية التي
 هدفها الشعوب الموقرة .

وهذا المؤتمر الدولي الذي لم توجه لاي دولة بصفة دعوة لمصورة اشترك باعماله مندوبون
 من ٢٩ دولة اسيوية وافريقية سكانها يملفون نصف سكان الكرة الارضية والتي لم يكن
 معظمها ، من نحو عشر سنوات سوى مقاطعات مستعمرة وشبه مستعمرة من قبل الدول
 الأوروبية ، حضر هذا المؤتمر ممثلو ست دول افريقية مستقلة هي مصر والسودان واثيوبيا
 والشاطيء الذهبي وليبيريا وليبيا ، وقد شدد المؤتمر بوجع خاص على التضامن وعلى ضرورة
 الاتحاد بين آسيا الجديدة وافريقيا الجديدة ، كما عبر سوكارنو عالياً عن امانتهم الصادقة لشعوب
 المغرب والروس والحرائر عندما هتف قائلاً : كيف لنا ان ندعي ان الاستعمار لفظ انفاسه طامنا ان
 اقطاراً واسعة في آسيا وافريقيا لم يتم تحريرها بعد ولم تزل استغلها ؟ وعندما راح نبرو يؤكد
 ان آسيا تؤكد رغبتها بمد يد المساعدة لافريقيا .

مع ان هذا المؤتمر ضم ممثلين عن دول ترتبط بعضها بروابط وثيقة مع الاتحاد السوفياتي كما
 تشد البعض ، الاخر وشائج وثيقة مع الاتحاد السوفياتي ، فقد شجب أعضاء المؤتمر بالاجماع
 الاستعمار والعنصرية والسياسات الدخيلة الى التفرقة والتمييز العنصري

« دققنا ولا يران بعضنا بذوق المهانة والذل والصحة التي اقصرونا عليها في حق ديارنا » وكيف
 أدلوا بصورة منهجية ووضوحاً في ظروف محنة ليس سياسية واقتصادية وعسكرية فحسب بل
 يضاً عصرية . واشركوا في هذه لوحة دوماً تغيير او تقربق ، الذي والحقير ، والامير والصالحون
 والسيد والمسود ، والرئيس والروس والملك وارب العمل ، والفلاح والبروليتاري ، والعالم
 والجاهل . ولتميز سيطرته وشد شكيمته والتشديد من قبضته اصبح من الامور المألوف لدى
 الابيض في الحرب ان تعوقه بكس في سوعه وعقوباته وفي نون بشرته . وهذه الأولوية ،
 جعلت في لهجات المستعمرة ، اكثر الناس سملاً وأخسهم فكراً اسمى واعلى من ي ثابتة او
 من اي عقري لدى الشعوب المستقلة في مجالات العلم والثقافة والصناعة (كارلو ب . رومو)
 وقد اكد المؤتمر المسارة بين العناصر الانسانية والمروء البشرية ، وان الناس الى اي

هرق انتسبوا ، ومن أي لون كانوا ، عليهم الواجبات الأساسية و لاحتياجات المائلة ، لا سيما في كل ما يتصل بالطمايبه الاقتصادية والاجتماعية . وقد عبر كذلك عن المادى الأساسية التي تقتضيها كل سياسة ، استقلالية في المجال الاقتصادي لتصبح حداً لسيطرة المجلس الأبيض ، كالتعاون الاقتصادي بين الدول الآسيوية والأمريكية في كل ما يتصل بالمساعدة الفنية والمالية والتشجيع على إنشاء صناعات وطنية ، وتحويل الخامات والمواد الأولية التي كانت تصدر حتى الآن الى الخارج بأسعار تحددها الأسواق الغربية ، و إنشاء مصارف وطنية ووضع حد لاستغلال النقل الذي تتحكم به الدول البحرية في الغرب .

حاج التثام المؤتمر ، في المجال الدولي ، عقب اتفاقات حثيف ولتهديد بتوسيع الحرب في الوقت الذي راج فيه مؤتمر مانيلا بضع مشروع ميثاق مول الشرق الأقصى الذي جاء رجع صدى لميثاق الأطلسي ، وهو المعروف بالسينو ، وإنشاء منظمة الدفاع التي يشار إليها بالأحرف O T H S E . وأكد المؤتمرين رفض لدول الآسيوية والأفريقية وعدم التسليم بحورها في الحرب من قبل أحد المسكرين المتنافسين الكبارين في العالم ، وهو موقف حديد إيجابي هام جداً في هذا الوضع السياسي العام ، و هم من ذلك قائم كبد على تنهاج سياسة مستقلة من لأن مصاعداً ، لدى الدول الآسيوية والأفريقية التي سحز في نفسها كثيراً فصرف الدول بها في هذه المؤتمرات الدولية التي لم تكن مثله فيها أو لا يحق لها التمييز فيها عن رغباتها

كانت شعوب حلال جمال متطابقة لا يسع لها سرت في العالم... كنا كمية مهيلة يس من يكتوت لها أو يوبه بها ، وكانت مصائرنا تست يد دون قرينة هنا وتقررو امروا دفعا لفتفتت مصاحبنا التي هي فوق كل مصلحة ، ونطرح بنا من الفقر والمهالة والذل (سوكارنو) .

كل هذه المبادئ جرى توضيحها وإبرازها يشكون قوى وأوقع أيضاً في المؤتمرات التالية التي عُقدت في القاهرة في كانون الاول ١٩٥٧ وكثرت الثاني ١٩٥٨ ، أو في كوناكري في نيسان ١٩٦٠ (هذا المؤتمر الذي قتل فيه ليس فقط مندوبو الدول الآسيوية بل بعضاً منثاون من الأحزاب الشيوعية أو التيارات الفكرية الباردة في هذه الاقطار ، كما أكدت عليها المؤتمرات الأفريقية الصرفة المتقدمة تساعاً في تونس واكرا واديس أبابا ، عام ١٩٦٠) إلا ان المصاحب ، ولا سيما الاقتصادية منها ، التي قامت في وجه هذه الدول ، برزت مشكلات أخرى مهمة ، فخلقت معارضات واثارت مناهسات لم تكن مؤقتة لروح باندونغ ، كما جرى فيها بعد .

التطور العام الذي اخذت بأسيابه الدول الجديدة

في كل مكان ، سواء في آسيا ام في افريقيا ، حاج التطور الذي اخذت به هذه الحكومات الجديدة واحداً تقريباً ، فالسير وحده ومدى خطاه احتلف سرعة او سدة باختلاف تقاليده هذه

البلاد والظروف التي أحاطت بها . فقد تألفت الدول الجديدة ، على العموم حتى التي تم استقلالها عن الدولة المسيطرة بالعرف ، ضمن الحدود التي كانت لها ، وهي حدود مغلقة حيناً ومبسطة أحياناً ، وفي نطاق القطر المستعمر فقد احتفظت الدولة الجديدة بما كان لها من أطر وملاكات إدارية ومؤسسات قضائية قائمة في عهد الاستعمار ، وقد اختارت لها على العموم نظاماً ديمقراطياً يشبه من قريب نظام البلد الأم . ثم إن الهيئة الإدارية التي تسلمت مقاليد الحكم والإدارة كانت على الأجمال من قدامى الموظفين في العهد الاستعماري ومنتخبين ، بين طبقات واساتذة ورجال قانون وصحفيين كلهم تلقوا العلم في معاهد أوروبا ، وكلهم نشؤوا تنشئة عربية لمضجها مسحة نصرانية وتأثروا إلى حد بعيد بالآفكار والنظريات ونمط الحياة لدى الأوروبيين . إلا أنه بعد مضي عدد قليل من السنين وأحياناً من الأشهر ، رأينا هذه الأطر والأراء والمؤسسات تلوي أو تسحل عليها تعديلات جذرية ، فجعل محل بعضها أحياناً نظم جديدة مغايرة لها بالكلية كدكتاتورية عسكرية أو نظام رئاسي استبدادي ، ونظام ديمقراطي موجه ، ذو حزب واحد بعد تصفية كل معارضة .

فقد انضج بسرعة ن المؤسسات الليبرالية العربية التي استعظموها أو قلدها بعد أن شغمت لتطور طويل في القرن التاسع عشر ، بالنسبة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة أصلاً عما ساد في آسيا وإفريقيا ، كانت أبعجز من أن تجعل معها للدول الجديدة حلاً لما تعاني من مشكلات تعترض سيرها .

وهذه النخبة المختارة من هؤلاء المفكرين المستغربين التي
مشكلة الدمج والاندماج استأثرت بالسلطة وجدت نفسها فجأة أمام جماهير ريفية كانت من السهل إثارتها في وجه السيطرة الأجنبية وحدث معها مع ذلك عاثشة في وسط عالم مادي وأدبي ليس فيه ما يرتبط بالدولة الحديثة . وما كانت تجهل كل شيء عن ضرورة التمسك الوطني ، وترتبط بنظام اجتماعي تقليدي ولا تزال بعد إقطاعية قريبة من أوضاع أوروبا في الأجيال الوسطى ، علاقة رب العمل بالزبون والشئ الذي له أهميته عندها هو الوضع وليس العقد ، والمعرف وليس القبول ، هذه الجماهير شدتها روابط وثيقة ضمن إطار القرية المحدود أو القبيلة أو المرفق ، مما يجعل حلاً مطلقاً كل ما لا يتصل بالمنة ، أو تنظر إلى الجار نظرتها إلى العدو . هذه الجماعات عبر المندمجة ، التي تتألم من مجتمعات محلية متصارعة ، ينقصها الحد الأدنى من وحدة لا بد منها لتأليف أمة وعليها أن تؤلف مواطنين لتبليغ هذا الحد . وهذا القصر الجذري في لوحده الداخلي الذي لا يظهر بوضوح في هذه الدول الآسيوية ذات العاصي المحترم ، يعبر بشكل أوضح في إفريقيا . ومع ذلك هناك بلدان مثل الهند وبورما والهند الصينية كانت تعاني من هذه العلل وكان عليها أن تنقلب ، هي الأخرى ، على صعايب من هذا اللون .

فصل للدول الجديدة أن تحارب ، إلى هذا ، القوى التي تهدد هذه للوحدة المبريمة العطب كالأقليات العنصرية والعنات القبلية ؛ وكان عليها أن تخوض غمار حروب قاسية لقمع ثورات

وحركات تمرد قامت بها اقوام الكارنز والشان والاركانيز في بورما ، وتكتبت المحولات التي قامت لتأسيس جمهوريات مستقلة في جزر الملوسك وفي جزيرة امبون . ومثل هذا الصراع يقوم في افريقيا حيث وحدة بيجيريا مهددة بمعارضة يوروبا (في المغرب) ، والايو (في الشرق) والهاوس في الشمال ، وفي كاساي في المعارك القائم بين اللوما والولوا ، وفي رواندا بين الهوتو واسيادم التوتسي حيث ذهب الوو للقتل . وتعدد اللهجات واللغات هو عامل من عوامل التفرقة . هناك اكثر من ٦٠٠ لهجة ونحبة في افريقيا تتقاسم سكان هذه القارة ، و ٧٠ لهجة في الفلبين و ٣٠ لغة في اندونيسيا ، و ٦٠ لغة في الهند ، و ٢٥ لهجة صمري دارحمة بين ٥٠٠ ٥٠٠ من السكان ، والكل يعرف جيداً اللعب الذي تميزت به مقاومة التامول في غرة ١٩٦٥ ، في جنوب الهند ، ضد سيطرة اللغة الهندية .

كذلك عليا ان نحسب حساب الديانات المتعددة المعروفة . بن السوسو المسيحيين والاقوام الاسلامية في الفوط ، دالون في الفينية ، والدوكون في الشمال والموليس في مالي والمسلمين والهندستانيين في شبه القارة الهندية ، والكاثوليك واليهوديين في جنوبي الغيتنام واليهوديين النورمين والكارنز المسيحيين ، وغيرهم . وبعض الشعوب ثماني القسمة الى عدة اجزاء وفروع هي الحدود والشموم المصطنعة : فالاشانتي مورعون بين غانا والنوغو . ومعارضة الائمة والرهسان البوفيين والفينية الاسانية والفاون ، والامويه بين غانا والنوغو . ومعارضة الائمة والرهسان البوفيين والبراهما الذين كثيراً ما وقفوا ضد الاصلاحات ، وقد تحدث منها الارستوقراطية المحلية في آسيا اداة لتوطيد نفوذها وكذلك الرعاء التقليديون في افريقيا السوداء ، ولا سيما في هذه المقاطعات التي استخدمت كل الوسائل لديج ، للاحتفاظ بسلطانها ونفوذها .

ان عدم تكافؤ المؤسسات والظروف وعدم مطابقتها للاوضاع ، حيز الاعيادات التي قسما العرب رده حرصاً عدم كفاءة موظفي الادارة . فباستثناء بعض الممتلكات البريطانية ، حيث كانت السلطات المستعمرة قد اخذت مختار من أبناء البلاد ، ليس صفار الموظفين فحسب ، بل ايضاً ملاك موظفي الضفة الوسطى والغربية ايضاً ، كما جرى في الهند وسيلان وباكستان ، فقد جرى استبدال موظفي الاستعمار بموظفين جدد لم تتوغل لهم الكفاءة والقدره والقدرة على تحمل التبعات والمسؤوليات ، وبسياسيين تم اختيارهم من قبل جامعي جامعة أمية لا تفقه احياناً معنى للاقتراع والصوت التي يعطونها . ولم يلبث ان قامت في البلاد طبقة من ممثلي السياسة ، يهمهم في الدرجة الاولى ان يفيدوا الى أقصى حد من الوظائف الموكولة اليهم ، ويقومون بالانترار والاعتصار والإفساد . وتعدد الموظفين يجب رده اساساً الى المرسكز والهيئة التي توليها الوظيفة الحكومية لصاحبها وفقاً لما خبروه في عهد الاستعمار . كما ان بعض القطاعات كالفصاح الاقتصادي مثلاً يقوم بنشاطاته ويحتكر الوظائف فيها موظفون من الاقليات الاجنبية . من عرب وصينيين وماليزيين ولبنانيين واوروبيين من أصحاب الاختصاص او من اصحاب رؤوس الاموال . فالوظيفة والسياسة هما الممتلكات الوحيدتان

الفتوحة ابوابها للنخبة في هذه البلدان الآخذة بالنمو والرقى. فالوظيفة هي «صناعتهم الكبرى». ويشير ر. دومون الى ان في البلدان التي تتكلم الفرنسية في افريقيا الغربية أكثر من ١٥٠ وزيراً، وربع مئات من وكلاء الوزارات، وبقية آلاف من الاعضاء البرلمانية يتقاضون مرتبات اعلى من المرتبات المقطوعة لاهضاء البرلمان البريطاني. فالمعانون اندي لا يتجاوز عدد سكانه الى ٤٥٠.٠٠٠، بعد ٩٥ قائماً، اي نائب لكل ٦.٠٠٠. فليس يُمرب قط والحالة هذه، ان تسهلك مرتبات الموظفين، القسم الأكبر من واردات الخزينة (٦٠٪ مثلاً) و ٥٦٪ (في السنغال). نبدأ سكانه ٧٥٠.٠٠٠ نسمة كالكونغو برازافيل ومزايتة العامة هي اقل بكثير من موارد مخزن كبير من المخازن الكبرى في باريس، فيه عكسة سكتاف، ومجلس شورى للدولة، ووزارات وله سفراؤه ومسؤولوه في الأمم المتحدة والتكاليف العسكرية فيه عالية جداً بحيث تهدد بتعذية روح المنتج. ومما يمكن فهي تحسول الاعتمادات والموظفين عن النشاطات المنتجة.

بين هذه النفقات التمشيلية، تأتي النفقات الخاصة بقصر الرئاسة في ابوجا الذي دخل في بمائه ٢٥٠٠ طن من لمرمر استورد من ايطاليا بالطائرة (٩ مليارات فرنك) مقطوعته الكهربائية (بين قوير وقوير وتيرة ونقل تزيد عن استهلاك مدينة قرنية سكانها ٢٥.٠٠٠ من الطاقة الكهربائية).

وجدت هذه الدول نفسها تنعم بمجهاز اداري يتجاوز كثيراً طاقة دخلها القومي وبسبب تلميذاً يدعو للشك والريبة في النفقات العامة. ثم ان هذه النورحوزية الادارية تؤلف من اصحابها طبقة مختارة، او رستوفر طلبة جديدة غنية تقطع من القطاع المنتج، منافع بشرية ومالية صغيرة. فهي تتداول مميزات عالية شبيهة بهذه الترمويضات التي كان يتداولها كبار الموظفين في العهد الاستعماري، ويعمل فيها عدد من الخبراء الاميركيين والاوروبيين لهم داراتهم وحشمتهم وسبارتهم وسائقوها وكلها على حساب مبرانية الدولة. وهي ادارة كثيراً ما تكون فاسدة محتلة يسمى الكثيرون بين افردها للوظيفة ذات لمرتبات العالية في البوليس والجرك والاشغال العامة او الدواع الوطنية ويستشهد شيموري بالجيش في لاوس الذي تدفع له الولايات المتحدة مرتبته، واكتشفوا ان ابلع النهائي كان يضاف اليه «سبوا» ١٠٪ من قيمته. ثم ان سرعة تقلبات التوررات وعدم استقرار الوظائف كخيراً ما هذا ما افراد هذه الطبقة الموسعة على السلوك مسلطاً «مهاجرين محتملين» فيكون الثوارون لما في السريعة المعطى في بلادهم وذلك بتحويلهم منصرفهم الى المصارف لاصحىة بحيث يكونون عملاً ادا، عقيب هم الله. سر ظهر الجهن.

الرجع القوي يقوم صراع عقيم بين الاحزاب القائمة في البلاد التي لا صاحبها على الغالب تسير عليها وليست في حقيقة سوى سوق للمنافسة بين رجالها. فالنشاطات التي تنعقها هباء مشوراً، والفساد الذي يحول دون اي اصلاح يحاولون القيام به،

وهي السلطة عن تنظيم الانتاج او على انتهاج سياسة لا تأخذ بالوجوه ، كل هذه الامور أدت الى سد المؤسسات القيرالية وحرية تشكيل ممارسة وقعدة الاحزاب ، باعتبارها اموراً كالبسة زائدة لا طائل تحتها وكابحاً حطراً ، فهي سبيل تكوين طبقات شعبية وبعث روح القومية بينها ، وفي سبيل تطويعها وبعث روح النظام ، لا تستخدم فيها وتعودها على البدل وروح التضحية التي يقتضيها تطبيق المشروعات العامة ، وفي سبيل تأمين التوازن بين المصالح والمفصل في المشكلات القائمة ، وفي سبيل تحويل هذا التركيب الاجتماعي الذي لا يساعد كثيراً على التطوير الاقتصادي وعلى تأمين النظام السياسي في البلاد ، لا سد من قيام سلطة قوية لا تستطيع ان تحصى بتأييد الجماهير الشعبية لا باعتبارها مثالية هليا تهدف الى تحقيق ، قد تكون الروح القومية في آسيا او المثالية الزنجية او الافريقية في افريقيا ، التي تساعد على ايجاد السبيل الذي يؤدي الى « الاشتراكية الافريقية » والى الديمقراطية الآسيوية ، لحظة . كل هذا مروج من الايمان بالتقاليد التي سادت العصر الذهبي السابق للاستعمار ، ومن العدالة بحق السير حالاً في طريق التطور ، وبالشعور بالحرمان والتعدي الذي يبعثه مظهر سول المتطورة والارادة الصريحة بالتمييز بين المعصرة التي تهضم الاقتباسات التي رقع عليها لاختيار ، والاستغراب الذي يكون اساساً ، شكلاً جديداً من اشكال التغير

الانظمة الجديدة وهكذا يرى كيف ان البلدان التي استقلت جديداً عام ١٩٥٠ سدت جاساً مبادئ الحرية والنظام البرلماني : اما فجأة بعد انقلاب عسكري مفاجيء ، واما مداورة بعد ان احدثت على نظامها لاصلي تعديلات حاربت معها التوفيق بين مؤسساتها وبين الواقع ، كما حدث مثلاً في الكونغو برازافيل حيث ثوال على البلاد ١١ دستوراً جديداً بين تشرين الثاني ١٩٥٨ وكانون الاول ١٩٥٩ . ومن مبررات هذا التغير هو عدم الافاع بشيء ما الى الديمقراطية في حد التصريح الطويل ، ٣٣٠٠ كلمة الذي انتهت به مداولات مؤتمر بانديونج في نيسان ١٩٥٥ ، واشتدت بهوز اكثر فاكثراً ، طبقة جديدة من القادة الوطنيين تنمش بالاحسن في هؤلاء العسكريين الذين يأخذون على انفسهم عمارة الفساد وتوزيع الامة ضد التفتت والانحلال ، وهم على المالب خصوم لاقطاع واعداء الارستوقراطية ، كما ترى في اميركا اللاتينية مثلاً ، وفي بلدان الشرق الادنى ، ويحاولون النهوض بالشؤون الاقتصادية وتطويعها ، الا انهم مناهضون للديمقراطية في الصميم ، وقصاً يكونون بنائين حقيقيين . وهنابهم في لدفاع عن النظام ، كثيراً ما حلهم على كبح حركة النمو في الوقت الذي يمثلون مبرامية الدولة مطالب عرزع الدولة تحت ثقلها . فقد سكثت آسيا ودول الشرق الاوسط حتى الآن حير مثال على الانقلابات العسكرية . ففي عام ١٩٥٨ وحده حدث انقلاب عسكري وتحسد بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة ، واوصل الى السيطرة اللواء قاسم في العراق ، والمارشال ابراهيم خان في الباكستان ، واللواء عدود في السودان ، والجنرال نه وين في بورما ، والقواء النظام التمثيلي في فيلاند على يد المارشال ماريت . ففي عام ١٩٦٥ كانت الزريرة التي

شكلها الرئيس عبد الناصر نغم بين اعضائها عشرة عسكريين من اصل ١٢ عضواً ، كما انت وزراء الاقتصاد والشؤون الاجتماعية الثانية في حكومة بورب التي اكتمل تأليفها في او اخر سنة ١٩٦٤ ، كانوا كلهم عسكريين .

وعندما لا تتحول هذه الثورات او الانقلابات العسكرية الى حكم دكتاتوري ، فهي تحول على الغالب ، الى نظام جديد لا يتميز كثيراً ولا يختلف عن هذه النظم التي قامت في بلدان اخرى بصورة ضمنية ، قد يكون نظاماً رئاسياً هن شاكسة الكيالية في تركيا او على غرار الديفولية التي هزمت بمهرة كلية ، ان تمارج بين تفصال السلطات وتعاونها ، لغرض مجلس النواب على الوقوف موقف القبول والصح ، (كما يقول بوشدن) 'يعمد معها الى السلطة التنفيذية سلطات استثنائية (وتعطى على الاخص سلطة مطلقة لحل المجلس كما تلزم مسؤولية الوزارة امام المجلس النيابي ، وهذه الشخصية التي تعطى للسلطة والتي تعيد الى الظهور الصورة الغريبة للالوقه لرئيس الحزب ، هي ظاهرة عامة تستكمل وجودها بالحزب الواحد . وهذا الحزب الذي يصدر عن ايدولوجيا وطنية يحتكر نفسه ، تمثيل الجماهير ، ومهمته الاولى الكبرى هي تحقيق اهرار عناصر الامة في بوتقة واحدة . فهي تراقب معاً السلطة التنفيذية ومجموع السكان ، بمصل نشاء حلايا او مرحدات يعهد اليها ابدال كلمة السر والتأكد من الامتثال لها ، ومد النخبين علاقات على كل المستويات ، وتأمين مراقبة لرأي العام . ورئيس الحزب الواحد الذي يمثل السلطة ، قد يطلع احياناً من بين الأطر التقليدية كرماء فلبين على شاكسة هوغويه بواسي ، وموعدا ، وآرولوه ، او عن سلالة ملكية ، على شاكسة سيكور توريه او الامير سيباتوك ، والامير سوفانا هوما في اللاوس

ان تركيز السلطة كلها بيد الحزب الواحد يمهدي الى التصديق ان لم نقل الى القضاء الحريات العامة كما يمهدي الى إلغاء الصيانات الدستورية ، فاصبحه 'تراقب او يجري كها ، تنكاز حوادث التوقيف الاحتراري والسجن الكيفي ، و 'الكشف عن المؤامرات ' وبفصل قانون الطوارئ الذي يعطي البوليس سلطات واسعة لمحري تصفية المعارضة بصورة عنيفة ، بالقضاء رعدتها او بامتناسها ، او بوضعها في حالة ترقى نفسها معها عاجزة تماماً عن العمل بالطرق الشرعية بفص التلاعب بالنظم الانتخابي ، لا سيما عن طريق العمل بنظام الأكثرية ، على اساس لائحة وطنية موحدة او عن طريق الضغط الادلري .

مشكلة الاستقلال الاقتصادي

رابط التنمية استطاعت الدول لاستثمارية ان تؤمن حضورها في البلاد ، ليس فقط سياسياً وادارياً ، بل ايضا ولا سيما ، اقتصادياً . من جهة وسائل النقل كالخطوط الحديدية والطرق والممرات ، ولوجية الثيارات والتيارات التجارية التي تم

تنظيمها في الماضي وفقاً للاهتبارات التي قلبها السياسة الاستراتيجية والاقتصادية التي يضعها المستثمر لم يكن من الممكن تغييرها بالسرعة المطلوبة ، كما ان البلدان الواقعة تحت الاستثمار تقوم في وجهها صعوبات وعراقيل كثيرة تعيق حجب عثرة في سبيل تطورها نحو نظام اقتصادي مستقل ، بعد ان تكون عدة مصارف احتياكي ، تشمل نموها : كندرة رؤوس الاموال المحلية ، وعدم توفر الاختصاصيين واليد العاملة الموصوفة وبالتالي اضطرارها الى الاستدانة بشروط ثقيلة والزامات سياسية خطيرة ، والاتفاق مع موظفين اجانب لا يمكن استدائهم او اجنادهم الا بأجور مغرية وبتمويصات ضخمة الأمر الذي يبعث الرغبة في الموظفين والاختصاصيين الوطنيين عن المطالبة برفع مرتباتهم لتتعدل وتستقيم كما يزيد في كلفة إبعاد الأطروا ملاكات اللازمة لإدارة البلاد في المستقبل . والتعايم الثقافي في نيجيريا يكلف ثلاثين مرة دخل الفرد في جميع البلاد (مرقين في الولايات المتحدة الاميركية) والتعليم الجامعي من ثلاثة الى خمسة اضعاف كلفته في أوروبا .

ومن جهة اخرى ان التقسيم الدولي للعمل (من مخلفات العهد الاستعماري) وارتباط المستعمرات القديمة بالظروف المتحركة يحملها في وضع غير ملائم : فهي تنتج محصولاً او بعض المحاصيل الخام اسعارها عرضة للتقلب تميل باستمرار الى الهبوط . والحال ان معظم هذه الغلال والمحاصيل تنافس بعضها البعض وسعارها ترتبط الى حد كبير بالدول الصناعية الكبرى التي تختار من بينها ما يتفق ومصالحها بينها تزودها هذه الدول بالعتاد والجهزة التي لا غنى لهذه الدول الجديدة عنها . فهي ترى نفسها مشدودة واكثر ارتباطاً بأسواقها من ارتباط هذه الاسواق بمناطق تجويتها . فالكامرون الذي صدر عام ١٩٥٩ ، نحو ٥٣٠٠٠٠ طن من الكاكاو بقيمة ١٠٠ مليون فرنك بمرتك المستعمرات ، لم يصدر من هذا الصنف ، عام ١٩٦٠ سوى ١٠٪ زيادة عن تلك القيمة ، اي ٥٩٠٠٠٠ طن لم تعد تعطي سوى ١٠٠ مليون فرنك . والحال ان هبوطاً يلحق أحد المحاصيل المعدة للتصدير ، يكمي لالغاء امساعدة المنوحة ، سنة او عدة سنوات

ويحدث بصورة عامة شيء من الهبوط او الغزول في شروط المادة على حساب البلدان المصدرة للإنتاج الزراعي والمصدرة للمواد الصناعية . وسبب ذلك هو ان هذه المحاصيل الاساسية تخضع لمراقبة شركات الاحتكار والتكتلات الدولية التي تشبه الى حد بعيد ، كما يقول فرسوايرو : دولا استثمارية فعلية ، (كاللاتيلمر في افريقيا وشركة الالبار المتحدة في اميركا الوسطى ، وأوكام في الكامرون ، والشركات الدولية في الشرق الاوسط مثلاً) . وهذه الوحدات الكبرى التي تشترك فيها دول عديدة مركزها الرئيسي في إحدى الدول الصناعية الكبرى ، باستطاعتها ان تسيطر على استثمارات مهمة جداً في البلدان التي كانت من قبل مستعمرات لها ، انما ترفض رفضاً باتاً دماجها في الاقتصاد القومي ، فهي تربط كل ما لها من نشاط بالسياسة العامة التي تنمى في هذه البلدان ، دون ان يكون لها اي علاقة او ارتباط

بالاقتصاد المحلي ، فهي تراقب الانتاج وتتحكم به ، وتدخل مع الدول الاخرى في منافسات دون اي اكرات منها لسوء هذه الاقطار او لمصالحها الخاصة ، كما انها قلما تعود تستثمر الربح الذي تربحه في البلد الذي يقع فيه الاستثمار .

فليس من عجب ، بعد هذا ، ان تبقى هذه البلدان ، باستثناء البعض بينها بما حالها الحظ ، كغانا مثلاً والعيليه ومالي وجمهورية مالي التي استطاعت ان تتخطى مراحل التخلف الاقتصادي ، تتسكع في ذات لاوضاع التي كانت لها في عهد الاستعمار وان يتولى مقاييد الادارة فيها الاشخاص داتهم في العهد الاستعماري ، ولا استقلال شرعي قد لا يكون سوى تمهية تختمى ورائه قصة المستثمر الاقتصادية ، كما يؤكد ربييه جاند رم ، فالدولة استمراة القديعة لا تزال ماثلة حاضرة بشكل عسوم ، كما يرى ريفار . فانتيارات التجارية تبقى على انحصارها نحو البلد الام ، سواء في تونس والمغرب ومالي والعيليه نفسها التي بشرت ، اذ ان ٧٤ بالمائة من صادراتها عام ١٩٦٠ تقع في منطقة الفرنك . مما عسى ان تكون موريتانيا مثلاً وما عسى ان يكون مصيرها لولا استثمار شركة مينورم لمناجم الحديد الواقعة في حصص عورو ؟ الم يثبت ربييه جاند رام ان الاقتصاد القائم على النقل ، لا يزال قائماً دونما تغيير تقريباً ، في جمهورية مالاغاش حيث الشركات نفسها تؤمن تصدير المحاصيل الاستوائية وتستورد الحاجيات المصنوعة وحيث الشركات الثلاث الكبرى الساحري مارتيم والهاغري والسكندريه انست افريقان لا ين عقدت فيما بينها اتفاقاً مشتركاً عوجه العلاقات التجارية بين هذه الجزيرة الكبيرة وبين فرنسا ، وحيث الشركات الكهربائية الخاصة ، تفرض ، ليس تعرفه مفرقة فحسب ، بل انها توصلت الى فرض تعرفه تصاعدي ، معرفه بذلك للنشل الذريع ، كل محاولة لتصنيع

يجمع عن ذلك انضغاع البلاد لمبودية او لتابعية لا خلاص منها الا بواسطة التصنيع . فوالى عدم توفر رؤوس الاموال ورحال الاحتصاص والتقنين يجب ان نضيف منافسة البضائع الأوروبية او الاميركية ، وضيق السوق الداخلية الناجم عن تجزؤ البلاد الامر الذي يجعل بحكم المستحيل استثمار أي مشروع رابح .

الى هذه الشوائب او المواقف ، يجب ان نضيف كذلك قطاعاً ثالثاً أخذ بالازدياد والاستفحال يتعذر معه كل انتاج ، شبكة من الاجور والمرقات التي تصدع الحاضر بما فيها من قفلوت ، ولفقات السيادة والادارة الماعطة والتي لا تحس فيها لاعتبارات المخصصة للتجديد الا محلاً زهيداً مع انها باستطاعتها وسعدها تأمين رفع الدخل القومي .

الاستعمار الجديد
هذه الروابط التي تشد هذه البلدان الى الدول الصناعية تخلق علاقات تبعية روطت تنتج عن هذه التفاوت العظيم بين التشكيلات الاقتصادية في هذه الدول والبلدان التي تألت استقلالها حديثاً . فهي تجعل غير ذي جدوى التدخل المسلح كما كانت يجري في الماضي ، لا عند الضرورة القصوى ، كالحالات التي وقعت في الفيتو واهريقيا الشرقية وكومو ليوبولدفيل ، عام ١٩٦٤ ، و ١٩٦٥ . ومما تكن وسائل التنمية المستعملة

لتعطيتها ، او الاحتياطات المتخذة لتجنبها فهي تتيح لدول الصناعية الكبرى ، ان تحافظ
اقله جزئياً ، على مواقعها الممتازة وان تفوز بها حتى انها تحقق مقايير جديدة .

فالاستثمارات الخاصة غير كافية وتبقى هائلة محدودة ، إذ ان أهم الأول تأمين الارباح
بأسرع ما يمكن وإخراج هذه الأرباح خارج البلاد ، ولذا سيطرت على الاستثمارات التي تقوم بها
الدولة . وهذه الاستثمارات تزرع ، على الفالب ، تحت شروط صعبة مستترة . فالانقباضات
الاقتصادية للثانية ، سواء أكانت لتثبيت سعر النقد او امتيازات جبركية ، او اعتادت للتصدير
او تعاوناً مالياً تخفي وراءها دوماً مقاييساً . وكذلك قل من الهبات والسلفات التي تعطاها
الدول الجديدة ، إذ تترتب عليها ان تقابل هذه الهبات بتمنازلات تمكنها من تشديد مراقبتها
لاقتصاديات البلاد والتحكم بها : كامتيازات جبركية وصراغية ، والتعهد بتخصيص هذه الهبات
والقروض لشراء سلعها من البلد الدائن والتعهد بعدم القبول الى التأميم او المصادرة ، وإطلاق
الحرية اسم تصدير رؤوس الأموال ولأرباح الى الخارج (وهي وسيلة أخرى من وسائل الضغط
الدائم على النقد) ، وفرض نظام أولوية على الاستثمارات (وبذلك تستطيع الحد او الحؤول دون
إنشاء صناعة متوازنة في البلاد) . وهذا « الاستثمار الجديد للدولار » يستعمل اليوم وقلباً
اليه كل الدول الصناعية التي أسست في هذا السبيل مؤسسات مصرفية خاصة . وكثيراً ما
يفرضون مع هذا كله شروطاً سياسية ترمي في أكثر الأحيان ، الى منح الدولة الجديدة من
« الانتقال الى المسكر الثاني » (وهذا هو القرض لا كبر من العون العسكري او المالي الذي
تقدمه الولايات المتحدة الاميركية) وهو تأمين مصادرة البلاد استعمرة للقدية في المجال الدولي ،
لا سيما تأمين صورتها في الأمم المتحدة ، كما هي الغاية الأساسية من المساعدة التي تقدمها الحكومة
الفرنسية . وأكثر من ذلك فقد أكدوا انه في حال عدم تحديد الشروط السياسية بشكل واضح ،
فالدول التي تطلب المعونة المالية ، تدرك جيداً أي تصرف يجب ان تملكه بحيث لا يقابل
طلبها بالرفض . ان لائحة البلدان التي استفادت من العون الأميركي المالي هي هذه الدول التي
تتمتع بمركز ستراتيجي على طول حدودها مع الاتحاد السوفياتي ، والعكس بالعكس ،
والأمثلة كثيرة من هذه الدول التي رفض طلبها المساعدة لحرصها على استقلالها كمصر عام
١٩٥٦ ، والفيجي عام ١٩٥٨ ، اذ رفض طلبها فجأة . والعين رأيت كل الفتيين الروس يغادرون
اراضيها عام ١٩٦٠ كما ان اميركا أنقصت مساعدتها للباكستان ولسبلان . كما ان انضمام الدولة
الى مجلس نقد قوي (كاللؤلؤ والجليه والفريك) من شأنه ان يسهل انتقال الارباح وخروج
رؤوس الأموال الخاصة التي يرهبون في استثمارها في الخارج .

اما التعاون الذي فيتم برسال خبراء وفنيين كالمهندسين والاطباء والاساتذة والاصناف
(لتنظيم الجيش ومدته بالملكات التقنية) او عن طريق تخصيص منح دراسية لجذب الطلاب الى
جامعات البلاد . فالغاية البارزة هي العمل على نشر لغة الدولة الصناعية ، ونشر منتجاتها
(بالتصدير بولد التصدير) كما يقول لئيل الامكليزي وبذلك يشتد نفوذها على الملاكات الوطنية

التي تلقت تخصيصها في هذه الدول . ففي عام ١٩٦٤ أرسلت فرنسا أكثر من ٢٠ ٠٠٠ من خسرنا إلى هذه البلدان الجديدة على أساس التعاون القسي ، منهم ١٠ ٠٠٠ إلى المغرب وحده . فإذا ما ساهم عدد من الدول المتطورة في هذه المساعدة على تنوع مظاهرها ، فالدول التي تلعب الدور الأهم في هذا المجال هي الولايات المتحدة ، من جهة ، والاتحاد السوفياتي والصين ، من جهة أخرى . والاهدادات التي تخصصها الولايات المتحدة هي الأصخم والأهم ، إلا أنها أقل تأثيراً ، على ما يبدو . فهي تتورع على عدد كبير من البلدان تراعى فيها بالدرجة الأولى أهمية الاستراتيجية . وقد تندر أحياناً ، وإنها تصرف أيس في استثمارات منتجة ، بل على العكس ، في استيراد مواد ترفيحية بدخية بعيد منها على الأخص ، أصحاب الضفة الموجبة في السداد ، الأمر الذي يزيد من الفروقات الاجتماعية بين السكان الملمونة والشرقية ، هي على عكس ذلك ، أكثر تنظيمياً وتنسيقاً . ففقد لقردي طابع أهمية ، بل هي قروض طويلة الأجل (من ١٢ إلى ٢٥ سنة أحياناً) ، بدائنة بسيطة (من ٢ - ٢٤ ٪) مع شرط تسديدها بالعملة المحلية (دون مشاكل للتحويل أو النقل) أو أنها تسدد بمتوجبات محلية لاسيما الزراعية منها فحده أسعارها لأمد طويل ، تستعمل هذه القروض دون أن يكون لها أغراض تجارية وتخصص لإنشاء استثمارات صناعية ، تتولى إدارتها ، هذه الفراغ من إنشاء الدولة المستفيدة من القرض ، دون أي تدخل من قبل الاتحاد السوفياتي . وهذه القروض التي تكلف أقل بكثير مما تكلفه القروض الأميركية ، تبدو أكثر تجرداً في الظاهر ، وينظر إليها الناس بارتياح ، على العموم . أما المون الذي تقدمه الصين ، فهو الذي يحقق نجاحات أهم وأكبر بالرغم من ضالة الاعهادات المخصصة حالياً . فالصينيون الصيديون مازمون بالتقيد بعيش معتد سكان البلاد الوطيين . فهم أكثر انصافاً بهم وأقل تطلباً ، ويستوحون روح الشسة في الظروف التي أحاطت بالصين هم ١٩٤٩ ، والظروف التي تعسالي منها الدول الجديدة . فهم مثال سي للتجاسح والتفوق الذي لاقتنه الطريقة الصينية .

ومهما يكن من الأمر ، فالدول التي حققت استقلالها حديثاً ،
العلاقات متعددة الأطراف
تفضل هذه موائيق متعددة الأطراف ، على اتفاقات ثنائية
الفرق - أوروية
الأحرف ، حتى منها هذه الدول التي تنعم بموقع استراتيجي
مهم يتبع لها أن تلعب بين الشرق والغرب سياسة مزايادة أو تأرجح . إن توسيع حلقة الزبائن واجهدين يجعلهم في مأمن من ضغط الدولة المسيطرة التي يتعرضون لها . فالمساعي التي يقومون بها تسير كلها في هذا الاتجاه ، ولذا ينشأ توقع بعض التراخي في العلاقات التجارية وانخفاضاً في الاستثمارات التي كانت تشد في أعقاب استقلال البلاد - الدولة المستعمرة إلى مستعمرتها القديمة . إلا أن هذه الحركة لا تزال بعد بطيئة ، ونتائجها محدودة . ويسلوان الاتفاقات التي تمقد مع منظمة دولية هي التي يرعى منها أن تخلف من « وحاة السيطرة » التي فكان لها لاتفاقات الثنائية . من المؤسف جداً أن تكون B. I. R. D. مؤسسة رئيسية

الوحيدة في هذه المجال ولا تتوفر لها مبالغ طائلة ، كما ان الترويج الذي يفرضها هذا السبيل للتسليم دقيقة جداً وتقتصر المتضمن منه على عدد قليل ، بحيث يمكن وصفه بأنه لو كان مصرفاً عادياً ، فهو لا ينافي سوى الاغناء . وقد انشأت المؤسسة C E E من جهة أخرى ، عام ١٩٦٠ ، صندوقاً خاصاً للتطوير الاقتصادي في أوروبا (Fedom) الذي يفتح الطريق امام التعاون الاقرب - اوروبي ، في امام دمج شؤون هيريفيا الاقتصادية بالشبكة الاقتصادية الدولية C E E فتفتح لها اسوقها لتتبع محاصيلها ولتتواءم إنتاج البلدان الاغريقية بأسعار مربعة الا ان هذا الدمج قد يمرض الاقتصاد الأميركي - بالنظر للتفاوت الكبير للقائم بين لوائح الاقتصادية من كلا الجانبين - لقاء عدة طوية ، في وضع البلدان المنتجة للضامات والمواد الغذائية ؛ وبالتالي يؤخر ، الى ما لا حد له ، عملية تصليح الدول الاغريقية ومن شأن هذا الوضع ان يعمي ، الى تكوين كتلة دولية تالفة تخضع لسيطرة أوروبا شبه ما تكون « بشركة الحساب والفارس » كما يقول سيكو توريه ، وه الشكل للأبرر والصورة الأوضح للاستثمار الجديد .

النتيجة

من هذه الحاول الكلاسيكية الثلاثة المعارضة التي من شأنها ان تؤمن سرعة النمو ، وبالتالي ، الاستقلال الاقتصادي لهذه الدول الجديدة ، - حل هو الاكتفاء الذاتي ، يجب ايمده وطرحه حاسماً باعتباره لا يمكن تطبيقه ولا احد يرغب فيه ، وحل آخر هو التتطيط من النوع الاجباري ، سوفياتياً كان او صيدياً ، وهو حل تعرضه كل الحكومات تقريباً ، وسيبقى الحل الثالث او الأخير ، وهو التوحيد الذي يمسدو مدعاً في افريقيا ، في مجموعات اقليمية كبرى . وفي هذا الاتجاه تميز كما رأينا - ولو ببطء - الدول الاغريقية لتتعلق وقد لاحظ انه بعد عام ١٩٥٥ ، لا يزال روح مؤثر بادسوح حياً شيطاً ، بالرغم من الاختلافات المعقدة التي باعدت بين مصر والاردن ، وسوريا وتركيب ، والعراق وفرن ، والباكستان والهند ، وأفغانستان والباكستان ، والمغرب وجمهورية الجزائر الشعبية ، وقبونيا والصومال ، وقوس والجامعة العربية ، واندونيسيا وماليزيا ، الخ . هذا الروح الذي تحلى بكن وصوح خلال أزمة السويس عام ١٩٥٦ ، وبدا للجميع ان سيطرة الغرب على آسيا وافريقيا ، لا يمكن لها ، من الآن فصاعداً ، ان تستمر او ان تدوم طويلاً حيث لا تزال قائمة .

فالفرار الديني والصعوبة ، والاطح التي يفتن بها رعيم هذه الدولة او ذلك ، والاتجاهات المؤاتية للغرب او للشرق او للصين وبالرغم من هذا الحياء الايجابي الذي يطنون عنه غالباً في كل مكان ، قد اضعفت كثيراً اروابط التي شدت العلاقات الاقرب - آسيوية ، هذه العلاقات التي تربط

هذه الدول والتي من شأنها ان تلعب دوراً حاسماً في الأمم المتحدة ، لو عرفت ان تؤلف منها كتلة متجانسة . فالحرب بين الهندوكستان والاتحاد السوفياتي مع شأنها ان قسم ، اكثر فاكثراً ، هذه الاختلافات الشاسمة بين هذه الدول ومن جهة اخرى ، بينما راح مؤتمر بانكوتش يشدد على الحبيد لايجازي وعن التضامن المتبادل فيما بينه تجاه أوروبا وتجاه الاستثمار الذي لا يزال ناشطاً ، فجهود الدول الاخرى - آسيوية تتجه نحو الوقوف في وجه الاستثمار الاقتصادي الجديد . فانه ان وضع حداً قريباً للاستثمار السياسي ، أخذ لنا حضوراً للاستثمار ، يعون ، اكثر فاكثراً ، المشكلات الجديدة المشتركة بين الدول المتخلفة اقتصادياً في العالم الثالث : مقاومة الاستثمار الاقتصادي الجديد عن طريق تشجيع التنميط ، وبالصالح الزراعي ، وزرع السلاح ولذا قمى كتلة الدول الاخرى - آسيوية الى التوسع والامتداد بحيث تملأ دول اميركا اللاتينية التي كانت بمن دونه تنوي ابعاد ، ثلثي عنها الى « مؤتمر بانكوتش الثاني » المقرر عقده في حزيران ١٩٦٥ ، في الجزائر . وبالفعل ، ان الدول المتخلفة اقتصادياً ، تتأرجح اليوم وتتمرج ، ليس بين كتلتين بل بين خمس دول كبرى : الاتحاد السوفياتي والصين والولايات المتحدة الاميركية ، وبريطانيا وفرنسا ، هي اكثر تشعاً بمصالحها القومية الخاصة التي تتعارض فيما بينها - من دكرات صراعها وحجدها الماضية ، ومن رغبها في تحرير شقيقتها التي لا تزال تفسف تحت نية الاستثمار الا ان مؤتمرات القارات الثلاث الذي انعقد في هافانا ، في مطلع ١٩٦٦ ، والذي حضره اكثر من خمسين مندوب يمثلون الحكومات او الحركات الثورية والذي كان من المتوقع ان يكون حشد بركة روحه الماده ، كان ولا شك ، تشجيعاً قوياً لحركات المقاومة ، حتى المسلحة منها ، تقوم بها لدرل الحكومة ، في وجه الاستثمار الجديد .

القسم الرابع

انطلاقة العلوم والتقنيات

تمتلك قدرة (الإنسان) على تنظيم ممارسته والاستفادة منها تملأنا بحيرة ، وتماثلت معها سيطرته على الطبيعة وعلى نفسه ... ذلك هو التمسك الكبير في موقف الإنسان للعالم الذي توصل تدريجياً إلى إحلال السأفة محل السر والتحليل الفيزيائي الكيميائي ومعالجة نتائجه حسابياً مثل الخرافة ؛ والفصل للدرس والخطط عمل وحدة الفصل النظرية » .

(١ . هايز)

« المجلة الفلسفية » تشرين الأول - كانون الأول ١٩٥٣

في هذا العالم المقسم الذي تتجابه فيه الاديولوجيات المتنافسة والاجناس للتمادية ، ليست المجتمعات والدول وحدها ما تطورت تطوراً هجيناً منذ أقل من نصف قرن ، بل الحياة الفكرية أيضاً ، التي غير قوتها الخارقة عصرها الحاضر ، وعن طريقها ، قوة الإنسان .

لقد حدث ثورة علمية ثانية منذ مستهل القرن لا تقل شأناً عن ثورة أوائل العهد المعاصر ؛ ففي خمسين سنة ، حقق العلم نجاحات اعظم من كل ما عرفه تاريخ البشرية حتى اليوم . وهو قد وضع منذ اليوم ينصرف الإنسان وسائل طرح عبء المرض والبؤس والموت الذي ثقل عليه منذ آلاف السنين .

يبدو هذا العصر من ثم وكأنه عصر العلوم والتقنيات بالذات ؛ وقد أصبحت هذه الأخيرة في نظر بشرية القرن العشرين التي وعت شأنها وتطورها السريع جداً ، رمز حضارتها بالذات ايضاً . لا بل انها تشعر في هذا المنصب افضل شعور بـ « استعجال التاريخ » ، فان الاختراعات والمخاضات التقنية تتوالى توالياً مطرد السرعة ، ولا تكتفي نتائجها الواحدة ان الاخرى بـس تؤولف كرة الثلج يزداد حجمها وقوتها ومفعولها اريداداً مطرداً أثناء انتقالها . ومن جهة

ثانية ، افلا ترسم منذ الآن في أفق السنوات المقبلة ثورة علمية وثقنية جديدة بفضل نمو الطاقة النووية ؟

ارت هذا السير المتظم الذي سارقه المعارف البشرية والنجاحات
التقنية قد رافق في الزمان الانقلاط العالمية الكبرى التي تشكلت
الحروب والارمات الاقتصادية في هذه العقود الاخيرة ، وهي قد
اسهمت فيها لا بتقنيات التدمير فحسب ، بل بالنظرة الجديدة الى العالم التي فرضتها نظرياً
وعيداً . فعين يتنكر المتشائم لصوره ، فانما هو يرفض العلم قبل الحرب لانه يحمله مسؤولية
كافة المصائب الراضة اما نظرة المتعادل الى المستقبل فتستند الى الدفاع عن العلم والتقدم
التقني : ان العلم سوف يتغلب على كافة مصائب الانسانية . وعلى غرار ما حدث باث الازمة
الكبرى رافق العداء للآلية عداء للعقلية ونظرة تشاؤمية الى مصير الانسان ، بينما تربط العقلية
المنافسة بصولة انسانية « ايامها المضيعة لغني » وينتهي فيها كل قلق ميتافيزيقي بفضل سير العلم
الطليبي الذي يميز فاعلية العمل البشري وقدرة الانسان ، ويضع في حوزته وسائل تحسين
ظروف حياته ، وحتى مداها ، تحسيناً فعلياً ، والتخلص من خطر الدوس ، ويتيح لكل فرد
تنمية شخصيته حتى اقصى حدود التنمية . ولكن البشر يشعرون بالقلق وعدم الاطمئنان ،
لا بالقلق التامة ، فان اختبار الحربين العالميتين والارمة الكبرى قد جعل الحياة البشرية تظهر
وكأنها مهددة ابداً بنجاحات العلوم بالذات ؛ لا بل ان العلوم المكرسة للحفاظ على الحياة
تبدو هي نفسها مهددة للأمال ومشقة للمراحم . وفي مضمار آخر ، ترسم اليوم في عالم المال ،
رعة فعل غير منطق ، متزايدة الوضوح يوماً بعد يوم ، ضد التحسينات التقنية الاخيرة واسطار
البطالة الجديدة لمهدة مجاهير المال الممكن الاستمراء همهم بعد اليوم بسبب انحلال الآلات
عظيم . ومن هذه الزاوية ، يجب ان ينظر الى مسؤولية العلم والحضارة ومصائب العقود الاخيرة
في الضمير البشري . والنظران مترادفتان رادطاً لا يعمل الانحلال فان موضوع قيمة العلم
النظرية والعملية لا يتفصل بعد اليوم عن موضوع مصير الانسان ومعماء .

ازدهار العلم ورفق
بحيلة الانسان

الوصف الأول

ثورة العلوم الطبيعية

١ - الظروف الطبيعية للبحث العلمي والتجريبي

ان الثورة الصناعية التي حدثت في النصف الاول من القرن
 المركز الجديد للعلم والتقنية
 العشرين لنتيجة مباشرة لنمو العلوم والتجارب ، ولا سيما في
 الحقل الفيزيائي والكيميائي ، فليس من مصادف يستطيع العيش
 بعد اليوم بدون احزمة محترية وموظفين فيسين بكروسون كافة اوقاتهم للبحث . وسواء في البلدان
 الاشتراكية ، حيث يسمى استثمار لاكتشافات العلمية وراء المعالجة الفورية القصوى ، كما في
 البلدان الرأسمالية ، حيث تدفع المنافسة الوطنية ، ولا سيما المنافسة الدولية ، بصورة عامة ،
 الى تحسين المصنوعات وهرائق الانتاج تحسينا مستمرا ، رى ان العام الصناعي الجديد عالم
 متحرك في جوهره يخضع للمحاح فيه لتقدم دائم ، ويخضع هو نفسه بدوره للتقدم العلمي بمحصر
 المنى .

والحال ان الاجهزة التقنية وتمهيد المختبر يحددان رؤوس اموال كبرى لا تستطيع سوى
 المشاريع العظمى توظيفها ، بحيث ان تأثير العلم ، نقله على بعض فروع الصناعة ، يمرر تأشير
 التقنيات التي تشرمه على انتاج كبير : فهو ايضا يحمل على قاذيب التحولات الكبرى تضمن لنفسها
 احتكار احدى الاسواق . وليس من باب الاتفاق ان توسع بعض الشركات الكبرى انجاثها للعالمية
 على نطاق واسع .

يتصل للتوتر الدولي المقرب اتصالا مباشرا ومتبادلا كذلك بالتقدم العلمي بسبب البحث
 عن تقدم تقنيات التدمير قديما مستمرا . فتحت تأثير هذا البحث تتدخل الحكومات اكثر
 فاكثرا ، ولا سيما بعد السنة ١٩٤٠ ، في تنظيم ورقابة العمل العلمي ، ويستقي بالمقابلة للتحديات
 العسكرية شطرها من الاموال المنهكة للبحث .

انتعرا ، ولا سيما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، لتصب في وجه العالم الغربي ، الذي

ينعم مستوى معيشة مرتفع نسبياً ، حره كسر من الكثرة لارضية بمقرر الى المزيد من التقضية
استدع العرب من قبل ابداءه تحت سيطرته . وقد فرض تزايد السكان في مختلف مناطق العالم
والوعي القومي او الاجتماعي الذي برز عند هذه الشعوب غير النامية المحتدبة نحو الشيوعية ،
انتدبه شطر الانسانية لامتداز الذي طلب من العلم حل امثائل طهييرة التي اثارها هذا التمرد .
ولكن العلم والتقنيات التي افاح تقديمها قد فرضت معها على انقاء الجميع بصورة مستجمعة
جلية . فهي لم تعد ، بفضل نتائج الوغير ، لتحتضن بطيعة بمنزلة محدودة من المجتمع بحسب ،
بل بمجموع المجتمعات المستمعة . لقد عرت لاكتشافات التقضية الحياة اليومية اكثر فاكثر (كهرباء
قوة ، صينيا ، تجهيزات منزلية . . .) . وبدت تطورها السريعة ، في كل حين ، اطار الحياة
المادي ، اذلك من الابتكارات العلمية والتقضية الاخيرة تختص بالعلم كله بعمل الانعكاسات
التي تسيء بمحدوثها في مستقبل ليس بعيد . وهذا ما يعسر لنا الصالح العظيم الذي تصدقه
صحافة ومثورت تروخي فميم لمرهة العلمية ، ونحو لون ادبي قصص طروق حتى اليوم هو
« العلم - خيال » الذي يشدد فيه على الساجبة الخبيثة لآلة ، والناحية الجيدة قارة اخرى ، في
مستقبل الحضارة العلمية .

لقد زل مثل العالم منفرد العامل بدافع محبة العلم الصحيح . فان تطورات
العمل العلمي لداخلية ، وتعدد فروع البحث ، وتزايد عدد الباحثين
اللازمين لادارة الاسات في حقول مختلفة مترابطة ، قد اعطت هذه المهام طابعاً جديداً . وقد
قدر الباحثون في اوخر القرن التاسع عشر ، ١٥٠٠٠ في العام اجمع ، فيها بلسخ عدهم ، في
السنة ١٩٥٤ ، ٤٠٠ ، ٤٠٠ باحث على الاقل يجدر ان يضاف اليهم كل من يقوم بأعمال علمية
خارج البحث الصرف . ويكرس ككل من هؤلاء نفسه لمهمة محصورة تستلزم تخطيطاً وتنسيقاً
مع مهام الآخرين حتى يكون لها ممتاها وعافيتها . وقد ادت الحرب العالمية الثانية الى زيادة
كبرى في عدد الباحثين والى تقسيم العمل في داخل هذا العالم ، واضيف اخيراً قانون السرية الى
قنوات التخصص .

ومن جهة ثانية ، لم يلبث هؤلاء الباحثون ان ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالتنظيم السياسي
والاقتصادي والاجتماعي ، اوحته اعتبارات عالية في الدرجة الأولى . فان الصالح ، الذي فتح
وماً طويلاً بحرية مطلقة قد تنهى ، شاء أم أبى ، الى الارتباط بين يوفر له الاموال اللازمة
لارادة اعماله . وهي الدولة على الصوم ما تعد بالمال الجامعات ومراكز الابحاث العلمية ، ولكن
المشروع انراحمي ، خصوصاً في الولايات المتحدة ، يقدم كذلك الماصدات للجامعات او
لمعاهد والختبرات الخاصة لمراقبة مباشرة بالمصانع . وبعد السنة ١٩٤٠ ، تدخلت الحكومات
لا من اصل التمويل بحسب ، بل من اجل رقابة الابحاث حتى تلك الجارية في اطار الجامعات .
وكانت رقابتها كثر شدة اذا تعلق البحث بالدفاع العسكري ، يضاف الى ذلك ان كل شيء
سافر في النهاية اهتمام الحكومات في جو الحرب البارزة بعد السنة ١٩٤٧ والقلق الذي عاشت

فيه الدول ففي الولايات المتحدة مثلاً أصبحت العلوم الاجتماعية نفسها ، بمعظمها ، في أيدي الحكومة . ولذلك فمن أجل بحرية الولايات المتحدة الأميركسية يجري التحقيق ، « جعلت وقيادة » ورجال ، « ومن أجل دوائر مستعلامات الجيش الأميركي يجري هذا التحقيق الأخير » « اجندي الأميركي » . « أما للغاية من هذه التحقيقات فهي إتاحة معرفة الرجال بنية اختيار المهمة الراحب اسنادها اليهم » وقد اقيمت سرية في بعض الحالات .

يُعدّ العالم شيئاً قشيباً وسيلة التخلص من ظروف النشاط هذه ومن كافة المودعات التي تستازمها . فهو يعمل في الاطار لفروض عليه ، ويجيب عن الاسئلة التي يطرحها عليه مورخ الاهداءات والتي تعين محد داتها اتجاهها خاصاً للابحاث بسية الى الموضوعية العلمية ، في العلوم الانسانية بصورة خاصة . وان امتحان « الرلاء » الذي يجسج به العالم في بعض البلدان يضطره الى اختيار صلاكة ، ولاعراض عن بعض مصوله العلمي ، والامتناع عن التعبير عن آرائه .

ومن جهة ثانية استنقع تدخل الدولة و لشاريع الخاصة في تنظيم البحث العلمي ، منذ نصف قرن ، تدلاً هاماً في مراكز الأبحاث . ففي قامت « في السنة ١٩٥٠ » في البلدان الأوروبية القديمة التصحيح . نكلترا ، فرنسا ، ألمانيا ، ولم تم فيها بعد ذلك سوى عو بغيره ، في حين انها تمت نواً عظيماً في الولايات المتحدة الامركية من جهة منذ اوائل القرن ، وفي الاتحاد السوفياتي من جهة ثانية بعد ثورة السنة ١٩١٧ ثم زد الفرق بين هذه الدول المختلفة بالنسبة لتجهيز العلمي منذ السنة ١٩٤٠ وظهور الطاقة النووية .

يضاف الى ذلك ان لاهمال العلمية قد خضمت خلال نصف القرن الأخير ، بسبب ارتفاعها بالمحاحات الاقتصادية والعسكرية ، لتنظيم بات اكثراً فليلاً يوماً بعد يوم . فبينما حرص الاتحاد السوفياتي منذ البدء على ابحار واستثمار اكتشافاته العلمية التجاراً واستثماراً صوابيين ، فوجب ان يواجه العرب صدمة السنة ١٩٦٩ و صدمة السنة ١٩٤٥ حتى يسلك طريق تخطيط مطرد النمو ، ومطرود السرعة بعد السنة ١٩٤٠ ، وقد تعددت آنذاك اجهزة التنسيق والتوحيد على مستوى الدول ، واستعيد آنذاك دون تأخر من المعارف الجديدة المكتسبة . وبينما كانت الاكتشافات تتعلق اقلها من ذي قبل ، ولا تستمر الا بعد سنوات طويلة ، وحتى بعد قرون احياناً ، بات اليوم « الفارق الزمني بين لاكتشاف وتطبيقه الصوابي المنظم على الحياة الاقتصادية » اقصر مدى يوماً بعد يوم . ولنا في الطاقة النووية خير مثل على ذلك ، اذ ان فصل الدواء عن الذرة لتحقيق لصرة الاولى في السنة ١٩٣٨ ، والاقبال النووي القيت على هيروشيما وناغازاكي في السنة ١٩٤٥ . وقد انشئت بعد الحرب منظمات دولية ، كاللانسكو ، معدة لتيسير استفادة العالم كله من المعارف الجديدة وتطبيقاتها المكتبة .

لا يسع العالم من ثم جعل رتباطه بالعالم بعد اليوم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان بعض الاحداث ، كاستلام هنر رمام الساطة ، وارتداد العلماء والعسكريين لالان الذي كان يتبعه له ، ثم الحرب العالمية الثانية ، قد جعلته يسهم في التاريخ اسهاماً قوياً . ولا يمكن ان يكون للسائل

لأدبية التي يطرحها على نفسه قيمة نظرية فحسب بالنسبة إليه . « أنها مسائل حيوية ترقى مستقلة كائنات » . وتحتل المسائل الأدبية التي يتوجب عليه طرحها على نفسه مكاناً أكبر يوماً بعد يوم في تفكيره ، لأنه لا يستطيع بعد اليوم الوقوف موقف لامبالاة من الانعكاسات العملية التي تتركها كتشفاته النظرية . أنه لوضع مقبوع احدياً يبرزه مثل البير أبشتاين الذي أوصى المسؤولين الأميركيين بالعمل بنشاط على صنع القنبلة الذرية خوفاً من أن يصنعها النازيون قبلهم ، ولكه شذب استخداماً . وكذلك فإن مطاردة العلماء الآن من أسهموا في الأبحاث الذرية أو الأبحاث المتعلقة بتوجيه القذائف ، التي نظمها الأميركيون من حجة والسوقيات من جهة ثانية ، والقاء القبض عليهم وأرغامهم على مواصلة إبحاثهم لحساب المنصرين ، غير مثل كذلك على الاستمبار الذي يهدد السمك والفكر ، كاستثمار الملاحظات المجموعة خلال الرحلات الفضائية التي قام بها كوبر وكونراد وقرانها لأهداف عسكرية أو أقله لأهداف « استعلامية » .

٢ - ثورة العلوم الطبيعية

بينما كان عم الحياة مركز المناقشات الفكرية الكبرى في القرن التاسع عشر ومشاراً لأهم النظريات طابعاً ثورياً ، تحققت أهم التحددات ، خلال القرن العشرين ، في حقل العلوم الطبيعية . ففي سنوات قليلة ، برزت ، تحت تأثير اكتشافات أواخر القرن السابق ، نظرية قلبت قواعده المعرفة رأساً على عقب . وبفعل ثورة الفيزياء هذه ، تبدلت العلاقات بين العلوم المنفصلة والمتعمرة بشكل واضح حتى ذلك التاريخ ، وزال التقسيم القديم إلى فيزياء وكيمياء وعلم طلك ، أو بالأحرى لم يبق عليه إلا اعتبارات عملية ، وتوطدت وحدة العلم التي كان التخصص يهددها بالانقسام ؛ فكل هذه العلوم تتناول في الواقع المادة نفسها ، في آن واحد ؛ وفي الوقت نفسه باتت وحدة العلم والتقنية أكثر وثوقاً يوماً بعد يوم .

برزت إلى الوجود نظريات جديدة اثبتت من الاكتشافات أو بنيت على الحساب ، ثم تأيدت بالاختبار ، فقلبت المفاهيم التقليدية للفيزياء القديمة . الجديده
لذلك هي النظرية النسبية لأينشتاين ونظرية « الجرنيات » لماكس بلانك والنظرية التوحيدية للفيزياء دي بروي . هان اختبارات ميكسون وموري (١٩٨٧) التي اقضت إلى التخلي عن النظرية القائلة بوجود تأثير مادي يملأ الفضاء ، قد حملت أينشتاين على أن يسلم في « نظرية النسبية المحصورة » (١٩٠٥) بأن الوقت لا يرتدي طابع المطلق . أنه لا يجري بالمرعة نفسها سواء كان المراقب متوقفاً أو سائراً بسرعة كبيرة - وبأن الفضاء هو أيضاً قيمة نسبية . وفي « نظرية النسبية الشاملة » (١٩١٥) ، التي درس فيها الحركات المتزايدة السرعة ، حلس إلى القول بتعادل الحجم (m) والطاقة (E) ($E = mc^2$) ؛ فإن جسم يشع طاقة يفقد من حسمه ، وقد تحول المادة من ثم باعطائها الطاقة ؛ أما الذرة فليست سوى طاقة متكاثمة في نطاق صيق جداً ، وهي قابلة التحول إلى ضوء أو حرارة . وأهماد النظر

كذلك في سنة نيوتون بتقديره الدليل على ان الفضاء ممتلئ في جوار الاحرام لوازسة ، ويرى بذلك النظريات الهندسية غير الاوقليدية ، وفسر بعض الظواهر الفلكية ، كشدوذ مركور ، وطريقة وصول الضوء اليها من نجوم قاعة وراء الشمس ، حين تنكشف الشمس .

دافقت نظرية الجزيئات ، في السنة ١٩٠٠ ، المبدأ المقبول حتى ذلك التاريخ ، الذي يسلم باستمرار الطاقة ، كاستمرار المادة والكهرباء : الطاقة تشع اشعاعاً غير متواصل بشكل حبيبات أو جزيئات ، تختلف قيمتها باختلاف لوتر الاشعاع ، وهكذا فان الطاقة موزعة من حبيبات على غرار المسادة (المركبة من ذرات) والكهرباء (المركبة من كهربيات) . فتناقصت هذه النظرية نظرية الضوء التوضيحية المركزة على الاستمرار ، ولكن بويس دي برويل طلع منذ السنة ١٩٢٤ بالآلية التوضيحية ، ففرق بين المفهومين المتناقضين بتعيين الموحدة بالجسم الشديد الصغر وفي السنة ١٩٢٦ ، اثبت شرودنجر ، تعاد الآلية التوضيحية التي قال بها دي برويل والآلية الجزيئية التي قال بها هايزنبرج . وكان هذا الأخير قد اثبت مبدأ « لاحتمية » الظواهر ورفض الحتمية في حقل حركات الذرات التي كانت مبدءاً مساسياً ، لا حدال فيه ، من مبادئ الفيزياء القديمة فكانت النتيجة ان كافة هذه النظريات الثورية التي تناو لها الجدل على كل حال ، كما سبق ورأينا - قد ارجعت الفيزيائيين على اعادة النظر في مفاهيم الوقت والفضاء والمادة ، وقد برر اختصاصها عظيم في كافة الحقول ، ولا سيما في الحقول الجديدة المتصلة بالظواهر التوضيحية والجزيئية .

ان مدلول الذرة ، الذي رفضه الفيزياء في القرن التاسع عشر ، قد استقرى انطلاقاً من الفيزياء
الذرية
افتناء الفيزيائيين منذ اكتشاف الكهربيات وطاوع ج . طومسون بالنظرية القائلة بان الكهربي هو مادة الكهرباء الذات . ثم جاء اكتشاف وجود احكام مشعة يرمع نظرية ثبات الماسر ونظريات ديمومة الطاقة . فيبدو ان الطاقة المتولدة من الاجسام المشعة لا يمكن ان تصدر الا من الذرة نفسها ، وان الذرة تحتوي على كمية كبيرة منها ؛ ثم اكتشف « كوري » ومعاونوه بعد ذلك ، فصل البولونيوم والراديوم ، مصادر طاقة دونها مصادر الاورانيوم . ولا حظ « رودرفورد » و « سودي » بدورها ان كل عنصر مشع يطلق اشعة (الفا وبيتا وغاما) وان العناصر ليست من ثم لا بسيطة ولا متجانسة ، وان كلا منها يحتوي على عدد معين من الذرات المتماثلة كيميائياً ، ولكنها قادرة على ان تنقسم بأشكال مختلفة تلك هي « متشابهات الخواص » .

ان يمكننا درس الذرة مباشرة وتوضيح تركيبها ، بعد ان اكتشف « فون نو » ان الاشعة (X) يمكن كسرها بمعاذاة جسم صلب ، وحين اثبت « بورغ » و « الاب » و « براغ » الابن امكان حساب طول موجتها القصيرة جداً . وكان سبق رودرفورد ان اكد ان في الذرة نواة مشحونة بكهرباء ييجابية تحيط بها كهربيات مشحونة سلبية ، ولكن احمد العاملين في حقيرة ، انداتاركي الشاب ، « ديار بور » ، « كبير الجديد » ، هو من اعطى صورة الذرة ، التي نراها

بنظام شمسي يسير فيه كل كوكب في مدار خاص به ، ولا تتكون الاشعة α الا حين ينتقل من مدار قوي الطاقة الى مدار اقل قوة . فامكن من ثم معرفة عدد الكهرات التي تحتوي عليها ؛ فكل تركيب ذري يمكن ان يوجد في حالات كثيرة وبتميز بصفات فوجية مختلفة ، وقد امكن معرفة اختلافات الطاقة بين الحالات بقياس لواتر الضوء المنبعث او المتلاشي . فاما تحت فترة روفرغورد - بوهر متدفد تفسير اختلافات خصائص الاجسام الكيميائية ؛ اذا كان بعض هذه الاجسام يؤلف المعادن والبعض الآخر الغازات العادمة الحركة ، فان ذلك يرد الى عدد كهراتها ؛ وهكذا اصبح جدول الاجسام الذي وضعه مندليف ، قريب المأخذ ؛ هو عدد الشحنات الايجابية في كل ذرة ما يميز الاجسام الطبيعية الـ ٩٢ الواردة فيه ، ابتداء من الهيدروجين وانتهاء بالاورانيوم .

لما كان روفرغورد قد اكتشف في السنة ١٩١٩ امكان تحطيم ذرة اذوية بصدم حزم صغير (ألفا) صدماً مباشراً بواسطة تفريغ كهربائي يقذف به ذرات هيدروجينية عبر انابيب محصنة لتوتر عال (بين مليون ومليون فولت) ، اصبح درس الذرة مركز اهتمام الفيزيائيين الكبير ، وسوف تقود سلسلة من الاكتشافات متصلة الحلقات الى رقابة التحولات الذرية . وكانت الاكتشافات الاولى للكثير اكتشاف جريئات الذرة الخالية من الشحن الكهربائي (وقد لاسطها « بيت » منذ السنة ١٩٣٠) على يد « شادويك » الذي حصل عليها في السنة ١٩٣٢ بقذف الـ « بيريليوم » بواسطة جسيمات « ألفا » ، ثم اكتشف اندرسون الكبريت الايجابي (بوزيترون) والبيت « مع « نيدرماير » ، في السنة ١٩٣٦ ، نظرية اليانالي « يركاوا » الذي كان قد افترض وجود الـ « ميرون » ، كرابطة بين الاحراء الايجابية والاجراء الخالية من الشحن لتكوين الذرة . ويبدو ان الـ « ميرونات » التي اهدى اليها في الاشعة الكونية والتي لا تزال شبه مجهولة تلمسب موراً اساسيا في تركيب المادة .

انتهت كافة الاكتشافات المحقة بين السنة ١٩٣٧ والسنة ١٩٤٠ اهمية دور اجزاء الذرة الخالية من الشحن ؛ واظهر اهمها شأناً ، حين اكتشف جوليو - كوري الاشعاع الصناعي ، ان كافة الذرات تصبح مشعة حين تقذف بهذه الاجزاء فاستنتج بعضهم من ذلك ان الاشعاع الطبيعي بما يمثل رواسب نشاهد ذرات لم يمر عليها الوقت اللام لبأوع حالات ثابتة ، وهكذا ممكن قياس عمر الارض (المقدّر علباري سنة) او اي شيء آخر بقياس اشعاع الكربون ١٤ ، لا بل تفسير كيفية ترك العناصر ، وتفسير حرارة الشمس ، والاعتقاد بان كل إنتاج طاقة في التكون انما يرتبط بالتحولات النووية . وقد استطاع « فرمي » ، في السنة ١٩٣٦ ، بقذف اجسام ثقيلة باحراء خالية من الشحن ، توليد عدد من اجسام جديدة تقل من تلك التي نجدها في الطبيعة ؛ فولدت كيمياء جديدة هي الكيمياء النووية . وفي السنة ١٩٣٨ ، اكتشف « هان » و « ستراسن » قدرة بعض النوى الثقلية ، كنويات الاورانيوم ، على تحرير عدة اجزاء خالية من الشحن مقابل جرم ايجابي واحد ، مما خلق امكانية احداث سلسلة لامتناهية من التفاعلات

أذا ان الأجزاء الخالية من الشحن تصطدم بنويات جديدة فتفتجرها بدورها ، مما يؤدي الى قذف
أجزاء جديدة خالية من الشحن ، وهكذا يمكن ان تستمر كمية عظيمة من الطاقة ، اذا ان من
شأن غرام واحد من الاورانيوم انتاج طاقة تعادل طاقة ٢٥٠٠ كيدوغرام من الفحم الحجري .

منذ السنة ١٩٣٤ ، بنى لورانس مفاعلاً نووياً في بركلي ، ولكن اعمال فرمي وفرهدريك
جوليو - كوري هي ما اتاحت الانتقال من الصعيد المختبري الى الصعيد الصناعي ، واجازت
النظر الى اعادة نفسها هلياً ، لا نظرياً بعد اليوم - كما الى خزان دائم للطاقة . وفي السنة
١٩٣٩ ، تحقق تقسيم لدرة الذي من شأنه حدوث تفاعلات متصلة على نطاق واسع ، واسترعت
هذه الآفاق انتباه كافة الحكومات ، ففي المانيا كلف هايزبرج ادارة الابحاث ، ولكن
النازية حرمت البلاد من حيرة باحثيها الذين هربوا الى سكتلندا او قريب او الولايات المتحدة .
وفي هذه البلاد الاخيرة ، الغنية بالموارد الطبيعية والمتقدمة تقنياً صناعية اسهم العلماء اللاجئون
من كافة البلدان ، د بيت ، د وليزميزر ، وفرمي ، مع الأميركيين من امثال د لورانس ،
و د اوري ، و د اندرسون ، و د ابرروا احمية اكتشاف جوليو و ميزوا في لاورانيوم ثلاثة
د مشتقات خواص ، متباينة الفعالية ، وهو متشابه الخواص رقم ٢٣٥ مما يستخدم فوق
هيدروشيا وناغاركي في ٦ و ٩ آب ١٩٤٥ ، كاسهل عنصر يساعد على التفاعل المتصل في القنفة
الذرية . وقد بني مبدأ هذه القنفة على تفريق كتلتي من الاورانيوم من كل منها ٧٠٠ غرام ،
فادا عزتسا ، بقيتا على حالهما ، ولكنها اذا اجتمعتا ، اسقط الاولى على الثانية ، يحصل
الانفجار ، ويفسخ التفاعل المتصل عدداً كبيراً من الدرات ويطلق من ثم طاقة تحدث نتائج
تخريبية خيالية . اما القنفة الهيدروجينية التي سوف تنتج في عهد لاسق ، فتستخدم الهيليوم
الذي من شأنه اطلاق طاقة تفوق الى حد بعيد الطاقة التي يطلقها الاورانيوم

الوجبات والم الكلدوني في هذا المقام أيضاً حققت الفيزياء ثورة حقيقية ، موازية لتقدم
التقنيات الصناعية التي ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً على كل حال ،
منذ ان حولت نجاحات الاتصال اللاسلكي غرابة مخبرية الى مادة تجسارية . فان اكتشافات
وليم كروكس للاشعاع المهبطي ، الذي اوضح د ج. برون ، طبيعته ، واكتشافات د ج. ج.
طومسون ، المتعلقة بالكهرب ، قد اتاحت تفسير عدة صعب من الظواهر المعروفة غير
المفسرة . طبيعة التيار الكهربائي ، الفرق بين الاحسام العازلة والاحسام الناقصة ، التحليل
بالجهد الكهربائي ، الخ. لقد تجتهد الباحثون بحرس تقنيات الفراغ والصمامات القادرة على
احداث موجات مطردة القصر . وفي السنة ١٩٢٤ ظهر اكتشاف الجسم الدالقي المزلف من
ثلاث طبقات عاكسة تقع على بعد ٧٠ و ١٢٠ و ٢٥٠ كلم في الجو ، ناتجة عن تفكك جسيمات
الهواء بشعة ما وراء السفسجي الشمسية ، ان الموجات القصيرة وحدها تعكسها الطبقتان
الاوليان ، واما هي ما يفيض استمهاله في الاتصال اللاسلكي الى مسافة بعيدة ، اما الموجات
البالغة القصر ، فتستخدمها الاسلاك الهوائية ، في الاتصالات اللاسلكية . وتنتج هذه الموجات

مصباح « فلنغ » ذات القطبين ، ومصباح « بي دي نورست » (١٩٠٧) ذات الاقطاب الثلاثة او انواع اخرى من الصمامات التي يحصل عليها علماء الانابيب بمحركات قادرة كالجهاز المعبر التواتر استخدم في رقابة « آلات النقلة » او بواسطة الترانزستور الذي يكبر الدبذبات الكهربائية والذي تحقق في السنة ١٩٤٩ على يد « شوكلي » . واتاح تطبيق التواتر السريع تطبيقاً تقنياً انشاء شبكة عالمية للاتصالات السريعة بواسطة الاقمار الاصطناعية ، كانت اولى مراحلها اختصار نقل اداة تلفزيونية ميكروية بين « اندور » في الولايات المتحدة من جهة و « بلومور - بودو » في فرنسا وغوفين في انكلترا من جهة ثانية ، في وقت واحد ، بواسطة القمر الاصطناعي « تليستار » الذي يولف محطة - محطة للاشعة الممرية .

في السنة ١٩٣٢ ولد علم الصريات الالكترومي الذي اتاح في السنة ١٩٤٠ صنع اول مجهر الكترومي قبل طاقته الفاصلة العملية ... ١/١٠ من المليمتر (وتغوى قوته قوة المجهر ما وراء المسعجي عشر مرات) ، وفي السنة ١٩٥٥ تحقق انشاء اول مرقب الكترومي على مقربة من « فور كالكييه » صورت بواسطته مجموعات النجوم البعيدة المكتملة في اربع دقائق بدلاً من ثمانى ساعات . ونشئ كذلك منظار الاجسام الطيفي الذي تاح فصل متشابهات خواص واكتشاف متشابهات خواص جديدة ، واستخدم في الصناعة التركيبية من اجل تحليل المركبات الكيميائية تحليلاً نوعياً وكيفياً . وفي السنة ١٩٣٣ ، اتمت الكهرباء الضوئية ، التي حققتها اعمال بلانك ، صنع خلية الضوئية الكهربائية و « العين الكهربائية » التي تحول الطول الموجي الضوئية الى ظواهر كهربائية ، والتي اثبتت انها « نفس بكثير من العين البشرية لارقبة الآلات وللمعالجة الاحزمة في المؤسسات الصناعية للصورة . واستخدمت في السينما الصوتية (تقابل « العين » كل فارق تدريجي في الضوء او الطول بتغيرات كهربائية تتحول الى تغيرات صوتية فصل الى مكبرات الصوت الموضوعة وراء الشاشة) . وهذه التموجات المتصلة هي كذلك مبدأ الساعة الناطقة ، والتلفزة التي تتلصق صوراً ضوئية تتحول الى تموجات كهربائية ، والتصوير عن مسافة بعيدة (بليوغرام) ، وتسيير الطائرات ، والرادار الذي احكم فداء الحرب العالمية الثانية . وفي السنة ١٩٦٠ حقق « ميان » اول « لار » (جهاز يقوي الضوء بزيادة الاشعاع) بواسطة بلور الباقوت الاحمر ، فهو يبعث حزمة من الموجات الصوتية المتلاحة المتعاضدة اللون توازي قوتها الف مرة قوة الضوء ، وقد استخدم اللازر منذ اليوم استخداماً واسعاً جداً في الحراسة لزراعة شبكية العين وازالة بعض التورمات السرطانية .

اتاح العلم الالكتروني تحقيق آلات حاسبة ضرورية لحل مسائل رياضية عالية حلا سريعاً « وآلات معكورة » حقيقية وان الآلة الالكترونية الاولى « د مارك ١ » ، التي صممها « هوارد آيكن » في السنة ١٩٣٨ ووضعت قيد الاستعمال في السنة ١٩٤٤ ، قد قللتها آلات حديثة اخرى (مارك ٢ ومارك ٣ ومارك ٤ ...) تكاملت تكاملاً مطرداً ، وتتمثل العمليات والارقام فيها بتقريب تم فيها دفعات كهربائية ، تسيير ، بحسب النحوب ، هذه الآلة

أو تلك لهذه العملية أو تلك . وقطعت النتائج الجزئية كذلك بواسطة الثقوب ، وأخيراً تحول
النتيجة إلى أرقام . وقد استخدمت « مارك ١ » في ضبط إطلاق التيار وحساب المساب
الأجسام ، ولكنها أصبحت بطيئة جداً بسبب ظواهر توقف الحركة الناجمة عن حركات
الدواليب ، فأحلت الآلات الجديدة كتلاً من الكهبريتات محل اللغائف المنقوية والدواليب المرفقة ،
وهكذا ولد أول دماغ الكتروني حل اسم « اميكال » استخدم في الحسابات التي افضت إلى
الفتنة الذرية ، أما النتائج الجزئية للحسابات التي تستخدم في مرحلة لاحقة من العمليات
فتم حفظ في إحدى الحلقات الزئبقية الـ ٣٢ المصممة لهذه الغاية ، وتحول إلى موجات آلية ثم إلى
هفمات كهربائية حين توصل العملية . وبينما تعلمت « مارك ١ » $\frac{1}{2}$ ثانية لجمع ٣٣ رقماً ، لم
تتطلب الآلة الجديدة سوى ... $\frac{1}{10}$ من الثانية ، وهي قادرة على أن تحل بسرعة فائقة أكثر
المعادلات تعقيداً . وتوفرت للجهاز « دافيسيل » ، الذي ابتكر في أوائل السنة ١٩٥٢ ،
« ذاكرة » تستوعب ٢٢ مليون علامة يمكن قراءتها في بعض أجزاء من ألف من الثانية . أما
هذه التقنية فضرورية جداً لأبحاث الفيزياء النووية ، ولحسابات القذف والانسحاب ، ولا سيما
لتحليل المدافع المضادة للطائرات ، وقد شرع في استحداثها (١٩٥٤) لنقل نص من لغة إلى أخرى .
أضف إلى ذلك أن العلم الإلكتروني يشجع أكثر فأكثر نحو استعمال الأجهزة الصغيرة جداً :
فيعد أن حقق الرانزستورات ، أيدها بمناصر نصف ناقلة متزايدة القوة وسريعة جداً تسمح
بصنع أجهزة خفيفة جداً أقل ازعاجاً ، ومن ثم أصل استعمالاً .

ومن المشايخ ، التي اكتشفها الأميركي روبرت وايزر في السنة ١٩٤٨ ، بين الدماغ
الالكتروني والدماغ البشري (بخلاياه العصبية - التي تتناقل الاشارات التي تتلقاها من
أعضاء الحواس - التي يمكن مقارنتها بالأدبب الالكترونية) ولد الصم الذي يدرس طرائق
انتقال الحركة والرقابة في الكائنات حية والآلات ، ويمدو وكأنه « علم جديد مشترك بين
الفيزياء وعلم الحياة » . فقد حقق هذا العلم حيوانات صناعية « تبة الحركة » ليست مجرد أجهزة
متحركة ، بل « ترى » و « تحس » ، و « تتعب » نحو المكان الذي يحتلده « جسمها » ، لا بل
إنها متجهة بذاكرة بدائية ، كتلك السلحفاة الالكترونية التي ابتكرها « عراي وولتر » في
السنة ١٩٥١ ، فكانت قادرة على التوجه نحو الضوء ، والدوران حول المعقسة التي تصدره
طريقاً ، والرحيل إلى الوراء إذا كان الضوء ساطعاً جداً ، والاختباء تحت إحدى قطع الآلات ،
أو الفأرة الالكترونية التي ابتكرها « شانون » ، فكانت تهتدي إلى طريقها نحو إشارة كهربائية
عبر تيه من المولجز والأبواب .

تجدد الكيمياء على غرار الفيزياء عرفت الكيمياء انقلاباً كبيراً بفعل الاكتشافات
الآخيرة والنظريات الجديدة . لقد أصبحت علماً كئياً وتفسيرياً بعد أن
كانت علماً نوعياً ووصفياً في الدرجة الأولى . فإن النظريات الفيزيائية وطرائق الفيزيائيين
الاختبارية قد حملت الكيميائيين على تفويض مفاهيمهم النوعية القديمة وطريقتهم الاحتمالية ،

وأخيراً بلغت الكيمياء كثر تعقيداً بدرورها اجساماً مركبة متزايدة للتغلغل . وقصد اضيفت الى الاشعة لا التي استخدمت في درس تركيب الجسيمات الناعمة الصغر والاجسام البلورية ، مراقبة أنكسار الكهرجات ، والمجهر المتناسخ الواجه ، والمجهر الالكترونى ، التي اتاحت كلها درس حركات الجسيمات والتموجات ، وحساب فواترها (وهكذا فسر الفيزيائي الهندي وامان ، في السنة ١٩٢٨ ، لون السماء الازرق) . واتاحت معرفة الذرة الجديدة تفسير الكيمياء العضوية تفسيراً جديداً ، وتفسير خاصيات الاجسام المركبة واسباب تكونها . وهي نظرية الكميات الصغرى ما افضت الى تقدم آخر في النظرية الكيميائية فافتحتها تقسيم للمعاصر تقسيماً جديداً الى عازات قادرة (تنقل الكهرجات فيها مرتبطة بالذرة) ، ومعادن (تكثر فيها الكهرجات) ، وغير معادن (تنقص فيه الكهرجات) ، واملاح (حدثت فيها صاعدات بن دوائف المعدن وغير المعدن) .

افضل تحليل الحوادث بواسطة شعة لا الى ولادة الكيمياء الارضية التي اتاحت ادراك فوريح عناصر الحوادث ، وإيجاد بعض النظام من ثم في الحوادث السادي في العالم المعدني ، واتضح كذلك تفسير خاصيات المعادن الطبيعية ، ومن ثم معرفة طريقة معالجتها معرفة قصوى ، وهكذا اصعبت الصناعة اقل احتسارية ، واكثر مطابقة للعقل .

فسرناه الفلك
وفيزياء الارض
'دفع بعلم الملك الى الامام بفضل نظريات ايشتمان حين كان باستطاعته
الاستفادة من تحسين لآلات المصرية وطرائق التصوير الشمسي
والتنافس لدى قدم بين مختلف البلدان من اجل انشاء مراقب متزايدة
القوة يوماً بعد يوم (كالمقرب ذي المرأة الهندسية الشكل المبالغ قطره ٢٥٥ م الذي اقيم في السنة ١٩١٨ على جبل دالسون) ، ومقرب جبل فالومار (كاليفورنيا) البالغ قطره خمسة امتسار الذي ثبت في مكانه في السنة ١٩١٧ ، ومقرب هور كالكييه الالكترونى الذي اقيم في السنة ١٩٥٥ وتكاملت المراقبة امريكية بما سجلته ونقلته الاحيرة الفضائية ، من صواريخ واقمار صناعية ، وبتحليل اشعة ما وراء السطحي الصادرة عن الكواكب . فعرفت الكواكب والفضاءات الفاصلة بينها والاشعة امريكية واشعة غاما ، والكواكب السيار (المرسخ ، الزهرة ، وحتى المشتري) والقمر والعالم الشمسي معرفة فضلى . وهكذا ولدت فيزياء الفلك التي لم تكنف بالجرم والوصف ، بل انتقلت الى مرحلة التفسير .

منذ السنة ١٩١٨ ، اكتشف ان المجرة شكل اسطوانة تحتوي على رهائ اربعين مليار كوكب ، وفي السنة ١٩٢٥ ، اكتشف ان هذه الاسطوانة تتحرك على نفسها حركة تجعلها تدور دورة كاملة كل ٢٠٠ مليون سنة . وبصورة خاصة اتاحت دقة وقوة المراقب الجديدة درس السحب النجوم اللولبية الموحدة خارج المجرة ، وتحقيق كون هذه السحب نفسها مجرات اخرى مسافة اقربها الى الارض ٨٠٠ ٠٠٠ سنة ضوئية ، واخيراً يمكن التحقيق في السنة ١٩٢٩ ان كل هذه السحب تتباعد تباعداً مطرداً . وهكذا فان الكون المؤلف من ملايين السحب هذه

ليس نظاماً ساكناً ، بل يتبدل شيئاً فشيئاً . فحدثت لهذه الاكتشافات الفلكيين وفيزيائيي الفلك إلى اللطوح بنظريات حول تكون العالم ، كنظرية اينشتاين في السنة ١٩١٧ الذي يرى ان للكون حجباً متناهِياً وحدوداً غير متناهية ، ونظريات ميلين وادمتون والسوفياني لاندو الذين ارتأوا ان جزءاً كبيراً جداً من حجم الكون مادة غير مرئية ولا سياً في الفضاءات الفاصلة بين الكواكب ، وخصوصاً نظرية البلجيكى «لمنجر» الذي ارتأى ان العالم كله انبثق من ذرّة اصلية بعد انفجار رهيب فهو قد لاحظ ان سحب النجوم البعيدة تبعد عنا وان «كل شيء يجري» كما لو كانت السحب الكثيرة التي تتركب كوننا قد تشكلت بعد ان كانت مجتمعة في البداية في ما هو اشدّ بذرّة كثرة ، وان الكون من ثم يتبدل امتداداً دائماً : هذه هي نظرية الكون المتخذ في الامتداد التي يشهدها اليوم عدد من العلماء . اما اكتشاف الاشعة الكونية المتكونة من اطلاق جسيمات مختلفة من الشمس فتوق قوة قدرتها قوة اشعة «عاما» الى حد بعيد ، فان درسها الذي ما زال في منطقتي ينسب باكتشافات لن تقل اهمية عن اكتشافات اواخر القرن السابق . وان معرفة الاحواء العليا والفضاءات الفاصلة بين السيارات مدعومة اخيراً لان جوداه بسرعة بفضل الاقمار الاصطناعية المدوّفة بواسطة الصواريخ . فان سبوتنيك ٢ الذي وزن ٥٠٠ كيلوغرام ، والذي قلّف بسرعة ٢٩٠٠٠ كيلومتر في الساعة قد اذاع بصورة حاصلة درس سلوك كائن حي حيث تنعدم الجاذبية ظاهرياً ، واتاح سبوتنيك ٣ درس الاشعة الكونية ، واستطاع «ماس» تصوير وجه القمر غير المرئي من الأرض ، وبلغت عدة صواريخ سوفياتية واميركية القمر منذ ١٤ ايلول ١٩٥٩ .

اما علم طبقات الأرض (جيولوجيا) فان مبادئه لم تخضع لثورة ولم تتجدد كلياً ، ولكن وسع نطاقه بسبب الحاجة المتزايدة الى المعادن والنفط والموارد ، فبعد تأسيس فيزياء الأرض التي تدرس - بواسطة الاشعاع بنوع خاص - طبيعة طبقات الأرض على عمق كبير جداً ، وتساعد اعمال البحث عن الموارد الباطنية مساعدة مجدية جلي . ومنذ التخلي عن نظرية لابلاس القديمة التي فسرت تكون الجبال بتناقص كثرة الأرض ، ظهرت نظرية توازن اقسام قشرة الأرض توازناً نسبياً بفعل اختلافات الثقل النوعي في مواد تركيبها ، ونظرية جنوب الغارات لـ «فجنر» التي كانت موضوع نقاش حاد وانكرت بقوة ، وفي السنة ١٩٣٥ ، نظرية «بري» الذي رأى في العوامل الطبيعية السبب الرئيسي لتفضعات القشرة الارضية ، وفي السنة ١٩٣٩ ، نظرية «غريمز» الذي هذا اصل النواقر في توازن اقسام قشرة الأرض وتيارات حارة في وسط شبه لزج .

الفصل الثاني

توسع علم الحياة وثورة الطب

ان المواضيع التي يتناولها علم الحياة اكثر تعقيداً الى حد بعيد من المواضيع التي تتناولها الفيزياء ، فالعمل المختبري هنا يرتدي طابعاً جامعياً اكثر من الاعمال المختبرية الاخرى ، وبالتالي طابعاً شبه غفل ، ويرتدي بالنسبة لكل باحث طابعاً اكثر تخصصاً ، لذلك فاننا نرى في النصف الاول من القرن العشرين تكتاثر فروعه وتكاثر المؤتمرات الدولية التي تجمع ممثلين دورياً : الكيمياء الاحيائية ، الفيزياء الاحيائية ، علم تركيب الخلايا ووظائفها ، الخ. اجل لقد احدثت اكتشافات الآونة المعاصرة ، في مجموعها ، انقلاباً في العلم الاحيائي والتطبيقات المتفرعة عنه (طب ، علم حفظ الصحة ، زراعة) ولكن كلاهما جزئي ولم يؤد الى تلك الانقلابات النظرية التي عرفتتها الفيزياء في الآونة نفسها . فقد احررت تقدمات كبرى ، ولكن استمرارها لا يسمح قط بتعدد مصالحها الاساسية . يضاف الى ذلك ان الاكتشاف هو في معظم الاحيان ثمرة ملاحظات طويلة ، واختبارات كثيرة تجري طيلة سنوات عديدة ، مما يستحيل معه عملياً تمثيل تاريخ لعظم المعارف الاحيائية .

الا ان علم الحياة ما زال مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتوسع العلوم الاخرى ولا سيما للفيزياء والكيمياء ، والبيولوجيا وعلم الاجتماع ايضاً ، من جهة ، وباحداث التاريخ العام الكبرى من جهة ثانية . فهي الازمة الكبرى ما اهتمت الابحاث المتعلقة بالتغذية والفيتامينات ، وهي الحروب العالمية الثانية ما دفعت الى انتاج البسيلين ومادة الـ د. د. ت. بكتيات كبرى وساعدت على نجاحات الجراحة المدهشة .

لقد تمكن العالم الاحيائي ادواته وطرائق معالجة مواضيع دراسته بمساعدة الفيزيائي والكيميائي ، اما باقتباسه تقنياتها نفسها ، واما باستخدامه اكتشافاتها من اجل تطوير ادواته : وهكذا فان المجهر الالكتروني الذي احسكه كنوك ، و د. روركا ، في السنة ١٩٣٢ قد جعل من اجزاء

١٣٤

ادوات العلم الاحيائي

الجسم الصغرى ، التي افترض افتراضاً من قبل انها عناصر تركيب الكائن الحي ، واقعاً معلوماً ! كما جعل من الخثات و اكتالات الحرائم ، واقعاً معيوساً ايضاً ، وتكامل الجهر العادي نفسه ، وبرز المعبر المضاع بعض عناصر تركيب الخلايا التي لم تكن معروفة من قبل . وفي الوقت الذي تزايدت فيه طاقة حاسة النظر ، اصححت ادوات العمل والقياس احكام دقة . فقد اتاحت بعض الاجهزة الصغرى الفيزيولوجي احراء ملاحظات دقيقة على الخلية ، فاستطاع متلئذ اكتشاف ظواهر كهربائية لا تتجاوز طاقاتها الميكروموت واحراء حساباته بـ $1/1000$ من الثانية او من الميليغرام . ووددت طرق التحليل الكيميائي الجديدة كذلك دقة بالغة في معرفة تركيب العناصر الكيميائي . وأتاح استخدام العناصر المشعة ومتشابهات الخواص « المحددة » ، للمرة الاولى ، درس الحياة في ذاتها خلال تجلياتها المختلفة ، فأظهرت متشابهات الخواص هذه حركة جزيئات الذرات داخل الجسم وأتاحت درس التركيب والتلف الذين يتعاقبان في الاسجة درساً دقيقاً ، ومن جهة ثانية استفاد علم الحياة ، عند حده الآخر الذي يتناهم السيكلوجيا وعلم الاحتجاج ، من لقاة الجراحة ، ولا سيما من امكانات اجراء العمليات في المراكز العصبية العليا . وهو مدين كذلك لمختبرات السيكلوجيا وتقنيات تسجيل وملاحظة وقياس السلوك الحيواني والعشري ، التي تجعل الحد بين علم الحياة والسيكلوجيا غير واضح تماماً .

ومع هذا فبين التحامان كيران للبحث بالنسبة لعلم الحياة في القرن العشرين ، تجاهلان متقابلان ، ولكنها مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً ، ويحتملان بالنظرية الاحيائية والعمل العصبي والجراحي من السواء : كلما توعدنا في تركيب عناصر الكائن الحي ، رافاً بمرورين اى ان تأخذ بعين الاعتبار تركيب المجموع الذي ينتمي اليه ، اى تركيب الجسم الذي هو جزء منه ، ويتكشف هذا التركيب الاخير بدوره عن انه ملازم لتركيب جديد تشترك فيه عناصر اجسام مختلفة والمادة غير العضوية .

ان الكيمياء الاحيائية التي ولدت في القرن العشرين تتميز عن الكيمياء
ظواهر عناصر
المضوية التي ملكت سميدة في القرن السابق ودرست منتمعت الحياة . انها
الحياة
درس العناصر الكيميائية الاساسية للارمعة للشاغل الحيوي نفسه ، وطرائق
عملها ، وكانت نتيجة هذا الاكتشاف : يستلزم حدوث معظم التبادلات الحيوية مواد كيميائية
غير حية بعدها الكائن الحي اعداداً فقط .

سواء اكتشاف الدياستاز اولاً يضع حداً لمجادلة حصلت في القرن التاسع عشر بين باستور وليبيخ ، حين اراد الاول ان يجعل من الاختار ظاهرة حيوية ، ورغم الثاني ان الاختار مرده الى جسم كيميائي : ان الاختار يرد في الواقع الى جسم كيميائي ، هو الدياستاز ، ولكن الدياستاز جسم كيميائي خاص بالكائن الحي . ففي السنة ١٨٩٧ لاحظ « ا. بوشتر » اختار السكر تحت تأثير الخمير المسحوق ، ولكن طريقة تأثير الدياستازات في التطورات الحيوية الاساسية (اختار ، فأكسد ، تأليف) لم تدرك الا في الآونة الاخيرة . لقد جرت ابحاث صعبة في

التنفيذ والتنوع لم تؤد فقط إلى إدراك حقيقة دور الدياستارات التي تبين أن هدفها كبير جداً، بل إلى تعيين عدة فئات أخرى من الأجسام الكيميائية الضرورية للتطورات الخيوية والدياستارات بروتينات في أغليتها أو تحتوي على بعض البروتينات على الأقل، ولكل منها حمه الخاص. في كل قطور تتدخل عدة دياستارات، وبمعدل كل منها في مرحلة خاصة مسبباً تفاعلاً جزيئياً معيناً. وبالإضافة إلى البروتينات تحتوي الدياستارات على نسبة ضئيلة من مادة غير بروتينية، تدعى كوازيم، معدة لامتداد الحزقيات الصغرى (البروتينات حرثيات كبرى) في سلسلة التفاعلات التي تشكل التطور العام. أما المعادن الضرورية للحياة فتوجد في الجزيئات بحالة آثار، واعتبرت مهمة (العناصر القليلة) من ذي قبل، ولكنها ضرورية جداً. فإن فقدان الكوبالت في رمة المراعي مثلاً قد يتسبب في سقم الماشية. فلاكتشاف العناصر القليلة من ثم أهمية أولية في معالجة بعض الأمراض، وفي إيجاد نظام متوازن وكامل لوزنه وحجمه في الزراعة.

هناك مواد غير سمية ضرورية للحياة، اكتشفت في القرن العشرين، سوف يكون لها شأن مهمي كبير. الفيتامينات. ويبدو أنها تعمل على فرار الكوازيم، إذ أن بعضها مفقد التركيب جداً، كالفيتامين ب التي تحتوي على ١٥ مادة على الأقل. وبينما حال العلماء في القرن التاسع عشر إلى الاعتقاد بأن كل مرض جرثومي المنشأ، فقد برزت اليوم مرة أخرى فكرة مرض المنسب عن النقص والمحاجة (داء الجمر، داء الذرة، لحراة) فركت في المختبرات للفيتامينات الضرورية لمعالجة هذه الأمراض. وفي الوقت نفسه، اتاحت معرفة الفيتامينات تعيين نظام غذائي معقول. وقد تولت حكومات الدول المتعاصرة، أثناء الحرب العالمية الثانية، تأمين الفيتامينات الضرورية للسكان، وفقر انتظام توزيع العناصر الفيتامينية اللازمة لسكان بريطانيا، حالة صحية دونها حالتهم للصحة في فترة ما قبل الحرب.

ولكن الجسم الحي يحتاج كذلك، بالإضافة إلى المواد التي يحدها في الغذاء (أي تلك التي اعدتها أجسام أخرى) إلى مواد أخرى يلتجأها هو نفسه بواسطة التفسد الصفاء التي لم تعرف وظلها حتى القرن العشرين، أعني بها الاقوار (المورومات). فإن الأهمية التي أعير لها الاقوار هي أحد ميزات علم الحياة المعاصر، لأن دورها يبرز في معظم الحالات الفيزيولوجية كنمو الحيوانات والنسقات، أو في حمل الأعضاء، يفرزها أحد هذه الأشيرة فتبعث النشاط في عضو آخر، كما هي حال النور الذي يفرزه العنق (فيتسبب بدوره بالأفراز البنكرياسي)، والادرينالين، والأنسولين البنكرياسي، والاقوار الدرقية. ويتضح يوماً بعد يوم الدور الكبير الذي تقوم به الاقوار الجنسية في تحديد المميزات الجنسية الثانوية عند الحيوانات والتفريق بين لاجهرة التماسلية. والى بجانب الاقوار الحيوانية، دُرست الاقوار التي تؤثر في نمو النسقات. وإذا لم يتوصل العلماء بعد إلى تركيب الاقوار النباتية أو الحيوانية، فحسب بات بالامكان منذ اليوم إنتاج مواد صناعية تحدث مفاعيل كيميائية مماثلة ونجد لها تطبيقات عديدة

في الزراعة . وبلغ اليوم من معرفتنا لتعول المواد الغذائية في جسم الانسان انه بات بمقدورنا التعبير عنه بصيغ كيميائية .

تبرر كافة هذه الاكتشافات اهتمام ونشاط الجزيئات الدوائية في الجسم الحي . ويتقدم درس تركيب هذه الجزيئات الكبرى بصورة خاصة ببعض امكانية بلورتها وتحليلها بعد ذلك بالاشعة X .

تواصل درس الحياة في الخلايا من ثم في نطاق الجزيئات والنطاق الذري . وكان للمجاهلات المحررة في هذا المجال ، بالإضافة الى التطبيقات الطبية الكثيرة التي أتاحتها ، أهمية نظرية كبرى بالسنة لمعرفة الحياة نفسها واللقاء النور على مشاها في الارض . فتهبسدو الحياة اليوم وكأها مجموع تطورات كيميائية في ظل حرارة منخفضة ، اجل الد تحققت معرفة عشرات الالوف من الجزيئات المختلفة ، ولكن ثبات تركيب المادة الحية بلغت الانتباه ، اذ ان جزيئات بعض الاجناس تصم عدداً من الدرات يكاد يكون ثابتاً ، وتبقى على حالها دون تغير بعد سلسلة من امدادات الكيميائية ، وليس تركيبها ما يبقى واحداً فحسب ، بل ان حرارة الخلايا تبدل في حدود صيقة حدداً ، ومن جهة ثانية يرافق ديمومة التركيب هذه قبيل دائم في المادة ، اذ ان استمرار التطورات الكيميائية يستلزم تحول الكيودات (الذي يمكن ملاحظته بواسطة مواد ملونة) في الخلية وفي الجسم الذي هي جزء منه .

كلما وقفنا على اسرار حياة الخلية - التي انحصرت فيها مادة علم الخلايا الجهازي الحي في القرن العشرين - اضطررنا في الوقت نفسه لأن نطرح اليها ، اكثر والاحيرة الحية فأكثر ، كجزء ملازم للجهاز العضوي . فمنذ اوائل القرن (١٩١٥) تحققت زرع بعض الانسجة المفصولة عن جهازها الحي ، كما ان طبيب البيون السوفيياتي « فيلاتوف » الذي اشتهر بزرع القرية قد استعمل منذ السنة ١٩٣٣ اسجة مبردة اما لتسكين بعض الاضطرابات الوظيفية ، واما لاستعمال اندمال بعض القروح المستعصية ، وخلص من ذلك الى وضع قاعدة تطبق على كافة الاحيرة الحية ، يستمر بموجبه التسيج - النساقي او الحيواني - المفصول عن الجهاز الحي ، في الحياة في ظل حرارة منخفضة ، ويتكيف وفاقها بعزله بتغيير تركيبه وباعداد عناصر حية فاحكمت من ثم زراعة لاسجة وشملت كافة الاسجة المختلفة ، وفي السنة ١٩٣٧ شملت الاسجة النباتية نفسها . لا يس امكن حفظ بعض الاعضاء في السنة ١٩٣٦ لوفق كاريل ولندبرغ الى حفظ الحياة والحركة ، طيلة اسابيع عدة في اعضاء بعض الضرعيات (مبيض ادررة وعددهم الدرقية) . وامكن كذلك حفظ اعضاء غير متكاملة واجراء اختبارات عليها تهدف الى تغيير تطورها هنيئا .

تستمر هذه الانسجة في الحياة ، لا بل غالباً ما تحدث فيها مبادلات اكثر نشاطاً منها في داخل الجهاز الحي ، وقد تدوم حياتها اكثر من حياة الجهاز الحي كله . الا ان الخلايا المفصولة هذه تخضع في اغلب الاحيان لتطور يبرها من سواها دون ان تتوصل الى تكوين جهاز حي

حديد يتنوع بحياة مستقلة داخلية من ثم مقيدة بنظام عضوي لا يمكن تغييره بمجرد رغبة في تغييره.

فادعم الاجتهاد الى استنتاجات «اذلة» لا بد ان يبعث في او اخر القرن التاسع عشر المجادلة القديمة بين الحيويين والآسيين («دريش» و «لوب») . فعوالي السنة ١٩٣٠ ، اثبت علماء الحياة « صميم » و « هونتفرت » و « مانغولو » و « دالك » ان بعض المنتهات الكيميائية او « لابات » اذا ما سلطت على بيضة غير مكتملة ، قد يجعلها لتكوين جهاز حيا كاملا ، بينما قد تؤدي مسببات اخرى ، تسلط على البيضة في مرحلة لاحقة من مراحل نموها ، الى اثناء بعض حواء الجهاز الحي ، لا بل الى اثناء جراء اضافية ايضا ، عين « ثالثة » الخ .) . ولما كان ذلك قد مبرر الاختبارات السابقة تفسيراً آتيا ، اي فيزيائيا وكيميائيا ، فانه قد افترض وجود مادة كيميائية غير معروفة قد تكون مسبب تحول البيضة الى حمار حي .

قد تكون في الجهاز الحي من ثم طاقة دائمة تتيح لنا ان غير ، بالإضافة الى الامراض المتسببة عن لاجهزة الحية الصغرى (الجراثيم) والامراض المتسببة عن الحاجة الى بعض الضروريات ، امراضا قد تنجم عن روال هذا النظام في جزء معين من اجزاء الجهاز الحي ، وقد تكون هذه حال السرطان الذي يندد اليوم وكأنه نمو غير طبيعي في سيج معين . ويبدو ان نمو تساعد بعض المواد ، ولكن العلماء لما يتوصلوا الى اكتشاف تطور هذا النمو او اكتشاف علاج جامع ، غير العملية الجراحية ، قبل فوات الاوان .

الاحيوة الحية الصغرى افاد درسها اعادة كبرى ، خلال القرن العشرين ، من قوة المعاصر الجديدة التي نحن مديون لها باكتشاف الفيروسات لا كلة الجراثيم على يد هيريل في السنة ١٩١٨) والفيروسات الواكفة (على يد ستالي في السنة ١٩٣٧) . وان هذه الكائنات لكائنات حية (بالرغم من تحقيق بلورة فيروس « سبيسا » التسع ، في السنة ١٩٣٥ ، ومن لجناح « ج . بوشيان » في زرع الفيروسات الواكفة في اوساط صلبة) ، لانها تتولد وتعيش على حساب الوسط الذي توجد فيه . وتندد الفيروسات ، المنفردة الى تعصية داخلية ، وكأنتها مجرد حريثات بروثية لا لتفسيدي مواد اقل منها اعسدادا وتعيش عيشة الطفيليات . فعابها العضوي اصبح اليوم موضوع بحث ورد ، بينما مال العلماء في البداية الى ان يروا فيها مرحلة وسيطة بين المادة المدممة لحياة والكائن الحي . ام الجراثيم ، البسيطة التركيب في الظاهر ، فقد اثبت المعمر الالكترومي ان تركيبها يمس على شيء من البساطة ولعل الجراثيم ذات التقدم الذاتية قريبة جداً من الاشكال الاولى التي ظهرت فيها الحياة على وجه الكرة الارضية (لا بد ان بعضها لا يحتاج الى الاوكسجين) ، اد ان بوسنها العيش في وساد غير عضوية ، فهي قادرة من ثم على تحقيق لاعمال التاليفية الاساسية التي تضمن الانتقال من مرحلة غير عضوية الى مرحلة عضوية . ولهنطاءتنا لحدس في ان الارض ترزح بثل هذه الجراثيم وان الحياة كلف ، في النتيجة ، وتكثر اليها على وجه الكرة لارضية فالاحيوة الحية

للعلماء مرتبطة بالفعل بالاهمية حية دنيا توفر لها هؤلاء ممدداً بعض الاعداد بقيامها بالعمليات
التأليفية الاولى التي ما عادت هي لتستطيع القيام بها .

ان درس هذه الاجهزة الحية الدنيا والتطورات الكيميائية الخاصة بها ، وعلم تكون الصخور
والمعادن ، قد اتاحا تحديد بعض شروط ظهور الحياة (كضرورة وجود بعض المركبات
الكبريتية مثلاً) واخراج نظريات تتعلق بتاريخ وطريقة تكون الاجهزة الحية الاولى ...
كنظريتي الاسكليزي « ج ب س. هالدين » في السنة ١٩٢٩ والاميوكي « ا. اوبازي » في
السنة ١٩٣٨

بالاضافة الى الاهمية التي قد ينطوي عليها - اقله للمستقبل - درس هذه التأليفات الحيوية
الاولى بالنسبة لتكوين بعضها صحياً ، وربما بالنسبة لحل جزئي لمسألة غدة البشرية ، تركبت
معرفة الاجهزة الحية الصغرى ، منذ اليوم ، انكسارات هامة على علم معالجة الامراض الجرثومية
بفضل اكتشاف ادوية محاربة الجراثيم الذي انماشده . لحل لقد افاح للتفكير من قبل اتقاء بعض
الامراض ، ولكن العلماء بحثوا عن وسيلة للولوج الجرثيم في داخل الجسم المريض وللقضاء عليها
بواسطة مادة كيميائية غير مضرّة بالجسم فتعاقب اولاً ، في السنة ١٩٣٢ ، على يد « دوماك »
اكتشاف المركبات العضوية الاروية والكبريتية التي لا تقتل الجراثيم بل تحول دون تكاثرها ،
ثم اكتشاف السلفين المستخرج من نوع من الفطر ، الذي لاسطه العالم الاسكليزي « فلنخ » منذ
السنة ١٩٢٨ ، ولم يستفد منه حيلة عشر سنوات . فعين رأي « فلوري » و « تشاين » وهما
الابحاث في معهد اوكسفورد لمجاء المركبات العضوية الاروية والكبريتية ، قاموا في السنة
١٩٣٨ بأبحاث منظمة تناوأت ادوية محاربة الجراثيم المشتقة من انواع الفطر وعادوا الى ملاحظة
« فلنخ » ، وفي السنة ١٩٤٢ ، احسوا العلاج وشفوا به احد المصابين بالتهاب السحايا . ثم
انتج السلفين صناعاً منذ ذاك للتاريخ . واكتشفت بعد ذلك ، على يد « واكسن » بصورة
خاصة ، اعداد كبرى من ادوية محاربة الجراثيم استخرجت كلها من عفونات مختلقة :
سربتوميسين (١٩٤٤) ، اوريوميسين ، كلوروميسين .

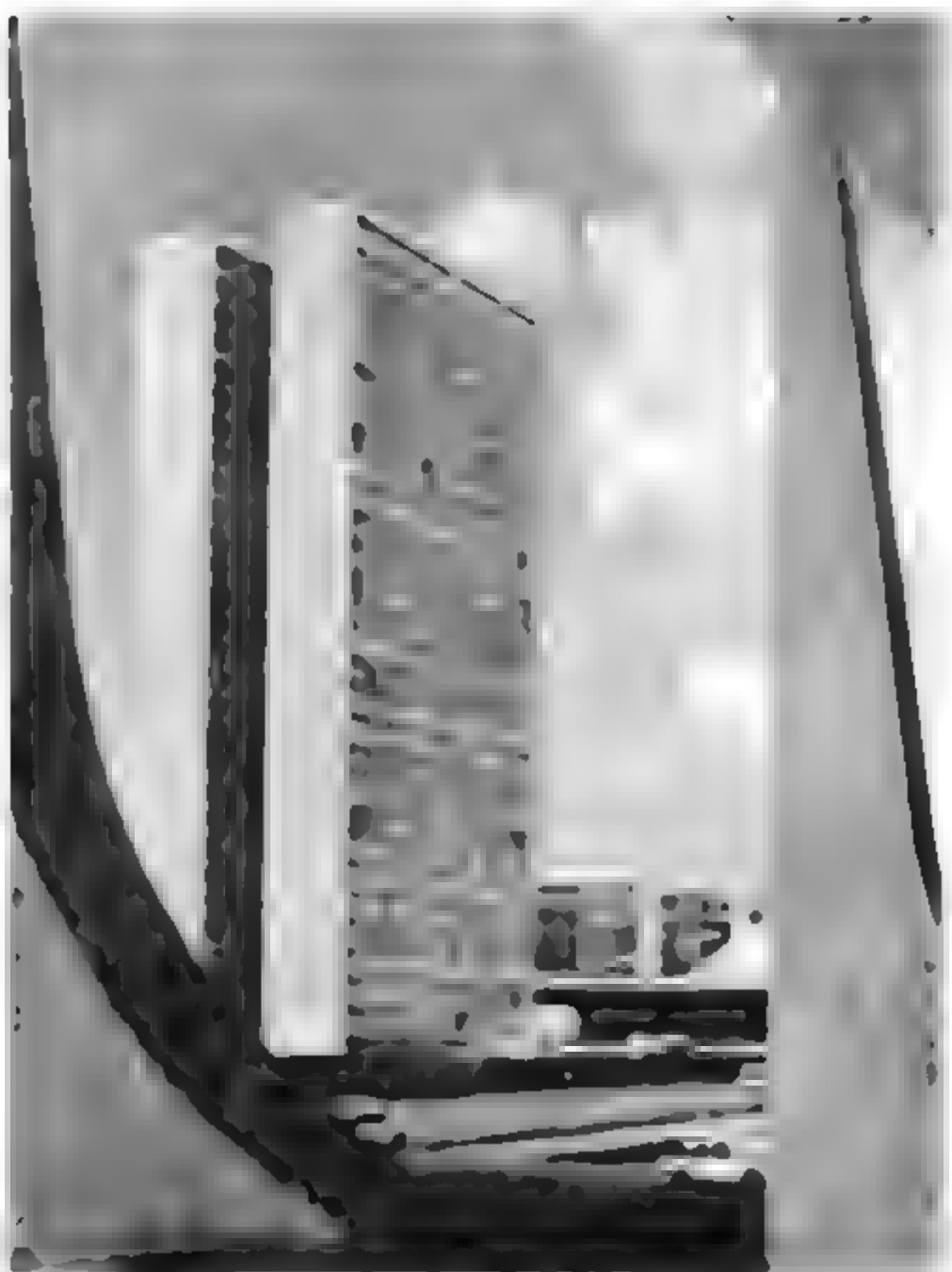
اسهمت اكتشافات الكيمياء الاحيائية خلال القرن العشرين في
تقدم اعمار في هذا الحقل بفضل المواد الكيميائية الجديدة التي
توصلت اليها وعملية المبادلات بين الخلايا التي اوصحتها . ولكن
اكتشاف اعضاء تنظيم حركة الدم ، والضغط الشرياني ، والحرارة ... قد حل على القول ان كل
ما في الجهاز الحي مترابط ، وان تغييراً محلياً يستدعي تغييراً في المجموع . فانطلاقاً من ذلك ،
وخصوصاً منذ الحرب العالمية الاولى ، اوجبت التفتيات الجديدة (الطائرات ، القوالبات . .)
وظروف الحياة غير العادية التي اوجدتها بالنسبة لبعض الافراد ، تحديد طاقة الانسان على
مقاومة الضغوط والسرعة والارتفاع في الجو ، الخ . وهكذا ظهرت ابحاث « هالدين » الاب
و « هالدين » الابن في اسكتلندا - التي استخدم فيها احدهما الآخر كأرض هندي لدرس حدود

مقاومة الإنسان في ظروف مختلفة - ان تغيرات تركيز بعض الغازات تستتبع تغيرات في اغمس كده : رثني ، قلب ، اعصاب ، دماغ .. واننا لنجد هنا مظهرأ عودجياً للصناعة بين الحيوية والآلية دان ج ب. س هداين الاب الذي توفي في السنة ١٩٣٦ ، قد اعتقد بوجود الاستعانة بما يشبه قوة فاذقة الطبيعة لتفسير التناسق العجيب بين اجزاء الجسم العضوي في مطابقة هذا الاحير لظروف الحياة غير المادية بينها تمسك بنه الماركسي ، مراعاة منه لطبيعة هذه المطابقة الكيميائية ، بطرقه ، الآلية وامادية .

بيد ان الدرس تناول كذلك الاعضاء بعسم، التي تؤمن حد الضرر بين كثر الاجزاء بعداً في الجسم الحي ، وفي هذا الحلق بالذات اسهم علم الحياة في القرن العشرين اسهاماً عميراً بواسطة درس نحو العدد الصده وظائفها وامراضها ، وهو علم جديد يتطور تطوراً مطرداً (فالنسبة التفاضلية مثلاً ، وما تفرزه من اقوار معقدة التركيب ، لا تدرس درساً كافياً) . وتخصص العدد الصماء نصفاً ، التي تؤمن افرانها بتنظيم الجسم كيميائياً ، لتأثير بعض المواد الكيميائية وتأثير الأعصاب . فليست هي من ثم - مهما كان من شأن دورها - مطلقاً حعدل رقابة الجسم وتنظيمه ، لاها تدخل في حلقة تحصح هي لتأثيرها . ويبدو من جهة ثانية انها تؤلف قفيا بينها « نظاماً » كاملاً تشرف عليه الآلة التفاضلية ويكون فيه لكل عدة ، بالإضافة الى عمل الوحي ، تأثير على عمل العدد الاخرى . ان خبر ما عرف منها حتى اليوم فهو العدد العظمية والعدد التناسلية والعدة الدرقية . وقد امكن كذلك ابرار الارتباط بين للعدد الصماء والجهاز التكرير الآخر لمنظم للجسم اعني به الجهاز العصبي ، وقد عرف بصورة خاصة دور الاقوار في الاصطربات والتأثيرات .

بيد ان معرفة اجهاز العصبي اقدم عهداً « في القرن التاسع عشر ، ولحت تأثير مذهب الارتقاء بصورة خاصة ، توسعت هذه المعرفة توسعاً كبيراً ، ولكن معرفة طبيعة « السائل العصبي » قد احرزت تقدماً حاداً في القرن العشرين . لقد ثبت « دوان » بشكل نهائي ، منذ السنة ١٩٢٦ ، انه كهربائي الطبيعة ، يتميز بظاقت معينة قوارها بسبي للجنب الاصلي الداخلي او الخارجى . ومن الناحية الكمية ، اطلع استعمال الاحجرة الجسمة الالكترونية قياس الموحدات الكهربائية قياساً دقيقاً جداً في المراكز العصبية ، واستخدم تصوير الرأس بصورة شخصية لتشخيص الامراض ، كمرض الصرع مثلاً . ومن جهة ثانية اتاحت ابحاث فافلوف ومدرسته حول الحركات الانعكاسية الظرفية معرفة العلائق بين النشاط الواعي والحركات العصبية التي لا تلغ الوحي قط . ولم تعد للمع الوحي . فالارتباط بين هذا الاخير والنشاط العصبي غير الواعي هو لعملى ارتداد دائم ووثيق . وان وسع بعض العلماء السوقيات تقنية التوليد بدور الم بالاستناد الى استنشاقات اختارية من هذا النوع .

سهمت سيكولوجيا القرن العشرين هنا مع علم الوظائف في معرفة النشاط العصبي . فقدمت له تبسعة لاحتمالات لجرأة على سلوك الكائنات الحية (« دوطسون » في الولايات المتحدة ،



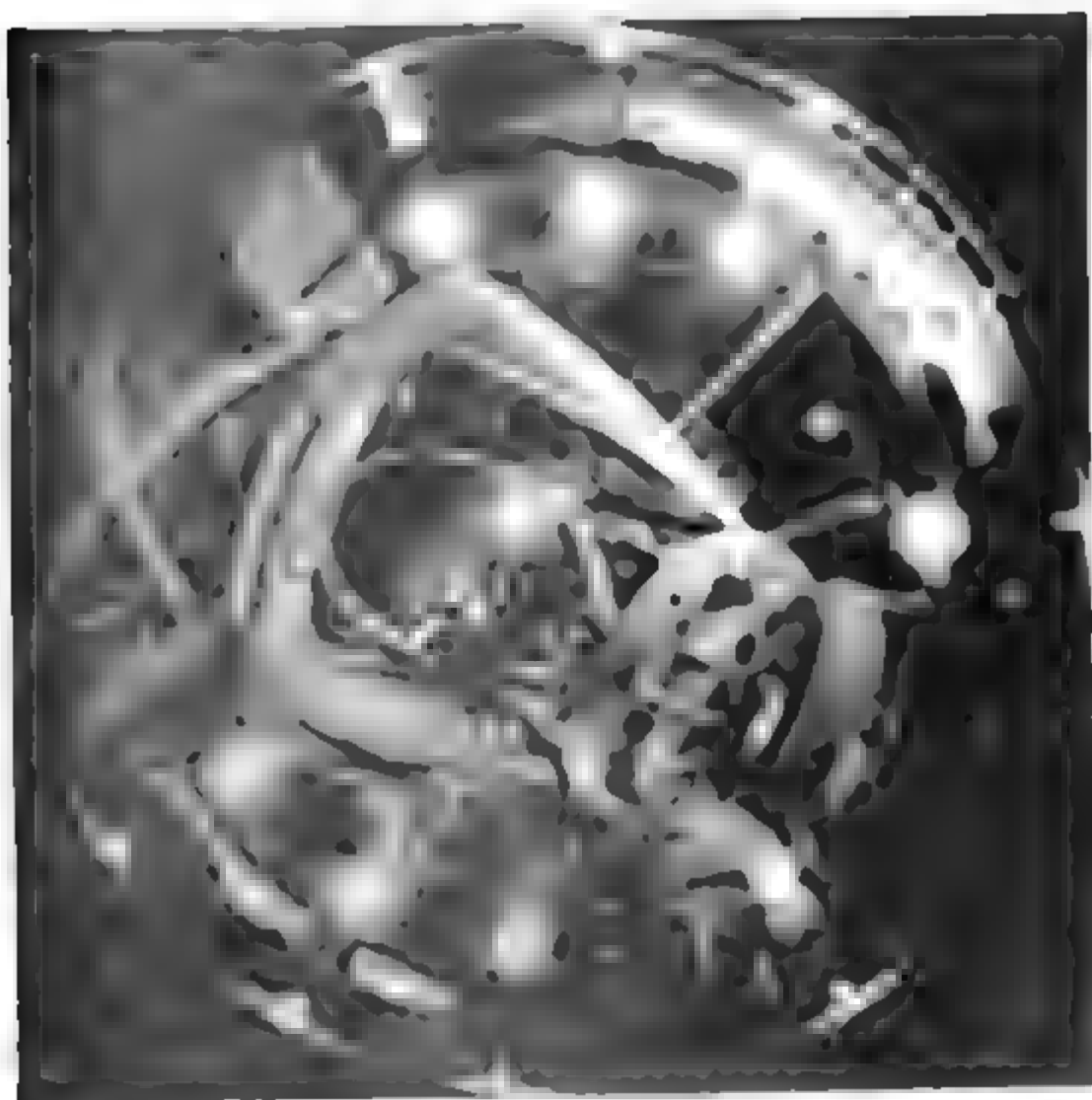
۳۳ پارک الماس لاهور.



۳۶ - سون ریو و شطرنج کوه کما .



٢٥ / ابنتي في مكتبة في جامعة برنسون ، سن ١٩٩٥ .



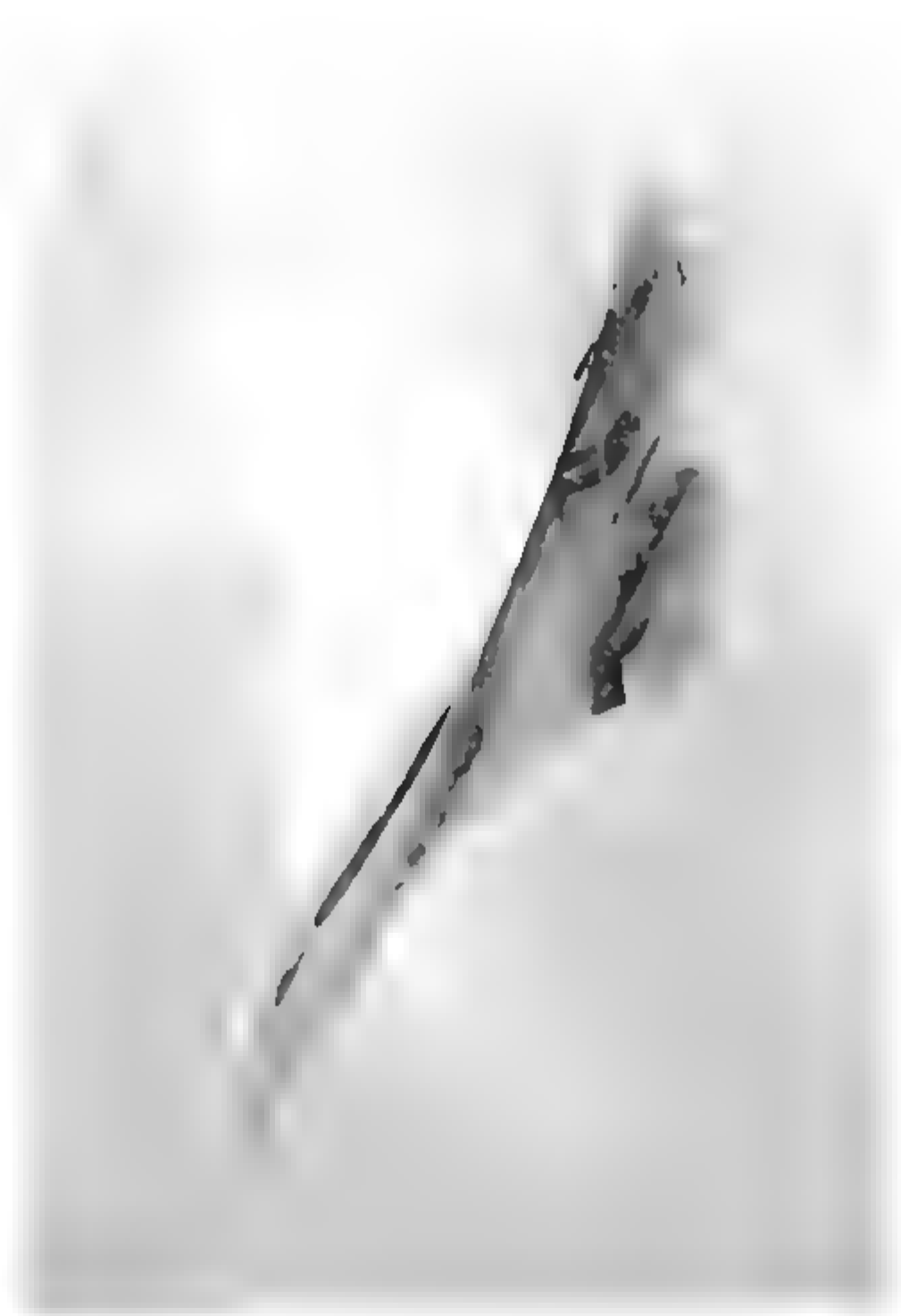
٣٦ - مريض حثل بالومر من الولايات المتحدة







11-1-11

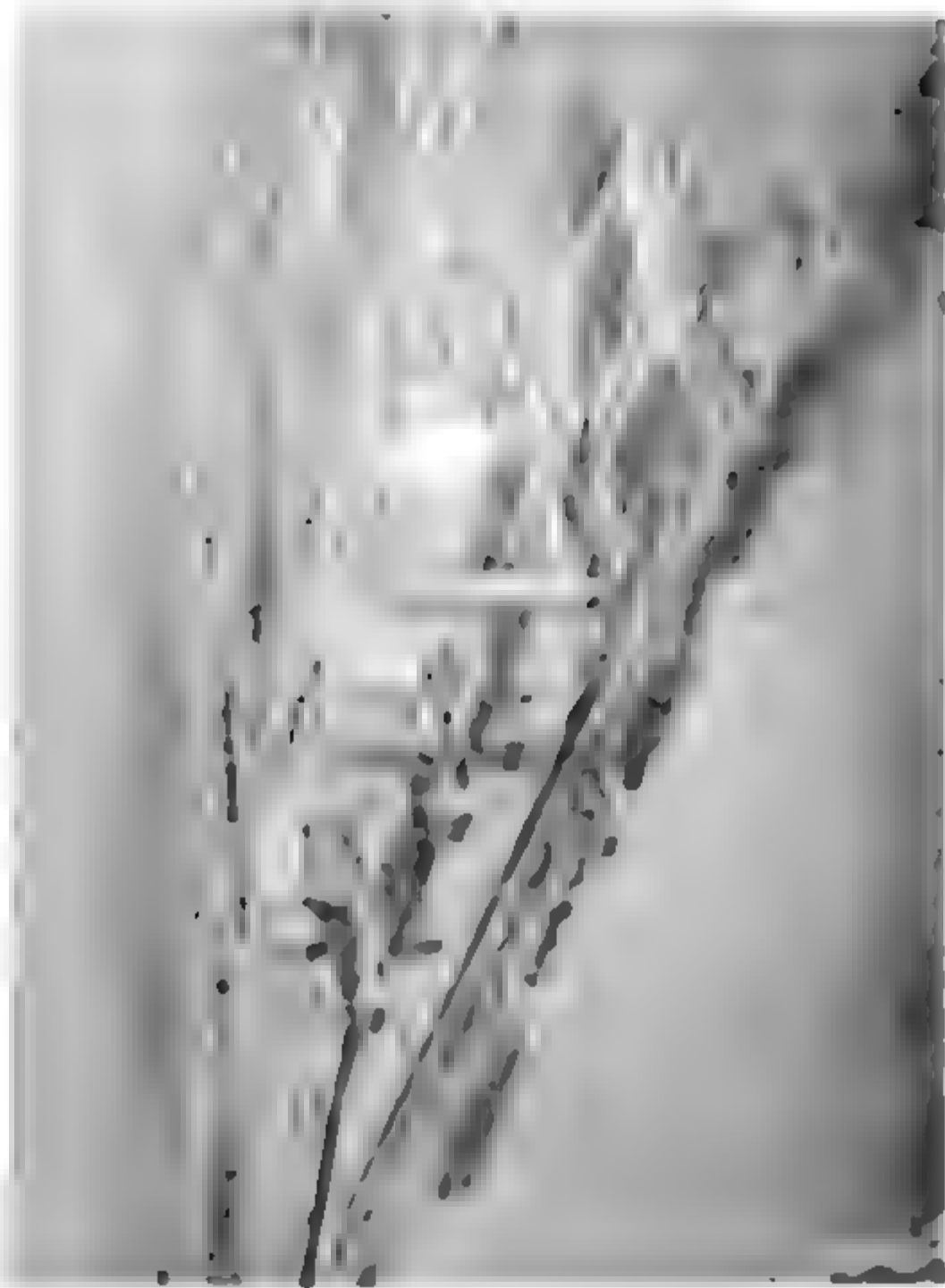




٤١ - حبر جورج واشنطن في نيويورك









٤٥ حصاد الحنطة في إحدى مزارع العرب لأمير كني الأوسط وأحدى المزارع التي





٤٧ مجمع الفنون في دمشق



وكوهلر في ألمانيا) ولا سيما تلك المتعلقة بتقابلية الحيوانات لتعود حركة انعكاسية معينة في وضع اختباري معين ، ولكن علم الوظائف هو ما يقدم مساهمته للسيكولوجيا في الحقل العلمي بإتاحتها المعالجة الكهربائية بـ « الصدمة الكهربائية » أو العملية الجراحية باستئصال بعض فئات الدماغ أو الرئة من أجل شفاء بعض الاضطرابات العقلية .

علم الوراثة في أواخر القرن التاسع عشر كانت لمجادة حول مذهب الارتقاء آخذة في المدور . ولا يعني ذلك ان سموات النظرية قد ذلت ، أو ان العلماء أدركوا كيمية انتقال العملية التطورية التي افضت الى الانواع الحالية من حلقة الى اخرى . ولكن التطور توطد مدققة لا كنظرية عمل نصب ، بل كواقع أيضاً ، بالرغم من فقدان بعض الحلقات في تسلسل الحيوانات المتجمرة التي تعين مراحل الحياة للكبرى . كانت الفيلسوف برغسون ، الذي قلداً يهتم بالمادية ، قد جعل منه ، في « التطور الخلاق » إحدى ركائز فلسفته الهامة . ولذلك لم يعد مثار الاهتمام فكرة التطور بالذات ، بل طريقة — أو طرائق حدوث هذا التطور . فان الوراثة ، أي انتقال المميزات النوعية للنوع والسلالة ، بالإضافة الى انتقال المميزات الثانوية كلون الشعر أو العينين ، قد صبحت مفهومة مسألة العالم الاحيائي الرئيسية ، وسوف يتقدم علم الوراثة ويتسع لحساباته لتفسير استمرار الانواع وتحول بعضها الى البعض الآخر . وكان ان العالم الاحيائي الاميركي دت هـ مورغان ، قد فصح في درس وتفسير ملاحظات « مندل » حول استمرار اميريات المنقولة ، وانتهى الى نظرية عناصر التواء الملونة في الوراثة ، التي تربط كافة المميزات الموروثة بعناصر نووية الخلايا بهذه القناة الانقسام الى اجزاء ، أو « مولدات » ، ينقل كل منها إحدى المميزات

ولكن سبق لـ « دي فري » ان لاحظ في السنة ١٩٠٠ وجود تحولات فجائية قادرة الانتفاذ بدا وكأنها تشير الى بعض عدم القرار في « مولدات » . وقد تظهر التحولات — بصورة لا تخضع للمراقبة — تحت تأثير عوامل خارجية ، هي اشعة X ، كما ان « مولر » ذلك في السنة ١٩٢٧ ، وبعض الاجسام الكيميائية . فتوجب من ثم لتعطيف صفة الجلود المفارضة في « مولدات » (وهي مفارضة لانها لم تشاهد قط في العناصر الملونة) ، بذلك فان مقابلة النظرية القائلة بوجود هذه العناصر ونظرية التحولات المعجائية قد قادت علم الوراثة العربي الى مفهوم تطوري شبيه بذلك الذي انطوى عليه تلميح « فيشر » و « هالداين » في انكلترا : قد يكون سبب التطور تحولات تحدث اتفاقاً (وتكون مناسبة أو غير مناسبة) ، وقد تكون بتأثير الطفرة ما ضمن ليمنها الاستمرار والاعقاب . الا ان هذه النظرية مستعجلة التحقيق اطلاقاً بالنظر الى المدة التي تتطلبها استنباط « تايك » ان سلسلة هذه الالفاظ الناجمة ، تجعل تطورا على مثل اتساع التطور الذي حدث لعملاً امراً قليل الاحتمال جداً . وفي مثل هذه الظروف يبقى عمل الانتقاء خاضعاً لاختبارية معينة ، وسوف يمكن أحداث تحولات بواسطة هذا المنهج التجارحي أو ذلك ، وانما لن يمكن قط اجراء رقابة حقيقية على النتيجة .

الا ان علم الوراثة في الاتحاد السوفياتي قد سلك في تقدمه طرقاً اخرى ، اكثر طبعاً عملياً ، ان لم تكن اختيارية بحتة ، اعضت الى نتائج مضادة وأثارت في فترة الحرب الباردة مجادلة عالمية عنيفة بين علماء الوراثة . اضيف الى ذلك ان علم الوراثة الروسي لا يرتبط بشوة تشريح لأول ، اذ ان « منشورين » قد مجرد منذ السنة ١٨٨٨ لاختبارات دقيقة على النباتات ، ولا سيما على الاشجار المثمرة ، التي حسنها ونوع اصنافها بالتبجين والإبار . ولعنه لاحظ ان نجاح طرقته مرتبط بقابلية النباتات المتفاوتة للتأثيرات الخارجية وان النفسية اسرع تأثيراً بمثل هذه العوامل من القرص الكبير . ثم لنى العالم الاحيائي السوفياتي « ليسنكو » آراء « منشورين » وواصل تجاربه واجراها على الطوبوب بنية الحصول على خصائد ريفية عوضاً عن الحصائد الشتوية ، والعكس بالعكس . فخلص من النتائج المحققة الى نظرية وراثية جديدة ما لها ان ليس هناك من براهين لوجود « المولدات » ، وسلم « ليسنكو » بوجود علاقات بين لوراثة والعناصر المكونة ولعنه ابان ان الوراثة لا تتحقق في اي عضو خاص ، لا في المولدات ولا في العناصر المكونة ، وانما تتحقق في الجسم بأكليته . فالبيئة بالنسبة للتناقض لا تقل شأناً عن الغذاء بالنسبة للحيوانات ، اها تؤثر على « سيتو بلازما » الخلايا اندي يلعب كذلك دوره في الوراثة ، مما يستتبع نقال بعض الصفات المكتسبة .

اسطافاً من هذه النظرية الوراثة ، انكرت النظرية التطورية السوفياتية دور الاتفاق الذي قال به الفريون (الداروينيون - الجند) في التحولات ونجاحها ، وعزت البيئة دوراً حاسماً . وفي رأي العلماء السوفيات ان التحولات الناجمة عنها تكون مناسبة دفعة واحدة . ولكن هذه النظرية تنطوي كذلك على صعوبات نظرية كثيرة .

ويبدو اخيراً ان انجات « جاك بوا » وعلامته ، باحداثها تحولات في سميرات البط العنصرية ، سوف تغير نظريتي « مندل » و « مورغان » أهمية جديدة ، وربما كان من شأنها الدفع بعلم الوراثة الى الامام دفماً حاسماً .

قوة الطب حدثت بسرعة متزايدة ، وارتفع عدد الاكتشافات ارتفاعاً كبيراً مطرداً ، مما جعل بعضهم يقول ان « تقدم الطب منذ السنة ١٩٢٥ يفوق تقدمه منذ بدء العام » . فقد أتمحت المسالمة بالمواد الكيميائية استنباط مواد لم تكن موجودة في الطبيعة ، ولكنها قادرة على التأثير على بعض الامراض تأثيراً نوعياً ، وابتنفت عن علم الحياة آراء جديدة حول طبيعة الامراض ، « جسم الطبيب « لوريش » يقول : « لن يدعى شيء من الاساليب الابيقراطية بعد قراري أجيال ما فوق الستين سنة » .

ان تقنيات جديدة كثيرة وتكامل اساليب البحث والادوات قد وصفت في خدمة الطبيب وسائل بعض المرضى مصحاً دقيقاً كان متمذراً من ذي قبل ، وفي الوقت نفسه ، ألحاح الاختبار على الحيوانات ، الذي اصبح شاملاً ، درس سلوك الحرائم في هذا المرض او ذاك والاستفادة من ذلك في معالجة الانسان ، ومراقبة تشايع هذه العملية او ذاك النظام الغذائي

أو تلك المعالجة . وأتاح تصوير القلب منذ السنة ١٩٠٣ وإدخال الجس في سنة ١٩١١ ، معرفة حركة العضل القلبي معرفة فضلى ، كما أتاح فلورين الدم الشرياني وتكثيف الدم الوريدي ، درس الدورة الدموية الشريانية والوريدية درساً دقيقاً . وسهل استكشاف شطب الرئتين بجهاز خاص رؤية هذه للشعب رؤية مباشرة ، كما سهل جهاز خاص آخر فحص المسالك البولية ، وأتاح تصوير الرأس ، الذي ابتكره هانس برجر ، في السنة ١٩٢٤ ، والذي يسجل الجسادي الكهربائية الصادرة عن الخلايا الدماغية لتحديد مركز المرض بدقة ، ومعالجة داء الصرع وداء التهاب السحايا ، كما أتاح تصوير الرأس درس الدماغ بواسطة الأشعة بإيجاد أماكن ثقافة بحسن العار في الجمجمة . وساعدت الاختبارات المجرة بواسطة السائل المستخرج من أسويبات كوخ على كشف الالتهاب الأولي بالجرثومة المدية ، الخ .

ظهرت مفاهيم طبية جديدة اثبتت إخصائها وإثارها . من الأبحاث المتنامية والتقنيات الاختيارية التي تولاه د ريلي ، بين السنة ١٩٣٣ والسنة ١٩٤٣ قد أبرزت الطبية الجديدة أهمية العامل الوظيفي بالنسبة للعوامل التشريحي في المرض ، فهو تبيح الاعصاب لاشتراكية ما يسبق التقرح وينتهي إلى أحداثه . ومن هذا الدور الرئيسي للأعصاب الاشتراكية كسبب لكافة امراض لانسجة قد دفع إلى اعتماد الطريقة القاضية بشل جهاز المقد للمصيبة الاشتراكية مثلاً موضعياً بحيث يسهل سلوك لانسجة للوظائف أثناء المعالجة ويصح القول نفسه في الدور الهام المزور في الامراض النفسية للاضطرابات التأثرية القادرة على التسبب في امراض عضوية ، وكان عدداً كبيراً من الامراض وما يرد إلى تفاعلات ناجمة عن الفلق ومنازعات نفسانية بين الفرد ونفسه ، (الطبيب لوريش) .

كلما درست الامراض درساً يتصف بحريه من التنظيم والدقة ، تكون الرأي بأنها ناجمة عن سلوك الخلايا سلوكاً كيميائياً وحيوياً يشوش تحول الجراثيم الذي تقوم فيه الحياة كما سبق ورأينا ، فيعتبر الجسم أو العضو من ثم مريضين حين ينقصها مادة كيميائية ما يحتاجان اليها ، أو اذا دخلتها مادة تشوش سيرها . فقد عرفت بعض الامراض القديمة معرفة عضلى وعرفت حديثاً هوية امراض اخرى بعض للمعوص اختبارية وتقد طارئاً للفحص الطبي . وعولجت كلها بحسب الاحوال الطبية وبحريه من السماح بفضل المواد التي رصنتها الكيمياء الاحيائية تحت تصرف الاطباء : المصول ، المركبات الكيميائية ، ادوية مكافحة الجراثيم ، الاقوان ، وبفضل استخدام منشآت الخواص المشعة (في حالة سرطان الدم) ومادة اهيبارين (وقد عرفت بين ١٩٣٣ و ١٩٣٧) التي تفررها الكبد وتمنع تخثر الدم وتستعمل في معالجة الامراض الوريدية ، والذخيرة القلبية ، الخ ودرس لندستايير ، و د وينر ، الفشلات الدموية المكتشفة في السنة ١٩٠١ ، ماكتشفها في السنة ١٩٤٩ هامل ويروس ، وبيننا ان الحوادث الناجمة عن عمليات نقل الدم (و عن بعض امراض الولادة ترد إلى انت بروتينات بعض فئات الدم تعمي إلى رسوب خلايا بعض الفئات الاخرى . وما كانت بروتينات الدم كلية النوعية ، فقد امكن توزيع

الأفراد على فئات مختلفة (ريزوس سلبى ، ريزوس إيجابى) ، مما أتاح مراقبة عملية نقل الدم وتلافي حوادث الحبل الناتجة عن عدم موافقة الدم بين الزوجين . أما الكهرباء فقد استخدمت بصورة خاصة في معالجة الأمراض العقلية ، وقد شفت الصدمة الكهربائية التي اعتمدها مرضي من الانتحارات السودارية والأمراض العقلية العاطفية ، كما استخدمت الامتزازات الآلية لتسكين بعض الآلام (لأنها تشل الجهاز العصبي الأثراكي) ولمعالجة بعض الأمراض التنشجية الطابع ولإزالة الأنسجة اللبينة غير الطبيعية . وهناك طريقة علاجية أخرى ولدت في السنة ١٨٩٠ ، وأعيد لها اعتبارها منذ السنة ١٩٤٣ بفضل تلامذة بالغوف ، هي « المعالجة بالنوم » التي بموجبها يفتعل النوم ويُطال كيميائياً ، فيوقف التطورات الانتحارية التي تحدث أو تطيل عوارض الألم المثيرة للقلق .

وأتاح علم الغدد شفاء عدد من الأمراض الخطيرة الناتجة عن نقص غدد الجسم البشري المختلفة في القيام بوظيفتها . ففي السنة ١٩٢٢ اكتشف « بانتنج » و « بست » دواء الأسولين الناجع في معالجة الداء السكري ، وفي السنة ١٩٣٩ « سالج » « دينجلي » و « باركس » مرض اديسون بمحفن الجسم بخلاصة الغدة الكظرية التي حل اليوم محلها المحفّن بالاقوار ، وفي السنة ١٩٤٢ اكتشف « ابفانس » دواء يساعد الغدة الكظرية على الإفراز (*A. C. T. H.*) . والحال ان الكورتيزون (١٩٤٦) أحد ام الاوار التي تفرزها « وان دور » رئيسي في توزيع السكر والزال في الجسم . وهو يركب كيميائياً ويستعمل مع الـ *A. C. T. H.* لمعالجة داء الفصال والحروق الخطيرة والربو والقوباء (أكزما) . أما الأمراض التي تنتج عن نقص الفيتامينات في التغذية والتي تتجلى بتوقف النمو ، والحراقة وضعف النظر ، الخ . والتي استرعت الانتباه خلال الأزمة الكبرى بسوع خاص ، فقد استعادت من الأبحاث التي افضت الى اكتشاف الفيتامينات . فشفي « د » الندة بالفيتامين *P.P.* ، وداء الحفر بالفيتامين *C* ، والحراقة بالفيتامين *D* ، وفقر الدم بالفيتامين *B* ١٢ ، ...

مكافحة الأمراض المعدية
كوفحت معظم الأمراض الممصة بمحاح في البلدان المتطورة ، وهي تكافح في البلدان غير النامية حيث لتراجع شيئاً فشيئاً . وهذه المكافحة هي نتيجة عم التخصّص ضد لأمراض الذي يدرس كيفية مقاومة اجزاء الجسم الصغرى لبعض الجراثيم ، وقد أفاضت هذه التعامحات تصميم التلقيح الوقائي الذي أصبح إلزامياً في بعض البلدان ، والمساهلة بواسطة المصول الحيوانية أو البشرية ، أما المركبات الكيميائية وأدوية مكافحة الجراثيم ، فان استعمالها قد مدك تطوّر هذه الأمراض بتدبير حذر وبخاصة نسبة الوقيت الناتجة عنها . فخلال الحرب العالمية الأولى صينت الجيوش المتعاربة على الجبهة القريبة من الأوتة . أما السكان المدنيون فقد تعرضوا تعرضاً قاسياً لواء المنزلة الواحدة ، وخلال الحرب العالمية الثانية صينت الجيوش الهامة المدعوة للمعاربة والاقامة في المناطق الحارة بفعل تدابير فعالة ضد الأوتة .

منذ اكتشاف القنّاح ضد الذبّاح على يد د. ج. رامون ، وإلقائه على يد الطبيب د. رو ، في السنة ١٩٢٤ ، زال وباء الذبّاح عملياً من البلدان المتطورة ، أما الأوبئة الأخرى كالحمى الصفراء (منذ السنة ١٩٢٧) ، والتقرّح الجلدي ، والطاعون ، والتندرن الرئوي ، والكزاز (القنّاح رامون) الذي لم يؤدّ الجيش الأميركي البتة بينه هو أنزل خصائص كبرى في الجيش الألماني ، والسعال الديكي ، فقد كوفحت كلها بمعاج بواسطة التلقيح ، وإذا لم يكتشف حتى الآن لقاح فعال ضد الحصبة ، فقد أمكن تأمين وفاة مؤقتة على الأقل أو تخفيف الداء في حال انتشاره . وشفي من التهاب السحايا التندرن في نسبة ٨٠ إلى ٩٠ بالمائة بفضل حمض (P. M. S.) الطبيب هان (١٩٤٦) وال I. N. H. الذين استعملوا مع الساربتوميسين ، وشفي من الملاريا بواسطة الكلوروكينين ، والبنثافون الذي اكتشف في السنة ١٩٤١ ، والبالودين الذي استعمل في السنة ١٩٤٥ . وفي السنة ١٩٦٣ ، أدت أبحاث ثلاثة أطباء سويسريين ، بفصل أحد مشتقات الـ « نيروتيازول » إلى إحكام وسيلة الشفاء من داء البلهارسيا المتفشي في كافة المناطق الحارة .

كوفحت الأمر من المتسببة عن جراثيم لا تعمل فيها المصول بواسطة المركبات الكبريتية وأدوية مكافحة الجراثيم : فشنت الأولى من الحمرة ، والتهاب الرئة ، والتهاب السحايا ، والأمراض المتسببة عن جرثومة السيلان ، والبرص . واثبتت الثانية أنها قادرة على التغلب على اضطراب التهابات : السل ، السفلس ، تمفن الدم ، التيفوس ، الحمى التيفية ، إلخ . إلا أن مقاومة الجراثيم الناتجة عن « تبليها » ، لا سيما الفسلة الساربتوميسين الذي ضعف مفعوله الشفائي ، قد أرغمت على استعمال هذا الأخير مع الـ P. M. S. .

استخدمت مع اللقاحات والأدوية الجديدة أسلحة قوية أتاحت القضاء على أكلات الجراثيم نفسها في مساحات كبرى . ويأتي في طليعتها ، منذ السنة ١٩٣٣ ، مادة الـ د. د. د. ت. التي اكتشفها الطبيب السويسري « بول مولر » .

« مصبرات » الجراحة : غادرت الجراحة ، على غرار الطب ، من ثقافة الأدوات ومن الاهتمام الذي أعبر المرض بعد إجراء العملية ، لا سيما بعد السنة ١٩٣٣ . فإن كون كل عملية جراحية تحدث في الجسم - بفعل مظاهرها بالذات - اختلالاً ووجود فعل عسير مرتقبة غالباً ما تكون نتيجة وفاة المريض قد حل الجراحين على أكال العملية بسلسلة من الاحتياطات التي تسبقها أو تلحقها - تسد ألاله الاحساس (التبنيج) إلى اختصاصي يراقب وجود فعل المريض ويحرص على أن لا تتخطى حدود احتمال جسمه . استعمال مسكنات بواسطة جهاز يتيح إعطاؤها مع الأوكسيجين ، حقن الأوردة عواء تزيل كل تقلص عضلي ، منع حركة شرب الرئتين والحجاب الحاجز ، وحتى توقيف النفس مؤقتاً وسحب الجهاز العصبي - الشفائي ، قبل وبعد العملية ، اعاش بواسطة نقل الدم . وقد انتشرت هذه الطريقة الأخيرة انتشاراً عظيماً ، وبالت تستعمل على نطاق واسع ، يؤخذ الدم من « واهبين » اختياريين أحباء ، أو

حتى من جيش الموتى في بعض البلدان ، بعد ان اكتشف « جودينييه » ان دم الجثث يبقى حياً رهاء اثني عشرة ساعة بعد الوفاة وأنه يمكن حقنه في اوردة الاحياء . كما ان اكتشاف فيلاتوف المتعلق بحفظ اعضاء وانسجة الجثث في مكان بارد ، قد سهل شتى انواع الابارات مع استخدام الاعضاء والانسجة المأخوذة من الكائنات الحية ؛ فاضافت من ثم الى « مصارف الدم » « مصارف العين » ، « عظام » ، « انسجة » ، « شرابين » ، الخ .

واخيراً وسمت الجراحة نطقها الذي شمل كافة الاعضاء ونجحت في اجراء عمليات غابة في الجسارة . في الرئتين ، والدماغ ، والقلب ، والشرابين ، والمروق ، والجهاز الهضمي ، والمساالك البولية ، والعظم ...

ان هذه الاكتشافات ، وتحسينات التقنيات العلاجية والجراحية ، وقدم وسائل النقل الفدي اتاح المعالجة بسرعة ، وتنظيم انقاء وكشف الامراض ، لم تخفف آلام المرض ولحسن مصير ملايين البشر فحسب ، بل اتاحت اطالة معدل عمر الانسان ويسرت من ثم ارتفاع سكان الكرة الارضية ارتفاعاً كبيراً .

الموصل والثلاث

انطلاقة التقنيات

ان كلمة « التقنية » ، المرتبطة تقليدياً بالآلة ، قد رأت معناها ، منذ القرن العشرين ، يوسع حتى يشمل تنظيم العلاقات البشرية ، السياسية والثقافية والاقتصادية معها ، والمقصود بذلك ، إن لم يكن ممكنة العالم ، تنظيم المشاريع الاجتماعية على الأقل . فهناك تقنية لاهلن والدعاوة ، كما ان هناك تقنيات تتعلق بالنظام الاجتماعي للمشاريع الاقتصادية ، وتقنيات استثماريين بالشؤون المالية او الروسية . وما ذلك سوى نتيجة تزايد التخصص الضارم وتعاظم شأن التعليم المهني الذين قسما النشاط البشري الى حقول لا تعدى حدودها اختصاصها الحقول المجاورة ، ونتيجة اتساع المنجرات التقنية في الحقل الصناعي اتساعاً عريضاً ايضاً .

١ - التقنيات الصناعية

التقى العلم والتقنية في المصنع حيث اصبحا اشد ارتباطاً وثيقاً وحيث كرسّت الصناعة اعتادات متزايدة الاهمية لتمهد تختبرات الابحاث ومستخدمها الكثيرين . وقد نما رابطها نمواً مطرداً ، فتقدم العلم التقني نارة وقاخر همب نارة اخرى ، ولكن نجاحات احد الحقلين كانت شرطاً لنجاحات الحقل الآخر . وبصورة عامة تأثرت التقنيات الصناعية بالاكشافات التي قللت المعارف المتسلطة على الفيزياء المعاصرة ، ومنطلقات الاقتصاد ايضاً . وغالباً ما كانت ظروف السوق والمزاجية والكسب باعثاً للاستعدادات الهامة في اخقل التقني ولتقدمه ؛ وهكذا فان « امالة » المرد الذهبية التي حلت حلاً صحيحاً على الصعيد التقني لم تعرف بعد معرفة جيدة على الصعيد العلمي .

عمل العلم والتقنية معاً على اثخان انتاج المصنوعات بالجملة ، وخفض اسعار كلفتها بانقاص حجم النفائات واستخدام مشتقات المادة المصنوعة ، وزيادة انتاج العمال بالمكننة والحركة الدائرية وتسارعي الانتماء هنا الصناعات التي لم تحدث فيها الاكتشافات الهامة تحولاً كبيراً . فالمرحل

البخاري مثلا يخفض ابداً لمبادئ القديمة نفسها ولكنه اصبح اكبر قياساً وأوفر انتاجاً ، وارتفع الصنف من ١٢ - ١٥ كيلوغراماً في الستينيات المربع الى ١٢٠ وحتى ١٧٥ ، وارتفعت الحرارة القصوى من ٢٥٠ - ٣٠٠ الى ٥٠٠ - ٥٢٥ . وقامت من جهة ثانية صلة وثقى بين الصناعات المستقلة نسبياً حتى ذلك التاريخ ، لا على الصعيد التجاري كب في السابق ، وفي الملاقى بين الميار والزبائن ، بل على صعيد الانتاج نفسه ، اذ ان الرقود قد اصبحت مادة اولية لعدد كبير من الصناعات ومصدر طاقة على السواء ، او ليست مصافي البترول بمعد اليوم مراكز صناعة كبرى تتركب فيها ، بفضل جمع الفوائد الناجمة عن الحرارة ، الجريئات المختلفة ، ابتداء من الحزم المضغوطة حتى انواع المطاط التركيبي ؟

وفي المناجم ريدت حفاقة العامل للاستخراجية والاتاحية باستخدام الطرائق الآلية ، وتنظيم وسائل التقنية في المنتج نفسه ، وشبكة خطوط مواصلات مع اجهزة السحب الكهربائي او بالهواء المضغوط ، وتوسيع الاروقة وقطر الآبار ، وبناء التجهيزات بالفولاذ والامنت المسلح فوق البشر ، وتحسين الآلة ، واستخدام مراوح ومضخات هوائية قوية ... كما ان الفحم الحجري حوّل الى غاز في مصانع كبرى تتيح توفير نقل الغاز الباهظ الاكلاف والاستفادة من المواد الناجمة عن التحويل . منذ السنة ١٩٣٠ وزّع الغاز في ريباتيا ، فوفرته منطقة الزور لشرة ملايين مستهلك ، وحدث الشيء نفسه في بلجيكا حيث وفرته ثلاثة مصانع بين « مون » وتوريب لمنطقة كبرى من البلاد ، وفي فرنسا حيث سدت محطة « دويل - مالبزون » مصانع صغرى كثيرة في المنطقة الباريسية .

عرفت بعض الصناعات نمواً كبيراً جداً ، كصناعة التبريد التي جددت منذ السنة ١٩٢٠ تجارة المواد الغذائية ، والتي لم تقتصر بعد اليوم على الشؤون الغذائية وعلى اطلاقه للبرادات المنزلية ، فقد شملت تبريد قاعات السينما وغرف العمليات ، وأجهزة تكييف الهواء ، ومصانع الافلام الفوتوغرافية ، والصناعات التي تحتاج الى استخدام الآزوت ، وسفر الآبار بتجليد القرية بنية الاستثناء عن المبادئ الخشبية الباهظة الاكلاف ... وبالت حياصة الكمبريا أهم مصدر للطاقة ، فحققت تقدماً مشهوداً نادراً ، وتقدمت معها الصناعات الكيميائية التي يبدو انها ستصبح اولى صناعات الحضارة المعاصرة بفضلها لها نشاطات اساسية أقدم عهداً : المناجم ، الانسجة ، المطاط ، الصبر ، وحتى الزراعة ، بواسطة الأسمدة ، لانها تنسرف أكثر على الخامات التي تستخدمها كافة هذه النشاطات . وهي قد وضعت نطاقها توسيماً كبيراً في حل التركيب والمنتجات البديلة بصورة خاصة ، فحققت في بعض الاحيان ثورات حقيقية كانت امكاساتها عميقة جداً على حياة الانسان اليومية .

نشأت في القرن العشرين مع انتاج المواد التالونية والمطور والمواد
الصناعية التركيبية
الصيدلية انطلاقاً من الهيدروكربون ، ثم جرت في اطلاقها الصناعة
الكيميائية المعدنية القديمة . وبعد السنة ١٩٣٠ ، عززت الابحاث والصناعات التركيبية ،

ولاً سيما على ايدي الالمان الذين حققوا تقدماً كبيراً في هذا المجال منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وعلى ايدي انكلترا والولايات المتحدة اللتين انتقلت فيها طرائق لوروية كثيرة الى الصنعة الصناعي : كصناعة المطاط التركيبي ، واغراض الصابون المختلفة ... وقد تحققت للمواد التلونية المختلفة منذ السنة ١٩٠٠ بفضل المواد التلونية المناهزة المنة عدداً التي كانت تنتج في ذلك التاريخ . والمجتهت الابحاث الى ضمان ثبات الالوان ومطابقتها للمسوجات التركيبية الجديدة : بيلون ، برفون ، ووفيل ، اورلون ، التي استلزمت الواناً جديدة .

تحققت المطور التركيبية في المختبر في اوائل القرن ، ثم بلغت مرحلة الانتاج الصناعي ، وحلت محل مواد التجميل القديمة الدمنية المنشأ مواد اخرى عضوية المنشأ (ارز) ، كالورفولين ، وحلت محل النثرات النشوية قرائن كيميائية المنشأ (سيارات الزنك واوكسيد التيتان) .

الا ان اهم تطور هو ذلك الذي طرأ على الصناعة الصيدلانية (في ١٩٥٠ : ١٨٠٢ طلب تأخير في فرنسا وحدها) . فقد ظهرت كميات كبرى من العلاجات الجديدة التركيبية مريبات الاحساس (اثير ، بنج) ، مزيلات الشعور بالآلم ، محدرات (مورفين) ، منومات ، مسكنات الالصاب ، مزيلات الحرارة (اسبرين) ، مطهرات ومزيلات العفونة (فينول ، مركوروكروم) . ادوية تركيبية لمكافحة الجرثيم (اكثر من ١٢٠ في السنة ١٩٥٠) ، واذغبراً عبيدات حشرات تركيبية كثيرة كالد ، د ، د ، ت . وظهرت كذلك منتجات تركيبية على جانب كبير من الاهمية : الفشادر الذي انتج بحسب طريقة هابر - بوش منذ السنة ١٩١٣ ، النولة التركيبية (التي تستخدم في الزحاج الممتنع الكسر ، ايضاً) ، والمبتانول (انتج في السنة ١٩٢٣ مركباً من اوكسيد الكريوت والميدروجين) الكثير الاستعمال في الصناعة ، والبزين التركيبي الذي انتج بتكرير الفحم الحجري والحشب المتعجم والقار .

هذه هي الصناعة التي غير القرن العشرين بسبب غوها الحديث المدهش
المواد المعيشية
وارتباطها الوثيق بالبحث العلمي النظري . فمن هنا اصنام مواد تركيبية تحمل على المواد الاولية الطبيعية وقد تفضلها نوعية . ومنذ تحقيق السلوبيد في السنة ١٩٦٣ ، ثم الفاللايت المصنوعة من العورمول وكازيين الحليب ، والباكليت (وقد حلت اسم مستكرها ، باكلند ، في السنة ١٩٣٦) ، ارتفع عددها ارتفاعاً كبيراً حتى غامر الالف . وهي قابلة الاغراق في القوالب والتلوي وتقبل لاشكال لمعوجة ، وقد صممت بصورة خاصة في البلدان الفنية بالمعجم الحجري والكهرباء (التي توفر الطاقة) ، اي في الولايات المتحدة وانكلترا ومانيا وفرنسا وابطاليا والاتحاد السوفياتي ، وحيث لوحد شركات قوية باستطاعتها توفير اموال طائلة في الابحاث التحقيقية (ا ج هارين ، التي تنتج ال د بونا ، ديسون دي غور ، التي تنتج التيلون ، و د رون - بونك ، التي تنتج اسيتات السلولور ...) . وسواء كانت المواد حيوية المنشأ (كازيين الحليب) ، ام نباتية منشأ (القطن والحشب اللذان تصنع منهما السلولوز) ، ام معدنية المنشأ (بانضاج الفحم الحجري للحرارة ، وتكرير القار او البترول لانتاج الاثيلين

بتكرير ايدروجين السائل على مراحل ، حصل بطريقة التحليل بالمجهر الكهربي على لمساء
الثقل الضروري لولد الطاقة الذري . واتاحت الطريقة نفسها انتاج الكور والنيوكوربت
وخصوصاً الكورات والبركورات المستخدمة في المتفجرات .

الصناعات المعدنية تطورت هذه الصناعات نحو انتاج معادن اكثر نقاوة يوماً بعد يوم ،
وتوصلت مثلاً - بواسطة مصعدات من رصاص وسهايط من الومينيوم
محض - الى تحقيق وزنك تحليلي لجاور نقاوة ٩٩,٩٩٪ . فقد توجب اكتشاف تقنيات جديدة
بقية تحقيق معادن مرجية تصف بنصائص آلية وفيزيائية - كيميائية معينة : معادن مزجية
خفيفة جداً (مغنيزيوم وزنك وزركونيوم) معدة لمركات الطائرة تصف بمقاومة آلية كبرى ؛
انواع فولاذ خاصة تنتج بيزج الحديد بالنيكل ، او الكروم ، او الكوبالت ، او التوفستين ،
او المولبدن ، او الفاناديوم ، لا تصدأ ، وتقارم التأكل ؛ اعداد معادن قادرة خالصة اعداداً
صناعياً .

اما التقنيات المكتسبة سابقاً كالصهر ، والتحويل ، والمعادن غير الحديدية ، فقد قام تحسينها
باستخدام المزيد من الآلات ورفع الانتاج ؛ زادت قياسات المصاهر والافران الكهربائية زيادة
كبيرة ، كما زادت قياسات لهولات والمراحل . احسن انتاج الوقود المعدني . لم ينقل المسدن
السائل بعد اليوم الا بالانابيب او الهواء المضغوط ، وزادت قياسات اجهزة التحويل ، وبرز
الجماء عام نحو الحركة الميكانيكية .

تناولت التقنيات صناعة الفولاذ ايضاً : اسالة غير منقطعة للفولاذ ، تصحيح غير منقطع
للمطائل ، مكابس التطريق ثبلن ٢٠٠٠ طن وتحمل عمل المطارق المائلة . وكانت التفاصيل
الكيميائية في المعادن السائلة ، اي المرتفعة الحرارة ، وتوازنها حين تكون جامدة ، موضوع
دروس معتبرة اتاحت معرفة تركيب المعادن معرفة أفضل . وقد استخدم علم المعادن لهذه الغاية
كسر اشعة X الذي اكتشفه « فون لور » والكسر الالكتروني الذي اكتشفه دافيسون وجرمو
في السنة ١٩٢٧ . وتحسنت النتائج بعد ذلك بفضل كسر جزئيات الذرة الخالية من الشحنة
الكهربائية . وبفضل المحول الذري والمولد الذري (غيراً) ، اناح الاشعاع الاصطناعي كشف
الاجسام الغريبة في المعادن ، التي لم تتوصل الطرائق الكيميائية او المطباقية الى تعيين كيمتها .

من مميزات التقنية المصرية كذلك استمرار زيادة سرعة وسائل النقل .
وقد تحققت هذه النتيجة ، هنا ايضاً ، بفضل تعاون وثيق بين العلم
والتقنية الصناعية ، وادخلت على الحياة اليومية تغييرات عميقة . فان
حلاً جديداً ، هو علم دروس الظواهر التي ترافق حركة الاجسام في الهواء ، ييسر ، من اجل
خدمة كافة وسائل النقل ، عن احدى الاحتياطات والاشكال للحد من مقاومة الهواء للحركة .
وقد استفاد من تقدم طاقة المحركات وانتاجها ، فائز تحقيق سرعة ما كانت لتدخل ببال احد
منذ نصف قرن . فان سرعة السيارة القصرى التي بلغت ٢١٢ كلم في السنة ١٩١١ و ٢٢٩ في

السنة ١٩٢٣ ، قد بلغت ٦٣٥ كلم في الساعة في السنة ١٩٤٧ . وهي لقاعة الآلة البخارية ولا سيما لقاعة القاطرة الكهربائية ما اتاحتها القطار بنوع سرعة ١٠٣ كلم في الساعة في السنة ١٩٣٢ وسرعة ٣٣١ كلم في الساعة في السنة ١٩٥٥ ، في حين ان وزن القطورات قد ارتفع ارتفاعاً كبيراً .

الا ان الطيران هو ما عرف اعظم تقدم : ٢٤٧ كلم في السنة ١٩١٩ ، و ٣٣٠ منذ السنة ١٩٢١ ، و ٤٠٠ كلم في السنة ١٩٢٣ ، و ٤٤٨ كلم في السنة ١٩٢٤ ، و ٥٤٨ كلم في السنة ١٩٣١ ، و ٧٠٩ بطائرة مائية في السنة ١٩٣٤ ، و ٧٥٥ بطائرة من طراز مسر شبيدت في السنة ١٩٣٩ . وقد تحققت هذه النتائج بزيادة قوة المحركات ، من ٣٠٠ حصان بحاري في السنة ١٩١٩ الى ٤٦٣ في السنة ١٩٢٣ ، و ٦٠٠ في السنة ١٩٢٤ ، ثم ١٠٠٠ . وفي الوقت نفسه اقبل مدى الطيران بفضل ارياد طاقة المحركات على تحمل الحرارة والتزود بالوقود في الجو (منذ السنة ١٩٣٠) ، وارتفعت ارقام الارتفاع القياسية من ٣٠٠٠ متر في السنة ١٩١٩ الى ١١٠٠٠ في السنة ١٩٢٠ ، و ١٧٠٠٠ في السنة ١٩٣٠ .

وهكذا امكن تحقيق رحلات جوية بين القارات المختلفة بين الارض الجديدة والاسود ، ثم بين الارض الجديدة وبريطانيا العظمى ، منذ شهر ايار ١٩١٩ ، بين لشبونه وري دي جانير و في السنة ١٩٢٢ . وفي السنة ١٩٢٧ اشيراً ، احتاز لندبرخ الاطلسي الشبالي بين نيويورك وباريس في ٣٥ ساعة على طائرة قوة محركها ٢٢٠ حصاناً . وفي السنة ١٩٢٨ ، احتازت الاطلسي الشبالي من الشرق الى الغرب ، في ٣٦ ساعة ، طائرة من طراز جونكر . ولكررت بعد ذلك الرحلات الجوية عبر الاطلسي . في السنة ١٩٣٨ اجتازت طائرة المانية المسافة بين برلين ونيويورك نهائياً وإياباً . وفي السنة ١٩٣٤ ، قطعت لمسافة بين سان فرانسيسكو وهونولولو . وفي السنة ١٩٣٦ تحققت الجولة حول العالم في أربعة ايام . وارتفعت ارقام الطيران القياسية فوق السحاب والقدرات من ٢٠٠٠ كلم في السنة ١٩٢٠ الى ٥٣٩٦ في السنة ١٩٢٦ ، و ٧٩٠٠ في السنة ١٩٣٠ ، و ١٠٠٠٠ في السنة ١٩٣٥ .

حين تقدمت الراحة والسلامة متوازيتين ، أتاح تماظم حجم الطائرات واستخدام معادن أقل ورفقاً وأكثر مقاومة يوماً بعد يوم ، استعمال الطائرة للفسيات التجارية استعمالاً متزايداً . فبعد ان استعملت لنقل البريد ، استعملت لنقل السلع والمسافرين . وأنشئت خطوط منتظمة بين لندن الكبرى . ١٩١٩ : لندن - باريس . ١٩٢٠ : تولوز - كازابلانكا . ومنذ السنة ١٩٣٦ ، نقل ٤٢٠ ٠٠٠ مسافر و ٤٠٠٠ طن من البريد عن طريق الجو الى الولايات المتحدة .

ان البحث عن مزيد من السرعة حمل صانعي الطائرات على التفكير بالدفع العكسي الى الامام الذي يعني عن مروحة لم يعد من مجال لمعين انتاجها . ومنذ السنة ١٩٢٦ أحكم محرك ينفت عاراً خارق السرعة ويدفع بالطائرة عكسياً الى الامام بواسطة هتفسة غازية ومروحة ، ولكن الطائرة لتفالة الاولى التي استخدمت محركاً يدفع بالطائرة عكسياً الى الامام بواسطة

عتقة عازية دون مروحة ، قد صنعت في السنة ١٩٣٩ ، وكانت من طراز هسكل . وفي السنة ١٩٤٠ استخدم الامكليير محرك الدفع المكسي « هوتيل » . وعند السنة ١٩٤٣ توفرت لأسلحة الطيران المتجارية كلها طائرات مقاتلة . ثم ظهرت محركات الدفع المكسي (١٩٤٩) . لم تتركز الى نظرية الاسبوب التي وصفا رديه لويس مد السنة ١٩١٣ وتمتج « وفيه له دوك » شهادة باستنهاها في السنة ١٩٣٦ . فانه بفضل ساعته وخلته يتيح بلوح سرعة تتراوح بين ٢٠٠ و ٤٠٠ كلم في الساعة ، اي سرعة تقارب السرعة الصوتية (بين ٩٠٠ و ١٤٠٠ كلم في الساعة) وتجاوزها (اكثر من ١١٠٠ كلم في الساعة) . وقد تحققت بالفعل سرعة تليح اختراق « حدار الصوت » (١٢٢٧ كلم في الساعة في السنة ١٩٥٢) ، وفي السنة ١٩٥٣ حطقت طائرة اختبارية اميركية ارضيت على ارتفاع كبير جداً سرعة ٢١٣٥ كلم في الساعة . وبلغ « شارون حاصر » سرعة ٢٦٠٠ كلم في الساعة على طائرة من طراز « بل ١ X » ، بينما تجاوزت طائرة اخرى من طراز بل ٢ X ارتفاع ٣٨٠٠٠ متر . وأتاحت سرعة الـ ٧٠٠ كلم التجارية ، بواسطة الحكومت ١ التي تنقل رهاء ٤٠ مسافراً ، قطع المسافة بين لندن وحوكيو في ٣٦ ساعة ، وبين نيويورك ولندن في أقل من ٨ ساعات في السنة ١٩٥٦ ، وبين لندن وكندا في ١٩ ساعة ، وبين لندن والرأس في ١٢ ساعة و ٣١ دقيقة ، بمعدل ٧٨٢ كلم ، في السنة ١٩٥٣ ، وقطعت الـ T. U. ١٠٤ السوفياتية في ٣ ساعات ونصف الساعة المسافة بين موسكو وباريس بمعدل ٨٠٠ كلم في الساعة وحطت على مسافة ٧٠٠ متر (١٩٥٦) ، وفي السنة ١٩٥٨ اختبراً ، قطعت الحكومت ٤ المسافة بين لندن والقاهرة (٣٥٢٠ كلم) في ٤ ساعات ونصف الساعة . وفي السنة ١٩٥٣ انتهى عبر القطب خط جوي بين « موسكو وحوكيو » على مسافة ١٢٠٠٠ كلم اضفى الى توفير ٥٠٠٠ كلم بالنسبة للخطوط العادية . فقد ابرز الطيران الذي تجاوزت سرعته سرعة الصوت الاممية القصوى للمناطق القطبية . فمبها تمر الخطوط الدائرية المباشرة التي تؤمن مواصلات سريعة بين أهم مراكز الحضارة المعاصرة ، الموجودة في اميركا الشمالية واوراسيا الشمالية الى الشمال من خط العرض الاربعين . وقد استتبع تحقيق هذه السرعة الكبرى تحويلاً اماً في شكل الطائرة التي بات جسمها اصغر حجماً يوماً بعد يوم ، ونقل جناحها اكثر فأكثر باتجاه المؤخرة وأعطيت شكل السهم وحتى شكل الثاثل (جسمه بشكل الدلتا) . وهكذا مهدت الطريق لولادة علم الطيران عبر الفضاء بواسطة الصواريخ كالم « سيوتيك » السوفياتي (٣) والـ « اكسبور » الاميركي ، فقد بلغ السيوتيك الاول ارتفاع ٩٤٧ كلم ولم يسط الا بمس ٩٢ يوماً ، اما الثالث الذي كان وزنه ١٣٢٧ كيلوغراماً ، فقد بلغ ارتفاع ١٨٨٠ كلم ، كما ان « السفينة القمر » (٤٥٤٠ كيلوغراماً) التي اطلقت في ايار ١٩٦٠ ، وارسال صاروخ ، بمس ذلك بقليل ، ين ٢١٠٠ كيلوغرام ، ويحمل حيوانات يمكنه احادتها الى نقطة معينة ، قد حلا مسألة العودة الى الارض ومهد الطريق لرحلات بشر الى الفضاء قام بأولها السوفياتي خاغارين في شهر نيسان ١٩٦١ ، فكانت رحلته فائحة سلسلة من الرحلات (١٧ بتاريخ كانون الاول

(١٩٦٥) المتزاعدة الطول مرة بعد اخرى التي قام بها رجلان وحتى ثلاثة رجال في اجهزة مرتقمة الارتفاعاً مطرداً (حتى ١٤ طناً) قادرون على تغيير مدارها وعلى الخروج منها في الفضاء . وكان آخر طيران اثار المزيد من الاهتمام طيران الاميركيين وولتر شيرا وطوماس ستافورد اللذين اقلبا في « جيمي ٤ » حتى مقربين او ثلاثة امتار من الكبسولة « جيمي ٧ » التي كان فرائك يورمن وحومز نوول يدوران فيها حول الارض منذ اثني عشر يوماً .

عصمة المارة المعاصرة
لحل الحرج على الافادة من التقنيات والمواد الجديدة واستحداث
اطار حياء للبشر حاسماً للظروف التي أرغمتهم الحضارة
المعاصرة على العيش فيها ، تجل تجلياً عظيماً في حقل هندسة المارة . فالمطوب من التنظيم المدني
المعاصر إعادة الانسان الى الطبيعة ، والسباح لابر المدينة بالتمتع من المدينة العادمة
الانسانية والحصول في « المدينة المشعة » على خير اوزان وظروف مريحة . لذلك يجب
ان تضم عدداً من الاحياء يتألف كل منها من عدد معين من « الكتل » المنبئة بشكل صليب
و « Y » بغية توفير المزيد من الهواء والور للساكن ، يلغى فيها طبعاً كل فناء داخلي . ويفضل
ارتفاع البناء ، يمكن الاحتفاظ بمساحات كبرى غير مبنية - $\frac{1}{2}$ المساحة العامة - نشأ فيها
الساحات والملاعب الرياضية ، النج . ونشأ ، في كل مجموعة « كتل » ، المدارس والمنتديات
وقاعات الاجتماع الكبرى والمحلات التجارية ، النج . اما موصي هذه الآراء فهو « كوربوزيه »
الذي نشط فلانده ، انشاء الحوب ، في اميركا الجنوبية (اوسكار نيبار بنى جامعة ريو ،
وخصوصاً العاصمة الجديدة برازيليا) ، ومنذ السنة ١٩٤٥ في اوروبا (قصر اوليفي في ميلانو ،
١٩٥٤) . وادب خير تحقيق مميز لافكاره هو ، بالإضافة الى قصر العدل في شنديفار ، في
البنجاب (١٩٥٦) ، كنيسة « نوردام - له - هو » في « روفشان » ، وبناء يضم ١٦ دوراً في
مرسيليا ، عدد لا يراه ١٦٠٠ نسمة بحسب مبدأ « الوحدة السكنية » ، حيث تطل المساكن
المصونة من اصداء الاصوات والضجة على البحر والحمل وتوفر فيها الشرفات الداخلية الواقعة
من الشمس ، والزجاج المزدوج ، والهواء المكيف . والخدمات المشتركة المعدة لتسهيل معيشة
الساكن . محازن التمرين ، والملاعب الهوائية للاطفال ، والملاعب ، والمعدة الجماعية ، ومركز
البرق والبريد والمخالف ، وغرف الاصدقاء التي تؤلف الفندق ، النج .

ساعدت حاجات الانهاض الكبرى على تصنيع البناء ، وتقدم فتاج اجره البناء الجاهزة :
قبات المصنع ينتج الجدران والسقوف والجهات والاسلام ، وأدخلت قساطل المصنع والتدفئة
المركبة في الاجزاء الجاهزة عند صنعها . ولم يتذاف هذا الانتاج المسبق وتنوع الابنية وجمالها
كما يتضح ذلك من مجموعة الابنية المدرسية في مرفور شار ، حيث يتدفق تنسيق الابنية اتفاقاً
مدروساً والمنظر العام وطبيعة الارض . وفي جانب ادو د الجديدة التي تحققت في اوائل القرن .
الفرلاد ، والاصنعت المسلح (تذكر هنا لمحات « تري » و « جيو بونتي » ، ملعب فلامينيو في
روما ، قاعة المؤتمرات في الاوسكو في باريس) ، ولزجاج ، تقدمت مصنوعات المعينية

والأولمبيوم ، بناء شركة مونتيكاتيني في ميلانو ، ١٩٥١) والاختشاب اعمدة لوحات من للياف
او لوحات مضغوطة او مفرغة في قوالب تحمل عمل الاختشاب المنشورة

مكنسة وحركة دائية
اذن دخلت الآلة كافة فروع النشاط الانساني ، فالتساجيم استثمرت
آلياً اكثر فأكثر ستة بعد ستة ، والارض استصلحت بواسطة
الجرافات ، وصناعة الساء استغذمت الرافوش الآلية لحفر الاساس ، والسفن والشاحبات حملت
مواسطة الرافعات الآلية ، واحريت عمليات الحساب المقدة واعمال حفظ الاوراق في الادوات
بواسطة الآلات الالكترونية . لقد بانت قليلة العدد جداً الحرف التي تستلزم عملاً فردياً لا
يحتاج لي مكنسة .

نجم عن كل ذلك تطور عميق في ظروف عمل العمال وحتى في ظروف حياتهم . فان تقسيم
العمل داخل المصنع ، ومكنته بعد ذلك ، كانا قد افضية ، انه في الانتاج بالجملة ، الى تفكيك
العمل وتجزئته ، واسناده على هذا الشكل الى آلات بسيطة ، دقيقة ، تقوم طيلة ايام السنة
بالعملية نفسها ، وبديريها حمل يكلفون ضبط سيرها ويتحكمون من ثم تحكماً متتوفاً بنفسها .
ومن جهة ثانية كانت « الادارة العلمية » التي ادخلها المذهب التاييوري ، قد نظمت العمل الفردي
ومرضت بعض الحركات الخاصة ، بعض الايقاعات المحددة « علمياً » بعد دروس منظمة وقياسات
رمنية مدققة ، فأتاح بذلك زيادة انتاج الادوات واليد العاملة ، وفي المرحلة التالية ، جمعت هذه
الآلات المخصصة بعمل معين جماً متسلسلاً بحيث يقوم العامل ابداً بالعملية نفسها ، واتماً وفقاً
للتسق الذي تفرصة الآلة . فأنقض العمل لجزأها ايضاً الى « هباء من العمليات الاولى »
بحيث ان عاملاً يضع المسار اللولبي في مكانه وآخر يدخل فيه الحلاوة وآخر يثبت . اما في
المرحلة الحالية فتجميع هذه العمليات كلها بواسطة آلات دائية الحركة تعمل فيها عدة ادوات
في آن واحد دون تدخل العامل ، كما في حركة ذات اللوحنة لاسطوانية ، وخصوصاً « آلة -
الناقلة » التي تتيح اجراء عمليات مختلفة في القطعة نفسها ، بفضل انتقال القطعة انتقالاً ذاتياً من
مركز عمل الى آخر . هي مصنع « فاش » مثلاً ١٤ وحدة متسلسلة تقوم بـ ١٧٩ عملية (وتوفر
٨٠ ٪ من اليد العاملة) ، وفي مصانع فورد في « كليفلند » ، استطاع المدير ان يقول :
« مساكنا هي الوحيدة في العام التي لا تقس فيها يد انسان الرجل المعد لصنع القوالب ، عالم
يكن منه من قبيل الفضول » . لا بل ان الرقابة الالكترونية تصبغ اكثر شمولاً يوماً بعد يوم :
جبهة تراب ، دائياً ، دخول السوائل في الصناعات ، وسحاكة الصفائح المعدنية لدرجة من آلة
التصفيح ، واحيرة تصحيح ذاتي توقف الآلة في حال الخطأ ، لا بل تصحيح الخطأ ، وتضي
عن العامل الذي كان يراقب الآلة الذتية لحركة . وفي ولاية اوهايو اقليم قتلغ مساحته ٩٠٠٠
ميل مربع تزوده بالتيار الكهربائي تسعة معامل يؤمن انتاجها وتوزيع انياراً ثامياً آلياً جبار
واحد من طراز « جيداً » .

ويصبح القول بعنه في صناعة التسيوجيات حيث نرى الانوال العامة دائياً ، التي حلت محل

الانوال البسيطة الاولى التسوية ، تتغل عن مكانها ، بدورها ، للانوال المتصلة الذاتية الحركة كليا ، التي يتم فيها الافتتال والالتفاف في آن واحد ، والتي تتوقف آليا حين تنقطع اللعبة او السدى ، كما ان الآلات ، في اعمال التوضيب ، تنول الحساب ، والورن ، وإيداع السلع والصناديق ، والتعزيم ، الخ ، دون أية حاجة لعمل الانسان .

٢ - التلقينات الزراعية

ان ظروف الانتاج الزراعي ، على غرار ظروف الانتاج الصناعي ، آخذة بالتبدل تحت تأثير العلم المميق .

احدث الآلات والمركات ، بمواودة تقدم للصناعات الكيميائية وعلم الحياة ، آلات ومركات ثورة حقيقية في هذا الحقل كما في الحقول لاخرى . فقد ابتدأت هذه الثورة في القرن الثامن عشر ، وأخذت لتند بغطي واسعة منذ ثلاثين سنة بفضل محرك الانفجر الذي انقضى أهمية جر لحيواني ، والمحرك الكهربائي الذي وهرت مرونته واستخداماته المختلفة تعباً مضنياً وبدأ عامة كثيرة في اعمال المزرعة (قاطعات حذور ، معالف ومناهل آلية ، مقطعات قش ، راصعات أثكن ، أجيرة لدق الحبوب واختيارها ، ومحفيف الاعلاف ، والخلب بواسطة الكهرباء ، الخ) . وأصبحت الى الماريت والآلات الحاصدة ، وأمشاط تحفيف الاعشاب والآلات المطردة الالتسان التي تجمع السنايل وتدفنها حيث تجمعها ، آلات تجمع و عرابيس الذرة ، وتفرقها ، وتزرع البطاطا وتقلبها وتقلبها ونصمها في اكياس . وآلات اخرى تقتلع الشمندر وتظفه . واكتملت هذه الممكنة بظهور الحرارة التي اختلفت غاذجها باختلاف عديمة الارض والتربة ومساحات الاستثيرات . وهي الآلة - والطائرة احياناً - ما رزعت الاسمدة وفرت مواد المادة الحشرات ومكافحة الامراض الفطرية في الكروم والحدائق والحقول . والناحت الطائرة كذلك بسذر الحبوب في مساحات واسعة وفي وقت قصير جداً واستباح الامتداد الاصطناعية (شبر ، في السنة ١٩١٦) . ولحقن الآلة لم توفر كسباً في الوقت واقتصاداً في العمل المضي فحسب ، بل انتظاماً ومرونة في العمل ايضاً . كما مكنت من توسيع حقول المزروعات في البلدان الجديدة . فبين السنة ١٩٣٠ والسنة ١٩٥٠ ارتفع عدد الحرارة الى ثلاثة اضعافه في العالم في الولايات المتحدة ، ٥ ملايين مقابل مليون بين ١٩٣٠ و ١٩٤٠ . وفي بريطانيا العظمى ٤٠٠ ٠٠٠ مقابل ٢٠ ٠٠٠ في ١٩٣٠ و ٦٠ ٠٠٠ في ١٩٣٩ وفي المانيا الاتحادية ، ٣٠٠ ٠٠٠ مقابل ٢٠ ٠٠٠ في ١٩٣٩ . وفي تركيا ٤٠ ٠٠٠ مقابل ١٠٠٠ في ١٩٣٩ . وارتفع عدد الآلات الأخرى ، ولا سيما الآلات الحاصدة - الدارة ، ارتفاعاً كبيراً جداً ايضاً . وهكذا من معظم لاعمال الزراعية في البلدان التي اعتمدت الممكنة ، قد بدلت بواسطة آلات : ٩٥ ٪ من الحبوب في الولايات المتحدة لتجمع بواسطة الآلات الحاصدة - الدارة ، و ٩٠ ٪

الذرة الصفراء بواسطة القاطنات الآلية ، و $\frac{1}{4}$ القطن في بعض المناطق . وفي الولايات المتحدة كما في الاتحاد السوفياتي تزداد اليوم أعمال الحراثة بالجرارات . وفي ريلندا الجديدة تحلب بالآلة كافة الأبقار تقريباً .

الكيمياء الزراعية
وعلم الحياة
أصبح استخدام الاسمدة الكيميائية عاماً - تيارات الكلس ، سوبر فوسفات البوتاس ، الاسمدة المركبة ، يمزج البوتاس والفوسفور والأزوت بحسب حاجة التربة والنساج . وأصبح هاماً كذلك استخدام بعض المواد كالفنكيز والبور الذين يزيدان من مقاومة الأشجار المثمرة للبرد ، والزنك وأرسينات الرصاص الذين يستعملان بمرور الأثمار ، ومبيدات الحشرات الفعالة ، كالـ د. د. ت. ، التي تقى المزروعات وتيسر ، و تربية المواشي بقضائها على البعوض في مناطق واسعة من بورات المناطق الحارة . وهو علم الوراثة المصري ما أتاح الحصول على أنواع مختلفة من نباتات بسيطة جداً قادرة على الحياة بمعد أدنى من الحرارة وتور الشمس ، وعلى تحمل فصول أمطار قاسية جداً ، وعلى الإثمار في فصل صيف قصير جداً ، فسمحت بذلك زراعة مساحات شاسعة من الأراضي الشالية الباردة في كندا وروسيا وسبيري . وبفضل التهجين ، خلقت نباتات جديدة حقيقية ، وبعض الاخصاب الاصطناعي امكن الاكثار من أسال الفحل الواحد والحصول على انسال أوفر صعة .

النتائج الاقتصادية
لم تعتمد هذه الطرائق الحديثة على نطاق واسع الا في الولايات المتحدة وكندا والاتحاد السوفياتي وبعض مناطق أوروبا وأميركا وأستراليا ، ولا يزال أكثر من مليار فلاح يستخدمون الطرائق التقليدية . ولكن هذه التحسينات ، حبثا دخلت ، زادت الانتاجية وخفضت اليد العاملة الريفية ودفعت الى التخلي عن تنوع الاصناف المزروعة والاكتفاء بزراعة صنف واحد .

اذن ارتفعت الانتاجية ، قبلت انتاجية العامل الأميركي أكثر من ثلاثة أضعافها منذ السنة ١٩٣٠ ، وبلغت ضعفها في أستراليا ورييلندا الجديدة خلال ٣٠ سنة ، وبلغت نسبة ارتفاعها ٥٠ بالمائة في انكلترا منذ السنة ١٩٣٩ واتحدت اقتصاد يد عاملة وفيرة . وهو العامل اليدوي ، بصورة عامة ، ما اعنت عنه الآلة في بعض مناطق لاملاك الحثري ، جنوبي الولايات المتحدة ، الهند ، تركيا ، وم المزارعون والشركاء من ضرروا ، لأن استخدام العمال الأجوريين استخدموا مائتاً اقل كلفة . وتكون العامل الزراعي ، حبثا استعفي ، الى مستر آلات لا يحتاج الى خبرة زراعية كبرى كما في السابق ، وكاد لا يتميز عن عامل المصنع . وفي بلدان الاقتصاد الرأسمالي ، أصبحت الاستثمارات الصغرى اقل يراً أو دون يراء ، كلما سيطرت الآلة ، وغالباً ما تجتمعت الاستثمارات والأمالك لان ، الأمالك الكبرى وحدها تكون في وضع مؤات بالنسبة للآلة (د. هوشيه) ، فارتفع معدل مساحة المزرعة الأميركية من ٥٠ هكتاراً في السنة ١٨٩٠ الى ١٠٠ هكتار في السنة ١٩٥٥ . وإذا جات الفلاح غيراً اقل

تأثروا بالظروف الجوية وأقل عياء بعملهم ، وحتى إذا حدث أن لا يقيم بالقرب من استثماره ، فإنه بات أكثر تأثراً بالسوق ، الوطنية والدولية ، وذاق الأمرين من هواقب كافة الأزمات . وهو قد أمسى ، بفعل مشاهدته ، متمهداً أو قاحراً مضطراً لأن يخضع للتخطيط ، وإن يتخلى من ثم عن فرضته التقليدية .

زادت المكنتنة من ارتباط الزراعة بالصناعة والقطاعات الأخرى غير الصناعية في الاقتصاد التي توفر لها الجرار والوقود . واكسبت القطاع الزراعي مساحات واسعة خصصت من قبل للزراعات العطية الضرورية لحبوات الجبر ، وخصصت منذئذ للزراعات التجارية ، فارتفع من ثم الإنتاج الزراعي ، وانجزت الأعمال بمزيد من المرونة ، فانتاح ذلك ، طيلة أيام السنة ، استخدام الآلات وبدأ عامة غير عامة مسبباً وفي مناطق الحدود الأميركية الجنوبية الشرقية ، افاحت المكنتنة للزراعات المتنقلة ، أن يأتي بالآلة ويحاول عمل المائدة والبذر في الحريف ولا يعود إلا في الصيف التالي مع آتته الحاصدة - الدافعة بجمع الحصاد . وحسنت ظروف المعامل الزراعي الذي بات أقل عياء وأمللاً . فان استخدام الطاقة الآلية ، وكهربية الأرياف ، والحقاف ، والسيارة ، قد قلبت الحياة الريفية رأساً على عقب واسهمت في تقريب ظروف حياة الفلاح من ظروف حياة ابن المدينة .

على نقيض ذلك زادت المكنتنة من خطورة البؤس في البلدان غير النامية التي تنتشر فيها البطالة ولا يتوفر فيها العمل الزراعي طيلة أيام السنة لطافة الأعمال ، إذ أن العمال المحرومين بسببها من سبل العيش لم يجدوا عملاً لهم في المناطق الأخرى . فلم يستعد منهم سوى كبار الملاكين وكبار المزارعين ، القادرين وحدهم على اقتناء المعدات الجديدة ، وكانت النتيجة اتساع الفجوة بين لاثرياء والفقراء . وسوف يرى ذلك جيداً في الشرق الأوسط .

٣ - النتائج الاجتماعية

تطور ظروف العمل است زيادة الإيرادات ، التي باتت ممكنة بتطور تقنيات الإنتاج ، قد بدلت ظروف معيشة الإنسان المعاصر تدبلاً عميقاً في عمده وحياته اليومية على السواء .

حدثت الآلة من الجهد العضلي بتدبيرها الأعمال اليدوية الكبرى . و « حررت » من جهة ثانية ، كما سبق ورأينا ، شطراً كبيراً من اليد العاملة ، أي أنها خلقت ظروفًا مؤاتية لتخفيض عدد العمال (آلات اندائية الحركة في مصانع فورد تخفيض اليد العاملة العمالية بنسبة ٩٠٪ ومضاعفة الإنتاج) وعدد ساعات العمل في اليوم . ومن البديهي أن التقنيات العمالية سعت وراء فرض هذا الحل الأخير ، بالتفضيل على تخفيض عدد العمال تخفيضاً كبيراً ، أي على البطالة . فان اسبوع الستين ساعة ، الذي اعتمد اعتياداً شه شاملاً في الصناعة الأوروبية حوالي السنة ١٩٠٠ ،

مع بعض الاختلافات بحسب امين ، قد هبط الى ٤٨ ساعة في ١٩٢١ ، و ٤٠ ساعة في ١٩٣٧ كما هبط يوم عمل القاصر من ٧٤٥ ساعة في ١٩١٣ الى ٦٠٢٠ ساعة في ١٩٣٧ . ولا ان هذا الاتجاه توقف منذ السنة ١٩١٥ وغير محرك صاعدة بطيئة . ٤٤ ساعة في ١٩٤٤ ، و ٤٧ في ١٩٥٣ ، و ٤٦ في ١٩٥٧ ، و ٤٧ ، مرة أخرى في اواخر ١٩٦٣ . اما في الزراعة فيقدر ان ساعات عمل المستثمر قد انخفضت بنسبة ١٠٪ وساعات عمل الاجراء بنسبة ٢٥٪ . وان اخطار التسريح بالجملة ، التي انطوت عليها المكثنة ، حلت الثقافات المالية على ان قد تون في بر مجها المطالة بأسبوع الثلاثين ساعة .

في الوقت الذي ارتدت فيه لآلة هذه الأهمية لتتطوّر ، انقذت الكفاءات أيضاً . فلم يعد هناك ما يبرر العمل التخصصي . و نرى العمل يات متوجهاً بالآلة لا بالعامل وطراً من جهة ثانية تدن حقيقي من المهارة المهنية . فلا حاجة بعد اليوم لحرفي حبير قادر على ان يصنع أداة كاملة او يصلحها ، او واقف على حيل صناعية اكتسبها بمراولته المهنة واختصاره . هو ، او على « اسرار تقنية » ، قدت اليه من والده . فمن شأن بعض العمال اليدويين والمهنيين الاختصاصيين (دون اعداد مهني حقيقي) ان يقوموا بالعمل دون سواهم . وعند السنة ١٩٢٦ ممكن اطلاق ٨٥٪ من عمال مصانع هورد ، في اقل من اسبوعين ، على العمل الواجب تأديته ، و ٧٩ بالمائة منهم في اقل من ثمانية ايام . وفي مصانع الزجاج يُدرّب ٦٠ بالمائة من العمال خلال اسبوعين . وقد تدنى دور العمال بفعل بعض الآلات التي تقوم بأعمال كثيرة ، بصورة خاصة . لقد حدث ما يشبه تقطيع اوصال العمل تقطيعاً حقيقياً . فقد وضع العامل امام « اجهزة تتجه بحر الحلول محل نشاطه الشعبي » ، وحدثت مصادمة المهنيين من مصادمة حداثاً مطرداً ، ومكاتب الدروس فرضت عليه حركات ونسق عمله الذي لم يعد ليدرك مصاه ، لا بن يات يحمل المائدة التي يطلب اليه تحويلها .

كانت النتيجة الطبيعية المتوقعة لهذا التندب الدسمي في الاعمال اليدوية ، التي يقوم بها اليوم عمال يدويون مختلفون تخصصاً ، ظهور « طبقة جديدة من الصناعيين اليدويين » ، تألفت من العمال المكلفين صيانة واصلاح المعدات والادوات ، ومن اولئك الذين يسيرون لآلات الجديدة ويحكمون انتاج الامثلة الاولى والذين عرض فيهم تحصيل تقني كثر اقناعاً من ذي قبل . وكانت كذلك تمدة المكاتب التي استدرست عمل « الفنيين » ، مكاتب الشؤون القضائية ، والمالية ، والتجارية ، ومكاتب الدروس حيث يصمم المهندسون لمعدات ، ويعيدون الطرائق الصوابية التي تتيح الانتاج في افضل الظروف ، ويتمتعون بالمصوغات الجديدة في عمومهم . فهي الزراعة كما في الصناعة اصبحت استخدام الآلات من ثم الى رفع عدد الميكانيكيين والصالحين ، كما اصبحت الطابع العلمي الذي ارتدته الطرائق الى رفع عدد المختبرات والمحطات الاختبارية ، ولكن عددها اصبحت من ان يفيض من انخفاض اليد العاملة السابقة . اضاف الى ذلك ان التحسينات التقنية الجديدة قد رادت في تقسيم العمل وفي القطيعة بين منفذي العمل والمسؤولين ، الذين ستشتتوا مدد زمن

بمجرد واصبحا اليوم كاملين . وهكذا فان العامل قد وضع في بيئة جديدة ، متعمسة من بعض الأوجه ، إذ ان المصنع الداوي الذي للشانك فيه سيور نفسل الحركة ، وشكرك فيه حركة المبال حول آلات صاحبة ، يفسح المكان شيئاً شيئاً للمصنع الذي زالت منه الاحمال الثقيرة والسدي لا يظهر فيه سوى بعض فبين يراقون سير الآلات المنفردة في شبه خزائن معدنية .

ليس العامل وحده من عمل في الظروف الجديدة التي فرضت عليه الآلة فيها نظاماً صارماً جداً . فمستخدم المكتب كذلك قد « قسّد بدوام ملزم » ، والمجرب في « سباق غير منتظم في وسط جمهور يتسلط عليه الخوف من التأخر » (ج . فريدمان) وعمل في بيئة حولتها الآلة . ففي المكتب كما في المصنع حلت الآلة محل الكائن البشري : لقد قامت مقام دائرة استلام البريد وارساله الآلات لتفحص العلاقات وتردها ، والآلات تدخل الأوراق في العلاقات ، وتلصق العلاقات والطلبات . وباتت دائرة امانة السر ، وامين السر الخاص ، والمعالجون الضاربون على الآلة الكاتبة ، دونها فائدة فعمل جهاز تسجيل الصوت لاملأ البريد والجهد التلفرافي لتسجيل الاحرف مباشرة ، « واتحاد الضاربين على الآلة الكاتبة الذين لم يعودوا يتصلون اتصالاً مباشراً بواضع النص الواجب است كتابته اصف الى ذلك ان الآلات الالكترونية التي تحول الى تقويم المعلومات التي تولدها ستة مطروحة ، والحافظ الالكتروني الذي يصنف البطاقات المثقوبة على هذا الشكل في الترتيب المطلوب (١٩٦٠ في النقيطة ، بواسطة المصنعة « بوروز ») ، بينها تتولى آلات اخرى ، « تشمر » بهذه الثقوب ، اعادة نقلها الى احرف وارقام بواسطة جهاز للعرافي يطبع الاحرف ذاتياً ، والآلات الحاسبة ، والآلات الاحصائية ذات البطاقات المثقوبة والآلات الالكترونية القادرة على الحساب والتوفيق بسرعة يعمر عنها دماغ بشري ، قد بدلت ظروف عمل المكاتب والادارات كليا . واستخدمت شركة « ميشيمن سل للتلفون » آلات ذاتية الحركة لحساب المعايير تسجل اشراطها المثقوبة الجهار الطالب والجهاز المطلوب وأوانت بدء المخبرة وأوان انتهائها وتجمع هذه المعلومات لكل مشترك . وان الاشرطة المنطيسية التي كانت تسجل ، اي « نقرأ » او « نكتب » بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ حرف في الثانية في السنة ١٩٥٢ ، باتت تسجل اليوم ٢٠٠ ٠٠٠ حرف او رقم .

للتأثير الاجتماعي ان التنسيق الآلي اخذ في ترك نتائجه الاجتماعية وفي تطوير ظروف الحياة المهنية نفسها تطويراً عظيماً . فهو قد قرب ، بدور اي شك ، بين ظروف عمل العمال والمستخدمين ، ولكنه تسبب في إلغاء اشغال كثيرة . وقد انخفض عدد العمال الاختصاصيين والعمال اليدويين في التنظيم التقليدي ، في حال ان عدد الاشغال الجديدة التي ستزمتها الآلات اقل شأفاً الى حد بعيد من الاشغال الملقاة . رد على ذلك ان تحول العامل اليدوي الى مستخدم وفي مستحيل عملياً . وكان نقص المستخدمين في المكاتب اقل ظهوراً بسبب استخدام العديد من افراد الجنس اللطيف الذين كثيراً ما يتركون للحصول

بسبب الزواج والتقاعد المبكر والامومة . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان استلام عمل جديد في بعض النشاطات الاخرى اسهل من الا . اما الموظفون المتوسطون المكلفون اجراء الاحصاءات واعطاء المعلومات ، فقد بدء الدماغ الالكتروني منافسا رهيبا بالنسبة لهم لانه قادر ، في وقت قصير جداً ، على اعطاء معلومات اوفر عدداً الى حد بعيد مما يستطيع اعطاءه الدماغ البشري . وهي المصارف وشركات الضمان بصورة خاصة ، والمشاريع الصناعية الكبرى ، كما هو طبيعي ، ما استخدمت الاجهزة الالكترونية استخداماً واسعاً .

يجدر بما ان نصف الى خطر البطالة هذا ، الذي يهدد الولايات المتحدة منذ اليوم مجدداً دائماً ، زوال تسلسل الاحوار الذي كان معمولاً به من ذي قسبل . فان موظفي رقابة وصيانة الاجهزة الالكترونية الذين يتعاملون ، بالإضافة الى الخبرة ، بتقنيات تقنية واسعة وشاملة ، يتقاضون اجوراً مرتفعة ولكن ارقدهم كلفة لآلات يستلزم استحداثها دون انقطاع (يتناوب 3 او 4 فرقاء في الـ 24 ساعة) وتخطيط عمل دقيقاً (مما احدث تبديلاً هاماً بالنسبة لموظفي المكاتب الذين لم يألفوا العمل التسلسلي) ، وامام تدني اهمية العمل الفردي ، اخذت مكافأة المسؤولية تحمل شيئاً فشيئاً محل مكافأة الانتاج .

اوجبت نتائج انتشار التنسيق الآلي هذه - كما أبان ذلك جورج فريدمان - رقابة الانتاج واحصاءات اجهزة مطلقة ومكيفة ، اي « انت التنسيق الآلي والتخطيط بالاعراض » . اذ انت تقنيات التخطيط لا يمكن ان تكون ذات فاعلية ، لا بالجهود الى الاقتصاد الرياضي والآلات الالكترونية من أجل التقدير الاقتصادي المتنوع الاشكال (ب . مندريس - فرانس) .

تطور الحياة اليومية ليس من شك في ان تزايد انتاج المواد الزهيدة للكلفة والمدروسة درماً صواباً قد أتاح في بعض البلدان رفع مستوى الحياة المادية بنسبة كبرى : ففي الولايات المتحدة ، حيث قدر معدل أجر ساعة العامل بـ 8.05 كيلو حنطة في السنة 1910 ، و 22 في 1936 - 1939 ، اصبح هذا المعدل 20 في السنة 1946 . وكان هذا الارتفاع أقل بروزاً الى حد بعيد في فرنسا ، حيث يبعده ، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأجر حير الماشر (التحويلات المائتية ، الضمان الاجتماعي ...) ، ان الاجور الحقيقية التي يتقاضاها ارباب المائلات هي وحدها ما زادت منذ السنة 1918 ، بينما تدنت بعض الشيء أجور العمال المزائب . يضاف الى ذلك أن انتشار العمل النسائي قد اسهم في رفع مستوى المعيشة هيباً خففت تحسينات الفنون المنزلية ومكثنة العديد من الاعمال البهيلة من حياء عمل الامهات وألحقت تحقق رفاهية لم تكن معروفة منذ سنوات قليلة ، ولا سيما وقد زالت الخدمات الشخصية إلا بالنسبة لليسورين .

اذا كان العمل لا يستلزم اليوم الجهد الجسدي الذي استلزمه من ذي قبل ، فان توتر الاحصاء قد اصبح بالمقابل اشد منه في أي وقت مضى ، فان الآلة تفرض على من يخدمونها جهداً ثابتاً قد

يتعذر احتمالاً ببدل على كل حال الشعب الجسائي الموضوعي السابق بنسبة عامة معنية ربما كانت اسرع حدوثاً منها في السابق ولذلك فإن النسق الجسمي ، ليس تمييزاً للطبقة فحسب ، بل هو حقيقة راجعة في قلب الاحياء ، وربما حمت وصاة « المودة » الجسائية ، ولكنها بدلت بـ « عودية عقلية » مخلة : « الضعف العقلي » والانهيار العصبي ، وسرعة التأثر ، امراض عالياً ما يشعنها اعضاء العمل في العمال ، وغالباً ما أدى العمل المبالغ فيه احياناً الى تزايد عظيم في عدد الحوادث الخطيرة والاضطرابات العقلية (من ٣٠٪ في ١٩٣٥ الى ٣٪ في ١٩٥٥ في فرنسا) .

ان هذا العمل ، الذي يتسبب في تعب الاعصاب قد أصبح في الوقت نفسه عملاً لأنه خلوص أية فائدة عقلية أو نفسية ومقتصر على بعض العمليات البسيطة المتكررة ابدأ . وكما لاحظ ذلك ج . فريدمان ، شعر العامل بامتهان كرامته بفعل نظام بطاقات التعليلات وتقييده بالوقت ووجود المفتشين والمراقبين ، فقام بعمه مرعياً ، لا سيما وان التحصيل التقني العالي المطلوب لتولي مراكز القيادة أو التصميم يحور أكثر من أي وقت مضى دون ارتقائه الاجتماعي ، ونجم عن ذلك شعور « محرم » بحق مهني يستمتع بمشاكل مدينة ، يحاول الامساك الحربي لأن « حياته » ليست بعد اليوم في محله ، وهو يقوم بمحاولته هذه بتكوير اوقات فراغه لمشاكل مختلفة ، كالحمل في الحديقة والنشاط الفني والرياضة - الضرورية لاستعادة التوازن الجسائي المختل في المصنع ، والمرتبطة ارتباط وثيقاً بمدينة المصنع على الرغم من انفصالها بين سكان الأرياف - والسياحة والتلهي بالراديو والتلفزة أو السينما .

وفي الوقت نفسه يقاوم العامل نظاماً « يحول الكائنات البشرية الى مجرد آلات » . ومن أجل مقاومة هذا التنظيم الازمقي ، « ولأشعار التي تهدده بها المكسة ، والبطالة ، وانخفاض الاحوار النفسي ، بلعاً الى الاصرار ، ولا سيما الى انقاص انتاجه نقاصاً مقصوداً .

لا شك في ان طبقة اجراء الشركات الصناعية قد وجدت التعانيس الذي تثير به في اوائل القرن ، فان التمييز الذي نجم عن تطور التقنيات قد افضى الى تعدد فئات الاجور : أجور ذكور وأجور إناث ، أجور راجية وأجور صناعية ، قطاع عام وقطاع خاص ، أجور وحسين وأجور احاديث ، وستمعت الاختلافات بين المستخدمين والعمال اختلافات في الدول ومستوى المعيشة ، ووعياً طبقياً متماوفاً للتباينات الاجتماعية التي تقسم الممثل النقابي وقشله احياناً . ودا كانت نظرية افكار الطبقة العمالية « افكاراً مطلقاً لا يمكن التماها او تفهيمها بصورة عقلية » ، كما يعتقد « ف . سلييه » و « ا . تيانو » ، « الذان يميلان الى التباها » فان « الاعقار النسبي » واقع راجع .

خلاصة كانت « لآلة العديمة الشعور » موضوعها مفضلاً طرق العديد من كتابات وعلماء الاحلاق . فقد جعلت التقنيات الصناعية مسؤولة عن اطوار الحياة المعصرية وقسحها وزوال ككل هوى ودوق ، وفقدان « حرية » الفرد . ولكن هذه الانتقادات

يجب ان توجه لاستعمال الآلات لا الآلات نفسها ، كما كتب كارل ماركس ، ونظام انتاج
فوضوي ، لا الى التقنية كـ منتج فريدمان . فالتقدم للتقني وحسبه يمكن رجاء
تكمير الطبيعة بالنسبة للسان ، وتقدير الجدير السريعة التناسل ، وابتعاد اوقات الفراغ
والاموال التي تسمع ماديا بالتمتع بها ، واذا لم يستطع الجميع الاستعادة منها ، فليس هو سب
عدم الاستطاعة هذا ، بل نظام التوزيع .

الفصل الرابع

مسألة القرن العشرين الكبرى تغذية سكان يتزايدون تزايداً سريعاً

إن التقدم المعيشي الذي أحرزته العلوم والتقنيات والذي أوجزه في الفصول السابقة قد يسر ، منذ القرن التاسع عشر ، تزايداً عظيماً في حجم الثروات المنتجة في العالم وفي عدد السكان . وكانت إحدى نتائجها الأخرى تفاقم داء عدم المساواة : عدم مساواة بين الطبقات الاجتماعية وعدم مساواة بين الشعوب ، أقلية من الناس في كل أمة وأقلية من الشعوب في العالم تستفيدان من معظم هذه التحسينات ، بينما يعاني العدد الأكبر من اللؤس وحتى من المجاعة ، وغالباً ما يرق هذا التمييز بين شعوب « غنية » وشعوب « فقيرة » تميز هنصري أيضاً .

يتصنف نسق ارتفاع سكان الكرة الأرضية بمريد من السرعة . لقد قدروا بـ ٥٠٠ مليون تقريباً في منتصف القرن السابع عشر وبـ ٧٠٠ مليون في منتصف القرن التالي ، فكاد عدم يتضاعف بين ١٨٥٠ و ١٩٥١ ، منتقلاً من ١٢٠٠ مليون إلى ٢٣٦٠ . أي أن هذا العدد قد ارتفع إلى أكثر من أربعة أضعافه خلال ثلاثة قرون ، وزاد ٩٣ مليوناً في ١٩٦٢ ، وسوف يبلغ ٣٣٠٠ مليون حوالي السنة ٢٠٠٠ . ونسق الزيادة هذا هو نسق الزيادة في آسيا التي يقدر أن عدد سكانها ربما ارتفع من ٣٠٠ مليون إلى ١٢٨٣ مليوناً ، بينما يقدر أن عدد سكان أوروبا قد ارتفع إلى خمسة أضعافه ، وسجلت القارة الأميركية ، كما هو طبيعي ، أعظم زيادة إذ أن عدد سكان أميركا الشمالية ارتفع من ٦ ملايين تقريباً قبل قرنين إلى ٢٠٥ ملايين ، وارتفع عدد سكان أميركا الجنوبية إلى ٢٠٠ مليون . وقد اختلف معدل الزيادة اختلافاً كبيراً في الزمان والمكان ، وهو هذا الاختلاف وعدم السرعة في الزيادة في بعض أجزاء الكرة الأرضية ما خلخل التوازن السامي والاقتصادي في العالم وجملاً الأطر التقليدية لتفسيخ وتدهام .

إن أوروبا هي القارة التي بلغ عدد سكانها أعظم ارتفاع خلال القرن التاسع عشر ، ولكن

التسوية الديموغرافية
في القرب للشعوب

هذه الانطلاقة الديموغرافية قد حدثت تدريجياً ، كلما تحسنت ظروف المعيشة . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان انخفاض نسبة الوفيات قد سبق انخفاض نسبة الولادات وحدث ببطء ، فاقى هذا البطء وامتداد لتدرج الزيادة على فترة طويلة الى الحد سبباً من اختلال التوازن . اما اليوم فان جدوى مكافحة الموت قد خففت نسبة الوفيات تخليصاً بيناً وأفضت الى ارتفاع ملحوظ في عدد السكان القليلي التوالد وارتفاع كبير جداً في عدد السكان الكثيري التناسل ، وهو هذا التمدني في نسبة الوفيات ما يشكل الحدث الاساسي في أيامنا هذه وما يزيد سرعته من نتائجها . ان الثورة الديموغرافية ، التي امتدت على قرن كامل بالنسبة لتدني الوفيات ، قد تحسنت هنا في عقود محدودة ، (ل. شفاييه) ، وبينما كان الاتجاه من جهة ثانية ، في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، فهو انخفاض نسبة الوفيات ونسبة الولادات معاً ، فمثلاً سنة ١٩٤٠ ، وتحت تأثير التدمير الهادفة الى تشجيع العائلات والامن المعلق على استخدام ثابت وعلى بعض التغيير في الذمسية ، ارتفع معدل الولادات في بعض البلدان الأوروبية ولا يزال آخذاً في الارتفاع ، بينما لا يزال معدل الوفيات آخذاً في التمدني . الا ان المارق في حضارات القديمة الغربية الطراز ما زال قليلاً على الرغم من الارتفاع ، بينما هو يصبح اكبر فأكبر يوماً بعد يوم في البلدان ذات الحضارة البدائية التي انخفضت فيها نسبة الوفيات فجأة وبلغت فيها نسبة الولادات مرتفعة جداً . وهذه هي حال معظم البلدان المطارة في الشرق الأقصى . وحدث في بعض بلدان اميركا اللاتينية ومنطقة الكارييب وأفريقيا كذلك ، خلال سنوات قليلة ، تدن ملموس في معدل الوفيات بفضل اعتماد الطرائق المصرية في مكافحة الامراض (تطهير المياه ، اذوية مكافحة الجراثيم ، د.د.ت) . فان استعمال الدواء د.د.ت ، في صواحي جورجيتون في غويانا الاسكيزية مثلاً قد خفف نسبة الوفيات بين الاطفال من ٣٥٠ الى ٦٧ ٪ . خلال سنتين ، اي بين ١٩٤٧ و ١٩٤٩ . وهبط معدل الوفيات من ٢١٤ ٪ في ١٩٣٢ الى ٩ ٪ في ١٩٦١ في سيلان ، ومن ١٧٤٨ ٪ الى ٧٤١ ٪ في اليابان ، ومن ٢٥٢٢ ٪ الى ١١٤٩ ٪ في التشيلي ، ومن ٢٥٢٢ ٪ الى ١٦٧٧ ٪ في المكسيك ، ومن ١١٤٤ ٪ الى ٦١٧ ٪ في بورتوريكو ، الخ .

ارتفع عدد السكان من ثم ، في كافة بلدان أوروبا ، ارتفاعاً متشابهاً ، وغالباً على كل حال . فان أوروبا الحرة الغربية تسجل زيادة مليونين في السنة . وقد ارتفع عدد سكان بريطانيا العظمى ، بين ١٩٣٢ و ١٩٤٩ ، من ٤٦٣٠٠ ٠٠٠ الى ٥٠٤٠٠ ٠٠٠ . وعدد سكان بلجيكا من ٨ ١٠٠ ٠٠٠ الى ٨ ٦٠٠ ٠٠٠ . وارتفع عدد سكان هولندا وحدها ، حيث نجد أنه في نسبة وفيات وأعلى نسبة ولادات في أوروبا ، من ١٠٠ ٠٠٠ الى ١٠ ملايين . اما إيطاليا فقد ارتفع عدد سكانها بنسبة ١٢ ٪ ، ولكن سكانها « يطمبون في السن » : في السنة ١٩٥٠ بلغ اليافعون والمصابين ٥٤ ٪ . ويرتفع عدد سكان أوروبا الشرقية ارتفاعاً اكثر سرعة ، ويتميز السكان بنسبة كبرى من الشباب . اما سكان بعض البلدان كأمريكا الجنوبية وأستراليا وكندا والولايات المتحدة فقد ارتفع عددهم ارتفاعاً كبيراً ايضاً . فانتقلت الولايات المتحدة

من ٨٠٠ ٠٠٠ في ١٩٣٣ إلى ١٩٠ مليوناً في ١٩٦٣ . وتحفظ الدول الجديدة غير النامية الأخذة في التصنيع في أميركا اللاتينية ، واليابان ، بنسبة ولادات مرتفعة بينما تقترب نسبة الوفيات فيها منها في البلدان الأوروبية إلا أن اليابان قد توقفت (بركة الولادة) إلى تخفيض معدل الولادات من ١٠٤٩ ٪ في ١٩٥٠ إلى ٦٢٨ ٪ في ١٩٦٤ . أما البلدان التي يحدث فيها أعلى ارتفاع فهي البلدان الحارة في الشرق والشرق الأقصى : فقد ارتفع عدد سكان الهند (وبأفغانستان) من ٣٤٥ إلى ٤٣١ مليوناً ، وسكان مصر من ١٥ إلى ١٩ مليوناً وبلغ معدل الزيادة السنوية ٢٤٣ ٪ . وبلغ معدل الزيادة السنوية ٢٧٧ ٪ في سبيلان بعد القضاء على الملايا بواسطة الـ د.د.د. ، ويتميز سكان كافة البلدان غير النامية بالشباب ، إذ أن نسبة من هم دون الـ ١٥ سنة تبلغ ٤٠ بالمائة في مدغشقر واندونيسيا وماليزيا وروديزيا الجنوبية والجزائر الخ . بالرغم من نسبة الوفيات المرتفعة بين الأطفال .

كان من نتائج الحرب العالمية واكتشاف الأمراض والتجارب ذات
اطالة امد الحياة
الصحية اطالة معدل مد الحياة في البلدان المتطورة ، ومن
عدم المساواة أمام الموت
ثم اطالة امد الحياة « المتتجة » اطالة ذات قيمة . فإن اصل
الحياة عند الولادة الذي كان ٦١ سنة في كندا في ١٩٣٠ نقل إلى ٦٧ سنة في ١٩٤٩ . وانتقل
هذا الأمل في الولايات المتحدة من ٦٢ ٪ إلى ٦٨ ٪ بين البيض ومن ٥٠ ٪ إلى ٦٠ ٪ بين الملونين ، وفي اليابان من ٤٨ ٪ إلى ٥٧ ٪ وفي فرنسا من ٥٨ ٪ إلى ٦١ ٪ وفي
إيطاليا من ٥٤ ٪ إلى ٦٣ ٪ وفي هولندا من ٦١ ٪ إلى ٧٠ ٪ . وفي المملكة المتحدة
من ٦٠ ٪ إلى ٦٨ ٪ . ولكنه ما زال ٤٤ في مصر ، و ٣٣ في الهند ، ودون هذه المعدلات
إلى حد بعيد في الصين واندونيسيا كما رجح . ولكل ثلاثة أولاد من أصل أربعة يرون النور في
هولند الحظ في النيش حتى ٦٠ سنة ، بينما لا يتوفر هذا الحظ لواحد من أصل اثنين في الهند .
وهناك ٤٧ شخصاً من أصل ١٠٠ ٠٠٠ يموتون بالتدريج الرئوي في الولايات المتحدة ، و ٦٢
في بريطانيا العظمى ، و ٣٠٠ في الهند ، و ٤٥٠ في الصين واندونيسيا وهكذا فضلاً عن
البلدان النامية سكان « متقدمين في السن » فانخفاض نسبة الوفيات فيها ، بينما يزداد سكان
المنطقة الأخرى المخصصة « مبرداً » ويزداد في الوقت نفسه اختلال التوازن بين البلدان
المتنوعة بمسافة ديموغرافية كبرى ، وهي البلدان المتدنية الدخل جداً ، وبين « الأقلية المنقسم
عليها » التي يزداد سكانها ببطء أو لا يتزايدون السنة ، بين آسيا مثلاً التي لا تحصل سوى ١١ ٪
من الدخل العالمي مع أن سكانها يحدون ٥٠ بالمائة من سكان الكرة الأرضية ، وبين أميركا
الشمالية التي يبلغ سكانها ٧ بالمائة من سكان الكرة الأرضية وتقطع ٣٥ بالمائة من السطح
العالمي .

يلاحظ عدم المساواة أمام الموت بين الطبقات الاجتماعية وبين الشعوب على السواء . وانت
الفارق في نسبة الوفيات بين الأحياء اليسورة والأحياء الفقيرة في باريس يبلغ ٣٦ بالمائة ، ويبلغ

النسبة نفسها بين الحرف . ففي بريطانيا العظمى يبلغ معدل الوفيات ١١ / ١٠٠٠ بالآلاف بين العمال غير الاختصاصيين بينما هو لا يبلغ سوى ٢ / ٨ بالآلاف بين الموظفين المسؤولين عن هؤلاء العمال . ويبلغ ١٤ / ١٠٠٠ بالآلاف في الولايات المتحدة بين العمال غير الاختصاصيين و ٦ / ١٠٠٠ بالآلاف فقط بين مزاوي المهن الحرة . وإذا ما نظرنا في فرنسا إلى نسبة وفيات الأطفال بين شهر راتني عشر شهرا لرأينا أنها تبلغ ١٦ / ١٠٠٠ بالآلاف في عائلات المحاسبين ، و ٦٢ / ٣ في عائلات عمال الطرقات و ٩٦ / ٤ في عائلات عمال المناجم ، وتبلغ في نكلترا ٨ / ٢ بالآلاف بين أولاد اصحاب المهن الحرة و ٧٥ / ٤ بالآلاف بين أولاد العمال .

ظهرت أبحاث الـ « فار » (منظمة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة) نتائج هذا الوضع في سنل التنسية

ان ثلث الشر فقط كانوا يتصرفون في ٢٧٥٠ وحدة حرارية في اليوم وان نصفهم كانوا يتصرفون في أقل من ٢٢٥٠ وحدة ، وهو الحد الأدنى الذي يعتبره الفيزيولوجيون ضروريا للحفاظ على الصحة . وكان استهلاك البروتينات الحيوانية في اليوم يراوح بين ١٢ غراما في اليابان و ٦١ غراما في زيلندا الجديدة . وهي الدول المأهولة بالسكان البيض في اميركا الشمالية ، وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، والدول السكندنافية ، وألمانيا ، ما توقرت لها ، غداة الحرب ، تغذية معقولة وكافية ، وإنما لم يحظ ، حتى في بريطانيا العظمى ، ان استهلاك اللحوم والاسماك قد يراوح بين ١ و ٢ بحسب العائلات الاجتماعية ، وأن ٢٠٪ من السكان كانوا معتمدين على الفيتامينات والاملاح المعدنية . ثم جاءت الحرب تزيد من خطورة الوضع . فهي البلدان الخاضعة للاستعمار الألماني ، تسببت في ظهور المجاعة مرة أخرى والأمراض الناجمة عن المجاعة ، التي كانت قد آلت الى الزوال ، ثم تحسن الوضع تحسنا طفيفا مشابها ، ولكن هذا الوضع قد ازداد خطورة في كل مكان آخر ، لأن نتاج المواد الغذائية لم يواز قط ارتفاع عدد السكان . ولم يكن تقادم سيطرة الحاجة هذا سوى مناسبة لوهي آفة كانت قديمة في الواقع ، فلم تتمكن قد سوى أقلية ضئيلة من الشر من شبع حاجاتها الغذائية ، بينما عاش سكان الكرة الأرضية لآخرون حياة غير ثابتة على هامش سوء التغذية .

« يعيش ثلثا البشرية في حالة جوع دافئة » : ونادراً ما يقصد بذلك المجاعة بحصر سوء تلبية

معناها ، أي فقدان الغذاء أو الحاجة الكلية اليه ، فالذين يتسحبون بالخور وموت

العاقل ، بل « الجوع الخفي » بصورة خاصة ، أي الأمراض الناجمة عن نقص

بعض العناصر الضرورية لتوازن الفيزيولوجي في السكان البشري اعني به نقص الفيتامين D الذي يسبب «مخراة عند الطفل ولين العظام عند البالغ » ونقص الاملاح المعدنية ، والحديد والفوسفور والكالسيوم ، التي تلعب دوراً كبيراً في تركيب الهيكل العظمي ، ونقص البروتينات الذي يؤخر النمو ويضعف الجسم ، الخ . » ويفضي الى ظهور الأمراض التي ترافق النفاقة والشقاء : سوء شغوف قلبية العين ، داء الدرة ، داء الحفر .

وقد وضع « جوزيه دي كاسترو » بعد أبحاث دقيقة قام بها ، حدوداً مفصلة بـ « مناطق

الدم المتولد عن الديدان الطفيلية ، اللذان يصاب بها ٩٠ بالمائة من سكان لارياف وينقشرون بسبب استعمال السمك البشري ، وبضيقان اضرارها الى اضرار لأمراض الناجمة عن الحاجة واصرار الجماعات المتخلفة عن التمسك بالثقافة وهو سوء التغذية في الهند كذلك ما يسبب الطفيليات الرمية الكثيرة بين السكان قبل سن العشرين ، بحيث ان ٥٠ بالمائة من الهنود « يولدون ليتناولوا طعاماً غير كاف ويموتوا قبل بلوغ سن الانتاج » ، وما يترك السكان دون مقاومة أمام الاوبئة : تسببت الملة الواقعة في السنة ١٩١٨ ، بوقاة ١٥ - ٢٠ مليون شخص ، والجذعة في ١٩٤٢ و ١٩٤٣ ، بوقاة ملايين الضحايا ، وبين ١٠٠ و ٢٠٠ مليون هندي يصابون بالحمى الاجية ، وعشرات الملايين بالزحار والتدرن الرئوي والكوليرا والمرض الدوري . وسقى في اليابان ، حيث نجحت الزراعة الحديثة في زيادة الانتاج ، أقصى استخدام الأسمدة بكميات كبرى الى ملاشاة الجماعات ، ولكن نظام الاختباء ما زال دوسياً . تعاني أفريقيا من نقص بعضه : فإن الفلاح المصري وفلاح بلدان أفريقيا الشمالية ضحيتان للنقص الغذائي نفسه الذي يعانيه الافريقي الاسود . وقد بلغ من تهته عدد السكان ، بعد الحرب العالمية الاولى (٢٥ بالمائة في الكونغو البلجيكي) بسبب لمارس ولانقص الجديد ان الحاكم المسمى « كارد » هدى في افريقيا الاستوائية الفرنسية بـ « سياسة البطن الملآن » من اجل « الإستعمار من الزنوج » .

والحال كان من الواجب ان يرتفع الانتاج الغذائي بنسبة ٢ بالمائة في السنة كي لا يقل ارتفاع الانتاج دون الحاجات التي يخلقها النمو الديموغرافي ، والآن فهي سوف تتناقص أكثر فأكثر . وقد كتب احدهم في السنة ١٩٤٩ : « يجب ان يزداد الانتاج الزراعي منذ اليوم حتى ١٩٦٠ بنسبة ٩٠ بالمائة في كافة أنحاء العالم كي لا تسوء تغذية الشعب عن سعالها الخاضرة » .

يرتبط بسوء التغذية وجود الامراض الجذارية المعدية لأن « جغرافية الصحة السببية هي جغرافية الجوع والجهل ايضا » . فهو المرض الجلدي في المناطق الحارة ما يوجد الضعف والسم ، وهي الحمى الاجية ما تصيب ٣٠٠ مليون شخص في العالم كله ، يموت منهم ٣ ملايين في السنة ، وهناك خصوصاً بالهرسية المنتشرة في افريقيا والشرق الاوسط وأمريكا الجنوبية والصين ، وفقر الدم المتسبب عن دودة طفيلية ، والتدرن الرئوي الذي تفوق ضحاياه ضحايا الحمى الاجية والذي هو اوسع انتشاراً منها في العالم ، والتهاب الملتحمة (تراخوما) المنتشر في الهند والهند الصينية وافريقيا الشمالية ، والسفلس ، وامراض المعدة والامعاء كالزحار والكوليرا والحمى التيفية ، والامراض السامة عن اكل الفسفاة كـ « بريدي » ، وداء الذرة ، وداء الحفر ، والحراة والد كواشيوركور ...

لقد لاحظنا تكراراً في الصفحات السابقة ان الجوع والمرض تفاوت مستويات المعيشة
والجوع والامراض موزعة توزيعاً متفاوتاً جداً بين مختلف سكان العالم - وبين مختلف الطبقات الاجتماعية ايضاً .

فعل صعيد العلم ، لا نراجع آلاف الجمل البسط . احل لغسد نجحت بعض البلدان في تخفيض عدد الاميين من ابنائها تخفيضاً كبيراً ، ولا سيما في المدن ؛ ولكن اذا اختلف الى المدرسة الابتدائية ٨٠ - ١٠٠٪ من الاولاد في المملكة المتحدة والولايات المتحدة وهولندا وايرلندا وبلجيكا وزيلندا الجديدة ، فان النسبة تهبط الى ٦٠ - ٨٠ بالمائة في معظم بلدان أوروبا الوسطى والغربية واليابان ، والى ٤٠ - ٦٠ بالمائة في البرتغال والمكسيك ، والى ٢٥ - ٣٠ بالمائة في بلدان اميركا الجنوبية ، والى اقل من ٢٠ بالمائة في افريقيا والشرقين الاقصى والوسط ، وبالرغم من ان ارتفاع عدد التلامذة في كافة مستويات العلم هو احد مميزات العالم المعاصر ، فلا يزال هنالك مناطق شاسعة وسهائير صغيرة يخيم عليها الجهل .

اما بالنسبة لمستوى المعيشة على الصعيد المادي ، فهو دخل الفرد ما يوفر افضل قاعدة للتقدير . فان الدراسة التي قامت بها منظمة الامم المتحدة في ١٩٤٩ قد اظهرت ان ذلك ان معدل الدخل السنوي الفردي هو اقل من ٥٠ دولاراً بالنسبة لـ ٦٥٠ مليون نسمة من سكان الكرة الارضية ، وبين ٥٠ و ١٠٠ دولار بالنسبة لـ ٤٧٥ مليوناً ، وبين ١٠٠ و ٢٠٠ دولار بالنسبة لـ ٢٥٠ مليوناً ، وبين ٢٠٠ و ٤٠٠ دولار بالنسبة لـ ٣٩٥ مليوناً (ألمانيا ، الاتحاد السوفياتي ، ايطاليا ...) ، وبين ٤٠٠ و ٦٠٠ دولار بالنسبة لـ ٦٥ مليوناً (ايرلندا ، فرنسا ، بنلوكس ، النرويج) ، وبين ٦٠٠ و ٩٠٠ دولار بالنسبة لـ ١١٠ ملايين (الدانمارك ، المملكة المتحدة ، كندا ، ريلندا الجديدة ، السويد ، سويسرا) ، وكان هذا الدخل ١٤٧٦ دولاراً في الولايات المتحدة ، و ٨٧٠ دولاراً في كندا . وجلي ان هذه المعدلات لا تعطي سوى صورة ناقصة جداً عن مستويات المعيشة التي يحذر ايضاً عنها بدرس تورع الدخول في داخل كل بلاد على حدة . ولكنها ، على كل حال ، معدلات تجاور معدلات دخول الطبقات الفقيرة مجاوزة كبيرة جداً .

التباين كبير كذلك في مكافحة الامراض المعدية لأن فاعلية هذه المكافحة تابعة للتجهيز الطبي والصحي ، والحال يختلف هذا التجهيز اختلافاً كبيراً جداً . فان عسده الاطباء بالقصة للسكان متفاوت جداً . ١٠ مقابل ١٠٠٠ في الولايات المتحدة في ١٩٣٨ ، و ١ مقابل ٧٧٥ في ١٩٤٦ ، و ١ مقابل ٧٠٠ في ١٩٥٥ . في سويسرا ١ مقابل ١١٣٥ في ١٩٤٩ . في ألمانيا وفرنسا ، ١ مقابل ١٤٥٣ و ١٤٨٠ في ١٩٣٩ ، أما في بلونيا ١ مقابل ٣٠٢٠ في ١٩٤٧ . في مصر ١ مقابل ٤٥٠٠ . وهناك طبيب مقابل ٥ - ١٠ آلاف نسمة في افريقيا الشمالية وسيلان والعراق ... ، وطبيب مقابل ١٠ - ٥٠ ألفاً في الكونغو البلجيكي والبريق الاستوائية الفرنسية واليونان وبيجيريا وحينيا الجديدة والهند الصينية والاندونيسيا ... وان نسبة الممرضات والممرضين لأدنى من نسبة الاطباء ايضاً . ومن الطبيعي ان كثافة الاطباء ترتفع في المناطق الفنية (تقاروح في الولايات المتحدة بين ٤ ، اذا كان معدل الدخول في المنطقة ٦٠٠ دولار ، و ١ اذا كان هذا المعدل ادنى من ١٠٠ دولار) . اما عدد الأسرة في المستشفيات فهو ١ مقابل ٧٥ - ١٠٠

نسمة في البلدان المتطورة (بريطانيا العظمى ، فرنسا ، المانيا) ، ويحيط الى ١ مقال
٨٧٥ نسمة في مصر ، ومقابل ١٥٠٠ في تركيا ، ومقابل ٥٠٠٠ في الهند .

هنالك من ثم شرعتان ، او مجتمعتان يتقاسمان سكان الكرة الارضية على غير تساو . ففي
السنة ١٩٥٧ ، عاش ثلثا البشرية في بلدان لم يبلغ السبع القرومي . فيها ، على اساس عدد السكان ،
٣٥٠ دولار في السنة للشخص الواحد . وبالنسبة لـ ٦٨٪ من بينهم كان هذا الدخل أقل من ١٠٠
دولار . ولذلك كانت مستويات المعيشة متباينة جداً بين الدول الغنية (١/٤ سكان العالم غير
السريع في) التي تتوفر لها ثروات طائلة من المواد الأولية ، وصناعة قوية متقدمة تحولها الى
مواد استهلاكية ، وفنيون كثيرون ، وبين البلدان الفقيرة ، المكتظة بالسكان في أغلب الأحيان ،
المنفردة الى رؤوس الاموال والفتن . وتطابق خريطة هذه البلدان ، بالضبط ، خريطة مناطق
التخلف ، والامية ، والتوسع الديموغرافي السريع . ولا ينتج ثلثا السكان المتعلمين سوى ثلث
الانتاج الزراعي العالمي . احل ليس وجود السكان الفقراء بالشيء الجديد ، ولكن لانقر الحالي ،
كما يوضح ذلك ، ابع لاكوست ، ليس « متعادلاً » على عرار الفقر في الايام المارة ، حين كان عدد
الأمم ٢٥٠٠ . أما الشيء الجديد فهو ان فقر التخلف « يوافق احتلالاً تجميعياً في التعادل » : ان
ارتفاع عدد السكان الكبير والسريع لا يعادله ارتفاع الانتاج الزراعي العالمي . فمعد السنة
١٩٥٩ ، اذ كان معدل النمو الديموغرافي ١.٦٪ ومعدل الانتاج ١ بالمائة فقط ، برز اختلال
التعادل اكثر فاكثراً ، وبرر الفارق بين البلدان المصنعة والبلدان غير النامية ، وارتفاع عدد الجياع
ارتفاعاً لم يعرف قط من ذي قبل . ولذلك فان اختلال التوازن الداخلي الذي يسبب من ذلك ،
والهزات التي يجرها ، في داخل كل دولة ، سكان البلدان غير التناسية بين مستوى معيشتهم
ومستوى معيشة الأقلية المتأثرة ، تجعلهم يعون ان « السلطات المفرطة » التي يتمتع بها هؤلاء
المتأثرون ، من وطنيين وأجانب ، هي « العقبة الكبرى التي تحول دون انطلاقة اقتصادية حقيقية
والعائق الذي يمكن نزالته بأسرع وقت » (١ . لاكوست) . فالمسألة من ثم مسألة سياسية اولاً ،
لأن وسائل الجهاد حول لها متوفرة على الصعيد التقني .

مكالمة الجوع
لقد أثبتت نجاحات الموم والتفتت امكانية زيادة انتاج الاغذية والطاقة
زيادة تكاد تكون لا محدودة . فان تقنيات التخطيط ، التي اعتمدت في
روسيا اولاً ، ثم بات العمل بها شاملاً ، قد قدمت الدلائل على امكانية تنظيم البحث العلمي
تنظيماً فعالاً جداً - وقد اعطت الولايات المتحدة غير مثال على ذلك خلال الحرب الاخيرة
وبعداً - وتحقيق الاكتشافات التجريبية لتحقيقاً عملياً في وقت قصير جداً . فبات ممكناً من ثم ،
من الناحية التقنية ، تحسين مصير الانسانية وتغيير مثال الاناسيمومي لاستقرار الارض واستقرارها
وصواب ، وارادة رؤس البشر في ظروف لم يحلم بها احد من قبل . ووضع حد للاحطار التي امح
اليها ف د . روزفلت في برنامج الحربي : القضاء على الجوع ، واليأس ، والمرض .

امام سرعة تزايد السكان وقفت الامم المسيطرة يعزم الى جانب تحديد المثل : فكما ان

الطغاف الحاكمة رأيت مع « مالتوس » في أوائل القرن السابق ان تحديد النسل هو العلاج الوحيد لبؤس الطبقات الفقيرة ، كذلك نصحت هذه الامم بـ « رقابة الولادة » الى الشعوب الآسيوية غير النامية لتكاثره بسرعة ، فأقرتها اليابان ، والهند ، والصين (ربما مؤقتاً) اقراراً رسمياً . اما الموقف التفاضلي المناهض لتحديد النسل فقد دافعت عنه الادب الفوقية لموقفها التقليدي ، وكافة الملتزمين بأن الجوع مرده الى عوامل اقتصادية أكثر منها جغرافية وبأنه « يمكن موازنة كل ارتفاع في عدد السكان بتخليج اجتماعي مناسب » ، والفاثلين مع « حوزوبه دي كاسرو » ان « الجوع الجماعي ظاهرة اجتماعية للطابع ترد بصورة عامة الى سوء استخدام الامكانيات والموارد الطبيعية ولتوزيع المواد الاستهلاكية توزيعاً يرضى له » . فمن اصل الـ ٥٠٪ من مساحة الاراضي الصالحة للزراعة لا يستثمر اليوم سوى ١٠ بالمائة فقط ، وهناك مساحات كبرى يمكن من ثم استثمارها زراعياً . ولا تشجع التقنيات الزراعية المحككة زيادة انتاج الاراضي المستثمرة حالياً في المنطقة الممتدة فحسب ، بل استثمار اراض جديدة املت حتى هذا التاريخ لانها جديدة نسبياً ، كأراضي المناطق القريبة من القطب الشمالي وبرت آسيا الوسطى والاراضي الحارة في المناطق الحارة والاراضي التي محلت بفعل زراعة واحدة متكررة وغير صوبية . ومن شأن اديان الانواع النباتية الجديدة القوية جداً بالكالسيوم والفيتامينات ، التي درست مؤخراً في اميركا الوسطى والبرازيل ، واتناء عيد الاسماك (المحصور اليوم بنسبة ٩٨ بالمائة في نصف الكرة الشمالي) وترتيبها ، ان يزيدا كذلك كمية الاغذية المتوفرة ، كما ان من حقنا ارتقاء نتائج جلي من اكتشافات علم الحياة وتطبيقات الطاقة الذرية وقد تحقق منذ اليوم في المختبرات اعداد مواد حية بفضل الطاقة الضوئية ، وتعد منذ اليوم كذلك زراعة بعض انواع الاشنة البحرية الفنية بالبروتينيات والسكر القابل للتمثل ، التي من شأنها انتاج طاقة مرفعة وهذه حال الـ « كلوربلا » ، اشنة المياه العذبة ، التي قد توفّر زراعتها في احواض كبرى ٢٠ طنناً في الهكتار سنوياً ، وقد لا تستلزم المياه التي تستلزمها المزروعات المروية الكلاسيكية في البلدان القريبة من المناطق الحارة حيث تتعرض النباتات لاشعة الشمس المحرقة . ويوجد علم الوراثة انواعاً نباتية اشد تحملاً واسرع نموجاً ، وربما انواعاً جديدة ايضاً ، وتستعمل الاشعاعات الذرية تطورها وتغذي على الجراثيم والحشرات ، وهكذا يصبح بالامكان تجنب كل خوف من الجبهة لجنباً نهائياً .

يقال القول نفسه عن انتاج المواد الاستهلاكية الصناعية ، وفي الدرجة الاولى عن الطاقة التي هي شرط كل انتاج ضخم وكل ممكنة . فان بعض مصادر الطاقة لا تتجدد وينتظر استزائها في مواعيد قريبة ، كالنفط الحجري الذي يترجع امام تقدم البترول والكهرباء ، والبترول نفسه ، والغاز الطبيعي . ولكن الكهرباء ، التي تنتجها مصانع حرارية ومصانع مائية كهربائية ، هي منذ اليوم المصدر الرئيسي للطاقة المستخدمة بسبب مرونتها وسهول تطبيقها الواسع ، فان استهلاكها

ثروة الصناعية
الجديدة

يتضاعف كل عشر سنوات في البلدان الصناعية . ويواجه انتاجها بواسطة مصادر لا مذهب
 جميعها : المصانع التي تستخدم طاقة المد والجزر لمحركة (حيث ترفع المياه وتنخفض كثيراً
 فقط : مصب الـ « راس » ، « جون » ، « مون » ، « سان - ميشال ») ، وطاقة الريح الذي يسير
 بحركات ذات قطر كبير (محطة « بالاكافا » في القرم) ، وطاقة البراكين (كالدميات التي
 يسيرها في توسكانا) . يتصاعد من جوف الارض وتبلغ حرارته ٢٠٠ درجة مئوية) ،
 واستخدام الطاقة الشمسية القادرة على تحويل صحاري المناطق الحارة في مصادر عالية غنية
 بالطاقة (مصنع « دي آر ت » في ارمينيا مع مراحه الـ ١٢٩٣) ، وخصوصاً إنشاء المصانع
 الكهربائية الذرية . ولا يزال هناك لعمري مصادر أخرى تطرح حالياً كل خوف من الحاجة
 الى الطاقة . ان كميات الاورنيوم والتوريم الموجودة في العالم تسمح بالاعتقاد بأنها تمثل مصدر
 طاقة اعظم شأنها الى حد بعيد من احتياط البترول والنفط الحجري ، وبأنها لا محدودة عملياً .
 فبعد ثورة « لالة البخارية وثورة الكهرباء » يشكل استخدام الطاقة الذرية « اوراقات الآلية التي
 توفرها الاجهزة الالكترونية ثورة ثالثه نشاهد انطلاقها امام أعيننا . وقد أصبح استخدام
 هذه الطاقة منذ الآن متروكاً ووسماً ، وقد تحولت الى كبرياء واستعبد بها في دفع السفن
 والصناعات والقاطرات فقد أصبح قابلي التحقيق تقريباً ، واستخدامها للتدفئة كذلك . فان
 مولداً ذرياً ينتج ١٠٠ ٠٠٠ كيلووات في الساعة ، اي ما يكفي لاستهلاك مدينة تضم ١٠٠ ٠٠٠
 نسمة ، لن يستخدم سوى ١٥٠ كيلوواتاً من مركب الاورنيوم - ٢٣٥ الذي بالاورانيوم ،
 وان للفواصة « نوتيلوس » فقد قطعت مسافة ٣٥ ٠٠٠ ميل ولم يستهلك محرك الذري سوى
 ٦٠٠ غرام من الاورانيوم !

منذ اليوم احدث بعض آلات الجديدة الفائقة القوة تحدث ثورة في توزيع المراكم
 الصناعية جغرافياً . آلات تسوية الارض التي تقوم كل يوم بعمل الوب المبال كرافعات الانقاض
 التي تستخرج ١٥٠٠ متر مكعب في الساعة ، والرفوش الآلية التي تفزع ٦٠٠ متر مكعب في
 الوقت عينه ، والمثاقب الفولاذية الآلية القادرة على حفر اربعة قطعها اربعين متراً مربعاً ،
 والرافعات الآلية للقادرة على رفع كتل صخرية تزن ٦٠ طناً ، والمعدات الرافعة القادرة على
 رفع ٣٠ متراً مكعباً في الدقيقة ، والرفوش الكهربائية المرودة بالقواديس التي تستخرج ٣٥٠٠
 طن من المعدن غير الخاص في ثمان ساعات ، والدقالات الآلية ذات السيور التي جعلت الاسفار
 المنجمي من على وجه الارض أوفر انتاجاً من الاستخراج داخل الارض وسهلت بناء الخطوط
 الحديدية والطرق ، وأتاح الجر الكهربائي واخر بواسطة محركات ديول اختيار الصحاري
 بسهولة ، كما ان الطائرات ، والطائرات الشاحنة ، وأغنيب نقل البترول قد طورت ظروف
 النقل . وقد اتاحت كل هذه التحسينات امكانية استغلال موارد البلدان الناحية كالصعاري
 القطبية مثلاً . صاحب الحديد في « لابرادور » ، « مناسم » ، « برينس » ، « موارد
 المناطق الباردة السوفياتية » ، يتنا استخدام تجهيزات الانهر الاعرقية (مصنع آديا على

الخلاصة

« لا (في حركات الداعي الجماعية) ولا في عهد النظام الحر ، م يكن البشر أحراراً حقاً ... فالتفتة النظام الحر القصيرة جداً ، التي بلغت اليوم اسبوعاً ، لم تكسر يوماً ، حتى لاقية من سكان العالم ، سوى حرية قضائية ، نظرية في اغلب الأحيان ، زادت في كثير من الحالات من حدة الاقتتارات الاقتصادية » .

(م . لاروك)

ان نصف القرن هذا قد قلب نظام لمراتب بين القدرات والدول برصمه حداثاً لهيمنة أوروبا السياسية والاقتصادية إلا ان هذه الأخيرة ، ما زالت ، على الصعيد العالمي ، « مغلقة العالم » والمركز الرئيسي لانضاج الأفكار وأشكال الفن ، كما ان العلم الأوروبي ما زال يلعب دوراً أولياً في حقلي البحث والاكتشاف . فعملها الخلاق لم يستنزف قط ، وليس المراكز الجديدة التي تحاربها في السباق الأخرى من الكرة الأرضية ، سوى إبدائها وهو صلات نشاط . وما زالت هذه المراكز تستوحى وتقاس من طرائقها وتستعين ببعض عناصرها . يضاف الى ذلك ان الـ « أوروبا » ، الحرة والماركسية ، تنشران كتابهما مثل أوروبا للشأ . ومن نصف القرن هذا كذلك نظام الاقتصاد والمجتمعات نفسه ، وجدد مبادئ العلم والعن وطرح كافة المسائل تقريباً بمسارات جديدة ، وولدت بذلك في الأحياء التي بلغت سن الرشد بعد السنة ١٩٠٠ شعوراً تاماً بعدم الأطمئنان وقرب نهاية العالم غير منه المديد من لاهاء ورجال للثورة المعاصرين في تصريحاتهم الثاشاوية .

لقد نزلت بالنظام الاقتصادي القديم أصرار حسيمة وفقدت الرأسمالية من حبة ثانية حرماً كبيراً من الكرة الأرضية ، واكثر من ثلث سكانها الذين انضموا الى الكتلة الشيوعية . حيث لم يعد الانتاج حاصلاً لسنة الكسب بل خططاً تحطيطاً كلياً . يضاف الى ذلك انها شرعت تشوياً خطيراً حيث لم تزل هي النظام السائد في الأجزاء الأخرى من العالم . من عبورها عن التوفيق بين الانتاج والاستهلاك ، واجتاد الامواق لتصرف نتاج هادم النظام واشاع حاحات الجماهير الحقيقية في وقت واحد ، والتوفيق المعنوية التي تعجم عنه في عو الاقتصاد ، قد وجدت تدخل

الدولة تدخل متزايد النشاط . فقام من ثم اقتصاد موجه اصعدت فيه الدولة الرأسمالية العامل الرئيسي في الحياة الاقتصادية . وان المراتب التي تقطعها السلطة من الدخل ، وطبيعة نفقاتها (ولا سيما نفقات التسليح التي اصبحت « الميزة الثالثة لنظاما اقتصادي ») ، ونداءاتها من اجل التوفير ، ودخولها في حق التسليف ، قد اظحت لها رقابة التوزيع ، وتنظيم توظيف الاموال ، وتحديد الاسعار ، وقومية الانتاج ، وتشجيع هذا النشاط او ذاك او عدم تشجيعها وتعديل توزيع الدخل بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، واستلام زمام الاقتصاد كله . فكان ان هذا التدخل شبه الدائم اعطى لرأسمالية وحما حديداً ما كان احد يعلم به في السنة ١٩٠٠ . وهو قد استنسخ ، لا الماء حق الملكية الخاصة وحرية العمل ، بل تحديد ما على كل حال . ومنذ عشرين سنة تقريباً ، يرى ان الولايات المتحدة - بلاد الرأسمالية الكبرى بالذات - قد سلكت هذه الطريق .

ان أزمة الرأسمالية هذه ، واعى بها « مشورها بوقتيتها » منذ الازمة الكبرى ، والصفة التي تبدو ملازمة للتدوير التي تحولها تحويلاً عميقاً جداً ، قد عرخت بصورة حتمية مسألة مدى حياتها وموتها ، و « افلاسها » ، و « فسادها » . فحول هذه المسألة تتجابه الايديولوجيات المترحمان للثان نصفان العالم . هل الرأسمالية قادرة على التحسن وحتى على البقاء ؟ ان الحوب الماركسي معروف تمام المعرفة . ان الرأسمالية صائرة حتماً الى الزوال بسبب حركة التاريخ الديالكتيكية التي يتوجب على البروليتاريا مواجهتها للقضاء على المظلم الذي كان سبب نشأتها . وكل ما هناك ، كما يرد في الجواب ، يشهد هذا التطور تادمي واتساع الأزمة الكبرى ، النجاحات التقنية العظيمة المتحققة ، كون جزء كبير من اوروبا وآسيا قد اندرج معها ، منذ الحرب العالمية الثانية ، اسواقاً هامة ودورها القيادي في حياة البلدان الجديدة . ولن تقلب الرأسمالية على الصعوبات التي تشهدها الا بالهبوط الى حيل مؤقتة ، ولكن لا مخلص من ازيمات كبرى متزايدة الاهمية ، ترافقها حروب من اجل فتح الاسواق ، سوف تستعمل القضاء عليها .

سلم عدد من الاقتصاديين والكتاب الاسرار مع ماركس ، دون التسليم بهذه الآراء الجذرية ، بأن الرأسمالية ليست « جزءاً من اطار الطبيعة الأزل » . نذكر منهم « ج. شومر » الذي تكلم في كتابه « لرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية » (١٩٤٧) عن قبس الرأسمالية والمخططات التاريخية . وقد ارتقب ، آسفاً ، انهيار الاشتراكية الحتمية . ويذكر « جاييس بورنهام » الذي ارتقب في كتابه : « عهد المظلمين » ، الصادر في السنة نفسها ، رول النظام الحالي الذي لن تخلفه الاشتراكية بل رأسمالية دولة في ايدي بعض الفئتين . وهناك عدد آخر ممن لم يبدوا رأياً حازماً ، بل وقفوا موقفاً متحفظاً من مستقبل النظام . فرأى بعضهم كالامير كيبين « هاسن » و « هيجنز » ان الاقتصاد الغربي قد بلغ نقطة « نفج » تستلعب ركوداً نسبياً ، اي تمهلاً في دسق عود بشكل ظاهرة قنبر القلق . وهذا كان كذلك رأي كولن كلارك الذي دافع صيته في العالم بفضل كتابه « شروط التقدم الاقتصادي » (١٩٤٠) ، ان

التقدم الاقتصادي الذي يقوم بنمو القطاع الثالث ، صائر حتميا الى التعمل لأن معدل زيادة الانتاجية في هذا القطاع ادى معدل ممكن . اضاف الى ذلك اخيراً ان ظواهر التضخم في كافة البلدان تؤلف خطراً مبعثاً بالنسبة للمجتمع الرأسمالي لأنها سوف تنتهي الى زعزعة اطره وخلق وضع يكون من شأنه حمل اراي العالم ، كما يؤكد ذلك شومستر ، على اعتبار «التضخيم الكامل اخف الضرر الممكنة» . ويخلص الكاتب الى القول : «لقد اخطأ ماركس في تقديره لكيفيات انهيار المجتمع الرأسمالي ، ولكنه لم يخطئ في رلقاب انهياره نهائياً» .

والحال عاش الاقتصاد الرأسمالي ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، في جو حرب حامية او باردة ، ومنافسة قوية بين حكنتين من الدول ، وفي الوقت نفسه في جو لحسينات تقنية عظيمة حدثت به الى شغل عزسته وتجهيد ممداته الصناعية ، وسحب من سوق العمل ملايين الشبان المدهوين لخدمة العلم ، ولكنه انتهى كذلك ، كما هو طبيعي ، الى تقنية الانجاز الشامل الى التضخم افليست « المثبتات الآلية » ، التي احكمتها علماء الاقتصاد منذ السنة ١٩٢٩ ، سوى مجرد حيل من شأنها تأخير ازمة آخذة بالنضج ليس تأخر اقتصاد اميركا في السنة ١٩٥٧ - بعد تأخير اقل خطورة في ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وفي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ - سوى احدى ظواهرها المثيرة للقلق ؟ فإذا كان التقدم الذي تحقق لم يتحقق الا بفضل سلوك طريق التضخم المفرط ، هل يتوجب علينا ان نقول مع « ألفرد سوفي » ان « الرأسمالية لم تحل » تناقضها الاساسي . لقد نعمت في تخفيف شدة الهزات دون ان تنجح مع ذلك في استئصال نسقا ؟

الا ان عدم حدوث ازمة عالمية جديدة كبرى منذ السنة ١٩٢٩ ، ونهضة التوسع الاقتصادي الهامة التي برزت في العالم الرأسمالي منذ السنة ١٩٥٣ ، قد اعاد له الثقة في المستقبل . وان في ذلك لدليلاً - كما يعتقد البعض - على ان الوسائل التقنية المستوحاة من « كينز » عجيبة لتوقي الازمات اذا جرى التعمل في الوقت المناسب . وان مرونة النظام التي تتيح له التكيف بحسب الظروف الجديدة لدليل على قوته . او لم يؤكد اندريه مارشال - في سياق درسه « اشكال نظام الرأسمالية » - انها تتفق وحدة ، مثلثة من التنظيم السياسية والقضائية والاجتماعية ، وانها تتطلب على اشكال كثيرة تبتدىء بالثالث « الحر » وتنتهي بـ « مثال مشوه جداً هو مثال الاقتصاد المخطط مخططاً حزبياً » .

« ان الرأسمالية تتفق والمساواة بين الدخول » ولكنها تتفق كذلك واختلافها البالغ » .
 مهما يكن من الامر ، فان تراجع التناقض الكلاسيكي اصبح عاملاً ، وهو يقاس بتقدم سياسة التدخل ومثبه شمول اقتصاد مثابن التوجيه والتخطيط ، غالباً ما يطالب به المتمدنون انفسهم ، رغبة منهم في ان تقيم الدولة ثمر التقلبات الفجائية في النشاط الاقتصادي .



بموازاة تطور الرأسمالية هذا ، وعلى علاقة وثيقة معه ، لوسط تقهر سريع في ملهوب « الدولة » ، وليس المقصود هنا « الدولة الاشتراكية » التي كانت لا تزال ناشطة جداً بعد

الحرب العالمية الأولى والتي برى في صعب الحركة المالية لاشتراكية الرأسمال اوضح طواها
 معسب بل المقصود ، كما اثبت ذلك « ميردان » ، رفض احترام مجموع القواعد القانونية
 لموضوعة تدريجياً والمقبولة عموماً التي كانت تعظم العلاقات بين الدول . رفض مواجبة المسائل
 من وجهة نظر مصالح البشرية العامة لا من وجهة نظر قومية ضيقة . فلا قيمة لا للدفاع عن
 المصالح القومية المستعجلة ، وتحذو لسول الجديدة غير الناهية ، في هذا المضمار ، حدود الدول
 العسكرية في علاقتها المتبادلة وهي علاقتها بالاقاليم التي كانت حاضمة لها من ذي قبل . والمقصود
 كذلك الانتهاكات الخطيرة لحرمة الحق الدولي الذي كان يصمن ، في أيام الحرب ، حد امنى
 من الرقى واحترام الشخص الشري ، « ان « الحرب الشاملة » قد ادت الى قاعدة مخالفة
 الحقوق التي عرفت بم اتمامها بحيف ولاهاي مدني الدول المتحاربة واصرى الحرب وسكان
 البلدان المحتلة من قبل جيش عدو . وبصورة خاصة انقسم العالم الى عديد مترابطة من الاطر
 السياسية المستقلة التي تسطر عليها قومية اقتصادية ذات اتجاه استكفائي يكثر من الحواجز
 ويحول دون انتقال المواد والاشخاص ورؤوس الاموال . ومن التناقض ان يعطى التوافق بين
 التنمية الاقتصادية والاستقلال السياسي بصعوبات بتعدد تدبيل في الظاهر ، في الوقت الذي
 يشاهد فيه « تطوراً نحو توحيد الكره الارضية تقنيا وصناعيا » (ر . آرون) ، ويبرز فيه
 بوضوح صعر المرد عن ان يكفي نفسه بنفسه ، وتأييده ضرورة قيام تعاون دولي . قامت
 الاسم المتطورة لم تقم بشيء عمليا من اجل تثبيت سعر المواد الاولية والمنسجعات الزراعية التي
 هي المورد الوحيد للبلدان غير الناهية ، ومن اجل مساعدتهم على تنويع انتاجاتها وانشاء
 صناعات تعويضية فيها ، وهي الوسيلة الوحيدة لوضع حد لفقدان التوازن الذي تعاني منه ،
 ومن اجل معالجة التوس الفضيخ الذي تريد اطلاقها ، الديموقراطية من خطورتها يوماً بعد يوم .
 واد ما استغلينا بعض المجالات النادرة ، فان البلدان المصنعة تصبعا متقدماً هي وحدها تقريبا
 ما احدثت من ريادة الطاقة الصناعية ازيداً عظيماً خلال السواوب العشرين الاخيرة .



من لميرات الدرة التي تستخلص من انعام المظر في مجتمعات القرن العشرين التفاوت الكبير
 السائد بين البشر . فان القسم الاكبر من الممتلكات العقارية في ايدي عدد ضئيل من كبار الملاكين .
 وفي البلدان التي تكثر فيها الممتلكات الصغرى ، ييسر التطور الاقتصادي وتقدم المكتنة جمع
 الاملاك الصغرى والاستثمارات في وحدات اكثر اقصاداً وفي الصناعة كذلك تتعلب ظاهرة
 التجميع نفسها . وحتى اذا كان الرؤساء والمديرون فنيين يتقاصون مرفقات لا ملاكين ، فانهم
 يتمتعون بنسب كبير ويملكون عظيم . وان هذا التفاوت السائد بين طبقات الامة الواحدة ،
 يسود كذلك على مستوى الشعوب . وهي اقلية لها ايضاً ما تستعيد من كافة منافع الاقتصاد
 المعاصر - ١٥ بالمائة من سكان العالم غير السوفياني يستأفون بـ ٦٢ بالمائة من الدخل العالمي
 بينما تقتقر الاكثية الساحقة الى ضروريات الحياة . وان هذا التفاوت يرداد خطورة ، وليس ما

يشير الى ان وظائفه ستخف في وقت قريب . فان الازدهار الاقتصادي الكبير الذي استفادت منه الدول المتطورة قد ألحها ثروتها وتحقق بداية وحدة قومية بتوزيع الاقطار الاقتصادية بين مواطنيها توزيعاً أكثر انصافاً . اما الدول غير النامية المكتظة بالسكان فقد بقيت في حالة ركود يرثى لها ، او تأخرت احياً . « النسبة للشرية كمجموع » ليس هي الواقع من تقدم . « والدخل القومي الحقيقي ومستوى الحياة المتوسط ادنى اليوم منها مند هشرين سنة في الاربع » وربما كان ادنى منها في السنة ١٩٠٠ (ج . ميردال) .

هو هذا التفاوت المزيج ما قام به وحاربه نصف القرن الاخير . فمن المميزات الجديدة للمهد المعاصر ظهور حالة نفسية جديدة بين الجماهير التي كانت حتى هذه التاريخ حاصلة لرؤسائها التقليديين . احل لقد تحللت تربية البشرية ثورات دفع اليها البؤس ، او وصع بحل لا يطاق ، او الاستعداد ، وشدة الآلام ، ولكن الخضوع للتفاوت الاجتماعي ، وعدم الاطمئنان ، والفقر ، والبؤس ، والآفات الطبيعية لم يمرض عليه قط اعتراضاً جدياً . سواء بشرت به الادبائت السائدة أم اينويوجية الطبقات الحاكمة ، فان هذا التسليم بنظام معروف بديمومته قد عرف انتشاراً شاملاً حتى بين العناصر المطالبة بالاصلاح . وكل ما بدا ممكن في هذا الصدد هو تخفيف وطأة نتائجه بالتعاون الذي تحقق على الصعيد الوطني والصعيد الدولي ، وبمساعدة الهمة ، والمساعدة الاحوية ، والمعدالة الاجتماعية ، والادخار الذي يتبع لكل فرد - كما علم بعضهم - الارتقاء في السلم الاجتماعي بالخروج من الحالة « البروليتارية » .

قبل الحرب العالمية الاولى ، اخذت الاشتراكية تعظم في اوساط المعاصر المتطورة في الطبقة المالية - وهي أقلية ضئيلة ، كما سبق ورأينا - ان مصير المحرومين لا يمكن ان يتحسن تحسناً حاسماً على الصعيد الفردي ، بل بتعديل الحالة المالية . وقد يستمر حوادث نصف القرن الاخير : الحربان العالميتان ، وعدم استقرار النقد ، ولارمة الكبري ، انتشار هذه الآراء انتشاراً واسعاً ، ولم يزل موقف الاستسلام والخضوع القسري بين الاقراء وفي وسط الطبقات الشعبية فحسب ، بل بين الشعوب السوداء يضاً ، وحل محل توق شامل لحياة أفضل . « لن نرضى اية طبقة بعد اليوم بأن تظلمت بالندى . ولن نعارف أية طبقة بتفوق طبقة اخرى » وساد الاعتقاد من جهة ثانية بأن الحريات السياسية المدرجة في الدساتير القومية ليست في نظر أممنا البشرية سوى حريات شكلية ومظرة ، ولن تصبح فعلية الا اذا تمت الجماهير بمستوى معيشة كاف ، لا اذا تحققت الديمقراطية الاقتصادية . فمن هذا التصادم بين المساواة السياسية والقضائية من جهة ، والتفاوت الاقتصادي والاجتماعي من جهة ثانية ، نشأ الشعور بأن النظام الاجتماعي بطوي على ظلم لا يطاق .

اما ما ستمجمل هذا الوعي فهو مثل الثورة الروسية التي قدمت ، بتعقيبها مجتمعاً بدون طبقات ، مرتكراً الى إلغاء الملكية الخاصة .

« الدليل على أن نظاما اقتصاديا غير الرأسمالية يمكن أن يسير بصورة دائمة، بينما كانت البلدان الرأسمالية في حالة بدت وكأنها انتشرت انتشاراً دائماً » .
(لندريه مارشال)

إن المثل الروسي علم الطبقات والشعوب المسودة - « البروليتاريا الداخلية » و « البروليتاريا الخارجية » بحسب تمييز « ج. بالنديه » - أن تبدل ظروف الاقتصاد أمر ممكن ، وإن ليس من حتميات اقتصادية وفارقات لا دواء لها ، وإن السلطة العامة قادرة على تبدل النظام القديم ، ويكتفيها ، بل نوع هذه الماية ، استخدام الموارد التي وضعها العلم والتقنية بتصرفها .

على غرار دول أوروبا الوسطى والشرقية التي فارت باستقلالها في القرن التاسع عشر ، طالبت شعوب المستعمرات بحق حكم ذاتها ، وبإنشاء دولتها القومية بدالة تقاليدها لا باقتباس مؤسسات الغرب قنساساً أهمي ، وباعتقاد اقتصاداً مستقل لن يخضع بعد اليوم لمواقفات الدول الصناعية الكبرى . ومن يريد منها بلوغ هذه النعمة لا يتوجه إلى « النظام الحر » الا عند الحاجة ، خشية من الاضطرار إلى القبول بشروط قد تهدد من استقلالها الحديث العهد . بل يلجأ إلى تخطيط متفاوت الشدة يشدد على الوقائع الاقتصادية والاجتماعية يستطيع وحده أن يوغرها القاعدة التي تقتصر هي إليها والتي لا تعطي دخولاً فورية .

أما في البلدان الرأسمالية ، فغفوا من الأعداء الثوري ، انتهجت الحكومات - منذ أزمة السنة ١٩٢٩ - بصورة خاصة - في الحقل الصناعي سياسة التدخل نفسها التي انتهجتها في الحقل الاقتصادي . فأمام الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الشعبية ، حيث شمل الضمان الاجتماعي ، كما سبق ورأينا ، كلفة حاجات العمل ، وحيث اتجه الأمر لاجتماعي المتزايد إلى ابتلاع كافة الأجر ، محمت هذه البلدان بعد السنة ١٩٤٥ التدابير التي سبق اعتمادها في البلدان الأنكلو - ساكسونية قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها . لقد امتدت « دولة الازدهار » إحدى العناصر الأساسية للتوازن الاقتصادي والسياسي في كافة الدول تقريباً ، فهي في حقل الصحة العامة والاستخدام الشامل من جهة ، تعوض من الاخطار الاجتماعية وتلقي منها إلى حد ما ، ومن جهة ثانية تصبح وسيلة ، لا تزال محدودة جداً ، لاعادة توزيع الدخول ، إذ أنها تخصص الرسوم المستوفاة على أكثرها ارتفاعاً للنفقات الاجتماعية التي تهم الجماعة كلها . لقد نجم عن ذلك أن الفارق بين الحالات المتوسطة والحالات الدنيا قد تضائل في بعض البلدان كالولايات المتحدة والسويد وبريطانيا العظمى . وإنما ما زال هنالك ، في هذا الحقل ، تفاوت كبير جداً هو الدليل على افتقار الاجراء افتقاراً نسبياً . فهنا ، كما بين الدول الفتية والدول غير النامية ، يتماظم التفاوت بين الأغنياء والأحرار ، حتى المتوسطين ، بدلا من أن يتضائل ، وترتفع الأجور أقل من الأرباح إلى حد يمس ، بينما يمتد التطور التقني للطبقة المتأثرة بتعمير الارتقاء الاجتماعي ووصول وسماء الأصل إلى الوظائف القيادية . يمتلك المشاريع الكبرى أبداً ، حتى المفضة منها والمدارة من قبل « مديري إدارة » عدد محدود من الأرباب الذين يستمرون في التمتع بنفوذهم بعد حصرياً ، ولكنه ما زال مسيطراً على السلطة . ولذلك فإن سيطرة الرأسماليين على غير الرأسماليين وما زالت

تشكل المرتكز الأساسي للدولة الغربية. وما زال الصراع الطبقي قائماً ، ولكنه برتدي اشكالا أقل حرافا (موريس دورجيه) .



اصبح تدخل السلطة العامة من ثم عامياً - حتى في البلدان التي تسيطر عليها تقاليد الامة الفردية - ، وقد فرضته عتبارات اقتصادية واعتبارات اجتماعية الصايغ من اجل قأمي فوازن فصل بين قوى الانتاج والتوزيع وضمان السلم الداخلي . ولكن النظام الحر ليس آخسداً في القرائع من هذا القيس فحسب . فبما وقعت الدول ، التي لم تشر بأث البناء الاجتماعي مهدد بحظر حسي ، موقفاً متساهلاً من الحرم السياسي ، خلال مرحلة النظام الحر ، فان التآمر الاجتماعي ، الذي حركته ثورة تشرين الأول في كافة البلدان ، قد افضى متسداً لسنة ١٩١٧ الى تصلب الحكام : دكتاتورية في البلدان المنتقلة الى الشيوعية بغية بحاربة محاولات مناهضة الثورة ، فاشيكية او اقله نظام بوليسي ، وسد من الشرعية وتحاولها في العالم الحر ، . ففي كافة بلدان العالمين دون استثناء يمكن وضع قائمة طويلة بأعمال العنف ، والتوقيفات التعسفية ، ومعاملة السجناء والمنهين بفظظة ، والاستحوايات تحت تأثير التعذيب ، والرقابات الاستقصائية التي تضرب عرض الحائط بسر المراسلة والمخابرات الهاتمية ، التي تؤيد كلها ان المثل الانساني الأهل لفلسفة القرن الثامن عشر وخلفائهم في القرن التاسع عشر آحد في القرائع . وزادت من خطورة هذا القرائع قوة وسائل اقبح الجماهير الشعبية : الاذاعة ، التلفزة ، الصحافة الكبرى في ايدي المصايغ الكبرى ، التي تنشر كلها يدولوجية « مذهب محافظ جديد مسكنر » (ج . ميتو)^{١١} يهدف الى ايماد السياسة عن الرأي العام واخذاء حسسه الحقيقة عنه من شأن النصال السياسي وسدده الانتهاء الى اعادة توزيع السلطة بصلحة المحرومين والظالمين . اذن نحن امام تراجع النظام الحر ، الذي قابل المخطط اراسمالية الكلاسيكية ، او اقله تطورها ، ذاك النظام الحر ، الذي كان عهد الحل - والحق يقال - قصير الامد ، والذي لم يستفد منه استعادة كاملة سوى شطر زهيد من البشرية ، هو ذاك الذي استمد من امتياز القوة .



يختلف الوضع ، كما يتضح ذلك ، حثلاً كلياً عنه في السنة ١٩١٤ . وان العالم ، كما كان في هذا التاريخ ، قد زال معظمه منذ اليوم ، وانقلب ثورمع القوى انقلاباً تاماً . فقد حل محل الوحدة الفكرية والمادية التي فرضتها عيمة اوروبا انقسام الى ثلاث مجموعات . فهناك العالم الرأسمالي والحر والعالم الشيوعي . تسيطر على الاول ، قوة وقوة الولايات المتحدة التي يقبض هو عنها المؤسسات والاخلاق السياسية ويضع لثوحيها في الحقل السياسي والاقتصادي . وهو يتألف من دول كادت مهيمنة من ذي قبل ، فأصعقتها حركات استقلال الشعوب في المستعمرات وشبه

الناشر

١ - اقرأ له في منشورات حويدات : مدخل الى علم السياسة .

تعم به طبقاتها المتوسطة والعمال اليسورون في صناعاتها ، وعلى بذخ طبقاتها الحاكمة ، وتوجب عليها اعادة التوفيق بين جهاز انتاجها والظروف الجديدة الناشئة من تحرر رهاياها السابقين ومناخسة الولايات المتحدة الساسقة في آت واحد . اما الثاني الذي يمتد من الإلب الى المستمرات ، وبالت تبحر عن اسواق جديدة بقية المحافظة على مستوى المعيشة المرتفع نسبياً الذي الباسيفيكي حينهم بطروف شبيهة بتلك التي عرفتها الولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر : سوق كبرى تبدو امكافات توسعها وكأها لاعدودة ، ويمكن ان تعتمد فيها ، على نطاق واسع ، تقنيات توحيد المنتجات والانتاج بالجملة ، وأزال اصلاح النظام الاجتماعي فيها العقبات التقليدية التي حالت دون التنمية الاقتصادية ، وتحسن فيها تدريجياً ظروف معيشة سكانها .

بين هذين المثالين لحضارات متناقضة ، ننظرها الى العالم ونظامها لاقتصادي والاجتماعي على السواء ، ظهرت منذ السنة ١٩٤٥ مجموعة ثالثة تضم البلدان غير النامية التي فازت باستقلالها السياسي حديثاً او تسمى الى الدور به . فإمام مجموعة البلدان الاطلسية المتقدمة قعباً - التي يجاوز معدل الدخل الفردي فيها ٥٠٠ دولار - والمجموعة الشيوعية التي ما زال معدل الدخل يتراوح فيها بين ١٠٠ و ٤٠٠ دولار ، اللتين غتلان معاً أقل من نصف البشرية ، توجد كتلة قوية بعدد السكان ، والثروة ، والموارد ، وأهمية الدور الذي يقوم به بعض شعوبها في السياسة الدولية - الهند في عهد نهرو ، وكتلة الدول العربية ولاسيا مصر - ولكن القسم الاكبر منها يعيش في النؤس وعلى حدود المجاعة . وتتنازعها الكتلتان الكبريان على الصعيد الايديولوجي ، ومنذ السنة ١٩٥٤ ، على الصعيد الاقتصادي ايضاً . فبينما كانت الدول الغربية وحدها - والولايات المتحدة في الدرجة الاولى - قادرة حتى هذا التاريخ على تقديم الفنين وروؤس الاموال لها ، يمرض الاتحاد السوفياتي والصين اليوم عليها مساعدتها التقنية . وهكذا فانت افغانستان تنطلق من الاتحاد السوفياتي القسم الاكبر من الاعتمادات التي يستلزمها تنفيذ الخطة الخمسية للاغناء الاقتصادي ، والاتحاد السوفياتي يساهم الهند على بناء مصانع فولاذية ضخمة تنتج مليون طن من الفولاذ غير المصنوع ، ويمقد اتفاقات اقتصادية مع يورما ومصر وسوريا وباكستان . وعقدت عدة ديمقراطيات شعبية اتفاقات مماثلة مع الهند واندونيسيا ويورما . وفي المؤتمر الامريكي الآسيوي المنعقد في القاهرة (١٩٥٧) ، وعد بمثل الاتحاد السوفياتي كافة الدول غير النامية ، دون شروط سياسية ودون تمييز ، مساعدة بلاده المالية والصناعية والتقنية . ولا ريب في ان الدول غير النامية هي ما يستفيد من هذه المنافسة - لا بل من هذه الزايادة .

ابرز مؤثر يندومغ شأن هذه الكتلة ورغبتها في الوقوف على الحياض . ولكن هذا الحياض لا يمكن ان يدم الى ما لا نهاية له . لذلك فان كل كتلة تسمى جاعدة لاجتذاب هذه الدول الى مدارها . وهي قدره كل من شكلي الحضارة على سد حاجات الشعوب غير النامية مادياً وفكرياً ، ومخاربة الجوع والبؤس مخاربة أجدى ، ما سوف يجلي عليها الموقف الذي يجب ان تلغه ، وما سوف يرسخ كفة الميزان لمصلحة هذا المعسكر او ذاك .

التوجيه الجغرافي

مؤلفات عامة

- DAVID THOMSON, *The era of violence, 1898 - 1945*, Cambridge University Press, 1960 (t. XII de la «New Cambridge Modern history»)
- JACQUES PIRENNE *Les grands courants de l'histoire universelle* : t. VI, De 1934 à 1939 et VII De 1939 à nos jours Neuchâtel, Ed. de la Baconnière, et Paris, Albin Michel, 1955 - 1956.
- B. GROUSSET et K. - G. LEONARD, *Histoire universelle*; t. III : De la renaissance à nos jours, Calmann, 1958 (Encyclopédie de la Pléiade).
- MAXIME MOURIN *Histoire des nations européennes (1815 - 1962)* Payot, 3 vol. 1962.
- LUIGI SALVATORELLI; *Storia del Novecento*, 3a. éd. revue et mise à jour, Milan Mondadori, 1964.
- G. BARRACLOUGH, *An introduction to contemporary history*, Londres, Watts, 1964.
- PIERRE GEORGE, *Panorama du monde actuel*, P. U. F., 1965.
- FELIX PONJEL, *Histoire générale contemporaine du milieu du XVIIIe siècle à la deuxième guerre mondiale*, 3e éd. Dalloz, 1963.
- JEAN BAPTISTE DUROSELLE, *L'Europe de 1815 à nos jours*.
- BERNARD ISSELIN, *Histoire du monde contemporain*, F. Nathan, 1965 (depuis 1929).
- ALFRED VAGTS, *A history of militarism civilian and military*, New York, Macmillan books, 1959.
- A. SIEGFRIED, *La crise de l'Europe*, Calmann - Lévy 1935.
- HAROLD LASKI, *Réflexions sur la révolution de notre temps*, trad. fr., Ed. du Seuil, 1946.
- TIBOR MENDE, *Regards sur l'histoire de demain, les nouveaux centres de gravité du monde*, trad. fr, ibid., 1954.
- JOHN STRACHEY *La fin de l'impérialisme*, trad., Laffont, 1961.
- FR. FERROUX, *L'Europe sans rivages*, Paris, P.U.F., 1954.
- W. S. et E. S. WOYTINSKY *World population and productions*, New York, The Twentieth century fund, 1953.

المائل الديموغرافية

- MARCEL-R. REINHARD et ANDRE ARMENGAUD, *Histoire générale de la population mondiale*, Ed. Montchrestien, 1961.
- ALFRED SAUVY, *Théorie générale de la population*, 2 vol., P.U.F., 3e éd., 1963.
- LOUIS CHEVALIER, *Démographie générale*, Paris DaSoc, 1954, coll. «Etudes politiques, économiques et sociales».
- P. GEORGE, *Questions de géographie de la population*, P.U.F., 1956.
- MAX SORRE, *Les migrations des peuples*, Flammarion, 1955.
- EUGENE M. KULISCHER, *Europe on the move, war and population changes (1917 - 1947)*, New York, Columbia U.P., 1948.

- JOSUE DE CASTRO, Géopolitique de la faim, Les Ed. ouvrières, nouv. éd. 1963.
 ANDRE ARMENGAUD, La population française au XXe siècle
 P. U. F., 1964.

الحياة الاقتصادية

- H. J. HABAKKUK et M. POSTAN, The industrial revolutions and after, incomes, population and technological change, 2 vol., Cambridge economic history of Europe)
 J. A. LESOURD et C. GERARD, Histoire économique (XIXe - XXe siècle), 2 vol., Colin, 1963 (coll. «U»)
 COLIN CLARK, Les conditions du progrès économique, trad. fr., P. U. F., 1960
 JEAN WEILER, La croissance de l'industrie mondiale (1855 - 1961), New York, Nations Unies, 1963.
 FR. PERROUX, Le capitalisme, P. U. F., 1962.
 G. PIROU, Néolibéralisme, néocorporatisme, néosocialisme, Gallimard, 1939.
 FRITZ STERNBERG, Le destin du monde, trad. fr., Ed. du Seuil, 1958.
 ROGER ORSINGHER, Les banques dans le monde, Payot, 1964.
 DANIEL DURAND, La politique pétrolière internationale, P. U. F., 1962.
 J. LESCURE, Les crises générale et périodiques de surproduction, Domat, 1936.
 R. LEWINSON, Histoire de la crise économique (1929 - 1934), Payot, 1938.
 LUCIEN DE SAINTE - LORETTE, Le Marché Commun, 3e éd., A. Colin, 1963.
 MICHEL CROZIER, Rapport préliminaire sur la situation sociale dans le monde, Genève, Nations Unies, 1962.
 RIVERO et JEAN SAVATIER, Droit du Travail, 3e éd., P. U. F., 1964 (coll. «Thémis»)
 ALEC MELLOR, La torture, son histoire, son abolition, sa réapparition au XXe siècle, Ed. Domat - Montchrestien, 1949.

الحركة العلمية

- L. LEPRINCE - RINGUET, La science contemporaine, les sciences physiques et leurs applications, 2 vol., Larousse, 1963.
 MAURICE DAUMAS, Histoire de la science, Des Origines au XXe siècle, Encyclopédie de la Pléiade, t. V., N. R. F., 1957
 PIERRE AUGER, Tendances actuelles de la recherche scientifique, Paris, Unesco, 1961.
 G. CANGUILHEM, La connaissance de la vie, Hachette, 1954.
 ROBERT BROCA, Cinquante ans de conquêtes médicales, Hachette, 1955.
 RENE LERICHE, Cahiers d'actualité et de synthèse de l'Encyclopédie française, Larousse, 1954.
 JEAN AUVERT, La chirurgie d'aujourd'hui, Seghers, 1965.

التقنيات

- P. ROUSSEAU, Histoire des techniques, Fayard, 1964.

RICHTIE CALDER, L'homme et ses techniques de la préhistoire à nos jours, trad. de l'anglais par H. Delgove, Payot, 1963.
 CHAMBE' Histoire de l'aviation Flammarion, 1949.
 DANIEL FAUCHER, Le paysan et la machine, Ed. de Minuit, 1954.
 ROBERT JUNGK, Le futur a déjà commencé trad. fr. Arthaud
 G. FRIEDMANN, Où va le travail humain ?, Ibid., nouv. éd., 1962.

الحركة الفلسفية والأدبية

GAETAN PICON et coll., Panorama des idées contemporaines, Gallimard, 1957.
 G. GURVITCH, La sociologie au XXe siècle, 2 vol., Ibid., 1947
 JEAN TOUCHARD et collab., Histoire des idées politiques, t. II du XVIIIe siècle à nos jours, P.U.F., 1965 (coll. «Thémis»).

الادب

RENE LALOU, Histoire de la littérature française contemporaine, 2 vol., P.U.F., 2e éd., 1963.
 PIERRE DE BOISDEFRE, Dictionnaire de littérature française contemporaine, Ed. Universitaires, 1962.
 MAURICE NADBAU, Histoire du surréalisme, 2 vol., Ibid., 1945 - 1948
 FREDERICO TOWARNICKI et GILLES QUEANT, Encyclopédie du théâtre contemporain, vol. II 1914 - 1950, Perrin, 1959.
 ARAGON Littératures soviétiques, Denoël, 1955
 MARCELLE EHRHARD, La littérature russe, 4e éd. P.U.F. 1962.
 FERNAND MOSSE et collab. Histoire de la littérature allemande, Aubier, 1959.
 DONALD HAYMAN, Situation de la littérature anglaise d'après - guerre, Cahier des Lettres modernes, 1955.
 ALFRED CAZIN, Panorama littéraire des Etats - Unis de 1890 à nos jours, trad. fr., Robert Martin, édit., 1952.
 P. ARRIGHI, La littérature italienne, P.U.F., 1961
 K. AMIS, L'univers de la science - fiction, trad. par E. Gille, Payot, 1962.

الحركة الفنية

BERNARD DORIVAL, Les peintres du XXe siècle, t. II : Du cubisme à l'abstraction 1915 - 1957 Ed. Tisné, 1957
 PIERRE FRANCASTEL, Peinture et société, Lyon, Audin, 1951
 HENRI PERRUCHOT, L'art moderne à travers le monde, Hachette, 1963.
 GEORGES SADOUL, Le cinéma, son art, sa technique, son économie, Edit. fr. réunis 1964.
 R. DUMESNIL, Histoire de la musique, t. V : La première moitié du XXe siècle, A. Colin 1960
 KENNETH SCOTT LATOURETTE, Christianity in a revolutionary age, vol. IV et V. Londres, Eyre and Spottiswoode. 1952 et 1963.
 ADRIEN DANSETTE, L'église catholique dans la mêlée politique et sociale, nouv. éd., Flammarion, 1965.
 GEORGES GUY-GRAND et collab., La Renaissance religieuse, Alcan 1928.
 H. MARC-BONNET, La Papauté contemporaine, P.U.F., 1963.

- A. LATREILLE et A. SIEGFRIED, Les forces religieuses et la vie politique, colln, 1951.
 FR. BOULARD, Essor ou déclin du clergé français, ibid., 1950.
 YVON DANIEL et HENRI GODIN, Sociologie religieuse et sciences sociales, Actes du IV^e Congrès international ibid., 1956.
 P. SCHMITT-EGLIN, Le mécanisme de la déchristianisation, Ed. Alsatia 1952.
 ABBE DESPONT, Nouvel atlas des missions, Paris et Lyon, Œuvres de la Propagation de la foi, 1951.
 ANTOINE FREITAG, S.V.D. Atlas du monde chrétien, Ed. Elsevier 1959.
 E. - G. LEONARD, Histoire générale du protestantisme, t. III : Déclin et renouveau (XVIII - XX^e siècle), P.U.F., 1964.
 PIERRE GEYRAUD, Sectes et rites, petites églises, religions nouvelles, sociétés secrètes de Paris, Emile Paul, 1954.

الاعلام

- FRANCOIS WILLIAMS, La transmissions des informations, Genève Unesco, 1953.
 B. VOYENNE, La presse dans la société contemporaine, colln, 1963 (coll. «U»).
- ALFRED GROSSER, Hitler, La presse et la naissance d'une dictature, ibid., 1959.

الحروب

- J. F. C. FULLER, La conduite de la guerre de 1789 à nos jours, Payot, 1963.
 B.H. LIDDELL HART, Histoire mondiale de la stratégie, trad. par Lucien Poirier, Plon, 1962.
 JEAN PIERRE, Les mutations de la guerre moderne (1892 - 1962), 2 vol., Payot, 1962.
 R. DE BELOT et A. REUSSNER, La puissance navale dans l'histoire, t. III : De 1914 à 1959, Ed. maritimes et d'outre-mer, 1960.
 AMIRAL BARJOT, Histoire de la guerre aéronavale, Flammarion 1961.

الحرب العالمية الأولى

- F. DEBYSER, Chronologie de la guerre mondiale, De Sarajevo à Versailles (28 juin 1914-28 juin 1919), Payot, 1938.
 Général YOUNI DANILOV, La Russie dans la guerre mondiale, ibid., 1927.
 Amiral M. W. W. P. CONSETT, Le triomphe des forces économiques, Société d'Éditions géographiques, maritimes et coloniales, 1924.
 K. L. NOWAK, Les dessous de la défaite, trad. fr., Payot, 1925.
 E. DELAGE, La guerre sous les mers, Grasset, 1934.
 JACQUES MEYER et GABRIEL PERREUX, Vie et mort du Français 1914 - 1918, Hachette, 1959.

الحرب العالمية الثانية

- MARC BLOCH, L'étrange défaite, Témoignage écrit en 1940, nouv. éd., A. MICHEL, 1957.

- Général BEAUFFRE, Le drame de 1940, Plon, 1965.
 Général L. - M. CHASSIN, La seconde guerre mondiale, Larousse 1951
 ROBERT JARS, La campagne de Pologne (Septembre 1939), Payot 1949.
 Commandant P. LYET, La bataille de France (mai-juin 1940), Payot, 1947.
 ROBERT JARS, La campagne d'Italie (1943-1945), ibid. 1954.
 CHESTER WILMOT, La lutte pour l'Europe, trad. fr., Payard, 1953.
 KENNETH EDWARDS, L'opération Neptune, trad. fr., La Jeune Par- que, 1947.
 HANS SPEIDEL, Invasion 1944, trad. fr., Berger-Levrault, 1950.
 HAROLD BUSCH, Meutes sous-marines, trad. fr., Ed. France-Empire 1952.
 Capitaine de vaisseau ANDRIEU D'ALBAS, Marine impériale (1941-1945)
 Lieutenant-colonel F. O. MIKSCHÉ, Les erreurs stratégiques de Hit- ler, Payot, 1945.
 GERT BUCHEIT, Hitler chef de guerre. L'armée allemande sous le III Reich, trad. par J. Mordal, Arthaud, 1981
 TREVOR ROPER, Les derniers Jours de Hitler, trad. fr. Calmann Lévy 1964.
 GEORGE KIRK, The middle east in war, Londres, Oxford University Press 1951.
 F. O. JONES, HUGH BOSTON et B. P. PEARNS, Survey of Interna- tional affairs 1939 - 1946, The Far East 1942 - 1946, ibid., 1955

احتلال، تعاون، مقاومة، نفي

- JEAN VIDALENC, L'exode de mai-juin 1940, P. U. F., 1957.
 H. MICHEL et collab., La France sous l'occupation, ibid., 1959.
 PIERRE ARNOLD, Les finances de la France et l'occupation alle- mande (1940 - 1944) P. U. F., 1951
 HENRI MICHEL, Les mouvements clandestins en Europe (1930 - 1945), P. U. F., 1966 (coll. «Que sais-je?»)
 EUGENE KOGON, Tragédie de la déportation (1940-1945) témoigna- ges de survivants choisis et présentés par Olga Wurmser et Henri Michel, Hachette 1954

الأسلحة منذ ١٩٤٥

- F. M. BLACKETT, Les conséquences militaires et politiques de l'éner- gie atomique, trad. fr. A. Michel, 1949.
 Lt Col F. O. MIKSCHÉ, Tactique de la guerre atomique, Payot, 1955.
 CLAUDE DELMAS, La stratégie nucléaire P. U. F., 1963
 CAMILLE ROUGERON, La guerre nucléaire, armes et parades, Cal- mann-Lévy, 1962.

العلاقات الدولية

- RAYMOND ARON, Paix et guerre entre les nations, Calmann - Lévy, 1962.
 PIERRE RENOUVIN, Histoire des relations internationales, T. VII : Les crises du XXe siècle. I : De 1915 à 1929; II : De 1929 à 1945, Hachette, 1963 et 1965.

- V. POTIEMKINE (sous la direction de), *Histoire de la diplomatie*, t. II (1872 - 1919) et III (1919 - 1939), Lib. de Médicis, 1946-1947.
- WILLIAM E. SCOTT, *Le pacte franco-soviétique. Alliance contre Hitler*, trad. par J. Méthodier, Payot, 1955.
- F. W. DEAKIN, *L'Axe brisé. L'amitié brutale d'Hitler et Mussolini*; trad. fr., Stock, 1964.
- MAXIME MOURIN, *Les tentatives de paix dans la seconde guerre mondiale (1939 - 1945)*, Payot, 1949.
- JACQUES FREMONT, *De Roosevelt à Eisenhower. La politique étrangère américaine (1945 - 1952)*, Genève Droz, 1953.
- HENRI AZEAU, *Le piège de Suez (5 novembre 1956)*, R. Laffont, 1964.
- JEAN KLEIN, *L'entreprise du désarmement (1945 - 1964)*, Ed. Cujas, 1964.
- FRANÇOIS NOURRISSIER, *L'homme humilié, sort des réfugiés et «personnes dévolées» (1912 - 1950)*.
- JEAN DE LA ROBBIE, *Exodes, transferts, esclavage*, Gallimard, 1950.

المبادئ الدستورية والحياة السياسية

- GEORGES BURDEAU, *Traité de science politique*, 7 Vol., Lib. Gén. de Droit et de Jurisprudence, 1949 - 1957.
- MAURICE DUVERGER, *Droit constitutionnel et institutions politiques*, P. U. F., 8e Ed., 1965 (coll. «Thémis»).
- S. M. LIPSET, *L'homme et la politique*, trad. fr., Ed. du Seuil, 1963.
- BOYD C. SHAFFER, *Le nationalisme, Mythe et réalité*, Payot, 1964.
- MICHEL DRANCOURT, *Les clés du pouvoir*, Fayard, 1964.
- A. DELEMER, *Le bilan de l'étatisme*, Payot, 1922.
- S. STELLING - MICHAUD, *La gauche, numéro spécial des temps modernes*, nos. 112 - 113, 1965.
- VIDAL - NAQUET, *La raison d'Etat. La répression de 1954 à 1962*, Ed. de Minuit, 1962.
- LOUIS DE VILLEFOSSE, *Géographie de la Liberté. Les droits de l'homme dans le monde (1953-1964)*, Laffont, 1965.
- LEO VALIANI, *Histoire du socialisme au XXe siècle*, Nagel, 1945.
- GEORGES LEFRANC, *Le syndicalisme dans le monde*, nouv. éd., P. U. F. 1963.
- JOSEPH SCHUMPETER, *Capitalisme, socialisme et démocratie*, trad. fr., Payot, 1951.
- JEAN SALOMON, *La laïcité*, P. U. F. 1960.

الولايات المتحدة

- CHARLES et MARY BEARD, *Histoire des Etats-Unis*, trad. fr., Hachette, 1952.
- CLAUDE JULIEN, *Le nouveau Nouveau Monde*, Julliard, 1960.
- CHARLES MELCHIOR DE MOLENES, *La carrière du Président Kennedy et la vie politique américaine*, Ed. Cujas, 1964.
- F. ROZ, *Roosevelt*, Dunod, 1948.
- MAX LERNER, *La civilisation américaine*, trad. par Magdeleine Paz, Seuil, 1961.
- FRANÇOISE BOURIEZ-GREGG, *Les classes sociales aux Etats-Unis*, Colin, 1954.
- C. WRIGHT MILLS, *The power elite*, New York, Oxford Univ. Press, 1957.

JEAN DARIDAN De Lincoln à Johnson, Noirs et Blancs, Calmann - Lévy, 1965.

بريطانيا العظمى

CHARLES LOCH MOWAT, Britain between the wars 1918-1940, Londres, Methuen, 1955.

G. F. H. COLE et RAYMOND POSTGATE, The common people 1746-1946, Londres Methuen, 1948.

JACQUES CADRAT, Régime électoral et régime parlementaire en Grande-Bretagne, Colin, 1948.

YVES HERISSET, La monarchie britannique au XXe siècle, Ed. Celse, 1961.

JEAN BLONDEL, La société politique britannique, A Colin 1964.

KEITH HUTCHINSON The decline and fall british capitalism, Londres. Cape, 1951.

أيرلندا ، كندا ، أستراليا

A. RIVOALLAN L'Irlande, Colin 1934

ANDRE SIEGFRIED Le Canada, puissance mondiale, Colin 1937

ARTHUR W JOSE, Histoire de l'Australie, trad fr Payot, 1930.

فرنسا

MARCEL REINHARD Histoire de France, 2 vol., Larousse, 1954.

DAVID THOMSON, La démocratie en France, La IIIe République, trad. fr, sur la 1ère éd. anglaise, Nizet, 1955.

JACQUES CHASTENET Histoire du peuple français, publ. sous la dir de L. - H. PARIAS, vol. V Cent ans d'esprit républicain, par J. - M. Mayeur, François Bedarida, Antoine Prost, Jean-Louis Monneron. Nouv. Lib. de France, 1964.

FRANÇOIS GOGUEL et ALFRED GROSSER La politique en France, A. Colin, 1964 (coll. «U»).

M. DUVERGER, Partis politiques et classes sociales en France, Colin, 1955.

FRANÇOIS GOGUEL, Le régime politique français, Les mécanismes de la démocratie parlementaire, Ed. du Seuil, 1955.

JACQUES FAUET La France déchirée, A. Fayard 1957

J. - M. JEANNENEY Forces et faiblesses de l'économie française (1945 - 1959), 2e éd. Colin, 1959.

GEORGES DUPEUX, La société française (1789 - 1960), A. Colin, 1964 (coll. «U»).

FRANÇOIS JACQUIN, Les cadres de l'industrie et du commerce en France, A. Colin, 1955.

DANIEL LIGOU Histoire du socialisme en France (1871 - 1961), P.U.F. 1962.

JACQUES FAUVET Histoire du parti communiste français, 2 vol., A. Fayard, 1964 - 1965.

GEORGES LEFRANC, Le syndicalisme en France, nouv. éd., P.U.F., 1964.

JEAN MEYNAUD La révolution paysanne, Payot, 1963.

ALFRED ROSMER, Le mouvement ouvrier pendant la première guerre mondiale, t. I De l'Union sacrée à Zimmerwald, Lib. de Travail, 1936, t. II : De Zimmerwald à la Révolution russe, La Haye, Mouton, 1959.

PAUL - MARIE DE LA GORGE, *De Gaulle entre deux mondes. Une vie et une époque*, ibid., 1964.

الألمانيا

- E. VERMEIL, *L'Allemagne, essai d'explication*, 9e éd. Gallimard, 1946.
ROBERT MINDER, *Allemagne et Allemands*, t. I, Ed. du Seuil, 1948.
Colonel E. CARRIAS, *La pensée militaire allemande*, P.U.F., 1948.
CLAUDE DAVID, *L'Allemagne de Hitler*, P.U.F. nouv. éd. 1963.
JOSEPH ROVAN, *Histoire de la démocratie chrétienne: II. Le catholicisme politique en Allemagne*, Ed. du Seuil, 1965.
JOHN W. WHEELER BENNETT, *Le drame de l'armée allemande*, trad. fr., Gallimard, 1955.
MAXIME MOURIN, *Les complots contre Hitler (1933 - 1945)*, Payot 1944.
GEORGES CASTELLAN D. D. R., *Allemagne de l'Est*, Ed. du Seuil, 1955.
G. - N. GILBERT, *Le problème allemand*, cahier 1 de la Neef, décembre, 1952.

إيطاليا

- MAURICE VAUSSARD, *Histoire de l'Italie contemporaine (1870-1946)*, Hachette, 1950.
MAX GALLO, *L'Italie de Mussolini*, Lib. Acad. Perrin, 1964.
MURIEL GRINDROD, *The rebuilding of Italy. Politics and economics 1945 - 1955*, Londres. Oxford U.P., 1955 (Royal Instit. of Intern. affairs).
GAETANO SALVEMINI, *Mussolini diplomate*, Grasset, 1932.
JEAN MEYNAUD, *Les partis politiques en Italie*, P.U.F., 1965.

الدول الأخرى

- RAYMOND FUSILIER, *Les monarchies parlementaires. Étude sur les systèmes de gouvernement (Suède) Norvège, Luxembourg, Belgique, Pays-Bas, Danemark)*, Les Éditions ouvrières, 1960.
FRANS VAN KALKEN, *Entre deux guerres. Esquisse de la vie politique en Belgique de 1918 à 1940*, 2e éd., Bruxelles. Office de Publication, 1945.
PIERRE VILAR, *Histoire de l'Espagne*, P.U.F., 6e éd. 1965.
PIERRE BROUE et EMILE TEMIME, *La révolution et la guerre d'Espagne*, Ed. de Minuit, 1961.
P. JEANNIN, *Histoire des pays scandinaves*, P. U. F., 2e éd. 1965.
JEAN MEUVRET, *Histoire des pays baltiques : Lituanie, Lettonie, Estonie, Finlande*, Colin 1934.
CLAUDE-JOSEPH GIGNOUX, *La Suisse*, Lib. Général de Droit et de Jurisprudence, 1960 (Comment ils sont gouvernés).

الاتحاد السوفياتي

- EDWARD HALLET - CARR, *A history of Soviet Russia*, 5 vol. (jusqu'en 1952), Londres, Macmillan, 1951 - 1958.
FERNAND GREMARD, *La Révolution russe*, Colin, 1933.
FRANK LORIMER, *The population of the Soviet Union*, Genève. S.D. N., 1946.
ALEC NOVE, *L'économie soviétique*, trad. fr., Plon, 1963.

- PIERRE GEORGE, *L'économie de l'U.R.S.S.*, 10e éd., P.U.F., 1966.
 WALTER KOLARZ, *La Russie et ses colonies*, trad. fr., Fasquelle, 1954.
 JEAN BRUHAT, *Histoire de l'U.R.S.S.*, P.U.F. 5e éd., 1958.
 MOUSKHELY (dir.), *L'U.R.S.S.; droit, économie, sociologie, politique, culture*, t. I, Sirey 1962.
 L. VOLPICELLI, *L'évolution de la pédagogie soviétique*, trad. fr. Neuchâtel, Delachaux & Niestlé, 1954.
 PIERRE BORLIN, *La société soviétique (1917-1964)*, A. Colin, 1964 (coll. «U»)
 CONSTANTIN DE GRUNWALD, *La vie religieuse en U.R.S.S.*, Plon, 1961

اوربا الوسطى والشرقية

- HUGH SETON - WATSON, *Eastern Europe between the wars 1881 - 1941*, Cambridge University Press, 1945
 JACQUES DROZ, *L'Europe centrale. Evolution de l'idée de «Mitteleuropée»*, Payot, 1960.
 A. TIBAL, *La Roumanie*, Rieder, 1930.
 L. EISENMANN, *La Tchécoslovaquie*, ibid., 1921
 HUGH SETON - WATSON, *The East european revolution* Londres, Methuen 1950.
 P. GEORGE, *Les démocraties populaires*, Ed. sociales, 1952.
 C. BOBROWSKI, *La Yougoslavie socialiste*, Colin, 1960.
 ISTVAN AGOSTON, *Le Marché Commun communiste. Principes et pratiques du Comecon*, Genève Droz, 1964

امريكا اللاتينية

- JACQUES LAMBERT, *Amérique latine*, P. U. F. 1963 (coll. «Thémis»)
 EUGENE PEPIN, *Le panaméricanisme*, Colin, 1938
 CHARLES V. AUBRUN, *l'Amérique centrale*, nouv. éd., P. U. F., 1962.
 JACQUES LAMBERT, *Le Brésil, structure sociale et institutions politiques* Colin 1953.
 RAYMOND AVALOS, *Le Chili* 2e éd., P.U.F. 1963.
 TOUCHARD, *La République argentine*, P.U.F., 1966
 CLAUDE JULIEN, *La révolution cubaine*, Julliard 1961

مسائل الاستعمار وإزالة الاستعمار

- RENE SEDILLOT, *Histoire des colonisations*, A. Fayard, 1958.
 P. GOUROU, *Les pays tropicaux*, P.U.F., 3e éd., 1953.
 HUBERT DESCHAMPS, *Peuples et nations d'outre-mer : Afrique, Islam, Asie du Sud* Dalloz 1954 (études politiques, économiques et sociales)
 PAUL MUS, *Le destin de l'Union française. De l'Indochine à l'Afrique*, Ed. du Seuil 1954
 TIBOR MENDES, *La révolte de l'Asie*, P.U.F., 1951
 RENE VIARD, *La fin de l'Empire colonial français*, G. - P. Maisonneuve et Larose 1963
 J. MEYRIAT (sous la dir. de), *La Communauté Internationale face aux jeunes Etats*, Colin, 1964.
 RENE GENDARMIE, *La pauvreté des nations*, Ed. Cujas, 1963.
 YVES LACOSTE, *Les pays sous-développés*, P.U.F. nouv. éd. 1963.

مسائل البلدان الإسلامية

- LOTHROP STODDARD, Le nouveau monde de l'Islam, Payot, 1923
1949.
JACQUES BERQUE, Les Arabes d'hier et de demain, Ed. du Seuil.
GIBB, Les tendances modernes de l'Islam, trad., fr.; Maisonneuve,
1960.
WILFRED CANTWELL SMITH, L'Islam dans le monde moderne.
trad. par A. Guimbrelière, Payot, 1962.

الشرق الأدنى

- SIR READER BULLARD, The Middle East, a political and economi-
cal survey; 3e éd., Londres. Oxford University Press, 1958.
P. KELLER, La question arabe, P.U.F.; 1948.
P. MONTAGNE, La civilisation du désert, Hachette, 1947
M. CLERGEY, La Turquie, passé et présent, Colin; 1947
MARCEL COLOMBE, L'évolution de l'Egypte (1924-1934), Maisson-
neuve, 1951.
FREDY BEMONT, L'Iran devant le progrès, P.U.F., 1964 (coll. «Tiers
Monde»)

أمن النيل

- ANDRÉ FALK, Israël, terre deux fois promise, Ed. du Seuil, 1954
ARTHUR KOESTLER, Analyse d'un miracle, trad. fr., Calmann -
Lévy; 1949.

الغربيين الشمالية

- DESPOIS, L'Afrique du Nord, 8e éd., P.U.F.; 1964.
CH. - A. JULIEN, Maroc et Tunisie. Le problème du protectorat,
cahier no. 2 de la Nef, mars, 1953.
ROBERT MONTAGNE, Révolution au Maroc, Ed. France - Empire;
1963.
CHARLES - HENRI FAVROD, Le F.L.N. et l'Algérie, Plon 1962.
ANDRÉ NOUSCHI, La naissance du nationalisme algérien (1914 -
1954), Ed. de Minuit, 1962
THOMAS OPPERMAN, Le problème algérien; Maspero. 1961
YVES-MAXIME DANAN, La vie politique à Alger de 1940 à 1944.
Lib. Gén de Droit et de Jurisprudence 1963

أفريقيا السوداء

- ROBERT et M. CORNEVIN Histoire de l'Afrique, Petite Bibliothèque
Payot, 1964.
JEAN SURET - CANALE, Afrique Noire. t. II - l'ère coloniale (1900 -
1945), Ed. Sociales, 1964
JACQUES WEULERSSE, Noirs et blancs. Cailh, 1931
HUBERT DESCHAMPS, Les institutions politiques de l'Afrique noire,
nouv. éd. P.U.F., 1965.
B. HOLAS, Le séparatisme religieux en Afrique Noire, P.U.F., 1965
GEORGE PADMORE, Panafricanisme ou communisme. trad. de
l'anglais, Présence africaine 1961

- MAMADOU DIA, *L'économie africaine. Études et problèmes nouveaux*, *ibid.*, 1957
- J. BOYON, *Naissance d'un État africain : Le Ghana*, A. Colin 1958
- HUBERT DESCHAMPE, *Histoire de Madagascar*, Berger - Levrault, 1969.
- LEO MARQUAND, *The people and politics of South Africa*, 3e éd., Londres, Oxford Univ. Press, 1962.

الشرق الاقصى

- P. RENOUVIN, *La question d'Extrême - Orient*, Hachette, 3e éd, 1953.
- PIERRE FISTIE, *Le reveil de l'Extrême - Orient. Guerres et révolutions (1894 - 1954)*, Les Presses universelles, 1956.
- W. MACMAHON BALL, *Nationalism and communism in East Asia*, Melbourne, University Press, 1952.
- HELENE CARRERE D'ENCAUSSE et STUART SCRAM, *Le marxisme et l'Asie (1853-1954)*, A. Colin, 1965

الصين

- GEORGES MASPERO, *La chine*, t. II, Delagrave, 1925.
- J. J. BRIEUX, *La Chine du nationalisme au communisme*, Ed. du Seuil, 1950.
- E. - R. HUGHES, *L'invasion de la Chine par l'Occident*, trad. fr., *ibid.*, 1938.
- JACQUES GUILLERMAZ, *La Chine populaire*, nouv éd. Paris, P. U. F., 1964.
- RENE DUMONT, *Révolution dans les campagnes chinoises*, Ed. du Seuil, 1957
- TIBOR MENDE, *La Chine et son ombre*, trad. fr., Ed. du Seuil, 1960.

اليابان

- AYANORI OKASAKI, *Histoire de japon , l'économie et la population*, Cahier 32 de l'Institut national d'Etudes démographiques, P. U F., 1958.
- ROBERT GUILLAIN, *Le peuple japonais et la guerre. Choses vues (1939) - 1946)*, Julliard, 1949.
- J. - F. BARRET, *L'évolution du capitalisme japonais*, 3 vol., Ed. sociales, 1945 - 1947
- JOHN M. MAKI, *Government and politics in Japan. The road to democracy*. New York, Praeger, 1962.

الفييتنام

- LE THANH KHOI, *Le Viet-Nam. Histoire et civilisation*, I, Ed. de Minuit, 1955.
- JULES RAY, *La bataille de Dien-Bien-Phu*, Julliard 1963.
- JEAN LACOUTURE, *Le Viet-Nam entre deux paix*, Ed. du Seuil, 1965

الهند

- MARIE - SIMONE RENOU, *L'économie de l'Inde*, P U F, nouv éd., 1964.

ETIENNE GILBERT, L'Inde, Genève, Droz, 1958.

CHARLES BETTELHEM, L'Inde indépendante, Colin, 1962.

آسيا الجنوبية الشرقية

TIBOR MENDE, L'Asie du Sud - Est entre deux mondes, Ed. du Seuil, 1954.

PIERRE FISTIE, Singapour et la Malaisie, P. U. F., 1960.

GEORGE MCTURNAN KAHN, Governments and politics of South-East Asia, Cornell «U.P.», 1965.

CLAUDE - ALBERT COLLIARD, La question d'Indonésie, Lib. Gén. de Droit et de Jurisprudence, 1950.

W. F. WERTHEIM, Indonesian society in transition, La Haye, W. Van Hoeve, 1958.

مراجع عربية

استكمالاً لهذه المراجع البليغرافية ، رأيت « دار منشورات هويدات » ، في بيروت ان لكلف الاشادة يوسف اسعد هاجر الاختصاصي بفن المكتبات والحفظ المالي بالبيبلوغرافيا الشرقية ولتوثيقه للطبي ، وأحد المترجمين لهذه الموسوعة التاريخية إعداد قائمة بالراجع والمصادر التاريخية العرب التي تشمل بأهم مواد هذه الجرد . وقد أزل الأستاذ داعر حد وصلها هذه فأهدى هذه القلقة خدمة منه للبحث العلمي وتيسيراً لاسابه والمباحثين في الدراسات التاريخية العائدة هذه الحقبة من التاريخ العام .

فمن ان يجد الباحثون في هذه الترجمات اختارة ما يفي بمص الشيء عن جهد التلقي ومثقة التفتيش .
للمنشر

الحرب العالمية

الحرب الأوروبية ١٩١٤ - ١٩١٨

توماس لويل - لورانس في بلاد العرب - تعريب كامل صويلل مسيحية - الشويفات
ومطبعة الكلية الوطنية ١٩٣٣ ، ص ٢٦٧ - صور - خرائط .

الديراوي ، عمر محمد - الحرب العالمية الأولى - بيروت ، دار العلم لملايين ، ١٩٦٤ ،
ص ٥٧٦ - خرائط - مصور

لوهرن ، غوستاف - الحرب الأوروبية ، ترجمة أميل زيدان - القاهرة ، مطبعة الهلال ،
١٩١٦ ، ص ١٨٢ .

المندسي ، جرجس الخوري - اعظم حرب في التاريخ وكيف مرت أيامها - بيروت ،
المطبعة العلمية ، ١٩٣٧ ، ص ١٣٨ .

بيشون ، جان - بواعث الحرب العالمية في المشرق الأدنى وموجز لتاريخ جدول اميركا في
هذا الشرق . ترجمة محمد عزة دروكة - بيروت ، مطبعة الكشاف ، ١٩٤٦ ، ص ١٤٩ .

روفانيل ، الخوري بطرس - اعمال المرأة في الحرب للكبرى - بيروت ، المطبعة
للكاثوليكية ، ١٩٣٣ ، ص ١٧٠ .

- مجلة العالم الفرنسي - المسلمون الفرنسيون في الحرب - باريس ، مايو ، ١٩١٤ ، ص ٣٨٩ .
- حسين ، فاضل - محاصرات عن مؤتمر لورن وآثاره في البلاد العربية - القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٨ ، ص ٧٠٧ .
- ميور ، رامزي - النتائج السياسية للحرب العظمى ، ترجمة محمد بدران - القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦ ، ص ٣٧٥ .
- الحرب بين بريطانيا العظمى وتركيا والكتاب الأبيض الانكليزي . وهو يتضمن المراسلات الانكليزية الرسمية البريطانية والمالية قبل وقوع الحرب بين الحلفاء وتركيا - القاهرة ، دار المقصم ، ١٩١٤ .
- تاريخ الحرب العظمى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ج ١ - ٢ - بيروت ، مكتبة الاملية ١٩٣٨ ،
- عبدك - صور - خرائط
- ووف ، احمد - كيف دخلت تركيا الحرب العالمية . تعريب فؤاد مبداني ، بيروت ١٩٣٣ ، ص ٨٤ .
- عزيز بك - سوريا ولبنان في الحرب العالمية . ترجمة فؤاد مبداني ، بيروت ١٩٣٣ ، ص ٣٨٤ .
- القصص ، فايز - مذكراتي عن الثورة العربية . دمشق ، مطبعة ابن زيدون ١٩٣٩ ، ص ٢٧٢ .
- السيد ، نوري - محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦ - ١٩١٨ بغداد ، مطبعة الجيش ، ١٩٤٧ ، ١٨ ورقة - خرائط .
- الفاصل المصري - الكتاب الاسود . يحتوي على مداخلة ابن السمود مع الانكليز ومحاربة ابن الرشيد ابن السمود من اجل ذلك ، ١٩١٥ ، ص ٣١ .
- دوسى ، سليمان - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى . عمان ، دار النشر والتوزيع ، ١٩٥٧ ، ص ٢٦٣ ، صور - خرائط .
- العمري ، محمد امين - تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ بغداد ، المطبعة العربية ، ١٩٣٥ ، ٣ اجزاء - خرائط .
- نديم ، شكوي محمود - الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٧ . بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٤٩ - خرائط .
- السواري ، بشارة - اربع سني احرب . نيويورك ، مطبعة جريدة الهدى ١٩٢٦ ، ص ٤٨٣ .
- داغر ، اسعد خليل - تاريخ الحرب الكبرى شعراً - القاهرة ، مطبعة الهلال ، ١٩١٩ ، ص ١١٢ .

انطونيوس ، جورج - بقطة العرب . ترجمة كمال حيدر ، الركاوي ، دمشق ، مطبعة
الترقي ، ١٩٤٦ ، ص ٤٦٣ .

سعيد ، امين محمد - اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين - بيروت ، دار
الكاتب العربي ، ص ٣٩٩ .

تشرشل ، ونستون - تشرشل يتكلم عن الشرق - اقتباس اسيل دقاتي - بيروت ، مكتبة
بيروت ، ١٩٥١ ، ص ٩٥ .

الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥

هرج ، السيد - بعد الهدنة - القاهرة ، مطبعة التوكل ، ١٩٤٥ ، ص ١١٨
كار ، ادوارد هاليت - دعائم السلام ، تمريب محمد فريد ابو حديد - القاهرة ، لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، ص ٢١٢ .

فرج ، السيد - حرب الصحراء المصرية ، قصة الحرب في صحراء مصر وشمال افريقيا ،
يناير ١٩٤٠ - ديسمبر ١٩٤٢ - القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٤ ، ص ١٢٦ - شرائط .

كارثيبي ، ريمون - الحرب العالمية الثانية . ترجمة سهيل سماعة وانطون مسعود - بيروت
مؤسسة نوهل للطباعة ، ١٩٦١

لاوند ، رمضان - الحرب العالمية الثانية - بيروت ، دار العلم للطالين ، ١٩٦٦ ، ص ٥٩٢ -
صور .

همر ، حسين - لاقتصاد القومي في الحرب والسلم - القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ،
١٩٦٦ ، ٢٣٠ ص .

نصر ، صلاح - الحرب النفسية : معركة الكلمة والمعتقد - القاهرة ، دار القاهرة للطباعة
والنشر ، ١٩٦٦ .

الحرب الاسرائيلية العربية

حرب ١٩٤٨

الحطيط ، محمد نمر - احداث النكبة أو نكبة فلسطين - بيروت ، دار مكتبة الحياة ،
١٩٦٧ ، ٢٦٨ ص - صور .

ابو فاضل ، منير - حرب فلسطين لم تلت - بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٥٣ ، ص ٤٩ ، صور
مونتغمري ، فيكونت - مذكرات مارشال مونتغمري ، فيكونت للمسلمين ، ترجمة
فريد سبيل ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٢ ، ٢٦٨ ص .

- القصري ، محمد فايز - الصراع السياسي بين الصهيونية والعرب ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦١ ج ١ - ٢٢٢ ص . خريطة .
- عبد المنعم ، محمد فيصل - اسرار ١٩٤٨ . تقديم أنيس منصور - القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨ ، ص ٨٠٢ ، صور . خرائط .
- الجلالي ، محمد فاضل - ذكريات وعبر : كارثة فلسطين وأثرها في الواقع العربي . بيروت ، طبعة أولى ١٩٦٤ ، ص ٢٤٢ ، طبعة جديدة ١٩٦٥ ، ص ٢٧٢ .
- النل ، عبدالله - كارثة فلسطين : مذكرات عبدالله النل ، قائد معركة القدس . القاهرة ، دار العلم ١٩٥٦ ، ج ١ - خرائط - وثائق مصورة .
- الافريقي ، محمد طارق - المجاهدون في معارك فلسطين ، ١٩٤٨ . دمشق ، دار البقعة العربية ١٩٥٩ ، ص ١٨١ ، صور .
- اتفاقيات الهدنة العربية الاسرائيلية ، شباب - نور ١٩٤٩ ، مصوص الأمم المتحدة وملحقاتها . بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٩ ، ص ٩١ . خرائط .
- ابو النصر ، عمر - معركة العرب خلال الاستعمار والصهيونية ١٩٤٨ - ١٩٦٧ . بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٧٩٦ ، صور ، خريطة .
- البيطار ، فديم - من النكسة الى الثورة . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٣ .
- حاماتي ، هنري - جهاد وكوارث . بيروت ، قدموس ، ١٩٦٨ ، ص ٣١٠ .
- حسن ، فيصل - خسرتها معركة فلنريجها حرياً . بغداد ، دار الجمهورية ، ١٩٦٧ ، ص ٨٠ . صور - خريطة .
- حسين ، الملك - حريتنا مع اسرائيل . بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٨ .
- الخلو ، ابراهيم - حرب ٥ حزيران كما رآها وكما يراها العالم . بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨ ، ص ٢٠٨ .
- خطاب ، محمد شيت - الايام الحاسمة قبل معركة المصير . بغداد ، وزارة الثقافة والارشاد ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ . خريطة .
- سجل الآراء . حول الوقائع السياسية في البلاد العربية . الحرب العربية الاسرائيلية • حزيران - بيروت ، دار الابحاث ، ١٩٦٧ ، ج ١ .
- شامية ، جبران - مراحل الهزيمة وتطوراتها . بيروت ، دار الابحاث والنشر ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٢ .
- المعظم ، صادق جلال - النقد الذاتي بعد الحرية . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٣ .

قناني ، نادر - هوانش على دفتار التنكسة . قصيدة طويلة . بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣١
 القصاص ، فؤاد - اسرار حرب تحرير ن ، معارك سيناء ، معارك الاردن ، معارك سوريا ،
 مع عشرات الصور والوثائق للأسلحة والقوات والمعارك . بيروت ، لا ت ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٢ .
 المنجد ، صلاح الدين - أحمدة التنكسة . بحث علمي في أسباب هزيمة ٥ حزيران . بيروت ،
 دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٧ ، ص ١٩٩ .
 منصور ، ادب - التنكسة والخطأ . الاخطاء الفكرية والمعادنية التي أدت الى الهزيمة .
 بيروت ، دار الكتب العربي ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٥ .

العالم العربي

تونس

دار الكتب المصرية - قائمة بالكتب والمراجع من تونس . القاهرة ، دار الكتب المصرية ،
 ١٩٦١ ، ٢٥ + ٢٧ ص
 الببلي ، عمر بن محمد - هذه هي تونس المجاهدة . القدس ، مكتب المغرب العربي ، ١٩٥٥ ،
 ص ١٢٤ .
 البضاوي ، خيرات - وميض النور في المغرب العربي . بيروت ، مطبعة دار الكتب ،
 لا . ت . ، ١٠٤ ص صور ، خريطة .
 حلي ، إحسان - تونس العربية . بيروت ، دار الثقافة ، لا . ت . ، ٣٠٠ صفحة ، صور .
 درموية ، يوسف - تونس بين الاتجاهات . القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٣ ، ص ٢١٩ .
 درموية ، يوسف - تونس بين الحماية والاحتلال . القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ص ١٥١ .
 الزكاسي ، عمر - كتاب دراس الحرية في تاريخ الحركة القومية للتونسية . تونس ،
 مطبعة العمل ، لا . ت . ، ٥٧ ص
 زيادة ، نقولا عبدو - تونس في عهد الحماية ١٨٨١ - ١٩٣٤ . محاضرات ، القاهرة ، معهد
 الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ .
 الجمهورية التونسية - تونس اليوم - تونس ، ٢٠٤ ص ، حرائط - صور

الجزائر

الشقيري ، احمد - دفاعاً عن فلسطين والجزائر - المغرب شعري حماد - بيروت ، المكتب
 للتجاري ، ١٩٦٣ ، ٢١٠ ص - صور

- البجاوي ، محمد - الثورة الجزائرية والقانون . ترجمة علي الخنس - دمشق ، دار البتة
١٩٦٥ ، ٤١٤ ص .
- بو عزيز ، يحيى - بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري ، عام ١٩٥٧ - تونس ،
المكتبة الشرقية ، ١٣٧٦ هـ ، ٣٦٧ ص - صور .
- بو عزيز ، يحيى - الموجز في تاريخ الجزائر - وهران ، المطبوعات الوطنية الجزائرية ، ١٩٦٥ ، ج ١
البيضاوي ، خيرات - وبيض النار في المغرب العربي - بيروت ، مطبعة دار الكتب .
لا . ت ، ١٠٤ ص - صور - خريطة .
- الجزائري ، مسعود مجاهد - تاريخ الجزائر - القدس ، مطابع دار الايتام الاسلامية ، ١٩٦٥
٢٨٣ ص - صور - خريطة .
- جلال ، عبد العاصي - فرنسا في الجزائر - القاهرة ، المطبعة العلية للطبع والنشر ، ١٩٥٦
١٤٤ ص - صور .
- حلي ، جوان - الجزائر النائرة ، ترجمة شعري حماد ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٩١ ،
٢٣٩ ص .
- الجيلالي ، عبد الرحمن بن محمد - تاريخ الجزائر المصم ، الجزائر ، المطبعة العربية ، ١٩٥٣ -
١٩٥٥ ، جزآن ، خرائط - لوسات .
- حافظ ، حدي - الجزائر بين الامس والفسد ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للبناء
والنشر ، ٩٤٤ ص .
- الحص ، عبد الرحمن محمود - الجزائر في معركة البناء ، بيروت ، دار نشر الآداب ، ١٩٦٣
١١٢ ص .
- حقي ، إحسان - الجزائر العربية ، ارض الكفاح الجديد ، بيروت ، المكتبة التجارية ،
١٩٦١ ، ٣١١ ص .
- الشافعي ، علي - ثورة الجزائر ، القاهرة ، دار الندم ، ١٩٥٦ ، ٢٤٨ ص .
- المقباد ، صلاح - محاضرات عن تطور السياسة الفرنسية في الجزائر ، القاهرة ، معهد
الدراسات العربية للعالية ، ١٩٦٠ ، ١١٣ ص .
- عودة ، محمد ورفاقه - الجزائر : ارض الحب والدم ، القاهرة ، المكتبة الدولية للتوجه
والنشر ، لا . ت ، ١٢٣ ص .
- فؤاد ، سعد رحول - حشت مع ثوار الجزائر ، بيروت ، دار العلم للعلايين ، ١٩٦٠ ،
٣٢٠ ص .

- المصري ، احمد توفيق - هذه هي مصر ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦ ، ص ٢٤٧ ، خريطة .
- مرقس ، محمد عبد المنعم - الجزر المتصورة ، القاهرة ، دار القومية ، لا . ت . ١١٩ ، ص . النقاش ، رجاء - ثورة الفقراء ، بيروت ، دار الآداب ، ١٩٦٤ ، ص ١٣٩ .
- الورتلاي ، الفصل - الجزائر الشائرة ، بيروت ، جاد الرحمن ، ٥٢٦ ، ص .
- يحيى ، جلال - السياسة الفرنسية في الجزائر من سنة ١٩٣٠ - ١٩٥٩ ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٥٩ ، ص ٣٨٣ .

السودان

- داعر ، يوسف اسعد - الاصول العربية للدراسات السودانية ، بيروت ، دار النجوى ، ١٩٦٨ ، ص ١٨٥ . كشاف خاص بالمصادر والمراجع العربية الخاصة بالسودان والسودانيين وروادي النيل ، ضم نحواً من ٢٠٠٠ مصدر من مكتب خاصة والبحث صدرت عن السودان او حول السودان بين ١٨٢٤ - ١٩٦٨ .
- دار الكتب المصرية ، قسم الارشاد - قائمة بالكتب والمراجع عن السودان ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦١ ، ص ١١ ، بالمعربة و ٦٧ باللات الاحنية ، طبع ١٧٥ مصدر بالغة العربية ، و ٣٨٩ باللات الاحنية .

ليبيا

- دار الكتب المصرية - قسم الارشاد - قائمة بالكتب والمراجع عن ليبيا - القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦١ ، ص ٢١ + ٣٠ .
- طرابلس الغرب وبرقة في برائن الاستعمار الايطالي - مصنف سود - دار استقبال ، لا . ت . ص ١٦٠ .
- الاشيب ، محمد لطيف - برقة العربية امس واليوم ، القاهرة ، مطبعة الحواري ، ١٩٤٧ ، ص ٧٢٠ ، صور ، خريطة .
- - - عمر المختار - القاهرة ، مكتبة القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢١٢ .
- - - ابراهيم احمد الشلحي - القاهرة ، مطبعة الخانجي ، ١٩٥٦ ، ص ١٤٣ .
- ابن ارون ، زهبة سليمان - صفحات خالدة من الجهاد . القاهرة ، مطابع الاستقلال الكبرى ، مجلدات .

البراي ، راشد - ليبيا والمملكة الليبية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ ، ص ٧٧ .

رشدي ، راسم . طرابلس العرب في الماضي والحاضر - طرابلس ١٩٥٣ ، ص ٢٢٣ - صور - لوحات

ازواي ، الطاهر احمد - تاريخ الفتح العربي في ليبيا - القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٤ ، ص ٢٩٦ .

شكري ، محمد غواد ، السنوسية دين ودولة - مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٨ ، ص ٤٣٣
شلي ، محمود - عمر المختار صهيبة لاستعمار الوحشي ، القاهرة ، المكتبة العلمية ١٩٥٨ ، ص ١٣٢ .

الشبلي ، محمود - قضية ليبيا القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ ، ص ٣٥٦ - صور .

عاس ، حسن رشيد . تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري . بنغازي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦٩ .

قبعين ، سليم . تاريخ الحرب العثمانية الإيطالية - القاهرة ، مطبعة التقدم .

عمود ، حسن سليمان - ليبيا بين الماضي والحاضر . القاهرة مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٢ ، ص ٤٣٧

شكري ، محمد غواد . ميلاد دولة ليبيا الحديثة . وثائق تحريرها واستقلالها - القاهرة ، مطبعة الاعتقاد ، ١٩٥٧

زيادة ، نقولا عمده - ليبيا في المصير الحديثة . محاضرات أقيمت على طلبية قسم الدراسات التاريخية والافانوية . القاهرة ، محمد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٦ ، ص ٣٧٣

— — — محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار لاطالي الى الاستقلال ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٧٣ .

خدوري ، محمد . ليبيا الحديثة : دراسة في تطورها السياسي ، ترجمة نقولا زيادة - بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٦ ، ص ٥٥٠ .

ليبيا سنة ١٩٤٨ (وثيقة رسمية قدم لها واعدها فانشر نقولا زيادة) بيروت ، الجامعة الاميركية ، ١٩٦٩ ، ص ٢٠٥ .

المغرب

السليو عرافيا المغربية لسنة ١٩٥٦ - قطنون ، دار الطباعة المغربية ١٩٥٦ ، ص ٥٨ ورقه .

- دار الكتب المصرية - قسم الارشاد ، قائمة بالكتب والمرجع عن المغرب ، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦١ ، ص ٣٦ + ٦٦ .
- ابن جلول ، عبد الحميد - هذه مراكش - القاهرة ، مكتبة المغرب العربي ، ١٩٤٩ ، ص ٧٢٦ .
- ابن عمود ، محمد بن عبد السلام - تاريخ المغرب ، تطوان ، مطبعة اميدية ، ١٩٥١ .
- حلال ، محمد عبد الحافظي - الاستعمار الفرنسي في مراكش (المغرب الاقصى) ، القاهرة مكتبة النهضة ، ١٩٥٤ ، ص ١٨١ .
- القاسي ، حلال - الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، القاهرة ، مطبعة لرسالة ، ١٩٤٨ ، ص ٥٦٠ .
- خروج ، عمر - وثيقة المغرب ، بيروت ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب الاسلامي ، ١٩٦١ ، ص ٣٣٩ .
- القبلاوي ، عبد الكريم - المغرب مديناً وشعباً ، القاهرة ، دار الطليعة الحديثة ، ١٩٥٧ ، ص ٢٤٦ .
- - - - - دروس تاريخ المغرب - لدار البيضاء ، ١٩٦١ ، ص ٣٠٤ .
- كرو ، ابو القاسم محمد - مآسي شهر النساء والدموع في المغرب العربي ، تونس ، مطبعة الترقى ، ١٩٥٦ ، ص ٩٥ .
- لاديم ، روم ، ترجمة بقولا زيادة - تاريخ المغرب في القرن العشرين ، بيروت دار الثقافة ، ١٩٦٣ ، ص ١٣٨ .
- - - - - مراكش بعد الاستعمار ، تعريب شكري حماد - بيروت ، دار الطليعة ١٩٦٦ ، ص ٣٥٠ .
- ابو النصر ، عمر - بطل الريف الامير عبد الكريم ، بيروت ، المكتبة لاهلية ، ١٩٣٤ ، ص ٢٣٦ .
- محمد الحامس ، ملك المغرب - إسهامات أمة : اقوال وأعمال . الرباط ، المطبعة الملكية ، ١٩٥٦ - ١٩٦٤ .

افريقيا

ابو الجهد ، صيري - ثورة افريقيا - القاهرة ، الشركة العربية ، ١٩٦٠ ، ص ٢٩٨ .

- رياض ، زاهر - استثمار افريقيا . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٢٦١ صور ، خرائط .
- — — استثمار القارة الافريقية واستقلالها . القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٣٣ ، خرائط .
- عودة ، عبد الملك - السياسة والحكم في افريقيا . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ٥٢٢ .
- حشجة ، عبدالله - في افريقيا السوداء . بيروت ، مطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٢ ، ص ١٥٠ .
- حقي ، احيان - افريقيا الحرة . بلاد الأمل والرجاء ، بيروت ، المكتبة التجارية ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠٠ ، خريطة .
- خلف الله ، عبد الغني عبدالله - مستقبل افريقيا السياسي تاريخ شعوب القارة الحديث وادحة التطور المحتملة فيه ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٥٢ ، ص ٥٠١ ، خريطة .
- صبري ، صلاح - افريقيا وراء الصحراء . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠ ، ٣ اجزاء في واحد .
- طاهر ، احمد - افريقيا في مفارق الطرق . القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٤٩٩ .
- غرايبه ، عبد الكريم محمود - دراسات في تاريخ افريقيا العربية ١٩١٨ - ١٩٥٨ ، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٠ ، ص ٢٩٦ .
- قلعجي ، قدرى - لومومبا . بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦١ ، ص ١٢٩ ، صور خرائط .
- اجمل ، شوقي عطا الله - الوحدة الافريقية ومراحل تطورها من مؤتمر اكرا ١٩٥٨ حتى مؤتمر تنمية الصناعة الافريقي الاول بالقاهرة ١٩٦٥ ، القاهرة ، دار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٠ .
- بدوي ، عبده - شخصيات افريقية . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي لا ت ١٦٧ ص .
- رنائي ، محمود سلام - النظم القانونية الافريقية وتطورها . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ ، ص ٤٩١ .
- عبد ، محمد عبد الرحيم - التمييز العنصري في افريقيا . القاهرة ، الدار القومية ، ١٩٦٦ ، ص ٢٢٢ ، خرائط .

- نكروما ، كوامي - الوجدانية : فلسفة وعقيدة للتحرر والتطور خصوصاً بالنسبة لثورة
الافريقية . ترجمة كريم حزقول ، بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٤ ، ص ٢١٩ .
- الامم المتحدة - ادارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية . دراسة الحالة الاقتصادية في افريقيا
منذ عام ١٩٥٠ ، نيويورك ، الامم المتحدة ١٩٦١ ، ص ٥٦٥ ، خريطةتان .
- غبريال ، وهي - افريقيا والتكتلات الرأسمالية الأوروبية . القاهرة ، الدار القومية
للطباعة والنشر ، لا . ت ص ٨١ .
- نفس ، محمد - السوق الافريقية المشتركة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ ،
ص ٥٦ ، خريطة .
- رفقة ، فيليب - الجغرافيا السياسية لافريقيا مع دراسة شاملة للدول الافريقية سياسياً
واقتصادياً وطبيعياً . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ ، ص ٦٧٣ ، خرائط .
- البرايوي ، راشد - التطور الاقتصادي الحديث في افريقيا . القاهرة ، مكتبة الانجوار المصرية
١٩٦١ ، ص ٢١٠ ، خرائط .
- تونس . كتاتبة الدولة للثقافة والاخبار - افريقيا الجديدة تونس ١٩٦٢ ، ص ٢٣٦ ، مصور
مؤتمر الدار البيضاء ٣ - ٧ كانون الثاني ١٩٦١ ، بيروت ، المكتب النجاري ١٩٦١ ،
ص ٦٨ .

لاستعمار

- بن بي ، ملك - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة . القاهرة ، دار المروية ، ١٩٦٠ ، ص
١٨٢ .
- بيهم ، محمد جميل - عالم من جديد في آسيا وافريقيا والوطن العربي . بيروت ، مؤسسة
المعارف ١٩٦٤ ، ص ٣٩٠ ، خرائط .
- الجمسي ، محمد عبد الفني - افريقيا للافريقيين . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، لا ت
ص ٩٠ .
- حمدان ، محمد صباح - الاستعمار والصهيونية العالمية . صيدا ، المكتبة المصرية ، ١٩٦٧ ،
ص ٢٩٦ ، صور ، خرائط .
- خالد ، خالد محمد - مواطنون ورعايا . القاهرة ، الحناحي ، ١٩٥٨ ، ص ٢١٣ .
- خالدي ، الدكتور مصطفى وعمر فروخ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية . هرس لجوده
المبشرين التي ترمي الى احضار الشرق للاستعمار الغربي بيروت ، ١٩٥٣ ، ص ٢٢٦ .
- زبيير ، محمد - فرائز قانون او معركة الشعوب المتخلفة . المغرب ، دار الكتاب ص ١٣١ .

الشهابي ، الأمير مصطفى - محاضرات في الاستعمار ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية
للعالي ، ١٩٥٦ ، جزآن .

صوري ، محمد - تاريخ العصر الحديث . نصر الولايات المتحدة . الاستعمار الجديد ، القاهرة
دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦ م ٣١٣ ، صور ، خرائط .

عبد ، علي إبراهيم - المنافسة الدولية في أعالي النيل ١٨٨٠ - ١٩٠٦ . القاهرة ، مكتبة
الأنجلو المصرية ١٩٥٨ ، ص ٢٩٨ .

الغرياني ، محمد سعيد - قصة الكفاح بين العرب والاستعمار . القاهرة ، دار المعارف ،
١٩٦٠ ، ص ٣٥٢ .

الفتيت ، محمد علي - الغرب والشرق من الحروب الصليبية الى حرب السويس ثورات
العرب في سنة ١٩١٩ . القاهرة ، الدار القومية ، جزآن .

الفراتلي ، محمد - الاستعمار استقار وإطباع . القاهرة ، الخانجي ، ١٩٥٧ ، ص ٢١٠ .

فهمي ، عبد العزيز - الاستعمار ضد الشعوب . القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٨٩٢ .

لينين - الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية . ترجمة راشد براني . مصر ، مكتبة النهضة
المصر ، ١٩٤٥ ، ص ٢٠٨ .

نكروما ، كوامي - الاستعمار الجديد : آخر مراحل الامبريالية . ترجمة عبد الحميد حمدي ،
القاهرة ، دار القاهرة للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ٣١١ .

الشعي ، قططان محمد - الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن عدت
والاسارات القاهرة ، دار النشر للطباعة والنشر والاعلان . ١٩٦٢ ، ص ٢٦٠ ، خارطة .

الدكتاتورية - الفاشية

داغر ، يوسف اسعد - الديمقراطية في المكتبة العربية : مصادر ومراجع . بيروت ،
١٩٥٩ ، ص ٧٥ (ضم أكثر من ٧٥٠ مرجعاً عربياً حول الديمقراطية والنظم السياسية)

دوقرجيه ، موريس - في الدكتاتورية ، ترجمة هشام متولي بيروت ، هويدات ، ١٩٦٥ ،
ص ١٨٣ .

بياسي ، برزو - دولة التعاون يندماج الجماعات ، ترجمة سعيد الشروسي بكتبة مطبعة
مجلة الحرائر ، ١٩٣٠ ، ص ٨١ .

خياط ، سليم - حريات في الغرب ، بيروت ، لا. ت. ج .

ديمقروف ، جورج - الفاشية عدو الشعب او وحدة الطبقة العاملة في النضال ضد الفاشية ،
ترجمة نقولا لاشاوي ، مع مقدمة لحالد بكداش دمشق ، ١٩٣٧ ، ص ١٢٤ .

هناك ، محمد عبدالله - المذاهب الاجتماعية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤ ، ص ١٨٧ .

الميلي ، محمد منير - العاشية المالية الحديثة ، بيروت ، دار الآداب ، ١٩٦٣ ، ص ١١٢ .

رشاد ، علي - الماشيرم أو النهضة الإيطالية الحديثة ، تعريب محمد محفوظ الكردي ، حلب ، مطبعة النهضة العربية ، ١٩٢٦ ، ص ١٤٣ .

خلوف ، فريد - إيطاليا والقصة العربية ، بيروت ، ١٩٣٢ ، ص ٧٩ .

الصهيونية

أبو صديق - الماسونية بلا قناع ، بغداد ، دار البصري ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦٤ ، ص ٢٦٤ .

البارودي ، فكري - كارثة فلسطين المعضي ، دمشق ، مطابع ابن زيدون ، ١٩٥٠ ، ص ٦١ .

بروتوكولات حكماء صهيون وثماني ، ترجمة شوقي عبد الناصر ، القاهرة ، مطابع دار التعاون للطبع والنشر ، لا . ت . ص ٢٢٣ .

برقي ، عبدالله - القومية العربية والقومية اليهودية ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٣ .

بسيو ، سعدي - الصهيونية ، نقد وتحليل ، القدس ، لمعة للتجارة ، ١٩٤٥ ، ص ٢٢٧ .

بيهم ، محمد جميل - فلسطين اندلس الشرق ، بيروت ، مطابع صدر ربحاني ، ١٩٤٦ ، ص ٢٨٢ .

تارو ، حيروم وحنان - داء ملك اسرائيل ، تعريب أنطون عي ، بيروت ، ١٩٣٢ ، ص ١٥٥ .

تلحوق ، وديع - الصليبية الجديدة في فلسطين ، دمشق ، مكتبة النوري ، ١٩٤٨ ، ص ١٦٣ .

التونسي ، محمد خليفة - الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون ، القاهرة ، مطبعة الكتاب العربي ، ١٩٥٠ ، ص ١٨٠ .

الحاج ، يوسف - في سبيل الحق ، هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود ، بيروت ، ١٩٣٤ ، ص ٢٣٩ .

حرب ، أميل الحوري - مؤامرة اليهود على المسيحية ، بيروت ، دار العلم للفلايين ، ١٩٤٧ ، ص ٨٤ .

لوحض ، عجاج - بروتوكولات حكماء صهيون ، حرآن ، بيروت ، ١٩٦٧ ، الجزء الأول بحث في ظهورها واسباب غلبة العرب عنها مع تراجم رؤسائها ، الخ ، ٣٢٢ ص الجزء الثاني: في

- التجارة وأسفارها ورب العائلة ، ص ٣٢٠ .
- حسن ، قاسم - لمحات في تاريخ التطورات الاجتماعية في الغرب ، وظهور المشكلة اليهودية ،
وقيام إسرائيل ، بيروت ، دار العلم للنلايين ، ١٩٥٨ .
- الحسيني ، محمد أمين - حقائق عن قضية فلسطين: تصريحات واحاديث للسيد محمد أمين
الحسيني كشف بها الستار عن اسباب كارثة فلسطين وعلاقاتها بالولايات المتحدة . القاهرة ،
مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين ١٩٥٧ ، ص ٢٥٠ .
- حداد ، محمد مصباح - الاستثمار والصهيونية العالمية - صدا ، المكتبة المصرية ،
١٩٦٧ - ص ٢٩٦ . صور ، خرائط
- خطاب ، محمود شيت - حقيقة إسرائيل محاصرات . القاهرة ، معهد البحوث والدراسات
العربية العالمية ١٩٧٦ ، ص ١٠٨
- وروق ، اسعد - إسرائيل كبير . دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني . بيروت ، منظمة
التحرير الفلسطينية ١٩٦٨ ، ص ٩٦٣ . خرائط .
- رشدي ، عمر - الصهيونية ورأيها إسرائيل . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ ،
ص ١٣٧ ، خرائط
- الرشيدات ، شفيق - فلسطين : تاريخاً وحداً ومصيراً . القاهرة ، دار الكتاب العربي
للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ، ص ٤٧٨ .
- الرملي ، محمود فتحي - الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار . القاهرة ، وكالة الصحافة العربية ،
١٩٥٦ ، ص ٢٥٥ .
- رعيتر ، أسكرم - القضية الفلسطينية - القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥ ، ص ٣١٩ خرائط .
- شميس ، عبد الحليم - اسرار الصهيونية - القاهرة ، دار القاهرة للطباعة ١٩٤٩ ، ص ٥١٠ .
- صايغ ، فايز - الاستثمار الصهيوني في فلسطين ، تعريب عبد الوهاب كيالي - بيروت ،
١٩٦٥ ، ص ٧ + ٧٠ .
- - - - -
الديبلوماسية الصهيونية - بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٧ ص
٢٢٤ .
- صفوة ، محمد فتحي - اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى . بغداد ، مطبعة
الحكومة ١٩٦٧ ، ص ٥٨ .
- الفصري ، محمد فايز - الصراع السياسي بين الصهيونية والعرب . القاهرة ، ١٩٦١ ص ٢٢٣ ،
خرائطان .
- كيالي ، عبد الوهاب - المط مع الصهيونية التوسعية . بيروت ، مطبعة التحرير الفلسطينية
١٩٦٦ ، ص ١٣٦ .

موجز الحوادث العالمية

(من الحرب العالمية الأولى حتى ٣١ كانون الأول ١٩٩٥)

١٩١٤ - استيلاء الألمان على لوكسمبورغ وبروكسل -
- بخراتكة - اضطراب الصين إلى القبول بطلبات
اليابانيين انضمامهم للعشرين (٧) - أيلول : هجوم
حليف في سيبيريا - بلغارية تحالف ألمانية وانضمت
(٦) - مؤتمر الصنوبر في ليدزفولد - استيلاء الألمان
على لوبلينا - تشرين الأول : لوبلينا انضمت في سالونيك
(٥) - هجوم بلغاريا وانضمت على صربيا واستولوا على
على بلغراد وتوش - هجوم إيطالي في غوريسيا -
تشرين الثاني : السحاب الجيش الصربي إلى ألبانيا.
البحر المتوسط حول النمساوية الشاملة - دومان
بولان : ترك الحركة - بيلكسو : أركين - ذي القعدة :
الحرب الساحرة .

١٩١٤

حزيران : مقتل الأرشيدوق فرانسوا - فرديناند
في سراييفو (٢٨) - تموز : انصار النمساوي إلى
صربيا (٢٩) - إعلان الحرب (٢٨) - صيف روسية
عامة (٣١) - آذار الذي إلى روسيا وفرنسا (٣١) ،
أب : صيف عامة في فرنسا (١) - إعلان الحلفاء الحرب
على روسيا (١) - آذار الذي إلى بلغاريا (٢) - تموز
تحالف ألماني - تركي (٢) - إعلان الحلفاء الحرب على
فرنسا وإعلان انكسار الحرب على ألمانيا (٤) - تموز
لنات باناسا (٥) - ملوك الصناديق (٢٧ - ٢٥) ،
ومورانسج (٢٦) - تموز (٢٧ - ٢٥) ، - تموز
(٢٦ - ٢٥ أيلول) - أيلول : معاهدة لندن (٥ - ١٠)
وبحيرات مالدريا (٩ - ١٤) ، تشرين الأول : معركة
الايوير (١٩ - ١٧ تشرين الثاني) - انكسار فرنسا
تقران معاهدة ألمانيا اقتصاديا - تشرين الثاني :
استيلاء اليابانيين على كواو ليمو (٧) - إعلان تركيا
الحرب على الحلفاء (١٢) - م. بروست : البحث من
الحلفاء وإيطاليا (٣٦) - أيار : هجوم حليف في أركوا
الغالبين .

١٩١٦

كانون الثاني : جلاء النمسا من غاليليو
(٦ - ٨) - شباط : فرض الخدمة العسكرية الإلزامية
في بريطانيا العظمى (٢) - بلغ معركة فردين (٢١) -
أسيلا الألمان على خوانون (٢٥) ، آذار - القسام
« معجبة سبارياكوس » (٢٤) ، نيسان : ثورة انصح
في أيرلندا (٢٢) - استسلام البريطانيين في كسيف
الصارف (٢٩) ، أيار : بيان كيندال الإمبراطوري (١) -
هجوم النمساويين على إيطاليا في أسبافو (٥) -
معركة جلند الحربية (٣٦) - حزيران : هجوم
بروسيلوف (٤ - ١٥ آب) - ثورة الصغار - الألمان
بولتون معركة فردين (٢٥) - تموز : هجوم حليف
على السوم [حتى ٢٣ تشرين الأول] - آب : هجوم
إيطالي على الإيسيرو (٢) - دخول روسيا الحرب
إلى جانب الحلفاء (٢٨) - أيلول : استسلام القديسات
للمرة الأولى (١٥) - هجوم ألماني بلغاري وتنساري
ألماني على رومانيا - تشرين الأول : الفرانسويون
يستمرون حربي دومانسون (٢٤) ، تشرين الثاني :

١٩١٥

كانون الثاني : معركة دوغر بانك (٢٤) -
شباط : هجوم حليف على اللوردنيل (١٩) - هجوم
فرنسي في سيبيريا (٢٦) - نيسان : الألمان
يستسلمون الصلوات السامة للمرة الأولى (٢٢) -
لوز انطفا في غاليليو (٢٥) - معاهدة لندن بين
ألمانيا وإيطاليا (٢٦) ، أيار : هجوم حليف في لوفوا
- هجوم لسمفوي ألماني في غاليسيا ينتهي إلى
استرداد برمهيل في حزيران - إعلان إيطاليا الحرب
على النمسا (٢٣) - تموز : هجوم إيطالي في كارسو -

استرداد حصن في (١) - كانون الأول : فلول الطغمة الوطنية في ألمانيا (٢) - استيلاء دول أوروبا الوسطى على بولندا (٣) - مقتل راسبوتين (٢٩) - هدم بديوس : النكر - اكتشاف المخابرات - بروك : مدخل إلى التمهيد النفسي .

١٩١٧

كانون الثاني : ألمانيا تعلن حرب فرانكفورت لا هودة فيها (٩) - شياط : طبع العلاقات الدبلوماسية الألمانية الإمبريكية (٢) - آذار - أوائل الثورة الروسية في بروفاندا (٨) - استقالة نقولا الثاني (١٥) - ليمان : إعلان الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا (٢) - هجوم الكيزري في أركو (٩) - وفرنسي في شيبان (١٦ - ١٧) - لينين في روسيا (١٦) - أيار : حركات فرد عسكري في فرنسا واضرابات في باريس - هجوم إيطالي في كلوس - حزيران : هجوم لسانوي ساكن على إيطاليا وحجوم روسي في فاليشيا - أيلول : استيلاء الألمان على ريم (٩) - محاولة الغالب على يد كورينول - تشرين الأول : تراجع إيطالي في كازوويتو (٢٤) - تشرين الثاني : إعلان بلومبر حول الجمهورية (٢) - استيلاء سريلانك على السلطة (١٢) - وزارة كليمنسو (١٧) - السوفييت يطلبون الهدنة مع ألمانيا (١٦) - كانون الأول : استيلاء الأتراك على القدس (٩) - مارشيت برست - بيلسك (٢٠) - يول - فاليري : الباركية الفنية - ج. كوبراد : خط الظن - بيرندلر : لكل حقيقة - ج. هومل : حياة الشهداء - مودريان : الواقع الفيلمي والواقع الجبرد .

١٩١٨

كانون الثاني : نقاط ولسون (١٤) - منع النساء حق التصويت في الكتلة - اضطراب عام في فرنسا (١٦) - شياط : معاهدة صلح بمساواة ألمانيا مع أوكرانيا (٩) - تولف مفاوضات برست - ليتوفسك (١٠) - هدنة جديدة بين الروس والألمان (٢٦) - اضطراب عام في ألمانيا (٢٨) - تسليم يتابع النزول في المكسيك - آذار : استيلاء الألمان على كيبك (١) - معاهدة برست - ليتوفسك (٢) - أيار : الجبهة الإنكليزية (٢١) - مؤتمر فرنسي بريطاني في دولس : فولي (٢٦) - نيسان : الألمان يتوزون غنسل (٢) - البيلساليون يستولون على لاديبوستوف (٥) - هجوم ألماني في لفلندر (٩) -

٨٧٠

نوليا (٩) واستونيا (١٠) صلتان استقلتهما - انتهاء جيش دينيك - استيلاء الألمان على جبل - كسل - (٢٥) - أيار : معاهدة بوخارست (٢) - هجوم الثاني على طريق السيليك (٢٧) - احتلال سواسون (٢٩) - وودمان وشافو - تيجري (٢٩) - حزيران : التظلمة بين الحلفاء والسوفييت (٢٠) - تموز : هجوم ألماني على أمان (١٥) - هجوم فرنسي مماكن في قديم - كزريه (١٨) - تملي الألمان من خط المارن (٢١) - آب : هجوم فرنسي إنكليزي على السوم (٨) وحجوم فرنسي على الأين (٢٠) وحجوم إنكليزي على كزريه (٢١) - أيلول : السحاب الثاني عام أبي خط جنديبورغ (٤) - النعسا للنفس الصلح (١٩) - هجوم اميري على سان - ميشال (١٥) وحجوم فرانسمندسري في حقوبيا (١٥) واللي في فلسطين (١٩) وحجوم فرنسي اميري في الأفرن - وحجوم إنكليزي على السوم وفي الفلاندر - بلغاريا تطلب هدنة (٢٦) التي وقعت في ٢٩ - دخول جنديسا ودمشق (٢٠) - تشرين الأول : ماكس دي يار يصبح مستقلا (١) - مفاوضات غيوم الثاني مع ولسون (١٤) - إعلان استقلال النيك (١٢) - ليمباريين (٢٤) والكروالين والسوفييت (٢٦) - هدبل - الدستور الألماني (٢٢) - ألمانيا تلم نقاط ولسون (١٤) (٢٧) - هدنة مودروس (٣٠) - أكتوبر إيطالي في فيتوريو فينيكو (٣٠) - تشرين الثاني : هدنة بلاجيردي (٢) حركات فرد في كيبك (٢) - السحاب الألمان إلى خط الفرس - الور (٤) - ألمانيا تطلب هدنة (٩) - فتنة في حاورف (٧) وموبج (٨) - إعلان استقلال بولوب (٧) - إعلان الجمهورية في برلين - هدنة وولند (١١) - شارل الأول يتخلي عن السلطة (١٢) - انقلاب على يد الأميرال كولشاك (١٨) - كانون الأول : انزال جيوش فرنسية في أوديس والقرم - استيلاء اليوشتيك على استونيا وليتوانيا ولتوانيا - إعلان جمهورية في هنغاريا - التظلمة بين الاشتراكيين والبيروالين في برلين (٢٨) - انتخابات : كالي : في بريطانيا العظمى .

١٩١٩

كانون الثاني : اسبوج احمر : في برلين (٦ - ١١) - اجتماع مؤتمر الصلح (١٨) - اندلاع الثورة الألمانية في أيرلندا - كوششك يتولي على برم - شياط : حملة : فون دير فولز في البلقان

كاينتر : نتائج المصلح الاقتصادية - هـ - برنسون :
الطاقة الروحية - كولين : هـ - بـ - كوديس :
الواحد المثل - هـ - دي مونكران : ملوية الصباح -
سكاروليس : الشراع الرئيسي .

١٩٢١

كاتون الثاني : انصار مصطفي كمال على
اليونانيين في ايلول ١٧ - مؤتمر ليوبيسكي في
باريس (٢٤ - ٢٦) ولنتش (٢٧) شياط - ٢ آذار .
اذار : ثورة بغارة كروستات (١٧٠٧) - معاهدة
ريما (١٧٢) - اعتماد السياسة الاقتصادية الجديدة
(١٧٢) - المعاهدة الروسية الفرنسية (١٧٦) - الاستنام
في سيجيريا العليا (٢٠) - الفرنسيون يحتلون
دوسدورف وروبريت وديسبورغ - رضا خان
يخون على السلطة في ايران - ليسان : اغراب
صلح المناجم (بريطانيون حتى حزيران) - ايسر
لوزة يونانية في سيندريا العليا (٢) - ملر : كارثة
اسبانية في مراكش في ايلول (٢٠) - اتفاق ويسباد
بين الفرنسيين والالان (٢٧٧) - كيب : صلح منفرد
لكن الالان والاميركيين (٢٨) - مقتل فونبرجر (٢٦) .
تشرين الاول : جبهة الامم لقم سيلويسا
العليا (٢٠) .

اندرية برتون ولييب سوبو : اعقول
المطبعة - بـ - داروي : محاسن - جـ - جبرود :
سومون داباشليكي - ميرتلك : اريان وديوب
- بلو - جـ - رومان : السيد لله تروعايك المذامر
- صـ - جويج : ثلاث اللشيد - جـ - بيرندلو :
سنة اشخاص يستحق من مؤلف - ١٠ سيمو :
خمسور ريلون - جون دوس يوسوس : ثلاثة حنود -
اوبرا اكيان بيرغ : لوسيله .

١٩٢٢

شياط : التكترا طلب اقباب العمل بمعاهدة
التحالف مع اليابان (١) - اتفاق واشنطن البحري
(١٣) - معاهدة الحدود الكنع مع الصين (٦) -
معاهدة اتيكيزية مصرية : نهاية الصليبية (٢٨) .
اذار : اتفاق سيسي بايلي - سحبي انطليك ال ٢١
(٢٨) - ميسان : مؤتمر جندي (١٠) حتى ١٩ ايار
- اتفاق الاندراكسين واشيرجيين في الانصار
الفرنسي العام للمل - كيب : اغراب عام في ايطاليا
بقدمه موسوليس (١) - انصار الكركل على
اليونانيين في هاقبون قره حصار (٢٦) - ايلول :

(١) - انشاء مجلس ليمار (٦) - انشغال ايهوت
ونيسا (١١) - مقتل كورت ايسر (٢١) - اذار :
تأسيس المولية الثالثة (١) - جلاء الجيوش الفرنسية
من اوديسا - اعلان الجمهورية السوفياتية في هنغاريا
(٢١) - كولغمان يستولي على اولاد واديسبورغ -
ترقف التضامن النقدي بين انحصار - نيسان
البولنديون يستردون ليلنا - فتحة في لمريسمس
(١٢) - ايار : الايطاليون يحتلون اناشيا و ايلوب
المرير - بولونيا تحتل غاليسيا - هزيمة دنكيك في
روسيا الوسطى - هجوم يودميتش باتجاه بتروغراد -
حزيران : توقيع معاهدة فرساي (٢٨) - البولنديك
يستردون اولاد - تموز : الرومانيون يستقون بلاكون
آب : هزيمة كولتشاك العالي - استيلاء الرومانيين
على بودابست (٢٣) والبولنديين من ملك - لوزة
مصطفي كمال على انسلطان (٥) - ايلول : استيلاء
جـ - دالوروي على فيوم (١٢) - معاهدة سان - جرمان
(١٩) - تشرين الاول : هزيمة يودميتش امام بتروغراد
(٢١) - كانون الثاني : تأسيس في الولايات المتحدة (٢٨) .
تشرين الثاني : تأسيس الشييوخ الاميركي يرفض
معاهدة فرساي - معاهدة لوبي (٢٧) - البولنديك
يستردون اومك - كانون الاول : اراجل الاحيرة
بجلاء الالان من الدول البلطيقية .

دولو فوندي تحتل اللوزة - هـ - يادروس : هيد -
اـ - جيد : السقولية الراموية - اـ - جويج : حوصف
فولاذية - تأسيس ال ٤ يوهومن : في ليمار اـ في
في شمو اـ .

١٩٢٠

كاتون الثاني : رفض مجلس الشيوخ الاميركي
السماع للولايات المتحدة بالانضمام الى جمعية الامم
(١٦) - شياط : البولنديك يستردون اركوتيك
واديسا - اذار : ليس ملكا على سوريا و حيدالله
ملك على اعراف و الاميرال حورفي وصيا في هنغاريا
- نيسان - فرنسا تحتل دارمستيات ورتكمورت -
موتمر سلف ريمو - حركات شيوعية في النرويج -
البولنديك يستردون اذربيجان - اتفاق البولنديين
ونيبيريا دغورهم اوكرانيا واستيلاهم على كيهما
(٦ ايار - حزيران : معاهدة تريانون (٤) - هزيمة
اسولوبيين وانصارهم من اوكرانيا - لوزة - لرسا
تحتل دمشق - كيب : معاهدة سيمو (١٠) - معركة
لنصونيا (٥) - اميرانيون يستولون على الفريديون -
ايلول : اغراب عام في لومبارديا واليهيمون - تشرين
الاول : مقدمات المصلح بين روسيا وبولونيا (١٢) .
كانون الاول : معاهدة المصلح بين الروس والهنلنديين
(١٢) - مؤتمر لوز (٢٥ - ٢٠) .

(٤) . نيسان : انتخاب كتل أحزاب اليسار في فرنسا
(٤) . أيار : إعلان الجمهورية البريانية بمبدأ
استفتاء (٢٤) . حزيران . مقتل مايفوس (١٠) -
دراسة هوب في فرنسا (١٥) . صول : مؤتمر
نابن . بقه العمل ببطء داو (١٦) . تشرين الأول .
التصديق للمعاهدتين في الانتخابات (٢٦) -
فرنسا اعترفت بالامم المتحدة الموقفي (٢٦) - أين سمود
يستولي على مكة .

رامون يحكم القضاة الوطني ضد الفداح
والناتجوس - مبدأ هايزبرغ حول عدم الضميمة -
ب. فاليري : انصاف والرفص - اوبالوس -
ج. هيرودس . جوليت في بلاد الير - ج. ومان -
بوك - اوبل : ابتداء تحت حجر النبق - ث. ملن :
الجن المسور - بريون : نيسان البريالية -
غلادكوب : الاسمنت - ميكيل دي اوليفو :
احتصار المسيحية - م. فورستر : مصر القى
الهند - م. موس . محاولة في المطبخ - فيم
بولستان : الخدمة بومكين .

١٩٢٥

كانون الثاني - الفالستية تصبح حزباً وحيداً
(٢) - فروتسكي يلقى من مجامع كنفوس للشعب -
احمد زوغو رئيساً للجمهورية الانبسانية (٣) .
شباط : وفاة ايرت (٢٨) . آذار : وفاة من يات
سن (١٢) - اقتراح عدم في اليابان - نيسان :
سقوط وزارة هوب (١٠) - عيد الكرم يشهد
مراكش الفرنسية (٢٢) - انتخاب مندوب (٢٦) .
أب : مؤتمر مكوي بروكسنتي في ستوكهولم
(١٩ - ٢٩) . تشرين الأول : مؤتمر بمساعدة
لوكارنو (٥ - ١٦) - ولسا خان يصبح شاه إيران
(٢١) .

ميلكان يكشف الاقصة الكوية - ا. حيد
جوزيف النقذ - اوربينا دي غاسيه : جريد العصر
من الانسانية - مرفق الفنون الكونية في باريس
- م. رافيل : ألود واضرار السكر - ث. شابلن :
الاندلاع وراء الذهب .

١٩٢٦

كانون الثاني : أين سمود حاك العجلان إلى -
الجلاد من مملكة كولونيا (٢١) - دكتورية بالفاوس
في الميوسان (٢١ حتى آب) . نيسان : هيريد
ماهدة رابالو بين الألمان والروس (٢٢) . أيار :
بلسودسكي يقوم بانقلاب (١٢ - ١٤) - فليم

الغراه يستولون على الزمير (٨) . تشرين الأول :
عدنة يونانية تركية في حودانيا (١١) - انتخابات
بريطانية محافظة (١٥) - استلحاد موسوليني كنولي
أسلطة (٢٩) - انبانيون يجلون مر فلاديفرستوك .
تشرين الثاني : مصطفى كمال يستولي على السطة
في تركيا (٢) كانون الأول . روسيا تصبح الاتحاد
السوفييتي (٣٠) .

عانس برجر يكشف الفرجات الفصافية -
بانتيغ ويسك يتكلمان الانسولين - ه. برغسون
ديسومة وكية - ف. موريك : قبيل الابري - ج.
جيرودو : سمفريد واليهوديين - ج. جويس .
أونسي - ث. س. البوت : الارض المسورة -
فاسوورتي : فوسسات صاف - م. لوبس :
بابيت - ج. ميرال . الفراق الفاصل - ج. ر.
جيدو : قصائد (١٩٢٢ - ١٩٢٥) - بومون
استدب الايفس - اول تحقيق عداسي له - ل.
كوبوزيه .

١٩٢٣

كانون الثاني : الليتوانيون يستولون على
عمل (١٠) - انفرسيون وابيلجكيون يحتلون ايرود
(١١) - مقاومة سلمية - آذار : لوبين يتنزل الحكم .
حزيران : نزاع ايطالي يوناني : الايطاليون في
كورفو (١٢ - ٢٢) . صول - ماهدة لوند بين
اليونانيين والانسرا (٢٤) . آب : سترسم دليس
الشرود الخارجية (٦) . ايلول . قيام برير دي
رييرا بانقلاب في اسبانيا (١٣) - انتهاء الفادوة
السبية في الوند (٢٠) . تشرين الثاني : اجتماع
لجنة داو (٣٠) .

لويس دي برويل يضع مبادئ الآلية الترمجية
- استخدام ال - للمرة الاولى في معالجة
التنوع الرقوي - به. ف. القديسة حنه - ج.
كورا : القرمصان - ر. س. وبلد : مراني خولير
- ف. موريك : ممر السلا - ج. هيريكس -
فورمانوف : شابايف .

١٩٢٤

كانون الثاني : وفاة لينين (٢١) - وزارة مال
دومالك المسالية (٢٢) - تحالف فرنسي بلسكوسولافي
(٢٥) - اتفاق ايطالي يوغوسلافي : ايطاليا تستعيد
فيوم (٢٧) . شباط : انكلترا تعترف بالاقتصاد
السوفيالي (١) . آذار . الفاء الخلافة في تركيا

عيد الكرم (٢٩) - نومبر دا موسم يا موسم باقلاّب
في البرغزال (٢٨) .

نومر : القس هبوط للفلك الرسمي (٢٠) -
كارمون يعل محل نومبر دا موسم (٩) - ورنو
برانكاريه (٢٢) - (٩) : دخول ألمانيا جمعية الأمم
بدا - لقاء نواري - تصانغ كاي شك يستوي على
حانكيو - كانون الأول : هرنمرازس يقوم بانقلاب
في ليتوانيا (١٧) .

براءة : إدارة شؤون الكنيسة : القاضية
بانشاء الكيروس بلدي : ب. ايلوار - حاصنة الأمم
- ميترنك : حياة الأرض - ج. جهرود : بلا -
ج. برتالوس : تحت شمس الشمس - ص.
موريك : ميريل ديكر - ا. جيل : لو ان أصبح
لا موت - آي : الواعظ ضد السلطة - فيلم
رموز ، مالا ، وفيلم فرمنز لانغ ، متروبريس .

١٩٢٧

كانون الثاني : نهاية اربعة اسبوعية في
ألمانيا (٢١) - آذار : تصانغ كاي شك يستوي على
شمسي وانكين - بسان : قارن القس الاندلسي
(٢١) ، (٢١) : المؤتمر الاقتصادي الدولي في جنيف
(٤ - ١٣) - لندبرج يجتاز الاطلسي الشمالي -
نومر : القاضية بين تصانغ كاي شك واليهوديين
الفلسطينيين - كانون الأول : قطع العلاقات الدبلوماسية
بين الصين والاتحاد السوفياتي (١٤) .

الاب لومر يروج نظرية توسع الكون - م.
هايدجر : الوجود والعدم - ج. دوهميل : يرميات
سالين - ج. كوكو : أدلية - ا. سنكلير :
ميترول : روح النساء - غاديم : اليرمية -
رولامون لهن : غبار - ٢ مقبي الجبل ، ا. ا.
فيلم لاطق .

١٩٢٨

كانون الثاني : الحصاد ترويسكي الى اميب .
بسان : صالازار وزير المال في البرغزال -
جزيران : تقيت الفلك افرسي وسيا ، اب .
ميثاق بريان - كورخ (٢٧) - ايلول : احمد دوسو
يصبح روع الاول ملك اليالي (١) - تشرين الأول :
اليخاندريه الشقة الخمسة الاولى في الاتحاد
السوفياتي - كانون الأول : اجتماع خبراء بحصة
بائع للتبويضات (٢٢) .

ا. برتون : بجا - ا. مالرو : الفانكون - ا.
م. ومالك : لا جديد في الغرب - ستيفان جورج .

الامبراطورية الجديدة - ارلت فلانر - مجندو
السنة ٢٢ - موسيل بانويون : زيريد - اياون
بعث في الانشاء - ه. جوكلي : طباق - د. د.
لورنس : خليل السعد شاذلي - م. رافيل :
بورو - اول فيلم بالرسوم المتحركة : ميكي ماوس
ل. ه. وولت ديسني - ه. فيلم بويويل : الكلب
الاندلسي .

١٩٢٩

كانون الثاني : علي ترويسكي (٢١) - دكتاتورية
امكتشو في يوغوسلافيا (٥) - شباط : تصانغ
لوران : النساء حبة الفاتيكان (١٦) - ايار : انتخابات
صغلية في الكنترا (٢٠) - حزيران : خطة ياتغ -
وراء ملك دونالد الثانية في الكنترا (٥) - ايلول :
سقوط لورلداس في ليتوانيا - تشرين الأول :
قائمة صغلية في مصفى بويوك (٢٤) - تشرين
الثاني : تلمس مصرق التسويات الدولية (١٣) .
الكتشف المتحدين على يد الكنترا للتح -
م. هايدجر ، ما هو علم ما وراء الطبيعة ؟ - ج.
جهرود ، اميتريون ٢٨ - ب. كزويل ، الحدا
الاطلسي - ا. دويل - ساعة الكنترا في برلين
- اودوما اي ناسيه : ثورة الصاهير - ا. مورانيا ،
الامبالون - بسان السريالية الثاني - جيمس
وداما : انتها الاسطة - ج. كوكو ، الاولاد لسمون
- تأسيس متحف الفن المصري في نيويورك - فيلم
كنغ ليدور : اوبه .

١٩٣٠

كانون الثاني : نشر مذكرة كلارك بالتعني من
سياسة : القاضية الكبير ٢ - افرس الثالث
عشر يطره بريو دي ديمورا (٢٨) - شباط :
هجوم على الخدمة الفرنسية في ٨ بين ياي -
اذار : استقالة شاخت [٧] - نيسان : وزير
برومع (١) - اتفاق لندن البحري بين انكلترا
والولايات المتحدة واسبانيا (٢٢) - لقة في يشاور
(٢٢) ، حزيران : كارول الثاني يستعيد عرش
رومانيا (٦) - الحدا صغلية من ألمانيا (٢٠) - الكنترا
تشرق باستقلال العراق (٢٠) - ايلول : انتخابات
صغلية في ألمانيا : فوز هادي (٤) ، تشرين الأول :
مؤتمر امبراطوري برطاني : نظام وستمنستر (١)
حتى ١٤ تشرين الثاني : الصين تحصل على
استقلالها : اميركي - الكنترا : بطل عن واي حاي
واي (١) ، كانون الأول : انتهاء المؤتمر الصهيوني

(٢١ حتى ٢٠ آب) - اندلوح بحرب خسار بين
آلبانافراي ويومينا (٢١) - آب : ثورة سان جورج
في اشيبييه (١٠ - ١٣) - لقاء هتديورغ وهنسر
(١٣) - ايلول : مؤتمر سريزا (٥ - ٢٠) - تشرين
الثاني : انتخاب لود. بورفلت رئيسا (٨) - ميثاق
علم اهتداء بين فرنسا وروسيا (٢٩) - بك وزير
الشؤون الخارجية في بولونيا - كانون الاول :
وزارة جون شليشر (٤) - البانيون يحتلون جيهول
(٩) - الاعتراف لالمانيا بمساواة الحقوق (١١) - هـ
برنسبون - مصادر الاخلاق والدين - ل. موربانك -
عقدة الثمايين - ن. ف. سيلين : رحلة الى اخر
الليل - ايموس هوكلي : اثمالم الجديد الضجاج
- اوسترومكي : وسطي القولا - تولوكوف :
اندون المانيه -

١٩٣٣

كانون الثاني : رودلست ينادي بسياسة
" حسن الجوار " - هنتر-مشتار (٣٠) - شياط :
انشاء المجلس الدائم للتصالح الصغير (١٦) - حريق
الريشتغ (٢٧) - غزو هو - باي وسير اليابانويين
على بكين - اذار : تأجيل المفاوضات للمصالح في
الولايات المتحدة (٩) - دكتاورية دولويس في
النمسا (١٥) - هنتر يحصل على مستطات مطلقة
(٢٤) - ايربان كسحب من جمعية الاسم (٢٧) -
تصديق الدستور في الهند - نيسان : تصديق
سمر اسولار (١٢) - الولايات المتحدة تنجلي عن
قاعدة الذهب - ايار : وثيقة الاصلاح الزراعي
(١٢) - حزيران : لا الميثاق ايرباني (١٧) - مؤتمر
اقتصادي ونقدي في لندن (١٢ حتى ٢٧ آب) -
ليوز : الاشتراكية الوشيية حزب وحيد (١٤) -
معاودة بين الفانيكان والمانيا (٢٠) - تشرين الاول :
المانيا تنسحب من مؤتمر زرع السلاح ومن جمعية
الاسم (١٤) - تشرين الثاني : انتخابات معتدلة في
اسبانيا (١٩) - كانون الاول : مؤتمر الدول الاميركية
في مونتهفيديو -

جوليو - كوري : يحق الاشعاع الاصطناعي -
ا. صانرو : الوسخ البشري - ج. جوردو :
استراحة - ا. سينون - فونتاسارا - غارسييا
بورك - عرس الدم -

١٩٣٤

كانون الثاني : ماثون تنظيم العمل في المانيا
(٢) - اتفاق عدم اعتداء بين المانيا وبولونيا (٢٦)

لنوع الاسلحة (٩) +

لحقيل اول ملكك لري - اختيار ج. كلود
ووشرو على طائفة البصار الحاررية - مالمرو :
الطريق للكنية - ا. لون سينون - الهلكي - هـ
مس : ناريسس ولولدموند - موريل : الانسان
الخالي من الصفات - جون دوس پاسوس : كفت
لمرض ال ٤٢ - اوچين فاييحه : فندق الشمال
- جان جيوبو : كسب يمد خسارة - ج. نوهمال :
مشاهد من حياة المستقبل - ر. لند : طلائون -
م. واقيل : موسيقى ليله الهري -

١٩٣٦

اذار : مشروع وحدة جمركية لمساوية المانية
(٢١) - تيسان : انتخابات جمهورية في اسبانيا
(١٢) - اعلان الجمهورية في برنسولة وبعاب ابلوك
(١٤) - ايار : الفلاس ال " كريتا صفات " في
فيبا (١١) - براراد : السمة الاربعون (١٥)
جزيران : هورن يوجل انطع (٢٠) - الانتخابات
مجلس الكوريس التاسيسي (٢٨) - تموز : اعمال
امصارف في المانيا (١٢) - الايام يوتلون مدفوماتهم
اندولية - آب : تشكيل حكومة اقتصاد وطني
برئاسة ماك دوديد في انكلترا (٢٤) - ايلول
الدستور اتيووملالي الجديد - ايبانيون يحتلون
مشوربا (١٩) - انكلترا تنجلي عن قاعدة الذهب
(٣١) - تشرين الاول : تحالف هارديورغ بين هنسر
والمانالطين (١) - انتخابات محافظة في انكلترا
(٢٧) - كانون الاول : اعلان الدستور الجمهوري
الاسباني رسميا (٩) -

اندرسون يكتشف الكوبريت السبي - بـ
ديوري : طرقت الى العالم الحاني - ج. رومان :
دوتوغ - ا. دي مالت - كسوري : طيران ليلى
- هرمان بروش : المرويصون -

١٩٣٢

كانون الثاني : ايبانيون يؤسسون ال هتشوكو
(٢) - حل جمعية ايسوهي في اسبانيا - شياط :
انتاج مؤتمر فرع السلاح (٩) - اذار : تنجلي
انكلترا مع مقدم المقايضة الحرة (١) - نيسان :
اعادة انتخاب هتشوكو (١٠) - ايار : وقادة هريو
في فرنسا (٤) - حزيران : وزارة فون باين (١) -
مؤتمر اقتصادي في لوردان : تنجلي عن التعويضات
(١٦ حتى ٢ تموز) - اموز : سلاواو رئيس مجلس
دوربا في البرضال - مؤتمر اوعاوا الامبراطوري

ملاويك وحفول بقمس مجلة (١٨) - ايلان وليمو
الشؤون الخارجية (٢٢) .

فرسي يفتك الكرة - المختبرات الرادار الاولى
- اكتشاف الـ « ميرون » على يد بركاوا - اكتشاف
المستطرات الكهربائية - ظهور انفسون الاول -
ج. جبرودو ، حرب طرواده لن كسندك - لـ
جسبريل ، ليتشه - الفيرمو مودانيا : الاطماع الغالبة
- س. م. م. الليوت ، جريمة لن في الكاندالية -
ا. سالاكو : مجبولة اراس .

١٩٣٦

كانون الثاني ، وفاة جورج الفخمس (٢) -
مناخسة صلح بين بوليفيا والبرازيل (٢١) ،
شيك : انتخاب اللجنة القومية في اسبانيا (١٦)
انتخابات حرة واشتراكية في ايرلندا (٢٠) -
محاولة انقلاب عسكري في اليابان (٢٦) - آذار
هنتر يرأس الممالك لوكنلو ويحتل رينانيا (٢٧)
ايل : سقوط اديس ابايا في ايدي الايطاليين (٥)
الزنا : رئيس الجمهورية الاسبانية (١٠) - انتخاب
الجبهة الشعبية في فرنسا - حزيران : وزارة علوم
(٤) - اتفاقات مانيسون (٦) ، تمول : افاد فرض
مقبوبات عن ايطاليا (٥) - ثورة فرنكو في مراكش
الاسبانية (١٧) - مؤتمر عوكترو حول المصلح
(٢) - اب : ميلاكساس يستولي على المنطقة في
اليونان (٤) - تمركز الايطاليين في ماجوركا - اعدام
كاسيف وديرمييف (٢٥) - اتفاق لن بين الكلترا
وممر (٢٦) - ايلول : تفجير سمر الفرنك الفرنسي
- اجتماع لجنة عدم التدخل في اسبانيا (٩) ،
تشرين الاول ، ليبرال الثالث يعلن مودة بيجيكا الى
البحر - تشرين الثاني : ميخاق المال بونتي ضد
الشيوعية (٢٥) - اخفاق فرنكو لنام مدريد - كانون
الاول : دستور سوفياني جديد (٥) - حادث سبان
ودوق كفاي كاي شك اسيرا في ايدي قتلت -
سو : لجانغ ، ا. جيد : مودة الاتحاد السوفياني
- ج. برنالوم : برسيات كاهن ديمي - اراخو :
الاحياء الجميلة - ا. سالاكو : رجل كهره من
الرجال - د. ه. اودن : اسبالي - ج. دوس
باسوم : انظمة الكبرى - ف. غ. نودكا : بيت
برناردا - شوبوكو : راس مستصلحة - ج. م
كيت : نظرية عامة في الاستخدام والعائلة و لنقد .

١٩٣٧

كانون الثاني اتفاق فرنسي تركي حول

- براند لطيفة ستانيسكي في فرنسا ، وزارة
الادوية (٢٠) ، شيلط : مقتل كيروف (١) - فتح
لجنة الاشتراكية في لينا ، عمل الحزب الاشتراكي
(١ - ١٦) - الفاء النقابات في ألمانيا - تنظيم
التصاريات في ايطاليا (٥) - لجنة سلطة الكونكور
(٦) - وزارة دومرغ (٩) - آذار : دكتاتورية لانور
في اسبانيا (١٢) - الولايات المتحدة لمترو
باستقلال الفيسين (ابتداء من ١٩٤٦) (٢٤) ،
أيار : دكتاتورية اولاليس في تشوا (١٥) - انقلاب
مصري في يامروا (١٦) - حزيران : قتل هنر
وموسوليني في البندقية (١٤) - ١ - مقتل دومرغ
(٢) ، تمول : شاخت وزير الاقتصاد الوطني (٢) -
ممثل المستشار دولوس وحلول خوشينج مطه
(٢٥) ، اب : هنر فوهر الرابع - وفاة هندسبورغ
(١) - ايلول : قبول الاتحاد السوفياني في جمعية
الامم (١٨) ، تشرين الاول : مقتل الكسندر ملك
يولوسلافيا و لـ ، بارلو (٩) - ثورة في كاتالونيا
واسبانيا لقمع بصرامة (٦ - ١٣) - انشاء جبهة
العمل في ألمانيا (٢٤) ، كانون الاول : حادث بين
اسبانيا والبريا في وال - وال (٥) .

سادويك ينشك « نورون » - لخص
المواد الصلبة بالجهر الكهربائي للمرة الاولى - هـ
برفسون : الفكر والحركة - ارفون : نواليس يال
- ج. دوس پاسوس : ١٩١٩ - هـ - ملر خطر
السرطان .

١٩٣٥

كانون الثاني اتفاق دوم بين فرنسا وايطاليا
(٦) - براند الخلاف بين دولفت واسكيا العليا
حول « لنهج اسبدي » (٧) - استفتاء في السار
(١٣) - آذار : امادة الخدمة العسكرية الالمانية في
ألمانيا (١٦) ، لبنان : اتفاق ستريزا بين فرنسا
والكتلرا وايطاليا (١٤) - ايار : معامدا انساعدا
لمبادلة بين فرنسا والاتحاد السوفياني (٢) وتشيكو
مستوفاكيا والاتحاد السوفياني (١٦) - وفاة
يسودسكي (١٢) - حزيران : بانديون يعلق مسك
دوماند (٧) - بداية حرب شاكو (١٢) - اتفاق بحري
انكليزي ايلي (١٨) - اب : بدء الحركة استاكانوفية
في الاتحاد السوفياني - وثيقة الصياد الاميركية .
ايلول : قوانين دومرغ - تشرين الاول : ايطاليا
تهاجم البروبا (٢) - امادة جورج الثاني الى
ايونان (١) ، تشرين الثاني : الانتخابات عامة
محافظة في الكلترا (١٤) - جمعية الاسم تعرض
مقوبات على ايطاليا (١٨) - كانون الاول : تشايم
كاي شك رئيس الجمهورية الصربية (١) - استقالة

(استغلت في ١٩٤٤) - أ. هاترو : الأصل - ج. -
 ب. سيري : الفيلان - ج. برنابوس : المقابر الكبرى
 تحت القمر - نيجيه : قتل القوي - مايون :
 الموريات الثلاث .

١٩٣٩

كانون الثاني : فرلكو يستولي على برملوة
 (٢٦) - آذار : انتخاب بيوس الثاني عشر (٢) -
 أيار : تيسو يمن استقلال سلوفاكيا (١٤) - هنر
 يحتل تشيكوسلوفاكيا (١٥) - شباط : الكنيسة
 لورمانا (١٩) - أيلول : ليرناب لرم على أنغلي من محل
 لالاليا (٢٢) - فرلكو يستولي على مغرية (٢٨) -
 انكليزية بولوب (٢١) - نيسان : انتخابات
 بلجيكية عامة - هزيمة الملكية (٢) - شباط : الكنيسة
 لليونان (١٢) - هنر يلين أبطال الإنقاذ البحري
 الانكليزي الألماني والاتفاق الألماني اسولوب (٨)
 أيار : اتفاق الانكليزي تركي (١٢) - هنر : هنر
 طاليه انالي (٢٢) - تموز : الولايات المتحدة تعلن
 أبطال المعاهدة التجارية اليابانية الاميركية -
 معركة فرنسية انكليزية الى موسكو - اب : تشكيل
 حكومة موازية لليابان في نالكن برئاسة وانغ شينج
 واي - ميشاق عدم اهداء المالتي سوفيالي (٢٢) -
 ايلول : هنر عزو بولوب (١) - ايطاليا لا تدخل
 الحرب (١) - انكلترا وفرنسا تستأن الحرب على
 ألمانيا (٢) - دخول الروس الى بولوبيا (١٧) -
 استسلام بونوب (٢٧) - شباط : بولوبيا بين ألمانيا
 والاتحاد السوفياني (٢٨) - تشرين الاول : معاهدة
 حربية انكليزية تركية (١٩) - مفاوضات روسية
 منندي (٢١) - تشرين الثاني : قانون اسناد
 الاميريكي (٢) - دخول الروس الى فنلندا (٢٠) -
 طيران الطائرة النفاثة الاولى : من طراز هنكل
 - التطبيقات العملية الاولى لك د. د. د. على سد
 بول حور - أ. جيد : يوميات - ب. البسوار :
 الحية كاملة - جون ميتاينيك : مناقشات الغضب -
 نيليه هيريا - الاولاد اللذليون - أ. دي سالت
 الكسوبري - أرض الرجال - ج. ب. ب. سالتور :
 الجدار .

١٩٤٠

معاهدة صبح روسية فنلندا (١٢) - حكومة بول
 رينو (٢٠) - نيسان : ألمانيا تفوز الدمارك والروبيج
 (٩) - هزيمة الحلفاء في ليلهاير (٢٢) - أيار : عزو
 بلجيكا وفنلندا وكونمبروغ (١) - حكومة برئاسة

الاستكثرون (٢٤) - اذلة بياتوف وموكونيكوف
 بدأت في الاتحاد السوفياني (٢٠) - آذار : هنر
 ايطالي يرفوسلافي (٢٥) - توجيه براءة الى الاثنان -
 نيسان : العمل بال دستور الهندي الجديد (١) -
 ادخل تعديل : اذلة وانتقل : على قانون الحياة -
 حرية الحرب العسكري في الانتخابات اليابانية
 (٢٠) - أيار : هزيمة فرلكو في فوايا لاجرا (١٨) -
 حزيران : اعدام توشاكيفسكي (١٢) - استسلام
 الوطنيون على بلباو (١٩) - ألمانيا وايطاليا تستعيان
 من لجنة عدم التدخل (٢٢) - تخطيط سمر الفرنك
 الفرنسي : أخرى (٢٠) - تموز : ميشاق سمد ياد
 بين دول الشرق الاقصى (٨) - اب : اليابانيون
 يحتلون بكين (٨) - ميشاق عدم اهداء بين الصين
 والاتحاد السوفياني (٢١) - تشرين الاول : اليابانيون
 يحتلون شانتونغ - الوطنيون يستولون على جيجون
 (٢٠) - تشرين الثاني : ايطاليا تشتم الى ميشاق
 مكافحة الشيوعية (٦) - اليابانيون يحتلون شنتاي
 (٩) - كانون الاول : ايطاليا لتسحب من جمعية الأمم
 - اليابانيون يحتلون ملكين (١٢) - ظهور أول محرك
 معاك | محرك ديتل - ستاني يتوق الى بسورة
 فيروس شيساء النسخ - معرض الفنون والتكتيات
 في الحياة المصرية في باريس - بنه قصر شايو
 - ج. سبانيك : العثران والبشر بيكاسو
 فريكا .

١٩٣٨

كانون الثاني : هنر يستلم ليهاده العيش
 (١) - شباط : اللورد هالفاكس يحتل محل ايلن
 في وزارة الشؤون الخارجية (٢٥) - آذار : هنر
 يحتل النمسا (١١) - اعدام بوخارين ووروكوف
 وجانفردا - نيسان : برنامج حزب السوديت
 نظام كارلسباد ال (٢٤) - أيار : تخفيض سعر
 الفرنك الفرنسي لليرة الشنتا - اب : بعثة
 راسسمان الى تشيكوسلوفاكيا (٣) - ايلول -
 القطرمة بين حزب السوديت والحكومة التشيك
 سوفيانية (١٢) - نقاء برشمادن (١٥) وفودسبرغ
 (١٧) - تحكيم موسوليني (٢٨) - اتفاق مويينج
 (٣٠) - تشرين الاول : اليابانيون يستولون على
 كانتون - تشرين الثاني : تحكيم لينا : بلعريا
 تحصل على اراض سلوفاكية (٢) - فواين معاهدة
 السامية في ايطاليا (١٠) - وفاة كمال الفاروق (١٥)
 انفي خلفه عصمت اينور - كانون الاول : نيسان
 فرنسي الثاني (٦) - ايطاليا تعلن ابطال اتفاقات
 روما بين فرنسا وايطاليا (٢٢) .

هواة آكي يسي دول آلة الكترونية حساسة

بالثلاث في يوغوسلافيا (٢٧) - معركة راس مانليان (٢٨) - نيسان : يوم يسترد بنفاني وبنفانيا (٢٩) - ١٩٤٢ : - ميخائيل روس يوغوسلافي (٣٠) - المانيا تغزو يوغوسلافيا واليونان (٣١) - احتلال سالونيك (٣٢) - استقلال كرواتيا (٣٣) - نهاية النازية اليوغوسلافية (٣٤) - معاهدة موسكو يابانية (٣٥) - احتلال الينا (٣٦) - نيسان : احتلال البلورنيس (٣٧) وكرست (٣٨) - (٣٩ - ٤٠) - (الانكلز يحتلون ادريس - ابايا (٤٠) - انقلد حقل - دارلان في يرشيفلند (٤١ - ٤٢) - - هرب دوفولط هس (٤٣) - معركة ميخايل - البحرية البحرية (٤٤) - حدث ان « ميخايل » (٤٥) - ٤٦ - ٤٧ - ثورة (٤٨) وهزيمة وشيه مان في المراق (٤٩) - حزيران : الانكلز يحتلون مسوريا (٥٠) - انشاء محاكم خاصة ضد انشيرويين كرم فرنسا (٥١) - - حدث مكا (٥٢) - حلفار يهاجم روسيا (٥٣) - - نمو : حركة خط خط سناليو (٥٤) - ١٥ حتى ٧ آب - - اب : لوفج ميخائيل الاطلسي (٥٥) - الانكلز وباروس يدخلون ايران (٥٦) - ايلول : بدء حصار كينينراد (٥٧) - استقالة رضا بهلوي : شاهيروه محمد يسبح شاه ايران (٥٨) - احتلال كييف (٥٩) - نهاية المقاومة الإيطالية في انيوييا (٦٠) - تشرين الاول : قنصون العمل في فرنسا (٦١) - زيادة طوجو في اليابان (٦٢) - سخالين لانه (٦٣) - اعلام وهاك في سابليريان ويات ووردو (٦٤) - تشرين الثاني : معركة موسكو (٦٥) - كانون الاول : هجوم بريطاني في ليبيا (٦٦) - (استيلاء القان على روسخرف (٦٧) - وجلازم منها في ٩٩ - كانون الاول : لقاء بينكو - - جورج في سان كرينتين (٦٨) - بيرل هاربور : تفول الجيوش اليابانية في ماليزيا وبنولو (٦٩) - اعلان اليابان الحرب على الكثرة والولايات المتحدة (٧٠) - نزول الجيوش اليابانية في هونغ-كونغ (٧١) - والفلين (٧٢) - الروم يستردون كالمين وموجايسك وكالوف (٧٣) - استيلاء الانكلز على بنباري (٧٤) - استخدام الكوريتون للمرة الاولى - جاييس برهام : عيد المتكلمين - برخت : الام اليسالة -

ولستون تشركل في انكلترا (١٠١) - الفيدر الجبهة الفرنسية في سيسان (١٠٢) - استسلام الجيش الهندي (١٠٣) - احتلال بروكسل والفرس وسيسان وكاتين (١٠٤) - اسيان وارسا (١٠٥) - استسلام بليكا (١٠٦) - معركة دنكر (١٠٧) - حشفي ٢ حزيران : - حزيران : انيول جبهة السوم (١٠٨) - احتلال روان (١٠٩) - انتهاء المقاومة النرويجية (١١٠) - ايطالية تهاجم فرنسا (١١١) - احتلال باريس (١١٢) - استقالة بول ديول : بيتان يطلب الهدنة (١١٣) - لدا الجنرال ديول الى الفرنسيين (١١٤) - احتلال ليون وفيها (١١٥) - - حدث لرسية المانية (١١٦) - حدث لرسية ايطالية (١١٧) - اعتراف الحكومة البريطانية بالجنرال ديول لاند للقرات الفرنسية اصرا (١١٨) - نمو : الاتحاد السوفياتي يحتل ساراييا وبوكوفينا (١١٩) - حدث مرس الكبير (١٢٠) - هجوم انكلزي على دكار با - - الجبهة العمومية تعطي بيتان حق التشريع (١٢١) - - استونيا ولتوانيا وليشوانيا تصبح جمهوريات سوفياتية (١٢٢) - - المانيا الاستوائية الفرنسية تنظم الس ديول (١٢٣) - حكم فينا (١٢٤) - - بدء معركة انكلترا (١٢٥) - - تشرين الاول : - ايلول : انكلز يستولي على السلطة في رومانيا : كرون الثاني يستقبل : ويحل مشاكل مطه (١٢٦) - هجوم ايطالي في ليبيا (١٢٧) - عرض الخدمة العسكرية الاثراوية في الولايات المتحدة (١٢٨) - هجوم ياباني (١٢٩) - هجوم فالندي (١٣٠) - على الهند الصينية - هجوم انكلزي آخر على دكار (١٣١ - ١٣٢) - لقاء مونوار (١٣٣) - الميثاق الثلاثي (١٣٤) - هجوم ايطالي على اليوسان (١٣٥) - تشرين الاول : صدور قانون بنظم حياة اليهود في فرنسا (١٣٦) - تشرين الثاني : اعلان انتخاب رودفست (١٣٧) - كانون الاول : هيئة النساء في انكلترا (١٣٨) - انكلز يزنانية في ساني كوارلنا (١٣٩) - رادجورو كاسترو (١٤٠) - التمسح انكلزي في سيني براني في ليبيا (١٤١) - اكتشاف عامل ديوس على يد لند ستاليز وورث - استخدام المستحضرات الكبريتية في معالجة الجسد - رينشرف رايست : الابن الطبيعي - - هنتواي : ان قرق النواقيس -

١٩٤٣

كانون الثاني : استيلاء اليابانيين على مانليا (١) - شباط : الاستيلاء على ستافورده (٢) - آذار : - ليلة المندمين في ايطاليا (٣) - استسلام جاوا (٤) - نيسان : قبل ليلة ستاندرديريس في الهند (٥) - لال يود الى الصلي في فيشي (٦) - ايار : اليابانيون يستولون طريق بورما (٧) - الاميرال نيمي يبادر لفيشي (٨) - البريطانيون يحتلون مدغشقر (٩) - معركة بحر المرجان (١٠) - كانون الاول :

١٩٤١

كانون الثاني : معركة مشيق سنليو (١٠) - الاستيلاء على طرد (١١) - وفاة ميتاكاس (١٢) - شباط : دارلان : نائب رئيس مجلس الوزراء الفرنسي (١٣) - اعلان الانكلز لبحاري ومونديشور (١٤) - آذار : الاقان يدخلون بنامريا (١٥) - شهر قانون الاعارة والتأجير (١٦) - بطرس الثاني يقدم

ومعينا (١٧) - الروس في أوديل (٥) والأميركيون في كيبكا (١٥) . مؤتمر كيبكا (١١ - ٢٤) - محادثات مع إيطاليا (١٥) . أيلول : نزل الطلاء في إيطاليا (٤) - الانتلاء على ستالينو وحوض الموتى (٥) - نشر الهدلة الإيطالية (٨) - نزل الطلاء في سارنو (٩) - تحرير كورسكا (١٠) حتى ٥ تشرين الأول) - احتلال الألمان لإيطاليا الشمالية وروما (١) - قرار موسوليني (١٢) - انشاء الجمعية الاستشارية المؤقتة في الجزائر (١٧) - اقامة الجمهورية الاحتفالية الإيطالية (٢٣) - استرداد برناتسك (١٤) وسولنسك (٢٥) . تشرين الأول : الاستلاء على نابوي (١) - مؤتمر موسكو (٩) - استرداد فييرو بتروفسك (٢٥) . تشرين الثاني : استرداد كيف (٩) - إعلان إيطاليا الحرب على ألمانيا (١٣) - مؤتمر القاهرة (٢٣ - ٢٩) - اعادة الحقوق الدستورية الى إيطاليا (٢٧) - نزل الأميركيين في تاروا (٢٠) . كانون الأول : مؤتمر طهران (١ - ٢٤) - تشكيل حكومة تيسر (٤) - نزول الأميركيين في بريطانيا الجديدة (١٦) - فرنسا تنقل مملاتها الى سوريا وبنان (٢٢) - تيكو عيسى على السلطة الملكية (٢٣) - تأسيس الاستقلال (٢٣) . ماهومي يستقدم البنيين في معالجة السفلى انرا ترويليه : الحصان الايطالي - ج.يد. سوتر الدياب : الوجود والعدم - ه. هس : لمة اللالو الرجاسية .

١٩٤٤

كانون الثاني : اعدام شاتو ردي بول (٢٢) - افتتاح مؤتمر براتاليس الاستعماري (٢٠) - نزل الأميركيين في جور مارشال (٢١) . شباط : بدء الصلوات ضد قوات القلوة في الساقوا (١) - تحرير حوض الدون . آذار : الألمان يحتلون هنغاريا (١٩) - الاستيلاء على سربرولت (٢٧) - الهرايات في إيطاليا الشمالية ٢ - ٩) - حسانك هضبة ال - لخير (٢٥) . بيان : مجزرة امك (١) - الاستيلاء على تاتروبول (١) - تحرير القرم - استقالة ككتور امانويل (١٢) - استقالة جيرو (٢١) - تمرد الاسطول اليوناني (٢٨ - ٣٥) . ايار : هجوم جيف في إيطاليا - اسبانيا فتحم بالتحيد تقيدا كتاب سياسة الحيا (٢) - اسبانيا تعلن استقلالها (١٨) - نزل الجيوش في ليبيا الجديدة (٢٧) . حزيران : الاستيلاء على روما (٤) - نزل الطلاء في مونتند (٩) - يونيوي بعل محل بادوليو (١٠) - بدء استئصال الصودايخ (١٢) - نزل الجيوش في سايبان (١٤) - استيلاء الروس على ليندورغ

والشاجر يقبل الاتحاد السوفيالي (١١) - هجوم روسي في قطاع خاركوف (١٢) - تحالفات التكنيزي روسي (٢٦) - مقتل هايدويخ في سراغ (٢٧) - حوران : هجوم الثاني على سيستريول (٤) - معركة مدواي (٤) - نهاية معركة بير حكيه (١١) - سقوط طبرق (٢١) . تموز : هجوم الثاني على فردويج (٢٦) - آب . المؤتمر الهندي يطالب بالاستقلال التام (٨) - ألمانيا تقسم لوكسمبورغ الى اراضيهها (٣٠) . ايلول : بدء معركة ستالينفراش والقفاس (٤) . تشرين الأول : هجوم مونتومري في مصر (٢٧) . تشرين الثاني : اتفاق جيرو - موري (٢) - نزل الجيوش الحليفة في افرقيا الشمالية (٨) - لقاء جعفر - لافال في برنفسلان (٩ - ١١) - نزل الجيوش الألمانية في تونس (١٤) - نشر مشروع بنردج (٢٠) - اتفاق كلود-دارلان (٢٢) - كانون الأول : الروس يتكون الحصار من لينينفراش - مقتل دارلان (٢٤) . ابطال الاسوع التكنيزي ويوم يوم السمات الثاني في الولايات المتحدة (٢٥) . ابريل : كاسر : الغرب : اسطورة سيوف - فوكود - سميت البحر - برخت : قاليليو غاليلي .

١٩٤٣

كانون الثاني : مؤتمر كارابلنكا (١٢ - ٢٧) - استيلاء الانكليز على طرابلس (٢٢) - كمينة المدينين رجلا ونسبه الى الثاني (٢٨) . شباط : استسلام الانس في ستالينفراش (٢) - حطام اليايباليين من هواندكسال - تحرير ال - شاربهورست (١٤) - تحرير التماس (٢ - ٢٨) قانون الفصل الانرسي في فرنسا (١٦) - اذار : الروس يستردون خاركوف - معركة خط حاريت (١٦ - ٢٩) - لقاء ديفول - جيرو في كرايلانتكا (٢٤) . نيسان : ثورة بورد فرموليا (١٩) . ايار : تحرير بنورت وتونس (٢٧) - بداية معركة تونس (١٣) - انشاء المجلس الوطني للقائمة في فرنسا (١٥) - ديفول في الجزائر (٢) - مؤتمر هوت سيرمن . انشاء وكالة فوث اللاجشين (١٨ حتى ١ حزيران) - حزيران : انشاء اللجنة العرسية للتحرير الوطنية (٢٣) - راميريز يقوم بالقلاب في الارجنطين (٢) - حل الكونستين (١٠) - تموز : هجوم الثاني على كورسكا (١٩ -) - نزل الحلفاء في مقليا - والاستيلاء على ميراكورا () - وانا (٢١) وماارمو (٢٣) - تشكيل لجنة امانيا الحرة في موسكو (١٤) - الاكثرية ضد موسوليني في المجلس الفاشستي الاعلى (٢٥ - ٢٤) . توكيفه (٢٥) - حل الحرب الفاشستي (٢٨) . آب : ايبانايون بلمنر استيلاء يورما (١) - الاستيلاء على قشبا (٥) .

اتفاق فلورنسا بين الحكومة اليونانية ومنظمة ١٤ أيام ٤
(١٢) آذار : استسلام كورينثوس (١) - فنسندا
تعلن الحرب على الدنيا (٣) - وليقة شاربوتيك (٤)
- الحلفاء على الرين (١) - الاستيلاء على كولومبا (٧)
وجسر رماجن (٩) - هجوم اليابانيين على الجيوش
الفرنسية في الهند الصينية (١٠) - اسوس في
كسرين (١٣) - الحلفاء في هايتي - ديسمبر (٢٢) -
وفاة كلفورد (٢٦) - تأسيس انجمنه المبرية في
الفاخرة (٢٧) - الروس في دانترسج (٣٠) وليتر
بوسنات (٣١) - تطويق الرور (٣١) - موت جنر
(٣٠) - نيسان : الاستيلاء على كاسل وكارلسروه (٤)
دكونفوريغ (١٠) ومديبورغ (١١) وديانا (١٢) وديسا
(١٣) وكابل (١٥) وليزيغ (١٦) وشوتفارت (٢٢)
واولم (٢٤) - الاتصال بين الاميركيين والروس (٢٥)
- وفاة فـ دـ وولفست (١٢) - مؤتمر مسان
فرنسيكو (٢٥ حتى ٢٦ حزيران) - توليف
موسوليني ومعه (٢٨) - آذار : قتل يسنل تريستا
(١) - استسلام القوات الألمانية في إيطاليا (٣) -
استيلاء الروس على برلين (٤) - استسلام القوات
الألمانية مستلما عاما (٨) - الاميركيون في دانفون
(٩) واليهودون في بالينغ (٢٧) - خلاف فرنسي
بريطاني في سوريا ولبنان اللذين اوقفهم الفرنسيون
على الانسحاب منهما - انتخابات فرنسية ذات اتجاه
يساري (٢٩ نيسان و ١٣ آذار) - حزيران :
مؤتمر سميلا (٢٥ حتى ١٤ آذار) - تموز : قبول
عمالي في الانتخابات البريطانية (٣) - فصل اليابان
عن البحر للفترة الأولى (١٤) - لوبورلد انشالت يولفس
الخطي من المرسى (١٦) - مؤتمر بوتسدام (١٧ حتى
اول آب) - محاسبة بيتان (٢٢ حتى ٤ آب) -
تأسيس دولة فينشام (٢٦) - تشكيل وزارة انكسي
(٢٧) - آب : تحرير يريما باكمليا (٢) - اقامة قبلة
دنية على جيروفيسا (٣) - الاتحاد السوفياتي يعلن
انسحابه عن اليابان (١٤) - اليابان تعرض الاستسلام
(١٢) - احتلال خربين وموكن (١٦) وداين وسويت
ارلور (٢٢) وسكالكين (٢٨) - نهاية العمل بالقانون
الاماري والتاجير (٢١) - ايلول : استسلام اليابان
[٢] - تأليف حكومة هو - شي - منه في فينشام
(١٥) - تحرير الاول : قوة عسكرية في الارحسين
(١٨) - توليف الكولومبيل بيروس وعلميه (١٢-١٧)
- فتح شعوي لومبرغ (١٨) - انتخابات عامة في
فرنسا (٢١) - تشرين الثاني : مؤتمر باريس حول
التصويشات (٩ حتى ٢١ كانون الاول) - وانفس
الولايات المتحدة وبريطانيا المنطى وكندا تسليم مر
القنينة للذرية (١٥) - إعلان الجمهورية الهولوغولانية
(٢٩) - كانون الاول : مؤتمر مستالموره حول أحداث
الهند الصينية واندونيسيا (٥) -

بول ايلول : العهد الثاني - ج.ب.ب. سافر :

(٢) - تحرير غريبورغ (٢٧) - الاستيلاء على فينكلا
(٣) - تموز : مؤتمر بريتون وودز (١ - ٢٢) -
الاستيلاء على ميلا (٣) ومسل (٥) وكان (٦) وغرودنو
(١٧) ولوبين (٢٧) وبيالستوك وبرست ليتوفسكا
ولفرد (٢٩) - محاولة اغتيال هتلر (٢٠) - احتلال
غود (٢١) - انصار خط الدفاع الادي في افراش
(٢٠) - آب : قبول استسلام في يروفيسا (٥) -
معركة غاليغ (١٧) - الاستيلاء على فلورنسا (٢٢) -
تحرير مرسيليا وغريوبل (٢٤) وباريس (٢٥) - الروس
يحتلون خط المستور الهندي ويدخلون يوخارست
(٣١) - ايلول : تحرير بروكسل (٥) واترسي وبريدا
(٥) - حملة روسية بلغارية - تحرير ليون (١١) -
اتصال جيوش الحلفاء في فرنسا (١٢) - الاستيلاء
على صوفيا (١٨) - ازال جيوش في لايت (٢٠) -
معركة اريماير ، وقف الهجوم البريطاني (٢٨-٢٩)
تشرين الاول : فنلندا تقاطع ألمانيا (٢) - نصويست
الساد في فرنسا (٥) اختيار قوات التقدي في بلجيكا
(٧) - الاستيلاء على سيد وكولج (١٢) والينا (١٣)
ويتمام (١٧) ويلفرد (٢١) - طلب استنوب الهندية
(١٥) - استلام كس - لا - شابين (٢١) - معركة
الفينين (٢٥-٢٢) - تشرين الثاني : الاستيلاء على
موانستير (٦) وديرانسا (١٨) ويلفور (٢٠) وميلور
(٢١) وستراسبورغ (٢٣) وسالويك (٢٠) - اعداد
الانتخاب دورقلت (٧) - تمير الـ ٥ تريشو (١١) -
مزالسي يقوم بانقلاب (١٦) - تشكيل الحكومة
الهامارية المؤقتة ديركون (٢٤) - كانون الاول :
الاستيلاء على دينا (٥) - ميثاق فرنسي سوفياتي
(١٠) - قبول الاميركيين في مديورو (١٥) - هجوم
المالي في اللوكسمبورغ (١٧ - ٢٨) - تطويق
بودابست (٢٤) - لجنة لوبين تعلن نفسها حكومة
بولولوية مؤقتة (٣١) - وانكسان كنكشفس
الستريوتوجين - ارفون : اوريانوس - ج.ب.ب. فيه
سافر : الابواب مغلقة في سبل الحربية .

١٩٤٥

كانون الثاني : هجوم انكلي في اللورين (١) -
مؤتمر يالطا (٢ - ١٢) - قبول الاميركيين في لوسون
(٩) - هجوم للحام الروسي (١٢) - الاستيلاء على
كيس (١٥) وغرموف (١٧) وكراكونيا وبول (١٩) -
تفكك الالمان في الاردين (٢٠) - حملة مضغرية (٢)
- اعادة فتح طريق بودسا (٢٢) - الاستيلاء على
برسلو (٢٠) - شيبات : الاستيلاء على كولمار (٢)
(٢) واسبج (٦) وكليف (١٢) وويرنان (٢٤) - قبول
الاميركيين في كوريجيدور (١٦) - معركة ايرو-جيبما
(١٨ حتى ١٤ آذار) - الاستيلاء على مانيلا (٢٤) -

من الرشيد - ارلست ويشتر : اولاد جيروليم -
١. كامو : سوء التفاهم - كارلو لينبي : المسبح
تولف في ايرلي .

١٩٤٦

كاثون الثاني : استقالة الجنرال ديغول (٢٠) ،
شياط - نمر الاسطون الهندي (٢١) ، اذار : نزول
انجيوش الفرنسية في لوتكين (٨) - اعتراف انكلترا
بامستقلال شرقي الاردن - نيسان : التصويت على
دستور فرسي اول (١٩) - ايار : استفتاء عدائي
(٥) - استعانة لكتون امابول انثاني وجنول هبرلو
انثاني مطه (٩) - التفاهات يكرية الانجاء في
شيكوسلوفاكيا (٢٦) - حزيران : التفاهات جديدة
في خوتسا (٢) - انتخاب بيرون وليا للجمهورية
أرجنتينية (٢) - اعلان الجمهورية الإيطالية (١٨) -
هدارة ج - يهود في لرتسا (٣٣) - كنوز : اول تجربة
لدية في بيكوي (١) - اعلان استبقلال الفيليبين
(٣) - مؤتمر الصبح في باريس (٢٩ حتى ١٥ تشرين
الاول) - آب : فصل المناقصات الفرنسية
الليثامية في فوسيلو (١) - الاتحاد السوفياتي
مطالب باعادة النظر في اتفاقات مؤتمر حول المضايق
(١٢) - ايلول : اتفاق ضايش فرسي فونتيان (١٤)
- ام الحرب الاهلية في اليونان تشرين الاول
- صدور حكم محكمة لودميرغ (١) - تشرين الثاني
انتخابات ذات اتجاه جمهوري في الولايات المتحدة
- اتفاق هولندي الدولي (١٥) - كاثون الاون
وزارة اشتراكية منبجسة في فرنسا برلانس ليون
نوم (١٦) ثورة حقة في لوتكين (٢٠) .

حاك بريقر : كلمات - ١ - موبيه : ما هو
مذهب اكتشخصة ٢٢ ج - ب - مازار : مولي دوز
دكن : البقية الموجهة الاحترام : هل توجد مذهب
انسانى ؟

١٩٤٧

كاثون انثاني : اشتقاق الحرب الاشتراكية
الايطالي (١) - وزارة راندييه في فرنسا (٢٢) ،
شياط : مساعدات الصبح في باريس مع ايطاليا
وهنغاريا ورومانيا وبلغاريا وفرنسا (١٠) - اذار :
القانون لفرلي في فلسطين (١) بداية الثورة في
مفتشتر (٣٠) - معاهدة تحالف فرسي بريطاني في
دتكرك (٢) - الشيوعيون لا يدخلون الحكومة
البجيكية (١٢) - نيسان - انشاء النجم الشمالي

٨٨٠

الفرسي (١٤) - منع الحروب الشيوعي في ولاية
نيويورك (٢) - ايار : تأميم الصحاح الثقيلة في
بريطانيا المظلي (١) - الشيوعيون يلقون عن
الحكومة الفرنسية (٥) - منع ايجزب الشيوعي في
البرازيل (٧) - الكونغرس يقر قانون مساعدة
اليونان وتركيا (١٥) حزيران : اقتراح مشروع
ملوفا (٥) - قانون ثالث - حارلي حول الاغرابات
(٢٢) - تمول - ملهى الاتحاد السوفياتي (٢)
وتشيكوسلوفاكيا (١٠) الاشتراك في مشروع ملوفا
- هجوم الهولنديين الذين يستولون على بانامبا
(٢٠) - عن حزب الملايين وكونفيل مانيو فرسي
رومانيا (٢٥) - آب : نهاية العمليات العسكرية
في جاوا (٤) - برنامج تشيقي في بريطانيا اعظم
(٦) - استقلال الهند وباكستان (١٥) - منع حزب
انزارم في بنغاليا (٢٥) - التصويت على نظام
الجزائر الاساسي (٢٧) ايلول : ميثاق الدفاع بين
الدول الامريكية في بريد (٢) - تشرين الاول
التفاهات في السار ضرب عن الربة في الارتباط
بفرنسا اقتصاديا (٥) - تأسيس الكوممورم (٥) -
هجوم فرسي في لوتكين (٩) - تشرين الثاني : نزاع
مصح في كشير بين الهند وباكستان - الشيوعيون
يقصرون عن الحكومة النمساوية (١٦) - مقاومة
مشروع التقسيم الذي واقعه عليه منظمة الامم ،
في لاسطون (٣٠) - كاثون الاول - بريطانيا المظلي
معتزف باستقلال بورما (١٠) - نهاية التقنين في
الاتحاد السوفياتي (١١) - اشتقاق اتحاد الفصل
العام واجبهة العدلية في فرنسا (١٦) - منسج
الحرب الشيوعي في اليونان (٢٧) - مغلي ميشال
ملك رومانيا عن العرش (٣٠)

فيليا هيريا : حاقلة - بوساديل - ١ - كامو
الطافون - كاثون كوشيدوي : الاصل الصبر -
فاسكو براونلي : يوميات الضاحك المساكين -
مانالي ساروت : وصف مجبول - ب - ١ - سودوكين
الجمع والثقافة والشخصية .

١٩٤٨

كاثون الثاني : تأميم السكك الحديدية
البريطانية (١) - هدية هندية اندونيسية - تحالف
بيس والحزب الشيوعي الايطالي (٢٣) - تمغيش
سمر الفرنك الفرنسي (٢٤) - مقتل لاندري (٣٠) ،
شياط : سيلان تمنح نام الممتلكات (٤) - استقالة
الوزراء التشيكوسلوفاكيين غير انشيريبي (٢٠)
تسكير وزارة شيوعية (٢٥) اذار : هجوم شوي
عن ناكتين (٢١) - بدء حصار السوفيات لبرلين
(٣١) - نيسان : تأميم الكهرباء في بريطانيا المظلي

كانتون في أيدي الشيوعيين (١٢) ، تشرين الثاني :
تفهم الصناعة النووية الإنكليزية (٢١) ، كانون
الآب : استمرار اوبلتيين الصينيين في تومسوا
(٨) - منظمة الأمم المتحدة تقر تمويل القنبي (٩) ،
لحقق الترانسكوند على يد ديم شوكس -
المرن الشيوعيون - سمون دي بوفوا : الجنس
الغالي - ج بافلار : مذهب السلفيين التنبهتي ،

١٩٥٠

كانون الثاني ، هيجلن ايرانيين في سهل ايسو
(٢) - احتلال بريطانيا انطس بالبحرية اليومية
الصكية (٩) - الرئيس ترومان يصدر امرا يصنع
العنية لبيروجنية (٢٠) آذار استفتاء حول
السنة الملكية في بنجيكا (١٢) - اضطرابات لرويه
في ابوي (٢٢) ، نيسان ، الأردن تظم لسلطين
انصرية اليه (٢٤) - ايار ' د شومان يقترح تلم
وحدة اوروبية للمعم اصجري والفعولا (٩) - نور
لمنوعة في الاتحاديات التركية (٢٤) حزيران :
قرر المسيحيين الاشرائيين البينكيون في الانتخابات
(٢) - رفض بريطانيا التقى الانضمام الى وجمه
المعم بحجري والفعولا (١٧) - اتفاق الجمهورية
لديمقراطية الالمانية وبولونيا على حدود الادوم -
ميس (٩٧) - مجلس الأمن يقر مقررات ضد كوريب
الشمالية ، تدخل (ولايات المتحدة (٣٧) - تموز ،
الكوريون الشماليون يعلنون انفسى حربي كوريب
وانغري (٢٩) - وعد ليوبولد الثالث بالتخلي عن
الضرائب عام في لياج وشونبور (٢٥) ويزوكسل (١٨)
والغرس (٢٩) - وعد ليوبولد ، نالت بالتخلي عن
انغري بعد بنوغ ابته من الرشد (٣١) آب
انشاء الوحدة اوروبية ليدفوعات (١٩) آب
نزل الاميركيين في مشون (١٥) والاستيلاء على
سبول (٢٩) - الرور القاتلون حول التسلحات
المالية بلامبركيين (٢٢) - تشرين الاول : انتخاب
ج فارفاي رئيسا للرايز (٢) - منظمة الاسم
المتحدة تسج ياغنيك خط انغري ال ٢٨ (٧) -
١٠ - استيلاء من لبع - سون (١٨) - الاستيلاء
عمي بيونغ - ياع (١٨) - بلوغ اليان (٢٦) تشرين
الثاني - الجلاء من لاو - كاي (٢) وموا - به (٢)
تدخل صيني في كوريا (٣) كانون الاول : جلاء
الاميركيين عن بيونغ - ياع (٤) - الجنرال دي
لار ملون سام في الهند اسية (٩) - العيتيون
يجتازون خط انغري ال ٢٨ (٢٤)

٨٨١

(٩) - ائترة مطلقة للحزب اديمقراطي المسيحي
الاطالي (١٨) - ايار ' دخول الجيش المصري
والعصرية الى اسرائيل (١٤) - نهاية الاستعداد
البريطاني في فلسطين (١٥) - حزيران : وقاره
مالان في امريكا الجنوبية (٣) - اعلانات جبرون
انولج (٥) - اصلاح نقدي في الاليا (الغربية) (٢)
حلال بر تينو والكوسغوم (٢٨) - تموز
اتصاد يوعولانها عن الكوسغوم (٤) - ائتلتاق
اتحاد العمل العام الايطالي (٢٦) ، آب ، هريسة
المصايات ابونانية في جبل غراموس - ٢٠ - مؤتمر
ميكوي برولسنتي في استردام (٢٢) ، ايلول
نغلي الملكة ويلمينا من المرفس (٤) - لشنة فسي
برلين الشرقية (٩) - استيلاء الشيوعيين الصينيين
على سي - نان (٢٦) ، تشرين الاول - سقوط
مركس في ايدي الشيوعيين (٢١) ، تشرين الثاني :
امادة انتحاب رومان رئيسا للولايات لتطيدة
الاميركية (٢) ، كانون الاول - سقوط سو - تشيو
في اندي انشيوعيين (٢) - ٨ عمية بولسية ٨
هرلدية لانية هاركا ، القنبي على قضاء
السكرية الاندونيسية (١٩) - لوتيب الكردستان
مغرنتي في عماريا (٢٧) - وقف انصيك السكرية
في جياوا (٢٩) ،

المرن ' الكرب التمديد الجديد - ج - ٢ ،
سارتر : ايدي القنوة - ١ ، كامر الحكم المرفي
- هامكوب قوبتي : بطل عناصر ،

١٩٤٩

كانون الثاني ، استقالة تشانغ كاي شك (٢١) -
الشيوعيون في بكون (٢٢) - شباط : توجيه
جسري بين لطاعات الاحتلال في الاليا العربية (١٢)
- اتفاق روسي على وقف اطلاق النار بين اسرائيل
ومصر (٢٤) - نيسان ' تولىج معاهدة الاطلسي
الغالي في واشنطن (٤) - دخول الشيوعيين الى
بالكين (٢٣) ، ايار ' دستور الاليا افريقية (٨)
نهاية حصار برلين (١٢) - سقوط هانكوير (١٩)
وشغاي (٢٥) في ايدي الشيوعيين ، حزيران
الغاء الحاكم المختطف في مصر (٢٥) - الوبنديين
مجنون من جاكوتا (٢٩) ، تموز ، حرم الشيوعيين
والشيوعيين انبول (١٢) - مشروع نقلي جديد
للسر ستلوزد كريس (١٤) ، آب ' مجلس اوروسا
يقعد جلسته الاولى (٨) ، ايلول : ادبواير مستشار
(١٥) - تمغيض سفر انيرة (١٨) - تمغيض سفر
الفرلك الفرنسي مرة اخرى (١٩) - الفجار ذري
في الاتحاد اسرمياني (٢٣) - اصكان الجمهورية
الشمسية في الصين (٢١) - تشرين الاول ، سقوط

٥٦ - العهد للعاصر

١٩٥١

كانون الثاني : بدء الهجوم الأمريكي الصاعق في كوريا (١٥) - منظمة الأمم المتحدة تدعو الصين كمنتهية (٣٠) ، شيانغ : الخفافيش جديد في الاسعار في الاتحاد السوفياتي (٢٨) - آذار : الكوريون الجنوبيون يستردون سيول (١٤) - عظيم البيروقراطي في إيران (١٥) - نيسان : ملك كارتل يفي من قيادته (٦١) - وزارة مصداق في إيران (٢٧) - أيار : هجوم اميركي طائر شمالي خط العرض الـ ٢٨ ٣٧ حتى ١٤ حزيران) - حزيران : انتخابات حاسمة في فرنسا - تراجع الشيوعيين والصاعدة الجمهورية الشعبية (١٧) - إيران تضع يدها على ممتلكات بغداد (٢٠) - تموز : بدء مفاوضات الهدنة في كبريت (٨) - مقتل عبد الله ملك الاردن (٢) - أيلول : ميغاك الـ « الزوس » يوقع عليه في سان فرانسيسكو (١) - معاهدة الصلح في سان فرانسيسكو مع اليابان ، تحالف بيناني اميركي (٨) - دعوة في اليونان وتركيا للانضمام الى الحلف الاعلى (٢٠) - قانون بارميه بتقديم المساعدات المالية للتعليم الخاص (٢١) - تشرين الاول : مصر تعلن ابطال معاهدة الانكليزية المصرية الموقعة عليها في ١٩٣٦ ، فاروق ملك السودان (٨) - تصاعد المفاوضات في بانمونجوم (١٠) - نجاح المحافظين في الانتخابات العامة البريطانية (٢٥) - وزارة شريش (٢٧) - تشرين الثاني : نغمة في كازابلانكا (١) - ليو بيروت في الانتخابات التشريعية (١١) - النيشنالي يقوم بانقلاب في سوريا (٢٨) - لجنة ساوفا لانكلير في منطقة القاء - كانون الاول : استقلال ليبيا (٢٤) .

ج . ب . ب . ستر : اميرستان والله . ١ . كاسر الانسان المتعدد .

١٩٥٢

كانون الثاني : فتح بريطاني صامم في منطقة القفلة (٤) - (١٦) - لجنة دامية في بنروت (١٧) - اضراب عام في تونس (١٨) - أعمال شغب في سوسا والبروان (٢٢ - ٢٤) - اضطرابات دامية في القاهرة (٢٦) - شيانغ : وفاة جورج انساس ، اليزابيث الثانية (٦) - الجلاء من صرا - يسه (٢٤) آذار : وزارة بيناي (١١) - توقيف الوزراء الشيوعيين وزعماء الدستور الجديد والشيوعيين - وزارة بكوش (٢٨) - أيار : اتفاق يون بين اسفاه والمليان الغربية (٢٦) - حزيران : قانون ملك كارتل (٢٧) تموز : الجنرال نجيب يستولي على السلطة في مصر

٨٨٢

(٢٢) - نظمي الملك فاروق من مصر (٢٦) - محمد بعد من منظمات الشاه القواء (٢١) - أيلول : أزمة سياسية في لبنان (١٨) - تشرين الاول : فشل الاحرار في الانتخابات اليابانية (٦) - تشرين اول : قبلة ذرية بريطانية (٢) - حالة ناهب عبد الماوماو في كينيا (٢٠) - قطع العلاقات الدبلوماسية بين ايران وبريطانيا العظمى (٢٢) - تشرين الثاني : انقلاب ايزنهور رئيسا (٤) - قول المارشال يابلوس في الانتخابات اليونانية (١٦) - الجلاء عن سون لا (٢٤) - كانون الاول : قبلة في كازابلانكا (٨) .

دوبر جوميل : الانسان المدمر الضفائر - لويس دي برول : هل يبقى علم الطبيعة الكمي غير حتمي ؟

١٩٥٣

كانون الثاني : حل الاحزاب السياسية في مصر (١٦) - هجوم الفيشة في ابام (١٤) - شيانغ : معاهدة صداقة بين اليونان وفرنكا وبيروسلايا (٢٨) - نزاع بين الشاه ومصداق (٢٨) ، آذار : وفاة ستالين (٥) - ابطال تأجير الصناعات المتدنية في انكلترا (١٧) - انتخابات جديد في اسعار في الاتحاد السوفياتي (٣١) - نيسان : هجوم الكشمير في لاوس (١٧) - أيار : هزيمة القادة عبد السلطان في مراكنش (٢١) - تدمير اول ليفة ذرية اميركية (٢٥) - حزيران : وزارة لانيل (٢٦) - تراجع الديمقراطيون المسيحيون الاطاليين في الانتخابات (٣) - اعلان الجمهورية في مصر (١٨) - اعدام روزبرغ (١٦) - تموز : وقف إطلاق النار في كوريا (٢٧) - ناجي يحل محل دالوري في هنغاريا (٤) - عزل بيريا في الاتحاد السوفياتي (٩) - اضطرابات في برلين (١٩) - آب : مالتكوف بين ان الاتحاد السوفياتي يمتلك القنبلة الهيدروجينية (٥) - الجلاء من ناسام (١١) - ثورة انقلابي على السلطان (١٥) - الشاه يلجأ الى بغداد (١٦) - اضطرابات في المدن المراكشية (١٦) - اسقاط سلطان مراكنش (٢٠) - أيلول : مساهمة مالية اميركية لايران (٣) - فوز الشيوعيين الديمقراطيين في الانتخابات في ألمانيا الغربية (٦) - رفض منظمة الأمم المتحدة عضوية الصين الشعبية (١٥) ، تشرين الثاني : وفاة ابن سمود ملك النمكة الغربية (٩) - كانون الاول : مؤتممر برمودا (٤) - (٨) - استئناف العلاقات الانكليزية الابرالية (٥) - جلاء اميركيين من لاي شو (١١) - اعدام بيريا .

اليزا لريولي : الفصل الاخير - سموليل

اسبوية في باثونف (١٨ - ٢٤) - ايار : التهام
الكثرا (الى ميكل بندا (٢) - اعادة السيادة الى
المانيا (٥) - الثانية الاقتصادية تهم الى الحلف
الاطلسي (٦) - انتفايات طمة في تكترا جانت
مؤيدة لحروب المحافظين (٢٦) - رحلة بولفانين
وغرونتشيم الى بمراد (٢٦) - ٢ سوزان - انكثرا
تتخلي عن بولفان على قناة السويس (١٨) -
السلام ابانكش الى ميشال بندا (١) - اعادة
السيادة الى النمسا (٢٧) - اب : قطع العلاقات
الدبلوماسية بين الهند والبرغال حول خوا (٢٠) .
ايلول : سقوط الرئيس بيريوت في الأرجنتين
(٢٩) واستبداله بحكومة يرشما الجنرال ليونودي
(٢١) - ارجاع الاتحاد السوفياني مدينة بورخالا
لنمسا (٢٠) تشرين الأول : اعلان استقلال
جمهورية فيشام الجنوبية (٢٦) - اضطرابات عنيفة
في قبرص (٢٨) - تشرين الثاني : اعادة مصيد
الخامس الى حره في لغرب (٥) - اعلان استقلال
المغرب (٦) - حل الجمعية الوطنية الفرنسية
(٣٠) - كانون الأول : رحلة بولفانين وغرونتشيم
الى بنوديا (١) - ٧ : التصور نقابة المسببال
الاسريكين ومنظمة العمل في اتحاد واحسد (٢٢) -
تدليل الجبهة الجمهورية في فرنسا استبدادا
للانتخابات التيابية (٢) - اعلان استقلال جمهورية
السودان (١٩)

ل : براونيسي : ميثلو - : القام باردن : موت
واكب الدرجة ، وفيلم م - واي : الاب يتفالي .

١٩٥٦

كانون الثاني : استقلال السودان (١) - تشرين
حظ يكون موسكو (٤) - نايف في موبه لثورارة
لي فرنسا (٢٩) - شباط : مظامرات في مدينة
النيواثر ضد زيارة رئيس مجلس لوزراء - واستقالة
المقيم العام الفرنسي كاترو (٦) - تأسيس المنظمة
الانديوية لطاثة الحرية (دوراتون) من قبل الدول
ايت (١) - المنح للوزير الفرنسي للحزب
الشيوعي في الاتحاد السوفياني (١٤) وخطباء
غرونتشوف وميكويان ضد عبادة الشخصية - آذار
عنوب باشا قائد الجيش العربي يقرر من الأردن
(١) - آذار الثانيون - الجلاء للاطراف الواقعة عبر
البحار (٢٢) - اعادة الاعتبار الى لولو راجيك
لي حقوقا (٢٩) - بيان : بورقية مؤيد أول
وزارة لي تونس (٤) - حل منظمة لتومطروم
(١٧) - ريادة بولفانين وغرونتشيم ببرطانيا
لنلس (٨) - ٢٧ ايار : معاهدة بين فرنسا
وانهند تتخلي فرنسا عن مستعمراتها في الهند

يكن : نور قابل التسمية - الين روبيريسه
المصوغ - ج بادلاتر : المدينة العقلية .

١٩٥٤

كانون الثاني : ونلس اميان الغرب الاسبالي
الاعتراف بالنطين بن حرله (٢١) - مؤتمر الادمية
لي برين (٢١ حتى ١٨ شباط) - شباط : معركة
ديان بيان فو (٦ حتى ٧ ايار) - نهاية دكتاتورية
الشييكلي العسكرية في سورية (٢٥) - نيسان
وزارة اشتراكيين واهرار برلانة شان كتر في
بلجيكا (٢٢) لي انقلاب الانتخابات حشر فيها
الشيحيون الاشتراكيون - لاسر رئيس مجلس
لوزراء في مصر (١٨) - مؤتمر كولومبو (٨) حتى
(٢ ايار) - آذار : مؤتمر جنيف حول الهند
الاسية (٨ حتى ٢٩ تموز) حزيران : حرب
اعلية في خواتبالا ، نور الثوار على الرئيس
ايريل (٨ حتى ٧ تمز) - حكومة مندس فرنس
(١٦) - تموز : انتخابات جنيف (٢٠) - تمسالي
التكيزي مصري حول كثة اسويس (٢٧) - العمل
باتفاق ولدا اطلاق النار في تونكين (٢٧) - الاعتراف
ببدا الاستقلال الرسمي الثاني الداخلي (٣١) -
اب : الماء الاتحاد البولندي الالديسي (١) مؤتمر
بروكس (١٩ - ٢٢) - استقالة فارماس وانصار
(٢٢) ايلول : بدء المفاوضات الفرنسية لتوسية
(٤) - مؤتمر ماليل حول جنوب شرقي اسيا (٦ - ١٨)
تشرين الأول : اتفاق لندن بين ايطاليا ويوغسلافيا
حول ترينستا (٥) - الجلاء عن ماقوي (٩) - اتفاق
فرنسي ألماني لي باريس حول السار - ايطاليا
والمانيا تضمين الى ميثاق بروكسل (٢٢) - تشرين
الثاني : بدء ثورة الاوريس (١) - هول لجيب في
مصر (١٤) بدء حملة مجيرون على لالسيروس
(٢٥) - كانون الأول : ميشال الامن بين الولايات
لمحفة ولومونا (٢) - استقلال دول الهند الصينية
مستقلا تاما (٢٩) - فرنسا تيرم الطانات باريس
(٣) س - بنت - بالنظار « قورو » .

١٩٥٥

شباط : مستوطم وزارة مندس لراس (٩)
وحلون اذغار فور مسنه (٢٤) - مانتكوف يستبدل
بالمرشال بولفانين في رئاسة الوزراء في الاتحاد
السوفياني - معاهدة تحالف بين تركيا ويران لعقد
في بندا (٢٥) نيسان : مرشل تقدم استقالته
من رئاسة الوزارة (٥) - مؤتمر الدول الإفرو

الروسي (١٩٢٢-٢٩) ، تموز : أميركا تقدم اللدائن مساعدات اقتصادية وعسكرية (١) - إعلان استقلال تونس وانتخابات بر ريفية ورئيس نيلا (٢٥) .
 آب : تمهيط لجنة الفرنك ٢٠ (١٢) - إعلان استقلال مايتو (٢٦) ، بول : اضطرابات تنصرية عند الزواج في ليل روك (أوكسو) (٤) - الموشال تيتو يتعرف بحدود الأودير - النايبي (١١) - شور الحزب الديمقراطي المسيحي بأكثرية المقاعد في الانتخابات العامة في ألمانيا الغربية (١٦) ، تشرين الأول : انقلاب القمر السوفياتي سيوليك (٢) - تشرين الثاني : انقلاب القمر سيوليك الثاني .
 الاشتراكيون الديمقراطيون يوزون بالأكثريّة المطلقة في مجلس ميروج (١٠) - محمد الخامس يبرقية مرمبان سلطانها لحل قضية الجوار (٢٢) - الحرار القانون ... الإطار للجوار في الجمعية الوطنية (٢٩) فوز حزب العمال في انتخابات ميوزيلاند (٣) .
 كانون الأول : مشروع دأباني يرمي لإنشاء منطقة موزة من الطاقة الكهربائية في أودوبا الوسطى (٩) - مؤتمر القاهرة الرسمي للتضامن الأفرو-الاسيوي (٢٦ - ٢٦) .

ليلم رينه كبير " باب المينكي " ويلهم فيندا :
 كنال ويلهم انجبار برشان " المرأة البرية " ويلهم كالازوف : هندسة عمر القلاني .

١٩٥٨

كانون الثاني : إنشاء حلف الهند الغربية (٣) - السير انغولد ميلاري يبلغ القطب الجنوبي (٢) - حادث ساقية سيدي يوسف : دخول دوزية فرنسية الاراضي التونسية فتقتد ١٤ قبيلة (١) مقرودين (١) خريطة مرفوعة الى الأمم المتحدة عند التجارب الدرية يوشه ٩٩٣٥ هذا (١٣) - ثورة في فنزويلا تخلع بيريس خيمس (١٤) ، شياط ، اعلان الوحدة بين سوريا ومصر تنضم اليها اليمن في (١) - الطيران الفرنسي يقصف من البحر ساقية سيدي يوسف (٨) - تشكل الحلف الفرنسي من العراق واليمن (١٤) ، آذار : اطلاق الصباروخ الاميريكي تنفاره الاون ١٧٧ - ثورة فيل كاسترو في كوبا ضد دكتاتورية الرئيس يانكا (١٧) - الملك ابن السعود يتسلم من الملك اخيه الامير فيصل التوالي مصر (٢٢) - توقف الاتحاد السوفياتي عن تجاربه الدرية واستنح الاسحة الذرية المدمرة (٢١) .
 نيسان : قبول الحكومة الفرنسية بالتراجع معة دولي . بيلس وخدائها (١٢) - مؤتمر افرا لفلول افريقيا (١٥ - ٢٢) - مؤتمر افرا في طنجة (٢٧ - ٢٠) . ايار : بدء الاضطرابات ادمية في

الاتحاد الهند (٢٨) . حزيران : المارشال تيتو يقوم برحلة الى الاتحاد السوفياتي (٧ - ٢٠) - اضطراب هام واضطرابات دامية في يوربان (٢٨) ، تموز : لقاء ناصر نهر-تيتو في بروجي لوضع اسس الاتحاد الايطالي (١٧ - ٢٩) - الولايات المتحدة الاميركية تسيطر مرفها بشمول انسد الحاسي (٢٦) ، آب : اعادة الاعتبار الى غوموكا (٤) واعادة عضويته في اللجنة المركزية للحزب السبالي البولوني اموحد (١٩) . تشرين الأول : انقلاب ٥ ميشاق تشاور ٤ محل ميشاق وحدة العمل المقود عام ١٩٤٦ بين الحزب الشيوعي الايطالي والحزب الاشتراكي الايطالي (٤) - معاهدة ميم عقد بين اليابان والاتحاد السوفياتي (١٦) - ايري ساجي يرأس حكومة تنمادي (٢٢) - الثورة في هنغاريا (٢٥ - ٢٨) - اسرائيل تهاجم مصر (٢٩) - فرنسا وتكتفّر بتلران مصر لوقف القتال مع اسرائيل (٣٠) . تشرين الثاني : تأليف حكومة اتحاد وطني في تنماديا (٣) - تدخل القوات السوفياتية (٤) - ميوط المظليين الروسين والانكيز في مصر - الزوال جيوش في بورسعيد - اعادة التظاهرة للرئيس ايزنهاور (٦) - أنطوني ايسن يتولى حسن وزارة انشؤون الخارجية لبطر (٢٠) كانون الثاني : فرنسا وتكتفّر تسحيان قواتها من مصر (٢٤) - ميذا ايزنهاور (٢١) .

الظلام اوقان - لولا : اجتياح باريس ، وكومتووال عباس الصبيحة ، لاموريس المتطرد الاخضر ،

١٩٥٧

كانون الثاني : هنريوك مكميلان يؤلف الوزارة البريطانية (١٠) - مصر تؤم المصارف وشركات التأمين والشركات التجارية الكبرى (١٥) - انتخابات حاسمة في بولونيا موابة للرئيس غوموكا (٢٠) - مارس - الشاطيء اللعربي يتال استقلاله باسم دانا (٥) - موز المشهورين في ولاية كيرا في الهند (١٤) - الضمام لولايات المتحدة الاميركية لشوية (لجنة العسكرية في حنميفداد (٢٢) - فوز الحزب ودا .
 في الانتخابات العامة في افريقيا الفرنسية وفي مقاطعة افريقيا الغربية الفرنسية وموز الوطنيين في مافسكير (٣١) - نيسان : اصابة شبح تسرعة السويي للملاحة المولية (٨) - انايا بيوس الثاني مفر يطن صدرعته للتعذيب (١٢) - انقلاب في الاردن موال للرب (٤) والمليساك حسين يفر في دكتاتوريته (٢٢-٢٨) ، ايار : سقوط حكومة في مولي (٣١) حزيران : اخراج مولوك ، والتكرف وكراهانوفتش وسيليم من عضوية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي

٨٨٤

(١٧) - الاتحاد الصيركي بين الدول الأربع التي ألغت من قبل أفريقيا الاستوائية الفرنسية - الإفريقي الإنكليزي الفرنسي اليوناني حول استقلال قبرص (١٩) - اسطرابات ولائيل في روديسيا (١٩٦٦) - أدار : جور هاواي، تزلزل الولاية الأميركية المصين (١٩) - تدخل الصين في التبت ولجوء الهنالك لاما إلى الهند (١٩٦٤) - أيار : اجتماع لجنة دول الاتحاد المؤلفة من أساطير الذهب والنيجر وقولها أسلمها والداهومي (٦ - ٧) - حوبران : نجاح العناصر اسيرة للديمقراطية المسيحية في صليب (٧) - جمهورية الأرجنتين كذلك سيلة مختلف التصاني ١٩٦٤ - مور : إطلاق صاروخ سوبهالي جديد يحمل كليلين وأرميا وعادته (٢) - تشيكسل جمية أوروبية للبعدل التجاري الحر ٧ دول متوكلون : تتألف من بربطاب النمطى وسومرا والنمسا ومنغوليا والسويد والنرويج والبرتغال (٢١) - آب : مؤتمر سبع دول أفريقية مستقلة في موروميا (١٩٦٤) - أيلول : صاروخ سوبهالي يبعث على سطح القمر (١٢) - رحلة خروفيشينا إلى الولايات المتحدة (١٥٨٥) - اغترافه الجبريل ديمول بحق الميراثيين بتقرير مسهرم (١٦) - تشرين الأول : إطلاق لوبك الثالث في ٢ منه لذي يدور حول القمر وبأخذ صرنا للجانب الظلم منه (٧) - انتصار حزب المحافظين في الانتخابات النيابية البريطانية (٨) - إطلاق الصاروخ الأميركي أسيورد ٧ (١٢) - اسكوتة ألبجكية ضد باقاسة حكومة مسئلة في الكونجرام ١٩٦٠ (١٦) - حادث الحدود بين الهند والصين في لاداج (١٢) - تشرين الثاني : مؤتمر الاشتراكي الإنلي بسلف عن الاملاجات الدستورية وقبول الكمية من الدولة (١٢) - كانون الأول : قرار المجلس الوطني للقانون الذي ينص على مساعدة المافرم الخاصة في غرب (٣-)

حان بـ - سارتر يشر كتابه - معجور التراب - والين روب غريله - أسبه - ول : دوريل - جيبيل الزيتون - ولتانيه سالات : التلاتياريوم - و أوه جونسون : العفوة - ومارسل كامو بعطي ليلسه المعتون : أودفن بمره - وجان دوس : أبا زيمي ،

ليكن (١٠) - ثورة لوانج انجيش وبعصيرين في مدينة الجواثر ضد حكومة فلين (١٢) - اروس يطلقون نائب ثمر اصطناعي وزنه ١٢٢٧ كيلو غراما في مدار الارض (١٥) - وزراء فلين تقدم استقالته (١٨) - تأليف لجنة السلامة العامة في الجزائر للحمائل على الجزائر والصحراء (٢٣) - حوبران : اسيرال ديمول بتولي الحكم في غرب (١) - اقرار المجلس الوطني لسلطات المظلة وللنانون الدستوري (٢) - المساء الاتحاد السوفياتي لغرض تسليم التوكسورات للخدمة ١٩٦٧ - الاسكا تصبح الولاية التاسعة والأربعين في الولايات المتحدة الأميركية (٣٠) - تموز : تشوب الثورة في العراق وأعلان الجمهورية ١١ - آب : المواصلات القوية الاميركية تقوم برحلة لعب الحليد عبر المنجند النحاسي من المحيط الهادي إلى المحيط الاطلسي (٣) - بدء الهجوم الكبير الذي قام به فيل كاسترو في كوبا (١٢) - أيلول : تشكيل احزاب الاغتراف المستقل في بربص (١٥) - تشكيل حكومة الجزائر الحرة في القاهرة (١٩) - استفتاء في فرنسا حول تعديل الدستور (٢٥-٢٩) - لا ٢٠٤٧٥ × - القصة تغرق (٣٠) - تشرين الأول : إعلان جمهورية مضاف (١٤) - الكويت تشتم الى عضوية الجامعة العربية (٢٩) - تشرين الثاني : الانتخابات النيابية في فرنسا (٢٣ - ٣٠) - إعلان جمهوريات السودان والكونغو واستغفال والتشاد والهايتون وموريتانيا امضاء في الوحدة الفرنسية (٢٩-٢٩) - انقلاب عسكري يقزم به اللواء عبد في السودان (١٧) - كانون الأول : إعلان استقلال جمهورية الرينيد الوسطى (أويني - تشاري) - وجمهورية اساطير الذهب والداهومي وقولها اسيا امضاء في ايوحة الفرنسية (١١) و (١١) -

سيجون دي يولوار تشر كتابه : مفكرات فتاة منتظمة - وكوماسي دي ليموسا - ألفيد ، ومغريت دوراس - حوبرالو كتابيه ، ولورانس دوريل : بطراق ، وسترلاك : الدكتور زطاك - افلام بونفانشو : عتبا تمر اللقائ ، وحيثال كرميه : انشغالون ، ولويس حبل : العشاق -

١٩٥٩

كانون الثاني : انتصار الثورة التي اعنتها ليدس كاسترو في كوبا - إطلاق أول صاروخ روسي بأسياد القمر - اضطرابات دائمية في ليوبولدفيل (٢) - لسم اسيرال ديمول منطاله الدستورية وليسا ندمورية وتسلم ميشل دوريه رئاسة الوزارة (٨) - تأليف الداهومي وقولها الفيد : التي انسجبت فيما بعد في أدارا واستغفال والسودان لاتحاد مالي

١٩٦٠

كانون الثاني : استقلال الكونج ، وبسده انعمل بالقرنك الفرنسي الجديد (١) - انجيش يتسلم الحكم في الأوس (٢) - بدء الانشغال بسد اسوات : الفاء وزارة الداخلية في الانشغال اسوياني ولعبرين صلاحياها لوزارات الداخلية في الجمهوريةات التي بتألف منها الاتحاد (١٢) - معاوية

لورانس دوريل ينشر كتابه ، كلاً ، وارنست
سون سيمون معبر ١٠٠٥ - فيم جان لون
خودار : على آخر نفس ، وليل فريديكو فابري
الحياة المثقة ، وفيم انطونيو : الماهرة ، وليل
ج ، تشوكراي ، العودة الجندي ،

١٩٩١

كانون الثاني : استفتاء فرسي يؤيد سيادة
ديمول تجاه الجزائر (١٨) - جليلو كوافروس ينتخب
وسا للبرازيل (٣١) - شياط : اطلاق صاروخ
سوبرنك روسي وزه ٦٤٥ اطنان وقمر اصطناعي
برسي (١١) - ثبوت مقتل لومومبا (١٣) - لبنان :
بدء قضية ادولف ايخمان (١١) - يوري غاغارين
يسبح في البحر لأول مرة لمدة ٩٩ دقيقة (١٢) - محاولة
نزول فاصلة في خليج كوشون في كوريا (١٢) - محاولة
حركة انقلاب عسكري في مدينة الجزائر صرف بحركة
القواد الثرية (٢٢ - ٢٥) - اعلان حالة الطوارئ
والاضراب العام (٢٤) واستسلام الجنرال فسال -
اتحاد جنوب افريقيا يخرج من رابطة الامم
البريطانية (٣٠) - ايار : والد القتل الاسكري (١٥)
شيرات يقوم بأول محاولة طيران عبر الفضاء (٥) -
بدء المأوسات في ايفان (٢٠) بين الحكومة
الرسمية والحكومة الجزائرية واجيبه الى ١٢
جزيران - نقل رافايل فروغولو (٣٠) - جزيران :
استقلال الكويت (١٩) - تموز : اشعيكات دامية
مع تومي بشأن بنزرت (٤ - ٢٣) - استئناف
الانفصالات بين فرنسا ومندوبي حكومة الجزائر في
توغرين (٢٠ - ٢٨) - آب : الطيف الروسي
لينول يرسم ١٧ دورة حول القمر في حربة الفضائية
لوسوف ٢ (٧) - الماهرة باقامة ٥ جدار ٤ برلين
(١٢) - اشغال جانيو كوافروس (٢٥) واستبداله
بـ جو فواز (٨ ايلول) - ايلول : محاولة امتداد
فاخنة عبد الجنرال ديفول (٨) - الفاء الوحدة بين
سوريا ومصر (٢٨) - تشرين الاول : فوز حزب
البدالة في تركيا (١٥) - تشرين الثاني : انقلاب
عسكري في جمهورية الكونغو (٧) - الحكومة
التركية الجديدة برئاسة عصمت يولر (٢٠) - كانون
الاول : استيلاء القوات الهندية على المنشآت
البرمائية ، هوا ودامار وديو في الهند (١٧) .

الظم ١٠ - سنة الماهية في حزيران ،
وغيلم ١٠ - وايز وديوز : قصة وست سايد ، ول
يونويل : لوبرديانا ،

نوره يقوم بيا الفالون في مدينة الجزائر (٢٤) -
طارلة مسندرية في بروكسل حول الكونغو (١/٢٥) -
٢/٢٥ - مؤتمر انبيل الافريقية الثاني يعقد في
تونس (٢٥) - شياط : استسلام الثوريين في الجزائر
(١) - المجلس الوطني يقر السلطات المخلقة للحكومة
دوبريه (٣) - اذار : الفج بنفس لظواهرات الزلزل
في اتحاد جنوب افريقيا (٢١) - فشل حكومة
فروميري في الانتصارات اسعة في الارجنطين (٢٧) ،
بسان احلاق الصاروخ تيروس الاول الذي يقوم
بتصوير الارض من الجو (١١) - المؤتمر الافرو اسوي
في كوباكري (١ - ١٥) - اضطرابات في كوريا
الجنوبية رقم سينمان ري على الاستقالة (١١-١٧)
- استقلال انطون (٢٧) - امة سياسية في تركيا
وانقلاب عسكري (٢٧ - ٣٠) - ايار : اسوفيت
يسمطون طائفة ميس امريكية يو ٢ فوق اراضي
الامم المتحدة السوفياتي (١) ملك العرب يحكم الحكم
ويؤلف وزارة برثاسه (٢٦) - اطلاق سوبرنك
الرايع (١٥) - فشل مؤتمر النوبة (١٧) - حزيران :
مظاهرات معادية للامبركيين في اليابان ، والقاء رحمة
ارليس ايزجادو اليها (٦ - ١٦) - مؤتمر الدول
الافريقية المستقلة في اديس ابابا (١٤ - ٢٤)
الاتفاق التجاري الطويل الامم المتحدة بين كوبا والاتحاد
السوفياتي (١٨) - استقلال مالي (٢) - مفاوضات
مبون مع ممثلي ثوار الجزائر وشلها (٢٥ - ٢٨)
- استقلال منشكي والصومال (٢٦) والكونغو البينكي
(٣٠) - تموز : اطلاق وامادة صاروخ روسي حجمه
٢١٠٠ كغ ورم يصل حيوانات (٤) - بدء الاضطرابات
النامية في الكونغو البينكي القديم (٦) - وشل
القوات البينجية ٢٩ - انفصال كاتشا (١١) - فشل
الامم المتحدة (٢٤) اضطرابات في روديسيا الشمالية
(٣) وغولفا ألمانيا (٥) - وشاطيء الحاج (٧) - بنشاد
بلجكا الى سحب قواتها في الحال من الكونغو (٩) -
الاتحاد السوفياتي يطلق صاروخا جديدا لربادة الفضاء
(١٦) - انفصال مالي (١٩ - ٢٠) - حكومة الجزائر
المرة تقترح القيام باستفتاء ضمن تمتد (الراف
الامم المتحدة (٢٢) - اتفاق تعاون التصادي وقسي
ووفق اتفاق تجاري بين فالا والاتحاد السوفياتي
(٢٨) - تشرين الاول : استقلال اتحاد ميجيريا (١) -
لقوبه ازمات سياسية في كسل من ليكوانغواي
وكوكيب وقنويلا وكوسا ريكا والسلفادور وبراينالا
- اضطرابات في البرازيل ولي الارجنطين وانشليس
تستمر حتى تشرين الثاني ، تشرين الثاني : الجنرال
ديمول يتكلم من « الجمهورية الجزائرية » (٤) -
لوز كندي مرشح الحزب الديمقراطي في انتخابات
الرئاسة في ولايات المتحدة الامريكية (١١) - محاولة
انتيام بشرة عسكرية في لتيام الجنوبية (١١-١٣)
كانون الاول : فشل الثورة في ليبيا (١٤ - ١٦)

١٩٦٢

الثالث والمثرون يستقبل أجوبيسي ، مسر
خروتشيف في مقابلة خاصة (٢٧) ، نيسان : محاولة
تقيام ثورة عسكرية في الأرجنتين (٢٨) - نشر ابراهيم
الابوية ، السلام على الأرض (٢٩) ، أيلول
عدم ايربان الشرقية ومميا إلى جمهورية انغوليسيا
(٣٠) - مظالمات اليهوديين في فينلان الجنوبية ضد
حكومة ديم (٣١) - محتاج عملية طيران غوردون
كويبر بدء أن لم يـ ٢٢ ثورة حول الأرض (٣٢) -
(٣٣) - حوران : قومتوك ، وقومتوك ٦ وعلى ملك
الآخر والدة الطراد فلنينا تروفسكوف يودان
للأرض بدء لصاد ١٩٦٢ ساعة في الفضاء (٣٤) -
انقلاب بولس اسامس بيا (٣٥) ، آب : محاولة
(٣٦) - أيلول - استقلال ماليزيا (٣٧) ، الجيش
يستلم الحكم في الجمهورية اندونيسية (٣٨) - بدء
النسوة انشائية للمجمع الفلايكني الثاني (٣٩) ،
تشرين الاول ، انقلاب عسكري في جمهورية
هوندوراس (٤٠) - الحرب بين القوات الجزائرية
والقوات العربية بشأن الحدود (مع ٢٠ - ٢٠٠)
- انقضاء العقبة من حكومة بن بيل (١٠٠ - ٣٠) ،
تشرين الثاني انقلاب عسكري في صايون يعضى
ابن مقنيل الرئيس ديم وأخيه (١) - خروج
باليدوي يشكل حكومه في الينا (٢) - مقتل الرئيس
كندي في دالاس (٣١) ، كانون الاول تشكيل حكومة
من قلب واليسر بدل لها مورو ونس (٤) لسي
اطاليا - استقلال زيمبابوي (١) وكينا (١٢) - سيمون
دي بولوار نشر : قوة الافكار

١٩٦١

كانون الثاني ، حوادث دامية في بنما لوني
الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة
الاميركية (٢٩) - حركة تمرد في تشايناوكينا تقطر
مها افقوا البريطانية للتدخل (٣٠) - شيان :
انقلاب عسكري في انمايون يقطر القوات الفرنسية
للتدخل في الامر (١٨) ، نيسان : الرئيس غولار
واضطراره الى اعتزال الحكم امام محاولة اليمين
في البرازيل - تموز : استقلال ملاوي (قديما
موسالاند) (٣١) - اطلاق الصاروخ الاميركي رايشر ٢
الذي دخل (٢٢٦٦ صورة قبل أن يتعطم على سطح
الممر (٣٢) ، أيلول : انتخاب ادورد لمراي من حزب
الديمقراطيين المسيحيين رئيسا لجمهورية الفيلي
(٤) - المسيرة الثانية للمجمع الفلايكني الثاني (١٢)
- استقلال مالطا (٢١) - احتلال الرومي لعمرية
العنانية فوستوك حمنة ثلاثة بلاد (١٢) - صول
خروتشيف واستبداله ببريجنيف وكوسيجين (١٥) -

٨٨٧

كانون الثاني : مؤتمر المنظمة الاميركية الاقتصادية
في بونافيل ايس (٢٢ - ٣١) - آذار : اطلاق
الصاروخ الاميركي فينان الثاني الذي يسبح مساء
٨٠٠٠ كلم (١٥) - عقد اتفاقات ، بيان مع حكومة
الجزائر (١٢) - والتوفد من النال يصيغ نهائيا
(١٩) - انقلاب عسكري يجبر الرئيس فردنبري في
الارجنتين وحكومته على الاستقالة (٢٠ - ٢٨) ،
يسان : استفاد حول سياسة الحكومة في الجزائر
وتأييد الشعب الفرنسي لها بنسبة ٩٧ ٪ من
اصوات الفرنسيين (٢٨) - تعيين لسيه برسيه دركها
للوزارة (١٢) - الصاروخ الاميركي رايشر الرابع معطدم
بوجه القمر الظلم (٣٩) ، تموز : استثناء انشيب
في الجزائر حول الاستقلال يؤيده ٥٤٦٦٤٠٠٠ من
اصر ٦٠٠٢٤٤٠٠٠ (١) - اطلاق القمر الصناعي
الاميركي تلسون من كابل كالا ليرال يتيح لاوروسيا
التقاط الاشعرات المرسة من الولايات المتحدة (١٠)
- الطيارة الصاروخية (١٥) - ١٠ ترلع في الجو الى
حو ٩٢٤٠٠٠ متر (١٧) - انقلاب عسكري في البيرو
(١٨) ، آب : استقلال جامايكا (١) - اطلاق فوستوك
٣ ولونسوك (١١) - فشل محاولة قتل ضد الجنرال
ديول في بني كلام (٢٢) - استقلال امريتشي
وطوبوف (٣١) ، أيلول : رحلة الجنرال ديسول الى
اناليا (٤ - ٢٩) - تشرين الاول : افتتاح المجمع
انديكان الثاني (١١) - هجوم الصينيين على الواقع
الهندية : الوافدة على حدود القوقاز الشرقي (٢٠) -
حصار بحري حول كوبا حيث ركزت قواعد لاطلاق
الصاروخ السوفياتية (٢٢) - خروتشيف نامر بسحب
كل الاسلحة الهجومية من كوبا (٢٧) - اعلان
الجمهورية في الين وانضمام الجزائر لملل ديسا
لها ، تشرين الثاني : فوز الاتحاد الوطني لجمهورية
في الانتخابات النيابية ، وامتناع هلد كير من
التصويت (١٨ و ٢٥) - ربيع الحصار الاميركي عن
كوب (٢٠) ،

فيم الخمس قاردا : كليوس ٥ - ٧

١٩٦٣

كانون الثاني : مؤتمر صحفي للجنرال ديسول
على التفكير أن تضم الى معاهدة روما بدون أي
تعطيل (١٤) - تأجيل إلى أجل غير مسمى المعارضات
بين بريطانيا ودول السوق المشتركة (٢٨) ، شباط
الانقلاب عسكري في العراق وقتل اللواء قاسم (٨) ،
آذار : اغراب عام لعمال المناجم في الشمال وفي
الفرجين بالرغم من امر اصداره (١) - (البان بونجيا

(٢٥) - مجلس الشيوخ الأميركي يقر قانون حق الإنتراع للزوج (٢٦) - حزيران : رافدا لحضراء اميركيان يخرجون في الهواء من كبسولة جيميني ٢ (٢٧ - ٢٨) - انقلاب عسكري جديد في تشيبيام الجنوبية : الجنرال كي يولف الحكومة (١٩) - حول ٥ ليونل أوروبا الفخراء ٤ ١٣٠٠ + تصوق : عربة الفضاء الأميركية مارينر ٤ ترمزل صورا عن المريخ الى الارض - ملك اليونان يغير بانديري على تقديم استقالته (١٥) - العربية الفضائية لوبس ٣ هوائي يومدين يقلب بن بيل و يستولي على الحكم (١٦) - فشل المفاوضات التي دارت في بروكسل تأخذ صورا لوجه القصر العظيم (١٨) - ٢٧ : دولة ستافورا تنسحب من اتحاد ماليزيا - نصوب الحرب بين الهند والباكستان حول قضية كشمير (٩) - اضطرابات عنصرية في لوس أنجلوس ١١ - ١٨ : الرائدان الفضائيان فريدون كوبر وشارلز كولراد يغريان رقبا لباس في مدي الطيران عن من العربية جيميني ٥ (٢١-٢٩) ، ايلول ، دخول القوات الهندية باكستان (٩) - فرنسا ميتران يرفع نفسه للابيض (٩) - الحزب الاشتراكي القروجي تخرج من الحكم في البلاد بعد ان استغنى به ٢٠ سنة (١٣) - اعلان وقف إطلاق النار في باكستان (٢٢) - تشرين الاول ، حادثة في التوليفيا ضد الرئيس سوكارنو (١) - تشويي يترك رئاسة الوزارة في الكومونلها (١٣) - الصباح للجنة العمل في المصانع في شروط صينة (٢٣) - دكتاتورية المارشال كسترو برتكو في البرازيل (٢٧) - خلف مهدي بن بركة في باريس (٢٩) - تشرين الثاني ' رودييسيا تعلن استقلالها من جالب واحد على يد ايان سميث واتخذت مفرغ شعرا مقويات ادارية واقتصادية (١١) - الجنرال مويرو يستولي على الحكم في كولمبو نيوبولدليل (١٤) - كانون الاول : انصر المستعصي لوبا A تنظم على سطح القمر - نجاح تجربة الطيران السدوج لجميني ٦ وجيميني ٧ (١٥) - سائل الاصوات في انتخابات الرئاسة : لم يصل الجنرال ديقول سوي ٤٤١٩٤ من اصوات الناخبين (٥) - اعادة انتخاب الجنرال ديقول يمثل ٥٥٤١٩ من الاصوات مقابل ٤٤٤١٠ لفرنسا ميتران (١٩) - انقلاب عسكري في الداهومي (٢٢) وفي جمهورية افريقيا الوسطى (٣١) وآخر في لولغا العليا في ٢ ٢٥ ١٩٦٦ - ارغون ينشر رواية لتخليد الاعمال .

انصار شميل يحتقه حوب الشمال في انكلترا يؤدي الى حكومة ولسن - الفناء جمهورية تنزانيا من دمج تنزانيا و زنجبار (٢٩) - تشرين الثاني : انضمام لنكون جوسون رئيسا للولايات المتحدة الاميركية (٣١) - ليرة عسكرية في بوليفيا (٢٧) - اطلاق الولايات المتحدة الصاروخ لوند ٢ نحو المريخ (٢٠) .

١٩٦٥

كانون الثاني : تأجيل المؤتمر الافرو اسيوي المقرر عقده في مدينة الجزائر مرتين (الاولى في ١٣ والثانية في ٢٥ لاجل غير مسمى) - السحاب اتدومها من عضوية الامم المتحدة (٢١) - وفاة السير ولسن تشرشل (٢٤) - انقلاب عسكري في غيانا الجندرية (٢٧) - شيان : خروج فرنسا وحلفا من قاعدة الذهب ١١٢ - اطلاق رايتجر A الذي ينظم على القمر في ٢٠ (١٧) - استقلال شيبا (١٨) - انقلابات عسكرية متوالية في سايفون (١٩ - ٢٢) - مظاهرات ضد كبير من الطلاب في مدريد (٢٢) - النار : فوز الحزب الديمقراطي المسيحي في الانتخابات العامة في التشيلي (٢٧) - لوبل انصار بيرون والحزب انصر بالانتخابات العامة لسي الارجنتين - مقتل الجنرال دلفندو ولسن المعارضة في البرمال (١٤) - رالف الفضاء الروسي لوبيف يخرج من عريته فوسكو ٢ ، وهو طائر في الفضاء (١٨ - ١٩) - الاميركيون يأخذون بالقصة ليلنام الفضائية يرميا (١٩) - فوز المعارضة في الانتخابات البلدية في فرنسا (١٤ و ٢٢) - هياج في الدار البيضاء والرباط ولس (٢٢ - ٢٣) - اطلاق العربية جيميني الثانية وعلى متنها رائدان فضائيان (٢٣) - نيسان : وفاة بيترو ليني البابا (١٧) - ليرة عسكرية في سلن دومنيك سالتما القوات الاميركية (٢٤) - ايل : خوف الجبهة الروديسية في الانتخابات العامة (٧) - فاسفون نيفير يشرح الفناء تحالف يشميل الاشتراكيين والمسيحيين الديمقراطيين (٨) - اطلاق الروس للعبة الفضائية لوبا ٤ التي تنظم على سطح القمر في بحر الخليم (٩) - تفجير القنبلة النووية المعينة الثالثة (١٤) - بريطانيا العظيم تأخذ بانظام الكري (٢٤) - تنحية سمة نواد في سايفون

جدولت الاعمال

الاتحاد القديم ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٥٣	١
الاتروسك ١١٦	آرال ، بحيرة ٥١٩
اثينا غوراس ، البطريك ٣١٥	آديب ، حائر ١٢١ ، ١٢٣
اثيوبيا ٧١٣ ، ٨٣٠ (أنظر أيضا الحيلة)	آسيا ٤٢٣ ، ٤٤٣ ، ٥٧١ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٢ ، ٦٥٤ ، ٦٦٢ ، ٧٣١ ، ٧٦٦
احمد آباد ٦٣٦	٧٦٦ ، ٨٢٤ ، ٨٢٦
احمد ماهر ٦٨٨	آسيا الجنوبية الشرقية ٣٥٨ ، ٤٠٨ ، ٦٣١ ، ٦٤١ ، ٧١٣
اديرة ٦٧٥	آسيا الصغرى ٦٨ ، ٦٧٥ ، ٧٤١
ادلو ٤٨٩	آسيا الوسطى ٤٤٥ ، ٥١٨
اديس ابابا ٧٦٣ ، ٧٦٩	الاسك ٤٠٨
الإنارة والتلفزيون ٤٧٤ - ٤٧٥	الامود ٢٦٨
ادريجان ٢٧٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨	ابن باديس ٧٠٧
ادرفون ١٢١	ابن السعود ، الك ٦٧٩
ارامكو ٦٨٣ ، ٦٨٤	ابن عرفة ٧٠٩
الأرجنتين ١٤ ، ١٩ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٨٦ ، ٢٤١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤ ، ٤٦٥ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦١٦ ، ٦١٧	ايندجان ٧٢٥
الأردن ٦٢٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥	اتحاد حيوبي إفريقيا ٦٢ ، ١٣٥ ، ٧٢٠ ، ٧٢٥ ، ٧٢٨ ، ٧٣٨ ، ٧٥٦ ، ٧٥٨
أذربيجان ٣٣	الاتحاد السوفياتي ٦٨ ، ١٣٦ ، ١٨٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٤٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٥٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٤٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٧ ، ٥٠٦ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤٧ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٦٤ ، ٥٧٢ ، ٥٧٥ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٦٠٢ ، ٦١٢ ، ٦١٧ ، ٦٢٥ ، ٦٤٣ ، ٦٤٨ ، ٦٧٨ ، ٦٨٣ ، ٧٨٥ ، ٨٠٩ ، ٨١٧ ، ٨٣٠
أرلندا ١٢ ، ٢١١ ، ٢٥١ ، ٦٣٧ ، ٨٣٠	الاتحاد السوفياتي والارمة الاقتصادية ٢٨٥ - ٢٨٦
أرمود ، برنامج ١-٣	الاتحاد السوفياتي ونظامه السياسي ٢٩٤
أركنتسك ٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨	الارمة الاقتصادية ٢٨٥ - ٢٨٦
أرمسترونج ١٢٤	نظامه السياسي ٢٩٠ - ٣٠٤
أرمينيا ٢٧٥ ، ٢٩٥	الاتحاد الفرنسي ٧٤٩ - ٧٥٠
أوبس ، الجمرال لون ٤٠٤	
أوزبكستان ٢٧٥	
الارمة الاقتصادية الكبرى ٨ - انفجارها	
وامتدادها ١٣ - مظاهرة ١٣٦ - نتائجها ١٤٤ - دورة الارمات الاقتصادية ١٣٠ - ١٣١ - نتائجها الفكرية والاجتماعية ١٨٣ - ١٩٢ - نتائجها السياسية ٢٠٩ - ٢١٤ - الارمة الزراعية ٧٥ - ٧٦	
ارمة (سنة ١٩٢٠) ٥٥	
ازمير ٦٨ ، ٦٧٥	
أزيكوبه ٥٢٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٩	

باليستا ٥٩٢ ، ٦١٢
 باتيمون سيمون (افني اغنياء اميركا اللاتينية)
 ٥٨٣
 بادوليو ، ترأسه الحكم بعد اعتقال
 موسوليني ١٧
 دوت ١٤
 باريس ١٧ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٧٧ ، ١٢٠ ، ١٣٤
 ١٩٤ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٨٤ ، ٣٦٩ ، ٣٨٤
 ٣٦٦ ، ٤٩٤ ، ٥٠٨ ، ٥٣٠ ، ٦٧١ ، ٧٧٢
 ٨١٢ ، ٨١٤
 باريتو ١١٥
 باريث ٦٧٤
 بازولاند ٧٥٧
 باسترناك ٥٢٤
 باسوس ، دوس ٢٠١ ، ٥٠١
 بشلا ، جورج ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢
 بامري ٣٥ ، ٤٨ ، ٨٦
 بلفوف ١١٤
 الباكستان تركيها الاجتماعي والسياسي
 ٦٣٨ ، ٦٣٩
 ٦٣٠ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠ ، ٦٤٣ ، ٦٤٧
 ٦٥٠ ، ٧٣٤ ، ٧٧٢
 تركيها الاجتماعي والسياسي ٦٣٨ ، ٦٣٩
 باكو ٢٥٠ ، ٢٧٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨
 بنتش ٨٠٤
 نابو المارشال ٦٨١
 نانديغ ، مؤتمر ٦٥٠ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩
 بولوس ، المارشال عون ٠.٢
 بانكال ٢٦٨
 بتروفراد ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩
 بتروف ٣١٠
 بتشوانالاند ٧٥٧
 بنهايم ٢٨٨
 شان ، الكوت ٣٨ ، ٢٣٧
 اسهر ، البحر الاحمر ٦٧٩
 اسهر الاسود ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٤٤٦
 البحر التيريني ٢٣٤
 اسهر الكرايبي ٥٨٥ ، ٦٠٠ ، ٦٣٦
 البحر الابيض المتوسط ٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٧٩
 ٧٤١
 بحر قزوين ٢٥٠ ، ٥١٨
 بحر المرجان ٣٥٨
 بحيرة فلكانش ٢٧٤ ، ٢٧٥
 بخارست او بوخارست ٢٣٦
 براد ، مانويل فونراسي ٥٨٨
 براز ، ميل ٧٢٠ ، ٧٢٥
 اسرائيل ١٤ ، ١٩ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢

اوليفر ، كنج ١٢٤
 الاوماتيه (جريدة) ١.٣
 اوسك ٢٥١ ، ٢٦٨ ، ٥١٨
 اوناونو ١١٣ ، ١٣٩
 اوبابل ، اوجين ٢٠٠
 اويان ٨٠٠
 الاونسكو ٤١٨ ، ٨٢٦
 ايبارا - فلاسكو ٥٩٦ ، ٩٠٩
 ايبانيز ، الجنرال ٥٩٢ ، ٥٩٧ ، ٦٠٩
 ايسرت ٣٧ ، ٩٩
 الايسر ٧٧١
 ابوية ، فليكي ٧٤٩
 ايران ٧٢ ، ٢٦١ ، ٤٢٠ ، ٤٩٨ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥
 ٦٨٤ ، ٦٨٣ ، ٦٧٩ ، ٦٧٨
 ايران استبدال اسم الميم باسم ايران ٦٨٠
 ايرواندي (نهر) ٦٥٨
 ايرين اوتينيا الجديدة ٦٥٢ ، ٦٥٤
 ايزنهاور ٤١٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩
 ابست لندن ٧٤٠
 ايطاليا ٢٢ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٨ ، ٨٤
 ٨٧ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٥
 ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤
 ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٩
 ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٤
 ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢١٩
 ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
 ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧
 ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣
 ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠
 ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦
 ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢
 ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨
 ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
 ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠
 ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
 ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢
 ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
 ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤
 ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠
 ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦
 ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢
 ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨
 ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤
 ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠
 ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦
 ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢
 ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
 ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤
 ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
 ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦
 ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢
 ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨
 ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤
 ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠
 ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦
 ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢
 ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨
 ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤
 ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠
 ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦
 ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢
 ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨
 ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤
 ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠
 ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦
 ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢
 ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨
 ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤
 ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠
 ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦
 ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢
 ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨
 ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤
 ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠
 ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦
 ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢
 ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨
 ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤
 ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠
 ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦
 ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢
 ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨
 ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤
 ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠
 ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦
 ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢
 ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨
 ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤
 ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠
 ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦
 ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢
 ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨
 ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤
 ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠
 ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦
 ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢
 ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨
 ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤
 ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠
 ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦
 ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢
 ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨
 ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤
 ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠
 ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦
 ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢
 ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨
 ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤
 ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠
 ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦
 ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢
 ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨
 ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤
 ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠
 ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦
 ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢
 ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨
 ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤
 ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠
 ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦
 ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢
 ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨
 ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤
 ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠
 ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦
 ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢
 ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨
 ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤
 ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠
 ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦
 ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢
 ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨
 ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤
 ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠
 ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦
 ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢
 ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨
 ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤
 ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠
 ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦
 ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢
 ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨
 ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤
 ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠
 ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦
 ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢
 ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨
 ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤
 ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠
 ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦
 ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢
 ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨
 ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣
 ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨
 ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣
 ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨
 ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣
 ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨
 ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣
 ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨
 ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣
 ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨
 ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣
 ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨
 ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣
 ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨
 ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣
 ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨
 ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣
 ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨
 ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣
 ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨
 ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣
 ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨
 ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣
 ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨
 ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣
 ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨
 ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣
 ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨
 ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣
 ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨
 ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣
 ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨
 ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣
 ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨
 ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣
 ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨
 ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣
 ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨
 ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣
 ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨
 ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣
 ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨
 ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣
 ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨
 ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣
 ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨
 ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣
 ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨
 ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣
 ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨
 ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣
 ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨
 ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣
 ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨
 ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣
 ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨
 ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣
 ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨
 ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣
 ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨
 ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣
 ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨
 ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣
 ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨
 ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣
 ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨
 ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣
 ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨
 ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣
 ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨
 ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣
 ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨
 ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣
 ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧

جنات رئيس العصاة الاسلامية ٦٢١
 حشيلي ، حيواني ٢٢٠
 حيف ٣٩٦ ، ٤٢١ ، ٦٦٨ ، ٨٢٨
 حيف ، اعاقى ... (سنة ١٩٥٤) ٦٦٨
 حوريس ١٠٢
 حومية ١٢٠
 حنوي ٣٩ ، ٣٩٧ ، ٤٠١
 حونسون ليندن ٤٣٨ ، ٦١٥
 جوهنسيرج ٧٢٠ ، ٧٢٥
 جيد ، اندريه ١١٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٢٧ ، ٥٠٠
 جيرودو ١١٩ ، ١٢٠ ، ٢٠١
 جيلبرت ، حور ٢٦٠
 حيمي ، صندوح ٨١٤
 جيورجيا ٢٥١ ، ٢٧٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨
 جيورجيف ، الجبرال ٢٣٨

لورينو ٣٦٧ ، ٤٠٢
 لتوغو ٧٢٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥٣ ، ٧٥٨
 توكاتشفسكي - المارشال ٢٢١
 تويسوي ٥٢١
 تويي ٦٢١ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩
 ٧١٠ ، ٧٦٩
 التونكين ٤١٢ ، ٦٦٢ ، ٦٦٨
 تويسوي ٤٣٧
 تيور ، ماند ٤٤٧
 تسور ٦٤
 تباد دي شاردن ، الاب ٥٠٧
 التست ٥٧٣
 تيتو ٣٦٤ ، ٤٠١ ، ٥٥١ ، ٥٥٦
 تيجون ، الطيرك ٣٢٠
 التيمس ، حريدة ٩١ ، ٩٢
 تيموشكو ٣١٨



ث

الجبنة ٢٠ ، ١٥٩ ، ٢١٣ ، ٢٣٢
 حثا ٦٥١
 الحجاز ١٨ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩
 الحرب امنية الادلس ٨ ، ٢٣ - ٣٢ -
 رصيدها ٤٩ - تكاليفها ٢٩ - فن العرب
 ولعدد انجيرية خلال الحرب العالمية
 الاولى ٢٣٠ - ٢٣٢
 الحرب العالمية الثانية ٨ ، ٣٢٧ - ٣٢٨
 فن الحرب ٣٤٢ - ٣٤٥ ، تطورات اتلح
 واستعدادات فن الحرب ٣٥٠ - ٣٥٣ -
 الحرب اسعرية ٣٥٤ - ٣٥٦ - اعمال
 المقاومة ضد الالان ٣٩٤ - ٣٩٦ - المقاومة
 في أوروبا الشمالية الغربية ٣٩٧ - ٣٩٨
 - المقاومة في أوروبا الشرقية والجنوبية
 ٤٠٠ - ٤٠١ - المقاومة الإيطالية ٤٠١ -
 ٢ - سانجا ٦٨١ - ٦٨٤
 الحرب الباردة ٤١٧ ، ٤١٨
 حرب البوكر ١٨
 حرب كوريا ٤٧٨
 الحربية الحديثه ٢٠٢ - ٢٠٤ - تمجيدها
 ٢٠٥ - ٢٠٤
 حزب اندستور (تونس) ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧١٠
 حزب المؤتمر (مي الهند) ٦٣٢ ، ٦٤٨
 حزب الوفد المصري ٦٧٨
 حسني الزعيم ٦٨٨
 حيدر آباد ٦٤٥

ثلمان ٩٩
 الثورة الروسية ٣٣ ، ٣٥ ، ٩١ - ٩٢ ،
 ٢٤٣ - ٢٥٤
 الثورة في ألمانيا ٣٦ - ٣٧
 الثورة في هنغاريا ٣٧



الحار ، موسيقاه ١٢٤
 حاكارتا ٦٥٢
 جوا ٢٠ ، ٦٤٨ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٦٤
 جايمن ١١٣
 جب ، المشرق ٦٧٣
 الجبل الاسود ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦
 حل طارق ٢٤٠
 حنلد ، معركة ٣٥٤ ، ٣٦٤
 حدانوب ٥٢٤
 حرب ٧٠٦
 حرشوين ١٢٤
 الحرائر ٢٠٥ ، ٥٠٧ ، ٦٢١ ، ٧٠٥ ، ٧٠٨ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٨٢٦
 انحريرة المربية ٦٧١ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٩
 جمال الدين الامعاني ٦٧١ ، ٦٧٢
 الجمعية التجارية الاسلامية ٦٤٩

خ

الدولية الثالثة : تأليفها عام ١٩١٩ - ٨٢ ،
٨٢ ، ١٠٩ ،
الدوريكانيز ، جزر ٨٤ ، ٣٦٦ ،
دوركهايم ١١٥ ،
دوسلدورف ٣٤ ،
دوشان ، مارسيل ١٢٠ ،
دو مانيه ، مرسوا ٦١٥ ،
دومر ٦٦٣ ،
دومرغ ١٦٧ ، ٢١٢ ،
دولان ١٢٠ ،
الدومبيك ٥٨٣ ، ٥٩١ ، ٦٠٠ ، ٦١٣ ،
٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ،
الدومبيون ١٤ ، ٧١ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ٤١٠ ،
الدون ، نين ٥١٨ ،
دو هامل ، جورج ٢٠٤ ، ٢٠٣ ،
ديان - بيان - نو ٦٦٨ ،
دي فري ٨٠١ ،
ديس ٢٥٩ ،
ديكو - الاميرال ٦٦٦ ،
الديمقراطية : ازمتها في اوربا الوسطى
١٠٠ - ١٠٢ ، الديمقراطية السوءياتيه
٣١٣ - ٣١٤ ، الديمقراطية الشعبية في
اوربا الوسطى والشرقية ٥٣١ - ٥٤٠ ،
توحيد الديمقراطيات الشعبية ٥٣٨ - ٥٣٩ ،
الديمقراطية ، الحركة ١٨٣ - ١٨٨ ،
و ٨٢٤ - ٨٣٠ ،
دين التيسون ٤١٨ ،
دي برويل ١١١ ،
ديوسي ١٢٤ ،
ديترويت ٤٣٨ ،
دي غرانيزون ، الكوبويل ٣٣٢ ،
دي غول ٣٤٤ ، ٣٩٦ ،
دي فلا ، الموسيقى ٢٣٩ ،
دي لاتور دي نان ٢٠٤ ،
دي مان ، هنري ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
ديات ١٩٨ ،

ز

الزاي العام والانتخابات ٩٠ - ٩٦ ،
زابالو ، معاهدة (١٩٢٢) ٢٦١ ،
الزاسجالية ، مناهضتها ١٩٤ - ١٩٥ ،
الرابطة الإسلامية في الهند ٦٣٤ ، ٦٣٧ ،
٦٣٨ ،
زاتينوهو ٢٦ ،
زاديت ٢٢١ ،

حاركونف ٢٧١ ،
الخانات ١٨٠ - ١٨٢ ،
حاي دمنه ، الامبراطور ٦٦٣ ،
خروتشوف ٥٢٥ ، ٥٣٠ ، ٥٤٤ ،
الخليج العربي ٦٧٥ ،
خيمس ، بيريس ٦١٤ ، ٦١٥ ،
خيمس ، خوان رامون ٢٣٩ ،

د

البادية ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ،
الدار البيضاء ٧٠٦ ، ٧٢٥ ، ٧٦٢ ،
دارجنيلو ، الاميرال ٦٦٧ ،
دارسان ٣٩١ ،
داريه ٢٢٣ ،
دامال ، مانويل ١١٧ ،
داميسون ٨١٠ ،
دانس ، جون فوستر ٤٢٢ ،
دانترينغ ٤٥ ، ٥٢ ،
الدانمارك ١٤٠ ، ١٩٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،
٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٦٥ ،
٥٦١ ، ٥٨٢ ،
اندانرك الحمية المنوذية ٣٨٤ ،
دانوبير ، غبريل ٨٤ ،
دانوب ٣٥ ، ٥١ ، ٤١٧ ،
داني - كليمانس ١١٩ ،
الدهومي ٧١٩ ، ٧٣٤ ، ٧٥٩ ، ٧٦٢ ،
داور (مشروعه) ٢٦٢ ،
درايزر ١١٩ ،
درايموس ٨٦ ،
الدردنيل ٣٠ ، ٣٥٩ ،
دريس ٣٧٠ ،
دفريل ٣٩٤ ،
دمريل ، ليون ٢١٤ ،
دكر ٧٢٦ ، ٧٢٨ ، ٧٢٠ ،
دلتي ١١٥ ،
دلفوس ، المستشار ٢٠٤ ، ٢٣٦ ،
دلانيا ٨٤ ، ٤٠١ ،
دلي ٦٣٤ ،
دملق ٦٧٩ ، ٦٨٨ ،
ديسر ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٥١٨ ،
ديكين ٢٥٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ،
دونروا ، الصرال ٦٢١ ،
الدولية الثانية ٢٢ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ،

سورب ٥٢ ، ٤٨١ ، ٦٢٣ ، ٦٨٥ ، ٦٨٨
 السويد ٦٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ، ٢٧٥ ، ٤٠٠ ،
 ٤٢٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ،
 ٥٣٩ ، ٥٧٤ ، ٨٤٠ ،
 سفجان ري ٦٢٩ ، ٧٦٥
 شعور ، ليوبولد سين ٧٥٣ ، ٧٥٩ ، ٧٦١
 س - يات - سن ٥٦٠ ، ٥٦١
 سنكلر ٢٠٠
 سنودن ٣٣ ، ١٠٤ ، ١٦٥
 سواسون ٣٤
 السويد ٢١٤
 سوراكاريا ٦٤٨
 سوركوف ٥٢١
 سوروكين ٢١٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣
 سوق الاهراس ٧١٠
 السوق الأوروبية انشازها بموجب معاهدة
 روما (١٩٥٧) ٤٦٥ ، ٥٤٩
 سوكراتو ٢٦١ ، ٦٢٨ ، ٦٣٨ ، ٦٥١ ،
 ٦٥٤
 سوترو ٦٥٣
 السويس : قناة ١٨ ، ٤٢١
 سويسرا ١٦ ، ٣٢ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٩ ،
 ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٨٣ ،
 ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ،
 ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ ، ٤٨٢ ، ٥٠٢ ،
 ٥٧٤ ، ٨٣٠ ،
 سيبيريا ٢٠ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ،
 ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٠٥ ،
 ٣١٩ ، ٥١٥ ، ٥٢٨ ،
 سيشرون ٦٥
 سيدني براتي ٣٦٢ ، ٧٦٩
 سيراليون ٧٣٧ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥
 سيوان ٢٢٧
 سيفريد ٩٣
 سفر ، معاهدة ٦٧٥
 سيكوتوبه ، الرئيس ٧٥٩
 سيمونوف ٥٢١
 سيميان ، فرنسوا ١١٦
 السينما ١٢٦ - ١٢٩ - السينما بعد
 الحرب المالية الثانية ٤٩٣ - ٤٩٥
 سبلان ٦٢٨
 سيلبريا ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٢٧٥

ش

شاخت ، الدكتور ١٨١

سالت لويس ، مدينة ٧٢٥
 سان سلغادور ٥٨٥ ، ٥٩١ ، ٦١٣ ، ٦١٧
 سان فرانسيسكو ٤١٧ ، ٥٠٣ ، ٦٨٢
 ساو باولو ٤٨٦ ، ٥٨١ ، ٥٨٧ ، ٦١٠ ،
 ٦١٥
 سافون ٦٦٨
 ساجيس - يكو (اتفاقات) ٦٧٤
 سبارتاكوس بوند ٣٣
 سبيل ١٩٩ ، ٤٦٢
 سبسر ، هيربرت ١١٤
 ستافسكي ٢١٢
 ستاين ٢٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ،
 ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،
 ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ، ٤١٧ ،
 ٤٢١ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٧٤
 ستالينغراد ٣٠٥ ، ٣٦١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ،
 ٤٠٤ ، ٥٢١
 ستالينغراد ٧٤٦ ، ٧٦١
 ستراسورغ ٣٦٩ ، ٤٦٣
 ستراسمان ٧٨٨
 ستوافنسكي ١٢٤ ، ٤٩٥
 ستوب ١٥٩
 ستورنو ، دون لويجي ٩٨
 ستوفنبرغ ، الكولونيل ٤٠٤
 ستوار ، هوستن ٢٢٢
 ستوكهولم ٥١٢
 سخاس شندلر ٦٣٣ ، ٦٣٦
 سرافات ، حيوزب ٢٣٤ ، ٢٩٦
 سراواله ، مقاطعة ٦٦٢
 سردسيا ٣٦٦
 سغرد لوفسك ٥١٨
 سفورزا ، الكونت ٢٣٤ ، ٣٩٦
 سكندنافية ، اللسان ٢١٠ ، ٢٤٣ ، ٣٨٠ ،
 ٤٨١ ، ٤٩٤
 سكودا ، معامل ٣٨٠
 سلوينيا ٥١ ، ٥٥١ ، ٥٥٢
 سليبس ، جزيرة ٦٥٣
 سمات ، ورتز ٨٤
 سليمان ، جزر ٣٦٠ ، ٤٠٨
 سمرقند ٢٩٨ ، ٥١٧
 سمطس ، البحار ١٤٥ ، ٦٢٠
 سمنافو ، مؤتم ٦٠٢
 سمنافورا ٦٢٢ ، ٦٥٣ ، ٤٥٨ ، ٥٦٢ ،
 ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢
 السفال ٧٣٤ ، ٧٥٠
 السودان ، جمهورية ١٠٤ ، ١٧٨ ، ٦٨٨ ،
 ٧٣٢ ، ٧٥٨

العويان ٥٨٥ ، ٦٢٣
 مورخ ١٥٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٤٠٤
 وغوميل دي كوستا ٢١٥
 غيوارد ١٦٤
 غيلان ، روبرت ٥٧٧
 الغيبة ٧٥٠ ، ٧٥٩ ، ٧٦٢
 الغنيمة البرمالية ٧٣٤
 غينيا الجديدة أو أيربان ٣٦٠ ، ٤٠٨ ، ٥٧٨
 ٦٥٢ ، ٧١٩

الغايكان ٤٠٨ ، الجمع الغايكاني ٥١٠ -
 ٥١١ ، ٥١٣
 غاروق ، القلق ٦٨٨
 غارين ، الكسندر ٦٦٥
 قاس ، مدينة ٧٠٩
 دسكوسلوس ٦٠٤
 الفاشية ٨ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
 الدكتاتوريات الفاشية ٢١٥ - ٢١٨ ،
 أصولها ٢١٥ - القوى ٢١٦ - ظروف
 وصولها للحكم ٢١٩ - مقبضها ٢١٩ ، ٢٢٠
 انتهازة الفاشية الاطالية ٢٣٠ - نفوذها
 ٢٣٢ - ٢٣٤ - الاحزاب الفاشية في أوروبا
 ٢٣٦ - النظام السوفييتي والفاشية ٣١٢
 ٣١٤ ، ٤٠٢ ، ٤٦٦
 قاتلند ، جزر ٣٥٥
 قاتلنباين ٣٣٦
 قالوا ، جورج (مصنعه) ٢١١
 قالييري ، بول ١١٩ ، ١٢٠ ، ٤٩٥
 قان ذو روه ١٢٥
 قان دن بروك ، مولر ٨٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
 قان ديلاند ١٩٩
 مان فوغ ٢٢٧
 ماير ستون ٩٤
 فترجيرالد ، سكوت ١١٩
 فلدزوني ٢٣٠
 فراي ، الرئيس ادوارد ٦١٧
 فرائك (حاكم مام بولونيا) ٤٠٥
 فرانكفورت ٣٥٢
 فرجيشيا ١١٩
 فودان ٢٩ : ٣٣٦ ، ٣٣٨
 فودات عباس ٦٢١ ، ٧٠٨
 فرسونيا ٢٩ ، ١٩٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٤ ، ٥٤٤
 فرغاس ٦١٠ ، ٦١١
 فرمي ٧٨٨ ، ٧٨٩

مدن ٦٨٨
 المدلانية أو النظام المدلاني ٦٠٧ - ٦٠٨ ،
 ٦١٠
 المراق ٣٥ ، ٦٢٣ ، ٦٤٧ ، ٦٧٥ ، ٦٧٨
 ٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٤
 الملحن ٣٦٢
 العمل والعمال : اضطراباتهم ٢٨ - ٢٩ -
 حزب العمال في انكلترا ١٠٢ - ١٠٥ ،
 ١٢٨ - ١٣٩ - الحركات والاضرابات
 العمالية ١٩٠ - ١٩٣ - العمل الاثامي
 في الحرب الثانية ٢٨٤ - ٢٨٥ - ضعف
 الطبقة العمالية في الولايات المتحدة
 الاميركية ٤٣٣ - ٤٣٤
 غناية ٧٠٦
 المنصرية ٨٥ - ٨٦ ، و ٣٧١ - ٣٧٤

غ

الغايون ٧١٩ ، ٧٢٣ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٦٠
 غارسيا ، فريديريكو ٢٣٩
 غاغارين ٨١٣
 غاسبري ٤٦٢ ، ٤٧٥
 غالان ، الكونت ٤٠٣
 لانا ٧٥٤ - دسالييرها المدينة ٧٥٥ ،
 ٧٥٦ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٢ ، ٧٧١
 غرامشي ١٠٤ ، ٢٢٤
 غاتندي ٢٠ ، ١٩٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٦٣٧ ،
 ٦٣٨ ، ٦٤٦
 غراندي ٤٠١
 غروبيوس ، دولتر ١٢٥
 غروتر ، جورج ١٢١
 غريفز ٧٩٣
 غستايدو ٤٠٥
 غسكوني ، دانيال ٢٠١
 غلوب باشا ٦٧٩
 غمبيا ٧٣٤ ، ٧٣٧ ، ٧٥٤
 غوانيمالا ١٥٦ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٥٩١ ،
 ٥٩٦ ، ٧٥٩ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦١٥ ، ٦١٧
 غوام ٤٠٨
 غوبلز ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٨٦
 غودريان ٣٤٣
 غوينيو ٢٢٢
 غوركي ٣٠٩ ، ٣١٠
 فولد دوتز ، باري ٤٣٨
 فولار ٦١١ ، ٦١٥
 غومولكا ٥٤٧

٨٢٦ ، ٨١٧ ، ٦٠٦ ، ٥٨١ ، ٤٥٢ ، ٤٤٨
٨٢٨
كندا ، الرئيس ٦١٤ ، ٤٤٤ ، ٤٣٧ ، ٤٣٤
كندا ، مارغريت ١١٩
الكنائس السوداء ٧٣٦ - ٧٣٤
الكنيسة الإفريقية الإثيوبية ٧٢٩
الكنيسة المخلصية ٥٢٩
الكنائس الإفريقية الصهيونية ٧٢٩
كنيسة القلب الاتقيس ٧٢٩
كنيسة البرج ٧٣٦
كينيا ، جومو ٧٤٢
كوامبرا ، جامعة ٢٢٨
الكولومبيا ٧٩٦
كوبا ٥٨٢ ، ٥٧٨ ، ٤٢٢ ، ١٩٦ ، ١٩٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٠ ، ٥٩٧ ، ٦٠٠ ، ٦٠٤ ، ٦٠٤
كوت ديفوار ٦١٢ - ٦١٤ ، ٦١٧
كوت ديفوار ٥٧٢
كوتشيك ٦١٥
كوخ ، نريك ٢٧٤ ، ٢٧٢
كواديني ٢٣٠
كوبوليه ١٢٥ ، ١٢٦
كورت أيسر ٣٥ ، ٢٧
كوردون ، اللورد ٦٧٩
كورسك ٢٧٤
كورسكا ٣٦٦
كودنيلوف ٢٥٠
كورفو ٣٦٦
كوري ، بيير وماري ١١١ ، ٧٨٨
كوريا ٤٠٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٥٥٦ ، ٦٢٥ ، ٦٧٠
- حرب كوريا ٦٢٩ - ٦٣٠
كوزباس ٥١٧
كوستاريكا ١٩٦ ، ٥٨٣ ، ٥٩٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢
كوسون ٢١
الكوشنشين ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٨
كوكو ١١٨ ، ١٢٠
كوكوس كلان ٨٢
كوكوشكا ، الرسام ٢٠٠ ، ٢٢٧
كولا ، شبه جزيرة ٢٧٦
كوليج ، الرئيس ٦٠٢
كولالا ٣١٩
كولشاك ٢٥٢
كوليبو ، مشروع ٧٦٧ ، ٧٦٨ - ٧٦٨
كوليبوس ١١٦ ، ٥٨٩
كوليبيا ١٩ ، ٢٤١ ، ٥٨٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٩
٦٠١ ، ٦١٣ ، ٦٥١

كابول ٦٨٠
كارمونا ، الجنرال ٢٢٨ ، ٢١٥
كازانكا ٧١٤ ، ٧١٩ ، ٧٢١ ، ٧٢٤ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠
كلوولي ، الكويت ٣٧ ، ٣٢
كاسافيو ٧٦٠
كاساي ، ولاية ٧٤٥ ، ٧٤٦
كاسترو ، فيدال ٦١٢
كامور ٢١
الكاكيا ، الحركة ٧٣٦
الكالو ٢٧٢
كامنياف ٣١٩ ، ٣٢١
كاندي ، جزر ٤٠٣
كانتون ٥٦٤
كانو ٤٩٠ ، ٤٩٩ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٥٥
كانوسا ٥١٣
كاوند ، كينيت ٧٥٩
كاو ٣٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
كتلوريا ٤٢ ، ١٨٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤
كرانشي ٦٣٦ ، ٦٤٧
كراسنوفودسك ٥١٨
كراس ٦٠٣
الكريبات ٤٤٦
كرتش ، شبه جزيرة ٢٧٤
كردستان ٦٠٤ ، ٦٠٥
الكرفير ٢٧٢
كرفيريا ، جمهورية ٢٩٥
كرنسكي ٢٤٨
كروانيا ٥٤٥ ، ٥٥١
كروتشي ٢٣٤
كرت ، جزيرة ٣٥٣ ، ٣٥٤
كنمبر ٦٤٧
كعاجي (كتاب) ٨٤ ، ١٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
٢٧١
كلكوتا ٦٣٦
كلوديل ١٢٠
كليمنصو ٣٢
الكيمرون ٦٧٤ ، ٧٢٢ ، ٧٢٥ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥٣
كمبرلي ٥٤٠
الكيمبانية ، الحركة ٧٣٥ ، ٧٣٦
كمبوس ، الجنرال ٢٢٧
كيب ١١٣
كنتون ٦٦٦
كنما ٢٧ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، ١٩٥

لوردنسورف ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠
 لورانس ٦٧٨
 لوركا ، قريديريكو مارسيا ١٢١ ، ٢٣٩
 لوران ٥١٢
 لوسون ، جزيرة ٦٥٧
 لوليسر ٢١٠
 لولين ، جلسة ٥٣٠ ، ٧٤٦
 بوكارنو ، اتفاق ٢٦٢
 بوموما ، بانويس ٧٥٥ ، ٧٦٠
 بويس ، سنكلو ١١٩
 لابون ٧٩
 لانوريه ، هابادي ٥٨٨
 لانوس ٧٦٢
 لانس ٧٧٢
 لاهاي ٨٢٨
 لاهور ، مؤتمر ٦٣٤
 لوند جورج ٢٥ ، ٢٢ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥
 ليخشت ٢٣ ، ٢٧
 ليبيسج ٣٤
 ليمان ، ولتر ١٠٦
 ليب ٣٦١ ، ٦٧٥
 ليبيرا ٧١٦ ، ٧٣٠
 ليتوانيا ٤٥ ، ٤٩ ، ٨٦ ، ٢٨٠
 ليبيس ، مجرة ٤٠٤
 لين ٩٢ ، ١٦٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤
 ٢٨٧ ، ٢٧٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٥٩ ، ٢٥٥
 ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٢٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٢٠٦
 ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٥٢٥ ، ٥٧٤
 لينغراد ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢
 ليوبولدليل ٧٢٠ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦
 ليوتيه ٥٢٥
 ليور ، مدينة ٣٩
 ليوبوف ٥٢١
 ليوتي ٥٣٧

٢

مانيشون ، اتفاقات (١٩٣٦) ١٦٨
 مانيوتي ١٠٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
 مانيس ٣٠٩
 مادورا ٦٤٨ ، ٦٥٢
 مارتين دي غاد ، روجيه ١١٩ ، ٢٠١
 مارسيل ، غبريل ٢٠٢
 مارشال ، جزر ٢٦٠
 مارشال ، مشروع ٤١٦ ، ٤٢٠ ، ٤٢٩
 ٤٢٠ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٨٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٩
 ٥٤٩

الكوميكون ٥٢٨ ، ٥٩٩
 الكومستانغ ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، اصلاحات
 ٥٦١ ، ٥٦٢ ، مصيرها ٥٦٤ ، ٥٦٤
 ٥٦٨ ، ٥٧٣
 الكومنتور ١٩٩
 الكومنتورم ٥٢٨
 كوست ١١١
 الكومسومول ٣٠٢ - ٣٠٥ ، ٣٦٥
 كوهو - براناميل او البليكي ٦٤٨ ، ٦٧٤
 ٧١٣ ، ٧١٥ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢٤
 ٧٢٥ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣
 ٧٣٤ ، ٧٣٦ ، ٧٤٢ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٥٨
 - ٧٥٩ ، ٧٦٦ ، ٧٧٢
 كوهو ليوبولدليل ٧٥٩ - ٧٦٠ ، ٧٦٢
 كوهلر ٨٠٠
 الكويت ٦٦٥
 كويسليخ ٢١٤ ، ٣٨٨ ، ٤٠٩
 كيركفارد ١١١ ، ١١٣ ، ٥١٢
 كينل ٤٠٥
 كيروف ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢١
 كيلوغ ، اتفاق ٦٠٢
 كيتو ، ج. ٧٠٠ ، ٢١ ، ٤٥ ، ١٦٣ ، ١٦٦
 ٢٠٧ - ٢٠٨
 كيبا ٦٢٥ ، ٧١٧ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦
 ٧٣٧ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٧٢ ، ٧٥٦
 كيتيانا ، جومو ٧٥٦
 كييف ٢٥١ ، ٢٩٧ ، ٣٢١ ، ٣٧٣
 كييل ، مرفأ ٢٥

٣

لبنان ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٨
 لتونيا ٤٩ ، ٨٦ ، ٢٣٨
 لشونة ٢١٥ ، ٧٤٧ ، ٨١٢
 لوف ، الامير ٢٤٨
 الكسمبورج ٢٨ ، ٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥
 ٣٩٣
 لشت ، مؤتمر ١٨٩
 لديرغ ٥١٢
 ليرت ، حاله ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٩٣ ، ٥٩٥
 لندن ، حاله ٢٢٧
 لندن ١٦ ، ٦١ ، ١٦٦ ، ١٨٥ ، ٢٨٤
 ٣٦٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٥٣١ ، ٧٣٤
 ٨١٢
 لوبكه ٢٥ ، ٣٧
 لوبوس ، فيلا ١١٦

مصدق ٦٨٤
مصر ١٨ ، ٧٣ ، ١٠٤ ، ١٦٥ ، ٣٥٢ ،
١٩٧ ، ٥٨١ ، ٦١٩ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ٦٧٢ ،
٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٨١ ، ٦٨٤ ،
٦٨٦ ، ٧٣٤ ، ٨٣١
مصطفى كامل ٦٧٢ ، ٦٧٥
مجاهدات (١٩١٩ - ١٩٢٠) ٤٣ - ٤٤ ،
١٥٢ - ١٥٣
معاهدة برست ليتوفسك ٢٤٩
معاهدة لرساي ٢٢٣
معاهدة رابالو (١٩٢٢) ٢٦١
معاهدة ديبية ٨٦ - ٨٧
المغرب ٦٨١ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ،
مقدونية ٦٨ ، ٤٤٥ ، ٥٥٣ ، ٥٥٦
مكدونالد ٣٣ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ١٩٨
المكسيك ١٥٦ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٤١ ، ٥٨١ ،
٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٥ ،
٥٩٨ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤
مكسيكو ٥٨١
مكة والمدنة ٦٧٩
ملتر ، اللورد ٦٧٨
المان ، مجلة ٦٧٢
مشانيون ٢٩٨
مندريس فرانس ٤٨٢ ، ٧١٠
ميدري ، الكرويتال ٥٤٥
متسك ٢٩٧
مستيو ١٧٤
مثنوي أو منشوكو ١٥٧ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ،
٢٥٢ ، ٣٣٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ،
٥٦٧
منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي ٤٢٩
مغوليا الداخلية ٥٧٣
المهاجرين ٦٤٧
موبوتو ، الجنرال ٧٦٠
موراس ، شارل ٢٢٨
مورغان ٨٠١
مورمانسك ٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٠ ، ٢٧٦
موريناك ، فرنسوا ١١٩
موريتانيا ٧١٨ ، ٧٤٩ ، ٧٤٨
مورينو ، ج. ل. ١١٥
الموريشيقي ٧١٩ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨
موس ١١٥ ، ٤٩٢
موسكو ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ،
٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٥٢١ ، ٥٢٦ ، ٥٢٩ ، ٥٦٠ ،
٦٢٢
موسلي ٢١٤

ماركس ، كارل ١٠٣ ، ١١٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٣ ،
٤٩٠ ، ٥٢٤ ، ٨٣١ ، ٨٣٧
الماركسية وسعيد العقلاية ٢٠٢
ماركوس ٥٥٤
ماركية ١٩٨
المارس ، معركة ٢٣٤
ماريان ، جزر ٣٦٠
ماكاو ٥٧٣
مالك كادفي ٤٢٢
ماكارتكو ، الربيع السوفياتي ٣٠٧
مارو ١١٩ ، ٢٠١
مانكوف ٥٤٦
ماني ٥٧٨ ، ٧٦٢
ملان ، الدكتور ٢٢٩
ماثيريا ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٢٢ ، ٥٥٩ ، ٥٧٨ ،
٦٢١ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٥٩ ، ٦٦٢ ، ٦٦٤ ،
٦٧٥ ، ٨٢٦
مالين ٨٦
مان ، لوماس ٢٢٧
ماتريس ٦٢٩
مارهايم ٢٤٩
مار - نسي - توب ٤١٦ ، ٥١٥ ، ٥٦٤ ،
٥٦٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧٤ ، ٦٢٣ ، ٦٦٧
الماو ، حركة ٧٤٢ ، ٧٤٣
مياكوفسكي ٢٠٧ ، ٢٠٨
متسوي ، تروست ١٥٨
متسوي ، أندريه ، مؤسس الحركة
الاميكالية ٧٣٥ ، ٧٣٦
متسوي ، اتحاد ١٥٨
مثنويين ٨٠٢
مجد بورج ٣٧
مجلس الأمن ٤١٨
محمد بن يوسف السلطان ٧٠٩
المحيط الاطلسي ٣٥٦ - الميثاق الاطلسي
(١٩٥٢) ٤٢٠
المحيط الهادي ٣٦٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٦٢٥ ، ٦٢٩ ، ٦٦٢ ،
المحيط الهندي ٦٦٢ ، ٧٤١
ملراس ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٤٢
ملريه ٢٤٠
مدشكر أو ملاعاشي ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٥ ،
٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٤٨ ، ٧٥١ ، ٨٢٨
مدواي ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٤٠٨
مرسيليا ٣٩
مزيني ٢١
مسترال ، جيريل ٦٠٣
المسكونية ، الحركة ٥١٢ ، ٥١٦

٢٥٦ ، ٧٢٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٤٠٠ ، ٤٦٥
 ٤٦٦ ، ٥٣٩ ، ٨٣٠
 نفوس اي كو ٦٦١ ، ٦٦٣
 سر دنه بيم ٦٦٧
 النصبه ٢٣٠ ، ٢٣١
 النقد المالي : هبوطه ٥٦ - تضخمه ٥٧ ،
 ٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٥
 القراشي باشا ٦٨٨
 النقطة الرابعة ، مشروع ٧٦٥ ، ٧٦٨
 نكروما ٦٢١ ، ٧٢٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٨
 النمسا ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١٢٤
 ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٦١ ، ٢١٤
 ٢٢٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥
 ٢٦٧ ، ٢٤٥
 النمسا والمجر ٢٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٤٤ ، ٥٢
 ٥٤ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٢٤٣
 نهر ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٦
 نورثليف ، جباله ٩١ ، ٩٣
 نور ميرغ ، قرابين ٢٢١ ، ٢٧٥
 نورمنفيا ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦٣ ، ٣٩١ ، ٤٠٥
 نوري السعيد ٦٢٩
 نيبالاتاند او سلاوي ٧١ ، ٧٢١ ، ٧٣٦ ،
 ٧٤٠ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٦٢
 نيشه ١١١ ، ٢٣٠
 نيجر ٧٢٤ ، ٧٥٨
 نيجيريا ٦٢٧ ، ٦٧٤ ، ٧١٩ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥
 ٧٣٣ ، ٧٣٧ ، ٧٤٥ ، ٧٤٨ ، ٧٥٤ ، ٧٥٦ ،
 ٧٧٠ ، ٧٥٧
 نيروبي ٧٢٠
 نيرودا ، بابو ١١٩ ، ٦٠٣
 نيقول ، الجنرال ٣٤
 نيقولا الثاني ، الامبراطور ٢٤٧
 نيكاراغوي ٥٨٢ ، ٥٩١ ، ٦٠٠ ، ٦١٦
 نيكسون ، رباته لاميركا اللاتينية ٦١٤
 نيوتن ١١٢
 نيوريلاند ٦٢ ، ٨٥ ، ١٢٥ ، ١٩١
 نيويورك ١٥ ، ٦١ ، ٨١ ، ١٢٠ ، ١٣٤ ،
 ١٣٥ ، ٢٩٦ ، ٦٠٧ ، ٨١٢
 نيبيري ، بوليوس ٧٥٩

 هارنغ ، ارنيس ٦٠٢
 هارلم ٤٣٨
 هاريمان ١٤٤

موسوليني ٨٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ،
 ١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،
 ٢٨٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٢
 موسير ٣٩٤
 مؤتمرات : جنوي (١٩٢٢) ٥٩
 مؤتمرات جيبف النوبية (١٩٢٧) ٥٠
 مؤتمرات جيبف (١٩٥٤) ٢١
 مؤتمرات روما (١٩٢١) ٢١٦
 مؤتمرات لبت (١٩٢٠) ١٨٤
 مؤتمرات واشنطن ٤٦ - ٧
 مؤتمرات سان فرانسيسكو (١٩٤٥) ١٧
 موكس ٥٦٧
 مولتكه ٢٣٠
 مولر ، آدم ٢٠٤
 مولوتوف ٢١٦ ، ٥٣٨
 المولوسك ، جزيرة ٧٧١
 مونافو ٦٢٣
 مونترال ، هنري دي ١١٨
 مونتيديو ٦١٧
 موروفيا ٧٦٢
 موبينج ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٧٠
 مونية ، جان ٤٦٩
 موير ، رمزي ٩٠
 ميخالوفتش ٣٩٥ ، ٤٠٠ ، ٥٠١
 ميرهام ٢٣
 ميرون ، كريستيا ، البطريك ٢٢٨
 ميشانو ، جيرارد ٥٩٢
 الميكويك ، نهر ٦٦٨
 ميكويان ٢٢٣ ، ٥٤٦
 ميلو ، هنري ١١٩
 ميلانو ٣٩ ، ٢٦٧ ، ٤٠١ ، ٨١٥

ن

نابوي ٢٩
 نابوليون ٣٦٢
 نادر خان ٦٨٠
 ناديك ، الجنرال ٣٨٨ ، ٤٠١
 النازية او الهنرية ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٣ - بين النازية والسبعية ٢٢٦ ، ٢٢٧
 - النازية والحياة الفكرية ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
 ٢٨٦ ، ٢٧٤ - سياسة الانادة فيه ٣٢٥ ،
 ٣٧٦ - محاربتها ٢٨٨
 ناغازاكي ٣٦ ، ٢٧٠ ، ٧٨٥ ، ٧٨٩
 نانكين ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٧
 النرويج ٢٢ ، ٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٩٦

مهرجست الصّـقـور

- ١ - لينين يتكلم الى الشعب في ١٩١٧ من على منبر مقام في ساحة بروفغراد .
- ٢ - خندق في ١٩١٧ .
- ٣ - قمع المئمة السبارتاكية في برلين في السنة ١٩١٨ .
- ٤ - توقيع معاهدة باريس مع الدنيا في قصر فرساي ، في ٢٨ حزيران ١٩١٩ .
- ٥ - مصفق باريس ، جلسة السوق اليومية للاموال المنقولة .
- ٦ - بيكاسو ، « غرينكا » .
- ٧ - مهرجان تاري في نورمبرغ . مؤتمر الحركة الوطني في ١٩٣٨ .
- ٨ - حارسان من الد « باليلا » في روما . نموذج من الروح العسكرية التي خلقتها الماشمية في الشيوعية .
- ٩ - معسكر لاهادة في « بركنوكول » كما اكتشفته الجيوش اعليقة الطافرة .
- ١٠ - المرفأ الصنمي لانزال الجيوش في « اترمانش » .
- ١١ - الدبابات الكندية تهاجم اسلحة مدرعة امانية مطوقة في منطقة آلسون ، في آب ١٩٤٤ .
- ١٢ - مرفأ « الحافر » الذي دمرته الفارات الجوية في ١٩٤٤ .
- ١٣ - تحرير باريس . آب ١٩٤٤ .
- ١٤ - مؤتمر يالطا : رورقلت ، وشرشل ، وستالين ، مجتمعون في القرم ، في ١١ شباط ١٩٤٥ .
- ١٥ - انفجار قنبلة ذرية في بيكينج ، حزيران ١٩٤٦ .
- ١٦ - قصر منظمة الأمم المتحدة في مانهاتن (نيويورك) .
- ١٧ - مركز دوكفلر في نيويورك .
- ١٨ - الباحرة فرنسا التي انزلت الى البحر في السنة ١٩٦٥ .
- ١٩ - محرن اميركي كبير على مقربة من « ديترويت » .
- ٢٠ - شبكة طرقات عصرية في لوس انجلوس : هارپور فريواي .
- ٢١ - الساحة لحرله في موسكو ١٩٥٩ . في الوسط ضريح لينين .
- ٢٢ - جامعة موسكو . منظر لموسكو التي بشرف عليها بناء الجامعة الرابع .

- ٢٢ - مجاعة ١٩٥٣ في الهند .
- ٢٤ - المهاثا خاندي يحيط به تلاميذه .
- ٢٥ - ماوتسي - فونغ يخطب في جيوشه .
- ٢٦ - شنتاي : مدرسة في الهواء الطلق - الحزب الشيوعي .
- ٢٧ - عرض الجاهير امام اميراطور اليابان بمناسبة رأس السنة .
- ٢٨ - عيد الحصاد في مزرعة جامعة .
- ٢٩ - مرفأ بادوي في العراق .
- ٣٠ - رباط : المدينة الأوروبية ومدينة البلدية .
- ٣١ - اولكبي وكولومبي : بريشة دايو بيكاسو . متحف لينينغراد .
- ٣٢ - تلامذة في « طوغو » . التلميح مفتاح للتقدم .
- ٣٣ - براريليا : المجلس الأعلى .
- ٣٤ - جون ريو وشاطيء كوبا كيانا .
- ٣٥ - ابلشتاين في مكتبته في جامعة برستون ، قبيل وفاته .
- ٣٦ - قبة مرصد جبل بالومار في الولايات المتحدة .
- ٣٧ - قاطرة كهربائية مرسية تصرب رقماً قياسياً عالمياً في مرحلة السير على الخط الحديدي .
- ٣٨ - طيران ولور رابت في معسكر دودور في ١٩٠٨ .
- ٣٩ - مطار سان فرانسيسكو .
- ٤٠ - تصميم طائرة الـ « كونيورد » .
- ٤١ - حرس جورج واشنطن في نيويورك .
- ٤٢ - للتقدم الصناعي : الآلة لتحمل حمل الانسان .
- ٤٣ - مصنع الـ « رانس » لاستثمار طاقة المد والجزر .
- ٤٤ - مصانع (شينون) النووية .
- ٤٥ - حصاد الحبة في إحدى مزارع الغرب الاميركي الارسط واحد في ريع التعاونية السوفياتية
- ٤٦ - حصاد الارز في كمبوديا .
- ٤٧ - مجمع العائسكان للنالي .
- ٤٨ - احتفال جيممي : الاميركي ادوارد هوبيت يمشي في الفضاء .

فهرست المخزنه والنصاميم

- ١ - الحدود الجديدة والقاطعات المتنازع عليها بعد الحرب العالمية الاولى ٤٠ - ٤١
- ٢ - مراكز البطالة في انكلترا عام ١٩٢٨ . . ٧٩
- ٣ - عدد ممثلي الاحزاب في مجلس الرايشتاغ. . . ١٠١
- ٤ - الانتاج الصناعي والبطالة في العالم بين ١٩٢٩ - ١٩٣٤ ١٤٠
- ٥ - سعر الاحتكار وسعر المنافسة في المانيا بين ١٩٢٨ - ١٩٣٩ ١٤٧
- ٦ - التعميرات الطائرة على حركة البطالة في بريطانيا بين ١٩٢٠ - ١٩٤٠ ١٦٣
- ٧ - التدخل القومي للفرد في المملكة المتحدة ، المانيا ، فرنسا ، السويد ، الولايات المتحدة . . . ١٧٠
- ٨ - كشف بياني مقارن بارتفاع وتطور الحزب الوطني الاشتراكي الالماني مع تطورات الازمة الاقتصادية حسبها تمير بها ارقام البطالة ٢١٨
- ٩ - توزيع الالمان في تشيكوسلوفاكيا بين ١٩١٨ و ١٩٣٩ ٣٣١
- ١٠ - التغييرات الاقليمية في اوروبا بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ ٣٣٣
- ١١ - الحجة الشرقية ، ١٩١٤ - ١٩١٨ ٣٣٥
- ١٢ - الحجة الغربية بين ١٩١٥ - ١٩١٨ ٣٤١
- ١٣ - الحرب في الغرب في السنة ١٩٤٠ ٣٤٩
- ١٤ - الحرب في الغرب : جزيرات ١٩٤٤ - ايار ١٩٤٥ ٣٦١ - ٣٦٠
- ١٥ - توزيع السفن التجارية المفرقة في الاطلسي ٣٧٧ - ٣٧٦
- ١٦ - مناطق تحت سيطرة المصالحات وراء الجيوش الالمانية ٣٨١
- ١٧ - الحرب في الشرق ١٩٤١ - ١٩٤٥ . . . ٣٨٧ - ٣٨٦
- ١٨ - اهم التعميرات الاقليمية الطائرة بين ايلول ١٩٣٩ و ١٩٤١ ٣٩٢ - ٣٩٣
- ١٩ - اوروبا المتنازعة ٣٩٨ - ٣٩٩
- ٢٠ - الحرب في الشرق الاقصى ٤٠٦ - ٤٠٧
- ٢١ - اوروبا في السنة ١٩٦٥ ٤١٠ - ٤١١
- ٢٢ - اوروبا المتحدة ٤١٩

- ٢٣ - التزوجات الأوروبية بين ١٩١٨ و ١٩٥٠ ٤٤٧ - ٤٤٦
- ٢٤ - خريطة الاتفاقات الغربية في سبيل المساعدة المتبادلة في السنة ١٩٥٥ ٤٨٥ - ٤٨٤
- ٢٥ - نمو المدن في الاتحاد السوفياتي ١٩٢٦ - ١٩٥٩ ٥٢٣ - ٥٢٢
- ٢٦ - انتاج الفولاذ الخام في الاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة بين ١٩١٣ و ١٩٥٥ . ٥٢٥
- ٢٧ - مسيرة ماوتسي تونغ الطويلة (٣١ تشرين الاول ١٩٣٤ - ٢٠ تشرين الاول ١٩٣٥) . ٥٦٥

فهرست

مدخل ٧

القيّم الأول

افول أوروبا

المصنّاب الأول

أوروبا تعقد وضعها الممتاز

الفصل الأول . - السيطرة الأوروبية قبيل الحرب العالمية الأولى ١٤

تضمين السكان في أوروبا - طاعة أوروبا الصناعية والتجارية - طاعة أوروبا المالية - أوروبا ذات
السيادة - أوروبا المسودة - العالم الواقع تحت السيطرة الأوروبية - الصين - الشرق الأدنى -
أمريكا اللاتينية - استعمارات الأوروبية - الهند - تفوق أوروبا في العلم والتكنولوجيا - الاضطراب
التي عهده السيادة الأوروبية نحو الاضطراب الإجمالي

الفصل الثاني . - الحرب العالمية الأولى كزعزعة وكان البناء ٢٢

١ - تنظيم لاقتصاد الحربي ٢٤

مشكلة التنمية - تزويد الجيوش بالسلعة والاعتماد الحربية - مشكلة اليد العاملة - الدولة
تتولى بنفسها إدارة الاقتصاد الوطني - المشاكل المالية - مشكلة الغذاء

٢ - المشكلات السياسية والاجتماعية خلال الحرب ٢٨

الاتحاد المقدس - المؤسرة - تقليد الحريات العامة - نهاية لاتحاد المقدس - اضطرابات
وحركات قومية

الفصل الثالث . - عملية ترسيخ سيطرة وقلقة (١٩١٩ - ١٩٢٠) ٣٦

١ - الاضطراب السياسي والاعمال العسكرية الجديدة ٣٦

الثورة في ألمانيا - الثورة في فنلندا - الاضطرابات الاجتماعية - التدخل صد روسيا

٢ - إعادة السلام ٤٢

المبادئ العامة - معاهدات ١٩١٩-١٩٢٠ - عصبة الأمم رحابة الاقليات - مؤتمر واشنطن

- ٤٧ ٣ - إعادة النظام - الإصلاحات السياسية والاجتماعية
- الإصلاحات السياسية - الإصلاحات الاجتماعية /قوانين إصلاح الزراعي في أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية
- ٤٩ ٤ - رحيل الحرب
- الحقائق العشرية والحادية - تحول التجارة الأوروبية والدولية - أوروبا المتضخمة والمتقسمة على نفسها - ازدهار الولايات المتحدة الأمريكية - الثورة الروسية - تداعي النظريات الاشتراكية - حلحلة لتيارالية الاقتصادية والسياسية
- ٥٥ الفصل الرابع - فشل محاولة إعادة الاستقرار الاقتصادي
- ٥٥ ١ - أزمة عام ١٩٢٥ واضطراب النقد
- أزمة عام ١٩٢٥ لتضخم الماني والفوضى النقدية - التضخم المالي وتناحله المستمرة
- ٥٩ ٢ - ازدهار الدول الواقعة عبر البحار
- الولايات المتحدة الأمريكية - اليابان - تصنيع البلدان الجديدة
- ٦٢ ٣ - الثورة الصناعية الثانية والتطور الاقتصادي
- الكهربة وحركة الاحتراق الداخلي - التطورات الاقتصادية - بين المنافسة والتعبد - الاتفاقات الروسية والدولية - التدوير في الإنتاج
- ٦٧ ٤ - بلية الاقتصاد العالمي
- مشكلات الناس وقضاياهم - تيارات الهجرة بين الدول الأوروبية - توقف الهجرة إلى ما وراء البحار - المواقف في وجه التبادل التجاري - القومية الاقتصادية - الجديد في توزيع الاستثمارات في الخارج - التنازلات التجارية الجديدة
- ٧٣ ٥ - الهبوط المستمر
- انكفاء تنظيم الاقتصادية - مثل الماني - الأزمة الزراعية - كرش فرنسا - الفانص من قيد العامة - ضعف النظام الاقتصادي
- ٨١ الفصل الخامس - البحث السياسي والاجتماعي
- ٨١ ١ - القوى المحافظة
- التيار الروسية - الروح القومية - المصرية - الأفريقية - دور الكنائس - أزمة النيقراطلية القبرالية - نظرية شؤون التشريعات الكبرى - الإدارة العامة ونقودها المتصاعد - الرأي العام والصداقة - في الولايات المتحدة - في بريطانيا - في فرنسا - إيطاليا تسعين بـمـمـم الشرقية - في الماني - أزمة النيقراطلية في أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية
- ١٠٢ ٢ - ضعف الأحزاب الاشتراكية والشيوعية لمعارضة
- الاشتراكي - الأحزاب الاشتراكية - الأحزاب الشيوعية - الانقسام النقابي - للقطات الدولية - الخلاصة
- ١١١ الفصل السادس - بحث الحياة الفكرية والفنية

- ١ - الجو الفكري الجديد ١١٣
- الثورة في العلوم الفيزيائية - الثورة في الفلسفة - هايدغر - أزمة العلوم الشوية - السيكلولوجيا
وعلم الاجتماع
- ٢ - الثورة الأدبية والفنية ١١٦
- النوع الجديد - الحرب وما بعد الحرب - هيد المتشعرون - المسرح - حول الدادية - السورالية -
وضع الأدب لدى الفلاسفة على أمم - الرسم - الموسيقى - المخططة الجديدة - السيتا
ومقتضياتها الاقتصادية والفنية - بعض الاتجاهات المتأخرة

المكتتاب الثاني

الانهار الاقتصادي ونتائجه

- الفصل الأول . - الانهار الاقتصادي ١٣٠
- ١ - انفجار الأزمة وامتدادها الى أقصى المعمور ١٣٠
- موجة الأزمات الاقتصادية - أزمة ١٩٢٩ من الانحسار والتمرد ما ليس له مثيل - نقطة
الطلاق الأزمة : الولايات المتحدة - الأزمة تليق أوروبا وكل أرجاء العالم - الأزمة في
الدول الجديدة
- ٢ - مظاهر الأزمة ١٣٦
- الأزمة الصناعية - الزارزون والوضع الحرج الذي تمسكوا فيه - انهيار وبطالة - الجوانب
التجدي - الاقتصاد العالمي يسكن في فوضى عميقة
- الفصل الثاني . - تدخل الدولة ونتائج الأزمة الاقتصادية ١٤٤
- تدخل الدولة يفرض نفسه - سياسة الحماية الجمركية - سياسة الانكماش المالي - عملية انقراض
المشروعات التي تعاني الهشيق - سياسة لتساعدات المالية والتمويل - ممالك الحكومة يتأخر
الاسعار والأجور - معالجة البطالة - تنظيم الاقتصاد - تطور القطاع العام - سياسة الاكتفاء
الذاتي - التجارة الخارجية في البلدان المتقدمة سياسة الاكتفاء الذاتي - تركيز الاستثمارات
وتخصيصها - النتائج
- الفصل الثالث . - لدول وجهاً لوجه مع الأزمة ١٦٢
- ١ - الحلول الوطنية المختلفة ١٦٢
- الولايات المتحدة الأمريكية : النظام الجديد - النتائج - بريطانيا العظمى - فرنسا - فليبي
الوطنية - ألمانيا - اليابان - البلدان ذات الاقتصاد الزراعي

١٧٦	٢ - الوضع الاقتصادي بين ١٩٣٢ - ١٩٣٩
	مسح الإبلاذ رومانيا - الفئكة والصلح - الاقتصاد العالمي والعلاق الذي يملته - الإقبال على الانخفاضات الثنائية - الحصار لوروي - قضايا القاعات والامواق المتعارفة - النتيجة . . .
١٨٣	الفصل الرابع . - الازمة وفتانجها الفكرية والاجتماعية
١٨٣	١ - فتانج الديموغرافيا
	السكان - نحو تشجيع الانجاب - مناطق مركزية المدن - المحرلات
١٨٨	٢ - تأثير الازمة في البنيات الاجتماعي
	بين طبقات عليا وطبقات دنيا - بين المزارعين والعمال
١٩٠	٣ - المحركات والاحزاب السياسية
	الحركة العمالية خلال الازمة - الولايات المتحدة الاميركية - في فرنسا - معاضة الرأسمالية - تسرب الافكار الاشتراكية والشيوعية وتمثلتها - تطور الاشتراكية - حساب مساهمة التطور الاصلاحي
١٩٩	٤ - الازمة الاقتصادية وتأثيرها على الفكر
	اجور الجديد - الرواية الاميركية وتأثيرها - الماركسية وتحديد العقلانية - بدء السلم وفكوة الترقي - الحرفية الجديدة - تحديد الحروب - اعانة النظر في الايديولوجية الاقتصادية - ج. م. كير - التفرع بالافى لبعض المبادئ الليبرالية التقليدية
٢٠٩	الفصل الخامس . - الازمة وفتانجها السياسية
٢٠٩	١ - تقهر الليبرالية وازمة الديموقراطية البرلمانية
	نقدية مقدم الرئاسة في الولايات المتحدة الاميركية - في بريطانيا العظمى - في فرنسا - الدول الليبرالية الاخرى
٢١٥	٢ - الدكتاتوريات الفاشية
	الفاشية - اسرها - القوى - المعاصرة وشماراتها - ظروف وصورها للحكم الفاشية - احزاب ودوره الرئيسي - الفواح الشعبية وقبولتها لآراء هتلر ونظرياته - وصوله الى السلطة - النظام الجديد - التوحيد والمركزية - بين النازية والمسيحية - النازية والحياة الفكرية - الحمل الاقتصادي - طلبة الفلاسف - الصناعة - انتهازية الفاشية الايطالية - الدولة للفاشية - السياسة الاقتصادية والاجتماعية - مدى نفوذ الفاشية - حدودها - المعاصرة في المناحل والخارج .
٢٣٥	٣ - انتشار الانظمة الدكتاتورية في المحاء اوروبا
	في اوروبا الوسطى - الاحزاب الفاشية - النظام الدكتاتوري في النمسا - في بولونيا وهنغاريا - في اوروبا الجنوبية الشرقية والشمالية - في اوروبا الجنوبية - برتغال سالاوار - اسبانيا - في باقي امحاء العالم
٢٤٣	المعالم الرأسمالي عام ١٩٣٩
	النقد السياسية كما رآها معوزها

القسم الثاني

العالم السوفياتي

- ٢٤٧ الفصل الاول . - الثورة الروسية
- ٢٤٧ ١ - النار في البيت
المنازعات الاجتماعية والفرمية - الحكومة المؤقتة والبرجوازية - طليعة اعمال الحكومة
الاشتراكية - بؤر التدخل الاجبي - الحكومات المناهضة للحكومة البلشيفية - فشل
التدخل - هزيمة الثورة للماكسة - نتائج التدخل والحرب الاهلية .
- ٢٥٤ ٢ - الشيوعية الحربية والسياسة الاقتصادية الجديدة ١٩٢٤ - ١٩٢١
مرحلة الانتقال التي تكلم عنها لينين - شيوعية الحرب - السياسة الاقتصادية الجديدة -
النتائج - ازمة الفصح - السياسة الاقتصادية الجديدة - الدبلوماسية - تخطيط السياسة
الاقتصادية الجديدة .
- ٢٦٤ الفصل الثاني - الارتفاع الى مصاف الدول الاقتصادية الكبرى - الانكماش
والتنظيم الاقتصادي الجديد
- ٢٦٤ ١ - الخطط الخمسية
اعداد الخطة - الخطة الخمسية الاولى ١٩٢٨ - ١٩٣٣ - تحقيقها - الخطة الخمس سنوات الثانية
والثالثة - النتائج في السنة ١٩٤٠ - المميزات الجديدة لهذه الانطلاقة الصناعية .
- ٢٧٠ ٢ - تحول قارة
الانطلاقة الديموقراطية - حركات انتقال السكان - الامار - تحول مظهر البلاد - نظام الصناعة -
تحول مراكز الانتاج - آسيا السوفياتية - بلدان المنطقة المتحددة .
- ٢٧٧ الفصل الثالث . - قلب التنظيم
- ٢٧٧ ١ - النظام الاقتصادي الجديد
المسحبة الاشتراكية والملكية الفردية - تأمين الارباب - تنظيم المصريات - التنظيم الصناعي -
اعداد الخطة - مع الخطة - للتنظيم التجاري - التلحين - التجاره الخارجية - صيرورت
التطبيق - الاتحاد السوفياتي في الازمة الاقتصادية المالية - عهد التسليح - الدخل القومي .
- ٢٨٧ ٢ - النظام الاجتماعي الجديد
لمديد الاجور - عناصر الاجور - الفئات الاجتماعية - مستويات المعيشة .
- ٢٩٤ الفصل الرابع . - النظام السياسي الجديد
- ٢٩٤ ١ - الاطار السياسي
الدولة المتحدة القومية - دولة اتحادية ولكنها حل كثير من اركزية - انطلاقة القوميات -
حسن المسألة الاستعمارية - تطور النظام السياسي - الحزب الشيوعي - تنظيمه -
الكومسومول والرواد .

- ٣٠٥ ٢ - « الإنسان أحر وأعمال »
الصحة العامة - العائلة وحرر المرأة - التعليم - الثقافة الجديدة : الرقعة الاشتراكية - القضاء.
- ٣٩٩ ٣ - الديمقراطية الحرة والديمقراطية السوفياتية
الرأي الحر والنظام الرأسمالي - النظام السوفياتي والاشتراكية - الديمقراطية السوفياتية .
- ٣٩٦ ٤ - قوة النظام والمعارضة
الانسان الجديد - الجيش الاحمر - الشرطة والقضاء السياسي - المعارضة - المعارضة في داخل
الحزب - المقاومة الدولية والقومية - الدعاوى الكبرى (١٩٣٩ - ١٩٣٨) .
- ٣٢٣ الخلاصة

القسم الثالث

العالم المنقسم

تناثر الامبراطوريات الاستعمارية

الكتاب الاول

الحرب العالمية الثانية

٣٢٧

الفصل الاول . - الحربان العالميتان

٣٢٩

١ - فن الحرب والدعوة الحربية خلال الحرب العالمية الاولى

٣٣٠

مهموم الحركة في السنة ١٩١٤ - قواعد استخدام الاسلحة - المبالغة في ايدي اللان - للشكل
الجديد للحرب في الغرب ، الخنادق - محاولات الهجوم في الغرب في السنوات ١٩١٥
و ١٩١٦ و ١٩١٧ - تقدم الاسلحة الجديدة - معركة السنا ١٩١٨ .

٣٤٢

٢ - المفاهيم الاستراتيجية وفن الحرب اثناء الحرب العالمية الثانية

المذاهب الاستراتيجية بين اوروبيين - المذهب الفرنسي - المذهب الألماني - المفهوم الفرنسي
لاستخدام الدروع - القوات المتعاقبة في ايار ١٩٤٠ .

٣٤٥

٣ - تطور التسليح والاستعدادات في فن الحرب

تطور الاسلحة المختلفة - الدبابات - المخطاط الدبابات - الطائرات - القاذورات الجوية الاستراتيجية -
الطيران التكتيكي - الجيوش المنقولة جواً - الاسلحة الذاتية الاندلاع - الحرب البحرية
منذ ١٩١٤ حتى ١٩١٨ - معركة الاطلسي - للمركة في المحيط الهادي - العمليات
الجوهرية - نقل الجيوش وتربتها - حرب الصحاري - في الشرق وجنوباً - في روسيا -
في فرنسا - إيطاليا - الد « وروولف » - بعض مظاهر الحرب الخاصة « الحرب في روسيا -
في الشرق الأقصى - الحرب ضد اندونيسيا .

٣٧١ الفصل الثاني . - النظام الأوروبي والآسيوي الجديد

٣٧١ ١ - النظام الألماني الجديد

النظام الجديد - نجاح المنصورية - امبراطورية الـ B. B. - الابداء - مصكرات الموت - استثمار البطان المحتلة - الصناعة - الاستيلاء على المزارع - رقابة الزراعة - العمل الاكراهي - الاستثمار المالي - الحكومات التابعة - التعاون - فرنسا فبشي - « الثورة القومية » - تطور النظام - الدول المحتلة الاخرى .

٣٩٤ ٢ - المقاومة

المقاومة - حكومات المنفى - المقاومة في اوروبا الشمالية الغربية - في اوروبا الشرقية والجنوبية شرقية - المقاومة الايطالية - المقاومة الالمانية - القبع الالمني .

٤٠٦ ٣ - النظام الياباني الجديد

النظام الياباني الجديد - آسيا الشرقية الكبرى - مصكرات الشعوب المهضمة - المقاومة - الهند الصينية .

٤١٣ الخسلاصة

الكتاب الثاني

العالم الحر الجديد

٤١٦ الفصل الاول . - القسم العالم واحتلال توازنه

فقدان الثقة بين الحلفاء - تأسيس الامم المتحدة - الحرب الباردة - الميثاق الاطلسي - هوة الحرب الباردة - الاسراع السريعة الزوال - ظروف الحرب الجديدة - اشتداد الاحتلال - التوازن الاقتصادي والسياسي في العالم .

٤٢٥ الفصل الثاني - الولايات المتحدة

زاوية الانتاج - العودة الى احوال ما قبل الحرب - خطر الازمة ١٩٤٩ - التدابير للتخفيف - لايفال - التوسع الاميركي - مشروع مارشال - الازمة الزراعية - تدخل الدولة المتزايد - نظام المجتمع - سقف البطالة المالية - امريكا الاخرى - التطور المحافظ المتزايد - الحياة السياسية - الميول الاقتصادي الاخير والتوسع الجديد .

٤٤٢ الفصل الثالث . - اوروبا الغربية واليابان

الحاجات المتنامية .

٤٤٤ ١ - التطور الاجتماعي

الفرزحات البشرية في اوروبا - مسألة الهجرة الأوروبية - النظام الاجتماعي - العلاقة القطاعين الثاني والثالث .

٤٥٣ ٢ - التطور الاقتصادي

التحدر للعام - العوامل الجديدة - احادة النساء - تقدم الانتاج الصناعي - الوصح الزراعي - الاستخدام - الانبعاث التجاري - « هوة الدولار » - مشاريع توحيد اوروبا الغربية - خطة شومان ، السوق المشتركة والاوراتوم .

٢ - مراجع الديمقراطية الكلاسيكية ١٦٤

التمثيل الجمعي - اتساع دور الدولة في الحقل الاقتصادي - التأميمات - الخطط - ترخيص الأموال - مثل سويسرا - اتساع الوظيفة العامة - تدخل الدولة في الحقل الاجتماعي - سياسة الإزدهار والرفاهية - التمتع - شروط نشر الفكر والإعلان - وكالات الإعلام - الإذاعة والتلفزة - المودة إلى الناس - رجحان ثقافة المحافظين - تطور ألمانيا - تطور اليابان - أزمة النظام الحزبي - سلطة الاختصاصيين - استمرار تدني الرقابة البرلمانية - تجدد السلطة .

١٨٦ الخلاصة

١٨٨ الفصل الرابع . - الفكر والفن والحياة الدينية في فترة ما بعد الحرب العالمية

١٨٨ ١ - الفكر وفنون الأدب

ج. ب. سارتر - النسبية والعقل - التقلب على أزمة الحتمية - الدواول الجدلي العلم - علم الاجتماع - السيكلوجيا و « العلاقات البشرية » - الميزات الجديدة للإبداع الفني - الفنون التصويرية - الموسيقى - سينما بعد الحرب لم تقص في فرنسا - قصة الأميرة - القصة الإيطالية - الأفكار ومحاولات التجديد في البلدان الأنكلوساكسونية - ألمانيا .

١٨٩ ٢ - الحياة الدينية

تكاثر الشيع - الكنيسة الكاثوليكية - الكنيسة والمجتمع - الحيوية الدينية - جمع الفاشيان الثاني - البلدان البروتستانتية - الحركة للسكوتية .

الكتاب الثالث

العالم الشيوعي

١٦٦ الفصل الأول . - الاتحاد السوفياتي

ظروف إعادة البناء والانطلاقة الاقتصادية - الخطط الخمسية الأخيرة - الزراعة - مستوى المعيشة - مقارنة بالبلدان الرأسمالية - الحياة الفكرية - الاتحاد السوفياتي منذ المؤثر العشرين - المؤسسات - إصلاح الاقتصاد - الخطط السببية (١٩٦٥ - ١٩٥٩) .

١٣١ الفصل الثاني . - الديمقراطية الشعبية في أوروبا الوسطى والشرقية

الوضع في سنة ١٩٤٥ - حكومات الأحزاب المتحدة - قيام النظام الشيوعي تدريجياً - الجمهورية الديمقراطية الألمانية ؛ الإصلاح الزراعي في الديمقراطيات الشعبية - التأميمات - التبرع في التشيك - ترحيل الديمقراطيات الشعبية - الخطط الطويلة الأجل وتوحيد الكتلة الشيوعية - المجتمع الجديد - الفلاحون - العمال - العمل المنعم للسائل الوطنية - التنظيم المدني الجديد - تحول سنة ١٩٥٣ - أزمة تشون الأول ١٩٥٦ في بولندا - رومانيا - الوضع في سنة ١٩٦٦ - الكوميكون .

٥٥٦ الفصل الثالث . - يوغوسلافيا

النظام السياسي الجديد . النهضة اللاحقة - عزلة يوغوسلافيا - الطريقة اليوغوسلافية - الازمة الاقتصادية الراهنة .

٥٥٨ الفصل الرابع . - الصين تسمى شيوعية

الحرب الأهلية - الصين الجديدة - العمال - البورجوازية الوطنية - الثورة الثقافية - الحركة الوطنية - ردوداها طابع المدد الشيوعية - اصلاحات الكومنتانغ .

٥٦٢ ١ - مصير الكومنتانغ

حكومة تشانغ كاي شاك منذ ١٩٤٧ - وضع الحزب الشيوعي بين ١٩٦٨ و ١٩٣٥ - « التغييرات الجديدة » - الحرب الأهلية (١٩٤٥ - ١٩٤٩) .

٥٦٨ ٢ - الصين الجديدة

النظام الاقتصادي الجديد - الاصلاح الزراعي - التأمينات - القطاع التمولي - ظروف الحياة الجديدة - وحدة الصين - توحيد الكتلة الصليبية السوفياتية - « نظرية الصلبة » - الفترة الكبرى الى الامام - التوازن الاقتصادي والاسلامي .

٥٧٨ الخاتمة

الكتاب الرابع

حول البلدان الناطقة والبلدان الخاضعة للاستعمار

٥٨٠ الفصل الأول . - اقطار اميركا اللاتينية

٥٨٠ ١ - المشكلات الاجتماعية والاقتصادية

للمشكلات السكانية والتمديدية - للكليات الكبرى - مشكلة المسود الحرة - مشكلة الزوج - الطبقات الاجتماعية الجديدة - الصراع الطبقي والمصري - الحركة الوطنية - الارتفاع نحو التنمية .

٥٩٠ ٢ - الحياة السياسية

عدم الاستقرار السياسي - الازمة وتأثيرها على الحياة السياسية - الحياة السياسية وازدهارها الجديدة - دور الجيش - الحياة السياسية منذ ١٩٤٠ - دور الاحزاب الشيوعية .

٥٩٧ ٣ - الصراع في سبيل الاستقلال

التنمية الاقتصادية والمالية - التنمية السياسية - في سبيل التحرر - النزعة الاميركية الإسبانية - ثورة لكسيك - اوجستين بيردون - « المدلانية » - برازيل غرخاس .

٦١٢ ٤ - وضع القارة بعد ثورة كوبا

الثورة الكوبية ونتائجها - المشكلة الزراعية - سياسة الولايات المتحدة الاميركية - فشل الحكومة الليبرالية - وضع القارة عام ١٩٦٦ .

٩١٨

الفصل الثاني . - ثورة الشعوب المستعمنة

تأثير الحرب العالمية الأولى - حيفة الانتداب - للغرب وتأثيره الثوري - الحرب العالمية الثانية وأثرها - أوروبا وبعدها المقعد منذ ١٩٤٥ - أوروبا وانقساماتها - مطالب الحركات القومية وخطاباتها - سيمت الدول المستعمرة - تأثير حرب كوريا - سياسة التدخل لدى الدول الجديدة .

٦٣٩

الفصل الثالث . - آسيا الجنوبية وآسيا الشرق الأقصى

٦٣٩

١ - الهند

الحركة الوطنية في الهند - التطور الجذري - مسألة انكسار - المجتمع الهندي - بؤس الفلاحين وشغلهم - المهل - استقلال الهند والقضايا - التركيب الاجتماعي والسياسي في باكستان - الانقلاب العسكري عام ١٩٥٨ - الاتحاد الهندي ومشكلاته - أشكال الاقتصاد - جوه الهند - الاضطراب الاجتماعي ومعاله - الهند إحدى دول الحظ الكبير .

٦٤٨

٢ - آسيا الجنوبية الشرقية

حول اندونيسيا - التركيب الاجتماعي - الحركة القومية - صلاية النظام - الاستقلال - مصاعب اندونيسيا في عهد الاستقلال - الفلبين - استقلال الفلبين - بروما - ماليزيا - فشل الحملات البريطانية في إعادة حكمهم على البلاد - الهند الصينية الفرنسية قبل ١٩٤٥ - ازدياد البؤس والفساد - الحركة القومية - تأثير الفتح الياباني - المادومة الفيتنامية - انبعاث نطاق العرب - شطرا غيتنام .

٦٧١

الفصل الرابع . - البلدان الاسلامية في الشرق وشمال أفريقيا

الثمت العربي - عصبة الاسلام - انتشار الاسلام .

٦٧٤

١ - فترة ما بين الحربين

الحكم الاسلامي جزأ ومسود - الحركة اصلاحية في تركيا - تغيير الوضع الاقتصادي - مصر - السيطرة البريطانية في الشرق الأدنى - ايران والافغانستان - تأثير الأزمة الاقتصادية الكبرى .

٦٨١

٢ - نتائج الحرب العالمية الثانية

النفط واره - نظام اللكيات الكبيرة والبؤس الاجتماعي في الشرق - الفلق الاجتماعي وتناقصه السياسية - أهمية العامل الديني - تطور المجتمع الاسلامي - الحركة القومية ضد الكمالية في تركيا - اعلان الجمهورية في مصر - الشرق منذ « حادثة السويس » .

٦٩٦

٣ - اسرافيل المعجزة

من فوطس القومي إلى دولة ذات سيادة - الحركة السكالية الجديدة - التطلع الاقتصادي في البلاد .

٧٠٠

٤ - البلدان الاسلامية - أفريقيا الشمالية

المجتمعان المتعاوران : المجتمع الاوروبي - المجتمع الوطني - المشكلة الديموغرافية ونتائجها - البؤس بين ابتداء البلاد - التطلعات الاجتماعية الجديدة - بوليتاريا المدن - نجاح الحركات الوطنية - استقلال تونس والجزيرة - أفريقيا الشمالية منذ الاستقلال .

٩٣١

- ٧١٣ **الفصل الخامس . - تطور افريقيا السوداء**
- ٧١٣ ١ - **قطر الاقتصاد والمجتمع**
- طرق المواصلات واذا - الاقتصاد القائم على النقل - تأزم وضع ابناء البلاد - نظام الاراضي المحفوظة والعمل الاجباري - تنقل السكان - التزوج من الريف والجمعاء المدن - خلقة التركيب الاجتماعي القديم - المجتمع الجديد : التطورون - بروتيتارية المدن .
- ٧٢٦ ٢ - **التوتر الاجتماعي**
- « المجتمع الاستعماري » - موقف المستعمرين - ردة الفعل بين الدول المستعمرة - الخطط والاستثمارات تزيد من حدة القابلية - ردة فعل ابناء البلاد - بين الاسلام والمسيحية - الكنائس السوداء .
- ٧٣٧ ٣ - **السياسات الاستعمارية المتباينة الانحاء**
- سياسة بريطانيا - افريقيا الشرقية البريطانية - الكونغو البلجيكي - نظام اوي - الفصل الفرع - افريقيا البرتغالية - فرنسا في افريقيا الغربية والفرنسية وافريقيا الاستوائية بعددقتر - الاتحاد الفرنسي - الحركات الوطنية - ايلاء الاستقلال - افريقيا الغربية البريطانية .
- ٧٥٦ **افريقيتان وجهاً لوجه**
- افريقيا الاستعمارية - الحياة السياسية لدى هذه الدول المستقلة - كونغو ليوبولدفيل - افريقيا المستقلة مبلقنة - محاولات التجميع والافراغ .
- ٧٦٤ **الفصل السادس . - الفناء الاستعمار والاستعمار الجديد**
- ٧٦٤ **الفناء الاستعمار**
- السياسة الاستعمارية الجديدة - النقطة الرابعة ومساعدة الدول المتخلفة - مشروع كولوم - مؤتمر بانديس .
- ٧٦٩ **التطور العام الذي اخذت به اسبابه الدول الجديدة**
- مشكلة الجمع والاندماج - حيز لاعتمادات التي تمسها الغرب - الفروع القومية - الانظمة الجديدة .
- ٧٧٤ **مشكلة الاستقلال الاقتصادي**
- روابط التبعية - الاستعمار الجديد - اتفاقات متعددة الاطراف افرواروبية .
- ٧٧٩ **التنقيصة**

التقسيم الرابع

١. انطلاق العلوم والتقنيات

٧٨٣ الفصل الاول . - ثورة العلوم الطبيعية

٧٨٣ ١ - الظروف الطبيعية للمحت العلمي والنظري

مركز جديد للعلم والتقنيات في حياة المجتمع - امتحان العلم .

٧٨٦ ٢ - ثورة العلوم الطبيعية

التنظيريات الفيزيائية الجديدة - انطلاق الفيزيائية الذرية - اموجات والعم الالكتروسي - تحديد الكتيبا - فيزياء اللك وفيزياء الارض .

٧٩٤ الفصل الثاني . - توسع علم الحياة وثورة الطب

لقنة اموات العالم الاحيائي - خلاص عناصر الحياة - الجهاز الحي والاشيرة الحية - الاشيرة الحية الصغرى - الاعضاء المنظمة في الجهاز الحي الاخر - علم الوراثة - ثورة الطب - المفاعم والتقنيات الطبية الجديدة - مكافحة الامراض المعدية - « معجزات » الجراحة .

٨٠٧ الفصل الثالث . - انطلاق التقنيات

٨٠٧ ١ - التقنيات الصناعية

الصناعة التركيبية - المواد المعيشية - الصناعات المعدنية - زيادة سرعة وسائل النقل - هندسة المماوة المعاصرة - مكتبة وحوسبة ذاتية .

٨١٦ ٢ - التقنيات الزراعية

٢٢٢ مركات - الكمبيوتر الزراعية وعلم الحياة - النتائج الاقتصادية .

٨١٨ ٣ - النتائج الاجتماعية

تطور ظروف العمل - النتائج الاجتماعية للتنميش الآلي - تطور الحياة اليومية - الخلاصة

الفصل الرابع . - مسألة القرن العشرين الكبرى / تقليدية سكان يتزايدون كرايداً

٨٢٤ سريعاً

الثورة الديموقراطية في القرن العشرين - المطلة امد الحياة - هدم المسواة امام الموت - نتائج هذا الوضع في حقل التقليدية - سوء تغذية لثني البشرية - تفاوت مستويات المعيشة - مكافحة الجوع - الثورة الصناعية الجديدة .

٨٣٥ الخلاصة

٨٤٣ التوجيه البيولوجرافي

٨٥٥	مراجع هربية
٨٦٩	موجز المجلات العالمية
٨٨٩	جدول الاعلام
٩٠٨	فهرست الصور
٩١٠	فهرست الحرائط والتصاميم
٩١٢	فهرست عام

انتهى المجلد السابع والاخير

HISTOIRE GÉNÉRALE DES CIVILISATIONS

publiée sous la direction de
MAURICE CROUZET
Inspecteur général de l'Instruction publique

TOME VII

**L'ÉPOQUE
CONTEMPORAINE**

**A LA RECHERCHE
D'UNE CIVILISATION NOUVELLE**

(CINQUIÈME ÉDITION REVUE ET AUGMENTÉE)

par

MAURICE CROUZET
Inspecteur général de l'Instruction publique

Texte traduit en arabe

Par

Youssef A. DAGHER & Farid M. DAGHER

EDITIONS OUEIDAT

Bejrout — Paris

